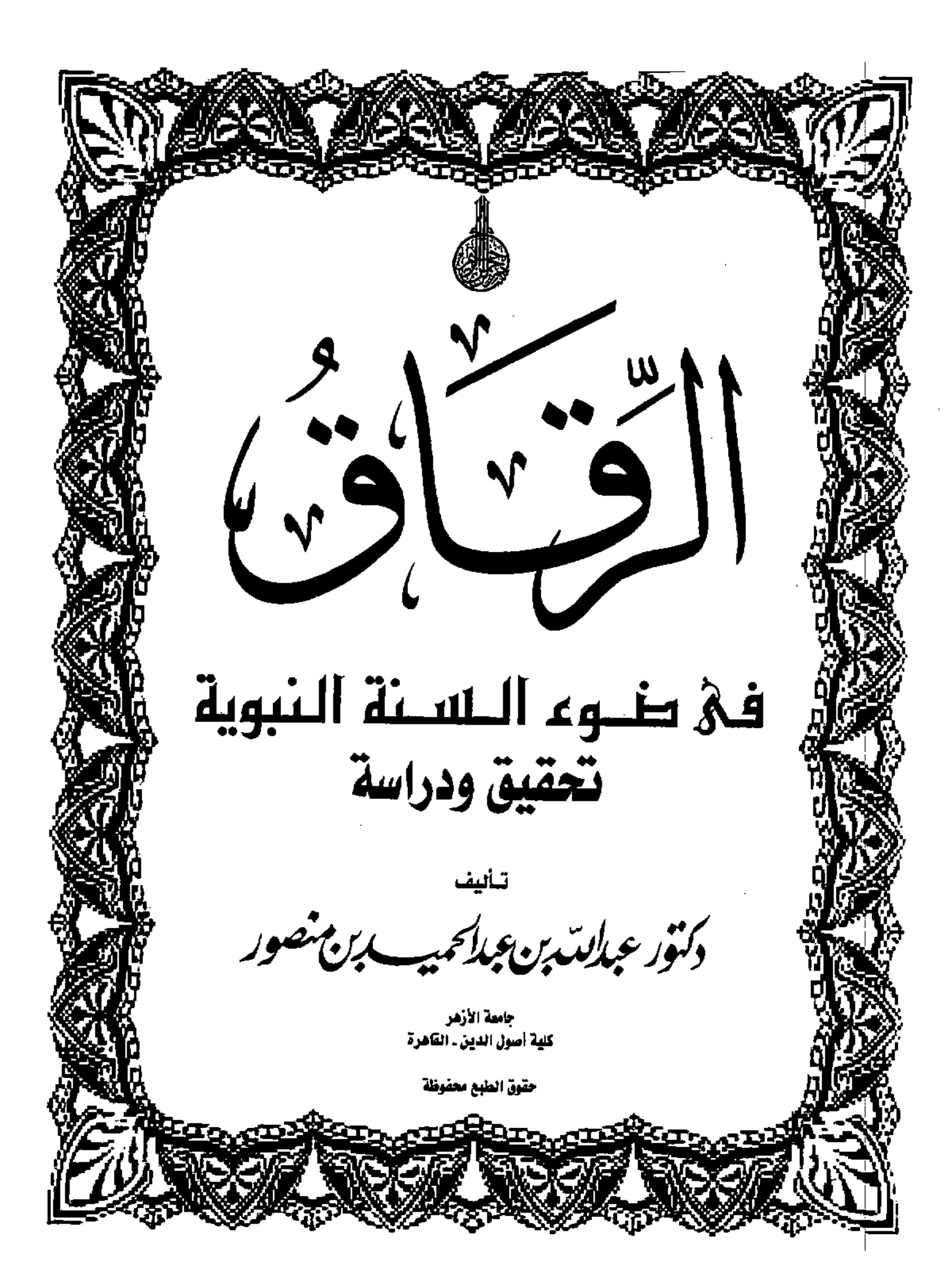


الرقائق

في ضوء السنة النبوية

تحقيق ودراسة

تأليف

دكتور عبد الله بن عبد الحميد بن منصور

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾

النور (٥٤)

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

ق (٣٧)

﴿ وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾

الحشر (٧)

قال صلى الله عليه وسلم:

«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه...»

أخرجه أحمد في المسند (٤/١٣١)

وقالت عائشة رضي الله عنهما:

«إن أبا بكر رجل رقيق...»

أخرجه البخاري (٥٢/٤ح٦٨٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست الأبواب والفصول

اسم الباب أو الفصل	رقم الصفحة
المقدمة	٧
تعريف الرقاق في السنة واللغة	١٣
تاريخ الرقاق	١٥
الغرض من دراسة الموضوع	٢٣
منهج البحث	٧٩
الباب الأول «العقائد»	٨٥
الفصل الأول: العمل الذي يبتغي به وجه الله عز وجل	٨٧
الفصل الثاني: تعظيم الله عز وجل وأسمائه وصفاته	٩٧
الفصل الثالث: الخوف من الله عز وجل	١٧٧
الفصل الرابع: الرجاء في الله عز وجل	٢١٩
الفصل الخامس: التوكل واليقين	٢٦٣
الفصل السادس: نبيناﷺ وما يجب له من الحب والتعظيم	٢٩٣
الفصل السابع: حب الإسلام وأهله	٤٤٧
الفصل الثامن: الرحمة	٤٧٩
الفصل التاسع: الإيمان بالقدر والرضا به	٤٩٥
الفصل العاشر: فضل الإيمان والتوحيد	٥٠٣
الباب الثاني «العبادات»	٥٦٧
الفصل الأول: الإجتهاد في العبادة	٥٦٩
الفصل الثاني: القصد والمداومة	٦٣٩
الفصل الثالث: المبادرة إلى العمل	٦٤٧

اسم الباب أو الفصل	رقم الصفحة
الفصل الرابع: فضل القرآن الكريم	٦٧٧
الفصل الخامس: فضل السخاء وحسن الخلق................	٧٣٣
الفصل السادس: التحذير من ترك العمل الصالح	٧٥٩
الفصل السابع: جزاء المؤمن بحسناته	٧٧١
الباب الثالث «**الجهاد في سبيل الله تعالى**»	٧٨٥
الباب الرابع «**الزهد**»	٩٦٣
الفصل الأول: عيش النبي ﷺ	٩٦٥
الفصل الثاني: فضل الفقر	٩٧٧
الفصل الثالث: القناعة	٩٩٣
الفصل الرابع: التواضع	١٠١٥
الفصل الخامس: العزلة	١٠٢١
الفصل السادس: الورع	١٠٢٧
الفصل السابع: التوبة	١٠٣٣
الفصل الثامن: الصبر	١٠٤٣
الباب الخامس «**التحذير من المعاصي**»	١٠٦٧
الفصل الأول: تحريم المعاصي	١٠٦٩
الفصل الثاني: تحريم البغي	١١١٧
الفصل الثالث: تحريم العقوق	١١٧٧
الفصل الرابع: التحذير من التقصير	١١٩١
الفصل الخامس: التحذير من مخالفة السنة	١١٩٧
الفصل السادس: تحريم الشرك	١٢١١
الفصل السابع: تحريم التشبه بالكفار	١٢٢٧

اسم الباب أو الفصل	رقم الصفحة
الباب السادس «الترقيق بذكر أحوال الآخرة»	
الفصل الأول: الموت والقبر ومقدمات ذلك	١٢٣٣
الفصل الثاني: وفاة نبينا محمد رسول الله ﷺ	١٣١٧
الفصل الثالث: الساعة وأشراطها وما فيها	١٣٦١
الفصل الرابع: الحشر والحساب	١٤١١
الفصل الخامس: يوم القيامة وأهوالها	١٤٤٣
الفصل السادس: ما يرجى من رحمة الله تعالى	١٤٧١
الفصل السابع: النار وأهوالها	١٤٨٥
الفصل الثامن: الجنة ونعيمها	١٥٧٣
الخاتمة أسأل الله تعالى تمام ودوام حسنها	١٧١٩
نتائج البحث	١٧٢١
شكر	١٧٢٤
فهرست الأحاديث الشريفة مرتبة على الحروف الهجائية	١٧٢٥
فهرست الأبواب والفصول	١٧٧٩
ثبت المراجع	١٧٨٢

والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً وآله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكلَّ بدعةٍ ضَلالة وكلَّ ضلالةٍ في النار.



الرقاق في ضوء السنَّة النبوية

تحقيق ودراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف الرقاق

الأصل اللغوي لمعنى الكلمة فمادتها «رقق» براء مهملة بعدها قافين معجمتين كلهم مفتوحون. قال ابن منظور في لسان العرب ص(١٧٠٦) الرقيق: نقيض الغليظ والثخين، والرقة ضد الغلظ ثم قال: ومنه الحديث: «أهل اليمن هم أرق قلوبًا» قلت أخرجه مسلم (٢/٣٠) في الإيمان ولفظه: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا وأرق أفئدة» أي ألين وأقبل للموعظة، والمراد بالرقة: ضد القسوة والشدة. أهـ. وقال ابن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح (ص٢٥٣): «الرقيق» ضد الغليظ والثخين، وقد رقَّ الشئ يرق بالكسر «رقة» و«أرقه» غيره و «رققه» ترقيقًا و«ترقيق» الكلام تحسينه، «وترقق» له أي رق له قلبه. أهـ. وقال الإمام البخاري في صحيحه (٣/٢٤): بسم الله الرحمن الرحيم كتاب الرقاق، ثم قال تحته: الصحة والفراغ، وقال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري في الشرح (٣/٢٤): قال مغلطاي: عَبَّرَ جماعة من العلماء في كتبهم بالرقائق، قلت: منهم ابن المبارك والنسائي في الكبرى، وروايته كذلك في نسخة معتمدة من رواية النسفي عن البخاري والمعنى واحد، والرقاق والرقائق جمع رقيقة: وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن في كل منها ما يحدث في القلب رقة. قال أهل اللغة: الرقة: الرحمة، وضد الغلظ، ويقال للكثير الحياء: رق وجهه استحياء قال الراغب: متى كانت الرقة في جسم فضدها الصفاقة كثوب رقيق، وثوب صفيق، ومتى كانت في قلب، فضدها القسوة كرقيق القلب وقاسي القلب، وقال الجوهري: وترقيق الكلام تحسينه. أهـ.

فالبنظر إلى تعريفات المحدثين واللغوين يكاد المعنى يتفق أو هو قد اتفق إلا أن اللغويين قد أتوا بأصل الكلمة وما وضعت له وبعض ما اصطلح عليه، أما المحدثون فترجموا بها لكل ما يحققها من أحاديث النبي ﷺ ويقع في القلب فيهتز ويربو ويقبل فيرق ويلين وتتحول قسوته وغلظته وثخانته إلى لين وحلم ورقة فتتأثر الجوارح نظراً لتأثر القلب الذي يمدها بأحاسيسه ومشاعره وأحواله ويفيض عليها بما فيه من إيمان ويقين وحال رقيق متأثر بما وقع فيه من تلك الكلمات المحكمات الطيبات النابعة مما أثر عن لسان خير البريات محمد ﷺ.



تاريخ الرقاق

ومنذ عهد النبوة الصالح والرقاق ظاهر بل بدأت الرسالة المباركة لنبينا ﷺ بالرقاق أولا حتى تثيب القلوب إلى الإسلام كما قالت عائشة رضي الله عنها «إنما نزل أول مانزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ... الحديث» أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٤٨) في فضائل القرآن الكريم، باب تأليف القرآن، ح٤٩٩٣.

فبداية هذا النور العظيم الذي أنزله الله تعالى على قلب نبيناﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم بدايته ذكر الجنة والنار وهما أصل عظيم من أصول الرقاق فضلاً عن أن يكونا غالب الرقاق وعموده وذروة سنامه كما قالﷺ «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها» أخرجه الترمذي (٧/٣٢٨) ح٢٧٢٨ في صفة جهنم وضعفه، لذلك غالب الآيات المكية ترغيب وترهيب لترق القلوب وتخشع وتخضع لعلام الغيوب فتفصيل حديث عائشة رضي الله عنها من رواية البخاري في صحيحه (١٩/٤٧، ٤٨) ح٤٩٩٣ من حديث يوسف بن ماهك عنها رضي الله عنها أنها قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شئ - لا تشربوا الخمر - لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا ابدًا، لقد نزل بمكة على محمدﷺ وإني لجارية ألعب - ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]سورة القمر آية (٤٦) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ... الحديث» فهذا بيان عظيم من أم المؤمنين - رضي الله عنها - لفجر الإسلام الحنيف ونزول القرآن الكريم على قلب النبي الشريف ﷺ تفصح فيه عن قيمة الرقاق العظيمة وتاريخها العريق حيث بدأنا به ربنا تعالى مع مهد الدعوة المباركة مصباحًا وسراجًا منيرًا ليمشي به نبينا ﷺ في الناس يفتح به

قلوبهم فترق لما فيه من التشويق للنعيم المقيم الأبدي الخالد تحت عرش الرحمن جل وعلا، وأيضًا ترق خوفًا ومهابة وإشفاقًا من العذاب الوبيل لمن أعرض عن ذكر الرحمن - عز وجل - بنار تلظى ﴿ **لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى** ﴿١٥﴾ **الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴿١٦﴾ ﴾ [**الليل** : ١٥، ١٦][**الليل** : ١٥، ١٦]

لذلك قالت رضي الله عنها «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار» أي من أوائل ما نزل سورة من المفصل، والمفصل سمى بذلك لكثرة الفصل بين آياته فهو آيات كثيرة قصيرة وهو من أول سورة محمد ﷺ على - رأي لأهل العلم - إلى آخر القرآن الكريم وينقسم إلى طوال ووسط وقصار، فالطوال من أول سورة «محمد» إلى سورة «ق»، والوسط من أول سورة «ق» إلى سورة «البينة»، والقصار من أول سورة «البينة» إلى آخر القرآن الكريم، لذلك غالب الآيات المكية مفصل ورقاق فضلاً عن أن تكون كلها وترغيب وترهيب ووجوه الإعجاز أظهر فيها وأقوى للتحدى من المدنية للحاجة لذلك في مكة أكثر من المدينة حيث بداية الدعوة وبلوغ المعارضين درجة واضحة من البلاغة.

وقد ذكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مثالاً لما نزل من أوائل الأيات في أوائل السور وهو قوله تعالى ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴿٤٦﴾ ﴾ وهي الآية السادسة والأربعون من سورة القمر وهي سورة مكية نزلت بعد سورة ﴿ **الطارق** ﴾ كما في المصحف والحديث وهي من المفصل كما قالت عائشة رضي الله عنها وهي مليئة بالرقاق وفيها وعد ووعيد وترغيب وترهيب وتخويف وتهديد ومنها هذه الآية الكريمة ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴿٤٦﴾ ﴾ ولها علاقة بما قبلها وهي الآية (٤٤) قال تعالى ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ** ﴿٤٤﴾ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴿٤٥﴾ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [**القمر** : ٤٤ - ٤٦] قال شيخ المفسرين

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره (١١/٥٦٧) قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء أو مكروه وأراد حربنا وتفريق جمعنا فقال الله جل ثناؤه ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ يعني جمع كفار قريش ﴿ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ يقول: ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه ثم ذكر بسنده (١١/٥٦٧) ح٣٢٨٢٣ إلى عمر رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾، ثم قال في قوله تعالى ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ للبعث والعقاب ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾ عليهم من الهزيمة التي يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين يوم بدر. أهـ. (١١/٥٦٧، ٥٦٨) وقد ذكرت أم المؤمنين ذلك لتبين نوعًا من أنواع الرقاق المتمثل في الترهيب من عذاب الله تعالى يوم القيامة الذي هو قد نزل من أول ما نزل على قلب رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في الفتح (١٩/٤٨): قولها «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار» هذا ظاهره مغاير لما تقدم أن أول شئ نزل ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ وليس فيها ذكر الجنة والنار فلعل «من» مقدره أي من أول ما نزل، أو المراد سورة المدثر فإنها أول ما نزل بعد فترة الوحي وفي آخرها ذكر الجنة والنار فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية سورة اقرأ فإن الذي نزل أولاً من ﴿ اقرأ... ﴾ كما تقدم خمس آيات فقط. أهـ. قلت: والأرجح قوله [فلعل «من» مقدرة]، أي من أول ما نزل لأنها رضي الله عنها لم تخصص الآية بعينها بل ذكرتها هي وسورتها على سبيل المثال فهي تقصد - والله أعلم - كل مفصل فيه ذكر الجنة والنار، والترغيب والترهيب، والتشويق والتخويف قال: قوله:

«حتى إذا ثاب» بالمثلثة ثم الموحده أي رجع، قوله «نزل الحلال والحرام» أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام ولهذا قالت: ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندعها،؛وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف. أهـ. فها هو الرقاق كان من أول ما نزل على قلب نبينا ﷺ بل كان أيضًا من أول ما تكلم به رسول الله ﷺ فيه رقاق، فقد أخرج ابن ماجه في سننه (١٠٨٣/٢) ح ٣٢٥١ في الأطعمة باب إطعام الطعام، عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجفل الناس قبله، وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله، ثلاثًا، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شئ سمعته تكلم به أن قال «يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» فهذا رسول الله ﷺ نفسه في أول قدمة قدمها يحدث عن الجنة ليرقق قلوب أصحابه والسامعين حتى تنشرح اشتياقًا إليها فتجتهد جوارحها للعمل بالسلام والطعام والأرحام والصلاة والقيام وغيرهم ليتثنى لها بلوغ مراتب الإيمان التي تؤهلها بفضل ذي الجلال والإكرام إلى الوصول إلى دار السلام بسلام لذلك قبلوا وسمعوا وعلموا وفهموا وعملوا وعَلَّموا وصبروا وصابروا بل ووصلوا وبشروا بها وهم أحياء يمشون على الأرض وقد علموا أنهم من أهل الجنة بل قد رقت قلوبهم لدرجة لا يستطيعون معها مواصلة تلقي سماع الوحي الشريف ولا قرائته، فقد أخرج البخاري في صحيحه (١٠٣/٤) ح٧١٦ في الصلاة: باب إذا بكى الامام في الصلاة، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر يصلي بالناس، قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر يصلي بالناس، فقال: «مروا أبا بكر فليصل للناس، فقالت عائشة: فقلت

حفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس ففعلت حفصة: فقال رسول الله ﷺ: «مه إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل للناس .. الحديث» فعائشة رضي الله عنها تصف أبا بكر رضي الله عنه بأنه أسيف وفي رواية أخرى تصفه صراحة بأنه رقيق، فقد أخرج البخاري عنها أيضًا رضي الله عنها (٤/٦٢)ح٦٨٧ في الآذان أنها قالت: فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر، وكان رجلاً رقيقًا: يا عمر: صل بالناس....» الحديث فقد كان أكثرهم إيمانًا أعظم رقة في قلبه وأشدهم لله عز وجل خشية لذلك كان نبينا ﷺ أرق الناس قلبًا وأشدهم لله تعالى خشية فهو القائل ﷺ «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٣١٢ في الأدب ح٣١٢ وسبب ذلك كما بين علمه بالله تعالى الزائد على علم الناس كلهم ﷺ وقد أوضح ذلك فقال لهم «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» أخرجه البخاري (٥/٢٢٥) في الكسوف ح١٠٤٤. وقد وصف النبي ﷺ أيضًا أهل اليمن برقة القلوب مع وصفه لهم بالإيمان، فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (٢/٣٠) عنه ﷺ أنه قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا وأرق أفئدة.. الحديث» فزمانه ﷺ كان يذكر فيه الرقاق كثيرًا فضلاً عن أن يكون كله رقاق ثمرة ما أضاء به ﷺ قلوب أصحابه وغيرهم مما نطق به من الحكمة التي أوحاها الله عز وجل إليه وعلمه إياها فهداهم بها وأحياهم بنورها قال الله عز وجل له في سورة الشورى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)**﴾

[**الشورى**: ٥٢، ٥٣].

ثم استمر الرقاق حتى دخل عصر التابعين وفشى فيهم أيضًا وكثر في كلامهم وعاشوا به وسلكوا هذا المنهج القويم في ترقيق القلوب بنور الحكمة واستشعار ذلك مقتدين بالنبيﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم وهذا بعض كلامهم على سبيل المثال لا الحصر، ذكر ابن رجب الحنبلي في كتابه لطائف المعارف (ص٢٦٠): قال عمر بن عبد العزيز في حجة حجها عند دفع الناس: ليس السابق اليوم من سبق بعيره إنما السابق من غفر له، كان رأس السابقين إلى الخيرات من هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال عمر ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقنا أبو بكر وكان سباقًا بالخيرات ثم كان السابق بعده إلى الخيرات عمر، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل، وقال: قال رجل لمالك بن دينار: رأيت في المنام مناديًا ينادي: أيها الناس! الرحيل الرحيل فما رأيت أحدًا يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾**﴾ [**الواقعة**: ١٠ - ١٢]. اهـ.

وأيضًا في هذا القرن الثالث ألف الإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ كتاب الرقاق لكن لم يجعله مستقلا إنما ألحقه في ثنايا الصحيح الجامع وزاد كثيراً في المميزات عما سبق فيكفيه ميزة أنه خصه بالصحيح دون غيره إلا أن يكون هناك ترجمة ليست على شرطه لكن كل ما كان على شرطه كان صحيحًا بفضل الله تعالى وهذه الخاصية لا توجد في أي تصنيف في الرقاق إلا أن يكون صحيح الإمام مسلم النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ فقد ألف أيضًا كتابًا للزهد والرقاق لكن لم يجعله مستقلا بل داخل صحيحه الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ثم صحيح الإمام البخاري وامتاز بالصحة الخالصة في كل رواياته ولم يشبه بمعلقات ولا تراجم بل كله صحيح مسند متصل فضلا عن أن يكون مرفوعًا غلبًا وفي هذا القرن أيضًا صنف في الزهد وبداخله الرقاق

الإمام أبو عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ وفي كتابه كثير من المرفوعات لكن لم تخلص للصحيح فقط إنما دخلها الصحيح والحسن وغيرهما لكن يمتاز عن الكتب المتمحضه للرقاق بأنه ليس فيه مقطوع كثير فضلاً عن أن يكون ليس فيه مقطوع بالمرة وكتابه الزهد هو داخل كتابه السنن بين مواضيعه الأخرى.

وقد صنف أيضًا في الزهد خالصًا الامام أحمد بن حسين البيهقي كتابه الزهد الكبير في القرن الخامس حيث قد توفى سنة ٤٥٨هـ وهو تصنيف خاص للزهد كأحمد وهناد وغيرهما وفيه أيضًا المقطوع والموقوف كثير والمرفوع وفيه الصحيح والحسن والضعيف وغيرهم لكن امتاز بأن فيه صحيح مرفوع، وغير ذلك كثير كثير من مصنفات الرقاق والزهد.

الغرض من دراسة الموضوع

قال الله عز وجل ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤] فالناس حقًا قد نسوا ما ذكروا به، وقد فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شئ ففرحوا بما أوتوا فاللهم إنا نستعيذ بك من جواب شرط الآية الكريمة أن يحق علينا وما بعده، فقد أخرج الطبري في تفسير سورة الأنعام آية (٤٤) (١٩٢/٥) ح١٣٢٢٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾، يعني تركوا ما ذكروا به. وبعده ح١٣٢٣٠ عن ابن جريج قوله: نسوا ما ذكروا به قال: مادعاهم الله إليه ورسله، أبوه وردوه عليهم أهـ فوضح ذلك في زماننا وظهر وتفشى والعياذ بالله تعالى فالله تعالى يقول: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وأهل زماننا - إلا من رحم الله تعالى كأنهم يقولون كما قال قوم هود ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٨] وهم ينتظرون ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾[الشعراء: ١٣٩، ١٤٠] كأنه لا صراطًا مستقيمًا ولا أمرًا بالاتباع ولا نهيًا عن اتباع السبل ولا وصية ولا أمرًا بتقوى وإذا قال الله تعالى ﴿ يأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربا... الآية ﴾ آل عمران (١٣٠) قالوا نأكل ما نشاء وندع مانشاء وأكلوا الربا بأنواعه، وإذا قيل يا قوم إن الربا أكله من الكبائر فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء» أخرجه مسلم في صحيحه (٣٧/١١) في البيوع باب لعن آكل الربا ح١٥٩٨ قالوا: ما حدث وإذا أقروا بحرمته قالوا ما نأكله ليس بربا ولا شبيه به ولا من جنسه بل نحن نأكل أرباحًا

حلالاً. فإذا قيل يا قوم نتحاكم إلى خير من فسرلنا كلام ربنا وهو نبيناﷺ وإن ربنا تعالى قال له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال له عز وجل ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فهو أعلم منا بمراد ربنا. فنبينا ﷺ أعلم بمراد ربنا منا وقد أمره الله تعالى بالتبيين ولا يأمره بالتبيين إلا وقد جعله تعالى أهلا للتبيين وجعل الهداية والفلاح في اتباعه والسير وراءه وعلى نهجه قال تعالى ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وإن هذا النبي فسر الربا خير تفسير ووضحه خير توضيح وبينه أتم البيان فقالﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز» أخرجه البخاري (٩/٢٤٤)، ح٢١٧٧ في البيوع، باب بيع الفضة بالفضة.

فأي زيادة للمال على المال الأصلي ربا حتى ولو بالتراضي إلا أن تكون أرباح التجارة بعد حصولها، خاصة الأنواع الربوية المذكورة في الحديث الشريف السابق، قالوا: إن فلانًا أفتانا بذلك. فإن قيل: يا قوم إنه قد حدث بيننا الآن شجار واختلاف وقد أمرنا الله تعالى عند التنازع أن نتحاكم إلى نبيناﷺ فقد قال عز وجل ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] قالوا: وهؤلاء علماء ولهم الاحترام والطاعة، فإن قيل: يا قوم لكن ليسوا معصومين وقد أمرنا الله تعالى نعم بالطاعة، لكن عند التنازع لابد من الرجوع إلى المعصوم ليحكم بيننا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩] قالوا أنتم متشددون. قلنا: يا قوم إنما نحن متمسكون وقد أمرنا النبي ﷺ أن نتمسك بسنته تمسكًا شديداً قويًا فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» أخرجه أبو داود في سننه (١٢/٣٦٠) في كتاب السنّه، باب في لزوم السنة، ح٤٥٨٣.

فكان من الواجب أن نداويهم بشراب الرقاق وأن نتسلح لهم بسلاح الترغيب والترهيب لتؤوب القلوب لبارئها ربنا عز وجل وترجع وتخضع فتسمع وتطيع، فلقد غر القوم حلم الله تعالى عليهم، وصبره عليهم، وتأجيله لهم، وفتحه عليهم أبواب كل شئ فالخوف الشديد من الوعيد المذكور بعد الشرط المتحقق قال تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] قال الطبري في تفسيره للآية الكريمة (١٩٢/٥) ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، استدراجًا منا لهم، كالذي حدثني محمد بن عمرو... ثم ذكر بسنده ح١٣٢٣١ إلى مجاهد في قوله تعالى ذكره ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى، وبسنده ح١٣٢٣٢ إلى قتادة في قوله تعالى ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: يعني الرخاء وسعة الرزق.اهـ. قال: ويعني تعالى بقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾، يقول: حتى إذا فرح هؤلاء المكذبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الأجسام كالذي حدثني محمد بن الحسين ثم ذكر بسنده ١٣٢٣٤ إلى السدي ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الرزق، قال الطبري: ويعني تعالى ذكره بقوله ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ أتيناهم

بالعذاب فجأة، وهم غارون لا يشعرون أن ذلك كائن، ولا هو بهم حال. اهـ.

كذلك إذا قيل يا قوم إن ربكم الذي خلقكم ورزقكم وعافاكم وكلأكم بالليل والنهار وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال تعالى ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢] وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] فسبحانه صاحب هذه النعم كلها وغيرها مما لا تستطيعون له إحصاء قال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] يريد منكم أن تعبدوه وتطيعوه قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] فلابد أن تعبدوه وتطيعوه وهمكم كله لابد أن تكون غايتكم أن ترضوه قالوا: ربنا غفور رحيم، قلنا: سبحانه ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] لكن سبحانه وصف نفسه بغافر..، وشديد..، قال تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣] وقال تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] قالوا رحمته واسعة، قلنا يا قوم لكنها لأهل طاعته أما أهل معصيته ومحادته فلا تنجيهم من عذابه وشدته قال تعالى ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [**الأعراف**: ١٥٦، ١٥٧] فكان لابد من أبواب الرقاق لنبين لهم ماقد يخفى عليهم وما قد يزينه لهم إبليس وجنوده من الغرور بربنا الكريم فتجرأ العباد على معصية رب العالمين قال تعالى ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ [**الانفطار**: ٦، ٧] وقال تعالى ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٣٣) إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ [**لقمان**: ٣٣، ٣٤] فكان لابد من تبيين هذا وإزالة الشبه والتلبيسات الإبليسية عن قلوب الناس بالرقاق الذي رقق قلوب أصحاب النبي ﷺ فجعل الصديق إذا قرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب العقائد؛ الرقاق بالكتاب والسنّة الذي حول عباد الأوثان إلى أعبد الناس للرحمن فبشروا بالجنان والحور الحسان بلسان سيد الأنام ﷺ وهم على الأرض أحياء يحركون في صلاتهم البنان وأصبحوا بطاعتهم لربهم ونبيهم ملوك الأرض يقيمون عليها أحكام الملك العلام، فكان لابد أن نقص على القوم أحوالهم، والنصوص التي علمها لهم سيدهم فأخذ بحجزهم من النار إلى الجنة، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الذل إلى العز، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ذل الدنيا إلى عز الدنيا والآخرة، ومن أنواع الشر كله إلى أنواع الخير كله؛

وقد قالوا: أن العمل في الدنيا والسعي فيها هو العبادة ورددوا ليل نهار كأنه تسبيح العمل عبادة وانصرفوا بها عن عبادة الله تعالى وطاعته بل عن الصلاة المفروضة لرب العرش العظيم بحجة هذه العبادة التي ما أنزل الله بها من سلطان بل بثها الشيطان ولبئس ما بثه قال تعالى ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم**

وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٣] فهي عبارة ظن وهوى بثها الشيطان وأوحاها إلى أوليائه فنشروها بين الناس ليضلوهم وليصرفوهم عن دينهم وعن عبادة ربهم عز وجل قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ونسوا أن الله تعالى قال ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] فالتشريع والمنهاج من عند رب العالمين أنزله على قلب سيد المرسلين محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم وأمره ربنا تعالى بتبليغه وبيانه قال تعالى ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال عز وجل ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤، ٤٥] فليس للمرء منهج من عند نفسه ولا قومه ولا عشيرته ولا مشايخه ولا أحبابه ولا أصحابه ولا أفكاره ولا عقله ولا قلبه ولا حديث نفسه إنما التشريع يكون من عند رب العالمين مما أنزل على قلب سيد النبيين محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

فلذلك أمر النبي ﷺ أن يبلغ الناس بطاعة الله تعالى وأن طاعته من طاعة الله عز وجل قال تعالى ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] وجعل سبحانه شرط نيل حب الله تعالى والوصول إليه: طاعة النبي ﷺ قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]

وجعل سبحانه الهداية إلى سعادة الدارين مترتبة على طاعته ﷺ قال تعالى ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وجعل سبحانه حل التنازع في الأمور عند الرجوع إلى ما أنزل الله على الرسول فقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] وحذر سبحانه من مخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]﴾ وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢] وجعل عقوبة المخالف لأمره ﷺ الفتنة والعياذ بالله تعالى والعذاب الأليم نسأله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، بل شرع تعالى الأدب مع النبي ﷺ وجعله دينًا يدان به، وحذر من مخالفته ونص على ذلك في كتابه الكريم وفصله تفصيلاً فقد قال عز وجل في سورة النور ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٢، ٦٣] وقد وجب علينا أن نبصر الناس ونلفتهم عن المادية التي طغت على حياتهم وأعمت بصائرهم عن حقائق الشرع الحنيف وما أنزل الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ حيث إن كثيراً من الناس وعامتهم لا يعرفون إلا الدرهم والدينار والحضارة والتقدم المادي

والتكنولوجي والإنكباب على الحرف والإنكباب على الحرف والصناعات والدراسات الدقيقة لأحوال الذرة والبروتون والنيترون والأزون كأن الدين جاء ببيان أن تلك الدراسات ها هي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة حتى أصبح بعض مشايخ القوم يحثون الناس على ذلك وكأن الناس انشغلوا بالدين والشرع حتى يحتاجوا إلى من يوقظهم لأمر دنياهم ويدعوهم إلى الاهتمام بها!! عجبًا لقد طغت المادية على العالم الغربي طغيان الماء إذا فاض على مدينة يمر وسطها حتى أصبحوا لا يعرفون تقريبًا إلا مادة، والدقائق والثوان مسخرة لحسابها ولنموها وفاض ذلك من عندهم ويا أسفاه على كثير من العرب بل قل: كثير من المسلمين، بل عامة المسلمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ولعلك تعجب يا أخي أشد العجب إذا وجدت بعض مشايخهم بدلاً من أن يحثهم على الزهد في الدنيا ويرغبهم في الآخرة تجده يحثهم في خطبة كاملة على الدنيا والاهتمام بأعمالها ومصانعها وحرفها وعمارتها وزخرفها والأخذ منها بقدر عظيم ويعيب على المسلمين عدم لحاقهم بالغرب في ماديتهم والتساوي بهم بل وأعجب من ذلك يعيب على المسلمين اهتمامهم بالمساجد والصلاة والصيام والقيام والاعتكاف والمصحف والحديث والكتاب والصدقات ويقول الغرب صعدوا القمر وأنتم مازلتم تعتكفون وتقولون هل كان النبي ﷺ يحرك أصبعه السبابه في الصلاة أي التشهد أم لا؟!!! الغرب صنع الذرة وأنتم تقولون هل تلبس المرأة النقاب أم الحجاب؟!!الغرب يتعامل بالالكترونيات وأنتم تقولون ندخل المسجد والبيت باليمين أي الرجل اليمنى وندخل الخلاء باليسرى؟!! ولم يبق أمامه إلا أن يقول الغرب آمن بالمادة وكفر بالبعث والآخرة وأنتم مازلتم تقولون الإسلام الإسلام

والتوحيد لله الرحمن واجب من الدين وكذلك اتباع النبي عليه الصلاة والسلام وتقليده ومحبته من الدين وضد ذلك من الكفر والخذلان؛ والموحد المتبع من ساكني الجنان بإذن الله الرحمن، والكافر الملحد من أهل النيران!! نعم لسان الحال يقول ذلك، آهٍ ثم آه ثم أوَّهْ، أين من يقول؟! أين من يتكلم أين من ينطق بالحق أين من يقلب صفحات الإسلام ليري الناس الحقيقة، ليكشف الحجاب عن النور المضئ القوى الذي يبدد الظلام من كتاب ربنا تعالى وسيرة نبينا عليه الصلاة والسلام، لذلك كتبت في الرقاق مستعينًا بالله تعالى العليم العلام مستمدًا منه العون فأعانني وأمدني ورزقني وفتح لي سبحانه فله الحمد والمنة فبالرغم من ضعفي وقلة حيلتي إلا أن قدره سبحانه كان لي خيرًا ويسر لي الكثير من أسباب البيان كذلك يسر لي مشرفًا محبًا للنبي عليه الصلاة والسلام وسنته، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدًا فلم نختلف في أنه لابد أن يبين للناس ما يزيل الغبار عن الحقائق ويهدي الضالين ويأخذ بأيدي الحائرين خاصة أهل هذا الدين فبينت بحمد الله تعالى ومنه وفضله كيف كان الرعيل الأول يعيش؟ كيف نزل الوحي على قلب النبي عليه الصلاة والسلام أزكى مخلوق، وأطهر بشر، وأعقل الناس بتزكية ربه تبارك وتعالى حيث قال له تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعصمة سبحانه من الهوى والضلال وأخبر أن كل ما يقوله وحي بل وفعله بوحي قال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ١ – ٥] وبين تعالى أنه ﷺ إنما يهدى إلى الحق والاستقامة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]،

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١١، ١٢] وقال تعالى ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ١٧] وأمره ربنا تعالى بتبليغ كل ما جاءه وهذا يدل على كمال صدقه وأمانته فلا يؤمر بالتبليغ من ليس كذلك حتى لا يضيع شئ من الوحي والدين قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] كذلك عصم فعله من الهوى والزيغ والانحراف والتخبط بدليل أنه أمرنا سبحانه باتباعه في كل شئ ولا يأمرنا ربنا في دينه أن نتبع من يضل أو يزيغ أو يميل إلى هوى، تعالى الله تعالى عن كل نقص، قال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] وغير ذلك من الآيات الكريمات الكثيرات التي ذكرتها آنفًا.

ونبيناﷺ الذي تلكم صفاته عاش حياة كما علمنا بوحي، نعم هو عظيم ولكن ليس كأي عظيم برع في أمر وأخفق في أمور يصيب بعضًا ويخطئ كثيرًا، لا، إنما نبيناﷺ كان مصطفى ومختارًا ومصيرًا بأمر ربه قال تعالى ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥] وقال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٦٨ - ٧٠].
وقد علمه ربه ورباه وأدبه وزكاه ونقاه وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره قال تعالى ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ

وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء: ١١٣] وقال الله عز وجل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح: ١ - ٨] ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿٤٧﴾ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٨] وغير ذلك من الآيات الكريمات الكثيرات بل هو سيد من مضى ومن بقىﷺ وهو أفضل ممن مضى وممن بقىﷺ وقد نادى الله تعالى النبيين بأسمائهم وما دعاه الله تعالى في كتابه إلا بلقب إما بـ ﴿ يا أيها النبي.. ﴾ سورة الاحزاب آية (٤٥) وغيرها وإما بـ ﴿ يا أيها الرسول... الآية ﴾ سورة المائدة آية (٦٧) وقد أخبر عن نفسه ﷺ بحقيقة على وجه الإخبار بالعلم لا الفخر فقالﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» أخرجه الترمذي (١٠/٨٢) وقال: حسن ح٣٦٩٣ بل لو كان أحد من الأنبياء قبله حي في زمانه ﷺ لكان تابعًا له ﷺ وهو نبيهم وسيدهمﷺ فقد قالﷺ: «لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني» أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٣٨) عن جابر مرفوعًا؛ هل بعد هذا كله يظن أن نبيناﷺ يختار الله تعالى له حياة غير فاضله أو خلاف الأولى أو أن

عصره كان عصر تخلف وأن عصر من بعده كان عصر تقدم، أو أن زمانه لا يليق إلا بأحواله وأن أحوالهﷺ لا تليق إلا بزمانه وأن الزمان بعده يحتاج لمنهج جديد وسير جديد وشرع جديد يساير الزمان الذي فيه أو أن سننه ﷺ كانت لأهل البادية وأن أهل الحضارة والمدنية يحتاجون لسنة غير سنتهﷺ؟!!! كلا والله الذي رفع السماء بغير عمد واستوى على عرشه من فوق سبع سموات، كلا والذي فلق الحب والنوي، كلا و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [**الكهف**: ١ - ٥].

لقد جعل الله تعالى عصر نبيهﷺ خير العصور، وزمانه أفضل الأزمنه، وشخصه سيد الأشخاص، ودينه سيد الأديان، وأحواله أحسن الأحوال وأعدلها، وشرعه أفضل الشرائع، ومنهجه أقوم المناهج، وهديه خير الهدي، ولقد اختار الله تعالى له كل ما هو محبوب عنده سبحانه وكل مرضى عنده سبحانه، وكل ما يليق به، وكل مالم يأت بعده مثله، ولا قبله مثله، في الخيرية، والتزكية، والشرف، والقربة إلى الله عز وجل، لذلك قال نبيناﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. الحديث» أخرجه البخاري في الصحيح (١٣٨/١٤) في الفضائل ح٣٦٥٠ فكل ما كان في زمانه ورضيه ﷺ وأقره ولو بالسكوت فهو خير وكل ما أتى بعده لايساوي زمانه خيرية، ولقد بينت بحمد الله تعالى في رسالتي هذه كثيراً مما كان في زمانهﷺ وأزالت الغبار عنه

وكشفت الستار بعون الله تعالى عن شمس عصره الفاضل ليري أصحاب المادية أنهم غارقون في بحر الظلام وأنهم تائهون في مفازة قد غابت شمسها في ليلة في سرر الشهر قد اختفى قمرها ولا هادي لهم، وليعلم أصحاب المدرسة العقلانية أن سيد العقلاءﷺ كان يرى غير ما يرون فوجب عليهم أن يراجعوا عقولهم ليعقلوا من الأعقل، لقد صحب النبيﷺ أقوامًا كانوا يقتسمون شعره الشريفﷺ إذا حلق رأسه الشريفﷺ، وكانﷺ لا ينكر عليهم ذلك بل رضيه وأقره، لقد صحب النبيﷺ أقوامًا كان يتلقفون تفلتهﷺ حتى يدلك بها أحدهم وجهه وجلده. وما كان ينكر عليهمﷺ بل أقرهﷺ ورضيه ليعلمهم تعظيم الشرع الشريف، فإذا كانوا يعظمون شعر صاحب النبوةﷺ وتفلتهﷺ فلأن يعظموا دينه وسنتهﷺ أسهل عليهم وأثبت في قلوبهم، فلما لم يعرف عامة أهل زماننا تعظيم نبيناﷺ هانت عليهم سنته حتى هان عليهم دينه كله حتى سهل على بعضهم رد الحديث من غير حتى أن يستبين صحته وثبوته فهو يرده بادئ ذي بدء فلو وقف حتى يستبين صحته لكان معقولاً لكن رد الحديث أصلاً والسنة تبعًا سهل عند بعض الناس حتى صار عادة والعياذ بالله تعالى، حتى وصل ذلك إلى بعض المتعلمين فتجرأ العلمانيون وكثير من الصحفيين والجهلاء على الدين الإسلامي الحنيف وكتبوا بذلك المقالات العريضة السوداء وأطمأنوا أنه يصعب النكير عليهم، وبات أهل السنة في كمد وغيظ وهم وغم يستغيثون بالعزيز الجبار أن يفرج الكرب، بات أهل السنة يرجون رحمة الله تعالى القائل في كتابه ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ

وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص: ٥، ٦] صخب هنا وصخب هناك رد هنا، ورد هناك، ليل نهار حرب لسنة النبي ﷺ ولأهلها إلا من رحم الله تعالى، والله تعالى يقول ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] وكأن القرآن ما نزل وكأن آياته الكريمات ما تتلى وكأننا قبل عصر النبوة المنير هذا يقول تشدد، وهذا يقول تطرف وهذا يقول ليس الدين هكذا، حتى الذي لا يقرأ ولا يكتب يقول: ما جاء النبي بهذا، وما قال النبي كذا، وما ورد عن النبي كذا، والصحف تقول، كذا والإعلام يقول كذا، فإذا قيل يا قوم لقد ثبت عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح كذا وكذا، قالوا: ساحر أو مجنون أنتم تجيئون بدين من عندكم، إنا لله وإنا إليه راجعون لقد أصبح الدين غريبًا وأصبح الجهل والتحلل والانحلال دينًا لقد صدق رسول الله ﷺ حيث قال: «بدأ الاسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء أخرجه مسلم (١٧٦/٢) في الإيمان، باب بيان الاسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، فلذلك أردت أن أقول لقومي أن أصيح فيهم قائلاً كما قال تعالى ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٧]. أود أن أقول لقومي أأنتم أعقل أم أصحاب النبي ﷺ الذين شهد لهم رب العزة نفسه سبحانه بالدرجات العالية

ورضي عنهم في كتابه المحفوظ قال تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨] أأنتم أعقل وأطوع لله تعالى أم نساء الأنصار اللائي قالت فيهن أم سلمة رضي الله عنها «لما نزلت ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤسهن الغربان من الأكسية» أخرجه أبو داود في سننه (١١/١٥٩) في اللباس ح٤٠٨٣ باب في قول الله تعالى ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ في عهد النبوة الفاضل والنساء تخرج أمام النبي ﷺ متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس، ونساء زماننا في عصرنا الفاسق الكثير من أهله إلا من رحم الله تعالى يخرجن كاشفات أنفسهن ما يخفيهن الغلس ولو قيل يا قوم إن هذا يغضب عليكم رب الأرض والسماء يا قوم ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١] يا قوم إنه الهلاك لقد تسترت فضليات النساء أمام أعف الرجال فكيف تنكشف نساء زماننا أمام الذئاب من الرجال قالوا: المدنية، الحضارة، الحرية، التفرنج، الغرب، لو قيل: يا قوم أنتم ولدتم مسلمين وإن ملتكم تأبى عليكم ذلك فكفوا صبيانكم ونساءكم عن أذى أرضكم وسمائكم لتمنعن السماء مطرها والأرض نباتها غضبًا لغضب ربها قالوا: ما أنزل الله بهذا من سلطان وصدق الله تعالى القائل ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [النجم: ٢٣ - ٢٥] فوجب علينا أن نذكرهم ونصيح فيهم ليل نهار قائلين قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فالقوم

في واد بعيد عن النور المبين الذي أنزله ربنا تعالى على قلب سيد المرسلين ﷺ وسار عليه الصحب الكرام حتى فازوا بقول الله تعالى وعز وجل ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فلذلك أقول ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٢٦] يا ليتهم عرفوا وإذا عرفوا فياليتهم فهموا وإذا فهموا ياليتهم صدقوا وآمنوا، لقد كان رسول الله ﷺ نفسه الذي نزل عليه الشرع كله يعيش حياة رضيها له الله تعالى وأحبها بل أمر المؤمنين بتقليده في كل دقاتها، وحركاتها، وسكناتها، وصغيرها، وكبيرها وجعل ذلك العمل مسلك من يريد رضوان الله تعالى واليوم الآخر وجنته ونعيمه قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] لما عاش النبي ﷺ حياته بتوجيه الله تعالى له في كلها وأمر مع ذلك المؤمنين ونصحهم بالعيش كعيشه، والسير وراءه، واقتفاء أثره، بل حتى الهوى للمرء لابد أن يهوى به إلى حب أخلاق النبوة والتخلق بها شبهًا ولا يكمل الإيمان فضلاً عن أن لا يكون إلا بذلك ويدل على ذلك الحديث الذي ذكره الإمام النووي في الأربعين مما أملاه عليه الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في مجلس الأحاديث الكلية وكانوا ستة وعشرين حديثًا أكملهم النووي أربعين حديثًا وأكملهم الحافظ ابن رجب الحنبلي خمسين حديثًا فلله درهم ورحمهم الله تعالى والحديث عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» قال رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح

وقال الحافظ ابن رجب في شرحه في كتابه جامع العلوم والحكم ص٤٦٩، ص٤٧١:

وأما معنى الحديث من الأوامر والنواهي فيحب ما أمره به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع قال تعالى ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩] فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإذا زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلاً، وقد ثبت في الصحيحين عنهﷺ أنه قال «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» أخرجه البخاري (١/١١٤) في الإيمان ح١٥. فلا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يقدم محبة الرسول ﷺ على محبة الجميع ومحبة الرسولﷺ تابعة لمحبة مرسله سبحانه وتعالى، والمحبة الصحيحه تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات، قال تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] وقال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ سورة آل عمران آية (٣١) قال الحسن: قال أصحاب النبيﷺ «يا رسول الله إنا نحب ربنا حبًا شديدًا، فأحب الله أن يجعل لحبه

علماً، فأنزل الله هذه الآية، وروى أنس عن النبيﷺ أنه قال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» أخرجه البخاري في صحيحه (١/١١٦: ١٢٠) في الإيمان، باب حلاوة الإيمان ح١٦. فمن أحب الله ورسوله حبًا صادقًا من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحب الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دَلَّ ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة، قال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادعى محبة الله تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور، وقال يحى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده، وسئل رويم عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد.

ولو قلت لي مت مت سمعًا وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبًا

ولبعضهم/

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله، وقد

وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقيين والشهداء والصالحين عمومًا، ولهذا كان من علامة وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله وتحريم أعداء الله ـ أي كراهة أعداء الله ـ وما يكرهه الله عمومًا وبهذا يكون الدين كله لله.

ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه، كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبه من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسولﷺ من تقديم محبة الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها. اهـ. جامع العلوم والحكم. فنبيناﷺ إنما جاء بالنور والهدايه لينقذ الناس من الضلالة، ويخرجهم من الظلمات ويمحو الكفر ويقيم الإسلام بالحق والعدل فكل ما يفعله إذًا فيه خير الدنيا والآخره، وكل ما يبغضه فيه شر الدنيا والآخرة والعياذ بالله. وقد أخرج البخاري في صحيحه في المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول اللهﷺ وقول الله عز وجل ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى ﴿مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] (٦/٦٤١ ط. الريان) بسنده

إلى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» ولو كان يجوز التغيير من سنته بعده ﷺ لما جعله الله تعالى خاتم النبيين. لكن كونه ﷺ خاتم النبيين يقتضي دوام شرعه إلى لقاء رب العالمين يوم يجمع الله المرسلين والناس أجمعين فقد، أخرج البخاري في صحيحه (٦/٦٤٥ ـ ط. الريان) في المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ ح٣٥٣٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**» بل وحتى زمانه ﷺ كان خير الأزمنة، وقرنه ﷺ كان خير القرون، فقد أخرج البخاري في صحيحه (٧/٥ط في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ح٣٦٥١) عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين، يلونهم، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**» «قال: قال إبراهيم، وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار» وأخرج أيضًا في المناقب (٦/٦٥٣ط باب صفة النبي ﷺ ح٣٥٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنت من القرن الذي كنت منه**» فهدى خير الناس ﷺ في خير القرون هو الهدى الذي في اتباعه خير العاقبة، فلا يعقل أن يصلح زمان من بعده إلا بالرجوع إلى الخيرية السالفة كما قال القائل: لن يصلح آخر هذه الأمه إلا بما صلح به أولها؛ وأن نبينا

ﷺ عصمه الله تعالى من الاقتراب من الإثم فضلاً عن فعله فكان أبعد الناس ﷺ عن معاصي الله عز وجل فكيف نحيد عن طريقه إلى طريق غيره من مواليد العصور المتخلفة دينيًا وإسلاميًا، وقد أخرج البخاري في صحيحه (١٤/٦١ ح ٣٥٦٠) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ﷺ** قال الحافظ في الفتح (١٤/٦١) قوله: «**بين أمرين**» أي من أمور الدنيا يدل عليه قولها «**مالم يكن إثمًا**» لأن أمور الدين لا إثم فيها ثم قال: والإثم على هذا أمر نسبي لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت عصمته ﷺ. اهـ. حتى في الأمور الخلقية التي لا دخل للنبي ﷺ فيها فقد كان ﷺ في الكمال منها فقد فطره ربه تعالى على ذلك فهل يليق بعاقل أن يترك من بلغ الكمال الخلقي والخلقي إلى من هو دون ذلك مقتديًا به فنبينا ﷺ أطيب الناس ريحًا، وألينهم ملمسًا، وأحسنهم وجهًا، وأجملهم خَلْقًا، وأحسنهم خُلقًا وأشدهم حياءً، وأعلاهم إيمانًا، وأشدهم لله خشية وقد أخرج البخاري في صحيحه (١٤/٦٢ في المناقب ح٣٥٦١) عن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي ﷺ ولا شممت ريحًا قط أو عرقًا قط أطيب من ريح أو عرق النبي ﷺ، وأخرج أيضًا في المرجع السابق (ح٣٥٦٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها. لقد كمل رسول الله ﷺ كل الكمال البشري من فضل الله العلي حتى تعلقت به قلوب العباد بل وحتى الجماد تعلق به حُبّاله ﷺ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال، كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه، أخرجه

البخاري في صحيحه (١٤/٩٤) (ح٣٥٨٣) في المناقب وفي الرواية بعدها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. أن النبيﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل، يا رسول الله: ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «**إن شئتم» فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبيﷺ فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يسكت.. الحديث**» وعاش الصحابة رضوان الله عليهم زمانهﷺ في جنة الدنيا ومضى زمانهﷺ ولا يشعر أحد الشعور التام بالجنة إلا إذا خرج منها، فوقتها يتغنى بحياتها ويود أن لو عاد إليها ولم يخرج منها، أخرج البخاري في صحيحه (١٤/٩٤) في المناقب (ح٣٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ أنه قال: «**وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله**». أهـ. فنبينا ﷺ صاحب جنة الدنيا هو أول من يدخل جنة الآخرة ولا يدخلها أحد إلا وراءهﷺ سيراً وسلوكاً وسنة واقتداء فقد أخرج أحمد في المسند ٣/١٤٤ عنهﷺ أنه قال: «**أنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر**» فمن أراد الوصول والدخول فليلتمس هدي الرسولﷺ، والرسول ﷺ ما كان عنده دنيا مزينة ولا أحبها إذا رآها تزينت رفضها وتركها وأباها ﷺ فكان أزهد الناس فيهاﷺ ولما أراد بعض الصحب الكرام أن يكون لرسول اللهﷺ مثلما كان لقيصر وكسرى واستقلوا ما هو فيهﷺ من متاع الدنيا أنكر عليهمﷺ ذلك، وعلى كل من أراد من المسلمين أن يعيش عيش الكفار إلى يوم القيامة مبيناً لهمﷺ حقارة ما هم فيه من متاع الدنيا وأنهم إنما متاعهم الدنيا فقط وإنما لنا الآخرة وحدنا فضلاً عن السعادة بالطاعة التي يعطيها الله تعالى لأحبابه فيمتعهم بجنة الدنيا قبل جنة الآخرة فقد أخرج مسلم في

صحيحه (١٠/١٢٠) في الطلاق باب في الإيلاء ح١٤٧٩) من حديث عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أنه قال: فدخلت على رسول اللهﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست، فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصرى في خزانة رسول اللهﷺ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا في ناحية الغرفة، وإذا أفيق معلق، قال: فابتدرت عيناي، قال: «**ما يبكيك يا بن الخطاب؟!** قلت: يا نبي الله! ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول اللهﷺ وصفوته وهذه خزانتك؟!! فقال: «**يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا**» الله أكبر ما أعظم هذا البيان وما أفصح تلك الكلمات القليلات البليغات الجوامع الجامعات لخيري الدنيا والآخرة !!! «**ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**» قال عمر: «قلت بلى» أي رضيت يا رسول الله.أهـ. أين أهل زماننا من هذا الرقاق هل علموه إذا علموه فهل فهموه وإذا فهموه فهل عقلوه وإذا عقلوه فهل سلكوه؟!! ألا يرضيك أن يأخذوا الدنيا بزينتها وزخرفها ولهوها وزهوها ونأخذ نحن الآخرة بجنتها وحورها وقصورها وذهبها وأكوابها ورائحتها وما حكاه لنا نبيناﷺ.

فقد أخرج البزار حديثًا ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٦٨) وقال رجاله موثقون لكن التابعي مجهول لتردده في الربيع بن أنس هل هو أبو العاليه أوغيره؟ عن النبيﷺ: **أنه أتى على واد فوجد ريحًا طيبة ووجد ريح مسك مع صوت، فقال: «ما هذا» قال: صوت الجنة، تقول: يارب ائتني بأهلي وبما**

وعدتني فقد كثر غرسي، وحريري، وسندسي، واستبرقي، وعبقريي، ومرجاني، وقصبي، وذهبي، وأكوابي، وصحافي، وأباريقي، وفواكهي، وعسلي، وثيابي، ولبني، وخمري، ائتني بما وعدتني، قال: «لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحًا ولم يشرك بي شيئًا، ولم يتخذ من دوني أندادًا فهو آمن، ومن سألني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل عليَّ كفيته ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ لا خلف لميعادي ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ فقالت: قد رضيت، ثم أتى على واد فسمع صوتًا منكرًا فقال: «يا جبريل ما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: يارب ائتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثر سلاسلي، وأغلالي، وسعيري، وحميمي، وغساقي، وغسليني، وقد بعد قعري، واشتد حري، ائتني بما وعدتني قال: «لك كل مشرك ومشركة وخبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت: «قد رضيت ... الحديث» فأين قومنا من تلك الأحاديث القوارع للقلوب النائمات الغافلات، فلذلك كان المقصد تنبيه تلك القلوب بأشجار الرقاق المثمرة فمن تيقظ أكل من ثمارها ومن غفل وتمادى في غفلته ضرب بأغصانها لعله يفيق ويقاوم ما يغشاه من ظلمات المادية المعاصرة في القرن الخامس عشر الهجري البعيد كل البعد عن قرن النور الإسلامي زمانًا ومنهجًا حتى لقد ظن كثير من الناس أن ما يعيشه الناس الآن هو الحق خاصة إذا سمعوا تزكيته من أهل جلدتنا ولساننا يقولون لهم ذلك ويدعونهم إلى مجاراة الغرب في كل شئ بخيره القليل وشره الكثير حتى أصبح عامة الناس - إلا من رحم الله تعالى - يظنون أن من الدين أن يقلدوا الأوربيين

والأمريكان والكفار بل ويلتمسون خطاهم ويسلكون مسلكهم خاصه وهم يسمعون بعض مشايخهم يغمزون في سنة النبي المصطفى سيد البشرﷺ ويرمونها بالرجعية وأصبحت اللحية والنقاب والقميص القصير موضع سخرية من الخاصة واستهزاء واشمئزاز من العامه حتى لقد قال بعض مشايخ القوم «الجلباب القصير هبل» وقال بعضهم حلق اللحية أصبح سنة وقال بعضهم النقاب حرام وأباح بعضهم الطواف بالقبور والذبح عندها والتوسل بها فلا بقت أصول ولا فروع وإنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وصدق بأبي هو وأمي ونفسي أبو القاسمﷺ في كل ما أخبر به مما صح عنه من حديث حذيفة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في صحيحه في المناقب (١٤/١٠٨ - في علامات النبوة ح٣٦٠٦) من طريق أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: **كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخيرفهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل**

تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»، فقد بين نبيناﷺ أتم البيان ما مضى وما نحن فيه وما سيأتي إن شاء الله عز وجل، فالطامة سببها الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وبدلاً من أن يقولوا للناس اتقوا الله وعودوا إلى كتاب ربكم وسنة نبيكمﷺ وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وازهدوا في الدنيا زُهد رسولكم ﷺ قالوا: لا بأس ولا جناح ولا حرج ولولا الحياء لقالوا إن الإسلام كان أيام محمد ﷺ ولا يصلح إلا لزمانه لكن لم يستطيعوا أن يقولوها إنماقالوا المقصد من الإسلام كذا وكذا حتى الربا قالوا عنه المقصد منه كذا وكذا فنبذوا الكتاب والسنة للوراء بالمقاصد والمفاهيم وهل كان أصحاب النبيﷺ والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعه ومن قبلهم ومن بعدهم لا يفهمون مقاصد الشريعة حتى جاء أهل عصرنا ففهموا غير ما فهموه كلا والله لقد كانوا أفهم منا وأعلم وأخشى لله وأتقي له سبحانه، لكن الأهواء! وصدق الله تعالى القائل ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** ﴿٤٣﴾ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، لكن أهل الإيمان والتقوى والورع والصلاح يحبون ربهم عز وجل وشرعه ونبيهم ﷺ وسنته، ويلتمسون خطواته في كل صغيرة وكبيره حتى فيما كان عادة لاعبادة، فهذا شأن المحب حتى رائحة السنة يعملون بها ويبحثون عن مصدرها وسندها وصحتها، فإذا بان لهم ذلك فالمحب لقى محبوبه بعد طول غياب فهو شديد التعلق به، قال ابن رجب الحنبلي في كتابه فضل علم السلف على الخلف (ص٩): فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث حيث كان إذا كان معمولاً به عند الصحابه ومن بعدهم أو

عند طائفة منهم. فأما ما اتفقواعلى تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل بـه، قال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم وقال (ص١٠): ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطاله ولا إسهاب، وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسنة بألطف إشارة وأحسن عبارة بحيث يغني ذلك عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمن كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه فما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية لله، وما تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حبًا للكلام وقلة ورع كما قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون: هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا وقال (ص١١): وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر،وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم، فليس العلم بكثرة الرواية ـ قلت: وإن كان علمًا ـ ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد ثم قال: فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك، وقد

ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابه ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، إلى أن قال (ص١٢): وهذا انتقاص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبة لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولقد صدق ابن مسعود في الصحابة أنهم أكبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا، وروى نحوه عن ابن عمر أيضًا وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا. وقال ابن مسعود أيضًا إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم، وقد شهد النبيﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقة وأهل اليمن أقل الناس كلامًا وتوسعًا في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك؛ هذا هو الفقه والعلم النافع، ثم عرف العلم النافع (ص١٤) فقال: فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها والتقييد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد على تميز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل وشغل ولمن بالعلم النافع عني واشتغل، ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه: أعانه، وهداه، ووفقه، وسدده، وفهمه، وألهمه؛ وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي: خشية الله كما قال الله عز وجل ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

عباده **الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾** [فاطر: ٢٨]. أهـ. لذلك كان أهل الحديث الحافظون له العاملون به الناشرون له المهتمون بشأنه من جمع وحفظ وفقه وتبيين للصحيح والسقيم هم أسعد الناس بشرع محمدﷺ ومنهجه وسنته وأقرب الناس لمسايرة زمانه ﷺ والرجوع إليه، وأولى الناس بهﷺ يوم القيامة وأقرب الناس شبهًا بأصحابه ﷺ وسيرتهم في زمن الغربة الثانية، وهم الذين أشار إليهم النبيﷺ في قوله: «**بدأ الاسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبي للغرباء**» أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٢٣١ في الإيمان ح١٤٥) باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتنة على القلوب، قال الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم في رسالة الغربة والاغتراب (ص٧، ٨): فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبطون، ولقلتهم في الناس جدًا سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الاسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الاسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من أهل الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها الصابرين على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًا فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم **﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾** [الأنعام: ١١٦] فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، ثم قال رحمه الله تعالى (ص١٠): ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبيﷺ: التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما

أحدثوا وإن كان هو المعروف عندهم وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ﷺ، لا شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسولهﷺ بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًا، وأكثر الناس لائم لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم، ثم قال: بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول اللهﷺ وأصحابه اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفه، فالإسلام الحقيقي غريب جدًا، وأهله غرباء بين الناس، وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، لا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وماهم عليه من الشبهات التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم وأعجب كل منهم برأيه. أهـ. وهكذا غالب أهل زماننا، فإن قيل: يا قوم قال الله، قال رسوله قالوا: قال فلان وفلان قال عقلي قال قلبي، قال فكري!! كما قال فيهم أيضًا في كتابه إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان (١/ ٢٥٠) شعراً عزاه لقائل لم يذكر اسمه وهذا شئ منه: يصف حال زمانه وما أقرب الشبه بغالب أهل زماننا

صلى الله على صاحب الشرع الشريف وسلم تسليمًا كثيرًا وجعلنا من أهل حديثه الذين هم أعلم الناس بسنته وأعملهم بها وأحفظهم لها وأحرصهم على نشر دينه وإقامته على وجه المعمورة لعلمهم أن سنته ﷺ هي المبينة لكتاب ربنا تعالى والحجة قائمة بها على العباد قال تعالى ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وقال عز وجل ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٥] قال السيوطي في مفتاح الجنة (ص٥)؛ قال البيهقي - أي في المدخل - ولولا ثبوت الحجة بالسّنة لما قال ﷺ في خطبته بعد تعليم من شهد أمر دينهم «**ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع**» وقال النبي ﷺ في الحديث المتواتر الذي أخرجه الحاكم وغيره «نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا فأداه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع» قال الشافعي: فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطي ونصيحة في دين ودنيا. أهـ.
فالدين كتاب وسنة فالكتاب مجمل والسنة تفصيل له، أخرج البيهقي بسنده عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد إنكم تحدثون بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداة ركعتين والظهر أربعًا والعصر أربعًا؟ قال: لا قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذنا عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاةٍ شاةً وبكل كذا بعير كذا وفي كل كذا درهمًا كذا؟ قال:

لا، قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذنا عن النبي ﷺ؟ وقال: وجدتم في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] أوجدتم فيه فطوفوا سبعًا واركعوا خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام؟ أما سمعتم الله قال في كتابه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، قال عمران: فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم. أهـ. فلو ترك الناس السنة لضاع منهم العمل بالكتاب لنبذهم السنة فهى المبينة للكتاب الكريم، المفصلة لمجمله، والعلم هو العلم بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، قال الشافعي رحمه الله تعالى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وقال أيضًا في الرسالة (ص٢١٨) (٥٩٧) مبينًا أهمية السنة العظمى وأنها أصل أصيل عنده في مذهبه وأنه لا يعدل عنها إلا إذا لم يجد نصًا شريفًا فيها فحينئذ يقيس فقال: وأما القياس: فإنما أخذناه استدلالاً بالكتاب والسنة والآثار، وأما أن نخالف حديثًا عن رسول الله ﷺ ثابتًا عنه فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله. أهـ. قال القائل:

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى الآثار

لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأى ليل والحديث نهار

وقال الشافعي في الرسالة ص(٢٣٨) (٦٦٧): يجب على من سمع شيئًا من رسول الله ﷺ أو ثبت له عنه أن يقول منه بما سمع حتى يعلم غيره. أهـ.

وقد بين نبيناﷺ أن السنة شرع يجب النزول على حكمه كالكتاب الكريم وأنهﷺ قد أوتى القرآن والسنة، فقد أخرج أبو داود في سننه (٣٥٤/١٢) في السّنة، باب في لزوم السنة، بسنده حديثًا عن المقدام بن معد يكرب، عن رسول اللهﷺ أنه قال: **«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه»** وقد وصى ﷺ في غير ما موضع بالتمسك الشديد بسنّته مشبهًا لها بشئ غال نفيس يخاف صاحبه عليه فهو يمسك به بأقوى عضلة في جسمه وهي عضلة فكيه فقد أخرج أبو داود في سننه (٣٥٨/١٢ في كتاب السنة ح٤٥٨٣) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ ولا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٩٢]، فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرباض: صلى بنا رسول اللهﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب: فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»** وأخرج البخاري في صحيحه (٩/٢٨) في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ وقول الله

تعالى ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ (ح٧٢٧٧) بسنده إلى عبد الله رضي الله عنه قال: «**إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين**». وبسنده أيضًا (١٣/٢٨ ح٧٢٨١) إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمد ﷺ فَرَّقَ بين الناس. قلت: وذلك كما قال الله عز وجل ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء: ٨٠].

وأخرج بسنده أيضًا في كتاب السنة من صحيحه (١٩/٢٨) إلى أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ أنه قال: «**دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم**».

وغير ذلك من الآيات الكريمات الكثيرات والأحاديث الشريفة الكثيرة الصحيحة التي ملئت بالكثير من الحث والحض والأمر والتأكيد على اتباع النبيﷺ والسير على نهجه، فلماذا كل هذا؟ لأن الله تعالى جعله في المكانة التي أهلته لينقل عن الله عز وجل ويبين عنه سبحانه حتى جعل الله تعالى طاعته طاعته قال تعالى ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ [النساء: ٨٠] فلو لم ينزل في القرآن الكريم على قلب النبي عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم في حقه وتزكيته وشأنه وعلوه ومقامه غير هذ الآية الكريمة لكفى بها فضلاً وشرفًا له ﷺ فهوأعلى وأعظم قدوة لناﷺ بتعديل الله تعالى نفسه مالك الملك وملك الملوك رب العرش العظيم وتفضيل نبيناﷺ ليس على أمته فقط بل وعلى الأمم كلها بل وعلى رسل الله الكرام كلهم بلاخلاف

في ذلك بين أهل الحق سلفًا وخلفًا وقد صرح بهاﷺ بنفسه للبيان والعلم لا للفخر والكبر حاشاه ذلك فقالﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦٠٤) وفي رواية لأحمد (٢/٤٣٥، ٤٣٦) «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»ﷺ تسليمًا كثيرًا. أقول حقًا فما أظن أن يعصيه عاقل وما أظن أحدًا يرفض سنته وينبذها إلا وقد حدث خلل في عقله شعر به أم لم يشعر، وما أظن أحدًا يستهزئ بسنتهﷺ إلا على الأقل في إيمانه خلل فضلاً عن أن يكون في قلبه مرض وما أظن أن أحدًا يبغضه ﷺ وهو يعلم من هو محمدﷺ إلا وقد كفر، وما أظن أن أحدًا يحبه ويعظمهﷺ إلا وقد وقر الإيمان في قلبه ولا أعلم أحدًا أحب سنته ﷺ صغيرها وكبيرها إلا وقد أفلح وأنجح بفضل الله تعالى نسأله تعالى من فضله العظيم قال الله عز وجل له ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٥٢﴾ **صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] حقا لقد بلغ الغاية ﷺ والنهاية في الاستقامة وطريقها وكيف لا وهو أعلم الناس بالله تعالى وأخشاهم له فقد أخرج البخاري في صحيحه (٢٨/٣٨ ح٧٣٠١) في كتاب السّنة بسنده إلى عائشة رضي الله عنها: صنع النبيﷺ شيئًا ترخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبيﷺ فحمد الله ثم قال: «**مابال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**» وقد أحس الصحابة بذلك رضي الله عنهم فأحبوهﷺ أكثر من أولادهم وأزواجهم وآبائهم بل ومن أنفسهم وترجموا ذاك الحب إلى اتباع في كل صغيرة وكبيرة حبًا أدهش أهل الشرك الذين خالطوا قيصر وكسرى لقد رأوا الصحابة وما يتركون تفلة النبيﷺ تنزل على الأرض!! ما شاء الله لا قوة إلا بالله، الله أكبر والحمدلله. أصحاب نبيناﷺ حدثتنا عنهم السيرة يوم الحديبية

أن سهيل بن عمرو أدهشه أنهم يتلقفون تفلة النبيﷺ فيدلك بها أحدهم جلده ووجهه حتى أثر عنه أنه قال كما نقل عنه أبو محمد بن هشام المعافري في سيرته (٣/٢٣٣، ٢٣٤) قائلاً: فقام من عند رسول اللهﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقًا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش: إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشئ أبدًا. أهـ. ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] أين المتغنون بالشرق والغرب أين المقلدون للأجانب؟ أين أصحاب التمدين والتكنولوجيا الحديثة أين عصر الذرة والبروتون والنيترون والأزون؟ أصحاب نبيناﷺ يلتقطون تفلته وأهل زماننا يرمون سنته!! إنا لله وإنا إليه راجعون! كيف لو رأى الصحب الكرام هذا الزمان لقد أنكرت عائشة زمانها بعد وفاة نبيناﷺ فكيف لو أدركت رضي الله عنها زماننا ورأت نساءنا وبناتنا بل وشيوخنا وشبابنا، إنها قد غضبت مما أحدث أهل القرن الفاضل بعد وفاة سيدنا وسيدهمﷺ وقالت: فيما أخرجه عنها أبو سليمان الخطابي في كتابه العزلة (ص٦٩) إلى أبي معاوية عن هشام بن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تتمثل بهذين البيتين:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في جلد كجلد الأجرب

يتحدثــون مخافة وملاذة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

قال أبومعاوية: قالت عائشة رضي الله عنها: ويح لبيد لو أدرك هذا الزمان، قال عروة: وكيف لو بقيت عائشة رضي الله عنها إلى هذا الزمان؟ قال هشام:

فكيف لو بقي عروة إلى هذا الزمان؟ وقال أبو معاوية: فكيف لو بقي هشام إلى هذا الزمان؟ وقال العباس بن الحسين نحو ذلك، وقال أحمد بن علي، وقال ابن فراس مثله. أهـ. قلت: فكيف لو رأى أئمتنا هذا الزمان، لقد قال الإمام أبو عبد الله الحاكم في كتابه معرفة علوم الحديث في مقدمته: فإني لما رأيت البدع في زماننا كثرت ومعرفة الناس بأصول السنن قلت: مع إمعانهم في كتابة الأخبار... إلخ. أهـ. قلت وقد توفى الحاكم رحمه الله تعالى في أوائل القرن الخامس سنة خمس وأربعمائة من الهجرة فكيف الحال بعد ألف عام تماماً واثنتى عشرة عاماً، فاللهم سلم سلم إنما كان لنا أن نتمثل بالبيت الذي روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول:

ليت أمي لم تلدني   ليتها كانت عقيماً

وقال أبو سليمان الخطابي منشداً هذا البيت

هذا الزمان الذي كنا نحذره   في قول كعب وفي قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم يحدث له غيره   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فالنجاة النجاة إنما هو بالرجوع إلى الوراء وأصحاب النبيﷺ كانوا يشعرون بالنعمة نعمة، الله تعالى عليهم بمحمدﷺ، أخرج البخاري في صحيحه في السّنة (٥/٢٨ ح٧٢٧١) عن أبي برزة رضي الله عنه أنه قال: إن الله يغنيكم بمحمدﷺ. وأخرج الدارمي في سننه (٢١/١) مقدمة مرسلاً باب كيف كان أول شأن النبيﷺ والحاكم (٣٥/١) وقال على شرطهما عن أبي هريرة مرفوعًا: كان النبيﷺ يناديهم «**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**» وأخرج الدارمي أيضًا في المقدمه ٤٠/١ ح٤٩ بسنده إلى جابر بن عبد الله أن النبيﷺ قال: «**أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا**

خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر» وأخرج أيضًا في المرجع السابق ١/ ٤٠ ح٥١ عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أول شافع في الجنة**» وأخرج أيضًا في المرجع السابق ١/ ٤٢ ح٥٣ عن ابن غنم قال: نزل جبريل على رسول الله ﷺ فشق بطنه، ثم قال جبريل: قلب وكيع - يعني شديدًا - فيه أذنان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المقفى الحاشر، خلقك قيم، ولسانك صادق، ونفسك مطمئنة».

والأحاديث والآثار بعد الآيات في ذلك كثيرة جدًا فهم منها أن السنة أصل من أصول ديننا الحنيف لذلك جهد علماء الحديث لله درهم كل الجهد وبذلوا الغالي والنفيس للحفاظ عليها والذب عنها وتبيين صحيحها من سقيمها ومحكمها من منسوخها ومطلقها من مقيدها وعامها من خاصها مع شرحها وتبيينها وتخريجها من مصادرها وتبين غريبها وشرحه وشرح معناها والجمع بين أحاديثها واستنباط الأحكام بأنواعها منها وأخذ العبر من نصوصها الشريفة وقد أعانهم الله تعالى على ذلك ويسره لهم وسهله بعد صعوبته وفتح لهم أبواب الخير والعلم المغلقة بعد صبرهم ومصابرتهم ومدحهم سبحانه قال عز وجل ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقال عز وجل ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١] وقال سبحانه ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٩] وقال سبحانه وتعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨] وأخرج الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ح٤٩ بسنده إلى يزيد بن هارون قال: قلت لحماد بن زيد: يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال بلى، ألم تسمع إلى قول الله تعالى ﴿ **لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢]

فهـذا فيمن رحل في طلب العلم ثم رجع به إلى من وراءه ليعلمـهم إياه وأخرج الدارمي في مـقدمـة سننه ١/٥٨ بسنده إلى عـبد الله بن الديلمي قـال: بلغني أن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كـما يذهب الحبل قـوة قوة، وأخـرج أيضًـا في نـفس المرجع ١/٥٨ ح٩٦ بسنده إلى الـزهري قـال: كل من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصـام بالسنة نجاة والعلم يقبض سريعًا فنعش العلم ثبـات الدين والدنيـا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كلـه. بل والراجح عند أهل العلم وجماهيـرهم أن الحديث الشريف يأخذ حكم الكـتاب الكريم قال الدارمي ١/١٥٣ في المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله، ثم ذكر بسنده ح٦ ٥٨ إلى المقـدام بن معـد يكرب أنه قـال: إن رسول الله ﷺ حـرم أشياء يوم خـيبـر، الحـمار وغـيره، ثم قـال: ليوشـك الرجل متكئًـا على أريكتـه يحدث بحـديثي: فـيقـول: بينـنا وبينكم كـتـاب الله، ما وجـدنا فـيه من حـلال استـحـللناه، ومـا وجـدنا فيه من حـرام حـرمـناه ألا وإن ما حرم رسول الله فهـو مثل ما حـرم الله، وأخـرج أيضًا ما يفـسر قوله تعـالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ سـورة النجـم آية (٣)، (٤) فـأخـرج بسـنده ١/١٥٣ ح٥٨٨ إلى الأوزاعـي عن حـسان قـال: كان جـبريل ينزل على النبي ﷺ بـالسنة كمـا ينزل بالقـرآن وأخـرج أيضًا ما يبين أن كلام النبي ﷺ لا يخـالف ولا يعارض القـرآن الكـريم أبدًا ومن فهم غيـر ذلك ففهمه سـقيم فأخرج بسند ١/١٥٤ ح٥٩٠ إلى سـعيد بن جبيـر أنه حدث يومًا بحـديث عن النبي ﷺ فقـال رجـل: في كـتاب الله ما يخـالف هذا، قال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله كان رسول الله ﷺ أعـلم بكتاب الله منك. أهـ لذلك كان أهل الحديـث أسعد الناس بسنة النبي ﷺ لاهتمامـهم بها فمهـمتهم أعظم المـهمات وعلمهم أشرف

العلوم لقيامهم بحفظ الأصل المبين عن الله تعالى الأصل الشارح المفسر الأصلي الأصيل للقرآن الكريم فكل قد انشغل بما يحبه ويهواه وأهل الحديث كان شغلهم إحياء سنة من أرسل رحمة للعالمين ﷺ وآله وسلم تسليمًا كثيرًا، فقد أخرج الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث ص٥٢ ح١٠٧ بسنده إلى محمد بن إسماعيل البخاري قال: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث عن النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم» إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا بالمملكة وأنتم تحيون سنة النبي ﷺ، وأخرج بسنده ص٥٢ ح١٠٦ إلى أبي داود أنه قال: لولا هذه العصابة لإندرس الإسلام - يعني أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار، وأخرج بسنده إلى الخليل بن أحمد أنه قال: إن لم يكن أهل القرآن والحديث أولياء الله فليس لله في الأرض ولي وأخرج بسنده ص٥١ ح١٠٤ أنه قال: ما أرى طول عمري هذا إلا من كثرة دعاء أصحاب الحديث.وأخرج بسنده ص٤٩ ح٩٧ إلى أبي عمران الصوفي المكي قال: رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث والمحابر بأيديهم، فقال أحمد: إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس؟ وأخرج بسنده ص٤٩ ح٩٩ إلى إبراهيم الحربي قال: خرج أبو يوسف - يعني القاضي يومًا وأصحاب الحديث على الباب فقال: ما على الأرض خير منكم أليس قد جئتم أو بكرتم تسمعون حديث رسول الله ﷺ تسليما؟ وأخرج بسنده ص١٩ إلى عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فحفظها فإنه رب حامل

فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» وأخرج بسنده ص١٩ ح٢٨ إلى سفيان بن عيينة قال: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لقول النبيﷺ: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثًا فلبغه» فقد دعالهم النبيﷺ بالنضرة وهذا متحقق إن شاء الله تعالى في الدنيا كما قال ابن عيينة ونرجوا من الله عز وجل أن يتحقق في الآخرة ويجعلنا معهم لننال عالي الدرجات عنده سبحانه فنحظى بالدخول مع الذين قال الله تعالى فيهم ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ سورة القيامة (٢٣)، (٢٤) فلعل دعوة النبيﷺ تشمل الدارين نرجوا من الله الكريم ذلك فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وقد أوصى النبيﷺ أيضًا بأهل الحديث الشريف خيرًا، فقد أخرج الخطيب أيضًا في شرف أصحاب الحديث ص (٢١) (٣) بسنده إلى أبي هارون العبدي قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال: مرحبًا بوصية رسول اللهﷺ، قال: قلنا: وما وصية رسول اللهﷺ؟ قال: قال لنارسول اللهﷺ: «إنه سيأتي من بعدي قوم يسألونكم الحديث عني، فإذا جاؤوكم فألطفوا بهم وحدثوهم»، وأخرج الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٢ بتحقيقي للجزء الأول منه بحمد الله تعالى ص٢٧ بسنده إلى أحمد بن حنبل وذكر حديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم، وكذلك عن ابن المبارك وعلي بن المديني كما تقدم والبخاري معنى ذلك، وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث بسنده ص٢٩ (٥٦) إلى مهنى بن يحيى قال: سألت أحمد يعني ابن حنبل - عن حديث معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول اللهﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين

وتأويل الغالين» فقلت لأحمد كأنه كلام موضوع؟! قال: لا: هو صحيح»
وأخرج بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول
اللهﷺ فقال: «اللهم ارحم خلفائي» قال: قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال:
الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس»، وأخرج بسنده
ص٣٥ (٦٠) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «إن أولى الناس
بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي» قال الخطيب: قال لنا أبو نعيم، وهذه منقبة
شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من
الصلاة على رسول اللهﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخًا وذكرًا: وأخرج
بسنده ص٣٩ (٧٣) عن مطرف في قوله تعالى ﴿**أو أثارة من علم**..﴾ سورة
الأحقاف قال إسناد الحديث، فهذا أيضًا يبين أن إسناد الحديث له الأهمية
العظمى العالية حيث هو أصل من أصول الحديث الشريف فلولا الإسناد لقال
من شاء ما شاء، فأخرج بسنده إلى عبد الله بن المبارك أنه قال: الإسناد عندي من
الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء أهـ لذلك كانوا أحرص الناس على
الرواية عن الثقات وترك الضعفاء وتبيين هؤلاء وهؤلاء حتى ولو كانوا أقرب
الناس إليهم أو أبعد الناس عنهم لقالوا في الثقة ثقة وفي الضعيف ضعيف، قال
الخطيب في المرجع السابق ص٤١: وهذا علي بن المديني وهو إمام الحديث في
عصره لا يروي عنه حرف في تقوية أبيه بل يروي عنه ضد ذلك فالحمد لله على ما
وفقنا أهـ كذلك الإمام مسلم قدم لصحيحه مقدمة هامة طيبة في أهمية الإسناد
والبحث عن الرجال وأخرج آثارًا تبين كيف كانوا يتحرون الدقة الشديدة في معرفة
رجال الإسناد وأحوالهم خوفًا من الوقوع في الكذب على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا، فقد أخرج مسلم بسنده ٦٢/١ إلى المغيرة بن

شعبة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» وأخرج بسنده ١/٦٦ إلى على رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاتكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار» وأخرج بسنده ١/٦٧ إلى أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وأخرج ما يحث على تحرى الدقة والصحة في رواية الحديث والبعد عن السقيم بأنواعه بسنده ١/٧٣ إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» وأخرج بسنده إلى ابن وهب قال: قال لي مالك: إعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ولا يكون إمامًا أبداً وهو يحدث بكل ما سمع، وأخرج بسنده إلى سفيان بن حسين قال: سألني إياس بن معاوية فقال: «إني أراك قد كلفت بعلم القرآن فاقرأ على سورة وفسر حتى أنظر فيما علمت، قال: ففعلت فقال لي إحفظ على ما أقول لك: إياك والشناعة في الحديث فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه وكذب في حديثه»، وأخرج ما يدل على أنه سيكون هناك من يكذب في الحديث وحذر منهم أشد التحذير لتبقى السنة نقية خالية من شوائب الكذب يعرف صحيحها من سقيمها، فأخرج بسنده ١/٧٨ إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم» وأخرج بسنده ١/٧٩ إلى عبد الله رضي الله عنه قال: إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث...»، وأخرج بسنده ١/٧٩ إلى عمرو ابن العاص قال: إن في البحر شياطين مسجونة

أو ثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا. وأخرج ما يبين أن الأمر أيام النبي ﷺ كان الناس يصدق بعضهم بعضًا إذ لم يكن أحد يكذب أبدًا حيث بلوغ الإيمان في قلوب الصحب الكرام غايته ولعلمهم أن الكذب ينافي الإيمان فلم يكذب أحد أبدًا فلما توفى الله تعالى نبيه ﷺ وظهرت الأهواء في عصر التابعين في بعض الناس في هذا الزمان بدأ الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم يتحرون صحة الأحاديث والثقات من المحدثين وبدأوا يتكلمون في ذلك ولم يحدثوا عن النبي ﷺ إلا بما صح عنه وثبتت نسبته إليه ﷺ.

فأخرج بسنده إلى طاوس قال: جاء هذا إلى ابن عباس - يعني بشير بن كعب - فجعل يحدثه فقال له ابن عباس عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه، فقال له: عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال له: ما أدرى أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا!؟ فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه وأخرج بسنده ١/٨٤ إلى ابن سيرين قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، وأخرج أيضًا ١/٨٤ عن محمد ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم. أهـ ومن شدة حرصهم على صحة النقل وتحريه كانوا يتركون الرجل يكون مشهورًا بالصلاح لكن قليل الباع والخبرة بالحديث وعلومه حفاظًا على الحديث الشريف فأخرج مسلم أيضًا بسنده ١/٥٦ إلى أبي الزناد قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث يقال: ليس من أهله، وأخرج بسنده ١/٨٧ إلى سعد بن إبراهيم قال: لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا

الثقات، وبسنده إلى عبد الله بن المبارك قال: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء...، وبسنده إلى عبد الله قال: بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد ـ وبالرغم من حرصهم الشديد على ترك الغيبة وعدم الجرح لمسلم وقلة الكلام فيما لا يعنيهم خاصة الكلام في الأعراض إلا أنهم في أمر الإسناد لا يحابون أحدًا وأخبروا أن ذلك نصيحة ليس بغيبة محرمة بل هو قربة من القرب، فقد أخرج مسلم أيضًا بإسناده إلى معمر قال: ما رأيت أيوب اغتاب أحدًا قط إلا عبد الكريم يعني أبا أمية فإنه ذكره فقال: كان غير ثقة لقد سألني عن حديث لعكرمة ثم قال: سمعت عكرمة وأخرج بسنده ١/٨٩ إلى علي بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: على رؤس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف. وأخرج بسنده ١/٩٢ إلى يحيى بن سعيد قال: سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكًا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتا في الحديث فيأتيني الرجل فيسألني عنه، قالوا أخبر عنه أنه ليس بثبت أهـ حتى لو كان الرجل صالحًا ولكن لتعرضه للحديث الشريف وهو ليس من أهله، هم أيضا يتعرضون لبيان حاله حفاظا على حديث النبيﷺ فأخرج مسلم أيضًا بسنده ١/٩٤ إلى يحيى بن سعيد القطان قال: لم نر الصالحين في شئ أكذب منهم في الحديث أهـ ولو كان الرجل من أهله ولكن لا يتحرى في سماعه الصحيح بينوا فأخرج بسنده ١/٩٧ إلى ابن المبارك قال: بقيه صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر. وأخرج بسنده ١/١٠٤ إلى أيوب قال: إن لي جارًا ثم ذكر من فضله ولو شهد عندي على تمرتين ما رأيت شهادته جائزة أهـ وغير ذلك الكثير حتى جعلوا شروطًا وضوابط وقواعد يضبط بها حديث كل راو من رواة الحديث الشريف واعتنوا بترجمة كل راو من الرواة كأنه صحابي

حفاظًا على علم النبيﷺ ودين الله عز وجل وكانت حياتهم كلها في سبيل دين الله تعالى والحفاظ عليه ونشره وتعلمه وتعليمه حتى وصل إلينا محفوظًا نقيًا كما قيل يوم أن نزل، وعاشوا على ذلك وتلذذوا به أكثر من تلذذهم بالطعام والشراب ونحوهما، ذكر الخطيب في الجامع ١٠٦/١ عن محمد بن هارون الدمشقي أنه قال:

لمحبرة تجالسني نهاري أحب إلى من أنس الصديق

ورزمة كاغد في البيت عندي أحب إلى من عدل الدقيق

ولطمة عالم في الخد مني ألذ إلى من شرب الرحيق

وقد أكرمهم الله عز وجل بفضله وبشرهم بقوله تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

كما أكرمهم سبحانه بالبشرى في الحيوة الدنيا مقدمة لبشرى الآخرة قال تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] وقد أخرج البخاري في صحيحه ٢٢٣/٢٦ في التعبير، باب المبشرات ح٦٩٩٠ بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة» وأخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص١٠٦ ـ ذكرما رآه الصالحون في المنام لأصحاب الحديث من الحياء والإكرام بسنده إلى حذيفة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيﷺ قال: «ذهبت النبوة، فلا نبوة بعدي، وبقيت المبشرات، رؤيا المسلم الحسنة يراها المسلم أو ترى له» وأخرج أيضًا ١٠٧/١ بسنده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: نبئت أن عبادة بن الصامت سأل النبيﷺ عن

قول الله عز وجل ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠] قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له» وأخرج الخطيب أيضًا في شرف أصحاب الحديث ص١٠٧ (٢٠٤) بسنده إلى حوثرة بن محمد المنقرى البصرى قال: رأيت يزيد بن هارون الواسطى في المنام بعد موته بأربع ليال، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: تقبل الله منى الحسنات وتجاوز عن السيئات ووهب لي التبعات، قلت: ما كان بعد ذلك؟ قال: وهل يكون من الكريم إلا الكرم؟! غفرلي ذنوبي وأدخلني الجنة. قلت: بم نلت الذي نلت قال: بمجالس الذكر وقولي الحق وصدقي في الحديث وطول قيامي في الصلاة، وصبري على الفقر، قلت: ومنكر ونكير حق؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو، لقد أقعداني وسألاني فقال لي: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب فقلت: مثلي يسأل أنا يزيد بن هارون الواسطى، وكنت في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس؟ قال: أحدهما: صدق، هو يزيد بن هارون، نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم... إلخ وأخرجه الحاكم بلفظ مقارب في معرفة علوم الحديث ص١٣٨، وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص١٠٨ (٢٤١) بسنده إلى زكريا بن عدي قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي، وأخرج بسنده أيضًا في نفس المرجع ص١١٠ (٢٤٧) إلى سفيان بن عيينة قال: حدثنا خلف صاحب الخلقان، قال: كان لي صديق يطلب معي الحديث، فمات فرأيته في منامي، وعليه ثياب خضر جدد يجول فيها، فقلت له: ألست كنت تطلب معي الحديث، فما هذا الذي أرى؟ قال: كنت أكتب معكم الحديث فلم يمر بي حديث فيه ذكر محمد ﷺ إلا كتبت في أسفله ﷺ فلله درهم أحبوا النبي ﷺ من قلوبهم وأحبوا سنته وحفظوها

وفهموها وعلموها وتعلموها وعلموها وصنفوها وصححوها ونشروها وأقاموها وأصبحوا غرباء بين الناس من أجلها وارتحلوا عن الأوطان في سبيلها وتوسدوا الحصى من أجلها والتحفوا السماء في حبها وأكلوا القديد من أجلها ورقعوا أثوابهم في ثمنها وباعوا الغالي رخيصًا من أجلها وسهروا الليالي في علمها وكما قال الحاكم عنهم في معرفة علوم الحديث في المقدمة: قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين ودمغوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ وعلى آلة أجمعين قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار وقنعوا عند جمع الحديث والآثار بوجود الكسر والأطمار، قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ، جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها متكاهم وبواريها فرشهم أهـ وقال ابن القيم في كتابه الغربة والاغتراب (ص٧) فما بعدها: فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم قال: ولما خرج موسى هاربًا من قوم فرعون انتهى إلى مدين على الحال التي ذكر الله وهو وحيد غريب خائف جائع، قال: يارب وحيد مريض غريب، فقيل له: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب، من ليس بيني وبينه معاملة، فالغربة: غربة أهل الدار وأهل سنة رسول الله ﷺ بين هذا الخلق وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ وأن أهله سيصيرون غرباء وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون غيرهم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقًا لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسول الله ﷺ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به،

وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم فيقال لهم: ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس ونحن أحوج منا إليهم اليوم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبده فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا فوليه الله ورسوله ﷺ والذين ءامنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه أهـ فهؤلاء أهل السنة الذين ربوا على مأدبة النبيﷺ وورثوا ذلك منه وورثوه أمثالهم ولم يتأثروا بالعجم وأمثالهم، الذين لما قال الناس نحن أولاد الغرب قالوا نحن أولاد من أشرقت الأرض بصالح أعمالهم الذين قالوا لما قال الناس نحن أولاد الفراعنة قالوا بحالهم بل وبمعنى مقالهم نحن أولاد الذين أغرق على أيديهم الفراعنة نحن أولاد الذين قالوا لربهم ولنبيهم ﷺ سمعنا وأطعنا كما قال عز وجل عنهم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فـ ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] ياليتهم يعلمون هذا ياليتهم علموا كيف عاش نبيناﷺ الذي أمرت الأمة أن تقتدي بفعاله، ياليتهم علموا كيف عاش الصحب الكرام رضوان الله عليهم لقد علمهم نبيناﷺ الإسلام الحقيقي بأسمى معانيه وهو الاستسلام لأوامر الله عز وجل ونواهيه والانقياد لشرعه كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في العقيدة الطحاوية: ولا تثبت قدما الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام أهـ لقد حذرهمﷺ من المخالفات كلها أصولاً وفروعًا ولم يقسم لهم الدين قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] وقد علم الشيطان أهل زماننا تقسيم الدين في الطاعة بلا سلطان أنزله الله تعالى فقاسوا بعقولهم وقالوا نطيع في هذه ولا نطيع في هذه

هكذا بلسان حالهم فكلما قيل لهم قال الله تعالى، قال رسول الله ﷺ، قالوا: إنما نعتني بالأصول ولا داعي للتدقيق في العمل بالفروع والتمسك بها كيف لو علموا أن نبيناﷺ سيد العالمين صاحب الخلق العظيم أعظم النبيين وسيدهمﷺ غضب من رجل لم يأكل بيمينه كبراً على أمرهﷺ، فقد أخرج مسلم في صحيحه (١٣/٢٧٨) في الأشربة (ح١٠٧/٢٠٢١) عن سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول اللهﷺ بشماله فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر قال فما رفعها إلى فيه أهـ أين أهل الفروع والأصول المفرقون بينهما في الإتباع من هذا الحديث؟ أين العقلانيون؟ ماذا يقولون في حديث صحيح في صحيح مسلم؟ الرجل العاصي المتكبر عن أمر النبيﷺ شلت يده في معصية دخلت فيها اليد اليمنى واليسرى فقط! إنه الهول للعاصين المتكبرين عن أمر سيد المرسلينﷺ ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٢٦] وقد علموا فياليتهم يستسلمون ويتواضعون ويحاولوا الرجوع من الهوى إلى أوامر الشرع الحنيف ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] فوالله الذي لا إله غيره ما بعث الله تعالى محمداًﷺ لنتغنى باسمه في المحافل وبعد الآذان وما بعث الله محمداًﷺ لأهل عصره فقط ولقومه كما بعث نوحًا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، وما بعث الله تعالى محمداًﷺ ليقول الذين من بعده إن زمانه قد مضى وإن عصره قد انقضى ونحن في زمان لا يصلح فيه الرجوع إلى قرن رسول اللهﷺ، ووالله تعالى لو كان ذلك حقًا لما أخفى علينا ربنا تعالى ذلك ولبينه لنا قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، ولبين لنا ربنا تعالى أن زماننا له تشريعه وقوانينه التي تناسبه وتناسب حضارته ومدنيته الزائفة وتقدمه التكنولوجي لأن ربنا تعالى

علم أزلاً ما سيحدث في زماننا وبعد زماننا إلى ما شاء الله تعالى ومع ذلك قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ليس لأهل الجزيرة والعرب والبدو فقط إنما للعالمين من أيامه ﷺ إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقد فهم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم خاصة والسلف الصالح عامة فاتبعوا نبينا ﷺ في كل شئ لأنهم علموا أنه أرسل رحمة ونوراً وسراجاً منيراً وأن الله تعالى قال له ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وما فرقوا بين أصل وفرع وصغير وكبير وما قالوا: ننتظر الحكمة من حديثه ﷺ ثم نعمل بعد ذلك، فهذه فلسفات عصرية ما عرفها السلف الصالح، بل إن شئت قل فلسفات يهودية، فهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝﴾ [النساء: ٤٦]، لكن المؤمنون قال الله تعالى عنهم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝﴾ [النور: ٥١، ٥٢]، وقد أخرج البخاري في صحيحه (٢٦٩/٧) في الحج (١٦١٠) باب تقبيل الحجر: عن زيد بن أسلم عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَبَّلَ الحجر، وقال: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك. وعن عبد الله بن مغفل: (أنه رأى رجلاً

يخذف فقال له: لا تخذف فإن، رسول اللهﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره: وقال: إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول اللهﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا) البخاري (١٤/٢١) في الذبائح والصيد (ح٥٤٧٩)، وأخرج البخاري في صحيحه (٧/١٨) في تفسير سورة الكهف (ح٤٧٢٥) عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب .... الحديث قال عن نوفا البكالي - عدو الله - لأنه رد أمرًا قاله رسول اللهﷺ، قال الشافعي: ابن عباس مع فقهه وورعه كذب امرءًا من المسلمين ونسبه إلى عدواة الله لما أخبر به عن النبيﷺ من خلاف قوله. أهـ. ذكره السيوطي في مفتاح الجنة (ص١٨) وقال: وأخرج البيهقي - أي في المدخل - والحاكم عن هشام بن جبير قال: «كان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس: اتركهما، فقال: ما أدعهما، فقال ابن عباس: فإنه قد نهى النبيﷺ عن صلاة بعد العصر ولا أدري أتعذب أم تؤجر؟ لأن الله قال ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ... **الآية** [**الأحزاب**: ٣٦]، قال الشافعي: فرأى ابن عباس الحجة قائمة على طاووس بخبره عن النبيﷺ، ودله بتلاوة كتاب الله عز وجل على أن فرضًا عليه أن لا يكون له الخيرة إذا قضى الله ورسوله أمرًا، قال السيوطي: وأخرج البيهقي - أي في المدخل - عن عطاء بن يسار، أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أوْ ورِقٍ بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول اللهﷺ نهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل، فقال له معاوية ما أرى بهذا بأسًا، فقال أبو الدرداء. من

يعذرني من معاوية؟ أخبره عن رسول اللهﷺ ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها. قال الشافعي: فرأى أبو الدرداء الحجة تقوم بخبره، فلم ير معاوية ذلك ففارق أبو الدرداء الأرض التي هو بها إعظامًا لأنه ترك خبر ثقة عن رسول اللهﷺ، قال الشافعي: وأخبرنا أن أبا سعيد الخدري لقي رجلاً فأخبره عن رسول اللهﷺ شيئًا فخالفه، فقال أبو سعيد: لا والله لا آواني وإياك سقف بيت أبدًا، قال الشافعي: فرأى أن ضيقًا على المخبر أن لا يقبل خبره. أهـ

وأخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: «**لاتمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل**» فقال ابن لعبد الله بن عمر: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلاً قال: فزجره ابن عمر وقال أقول قال رسول اللهﷺ وتقول «لاندعهن» أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٣/٤) في الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، (ح١٣٨/٤٤٢).

وأخرج مسلم عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول اللهﷺ «**الحياء خير كله**» أو قال «**الحياء كله خير**» فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينة ووقاراً لله ومنه ضعف قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول اللهﷺ وتعارض فيه.. الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٠/٢) في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان (ح٦١).

وأخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: شهدت عثمان وعليًا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى عليّ أَهَلَّ بهما، لبيك بعمرة وحجة قال: ما كنت لأدع سنة النبيﷺ لقول واحد، أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٦/٧، ٢٠٧) في الحج، (ح١٥٦٣)، سبحان الله تعالى أصحاب نبيناﷺ الذين كانوا أشد الناس اتباعًا للنبيﷺ ومع ذلك كان يأخذ

بعضهم على بعض في ترك أي أمر من أمور سنة النبيﷺ فأين أهل زماننا قد يقع بعضهم بل غالبهم في المحرمات نهارًا جهارًا ولا يعدونها شيئًا يستحق عقوبة من الله عز وجل، وصدق أنس رضي الله عنه حين قال فيما أخرجه عنه البخاري في صحيحه: إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول اللهﷺ من الموبقات «أين أهل زماننا من سيرة أصحاب نبيناﷺ وشدة إتباعهم لهﷺ وتحريهم الشديد الدقيق لسنته ﷺ؟!! أين أهل زماننا مما ذكره السيوطي في مفتاح الجنة وعزاه للبيهقي في المدخل بسنده إلى مالك بن رجاء أن عبد الله بن عمر كان يتتبع أمر رسول اللهﷺ وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان خيف على عقله من اهتمامه. أهـ. إنها قلوب علمت الطريق بنور خرج من صدرها الممتلئ إيمانًا فأبصرت الحق وعقلته وفهمت الفهم بمعناه الشرعي العربي لا العجمي وفقهت الفقه الذي قال عنه سيدنا وسيد العالمين محمدﷺ «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» أخرجه البخاري في صحيحه (١/٢٥٨) فهؤلاء هم الناس الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيهﷺ ليفهموا عنه الفهم المنير الواعي الرشيد لذلك خيف على عقل عبد الله بن عمر من شدة اهتمامه بأمر النبيﷺ وهو الذي قال فيه نبينا ﷺ فيما أخرجه البخاري في صحيحه «إن عبد الله رجل صالح» بخاري (١٤/٢٣٨) في فضائل أصحاب النبيﷺ، باب مناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (ح٣٧٤٠، ٣٧٤١).

فالرجل الصالح من الصحابة خاف الناس على عقله من شدة الاتباع هذه هي العقول التي أعدها ربنا تعالى هي وأشباهها إلى جنة أعدها وزينها وزخرفها وجعلها نزلاً لعقول امتلأت بدين نبيها، هذه هي العقول التي يخرج منها فهم يؤدي بأنفسها إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧] إلى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ

﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] إلى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣١] فاللهم شبه عقولنا بعقولهم وشبه خلقنا بخلقهم وشبه سيرتنا بسيرتهم واملأ قلوبنا إيمانًا وحبًا لمن خلقنا ورزقنا وتفضل علينا بما لا يحصى عددًا ولا كمًا ولا كيفًا من النعم العظيمة ثم حبًا لمن أنزلت عليه كتابًا لا يغسله الماء قال له فيه ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وارزقنا أيضًا علمًا مما علمت نبيك ﷺ ليكون لنا نصيبًا من فضلك العظيم وارزقنا العمل الصالح الموروث من علم أحب الناس إلينا وعلى هديه وطريقه وسيرته وحاله وشكله وصورته نسير به في هذا الطريق الطويل حاملين راية الإسلام على أكتافنا واضعين شرع نبينا على رؤوسنا حاملين كتابك بين خلايا قلوبنا مستضيئين بشعاع خرج مما حملناه يضئ لنا طريق السفر من أوله إلى غايته حتى نبصر به النهاية ونحن هاتفين ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] اجعلنا دائما نرددها قلبًا حتى إذا وصلنا إلى ما أبصرنا من بعيد عند النهاية اجعل هتافنا يا ربنا بعد حط رحالنا ما قلته لنبينا ﷺ في كتابنا من كلامك يا ربنا ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤] فنظرنا فإذا هو خبر صادق قديم يقول فيه أصدق القائلين رب العرش العظيم وهو يقص سبحانه على نبينا الأمين محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

[الزمر: ٧٣ - ٧٥].

منهج البحث

وأما منهجي في البحث

فيشتمل إجمالاً على «خطة الرسالة»

مقدمة وستة أبواب وخاتمة

أما المقدمة:

فتشتمل على

(١) تعريف الرقاق في السّنة واللغة.

(٢) تاريخ الرقاق.

(٣) الغرض من دراسة الموضوع.

وأما الباب الأول : ففي العقائد

ويشتمل على عشرة فصول :

الفصل الأول : العمل الذي يبتغي به وجه الله عز وجل.

الفصل الثاني : تعظيم الله عز وجل وأسمائه وصفاته وكلماته.

الفصل الثالث : الخوف من الله عز وجل.

الفصل الرابع : الرجاء في الله عز وجل.

الفصل الخامس : التوكل واليقين.

الفصل السادس : نبينا ﷺ وما يجب له من الحب والتعظيم، وما جاء في حسن خلقه وورعه ورحمته ومعجزاته ﷺ.

الفصل السابع : حب الإسلام وأهله وشعائره من الدين، وبغض الكفر وأهله من الدين.

الفصل الثامن : الرحمة.

الفصل التاسع : الإيمان بالقدر والرضا به.

الفصل العاشر : فضل الإيمان والتوحيد.

وأما الباب الثاني: ففي العبادات

ويشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: الاجتهاد في العبادة.

الفصل الثاني : القصد والمداومة على العمل.

الفصل الثالث : المبادرة إلى العمل الصالح، والمسارعة إلى الخير ولو كان قليلاً.

الفصل الرابع: فضل القرآن الكريم والذكر والدعاء.

الفصل الخامس : فضل السخاء وحسن الخلق والنفقة في وجوه الخير.

الفصل السادس : التحذير من ترك العمل الصالح وتقليله بعد الزيادة فيه.

الفصل السابع : جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة.

وأما الباب الثالث :

ففي الجهاد في سبيل الله تعالى وما يتبعه من الشهادة والأعمال الداخلة فيه والأجر عليها

وأما الباب الرابع : ففي الزهد

ويشتمل على ثمانية فصول أيضاً

الفصل الأول عيش النبي ﷺ وزهده وورعه.

الفصل الثاني فضل الفقر.

الفصل الثالث القناعة.

الفصل الرابع التواضع.

الفصل الخامس العزلة.

الفصل السادس الورع.

الفصل السابع التوبة.

الفصل الثامن الصبر.

وأما الباب الخامس: ففي التحذير من المعاصي

ويشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: تحريم المعاصي عامة واستحقاق فاعلها العقوبة.

الفصل الثاني: تحريم البغي والظلم والكبر.

الفصل الثالث: تحريم العقوق والقطيعة.

الفصل الرابع: التحذير من التقصير في الطاعات والعبادات.

الفصل الخامس: التحذير من مخالفة السنّة ونبذها.

الفصل السادس: تحريم الشرك والرياء والسمعه.

الفصل السابع: تحريم التشبه بالكفار فيما كان من خصائصهم وفيما كان مخالفًا لما كان عليه المسلمون.

وأما الباب السادس: ففي الترقيق بذكر أحوال الآخرة

ويشتمل على ثمانية فصول:

الفصل الأول: الموت والقبر ومقدمات ذلك.

الفصل الثاني: وفاة نبينا محمد رسول الله ﷺ.

الفصل الثالث: الساعة وأشراطها وما فيها.

الفصل الرابع: الحشر والحساب والميزان والشفاعة.

الفصل الخامس: يوم القيامة وأهواله.

الفصل السادس: ما يرجى من رحمة الله تعالى يوم القيامة.

الفصل السابع : النار وأهوالها نعوذ بالله منها ومن شر أعمالها.

الفصل الثامن : الجنة ونعيمها فاللهم اجعلنا من سكانها.

وأما الخاتمة : أسأل الله تعالى تمام ودوام حسنها

الفهرست :

(١) فهرس الأحاديث الشريفة.

(٢) فهرس المواضيع والأبواب والفصول.

وقمت خلال البحث بحمد الله تعالى وعونه إجمالاً بما يلي:

(١) تصنيف الأحاديث التي جمعتها على الأبواب ثم الفصول ثم المباحث.

(٢) الحكم على الحديث بحكم أئمة هذا الشأن من علماء الحديث السابقين بعد تخريجه.

(٣) بيان الغريب.

(٤) دراسة الأحاديث دراسة موضوعية وغالبًا تحليلية.

والحمد لله وحده والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على نبينا محمد تسليماً وآله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

الباب الأول

في العقائد

ويشتمل على عشرة فصول

الفصل الأول : العمل الذي يبتغى به وجه الله عز وجل.

الفصل الثاني : تعظيم الله عزوجل وأسمائه وكلماته.

الفصل الثالث : الخوف من الله عز وجل.

الفصل الرابع : الرجاء في الله عز وجل.

الفصل الخامس : التوكل واليقين.

الفصل السادس : نبينا ﷺ وما يجب له من الحب والتعظيم، وما جاء في حسن خلقه وورعه ورحمته ومعجزاته ﷺ.

الفصل السابع : حب الإسلام وأهله وشعائره من الدين، وبغض الكفر وأهله من الدين.

الفصل الثامن : الرحمة.

الفصل التاسع : الإيمان بالقدر والرضا به.

الفصل العاشر : فضل الإيمان والتوحيد.

الفصل الأول

العمل الذي يبتغى به وجه الله عز وجل

مبحث : فضل قول لا إله إلا الله خالصة من القلب

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله؛ من أسْعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُني عَنْ هَذَا الْحَديث أَحَدٌ أَوَّلَ منْكَ لمَا رَأَيْتُ منْ حرْصكَ عَلَى الْحَديث ؛ أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتي يَوْمَ الْقيَامَة مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ خَالصًا منْ قَلْبه أَوْ نَفْسه**».

[١] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٦/١) في العلم، باب الحرص على الحديث، (ح٩٩).

المعنى

هي مفتاح الجنة، هي بذرة التوحيد، هي أصل الإسلام، هي المنجية في الدنيا والآخرة، هي حلية السعداء، هي شمس الأنبياء كلهم؛ قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا منْ قَبْلكَ منْ رَسُول إِلاَّ نُوحي إِلَيْه أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون﴾(١)؛ لذلك من ختم له بها دخل الجنة، فاللهم إنا نسألك من فضلك يا رب العرش العظيم. قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢)، هي فاتحة الخير وهي خاتمته؛ لذلك لما سأل أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته ﷺ يوم القيامة فأخبره رسول الله ﷺ بأن أسعد الناس بشفاعته ﷺ هو من تلفظ بتلك الكلمة: «لا إله إلا الله» بشرط أن يوافق قلبُهُ لسانَه، وأن يكون بمنأى عن فعل المنافق الذي يقولها بلسانه فقط، أما المؤمن فيقولها مع اعتقاد قلبه بأنه لا معبود بحق إلا الله؛ =

(١) سورة الأنبياء: (٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٥/٨) في الجنائز، باب في التلقين (ح٣١٠٠).

= فيتعلق قلبه بخالقه وحده عبادة وتوكلاً وخشوعًا وخضوعًا وإنابةً وإقرارًا له بالألوهية والوحدانية والصمدانية مع اعتقاده أيضًا اتصاف الله تعالى بكل صفات الكمال وحده، وتنزهه عن كل صفات النقص وحده، ثم يظهر ذلك عملاً، فيفزع إليه عند الحوائج، ويخضع له عند الأوامر، ويكف لنهيه عن المحارم، ويدعوه وحده، ويستعين به وحده في الأمور التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه، وينسب كل فضل له، ويستغيث به وحده، ويركع له وحده، ويسجد له وحده، ويوالي ويعادي ويحب ويبغض كله في الله تعالى وحده لا لهوى ولا حزب ولا لقبيلة ولا لغيره، وغير ذلك من كل أنواع العبادة، حتى لا يتشبه بالمنافق الذي تلفظ باللسان وخلى قلبه من عبادة الرحمن، فهذا لا يسعد بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام؛ بل ربما حاز الدركات السفلى من النيران، نعوذ بالله من الخذلان، قال الحافظ[1] شيخ الإسلام: قوله «خالصًا» احتراز عن المنافق، ومعنى أفعل في قوله «أسعد» الفعل إلا أنها أفعل التفضيل أي سعيد الناس، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[2]، ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل على بابها، وأن كل أحد يحصل له سعد بشفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها، فإنه ﷺ يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها وفي بعضهم يوم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها، وفي بعضهم بدخول الجنة بغير حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأن أسعدهم بها المؤمن المخلص، والله أعلم. اهـ

وفيه فضل الحرص على العلم، وقد مدح ذلك رسول الله ﷺ في فعل أبي هريرة وعلمه ما لم يكن يعلم، ونرجوا أن يكون أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعة خير الناس ﷺ، وأن يلحقنا به مع الذين يدخلون الجنة من غير سابقة عذاب، ولا مناقشة حساب؛ إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير.

(١) فتح الباري (١/٢٩٧).
(٢) سورة الفرقان: (٢٤).

مبحث: من ابتغى بقوله وعمله وجه الله الكريم دخل الجنة ونجا من النار

٢ - عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**؛ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: **يَا مُعَاذ**؛ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ - ثَلاثًا - قَالَ: **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُونَ، قَالَ: **إِذًا يَتَّكِلُوا**».

٣ - وعن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «... **فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

٤ - وعن حذيفة قال: أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال: «**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

---

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٨/١) في العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، (ح١٢٨).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٨١/٣) في الصلاة، باب المساجد في البيوت (ح٤٢٥).

[٤] أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٩١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤/٢، ٦٦/٣) (ح٣٩١٩)، وقال: رواه أحمد وروى البزرار طرفًا منه، ورجال موثقون.

قوله: «رديفه»: أي راكب خلفه، والرحل: بإسكان الحاء وأكثر ما يستعمل =

= للبعير، ولكن كان رديفه هنا على حمار. اهـ

قوله: «لبيك»، اللب: بفتح اللام معناه هنا الإجابة، وقوله: «سعديك» والسعد المساعدة، كأنه قال: لبًا لك وإسعادًا لك. اهـ فتح الباري (١/٣٣٨:٣٣٩) أي إجابة لك بعد إجابة، وإسعاداً لك بعد إسعاد.

المعنى

الأصل هو التوحيد، وهو أصل سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، والكلمة التي من أجلها خلق الخلق، وتزينت الجنة وسجرت النار، والتي من أجلها أرسل الرسل هي شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وأراد النبي ﷺ أن يبين.

سراً من أسرارها، فلقد أخطأ فيها رجلان؛ رجل ظن أنها لا تنفع إلا قليلاً، ورجل ظن أنها تنفع ولو بالنطق بها فقط دون شرط، فبين رسول الله ﷺ أنه عظيمة القدر عند الله عز وجل، فيها أسرار السعادة الأبدية لا يشقى صاحبها، لو علم الناس قدرها لاتكلوا وتركوا كثيراً من العمل؛ لذلك أسر النبي ﷺ جزاءها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما ركب خلفه على الحمار، فناداه: «**يا معاذ بن جبل**»، لقد أردفه ﷺ على حمار تواضعًا منه، وناداه باسمه واسم أبيه رفقًا ورحمة منه ﷺ وتلطفًا لكي يشحذ همته إلي معرفة ما سيقال من الخير الذي سيلقيه إليه ﷺ، كرر النداء ثلاثًا بالرغم من إجابة معاذ بأدب يليق بالمخاطبة في حضرة صاحب النبوة ﷺ فقال: «لبيك»: أي: إجابة بعد إجابة، «وسعديك»: أي: إسعادًا لك يا رسول الله، فأخبره ﷺ أنه: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» من قلبه، وصدق قلبه لسانه معتقداً لمعناها، عارفًا به عاملاً بمقتضاه من إفراد لله تعالى بالعبودية، صارفًا أنواع العبادة كلها لله عز وجل من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والركوع والسجود والخوف والرجاء والتوكل وغيرهم من أنواع العبادة، والذبح والنذر والركوع والسجود والخوف والرجاء والتوكل وغيرهم من أنواع العبادة، =

وجانب طريق المشركين والمنافقين؛ لأن قوله: «**صدقًا**» **قال ابن حجر**[1]: احترز به عن شهادة المنافقين. اهـ.

وقال الطيبي[1]: قوله: «**صدقًا**» أقيم هنا مقام الاستقامة؛ لأن الصدق يعبر قولاً عن مطابقة القول المخبر عنه، ويعبر به فعلاً عن تحري الأخلاق المرضية، كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾[2] أي حقق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً. اهـ

فمن حقق ذلك الصدق مع هذا القول حرمه الله عز وجل على النار، وقد وجد إشكال؛ وهو أن هناك أحاديث تبين أن بعض من يقول: لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها مع ذرة من الإيمان كما في الصحيح[3] عن النبي ﷺ أنه قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان**». قال الحافظ: وقد أجاب العلماء عن الإشكال بأجوبة أخرى؛ منها: أن المراد بتحريمه على النار، تحريم خلوده فيها لا أصل دخولها، ومنها: أن المراد النار التي أعدت للكافرين لا الطبقة التي أفردت لعصاة الموحدين.اهـ. فكلم معاذ النبي ﷺ في أن يبشر الناس بتلك النعمة العظيمة ـ عمل قليل وأجر كثير ـ وعند مسلم[4] عن عمر أنه قال للنبي ﷺ أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم» قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: «**فخلهم**»، وعلم معاذ رضي الله عنه أن النهي كان للتنزيه لا التحريم فلم يخبر إلا عند موته مخافة أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.

وفي الحديث الثاني لها شرط آخر؛ وهو أن يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، فإذا قالها يرجو من ورائها أن يرى وجه الله تعالى في روضات الجنات لا يريد ـ

---

(١) فتح الباري ١/٣٣٩.

(٢) سورة الزمر: (٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٧٨) في الإيمان.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٢٣٩، ٢٤٠)، باب من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة.

= بها إلا ذلك، أي لا يريد بها دنيا ولا شهرة ولا عصمة دم ونحوه، وأن يستحضر ذلك عند النطق بها فإن الله تعالى يكافؤه عليها أن يحرم جسده على النار، وأن يدخله الجنة إذا ثبت على ذلك حتى يختم له به إن شاء الله تعالى.

قال ابن حجر[1]: وأنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد، وأنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد، وأن العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى ينجي صاحبه إذا قَبِلَهُ الله تعالى. اهـ

وقال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴾[2] ويبين الحديث الأخير أن هناك ثمة أعمال أخرى من عملها ابتغاء وجه الله تعالى دخل بها الجنة إن شاء الله تعالى فضلاً عن كلمة التوحيد كالصيام، فمن أكرمه الله تعالى ووفقه وهدى قلبه لقصد رؤيا وجه الله الكريم بصيامه ومات على ذلك دخل الجنة عاجلاً ومن وفقه تعالى وهدى قلبه وجعل مراده رؤيا وجه الله تعالى الكريم بصدقته ثم ختم له بذلك دخل الجنة، و﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٣/٨٥).

(٢) سورة الليل آيات: (١٩:٢١).

مبحث : فضل من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا به قلبه

٥ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال له: «**فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**».

---

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه (١/٢٣٧) في الإيمان، باب من شهد أن لا إله إلاَّ اللهُ مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة.

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة**»، أي من لقيت يا أبا هريرة من المسلمين؛ لأنه لا يشهد بها إلا مسلم يعتقد بقلبه ويقر من داخله فضلاً عن ظاهره أنه لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلاَّ اللهُ الذي خلق، ورزق، وسوى، وأحيا، وأمات، وينصب إليه العباد في حوائجهم، ويجمعهم يوم القيامة وحده لا شريك له في الأفعال، والأسماء والصفات، فكل شيء بقدرته وقدره، ولا يحدث أمر في الوجود إلا بقدره، لكنه تعالى يرضى عن الطيب ويبغض الخبيث، ولا شريك له في الملك والخلق والتدبير، ولا يستحق العبادة بأنواعها إلا الله وحده، فمن أقر بذلك من قلبه دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك بذنوبه ما أصابه، أو يتجاوز الله تعالى بعفوه ورحمته، كما فصلت ذلك من قبل، وقرره المحققون من أهل العلم بأدلته.

قال النووي(١): معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة وإلا فأبوهريرة لا يعلم استيقان قلوبهم، وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق، ولا النطق دون الاعتقاد؛ بل لا بد من الجمع بينهما، وذكر القلب هنا للتأكيد ونفي توهم المجاز، وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب. اهـ. والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم (١/٢٣٧).

مبحث: من شهد تلك الشهادة دخل الجنة

٦ - عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ شَهِدَ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**».

---

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٣٣)، أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...الآية**﴾ (ح٣٤٣٥).

قوله: «وكلمته» قيل سمي كلمة الله؛ لأنه أوجده بقوله «كن»، فلما كان بكلامه سمي به، كما يقال سيف الله، وأسد الله. اهـ. فتح (١٣/٢٣٣).

قوله: «وروح منه»: أي أنه كائن منه، أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته. اهـ. فتح (١٣/٢٣٣).

المعنى

من مقتضيات كلمة التوحيد المنجية من النار المدخلة للجنة هو الإيمان بما هو جزء منها، وهو الإيمان بما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، ومما أخبر به ﷺ أنه من شهد تلك الشهادات دخل الجنة. وهي: أولها: شهادة أن لا معبود بحق إلا الله، وحده لا شريك له في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال. الثانية: أن نبينا محمداً هو عبد الله ورسوله، وخاتم أنبيائه، وكل دعوى النبوة بعده فغي وضلال، الثالثة: أن نبي الله عيسى هو عبد الله ورسوله، وكلمة الله ألقاها إلى مريم وروح من عند الله، وجاءت هذه الشهادة الثالثة لتنبه النصارى على ضلالهم، وتبين لهم أن عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام إنما هو نبي وليس ابنًا لله تعالى - تعالى الله عما يقول الظالمون والكافرون علواً كبيراً - وأن الله تعالى خلقه بقوله «كن» فكان، فهو بكلمة من كلام الله تعالى، فخلقه الله تعالى بالكلمة، فلذلك كلامه تعالى غير مخلوق، وخلقه من أم بلا أب، وليس على الله ببعيد ولا عزيز، وليس على السنن بغريب، فقد خلق الله تعالى

آدم من غير أب ولا أم؛ قال عز وجل: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾[1]

قال ابن حجر[2]: قال القرطبي: «مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه، ويستفاد منه ما يلقنه النصراني إذا أسلم. قال النووي: هذا الحديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، وقال غيره: ذكر في عيسى تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، و كذا قوله عبده:، وفي ذكر رسوله تعريض باليهود في إنكارهم رسالته، وقذفه بما هو منزه عنه، وكذا أمه، وفي قوله: وابن أمته تشريف له، وكذا تسميته بالروح، ووصفه بأنه منه كقوله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ** ﴾[3]؛ فالمعنى أنه كائن منه كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه؛ أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكته. اهـ. الثالثة: أن يشهد بأن الجنة حق؛ خلقها الله تعالى، وأعدها للمتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، الرابعة: أن النار حق؛ خلقها الله وأعدها للكافرين والمذنبين، فمن شهد بذلك أدخله الله تعالى الجنة. نسأل الله تعالى من فضله. والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران: آية (٥٩).

(٢) فتح الباري (١٣/٢٣٣).

(٣) سورة الجاثية: آية (١٣).

الفصل الثاني
تعظيم الله عز وجل وأسمائه وصفاته وكلماته

مبحث : تعظيم المقربين لرب العالمين

٧ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُذِنَ لي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَك قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ وَأَيْنَ تَكُونُ**».

---

[٧] أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٩٦/١١ ح٦٦١٩) عن سعيد المقبري عن أبي هريرة... به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥/٨)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

قوله: «**مرقت رجلاه الأرض**» أي جاوزت وخرقت وتعدت كما يمرق السهم الشيء المرمي به ويخرج منه. اهـ نهاية بتصرف (٣٢٠/٤).

قوله: «**سبحانك**» التسبيح: التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص فمعنى سبحان الله أي تنزيه الله تعالى. اهـ نهاية (٣٣١/٢).

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**أذن لي أن أحدث**» أي أوحي إلي أن أحدث ـ وأظن والله أعلم أنه من غير أمر وإيجاب ـ أن أخبر عن ملك من الملائكة المقربين حملة العرش الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ**﴾(٢)، هذا الملك قد خرقت رجلاه الأرض السابعة أسفل الأرضين السبع ومنكبه أعلى عليين تحت عرش الله عز وجل =

---

(١) سورة الحاقة: آية (١٧).

(٢) سورة فصلت: آية (٣٨).

مبحث: إن لله تسعة وتسعين اسمًا

٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مِائَةً إِلاَّ وَاحِدَةً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» وفي رواية: «**وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**».

= فوق السماء السابعة، وكل هذا الخلق العظيم المهيب بلا أدنى كبر ولا غفلة عن ذكر ملك الملوك لقربه ورؤيته ما تنهدم له القلوب خشية وإجلالاً وتواضعًا لرب العرش العظيم، ويقول سبحانك أي رب أنزهك وأقدسك وأبرئك من النقائص أين كنت وأين تكون أي دائمًا أبدًا سرمدًا، فلما رأى المقربون شيئًا من العظمة داوموا وواصلوا الذكر والعبادة ولو علم الناس الحقيقة لما ساغ لهم لذة ولا شهوة ولخاروا كما يخور البقر، ففي المسند[1] من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم على - أو - إلى الصعدات تجأرون إلى الله**» فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد. اهـ. والله أعلم.

مبحث: إن لله تسعة وتسعين اسمًا

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١١/١٨٩) في الشهادات، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيَا في الإقرار (ح٢٧٣٦)، والثنيا: قال الحافظ: بضم المثلثة وسكون النون بعدها تحتانية مقصورة: أي الاستثناء: اهـ.

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/١٥٤) في التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدة، (ح٧٣٩٢).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٣/٢٥١) في الدعوات، باب لله مائة اسم غير =

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/١٧٣).

= واحدة (ح ٦٤١٠).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٥/١٧) في الذكر والدعوات، باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، وقوله: «وهو وتر يحب الوتر»: الوتر: الفرد، وتكسر الواو وتفتح، فالله واحد في ذاته لا يقبل الانقسام والتجزئة؛ واحد في صفاته، فلا شبه له ولا مثل؛ واحد في أفعاله، فلا شريك ولا معين، «ويحب الوتر»: أي يثيب عليه ويقبله من عامله. اهـ نهاية (١٤٧/٥).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا.. الآية ﴾[1]، سبحانه لا نحصي ثناء عليه؛ هو كما أثنى على نفسه، ولا نستطيع أن نقول إلا ما جاء في الأصول مما نزل على الرسول ﷺ فقال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا».

قال الحافظ ابن حجر[2]: «اسمًا بالنصب على التمييز» قوله: «مائة إلا واحداً» قال: وقال جماعة من العلماء: الحكمة في قوله مائة غير واحد بعد قوله تسعة وتسعين أن يتقرر ذلك في نفس السامع جمعًا بين جهتي الإجمال والتفصيل، أو دفعًا للتصحيف الخطي والسمعي، واستدل به على صحة استثناء القليل من الكثير، وهو متفق عليه. اهـ.

وقال الإمام النووي[3]: قال الإمام القشيري: فيه دليل على أن الاسم هو المسمى؛ إذ لو كان غيره كانت الأسماء لغيره؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.. ﴾، قال الخطابي: فيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى (الله)؛ لإضافة هذه الأسماء إليه، وقد روي أن (الله) هو اسمه الأعظم. قال الطبري: وإليه ينسب كل اسم له؛ فيقال الرؤوف والكريم من أسماء الله تعالى، ولا يقال من أسماء الرؤوف =

(١) سورة الأعراف: آية (١٨٠).

(٢) فتح الباري (٢٥٨/٢٣).

(٣) شرح مسلم للنووي (٦:٥/١٧).

= والكريم الله، واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى؛ فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أعلمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي؛ إلا أذهب الله همه وحزنه**... الحديث»[1]. وأما تعيين هذه الأسماء فقد جاء في الترمذي وغيره - أي تعيينها - وجاء في بعض أسمائه سبحانه خلاف، وقيل إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم وليلة القدر ونظائرها. اهـ بتصرف يسير.

قوله ﷺ: «**من أحصاها دخل الجنة**»: قال النووي[2]: اختلفوا في المراد بإحصائها؛ فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء في الرواية: «**من حفظها**»، وقيل أحصاها: عدها في الدعاء بها، وقيل أطاقها؛ أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه، وصدق بمعانيها، وقيل معناه العمل بها والطاعة بكل اسمها. اهـ.

قوله ﷺ: «**وهو وتر يحب الوتر**»، وفي رواية مسلم: «**إنه وتر يحب الوتر**» قال النووي[2]: الوتر: الفرد، ومعناه في حق الله تعالى: الواحد الذي لا شريك له ولا نظير، ومعنى يحب الوتر: تفضيل الوتر في الأعمال، وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة خمساً، والطهارة ثلاثاً، والطواف سبعاً، والسعي سبعاً، ورمي الجمار سبعاً، وأيام التشريق ثلاثاً، والاستنجاء ثلاثاً، وكذا الأكفان، وفي الزكاة خمسة أوسق وخمس أواق من الورق، ونصاب الإبل، وغير ذلك، وجعل كثير من عظيم مخلوقاته =

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٣٩١) عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) السابق.

مبحث : كان الله ولم يكن قبله شيء

٩ - عن عمرانَ بنِ حُصَين، عَنْ أهلِ اليمن أنهم قالوا للنبي ﷺ: «جِئْنَا نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأمْرِ، قَالَ: «كَانَ اللّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ».

= وترًا؛ منها السموات، والأرضون، والبحار، وأيام الأسبوع، وغير ذلك، وقيل: إن معناه منصرف إلى صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصًا له، والله أعلم. اهـ. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ * اللّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

مبحث : كان الله ولم يكن قبله شيء

[٩] أخرجه البخاري في صحيحه (٥/١٣) في بدء الخلق (ح٣١٩١)، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ... الآية﴾ (ح٣١٩١).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٨٨/٢٨) في التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (ح٧٤١٨).

قوله: «في الذكر»: أي في محل الذكر، وهو اللوح المحفوظ. اهـ فتح (٧/١٣).

المعنى

سبحانه: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]، وكان نبينا ﷺ يقول: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[٢].

=

---

(١) سورة الحديد: (٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٦/١٧) في الذكر (ح٢٧١٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

= ويقص علينا عمران بن حصين رضي الله عنه سؤال أهل اليمن للنبي ﷺ أنهم قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر، وفي رواية التوحيد: «جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر»، قال الحافظ بن حجر[1]: ولم أعرف اسم قائل ذلك من أهل اليمن، وقال[2]: وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالم وهو الظاهر، ويحتمل أن يكونوا سألوا عن أول جنس المخلوقات، فعلى الأول: يقتضي السياق أنه أخبر أن أول شيء خلق منه السموات والأرض، وعلى الثاني يقتضي أن العرش والماء تقدم خلقهما قبل ذلك. اهـ.

قوله: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»: هذا يدل على أن الله تعالى أول فليس قبله شيء، وليس معه شيء؛ فلا وجود لحوادث قديمة، بل كلها حادثة.

قال الحافظ ابن حجر[2]: فيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما؛ لأن كل ذلك غير الله تعالى، ويكون قوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ معناه أنه خلق الماء سابقًا، ثم خلق العرش على الماء. اهـ. قال الطيبي[2]: هو فصل مستقل؛ لأن القديم من لم يسبقه شيء ولم يعارض في الأولية، لكن أشار بقوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ إلى أن العرش والماء كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السموات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء.

ومحصل الحديث أن مطلق قوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ مقيد بقوله: «**ولم يكن شيء غيره**».

والمراد بكان في الأول ـ أي في قوله: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» الأزلية، وفي الثاني الحدث والعدم. اهـ. أي في قوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ قوله: «**وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**»، وفي رواية التوحيد (ب): «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات** =

(١) فتح الباري (١٨/١٨٩).

(٢) فتح الباري (١٣/٥، ٦).

مبحث: إن ملك الملوك عزوجل لا ينام

[١٠] عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورِ - وفي رواية: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ، لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

= والأرض، وكتب في الذكر كل شيء». قال ابن حجر[1]: ولم يقع بلفظ ثم إلا في خلق السموات والأرض، ورجح ترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش. قال الحافظ: قوله: «وكتب» أي قدر، قوله: «في الذكر» أي في محل الذكر؛ وهو اللوح المحفوظ. قوله: «كل شيء»: أي من الكائنات. اهـ.

قال: وفي الحديث: جواز السؤال عن مبدأ الأشياء والبحث عن ذلك وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك، وعليه الكف إن خشي على السائل ما يدخل على معتقده، وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث، وأن الله تعالى أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن لا عن عجز عن ذلك بل مع القدرة. اهـ. والله أعلم وأعلى.

مبحث: إن ملك الملوك عز وجل لا ينام

[١٠] أخرجه مسلم في صحيحه (١٣/٣: ١٤) في الإيمان، باب: ما جاء في رؤية الله عز وجل قوله: «القسط» القسط: الميزان، وسمي قسطًا لأن القسط العدل وبالميزان يقع العدل. اهـ. شرح مسلم (١٣/٣).

المعنى

يخبر أبو موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم بخمس كلمات؛ أي خطب فيهم بخمس جمل مجملات جامعات عظيمات طيبات، فقال: «إن الله عز =

---

(١) فتح الباري (١٣/٥، ٦).

= وجل **لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**» سبحانه تنزه عن كل نقص وثبت له كل كمال مطلق بلا حدود، فهو منزه عن النوم؛ لأن النوم صفة نقص لا تليق بالخالق عز وجل، ولا ينبغي له سبحانه أن يكون فيه صفة النقص - أي صفة كانت ولو بالكلام - فهو رب العالمين، منزه عن كل صفات المخلوقين، وصفاته الكاملة لا يدري كنهها ولا حقيقتها، فلا تعرف إلا أنها تمت فيه سبحانه، فمن معنى الألوهية أن العقول تتحير في صفاتها، فما أن قال موسى: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾[1] إلى أن قال: ﴿**وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾[1]، وموسى هو من هو، ولكن عظمة الألوهية لا يطيقها أحد إلا أن يمكن الله تعالى أهل الجنة بقدرته أن ينظروا إلى وجهه الكريم سبحانه.

قال النووي[2]: أما قوله ﷺ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»؛ فمعناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام، وأنه يستحيل في حقه النوم، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس، والله تعالي منزه عن ذلك، وأما قوله ﷺ: «**يخفض القسط ويرفعه**»؛ قال ابن قتيبة[2]: المراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم النازلة، وقيل: المراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه فيقتره، ويرفعه فيوسعه، والله أعلم. اهـ، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**الميزان بيد الرحمن، يرفع أقوامًا ويضع آخرين**»[3]، فالأرجح أن القسط هو الميزان لنص الحديث على ذلك، قوله ﷺ: «**يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل**»، فالمعنى - والله أعلم -: يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده، وأما قوله =

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

(٢) شرح مسلم (١٣/٣).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤/١)، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، من حديث نعيم بن هماز مرفوعًا.

وأخرجه الترمذي من وجه آخر بلفظ: «وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع» (٤٠٩/٨) في التفسير (ح٥٠٣٦)، وقال: حسن صحيح.

مبحث: قول النبي ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ؟!»

١١ - عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»؟! وفي رواية: «رَأَيْتُ نُوراً».

= ﷺ: «حجَابُه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»؛ فالسُّبُحَات بضم السين والباء ورفع التاء في آخره، وهي جمع سبحه، ومعنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فالمراد هنا المانع من رؤيته، وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً؛ لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما، والمراد بالوجه: الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات؛ لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات، والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته، والله أعلم. اهـ بتصرف. فاللهم اجعلنا ممن أصابه ذلك النور، آمين. والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ؟!»

[١١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٢/٣) في الإيمان، باب ما جاء في رؤية الله عز وجل.

المعنى

يخبر أبو ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ أي هل أبصرت عيناك الشريفتان ربك ذا الجلال والإكرام ليلة المعراج يا سيد الأنام صلى الله عليك، فقال: «نور» أي حجابه، فكيف أرى ربي وحجابه النور، إنما رأيت نور الحجاب.

قال النووي[1]: أما قوله ﷺ: «نور أنى أراه» فهو بتنوين نور وفتح الهمزة في أنَّى وتشديد النون وفتحها، وأراه بفتح الهمزة ومعناه حجابه النور فكيف أراه؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري: الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالي، ومعناه: أن النور =

(١) شرح مسلم (١٢/٣).

مبحث: رؤية الله عز وجل يوم القيامة

١٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»؟ قَالُوا: لا، قال: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلاَّ

= منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، وقوله ﷺ: «رأيت نوراً» معناه: رأيت النور فحسب ولم أر غيره. اهـ، والله أعلم والحمد لله.

مبحث: رؤية الله عز وجل يوم القيامة

[١٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٢١١) أبواب صلاة الجماعة، باب فضل السجود (ح٨٠٦).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٤/٢٦٤) في الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (ح٦٥٧٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٧) في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى.

=

الرُّسُلُ وكَلامُ الرُّسلِ يَوْمَئذ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاليبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ » ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ

قوله: «هل تمارون»: بضم أوله وتخفيف الراء على حذف إحدى التاءين؛ أي تجادلون في ذلك ويدخلكم شك، من المرية وهو الشك. اهـ. فتح الباري (٢٤/٢٦٥).

قوله: «الطواغيت»: جمع طاغية، وهي ما كانوا يعبدونه من الأصنام وغيرها. أهـ. نهاية (٣/١٢٨).

قوله: «ظهراني»: بفتح الظاء وسكون الهاء معناه يمد الصراط عليها. اهـ شرح مسلم للنووي (٣/٢٠).

قوله: «كلاليب» الكلوب: بالتشديد حديدة معوجة الرأس. اهـ. نهاية (٤/١٩٥).

قوله: «شوك السعدان»: هو نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه. اهـ. نهاية (٢/٣٦٧).

قوله: «يوبق» وبق: يبق إذا هلك. اهـ. نهاية (٥/١٤٦).

قوله: «ومنهم المخردل»: هو المرمي المصروع، وقيل: المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار. اهـ. نهاية (٢/٢٠).

الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ـ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الْجَنَّةَ ـ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَقَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا

= قوله: «قد امتحشوا»: أي احترقوا، والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم. اهـ. نهاية (٤/٣٠٢).

قوله: «حميل السيل»: قال ابن الأثير: «ينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»؛ وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. اهـ. نهاية (١/٤٤٢).

قوله: «قشبني»: قال ابن الأثير: فيه «أن رجلاً يمر على جسر جهنم فيقول: يا ربن قشبني ريحها»: أي سَمَّنِي. اهـ. نهاية (٤/٦٤).

قوله: «وأحرقني ذكاؤها»: الذكاء: شدة وهج النار، يقال: ذكيت النار إذا أتممت إشعالها ورفعتها. اهـ. نهاية (٢/١٦٥).

قوله: «رأى بهجتها»: قال ابن الأثير: في حديث الجنة «فإذا رأى الجنة وبهجتها»: أي حسنها وما فيها من النعيم. اهـ. نهاية (١/١٦٥).

قوله: «النضرة»: نَضَرة، ونَضَّره، وأَنْضَرَه: أي نَعَّمَهُ. اهـ. نهاية (٥/٧١). =

وَعِزَّتِكَ، لا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَتُهُ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: «لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ» قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ».

المعنى

قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2]، وقال الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾[3]، إن كل نعيم أخذ وصف «مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[4] يتلاشى ويتوارى ويختفي نوره أمام نور ملك الملوك فكأن أهل الجنة ما أعطوا شيئًا أمام هذا النعيم العظيم، وقد

(١) سورة القيامة، الآيتان (٢٢:٢٣).

(٢) سورة ق، آية (٣٥).

(٣) سورة يونس، آية (٢٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٤٧ ح٤٣٢٨).

= أخرج الطبري[1] في تفسيره بسنده إلى صهيب قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فيتجلى لهم، فوالله ما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه»، وأخرج[2] بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تُعْطَوْهُ قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى قال: فيصغر عندهم كل شيء أعطوه»، قال: ثم قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3]، قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه ربهم، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك، وأخرج أحمد[4] في مسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملك ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر في أزواجه وخدمه وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين»، قال الحافظ ابن كثير[5] رحمه الله تعالى في تفسيره: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النضارة: أي حسنة بهية مشرقة مسرورة: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي تراه عيانًا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[6]: «إنكم سترون ربكم عيانا»، وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها. اهـ. فيا هنيًا هنيئًا وطوبى طوبى لمن وفق لعمل في الدنيا يرتقي به إلى أعظم نعيم في =

---

(١) تفسير الطبري لسورة يونس (٦/٥٤٩ ح١٧٦٤١).

(٢) تفسير الطبري لسورة يونس (٦/٥٥٠ ح١٧٦٣٧).

(٣) سورة يونس، آية (٢٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/١٣).

(٥) تفسير ابن كثير لسورة القيامة (٤/٤٥٠).

(٦) (٢٨/٢٠٥ ح٧٤٣٥).

الآخرة، قال ابن قدامة[1] أحمد بن عبد الرحمن المقدسي في كتابه مختصر منهاج القاصدين: واعلم أن لذة النظر في الآخرة تزيد على المعرفة في الدنيا، وقد اقتضت سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما يغلب عليها من الصفات البشرية لا تنتهي إلى المشاهدة بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار، والقول في سبب كونه حجاباً يطول، فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس وفيها نوع تلوث بالدنيا، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وقد صفوا عن الأكدار تجلى لهم الحق سبحانه وتعالى على قدر معرفتهم في الدنيا، فكل من لا يعرف الله تعالى في الدنيا لا يراه في الآخرة، وما يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه في الدنيا، فكل من لا يعرف الله تعالى في الدنيا لا يراه في الآخرة، وما يستألف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه في الدنيا، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا يموت المرء إلا على ما عاش عليه، فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه، إلا أنه يتغلب مشاهدة بكشف الغطاء، فتضاعف اللذة والعيش عيش الآخرة، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]اهـ.

وروى مسلم[3] في صحيحه عن صهيب قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4]، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب =

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص٣٤٣).

(٢) سورة العنكبوت، آية (٦٤).

(٣) وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/٦٧) في المقدمة واللفظ له، باب فيما أنكرت الجهمية (ح١٨٧)، وأما مسلم ففي (٣/٢٢) في الإيمان (ح٢٩٧/١٨١).

(٤) سورة يونس، آية (٢٦).

= إليهم من النظر - يعني إليه - ولا أقر لأعينهم» اهـ. قال الإمام الطحاوي[1]: والرؤيا حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2] وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه. اهـ

وأمامي بفضل الله تعالى هذا الحديث العظيم الطويل الشامل المفصل من أول سؤال الصحب الكرام للنبي عليه الصلاة والسلام عن رؤيا الله عز وجل فأجاب لهم عن رؤيته وعما قبلها وبعدها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً وفدى له نفسي وأبي وأمي ﷺ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الناس قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ المقصود بالناس بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ممن كانوا عند النبي ﷺ.

قوله: «هل نرى ربنا يوم القيامة»: قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر في الفتح[3]: في التقييد بيوم القيامة إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤيا في الدنيا. اهـ، وقد أخرج[4] مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**» قوله: «**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب**»، وفي رواية مسلم: «**هل تضارون**»، وكذلك عند البخاري في الرقاق، قال الحافظ ابن حجر[3]: «**هل تمارون**» بضم أوله وتخفيف الراء على حذف إحدى التاءين: أي تجادلون في ذلك ويدخلكم شك من المرية وهو الشك. اهـ. وقال النووي[1]: بتشديد الراء وبتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد: هل =

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٤٣).

(٢) سورة القيامة، الآيتان (٢٢، ٢٣).

(٣) فتح الباري (٢٦٥/٢٤، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٦/١٨) في الفتن، باب ذكر ابن صياد (ح١٦٩).

تضارون غيركم في حالة الرؤيا بزحمة أو مخالفة في الرؤيا أو غيرهما لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر. اهـ. أي هل يحدث بينكم شك أو خلاف أو مزاحمة في رؤية الشمس وقت الظهيرة ليس دونها سحاب يحجبها أو القمر ليلة النصف ليس دونه سحاب يحجبه؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»، قال الحافظ ابن حجر[٢]: المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة والاختلاف، وقال البيهقي: التشبيه برؤية القمر لتعين الرؤية دون تشبيه المرئي سبحانه وتعالى، وقال الزين بن المنير: إنا خص الشمس والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغيرسحاب أكبر آية وأعظم خلقًا من مجرد الشمس والقمر لما خُصا به من عظيم النور والضياء بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال والكمال سائغًا شائعًا في الاستعمال، وقال ابن الأثير: قد يتخيل بعض الناس أن الكاف كاف تشبيه للمرئي وهو غلط، وإنما كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي، ومعناه أنها رؤية مزاح عنها الشك مثل رؤيتكم القمر. أهـ[٢].

قوله: «**يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع**»، وفي رواية الرقاق: «**يجمع الله الناس**» أي في مكان واحد. قال القرطبي: المعنى: أنهم يجمعون في مكان واحد بحيث لا يخفى منهم أحد بحيث لو دعاهم داعٍ لسمعوه، ولو نظر إليهم ناظر لأدركهم[٢]. اهـ ووقع في حديث ابن مسعود عند البيهقي وأصله في النسائي: «**إذا حشر الناس قاموا أربعين عامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء لا يكلمهم والشمس على رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر**» ووقع في حديث أبو سعيد عن أحمد[٣] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا**»، قال الحافظ ابن حجر: وإسناده حسن. اهـ.

---

(١) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

(٢) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٧٥) عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا.

قوله: «من كان يعبد شيئًا فليتبع» قال القسطلاني[1]: بتشديد المثناه الفوقية وكسر الموحدة. اهـ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[2]: فكل وراءَ مَنْ كان قائده في الدنيا وحبيبه لذلك قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»[3].

قوله: «فمنهم من يتبع الشمس» لأنه كان يعبدها والعياذ بالله تعالى في الدنيا.

قوله: «ومنهم من يتبع القمر»: لذلك قال الله تعالى لهم موبّخًا لهم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ...﴾ الآية[4].

قوله: «ومنهم من يتبع الطواغيت» قال النووي[5]: هو جمع طاغوت: قال جماهير أهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الطاغوت الشيطان وقيل: هو الأصنام. اهـ. قلت: لا منافاة بينهما.

قوله: «وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها»: قال النووي[5]: قال العلماء وإنما بقوا في زمرة المؤمنين لأنهم كانوا في الدنيا مستترين بهم، فيتسترون بهم أيضًا في الآخرة وسلكوا مسلكهم، ودخلوا في جملتهم وتبعوهم ومشوا في نورهم حتى ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وذهب عنهم نور =

---

(١) أخرجه إرشاد الساري (٣/١١٥:١١٨).

(٢) سورة الإسراء، آية (٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٣٣٦) في الأدب (ح٦١٦٨).

(٤) سورة فصلت، آية (٣٧).

(٥) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

المؤمنين، قال بعض العلماء: هؤلاء المطرودون عن الحوض الذين يقال لهم سحقًا سحقًا، والله أعلم.

قوله: «**فيأتيهم الله عز وجل فيقول: أنا ربكم**»: قال القسطلاني[1]: «فيأتيهم الله عز وجل»: أي يظهر لهم في غير صورته؛ أي في غير صفته التي يعرفونها من الصفات التي تعبدهم بها في الدنيا امتحانًا منه ليقع التميز بينهم وبين غيرهم ممن يعبد غيره تعالى، «فيقول: أنا ربكم»، فيستعيذون بالله لأنه لم يظهر لهم بالصفات التي يعرفونها؛ بل بما استأثر بعلمه سبحانه وتعالى؛ لأن معهم منافقين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون. اهـ.

قوله: «**فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه**»: «هذا مكاننا»: قال القسطلاني[1]: مكاننا بالرفع خبر المبتدأ الذي هو اسم الإشارة، «حتى يأتينا»: يظهر لنا، «ربنا فإذا جاء»: ظهر، «ربنا عرفناه، فيأتيهم الله»: عز وجل، أي: يظهر متجليًا صفاته المعروفة عندهم، وقد تميز المؤمن من المنافق. اهـ.

قوله: «**فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا**»: ذكر ابن حجر[2] أقوالاً في تفسير الإتيان؛ أرجحها عندي قوله: وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى يجب الإيمان به مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن سمات الحدوث. اهـ، وفي رواية البخاري[ب] في الرقاق: «فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا»، قال الحافظ ابن حجر[2]: والمعنى: فيتجلى الله لهم بالصفة التي يعلمونه بها، وإنما عرفوه بالصفة، وإن لم تكن تقدمت لهم رؤيته؛ لأنهم يرونه حينئذ شيئًا لا يشبه المخلوقين، وقد علموا أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم فيقولون: أنت ربنا، وعبر عن الصفة بالصورة لمجانسة الكلام لتقدم ذكر الصورة. اهـ. =

---

(١) أخرجه إرشاد الساري (١١٥/٢:١١٨).

(٢) فتح الباري (٢٦٥/٢٤، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

وقال الخطابي[1]: هذه الرؤية غـيـر التـي تقع في الجنة إكـرامًـا لهم، فـإن هذه للامتحان، وتلك لزيادة الإكرام كمـا فسرت به الحسنى وزيادة، قال: ولا إشكال في حصول الامتحان في الموقف؛ لأن آثار التكاليف لا تنقطع إلا بعد الاستقرار في الجنة أو النار، قـال: ويشبه أن يقـال: إنما حجب عنـهم تحقق رؤيتـه أولاً لما كان معـهم من المنافقين الذين لا يستحقون رؤيته، فلما تميزوا رفع الحجاب فقال المؤمنون حينئذ أنت ربنا. اهـ.

قوله: «**فـيـدعوهم ويضـرب الصـراط بين ظهراني جـهـنم**»: قال القـسطلاني[2]: «فيدعوهم»: ربهم، «فَيُضْرَبُ»: بالفاء وضم الياء وفتح الراء مبنيًا للمفعول. اهـ.

قوله: «**الصـراط بين ظهراني جـهـنم**»: وعند مسلم(جـ): «بين ظهري جـنهم»، قال النووي[3]: هو بفتح الظاء وسكون الهـاء ومعناه: يمد الصراط عليهـا، وفي هذا إثبات الصراط، ومذهب أهل الحق إثباته وقد أجمع السلف على إثباته، وهو جسر على متن جـهنم يمر عليـه النـاس كلهم، فـالمؤمنون ينجـون على حـسب حـالـهم أي منازلهم، والآخرون يسـقطون فيهـا، أعاذنا الله الكريم منها، وأصـحابنا المتكلمون وغـيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف. اهـ.

قوله: «**فـأكـون أول من يـجـوز من الرسـل بأمتـه**»: قال النووي[3]: معنـاه لشدة الأهوال، والمراد لا يتكلم في حال الإجازة، وإلا ففي يوم القـيامة مواطن يتكلم الناس فيها وتجادل كل نفس عن نفسها ويسأل بعـضهم بعضًا ويتلاومون ويخاصـم التابعون المتبوعين، والله أعلم اهـ.

---

(١) السابق.

(٢) أخرجه إرشاد (٢/١١٥:١١٨).

(٣) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

قوله: «**وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**»: وفي رواية الرقاق[ب]: «ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»، وفي رواية مسلم[جـ]: «ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»، ولا تنافي بينهم، فالكلام يشمل الدعاء والدعوى، قال النووي[1]: هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق، وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعى في كل موطن بما يليق به، والله أعلم. اهـ.

قوله: «**وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله**»: قال النووي[1]: أما الكلاليب فجمع كلوب: بفتح الكاف وضم اللام المشددة: وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور، وأما السعدان فبفتح السين وإسكان العين المهملة وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب. اهـ.

قوله: «**غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله**»: قال ابن حجر[1]: أي الشوكة، والهاء ضمير الشأن، وقال القرطبي: «قدر» مفعول يعلم. اهـ.

قوله: «**يخطف الناس بأعمالهم**»: قال ابن حجر[1]: بكسر الطاء وبفتحها، قال الزين بن المنير: تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة، ثم استثنى - أي في قوله «غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله - إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارها. اهـ.

قوله: «**فمنهم من يوبق بعمله**»: قال ابن حجر[1]: بمعنى الهلاك.

قوله: «**ومنهم من يخردل ثم ينجو**»: قال الهروي[1]: المعنى أن كلاليب النار =

---

(١) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

= تقطعه فيهوي في النار، وقال ابن حجر[1]: وقيل: معناه: أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا، ولمسلم «المجازى»(ج) بضم الميم وتخفيف الجيم من الجزاء. اهـ.

قوله: «**قال ابن أبي جمرة**»[1]: يؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف؛ ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو، وكل قسم منها ينقسم أقسامًا تعرف بقوله: «بقدر أعمالهم». اهـ.

قوله: «**حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله**» قال القسطلاني[1]: «حتى إذا أراد الله عز وجل رحمة من أراد من أهل النار»: أي الداخلين فيها، وهم المؤمنون الخلص، إذا الكافر لا ينجو منها أبدًا ـ والعياذ بالله تعالى ـ وأمر الله الملائكة أن يخرجوا منها «من يعبد الله» وحده. اهـ. قال الحافظ ابن حجر[2]: قال الزين بن المنير: والمراد إخراج الموحدين وإدخالهم الجنة واستقرار أهل النار في النار اهـ.

قوله: «**فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود**»: قال ابن حجر[2]: هو جواب عن سؤال مقدر تقديره: كيف يعرفون أثر السجود مع قوله في حديث أبي سعيد عند مسلم[3]: «فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة»، فإذا صاروا فحمًا كيف يتميز محل السجود من غيره حتى يعرف أثره؟ وحاصل الجواب تخصيص أعضاء السجود من عموم الأعضاء التي دل عليها هذا الخبر وأن الله منع النار أن تحرق أثر السجود من المؤمن. اهـ. قال النووي[4]: ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة التي يسجد الإنسان عليها وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدامن، وهكذا قال بعض العلماء. اهـ. قال ابن حجر[2]: واستنبط ابن أبي جمرة من هذا أنه من كان مسلمًا ولكن كان لا يصلي لا يخرج؛ إذ لا علامة له. اهـ. «**فيخرجون من النار وكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود**»: تقدم الكلام على ذلك والحمد لله وحده.

---

(١) أخرجه إرشاد الساري (٢/١١٥:١١٨).

(٢) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٣/٣٧/٤٧) في الإيمان (ح٣٠٦/١٨٥).

(٤) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

قوله: «فيخرجون من النار قد امتحشوا»: قال الحافظ ابن حجر[1]: امتحشوا: أي احترقوا وزنه ومعناه، والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم. اهـ.

قوله: «فيصب عليهم ماء الحياة»: وعند مسلم[2]: «فشبوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم»، وعند الترمذي[3]: «ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة»، قال: «فيرش عليهم أهل الجنة» قال القسطلاني[4]: «فيصب عليهم» بضم المثناة مبنياً للمفعول والنائب عن الفاعل قوله: «ماء الحياة» الذي شرب منه أو صب عليه لم يمت أبداً. قسطلاني[4] اهـ.

قوله: «فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»: قال النووي[5]: الحِبة: بكسر الحاء المهملة، وهي: بذر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيل، وجمعها حِبَب بكسر الحاء المهملة وفتح الباء، وأما حميل السيل بفتح الحاء وكسر الميم وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسن طراوته. اهـ. قال ابن أبي جمرة[6]: ويستفاد منه أنه ﷺ كان عارفاً بجميع أمور الدنيا بتعليم الله تعالى له، وإن لم يباشر ذلك. اهـ.

قوله: «ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد»: قال الزين بن المنير[6]: الفراغ إذا أضيف إلى الله معناه القضاء وحلوله بالمقضي عليه، والمراد إخراج الموحدين =

---

(١) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

( ) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/٤١، ٤٢) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/٣٧) في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٧/٣٢٤) في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه إرشاد الساري (٢/١١٥:١١٨).

(٥) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

(٦) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

= وإدخالهم الجنة واستقرار أهل النار في النار، قال ابن حجر: وحاصله أن المعنى: يفرغ الله أي من القضاء بعذاب من يفرغ عذابه ومن لا يفرغ، فيكون إطلاق الفراغ بطريق المقابلة وإن لم يذكر لفظها. اهـ. وقال ابن أبي جمرة: معناه وصل الوقت الذي في علم الله أنه يرحمهم[1]. اهـ.

قوله: «ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قبل النار»، وعند مسلم[2]: عن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك»، فهو من الموحدين لكن ذنوبه زادت فأقعدته لما لم يتب منها فدخل النار وطال مكثه والعياذ بالله تعالى منهما.

وقوله: «قبل النار»: قال القسطلاني[3]: بكسر القاف وفتح الموحدة: أي جهتها اهـ.

قوله: «**فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها**»: قال النووي[4]: أما «قَشَبَني» بقاف مفتوحة ثم شين معجمة مخففة مفتوحة، ومعناه سمني وآذاني وأهلكني. اهـ. قال الخطابي[1]: فشبه الدخان: إذا ملأ خياشيمه وأخذ يكظمه، وأصل القشب خلط السم بالطعام. اهـ. قال النووي[4]: وأما ذكاؤها فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها. اهـ.

قوله: «**فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك**»: قال النووي[4]: قوله عز وجل: «هل عسيت» هو بفتح التاء على الخطاب، ويقال بفتح السين وكسرها لغتان، ثم قال: قال ابن السكيت: ولا ينطق في عسيت =

---

(١) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/٤١، ٤٢) في الإيمان باب آخر أهل النار خروجًا.

(٣) أخرجه إرشاد الساري (٢/١١٥: ١١٨).

(٤) شرح مسلم للنووي (٣/١٩: ٢٤).

= بمستقبل. اهـ. وقد خاطبه المولى عز وجل سائلاً شارطًا: إن أعطيتك ما تريد هل ستسأل غير ذلك؟ وهو سبحانه أعلم بما حدث وبما سيحدث ويعلم أنه لا يوفي وهذه عادة بني آدم غالبًا قال الحافظ ابن حجر(1): إن تسألني وهنا «أن تسأل» هي خبر عسى، والمعنى: هل يتوقع منك سؤال شيء غير ذلك وهو استفهام تقرير؛ لأن ذلك عادة بني آدم. اهـ.

قوله: «**لا وعزتك**»: أي لا أسأل غير ذلك، وعزة الله تعالى يقول مقسمًا.

قوله: «**فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق**»: قال الحافظ(1): يحتمل أن يكون فاعل شاء الرجل المذكور أو شاء الله عز وجل. اه ـ بتصرف. قال ابن أبي جمرة(1): إنما بادر للحلف من غير استحلاف لما وقع له من قوة الفرح بقضاء حاجته فوطن نفسه على أن لا يطلب مزيدًا وأكده بالحلف. اهـ.

«**فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة**» وعند مسلم(2): «فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك» قال الحافظ: والمراد أنه يرى ما فيها من خارجها، إما لأن جدارها شفاف فيرى باطنها من ظاهرها كما جاء في وصف الغرف، وإما أن المراد بالرؤية العلم الذي يحصل له من سطوع رائحتها الطيبة وأنوارها المضيئة كما كان يحصل له أذى لفح النار وهو خارجها. اهـ. فلما رأى ذلك لم يصبر حتى سأل الله تعالى أن يقدمه عند باب الجنة، وعند مسلم(2) أنه قال بعد النجاة: «لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت» ذَكَّرَهُ الله تعالى بما عاهد به وأقسم وأكد أنه لا يسأل غير ما مضى قوله: «فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك»، وفي رواية الرقاق(ب): «يا رب لا تجعلني أشقى خلقك» قال الحافظ(1) المراد بالخلق هنا من دخل الجنة فهو لفظ =

---

(1) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/٤١، ٤٢) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجًا.

= عام أريد به خاص ومراده أنه يصير إذا استمر خارجًا عن الجنة أشقاهم وكونه أشقاهم ظاهر لو استمر خارج الجنة وهم داخلها. اهـ.

قوله: فيقول: «**فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غير الذي كنت سألت**»: سبحان ربنا الصبور، فبالرغم من علمه سبحانه بنقض ابن آدم للعهود لكن لا عجب إذا تذكر أن رحمته سبقت غضبه، وأنه قال: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾(١).

قوله: «**فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق كما فعل في المرة الأولى**»: قال القسطلاني(٢): وإنما قال الله تعالى ذلك وهو عالم بما كان وما يكون إظهارًا لما عهد من بني آدم من نقض العهد وأنهم أحق بأن يقال لهم ذلك اهـ.

قوله: «**فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب أدخلني الجنة**»: قال القسطلاني(٢): «وما فيها من النضرة» بالضاد المعجمة الساكنة؛ أي البهجة والسرور تحير، «فيسكت ما شاء الله أن يسكت» بالفاء التفسيريه وأن مصدرية أي ما شاء الله سكوته حياء من ربه، وهو تعالى يحب سؤاله لأنه يحب صوته فيباسطه بقوله: «لعلك إذا أعطيت هذا تسأل غيره»، وهذه حالة المقصر فكيف حالة المطيع وليس نقض هذا العبد عهده جهلاً منه ولا قلة مبالاة بل علمًا منه أن نقض هذا العهد أولى من الوفاء؛ لأن سؤاله ربه أولى من إبرار قسمه. اهـ. قال عليه الصلاة والسلام: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليترك يمينه»(٣). =

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٦).

(٢) أخرجه إرشاد الساري (٢/١١٥:١١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١١/١٦٥) في الإيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (ح١٦).

قوله: «**فيقول الله تعالى: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك**»؟: قال الحافظ[1]: «ما أغدرك»: إشارة إلى أن الشخص لا يوصف بالفعل الذميم إلا بعد أن يتكرر ذلك منه. اهـ.

قوله: «**أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت**»: قال الطيبي[1]: معناه: يا رب قد أعطيت العهد والميثاق، ولكن تفكرت في كرمك ورحمتك فسألت. اهـ. كما في المرة الأولى وأعطيت الأُولى مبني للفاعل والثانية مبني للمفعول.

قوله: «**فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك**»: قال الكرماني[1]: معناه: لا أكون كافرًا، وقال ابن حجر[1]: ووجه كونه أشقى أن الذي يشاهد ما يشاهده ولا يصل إليه يصير أشد حسرة ممن لا يشاهد. اهـ.

قوله: «**فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة**»: هو ضحك يليق بجلال الله تعالى لا يشبه ضحك المخلوقين، ولا يعلمه إلا هو سبحانه، ولا يجوز تأويله بالرضا أو غيره، قال المازري: هذا مشكل، وتفسير الشح بالرضا لا يتأتي هنا، ولكن لما كانت عادة المستهزئ أن يضحك من الذي استهزأ به ذكر معه. اهـ. وأخيرًا أذن الله تعالى له في دخول الجنة بل وزاد كرم أكرم الأكرمين وفضله وهو زائد دائمًا فقال: قوله: «تمن» فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل: «تمن كذا وكذا، أقبل يُذَكِّرُهُ ربه»: قال النووي[2]: معناه: يقول له: تمن من الشيء الفلاني، ومن الشيء الآخر، يسمي له أجناس ما يتمنى، وهذا من عظيم رحمته سبحانه وتعالى. اهـ. قال الحافظ ابن حجر[1] في رواية أبي سعيد عند أحمد: «فيسأله ويتمنى بمقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا»[3].

---

(١) فتح الباري (٢٤/٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٤).

(٢) شرح مسلم للنووي (٣/١٩:٢٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٧٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

= قوله: «**حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه**»، وفي رواية الرقاق(ب): «وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً» إنه كرم أكرم الأكرمين، إذا كان هذا آخر أهل الجنة؛ فما البال بأولهم ﷺ فقد روى مسلم في صحيحه[1] أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى عن أدنى أهل الجنة منزلاً وعن أعلاهم فأخبره عن أدناهم ثم أخبره عن أعلاهم فقال: «أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها»، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر». الله أكبر؛ إن ربنا عز وجل يتكلم بتاء الفاعل أردت وغرست فما بالنا بإرادة الكريم وغرس العليم الحكيم.

قوله: «**قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: لك ذلك وعشرة أمثاله»، قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: لك ذلك ومثله معه، قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: «ذلك لك وعشرة أمثاله**»: قال النووي[2]: قال العلماء: وجه الجمع بينهما أن النبي ﷺ أعلم أولاً بما في حديث أبي هريرة، ثم تكرم الله تعالى فزاد ما في رواية أبي سعيد فأخبر النبي ﷺ ولم يسمعه أبو هريرة. اهـ. والله أعلم. والحمد لله وحده.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٥/٣) في الإيمان باب آخر أهل النار خروجًا.

(٢) شرح مسلم للنووي (٢٤:١٩/٣).

مبحث: قوله تعالى:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ**».

---

[١٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/٣٩٩) في التفسير سورة ﴿قل هو الله أحد﴾، (ح٤٩٧٤).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/٤٠٠)، في التفسير، سورة ﴿قل هو الله أحد﴾.

قوله: «الصمد»: هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد، وقيل: هو الدائم الباقي، وقيل: هو الذي لا جوف له، وقيل: الذي يصمد في الحوائج إليه: أي يقصد. اهـ. النهاية (٣/٥٢).

المعنى

سبحانه ما يستطيع أحد عليه ثناء كما أثنى هو على نفسه لذلك جعل هذه السورة تعدل ثلث القرآن والرجل الذي كان يقرؤها كل صلاة فقال: إني أحبها فأخبره النبي ﷺ أن الله يحبه لحبه إياها، فعن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قل هو الله أحد﴾، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك»، فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله =

= يحبه»[1]، وهنا عن النبي ﷺ عن رب العزة عز وجل أنه قال: «كذبني بني آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك»، قال الحافظ ابن حجر[2]: والمراد به بعض بني آدم، وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان والدهرية ومن ادعى أن لله ولداً من العرب أيضاً ومن اليهود والنصارى. اهـ. تعالى الله عما يقول الظالمون الكافرون علواً كبيراً.

قوله: **فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني»**، كما قال تعالى عن من أنكر البعث: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾[3]، فرد الله تعالى عليه: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٍ**﴾، ثم عدد له القدرة العظيمة التي خلقت الأعاجيب، فكيف إعادتها تعجزها بعد إماتتها!!! ﴿**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، فقال تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾[4]، ثم بين سبحانه أنه يخلق بكلمة فلا مشقة ولا نصب ولا لغوب: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[5].

قوله: «**وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**»: أي البدء ليس بأهون من الإعادة حتى تشق عليه كما بدأ، فكله عليه هين سبحانه، قال البخاري: قال الربيع بن خثيم والحسن: كل عليه هين[6] اهـ. =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/١٣٨) في صلاة المسافرين وقصرها، باب قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ (ح٢٦٣/٨١٣).

(٢) فتح الباري (١٨/٤٠٠/٤٠١).

(٣) سورة يس، آية (٧٩).

(٤) سورة يس، آية (٨٣).

(٥) سورة يس، آية (٨٢، ٨٣).

(٦) صحيح البخاري (١٣/١٣) كتاب بدء الخلق.

«وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً»: سبحانه قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]، وقد رد الله تعالى عليها في القرآن الكريم كثيراً مدحضًا لها نافيًا لها قاضيًا عليها متوعدًا من يقولها بالعذاب الشديد؛ لأنه لا يليق به سبحانه ذلك، ولا يجوز عليه، بل محال في حقه سبحانه، والذي ابتدعها هم النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة، وكذلك اليهود ومن على شاكلتهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2].

قوله: «وأنا الله الأحد الصمد»: قوله: «الأحد»: قال ابن كثير[3]: يعني هو الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا ند له ولا شبيه له ولا عديل له، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله اهـ.

قوله: «الصمد»: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار. اهـ.

قوله تعالى: «لم ألد ولم أولد»: أي ليس له والد ولا ولد ولا والدة ولا صاحبة؛ سبحانه فهذه صفات نقص لا تليق بمن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]، قال عز وجل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ =

(١) سورة المؤمن، آية (٩١).

(٢) سورة التوبة، آية (٣٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٥٧٠).

(٤) سورة الشورى، آية (١١).

= لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيمٌ ﴾[1]، وهو سبحانه منزه عن كل نقص، قال ابن كثير[2]: أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبه. اهـ. قال ابن حجر[3]: ولما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته قديمًا موجودًا قبل وجود الأشياء، وكان كل مولود محدثًا انتفت عنه الوالدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه أحد حتى يكون له من جنسه صاحبة فتتوالد انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾[1]. اهـ.

قوله تعالى: «ولم يكن لي كفوًا أحد»: ليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير ولا ضد ولا ند، فكل ما خطر ببالك فالله غير ذلك، قال الحافظ ابن حجر[3]: ومعنى الآية أنه لم يماثله أحد ولم يشاكله. اهـ. وقال ابن كثير[2]: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه؟! تعالى وتقدس، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[4].

(١) سورة الأنعام، آية (١٠١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٧٠).

(٣) فتح الباري (١٨/٤٠٠، ٤٠١).

(٤) سورة مريم، آية (٨٨:٩٥).

مبحث: عظيم حق الله تعالى لا تكافئه عبادة

١٤ - عن عتبة بن عبد قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«لَوْ أَنَّ رَجُلاً يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَحَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

---

[١٤] أخرجه أحمد في المسند (٤/١٨٥) من طريق خالد بن معدان عن عتبة مرفوعًا واللفظ له.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٥١)، وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير، وقال: رجاله رجال الصحيح. اهـ. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد أيضًا (١٠/٢٢٥)، وقال: رواه أحمد، وإسناده جيد.

قوله: «هرمًا»: الهرم: الكبر. اهـ. نهاية (٥/٢٦١).

تنبيه: كلمة «يخر» عند أحمد بالجيم، وذكرها الهيثمي بالخاء المعجمة، وكذلك ابن المبارك في الزهد (ص١٢ ح٣٤)، لكن بلفظ الماضي «خر»، وقد أخذت رواية أحمد لاختيار للفظها بالذات.

قوله: «يخر»: خَرَّ: يَخِرُّ: إذا سقط من علو. اهـ. نهاية (٢/٢١).

المعنى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١)، وقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(٣)، لذلك فبسبب تلك الصفات الكاملة لربنا العظيم الذي كمل في كل =

---

(١) سورة الزمر، آية (٦٧).

(٢) سورة النحل، آية (١٨)، وسورة إبراهيم آية (٣٤).

(٣) سورة لقمان آية (٢٠).

مبحث: الاستعاذة بالله عز وجل

١٥ - عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «**أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**».

= شيء فهو السيد الذي كمل سؤدده، الكريم الذي كمل في كرمه، الحليم الذي كمل في حلمه، العليم الذي كمل في علمه، الجبار الذي كمل في جبروته، ذو الأسماء الحسنى العليا كلها، فله الكمال المطلق كله، وقد تنزه عن كل نقص تحيرت العقول في ذاته، وعجزت أن تحصى نعمه في مخلوقاته، لذلك أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ قائلاً: «لو أن رجلاً يخر على وجهه»، وفي المجمع: «خر على وجهه»، وهو أصح بالخاء المعجمة بعدها راء مهملة مشددة، أي سقط على وجهه ساجداً شاكراً معظماً لله رب العالمين «من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً»، أي طيلة حياته إلى أن يموت شيخاً كبيراً «في مرضاة الله عز وجل»، أي السجود العمر كله، «لحقره يوم القيامة»، أي لاستقل ذلك واستحقره يوم أن تظهر له عظمة الله تعالى ويراه، ويرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك بما يكافئ نعمك أو قريباً واغفر لنا تقصيرنا، فإنا لا نعلم، الله أعلم.

مبحث: الاستعاذة بالله عز وجل

[١٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٤/٢٨) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (ح٧٣٨٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٣٩/١٧) في الذكر والدعاء باب الأدعية.

المعنى

كان النبي ﷺ يقول: «والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(١)، لذلك كان ﷺ أكثر الناس ذكراً لله واستعاذة به سبحانه وخشية منه وطاعة له، وكان من دعائه =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٢/٢٢) في الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب (ح٣١٢).

= ﷺ كما أخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول ـ أي يدعو فيقول ـ: «أعوذ بعزتك»، قال ابن الأثير[1]: والعزة: القوة والشدة والغلبة. اهـ.

قوله: «لا إله إلا أنت»: أي لا معبود بحق سواك، فأنت الإله الحق وحدك صاحب العز الذي لا يرام والملك الذي لا يضام.

قوله: «الذي لا يموت»: أي أبداً، واحد بلا ابتداء آخر بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد.

قوله: «والجن والإنس يموتون»: كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]. قال الحافظ ابن حجر[3]: قوله: «والجن والإنس يموتون»: استدل به على أن الملائكة لا تموت، ولا حجة فيه؛ لأنه مفهوم لقب ولا اعتبار له، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه، وهو عموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[4]. اهـ. سبحانه هو القائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[2].

ملاحظة: أما قول الحافظ على قوله: «والجن والإنس يموتون» مفهوم لقب ولا اعتبار له: أي لا اعتبار بتخصيص الجن والإنس بالموت، فإنهم نعم يموتون، ولكن لا تمنع العبارة اتصاف غيرهم بالموت كالملائكة ودونهم من سائر ذوات الأرواح وغيرهم، والله أعلم.

وقد ذكرت هذا الحديث في الرقاق لذكر عزة الله تعالى فيه واختصاصه سبحانه بالبقاء وحده وتقديره الفناء على سواه، والله أعلم.

---

(١) النهاية (٣/٢٢٨).

(٢) فتح الباري (٢٨/١٤٥).

(٣) سورة الرحمن، آية (٢٦).

(٤) سورة القصص، آية (٨٨).

مبحث: قول النبي ﷺ: «يد الله ملأى»

١٦ - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

١٧ - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يَمينُ اللهِ مَلأَى لا يَغيضُهَا، سَحاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ: قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**».

---

[١٦] أخرجه مسلم في صحيحه (٧/٨٠) في الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

[١٧] أخرجه مسلم في صحيحه (٧/٨٠/٨١) في الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

قوله: «**لا يغيضها**»: أي لا ينقصها. اهـ. نهاية (٣/٤٠١).

قوله: «**سحاء**»: بالمهملتين السين والحاء المفتوحتين: أي دائمة الصب والهطل بالعطاء. اهـ. نهاية (٢/٣٤٥).

قوله: «**القبض**»: بالقاف: الموت وبالفاء: الإحسان والعطاء والرزق الواسع. اهـ. شرح مسلم (٧/٨١).

ملاحظة: يتصل هذا الحديث بما قبله من جهة أن كليهما في بيان عظيم صفات الخالق عز وجل، فالأول فيه ذكر العزة ودوام البقاء، وهذا فيه تمام الكرم والعطاء.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ - أي في الحديث القدسي - أن الله تبارك وتعالى قال له ﷺ: «أنفق أنفق عليك»، أي أخرج من يدك المال في =

= الخير أعطك أكثر مما تحتاجه وزيادة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1].

قال النووي[2]: قوله عز وجل: «أنفق أنفق عليك»: هو معنى قوله عزوجل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1]، فيتضمن الحث على الإنفاق معنى في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى. اهـ.

وفي الحديث الثاني يقول ﷺ: «يمين الله ملأى»، وفي الحديث الصحيح: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذي يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[3].

وقوله ﷺ: «لا يغيضها سحاء الليل والنهار» لذلك قال ﷺ: «أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض»، فكم أطعم وأسقى وكسى وأغنى، وكل هذا لم ينقص مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أخذ من بلل البحر، فكم نقص البحر من الماء ببلل المخيط؟ لا يكاد يذكر، قال ﷺ عن ربه عز وجل في الحديث القدسي عند مسلم[4]: «يا عبادي؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر...» الحديث. واليد صفة من صفات الله تعالى، ليست بجارحة، وربنا سبحانه وتعالى له يدان كما نطق بذلك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «وكلتا يديه يمين»[3]، ولكن لا تشبه أيدي المخلوقين، ولا يُؤَوَّلُ لفظها، فليس المقصود بها القدرة؛ لأن الله تعالى ذكر القدرة في كتابه فكان من الممكن أن يذكر القدرة بدلاً من اليد=

(١) سورة سبأ، آية (٣٩).

(٢) شرح مسلم (٧/٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢/٢٩١) في الإمارة (ح١٨٢٧)، باب فضيلة الإمام العادل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٣١) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

= فاليَد: يَدٌ بلا تأويل لـلَّفظ، ولا تشبيه بالمخلوق، تعالى الله، ولا تعطيل للنص، ولا تفويض إلا في الكيفية، فالله أعلم بمراده، وقد مضى أقوال أهل العلم في مثل ذلك، والله أعلم، والحمد لله وحده.

وقوله: «فإنه لم يغض ما في يمينه»: أي مع كثرة الإنفاق العظيم الكثير الدائم لم ينقص مما في يمينه شيء، قال النووي[1]: والسح: الصب الدائم، والليل والنهار في هذه الرواية منصوبان على الظرف، ومعنى لا يغيضها شيء أي لا ينقصها، وأراد الإخبار بأن الله تعالى لا ينقصه الإنفاق ولا يمسك خشية الإملاق، جل الله عن ذلك، وعبر ﷺ عن توالي النعم بسح اليمين. اهـ.

وقوله: «وعرشه على الماء»: كما قال الله عز وجل: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[2].

قوله ﷺ: «وبيده الأخرى القبض؛ يرفع ويخفض» إذا كان القبض بالقاف فلعل المعنى أن الموت بيد الله عز وجل لا بيد غيره يرفع المؤمنين فيدخلهم بعد الموت؛ الجنة ويخفض الكافرين فيدخلهم النار وبئس القرار والعياذ بالله تعالى.

وفي رواية بالفاء أي الفيض وهو الإحسان والزيادة، فيزيد سبحانه أقوامًا برفع الفيض من فضله ويخفض آخرين بعدله، قال النووي[1]: قوله ﷺ: «وبيده الأخرى القبض يخفض ويرفع» ضبطوه بوجهين أحدهما الفيض بالفاء والياء المثناة تحت والثاني القبض بالقاف والباء الموحدة، قاله القاضي، ومعنى القبض: الموت وأما الفيض، فالإحسان والعطاء والرزق الواسع، قال وجاء في رواية أخرى: «وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[3] فقد يكون عبارة عن الرزق ومقاديره، وقد يكون عبارة عن جملة المقادير، ومعنى يخفض ويرفع: قيل: هو عبارة عن تقدير الرزق =

---

(١) شرح مسلم (٧/ ٨٠، ٨١).

(٢) سورة هود، آية (٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/ ١٧٤) في التوحيد (ح ٧٤١١).

مبحث: العز والكبرياء لربنا تعالى وحده

١٨ - عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «**الْعِزَّةُ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**».

١٩ - وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءٍ**».

= على من يشاء ويوسعه على من يشاء، وقد يكونان عبارة عن تصرف المقادير بالخلق بالعز والذل، والله أعلم. اهـ، ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[1].

مبحث: العز والكبرياء لربنا تعالى وحده

[١٨] أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٣/١٦) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر.

وأخرجه أبو داود في اللباس، باب ما جاء في الكبر (١٥٠/١١).

وأخرجه ابن ماجه في الزهد (١٣٩٧/٢)، باب البراءة من الكبر.

وأخرجه أحمد في المسند (٢٤٨/٢، ٣٧٦).

[١٩] أخرجه مسلم في صحيحه (٩٠/٢) في الإيمان، باب تحريم الكبر.

أخرجه أبو داود في سننه (١٥٠/١١، ١٥١) في اللباس، باب ما جاء في الكبر.

وأخرجه الترمذي في البر (١٣٥/٦)، باب ما جاء في الكبر.

وأخرجه ابن ماجه في الزهد (١٣٩٧/٢)، باب البراءة من الكبر. =

---

(١) سورة يس، آية (٨٣).

= قوله: «مثقال حبة خردل»: المثقال في الأصل: مقدار من الوزن، أي شيء كان من قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرة: وزن ذرة. اهـ. نهاية (٢١٧/١)، كذلك مثقال حبة أي وزن حبة.

المعنى

يخبر أبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: أي عن رب العزة عز وجل فصيغة الحديث توجب أنه قدسي في آخره، أما أوله فهو نبوي قال: «العز إزاره والكبرياء رداؤه»، قال النووي[1]: فالضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره، قال الله تعالى: «ومن ينازعني ذلك أعذبه»، ومعنى ينازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه، قال: ومعنى الاستعارة هنا: أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه وهما جمال له قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق، وله ألزم واقتضاهما جلاله. اهـ. والكبر يليق به سبحانه وحده فهو أهل له، فله صفات الكمال كله والخلق من صفاتهم النقص، فلا يليق بناقص أن يتكبر وفوقه الكامل الذي له صفات الكمال كلها عز وجل.

وفي الحديث الثاني يخبرنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»، أي جزاء من كان في قلبه مقدار وزن حبة خردل من إيمان أن لا يدخل النار إلا إذا كان له أعمال أخرى توجب دخوله النار والعياذ بالله فيوزن العمل ويكون جزاؤه مع الراجح؛ لأنه ربما عمل ما يوجب دخوله النار، كأن أتى بشقي هذا الحديث الشريف، فكان فيه وزن حبة خردل من إيمان، وفي نفس الوقت فيه وزن حبة خردل من كبر فتوزن الأعمال، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ =

(١) شرح مسلم (١٧٣/١٦، ١٧٤).

= موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾[1]، وقيل: المنفي هو دخول الكفار، لكن ممكن أن يدخلها بذنوبه، ثم يخرج مع الموحدين الخارجين كما اقتضت أدلة الشرع الحنيف كحديث البخاري: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان...» الحديث[2]، قال النووي[3]: وأما قوله ﷺ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» فالمراد به دخول الكفار وهو دخول الخلود، وقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»[4]، قال: فيه النهي عن الكبر المعروف، وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق وتأويله ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين - فأرجحها عندي - قوله: قيل هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم سبحانه بأنه لا يجازيه بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولاً وإما ثانيًا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وقيل: لا يدخلها مع الموحدين أول وهلة. اهـ. والسابق أرجح لموافقته للحديث، وقال: صاحب التحفة[5]: قال الطيبي في قوله ﷺ: «مثقال حبة»: إشعار بأن الإيمان قابل للزيادة والنقصان. قلت: الأمر كما قال الطيبي، فلا شك في أن هذا الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص. اهـ. فاللهم إنا نعوذ بك من الكبر وما يوجب النار برحمتك يا عزيز يا غفار، والله أعلم.

---

(١) سورة المؤمنون، آية (١٠٢، ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٧٧) في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (ح٤٤).

(٣) شرح مسلم (٢/٩١).

(٤) ولفظ الحديث: «لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء».

(٥) تحفة الأحوذي (٦/١٣٦).

مبحث: فضل الدعاء
والتذلل فيه لرب العالمين الحيي الكريم

٢٠ - عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**».

---

[٢٠] أخرجه الترمذي في سننه (٥٤٤/٩) في الدعوات، (ح٣٦٢٧)، وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه.

وأخرجه أبو داود في سننه (٣٥٩/٤) في الوتر، باب الدعاء، (ح١٤٧٤).

وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٢٧١/٢) باب رفع اليدين في الدعاء.

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٧/١، ٦٧٥) في الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر وصححه ووافقه الذهبي (ح١٨٣٠، ١٨٣١).

المعنى

يخبرنا سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله حيي كريم**»، وعند أبي داود: «إن ربكم حيي كريم»، قال صاحب التحفة كلامًا طيبًا في ذلك، فقال رحمه الله تعالى: قوله: «إن الله حيي»: فعيل من الحياء، ووصفه تعالى بالحياء يحمل على ما يليق كسائر الصفات نؤمن بها ولا نكيفها. قوله: «كريم»: يعطي من غير سؤال، فكيف بعده؟! اهـ. أي بعد السؤال خاصة مع التذلل والخضوع ورفع اليدين والخشوع وأكل الحلال كما في الحديث: «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[1] وفي حديث مسلم[2]: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»، أي أتى بمقتضيات الإجابة للدعاء، لكن مع =

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٥/١٠، ٥٢١ ح١٨١٠١) عن ابن عباس عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم وعزاه للطبراني في الصغير، وقال: فيه من لم أعرفهم. اهـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٩/٧) في الزكاة (ح١٠١٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

مبحث: قول النبي ﷺ: «لا؛ ومقلب القلوب»

٢١ ـ عن سالم عن عبدالله قال: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لاَ؛ وَمُقَلِّبَ القلوب».

= الحرام كيف يستجاب له؟

قوله: «يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»، وعند الحاكم: «يستحي من عبده أن يبسط إليه يديه ثم يردهما خائبين»، أي إما آجلاً وإما عاجلاً، وإما أن يدفع عنه من السوء بقدره.

قال صاحب عون المعبود: في قوله: «يستحي من عبده»، أي المؤمن: «أن يردهما صفرًا» بكسر الصاد وسكون الفاء، أي: فارغتين خاليتين من الرحمة، قال الطيبي: يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع، قاله الفارسي. اهـ، أي في قوله: «صفرًا».

قوله: «خائبتين»: من الخيبة وهو الحرمان ـ والعياذ بالله تعالى ـ وفي الحديث دلالة على استحباب رفع اليدين في الدعاء والأحاديث فيه كثيرة، وأما حديث أنس[1] رضي الله عنه كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء، فالمراد به المبالغة في الرفع، والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ: «لا؛ ومقلب القلوب»

[٢١] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/١٥٣) في التوحيد، باب مقلب القلوب (ح٧٣٩١).

المعنى

إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف يشاء، إنها لا =

( ) عون المعبود (٤/٣٦٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٠٨) في أبواب الاستسقاء (ح١٠٣١).

= يملكها صاحبها، إنما يملكها خالقها، فالهداية نعمة من الله عز وجل لا تنال بالاكتساب، إنما يمنحها من يملك القلوب، والقلب كثير التقلب، لذلك يقول عبد الله بن عمر: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا؛ ومقلب القلوب». قال الحافظ ابن حجر[1]: قال الراغب: تقليب الشيء تغييره من حال إلى حال، والتقليب: التصرف، وتقليب الله تعالى القلوب والبصائر: صرفها من رأي إلى رأي. اهـ. وقال الكرماني[1]: ويستفاد منه أن أعراض القلب كالإرادة وغيرها بخلق الله تعالى، وهي من الصفات الفعلية، ومرجعها إلى القدرة. اهـ. وقد استدل الإمام البخاري[2] على تقليب القلوب بقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾[3]، قال ابن حجر[1]: ويستفاد منها أن أعراض القلب من إرادة وغيرها تقع بخلق الله تعالى، وفيه حجة لمن أجاز تسمية الله تعالى بما ثبت في الخبر ولم يتواتر، وجواز اشتقاق الاسم له تعالى من الفعل الثابت، ثم قال ابن حجر[4]: ومقلب القلوب هو القسم به، والمراد بتقليب القلوب تقليب أعراضها وأحوالها لا تقليب ذات القلب اهـ. ثم قال: فمعنى الحديث: أن الله يتصرف في قلوب عباده بما يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها ولا تفوته إرادة، ثم قال: وفي دعائه ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[5] إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء، ودفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك، وخص نفسه بالذكر إعلامًا بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك. اهـ، والله أعلم، فاللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وثبت قلوبنا على دينك.

(١) فتح الباري (١٠٣/٢٨).

(٢) صحيح البخاري (١٥٢/٢٨)، في التوحيد، باب مقلب القلوب، وقوله تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾.

(٣) الآية من سورة الأنعام، آية (١١٠).

(٤) فتح الباري (١٢/٢٥).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٥١/٦) من حديث عائشة مرفوعًا بزيادة «وطاعتك».

مبحث: قوله ﷺ:
«إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنه معكم، إنه سميع قريب»

٢٢ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشْرَفْنَا على وادٍ هَلَّلنا وكبَّرنا، ارتفعتْ أصواتُنا، فقال النبي ﷺ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ».

---

[٢٢] أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٩٩) في الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، (ح٢٩٩٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٧/٢٥، ٢٦) في التوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر إلا في المواضع التي ورد الشارع برفعه فيها.

قوله: «أشرفوا»: أصله من الشرف: العلو، كأنه ينظر إليه من موضع مرتفع فيكون أكثر لإدراكه. اهـ. نهاية (٢/٤٦٢).

قوله: «أربعوا»: من ربع يربع إذا وقف وانتظر. اهـ. نهاية (٢/١٨٧).

المعنى

يخبر أبو موسى رضي الله عنه أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يقول: «فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا»، أي كانوا إذا صعدوا مكانًا عاليًا ارتفعت أصواتهم بالتهليل، وهو قول: لا إله إلا الله، والتكبير وهو قول: الله أكبر. قال الكرماني[1]: قوله: «أشرفنا»: يقال: أشرفت عليه اطلعت عليه. اهـ. قال الحافظ[2]: قال الطبري: فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين. اهـ. قال الحافظ[2]: وتصرف البخاري يقتضي أن =

---

(١) شرح البخاري للكرماني (١٣/١١، ١٢).

(٢) فتح الباري (١٢/٩٩).

= ذلك خاص بالتكبير عند القتال: أما رفع الصوت في غيره فقد تقدم في كتاب الصلاة حديث ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على العهد النبوي إذا انصرفوا من المكتوبة. اهـ.

قوله: فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، إربَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**»: أي ارفقوا بأنفسكم، وَبِدَوَابِّكُمْ واخفضوا أصواتكم فإن الذي تدعونه سبحانه ليس بأصم لا يسمع سبحانه وتعالى، ولا غائبًا لا يدري إنه سميع يسمع دبيب النملة السوداء، ويرها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، بل يعلم كما قال سبحانه: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[1]، فإذا كان يعلم ما خفي فكيف بما يظهر؟ وكله عليه هين سبحانه، زاد مسلم: «وهو معكم»: أي بعلمه سبحانه: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[2]، قال النووي[3]: إربعوا بهمزة فصل وبفتح الباء الموحدة معناه: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإن دعت الحاجة إلى الرفع رفع. اهـ. وقال الكرماني[4]: قوله: «سميع» في مقابلة الأصم، «قريب» في مقابلة الغائب. اهـ.

وقوله: «**تبارك اسمه وتعالى جده**»: أي تعاظم اسمك يا رب وعلت عظمتك. =

---

(١) سورة غافر، آية (١٩).

(٢) سورة طه، آية (٥).

(٣) شرح مسلم (١٧/٢٦).

( ) النهاية (١/١٤٤).

(٤) شرح البخاري للكرماني (١٣/١١، ١٢).

مبحث: قوله تعالى:
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾

٢٣ - عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**».

= قال ابن الأثير: في حديث الدعاء «تبارك اسمك وتعالى جدك»: أي علا جلالك وعظمتك، والجد: الحظ والسعادة والغنى. اهـ. والله أعلم.

مبحث: قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾

[٢٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٧/١٦٤) في التفسير لسورة الأنعام، باب ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ ح٤٦٢٧.

أخرجه البخاري في صحيحه مختصراً (١٨/١٣٨)، في التفسير لسورة لقمان باب قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ (ح٤٧٧٧).

أخرجه البخاري في صحيحه في التوحيد (٢٨/١٣٦)، باب قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ (ح٧٣٧٩).

قوله: «**مفاتح**»: جمع مِفتح بكسر الميم: الآلة التي يفتح بها، مثل منجل ومناجل وهي لغة قليلة في الآلة. اهـ. فتح (١٧/١٦٤).

قوله: «**الغيث**»: هو المطر. اهـ. نهاية (٣/٤٠٠).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ... الآية**﴾[1]: سبحانه اختص نفسه بهذه الخمس تعجيزاً لعباده ليذلوا له أكثر =

---

(١) سورة الجن، آية (٢٦).

= ويقرّوا له بالقدرة والعبودية، وحتى يعلم الكافر أنه عاجز عن معرفة يوم موته ومكانه وماذا يحدث له غداً أو لغيره بالرغم من قرب غد لليوم، لذلك قال نبينا ﷺ: «مفاتح الغيب خمس». قال ابن حجر[2]: المفاتح جمع مِفتح بكسر الميم الآلة التي يفتح بها، ثم قال: ويطلق المفتاح على ما كان محسوساً مما يحل غلقاً كالقفل، وعلى ما كان معنوياً كما جاء في الحديث، وأخرج الطبري[3] بسنده إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتح الغيب»، قال الطبري[3]: فكأن معنى الكلام: وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعمله نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء؛ لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم فأخبره تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن ما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب. اهـ. وقد روى البخاري معناه في التوحيد، قال الحافظ ابن حجر[4]: وأما قوله تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ...** ﴾ الآية، فيمكن أن يفسر بما في حديث الطيالسي. قلت: هو كحديث ابن مسعود الذي أخرجه الطبري[3]: «أوتي نبيكم مفاتيح الغيب إلا خمس»، وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال: إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال: إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله: ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب والولي تابع للرسول وعن الرسول يأخذ وبه يكرم، والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولي لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام، والله أعلم.

---

(١) سورة الجن، آية (٢٦).

(٢) فتح الباري (١٧/١٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٢١٠ح١٣٣٠٩).

(٤) فتح الباري (١٨/١٢٩).

= قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ قال ابن حجر[1]: إشارة إلى علوم الآخرة، فإن يوم القيامة أولها، وإذا نفى علم الأقرب انتفى علم ما بعده. اهـ. فسبحانه اختص نفسه بعلم الساعة وما بعدها، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ قال ابن الأثير[3]: الغيث هو المطر. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر[1]: إشارة إلى أمور العالم العلوي، وخص المطر مع أن له أسبابًا قد تدل بجري العادة على وقوعه، لكنه من غير تحقيق. اهـ. قال الحافظ ابن كثير[4]: وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء من خلقه. اهـ.

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾: قال ابن حجر[5]: وخص الرحم بالذكر لكون الأكثر يعرفونها بالعادة، ومع ذلك فنفى أن يعرف أحد حقيقتها فغيرها بطريق أولى. اهـ. وقال الحافظ ابن كثير[4]: وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلق الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى أو شقيًا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: قال الحافظ ابن حجر[1]: في قوله ﷺ: «ولا يعلم ما في غد إلا الله» إشارة إلى أنواع الزمان وما فيها من الحوادث وعبر بلفظ «غد» لتكون =

---

(١) فتح الباري (١٣٩/٢٨).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٨٧).

(٣) النهاية (٤٠٠/٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٥٣/٣).

مبحث: إن السيد هو الله تبارك وتعالى

٢٤ ـ عن مطرف قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ»، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».

= حقيقته أقرب الأزمنة، وإذا كان مع قربه لا يعلم حقيقة ما يقع فيه مع إمكان الأمارة والعلامة، فما بعد عنه أولى. اهـ. وقال: وفي قوله ﷺ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ إشارة إلى أمور العالم السفلي مع أن عادة أكثر الناس أن يموت ببلده، ولكن ليس ذلك حقيقة، بل لو مات في بلده لا يعلم في أي بقعة يدفن فيها. اهـ. وقال الحافظ ابن كثير[1]: وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[2] اهـ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3]: قال النسفي في تفسيره[4]: ﴿ ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بالغيوب ﴿خَبِيرٌ﴾ بما كان ويكون. اهـ. والله أعلى وأعلم.

مبحث: إن السيد هو الله تبارك وتعالى

[٢٤] أخرجه أبو داود في سننه (١٣/١٦١) في الأدب، باب في كراهية التمادح (ح٤٧٨٥).

وأخرجه أحمد في المسند (٤/٢٥). =

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٥٣).

(٢) سورة الأنعام، آية (٥٩).

(٣) سورة لقمان، آية (٣٤).

(٤) تفسير النسفي (٣/٢٨٦).

= قال صاحب عون المعبود (١٦٢/١٣): قال السندي: وحديث عبد الله بن الشخير إسناده صحيح. اهـ.

قوله: «طولاً»: الطول: العطاء. اهـ. بتصرف نهاية (١٤٥/٣).

قوله: «ولا يستجرينكم الشيطان»: أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جَرِيًا: أي رسولاً ووكيلاً. اهـ. نهاية (٢٦٤/١).

قوله: «وفد»: الوفد: هم القوم يجتمعون ويردون البلاد، واحدهم وافد. اهـ. نهاية (٢٠٩/٥).

المعنى

يخبر مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أنهم انطلقوا في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال ﷺ: «السيد الله»، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، قال ابن الأثير[2]: في قوله: «السيد الله»: أي هو الذي تحق له السيادة. اهـ. وقال في عون المعبود[3]: أي هو الحقيق بهذا الاسم قال القاري: أي الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم هو الله سبحانه ثم قال عن النبي ﷺ: وهذا لا ينافي سيادته المجازية الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية؛ حيث قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[4]، أي لا أقول افتخاراً بل تحدثًا بنعمة الله تعالى. اهـ. قال النووي: لم يقله فخراً بل صرح بنفي الفخر[5] اهـ. وقال أيضًا: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول =

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٤).

(٢) النهاية (٤١٧/٢).

(٣) عون المعبود (١٦١/١٣).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٠٥/٢، ٦٦١) في التواريخ (٤١٨٩)، وقال: صحيح.

(٥) شرح مسلم (٥٤/١٥ ح٣٣٧٨).

= مشفع»[1] ﷺ.

وقوله: «**قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً**»: أي أنت يا رسول الله سيدنا في كل شيء ومنه أنك أفضلنا مزية ومرتبة ومقامًا وعبادة وعلمًا ونسبًا وغيرهم، وأكثرنا عطاء وكرمًا. قال في العون[2]: «وأفضلنا فضلاً»: أي مزية ومرتبة، «وأعظمنا طولاً»: أي عطاء للأحياء وعلوًا على الأعداء. اهـ.

قوله: «**فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم أو بعض قولكم**»: قال في العون[2]: قولوا قولكم الذي جئتم لأجله ودعوا غيركم مما لا يعنيكم. «**ولا يستجرينكم الشيطان**»: أي لا يتخذنكم جَرِيًا بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية، أي كثير الجرى في طريقه ومتابعة خطواته، وقيل: من الجراءة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز. اهـ. كما قال ﷺ: «لا تُطْروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[3]: وقال ابن الأثير[4]: «قولوا بقولكم»: أي ادعوني نبيًا ورسولاً كما سماني الله، ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم، فإني لست كأحدهم ممن يسودكم في أسباب الدنيا. اهـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥/٥٤) في الفضائل (ح٢٢٧٨) باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٢) عون المعبود (١٣/١٦١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٥٠ ح٣٤٤٥) في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾.

(٤) النهاية (٢/٤١٧).

مبحث: قوله تعالى:
﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ...﴾ الآية

٢٥ - عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**».

---

[٢٥] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٧/٢٨) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾ الآية (ح٧٤٨١).

قوله: «**خضعانًا**»: هو جمع خاضع اهـ. فتح (٢٤٧/٢٨).

قوله: «**صفوان**»: الصفوان: الحجر الأملس. اهـ. نهاية (٤١/٣).

قوله: «**فزع**»: أي ذهب عنهم الفزع. اهـ. تفسير الطبري (٣٧٢/١٠).

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله**»: أي خاضعين ذليلين لكلامه تعالى غير معترضين خائفين راهبين، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١]؛ لأنهم قريبون من ربنا، لهم علم بعظمته وجبروته وكبريائه، لذلك كان النبي ﷺ يقول لأصحابه: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»[٢].

وقوله: «**كأنه سلسلة على صفوان**»: أي صوت الأجنحة للملائكة الخاضعة =

---

(١) سورة التحريم آية (٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٥/٥) في الكسوف.

= لأمر الله تعالى كأنه صوت سلسلة من الحديد على حجر أملس، وفي الرواية تفسير عَلِي شَيْخ البخاري: «صفوان ينفذُهم ذلك»: قال الحافظ[1]: أي ينفذ الله تعالى ذلك القول إلى الملائكة. اهـ.

قوله: «**فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير**»: وفي رواية مسلم[2] عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ قال: «ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا...» الحديث.

وفسر ابن مسعود رضي الله عنه الآية الكريمة تفسيراً طيبًا بينًا ﴿ **حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾[3]، فقد أخرج الطبري عنه رضي الله عنه[4] في هذه الآية ﴿ **حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ** ﴾ قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتًا كَجَرِّ السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا ﴿ **مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ** ﴾ قال: فيقول: من شاء، قال الحق، وهو العلي الكبير. اهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٢٨/٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٢٢٦) في الآداب، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهانة.

(٣) سورة سبأ آية (٢٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسير (١٠/٣٧٢) في تفسير سورة سبأ (ح٢٨٨٤١).

مبحث: مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل

٢٦ - عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ، لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ».

---

[٢٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢١٧) في الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله تعالى.

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٧/١٣٨) في تفسير سورة لقمان (ح٤٧٧٨).

المعنى العام

قال الله عز وجل في سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١) فالله عز وجل اختص نفسه بعلوم لا يعلمها أحد إلا هو سبحانه إلا أن يعلم أحد من خلقه بعضها، قال الله عز وجل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾(٢)، فلا يحق لأحد أن يدعي علم الغيب، ومن ادعى علم الغيب فقد كفر والعياذ بالله تعالى وكذب نفسه؛ لأنه ادعى علم ما لم يعلم، وذلك ظاهر لا يحتاج إلى برهان، فمن ادعى ذلك فليخبرنا بتفصيل ساعات يوم واحد وليكن غداً مثلاً فلن يستطيع ذلك أبداً، ولو رتب كل ترتيب وأعد كل عدة وخط كل خط، فالذي يعلم ذلك كله هو الله عالم الغيب علام الغيوب سبحانه، فوجب على العبد أن =

---

(١) سورة لقمان، آية (٣٤).

(٢) سورة الجن، آية (٢٦، ٢٧).

مبحث : كلام الله تعالى
لعبد الله بن حرام كفاحًا بعد الشهادة

٢٧ ـ عن جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «**يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا**»؟ قلت: يا رسول الله؛ استشهد أبي وترك عيالاً وديناً، قال: «**أَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ**»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: «**مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ وَأَحْيَى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...** ﴾ الآية.

= يحذر غضب الله المترتب على المعاصي التي يفعلها العبد غير مكترث بها مغتراً بحلم الله تعالى عنه، وقد أعد له في علم الغيب عقوبة لا يطيقها والعياذ بالله، كذلك لا يعلم أحد ما في النطفة هل ذكر أو أنثى إلا الله عز وجل.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ : فكم من قوي وحريص وخبير بأمور كثيرة من الدنيا قد أعد العدة العظيمة والقوة والبأس الشديد لتحصين نفسه ثم مات وقتل في أرض ما كان يظن أن يشاك فيها بشوكة، كذلك لا يدري أحد متى يجيء المطر في أوقاته كلها إلا الله عز وجل؛ حيث قد يعلم بعض الناس بعض الأوقات لكن وجود من يعلم أوقات المطر دائمًا لا يتخلف وقت ـ وهذا هو العلم الحقيقي ـ هذا منعدم لا يوجد بفضل الله تعالى، والله أعلم.

مبحث : كلام الله تعالى لعبد الله بن حرام كفاحًا بعد الشهادة

[٢٧] أخرجه الترمذي في سننه (٨/٣٦٠) في التفسير، سورة آل عمران، (ح٤٠٩٧)، وقال: هذا حديث غريب.

= وأخرجه ابن ماجه في سننه (٦٨/١) في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح٢٨٠٠).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٢٤/٤، ح٤٩١٤) وقال: صحيح.

قوله: «**كفاحًا**»: قال ابن الأثير: ومنه حديث جابر: «إن الله كلم أباك كفاحًا» أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول اهـ. نهاية (١٨٥/٤).

المعنى

يخبر جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقيه فقال له: «**يا جابر؛ مالي أراك منكسرًا**»؟ أي مهمومًا حزينًا غير نشيط، **قلت: يا رسول الله؛ استشهد أبي وترك عيالاً ودينًا**، وفي رواية للبخاري[1]: «وترك تسع بنات كن لي تسع أخوات»: أي وأبي كان يقوم عليهم، وكذلك الدين فأهتم لأخواتي ودين أبي، ففي الحديث[2]: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن»، فهذا الذي أهم جابرًا خوفًا على أبيه، لذلك بشره النبي ﷺ بأعظم البشارة لأبيه وأرقها وأرجاها، فقال ﷺ: «**ألا أبشرك بما لقي الله به أباك**»؟ أي أأفجؤك بالبشارة العظيمة التي تنسيك همومك وتطمئنك على أبيك الذي تخاف عليه الدين، لقد وصل إلى أعلى مراتب الشهداء، قال: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «**وما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجابه**»، وحجابه سبحانه النور، وما كلم أحدًا إلا من ورائه، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[3]، قال: «**وأحيا أباك فكلمه كفاحًا**»: لأن ذلك في الآخرة، فكل الشهداء كلمهم الله تعالى وأكرمهم من وراء حجاب، لكن عبد الله بن حرام رضي الله عنه لقد صنع له حالاً عظيمًا فاق الأحوال وزاد النعيمَ نعيمًا والإكرامَ إكرامًا؛ لقد =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٤/١٥) في المغازي (ح٤٠٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٥/١٣) في الإمارة (ح١٨٨٦).

(٣) سورة الشورى، آية (٥١).

= أعطاه ما تطير له القلوب شوقًا وحنانًا، لقد قربه وأدناه، لقد رفعه وزكاه، لقد من عليه بما سيمن به على المؤمنين لكن بعد القيامة والصراط والوصول إلى جنات النعيم، لقد كشف له الحجاب العظيم حتى رأى وجه الله عز وجل الكريم، لقد «**أحيا أباك فكلمه كفاحًا فقال: تمن عليَّ أعطيك**»[1]، أي اطلب يا عبد الله تجد ما تريد، وقد قال لنا رب العالمين: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[2]، قال صاحب[3] التحفة: «**فكلمه كفاحًا**» أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. اهـ.

وقوله: «**قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية**»: أي ما أجد أفضل من أن ترجعني إلى الحياة الدنيا لأجاهد أعدائك فأستشهد في سبيلك لأرى ما رأيت من عظيم الكرامات.

وقوله: «**قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون**»: أي قضيت أن من ذهب إلى الآخرة لا يرجع إلى الأولى، قال تعالى: ﴿**لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[4].

قوله: «**قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾**[5] الآية، زاد ابن ماجه[ب]: «**قال: يا رب فأبلغ من ورائي**»: حتى يهتموا وينشطوا للجهاد لينالوا تلك المراتب السامية العالية، فنزلت هذه الآية بالبشرى العظيمة لمن استشهد ولمن ينتظر، فاللهم ارزقنا شهادة في سبيلك ترضى بها عنا يا رب العرش العظيم.

---

(١) هكذا في الحديث، ولغويًا: «تمن عليّ أعطك».

(٢) سورة ق، آية (٣٥).

(٣) تحفة الأحوذي (٨/٣٦٠، ٣٦١).

(٤) سورة الحجر، آية (٤٨).

(٥) سورة آل عمران، آية (١٦٩).

مبحث : خضوع الملائكة لأمر الله عز وجل

٢٨ - عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَت الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: ﴿الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُوا السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ».

---

[٢٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/١٥٦)، في التفسير، تفسير سبأ، باب ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم...﴾ الآية (ح٤٨٠٠).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/٢٤٧) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾ الآية (ح٧٤٨١).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٧/٢٧٠) في التفسير، تفسير الحجر، باب قوله ﴿إلا من استرق السمع...﴾ الآية (ح٤٧٠١).

قوله: «خضعانًا»: الخضعان مصدر خضع يخضع خضوعًا وخضعانًا ويجوز أن يكون جمع خاضع. اهـ. نهاية (٢/٤٣).

قوله: «كأنه سلسلة على صفوان»: أي السلسلة من الحديد على الصفوان الذي هو الحجر الأملس. اهـ، فتح (١٨/١٥٧).

= قوله: «مسترق السمع»: أي تستمع الجن السمع متخفية من السرقة كما يفعل السارق اهـ. انهاية (٢/٣٦٢).

قوله: «فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها»: قال ابن الأثير: يعني الكلمة المسترقة، وأراد بالشهاب الذي ينقض في الليل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشعلة من النار. اهـ. نهاية (٢/٥١٢).

قوله: «فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم»: أي كشف عنهم الفزع. اهـ. (٣/٤٤٤).

المعنى

سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[1]، سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، سبحانه: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[3].

وفي هذا الحديث الشريف يخبرنا نبينا ﷺ عن الملائكة المقربين ومدى طاعتهم لله تعالى وخوفهم وخشوعهم فيقول ﷺ: «إذا قضى الله الأمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله»: أي إذا تكلم الله عز وجل بالوحي في السماء ارتجفت السماء رجفة شديدة خضعانًا لأمر الله عز وجل ومهابة له، وكذلك الملائكة تسجد وجبريل معهم، ثم يرفع رأسه عليه السلام أولهم فيخبرهم بما قاله ملك الملوك ذو العزة والجبروت ويفسر ذلك ما أخرجه الطبري[5] في تفسير سورة سبأ عن النواس بن =

---

(١) سورة مريم، آية (٩٣).

(٢) سورة النحل، آية (٥٠).

(٣) سورة الأنبياء، آية (١٩، ٢٠).

(٤) فتح الباري (١٨/١٥٦، ١٥٨).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٣٧٣ح٢٨٨٤٩).

= سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال: رعدة شديدة ـ خوف أمر الله، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله».

قوله: «**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله**»: قال الحافظ ابن حجر[1] بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه، وهو مصدر بمعنى خاضعين. اهـ.

قوله: «**كأنه سلسلة على صفوان**»: قال ابن حجر[1]: قوله: «كأنه»: أي القول، قوله: «سلسلة على صفوان»: هو كقوله في بدء الوحي: «صلصلة كصلصلة الجرس»، وهو صوت الملك بالوحي، ثم بين أنه هو جر السلسلة من الحديد على الصفوان الذي هو الحجر الأملس يكون الصوت الناشئ عنهما سواء. اهـ.

قوله: «**فإذا فزع عن قلوبهم**»: قال ابن الأثير[2]: أي كشف عنهم الفزع. اهـ.

قوله: «**قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**» تفسيرها ما في رواية الطبري[3]: «فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرائيل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق وهو العلي الكبير...» الحديث، وقد تقدم.

قوله: «**فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض**» =

---

(١) فتح الباري (١٥٦/١٨، ١٥٨).

(٢) النهاية (٤٤٤/٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٣/١٠ح٢٨٨٤٩).

= وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه» قال ابن الأثير[1]: ومن الحديث: «تسترق الجن السمع»: هو تفتعل من السرقة: أي أنها تستمع كما يفعل السارق. اهـ. وقد وصف سفيان فعلهم فوق بعض لصعودهم بما بين الأصابع من الفراغات والترتيب.

قوله: «**فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته**»: أي يلقون إلى بعضهم ما سمعوه من الكلمة من الحق بقدر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾[2]، والعاقل ينظر إلى كذبهم في المائة كذبة، والسفيه ينظر إلى كلمة الحق ويغمض عن المائة كذبة.

قوله: «**حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن**»: قال ابن الأثير[3]: والسحر في كلامهم صرف الشيء عن وجهه. اهـ. وقال في الكاهن[3]: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار. اهـ. وقد نهى شرعنا الحنيف عن ذلك واعتبره ضلالاً.

قوله: «**فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه**»: قال ابن الأثير[4]: وأراد بالشهاب الذي ينقض في الليل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشعلة من النار. اهـ. ربما أدرك الشهاب الجني قبل أن يلقي الكلمة فلا يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه الشهاب فتصل إلى من تحته، وهذا أيضًا بقدر الله تعالى، فلا يحدث في الكون أمر لا يريده الله تعالى، وإن كان يحبه ويحدث حتمًا كل ما أراد سبحانه وإن كان لا يحبه ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[5].

=

(١) النهاية (٢/٣٦٢، ٥١٣).

(٢) سورة الأنبياء، آية (٣٥).

(٣) نهاية (٢/٣٤٦، ٤/٢١٤).

(٤) النهاية (٢/٣٦٢، ٥١٢).

(٥) سورة الأنبياء، آية (٢٣).

مبحث: من أحب كلام الله أحبه الله عز وجل

٢٩ - عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، فلما رجعوا ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذَلكَ»؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ».

= قوله: «فيكذب معها مائة كذبة»: أي القولة من الحق يخلط معها باطلاً يدلس على الناس، لذلك في الحديث: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1]. قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ... ﴾ الآية[2].

قوله: «فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا»؟ وفي رواية سورة الحجر توضح فيها: «ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقًا للكلمة التي سمعت من السماء» فيفتنهم بتلك الكلمة بالكذب الذي معها.

قوله: «فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء»: لذلك نهى ﷺ عن إتيانهم وتصديقهم وحذر منهم، فاللهم لا تجعلنا معهم ولا منهم وقنا الشر وأهله يا رب العالمين.

مبحث: من أحب كلام الله أحبه الله عز وجل

[٢٩] أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٩٥) في الصلاة، باب فضل قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾. =

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٨) في الإيمان (ح١٥).

(٢) سورة الجن، آية (٢٦، ٢٧).

= قوله: «سرية»: هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو، سموا بذلك لكونهم خلاصة العسكر[1]. اهـ.

المعنى

تخبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه بعث رجلاً على سرية - يعني في الجهاد - وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ويختم بـ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[2] أي كان إمام قومه، فكلما صلى بهم وقرأ سورة قرأ بعدها سورة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾، «**فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ**»: أي أخبروا رسول الله بصنيعه، فقال رسول الله ﷺ: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك**»؟ أي لما يصنع ذلك من عدم اقتصاره على الصمد أو غيرها، لكنه يقرأها مع غيرها في كل ركعة وصلاة؟ **فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن**» عز وجل، فهو الأحد الذي لا شريك له، الصمد الذي كمل في كل شيء، السيد الذي كمل سؤدده، الذي لا ولد له ولا والد له سبحانه، وليس له شبيه ولا نظير، و﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[3]. قال: «**فأنا أحب أن أقرأ بها**» لحبي لصفة ربي عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»: أي لحبه صفته وكلامه سبحانه فمن أحب الله تعالى أحبه الله تعالى، وقد يكون الوحي قد نزل على نبي ﷺ فأخبره بذلك، قال النووي[4]: قال المازري محبة الله تعالى لعبادة إرادة ثوابهم وتنعيمهم، وقيل محبته لهم نفس الإثابة والتنعيم، قال القاضي: وقيل محبتهم له سبحانه: استقامتهم على طاعته، وقيل الاستقامة ثمرة المحبة وحقيقة المحبة له ميلهم إليه لاستحقاقه سبحانه وتعالى المحبة من جميع وجوهها. اهـ، والله أعلم.

---

(١) بتصرف يسير من النهاية لابن الأثير (٢/٣٦٣). تنبيه: الرجل المبهم لم يذكره ابن بشكوال في الغوامض والمبهمات.

(٢) سورة الصمد، آية (١).

(٣) سورة الشورى، آية (١١).

(٤) شرح مسلم (٦/٩٥، ٩٦).

مبحث: قول النبي ﷺ:
«ما من أحد أغير من الله، وما أحد أحب إليه المدح من الله»

٣٠ ـ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحِ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ**».

---

[٣٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦١/٢٨) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه...﴾ ح(٧٠٤٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٧/١٧) واللفظ له في الإيمان، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، واللفظ لمسلم.

المعنى

يخبرنا عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه**»، وعند البخاري: «**وما أحد أحب إليه المدح من الله**»؛ سبحانه فهو أهل لكل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا له عبد، لا نحصي ثناء عليه، وهو كما أثنى على نفسه. قال النووي[1]: حقيقة هذا مصلحة للعباد؛ لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى فيثيبهم فينتفعون، وهو سبحانه غني عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك، وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار.

وقوله: «**وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش**»: هو كقوله في حديث البخاري الآخر عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني**»[2]، أي بسبب هذه الغيرة العظيمة حرم ربنا تعالى الفواحش ما =

---

(١) شرح مسلم (٧٧/١٧، ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٢/٢١٩) في النكاح، باب الغيرة، معلقًا ووصله في الحدود.

مبحث: سجود الشمس لله عز وجل

٣١ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَتُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلا يُؤْذَنُ لَهَا، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**».

= ظهر منها وما بطن، فوجب على المؤمن أن يلزم الغيرة، ومن لا غيرة له فليس من الله في شيء ولا من رسول الله ﷺ في شيء، وفي رواية لمسلم في نفس الباب: «المؤمن يغار، والله أشد غيراً»، قال النووي[١]: والغيرة بفتح الغين، وهي في حقنا الأنفة، وأما في حق الله تعالى، فقد فسرها هنا في الحديث: «وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم عليه أي غيرته منعه وتحريمه. اهـ، زاد في رواية في نفس الباب: «وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل»، قال القاضي[١]: يحتمل أن يراد الاعتذار، أي اعتذار العباد إليه من تقصيرهم وتوبتهم من معاصيهم فيغفر لهم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[٢]، والله أعلم.

مبحث: سجود الشمس لله عز وجل

[٣١] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/١٨)، في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، (ح٣١٩٩).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٨/١٦٠) في التفسير، تفسير سورة يس، باب قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها...﴾ الآية (ح٤٨٠٢).

=

---

(١) شرح مسلم (١٧/٧٧، ٧٨).

(٢) سورة الشورى، آية (٢٥).

= وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٩٦) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

وأخرجه الترمذي في سننه (٦/٤١٩) في الفتن، باب ما جاء في طلوع الشمس من مغربها، (ح٢٢٨١).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِ الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾[1]، فلا يستطيع أحد أن يتكبر عليه سبحانه لا إنس ولا جن ولا حيوان ولا نبات ولا جماد ولا الشمس ولا القمر حتى من لا يسجد في الدنيا يسجد ظله، والكل يسجد له سبحانه إما طوعًا وإما كرهًا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[2]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب»؟ وفي رواية التفسير: «أتدري أين تغرب»؟ فالسجود إذًا بعد الغروب وتحت العرش لله عز وجل، فالاستئذان يكون حتى للسجود أيضًا، فعند الترمذي، قال: «فإنها تذهب لتستأذن في السجود»[3].

قوله: «**قلت: الله ورسوله أعلم**»: تأدبًا، حتى ولو كانوا يعلمون، فإنهم تعلموا أن يقولوا ذلك لرسول الله ﷺ.

قوله: «**قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها**»: قال ابن حجر[4]: قال ابن العربي: أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن، وتأوله قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم، ولا =

---

(١) سورة مريم، آية (٩٣).

(٢) سورة الرعد، آية (١٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦/٤١٩) في الفتن، باب ما جاء في طلوع الشمس من مغربها (ح٢٢٨١).

(٤) فتح الباري (١٣/١٩).

= مانع أن تخرج من مجراها فتسجد ثم ترجع. اهـ، ورحم الله ابن العربي، وقال ابن حجر[1]: وأما قوله: «تحت العرش» فقيل: هو حين محاذاتها ولا يخالف هذا قوله: ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[2] فإن المراد به نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب، وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول يوم في السنة، وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا، قال ابن حجر: قال الخطابي: وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها. اهـ. قال ابن حجر[1]: قلت: وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم.

وقوله: «**وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها**»: هذا عند قرب الساعة، فهو من علاماتها الكبرى العشر الذي لا تقوم الساعة حتى يراهم الناس ففي رواية مسلم: «ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا. قال النووي[3]: وأما سجود الشمس فهو بتميز وإدراك بخلق الله تعالى فيها، قال الواحدي: إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها. اه ـ.

قوله: «**فذلك قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾**[4]، أي هذا تأويل قوله تعالى: **﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾**، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٨/١٦١، ١٦٢).

(٢) سورة الكهف، آية (٨٦).

(٣) شرح مسلم للنووي (٣/١٩٥، ١٩٦).

(٤) سورة يس، آية (٣٨).

مبحث: قول النبي ﷺ: «احفظ الله يحفظك»

٣٢ - عن ابن عباس قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

---

[٣٢] أخرجه الترمذي في سننه (٧/٢١٩)، في وصف القيامة (ح٢٦٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (١/٢٩٣، ٣٠٧).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٤٢، ٦٢٣)، باب ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان خلف النبي ﷺ فقال له ﷺ: «**يا غلام؛ إني أعلمك كلمات**»: أي من العلم النافع الجامع، قال الحافظ عبد الرحمن أبو الفرج ابن رجب الحنبلي[1] عن هذا الحديث أنه تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين وأجلها حتى قال الإمام أبو الفرج الجوزي في كتاب صيد الخاطر: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش، ثم قال: فوا أسفًا من الجهل بهذا الحديث وقلِّة الفهم لمعناه. اهـ.

قوله ﷺ: «**احفظِ الله يحفظك**»: هذه أول الكلمات النافعات الجامعات العظيمات الناطق بها خير البريات عليه من الله أفضل الصلوات وأزكى السلامات، =

---

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما لابن رجب الحنبلي ص٢٥، ٢٦.

قال أبو الفرج ابن رجب الحنبلي[1]: يعني احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه، ودخل في ذلك فعل الواجبات جميعًا وترك المحرمات كلها. اهـ. وقال صاحب التحفة[2] في قوله: «احفظ الله»: أي في أمره ونهيه، «يحفظك»: أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات. اهـ. فمن أراد أن يحفظ الله فليحفظ عهده وما يحب ويرضى، ومن حفظ ذلك فقد حفظ الله تعالى، وحفظ الله تعالى لعبده أن يحفظ له كل خير ويحجب عنه كل شر فهو تمام الحفظ من فضله تعالى، وينقص بقدر مراقبة العبد أوامر الله تعالى ونواهيه ويزداد بقدر مراعاة حقوق الله تعالى.

قوله: «**احفظ الله تجده تجاهك**»: قال الطيبي[2]: أي راع حق الله وتحرَّ رضاه تجده تجاهك، أي مقابلك وحذاءك، والتاء بدل من الواو كما في تقاه، أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة. اهـ. قال تعالى: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[4].

قوله: «**إذا سألت فاسأل الله**»: أي وحده، خاصة في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى كجلب النفع ودفع الضر وشفاء المرضى ودواء السقم وتفريج الكرب وحفظ النعم ودفع النقم وإجابة الدعاء ورفع البلاء، قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾[5]، قال صاحب التحفة[2]: «إذا سألت»: أي إذا أردت السؤال، «فاسأل الله»: أي وحده، فهو القادر على الإعطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع.

---

(١) السابق.
(٢) تحفة الأحوذي (٧/٢١٩، ٢٢٠).
(٣) سورة محمد ﷺ، آية (٧).
(٤) سورة الحج، آية (٤٠).
(٥) سورة النمل، آية (٦٢).

= قوله: وإذا استعنت أي أورد الاستعانة بطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرج (فاستعن بالله) فإنه المستعان وعليه التكلان اهـ.

قوله: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»: كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1]، فلا راد لما أراد الله تعالى، ولو اجتمع على ذلك الثقلان، ولا مانع لما أعطى الله ولو تصدى لذلك من فيها ومن عليها، قال سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[3]، فمن أراد الخير كله والنجاة من الشر كله فليجعل عمره كله وقلبه كله ونفسه كله لرضا رب العالم كله. قال ابن رجب[4]: قال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾[5]، فمن قام بحقوق الله عليه فإن الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة، فمن أراد أن يتولى الله حفظه ورعايته في أموره كلها فليراع حقوق الله عليه، ومن أراد ألا يصيبه شيء مما يكره فلا يأت شيئًا مما يكرهه الله. اهـ.

قوله: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»: كما قال تعالى: ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[6]، قال صاحب التحفة[7]: في قوله: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»: أي كتب في اللوح =

(١) سورة يونس، آية (١٠٧).

(٢) سورة يوسف، آية (٢١).

(٣) سورة الطلاق، آية (٣).

(٤) نور الاقتباس ص٤٣.

(٥) سورة الزمر، آية (٣٦).

(٦) سورة يس، آية (١٢).

(٧) تحفة الأحوذي (٧/٢١٩، ٢٢٠).

مبحث: تنزيل السكينة لقراءة القرآن الكريم

٣٣ - عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**».

= المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيهاً بفراغ الكتاب في الشاهد من كتابته. اهـ، والله أعلم.

مبحث: تنزيل السكينة لقراءة القرآن الكريم

[٣٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨/١٩، ٦٩) في فضائل القرآن الكريم، باب فضل الكهف، (ح٥٠١١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٨١/٦) في الصلاة، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، واللفظ له.

قوله: «شطنين»: تثنية شطن وهو الحبل الطويل المضرب. اهـ. شرح مسلم (٨١/٦).

المعنى

يخبرنا البراء رضي الله عنه «**أن رجلاً**»: قال الحافظ[1]: قيل: هو أسيد بن حضير: «**كان يقرأ سورة الكهف**»: أي في قيامه بالليل؛ لأن بقية الحديث: «**فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له**».

قوله: «**وعنده فرس مربوط بشطنين**»: أي حصان كما عند البخاري مربوط بحبل طويل: «**فتغشته سحابة**»: أي أظلته، وهي كالسحابة. اهـ. نور أمثال المصابيح كما في حديث سورة البقرة في نفس الباب من حديث أسيد بن حضير =

---

(١) فتح الباري (٦٨/١٩).

= «**فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها**» خوفًا من هذا المخلوق المنير النازل: «**فلما أصبح**»: أي أسيد بن حضير في صلاة الصبح «**أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له**»: أي ما أكرمه الله تعالى به الليلة من نزول الملائكة لقراءته الخالصة لله عز وجل «**فقال**»: أي رسول الله ﷺ: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»: أي السكينة نزلت من السماء بأمر الله تعالى لقراءة القرآن الكريم إكرامًا للقرآن وقارئه، قال الله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[1]، أما معنى السكينة هذه التي تنزلت لفضل القرآن الكريم وتعظيمًا له وكرامة لتاليه ففيها أقوال عدة اخترت منها رأيين متقاربين للحافظ شيخ الإسلام ابن حجر، والإمام النووي قال الحافظ[2]: وعن الضحاك بن مزاحم قال: هي الرحمة، وعنه: هي سكون القلب. وهذا اختيار الطبري، وقيل: هي الطمأنينة، وقيل: الوقار، وقيل الملائكة، ذكره الصغاني، والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به. اهـ. وقال النووي[3]: قد قيل في معنى السكينة هنا أشياء، المختار منها أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة والله أعلم، وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة، وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن. اهـ، والله أعلم.

(١) سورة الفتح، آية (٤).

(٢) فتح الباري (١٦/٦٩).

(٣) شرح مسلم (٦/٨٢).

مبحث: تأثير الكلم الطيب في القلب

٣٤ - عن ابن عباس أن ضِماداً قدم مكةَ وكان من أزدِ شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه، فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لاَّ إلَهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**»، قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر، قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «**وَعَلَى قَوْمِكَ**»؟ قال: وعلى قومي، قال: فبعث رسول الله ﷺ سريّة، فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد.

---

[٣٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٦/٦) في الجمعة، باب صلاة الجمعة وخطبتها.

قوله: «**الريح**»: المراد بها هنا مس الجن. اهـ شرح مسلم (١٥٧/٦).

قوله: «**الكهنة**»: الكاهن الذي يدعو معرفة الأسرار وهو لا يعرفها. اهـ. نهاية بتصرف (٢١٤/٤).

قوله: «**ناعوس البحر**»: ناعوس بالنون والعين، قال عياض: أكثر نسخ مسلم وقع فيها قاعوس بالقاف والعين، قال: وذكره أبو مسعود الدمشقي في أطراف الصحيحين =

= والحميدي في الجمع بين الصحيحين، قاموس بالقاف والميم، قال بعضهم: هو الصواب قال أبو عبيد: قاموس البحر وسطه. اهـ. شرح مسلم (١٥٧/٦)، نهاية (٨١/٥).

قوله: «أزْد شنوءة»: بفتح الشين وضم النون وبعد الواو همزة: قبيلة معروفة. اهـ. هدي الساري (١٤٢/١).

المعنى

يخبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح»: أي من مس الجن قال النووي[1]: يرقي من الأرواح: أي الجن سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح. اهـ «**فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون**»، وصدق ابن عباس سماهم سفهاء وقد برأه الله تعالى في كتابه فقال سبحانه: ﴿**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**﴾[2]، «**فقال**» أي ضماد: «**لو أني رأيت هذا الرجل**»: أي رسول الله ﷺ: «**لعل الله يشفيه على يدي**»: هذا ظنه والحق أنه مريض ونبينا ﷺ أسلم الناس وأكملهم خيراً وصحة وإيماناً وخشية لله عز وجل، «**فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله شفي على يدي من شاء، فهل لك**»؟ أي في المداواة، ولعل ضماداً كان يعرف الله تعالى، ولكن يشرك معه كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[3]، فبعد أن انتهى الرجل من كلامه تكلم أفصح الخلق وسيدهم صاحب جوامع الكلم =

(١) شرح مسلم (١٥٧/٦).

(٢) سورة القلم، آية (٢، ٣).

(٣) سورة الزمر، آية (٣٨).

= الذي قال: «وأوتيت جوامع الكلم»[1] فقال رسول الله ﷺ: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد**»، وهي مقدمة خطبة الحاجة التي كان نبينا ﷺ يبدأ بها خطبه لما سمع الرجل ما فيها من حكمة عظيمة وبلاغة راقية وإيمان مشع تسرب منها الإيمان فمس بشاشة قلبه فألقى الله تعالى بفضله في قلبه نور الإسلام فأسلم لذلك، «**قال: أعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات**»، فقال: مندهشاً معترفًا مقراً بالحق: «**لقد سمعت قول الكهنة**»: أي الذين يتلقون كلام مسترقي السمع من الجن فيقرون الكلمة يخطفونها من الحق في أذنهم قر الدجاجة فيكذبون معها مائة كذبة مدعين أنهم يعلمون الحق وهم كذبة، «**وقول السحرة وقول الشعراء**» فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء أي لقد سمعت رؤوس المتكلمين عندنا وهم الكهنة والسحرة والشعراء أهل اللغة العربية الفصحاء، فما سمعت مثل قول الحق والنور الذي خرج من الفم الشريف حتى أحيا الله بهن قلبي وصدق الله تعالى القائل لنبيه ﷺ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾[2]، قال: «**ولقد بلغن ناعوس البحر**»، والأصح قاموس البحر، وهو وسطه ولجته، «**قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام**» أي ضع يدي في يدك يا رسول الله لأدخل في حظيرة الإسلام دين النجاة والفوز والفلاح وسعادة الدارين إن شاء الله تعالى، فاللهم ثبتنا عليه حتى نلقاك على أحسن أحوال أهله يا رب العرش العظيم، قال: «**فبايعه**» أي على الإسلام، «**فقال رسول الله ﷺ: وعلى قومك**»؟ أي وتبايعني على إسلام قومك أيضاً، «**قال: وعلى قومي**» أي وأبايعك يا رسول الله على أن يدخل قومي كلهم في الإسلام =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩/٥) في المساجد ومواضع الصلاة (ح٨).

(٢) سورة الشورى، (٥٢، ٥٣).

مبحث: ذكر النبي ﷺ للعين التي لا تمسها النار

٣٥ ـ عن أبي ريحانة(*) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حُرِّمَتْ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، حُرِّمَت النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، قال: ونسيت الثالثة قال أبو شريح وسمعت بعد أنه قال: «**حُرِّمَت النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ أَوْ عَيْنٌ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

= مثلي ـ ما شاء الله !! يالها من كلمات طيبات مباركات فتح بهن القلوب ربُّ البريات، «**قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها**» أي ارجعوا إليهم مطهرتهم، «**فإن هؤلاء قوم ضماد**»، وقد بايع منهم على الإسلام، ومن أسلم عصم ماله ودمه والحمد لله وحده، والله أعلم.

مبحث: ذكر النبي ﷺ للعين التي لا تمسها النار

[٣٥] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٨٣) في الجهاد، (ح٢٤٣٢)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وأخرجه الترمذي له شاهداً للعين التي بكت والتي باتت من حديث ابن عباس (٥/٢٦٧) في الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق. اهـ كلام الترمذي، قلت: وشعيب بن زريق هذا قال عنه الحافظ في التقريب (١/٣٥٢) صدوق يخطئ لذلك لم أعتمد تحسين الترمذي واعتمدت أصلاً بفضل الله تعالى على رواية الحاكم التي صححها وأقره عليها الذهبي ولعل الترمذي اعتمد على الشواهد التي ذكرها، والله أعلم.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٥٦، ح٥٧٧٩).

(*) أبو ريحانة: هو شمعون بن زيد بن خناقة الأزدي حليف الأنصار مولى رسول الله ﷺ، له صحبة وشهد فتح دمشق، روى عن النبي ﷺ. اهـ تهذيب (٤/٣٢٠).

المعنى

يخبرنا أبو ريحانة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حرمت النار على عين دمعت من خشية الله**» أي العين التي تخرج منها الدموع من خوف القلب من الله عز وجل لا رياء ولا شهرة ولا ندمًا على فوات محبوب أو حصول مكروه إنما فقط رهبه وهيبة وخوفًا من الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** ﴾(1) وفي رواية الترمذي: «عينان لا تمسهما النار؛ عين بكت من خشية الله»، قال صاحب التحفة(2)، وهي مرتبة المجاهدين مع النفس التائبين عن المعصية سواء كان عالمًا أو غير عالم، «**وعين باتت تحرس في سبيل الله**»، وهي مرتبة المجاهدين في العبادة، وهي شاملة لأن تكون في الحج أو طلب العلم أو الجهاد أو العبادة، أو الأظهر أن المراد به الحارس للمجاهدين لحفظهم عن الكفار. اهـ. قلت: والأظهر هو الأرجح الذي عليه جماهير أهل العلم أن معنى سبيل الله هو الجهاد، والله أعلم. وفي رواية الحاكم «حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله»: أي كما في رواية الترمذي للحراسة في سبيل الله في الغزو والرباط ثم ذكر «**حرمت النار على عين غضت عن محارم الله**»، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾(3) أي لا ينظر إلى ما حرم الله تعالى خاصة النساء الأجنبيات ثم ذكر «**أو عين فقئت في سبيل الله ولرضا الله**»، أي تلفت في الجهاد أمام الكفار في سبيل الله تعالى نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، وأن يرقق قلوبنا حتى تبكي أعيننا من خشيته وحده سبحانه، وأن يرزقنا جهاداً وشهادة في سبيل الله مقبلين غير مدبرين صابرين محتسبين آمين قال الطيبي(2): قوله: «عين بكت»: هذا كناية عن العالم العابد المجاهد =

---

(1) سورة الإسراء، آية (109).

(2) تحفة الأحوذي (5/569).

(3) سورة النور، آية (30).

فصل: قول النبي ﷺ لمؤذن: «خرجت من النار» وفضل الجهر بذكر الله تعالى في الآذان

٣٦ ـ عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ»، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ»، فنظروا فإذا هو راعي مِعْزًى.

= مع نفسه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1] حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوز عنهم فحصلت النسبة بين العينين عين مجاهد مع النفس والشيطان وعين مجاهد مع الكفار. اهـ. والله أعلم.

فصل: قول النبي ﷺ لمؤذن: «خرجت من النار»
وفضل الجهر بذكر الله تعالى في الآذان

[٣٦] أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٨٤) في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه.

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه «**كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر**»، أي رحمة منه ﷺ ولحسن خلقه «**وكان يستمع الأذان**» أي يتصنت ليرى أهناك آذان أم لا، «**فإذا سمع أذانًا أمسك وإلا أغار**»، أي إن سمع الأذان علم أن هناك مسلمين فكف عن الكل من أجلهم، وإن لم يسمع آذانًا أغار على البلد وقتل كفارها، لذلك ترجم البخاري[2]: باب ما يحقن الآذان من الدماء، قال الحافظ[2]: فيه =

---

(١) سورة فاطر، آية (٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٧/٣)، فتح الباري.

= حقن الدماء عند وجود الآذان، وقال الخطابي[1]: فيه أن الآذان شعار الإسلام، وأنه لا يجوز تركه، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه. اهـ.

«**فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر فقال رسول الله ﷺ: على الفطرة**» أي لشهادته لله تعالى بأنه أكبر من كل شيء قال النووي[2] قوله ـ ﷺ ـ «على الفطرة» أي على الإسلام لشهادته بهذه الشهادة العظيمة التي لا يشهدها من قلبه إلا ما كان مستمراً ثابتًا على الفطرة التي خلقه الله عز وجل عليها.

وقوله: «**ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: خرجت من النار**» أي بعد أن سمع من النبي ﷺ أخبر بأنه خرج من النار لشهادته بالتوحيد لله عز وجل، والغالب أن النبي ﷺ علم أن الرجل صادق في توحيده لذلك أخبر ﷺ بأنه خرج من النار، قال النووي[2]: وقوله ﷺ: «خرجت من النار» أي بالتوحيد. اهـ.

وقوله: «**فنظروا فإذا هو راعي معزى**»: أي الذي قال الآذان وقال النبي ﷺ عنه هذه البشريات راعي معزى، قال النووي[2]: قوله: «فإذا هو راعي معزى» احتج به في أن الأذان مشروع للمنفرد، وهذا هو الصحيح المشهور، وفي الحديث دليل على أن الآذان يمنع الإغارة على أهل ذلك الموضع فإنه دليل على إسلامهم، وفيه أن النطق بالشهادتين يكون إسلاماً إن لم يكن باستدعاء ذلك منه، وهذا هو الصواب. اهـ. والله أعلم.

=

(١) فتح الباري (٢٨٨/٣).
(٢) شرح مسلم (٨/٤).

الفصل الثالث
الخوف من الله عز وجل

مبحث: نبينا ﷺ أعلم الناس بالله وأشدهم له خشية

٣٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله، ثم قال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**».

---

[٣٧] أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٢/٢٢) في الأدب، باب من لم يواجه الإنسان بالعتاب (ح١٦٠١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٥٥/١٥) في الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى (ح٢٣٥٦).

قوله: «تنزه» قال ابن الأثير: وحديث عائشة: «صنع رسول الله ﷺ شيئًا فرخص فيه فتنزه عنه قوم» أي تركوه وأبعدوا عنه، ولم يعملوا بالرخصة فيه. اهـ. النهاية (٤٣/٢).

المعنى

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[1] فكيف يكون بشر أنزل الله تعالى على قلبه الكتاب والسنة وعلمه وتفضل عليه بعظيم الفضل، لقد فاق السماء علوًا والبحر سعة؛ لذلك كل من رآه شخص إليه بعينيه تعجبًا كذا من سمعه صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

=

---

(١) سورة النساء: آية (١١٣).

= تقول عائشة رضي الله عنها: «**صنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه فتنزه عنه قوم**»، وفي رواية مسلم: «فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه». قال ابن الأثير[1] : أي تركوه وأبعدوا عنه ولم يعلموا بالرخصة فيه. اهـ.

قولها: «**فخطب فحمد الله ثم قال**» وسبب الخطبة على ذلك أنه غضب ﷺ من تنزه أصحابه عن الشيء يفعله، وهو ما ينطق وما يفعل إلا ما شرعه الله ـ تعالى ـ له ففي رواية مسلم: «فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه».

قوله: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**» قال الحافظ ابن حجر[2]: جمع بين القوة العلمية والقوة العملية أي أنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب لهم عند الله ـ تعالى ـ وليس كذلك؛ إذ هو أعلمهم بالقربة وأولاهم بالعمل. اهـ. قال ابن بطال[2]: كان النبي ﷺ رفيقًا بأمته فلذلك خفف عنهم العتاب؛ لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة، ولو كان حرامًا لأمرهم بالرجوع إلى فعله. اهـ. وقال النووي[3]: فيه الحث على الاقتداء به ﷺ والنهي عن التعمق في العبادة وذم التنزه عن المباح شكًا في إباحته، وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وإن كان المنتهك متأولاً تأويلاً باطلاً، وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والإنكار في الجمع ولا يعين فاعله فيقال: ما بال أقوام ونحوه، وفيه أن التقرب إلى الله ـ تعالى ـ سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته سبحانه، وأما قوله ﷺ: «**فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**» فمعناه أنهم يتوهمون أن سنتهم عما فعلت أقرب لهم عند الله، وإن فعل خلاف ذلك، وليس كما توهموا بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية، وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى والخشية له على حسب ما أمر لا بمخيلات النفوس وتكلف أعمال لم يأمر بها ـ والله أعلم. اهـ. وأما سبب الحديث فقال الحافظ ابن حجر[2]: ثم وجدت ما يمكن أن يعرف به ذلك، وهو ما =

---

(١) النهاية (٢/٤٣).

(٢) فتح الباري (٢٢/٣١٢).

(٣) شرح مسلم (١٥/١٠٦).

مبحث: في شدة خوف النبي ﷺ من الله تعالى وآياته

٣٨ ـ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم.

٣٩ ـ قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية! فقال: **«يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤَمِّنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾»**[٢].

= أخرجه مسلم[١] في كتاب الصيام من وجه آخر عن عائشة؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ إني أصبح جنبًا وأنا أريد الصوم فأغتسل وأصوم، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم»، فقال: يا رسول الله، إنك لست مثلنا، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي». اهـ. والله أعلم.

مبحث: في شدة خوف النبي ﷺ من الله تعالى وآياته

[٣٨] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٤/١٨) في التفسير، سورة الأحقاف، (ح٤٨٢٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٠/٦) في صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر (ح٨٩٩).

[٣٩] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٤/١٨) في التفسير، سورة الأحقاف، (ح٤٨٢٩).

=

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣١٥/٧ ـ ٣١٦) في الصيام (ح١١١) بلفظ مقارب، باب صحة من طلع عليه الفجر وهو جنب.

= وأخرجه مسلم في صحيحه (٦/٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ح٨٩٩).

وأخرجه أبو داود في سننه (٤/١٤، ٣) في الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح (ح٥٠٧٥).

قوله: «لهواته» اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمات في سقف أقصى الفم. اهـ. النهاية (٤/٢٨٤).

المعنى

تخبرنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وأحب الناس إليه قائلة: «**ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى أرى منه لهواته**» أدبًا من الأدب الذي أدبه به ربنا ـ عز وجل ـ فحتى ضحكه ﷺ كان بحكمة وسنة ووقار، وقليلاً؛ لما علمه ورآه مما دعاه إلى أن يكون أخشى الناس لله ـ عز وجل ـ لأنه أعلمهم بالله تعالى ﷺ لكن رحمة منه بأصحابه كان يبتسم تأليفًا لقلوبهم ورفقًا بهم، لذلك قالت: «**إنما كان يبتسم**» ﷺ، وعند مسلم: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا».

قال النووي[1]: والمستجمع: المجد في الشيء القاصد له. اهـ. اللهوات جمع لهاة بالتحريك، وهي: اللحمة المتعلقة في أعلى الحلق، قاله الحافظ[2]. اهـ. لذلك قال ﷺ معللاً تلك الخشية الفائقة خشية الناس كلهم «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[3].

وقوله: «**إنما كان يبتسم**»: قال الحافظ[2]: لا ينافي هذا ما جاء في الحديث الآخر أنه ضحك حتى بدت نواجذه؛ لأن الظهورَ النواجذ هي الأسنان التي في مقدمة الفم أو الأنيابِ لا يستلزم ظهور اللهاة. اهـ. ومن توابع تلك الخشية الملازمة له ﷺ خشيته من العوارض المناخية حسب علمه بها فلذلك قالت رضي الله عنها: «وكان =

(١) شرح مسلم (٦/٢٨١ح٨٩٩/١٦).

(٢) فتح الباري (١٨/٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الأدب (٢٢/٣١٢).

= إذا رأى غيمًا» أي سحبًا «أو ريحًا» عاصفة «عرف في وجهه»، وعند مسلم وأبي داود: «عرف ذلك في وجهه» أي من كراهية ذلك والخوف منه أن يكون غضبًا أو عذابًا، قال الحافظ[1]: قوله: «عرفت الكراهية في وجهه» ولعلها رواية أخرى، والنص الحاضر «عرف في وجهك الكراهية» قال: عبرت عن الشيء الظاهر في الوجه بالكراهية لأنه ثمرتها. اهـ. بل ثبت أنه كان يخصه ﷺ بدعاء إذا رأى ذلك، فعند مسلم[2] عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»، قالت: وإذا تخيلت السماء؛ تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه فعرفت ذلك في وجهه. قالت عائشة: فسألته فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[3].

وقوله: «قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية»: أي أن عادة الناس الفرح بذلك وأنت تخاف يا رسول الله، فأخبرها ﷺ أنه يعلم ما لا يعلمون، لذلك هو خائف وهم آمنون، فقال ﷺ: «وما يؤمِّني أن يكون فيه عذاب»؟ أي كيف آمن أنه غيم مطر وغيث لا غيم عذاب كالذي سبق لقوم عذبوا بغيم؟ فإنها غيمان وريحان؛ غيم غيث وغيم عذاب، وريح غيث وريح عذاب، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾[4] فهذه رياح الخير وغيم الخير والرزق، وقال =

(١) فتح الباري (١٨/٢٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٢٧٩) في الاستسقاء (ح١٥/٨٩٩).

(٣) سورة الأحقاف: آية (٢٤، ٢٥).

(٤) سورة الروم: آية (٤٨، ٤٩).

= تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[1]، فهذه ريح عذاب عذب بها عاد، وهم أيضًا أصحاب العذاب بالغيم، لذلك قال ﷺ في هذا الحديث الشريف: «عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾» قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[2].

قال الحافظ[3]: قوله: «عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا» ظاهر هذا أن الذين عذبوا بالريح غير الذين قالوا ذلك؛ لما تقرر أن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأول، ثم جمع بأن قوم عاد عذبوا بالعذابين؛ لأن هناك قرينة أن النكرتين هما نكرة واحدة، ثم قال باحتمال أن يكون عاد قومين قوم بالأحقاف وهم أصحاب العارض وقوم غيرهم، قال: فقد قال تعالى في سورة النجم ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ ﴾[4]، فإنه يشعر بأن ثم عاداً أخرى. اهـ. والله أعلم.

(١) سورة القمر: آية (١٨، ١٩).
(٢) سورة الأحقاف: آية (٢٤، ٢٥).
(٣) فتح الباري (١٨/٢٠٤).
(٤) سورة النجم: آية (٥٠).

مبحث: قول النبي ﷺ:
«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»

٤٠ ـ عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فقلت: يا نبي الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

---

[٤٠] أخرجه الترمذي في سننه (٦/٣٤٩) في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ـ عز وجل ـ (ح٢٢٢٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه كان يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب**» أي يا مصرفها وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي يصرفها، ويقلبها ويحولها، ويغيرها كيف يشاء إلى الطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والخير والهدى، والاستقامة وغير ذلك، ونحو ذلك.

قوله: «**ثبت قلبي على دينك**»: أي اجعله يا رب على الإسلام والإيمان دائمًا، فأنا لا أملك تثبيته إنما المثبت له أنت وحدك، فهذا رسول الله ﷺ يسأل ربه الثبات وهو من هو!! سيد العالمين وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات رب العالمين، فيكون أول من يقعقع بابها فيفتح له فيدخلها أول داخل، ومع ذلك يخاف على قلبه، ويسأل ربه الثبات، فما بالنا؟! ففي هذا الحديث من الخوف الكثير ومن الرهبة من الله ـ عز وجل ـ ما فيه مما يدعو العبد إلى زيادة التضرع ليل نهار بلسانه وحاله، قائلاً دائمًا «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» وقد علمنا ربنا ـ عز وجل ـ أن نقرأ قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[1]، وقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده إلى أنس قال: كان رسول الله =

---

(١) سورة آل عمران: آية (٨).

مبحث: بكاء النبي ﷺ عند سماع القرآن الكريم

٤١ - عن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً**﴾[٣] قال: «**أَمْسِكْ**»، فإذا عيناه تذرفان.

= ﷺ كثيراً ما يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» قلنا: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقنا بما جئت به فيُخاف علينا؟ قال: «**نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها تبارك وتعالى**»[١].

قال صاحب التحفة[٢]: في قوله: «**يا مقلب القلوب**» أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية، وتارة إلى الحضرة وتارة إلى الغفلة «**ثبت قلبي على دينك**» أي اجعله ثابتًا على دينك، غير مائل عن الدين القويم والصراط المستقيم، «**فقلت: يا نبي الله، آمنا بك**» أي: بنبوتك ورسالتك «**وبما جئت به**» من الكتاب والسنة، «**فهل تخاف علينا**» يعني أن قولك هذا ليس لنفسك؛ لأنك في عصمة من الخطأ والزلة خصوصًا من تقلب القلب عن الدين والملة، وإنما المراد تعليم الأمة، فهل تخاف علينا من زوال نعمة الإيمان أو الانتقال من الكمال إلى النقصان؟ «**قال: نعم**» يعني أخاف عليكم، «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها**» أي القلوب «**كيف يشاء**» مفعول مطلق، أي تقليبًا يريده أو حال من الضمير المنصوب، أي يقلبها على أي صفة شاء. اهـ. والله أعلم.

مبحث: بكاء النبي ﷺ عند سماع القرآن الكريم

[٤١] أخرجه البخاري في صحيحه (١١٥/١٧) في التفسير، تفسير سورة =

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير سورة آل عمران (١٨٨/٣)، آية (٨) (ح٦٦٥١).

(٢) تحفة الأحوذي (٣٤٩/٦).

(٣) سورة النساء: آية (٤١).

= النساء، باب: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد...﴾ الآية (ح٤٥٨٢).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١١٢/١٩، ١١٣) في فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، (ح٥٠٤٩، ٥٠٥٠)، وأخرجه في نفس المرجع (١١٨/١٩ح٥٠٥٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٨٦/٦) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سماع القرآن وتدبره.

المعنى

مع أن الله ـ عز وجل ـ قال له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(1)]، وقال له: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[(2)]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ...﴾ الآيات[(3)]، إلا أنه ﷺ كان أخوف الخلق لله ـ عز وجل ـ وأشدهم خشية حتى كان يبكي عند سماع ما أنزل عليه ﷺ، بل أحيانًا كان يبكي ﷺ حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، وهنا يقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي»، وفي رواية البخاري: «اقرأ علي القرآن»، وقد ترجم عليه النووي[(4)]: باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر[(5)]: والمراد بالقرآن بعض القرآن. اهـ.

قوله: «**قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل**» تعجب ابن مسعود من طلب النبي ﷺ وهو مهبط الوحي نزل على قلبك الشريف، فأجابه ﷺ بقوله، «**قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري**»: قال ابن بطال[(5)]: يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره =

(١) سورة الفتح: آية (٢).

(٢) سورة فاطر: آية (٩).

(٣) سورة الشرح: آية (١:٤).

(٤) شرح مسلم (٨٦/٦).

(٥) فتح الباري (١١٢/١٩، ١١٣).

= ليكون عرض القرآن سُنة.

ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلي وأنشط لذلك من القارئ؛ لانشغاله بالقراءة وأحكامها، وهذا بخلاف قراءته ﷺ. اهـ.

قوله: «**فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾[1] قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان**»، قال ابن بطال[2]: إنما بكى رسول الله ﷺ عند تلاوة هذه الآية؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء. اهـ. قال ابن حجر: والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يفضي إلى تعذيبهم ـ والله أعلم ـ وشهادة نبينا ﷺ على أمته كائنة، وأمته شاهدة على الأمم، فنبينا ﷺ شاهد على الأمم كلها بما أنزل الله عليه من الكتاب والحكمة ـ والله أعلم.

وقد أخرج الطبري[3] بسنده إلى ابن مسعود قال: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾**[1] قال رسول الله ﷺ: «شهيداً عليهم ما دمت فيهم (فإذا)[4] توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد»، والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم.

---

(١) سورة النساء: آية (٤١).

(٢) فتح الباري (١٩/١١٢، ١١٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/٩٥) تفسير سورة النساء (ح٩٥٢٠).

(٤) في الآية الكريمة ﴿فلما توفيتني﴾ وفي الرواية: «فإذا»، والله أعلم.

مبحث : الدعاء عند الكرب

٤٢ ـ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**».

---

[٤٢] أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٢/٢٣) في الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (ح٦٣٤٤).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٧١/٢٣) في الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (ح٦٣٤٥).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٦/٢٨) في التوحيد (ح٧٤٢٦).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٤٧/١٧) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب.

المعنى

أفضل وأعظم ملجأ ومنجى هو التوحيد وإخلاصه لله رب العالمين ينفع في الشدائد ويسعد في الرخاء، لذلك قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»، والعظيم والحليم إما نعت للرب ـ تعالى ـ وإما نعت للعرش، قال الحافظ ابن حجر[1]: نقل ابن التين عن الداودي أنه رواه برفع العظيم وكذا برفع الكريم على أنهما نعتان للرب، والذي ثبت في رواية الجمهور بالجر على أنه نعت للعرش. اهـ.

ثم قال: قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة، والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم المعطي فضلاً، وقال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب =

---

(١) فتح الباري (١٧٢/٢٣ ـ ١٧٣).

= كشف الكرب؛ لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل على العلم؛ إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية، ثم قال: معنى قول ابن عباس يدعو وإنما هو تهليل وتعظيم يحتمل أمرين؛ أحدهما: أن المراد تقديم ذلك قبيل الدعاء، واستدل بحديث الأدب[1] المفرد من طريق عبدالله بن الحارث: سمعت ابن عباس... فذكره، وزاد في آخره: «اللهم اصرف عني شره» قال الطبري: ويؤيد هذا ما رواه الأعمش عن إبراهيم قال: كان يقال إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب له، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء.. ثانيهما: ما أجاب به ابن عيينة؛ حيث قال سفيان بن عيينة: هو ذكر وليس فيه دعاء، ولكن قال النبي ﷺ عن ربه - عز وجل -: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[2] قال: وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضك الثناء

قال سفيان: فهذا مخلوق حين نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال، فكيف الخالق. اهـ. قلت: ولفظ الحديث عن الترمذي[2]: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله - تبارك وتعالى -: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين...» الحديث.

قال الحافظ ابن حجر[3]: ويؤيد الاحتمال الثاني[4]: حديث سعد بن أبي وقاص رفعه: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني =

(١) ذكره في الفتح (٢٣/١٧٢ - ١٧٣) وعزاه للبخاري في الأدب المفرد ص٢٤٥ ح٧٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٨/٢٤٤) في فضائل القرآن (ح٣٠٩٤) وقال: هذا حسن غريب. اهـ. حديث أبي سعيد مرفوعاً.

(٣) فتح الباري (٢٣/١٧٢ - ١٧٣).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٦٨٤) في الدعاء والذكر (ح١٨٦٢)، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

= كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى - له». أخرجه الترمذي والحاكم، وفي لفظ الحاكم(1) : «هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(2)، وقال النووي(3) حديث ابن عباس حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب. اهـ. وقال ابن بطال(4): حدثني أبو بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث، وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن علي عليه مدار الفتيا، فسعى به عند السلطان فسجن، فرأيت النبي ﷺ في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لي النبي ﷺ: قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه، قال: فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليلاً حتى أخرج. اهـ. والله أعلم، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٦٨٥) في الدعاء والذكر (١٨٦٥).

(2) سورة الأنبياء: آية (٨٨).

(3) شرح مسلم (١٧/٤٧).

(4) فتح الباري (٢٣/١٧٢، ١٧٣).

مبحث: قول الله عز وجل:
﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا... ﴾ الآية

٤٣ - عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ قال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» فقال: ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ فقال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» قال: ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا** ﴾ فقال النبي ﷺ: «**هَذَا أَيْسَرُ**».

---

[٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٧/٢٨) في التوحيد، باب قول الله - تعالى -: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (ح٧٤٠٦).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٤/١٧) في التفسير لسورة الأنعام، باب ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا...﴾ الآية.

قوله: ﴿ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ قال البخاري: يلبسوا: يخلطوا، شيعًا: فرقًا. اهـ. (١٦٥/١٧) التفسير لسورة الأنعام.

المعنى

لولا رحمة الله - عز وجل - ولولا أن رحمته سبقت غضبه، وعفوه سبق عقوبته؛ لعذب الناس بذنوبهم وتقصيرهم وجحودهم عذابًا شديدًا، لكن رحمته غلبت فقال: ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2] وقال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3] ولذلك لما قال الله - تعالى -: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ =

---

(١) سورة الأنفال: آية (٦٨).

(٢) سورة الأنفال: آية (٣٣).

(٣) سورة الزمر: آية (٥٣).

= عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾[1] قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» وقد ذكر ابن حجر[2]: عن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: الرجم ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: الخسف، وذكر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن المراد بالعذاب من فوق الرجم ومن تحت الخسف قال: وقيل: المراد بالفوق حبس المطر وبالتحت منع الثمرات، قال: والأول هو المعتمد، ثم بين الحافظ أنه قد يقع الخسف والرجم، ولكن ليس عامًا بل خاصًا ببعض الأمة إنما المجار منه هو عموم الأمة، واستدل بما رواه أحمد[3] بإسناد صحيح مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل..» الحديث، وكذلك ما رواه الترمذي عن ابن عمر مرفوعًا في هذه الأمة أو في أمتي خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر[4] قال الحافظ: «ويحتمل في طريق الجمع أيضًا أن يكون المراد أن ذلك لا يقع لجميعهم، وإن وقع لأفراد منهم غير مقيد بزمان». اهـ.

وقد أخرج الطبري في التفسير (٥/٢٢٣) عن الحسن في قوله: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: هذا للمشركين، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا... ﴾ الآية، قال: هذا للمسلمين.

قوله ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال ابن بطال[5]: في هذه الآية والحديث: دلالة على أن لله وجهًا وهو من صفة ذاته، وليس بجارحة، ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين، كما نقول أنه عالم، ولا نقول إنه كالعلماء الذين نشاهدهم. اهـ. وهذا =

---

(١) سورة الأنعام: آية (٦٥).

(٢) فتح الباري (١٧/١٦٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٨٣) عن صحار العبدي مرفوعًا وبقيته: فيقال: من بقي من فلان؟ قال: فعرفت حين قال: قبائل، أنها العرب؛ لأن العجم تنسب إلى قراها.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٦/٣٦٨) في الفتن (ح٢٢٤٣) وقال: حسن صحيح غريب.

(٥) فتح الباري (١٢٨/١٦٧).

= أرجح التأويلات التي ذكرها الحافظ في الفتح.

قوله: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر» وفي رواية التفسير: «ويذيق بعضكم بأس بعض» تكملة الآية الكريمة، قال ابن كثير[1]: وقوله: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ يعني: يجعلكم ملتبسين شيعًا فرقًا متخالفين، قال الوالبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يعني الأهواء، وقوله تعالى: ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل. اهـ. وقد أخرج شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري في تفسيره مسنده إلى زيد بن أسلم، قال: لما نزلت: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف» فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ قال: «نعم» فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدًا، فأنزل الله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[2].

قوله ﷺ: «هذه أهون» أو «هذه أيسر»: قال الحافظ ابن حجر[3]: هو شك من الراوي والضمير يعود على الكلام الأخير، أي: خصلة الإلباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض. اهـ. فاللهم أجرنا من عذاب الدنيا والآخرة، ومن فتن الدنيا والآخرة، ومن العذاب من فوقنا ومن تحت أرجلنا، يا ربنا، يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٤٣).

(٢) تفسير الطبري جامع البيان لسورة الأنعام (٥/٢٢٣) آية (٦٥).

(٣) فتح الباري ١٧/١٦٦.

مبحث: في خوف النبي ﷺ من آيات الله عز وجل

٤٤ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سري عنه، فعرفته عائشة ذلك فقال النبي ﷺ: «مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ...﴾» الآية.

---

[٤٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/١٣) في بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته...﴾ الآية.

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦/٦) في الاستسقاء باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر.

قوله: «مخيلة»: هي السحابة الخليقة بالمطر. اهـ. نهاية (٩٣/٢).

قوله تعالى: ﴿عَارِضًا﴾ قال ابن الأثير: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. اهـ. نهاية (٢١٣/٣).

المعنى

صدق عليه الصلاة والسلام حين قال: «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(١): فكم من راءٍ لآيات - الله تعالى - لا يتأثر ولو كان مؤمنًا، لكن المصطفى ﷺ كان يخاف الله - تعالى - إذا رأى السحابة الممطرة خوفًا من أن يكون فيها عذاب كعذاب من قبلنا لذلك تقول عائشة - رضي الله عنها - كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به...» الحديث(٢).

وهنا تقول عائشة - رضي الله عنها -: «كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٢/٢٢) في الأدب (ح٣١٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦/٦) في الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح.. إلخ.

= أقبل وأدبر ودخل وخرج» : قال ابن حجر[1]: قوله: مخيلة بفتح الميم وكسر المعجمة بعدها تحتانية ساكنة هي السحابة التي يخال فيها. اهـ.

قوله: «أقبل وأدبر» أي ذهب ورجع ﷺ خائفًا من عذاب الله ـ تعالى ـ ويدل على ذلك رواية مسلم: «قالت عائشة: فسألته عن ذلك فقال: إني خشيت أن يكون عذابًا سلط على أمتي».

قوله: «وتغير وجهه» أي لونه ﷺ، ففي رواية مسلم: «وإذا تخيلت السماء تغير لونه».

قوله: «فإذا أمطرت السماء سري» قال الحافظ ابن حجر[1]: بضم المهملة وتشديد الراء بلفظ المجهول أي: كشف عنه، وفي الحديث: تذكر ما يذهل المرء عنه مما وقع للأمم الخالية، والتحذير من السير في سبيلهم خشية من وقوع مثل ما أصابهم، وفيه شفقته ﷺ على أمته ورأفته بهم كما وصفها الله ـ تعالى. اهـ.

قوله: «فعرفته عائشة ذلك فقال النبي ﷺ : ما أدري لعله كما قال قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ... ﴾ الآية» أي لما سألته عائشة عن سبب ذلك التغير والخوف الذي لم تعهده من قبله ﷺ، فأخبرها بأن الأمر عظيم، ولا ينبغي للمؤمن أن يأمن مكر الله كما أمنه من قبلنا فعذبوا، فهؤلاء قوم عاد لما رأوا العارض من السحاب الذي يعترض في أفق السماء ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ قال الله ـ تعالى ـ لهم: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. قال النووي[2]: فيه الاستعداد بالمراقبة لله، والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه، وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف. اهـ. وأما السؤال الذي فيه: كيف خاف ﷺ وقد قال الله ـ تعالى ـ له: ﴿ وَمَا كَانَ =

(١) فتح الباري (١٣/٢٢).
(٢) شرح مسلم (٦/١٩٦).

مبحث: البكاء خشوعًا وسرورًا

٤٥ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ لأبي: «**إنَّ اللهَ أَمَرَنِي أنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**» قال: وسماني؟ قال: «**نَعَمْ**» فَبَكَى.

= اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ الآية، قال الحافظ في الفتح[1]: خشي على من ليس هو فيهم أن يقع بهم العذاب، أما المؤمن فشفقته عليه لإيمانه، وأما الكافر فلرجاء إسلامه، وهو بعث رحمة للعالمين. اهـ. والله أعلى وأعلم.

مبحث: البكاء خشوعًا وسرورًا

[٤٥] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٠/١٤) وفي مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب - رضي الله عنه (ح٣٨٠٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٨٥/٦) في المسافرين، باب قراءة القرآن على أهل الفضل.

المعنى

قد يكون البكاء خوفًا من الله - عز وجل - وقد يكون مهابة وإجلالاً لله - عز وجل - وقد يكون خشوعًا له عز وجل، وقد يكون سرورًا، وقد يكون حزنًا، وقد يكون عبرة، ويروي لنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - حكاية بكاء أُبي - رضي الله عنه - فيقول: «**قال النبي ﷺ لأبي**» يعني ابن كعب رضي الله عنه الأنصاري «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**» إنها نعمة عظيمة ورحمة واسعة، ملك الملوك يذكر عبداً من عبيده ليس بنبي فيأمر نبيه ومصطفاه ﷺ أن يقرأ عليه القرآن الكريم، قال القرطبي[2]: وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم، قال بعضهم: =

---

(١) فتح الباري (٢٢/١٣).

(٢) تفسير القرطبي لسورة البينة (٩٤/٢٠).

= إنما قرأ النبي ﷺ على أبي ليعلم الناس التواضع؛ لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة، وقيل: لأن أبيًا كان أسرع أخذًا لألفاظ رسول الله ﷺ فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع منه، وفيه فضيلة عظيمة لأبي إذ أمر الله رسوله أن يقرأ عليه. اهـ. وقال القرطبي أيضًا: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد، وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها. اهـ.

قوله: «**وسماني؟**» قال ابن حجر[1]: أي هل نص علي باسمي؟ أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت. اهـ.

قوله: «**قال: نعم**»: أي سماك باسمك.

«**فبكى أبي**» قال ابن حجر[1]: بكى إما فرحًا، وإما سرورًا بذلك، وإما خشوعًا وخوفًا من التقصير في شكر تلك النعمة، ثم قال القرطبي: تعجب أبي من ذلك؛ لأن تسمية الله له ونصه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم؛ فلذلك بكى إما فرحًا وإما خشوعًا، وقال أبو عبيد[1]: المراد بالعرض على أبي ليتعلم أبي منه القراءة ويثبت فيها؛ ليكون عرض القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن، وليس المراد أن يستذكر منه النبي ﷺ شيئًا بذلك العرض. اهـ. والله أعلم.

وقال النووي[2]: وأما تخصيص هذه السورة فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته، والإخلاص وتطهير القلوب، وكان الوقت يقتضي الاختصار ـ والله أعلم. اهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٤/٢٨٠).

(٢) شرح مسلم (٦/٨٦).

مبحث: الخوف من الله عز وجل نجاة

٤٦ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِه فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيه: إِذَا أَنَا متُّ فَاحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّي خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ».

---

[٤٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٩/١٣) في أحاديث الأنبياء باب (ح٣٤٨١).

وأخرج له البخاري شاهداً بمعناه (١٠٣/٢٤) عن أبي سعيد الخدري في الرقاق باب الخوف من الله - عز وجل (ح٦٤٨١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٠/١٧) في التوبة، باب سعة رحمة الله - تعالى - وأنها تغلب غضبه.

قوله: «ذَرُّونِي» يقال ذَرَتْه الريح وأذرته، إذا أطارته. اهـ. نهاية (١٥٩/٢).

قوله: «يسرف على نفسه» الإسراف: الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقار الأوزار والآثام. اهـ. نهاية (٣٦٢/٢).

المعنى

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[١] وقال عز وجل: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢] وقال عز وجل: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[٣] =

---

(١) سورة الرحمن: آية (٤٦).

(٢) سورة آل عمران: آية (٧٥).

(٣) سورة المائدة: آية (٤٤).

= وقال عز وجل: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١) فالله ـ عز وجل ـ يحب من يخشاه ويجزل له العطاء العظيم، وهو أهل لأن يخشى سبحانه، ولكن لا يخشاه إلا من علم أسمائه وصفاته الحسنى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢) ولذلك قال النبي ﷺ: «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(٣).

وفي هذا الحديث يبين لنا أبو هريرة نجاة من عصا ولكن خاف في آخرته فنجا بفضل رب الأرض والسماء، فيروي أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال:

«**كان رجل يسرف على نفسه**» في رواية الرقاق: «**فإنه لم يبتئر عند الله خيراً**». أي لم يدخر خيراً عند الله كما قال قتادة، وتبين هذه الرواية أنه من بني إسرائيل ففيها: عن النبى ﷺ ذكر رجلاً فيمن كان سلف أو فيمن كان قبلكم «**قوله**» فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقوني ثم اصحنوني ثم ذروني في الريح، وفي رواية الرقاق: فلما حضر قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: «**فإنه لم يبتئر عند الله خيرً**» وهذا سبب قوله: احرقونى ثم اصحنوني ثم ذروني «**ذروني**»بالتشديد من قوله: أذريت الريح الشيء إذا فرقته بهبوبها، وبالتخفيف بمعنى دعوني، قاله الحافظ ابن حجر(٤). أ هـ. قوله «**في الريح**» في رواية الرقاق: «**ريح عاصف**» لكي يفرقه فلا يبقى منه شيء مجتمع، وقد بينت رواية مسلم أن التذرية كانت في البحر والبر نصف ونصف؛ ليكون أبلغ في التفريق ففيها: «ثم أذروا نصفه في البر ونصفه فى البحر» قوله: «**فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك**»(٤) قال الخطابي: قد يستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب: إنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية. الله أ هـ. قال ابن قتيبة (٤) وقد يغلط في بعض =

(١) سورة النحل: آية (٥٠).

(٢) سورة فاطر: آية (٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، (٢٢/٣١٢/٣١٢ح٣١٢).

(٤) فتح الباري (١٣/٢٨٩ - ٢٩٠).

= الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك. أ هـ. قال الحافظ ابن حجر[1]: وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والزاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه. أ هـ. وقال النووي[2]: فقالت طائفة لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله تعالى فإن الشاك في قدره الله - تعالى - كافر، وقد قال في آخر هذا الحديث: إنما فعل هذا من خشية الله - تعالى - والكافر لا يخشى الله - تعالى - ولا يغفر له. أ هـ.

قوله: «فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه - ففعلت - فإذا هو قائم قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فجمعت الأرض ما فيها بأمر ملك الملوك بل والبحر، ففي رواية مسلم: «فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: «لم فعلت هذا». قال الحافظ[3]: وفي حديث سلمان الفارسي عند أبي عوانه في صحيحه «فقال الله له: كن. فكان كأسرع من طرفة عين» وهذا جميعه كما قال ابن عقيل إخبار عما سيقع له يوم القيامة، وليس كما قال بعضهم أنه خاطب روحه، فإن ذلك لا يناسب قوله: «فجمعه الله» لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد، وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث. أ هـ. قوله: «فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يارب خشيتك. فغفر له - وفي رواية: «مخافتك يارب» وفي رواية مسلم «قال: من خشيتك. يارب وأنت أعلم، فغفر الله له» وقال ابن حجر[3]: عن قول الرجل «إن يقدر الله علي....... الخ» قال: ومن اللطائف أن من جملة الأجوبة عن ذلك ما ذكره شيخنا ابن الملقن=

---

(١) فتح الباري (١٣/٢٨٩ - ٢٩٠).

(٢) شرح مسلم (١٧/٧١).

(٣) فتح الباري (٢٤/ ١٠٦).

= في شرحه: أن الرجل قال ذلك لما غلبه من الخوف وغطى على فهمه من الجزع فيعذر في ذلك، وهو نظير الخبر الذى يروى في قصة الذى يدخل الجنة آخر من يدخلها فيقال: «إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها. فيقول للفرح الذى دخله: أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح، قلت: وتمام هذا أن أبا عوانه أخرج فى حديث حذيفة عن أبى بكر الصديق أن الرجل المذكور في حديث الباب هو آخر أهل الجنة دخولاً، فعلى هذا يكون وقع له من الخطأ بعد دخول الجنة نظير ما وقع له من الخطأ عند حضور الموت، لكن أحدهما من غلبة الخوف والآخر من غلبة الفرح. أ هـ. وقد غفر الله ـ تعالى ـ له لما كان فى قلبه من خشية الله ـ عز وجل ـ والخوف منه والمهابة له وإجلال الله ـ تعالى ـ وقد وعد الله ـ تعالى ـ الخائفين منه بجنتين، قال تعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [**الرحمن**: ٤٦] والله أعلم. والمغفرة هذه بسبب الخوف من الله ـ تعالى ـ كانت لما أسلف من ذنوب ولوصيته بتحريق نفسه والله، أعلم. والرجل لم ينتحر إنما أمرهم بالتحريق بعد إنقضاء أجله، والله أعلم.

(١) سورة مريم: آية (٩٣).

(٢) سورة يس: آية (٨٢).

(٣) فتح البارى (٢٨٩/١٣).

(٤) فتح الباري (١٠٦/٢٤).

مبحث : قول النبى ﷺ
« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

٤٧ – عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: « **أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وكلكم مَسْئُول عن رَعِيَّتِهِ، فالإمام الذي على الناس رَاعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجلِ راع على أهلِ بَيْتِهِ وهو مسؤل عن رعيته، والمَرْأَه رَاعِيَةٌ على أهل بيتِ زَوْجها، وَوَلَدِهِ وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجلِ راع على مال سيِّده وهو مسئول عنه، ألا فَكُلُّكُمْ راع وكلكم مسئول عن رعيته** ».

---

[٤٧] أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٨/٥ في الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ح ٨٩٣.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٣٠/٢٧ فى الأحكام، باب قول الله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ . ح٧١٣٨

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢١٣/١٢ في الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل.... الخ.

وأخرجه الطبراني في الأوسط ١٧١/٤ ح ٣٨٩٠

ملاحظة: الرواية المذكورة هى رواية البخارى فى الأحكام ح ٧١٣٨

المعنى

قال تعالى ﴿ **وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقه** ﴾ الآية [١] وقال تعالى ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾[٢] فكل من له رعية هو مسئول عما قدم وما أخر معهم، وكيف هو منهم من الأمور الشرعية في تبليغهم وتعليمهم، وإقامة الحق فيهم، فليعد =

---

(١) سورة الإسراء: آية (١٣).

(٢) سورة التحريم: آية (٦).

= الظالم جواباً، والتارك لأولاده وزوجه بلا أدب ولا عفة، ولا تعليم للأمانة، ولا احتشام للنساء ولا تستر، ولا تعليم لأولاده ما يعبدون به ربهم، بل علمهم تعاليم الكفار وعاداتهم ظانًا أن هذا لا حساب عليه، فليعلم قول النبي ﷺ «**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» قال الحافظ ابن حجر [1] : ألا بتخفيف اللام حرف افتتاح.أ هـ. وقال النووي[2] : قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.أ هـ. قوله: «فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته» قال ابن حجر[1] : أي الإمام الأعظم. أ هـ. قوله: «والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته» وفي رواية مسلم: «وهو مسئول عنهم» أي عن كل ما لهم من متطلبات، مما تقتضيه الحياة من أمر الدين والدنيا، وما عليهم من واجبات حتى يصبحوا مسئولين عن أنفسهم، ومن ضيع أولاده ولم يرضعهم الإسلام بل سقاهم سنن من بدلوا الدين؛ فقد غشهم وحرم نفسه الجنة، قال ﷺ فيما أخرجه مسلم[3] في صحيحه من حديث معقل بن يسار مرفوعًا «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». قوله: « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم «وفي رواية مسلم: «والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده» قال الخطابي [1]: ورعاية المرأة: تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك.أ هـ. قوله: «وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه» قال الخطابي[1]: ورعاية الخادم: حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته.أ هـ. قوله: «ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» قال القسطلاني[4] : أي حافظ ملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره =

(١) فتح الباري (١٣١/٢٧).

(٢) شرح مسلم للنووي (٢١٣/١٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٤/١٢ في الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل.. الخ

(٤) هدي الساري (٦٧/٢).

= فكل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته؛ فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل الحظ الأوفر والجزاء الأكبر، وإلا طالبه كل واحد من رعيته في الآخرة بحقه. أ هـ. وقال الطيبي[٣]: في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوبًا لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي ألا يتصرف إلا بم أذن الشارع فيه، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه، فإنه أجمل أولاً، ثم فصل وأتى بحرف التنبيه مكررًا.أ هـ. قال ابن حجر [٢] وقال غيره: دخل في هذا العموم المنفرد الذى لا زوج له ولا خادم ولا ولد، فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقًا واعتقادًا فجوارحه وقواه وحواسه رعيته. أ هـ. وهناك حديث يفصل السؤال والجواب، فقد أخرج الطبراني عن أنس أن النبي ﷺ قال لأنس: «**فأعدوا لتلك المسائل جواباً**» فقال : يا رسول الله، وما جوابها؟ قال : «**أعمال البر**»[١] . قال الحافظ: وسنده حسن، والله أعلم. والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/٤٨ ح٣٥٧٦).

(٢) فتح الباري (٢٧/١٣١).

مبحث: ما يخوف الله به عباده من الآيات

٤٨ - عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الأُولَى، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**».

---

[٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٢) أبواب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف (ح١٠٤٤) وأخرجه مسلم في صحيحه (٦/٢٠٠) في كتاب الكسوف.

المعنى

إن الله - عز وجل - خلق الخوف لحكمة عظيمة فإن كثيراً من العباد لا يصلح له سير إلا إذا سلط عليه سوط الخوف والترهيب حتى يستقيم؛ فلذلك أول ما أنزل ذكر الجنة والنار، فلما ثاب الناس إلى الله نزل الحلال والحرام فأصبح ميسراً العمل به والامتثال لما فيه، وقد يصدر التخويف من المخلوقات بعضهم لبعض، ومن البشر بعضهم لبعض، حتى يرتدع الخارج عن طريق الحق والجادة والاستقامة بالرجوع إليها، وقد يكون المخوف يقدر على تحقيق ما يقول وينذر به، وقد لا يقدر إنما هو تهديد مجرد عن الحقيقة، أما بالنسبة لله - عز وجل - فالتخويف حق صدر عن عليم قدير يستطيع أن يجري الأمور على ما يشاء ويريد سبحانه، ومما يخوف الله - تعالى - =

= به عباده خسوف الشمس والقمر، ويسمى الكسوف أيضًا، وقد حدث ذلك على عهد رسول الله ﷺ وفي زمانه يوم موت ابن النبي ﷺ إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال الناس: خسفت الشمس لموت إبراهيم، أي حزنًا عليه، فلم يرضَ رسول الله ﷺ أن يعتقد الناس أمرًا لا يريده الله ولا يحق، أو أمرًا ليس صحيحًا، فلم يرضَ ولم يسكت إنما أبان عن هذه الحقيقة، وأخبرهم أن موت إبراهيم قد قدره الله ـ تعالى ـ وأن خسوف الشمس أيضًا جاء قدرًا يوم مات إبراهيم، ولكن لعلة غير الموت، فهما لا ينكسفان لموت أحد، ولو كان أعظم الناس، ولا لمولده، إنما هما ءايتان من ءايات الله يخوف الله بهما عباده حتى يؤوبوا إلى الله ويتوبوا إليه، لذلك أمرهم ﷺ بزيادة الطاعة إذا رأوا ذلك امتثالاً لأمر الله، ورهبة وخوفًا وخضوعًا لما يحدثه الله ـ تعالى ـ من آيات وعبر وإنذارات، فقال ﷺ: «**فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا**» ثم بين ﷺ أنه ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، وهو يكره ذلك سبحانه، ثم يبين لهم ﷺ بيانًا عظيمًا قويًا حقيقيًا يلين القلوب القاسية، ويرطب القلوب الرقيقة، ويوقظ القلوب النائمة، وينشط القلوب اليقظى، فقال ﷺ: «**يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» يعني لو تعلمون ما رأيته وعلمته واطلعت عليه من أمر البرزخ والقيامة والحاقة والطامة والصاخة والواقعة والقارعة والأهوال العظام التي تجعل الولدان شيبًا، والجنة والنار ووصفها لضحكتم قليلاً قليلاً، ولزاد البكاء خوفًا من ذلك كثيرًا كثيرًا.

وقولها رضي الله عنها في هذا الحديث: «فقام فأطال القيام» بينت رواية ابن عباس[1] مقدار هذا القيام، ففيها: «فقام قيامًا طويلاً نحوًا من قراءة سورة البقرة، ثم ركع ركوعًا طويلاً، ثم رفع فقام قيامًا طويلاً، وهو دون القيام الأول» قال الحافظ ابن حجر[2]: فيه أن الركعة الثانية أقصر من الأولى، وقال =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢٣٦ في أبواب الكسوف، باب صلاة الكسوف في جماعة (ح١٠٥٢).

(٢) فتح الباري (٥/٢٣٦).

= أيضًا[1]: اتفاق العلماء على زيادة الركوع في كل ركعة على قراءة الفاتحة فيه، ثم بين أنه لا دخل للقياس في صلاة الكسوف، وأنها جاءت على صفة مخصوصة، بل كل ما ثبت أنه ﷺ فعله فيها كان مشروعًا لأنها أصل برأسه. اهـ.

وقوله: «**فأطال الركوع**» قال الحافظ[2]: لم أرَ في شيء من الطرق بيان ما قاله فيه إلا أن العلماء اتفقوا على أنه لا قراءة فيه، وإنما فيه الذكر من تسبيح وتكبير ونحوهما، وقولها: «**فخطب الناس**» فيه مشروعية الخطبة للكسوف، واستدل به على أن الانجلاء لا يسقط الخطبة بخلاف ما لو انجلت قبل أن يشرع في الصلاة فإنه يسقط الصلاة والخطبة. اهـ.

قوله ﷺ: «**ما من أحد أغير من الله**» قال الحافظ[3]: قال ابن فورك: ما أحد أكثر زجرًا عن الفواحش من الله. اهـ. وهي غَيْرَة كما يليق من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل. قال ابن دقيق العيد[3]: أهل التنزيه في مثل هذا على قولين: إما ساكت، وإما مؤول على أن المراد بالغيرة شدة المنع والحماية فهو من مجاز الملازمة. اهـ. قلت: «الصمت خير» إلا عن الخير الذي لا يشوبه غيره، وقوله ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم**»: أي من عظيم قدرة الله وانتقامه من أهل الإجرام «**لضحكتم قليلاً**» قيل: معنى القلة هنا العدم، والتقدير: لتركتم الضحك ولم يقع منكم إلا نادرًا لغلبة الخوف واستيلاء الحزن، قال الحافظ: وقال أيضًا: وفي الحديث ترجيح التخويف في الخطبة على التوسيع في الترخيص لما في ذكر الرخص من ملائمة النفوس لما جبلت عليه من الشهوة، واستدل به على أن لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة. اهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٥/٢٢٣ - ٢٢٤).

(٢) فتح الباري (٥/٢٢٣).

(٣) فتح الباري (٥/٢٢٤).

مبحث: فضل البكاء من خشية الله تعالى

٤٩ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُل بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، ولاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**».

---

[٤٩] أخرجه الترمذي في سننه (٥/٢٦٠) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله (ح١٦٨٣) وقال: حسن صحيح.

أخرجه أحمد في المسند (٢/٥٠٥) عن يزيد الذي تابع ابن المبارك كلاهما عن المسعودي به مرفوعًا.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**» أي لا يدخل النار أحد من المسلمين بكى خوفًا من الله - عزوجل - لأن هذا الخوف لا ينتج ولا يصدر إلا عن قلب مؤمن ملازم لخدمة مولاه في طاعته دائمًا، قال الله - عز وجل -: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** ﴾[2]، قال صاحب التحفة[3]: قوله: «لا يلج النار» أي لا يدخلها «رجل بكى من خشية الله» فإن الغالب من الخشية امتثال الطاعة واجتناب المعصية «حتى يعود اللبن في الضرع» هذا من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾[4] .اهـ. وفيه فضل البكاء من خشية الله - تعالى - فهو طريق عظيم من طرق الجنة الموصلة إليها.

---

(١) سورة الرحمن: آية (٤٦).

(٢) سورة الإنسان: آية (١٠-١٢).

(٣) تحفة الأحوذي (٥/٢٦٠).

(٤) سورة الأعراف: آية (٤٠).

مبحث : لا يشهد لميت بجنة أو نار
إلا من ثبت في حقه بنص شرعي

٥٠ - عن خارجة بن زيد بن ثابت، أن أمَّ العلاء - امرأةً من الأنصار بايعت النبي ﷺ - أخبرته أنه اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً، فَطَارَ لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا، فَوَجِعَ وجعه الَّذِي تُوُفِّيَ فيه، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ في أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ، لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟»** فقلت: بأبي أنت يا رسول الله؛ فمن يكرمه الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **«أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَا يُفْعَلُ بِي»** قالت: فَوَاللهِ لا أزكي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

= قوله: «**ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم**» أي من أصابه غبار في الجهاد فجزاؤه وأجره يحجبه عن دخان جهنم إن مات على التوحيد، ولم يأت بما يغلب هذه الحسنات العظيمة من عظيم الكبائر، فإذا حدث فتكون الموازنة، وفي الغالب أن من أتى بموجبات الجنة ينجيه الله - تعالى - برحمته من موجبات النار، قال صاحب التحفة[1]: «ولا يجتمع» أي على عبد «غبار في سبيل الله ودخان جهنم» فكأنهما ضدان لا يجتمعان، كما أن الدنيا والآخرة نقيضتان. اهـ. والله أعلم.

مبحث : لا يشهد لميت بجنة أو نار
إلا من ثبت في حقه بنص شرعي

[٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩/٦) في الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (ح١٢٤٣).

قوله: «**طار لنا عثمان بن مظعان**» قال ابن الأثير: أي حصل نصيبنا منهم عثمان. اهـ. نهاية (١٥١/٣).

قوله: «**أبا السائب**» تعني عثمان المذكور. اهـ. فتح الباري (١٣٩/٦). =

---

(١) تحفة الأحوذي (٢٦٠/٥).

المعنى

لقد اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه بمعرفة ما تكنه النفوس وتخفيه الصدور وما تلحظه العيون؛ قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور﴾[1] لا تخفى عليه خافية سبحانه، فقد يظهر الإنسان شيئًا وقلبه يخفي آخر، لذلك لا ينبغي لأحد أن ينسب أحدًا إلى الجنة أو إلى النار، إنما يقال هذه أعمال أهل الجنة، وهذه أعمال أهل النار؛ إلا من ورد فيه نص بذلك كالأنبياء والعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم من الصحابة الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3].

وفي هذا الحديث تخبر أم علاء أن الأنصار اقترعوا على سكنى المهاجرين لما دخلوا عليهم المدينة، فخرج في قرعتهم عثمان بن مظعون ليكون معهم، وكنيته أبو السائب، فلما مات رضي الله عنه بعد أن مرض وغسل وكفن في كفنه دخل رسول الله ﷺ عليه فقالت أم العلاء: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، قالت أم العلاء ذلك لما رأته من صلاح عثمان، فأقسمت أن الله أكرمه وغفر له، وأنه من أهل الجنة بسبب كثرة الطاعة وما قدمه من خير رأته، قال القسطلاني[4]: يعني في قولها: «فشهادتي عليك لقد أكرمك الله» جملة من المبتدأ والخبر، ومثل هذا التركيب يستعمل عرفًا، ويراد معنى القسم، كأنها قالت: أقسم بالله لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك**» بكسر الكاف؛ أي من أين =

(١) سورة غافر: آية (١٩).

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٠).

(٣) سورة الفتح: آية (١٨).

(٤) إرشاد الساري (٣/٣٧٧).

= علمت أن الله أكرمه؟ فقلت: بأبي وأمي أنت؛ أي أفديك يا رسول الله، فمن يكرمه الله إذا لم يكن هو من المكرمين مع إيمانه وطاعته الخالصة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أما هو فقد جاءه اليقين» أي الموت «والله إني لأرجو له الخير» وأما غيره فخاتمة أمره غير معلومة، أهو ممن يرجى له الخير عند اليقين أم لا. اهـ. بتصرف يسير، ثم قال رسول الله ﷺ قولة شديدة العظمة تحتاج لبيان عاجل، قال: والله ما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل بي» تواضعًا منه ﷺ وتحذيرًا للأمة من الغرور والاتكال على حقير الأعمال أو كبيرها ناسين أهوال الطامة. قال الحافظ ابن حجر[1]: قوله: «ما يفعل بي» قال رسول الله ﷺ ذلك موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لأن الأحقاف مكية، وسورة الفتح مدنية لا خلاف فيهما، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «**أنا أول من يدخل الجنة**»[2] وغير ذلك من الأخبار الصريحة في معناه، فيحتمل أن يحمل الإثبات في ذلك على العلم المجمل والنفي على الإحاطة من حيث التفصيل. اهـ. وقال القسطلاني[3] في الهدي: أو المراد: لا أدري ما يفعل بي أي في الدنيا من نفع وضر وإلا فاليقين القطعي بأنه خير البرية يوم القيامة، وأكرم الخلق، قال القرطبي والبرماوي: وقال البيضاوي: أي في الدارين على التفصيل؛ إذ لا علم بالغيب. اهـ. وما قبله أرجح.

وقوله: «قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا» بعد أن سمعت ذلك من النبي ﷺ علمت بعظمة أمر السر في القلوب التي لا يطلع عليها إلا مقلبها، فكما أقسمت أولاً أقسمت آخرًا بأنها لا تزكي أحدًا بعد ذلك يعني إلا ما ورد فيه النص بالتزكية والمدح والنجاة قال القسطلاني[3]: وفي الحديث أنه لا يجزم في أحد بأنه من أهل =

(١) فتح الباري (٦/١٤٠).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٤٤).
(٣) إرشاد الساري (٢/٣٧٧).

= الجنة إلا إن نَصَّ عليه الشارع كالعشرة؛ لا سيما والإخلاص أمر قلبي لا يُطَّلَعُ عليه. اهـ. فاللهم أصلح سرائرنا وظواهرنا واختم لنا بخير يا رب العرش العظيم. والله أعلم.

تراجم: أما خارجة بن زيد: فهو ابن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - الصحابي الأنصاري المدني، ويكنى بأبي زيد، روى خارجة عن أبيه وأم العلاء وغيرهما متفق على توثيقه، توفي سنة مائة هجرية. اهـ. تهذيب التهذيب (٣/٦٥، ٦٦) وأم العلاء: هي أم العلاء بنت الحارث الأنصاري، قال ابن حجر: يقال: إنها زوجة زيد بن ثابت وأم ابنه خارجة، قلت: إذًا فقد روى خارجة عن أمه، ولكنه أبهم ذلك تمامًا حيث قال: امرأة من الأنصار، فالله أعلم هل هي أمه أم لا، خاصة وقد قال الحافظ: يقال بصيغة المجهول، والله أعلم، ولكن قال الحافظ عن حديثنا هذا: وقد رواه يزيد بن أبي حبيب عن سالم أبي النضر، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أمه؛ أن عثمان بن مظعون... الحديث. اهـ. تهذيب (١٢/٥٠١).

أما عثمان بن مظعون: فهو ابن حبيب بن وهب بن حذافة أبو السائب، من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم ﷺ فصلى عليهم، وكان رضي الله عنه أول من دفن بالبقيع. اهـ. سير أعلام النبلاء (١/١٥٣:١٦٠).

مبحث: «الله تعالى أحق أن يخشى»

[٥١] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحْقِر أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ**» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدُنَا نَفْسَهُ؟ قال: «**يَرَى أمْرًا لله عَلَيْه فِيه مَقَالٌ، ثُمَّ لا يَقُولُ فِيه، فَيَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وكَذَا؟ فَيقُولُ خَشْيَةُ النَّاسِ فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى**».

---

[٥١] أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٢٨/٢) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ح٤٠٠٨) قال المنذري في الترغيب والترهيب (١٦٩/٣) في الحدود: باب الترغيب في الأمر بالمعروف.. إلخ، رواه ابن ماجه ورواته ثقات. اهـ.

وأخرجه أحمد في المسند (٤٧/٣).

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٥٥/٩٠/١٠) في آداب القاضي (ح٢٠١٨٤) باب ما يستدل به على...

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يحقر أحدكم نفسه**» وعند البيهقي: «لا يحقرن أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ أي كيف يحدث من أحدنا أن يحقر نفسه ويجعلها حقيرة؟ قال: «يرى أمرًا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه» أي يرى أمرًا من أوامر الله - تعالى - وحدًا من حدوده قد انتهك، وقد وجب عليه أن يقول مقالاً يرفع الغضب ويمنع المنكر ويقيم أمر الله، ويحد حدوده، ويرفع الانتهاك عنها، ثم يسكت مخافة أن يُؤذى من صاحب المنكر، أو يلام من الناس، أو يتعرض له بأذى، أو نحوه من مقاطعة أو سخرية أو غير ذلك مما غالبًا ما يتعرض له المتعرض لإظهار الحق وإزهاق الباطل؛ لذلك أمر الله - تعالى - بالصبر على أمره تعالى بإظهار الحق فقال تعالى: =

= ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1].

قوله: «**فيقول الله ـ عز وجل ـ له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا**» وعند البيهقي: «ما منعك أن تقول يوم كذا وكذا» أي ما منعك أن تقول الحق في الباطل الذي صورته كذا، وذلك كان حدوثه في يوم كذا وساعة كذا بالمكان كذا.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[3].

قوله: «**فيقول خشية الناس**» وعند البيهقي: «قال: يا رب إني خشيت الناس» أي خفتهم على نفسي.

قوله: «**فإياي كنت أحق أن تخشى**» لأني أنا الذي بيدي ملكوت كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5] وقال عز وجل: ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾[6] والله أعلم. فعاتبه الله ـ عز وجل ـ على خشيته المخلوق، والخالق سبحانه أحق أن يخشى ويخاف منه سبحانه وحده.

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة غافر: آية (١٦، ١٧).

(٣) سورة النور: آية (٢٥).

(٤) سورة الأحزاب: آية (٣٧).

(٥) سورة آل عمران: آية (١٧٥).

(٦) سورة المائدة: آية (٤٤).

مبحث: التحذير من تمني العقوبة

٥٢ - عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ عَادَ رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فَصَارَ مِثلَ الْفَرْخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**»، قال: نعم، كنت أقول اللهم ما كنت مُعَاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ! لا تُطِيقُهُ - أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» قال: فدعا اللهَ لَهُ فَشَفَاهُ.

---

[٥٢] أخرجه مسلم في صحيحه (١٣/١٧) في الذكر والدعاء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا.

وأخرجه أحمد في المسند (١٠٧/٣).

قوله: «**خفت**» أي ضعف. اهـ. شرح مسلم (١٣/١٧).

المعنى

يخبر أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه زار رجلاً من المسلمين والرجل مريضًا قد ضعف جداً وهزل هزالاً شديداً حتى أصبح كالفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه**» أي هل كنت تدعو الله - عز وجل - بدعاء قد أخطأت فيه بدعائك على نفسك وأصابك ما أصابك؟ وهذا من أعلام النبوة، فقد أحس ﷺ بما حدث قبل الإخبار مع أنه أمر مستبعد غالبًا.

قوله: «قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا» أي نعم يا رسول الله، كنت أسأل الله أنه إن كان هناك ذنبًا أستحق عليه عقوبة الآخرة أن يعجله في الدنيا بدلاً من الآخرة؛ أي يعجل عقوبته في الدنيا.

قوله: فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه**» على الشك أيهما قال؛ أي سبح النبي ﷺ تعجبًا مما فعل الرجل، وأخبره بأنه لا يطيق عذاب الله -=

= تعالى - أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، فقد ظن الرجل أنه طالما عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فهو يطاق؛ لكن كما بين له نبينا ﷺ أن عذاب الله شديد ولو مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[1] قوله ﷺ: «**أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**» أي هلا قلت أفضل مما دعوت به على نفسك بأن تدعو الله - تعالى - لها بحسنة الدنيا والآخرة، والنجاة من النار، فرحمته وسعت كل شيء وليس بعظيم على الله أن يغفر وينعم بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب، فهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[3].

قوله: «**فدعا الله له فشفاه**» أي دعا رسول الله ﷺ للمريض بالشفاء فشفاه الله - تعالى - استجابة لدعوة نبينا ﷺ، قال النووي[4]: وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة، وفيه فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وفيه جواز التعجب بقول: سبحان الله، وفيه استحباب عيادة المريض والدعاء، وفيه كراهية تمني البلاء لئلا يتضجر منه ويسخطه وربما شكا، قال: وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة الجنة والمغفرة، وقيل: الحسنة نعم الدنيا والآخرة. اهـ. والله أعلم.

(١) سورة غافر: آية (٣).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٥٦).

(٣) سورة يوسف: آية (٦٤).

(٤) شرح مسلم (١٧/١٣ - ١٤).

مبحث: مخافة المؤمن أن يحبط عمله

٥٣ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ افتقدَ ثابتَ بن قيسٍ فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك عِلْمَهُ، فأتاه فوجده جالسًا في بيته مُنَكِّسًا رأسه، فقال: «**ما شأنك؟**» فقال: شر، كان يرفع صوتَه فوق صوتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرجلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قال: كَذَا وَكَذَا، فَقَال موسى بن أنس: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «**اذْهَبْ إِلَيْه فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

---

[٥٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١١٥، ١١٦) في علامات النبوة في الإسلام (ح٣٦١٣).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/٢٢٠) في تفسير الحجرات، باب ﴿**لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ (ح٤٨٤٦).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٣٣) في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله.

المعنى

يخبر أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، أي ابن شماس - رضي الله عنه - أي: لم يجده يحضر المسجد عند النبي ﷺ، وعند مسلم: «وكان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار» ولذلك كان خطيب النبي ﷺ وهو الذي تركه النبي ﷺ لمسيلمة الكذاب يرد عليه، قال له: «**وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني**»[1].

قوله: «فقال رجل يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه» أي آتيك بخبره، قال الحافظ: وقوله: «أعلم لك» أي لأجلك، وقوله: «علمه» أي خبره. اهـ. والرجل هو الذي ذكره مسلم في صحيحه، ففيه: فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «**يا أبا عمرو**،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/٢١٣) في المغازي (ح٤٣٧٣) باب وفد بني حنيفة.

= ما شأن ثابت اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال فأتاه سعد... إلخ. قوله: «فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه يبكي، فقال: ما شأنك - أي لم تبكي - ولم جلست في بيتك لم تأت مجلس النبي ﷺ؟ قوله: «فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار» قال الحافظ[1]: كذا ذكره بلفظ الغيبة وهو التفات، وكان السياق يقتضي أن يقول: كنت أرفع صوتي. اهـ. قال النووي[2]: وكان ثابت - رضي الله عنه - جهير الصوت، وكان يرفع صوته، وكان خطيب الأنصار، ولذلك اشتد حذره أكثر من غيره. اهـ.

قوله: وقد ظن ثابت لعلو صوته وجهارته أن الآية تقصده، وأن عمله قد حبط، وأنه من أهل النار؛ وهذا من شدة إيمانه وتحريه الحق وخوفه من الوعيد، فخاف أن يتعلق به شيء من غضب الله - تعالى - أو غضب نبيه ﷺ. قوله: «فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا» أي أخذ النبي ﷺ بقول ثابت وخوفه. قوله: «فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: **اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة**» عند مسلم: «**بل هو من أهل الجنة**» إي والله نعم إنها البشارة العظيمة بل أعظم البشارات، وأي بشارة أعظم من ذلك حتى قال سعد بن معاذ في رواية مسلم[3]: «فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة» فهنيئًا لثابت. وقد ثبت في صحيح البخاري ما قاله النبي ﷺ، ففي كتاب الجهاد[4] أنه قاتل يوم اليمامة، وهو الذي قال يومها: «ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ بئس ما عودتم أقرانكم» ذكر ابن حجر في رواية أنه تقدم فقاتل حتى قتل. اهـ. قال النووي[2]: وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لثابت بن قيس - رضي الله عنه - وهي أن النبي ﷺ أخبر أنه من أهل الجنة. اهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (١٤/١١٦).
(٢) شرح مسلم (٢/١٣٤).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٣٥) في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله.
(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب التحنط عند القتال (ح٢٨٤٥).

الفصل الرابع
الرجاء في الله عز وجل

مبحث : في النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى

٥٤ ـ عن جندب أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله ـ تعالى ـ قال: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطتُ عَمَلَكَ**» أو كما قال».

---

[٥٤] أخرج مسلم في صحيحه (١٧٤/١٦) في البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله.

قوله: «من ذا الذي يتألى علي»: أي من حكم علي وحلف؟ وهو من الأليه: اليمين، يقال: آلى يولي إيلاء وتألى يتألى تأليًا. اهـ. نهاية (٦٢/١).

المعنى

يخبرنا جندب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال: «**والله لا يغفر الله لفلان**» أي أقسم بالله ـ تعالى ـ على رجل لكثرة ذنوبه أن الله ـ تعالى ـ لا يغفر له، ونسي هذا أن الله ـ تعالى ـ لم يعلم أحدًا الغيب إلا من ارتضى من رسول، ونسي أن المغفرة بيده وحده سبحانه؛ فلا يملكها أحد ولا سيد العالمين نفسه ﷺ ونسي أن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] فقد تسع بعض المذنبين بالمغفرة التامة بلا مقابل من عظيم حسنات، إنما بمجرد التوبة المصحوبة بالندم والعزم على عدم العود، لذلك قال الله ـ تعالى أي في الحديث القدسي ـ: «من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان» أي من الذي يحلف علي أن لا أغفر لفلان والمغفرة بيدي وحدي، فقال: «فإني قد غفرت لفلان» أي المذنب المسرف على نفسه، «وأحبطت عملك»: أي الحالف على ملك الملوك بما لا يعلم.. «أو كما قال» أي هذا =

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٦).

مبحث: قوله تعالى: «إن رحمتي غلبت غضبي»

٥٥ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وُضِعَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**».

= اللفظ الذي قلته هو أو كاللفظ الذي قاله هو ﷺ إن أخطأت أنا، قال النووي[1]: معنى يتألى: يحلف، والألية اليمين، وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها، واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته، وسمي إحباطًا مجازًا، ويحتمل أن جرى منه أمر آخر أوجب الكفر، ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا وكان هذا حكمهم. اهـ. والله أعلم.

مبحث: قوله تعالى: «إن رحمتي غلبت غضبي»

[٥٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٢/٢٨) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (ح٣٤٠٤).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٦٨/١٧) في التوبة، باب سعة رحمة الله - تعالى - وأنها تغلب غضبه.

المعنى

قال الله - عز وجل -: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ =

---

(١) شرح مسلم (١٧٤/١٦).

(٢) سورة يوسف: آية (٦٤).

= فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

وفي هذا الحديث الشريف يقول نبينا ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه» أي بعد أن خلق الله - عز وجل - الخلق كتب في كتاب عنده سبحانه، وليس للاستعانة لئلا ينسى بل من أجل صحف الملائكة الموكلة بالمكلفين، أما جملة «وهو يكتب على نفسه» فقال ابن حجر[2] بأنها حالية. اهـ. فالواو للحال والجملة الاسمية بعدها حالية في محل نصب.

قوله: «وهو وضع عنده على العرش» فأفضل التأويلات التي ارتضيتها للعندية ما عزاه ابن حجر[2] لابن التين - رحمهما الله تعالى - حيث قال: فمعنى العندية في هذا الحديث العلم بأنه موضوع على العرش، وأما كتبه فليس للاستعانة لئلا ينساه، فإنه متنزه عن ذلك لا يخفى عنه شيء، وإنما كتبه من أجل الملائكة الموكلين بالمكلفين. اهـ. وقريب منه قول الراغب[2]: «عند» لفظ موضوع للقرب، ويستعمل في المكان، وهو الأصل، ويستعمل في الاعتقاد، تقول عندي في كذا كذا، أي أعتقده، ويستعمل في المرتبة، ومنه: ﴿ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[3] وأما قوله: ﴿ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾[4] معناه من حكمك. اهـ. قوله: «إن رحمتي تغلب غضبي» سبحانه فكم عفا وعافى، وصبر وحلم عمن عصى وتجبر واستكبر وطغى وبغى؛ ومع ذلك أجله ورزقه وأعطاه، بل وغفر للبعض وهداهم وجعلهم من أهل ولايته سبحانه أرحم الراحمين، نسأله تعالى أن لا يحرمنا رحمته وسعتها، وأن يجعلنا من أهل فضله وإحسانه إنَّه ﴿أهل التقوى وأهل المغفرة﴾[5] » وفي رواية مسلم: «سبقت غضبي» قال النووي[6]: والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر[7]: وقال =

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٦ - ١٥٧).
(٢) فتح الباري (٢٨/١٦٢).
(٣) سورة آل عمران: آية (١٦٩).
(٤) سورة الأنفال: آية (٣٢).
(٥) سورة المدثر: آية (٥٦).
(٦) شرح مسلم (١٧/٦٨).
(٧) فتح الباري (١٣/١٠).

مبحث: قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»

٥٦ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: يقول الله - تعالى -: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

= بعض العلماء: الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات، ولا مانع من تقدم بعض الأفعال على بعض، فتكون الإشارة بالرحمة إلى إسكان آدم الجنة، ولما خلق مثلاً ومقابلها ما وقع من إخراجه منعًا وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره، ثم يقع بهم العذاب على كفرهم، وأما ما أشكل من عذاب بعض الموحدين، فالرحمة سابقة في حقهم أيضًا، ولولا وجودها لخلدوا أبدًا، وقال الطيبي في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ولا يلحق الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك. اهـ. والله أعلم.

مبحث: قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»

[٥٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٢/٢٨) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ويُحذّركم الله نفسه...﴾ الآية (ح٧٤٠٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٧)، في أول كتاب الذكر والدعاء، وأخرجه أيضًا في التوبة (٦٠/١٧). =

= قوله: «ملإ» بفتح الميم مهموز؛ أي جماعة. اهـ، فتح (٢٨/١٦٤).

قوله: «باعًا» طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، وذلك قدر أربعة أذرع. اهـ. فتح (٢٨/٣١١).

قوله: «هرولة» قال ابن الأثير: «من أتاني يمشي أتيته هرولة» الهرولة بين المشي والعدو. اهـ. قلت: وهو كما يليق به تعالى، والله أعلم.

المعنى

سبحانه ما أكرمه وأرحمه وأعظمه! يعطي على القليل من العمل الكثير الجزيل من الأجر، حتى الظن؛ إن أحسنه العبد بربه ـ تعالى ـ عند حسن ظنه به. يقول نبينا المصطفى ﷺ: «يقول الله ـ تعالى ـ: أنا عند ظن عبدي بي» قال الحافظ ابن حجر[1]: أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية، فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف؛ لأنه يختار لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء. اهـ.

ولا يختار الخوف لأنه يختار لنفسه؛ بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد، وهو جانب الرجاء. اهـ. وقال القرطبي في المفهم[1]: قيل: معنى «ظن عبدي بي» ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها؛ تمسكًا بصادق وعده، ثم قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك، وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبله وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ثم قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة، وهو يجر إلى مذهب المرجئة. اهـ. وقال النووي[2]: قال القاضي يعني قوله عز وجل: «أنا =

(١) فتح الباري (٢٨/١٦٣ - ١٦٦).

(٢) شرح مسلم (١٧/٢).

= عند ظن عبدي بي» قيل: معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب الكفاية، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العقود، وهذا أصح. اهـ.

قوله: «وأنا معه إذا ذكرني» قال النووي[1]: أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾[2] فمعناه بالعلم والإحاطة. اهـ.

قوله: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» قال ابن حجر[3]: أي إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرًا؛ ذكرته بالثواب والرحمة سرًا. اهـ. قال المازري[1]: النفس تطلق في اللغة على معان: منها الدم، ومنها نفس الحيوان، وهما مستحيلان في حق الله ـ تعالى ـ ومنها «الذات» والله ـ تعالى ـ له ذات حقيقة، وهو المراد بقوله تعالى «في نفسي». اهـ.

قوله: «وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه» ملإ بفتح الميم مهموز، أي جماعة. قال بعض أهل العلم[3]: يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري. اهـ. وأما الخيرية فأفضل الأجوبة فيها ما قاله ابن حجر[3]: وأجاب آخرون بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملإ معًا، والجانب الذي فيه رب العزة خير من الجانب الذي ليس هو فيه بلا ارتياب، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع. اهـ. فهذا إجابة عن سؤال كيف بمجلس فيه النبي ﷺ يذكر ومعه ذاكرون. اهـ. قوله تعالى: «وإن تَقَرب إليَّ شبرًا تَقَربت إليه ذراعًا، وإن تَقَرب إليَّ ذراعًا تَقَربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» قال النووي[1]: ومعناه: من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى =

---

(١) شرح مسلم (١٧/٢).

(٢) سورة الحديد: آية (٤).

(٣) فتح الباري (٢٨/١٦٣ - ١٦٦).

مبحث : الرجاء مع الخوف

٥٧ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يومَ خَلَقَهَا مائةَ رَحْمَة، فأَمْسَكَ عنْدَهُ تسْعًا وتسْعينَ رحْمَةً، وأَرْسَلَ في خَلْقه كُلِّهمْ رحْمَةً واحدَةً، فلَوْ يَعْلَمُ الْكَافرُ بكُلِّ الَّذي عنْدَ اللَّه منَ الرَّحْمَة لَمْ ييْأَسْ منَ الْجَنَّة، ولَوْ يعْلَمُ الْمُؤْمنُ بكُلِّ الَّذي عندَ اللَّه منَ الْعَذَاب لَمْ يأْمَنْ منَ النَّار».

= المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه. اهـ. وقال الباجي[1]: الباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، وذلك قدر أربعة أذرع. اهـ. قال ابن حجر[1]: قال الراغب: قرب العبد من الله بالتخصيص بكثير من الصفات التي يصح أن يوصف الله بها، وإن لم تكن على الحد الذي يوصف به الله ـ تعالى ـ نحو الحكمة والعلم والحلم والرحمة وغيرهم، وذلك يحصل بإزالة القاذورات المعنوية من الجهل والطيش والغضب وغيرها بقدر طاقة البشر، وقرب روحاني لا بدني، وهو المراد بقوله: «**إذا تقرب العبد مني شبراً تقربت منه ذراعًا**». اهـ. والله أعلم.

مبحث : الرجاء مع الخوف

[٥٧] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤/٨٩) في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف (ح٦٤٦٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٧/٦٨) في التوبة، باب سعة رحمة الله ـ تعالى ـ وأنها تغلب غضبه.

المعنى

قال تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخَافُونَ عذَابَهُ إنَّ عذَابَ ربِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[2] =

---

(١) فتح الباري (٢٨/١٦٣ ـ ١٦٦).

(٢) سورة الإسراء: آية (٥٧).

= فلا بد للمؤمن أن يكون بين خوف ورجاء، فهما جناحا طائر، لو اختل أحدهما اضطرب الطائر.

وهذا الحديث مثل عظيم لحقيقة ما عند الله ـ تعالى ـ مما يجب أن يرجوه العاصي ويحذره المطيع، فيقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»، وفي مسلم: «مائة جزء»، وهما بمعنى، قال الحافظ ابن حجر[1]: المراد بالرحمة هنا ما يقع من صفات الفعل كما سأقرره فلا حاجة للتأويل. اهـ.

قوله: «**فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة**» قال الإمام النووي[2]: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين؛ قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به؛ فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة، وهي دار الجزاء، والله أعلم. اهـ.

قوله: «**فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة**» ثبت في هذه الطريقة الفاء إشارة إلى ترتيب ما بعدها على ما قبلها، ومن ثم قدم ذكر الكافر؛ لأن كثرتها وسعتها تقتضي أن يطمع فيها كل أحد، ثم قال: والحكمة في التعبير بالمضارع دون الماضي الإشارة إلى أنه لم يقع له علم ذلك ولا يقع؛ لأنه إذا امتنع في المستقبل كان ممتنعًا فيما مضى، وقوله: «لم ييأس من الجنة» قيل: المراد أن الكافر لو علم سعة الرحمة لغطى على ما يعلمه من عظم العذاب، فيحصل له الرجاء. اهـ.

قوله: «**ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**»: قال ابن حجر[1]: فمن علم أن من صفات الله الرحمة لمن أراد أن يرحمه، والانتقام ممن =

---

(١) فتح الباري (٢٤/٨٩-٩٠).

(٢) شرح مسلم (١٧/٧٨).

= أراد أن ينتقم منه؛ لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته، ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة، ثم قال: والمقصود من الحديث أن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطًا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين: «لا يضر مع الإيمان شيء»، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة في النار؛ بل يكون وسطًا بينهما كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[1]، ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولاً وفروعًا كلها في جانب الوسط، والله أعلم.

فاللهم اجعلنا ممن يرجون رحمتك ويخافون عذابك.

(١) سورة الإسراء: آية (٥٧).

مبحث: تحريم الظلم
وبيان أن كل فضل من عند الله الكريم

٥٨ - عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه - تبارك وتعالى - أنه قال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَّا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ».

---

[٥٨] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٣١) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

قوله: «صعيد» جمعه صُعُد هي الطرق. اهـ، نهاية (٣/٢٩).

قوله: «المِخْيَط»: بكسر الميم وفتح الياء، هو الإبرة. اهـ. شرح مسلم (١٦/١٣٣).

المعنى

يخبرنا أبو ذر رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال في الحديث القدسي عن ربه - تبارك وتعالى - أنه قال: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي**» قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] قال النووي[2]: قوله تعالى: «**إني حرمت الظلم على نفسي**» قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله - سبحانه وتعالى - كيف يجاوز سبحانه وليس فوقه من يطيعه، والعالم كله في ملكه وسلطانه، وأصل التحريم في اللغة المنع، فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء.

قوله: «**وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**» أي حرمه أيضًا سبحانه على العباد فيما بينهم، وكره الظلم وأهله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[3] وجعل عاقبته يوم القيامة الظلمات، كما قال ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[4]، قال النووي[5]: قوله تعالى: «**وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**» هو بفتح التاء؛ أي لا تتظالموا، والمراد: لا يظلم بعضكم بعضًا، وهذا توكيد لقوله تعالى: «**وجعلته بينكم محرمًا**» وزيادة تغليظ في تحريمه. اهـ. قوله تعالى: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**» أي لولا هدايتي لكم وتوفيقي لكم وإصلاح قلوبكم لاستقبال الخير وإحاطته واحتضانه ما قَبِلَتْ، وما اهتديتم، فاطلبوا مني دائمًا زيادة الهداية ودوامها والاستمرار عليها والزيادة فيها؛ لذلك من الواجب في كل صلاة؛ بل في كل ركعة أن نقرأ قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[6]

قال النووي[2]: قوله تعالى: «**كلكم ضال إلا من هديته**» قال المازري: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال إلا من هداه الله - تعالى - فقد يكون المراد وصفهم بما =

---

(١) سورة فصلت: آية (٤٦).

(٢) شرح مسلم (١٦/١٣٢ - ١٣٤).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٤٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٣٤) في البر والصلاة، باب تحريم الظلم.

(٥) شرح مسلم (١٦/١٣٢ - ١٣٤).

(٦) سورة الفاتحة: آية (٦).

= كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا، قال النووي[1]: وفي هذا دليل لمذهب سائر أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله، وبهدى الله اهتدى، وبإرادة الله ـ تعالى ـ ذلك، وأنه سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يرد هداية الآخرين، ولو أرادها لاهتدوا خلافًا للمعتزلة في قولهم الفاسد أنه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع، جل الله أن يريد ما لا يقع أو يقع ما لا يريد. اهـ. فلله دره قوله: «**يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم**» أي لولا أن رزقتكم الطعام لما طعمتم ولعشتم جياعًا ولمتم جياعًا، فأنا الرزاق فاطلبوا مني الرزق والطعام أرزقكم إياه، ولا تتكبروا عن سؤالي أي شيء تريدون من الخير، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**﴾[3] وقال عز وجل: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ**﴾[4].

وقوله تعالى: «**يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**» أي حتى اللباس والكسوة؛ لولا فضل الله علينا بأن رزقنا ما نستخرج منه ما يصنع به الثياب لما وجدنا، سواء ما كان من الأنعام أو من الزرع أو من غيرهما، فأصل المادة خلقها الله ـ تعالى ـ بقدرته، فلولا تسخير الأرض والزرع والضرع لما استطاع أحد أن يفعل شيئًا، بل قد تحدث آفات تصيب الحرث والنسل، فما يستطيع أحد لها علاجًا، فمن الذي حمى السليم من الآفات؛ بل لو فقد المفكر صاحب الاختراعات عقله، فكيف يخترع؟ وهل عقله إلا صنعة لله ـ عز وجل ـ وصدق الله إذ يقول: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ** =

(١) شرح مسلم (١٦/١٣٢ ـ ١٣٤).

(٢) سورة غافر: آية (٦٠).

(٣) سورة الملك: آية (٣٠).

(٤) سورة الواقعة: آية (٦٩).

= لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

وقوله تعالى: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم» أي أن ذنوبكم متواصلة بالليل والنهار وتقصيركم في شكر نعمتي ليل نهار، وأنا أغفر للمستغفر والتائب والنادم والأواب، فاستغفروني واطلبوا مني المغفرة أغفر لكم، كما قال عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وقوله: «يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني﴾ ومن يقدر على ضر جبار السموات والأرض؟! ومن يملك لملك الملوك نفعًا أو ضرًا؟! سبحانه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

قوله سبحانه: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا» قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[4] فالله سبحانه لا تزيده طاعتنا في ملكه شيئًا، ولا تنقصه معصيتنا فكل خير نعمله راجع إلينا بكرمه مضاعفًا والسيئة تضرنا والعياذ بالله ـ تعالى ـ ولا تضر ربنا سبحانه، له الكمال =

(١) سورة إبراهيم: آيات (٣٢:٣٤).

(٢) سورة الزمر: آية (٥٣).

(٣) سورة آل عمران: آية (٢٦ ـ ٢٧).

(٤) سورة فصلت: آية (٤٦).

= المطلق، والغنى الكامل، قال تعالى: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴿٧﴾﴾[1] وقوله سبحانه: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا» أي ولو أن كلكم من أولكم إلى آخركم من الجن والإنس كانوا كلهم فجارًا كأفجر رجل منكم ما ضرَّ الله - تعالى - ذلك شيئًا ولا نقص من ملكه سبحانه شيئًا، وهو لا يحب عذابنا سبحانه، قال عز وجل: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾[2].

وقوله سبحانه: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**» أي لو أن كلكم إنسًا وجنًا قاموا في مكان واحد فدعوني وطلبوا كل ما يريدون مني؛ مع شدة نهمتهم وحبهم للدنيا والمال والمتاع وأجبتهم وأعطيتهم كل ما يريدون هذا كله لكل المخلوقات وشدة نهمهم؛ لا ينقص مما عندي إلا مثلما تنقص الإبرة ببللها من ماء البحر، فماذا يساوي البلل بالنسبة لسعة البحر وعظمته وضخامته. قال النووي[3]: المخيط بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة، قال العلماء: هذا تقريب إلى الأفهام، ومعناه: لا ينقص شيئًا؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر؛ لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة، والمقصود: التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه، فإن البحر من أعظم المرئيات عيانًا وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات =

---

(١) سورة الزمر: آية (٧).

(٢) سورة النساء: آية (١٤٧).

(٣) شرح مسلم (١٦/١٣٢ - ١٣٤).

= مع أنـها صقيلة لا يتعلق بها ماء، والله أعلم. اهـ. وكما قال نبينا ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة؛ سحاء الليل والنهار» وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده»[1]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[2].

قوله سبحانه: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها» أي تحسب عليكم لا نقصان ولا زيادة، كما قال عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[4].

وقوله سبحانه: «فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» فالخير كله من عند رب العرش العظيم، والشر كله من عند المخلوق، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ..﴾[5] الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[6] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[7]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/١٧٣) في التوحيد (ح٧٤١١).

(٢) سورة المائدة: آية (٦٤).

(٣) سورة الزلزلة: آية (٧، ٨).

(٤) سورة يس: آية (١٢).

(٥) سورة النساء: آية (٧٩).

(٦) سورة الشورى: آية (٣٠).

(٧) سورة فصلت: آية (٤٦).

مبحث: فضل يوم عرفة

وما يرجى فيه من تنزل الرحمة والمغفرة

٥٩ - عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أكْثَر مِنَ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ**».

---

[٥٩] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٦/٩) في الحج، باب فضل يوم عرفة.

المعنى

تروي لنا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة**» أي أكثر العتق الحاصل بفضل رب العالمين على عباده في يوم ما هو العتق الحاصل يوم عرفة. قال النووي[١]: هذا الحديث ظاهر الدلالة في فضل يوم عرفة وهو كذلك. اهـ.

قوله: «**وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة**» إنه سبحانه يدنو دنواً يليق بجلاله بلا حركة ولا انتقال من على العرش، بل هو دنو بلا تأويل ولا تشبيه بالمخلوقات، ولا تعطيل للدنو عن معناه اللغوي، والكيفية مفوض علمها إليه سبحانه.

قوله: «**فيقول: ما أراد هؤلاء**» أي ماذا يريدون لأعطيهم، فإن أرادوا مغفرة غفر لهم كما في حديث مسلم[٢] في الذكر والاجتماع عليه، أنه سبحانه يسأل الملائكة السياحين عن الذاكرين ماذا يرجون ومم يخافون، وماذا يسألون، فيخبرهم أخيراً قائلاً: «قد غفرت لهم...» الحديث، والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم (١١٦/٩) في الحج.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥/١٧) في الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر (ح٢٦٨٩).

مبحث : أهل الحب في الله في ظل الله تعالى يوم القيامة

٦٠ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**».

٦١ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

---

[٦٠] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٢٣) في البر والصلاة والآداب، باب فضل الحب في الله ـ تعالى.

[٦١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٢٤) في البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله ـ تعالى.

قوله: «بجلالي» أي بعظمتي. اهـ. شرح مسلم (١٦/١٢٣).

قوله: «أرصد الله على مدرجته» أرصده: أقعده يرقبه، والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق. اهـ. شرح مسلم (١٦/١٢٤).

قوله: «تربها» أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده. اهـ. نهاية (٢/١٨٠).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يقول يوم القيامة**» أي في الحديث القدسي ﴿**أين المتحابون بجلالي**﴾ أي أين الذين أحب بعضهم بعضًا من أجلي، ومن أجل عظمتي، ومن أجل طاعتي، ومن أجل أن كلاً =

= منهم يحب أخاه؛ لأنه يحب الله ولأنه يعظم الله ـ تعالى ـ ولأنه يجل الله ـ تعالى ـ لا لدنيا ولا لمصلحته ولا لمنفعة ولا لقبيلة ولا لمهنة ولا لشَبَهٍ ولا للغة ولا للون ولا لقرابة؛ ولا لأي شيء إلا لأن كل واحد منهم يحب الله ـ تعالى ـ ويعظمه سبحانه ويعظم شعائره سبحانه ويطيعه، قال النووي(١): قوله تعالى: «**المتحابون بجلالي**» أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا. اهـ.

قوله تعالى في الحديث القدسي: «**اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» أي جزاؤهم بذلك العمل الطيب الصالح أن أظلهم يوم تدنو الشمس من الرءوس قدر ميل، فأجعلهم في ظلي يوم لا ظل هناك إلا ظلي، وقد اختلفوا في تفسير الظل فمنهم من أوله، والأرجح قول من يصف الله ـ تعالى ـ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، والتفويض يكون في الكيفية، فهو ظل يليق بجلاله تعالى لا كظل المخلوقات، ولا يبعد أن يفسر بظل العرش؛ حيث إنه ورد في نص، قال النووي(١): وجاء في غير مسلم: «ظل عرشي»(٢) قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق. اهـ. والله أعلم. قلت: ولفظه عند أحمد(٢) قال رسول الله ﷺ: قال الله ـ عز وجل ـ: «المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي».

وفي الحديث الثاني:

يخبرنا أبو هريرة أيضًا عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى**» أي غير القرية التي هو يسكنها، انتقل إليه خصيصًا للحب في الله ـ تعالى ـ «**فأرصد الله له على مدرجته ملكًا**» أي وقف له بطريقه ليبشره بالبشرى العظيمة، وما أعظمهما! =

(١) شرح مسلم (١٦/١٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٢٨) من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا.

= وهل للصالحين أمل إلا فيها. قال النووي[1]: والمدرجة: هي الطريق سميت بذلك؛ لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون. اهـ. «**فلما أتى عليه**» أي وصل إلى المكان الذي فيه الملك «**قال**» أي الملك «**أين تريد**» أي أين تقصد إلى أي مكان نية ذهابك؟ «**قال: أريد أخًا لي في هذه القرية**» أي أريد أخًا في الإسلام يسكن هذه القرية، «**قال: هل لك عليه من نعمة تربها**» أي هل أنت ذاهب لنعمة لك عنده أو له عندك نعمة ترعاها وتحفظها وتنميها؟ قال النووي[1]: أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك. اهـ. «**قال: لا غير أني أحببته في الله ـ عز وجل ـ**» أي لا نعمة أربها عنده ولا شيء إلا شيء واحد وهو أني أحببته لأجل حبه لله ـ عز وجل ـ وطاعته له: «**قال: فإني رسول الله إليك**» أي ملك من عند الله ـ تعالى ـ إليك «**بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**» نعم البشرى ونعم البشارة، وهل هناك أفضل من حب رب العالمين لعبده لقد فاز بكل خير ونجا من كل مكروه فاللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك، ويحفظ لنا حبك.

قال النووي[1]: قال العلماء: محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عند إرادة الخير له وأن يفعل به فعل المحب من الخير، وفي هذا الحديث فضل المحبة في الله ـ تعالى، وأنها سبب لحب الله تعالى العبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب، وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة. اهـ. والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾**﴾ =

[**المائدة**: ٥٤ - ٥٦]

(١) شرح مسلم (١٦/١٢٤).

(٢) سورة المائدة: آية (٥٤ - ٥٦).

مبحث : الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت

٦٢ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

[٦٢] أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٩/١٧) في الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله الأنصاري بن حرام رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»؛ أي عندما يجيء الأجل ويدنو الرحيل ويوقن بالفراق لا بد أن يتذكر الوعد من الله تعالى بالخير والرحمة والجنة والمغفرة وأن الله تعالى قال: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[١]، وفي صحته لا بد أنه يغلب الخوف فهو سوط للنفس لكي تسلك الطريق وراء ركاب النجب الذين سبقوا، فإذا جاء الموت ذكرها بأن الله تعالى قال: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[٢]، لذلك لما دخل ابن عباس على عمر رضي الله عنهم أجمعين بعد إصابته وقبل موته، قال: أبشر يا أمير المؤمنين، وقد كنت كذا وكذا، وأخذ يعد المناقب، فقال عمر: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه... الحديث[٣]، قال النووي[٤]: قوله ﷺ: «لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»، وفي رواية: «إلا وهو يحسن الظن بالله =

(١) سورة الزمر، آية (٥٣).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٣/١٤) في الفضائل، باب مناقب عمر رضي الله عنه، (ح٣٦٩٢).

(٤) شرح مسلم (٢٠٩/١٧).

مبحث : من تعرض لنفحات رحمة الله تعالى فاز بالخير

٦٣ - عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ».

= تعالى»، قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق في الحديث الآخر، قوله سبحانه وتعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»[1]، قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له. اهـ. والله أعلم.

مبحث : من تعرض لنفحات رحمة الله تعالى فاز بالخير

[٦٣] أخرجه الطبراني في مجمعه الكبير (١/٢٥٠) (ح٧٢٠) في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٣١/٣٩٩)، وقال: رواه الطبراني، وإسناده رجاله رجال الصحيح، غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة (ح١٧٧١٤).

قوله: «**نفحات**» نفح الريح: هبوبها ونفح الطيب إذا فاح. اهـ نهاية (٥/٩٠).

قوله: «**روعاتكم**» هي جمع روعة وهي المرة الواحدة من الروع: الفزع. اهـ نهاية (٢/٢٧٧).

=

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/١٦٢) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ الآية، (ح٧٤٠٥).

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «افعلوا الخير دهركم» أي داوموا على فعل الخيرات طيلة أعماركم بلا انقطاع، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

قوله: «وتعرضوا لنفحات رحمة الله»: أي التي يبثها سبحانه من وقت لآخر؛ كيوم الجمعة، وساعة السحر، وساعة الإجابة، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وليلة القدر. فمن أصابه من ذلك الخير سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

قوله ﷺ: «فإن لله نفحات من رحمته» أي: نفحات رحمة تهب على المحبين المحبوبين من ولرب العالمين «يصيب بها من يشاء من عباده من تلك النفحات الطيبات الحاملة بالرحمات ينزلها الله تعالى على من يشاء من العباد. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٨ - ٥٠]

قوله ﷺ: «وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم»: بعد أن أرهم بالتعرض لنفحات الرحمة أمرهم بالدعاء بستر العورات فلا يظهر منها عيب لا خُلُقي ولا خَلْقي، لا جسدي ولا معنوي، وأن يؤمن الروعات فلا يحدث فزع فضلاً عما =

---

(١) سورة الحج آية (٧٧).

(٢) سورة الروم الآيات (٤٨ : ٥٠).

مبحث : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

٦٤ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ**».

= تقدم من التعرض للنفحات فتتم بفضل الله النعم الطيبات بفضل رب البريات؛ نسأله تعالى من نفحاته الكريمات المليئة بالرحمات، وصلى الله وسلم على من أرسله الله تعالى رحمة لسائر البريات محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلامات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مبحث : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

[٦٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/٢٦٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (ح٧٥٠٤).

وأخرجه البخاري في صحيحة (٢٤/١٥٦) شاهداً له عن عبادة، في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (ح٦٥٠٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٧/٩، ١٠)، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

المعنى

كل محب يحب أن يلتقي بحبيبه كل وقت وحال، فكذلك من ادعى حب ربه فيلزم قلبه حب لقائه، ولكن الحائل الموت، وكل الخلق يكره الموت، إذاً فالعبرة بالحب عند معاينة الأمر العظيم إذا شخصت العينان، وارتخت اليدان، وتوقف اللسان، وبرزت القدمان، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشجنت الأصابع؛ فعند ذلك - كما قالت أم المؤمنين - فعند ذلك «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» كما سأبين إن شاء الله عز وجل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب عبدي لقائي**

= أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»، وقد فسرته رواية البخاري في الرقاق: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته؛ فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه».

وقد فسرته رواية مسلم لعائشة تفسيراً واضحًا ففيها: عن شريح بن هانئ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين؛ سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فالمؤمن عند المعاينة للمقعد يحب لقاء الله لكن النفس تخرج كارهة، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى لنفس «اخرجي»، قالت: «لا أخرج إلا كارهة»، قال: «اخرجي وإن كرهت»[1]. قال النووي[2]: ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم: وهذا =

(١) أخرجه البزار، قال الهيثمي في الزوائد: (٢/٣٢٥)، وقال: رجاله ثقات.

(٢) شرح مسلم (١٧/١٩:٢١).

= معنى كراهته سبحانه لقاءهم وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى كراهتهم ذلك ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك بل هو صفة لهم. اهـ. وفي رواية لمسلم زيادة واضحة عظيمة ففيها « والموت قبل لقاء الله»: أي أن المقصود بعد الموت من الأحوال هو الذي فيه الحب والكره، قال ابن حجر[1]: وفي هذا الحديث من الفوائد البداءة بأهل الخير في الذكر لشرفهم، وإن كان أهل الشر أكثر، وفيه أن المجازاة من جنس العمل، فإنه قابل الكراهة بالكراهة، وفيه أن المحتضر إذا ظهرت عليه علامات السرور كان ذلك دليلاً على أنه بشر بالخير، وكذا بالعكس، وفيه أن الله تعالى لا يراه في الدنيا أحد من الأحياء، وإنما يقع ذلك للمؤمنين بعد الموت أخذاً من قوله «والموت دون لقاء الله»، وفي مسلم[2]: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا». اهـ، فاللهم اجعلنا ممن يحبون لقاءك يا الله.

وهناك لفظ للحديث عند مسلم[2]: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عزوجل حتى يموت»، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٦٠/٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٦/١٨) في الفتن وأشراط الساعة (ح١٦٩).

مبحث: من يزال يلتمس رضا الله تعالى فاز برحمة الله تعالى

٦٥ - عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ الله، ولا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لِجِبْرِيلَ: إِنَّ فُلانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي، أَلاَ وإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ، حَتَّى يَقُولُهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلَى الأَرْضِ».

[٦٥] أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٧٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٢/١٠) بعد أن ذكر الحديث: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة. اهـ.

قوله «يلتمس» أي يطلب ا.هـ نهاية ٤/٢٧٠.

المعنى

يخبرنا ثوبان رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: **«إن العبد ليلتمس مرضاة الله»** أي يطلب مرضاة الله ويحرص عليها في كل أموره يقصد بها رضوان الله تعالى، ويلتمس العمل الذي يحبه ربه تعالى من صلاة وصيام وصدقة وحج وجهاد ونصيحة ونحوهم، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ... الآية﴾ (١) قوله: **«ولا يزال بذلك»** أي يدوم ويصبر على ابتغاء مرضات الله تعالى في غالب أموره أو كلها.

قوله: **«فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه»**: لما كثر منه العمل الذي يرضى عنه رب العالمين أكرمه تعالى بأن أخبر سبحانه جبريل عليه السلام بما حدث من كثرة إرضاء العبد للملك، ثم تأتي البشارة العظيمة، وهي: **«ألا إن رحمتي عليه»** كما في الحديث الصحيح(٢):

(١) سورة البقرة، آية (٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٠/٢٨) في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل (ح٧٤٨٥).

= عـن أبي هريرة رضي الله عـنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «إن الله تبـارك وتعـالى إذا أحب عبـدًا؛ نادى جبـريل: إن الله قد أحب فلانًا فـأحبـه، فيحـبه جبـريل، ثم ينادي جبـريل في السمـاء: إن الله قد أحب فلانًا فـأحبـوه، فيحـبه أهل السماء، ويوضع له القبـول في أهل الأرض»، فكذلك قـال هنا: «**فيـقول جبـريل رحمـة الله على فلان**»؛ يكررها جبريل يدعو بها في السماء حتى «**يقولها حملة العرش**» الثمانية، «**ويقولها من حولهم**» من الملائكة المقـربين؛ حتى يقـولها أهل السـموات السـبع، وقـد قال الله تعالى: «من ذكـرني في ملإ ذكـرته في ملإ خـير منه، ومن ذكرني فـي ملإ من الناس ذكرته في ملإ أكثـر منهـم وأطيب»، فلما ذكر هذا العبد ربه بقلبه يبتـغي رضاه أكرمه الله تعالى بتلك النعمـة العظيمة بأن جعل خلقًا من خلقـــه قـــال فيـهم سبحـــانه: ﴿ **لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[1]، وقال فيهم سبحانه: ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾[2] يدعون له، ويذكرونه، ثم تنتقل هذه النعمـة فيكون أيضًا مثلها له في الأرض كمـا قال في حديث المقة من الله: «ثم يوضع له القبـول في الأرض»[3]، فاللـهم اجعلنا من أهل مـرضاتك الذي تحـبهم ويحبونك وترضى عنهم يا رب العرش العظيم، والله أعلم. =

(1) سورة التحريم، آية (6).

(2) سورة الأنبياء، آية (26، 27).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (28/250) في التوحيد باب كلام الرب مع جبريل ح7485.

مبحث : قول النبي ﷺ

«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ»

٦٦ - عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**».

---

[٦٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٢/١١) في الشهادات، باب الصلح في الدية (ح٢٧٠٣).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٤٤/١٧) في التفسير، تفسير المائدة، باب قوله: ﴿والجروح قصاص﴾ (ح٤٦١١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٦٢/١١: ١٦٤) في القسمة، باب إثبات القصاص في الإسناد وما في معناها.

قوله: لأبره: أي صَدَّقَهُ. اهـ. نهاية (١١٧/١).

المعنى

هناك عباد قال الله تعالى فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[١] إذا سألوه أعطاهم، وإذا استغاثوا به أغاثهم، وإذا أقسموا عليه أبرهم، فلذلك قال نبينا ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»، أي لو حلف وقال: والله يا رب أسألك الجنة لأعطاها إياه، وقد يسأله الدنيا فلا يعطيه، فقد أخرج ابن ماجه[٢] عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن ملوك الجنة»؟ قلت: بلى، قال: «رجل ضعيف مستضعف، ذو طِمْرَيْنِ لا يؤبه له؛ لو أقسم على الله لأبره»، قال النووي[٣]: معناه: لا يحنثه لكرامته عليه. اهـ، وقال الحافظ ابن حجر[٤]: متكلمًا في سبب هذا =

---

(١) سورة المائدة، آية (٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٧٨/٣) في الزهد، باب من لا يؤبه له، (ح٤١١٥).

(٣) شرح مسلم (١٦٣/١١).

(٤) فتح الباري (٤٧/٢٦).

= الحديث الذي أقسم فيه أنس بن النضر أن لا تكسر ثنية الرُّبيِّع[1] والنبي ﷺ يقول: «يا أنس؛ كتاب الله القصاص»، والقوم كانوا غير راضين، والنبي ﷺ يقول: «كتاب الله القصاص»، فرضي القوم بالأرش، فقال النبي ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»[2]. قال ابن حجر[3]: ووجه تعجبه - أي ﷺ - أن أنس بن النضر أقسم على نفي فعل غيره مع إصرار ذلك الغير على إيقاع ذلك الفعل، فكان قضية ذلك في العادة أن يحنث في يمينه، فألهم الله الغير العفو فبر قسم أنس، وأشار بقوله: «**إن من عباد الله**» إلى أن هذا الاتفاق إنما وقع إكرامًا من الله لأنس ليبر يمينه، وأن من عباد الله الذين يجيب دعاءهم ويعطيهم أربهم. اهـ، والله أعلم.

(١) الربيع: بتشديد الراء المضمومة، وفتح الباء الموحدة التحتية بعدها مثناة تحتية ثقيلة آخرها عين مهملة؛ هي بنت النضر الأنصارية الخزرجية عمة أنس بن مالك؛ صحابية رضي الله عنهما. اهـ، تهذيب (١٢/٤٤٧).

(٢) أخرج القصة البخاري في صحيحه (١٧/١٤٤ح٤٦١١).

(٣) فتح الباري (٢٦/٤٧).

مبحث: في البشرى بالجنة

٦٧ - عن أبي موسى الأشعري قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حَائِطِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ يَرْكُزُ بِعُودٍ مَعَهُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ إِذْ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** قَالَ: فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، قَالَ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ**، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَبْرًا - أَوْ: - اللهُ الْمُسْتَعَانُ.

---

[٦٧] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١٩٤) في المناقب، مناقب عمر رضي الله عنه (ح٣٦٩٣).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/٥٧) في الفتن (ح٧٠٩٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٥/١٧٠، ١٧١) في فضائل عثمان رضي الله تعالى عنه.

قوله: «حائط»: قال النووي: هو البستان. اهـ شرح مسلم (١٥/١٧٠).

قوله: «متكئ»: المتكئ في العربية كل من استوى قاعداً على وكاء متمكنًا، والعامة لا تعرف المتكئ إلا من مال في قعوده على أحد شقَّيْه. اهـ. نهاية (١/١٩٣).

قوله «يركز بعود» ركزه يركزه إذا دفنه ا.هـ نهاية ٢/٢٥٨ وقال النووي هو بضم الكاف أي يقرب بأسفله ليثبته في الأرض ا.هـ شرح مسلم ١٥/١٧٠.

المعنى

قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١)، وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢)، وقد أكرم الله تعالى بعض أصحاب النبي ﷺ

---

(١) سورة براءة، آية (٢١، ٢٢).

(٢) سورة الحديد آية (٢١).

= بتلك النعمة العظيمة؛ فقد كانوا يمشون على الأرض وهم يعلمون أنهم من أهل الجنة كالعشرة المبشرين بالجنة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وسعيد وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة رضي الله عنهم أجمعين، وليس ذلك لأحد بعدهم؛ لأن من بشرهم هو رسول الله ﷺ فمن يبشر من بعدهم؟!! ويخبرنا أبو موسى رضي الله عنه فيقول: «بينما رسول الله ﷺ في حائط من حائط المدينة» قال النووي[٢]: الحائط هو البستان. اهـ. وفي رواية البخاري: «حتى دخل بئر أريس «إذًا البئر داخل الحائط».

قوله: «**وهو متكئ يركز ركزًا إذا دفنه**». اهـ، وقال النووي[٢]، قوله: «**يركز بعود**» هو بضم الكاف أي يضرب بأسفله ليثبته في الأرض. اهـ.

قوله: «**إذ استفتح رجل فقال: افتح وبشره بالجنة فإذا أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة**»: لأن أبا موسى كان بواب النبي ﷺ في ذلك اليوم، ففي رواية لاخباري: «فقلت: لأكونن بوابًا للنبي ﷺ» قال النووي[٢]: يحتمل أنه ﷺ أمره أن يكون بوابًا في جميع ذلك المجلس ليبشر هؤلاء المذكورين بالجنة رضي الله عنهم. اهـ. فإذًا قدر الله للصديق رضي الله عنه أولاً لينال البشرى الأولى، وهو أهلها، فلما استأذن أمره بالانتظار حتى يأذن له فذهب ليأخذ الإذن فرجع بالبشارة التي لا بشارة أعظم منها بعدها ولا قبلها، وفي رواية البخاري: «فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله؛ هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «اذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه».

---

(١) سورة الحديث، آية (٢١).

(٢) شرح مسلم (١٥/١٧٠، ١٧١).

قوله: «**قال: ثم استفتح رجل آخر فقال: افتح وبشره بالجنة، قال: فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة**»، وفي رواية للبخاري قال: فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، وكذلك بعد عمر وكذلك بعد عثمان، فحمد الله ثم قال الله المتسعان»، وصنع كما صنع أبو بكر من الجلوس بعد الاستئذان.

قوله: «**ثم استفتح رجل آخر، قال: فجلس النبي ﷺ فقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تكون، قال: فذهبت، فإذا هوعثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشرته بالجنة، قال: وقلت الذي قال، فقال: اللهم صبراً، أو: الله المستعان**».

وأخرج البخاري أيضًا أنه حدث مع عثمان كما حدث مع أبي بكر وعمر من الاستئذان والإذن والدخول والجلوس في البئر مع التدلية للرجلين وكشف الساقين، لكن جلس أبو بكر عن يمين النبي ﷺ وعمر عن يساره، أما عثمان فقال أبو موسى: فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاهه من الشق الآخر.

وكلهم كما في رواية البخاري «فحمد الله»، زاد عثمان «الله المستعان» قال النووي[1]: وفيه فضيلة هؤلاء الثلاثة، وأنهم من أهل الجنة، وفضيلة لأبي موسى، وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى. اهـ. رضي الله عنهم وألحقنا بهم في روضات الجنات.

قال ابن حجر[2]: وأشار ﷺ بالبلوى المذكورة إلى ما أصاب عثمان في آخر خلافته من الشهادة يوم الدار، وقد ورد عنه ﷺ أصرح من هذا، فروى أحمد[3]: من طريق كليب بن وائل عن ابن عمر قال: «ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمر رجل فقال: «يقتل فيها هذا المقذع يومئذ مظلومًا»، قال: «فنظرت فإذا هو عثمان» إسناده صحيح. اهـ، والله المستعان.

---

(١) شرح مسلم (١٥/١٧٠، ١٧١).

(٢) فتح الباري (١٤/١٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/١١٥) من حديث ابن عمر مرفوعًا.

مبحث: أهل بدر مغفور لهم

٦٨ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

= [٦٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩/١٢) في الجهاد، باب الجاسوس، وقول الله تعالى: ﴿**لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ الآية (ح٣٠٠٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٥٦/١٦) في فضائل الصحابة، باب فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر.

وأخرجه البخاري في صحيحة (٢٧١/١٨) في التفسير، تفسير سورة الممتحنة، باب ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ (ح٤٨٩٠).

المعنى

قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢].

وهنا قد فضل الله تعالى برحمته فغفر لهم ما مضى وما هو آت سبحانه؛ هذه منقبة عظيمة خاصة، انصبت على أهل بدر أهل التضحية وقت الفقر والشدة والضعف باعوا أنفسهم لله بلا دنيا فاشتراها وقبلها سبحانه وكافأهم بالمغفرة لما مضى وما هو أت ولم يكن هذا إلا للنبي ﷺ حيث قال الله عز وجل: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[٣]، وفي هذا الحديث الشريف يقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه لما أراد أن يقتل حاطبًا لما أرسل برسالة إلى المشركين: «**إنه قد شهد بدرًا وما يدريك** =

---

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران (١٢٩).

(٣) سورة الفتح، آية (٢).

= **لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**. قال النووي[1]: قال العلماء معناه الغفران لهم في الآخرة وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا، ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم. قال: وضرب النبي ﷺ مسطحًا الحد وكان بدريًا. اهـ.

قوله: «**وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر**»: أي وما أعلمك؛ فقد يكون ربك اطلع على أهل بدر وقال لهم: اعملوا ماتريدون فقد غفرت لكم ما مضى وما هو آتٍ. قال الحافظ ابن حجر[2]: بصيغة الترجي؛ وهو من الله واقع. اهـ. قال: ووقع بصيغة الجزم من حديث أبي هريرة: «إن الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3]: وذكر رواية أخرى مرفوعة فيها: «لن يدخل النار أحد شهد بدرًا»[4]، قال البرقاني[2]: وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم أهـ. قال ابن حجر[2]: وقد استشكل قوله «اعملوا ما شئتم» فإن ظاهره أنه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع، وأجيب بأنه إخبار عن الماضي أي كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي ولقال: «سأغفره لكم»، وتعقبه بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب؛ لأنه ﷺ خاطب به عمر منكرًا عليه ما قال في أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على أن المراد ما سيأتي وأورده في لفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، وقيل: أن الصيغة في الأمر في قوله «اعملوا» للتشريف والتكريم، والمراد عدم المؤاخذة بما يصدر منهم بعد ذلك، وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم=

(١) شرح مسلم (١٦/٥٦).

(٢) فتح الباري (١٨/٢٧٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٩٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٩٦) عن جابر مرفوعًا بلفظ: «لن يدخل النار رجل شهد بدرًا والحديبية»، وقال الحافظ في الفتح (٥/١٧٢)، وعند أحمد بإسناد على شرط مسلم من حديث جابر مرفوعًا. اهـ.

مبحث : إذا أحب الله عبداً أحبه أهل السماء

٦٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ».

= من الحال العظيم التي اقتضت محو ذنوبهم وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت أي كل ما عملتوه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور، وقيل: إن المراد ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة ثم قال: واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها، والله أعلم.

مبحث : إذا أحب الله عبداً أحبه أهل السماء

[٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/٢٥٠) في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل (ح٧٤٨٥) هكذا رواه مختصراً.

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٨٤) في البر، باب إذا أحب الله عبداً وضع له في القبول في الأرض.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2] فمن أراد نيل المراتب العالية بالوصول إلى أعز محب ومحبوب فليخضع بالطاعة عابداً ذليلاً لله عز وجل؛ حتى ينال ما ابتدأه سبحانه فضلاً منه على من أكرمه واختاره ليدخل تحت ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2]، ولا يتأتى هذا إلا بطاعة الرسول ﷺ واتباعه كما أخبر ربنا =

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣١).

(٢) سورة المائدة، آية (٥٤).

= سبحانه في الآية الكريمة المذكورة آنفًا، فمن التزم الخدمة لمولاه ليل نهار، وانشغل بذكره حتى جرى على لسانه وسرى في عروقه ودمه انشرح صدره حتى أصبحت همته أعلى الأحوال التي يعيشها مشتاقًا ناظرًا إلى ما يروز به إلى الناضرة إلى وجه ذي الجلال والإكرام، ولذلك قال القائل:

أحبك حبين؛ حب الرضا ... وحب لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الرضا ... فذكر شغلت به عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك الحجب لي حتى أراك

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ويروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه**»، قال الحافظ ابن حجر[١]: ووقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة.

ففي حديث ثوبان: «**إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال بذلك حتى يقول: يا جبريل: إن عبدي فلانًا يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي غلبت عليه**»[٢]، قال ابن أبي جمرة[٣]: في تعبيره عن كثرة الإحسان بالحب تأنيس العباد وإدخال المسرة عليهم؛ لأن العبد إذا سمع عن مولاه أن يحبه حصل على أعلى السرور عنده، وتحقق بكل خير، ثم قال: وهذا إنما يتأتى لمن في طبعه فتوة ومروءة وحسن إنابة كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ**﴾[٤]، وأما من في نفسه رعونة وله شهوة غالبة فلا يرده إلا الزجر بالتعنيف والضرب. اهـ.

=

---

(١) فتح الباري، شرح (ح: ٦٦٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٧٩) بلفظ مقارب عن ثوبان مرفوعًا؛ بلفظ: «إن العبد ليلتمس مرضاة الله ولا يزال بذلك فيقول الله عز وجل لجبريل إن فلانًا عبدي لتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه».

(٣) فتح الباري (٢٨/٢٥١).

(٤) سورة غافر، آية (١٣).

= قوله: «**فيحبه جبريل**» امتثالاً لأمره تعالى؛ قال تعالى: ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1]، قال ابن أبي جمرة[2]: وفي تقديم الأمر بذلك لجبريل قبل غيره من الملائكة إظهار منزلته عند الله تعالى على غيره منهم. اهـ.

قوله ثم «**ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض**»، قال النووي[3]: وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين؛ أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم، والثاني: أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين، وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه وسبب حبهم إياه كونه مطيعًا لله تعالى محبوبًا له، ومعنى يوضع له القبول في الأرض؛ أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه، وقد جاء في رواية: فتوضع له المحبة. اهـ، وقال ابن حجر[4]: ويؤخذ من هذا الحديث الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها وسنتها، ويؤخذ منه أيضًا كثرة التحذير من المعاصي والبدع؛ لأنه مظنة السخط. وبالله التوفيق. اهـ.

فاللهم ارزقنا دوام القول والعمل الذي يرضيك عنا دوامًا يا رب العرش العظيم.

---

(١) سورة التحريم، آية (٦).

(٢) فتح الباري (٢٨/٢٥١).

(٣) شرح مسلم (١٦/١٨٤).

(٤) فتح الباري (٢٨/٢٥١).

مبحث: فضل اجتماع الرجاء والخوف من الله عز وجل

٧٠ - عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت فقال: «**كَيْفَ تَجِدُكَ**»؟ قال: والله يَا رسولَ اللهِ إني أرجوا اللهَ وإني أخاف ذُنوبِي، فقال رسول الله ﷺ «**لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُوهُ وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**».

= [٧٠] أخرجه الترمذي في سننه (٤/٥٧، ٥٨) في الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، (ح٩٨٨)، وقال: غريب.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٤٢٣) في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (ح٤٢٦١).

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٤١) بعد أن ذكر هذا الحديث (ح٢)، باب الترغيب في الرجاء وحسن الظن بالله عز وجل؛ سيما عند الموت؛ قال: إسناده حسن، فإن جعفراً صدوق احتج به مسلم ووثقه النسائي وتكلم فيه الدارقطني، وعزا الحافظ المنذري الحديث للترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا كلهم من طريق جعفر بن سليمان هذا الذي أخرج عنه الترمذي وابن ماجه عن ثابت عن أنس مرفوعًا.

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت فقال: «**كيف تجدك**»؟ أي كيف حالك وحال قلبك، وفيه استحباب سؤال المريض عن حاله، قال في التحفة[1]: أي كيف تجد قلبك، أو نفسك في الانتقال من الدنيا إلى الآخرة راجيًا رحمة الله أو خافًا من غضب الله. اهـ. =

---

(١) تحفة الأحوذي (٤/٥٨).

= قوله: «قال: والله يا رسول الله: إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي»: أي أرجو رحمة الله عز وجل الذي قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[2]، وأخاف الله تعالى الذي قال: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2]، قال صاحب التحفة[3]: «أرجوا الله»: أي أجدني أرجو رحمته، أي: مع هذا أخاف ذنوبي. قال الطيبي: علق الرجاء بالله والخوف بالذنب.أهـ.

قوله: فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»: أي لا يجتمع في قلب عبد عند موته أو قبل موته أو عند مظنة الموت ـ كساحة القتال وقرب نشوب الحرب أو عند نشوبها ـ خوف من الله عز وجل بسبب ما أثقله من الذنوب ورجاء رحمته سبحانه، وأنه أرحم بعباده من الأم بولدها وأنه قال سبحانه في محكم التنزيل الحكيم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4].

قال صاحب التحفة[3]: في قوله «لا يجتمعان»: أي الرجاء والخوف. «في مثل هذا الموطن»: أي هذا الوقت وهو زمانه سكرات الموت، ومثله كل زمان يشرف على الموت حقيقة أو حكمًا كوقت المبارزة وزمان القصاص ونحوهما، «إلا أعطاه الله ما يرجو»: أي من الرحمة؟ وآمنة مما يخاف أي من العقوبة بالعفو والمغفرة. اهـ، والله أعلم.

(١) سورة الأعراف، آية (١٥٦).

(٢) سورة غافر، آية (٣).

(٣) تحفة الأحوذي (٤/٥٨).

(٤) سورة الزمر، آية (٥٣).

مبحث: فيمن غفر الله له في حقير من العمل

٧١ - عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**».

= [٧١] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢٠٢) كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به (ح٢٤٧٢).

وأخرجه أيضًا (٤/١٩) أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب فضل التهجير إلى الظهر (ح٦٥٢).

المعنى

قد يعمل الإنسان أعمالاً يستحقر خيرها يدخل بها الجنة وقد يعمل أعمالاً يستحقر ضررها يدخل بها النار في الحديث: «**إياك ومحقرات الأعمال**»[1]، فالعاقل لا يغفل عن قليل الخير بل يستكثر منه متقربًا إلى الله تعالى ولا يتخطى صغير الذنوب فإنه لها من الله طالب ونبينا ﷺ يخبر عن رجل عمل عملاً عند الناس حقير لكنه عند الله عظيم، وقد غفر له بسببه، فبينما الرجل يمشي في الطريق وجد غصن شوك يؤذي الناس على الطريق وفي رواية عند أحمد[2]: «شجرة كانت على طريق الناس كانت تؤذيهم فأتاها رجل فعزلها»، فالرجل عزل الشجرة أو غصن الشوك ويحتمل أنها شجرة شوك محتسبًا الأجر عند الله تعالى فكافأه الله تعالى بأن رضي بفعله وقبل منه؛ بل وصل بذلك إلى الجنة ففي رواية عند أحمد: «فلقد رأيته يتقلب في ظلها في الجنة»[2] فالحمد لله الكريم الي يربي العمل القليل فيعطي عليه الكثير فله الحمد والمنة.

قال الحافظ[3]: وفيه أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر. اهـ. وقال في موضع =

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٤١٧) في الزهد (ح٤٢٤٣) قال المحقق في الزوائد: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/٢٣٠) عن أنس مرفوعًا.

(٣) فتح الباري (١٠/٢٠٢)

مبحث: في وصاية النبي ﷺ أصحابه بالصبر وتبشيرهم بالفرج

٧٢ - عن خباب رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَلا تَدْعُوا اللهَ لَنَا؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ: «**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمَشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمِيشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللهَ** - زاد بيان - **وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ**».

= آخر[1]: قوله: «فشكر الله له» أي رضي بفعله وقبل منه وفيه فضل إماطة الأذى عن الطريق. اهـ، والله أعلم.

مبحث: في وصاية النبي ﷺ أصحابه بالصبر وتبشيرهم بالفرج

[٧٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١٥) في كتاب المبعث النبوي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.

وأخرجه البخاري في صحيحه (١١٣/١٤) في كتاب علامات النبوة، (ح٣٦١٢).

قوله: «متوسد»: قال ابن الأثير: وقد وسدته الشيء فتوسده إذا جعلته تحت رأسه. اهـ. نهاية (١٨٢/٣).

قوله: «برده»: البرد نوع من الثياب معروف، والبردة الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب وجمعها برد. اهـ نهاية (١١٦/١). =

---

(١) فتح الباري (١٩/٤).

= قوله: «مشاط»: جمع مشط بكسر الميم وضمها. اهـ. فتح (٦/١٥).

المعنى

قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٢)، فلذلك كان النبي ﷺ كثيراً ما يشد من عضد أصحابه بكلمات من نور يلقيها على مسامعهم لتربط على قلوبهم وتثبت أقدامهم خاصة في فجر الإسلام قبيل طلوع شمسه، ومن أصرح الأحاديث في ذلك الشأن هذا الحديث الذي أتكلم عنه الآن بعون الله تعالي وفضله، يقول فيه خباب رضي الله عنه: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد برده وهو في ظل الكعبة» قال ابن الأثير(٣): وقد وسدته إذا جعلته تحت رأسه. اهـ. وقال أيضاً(٤): البرد نوع من الثياب معروف، والبردة الشملة المخططة، وقيل: كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب وجمعها برد. اهـ.

قوله «وهو في ظل الكعبة» جملة حالية أي حالة كونه ﷺ متوسد البردة في ظل الكعبة.

قوله: «وقد لقينا من المشركين شدة»: أي أذى كثيراً.

قوله: «فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا»: زاد في الرواية التي في المبعث: «ألا تستنصر لنا»: «ألا» هنا للتحضيض؛ أي على الدعاء لهم بالنصر والتفريج.

قوله: «فقعد وهو محمر وجهه»: قال ابن حجر(٥): أي من أثر النوم، ويحتمل أن يكون من الغضب. اهـ لاستعجال أصحابه النصر وعدم صبرهم، وقد جعل الله تعالى النصر عقيب الصبر وقرينه، وقد قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً»(٦). =

(١) سورة آل عمران، آية (٢٠٠). (٢) سورة العصر، آية (٣).
(٣) نهاية (٥/١٨٢). (٤) نهاية (١/١١٦).
(٥) فتح الباري (٦/١٥، ٧).
(٦) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٠٧ من حديث ابن عباس مرفوعًا.

= قوله: «فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دو عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه»: قال الحافظ[1]: جمع مشط بكسر الميم وضمها اهـ: أي يدخل الحديد بين اللحم والعصب تعذيباً لا يطاق وصفه، فكيف بمن صبر عليه؟ ومع ذلك ما كان يصدهم عن ذلك الدين، فكيف لا تصبرون أنتم على ما هو دون ذلك بكثير كثير؟ قال ابن التين[1]: كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم. قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، ثم قال: وما زال الخلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم. اهـ

قوله: «ويوضع الميشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه»: قال الحافظ ابن حجر[1]: الميشار بكسر الميم وسكون التحتانية يهمز وبغير همز؛ تقول وشرت الخشبة وأشرتها، ويقال فيه بالنون وهي أشهر في الاستعمال.اهـ

وفي رواية البخاري: «يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار» بالنون وبيان كيف الوضع حين النشر، فاللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

قوله: «وليتمن الله هذا الأمر»: أي ليتمن الله أمر الإسلام حتى يظهره على الدين كله ويعلوا ويعلو أصحابه والعاملون به. قال الحافظ[1]: والمراد بالأمر: الإسلام.

قوله: «حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله»: أي يعم الأمان حتى يسافر المسافر من مدينة صنعاء اليمن أو الشام إلى حضرموت آمناً بالرغم من شدة الخوف واستبعاد هذا وقتئذ ـ لا يخاف أحداً من الناس؛ بل يخاف الله وحده. قال الحافظ[1]: يحتمل أن يريد صنعاء اليمن وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضاً مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والأول أقرب. اهـ. =

(١) فتح الباري (١٥/٦، ٧).

= قوله: «والذئب على غنمه»: قال الحافظ[1]: والتقدير: لا يخفا إلا الذئب على غنمه؛ لأن مساق الحديث إنما هو الأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية لا الأمن من عدوان الذئب. اهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٦/١٥، ٧).

الفصل الخامس

التوكل واليقين

مبحث: قوة توكل النبي ﷺ على الله عز وجل

٧٣ - عَنْ جَابِرِ بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ»**، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

---

[٧٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/٣١٥، ٣١٦) في المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (ح٤١٣٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٦/١٢٩) في المسافرين، باب صلاة الخوف.

قوله: «قفل»: قفل يقفل إذا عاد من سفره. اهـ. نهاية (٤/٩٢)، وقد يقال للسفر قفول في الذهاب والمجيء وأكثر ما يستعمل في الرجوع. اهـ. نهاية (٤/٩٢، ٩٣).

قوله: «القائلة»: أي وسط النهار وشدة الحر. اهـ. فتح (١٥/٣١٥).

قوله: «العضاة»: بكسر المهملة وتخفيف الضاد المعجمة: كل شجر يعظم له شوك. اهـ. فتح (١٥/٣١٥).

قوله: «اخترط سيفه»: أي سله من غمده، وهو افتعل من الخرط. اهـ. نهاية (٢/٢٣).

المعنى

قال الله عـز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1] هذا لعامـة المؤمنين، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، ودرجـات التوكل تابعـة لدرجـات الإيمان في القلب، ونـبينا ﷺ تخلل الإيمان قلبه فـملأه حـتى فـاق إيمان العـالمين، فبلغ في التـوكل أتمه وأكمله، وقـد قال الله تعـالى له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3] فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهـما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد وقد بينـت رواية مسلم اسم الغـزوة؛ ففـيها: «أقـبلنا مع رسول الله ﷺ حـتى إذا كنا بذات الرقاع».

قوله: «**فلما قفل رسـول الله ﷺ قفل معه**»: أي فلما رجع رسول الله ﷺ رجع معه، أو فلما ذهب ذهب مـعه، قال ابن الأثير: قفل يقفل إذا عاد من سـفره، وقد يقال للسفر قفول في الذهاب والمجيء، وأكثر ما يستعمل في الرجوع. اهـ.

قوله: «**فأدركـتـهم القـائلة في واد كـثـيـر العـضـاة**»: قال الحـافظ ابن حـجر[4]: القائلة: أي وسط النهار وشـدة الحر. قوله: «**كثيـر العضـاة**»: بكسر المهملة وتخفيف الضاد المعجمة: كل شجر يعظم له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقًا. اهـ.

قوله: «**فنـزل رسـول الله ﷺ وتفـرق الناس في العـضـاة يسـتظلون بالشـجـر**». وعند مسلم: «كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ»: أي تأدبًا منهم وتعظيمًا للنبوة ومقامها رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: «**ونـزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه**»: قال ابن احجر[4]: أي شجرة كثيـرة الورق. اهـ. كي يستظل بها كما فسرت رواية مـسلم الماضية، وقوله: =

(١) سورة الطلاق: آية (٣).

(٢) سورة المائدة، آية (٢٣).

(٣) سورة المائدة، آية (٦٧).

(٤) فتح الباري (١٥/٣١٥).

= «**فعلق بها سيفه**»: أي أن النبي ﷺ علق بالشجرة سيفه.

قوله: «**فنمنا نومة**»: هي نومة القائلة التي نزلوا من أجلها للراحة ليكون ذلك أنشط لهم على مواصلة الجهد بعد ذلك.

قوله: «**فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس**»: هذا السياق تفسره رواية مسلم؛ ففيها: «جاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه»... الحديث قوله: «فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم» قال ابن الأثير[1]: «فاخترط سيفه»: أي سله من غمده، هو افتعل من الخرط. اهـ. وقال النووي[2]: قوله: «فأخذ السيف فاخترطه»: أي سله. اهـ.

قوله: «**فاستيقظت وهو في يده صلتًا**»: قال الحافظ ابن حجر[3]: بفتح المهملة وسكون اللام بعدها مثناه أي مجرداً عن غمده. اهـ.

قوله: «**فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس: ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ**»، وتفسرها رواية مسلم فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه فقال لرسول الله ﷺ: «أتخافني؟ قال: لا، قال: من يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك»..

الله أكبر؛ إنها النبوة، ولذلك وقع السيف من يد الأعرابي. قال ابن حجر[3]: ووقع في رواية ابن إسحاق بعد قوله: «قال الله»، فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ، وقال: «من يمنعك أنت مني؟ قال: لا أحد، قال: «قم فاذهب لشأنك. فلما ولى قال: أنت خير مني». قال ابن حجر[3]: وأما قوله في الرواية: «فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه»، فيجمع مع رواية ابن إسحاق بأن قوله: «اذهب» كان بعد أن أخبر الصحابة بقصته، فمن عليه لشدة رغبة النبي ﷺ في =

(١) النهاية (٢/٢٣).

(٢) شرح مسلم (٦/١٢٩).

(٣) فتح الباري (١٥/٣١٥).

= استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، ولم يؤاخذه بما صنع بل عفا عنه، وقد ذكر الواقدي[1]: في نحو هذه القصة أنه أسلم، وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير، ووقع في رواية ابن إسحاق التي أشرت إليها أنه أسلم بعد. اهـ.

قال الحافظ[1]: وفي الحديث فرط شجاعة النبي ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال. اهـ. قلت: فأين ذلك ممن يظلمون فإذا خافوا عدواً بالوا على أنفسهم فإذا تمكنوا أعدموا من غير حق؟!! قال الحافظ: وفيه جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم، وهذا محله إذا لم يكن هناك ما يخافون منه. اهـ، والله أعلم، وهو حسبنا (الله) ونعم الوكيل.

(١) فتح الباري (١٥/٣١٥).

مبحث: من رضي بجوار الله كفاه الله

٧٤ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**»، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُوا ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ».

---

[٧٤] أخرجه البخاري في صحيحه مطولاً (١٠/٤٣): (٤٥) في الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد رسول الله ﷺ وعقده (ح٢٢٩٧).

وأخرجه البخاري في صحيحه مطولاً (١٥/٨٧) في الهجرة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، (ح٣٩٠٥).

قوله: «ذمتي» الذمة: العهد والأمان، والضمان والحرمة. اهـ. نهاية (٢/١٦٨).

قوله: «**أخفرت**»: قال ابن الأثير: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه. اهـ. (٢/٥٢).

قوله: سبخة: وهي الأرض التي تعلوها الملوحه ولا تكاد تنبت بعض الشجر اهـ نهاية (٢/٣٣٣).

قوله: «الحرة»: أرض حجارتها سود. اهـ. فتح (١٥/٨٧، ٨٨).

قوله: «**على رسلك**» بكسر أوله أي على مهلك والرسل: السير الرفيق. اهـ (١٥/٨٧، ٨٨).

=

= قوله: «ورق السمر» قيل كل ما له ظل ثخين وقيل ورق الطلح. اهـ. فتح (١٥/٨٧، ٨٨).

المعنى

أراد الصديق رضي الله عنه لما وجد الحال ضائقًا جدًا على المسلمين بمكة أن يهاجر ويسيح في الأرض يعبد الله عز وجل، فقال ابن الدغنة لما قابله وعلم منه ذلك قال: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج إنك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدم وتعين على نوائب الحق، ارجع فإني لك جار، فكان له جار، وكان ابن الدغنة سيدًا في قومه لا يخفرون جواره فأخبرهم بأن مثل أبي بكر لا يَخرج ولا يُخرج كيف تُخرجون رجلاً يصل الرحم ويحمل الكل إلخ أنا له جار فرضيت قريش بجوار ابن الدغنة شريطة أن يعبد أبو بكر ربَّه في داره ولا يستعلن بذلك ولا بقراء القرآن الكريم، لكن ثورة الإيمان التي امتلأ بها صدر الصديق رضي الله عنه أبت إلا الاستعلان بذكر الملك الديان، فلو كل مؤمن أخفى إيمانه وشعائر دينه لرضي الكفار بذلك، إنما يُغيظهم ويكبتهم الاستعلان بشعائر الإسلام، وإظهاره ورفع الصوت بالذكر لذلك لما دخل النبي ﷺ مكة في عمرة الحديبية من العام المقبل «**فبلغه أنهم يتحدثون أن بهم هزلاً فأمر بهم أن يرملوا ليريهم أن بهم قوة**»[(١)]، وفي الحج شرع لنا رفع الصوت فقال ﷺ لما سئل: أي الحج أفضل قال: «العج والثج»[(٢)]، «فابتنى أبو بكر مسجدًا وقرأ القرآن الكريم بل ورفع صوته وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه من البكاء فتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم فأفزع ذلك مشائخهم فشكوا لابن الدغنة الشرط وأمروه برد الجوار إليه كراهية أن يتحدث العرب أنه أخفر فبالتالي طلب ابن الدغنة من أبي بكر أن يرد إليه جواره، وإما أن لا يستعلن فأجاب الصديق بالحال الذي جعله الله تعالى به صديقًا لما استحضر ما كان كامنًا في الصدر مستمدًا منه الطاقة التي ينطق بها اللسان ناطقًا بكلام خلد في التاريخ قائلاً: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله، فلما قالها وترتب عليها ما قيل قبلها عوضه الله وتولاه =

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/٢٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣/٥٦٣) في الحج، باب التلبيه (ح٨٢٧).

= وكفاه بل وكافأه بصحبة سيد المرسلين نفسه ﷺ في الهجرة الشريفة المباركة.

تقول عائشة رضي الله عنها: «**فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه**»: أي الذي اتفقت معك عليه من عدم الاستعلان والعبادة سرًا.

قوله: «**فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلى ذمتي**»: أي إما أن تقتصر على السر، وإما أن ترد إلى جواري والدخول في عهدي.

قوله: «**فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له**»: أي لا أحب أن تنقض قريش دخولك في جواري وتؤذيك ويسمع العرب أن رجلاً دخل في أمان ابن الدغنة ثم أوذي فرد إلى ذلك حتى لا أكون مسئولاً عنك لما يحدث بعد ذلك.

قوله: «**فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل**». قال الحافظ(1): أي أمانة وحمايته، وفيه جواز الأخذ بالشدة في الدين وقوة يقين أبي بكر. اهـ.

قوله: «**والنبي ﷺ يومئذ بمكة**»: أي ما هاجر بَعْدُ، ينتظر الأمر من الله عز وجل بالهجرة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قوله: «فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان»، أي رأى النبي ﷺ دار الهجرة بلداً فيها نخل كثير بين أرض ذات حجارة سود، قال الحافظ(1): والحرة أرض حجارتها سود، وهذه الرؤية غير الرؤيا السابقة، قال ابن التين: كأن النبي ﷺ أرى دار الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها، ثم أري الصفة المختصة بالمدينة فتعينت. اهـ.

قوله: «**فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة**»: يعني هاجر من لم يكن هاجر إلى المدينة ورجع من كان سبق بالهجرة إلى الحبشة ليهاجر مع إخوانه إلى المدينة المنورة. قال الحافظ أي لما سمعوا باستيطان =

---

(1) فتح الباري (١٥/٨٧، ٨٨).

= المسلمين المدينة رجعوا إلى مكة فهاجر إلى أرض المدينة معظمهم لا جميعهم؛ لأن جعفراً ومن معه تخلفوا في الحبشة. اهـ.

قوله: «**وتجهز أبو بكر قبل المدينة**»: أي للهجرة كما هاجر المسلمون غير عالم بما ادخر الله عز وجل له من الخير العظيم لما رضي بجوار الله راداً جوار ابن الدغنة»، قِبل: قال الحافظ[1]: بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهة. اهـ.

قوله: «**فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي**»: أي على مهلك فإن أرجو أن يأذن الله عز وجل لي في الهجرة، وأنت الصاحب. قال الحافظ[1]: «على رسلك»: بكسر أوله: أي على مهلك، والرسل: السير الرفيق. اهـ.

قوله: «**فقال أبو بكر: وهل ترجوا ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم**»: أي ففرح أبو بكر رضي الله عنه بتلك المنة العظيمة قائلاً: وهل تريد ذلك يا رسول الله؛ أفديك بأبي؛ قال ﷺ: «نعم»: أي أرجوا ذلك. قال الحافظ[1]: لفظ أنت مبتدأ وخبره بأبي أي مفدى بأبي.

قوله: «**فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه**»: أي منعها من الهجرة. اهـ.

قوله: «**وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر**»: بفتح السين المهملة وضم الميم، وهو الخبط، قال الحافظ[1]: مدرج في الخبر، فهو من تفسير الزهري، ويقال: السمر كل ماله ظل ثخين، وقيل: ورق الطلح، والخبط بفتح المعجمة والموحدة ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر، قاله ابن فارس. اهـ، والله أعلم.

تنبيه: قوله: «**مدرج**»: المدرج في حديث النبي ﷺ أن يذكر الراوي كلاماً لنفسه أو لغيره فيرويه من بعده متصلاً فيتوهم أنه من الحديث. اهـ. تدريب الراوي (١/٢٦٨)، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٥/٨٧، ٨٨).

مبحث : حفظ الله الصالحين

٧٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِسَارَةَ فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاتُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنٍ غَيْرِي وَغَيْرُكِ فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلاَّ عَلَى زَوْجِي فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ». قَالَ الأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَتْ: «اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلاَّ عَلَى زَوْجِي؛ فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلا شَيْطَانًا إِرْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام فَقَالَتْ أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الْكَافِرَ، وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً».

---

[٧٥] أخرجه البخاري في صحيحه (٩/٢٨١) في البيوع باب شراء المملوك من الحربي وعتقه وهبته (ح٢٢١٧).

غط: الغط: بغين معجمة مفتوحة بعدها طاء مهملة ثقيلة: هو العصر الشديد والكبس/ النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٧٣).

كبت: بالباء الموحدة التحتية المفتوحة بعد كاف وبعدها تاء مثناة فوقية؛ أي أذل وصرف. اهـ، نهاية (٤/١٣٨)، (مهيم): «أي ما أمركم وشأنكم، وهي كلمة يمانية». اهـ. نهاية (٦/٣٧٨).

= أبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف، قيل اسمه عبد الله، وقيل: اسمه إسماعيل، وقيل: اسمه كنيته. اهـ، هدي الساري (١/٢٤٤)، وأبو عبد الرحمن هو السلمي الكوفي عبد الله بن حبيب، توفي سنة (٧٢ هـ)، اهـ، تهذيب (٥/١٦١).

المعنى

لله عز وجل في خلقه سنن يجريها سبحانه كما قدر وأراد فمن سننته سبحانه أنه يعامل الصالحين بخصوصية يكرمهم بها ويسرهم بمرافقيها فمما يخصهم به ذلك الحفظ الذي يحوط دينهم وأعراضهم وأولادهم وأزواجهم وكرامتهم وعزتهم ما داموا على ما يحبه ويرضاه، ولا يتحول لهم عما هم عليه حتى يتحولوا هم عما هم عليه، ولا ينقصهم من الخير إلا إذا نقصوا هم من الطاعة، قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ... الآية﴾[1]، وقال ﷺ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون»[2]، فوالله لا يمل الله حتى تملوا؛ بل من زيادة اللطف أنه يخرجهم من ضيق الزلل عندما يمسكون بحبل الأوبة ويغتسلون بماء التوبة، قال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وهنا يقص علينا نبينا ﷺ نبأ إبراهيم ﷺ، ونبأ إبراهيم عندما هاجر بسارة زوجه قدر له الله تعالى أن ينزل بقرية ملكها جبار من الجبابرة الذين لا يرتدعون عن الظلم والطغيان والبغي إلا إذا ضربوا بسوط من العذاب الأدنى، لكنهم إذا رفع عنهم كأنه حلم ذهب باليقظة والانتباه من النوم؛ قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[5]، وكان لذاك الجبار بطانة قال تعالى: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ سوء تأمره بالشر وتحضه

---

(١) سورة الرعد، آية (١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٥/٢٤) في الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (ح٦٤٦٥).

(٣) سورة الصافات، آية (١٤٣، ١٤٤).

(٤) سورة السجدة، آية (٢١).

(٥) سورة الإنسان، آية (٢٨).

= عليه كما قالﷺ: «ما بعث الله من نبي ولا إستخلف من خليفه إلا كانت له بطانتان بطانه تأمرة بالمعروف وتحضه عليه وبطانه تأمرة بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى»[1]، فأخبرته بطانة السوء أن إبراهيم معه امرأة كثيرة الجمال من أحسن النساء جمالاً، وذلك الوصف وتلك المرأة الموصوفة بذاك الجمال لا ينبغي أن تكون لأحد من الناس إلا للملك وزينوا له أن أجمل النساء إنما هي للملك دون الناس ولو بالغصب والبغي، تزيين من الشيطان لأهل الباطل والظلم والطغيان فأرسل الملك الجبار إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام ليسأله عن المرأة فقال: أختي يقصد أنها أخته في الإسلام فما كان وقتها مؤمن غير إبراهيم عليه السلام ليسأله وزوجه سارة، قال ذلك على سبيل التورية والتعريض، وهذا جائز لنصرة الحق والدفاع عنه، ثم رجع إبراهيم إلى سارة وأخبرها بذلك وليس له حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ لا ملجأ من الله إلا إليه، الجبار يرد عرض إبراهيم وإبراهيم عليه السلام ضعيف متضعف لكنه أقوى الناس بقلبه المملوء إيمانًا بملك الملوك يستمد منه القوة، فأسرع إبراهيم ملتجأ إلى مولاه إسراع الطير ينقض في وكوره متذللاً عارضًا حاله بين يديه وهو أعلم مستجيراً به، وكذلك فعلت سارة متعلمة من زوجها عليه السلام، فلما ذهبت توضأت وصلت، سنة نبينا ﷺ كان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة، فلما أراد أن يمد يده إليها جاءت إجابة صلاتها عصر الجبار عصراً شديداً حتى ركض برجله فترك الهم بها والتطاول إليها، وامتنعت عن قتله خوفًا من أن يقولوا قتلته، فترك فعاد، فأخذ فترك وهو يعلم الحقيقة بالرغم من وصفه لها بأنها شيطان، ولذلك أعطاها أُمَّنا هاجر خادمًا لها فلما رجعت قال لها إبراهيم نبي الله عليه السلام «مَهْيَم» متلهفًا لمعرفة. قال ابن الأثير: أي ما أمركم وشأنكم، وهي كلمة يمانية. اهـ[2]؛ للاطمئنان على الأمانة التي استودعها من لا يضيع عنده شيء ليس شكًا في من وضع الوديعة عنده ولكن ليطمئن على المودِع كان أهلاً لئلا تضيع له وديعة، فأخبرته ما أكرمها الله تعالى به وحفظ لها دينها وعرضها؛ بل وأعزها وأكرمها وكبت عدوها وأذله وصرفه ورده خاسئًا وأكرمها ربها بأمنا هاجر خادمًا لها، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/٢٢٠)(ح٧١٩٨) في الأحكام باب بطانة الإمام وأهل مشورته.

(٢) النهاية (٣٧٨/٦).

مبحث : فيمن صبر وتوكل ونجّاه الله تعالى وفرج عنه

٧٦ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قِصَّةِ الإِفكِ قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فسلم ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**»، قَالَتْ: فلَمَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي؛ حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: قُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾، قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي. قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُوا أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَنْحَدِرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ**»، فَقَالَتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلا =

أحْمَدُ إلاَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ ﴾ الْعَشْرَ آيَاتٍ كُلِّهَا.

= ٧٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٨/٨١: ٨٥ في التفسير، تفسير سورة النور، باب ﴿لولا إذ سمعتموه ظنى المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ إلى قوله الكاذبون ح٤٧٥٠.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧/١٠٢ في التوبه باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

قوله: «**الإفك**»: في الأصل الكذب، وأراد به هاهنا ما كذب عليه ما رميت به.اهـ (١/٥٦).

قوله: «**قلص دمعي**»: أي ارتفع وذهب بفتح القاف واللام مخففًا، وإذا شدد فللمبالغة. اهـ. نهاية (٤/١٠٠).

قوله: «**البرحاء**»: أي شدة الكرب من ثقل الوحي. اهـ. نهاية (١/١١٣).

قولها: «**إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق**»: الجمان بضم الميم، وهو الدر شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن. اهـ. شرح مسلم للنووي (١٧/١١٢).

المعنى

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٣].

وقد صبرت الصديقة بنت الصديق مستسلمة للمقدور تعلم أن الله مبرئها ببرائته سبحانه، وأن الله قال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ =

---

(١) سورة يوسف، آية (٩٠).

(٢) سورة الزمر، آية (٦١).

(٣) سورة الطلاق، (٣).

= ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] حتى فرج الله تعالى فرجًا عامًا واسعًا عظيمًا رفعها به رفعة عظيمة جليلة.

تقول رضي الله عنها في جزء من حديثها: «**فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها**»، وفي رواية الترمذي: «وأصبح أبواي عندي فلم يزالا عندي حتى دخل علي رسول الله ﷺ وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنف أبواي عن يميني وشمالي»[2] يعني تقول فبينما نحن على الحال التي ذكرت من الحزن والكرب والشدة دخل علينا رسول الله ﷺ فألقى السلام ثم جلس ﷺ وقد كان منذ ما حدث لم يجلس من ساعتها حتى الآن.

قوله: «**وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني**»: قال الحافظ ابن حجر[3]: وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلي بيت أبويها؛ حيث بلغها الخبر. اهـ.

قوله: «**فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد**»: يعني بدأ بما يبدأ به خطبة من خطبة الحاجة ونحوها من التشهد والثناء على الله عز وجل وحمده.

قوله: «**ثم قال: أما بعد**»: هذا فصل الخطاب الذي كان يقوله ﷺ بعد افتتاحه بخطبة الحاجة.

قوله: «**أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا**»: قال ابن حجر[3]: وهو كناية عما رميت به من الإفك، ولم أر في شيء من الطرق التصريح، فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ. اهـ. =

(١) سورة التوبة، آية (٥١).
(٢) أخرجه الترمذي (٩/٣٣) في التفسير لسورة النور (ح٣٢٣٠).
(٣) فتح الباري (٨٢/١٨:٨٥).

= قوله: «فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنبك فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه»: قال الحافظ: قوله: «فإن كنت بريئة فسيبرئك الله»: أي بوحي ينزله بذلك قرآنًا أو غيره. اهـ، «وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»، قال النووي[1]: معناه: إن كنت فعلت ذنب وليس ذلك بعادة، وهذا أصل اللمم. اهـ.

قوله: «فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه»: فيه أن الاعتراف والتوبة يتوب الله على قولها: «فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطره»: قال فاعلهما النووي[1]: قلص هو بفتح القاف واللام؛ أي ارتفع لاستعظام ما يعييني عن الكلام. اهـ. قال القرطبي[2]: سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة. اهـ.

قولها: «فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ»: قال ابن حجر[2]: فكأنها قالت له: برئني بما شئت فأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله: لا أدري؛ لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه ـ وإن كان يتحقق براءتها ـ لكن كره أن يزكي ولده. اهـ. فالأمر شديد والابتلاء مبين، والكل ينتظر الوحي من السماء بالحق الذي لا يشوبه هوى ولا شك.

قولها: «فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ»: تفسر ما كان لأبيها؛ قال النووي: فيه تفويض الكلام إلى الكبار؛ لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه وأبواها يعرفان حالها، وأما قول أبويها: «لا ندري ما نقول» فمعناه: أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى. اهـ. =

---

(١) شرح مسلم (١١١/١٧، ١١٢).

(٢) فتح الباري (٨٢/١٨:٨٥).

قولها: «**قلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن**»: قال الحافظ ابن حجر[1]: قالت عائشة ذلك توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام. اهـ.

قولها: «**إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به**»: قال ابن حجر[1]: أي وَقَرَّ. اهـ.

قولها: «**فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك**»: قال ابن حجر[1]: قالت ذلك على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحققته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه؛ بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم. أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك؛ لكن ضمت إليهم من لم يكذبهم تغليبًا. اهـ.

قولها: «**لا تصدقوني بذلك**»: قال الحافظ: أي لا تقطعون بصدقي. اهـ.

قولها: «**ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني**»: أي لئن اعترفت بما نسبه الأفاكون إلي وأنا منه بريئة لتصدقون وتقولون اعترفت بنفسها فهذا هو الغالب تصديق المعترف أكثر من الدافع.

قولها: «**والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾**[2]»: أي ما أجد مثلاً أتمثل به بيني وبينكم في هذا الموقف الشديد العصيب المظلم إلا ما قاله يعقوب، وقد نسيت اسمه حين قال في موقف الشدة ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ أي أصبر صبراً بلا شكوى ﴿**وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[2].

---

(١) فتح الباري (١٨/٨٢:٨٥).

(٢) سورة يوسف، آية (١٨).

= قولها: «**ثم تحولت فاضجعت على فراشي**»: أي بعد جلوسي بينهم اضطجعت مستسلمة لمقدور الله عزوجل، فتوكلت عليه لا أبغي زيادة عما قيل.

قولها: «**وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببرائتي**»: أي أنا موقنة أني بريئة، فهي أعلم بنفسها رضي الله عنها لا يعلم أكثر منها بنفسها إلا الله الذي خلقها، لذلك قالت بثقتها أيضًا في ربها عز وجل، وأنه مبرئها إما عاجلاً وإما آجلاً ببرائتها بسبب أنها بريئة حقًا رضي الله عنها وأرضاها.

قولها: «**ولكن ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجوا أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها**»: أي ما كنت أظن أن الله عز وجل ينزل بسببي قرآنًا يقرأ في الصلاة وفي المساجد، فأنا أقل من ذلك، وهذا حال الصديقين هم عند الله عظماء وفي أنفسهم حقراء، فأنا أحقر من نيل هذه المرتبة العظيمة ـ لكن الله يعز من يشاء ـ إنما كنت أرجوا مجرد رؤية منامية يراها رسول الله ﷺ ببرائتي.

قولها: «**فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه**»: قال النووي[1]: أي ما فارقه. اهـ

«**ولا خرج أحد من أهل البيت**»: قال الحافظ[2]: أي الذين كانوا حينئذ حضوراً. اهـ.

قولها: «**حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء**»: قال النووي[1]: هي بضم الموحدة وفتح الراء، وبالحاء المهملة والمد، وهي الشدة. اهـ.

قولها: «**حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه**»: قال النووي: معنى ليتحدر: لينصب والجمان بضم الجيم وتخفيف الميم، وهي الدر شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن. اهـ. =

---

(١) شرح مسلم (١٧/١١١، ١١٢).

(٢) فتح الباري (١٨/٨٢:٨٥).

= قولها: «قالت: فلما سري عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك»: قال ابن حجر[1]: «سري»: بضم المهملة، وتشديد الراء المكسورة أي كشف. اهـ، فسبحان الله العظيم مفرج الهم وكاشف الغم مجيب دعوات المضطرين إذا دعوه، لقد غم الأمر حتى عن رسول الله ﷺ وما فرج إلا من فوق سبع سماوات، بلاء شديد لكن فرج أشد ورفعة أعظم فالحمد لله رب العالمين، فمن توكل على الله وصبر كفاه وأعطاه ومنحه وفرج عنه فما أن قيل ويحك يا أم المؤمنين حتى سري، فقيل: أبشري هنيئًا لك يا أم المؤمنين.

قولها: «فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة؛ أما الله عز وجل فقد برأك»: وفي رواية: «احمدي الله»[2]: وفي رواية: «أبشري»[3]: إنها البراءة التي لا براءة فوقها؛ بل إنها النعمة التي لا نعلم فوقها..! القرآن الكريم المنزل على قلب المصطفى الأمين ينزل بكلام رب العالمين بذكر شرف وطهارة ورفعة أم المؤمنين؟! فـ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قولها: «فقالت أمي: قومي إليه»: أي التزميه واشكريه.

قولها: «قالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل». قولها: «وأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ العشر آيات كلها»: قال ابن حجر[1]: وعذرها في إطلاق ما ذكرته من الذي خامرها من الغضب من كونهم لم يبادروا بتكذيب من قالها فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتها قال ابن الجوزي: إنماقالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه، وقيل: أشارت إلى إفراد الله تعالى بقولها: فهو الذي أنزل براءتي، فناسب إفراده بالحمد في الحال، ولا يلزم ترك الحمد بعد ذلك. ويحتمل مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها: «احمدي الله»، ففهمت =

(1) فتح الباري (١٨/٨٢:٨٥).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٩٣) في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهم بعضاً (ح٢٦٦١).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧/١٦٧) في التوبة (ح٢٧٧٠) عن عائشة.

مبحث : فضل الشهادتين وبركات النبي ﷺ

٧٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فقال: فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ، قَالَ: عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا، قَالَ فَفَعَلَ، قَالَ: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ، قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا، قَالَ: حَتَّى مَلأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لايَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

= منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد، فقالت ذلك وما قالته من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب. اهـ. قال ابن حجر[1]: وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث عشرة آية، فلعل في قولها العشر آيات مجازاً بطريق إلغاء الكسر، ثم قال: وروى أبو داود[2] عن عروة عن عائشة: جلس رسول الله ﷺ وكشف الثوب عن وجهه، ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ**﴾، والله أعلم.

مبحث : فضل الشهادتين وبركات النبي ﷺ

[٧٧] أخرجه مسلم في صحيحه (١/٢٢١: ٢٢٤) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

قوله: «**حمائلهم**»: جمع حموله بالحاء، وهي الإبل. اهـ. شرح مسلم (١/٢٢٣). =

---

(١) فتح الباري (١٨/٨٢:٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في الصلاة (٢/٤٩٤ ح٧٧٠)، ولم يذكر «الثوب»، وقال: «أعوذ بالسميع العليم».

المعنى

يروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه قائلاً: كنا مع النبي ﷺ في مسير، قال: «**فنفدت أزواد القوم**»: أي فنيت في هذا السفر مآكلهم ومشاربهم، «**قال: حتى هم بنحر بعض حمائلهم**»: أي حتى كادوا ينحرون الإبل التي يركبونها، وليس معهم غيرها وذلك للضرورة فآثر النبي ﷺ تقديم الطعام على المركب؛ لأن الأول لا يستغني عنه والثاني قد يستغني عنه، وهذا من عظيم حكمته ﷺ وليعلمهم أولاً التوكل مع الأخذ بالأسباب من غير الاعتماد عليها؛ بل الاعتماد كلية على رب الأسباب عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[1]، فإذا عجزت الأسباب يلجأ ﷺ إلى المعجزات ليزداد إيمان الصحب الكرام كما في الحديث الشريف الذي نحن بصدده قال النووي[2]: وفي هذا الذي هم به النبي ﷺ بيان لمراعاة المصالح وتقديم الأهم فالأهم وارتكاب أخف الضررين لدفع أضرهما، والله أعلم.

«**قال: فقال عمر: يا رسول الله؛ لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها**»: قال النووي: هذا فيه بيان جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة لينظر الفاضل فيه، فإن ظهرت له مصلحة فعله. اهـ.

«**قال: ففعل**»: أي أخذ ﷺ بمشورة عمر رضي الله عنه لما رآهم لا يستطيعون الأخذ بهذه الأسباب لتعسر ذلك عليهم حيث لا يجدون ما يستقلونه عند رحيلهم «**قال فجاء ذو البر ببره**»: أي ما كان من فضل قمح عند أحدهم جاء به «**وذو التمر بتمره**» أي صاحب التمر جاء بما فضل عنده من تمر «**وذو النواة بنواه**» حتى صاحب النواة كان يجيء بها لذلك تعجب الراوي قائلاً: «**وما يصنعون بالنوي**»: فالناس تعودوا أن يرموا به، وهو لا يؤكل أو يحرثوه نخلاً فأخبره بما كانوا عليه من الصبر والزهد والإيمان قائلاً: «**كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء**»؛ نعم إنهم =

(١) سورة الشعراء، آية (٧٩، ٨٠).

(٢) شرح مسلم (١/٢٢٣، ٢٢٤).

= أناس آمنوا بربهم وزادهم هدى، «**قال: فدعا عليها**»؛ فببركة دعائه ﷺ ومسه للأزواد، «**قال: حتى ملأ القوم أزودتهم**»: قال النووي: قال الشيخ أبو عمر بن الصلاح: الأزودة جمع زاد، وهي لا تملأ إنما تملأ بها أوعيتها، قال: ووجهه عندي أن يكون المراد حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، قال القاضي عياض: ويحتمل أنه سمى الأوعية أزوادًا باسم ما فيها كما في نظائره، والله أعلم. اهـ. «**قال فقال عند ذلك**»: أي بعد ظهور الآية على نبوته ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»: أي من شهد شهادتي التوحيد مع اليقين بما فيهما وعدم الشك دخل الجنة ومقتضى ذلك أن يحرم على النار كما في حديث[1] عبادة ابن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار».

قال النووي[2]: مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصًا من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه، وحرم على النار بالجملة، ثم قال: فيكون المراد بدخول الجنة لكل موحد إما معجلاً معافى، وإما مؤخرًا بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود، اهـ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٩/١) في الإيمان، باب من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار.
(٢) شرح مسلم (٢٢٠/١)

مبحث: من رضي بالله وكيلاً وكفيلاً فقد فاز

٧٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أشهدهم فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَائْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلاً فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِذَلِكَ، وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي اسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِينَارًا رَاشِدًا».

---

[٧٨] أخرجه البخاري معلقًا في صحيحه (١٠/٣٧) في الكفالة، باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها (ح٢٢٩١) ووصله في البيوع (٩/١٤٦) باب التجارة في البحر (ح٢٠٦٣)، بعد أن ساق مختصراً من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: «حدثني عبد الله بن صالح: حدثني الليث به»، وفي كل الروايات قال البخاري قال الليث سواء في الكفالة أو الإستئذان أو غيرها قال ابن حجر ٩/١٤٧ قوله في آخره حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث به فيه التصريح بوصل المعلق =

= المذكور، ولم يقع ذلك في أكثر الروايات في الصحيح. اهـ، والله أعلم.

قوله: نقرها أي: حفرها، وقوله: زجج موضعها: أي سوى موضع النقر وأصلحه.

قوله: تسلفت: أي استسلفت من فلان.

قوله: ولجت فيه: أي دخلت فيه. اهـ، فتح (١٠/٣٨، ٣٩).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾[1]؛ فلأنه حي لا يموت فلا بد أن نسبح بحمده وأن نتوكل عليه، فمن وكل أموره إلى حي لا يموت فإن مآل أموره سيصير إلى خير فوق ما يرجوه وأعلى مما يؤمله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2]، فهو يكفي من توكل عليه كفاية لا خلل فيها ويكفل من اتخذه كفيلاً كفالة لا حرج فيها، ويقص علينا نبينا ﷺ في هذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه قصة رجل اتخذ الله تعالى كفيلاً ووكيلاً ففاز بما أراد على غير ما كان يظن ويخطر له، ومن حيث لا يحتسب.

ويقص علينا النبي ﷺ قصة رجلين ممن كانا قبلنا من بني إسرائيل للاتعاظ والاتساء، طلب أحدهما من الآخر أن يسلفه ألف دينار، فقال: «ائتني بالشهداء أشهدهم»، فقال: «كفى بالله شهيداً»، فرضي الرجل بذلك، واكتفى بالله عز وجل شهيداً على هذا السلف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3]، قال: «فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً فرضي أيضاً، وقال: صدقت»: أي طالما الله شهيد علينا وكفيل بمالي عندك فلن يضيعنا، ولن يضيع ما لي عندك كما قالت أم إسماعيل لإبراهيم =

(١) سورة الفرقان، آية (٥٨).

(٢) سورة الطلاق، آية (٣).

(٣) سورة الأنفال، آية (٢).

= عليه السلام «إلى من تتركنا؟»[1]، قال إلى الله قالت: «إذًا لا يُضيعنا»[2]؛ حقًا إنه اليقين الذي لا يطعم حلاوته إلا من عالج حرها، فمن عاش اليقين بقلبه، ورأى بعين البصيرة ثمار التوكل اليافعة التي نبتت في بساتين الإسلام والاستسلام، وسقيت بماء الرضا واستنشقت نسيم الإخلاص، ونقيت من شوائب الشك، أصبح ولسان حاله ومقاله يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، فدفع الرجل المال إلى صاحبه إلى أجل مسمى، ثم خرج الرجل في البحر يتجر فيه، ففي رواية[4]، «فركب الرجل البحر بالمال ليتجر فيه، وقدر الله أن حل الأجل وارتج البحر بينهما»، فلم يجد الرجل مركبًا للوصول للسداد في الميعاد، وفي نفس الوقت خرج رب المال ينتظر المدين فلما لم يجده تذكر أنه اتخذ الله عز وجل وكيلاً وكفيلاً والله تعالي لن يضيع من وكله فدعا ربه بالخلف ممن أعطى له فهو لم يعطِ صاحبه إنما أعطى الوكيل الذي لا يضيع، والكفيل الذي لا ينسى، ففي رواية[4]: «وجعل رب المال يأتي الساحل يسأل عنه فيقول رب المال: اللهم اخلفني في فلان بما أعطيته بك»، والآخر لما لم يجد مركبًا أخذ خشبة ووضع فيها المال بعد أن نقرها، ثم سد عليها وأصلحها وكتب معه رسالة يخبره بأنه لم يستطع الوصول للأداء في حينه، فلما لم يقدر وعلم أنه وكل من يثق فيه دفعها إلى الوكيل الذي لا وكيل مثله، فكل وكيل فيه نقص إلا رب العالمين. ففي رواية: «ثم كتب صحيفة من فلان إلى فلان؛ إني دفعت مالك إلي وكيلي الذي توكل بي»، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا فرضي بذلك، «وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر»، ثم =

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (١٣/١٥١ح٣٣٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (١٣/١٤٢ح٣٣٦٤).

(٣) سورة آل عمران، آية (٢٦).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨/١٤١، ١٤٢)، ذكر الخبر الدال على إثبات كون المعجزات.

= استودعها الله تعالى وألقاها في البحر بما فيها متوكلاً على الله تعالى فدخلت في البحر، ثم انصرف والرجل الآخر منتظراً على الجانب الآخر ينتظر ماله أيضًا متوكلاً على خير وكيل وخير كفيل، فلم يجد إلا الخشبة هو يراها خشبة مجردة؛ لكن هي الوديعة ساقها من لا تضيع عنده الودائع، ففي الحديث: «إن الله إذا استودع شيئًا حفظه»[1]، قال ابن حجر: وفيه فضل التوكل على الله، وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه. اهـ، فأخذ الرجل الخشبة حطبًا لأهله، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ففهم الحقيقة. ففي رواية: «وغدا رب المال يسأل عن صاحبه كما كان يسأل فيجد الخشبة فيحملها إلى أهله، فقال: أوقدوا هذه، فكسروها فانتثرت الدنانير منه والصحيفة فقرأها وعرف، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فأخبره أنه لم يزل جاهدًا في طلب المجيء بواسطة مركب فلم يقدر على مركب قبل الذي جاء فيه فسأله هل كان بعث إليه بشيء فلم يجب بالنفي! إنما وري بأنه لم يجد مركبًا غير الذي جاء فيه فلعله أخفى ما فعله زيادة في الإخلاص لله رب العالمين، وفي رواية أنه أخبره أنه دفعها إلى الوكيل العظيم رب العالمين، قال[؟]: «**ثم قدم بعد ذلك فأتاه رب المال فقال: يا فلان مالي، قد طالت النظرة، فقال: أما مالك فقد دفعته إلى وكيلي وأما أنت فهذا مالك**»، فأخبره أن الله عز وجل قد أدى عنه فنعم الرب ربنا عز وجل: ﴿ **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾[2] ، والله أعلم.

ملاحظة: الروايات المذكورة في الشرح قد ذكرها ابن حجر في الفتح من الجزء العاشر في كتاب الكفالة في شرح الحديث في باب الكفالة في القرض والديون (ح٢٢٩١) (ص٣٧:٣٩)، وأصل الروايات التي ذكرتها هي رواية عمر بن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجها البخاري في صحيحه في الاستئذان (٥٧/٢٣)، باب بمن يبدأ في الكتاب (ح٦٢٦١)، وقد تركت تخريجها هنا من على غير المعتاد، والله المستعان، وهي معلقة ومختصرة، ولم أجدها في الأدب المفرد؛ =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨٧/٢).

(٢) سورة الأحزاب، آية (٧١).

مبحث: من رضي بقدر الله تعالى واسترجع أخلف الله عليه خيراً

٧٩ ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ ما أَمَرَ اللهُ به: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْراً مِنْهَا؛ إِلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أيُ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

= حيث قال الحافظ في الفتح (٣٧/١٠)، ووصلها أي البخاري في الأدب المفرد.. اهـ، لكن وجدت بحمد الله تعالى رواية ابن حبان[1] التي عزا إليها الحافظ أيضاً، والله أعلم والحمد لله وحده.

مبحث: من رضي بقدر الله تعالى واسترجع أخلف الله عليه خيراً

[٧٩] أخرجه مسلم في صحيحه (٣١٢/٦) في الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (ح٩١٨).

وأخرجه الترمذي في سننه (٤٩٢/٩) في الدعوات، (ح٣٥٧٨) لكن عن أم سلمة عن أبي سلمة... به، وقال: حسن غريب.

وأخرجه أبو داود في سننه (٣٨٨/٨) في الجنائز، باب في الإسترجاع (ح٣١٠٣).

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥٠٩/١) في الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، وأخرجه أحمد في المسند (٣١٣/٦). =

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤١/٨، ١٤٢)، ذكر الخبر الدال على إثبات كون المعجزات.

المعنى

تخبرنا أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به: إنا لله وإنا إليه راجعون**»، وعند الترمذي: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون»، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[1] أي كما ذهبت، فكلنا راجعون إلى الذي بدأنا أول مرة سبحانه وتعالي وكلنا له عبيد ففيه تعزية للنفس عند فقد المحبوب بأنه أخذه خالقه، وكلنا كذلك راجعون إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[2]، قال في التحفة[3].

قوله: «**إنا لله**»: أي ملكًا وخلقًا، «**وإنا إليه راجعون**»: أي في الآخرة. اهـ، وقوله: «**اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها**»، أي أعطني الأجر يا رب على صبري على تلك المصيبة وما نالني منها من هم وغم وحزن وضيق وكرب، واخلف لي خيراً مما فقدت؛ حيث قال ﷺ: «لا يصيب المؤمن من هم ولا حزن ولا نصب ولا وصب ولا أذى إلا كفر الله عنه»[4].

قال في عون المعبود[5]: «فأجرني»: أي أعطني الأجر. اهـ، وقال ابن الأثير[6]: آجره يؤجره إذا أثابه وأعطاه الأجر والجزاء، وكذلك أجره بأجره والأمر منهما أجرني =

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٦، ١٥٧).
(٢) سورة الإسراء، آية (٥٠، ٥١، ٥٢).
(٣) تحفة الأحوذي (٤٩٢/٩).
(٤) أخرجه أحمد في المسند عن أبي سعيد (٣٨/٣).
(٥) عون المعبود (٣٨٨/٨).
(٦) نهاية (٢٥/١).

مبحث: في التوكل واليقين حتى في طلب الولد فإنه ليست نَسَمَة أراد الله أن تخرج إلا هي خارجة

٨٠ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُصِيبُ سَبْيًا فَنُحِبُّ الأَثْمَانَ فَكَيْفَ تَرَى فِي الْعَزْلِ؟ فَقَالَ: «**أَوَ إِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا ذَلِكُمْ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلاَّ هِيَ خَارِجَةٌ**».

= وأجرني. اهـ، قال النووي[1]: فيه فضيلة هذا القول، وقوله ﷺ: «**اؤجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها**»، قال القاضي: ومعنى أجره الله: أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته وقوله ﷺ: «**واخلف لي**»: هو بقطع الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة: يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصوله مثله، أخلف الله عليك؛ أي رد عليك مثله فإن ذهب ما لا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لا جَدٌّ له ولا والد له قيل: خلف الله عليك بغير ألف أي كان الله خليفة منه عليك. اهـ. والله أعلم.

مبحث: في التوكل حتى في طلب الولد فإنه ليست نَسَمَة أراد الله أن تخرج إلا هي خارجة

[٨٠] أخرجه البخاري في صحيحه (٩/٢٩٢) في البيوع، باب بيع الرقيق (ح٢٢٢٦).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٣٦٥) في النكاح، باب العزل (ح٥٢/١٠).

قوله: «السبي»: النهب وأخذ الناس عبيداً وإماءً، والسبية: المرأة المنهوبة. اهـ. نهاية (١/٣٤٠). =

---

(١) شرح مسلم (٦/٢١٢).

= قوله: «التوكل»: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ومنه الحديث: «وكلها إلى الله»: أي صرف أمرها إليه، أو نهاية (٥/ ٢٢١).

قوله: «العزل»: عزل الماء عن النساء حذر الحمل. اهـ، نهاية (٣/ ٢٣٠).

المعنى

التوكل على الله هو صرف الأمر إليه وعدم الاعتماد على الأسباب مع الأخذ بها واللجوء إلى الله في الأمور كما يلجأ الطفل إلى أمه والإستسلام له كالميت بين يدي من يغسله، وهنا في هذا الحديث يعلمهم النبي ﷺ التوكل على الله؛ حيث أخبروه بأنهم لهم سبي ويحبون أن يبيعوه إذا أرادوا فلذلك هم لا يرغبون أن يستولدونهن فسألوه عن العزل حتى لا تحمل المرأة ويسهل بيعها فقال ﷺ: «لا، عليكم أن لا تفعلوا»، فهذا زجر عن الفعل، وأخبرهم أن الله تعالى لا يعجزه شيء سبحانه؛ يخلق ما يريد في الوقت الذي يريد وبالحال الذي يريد فالتسليم هو الواجب؛ بل ولا ينفع سببًا يؤخذ به هنا بل الذي ينفع هو التوكل على خالق الخلق جل وعلا يتصرف في خلقه كيف شاء بل روى أنس «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن العزل فقال النبي ﷺ: لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله عز وجل منها ولدًا»(١).

قال الحافظ(٢): شيخ الإسلام العسقلاني: إنما أشار أن الأولى ترك ذلك؛ لأن العزل إن كان خشية حصول الولد فلا فائدة في ذلك؛ لأن الله تعالى إن كان قدر خلق الولد لم يمنع العزل ذلك؛ فقد يسبق الماء ولا يشعر العازل فيحصل العلوق ويلحقه الولد، ولا راد لما قضى الله، والفرار من حصول الولد يكون لأسباب؛ منها خشية علوق الزوجة الأمة لئلا يصير الولد رقيقًا، أو خشية دخول الضرر على الولد المرضع إذا كانت الموطوءة ترضعه، أو فرارًا من كثرة العيال إذا كان الرجل مقلاً فيرغب عن قلة الولد لئلا يتضرر بتحصيل الكسب، وكل ذلك لا يغني شيئًا، اهـ، والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٤٠).

(٢) فتح الباري (١٩/ ٣٦٧).

الفصل السادس

نبينا ﷺ وما يجب له من الحب والتعظيم وما جاء في حسن خلقه وورعه ورحمته ومعجزاته ﷺ

مبحث: نبينا ﷺ أكرم ولد آدم على الله تعالى

٨١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلا فَخْرَ».

---

[٨١] أخرجه الترمذي في سننه (١٠/٧٩) في المناقب، (ح٣٦٨٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه الدارمي في سننه (١/٣٩، ٤٠) في المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل (ح٤٨).

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا»، كما في الحديث الآخر: «وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»(١).

قوله: «إذا بعثوا»: قال صاحب التحفة(٢): أي من قبورهم.

قوله: «وأنا خطيبهم إذا وفدوا»: أي أخطب وأتكلم عنهم إذا وفدوا على الله عزوجل لأشفع لهم ونحوه، قال في التحفة(٢): «وأنا خطيبهم»: أي المتكلم عنهم إذا وفدوا أي إذا قدموا على الله، والوفد جماعة يأتون الملك لحاجة.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠/٨٣) في المناقب ح٣٦٩٣ وقال حسن.

(٢) تحفة الأحوذي ١٠/٧٩.

قوله: «وأنامبشرهم» : أي المؤمنين بالرحمة والمغفرة، «إذا أيسوا» : أي إذا غلب عليهم اليأس من روح الله تعالى. اهـ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

قوله: «لواء الحمد يومئذ بيدي» : قال الطيبي[2]: لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤوس الخلائق، ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة يسمى لواء الحمد، وقال التوربشتي: لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد ودونه تنتهي سائر المقامات، ولما كان نبينا ﷺ سيد المرسلين أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطي لواء الحمد ليأوي إلى لوائه الأولون والآخرون، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي». اهـ. وهي الزيادة التي زادها الترمذي في التفسير من جامعة: «وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي»[3]، إذًا فهو ﷺ داخل في الأفضلية التامة على كل الأفاضل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4].

قوله: «وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» : يخبر ﷺ بالحقيقية للعلم لا للفخر؛ فهي حقيقة، قال في التحفة[5]: إخبار بما منحه من السؤدد وتحدث بمزيد الفضل والإكرام، «ولا فخر»: أي أن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى لم أنلها من قبل نفسي ولا نلتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها. اهـ، والله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٥).

(٢) تحفة الأحوذي ٨/٥٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي في سننة ٨/٥٨٥ في تفسير الإسراء (ح٥١٥٦).

(٤) سورة البقرة آية (٢٥٢).

مبحث: تسليم الحجر على النبي ﷺ

٨٢ ـ عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ**».

---

[٨٢] أخرجه مسلم في صحيحه (٣٦/١٥) في الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

وأخرجه الترمذي في سننه (٩٨/١٠) في المناقب (ح٣٧٠٣)، وقال: حديث حسن غريب.

وأخرجه أحمد في المسند (٩٥/٥).

وأخرجه الدارمي في سننه (٢٥/١).

المعنى

يخبرنا جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**»: قال الله عز وجل: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾[2]، والآيات والأحاديث كثيرة في أن الجمادات تذكر خالقها وبارئها عز وجل وتسبحه وتخافه وتحمده، وهذا الحجر كان قبل بعثة النبي ﷺ يسلم على رسول الله ﷺ معجزة له ومحبة له ﷺ كما قال نبينا ﷺ عن أحد: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»[3] قال صاحب التحفة[4].

قوله: «**كان يسلم علي**»: أي يقول السلام عليك يا رسول الله. اهـ، وعند الترمذي: «كان يسلم على ليالي بعثت» فيجمع بينها وبين رواية مسلم، على أنه إما =

---

(١) سورة الإسراء آية (٤٤).

(٢) سورة البقرة آية (٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٩/١٢ في الجهاد باب الخدمة في الغزو ح٣٨٨٩.

(٤) تحفة الأحوذي ٩٨/١٠.

= أن يكون التسليم المقصود به في بداية البعثة قبل أن يظهر أمره ﷺ، وقبل أن يؤمر بالإعلان بالدعوة والإنذار بها، وإما أن يحمل علي أنه كان يسلم على النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، وذلك كان بمكة، وقد أخبر النبي ﷺ أنه كان يعرفه بعد ذلك، قال النووي[1]: فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[2]، قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[3]، وفي هذه الآية خلاف مشهور والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه كما ذكرنا ومنه الحجر الذي فر بثوب موسى ﷺ، وكلام الذراع المسمومة، ومَشْيُ إحدى الشجرتين إلى الآخرى حين دعاهما النبي ﷺ. اهـ. والله أعلم.

(١) شرح مسلم ٣٦/١٥.

(٢) سورة البقرة آية (٧٤).

(١) سورة الإسراء آية (٤٤).

مبحث: قوله تعالى:
﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾

٨٣ - عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرْجِعُهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ»، ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا هَنِيئًا مَرِيئًا يا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ بَيَّنَ لَكَ اللَّهُ مَاذَا يَفْعَلُ بِكَ فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

---

[٨٣] أخرجه الترمذي في سننه (٩/١٤٨) في تفسير سورة الفتح آية (٢) (ح٣٣١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه الطبري في تفسيره (١١/٣٣٣) عن قتادة في تفسير سورة الفتح آية (٢) (ح٣١٤٥٦) عن قتادة.

قوله: «هنيئًا» كل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنئ. اهـ، نهاية (٥/٢٧٧).

قوله: «مريئًا»: مرأ الطعام إذا لم يثقل على المعدة وانحدر عنها طيبًا. اهـ. نهاية (٤/٣١٣).

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه أنه أنزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]؛ لقد تضاربت الأقوال وتناثرت في ذلك، وأرجحها عندي ما رجحه شيخ الإسلام[2] ابن حجر في فتح الباري عليه، وقد ذكرته كله بحمد الله تعالى في حديث الشفاعة الآتي إن شاء الله تعالى في أحوال =

---

(١) سورة الفتح آية (٢).

(٢) فتح الباري ٢٤/٢٥١.

= الآخرة، وزدت عليه، وملخصه: أنه ﷺ مغفور له غير مؤاخذ على الذنب لو وقع، لكنه ما وقع، ولن يقع منه ذنب إن شاء الله تعالى؛ لاحتجاج موسى بالذنب مع أنه قد غفر له، ولا يزال مشفقًا واحتجاج عيسى بنبينا ﷺ بأنه صاحب الشفاعة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ إذ أن غفران الله تعالى لمحمد ﷺ غير غفرانه لموسى، والله أعلم.

قوله ﷺ: «**لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض، ثم قرأها النبي ﷺ عليهم**»: أي أخبرهم ﷺ بهذه النعمة العظيمة وقرأها عليهم، فقالوا: «**هنيئًا مريئًا يا رسول الله**»: شبهوا هذا الخير والتنعم به بالتنعم بالطعام الطيب والشراب الطيب، قال القسطلاني[1]: أي قال أصحابه ﷺ: هنيئًا؛ أي لا إثم فيه، مريئًا؛ أي لا داء فيه، ونُصِبَ على الحال؛ أي عش عيشًا هنيئًا مريئًا يا رسول الله؛ غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اهـ.

قوله: «**لقد بين لك الله ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فنزلت عليه ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2]**»: أي لقد أظهر الله تعالى لك ما أكرمك به من العفو عما مضى والعصمة فيما أكرمك الله به من النبوة وستكون على هذا الخير حتى تسكن أعلى الجنات وأعظمها في الفردوس تحت عرش الرحمن، فما مصيرنا نحن، فبين الله تعالى لهم أن مصير المؤمنين الجنات الجارية من تحتها الأنهار، ولا تحول عنها مع تكفير الذنوب والسيئات، وذلك أعظم الفوز وأفضله، والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذي ٩/١٤٩.

(٢) سورة الفتح آية (٥).

مبحث: نبينا ﷺ أكرم الناس على الله عز وجل

٨٤ - عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: «أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ» قَالَ: فَارْفَضَّ عَرَقًا.

---

[٨٤] أخرجه الترمذي في سننه (٨/٥٦٤) في التفسير، سورة الإسراء، (ح٥١٣٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه أحمد في المسند (٣/١٦٤).

قوله: «**فارفض عرقًا**»: أي جرى عرقه وسال. اهـ. نهاية (٢/٢٤٣).

المعنى

يروي أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به ملجمًا مسرجًا؛ أي لابسًا اللجام مشدود عليه السراج ليرحل بأشرف الناس وأفضلهم إلى بيت المقدس.

قوله: «**فاستصعب عليه**»: أي كعادة الدواب أحيانًا تكون صعبة عند ركوبها، قال صاحب التحفة[1]: «ليلة أسري به»: أي بالنبي ﷺ، «ملجمًا»: قال في القاموس: ألجم الدابة؛ ألبسها اللجام، «مسرجًا»: أسرجت الدابة إذا شدت عليه السرج، «فاستصعب عليه»: أي صار البراق صعبًا علي النبي ﷺ. اهـ.

قوله: «**فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه**»: أي كيف تستصعب يا براق على سيد العالمين؛ فحري بك أن تشرف وتفخر أن ركبك محمد ﷺ، فما ركبك ولن يركبك أحد أكرم على الله عز وجل من محمد ﷺ، وكأن البراق لم يكن يعرف، فلما سمع كلام جبريل عليه السلام حين عرفه بقدر رسول الله ﷺ لانَ وتغير وتأثر لذلك.

«**قال: فارفض عرقًا**»: قال في التحفة[1]: «أبمحمد» ﷺ، والهمزة للإنكار، =

---

(١) تحفة الأحوذي ٨/٥٦٤.

مبحث: قول النبي ﷺ:
«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»؟!

٨٥ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تحصل مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ فَقَسمها بين أَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ بين عُيَيْنَةَ بن بَدْرٍ، وَأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نحن أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاءِ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **«أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؛ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!»**.

= «تفعل هذا»: أي الاستصعاب، «فما ركبك أحد أكرم على الله منه»: أي من محمد ﷺ، «فارفض عرقًا»: أي جرى عرقه وسال، ثم سكن وانقاد وترك الاستصعاب. اهـ، والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»؟!

[٨٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/١٨٧) في المغازي، باب بعث علي وخالد إلى اليمن، (ح٤٣٥١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧/٢٢٨) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (ح١٤٤).

قوله: «أديم مقروظ»: أي مدبوغ بالقرظ. اهـ، فتح (١٦/١٨٧)، شرح مسلم (٧/١٤٤).

قوله: «لم تحصل من ترابها»: أي لم تميز من ترابها. اهـ. شرح مسلم للنووي (٧/١٤٤) زيادة البيان في المعنى والشرح.

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها؛ أي =

= أرسل علي إلى النبي ﷺ بقطعة ذهب في قطعة جلد مدبوغ بالقرظ؛ قال الحافظ: قوله: «لم تحصل من ترابها»: أي لم تخلص من تراب المعدن، فكأنها كانت تبراً وتخليصها يكون بالسبك. اهـ.

قوله: «**فقسمها بين أربعة نفر؛ بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل**»: أي قسمها النبي ﷺ بين هؤلاء لتأليف قلوبهم، وفي رواية عند مسلم[1]: «فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا؟ فقال رسول الله ﷺ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم»، قال الحافظ[2]: والصناديد بالمهملة والنون جمع صنديد، وهو الرئيس. اهـ.

«**فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء**»: أي نحن أولى بتلك الذهيبة وقسمتها ممن ذكروا، قال الحافظ[2]: لم أقف على اسمه. اهـ.

قوله: «**فبلغ ذلك النبي ﷺ**»: أي أخبر ﷺ بتلك المقالة السيئة التي تدل على مرض في قلب قائلها؛ حيث اعتراضه على رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ولا يحكم بالهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3].

قوله: «**فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً؟!**»: أي كيف لا تأمنوني على الحكم بينكم وترضون به؛ وقد آمنني من استوى على عرشه فوق سبع سماوات سبحانه جل في علاه وعصمني من الزيغ في الحكم والخيانة والجور؛ بل جعل من شروط الإيمان تحكيمي والرضا به؟! قال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[4].

وقوله: «**يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**»: أي ينزل علي الوحي بأخبار السماء ليلاً ونهاراً يعلمني ويأمنني على دينه سبحانه وتعالى، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٢٦، ٢٢٧ في الزكاة ح١٠٦٤.

(٢) فتح الباري ١٦/١٨٧.

(٣) سورة النجم آية (٤).

(٤) سورة النساء آية (٦٥).

مبحث: قوله تعالى:
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

٨٦ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: «**اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ**».

---

[٨٦] أخرجه أبو داود في سننه (١٠/٧٩) في العلم، باب كتابة العلم.

وأخرجه في المسند (٢/١٦٢، ١٩٢).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٠٦، ١٨٧، ح٣٥٩)، وأخبر عن رواته أنهم محتج بهم في الصحيحين إلا الوليد قال وأظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي فإن كان كذلك فقد احتج به مسلم ووافقه على ذلك الذهبي.

المعنى

يخبر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه كان يكتب كل شيء من رسول الله ﷺ يريد حفظه؛ لذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب[1].

قوله: «**فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأسكت عن الكتاب**»: أي قالت لي قريش: كيف تكتب كل شيء يخرج من في النبي ﷺ الشريف وهو بشر قد يرضى ويغضب فتخرج منه ألفاظ هي طيبة ولكن ليست بوحي، فقد يتكلم بكلام في الغضب =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٣/١ في العلم باب كتابه العلم ح٣١٣.

= لا يوافق كلام الرضا، لكن الحق أن الله تعالى وهب نبيه ﷺ ما لم يهبه ولن يهبه لأحد، فلقد عصم لسانه كما عصم قلبه وجنانه فقال الله تعالى له ممتنًا على من كان تحت لواء محمد ﷺ ثم عليه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، فليس عند نبينا ﷺ هزل ولا عبث ولا كذب ولا مالا يؤخذ به ولا ما لا يعتد به فكل كلامه بل كل حركاته وسكناته بل ولو تنخم ما كان عابثًا ﷺ، وأخرج الطبري[2] عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، أي ما ينطق عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ. اهـ.

قوله: «**فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك إلى رسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال: اكتب؛ فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**»: أي لما قالت قريش ما قالت سكت عبد الله بن عمرو بعض الوقت عن الكتابة ثم سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فأشار النبي ﷺ إلى أطهر وأعظم وأزكى فم ولسان خلقه الله تعالى وعصمه من النقص البشري فقال أي اكتب يا عبد الله؛ فوالله الذي أنا مملوك له ما يخرج من فمي وما ينطق لساني إلا بالحق فثبتت عصمته ﷺ في الغضب والرضا في النوم واليقظة في السلم والحرب مع القريب والبعيد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالحمد لله على نعمه حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه. قال أبو الطيب آبادي[3]: «أكتب»: أي عبد الله بن عمرو «فما» نافية، «ما يخرج منه»: أي من فمي إلا حق من الله تعالى فلا تمسك عن الكتابة؛ بل أكتب ما تسمعه مني. اهـ، والله أعلم.

تنبيه: هذا العنوان هو المناسب لباب نبينا ﷺ وما يجب له من التعظيم.. إلخ، والله أعلم. =

---

(١) سورة النجم، آية (٣، ٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسير النجم، آية (٣، ٤) (ج١١/٥٠٤ح٣٢٤٢٠).

(٣) عون المعبود (١٠/٧٩).

مبحث: لما قدم نبينا ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء وبعد وفاته ﷺ أظلم منها كل شيء

٨٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

= [٨٧] أخرجه الترمذي في سننه (٨٧/١٠)، باب ما جاء في فضل نبينا ﷺ، (ح٣٦٩٧)، وقال: صحيح غريب.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢٠/١) في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ.

وأخرجه أحمد في المسند (٢٦٨/٣، ٢٢١).

المعنى

يخبر أنس بن مالك رضي الله عنه عن حقيقة كان لا بد من التصريح بها لتقر في النفوس وتصبح علمًا شرعيًا، مأثورًا عن الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وهذه الحقيقة هي قول أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، أي استنارت وسميت المدينة المنورة، فهو نور معنوي ونور حقيقي، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[١]، وأما كونه أضاءها بنور حقيقة فهذا ليس ممتنعًا فقد كان من كرامات بعض أصحابه، فهو أولى وأعظم فهو سيد الأنبياء والأولياء ﷺ وصاحب أعظم المعجزات فعن أنس رضي الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله[٢]. قال =

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٤٥، ٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١/٣) في الصلاة (ح٤٦٥).

= صاحب التحفة[1]: قوله: «أضـاء منها»: أي أشـرق من المدينة «كل شيء» بالرفع على أنه فاعل أضاء.

قوله: «**فلمـا كان اليـوم الذي مات فيـه أظلـم منهـا كل شيء**»: أي لما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى أظلم من المدينة كل شيء.

قوله: «**ومـا نفـضـنـا عن رسـول الله ﷺ الأيدي وإنـا لفي دفـنه حـتى أنكـرنا قلوبنا**»: أي تغيرت القلوب وضعف إيمانها فقط بمجرد مفارقة الجسد الشريف وهم حديثوا عهـد به ﷺ فكيف بمفـارقة الزمـان والمكان وها هو ما نحن فيه في زمـاننا كأننا في علاماتها الكبرى ونسأل الله السلامـة والعافية. قال صاحب التحفة[1]: «وما نفضنا»: من النفض وهو تحريك الـشيء ليزول ما عليه من التراب والغبـار ونحوهما، «وإنا لفي دفنه»: أي مشغولون بعد، والجملة حالية «حتى أنكرنا قلوبنا» بالنصب على المفعولية، قال: التوربشتي: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفـة لانقطاع مـادة الوحي وفـقـدان ما كـان يمدهم من الرسـول ﷺ من التـأييـد والتعليم ولم يرد أنهم لم يجدوهـا على ما كـانت عليه من التـصديق. اهـ. وقـال في اللمعـات: لم يرد عدم الـتصـديق الإيماني؛ بل هو كنايـة عن عدم وجـدان النورانيـة والصـفاء الذي كـان حاصـلاً من مشـاهدته وحـضوره ﷺ لتـفاوت حـال الحضـور والغيبة. اهـ. والله أعلم.

---

(1) تحفة الأحوذي (١٠/٨٧/٨٨).

مبحث : في فضل الصلاة على النبي محمد ﷺ

٨٨ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي طَلْحَـةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ: أَمَا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْراً**».

---

[٨٨] أخرجه النسائي في سننه (٣/٥٠) في السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ.

وأخرجه أحمد في المسند (٤/٣٠).

وأخرجه الدارمي في سننه (٢/٤٠٨) في الرقاق، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ح٢٧٧٣).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٦) في تفسير سورة الأحزاب (ح٣٥٧٥)، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

المعنى

يخبرنا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه أي السرور والفرح والتهلل في وجهه المنير الشريف ﷺ، وعند الحاكم: «والبشرى ترى في وجهه»: فالبشر هو البشري زاد الدارمي: فقلنا: يا رسول الله: إنا نرى في وجهك بشراً لم نكن نراه، وعند الحاكم: فقلنا: يا رسول الله؛ إنا لنرى البشرى في وجهك، فقال: «إنه أتاني الملك»، وفي رواية هذا الفصل بينت من الملك؟ ففيها: «**إنه جاءني جبريل ﷺ فقال: إنه جاءني جبريل ﷺ فقال: أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً**»: أي هل ترضى يا رسول الله أنه ما من عبد صلى عليك أي قال اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل =

= محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد أو نحوها من صيغ الصلاة عليه ﷺ تسليمًا كثيرًا ـ إلا كافأه الله تعالى بأن يصلي عليه عشر مرات ولا يسلم عليك أحد من أمتك أي يقول السلام على النبي أو ﷺ تسليمًا إلا سلم الله عليه عشرًا، فالذي عند النسائي أن الذي يصلي على المصلي هو جبريل عليه السلام، وعند الحاكم أن الذي يصلي عليه هو المولى عز وجل ففيها: إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقول: أما ترضى ما أحد من أمتك صلى عليك إلا صليت عليه عشر صلوات ولا سلم عليك أحد من أمتك إلا رددت عليه عشر مرات فقال: بلى: أي رضيت يا جبريل، وقد قال له ربنا عز وجل ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1] سبحانه فقد صدقه وهو أصدق القائلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[3] وصدقت عائشة حين قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[4]، وأما معنى الصلاة عليه ﷺ فقد قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الجامع الصحيح[5]: باب قوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾، الآية. قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصلون يبركون. اهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة الضحى، آية (٥).

(٢) سورة الطلاق، آية (٣).

(٣) سورة النور، آية (٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/١٤٢) في تفسير سورة الأحزاب (ح٤٧٨٨).

(٥) صحيح البخاري (١٨/٥٠) تفسير سورة الأحزاب.

مبحث: حب الرسول ﷺ من الإيمان

٨٩ - عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

[٨٩] أخرجه البخاري في صحيحه (١/١١٤) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (ح١٤).

المعنى العام

لسان الحقيقة لا بد أن يتخطى حاجز الحياء والتواضع، فنبينا ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعًا؛ لذلك كان أحيانًا يتمهل في تبليغ بعض الأمور الشرعية التي تَخُصُّهُ حياء وتواضعًا ثم يبلغها بعد العقاب من الله عز وجل، ليس اعتراضًا ولكن أحيانًا خوفًا، وأحيانًا حياء، وأحيانًا تواضعًا، وقد عاتبه الله عز وجل في قصة زواجه بزينب رضي الله عنها قائلاً: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾(١)؛ بل قال ﷺ أن الله تعالى قال له: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرأه نائمًا ويقظانًا، وإن الله أمرني أن أحرق قريشًا، فقلت: رب إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خُبْزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغْزُهم نُغزِك، وأَنْفِق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك...» الحديث(٢)، وغير ذلك كما في الأمور التي فيها تفضيله ﷺ على غيره ورفعة لشأنه، كان أحيانًا يسكت حياءً ثم يبين ﷺ، ففي البخاري(٣): عن كعب بن عجرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله؛ أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف =

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧/٢٨٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (ح٢٨٦٥)، وأخرجه أحمد في المسند (٤/١٦٢) بلفظه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/١٥٠، ١٥١)، في التفسير، سورة الأحزاب، باب قوله: إن الله وملائكته يصلون على النبي (ح٤٧٩٧).

= الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، وهو الذي قال تواضعًا: «لا تخيروني على موسى...» الأحاديث[1]، لكن عند بيان الحقائق قال: «أنا سيد ولد آدم، وأول من تشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع»[2] ﷺ فبين في هذا الحديث الذي نحن بصدده حكمًا عظيمًا، وهو أنه من الإيمان الكامل أن يكون هو ﷺ أحب إلى المؤمن من والده وولده والناس أجمعين، وصدق ﷺ؛ فلولا أن تفضل الله عز وجل على الناس به لما ساغت لهم حياة صالحة على وجه الأرض؛ لذلك لما قالت الأنصار: «يعطي قريشًا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم»[3] فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطبهم فقال[4]: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن، قال: «ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟ قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن، قال: «لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» زاد في حديث زيد بن أرقم: «اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»[5]، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا»[6]، فهو إذًا أهل للحب =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/١٩٥) في أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده (ح٣٤٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٢/٤٢٦) في السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/١٦٩) في المغازي، باب غزوة حنين (ح٤٣٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/١٦٦) في المغازي، غزوة حنين (ح٤٣٣٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة، باب فضائل الأنصار (١٦/٩٨ح٢٥٠٦).

(٦) فتح الباري (١١/١٦٨).

= كله ﷺ بعد حب الله عز وجل يفوق كل حب، يفوق حب المرء الدنيا والمال والأهل والوالد والولد والناس أجمعين؛ بل والنفس وكل نفيس، وليتدبر المرء ما قدمه رسول الله ﷺ حتى تكتمل في قلبه هذه الدرجة من الحب له لقد تحمل الإسلام من يوم مولده حتى ملأ الدنيا كلها، فصبر وصابر ﷺ، مشى على شوك الأسى، وانتعل حصباء الهاجرة، وافترش رمال الحسر، والتحف السماء، وتوسد السهر، وطعم الإيمان حتى لَفَّهُ، وشرب الوحي حتى اشْتَفَّهُ، حتى كان في شدة القَرّ كأنه في شدة الحر، فَغُرِسَ الوحي في القلب، وسقي بماء النبوة، فنبتت شجرة الإسلام، أصلها التوحيد، وتفرعت منها أغصان الشرائع والحلال والحرام، وأثمرت ثمار التقوى، ومشى بها رسول الله ﷺ حاملاً لها ومعه جبريل عليه السلام يهديه الطريق، ويساعده في رِيِّهَا والقرب منها، ورسول الله ﷺ يتلو قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ... ﴾[1] الآية، فاتَّبَعَ كلام ربه عز وجل، واشتد سعيه بالرسالة وما قصر فيها وما استثقلها ـ وهي ثقيلة ـ وما شكى منها وما بكى، إنما قبلها وأحبها، بل وتعجل وحيها وحفظها وأقامها بعد أن فهمها، وأداها، وزكاها، وجاهد من أجلها، وتورمت قدماه من أجلها، وأدميت كعباه من أجلها، وحفيت قدماه من أجلها، وربط على بطنه الحجر من أجلها، ورقع ثوبه من أجلها، وسجد في الماء والطين من أجلها، ومص النوى من أجلها، وركب الصحراء من أجلها وهاجر في الهاجرة من أجلها، وكسرت رباعيته من أجلها، وشج وجهه الشريف من أجلها، وذاق الفقر الطويل من أجلها، ورفض الدنيا من أجلها، ونبذ الملك من أجلها، وسكن الضيق من أجلها، وصبر وصابر وقتل وقاتل، وجهد وجاهد، وحكم وأحكم، وعلم وعلم، وبلغ وبيّن، وقرأ وأقرأ، وشهد وأشهد، فما زال على ذلك ﷺ حتى قال له ربه عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[2] فلما رآها كملت وتمت، ورضيت وأرضت، وظهرت، =

(١) سورة الأحقاف، آية (٣٥).

(٢) سورة المائدة، آية (٣).

= وازدهرت، وأشرقت وأورقت، وقامت وأقامت، ووضحت وشملت، وعَمَّتْ، قال بعد أن قرب الرحيل، وأزف التحويل، ودنا الأجل، وتم العمل، وكمل الثواب، وعلت المراتب، وفتحت له الجِنَانُ وتَزينت له الحور الحِسَانُ، وتم عليه رضي الرَّحْمن، وأحس بشوق وحنان إلى لقاء الملك الديان، قال عند الوداع لأصحابه الكرام[1]: «أنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة إلى السماء وينكبها إلى الناس: «اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات» حق له أن يقسم أن لا يكتمل الإيمان حتى يمتلئ القلب ويزيد فيه حب الرسول ﷺ على النفس والنفيس والمال والوالد والولد وعلى كل إنسان، فاللهم ارزقنا ذلك يا ذا الجلال والإكرام: واعلم أيها المسلم أن حب النبي ﷺ له مقتضيات ومستلزمات وعلامات، فأهم مقتضياته اتباعه ﷺ فيما أمر والانتهاء عما عنه نهى، فمن تخلف عنه بعض ذلك فقد نقص منه بعض الإيمان بقدر ما نقص من الاتباع قال الله عز وجل: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[3]، وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله؛ ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[4]، قال الحافظ[5]: قوله: «لا يؤمن»: أي إيمانًا كاملاً، «حتى أكون أحب إليه»: وهو أفعل بمعنى مفعول - أي محبوب - (من والده وولده والناس أجمعين)، قدم الوالد للأكثرية؛ لأن كل أحد له والد من غير عكس. اهـ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٠٢٥) في المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ (٣٠٧٤).

(٢) سورة النساء، آية (٦٥).

(٣) سورة آل عمران، آية (٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٨) في الاعتصام بالكتاب والسنة ح٧٢٨٠ عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥) فتح الباري (١/١١٤).

مبحث: في طيب عرقه ﷺ والتبرك به

٩٠ - عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا فَتَبْسُطُ لَهُ نَطْعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ وَالْقَوَارِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا»؟ قَالَتْ: عَرَقُكَ أَدُوفُ بِهِ طِيبِي.

---

[٩٠] أخرجه مسلم في صحيحه (١٥/٨٧) في الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به.

وأخرجه النسائي في سننه (٧/٢١٨) في الزينة، باب ما جاء في الأنطاع.

وأخرجه أحمد في المسند (٦/٣٧٧).

قوله: «أدوف»: أي أخلط. اهـ. نهاية (٢/١٤٠).

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه عن أم سليم رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، وفي رواية لمسلم[1]: «فينام على فراشها وليست فيه»: أي ليست أم سليم في الفراش، وقال النووي[2]: عنها أنها كانت محرمًا له ﷺ، ففيه الدخول على المحارم والنوم عندهم، وفي بيوتهم، وجواز النوم على الأدم، وهو الأنطاع والجلود. اهـ.

قوله: فتبسط له نطعًا أي فراش من جلد.

قوله: فيقيل عليه من القيلولة وهي النوم وسط النهار.

قوله: «وكان كثير العرق» ﷺ، وفي رواية[1]: «فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه».

---

(١) في نفس الباب، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به (١٥/١٧) في الفضائل.

(٢) شرح مسلم (١٥/٨٧).

= قوله: «فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير»: أي كانت تجمع من على الجلد عرق النبي ﷺ فتجعله في عطرها وزجاجاتها ذوات الطيب. وعند مسلم في رواية[1]: «فجعلت تسلت العرق فيه»، وعند النسائي: «فنشفته فجعلته في قارورة»: أي لتتطيب به مع طيبها، ونعم الطيب؛ بل والله خير الطيب وهل هناك أطيب من هذا الطيب؟ بل لو أخذت بوله ﷺ وتطيبت به كانت محقة وما ينبغي أن تلام، لقد طاب كله ﷺ وفاق العالمين طيبًا وحسنًا وعقلاً ﷺ، والدليل على ذلك ما قاله القاضي[2] عياض في كتابه الشفا: وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد، فكان ﷺ قد خصه الله تعالي في ذلك بخصائص لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر، زاد القاضي في حديث أنس هذا: لما سأل النبي ﷺ أم سليم عما تفعله قالت: نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب، وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه وذكر إسحاق بن راهوية أن تلك كانت رائحته بلا طيب ﷺ، قال: وقد حكى بعض المعنيين بأخباره وشمائله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله، وفاحت لذلك رائحة طيبة[2]. اهـ وذكر الكثير من ذلك رحمه الله تعالى.

قوله: فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم؛ ما هذا»؟ أي الذي تصنعين من جمع العرق في القارورة.

قوله: «قالت: أدوف به طيبي»: أي أخلط به طيبي ليكون أطيب الطيب، زاد النسائي: «فضحك النبي ﷺ» فاللهم لا نعدم من نبينا طيبًا ولا ضحكًا، والله أعلم.

---

(١) في نفس الباب، باب طيب عرقه ﷺ والتربك به (١٥/١٧) في الفضائل.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ص٥٢.

مبحث: قول النبي ﷺ:
«إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»

٩١ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقُلْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانَ وَلا يَنَامُ قَلْبِي**».

[٩١] أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٤٠) في التهجد باب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره (ح١١٤٧).

أخرجه البخاري في صحيحه (٩/٩٢)، في التراويح، باب فضل من قام رمضان (ح٢٠١٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٦/١٧) في الصلاة، باب صلاة الليل والوتر.

وأخرجه أبو داود في سننه (٤/٢١٨، ٢١٩) في أبواب قيام الليل في صلاة الليل، (ح١٣٢٧).

وأخرجه الترمذي في سننه (٢/٥١٧) في الصلاة، باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ بالليل (ح٤٣٧).

المعنى

كان ﷺ في ذكر دائم لله عز وجل ليل نهار؛ قائمًا وقاعدًا ومضجعًا، وأكثر من ذلك نائمًا ويقظان، وهذه مرتبة فاق بها كل البشر ﷺ؛ لذلك لما قالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله؛ أتنام قبل أن توتر أي قبل أن تصلي ركعه الوتر التي أمرتنا أن نجعلها آخر صلاتنا بالليل فقد روى بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**اجعلوا صلاتكم بالليل وترا**»[1].

قوله: «**فقال ﷺ: يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**»: يعني إذا نامت عيناي فإن قلب الخليل لا يغفل عن ذكر خليله حتى وهو نائم؛ بل حتى القرآن الكريم كان يقرأه ﷺ نائمًا ويقظان، قال أبو داود[2]: كان النبي ﷺ محفوظًا. اهـ. قال

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٣١٣) في أبواب الوتر، باب في وقت الوتر، (ح١٤٢٥) وصححه الألباني.

(٢) سنن أبي داود (١/٣٤٥) في الصلاة، باب في الوضوء من النوم بعد (١٩٩).

مبحث: حسن عشرة النبي ﷺ لأهله

٩٢ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ»، قَالَتْ: قلتُ كَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ: لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ لاَ أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ.

= أبو الطيب محمد شمس الحق في شرحه على السنن: أي عن نوم القلب، «ولا ينام قلبي»: ليعي الوحي الذي يأتيه، ولذا كانت رؤياه ﷺ وحيًا ولا تنقض طهارته بالنوم، فإن قلت: حديث نومه ﷺ في الوادي عن صلاة الصبح قال النووي[1]: إن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما، ولا يدرك ما يتعلق بالعين؛ لأنها نائمة والقلب يقظان. اهـ. وقال القسطلاني[2]: وإنما كان قلبه الشريف ﷺ لا ينام؛ لأن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن، فافهم. اهـ، والله أعلم.

مبحث: حسن عشرة النبي ﷺ لأهله

[٩٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٢٩٤)، في الأدب، باب ما يجوز من الهجران، إلخ (ح٦٠٧٨).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٣٨٩)، في النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، (ح٥٢٢٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٥/٢٠٣) في فضائل الصحابة، باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

---

(١)

(٢) إرشاد الساري (٢/٤٢٩).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[2]، فتأول ﷺ كلام ربه فعفا عنه وغفر واستغفر وتحمل ولان؛ ففاق من سبق ومن لحق ﷺ خاصة مع أزواجه، وهنا يقول ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إني لأعرف غضبك ورضاك»، ما أحسن هذا فعندنا لا يهمنا غضب المرأة ولا رضاها؛ خاصة إذا كان لحظ النفس أو للدنيا. قال ابن حجر[3]: يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها، وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه، والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك؛ لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه ﷺ وسكوتها، فبنى على تغير الحالتين مع الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب.

قولها: «**وكيف تعرف ذلك يا رسول الله**»؟ يعني بأي القرائن؟

قوله: «**قال: إنك إذا كنت راضية قلت: بلى ورب محمد، وإذا كنت ساخطة قلت: لا ورب إبراهيم**»: قال الحافظ ابن حجر[3]: وفي اختيار عائشة ذكر إبراهيم عليه الصلاة السلام دون غيره من الأنبياء دلالة على مزيد فطنتها؛ لأن النبي ﷺ أولى الناس به كما نص عليه القرآن، فلما لم يكن لها بد من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة. اهـ.

قولها: «**قالت: قلت: أجل لا أهجر إلا اسمك**»: قال ابن حجر[4]: قوله: «أجل» بوزن نعم، ومعناه، وقال الأخفش إلا أن نعم أحسن من أجل في جواب الاستفهام، وأجل أحسن من نعم في التصديق. اهـ. وقال ابن المنير[3]: مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة مودة ومحبة. اهـ.

---

(١) سورة القلم، آية (٤).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٥٩).

(٣) فتح الباري (١٩/٣٨٩).

(٤) فتح الباري (٢٢/٢٩٤).

مبحث: في زهد النبي ﷺ

٩٣ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ».

٩٤ - وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كُنَّا - آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ - لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ؛ إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ».

٩٥ - وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُه ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ».

= وقال النووي[1]: قال القاضي: مغاضبة عائشة للنبي ﷺ هي مما سبق من الغيرة التي عفى عنها للنساء في كثير من الأحكام كما سبق لعدم انفكاكهن منها، ثم قال: ولولا ذلك لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه؛ لأن الغضب على النبي ﷺ وهجره كبيرة عظيمة، ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسمك، فدل على أن قلبها وحبها كما كان، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة. اهـ، والله أعلم، فاللهم اجعلنا لا نهجر شخصه الكريم ﷺ ولا اسمه ولا خلقه ولا سنته ولا شرعه ولا ذكره صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

مبحث في زهد النبي ﷺ

[٩٣] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٠٦) في الزهد.

[٩٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٠٦) في الزهد.

[٩٥] وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٠٧) في الزهد.

---

(١) شرح مسلم (١٥/٢٠٣).

٩٦ - وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».

٩٧ - عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَأَظُنُّهُ جَائِعًا...».

٩٨ - وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ».

---

[٩٦] وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٠٨) في الزهد.

[٩٧] وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣/٢٢٢) في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه.

[٩٨] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٠٩) في الزهد.

قوله: «دقلاً»: هو بفتح الدال والقاف؛ تمر رديء. اهـ، شرح مسلم (١٨/١٠٩).

المعنى

لو سأل رسول الله ﷺ ربه عز وجل الجبل ذهبًا وليكون أغنى الناس لكان، ولو طلب ملكًا كملك داود وسليمان مع النبوة لأعطى أفضل منهما ولو اختار الدنيا والجنة حين خير عند موته ﷺ لأجيب ولكن ﷺ نزل الوحي الأمين على قلبه الكريم ﷺ قائلاً له: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾[2] الآية، =

---

(١) سورة طه، آية (١٣١، ١٣٢).

(٢) سورة الحديد، آية (٢٠).

=وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[1]، وقال تعالى له: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[2]، لذلك باعها ﷺ كلها واشترى بها الآخرة، فكان زاده من متاعها ما سمعناه من هذه الأحاديث التي رواها عائشة وعمر وطلحة رضوان الله عليهم أجمعين.

ففي الحديث الأول: تخبرنا عائشة رضي الله عنها: أنه «**ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حتى مضى لسبيله**»؛ أي حتى من الخبز ما أكل رسول الله ﷺ أكلاً يسد جوعته ثلاثة أيام متوالية حتى لحق بالله عز وجل، فقد كان يجوع يومًا ويشبع يومًا كما قال ﷺ: «عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب؛ ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[3].

وفي الحديث الثاني تخبرنا أيضًا رضي الله عنها قائلة: «**إن كنا آل محمد ﷺ**»: أي أهل أبياته كلهم ﷺ، «**لنمكث شهراً ما نستوقد بنار**»: أي نظل شهراً ما نوقد نارًا للطعام؛ لأنه ليس عندنا شيء نطبخه شهرًا كامل، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ وفي رواية قال عروة: «**قلت: يا خالة: فما كان يعيشكم**»: أي على أي شيء إذًا كنتم تعيشون أي من الطعام والشراب؟ «**إنما هو التمر والماء**»، فقالت له في الرواية الأخرى في نفس الباب «الأسودان؛ التمر والماء»: أي نعيش على طعام التمر وشراب الماء لا غير.

سيد البشر ﷺ يعيش الشهر الكامل على الماء والتمر، والناس في زماننا يردون الخُبزَ الذي لا يعجبهم خَبْزُه!! =

(١) سورة الإسراء، آية (١٨، ١٩).

(٢) سورة الضحى، آية (٤، ٥).

(٣) أخرجه أحمد من المسند (٥/٢٥٤) من حديث أبي أمامة مرفوعًا.

= ولما دخل عمر على نبينا ﷺ ووجد حاله بكى فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قال: «قلت: يا نبي الله؛ ومالي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانتك؟!!»[1]، وعند البخاري[2]: فقال ﷺ: «أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا». فقلت: يا رسول الله إستغفر لي، وعند مسلم[1] «يا بن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا».

وفي الحديث الثالث: تقول أم المؤمنين رضي الله عنها: «**توفي رسول الله ﷺ وما في رفي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير**»: أي ما عندي على الرف طعام يصلح لحي إلا شيء من شعير قال النووي[3]: الرف: بفتح الراء معروف والشطر هنا معناه شيء من شعير كذا فسره الترمذي، وقال القاضي ابن أبي حزم: معناه نصف وسق. اهـ، قالت: «**فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني**»: أي جعلت أتناول منه كلما احتجت بعد وفاة النبي ﷺ حتى بقي فترة طويلة مباركًا، ثم جعلت أكيله بالعيار ليفنى ففني؛ حيث أن طعام الشعير لخشونته غير مرغوب فيه، قال القاضي[3]: وفي هذا الحديث أن البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات.

وأما الحديث الآخر[4]: «**كيلو طعامكم يبارك لكم فيه**»: فقالوا: المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل. اهـ، وأخبرت أيضًا رضي الله عنها في الحديث الرابع أنه: «**مات رسول الله ﷺ**»[5] بأبي هو وأمي «**وما شبع من خبز وزيت في يوم** =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠/١٢٠) في الطلاق (ح١٤٧٩)، باب في الإيلاء واعتزال النساء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٣٤٤، ٣٤٥) في النكاح (ح٥١٩١).

(٣) شرح مسلم (١٨/١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، وأحمد في المسند (٤/١٣١) من حديث المقداد مرفوعًا، واللفظ له.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٦/٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

= واحد مرتين» أي وما سد جوعته خبز مؤتدم بزيت في يوم مرتين اثنين بل أحيانًا كان ﷺ ما يجد حتى الخبز والزيت ففي حديث أبي طلحة الخامس يقول: «**رأيت رسول الله ﷺ مضطجعًا في المسجد يتقلب ظهراً لبطن وأظنه جائعًا**»، وفي رواية: «أعرف صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع».

هذا منتهى الشدة التي قد يظن بأحد أن يتحملها راغبًا لله تعالى، لذلك قال عمر في الحديث السادس: «**لقد رأيت رسول الله ﷺ اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ بطنه**»: أي كما قال أبو طلحة: «يتقلب ظهراً لبطن من الجوع» ﷺ ما يجد حتى رديء التمر ليشبع بطنه أو يسد جوعتها صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله وجعل جزاءك كل رفعة رفعت بها الإسلام، وكل ذكر لله تعالى كنت سببه، لقد عشت الشرع كله كما يحب ربنا ويرضى، وصدقت عائشة رضي الله عنها حين أجملت خلقه فقالت: «كان خلقه القرآن»[1] صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، والله أعلم.

وبالجملة؛ ففي حياته ﷺ ما شبع من خبز بر ثلاثة أيام متتالية؛ بل قد كان يمكث أحيانًا الشهرين بلا خبز أيضًا؛ إنما هو التمر والماء، وحتى خبز الشعير؛ فقد توفي ﷺ وما ترك منه إلا شطراً منه، وكان إذا وجد الخبز والزيت لا يشبع منه في يوم مرتين؛ بل كان يفتقد ذلك كله حتى كان يتقلب ويتلوى أحيانًا من الجوع بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيراً.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مبحث: في مأدبة النبي ﷺ

من أجاب الدعوة إليها دخل الجنة

٩٩ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: جَاءَتْ مَلائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبُ يَقْظَانٌ، فَقَالُوا إن لصاحبكم هذا مثلاً قال: فاخربوا له مثلاً فقال بعضهم: إنه نائم وقال: بعضهم إن العين نائمه والقلب يقظان فقالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رجلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانٌ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ».

---

[٩٩] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٨) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ (ح ٧٢٨١).

قوله: «مأدبة» بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة وقيل بفتح الدال فمن قال بالضم أراد الوليمة ومن قال بالفتح أراد: أدب الله الذي أدب به عباده. اهـ، فتح (١٣/٢٨).

المعنى

قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[1]، وهذا حديث عظيم يبين أن النبي ﷺ بما جاء به من الخير كالمأدبة وهو قد دعا الناس إليها فمن أجاب الدعوة وجد فيها الجنة ومنها وبسببها يقول جابر بن عبد الله بن =

---

(١) سورة الشورى، آية (٥٢، ٥٣).

= حرام رضي الله عنهما: «جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم» قال الحافظ ابن حجر(1): لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم اهـ، وتفسر ذلك رواية الترمذي(2) ففيها يقول رسول الله ﷺ: «إني رأيت في المنام كأن جبرائيل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال: اسمع... الحديث.

قوله: «**فقال بعضهم إنه نائم وقال البعض: إن العين نائمة والقلب يقظان**»: قال الرامهرمزي(1): هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره، يقال رجل يقظ إذا كان ذكي القلب. اهـ.

قوله: «**فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال فاضربوا له مثلاً**»: أي مثله ومثل ما بعث به ومثل من أجابه ومن عصاه فضربوا المثال القادم.

قوله: «**فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان**»: هو كقول النبي ﷺ: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»(3).

قوله: «**مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة**» وعند أحمد(4): «بنياناً حصيناً ثم أرسل إلى الناس بطعام - أو كما قال - فمن لم يأتِ طعامه - أو قال: - لم يتبعه عذبه عذاباً شديداً - أو كما قالوا... الحديث»: قال الحافظ(1): والمأدبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة وحكى الفتح. اهـ؛ أي كمثل رجل بنى داراً وأرسل داعياً يدعو الناس إلى وليمة طعام وشراب صنعها لهم فمن أجاب المرسل دخل الدار وأكل من تلك المأدبة المُعدة وشرب، ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل؛ فالدار الجنة والمأدبة ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمرسل الداعي هو رسول الله ﷺ =

(1) فتح الباري (12/28، 13، 14).

(2) أخرجه الترمذي في سننه (8/154، 155) في الأمثال (ح3020)، وقال مرسل.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (6/40) في التهجد (ح1147).

(4) أخرجه أحمد في المسند (1/399) من حديث عبد الله بن مسعود.

= ورب الدار هو الله رب العـالمين، وله المثل الأعلى، فـفي حـديث ابـن مـسعـود عند أحمد[1]: «أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيـان فهو الإسلام والطعام الجنة ومحمد الداعي، فمن اتبعه كان في الجنة».

قوله: «**فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان**»: أي فسروها له يفهمها ﷺ ففسروها وأولوها فقالوا: فالدار: الجنة، قال الحافظ[2]: أي الممثل بها. اهـ.

قوله: «**والداعي: محمد ﷺ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله**»: كما قال تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...**﴾[3] قال الحافظ[2]: أي لأنه رسول صاحب المأدبة، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة وهو كناية عن دخول الجنة. اهـ

قوله: «**ومحمد ﷺ فَرَّق بين الناس**»: قال الحافظ[2]: بتشديد الراء فعلاً ماضياً وبسكون الراء والتنوين وكلاهما متجه. اهـ؛ أي فرق بين المؤمن والكافر؛ فالمؤمن له المودة والولاية والجنة إن شاء الله تعالى، والكافر له العداوة والبغض والنار والعياذ بالله تعالى؛ قال الكرماني[2]: ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد بل تشبيه المركب بالمركب مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين. اهـ، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد[1]: «فلما استيقظ قال: سمعت ما قال هؤلاء؟ هل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة: والمثل الذي ضربوا: الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده...» الحديث، والله أعلم. وعند الترمذي أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده، فمن أجابه دخل الجنة، ومن لم يجبه عاقبه أو عذبه»[4]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/٣٩٩) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) فتح الباري (١٢/٢٨، ١٣، ١٤).

(٣) سورة النساء، آية (٨٠).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٨/١٥٨)، أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده، وقال: حسن غريب صحيح.

مبحث : شهادة الكتب قبلنا لنبينا ﷺ

١٠٠ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا».

---

[١٠٠] أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٣/١٨) في التفسير، تفسير الفتح، (ح٤٨٣٨).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٩/٩) في البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق (ح٢١٢٥).

قوله: «وحرزًا»: يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازًا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ. اهـ. نهاية (٣٦٦/٢).

قوله: ليس بفظ «الفظ» سئ الخلق اهـ. نهاية (٤٥٩/٣).

قوله: حرزًا للأميين أي حصنًا للغرب اهـ فتح ٢١٣/١٨.

قوله: «سخاب»: السَّخَبُ وَالصَّخَبُ: بمعنى الصياح، اهـ. نهاية (٣٤٩/٢).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1] هذه في القرآن الكريم أفصح كتاب وأعظم وأحسن وأرقى كتاب أنزله الله تعالى وقد وجدت بعض الصفات منها قبل هذه في التوراة فكان تصديق نبينا من قبلنا كل آمن به وصدقه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ...﴾[2] الآية، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله =

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٤٥، ٤٦).

(٢) سورة آل عمران، آية (٨١).

=عنهما قال: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1]، قال الحافظ بن كثير[2]: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي على الخلق: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي للمؤمنين، و﴿وَنَذِيرًا﴾ أي للكافرين. اهـ، وقال الحافظ ابن حجر[3]: أي شاهدًا على الأمة ومبشرًا للمطيعين بالجنة وللعصاة بالنار أو شاهدًا للرسل قبله بالإبلاغ، اهـ، وهو هذا وهذا وزيادة ﷺ.

قوله: «**قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا**»: أي كما ذكرت في القرآن الكريم تمامًا ثم زيد عليها بكلام فيها ليس في القرآن إذا ليس بمعجز ولا يضاهي فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وإعجازه ولا يقرب.

قوله: «**وحرزًا للأميين**»: من هنا إلى آخر الحديث ليس في القرآن الكريم قال الحافظ[3]: بكسر المهملة وسكون الراء بعدها زاي؛ أي حصنًا والأميين هم العرب، وقال في موضع آخر: حرزًا أي حافظًا، وأصل الحرز الموضع الحصين وهو استعارة. اهـ، قلت: بل هو حرز لكل من اتبعه ﷺ من عرب وعجم وأحمر وأسود؛ بل والجن والإنس والحيوان؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[4].

قوله: «**أنت عبدي ورسولي**»: كما قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»[5].

قوله: «**سميتك المتوكل**»: قال الحافظ[3]: أي على الله لقناعته باليسير وللصبر على ما كان يكره. اهـ.

قوله: «**ليس بفظ ولا غليظ**»: قال الحافظ[3]: قوله: «ليس» كذا وقع بصيغة الغيبة على طريق الالتفات ولو جرء على النسق الأول لقال لست.

قوله: «**بفظ ولا غليظ**»: هو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾=

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٤٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/١٨٥) للحافظ ابن كثير.

(٣) فتح الباري (١٨/٢١٣).

(٤) سورة الأنبياء، آية (١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٥٠، ٢٥١) في أحاديث الأنبياء (ح٣٤٤٥).

= ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[1]، ولا يعارض قوله تعالى: ﴿واغلظ عليهم﴾[2]؛ لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه، والأمر محمول على المعالجة أو النفي بالنسبة للمؤمنين، والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين. اهـ.

قوله: «**ولا سخاب**»: كذا فيه بالسين، قال ابن الأثير[3]: والسَّخَب والصَّخَب: بمعنى الصياح. اهـ.

قوله: «**ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح**»: كما قال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾[4]، وكما قال تعالى: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم...﴾[1]، الآية ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾[5]، فكل هذا قد امتثله ﷺ وتحقق فيه أحسن التحقق.

قوله: «**ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء**»: أي لن يتوفاه الله عز وجل حتى ينفي الشرك، ويقيم التوحيد، ويقيم الحق، ويزهق الباطل، وقد حدث بفضل الله تعالى، قال الحافظ[6][7]: «لن يقبضه» أي يميته، و«حتى يقيم به الملة العوجاء»: أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد والملة العوجاء ملة الكفر ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان، اهـ.

قوله: «**فيفتح به أعينًا عميًا**»: قال الحافظ[6]: أي عن الحق. اهـ.

قوله: «**وآذانًا صمًا**»: أي عن سماع الحق وتفهمه وتدبره والإنصات له.

قوله: «**وقلوبًا غلفًا**»: قال البخاري[7]: الغلف كل شيء في غلاف. اهـ، والله أعلم.

فالحق ظاهر معلوم حتى في الكتب قبلنا قبل التحريف، ولكن كما قال ربنا تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[8]. =

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٥٩).
(٢) سورة التوبة، آية (٧٣).
(٣) نهاية (٢/٣٤٩).
(٤) سورة المؤمنون، آية (٩٦).
(٥) سورة المائدة، آية (١٣).
(٦) فتح الباري (١٨/٢١٣).
(٧) فتح الباري (٩/١٩٩، ٢٠٠).
(٨) سورة الأنعام، آية (٣٣).

فصل قول الله تعالى عز وجل:
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

١٠١ - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَال فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾**»، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ على خديجه بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وتكسبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَابْنَ عَمِّ؛ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَابْنَ أَخِي؛ مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهِ جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**»؟ قَالَ نَعَمْ، لَمْ =

= يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إلاَّ عُودِيَ وإن يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنشب ودقة أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ.

= [١٠١] أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢/١ ح٣)، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [سورة النساء].

قوله: «**مثل فلق الصبح**»: أي مشبهة ضياء الصبح، وخص بالتشبيه أي لظهوره الواضح الذي لا شك فيه.

قوله: «**الخلاء**» بالمد: الخلوة، و«**حراء**»: جبل معروف بمكة، و«**الغار**»: ثقب في الجبل.

قوله: «**يتحنث**»: هو بمعنى يتحنف؛ أي يتبع الحنيفية، وهي دين إبراهيم، والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم،.أو التحنث إلقاء الإثم.

قوله: «**فغطني**»: بغين معجمة وطاء مهملة، والغط حبس النفس، ومنه غطه في الماء كأنه أراد ضمّني وعصرني.

قوله: «**حتى بلغ مني الجهد**»: بالفتح والنصب أي بلغ الغط مني غاية وسعيًا، وأما بالضم والرفع؛ أي بلغ مني الجهد مبلغه.

قوله: «**أرسلني**»: أي أطلقني.

قوله: «**فرجع بها**»: أي بالآيات أو بالقصة.

قوله: «**فزملوه**»: أي لفوه.

قوله: «**الروع**»: أي الفزع.

قوله: «**الكل**»: بفتح الكاف: هو من لا يستقل بأمره، كما قال الله تعالى: ﴿وهو كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾[١].

قوله: «**المعدوم**»: أي الفقير؛ لأن المعدوم لا يكسب. =

---

(١) سورة النحل، آية (٧٦).

قوله: «وتعين على نوائب الحق»: هي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم.

قوله: «الناموس»: أي صاحب السر.

قوله: «الجذع»: بفتح الجيم والذال المعجمة؛ هو الصغير من البهائم؛ كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الإسلام شابًا ليكون أمكن لنصره.

قوله: «مؤزرا»: بهمزة: أي قويًا؛ مأخوذ من الأزر وهو القوة.

قوله: «ثم لم ينشب»: أي لم يلبث، وأصل النشوب التعلق؛ أي لم يتعلق بشيء حتى مات.

قوله: «وفتر الوحي»: وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود. اهـ. فتح الباري (١/٥٣:٦١).

المعنى

قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1]، حقًا؛ إنها أنعم النعم إذ انتسبنا إلى محمد رسول الله ﷺ الذي فضله ربه وأعطاه ما لم يعطِ أحدًا من العالمين، فأحسن له الخلق، وعظم له الخلق، وجعله في أطهر الأصلاب والأرحام، قال تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[2]، وأسكنه أشرف البقاع وأحبها إلى الله عز وجل، وجعل مهاجره أطيب المنازل، وجعل نسبه أشرف الأنساب، وجعل لسانه أفصح الألسنة، وجعل دينه أكمل الأديان، وجعل نعمته عليه أتم النعم، وجعل منطقه أحلى منطقًا، وجعل قلبه أصفى القلوب، وألقى في قلبه حب الخلوة بربه، فازداد صفاء

---

(١) سورة النساء، آية (١١٣).

(٢) سورة الشعراء، آية (٢١٩).

= ورقة أهلته لاستقبال نور الوحي الذي لما أهل وجد أرضًا طيبة قبلت ماء النبوة فأنبتت كلأ الخير وعشب التقوى، تفتح ذلك كله لما استقبل أشعة النور المنزل على قلبه ﷺ فأضاءت له الدنيا من مشرقها إلى مغربها قال الله تعالى له ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]، فكانت المقدمة الرؤيا الصالحة في النوم، الصادقة التي ليس فيها ضغث تمهيدًا وتوطئة لاستقبال أعظم رسالة بأعظم كلام على أعظم رسول ﷺ، ثم حببت إليه الخلوة ﷺ إلهامًا من الله تعالى للتهيئة لما سيكون، قال ابن حجر[2]: «حبب» لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك، وإن كان كل من عند الله أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام، والسر فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له. اهـ. وقال العيني[3]: لم حبب إليه الخلوة؟ أجيب بأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر، والبشر لا ينتقل عن طبعه إلا بالرياضة البليغة، فحبب إليه الخلوة لينقطع عن مخالطة البشر فينسى المألوفات من عادته فيجيء الوحي منه مرادًا سهلاً لا حزنًا. وقال الخطابي: حبب العزلة إليه لأن فيها سكون القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويخشع قلبه، وهي من جملة المقدمات التي أرهصت لنبوته وجعلت مبادئ لظهورها. اهـ. فكان ﷺ ملازمًا لتلك الخلوة يعبد الله تعالى فيها على دين إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وكان ذلك بغار حراء بمكة المكرمة، ثم يرجع إلى أهله خديجة رضي الله عنها، فقوله: «قبل أن ينزع إلى أهله»: يعني قبل أن يرجع، قال العيني[4]: يقال: نزع إلى أهله: إذا حن إليهم، فرجع إليهم. اهـ. وكان ﷺ يستصحب الزاد لتلك الخلوة، وما زال على ذلك حتى جاءه الحق، وهو الملك=

---

(١) سورة الشعراء، آية (١٩٢:١٩٥).

(٢) فتح الباري (٥٣/١).

(٣) عمدة القارئ (٦٨/١).

(٤) عمدة القارئ (٥٥/١).

= جبريل عليه السلام بالوحي الذي سعد به المؤمنون إلى يوم القيامة وشقي به الكافرون والعياذ بالله تعالى؛ قال ابن حجر[1]: وسمي حقًا لأنه وحي من الله تعالى.

قوله: «**فجاءه**»: هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية؛ لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى تعقب به؛ بل هو نفسه. اهـ. فلما قال للنبي ﷺ: «**اقرأ**» أجاب النبي ﷺ: «**ما أنا بقارئ**»: قال الحافظ ابن حجر: والتقدير: لست بقارئ البتة، فلما قال ذلك ثلاثًا قيل له: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾[2]، أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية، ذكره السهيلي. اهـ. فإن قيل لم كرر ذلك ثلاثًا؟ أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً: «ما أنا بقارئ» على الامتناع، وثانيًا على الإخبار بالنفي المحض، وثالثًا على الاستفهام فلما قال ذلك ضمه وعصره حتى حبس نفسه ـ ما أصبر النبي ﷺ فدى له نفسي وأبي وأمي ـ ثم قال بعد الثالثة: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..**﴾ الآيات[2]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، قال العيني: والفؤاد هو القلب، وقيل إنه عين القلب، وقيل باطن القلب، وقيل غشاء القلب، و«يرجف»: أي يخفق ويضطرب. اهـ. حتى دخل على خديجة، وهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى رضي الله عنها زوجه وأول من آمن به ﷺ من النساء، فقال: «زملوني زملوني»: أي لفوني فلفوه حتى ذهب عنه الفزع ﷺ ثم قص عليها الخبر، وقال: «**لقد خشيت على نفسي**»، ورجح ابن حجر سبب ذلك خوفه على نفسه ﷺ الموت من شدة الرعب، فقالت خديجة: «**كلا**»: معناها النفي والإبعاد ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبدًا بأمر استقرائي وصفته بأصول مكارم الأخلاق؛ لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به. اهـ. فمما وصفته به أنه يحمل =

---

(١) فتح الباري (٥٨/١).

(٢) سورة العلق، آية (١).

الكـل الذي لا يستقل بأمره، ويكسب المعدوم الفقير، ويصل الرحم، ويقري الضيف، ويصـدق الحديث، قـال الحـافظ: وهي من أشـرف الخصـال، ويؤدي الأمـانة، وتلك الفضـائل من سنن الله تعالى أن يكرم صـاحبهـا ويكلؤه ويعزه، ويرزقـه، ولو كان أقل الناس، فكيف بأشرف الناس وأعلاهم ﷺ، قـال ابن حجر[1]: وفي هذه من الفوائد استحبـاب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليـه وتهوينه لديه، وأن من نزل به أمر استحب له أن يطلع من يثق بنصيحته وصحة رأيه. اهـ، ثم مضت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العـزى، وكان على النصرانية قبل التحريف، قال ابن حجر[1]: قوله: «تنصر» أي صار نصرانيـا، وكان قد خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل، لما كرها عبـادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين، فأما ورقـة فأعجبه دين النصرانـية فتنصـر، وكان لقي من بقي من الرهبـان على دين عيـسى، ولم يبدل، ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ والبشارة به إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل. اهـ.

«**فقـالت: يا ابن عم؛ اسـمع من ابن أخيـك، فقـال: يا ابن أخي**»، قال الحافظ: قالته على سبـيل التوقير لِسِنِّه. اهـ. «**ماذا ترى**»: فأخبره رسـول الله ﷺ خبر ما رأى فأخـبره ورقة أن هذا النامـوس أي المَلَك هو الذي نزل على موسى نـزل عليك وبشره بالخير والنبـوة بذلك تشبهًا بموسى صاحب الرسـالة ومن أولي العزم ثم تمنى أن يكون جذعًا أي شابًا قويًا عند بعثة النبي ﷺ لينصره، قال العيني[2].

قوله: «**جذعًا**»: بالذال المعجمـة المفتوحة؛ يعني شابًا قـويًا حتى أبالغ في نصرتك، ويكون لي كـفاية تامـة لذلك.اهـ. أي لأنصـرنك حين يخرجك قـومك، فلما سـمع النبي ﷺ كلمة «يخرجك» تعجب لما عليه من مكارم الأخلاق؛ كيف يخرجه قومه؟ قال ابن حجر[3]: واستـبعـد النبي ﷺ أن يخرجـوه؛ لأنه لم يكن فيـه سبب يقـتضي الإخراج؛ لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها.

(١) فتح الباري (١/٥٧).
(٢) عمدة القاري (١/٥٩).
(٣) فتح الباري (١/٦٠، ٦١).

مبحث: قوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

١٠٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي».

= قوله: «إلا عودي»: وفي رواية في الصحيح[1].

«إلا أوذي»[1]: فذكر ورقة أن العلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومعاندتهم فتنشأ العداوة من ثم. اهـ بتصرف يسير.

ثم أخبر ورقة أنه إن أدركه ذلك اليوم حيًا لينصرن النبي ﷺ نصرًا قويًا؛ لذلك اعتبر مسلمًا؛ لأن لم يلبث أن توفي قبل ظهور الإسلام.

قوله: «وفتر الوحي»: قال الكرماني: معناه: احتبس، قال العيني: معناه احتبس بعد متابعته وتواليه في النزول[2]، اهـ، والله أعلم.

فصلى الله وسلم وبارك على نبينا المصطفى محمد وآله وصحبه، و ﴿الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

مبحث: قوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

[١٠٢] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠/٢٧) في الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٣/١٢) في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٦/١٨).

(٢) عمدة القاري (٥٩/١).

المعنى

قال الله عـز وجل عن نبيه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، فهو أصـدق مخلوق ﷺ بتزكية الله تعـالى؛ لذلك جعل سبحـانه طاعته طاعة له، وقد بين ذلك ﷺ فقال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله**»، قال الحافظ ابن حجر[2].

قوله: «**من أطاعني فقد أطاع الله**»: هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[3]، أي لأني لا آمـر إلا بما أمر الله به، فـمن فـعل ما آمـره به، فإنما أطـاع من أمرني أن آمره، ويحـتمل أن يكون المعـنى: لأن الله أمر بطاعتـي، فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله بطاعتي، وفي المعصـية كذلك. والطاعة هي الإتيان بالمأمور به، والانتهاء عن المنهي عنه، والعصيان بخلافه. اهـ.

قوله: «**ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**»: قال ابن حجر[2]: قولـه: أي عمل بما شـرعته، وكـأن الحكمة فـي تخصيـص أميره بالـذكر أن المراد وقت الخطاب، ولأنه سبـب ورود الحديث وأما الحكم فـالعبرة بعـموم اللفظ لا بخصـوص السـبب. اهـ، وقال النووي[4]: لأن الله تعـالى أمر بـطاعة رسـول الله ﷺ وأمـر هو ﷺ بطاعة الأمـير فـتلازمت الطاعـة. اهـ. قال الحـافظ ابن حجـر[2]: وفي الحـديث وجوب طاعـة ولاة الأمور، وهي مـقيـدة بغير الأمـر بالمعصـية كـما تقـدم والحكمة فـي الأمر بطاعتـهم المحافظة على اتفـاق الكلمة لما في الافـتراق من الفـساد. اهـ، والله أعلم.

---

(١) سورة النجم، آية (٣، ٤).

(٢) فتح الباري (٢٧/١٣٠).

(٣) سورة النساء، آية (٨٠).

(٤) شرح مسلم (١٢/٢٢٤).

مبحث: من رأى النبي ﷺ في المنام على صفته فقد رآه حقًا

١٠٣ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**».

---

[١٠٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦/٢٣٩) في التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام.

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٥/٢٤) شاهداً في الرؤيا.

المعنى

لقد سعد الصحابة رضوان الله عليهم أتم السعادة وفازوا أتم الفوز باكتحال أعينهم برؤية المصطفى ﷺ، وقد حرم ذلك التابعون فمن بعدهم إلى قيام الساعة فعوض الله تعالى المؤمنين برؤيته الشريفة ﷺ مناماً فقال ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**»، قال الإمام البخاري[١]: قال ابن سيرين: إذا رآه في صورته. اهـ. قال الحافظ ابن حجر[٢]: وقد رويناه موصولاً ثم ذكر السند إلى محمد بن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ، قال: صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لم يعرفها قال: لم تره قال: وسنده صحيح إذا لا بد لصحة رؤية النبي ﷺ من الرائي أن يكون بصفاته التي رويت عنه ﷺ في شمائله ﷺ بالأسانيد الصحيحة قال القاضي أبو بكر بن العربي[٢]: رؤية النبي ﷺ بصفته إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات إدراك المثل. اهـ.

وقوله: «**فقد رآني**»: قال الحافظ في أجوبته على ذلك؛ أحدها أنه على التمثيل والتشبيه ودل عليه قوله في الرواية[٣] الأخرى: «**لكأنما رآني في اليقظة**»، أو أن =

---

(١) صحيح البخاري بعد (ح٦٩٩٣) في التعبير باب من رأى النبي ﷺ في المنام.

(٢) فتح الباري (٢٦/٢٣٣:٢٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٥/٣٦) في الرؤيا (ح١١) بلفظ «فسيراني في اليقظة».

= معناها سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير، ورأى آخر أن يراه في يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام. اهـ. وقال النووي[1]: اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «فقد رآني» فقال ابن الباقلاني: معناه أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث، ولا من تشبيهات الشيطان، ويؤيد قوله رواية[2]: «فقد رأى الحق» أي الرؤية الصحيحة، اهـ، قال الحافظ[3]: ناقلاً عن ابن أبي جمرة، قال: فقال بعد أن حكى الخلاف: ومنهم من قال إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جوارحه شيء أو نقص فذاك خلل في الرائي من جهة الدين، قال: وهذا هو الحق، وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب، وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أوْ لا، لأنه ﷺ نوراني مثل المرآه الصقيلة ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره تصور فيها وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شيء، وكذلك يقال في كلامه ﷺ في النوم أنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره، قال: وهذا خير ما سمعته في ذلك. اهـ. قلت: وهذا ما أختاره وأرجحه، والله المستعان. قال الحافظ[3]: ومن فوائد رؤيته ﷺ تسكين شوق الرائي لكونه صادقًا في محبته ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فسيراني في اليقظة»؛ أي من رآني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق إلى مشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه. اهـ. والله أعلم.

قوله: «ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». قال الخطابي[1]: قال بعض العلماء: أقام ﷺ يوحى إليه ثلاثًا وعشرين سنة؛ منها عشر سنين بالمدينة، وثلاث عشرة بمكة، وكان قبل ذلك ستة أشهر يرى في المنام الوحي، وهي جزء من =

(١) شرح مسلم (١٥/٢١، ٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦/٢٤٠ ح٦٩٩٦).
(٣) فتح الباري (٢٦/٢٣٣:٢٣٩).

مبحث: في شدة وفاء النبي ﷺ

١٠٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِي ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ: «**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**».

= ستة وأربعين جزءاً ثم قال: وقال بعض العلماء: معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة؛ لأنها جزء باقٍ من النبوة، والله أعلم. اهـ.

مبحث: في شدة وفاء النبي ﷺ

[١٠٤] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/٢٩٠) في المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله تعالى عنها.

وأخرجه مسلم مختصراً وبزيادة غير آخر هذا الحديث (١٥/٢٠١) في الفضائل، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، وقد روي في هذا الجزء والكتاب والباب أحاديث كثيرة في فضائل خديجة (١٥/٢٠٠، ٢٠١)، وما قبلها من (ص١٩٨).

المعنى

كان ﷺ أشد الناس وفاء، وكان يقول: «**إن حسن العهد من الإيمان**»[1]، ومن أشهر وأوضح الأدلة على وفائه ﷺ ما ذكر في حديث خديجة هذا؛ تقول عائشة: «**ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها**»، وفي رواية مسلم: «وإني لم أدركها»، وفي رواية مسلم: «ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين»، أي ما غرت على أحد من ضراتي مثل ما غرت على خديجة رضي الله عنها مع أني لم أدركها؛ بل قد ماتت قبل أن يتزوجني ﷺ بثلاث =

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٦) في الإيمان (ح٤٠) وصححه.

= سنين. قال ابن حجر[1]: لأنه كان لها عند موتها ست سنين، كأنها أرادت بنفي الرؤية والإدراك، النفي بقيد إجتماعهما عند النبي ﷺ؛ أي لم أرها وأنا عنده ولا أدركتها كذلك. اهـ.

قولها: «**ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها**»:

قولها: «**وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة**»: أي كان يقسم الشاة المذبوحة على صديقات خديجة، ففي رواية مسلم: «إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة».

قولها: «**فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة**»: يعني من غيرتها التي كثيراً ما كان يعذرها عليها النبي ﷺ لما في النساء من الغيرة الزائدة المعروفة التي جبلن عليها، فكانت ترد عليه ﷺ قائلة: كأنه لم يكن هناك في الخلق امرأة غيرها صالحة تذكرها هذا الذكر الكثير، فكان يغضب فعلاً ﷺ في رواية مسلم: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة!!!؟ فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رزقت حبها».

قولها: «**فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد**»: قال ابن حجر[1]: أي كانت فاضلة، وكانت عاقلة، ونحو ذلك، وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة: «آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[2]، وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة إلا إبراهيم، فإنه كان من جاريته مارية والمتفق عليه من أولاده منها القاسم، وبه كان لكيني، مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث، فكان يقال له الطاهر والطيب، ويقال هما أخوان له، وماتت الذكور صغاراً باتفاق. اهـ بتصرف. =

---

(١) فتح الباري (١٤/٢٩١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/١١٨) من حديث عائشة مرفوعاً.

= قال القرطبي: كان حبه ﷺ لها لما تقدم ذكره من الأسباب، ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها؛ فروى مسلم عن عائشة قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت»، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلي مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيها غيرها مرتين؛ لأنه عاش ﷺ بعدها ثمانية وثلاثين عامًا معها؛ منهم خمسًا وعشرين، والباقي نحو الثلث لغيرها، ومع طول المدة، فصان قلبها فيه من الغيرة، ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركه فيه غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمن بعدها فيكون لها مثل أجرهن للحديث الوارد في ذلك عن جرير عن النبي ﷺ قال[1]: «من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها»، فتدخل فيمن سن سنة حسنة كما في الحديث، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالنسبة إلى الرجال ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل. اهـ. والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٣٦١) من حديث جرير مرفوعًا.

مبحث: في قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ... ﴾ آية

١٠٥ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسُ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؛ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ عَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟»، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ»، قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

---

[١٠٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٣/١٦) في المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (ح٤٣٣٠).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٦٩/١٦) في المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان عن أنس (ح٤٣٣١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠/٧، ٢٢١) في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (ح١٣٩/١٠٦١).

= قوله: «أفاء»: أي أعطى وأصل الفيء الرد والرجوع، ومنه سمى الظل فيئًا.. اهـ. فتح (١٦٣/١٦).

قوله: «عالة» بالمهملة أي فقراء لا مال لهم. اهـ. فتح (١٦٦/١٦) وفي النهاية عال الرجال عياله يعولهم إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة وغيرهم. اهـ. نهاية (٣٢١/٣).

قوله: «أمن» بفتح الهمزة والميم: أفعل تفضيل من المن. اهـ. (١٦٦/١٦).

قوله: «شعبًا» بكسر الشين المعجمة: وهو اسم لما انفرج بين جبيلين، وقيل: الطريق في الجبل. اهـ. فتح (١٦٨/١٦).

قوله: «شعار»: الثوب الذي يلي الجسد؛ لأنه يلي شعره؛ أي أنتم الخاصة والبطانة. اهـ، نهاية (٤٨٠/٢).

قوله: «دثار»: الثوب الذي فوق الشعار. اهـ. نهاية (٤٨٠/٢).

قوله: «أثرة» بضم الهمزة وسكون المثلث، وبفتح الهمزة والثاء: أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار: الانفراد بالشيء. اهـ، نهاية (٢٢/١).

المعنى

يروي لنا عبد الله بن زيد بن عاصم أنه «**لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا**»: أي لما أعطى ربنا عزوجل من فضله نبينا ﷺ الغنائم من الذين قاتلهم يوم حنين أعطى حديثي العهد بالإسلام الكثير من أموال الغنائم وترك غيرهم من أهل الخير والسبق في الإسلام كالعمرين وغيرهما كما في الحديث في الإيمان في البخاري[1]: «إني لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار»، قال الحافظ[2] ابن حجر: قوله: =

(١) أخرجه البخاري (١٤٦/١) في الإيمان (ح٢٧).

(٢) فتح الباري (١٦٣/١٦: ١٦٨).

= «لما أفاء الله على رسوله يوم حنين» أي أعطاه غنائم الذين قاتلهم يوم حنين، وأصل الفيء الرد والرجوع، ومنه سمى الظل فيئًا لذلك، والغنائم سميت فيئًا؛ لأنها في الأصل للمؤمنين حيث الإيمان هو الأصل فقد أخذه الكفار تعديًا منهم فلما أخذه المؤمنون سمي فيئًا لرجوعه إلي مستحقه، وقد حبس النبي ﷺ الغنائم بالجعرانة رجاء إسلامهم، ثم قسمها. اهـ ملخصًا.

قوله: «ولم يعط الأنصار شيئًا»: قال الحافظ[1]: وقيل إنما كان تصرف في الغنيمة؛ لأن الأنصار كانوا انهزموا فلم يرجعوا حتى وقعت الهزيمة على الكفار، فرد الله أمر الغنيمة لنبيه. اهـ. ملخصًا، قال ابن القيم الجوزية[2]: كان الله عز وجل قد وعد رسوله، وهو صادق الوعد أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دينه أفواجًا ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين أمسك قلوب هوازن عن الإسلام، وأن يتألبوا على رسوله ﷺ ليظهر الله أمر رسوله ﷺ ويعز دينه ولتكون الغنائم شكرًا لأهل الفتح وتأليفًا لقلوب حديثي العهد، وقهرًا لشوكة هوازن القوية، وتخويفًا لبقية العرب، وغير ذلك من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين، وتبدوا للمتوسمين، واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة لتتواضع رؤوس رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسوله ﷺ واضعًا رأسه منحنيًا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد أن تمس سرجه تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته واستكانة لعزته أن أحل له حرمه وبلده، ولم يحل لأحد قبله، ولا لأحد بعده، وليبين للذين قالوا: لن نغلب اليوم عن قلة؛ أنه لا ناصر لرسوله إلا هو سبحانه الذي تولى نصره ونصر دينه، ثم اقتضت تلك الحكمة أن تقسم تلك الغنائم في المؤلفة، ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه، ثم كان من تمام التأليف رد السبي إليهم، فانشرحت صدورهم للإسلام، فدخلوا طائعين راغبين، وانشرحت أيضًا صدور المؤلفة من أهل مكة وجبر قلوبهم عما حصل لهم من الرعب، وكسر بذلك شوكة من كان =

(١) فتح الباري (١٦/١٦٣:١٦٨).

(٢) زاد المعاد (٢/١٨٩).

= بجوارهم من أشد العرب من هوازن وثقيف بما قيض لهم من الدخول في الإسلام. اهـ. ملخصًا.

قوله: «**فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس**»: قال الحافظ[1]: المعنى أنهم غضبوا والموجدة الغضب. اهـ. أي بسبب عدم حصولهم على ما حصل عليه الناس من كثرة حظهم من الغنائم ففي رواية فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم[2]. وفي رواية: «إذا كانت شديدة فنحن تدعى ويعطى الغنيمة غيرنا»[3]، قالوا: ذلك كله عند الغضب والغالب أنه قاله منهم حدثائهم كما صرح بذلك سعد بن عبادة.

قولهم: «**فخطبهم**»: وعند مسلم[4] فحمد الله وأثنى عليه، وعند البخاري تفصيل ذلك فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم، فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله؛ فلم يقولوا: شيئًا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسوله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»، وذكر الحافظ[1]: إن الذي أخبر النبي ﷺ بمقالتهم سعد بن عبادة.

قوله: «**فقال: يا معشر الأنصار؛ ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي**»؟ أي كنتم مشركين هلكى فهداكم الله بي إلى نور الإيمان، وطريق النجاة قال الحافظ[1]: بالضم والتشديد جمع ضال، والمراد هنا ضلال الشرك، وبالهداية الإيمان، وقد رتب ﷺ ما مَنّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لايوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأحوال تبذل في تحصيلها، وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر لما =

---

(١) فتح الباري (١٦/١٦٣:١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٦/١٦٩) في المغازي (ح٤٣٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٦/١٧٣) في المغازي (ح٤٣٣٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٧/٢٢١) في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم.. إلخ (ح١٣٩/١٠٦١).

= وقـع بينهم من حـرب بعاث وغيـرها، فزال ذلك كله بالإسـلام، كما قـال الله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

قوله: «وكنتم متفرقين فألفكم الله بي»؟ كما في الآية الكريمة السابقة أن الله سبحانه أرسل نبيه ﷺ فألفهم، وقد كانوا من أعدى الناس لبعضهم فأصبحوا كما قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[2].

قوله: «وكنتم عالة فأغناكم الله بي»: أي كنتم فقراء محتاجون فأغناكم الله ببعثتي، ورزقكم وفتح لكم وأحل لكم الغنائم، ولم تحل لأحد قبلكم، قال الحافظ[3]: «عالة» بالمهملة أي فقراء لا مال لهم والعيلة الفقر. اهـ.

قوله: «كلما قالوا شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن»: أي لله ولرسوله أن يمن علينا لنعمه التي لا تحصى علينا، قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4]. قال الحافظ[3]: «أمن»: بفتح الهمزة والميم والتشديد أفعل تفضيل من المن. اهـ.

قوله: «قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ، قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن»: أي ما منعكم من الإجابة؛ لأنهم من أدبهم الجم استحيوا، فما زادوا على ما قالوا على أن المنة لله تعالى ورسوله ﷺ فعلمهم الإجابة التي استحيوا منها فقالها تواضعًا منه ﷺ.

قال: «لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا»: فسرته رواية أحمد عن أنس بلفظ[5]: أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي، وأعداء فألف الله عز وجل بين قلوبكم بي»، ثم قال لهم: «ألا تقولون أتيتنا طريدًا فآويناك، وخائفًا فآمناك، ومخذولاً فنصرناك»؟ فقالوا: بل لله المن علينا ولرسوله. قال الحافظ: =

(١) سورة الأنفال، آية (٦٣).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٠٣).

(٣) فتح الباري (١٦/١٦٣:١٦٨).

(٤) سورة الحجرات، آية (١٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣/٢٥٣).

= إسناده صحيح ثم قال: وإنما قال ذلك ﷺ تواضعًا منه وإنصافًا، وإلا ففي الحقيقة: الحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم، فإنه لولا هجرته إليهم، وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق، وقد نبه على ذلك بقوله ﷺ: «ألا ترضون...» إلخ فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به بالنسبة إلي ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية. اهـ.

قوله: «**ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم**»؟ أي ألا يرضيكم أن يذهب الناس الذي آثرتهم بالقسمة بالدنيا والشاة والبعير، وأنتم تذهبون إلى المدينة ومعكم خير ما خلق رب البرية تعيشون معه ينير قلوبكم وبيوتكم ومدينتكم ودنياكم وأخراكم، وحدث ولله الحمد والمنة قوله: رحالكم أي بيوتكم بالحاء المهمله ا.هـ قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت أمرءًا من الأنصار ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وأدي الأنصار وشعبها أي لولا أن الله تعالى جعل الإنتساب إلي الهجرة عظيمًا عظيمً لكنت منكم ومنكم أنصاريًا أنتسب إلى فعالكم» قال الخطابي[1]: أراد بهذا الكلام تأليفهم وتطيب قلوبهم واستطابه نفوسهم حتى رضى أن يكون منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها أي لولا إن النسبة الهجريه لا يسعني تركها لا نتسبت إلى داركم قال الحافظ[1]: وقيل التقدير لولا أن ثواب الهجرة أعظم لاخترت أن يكون ثوابي ثواب الأنصار، ولم يرد ظاهر النسب أصلاً. اهـ.

وقوله: «**ولو سلك الناس واديًا وشعبًا... إلخ**»: أي لو مشى الناس في طريق الطاعة لأخذت عمل الأنصار لعظم ثوابه وعظيم أجره ولقربه من الله تعالى، قال الحافظ: «وادي»: هو المكان المنخفض، والمراد هنا بلدهم، و«شعب»: بكسر الشين المعجمة هو اسم لما انفرج بين جبلين، وقيل: الطريق في الجبل، وأراد ﷺ بهذا وبما بعده التنبيه على جزيل ما حصل لهم من ثواب النصرة والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا، ومن هذا وصفه فحقه أن يسلك طريقه ويتبع حاله. اهـ.

قوله: «**الأنصار شعار، والناس دثار**»: أي الأنصار خاصتي والناس عامتي. قال =

---

(١) فتح الباري (١٦/١٦٣:١٦٨).

= الحافظ[1]: «الشعار»: بكسر المعجمة بعدها مهملة خفيفة الثوب الذي يلي الجلد من الجسد، والدثار بكسر المهملة ومثلثة خفيفة: الذي فوقه، وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه، وأراد أيضًا أنهم بطانته، وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم. اهـ. وقد دعا لهم في رواية أبي سعيد: «اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا[1].

قوله: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»: أي ستظلمون وتبتلون بمن يستأثر بنفسه وذويه عليكم فاصبروا حتى يعوضكم الله تعالى بالشرب من حوضي. قال الحافظ[2]: «أثرة»: بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين أي الإفراد الشيء المشترك دون من يشركه فيه قال أبو عبيد: معناه يفضل نفسه عليكم في الفيء.

وقوله: «**حتى تلقوني على الحوض**»: أي يوم القيامة أي اصبروا حتى تموتوا فإنكم ستجدونني عند الحوض فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر، قال: وفيه علم من أعلام النبوة؛ لقوله: «ستلقون بعدي أثرة»، فكان كما قال ﷺ، وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا بما حصل له من ثواب الآخرة، وأن المنة لله ورسوله ﷺ على الإطلاق. اهـ، والله أعلم، والنبي ﷺ قد قال تلك المقالة الكريمة لما حُدِّثَ بما قالوه وأخبر به ففي رواية البخاري[2]: «فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم... الحديث»؛ لكن من الذي أخبر النبي ﷺ بمقالتهم هذه؟ الظاهر أنه أحد الصحابة رضوان الله عليهم، والراجح أنه الوحي الكريم، ويدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه[3]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار»؛ قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: «قلتم: أما =

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/٧٧).

(٢) فتح الباري (١٦/١٦٣:١٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢/١٢٨) في الجهاد والسير باب فتح مكة.

= الرجل فأدركته رغبة في قريته قالوا: قد كان ذاك قال: كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والمات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرناكم»، قال النووي[1] رحمه الله تعالى: معنى هذه الجملة أنهم رأوا رأفة النبي ﷺ بأهل مكة وكف القتل عنهم فظنوا أنه يرجع إلى سكنى مكة والمقام فيها دائمًا ويرحل عنهم ويهجر المدينة، فشق ذلك عليهم، فأوحى الله تعالى إليه ﷺ فأعلمهم بذلك، فقال لهم ﷺ: «قلتم كذا وكذا»، قالوا: نعم قد قلنا هذه، فهذه معجزة من معجزات النبوة، فقال: «كلا إني عبد الله ورسوله»، معنى كلا هنا: حقًا، ولها معنيان؛ أحدهما هذا، والآخر النفي، وأما قوله ﷺ: «إني عبد الله ورسوله»، فيحتمل وجهين؛ أحدهما أني رسول الله حقًا، فيأتيني الوحي وأخبر بالمغيبات كهذه القضية وشبهها فثقوا بما أقول لكم وأخبركم به في جميع الأحوال، والآخر لا تفتتنوا بإخباري إياكم بالمغيبات وتطروني كما أطرت النصارى عيسى عليه السلام، فإني عبد الله ورسوله، وأما قوله ﷺ: «هاجرت إليكم والمحيا محياكم، والممات مماتكم» فمعناه: هاجرت إلى الله وإلى دياركم لاستيطانها فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى؛ بل أنا ملازم لكم؛ المحيا محياكم والممات مماتكم؛ أي لا أحيى إلا عندكم، ولا أموت إلا عندكم، وهذا أيضًا من المعجزات، فلما قال لهم هذا بكوا واعتذروا، وقالوا: والله ما قلنا كلامنا السابق إلا حرصًا عليك وعلى مصاحبتك ودوامك عندنا لنستفيد منك، ونتبرك بك، وتهدينا الصراط المستقيم، وهذا معنى قولهم: ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بك، هو بكسر الضاد؛ أي شحًا بك أن تفارقنا، ويختص بك غيرنا، وكان بكاؤهم فرحًا بما قال لهم، وحياء مما خافوا أن يكون بلغه عنهم ما يستحي منه. اهـ، والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم (١٢/١٢٨، ١٢٩).

مبحث: قول النبي ﷺ: «أنا النذير والموت المغير»

١٠٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا بَنِي قُصَيٍّ، يَا بَنِي هَاشِمٍ؛ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؛ أَنَا النَّذِيرُ، وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ، وَالسَّاعَةُ الْمَوْعِدُ**».

---

[١٠٦] أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/١٠ ح٦١٤٩) في مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٢٧/٣٩٢): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل، وهو ثقة.

وقوله: «المغير»: اسم فاعل من أغارُ يغير إذا نَهَبَ. اهـ. لسان العرب، مادة: غور ص٣٣١٤، شبهه في بغتته بمن أغار على قوم ونهبهم.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا بني قصي؛ يا بني هاشم؛ يا بني عبد مناف**»: يسميهم ﷺ جداً جداً امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١)؛ لذلك قال بعدها: «**أنا النذير**»، كما قال الله عز وجل له: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٢)، قال ابن جرير الطبري: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾، فإنك إنما أنت نذير تنذرهم عقابي، وتحذرهم بأسي على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك إلا البلاغ والإنذار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، يقول: والله القيم بكل شيء، وبيده تدبيره: فانفذ لما أمرتك به، ولا تمنعك مسألتهم إياك الآيات من تبليغهم وحيي والنفوذ لأمري. اهـ.

قوله: «**والموت المغير**»: أي الآتي بغتة، وفجأة بلا ميعاد معلوم فجأة كالجيش يغير =

---

(١) سورة الشعراء، آية (٢١٤).

(٢) سورة هود، آية (١٢).

مبحث : احتساب النبي ﷺ قطرة دمه الشريف لله تعالى

١٠٧ - عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي إِذْ أَصَابَهُ حَجَرٌ فَعَثَرَ فَدَمِيَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ: «**هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ**».

= على أعداء بلا تحديد ميعاد، قال تعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1]، فالنبي ﷺ بيّن وعلم، وأنذر وحذر، ووعد وأوعد، ولم يترك شيئًا إلا أعطى أمته منه علمًا، وأنذر الموت، والساعة، والنار، وبشر بالجنة، ووعد بها لمن أطاع، وقال: هنا: «**والساعة الموعد**» للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[2]، هذه هي الساعة، وهي موعد التقاء الجميع في مكان واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، هذه هي الساعة التي شيب ذكرها رأس المصطفى ﷺ هذه هي الساعة التي خبأها ربنا عز وجل حتى عن نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، والله أعلم.

مبحث : احتساب النبي ﷺ قطرة دمه الشريف لله تعالى

[١٠٧] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٣٤٥)، في الأدب، باب ما يجوز من الشعر... إلخ، (ح٦١٤٦).

=

---

(١) سورة لقمان، آية (٣٤).

(٢) سورة غافر، آية (١٥:١٩).

(٣) سورة الأعراف، آية (١٨٧).

= وأخرجه مسلم في صحيحه (١٢/١٥٥، ١٥٦) في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

المعنى

لقد لقي النبي ﷺ من قومه ما جعله يقول لعائشة رضي الله عنها: «لقد لقيت من قومك ما لقيت..» الحديث[١]، وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[٢]، فكله قد كتب عند رب العالمين في الرفيق الأعلى لنبينا ﷺ، وفي هذا الحديث يقول جندب رضي الله عنه: «**بينما ﷺ يمشي**»، بينت رواية مسلم أن ذلك كان في غار، ففيها: «كان رسول الله ﷺ في غار فنكبت إصبعه».

قوله: «**إذ أصابه حجر فعثر فدميت أصبعه**»: أي هذه العثرة وتلك النكبة التي أصابت الإصبع الشريف سببت خروج الدم الشريف الذي لما رآه رسول الله ﷺ قال له محتسباً؛ لأن الحركة من أولها كانت لله تعالى؛ حيث في رواية أنه «كان في بعض المشاهد»[٣].

وقوله: «**في سبيل الله**»: يدل على الجهاد، وقد قال القاضي عياض في رواية مسلم التي فيها «في غار»، قال: وقد يراد بالغار هنا الجيش والجمع؛ لا الغار الذي هو الكهف. اهـ.

قوله: «**فقال: هل أنت إلا إصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت**»: قال النووي[٤]: لفظ «ما» هنا بمعنى الذي؛ أي الذي لقيته محسوب في سبيل الله. اهـ، =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢/١٥٥) بلفظ: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة...» الحديث أخرجه مسلم في الجهاد باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) سورة التوبة، آية (١٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١/٢٨٠) في الجهاد (ح٢٨٠٢).

(٤) شرح مسلم (١٢/١٥٥، ١٥٦).

مبحث: قول النبي ﷺ: «أنا النذير العريان...»

١٠٨ - عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ؛ فَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ».

= وقال ابن حجر[١]: وقد اختلف: هل قاله النبي ﷺ متمثلاً أو قاله من قبل نفسه غير قاصد لإنشائه فخرج موزونًا، وبالأول جزم الطبري وغيره، ويؤيده أن ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس أوردهما لعبد الله بن رواحة؛ فذكر أن جعفر ابن أبي طالب لما قتل زيد بن حارثة أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل فأصيب إصبعه فارتجز وجعل يقول هذين القسمين وزاد:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذي حياض الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

وهكذا جزم ابن التين بأنهما من شعر ابن رواحة. اهـ، وقيل في الجواب عن الحديث: إن وقوع البيت الواحد من الفصيح لا يسمى شعراً ولا يسمى قائله شاعراً. اهـ، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٢].

مبحث: قول النبي ﷺ: «أنا النذير العريان...»

[١٠٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٦/٢٤) في الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (ح٦٤٨٢).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٦/٢٨) في الاعتصام (ح٧٢٨٣).

قوله: «النجاء النجاء»: بالمد فيهما، وهو منصوب على الإغراء؛ أي اطلبوا =

(١) فتح الباري (٣٤٥/٢٢).

(٢) سورة يس، آية (٦٩).

= النجاء بأن تسرعوا الهرب. اهـ، فتح (٢٤/١٠٧).

قوله: «**فأدلجوا**»: يقال: أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وأدلج بالتشديد إذا سار من آخره، ومنهم من يجعل الإدلاج لليل كله. اهـ، نهاية (٢/١٢٩).

قوله: «**على مهلهم**»: بفتحتين والمراد به الهيئة والسكون، وهو المراد، وفتح أوله وسكون ثانية الإمهال. اهـ، (٢٤/١٠٨).

قوله: «**فاجتاحهم**»: بميم ثم حاء مهملة؛ أي استأصلهم، اهـ، فتح (٢٤/١٠٨).

المعنى

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3]، وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا النذير، والموت المغير، والساعة الموعد»[4]، وهنا يضرب النبي ﷺ مثلاً له ﷺ وما بعثه الله به كرجل أتى قومه يريد أن يحذرهم من جيش مقبل عليهم يريد أن يجتاحهم فأراد أن يبين لهم إنذارًا سريعًا صادقًا لا يشكون فيه فخلع ملابسه ولوح بها، ولم يعرف بينهم التعري ولا الكذب فقال لهم رأيت الجيش بعيني رأسي، وأنا النذير العريان لتصدقوني فإني لم أعرف التعري فعليكم بالنجاة بأنفسكم وأولادكم وأموالكم فأطاعته طائفة وصدقوا وساروا من أول الليل بسكينة ووقار، فما أصبح الصباح إلا وقد حمدوا السرى، وكذب آخرون، فجاء الجيش فاجتاحهم، فشبه النبي ﷺ نفسه بهذا الرجل بجامع الخوف من كل منهم على قومه والصدق فيما =

(١) سورة الأحزاب، آية (٤٥).

(٢) سورة الأعراف، آية (٢).

(٣) سورة الأنعام (٥١).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/١٠ ح٦/٤٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٢٧/٣٩٢)، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل وهو ثقة. اهـ.

= يقول ورؤيتـه الخطر بعينه، فقد رأى ﷺ الجنة والنار رأي عين فمن أطاع النبي ﷺ نجا ووصل إلى الجنة على مهله، ومن عصا اجتاحته النار وبئس القرار، والعياذ بالله عز وجل العزيز الجبار، ففي هذا الحديث الشريف قال أبو موسى: «**قال رسول الله ﷺ: مثلي ومثل ما بعثني الله**»، قال الحافظ بن حجر[1]: العائد محذوف والتقدير بعثني الله إليكم. اهـ.

قوله: كمثل رجل أتى قومًا قال الحافظ[1] التنكير فيه للشيوع ا.هـ.

قوله: «**فقال: رأيت الجيش بعيني**»: في رواية مفرد «عين»، وفي رواية مثنى بتشديد الياء، وهذا من التأكيد قبل ثاني تأكيد، والأول قوله: «إني أنا»، والثاني قوله: «رأيت بعيني»، قال الحافظ[1]: قوله: «رأيت الجيش» بالجيم والشين واللام فيه للعهد، قوله: «بعيني» بالإفراد وللكشميهني بالتثنية بفتح النون والتشديد، قيل ذكر العينين إرشادًا إلى أنه تحقق عنده جميع ما أخبر عنه تحقق من رأى شيئًا بعينه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك. اهـ.

قوله: «**وإني أنا النذير العريان**»: قال الحافظ[1]: عن بعض أهل العلم: الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشًا فسلبوه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني فرأوه عريانًا فتحققوا صدقه لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري فقطعوا بصدقه لهذه القرائن فضرب النبي ﷺ لنفسه وما جاء به مثلاً بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريبًا لأفهام الخاطبين بما يألفونه ويعرفونه، قال ابن حجر: ويؤيده ما أخرجه أحمد[2] بسند جيد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خرج إلينا النبي ﷺ يومًا فنادى ثلاث مرار، فقال: «يأيها الناس؛ تدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًا يأتيهم فبعثوا رجلاً يترايا لهم فبينما هم =

(١) فتح الباري (٢٤/١٠٦:١٠٨).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٣٤٨).

= كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه، أيها الناس؛ أتيتم أيها الناس أتيتم؛ ثلاث مرار»، قال: وأحسن ما فسر به الحديث من الحديث. اهـ. قلت: وهو كما قال رحمه الله تعالى، لذلك فهو أستاذ من فسر الحديث بالحديث، قال: وهذا كله يدل على أن العريان من التعري. اهـ.

قوله: «**فالنجاء النجاء**»: فقال الحافظ[1] بالمد فيهما، وهو منصوب على الإغراء؛ أي اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش، قال الطيبي: في كلامه أنواع من التأكيدات؛ أحدها «بعيني»، ثانيها قوله: «وإني أنا»، ثالثها قوله: «العريان»؛ لأنه الغاية في قرب العدو، ولأنه الذي يختص في إنذاره بالصدق، اهـ.

قوله: «**فأطاعه طائفة**»: قال الحافظ[1]: كذا فيه بالتذكير؛ لأن المراد بعض القوم.

قوله: «**فأدلجوا**»: بهمزة قطع ثم سكون؛ أي ساروا أول الليل، أو ساروا الليل كله على الاختلاف في مدلول هذه اللفظة.

قوله: «**على مهلهم**» بفتحتين، والمراد به الهيئة والسكون.

قوله: «**وكذبت طائفة**»: قال الطيبي: عبر في الفرقة الأولى بالطاعة، وفي الثانية بالتكذيب ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ويشعر بأن التكذيب مستتبع العصيان.

قوله: «**فصبحهم الجيش**»: أي أتاهم صباحًا، هذا أصله ثم كثر استعماله حتى استعمل فيمن طرقه بغتة في أي وقت كان.

قوله: «**فاجتاحهم**»: بجيم ثم حاء مهملة أي استأصلهم والاسم الجائحة: الهلاك قال الطيبي: شبه النبي ﷺ نفسه بالرجل وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش الصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره ومن صدقه. اهـ، والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢٤/١٠٦:١٠٨).

مبحث: قول النبي ﷺ:
«إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»

١٠٩ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ فَصَعَدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي**»؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾ إِلَى آخِرِهَا.

---

[١٠٩] أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٧/١٨) في التفسير، تفسير سورة المسد، باب قوله تعالى: ﴿وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ (ح٤٩٧٢).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١١٣/١٨) في التفسير، تفسير سورة الشعراء، باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك...﴾ الآية، التي جانبك، (ح٤٧٧٠).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٨٢/٣) في الإيمان باب قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

قوله: «**البطحاء**»: الحصى الصغار، وأبطح مكة: مسيل واديها. اهـ، نهاية (١٣٤/١).

قوله: «**يا صباحاه**»: أي هجموا عليكم صباحًا. اهـ فتح (٣٩٧/١٨).

المعنى

لقد بلغ الرسالة ﷺ وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ﷺ، وقال له ربه: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ فبدأ بهم امتثالاً لأمر مولاه وما خبأ عليهم ولا حاباهم؛ بل قال لهم الحق، وأظهر الحقيقة، وأنذرهم العذاب الشديد إذا أعرضوا وبشرهم بالنعيم المقيم إذا أجابوا فيخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، وفي رواية الشعراء: «صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل =

= ينادي».. قال ابن الأثير[1]: وبطحاء الوادي وأبطحه حصاه اللين في بطن المسيل ومن الحديث: «أنه صلى بالأبطح»: أي أبطح مكة. اهـ. قلت: ولفظه: «أن النبي ﷺ صلى بهم بالبطحاء... الحديث»[2].

قوله: «**فنادى: يا صباحاه**»: قال ابن حجر[3]: قوله: «يا صباحاه»: أي هجموا عليكم صباحًا. اهـ.

قوله: «**فاجتمعت إليه قريش**»؛ لأنه ﷺ نادى أصلاً على قبائل قريش، وسمى كثيراً منهم ففي رواية الشعراء: يا بني فهر يا بني عديّ لبطون قريش وفي رواية مسلم فقال: يا بني فلان يا بني فلان يا بن فلان.. «يا بني عبد مناف؛ يا بني عبد المطلب».

قوله: «**فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني قالوا: نعم**»، وفي رواية مسلم: «قالوا: ما جربنا عليك كذبًا». قال ابن حجر[4]: أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب. اهـ.

قوله: «**فإني نذيرلكم بين يدي عذاب شديد**» بعد أن أقروا قائلين بالحق والحقيقة ما جربنا عليك كذبًا قال لهم النذارة فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال ابن حجر[3]: أي منذر. اهـ، وفي رواية مسلم (ج٣/٨١): «إني نذير؛ إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه»، قال النووي[5]: يربأ يحفظهم ويتطلع لهم، «ويهتف» يصيح ويصرخ، وقولهم: «يا صباحاه»: كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له، والله أعلم. اهـ.

قوله: «**فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تبًا لك، فأنزل الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها**. قال النووي[5]: وقوله «إلى آخر السورة»: يعني في رواية مسلم: يعني أتم القراءة إلى آخر السورة كما يقرأها الناس، ثم قال: وفي «أبي =

(١) النهاية (١٣٤/١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحة (١٥١/٣) في الصلاة، أبواب سترة المصلي، (ح٤٩٥).
(٣) فتح الباري ٣٩٧/١٨.
(٤) فتح الباري (١١٤/١٨).
(٥) شرح مسلم (٨٢/٣).

مبحث : كل الأمة تدخل الجنة إن شاء الله تعالى إلا من أبى

١١٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**».

= لهب» لغتان قرئ بهما بفتح الهاء، وإسكانها واسمه عبد العزى، و«تب» خسر. اهـ، فخسر أبو لهب، ومن تبع أبا لهب ومن كان يشبه أبا لهب ومن على شاكلة أبي لهب، وفاز وكسب رسول الله محمد ﷺ وألحق الله برسوله من أحب رسوله ﷺ، واتبع رسوله ﷺ وجعلنا مع رسوله ﷺ برحمته وفضله سبحانه وتعالى.

مبحث : كل الأمة تدخل الجنة إن شاء الله تعالى إلا من أبى

[١١٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٨) في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (ح: ٧٢٨).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[4]، والآيات في ذلك كثيرة ففي طاعته ﷺ طاعة لرب العرش العظيم، وذلك عين الفلاح والفوز والنجاح، فمن أراد سعادة الدارين فعليه بطاعة سيد الكونين، ومن لم يرد السعادة ولم يعمل بالطاعة فقد أبى أن يكون من المفلحين؛ لذلك =

---

(١) سورة النساء، آية (٨٠).

(٢) النور آية (٥٥).

(٣) سورة آل عمران، آية (٣١).

(٤) سورة النساء، آية (٦٥).

مبحث: في معجزات نبينا ﷺ

١١١ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ**»؟ فَدَعَاهُ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**ارْجِعْ**»، فَعَادَ فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ.

= قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»: أي كل أمتي يدخلون الجنة إما عاجلاً وإما آجلاً إلا من امتنع من دخولها أبداً، وهو من امتنع من الطاعة كلها، وأصر وكفر بالله أو بشريعته أو بما يوجب الكفر به الخلود في النار، قال الحافظ ابن حجر[1]: «أبى» بفتح الموحدة؛ أي امتنع، وظاهره أن العموم مستمر؛ لأن كلا منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا: «ومن يأبى» فبين لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سنته، وهو عصيان الرسول ﷺ، وقد أخرج الحاكم[2]، من طريق أبي هريرة رفعه: «لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير»، قال الحافظ[1]: وسنده على شرط الشيخين.

قوله: «**قالوا: يا رسول الله؛ ومن يأبى**»؟ أي من يظن به أنه لا يريد الجنة فالكل يريدها فقال ﷺ: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» أي فالطائع هو الفائز بدخولها والخلود فيها إن شاء الله عز وجل والعاصي هو الذي امتنع عن الدخول بعصيانه، قال الحافظ[1]: والموصوف بالإباء وهو الامتناع إن كان كافراً؛ فهو لا يدخل الجنة أصلاً، وإن مسلماً فالمراد منعه من دخولها مع أول داخل إلا من شاء الله تعالى اهـ. والله أعلم.

مبحث: في معجزات نبينا ﷺ

[١١١] أخرجه الترمذي في سننه (١٠/١٠١) في المناقب، باب ما جاء في فضل نبينا ﷺ ح (٣٧٠٧) وقال: حسن غريب صحيح. =

---

(١) فتح الباري (١٢/٢٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٥/١٢٢) في الإيمان، (ح١٨٣/١٨٣).

وأخرجه أحمد في المسند (١/٢٢٣).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «**بم أعرف أنك نبي**»؟ أي ما الذي يدلني على نبوتك، فلو أبصر لعلم أنه نبي ﷺ من غير سؤال؛ لكن هكذا حدث قال في التحفة[1]: قوله: «**بما أعرف**»: أي من معجزاتك. اهـ.

قوله ﷺ: «**إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله ﷺ**»؟ أي لئن ناديت لك هذا العذق من النخلة فنزل إلى هنا أتشهد حينئذ أني رسول الله ﷺ، وقد أيدني الله تعالى بعظيم المعجزات، وكثيرها، وهذه منها؟ وهناك جواب محذوف، أي: نعم كأن الأعرابي قال: نعم، ولذلك دعا النبي ﷺ العذق قال صاحب التحفة[1]: والمعنى: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة وجاءني نازلاً منها؛ فهل أنت تشهد بأني نبي؟ قال في المرقاة: جواب الأعرابي بنعم مقدر أو النبي ﷺ لم ينتظر جوابه؛ إذ ليس له جواب صواب غيره. اهـ.

قوله: «**فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: ارجع، فعاد، فأسلم الأعرابي**»: إنه نبينا ﷺ أحب الناس؛ بل الخلق كلهم إلى الله عز وجل، فأيده بأقوى المعجزات وأشملها وأجلها، فوالله لو دعا القمر إلى النزول إليه لنزل له ﷺ، قال صاحب التحفة[1]: «فدعاه»: أي العذق، «حتى سقط إلى النبي ﷺ»: أي وقع على الأرض منتهيًا إليه ﷺ «ثم قال»: أي للعذق «ارجع فعاد»: أي رجع إلى ما كان عليه. اهـ. «فأسلم الأعرابي»: لَمَّا رأى المعجزة الموضحة الباهرة، والله أعلم.

---

(١) تحفة الأحوذي (١/١٠١، ١٠٢).

مبحث: صياح النخلة لفراق النبي ﷺ لها

١١٢ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِن نَّخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ فَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ؛ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ».

---

[١١٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٩٥/١٤) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ح٣٥٨٥).

أخرجه البخاري في صحيحه (٩٤/١٤)، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ح٣٥٨٤).

قوله: «**العشار**»: بكسر المهملة؛ جمع عشراء: الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر. اهـ، فتح الباري (٩٥/١٤).

المعنى

كما حزنت القلوب المؤمنة لفراقه ﷺ، ودمعت العيون وعجزت الألسنة عن النطق والأرجل عن حمل أصحابها؛ كذلك الجمادات فضلاً عن ذوات الأرواح، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: «**كان المسجد مسقوفًا على جذوع النخل**»، قال ابن حجر[1]: أي أن الجذوع كانت له كالأعمدة. اهـ.

قوله: «**فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها**»: أي يقوم حين يريد أن يخطب فيقف على جذع أو يتكئ عليه إذا كلم الناس يوم الجمعة، ففي رواية البخاري ذكرت تفصيل التحول من الجذع إلى المبنى ففيها: «فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله؛ ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر».

---

(١) فتح الباري (٩٥/١٤).

= قوله: «**فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار**»، وفي رواية البخاري: «فصاحت النخلة صياح الصبي»، قال ابن حجر[1]: قوله: «كصوت العشار»: بكسر المهملة بعدها معجمة خفيفة جمع عشراء والعشراء الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر. اهـ.

قوله: «**حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت**»: وفي رواية للدارمي[2] أن النبي ﷺ قال له: «اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك ونخلك فعلت»، فزعم أنه سمع النبي ﷺ، وهو يقول له: نعم، قد فعلت مرتين، فسأل النبي ﷺ فقال: «اختار أن أغرسه في الجنة»، قال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف. اهـ. قال ابن حجر[1]: وفي الحديث: دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكًا كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[3] على ظاهره، قال: وقد نقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدًا حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك.. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٤/٩٥).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١/٢٩) مقدمة، باب ما أكرم الله النبي ﷺ بحنين المنبر، (ح٣٢).

(٣) سورة الإسراء، آية (٤٤).

مبحث: تأثر الجبل بصعود النبي ﷺ وبعض أصحابه المبشرين

١١٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعَدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُد فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**».

---

[١١٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١٧٦) في المناقب، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، (ح٣٦٧٥).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١٨٨) في المناقب، مناقب عمر بن الخطاب، (ح٣٦٨٦).

وأخرج له مسلم في صحيحه (١٥/١٩٠، ١٩١) شاهدًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في فضائل طلحة والزبير.

المعنى

لقد اهتز الجبل لصعود المصطفى ﷺ عليه كما سبح الحصى في كفه بين يديه، وكما حن الجزع شوقًا إليه ﷺ وآله وصحبه تسليمًا كثيرًا، فيقول لنا أنس بن مالك رضي الله عنه «أن النبي ﷺ صعد أحدًا» وفي رواية مسلم: «كان على حراء»، وفي الرواية هنا: «وأبو بكر وعمر وعثمان»، وفي رواية مسلم: «وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم» قال الحافظ في الفتح[١] : وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة ما يؤيد تعدد القصة فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم والله أعلم اهـ ولفظها عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» فصعد مع النبي ﷺ العشرة المبشرين بالجنة ولم يتخلف منهم إلا =

(١) فتح الباري ١٤/١٧٦.

= سعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكل هؤلاء الذين صعدوا مع النبيﷺ حقيق بأن يتأثر الجبل بصعودهم معه ﷺ فلو كان وحده لتأثر أيضا وكلهم تحقق فيهم قول النبيﷺ إنما عليك صديق وهو أبو بكر وإما شهيد فهم الباقون سواء في رواية «أحد» أو رواية «حراء» قوله: «فرجف بهم» قال ابن الأثير:[1] : وأصل الرجف الحركة والاضطراب اهـ قوله: «فقال: اثبت أحد» وفي رواية البخاري «فضربه برجله» وقال: «اثبت» قال ابن حجر: بلفظ الأمر من الثبات وهو الاستقرار، وأحد منادى ونداؤه وخطابه يحتمل المجاز وحمله على الحقيقة أولى اهـ الله أكبر إنها النبوة قد امتلأت ثقة بالله عز وجل حيث قال اثبت فثبت بل وضربه برجله الشريفة إنه تسخير الله عز وجل للمخلوقات العظيمة إجابة وانقياداً وطاعة للأنبياء بأمر الله عز وجل وقد قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [2] قوله: «فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» قال النووي[3] : وفي هذا الحديث معجزات لرسول اللهﷺ منها إخباره أن هؤلاء شهداء وماتوا كلهم غير النبيﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا ظلماً شهداء فقتل الثلاثة مشهور وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال فأصابه سهم فقتله وقد ثبت أن «من قتل ظلمًا فهو شهيد» اهـ قلت: ولفظه عن أبي جعفر قال: قال رسول اللهﷺ: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»[4] ثم قال: وفيه بيان فضيلة هؤلاء وجواز التزكية والثناء على الانسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة إعجاب ونحوه وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في الشهداء فقال القاضي إنما سمى شهيدا لأنه مشهود له بالجنة اهـ والله أعلم.

(١) نهاية ٢/٢٠٣. (٢) سورة الشعراء آية (٦٣).

(٣) شرح مسلم ١٥/١٩٠.

(٤) أخرجه النسائي في سننه ٧/١١٦ في تحريم الدم، باب من قتل دون ماله.

مبحث: فضل النظر إليه ﷺ وتمنيه

١١٤ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**والَّذي نَفْسُ مُحَمَّد في يَده لَيَأتِيَنَّ على أحدكم يَوْمٌ ولا يَرانِي ثُمَّ لأَنْ يَرَانِي أحب إليه مِنْ أَهْلِه ومالِه مَعَهُم**».

---

[١١٤] أخرجه مسلم في صحيحه ١١٨/١٥ في الفضائل، باب فضل النظر إليه ﷺ وتمنيه.

وأخرجه أحمد في المسند ٤٤٩/٢.

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم» أي يقسم نبينا ﷺ بالله تعالى الذي نفس رسول الله ﷺ في يده سبحانه يرحمها ويكرمها ويجعلها بإذنه تعالى فوق العالمين كلهم ـ والمقسوم عليه أنه سيأتي يوم على الصحابة لا يروه ﷺ ولا من بعدهم يعني يقظة ـ فالرؤيا منامًا حاصلة إن شاء الله تعالى بنصوص الشرع الحنيف ـ ثم يتمنى أن يراه ورؤيته في هذا الوقت أحب إلى الرائي من أهل وماله ومثلهم معهم وصدق الرسول الكريم ﷺ فقد جاء هذا اليوم وأصبحت رؤيته ﷺ والمكث معه أنفس وأغلى وأعز شئ حتى من الأهل والمال وغيرهما قال القاضي عياض[1]: تقديره لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله ثم لا يراني اهـ وقال النووي: وتقدير الكلام يأتي على أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة ثم لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعًا، ومقصود الحديث: حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حضرًا وسفرًا للتأدب بآدابه وتعلم الشرائع وحفظها ليبلغوها وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته، والله أعلم اهـ فاللهم الحقنا به في روضات الجنات يارب البريات والله المستعان.

---

(١) شرح مسلم ١١٨/١٥، ١١٩.

مبحث: ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه

١١٥ - عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي**».

[١١٥] أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٦٠، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه ح٤٩٤٩ وقال: هذا حديث حسن غريب.

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «لا تمس النار من رآني» أي أصحابه ﷺ الذي عاشوا معه مهد الدعوة وحملوها معه ﷺ فوق الأعناق وساروا بها فوق حصى الهواجر الحار وصعدوا بها جبال الصد وتخطوا بها أشواك الخوف وخاضوا بها بحار الفقر حتى وصلوا بها فوق ناطحات السحاب فظهرت وازدهرت يقودهم في ذلك كله رسول الله ﷺ وتحمل معهم أضعاف ما تحملوه فكافأهم ربنا عز وجل بقوله ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴿١٠٠﴾﴾[١] وكافأهم نبينا ﷺ بقوله «لا تمس النار من رآني أو رأى من رآني» أي والتابعين أيضا مع تفاوت الدرجات قال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴿١٠﴾﴾[٢] قال صاحب التحفة[٣] : قال الشيخ عبد الحق الدهلوي في ترجمة المشكاة خصص هذا الحديث هذه البشارة بالصحابة والتابعين اتفاقًا منهم ولا يختص به العشرة المبشرة ولا من =

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).
(٢) سورة الحديد آية (١٠).
(٣) تحفة الأحوذي ١٠/٣٦٠.

مبحث : فضل الإهتمام بالنبيﷺ وخدمته وحفظه

١١٦ ـ عن أبي قتادة: أن النبيﷺ كان في سَفَر لَهُ فَعَطِشوا، فانْطَلَقَ سَرَعَانُ الناس، فَلَزِمْتُ رسول اللهﷺ تِلْكَ اللَّيْلَة فقال: «**حَفِظَكَ اللهُ بِمَا حفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ**».

= بشرهم بدخول الجنة: من غيرهم بل يشمل جميع المؤمنين والمسلمين، ولكن الصحابي والتابعي والمسلم هو من مات على الإسلام وهذا الخبر لا يعلم إلا من بيان المخبر الصادق ﷺ وتبشيره به ومن هذه الجهه خصصت جماعة يقال لها المبشرة ويمكن أن يكون هذه إلى الموت على الإيمان اهـ والله أعلم.

مبحث : فضل الإهتمام بالنبيﷺ وخدمته وحفظه

[١١٦] أخرجه أبو داود في سننه ١٤/١٤١ في الأدب، باب الرجل يقول للرجل حفظك الله.

وأخرج مسلم اللفظ المرفوع في جزء من حديث طويل ٥/٢٦٠ أيضا عن أبي قتادة في المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائته... الخ ح٦٨١.

قوله: «سرعان الناس» السرعان بفتح السين والراء: أوائل الناس الذين يتسارعون إلى الشيء ويقبلون عليه بسرعة اهـ ٣٦١/٢.

المعنى

يخبرنا أبو قتادة رضي الله عنه أن النبيﷺ كان في سفر فعطشوا أي عطش أصحاب النبيﷺ واحتاجوا الماء فاقتضى البحث عنه لذلك قال: «فانطلق سرعان الناس» أي ذهب للبحث عن الماء الناس الذين غالبا يكونون في أوائل المتسارعين إلى الأشياء الحاضرة والمطلوبة فلما ذهبوا تركوا النبيﷺ بلا رفيق لحاجته أوعارضته، لكن أبو قتادة رضي الله عنه لم يفته ذلك فلزم هو رسول اللهﷺ تلك الليلة يحرسه ويكلؤه ويحوطه ويتطلب خدمته فأستحق بفضل الله تعالى عليه دعوة النبيﷺ قائلا =

مبحث: كان النبي ﷺ يطعمه الله ويسقيه

١١٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ والوِصَالَ**» مرتين. قيل إنك تواصل قال: «**إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**».

= له: «حفظك الله بما حفظت به نبيه» أي أسأل الله تعالى أن يحفظك كلك ومالك وما بك من خير بسبب كونك سببًا في حفظ نبيك ﷺ قال النووي[1]: قوله ﷺ: «حفظك الله بما حفظت به نبيه» أي بسبب حفظك نبيه، وفيه أنه يستحب لمن صنع إليه معروف أن يدعو لفاعله اهـ والله أعلم.

مبحث: كان النبي ﷺ يطعمه الله ويسقيه

[١١٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٣٦ في الصيام، باب الوصال ح١٩٦٦.

قوله: «الوصال» هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد، فيخرج من أمسك اتفاقًا ويدخل من أمسك جميع الليل أو بعضه. اهـ ٩/٣٠ فتح الباري.

المعنى

قال الله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴿١١٠﴾﴾[2] فرسول الله ﷺ بشر مخلوق عبد لله عز وجل يأكل ويشرب وينام ويتألم ويفرح ويحزن، لكن الله تعالى اصطفاه واختاره، وزكاه، ومدحه، وعلمه، وفهمه، وهيأه، وأعده، وأكرمه، وفضله، وجعل فيه من الصفات الزاكيات مالم يجعله في غيره من البشر ﷺ كالشفاعة، والحوض والاسراء والمعراج وختم النبوة وغير ذلك مما =

---

(١) شرح مسلم ٥/٢٦٠.

(٢) سورة الكهف آية (١١٠).

= يجـمعه قوله عز وجل ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[1] .

وقد خص الله عز وجل نبيه بخصائص منها ما نحن بصدد الكلام في حديثنا هذا وهو إطعام الله تعالى للرسول ﷺ دون أن يتناول طعامًا أو شرابًا إنما يطعمه ربه من طعام الجنة وشرابها وإما أن يعطيه قوة الطاعم الشارب دون طعام حقيقي أو شراب حتى يستطيع ﷺ مواصلة ليل الصيام بنهاره، لذلك نهى النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم عن الوصال إبقاء عليهم ورحمة بهم لشدته على النفس فتسأم وتكل وتجهد فلا تقدر على إحسان ما كلفت به من العبادات وغيرها وخص لنفسه ﷺ بالوصال لهذا السبب ونهاهم عن ذلك ولكنهم أبو لما رأوه يواصل، فقد أخرج في رواية[2] عن أبي هريرة، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال فقال: «لو تأخر لزدتكم، كالتنكيل لهم حين أبو أن ينتهوا» قال ابن حجر[3] رحمه الله تعالى: وأما مواصلته بهم بعد نهيه فلم يكن تقريراً بل تقريعا وتنكيلا فاحتمل منهم ذلك لأجل مصلحة النهي في تأكيد زجرهم لأنهم إذا باشروه ظهرت لهم حكمة النهي وكان ذلك أدعى إلى قلوبهم لما يترتب عليهم من الملل في العبادة والتقصير فيما هو أهم منه وأرجح من وظائف الصلاة والقراءة وغيرذلك والجوع الشديد ينافي ذلك. وقد صرح بأنه الوصال يختص به لقوله: «لست في ذلك مثلكم» وقوله: «لست كهيئتكم» هذا مع ما انضم إلى ذلك من استحباب تعجيل الفطر اهـ.

وأما قوله ﷺ: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين» قال ابن حجر: فقيل هو على حقيقته وأنه ﷺ كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه اهـ =

(١) سورة النساء آية (١١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٣٥ في الصيام ح١٩٦٦.

(٣) فتح الباري ٩/٣٥، ٣٦.

= وقال ابن بطال: بأنه لو كان كذلك لم يكن مواصلاً اهـ قال ابن المنير: الذي يفطر شرعًا إنما هو الطعام المعتاد وأما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا المعنى، وليس تعاطيه من جنس الأعمال وإنما هو من جنس الثواب كأكل أهل الجنة في الجنة والكرامة لاتبطل العبادة اهـ ثم قال: وهو محمول على أن أكله وشربه في تلك الحالة كحال النائم الذي يحصل له الشبع والري بالأكل والشرب ويستمر له ذلك حتى يستيقظ ولا يبطل ذلك صومه ولا ينقطع وصاله ولاينقضي أجره، وحاصله أن يحمل ذلك على حالة استغراقهﷺ في أحواله الشريفة حتى لا يؤثر فيه حينئذ شئ من الأحوال البشرية اهـ قال ابن حجر[1]: ويحتمل أن يكون المراد بقوله يطعمني ويسقين، أي يشغلني بالتفكر في عظمته والتملي بمشاهدته والتغذي بمعارفه وقرة العين بمحبته والاستغراق في مناجاته والاقبال عليه عن الطعام والشراب اهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ٣٥/٩، ٣٦.

مبحث: بركة النبي ﷺ

١١٨ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ أبَاهُ تُوُفِّيَ وتَرَكَ عليه ثلاثينَ وَسْقًا لِرَجُلٍ من اليهودِ، فاستَنْظَرَهُ جابرٌ فأبَى أن يُنْظِرَهُ، فكَلَّمَ جابرٌ رَسُول الله ﷺ ليشفعَ لَهُ إِلَيْهِ فجاءَ رَسُولُ الله ﷺ وكَلَّمَ اليَهُودِيَّ ليأخُذَ تمرَ نَخلِهِ بالَّذي لَهُ فأبَى فدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ النَّخْلَ فمَشَى فِيهَا ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ: «**جُدَّ لَهُ فأَوْفِ لَهُ الَّذي لَهُ**» فَجَدَّهُ بَعْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَوْفَاهُ ثلاثِينَ وَسْقًا وفَضَلَتْ لَهُ سَبعةٌ وعِشْرُونَ وَسْقًا، فجاء جابر رسول الله ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذي كَانَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي العَصْرَ فلَمَّا انْصَرَفَ أخْبَرَهُ بِالفَضْلِ فقال: «**أَخْبِرْ ذلكَ ابنَ الخَطَّاب**» فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها.

---

[١١٨] أخرجه البخاري في صحيحه في الاستقراض، باب إذا أفاض أو جازفه في الدين تمرًا بتمر أو غيره ١٠/١٣٤ ح٢٣٩٦.

وقوله: «جُد» من الجداد: بالفتح والكسر: صرام النخل وهو قطع ثمرتها. النهاية ١/١٤٤.

المعنى

لقد أكرم الله تعالى نبيه ﷺ، وتفضل عليه بكثير من الخصائص والمعجزات من ذلك البركة التي أكرم الله تعالى بها نبيه ﷺ كما وكيفًا خرقت له العادات وتخطت المسلمات فأنقادت له القلوب التقيات وخضعت لأوامره ونواهيه الأنفس التقيات لما رأت من المعجزات الباهرات كحلول البركات في أصابعه وكفيه الطاهرات وكنبوع الماء من بين أنامله الزاكيات وغير ذلك مما لو استفاض العقل في حصر الشتات مما ذكر في بركات خير البريات لعجز العقل ولأسكتت الألسن الناطقات ولأعيت الأصابع ولنفذ مداد الأقلام الكاتبات ولم يصل إلى حصر ما جاء قيل في بركات النبي ﷺ التي هي فرع من المعجزات الباهرات، ﷺ تسليمًا كثيرًا عدد =

= النجوم الزاهرات والكواكب النيرات وضاعف ذلك دواما يارب البريات.

ومما ذكر في ذلك، هذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه حيث أخبر جابر بن عبد الله أن أباه رضي الله عنه مات وترك عليه دينًا من تمر لرجل من اليهود وحان وقت السداد وطلب جابر من اليهودي إنظاره فأبى اليهودي قاتله الله تعالى، وهكذا عادة اليهود ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ﴾[1] فكلم رسول الله ﷺ اليهودي في أن يأخذ تمر نخل جابر الذي له فأبى، فمشى رسول الله ﷺ في النخل متذللاً لله تعالى متضرعًا له داعيًا إياه فحلت بركة النبي ﷺ التي أكرمه الله تعالى بها ثم أمر جابر أن يقطع ثمر نخله ويسدد الدين ففعل موقنًا بذلك لأنه رأى رسول الله ﷺ مشى فيها، وفعلاً سد الدين كله وفضلت فضلة طيبة وجاء ليخبر رسول الله ﷺ بالبشرى فلما صلى أخبره فأمره أن يخبر عمر فقال عمر، لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها».

(١) سورة التوبة آية (١٠).

مبحث: سجود النبي ﷺ
في الماء والطين تواضعاً لرب العالمين

١١٩ ـ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألتُ أبا سعيد الخدري قلتُ: هل سمعتَ رسول الله ﷺ يَذْكُرُ لَيْلَةَ القَدْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ اعْتَكَفْنَا مَعَ رسول الله ﷺ العَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ قال: فخرجنا صبيحة عشرين، قال: فَخَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فقال: «**إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ وَإِنِّي نَسِيتُهَا فالْتَمسُوهَا في العَشْرِ الأَوَاخِر في وِتْرٍ فَإِنِّي رَأَيْتَ أَنِّي أَسْجُدُ في مَاءٍ وَطِينٍ، ومَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رسول الله ﷺ فَلْيَرْجِعْ**» فرجع الناسُ إلى المسجد وما نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، قال: فجاءتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ وأُقِيمتْ الصَّلاَةُ فَسَجَدَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الطِّينِ والمَاءَ، حتَّى رَأَيْتُ الطِّينَ فِي أَرْنَبَتِهِ وَجَبْهَتِهِ».

---

[١١٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٩/١٢٤، في الإعتكاف، باب الإعتكاف وخروج النبي ﷺ صبيحة عشرين ح٢٠٣٦.

المعنى

بلغ نبينا ﷺ في عبوديته لله تعالى مبلغًا عظيمًا لم يبلغه أحد قبله ولن يبلغه أحد بعده ﷺ وقد قال ﷺ: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد»[١] وفي الصحيح قال ﷺ: «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٢] فكان ﷺ أعلم الناس بالله تعالى وأعبد الناس لله تعالى فبلغ فيه أيضًا الدرجة العليا والمرتبة السنية فنام على الحصير حتى أثر رمال الحصير في جنبه الشريف ﷺ ومشى على الحصى حتى =

---

(١) ذكره الهيثمي في الزوائد ٥٨٦/٨، ٥٨٧ وعزاه للبزار ورجاله ثقات إلا حفص بن عمارة فلم يعرفه.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٢٢ في الأدب، ح٣١٢.

= أدميت قدماه الشريفتان وأكل على الأرض وكان يقول: «إنما أنا بشر مثلكم» وقد قالهاﷺ لماظلل عليه بملاءة ورفضها»[1] ومشي مع الغلام والجارية وسجد ﷺ على سبع وأمر الناس بذلك والناس اقتدوا به لكن كانوا قديمًا يمسحون الحصى من على الأرض قبل السجود عليها حتى نهوا عن الإكثار من ذلك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن كان لا بد فمرة» والآن الناس لا يسجد غالبهم إلا على الفرش الفاخرة ولو ظهر عليها التراب لغضب أحدهم بل بعضهم يسجد على أصابع يديه من غير أن يمس كفه الأرض ولا يلصق أنفه بالأرض ونقرًا نقرًا يتعجل أمام ربه للقاء الدنيا كأنه دفع إلى الصلاة دفعًا يمسح جبهته مسحًا شديدًا مما لحق بها من قليل التراب أثناء السجود فرضى الله تعالى عن أبي سعيد الخدري حيث قص علينا هذا الحديث العظيم يبين لنا مدى التواضع والعبودية الذي وصل إليه رسول اللهﷺ فقد سجد في الماء والطين لله عز وجل حتى لصق الطين بجبهته وأرنبته الشريفتين ﷺ فتحقق قولهﷺ: «فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشيه»[2] في كل شئون الدين والدنيا ما أنف وما تكبر وما تعالى وهو الذي خير بين الملك والنبوة والعبودية والنبوة فاختار العبودية والنبوه ﷺ تسليمًا كثيرًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جلس جبريل إلى النبيﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل: قال: يا محمد: أرسلني إليك ربك قال: أفملكًا نبيًا أجعلك، أو عبدًا رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل، عبد رسولاً»[3] صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا وغير ذلك من الكثير الكثير الذي ورد في تواضعهﷺ والله أعلم.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٥٨٦ في علامات النبوة باب في تواضعهﷺ وعزاه للطبراني وقال رجاله رجال الصحيح اهـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٢٢ في الأدب ح٣١٢.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٥٨٢ ح١٤٢٠٩ باب في تواضعه ﷺ من كتاب علامات النبوة وعزاه لأحمد والبزار وأبي يعلى وقال رجال الأولين رجال الصحيح.

مبحث: في ورع النبي المصطفىﷺ

١٢٠ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبيﷺ بتمرة مسقوطة، فقال: «لَوْلاَ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً لأَكَلْتُهَا» وقال همام عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ قال: «أَجِدُ تَمْرَةً سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي».

---

[١٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه ١٣٩/٩ في حديث برقم واحد ح٢٠٥٥ في البيوع، باب ما يتنزه الشبهات، ح٢٠٥٥.

وأخرج حديث أنس مسلم في صحيحه ١٧٧/٧ في الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول اللهﷺوآله.

وأخرج حديث أبي هريرة مسلم في صحيحه ١٦٧/٧ في الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول اللهﷺ وآله.

المعنى

لقد قالﷺ: «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[١] فبلغ في العلم والعبادة والتقوى والورع والخير مبلغًا لم يبلغه أحد من قبله ولن يبلغه أحد بعدهﷺ.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه يبين مدى الخشية والورع، والتقوى الذي عبد بهﷺ ربه عز وجل فيقول أنس رضي الله عنه: «مر النبيﷺ بتمرة مسقوطة» وفي رواية مسلم[٢]: «مر بتمرة بالطريق» وفي رواية لمسلم «وجد تمرة» وفي رواية مسلم: «فأجد التمرة ساقطة على فراشي» وفي البخاري التي عندنا نحو ذلك.

وقد بينت الروايات أن النبيﷺ تورع عن تمرة الطريق وتمرة فراشهﷺ وهو أبلغ في الورع حيث أنه فراشهﷺ ومع ذلك تورع عنها قال المهلب[٢]: إنما تركها =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٢/٢٢ في الأدب ح٣١٢.

(٢) فتح الباري ١٤٠/٩.

= ﷺ تورعًا وليس بواجب لأن الأصل أن كل شئ في بيت الإنسان على الاباحة حتى يقوم دليل على التحريم اهـ قوله: «فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها» قال الحافظ ابن حجر[1]: يحتمل أن يكون ذلك التمر حمل إلى بعض من يستحق الصدقة ممن هو في بيته وتأخر تسليم ذلك له اهـ وقال: وفيه تحريم قليل الصدقة على النبيﷺ اهـ وقال النووي[2] : وفيه تحريم الصدقة عليه ﷺ وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع وفيه استعمال الورع لأن هذه التمرة لا تحرم بالاحتمال لكن الورع تركها وفيه استعمال الورع وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها بل يباح أكلها والتصرف فيها لأنهﷺ إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا بكونها لقطة اهـ قلت بل تركهاﷺ خشية مقاربة المنهى عنه فالاقتداء بهﷺ هنا إنما يكون في البعد عما يخاف من قربه الوقوع في الحرام ولو كان شيئًا صغيرًا أو حقيرًا، والله المستعان والحمد لله رب العالمين.

(١) فتح الباري ٩/١٤٠.

(٢) شرح مسلم ١٧٧/٧.

مبحث : ما جاء في خلق النبيﷺ

١٢١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي النبيَّﷺ رجلٌ يتقاضاهُ فأغلظَ لهُ فَهَمَّ به أصحابُه فقال: «**دَعُوهُ فإنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقالاً**».

---

[١٢١] أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٣٧ في الاستقراض، باب لصاحب الحق مقال ح٢٤٠١.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٣٠ في الاستقراض، باب استقراض الإبل ح٢٣٩٠.

المعنى العام

أخلاق النبيﷺ يعجز عن وصفها البشر إنما الذي أعطاها حقها قولاً ومقالاً هو رب العالمين حيث قال له ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾(١) حقًا كما قال ربنا تبارك وتعالى وقد عاشهاﷺ حياته فظهرت في المواقف التي لا يتحملها الصديقون لتبين للناس أنه أحسنهم خلقًاﷺ ويظهر ذلك في هذاالحديث عندما يأتيه رجل يتقاضاه يطلب دينًا له على رسول اللهﷺ وعلى عادة الأعراب في الجفاء والغلظة قابل الرجل النبيﷺ بذلك ناسيًا أو متناسيًا أو مطمئنًا أو مغمضًا عينه عما حول النبيﷺ من الرجال الذين أحبوه ووضعوه في قلوبهم وأعينهم وتمسحوا بتفلته ومع ذلك لم ينتقم منه النبيﷺ بسبب ما بدا منه من سوء خلق لكن عامله ﷺ بما جبله الله تعالى عليه من حسن الخلق الذي لم يتفضل الله تعالى به على أحد تفضله على نبيناﷺ وظهر شئ من ذلك في معاملته لهذا النوع من البشر الغليظ الطبع الفظ الخلق فأمر أصحابه بأن يتركوه بلا أذى وأن يردوا إليه حقه ففي رواية(٢) : أنه قالﷺ أعطوه سنًا مثل سنه «قالوا: يا رسول الله إلا أمثل من سنه» «فقال: أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاء» يعني زاده أيضا عما له من الحق فلم يعامله بالمثل ولا بالعدل =

---

(١) سورة القلم آية (٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٣ في الحواله، باب الوكاله في قضاء الديون ح٢٣٠٦.

مبحث : في خشوع النبي ﷺ

١٢٢ ـ عن مطرف عن أبيه قال: أَتَيتُ النبيﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرجَلِ يَعنِي يَبكِي.

= بل بالفضل، فصلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحافظ[1] : قوله: «فأغلظ له» يحتمل أن يكون الإغلاظ بالتشديد في المطالبة من غير قدر زائد ويحتمل أن يكون بغير ذلك ويكون صاحب الدين كافراً فقد قيل إنه كان يهودياً والأول أظهر ثم إستدل بأنه كان أعرابياً، قال وكأنه جرى على عادته من جفاء المخاطبة وقوله: «فهم به أصحابه» أي أراد أصحاب النبيﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل لكن لم يفعلوا أدباً مع النبيﷺ اهـ. قلت أرادوا أن يؤذوه أدباً فلما نهاهم إنتهوا أدباً والله أعلم فلو سكتوا بادئ الأمر لقد قصروا ولو تمادوا بعد النهي فقد تعدوا والله أعلم والحمد لله وحده، وقوله: «إن لصاحب الحق مقالاً» قال الحافظ[1]: أي صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع اهـ والله أعلم.

مبحث : في خشوع النبيﷺ

[١٢٢] أخرجه النسائي في سننه ١٣/٣ في السهو، باب البكاء في الصلاة.
وأخرجه أبو داود في سننه ١٧٢/٣ في الصلاة، باب البكاء في الصلاة.
وأخرجه أحمد في المسند ٢٦/٤.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠٣/٤ بعد أن ذكره في باب إذا بكى الإمام في الصلاة في الشرح: رواه أبو داود والنسائي والترمذي في الشمائل وإسناده قوي وصححه ابن خزيمه وابن حبان والحاكم ووهم من زعم أن مسلماً أخرجه اهـ قوله: «أزيز كأزيز المرجل» أي خنين من الخوف وهو صوت البكاء وقيل هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء اهـ نهاية ٤٥/١ المرجل بكسر الميم وفتح الجيم هو =

---

(١) فتح الباري ١٣٠/١٠.

= القدر يعني أن لجوفه خنيناً كصوت غليان القدر اهـ منذري ١٨٧/١ ترغيب.

المعنى

يخبرنا مطرف عن أبيه عبد الله رضي الله عنه أنه أتى النبيﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني يبكي وصدقﷺ حين قال: «فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[1] فلما كانﷺ أعلم الناس كان أخشاهم لرب العرش العظيم فضلاً عما فضله الله تعالى به من كل الفضائل وخلى عنه كل النقائض البشرية فلذلك كان ﷺ يبكي في الصلاة حتى يسمع لصدره خنيناً كصوت القدر حين يغلي وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه فكيف بالمثقلين بالذنوب اللهم غفرانك ربنا وإليك المصير قال صاحب عون المعبود[2]: «وفي صدره أزيز» أي صوت «من البكاء» أي من أجله، وفي الحديث دليل على أن البكاء لايبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا وقد قيل: إن البكاء من خشية الله لم يبطل وهذا الحديث يدل عليه اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٢/٢٢ ح٣١٢.

(٢) عون المعبود ١٧٢/٣.

مبحث : الإيمان بكل ما قاله عليه الصلاة والسلام من أعلى درجات الإيمان

١٢٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ الْتَفَتَت إليه فقالت: لم أُخْلَقْ لهذا، خُلِقْتُ للحراثة»، قال: «قال آمنتُ به أنا وأبو بكر وعمر، وأخذ الذئب شاةً فتبعها الرَّاعي فقال الذِّئْبُ: مَنْ لَهَا يومَ السَّبُعِ؟ يومَ لاراعِيَ لها غَيْري؟» قال: «آمَنْتُ به أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» قال أبو سلمة وما هما يومئذ في القوم.

---

[١٢٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٧٣/١٠، باب استعمال البقر للحراثة ح٢٣٢٤.

أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٩/١٤ في فضائل الصحابة، فضل أبي بكر ح٣٦٦٣.

أخرجه البخاري في صحيح ١٩١/١٤ في فضائل الصحابة ح٣٦٩٠.

المعنى

آمن بالنبي ﷺ الملائكة وكثير من الناس حتى الأنعام بل والجمادات وكثير من المخلوقات وشهد له القريب والغريب والبعيد وكثير من الناس وكثير أسلموا لما رأوا البينات كشهادة الحيوانات وغيرها بالنبوة لسيد البريات عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلامات، بل حتى من لم يقر بلسانه من أصحاب القلوب الجاحدات الحاقدات علم في نفسه أنه ﷺ جاء بالحق والهدى والبينات من عند فاطر الأرض والسموات، قال عز وجل ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] فما علم معترض إلا من =

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٣).

الثقلين لكن غيرهما آمن وصدق، وأما من آمن من البشر فتفاوت الإيمان وزاد عند البعض ونقص عند البعض الآخر لذلك في هذا الحديث أخبر النبيﷺ عن إيمان أبي بكر وعمر في غير وجودهما لبلوغ إيمانهم مبلغًا جعل رسول اللهﷺ يخبر به كأنه أمامه ومما يدل عليه هذا الإيمان أنهم لما دونه أشد كالإيمان بالمحسوسات والعادات والمعقولات وهذا هو الواجب على كل مؤمن بما قاله رسول اللهﷺ وفي هذا الحديث أخبر رسول اللهﷺ أن رجلاً ركب بقرة فالتفتت إليه قائلة أنها لم تخلق للركوب إنما خلقت للحراثه تعني عملها حراثة الزرع لكنها خلقت للأكل والحلب أيضا فأخبر النبيﷺ أن أبا بكر وعمر يؤمنان بما قال وإن لم يريا ذلك الحدث بعينهما ويسمعاه بأذنيهما وأخبر ﷺ أن ذئبا أخذ شاة فتبعه الراعي فاستخلصها منه فألتفت الذئب قائلاً إذا كنت إستنقذتها مني الآن فمن يستنقذها إذا شغلتك الفتن عنها والأهوال، وقتها يعدو عليها السبع وأنت عنها مشغول تائه وأنا مكانك كأني بذلك راعي لها.

وأما تخصيص الشيخين بالذكر فلما بلغاه من معالي المراتب الإيمانيه، قال الحافظ[1] : ويحتمل أن يكون ﷺ قال ذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينها وهذا أليق بدخوله في مناقبهما، قوله: «يوم السبع» قال ابن الجوزي: هو بالسكون والمحدثون يرونه بالضم وعلى هذا ـ أي الضم فالمعنى إذا أخذها السبع لم يقدر على خلاصها منه فلا يرعاها حينئذ غيري: أي أنك تهرب منه وأكون أنا قريبًا منه أرعى ما يفضل لي منها قال ابن حجر[1] : وفي الحديث جواز التعجب من خوارق العادات وتفاوت الناس في المعارف اهـ قلت وفي الإيمان والله أعلم.

(١) فتح الباري ١٤/١٦٠.

مبحث: فضل التبرك بآثار النبي ﷺ

١٢٤ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أُتِيَ النبي ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ والأشْيَاخُ عن يَسَاره، فقال: «**يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ**»؟ قال: ما كنتُ لأُوثِرَ بفَضْلِي منكَ أَحَدًا يا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

---

[١٢٤] أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٩٨ في الشرب باب من رأي صدقة الماء ح ٢٣٥١.

المعنى

علم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فضل الله تعالى عليهم بصحبتهم لنبي الله ﷺ ورأوا بأعين أبصارهم وبصائرهم ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من الخير والبركة التي اختصه بها سبحانه دون غيره فلذلك جهدوا أن ينهلوا من هذا الخير قدر استطاعتهم وما تركوا فرصة سنحت لهم في التماس ذلك الخير والأخذ منه إلا انتهزوها حتى كانوا أسعد الناس بما قدر لهم من تشريف الله تعالى لهم بأن جعلهم أصحاب نبيه ﷺ حتى كان بعضهم لا يفارق شخص النبي ﷺ إلا عند دخوله على أهله وهو أنس رضي الله عنه خادم النبي ﷺ كذلك غالب أحوال الصديق والفاروق رضي الله عنهما وبعضهم كان إذا كان بين أهله وتذكر رسول الله ﷺ اشتاق إليه ثم ترك بيته وذهب إلى النبي ﷺ وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا فلان؟ فقال: يا رسول الله! والله الذي لا إله غيره لأنت أحب إليَّ من أهلي ومالي وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى آتيك فذكرت موتي، وموتك، فعرفت أني لن أجامعك إلا في الدنيا وأنك ترفع مع النبيين، وعرفت أني إن أنا أدخلت الجنة، كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، قال: فلم يرد عليه النبي ﷺ =

شيئًا فقـال فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ قال: فقال رسول اللهﷺ: «يا فـلان أبشر» فقرأ هذه الآية[1] ، وهكذا كان حـال أصحاب النبيﷺ، ومن ذلك التبرك بسؤره ﷺ كما في هذا الحديث حيث شرب النبيﷺ وعن يمينه ابن عباس وهو غـلام صغير وعن يساره أشـياخ، فالسنة أن يعطي الأيمن إلا إذا أذن الصـغيـر للكبـيـر فاسـتـأذن النبيﷺ ابن عـباس رضي الله عنهـمـا أن يعطي الأشياخ الكبـار خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن مـعه ففطن الغلام للبـركة في سؤر رسـول اللهﷺ وعلم أنها حـقـه والإيثار مـطلوب إلا في مثل هـذه البركـات التي لا تعوض حيث أنها مختصه بنبينا ﷺ ولو وجدت في غيره فلن تماثل ولا تقارب بركة نبينا ﷺ فأعطاه رسول اللهﷺ حقه. والله أعلم.

(١) أخرجه هناد بن السري في كتابه الزهد ١١٧/١ ح١٤٨ والآيه هي التاسعة والستين من سورة النساء.

مبحث: إكرام النبيﷺ من الدين

١٢٥ - عن أبي مسعود(١) أَنَّ رَجَلاً من الأَنْصَارِ يقالُ لَهُ أبو شُعَيْبٍ كان له غُلامٌ لَحَّامٌ فقال له أبو شعيب: اصْنَعْ لي طعامَ خمسةٍ لَعَلِّي أَدْعُوَ النَّبِيَّﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ وأَبْصَرَ فِي وَجْهِ النبيﷺ الجُوعَ فَدَعَاهُ فَتَبِعَهُم رَجُلٌ لَمْ يُدْعَ فقال النَّبِيُّﷺ: «**إِنَّ هذَا قَدْ اتَّبَعَنا، أَتَأْذَنُ لَهُ**» قَالَ: نَعَمْ.

---

[١٢٥] أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٨٨ في المظالم، باب إذا أذن إنسان لأخر شيئًا جاز، ح٢٤٥٦.

أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠/٢٥٩، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه، ح٥٤٣٤.

المعنى

كان أصحاب النبيﷺ يتحسسون أحوال النبيﷺ ويرضيهم ما يرضيه ويغضبهم ما يغضبه بل ويؤلمهم ما يؤلمه بل ونظرهم إليهﷺ ليس مجردًا بل نظر حب ورحمة وشفقة وتفقد لما يحب ويرضى ويألم، فلما نظر أبو شعيب إلى وجه النبيﷺ علم أنه جائع فأمر غلامه الجزار بإعداد طعام للنبيﷺ إكرامًا له أيضًا وتواضع النبيﷺ ولبى الدعوة ولكن جاء رجل لم يكن مع النبيﷺ وقت الدعوة فاستأذن له النبيﷺ معلمًا أصحابه أدب الدعوة فزيادة في الإكرام قبل الرجل الإذن وقال: نعم.

وفي الحديث: ما كن عليه الصحابى من حب النبيﷺ الشديد حتى كانوا أحيانًا أو غالبًا يديمون النظر في وجه النبيﷺ فيعرفون منه الأحوال من الرضا

---

(١) أبو مسعود: هو عقبة بن عمرو الأنصاري البدري شهد بدراً والعقبة، روى عن النبيﷺ توفى سنة ٤٠ هـ اهـ إرشاد الساري ١/٢٤٦ وتهذيب ٧/٢٢٠، ٢٢١.

= والغضب والجوع والفرح وغيرهم.

الفقه

جواز الاكتساب بمهنة الجزارة وأن من دعا استحب أن يدعو معه من أخصائه وأهل مجالسته وفيه استعمال العبد فيما يطيق من الصنع. وفيه أن من دعا قومًا متصفين بصفة ثم طرأ عليهم من لم يكن معهم لا يدخل في عموم الدعوة إلا بالإذن من صاحب الدعوة، وفيه إجابة أهل الفضل والإمامة بدعوة من دونهم والله أعلم[1] .

(١) فتح الباري ٢٠/٢٥٩، ٢٦٠.

مبحث: مسير نبيناﷺ في هجرته المباركة

١٢٦ - عن البراء عن أبي بكر رضي الله عنه قال: ارتحلنا من مكة فَأَحْيَيْنَا أو سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حتى أَظْهَرْنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوى إليه فإذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فَسَوَّيْتُهُ ثم فَرَشْتُ للنبيﷺ فيه ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبيﷺ ثم انطلقت انظر ما حولي هل أرى من الطلب أحداً فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل في غَنَمِكَ من لبن؟ قال: نعم، قلت فهل أنت حَالِبٌ لنا؟ قال: نعم، فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً من غنمه ثم أمرته أن ينفض ضَرْعَهَا مِنَ الغُبَارِ، ثم أَمَرْتُهُ أن يَنْفَضَ كَفَّيْهِ، فقال هكذا ضرب إحدى كفيه بالآخرى فَحَلَبَ لي كُثْبَةً من لَبَنٍ وقد جعلتُ لِرَسُولِ اللهﷺ إدَاوةً على فَمِهَا خِرْقَةً فَصَبَبْتُ على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقتُ بِهِ إِلى النَّبيِّﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ فقلتُ له اشْرَبْ يَا رَسُول الله فَشَرِبَ حتى رَضِيتُ ثم قلتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «بَلَى»، فَارْتَحَلْنَا والقَوْمُ يطلبونَنَا فلم يُدْرِكْنَا أَحَدٌ منهم غير سُرَاقة بن مالك ابن جعثم على فَرَسٍ لَهُ، فقلت: هذا الطلبُ قد لَحِقَنَا يا رَسُولَ اللهِ! فقال: ﴿ **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا** ﴾.

---

[١٢٦] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٤٣ في فضائل أصحاب النبيﷺ باب المهاجرين وفضلهم، وأخرجه أيضًا ١٥/١١٣.

قوله: «اعتقل شاة»: هو أن يضع رجلها بين ساقه وفخذه ثم يحلبها اهـ نهاية ٣/٢٨١.

قوله: «الكثبة» كل قليل جمعته من طعام أو لبن وغير ذلك اهـ نهاية ٤/١٥١.

المعنى

لما أشرق نور النبوة أبصره بقلبه منشرحًا كأنه سابق عهد به وأسرع إلى تلبيته والسير معه ومساندته إسراع السيل حين ينصب في الحدور والطير حين ينقض في الوكور، ما كانت له كبوة ولا صبوة فكافأة النبي بلقب الصديق، فالصادق المصدوق هو الذي سماه فأصبح اللقب حقيقة فصحب النبيﷺ يتكلم بالصدق ويمشي بالصدق ويعمل بالصدق حتى إختاره صاحبًا له وصديقًا له في رحلة الهجرة المباركة وأمره بالإنتظار حتى يأتي الإذن بالهجرة فلما أحس بالبشرى قال: الصحبة الصحبة يا رسول الله وأعد راحلتين لذلك واشترى النبيﷺ راحلته واختار هاديًا خريتًا يعلم الطريق وواعداه غار ثور بعد ثلاث وسار النبيﷺ ومعه صاحبه يطأ الصخر بقدمه الشريف ملبيًا أمر ربه بالهجرة في الهاجرة ـ وما أدراك ما هاجرة المدينة وقت الصيف ـ نار تلظى ـ سار فيها لا يعرف الكسل والتردد في تلبية النداء مكانًا ولا مدخلاً في نفس الصديق، بل لقد امتلأ حبًا للنبيﷺ وإيمانًا به إلى مشاشته بل وفاض منه حتى غطاه فحمل النبيﷺ من على الأرض وسار به أسعد من البراق حين امتطاه رسول الله ﷺ! فالبراق أمره جبريل عليه السلام بالطاعة والسكون وأبو بكر أمرته نفسه بالتواضع مختاراً من داخله يدفعه إيمانه الزائد القوي إلى الخدمة، فصحب النبي ﷺ يمهد الطريق ويهيئ له المقيل ويعد له الطعام ويبرد له الشراب ويجهز له الراحلة ويرقب له الرصد والطلب، بل ويشعر بغضبه ورضاه وظمئه وريه وجوعه وشبعه فنال المرتبة السنية من فضل رب البرية فقال عز وجل ذاكرًا له في محكم التنزيل ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾[1] فسماه رب العالمين صاحبًا ولو كان رسول الله ﷺ متخذًا

(١) سورة التوبة آية (٤٠).

دون الله خليلاً لاتخذه فقال ﷺ: «و لكنت متخذًا خليلاً لاتخذته خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل»(١) يخبر أبو بكر رضي الله عنه في هذا الحديث أنه سار مع النبي ﷺ الليلة سفراً والنهار إلى الظهر وحينئذ بدأ أبو بكر ينظر مقيلاً مناسبًا يقيل فيه رسول الله ﷺ يرضاه أبو بكر له فرأى ظِلَّ صخرة فهيأ الظل وفرشه للنبي ﷺ وناداه بالنبوة أدبًا ومُبينًا استحقاق الخدمة فقال: اضطجع يا نبي الله فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلق حارسًا يرقب الطلب ويحذر الرصد فبينما هو كذلك إذ وجد رزقًا قد ساقه الله تعالى إليهما، وجد راعي غنم يسوق غنمه إلى ظل الصخرة أيضًا فسأله عن نفسه وعن اللبن وعن حلب اللبن هل تطيب نفسه بذلك له فأجاب نعم فأمره بما سنه النبي ﷺ وأحبه من النظافة للضرع واليد والإناء فأمره أبو بكر أن ينفض الضرع من الغبار وأن ينفض كفيه أيضًا ثم أكمل أبو بكر ما يحبه رسول الله ﷺ فجعل على الإناء خرقة وصب عليه الماء حتى برد اللبن فقد كان ﷺ يحب الحلو البارد ثم ذهب إلى النبي ﷺ فوافقه قد استيقظ فقال: اشرب يا رسول الله قال: فشرب حتى رضيت، المتعارف أن يقول شرب حتى رضى إنما بلغ صدق الحب للنبي ﷺ في قلب الصديق أن يرضى لما يرضي رسول الله ﷺ ويشعر بغضبه وتعبه وجهده وسروره ورضاه وراحته، والله إني لأظن أن لو كان الصديق يهيئ لنفسه مقيلاً وطعامًا لما فعل ذلك لقد امتثل قول النبي ﷺ «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(٢) وفي رواية «والناس أجمعين»(٣) وفي رواية «لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه»(٤) هو الذي قال: «فشرب حتى رضيت» كهذا المحب حقًا« لا يزال يرضى لما يرضى محبوبه فاللهم أرض عمن سعد برضى =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٣/١٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلاً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٤/١ في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ح١٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٤/١ في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ح١٥.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٣٣/٤.

مبحث : ذكر النعم يستوجب على العبد حب الله تعالى مسديها ثم حب النبيﷺ بحب الله تعالى

۱۲۷ ـ عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: «أَحِبُّوا الله لِمَا يَغْذُوكُم مِنْ نِعَمِه، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ الله وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي».

= النبيﷺ ثم قال: قد آن الرحيل يا رسول الله أي هل قد جاء الوقت المناسب لأن نواصل مسيرة الهجرة المباركة فأجابهﷺ: نعم فارتحلا والقوم في طلبهما ولم يدركهم أحد منهم غير سراقه، وخاض أبو بكر بما دفعه إيمانه به من الحب والطاعة والموالاة والخدمة والإيثار لى أن رأى ما كان يحذره من إدراك الطلب فلما رأى ضعف عن مقاومة الخوف فأكمله الحبيب لتعويض النقص فقال بنور الوحي ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ والله أعلم.

مبحث : ذكر النعم يستوجب على العبد حب الله تعالى مسديها ثم حب النبيﷺ بحب الله تعالى

[۱۲۷] أخرجه الترمذي في سننه ۱۰/۲۹۲ في المناقب، باب مناقب أهل بيت النبيﷺ ح۳۸۷۸ وقال حسن غريب.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ۳/۱۵۰ في معرفة الصحابة ح٤٧١٦، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقة الذهبي.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول اللهﷺ قال: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه» وعند الحاكم: «لما يغذوكم به من نعمه» أي تذكروا نعم الله تعالى عليكم الظاهرة والباطنة التي لا تستطيعون إحصاءها ولا يقدر أحد غيره سبحانه أن يسديها إليكم ويعجزأ قوى الناس حتى عن دوائها إذ اعطبت إلا أن يريد الله تعالى شفاءها فإذا تذكرتم ذلك وجب عليكم أن تحبوا الله تعالى حتى تمتلئ =

= قلوبكم بحبه ومما يجلب لكم حب الله تعالى كثرة ذكر نعمه عليكم وهو من معنى الشكر ومن مقتضيات حب الله تعالى هو حب رسولهﷺ، لذلك قالﷺ: «وأحبوني بحب الله» لأن الله تعالى يحب رسولهﷺ بل جعل من موجبات حبه تعالى طاعة رسولهﷺ واتباعه قال عز وجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1]، قال في التحفة[2] في قوله: «لما يغذوكم من نعمه» أي يرزقكم به «من نعمه» بكسر النون وفتح العين جمع نعمة، وهو بيان لما، وقوله: «وأحبوني بحب الله» وعند الحاكم «لحب الله» أي لأن محبوب المحبوب محبوب اهـ قولهﷺ: «وأحبو أهل بيتي بحبي» أي لأني أحب أهل بيتي فمن يحبهم فقد أحبني والمقصود المؤمنون منهم خاصة من نزلت فيهم الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[3] وهم فاطمة، وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم كما ذكرت من قبل بالتفصيل بحمد الله تعلى قال في التحفة[2]: قوله: «وأحبوا أهل بيتي بحبي» أي إياهم أو لحبكم إياي اهـ والله أعلم.

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) تحفة الأحوذي ٢٩٢/١٠.

(٣) سورة الأحزاب آية (٣٣).

مبحث: فيما تحمله النبيﷺ في سبيل الله تعالى

١٢٨ - عن جابر بن عبد الله قال: كان النبيﷺ قد يَعْرِضُ نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ فقال: «أَلاَ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلى قَوْمِهِ فإن قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلاَمَ رَبِّي».

---

[١٢٨] أخرجه الترمذي في سننه ٨/٢٤٢ في ثواب القرآن الكريم، باب ما جاء كيف قراءة النبيﷺ ح٣٠٩٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه أبو داود في سننه ١٣/٥٩ باب في القرآن الكريم.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ١/٧٣ في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية.

وأخرجه الدارمي في سننه ٢/٥٣٢ في فضائل القرآن الكريم، باب القرآن كلام الله.

وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٩.

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن نبيناﷺ لما كان يعرض نفسه «قال في التحفة[1]: أي على الناس» «الموقف» أي بالموسم اهـ أي حين كانﷺ في بداية الدعوة يدعو الناس إلى الإسلام وتوحيد الله تعالى وقد منعته قريش وآذتهﷺ أشد الإيذاء كما قالﷺ: «لعائشة لقد لقيت من قومك ما لقيت... الحديث»[2] كما بينت بحمد الله تعالى في حديث الملأ من قريش الذين ألقوا على ظهره الشريف سلى الجذور والحديث المذكور لذلك، وقال هناﷺ: «ألا رجل يحملني إلى قومه» أي ييسر إلى الوصول إليهم والكلام معهم ومع ذلك ما كان يريد منهم إلا دفع الإيذاء والتمكين من التبليغ لا إكراههم على الإسلام ومع ذلك ما وجد إلا نادراً بل في =

---

(١) تحفة الأحوذي ٨/٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٣٧ في بدء الخلق ح٣٢٣١.

= بعض المواضع لم يجد ﷺ أحداً يؤيد بل وجد من يؤذيه وتحمل وصبر وصابر وربط ورابط وحملها وتحملها حتى علا بها إلى الثريا بعد أن وطئ الثرى حاراً غير منتعل، قوله: «فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» قال صاحب التحفة: وقال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان تلك السنين أي قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحداً منكم على شئ بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي فلا يقبله أحد بل يقولون قوم الرجل أعلم به اهـ فما زال يرفعها ويحوطها ويدعو لها ويعلمها ويقيمها حتى قال ربه عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذي ٨/٢٤٢، ٢٤٣.

مبحث: بعض ما تحمله النبي ﷺ

من أذى في سبيل الله عز وجل

١٢٩ ـ عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها، ودمها، وسلاها، فيجيئ به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم. فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش**» ثم سمى «**اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد**» قال عبد الله: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله ﷺ «**واتبع أصحاب القليب لعنة**».

---

[١٢٩] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ٣/١٧٨ باب المرأة تطرح من المصلى شيئًا من الأذى ح٥٢ وأخرجه أيضًا في كتاب الوضوء ٢/١٤٩ ح٢٤٠ باب إذا القى على ظهر المصلى قذرًا أو جيفة لم تفسد صلاته.

قوله: الجزور: فتح الجيم من الإبل ما يجزر أي يقطع، والسلى: مقصور بفتح المهملة: هي الجلدة التي يكون فيها الولد، القليب: بفتح القاف وآخره موحده: هي البئر التي لم تطو اهـ فتح ٢/١٤٧: ١٤٩.

المعنى

لقد ولدﷺ بمكة المكرمة ونشأ بها بين أهلها وأحبه القريب والبعيد والكبير والصغير والرجال والنساء ومشى بينهم بفطرة بيضاء نقية حتى ظهر بينهم أنه أكثرهم أمانة وأرشدهم عقلا وأكثرهم حكمة وأقواهم حجة، ومازالت النبوة في علم الغيب لم تظهر بعد، فلما أراد رب العرش العظيم أن يظهر اختياره لنبيهﷺ واصطفاه نبيًا ألهمه ما ألهمه من الخلوة بحراء وغيرها حتى جاءه الوحي بغار حراء وأقرأه وخاف ﷺ ثم أطمأن وطمأنته خديجة رضي الله عنها ثم أخبره ورقة بما لم يتوقعه من إخراج قومه لهﷺ فعلم أنه لا بد من ابتلاء قبل الإرتقاء، ولا بد من المحن فإن على ظهورها المنن، فلذلك قال له ورقة رضي الله عنه: «ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك»، فقالﷺ[1] : «أو مخرجي هم؟» قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً..»[1] ومضت الأيام «وفتر الوحي»[1] ثم «حمي الوحي وتتابع»[2]، وبدأ رسول اللهﷺ تأتيه الأوامر بالإعلان ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[3] فلما امتثل أمر ربه تعالى بالصدع، نسى القوم الأمانة القديمة والصدق والحكمة والنسب الشريف والحياة البسيطة التي عاشها ﷺ بينهم، لم يذهب فيها إلى معلم يعلمه ولا إلى كاتب ولا إلى قارئ بل ما خرج من مكة إلا صبيًا ومع جده ثم رجع عاجلاً!! نسوا هذا كله لما صدع بكلمة التوحيد، نسوا هذا كله أو تناسوه لما قال لهم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[4] أهملوا هذا كله لما قال: «إني أخبرهم بكلمة لو قالوها دانت لهم العرب والعجم... الحديث» ثم قال لهم «لا إله إلا الله» فقالوا كما قال الله تعالى عنهم =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٦٠ في بدء الوحي ح٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري ١/٦٣ ح٤ بتفصيل (١).

(٣) سورة الحجر آية (٩٤).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٩٢.

= ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝ ﴾[1] ، وبدأت العداوة وبدأ الأذى بكل أنواعه وظهر قول ورقة: «لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي» فهكذا الشر لا يطيق الخير فلم يأت خير قط إلا عاداه الشر ولو كان قليلاً حتى أصبح الهم هم الخير لأن مصيره يتعلق بالصبر على مسيره، فعن ربيبة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق المجاز يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صبائي... الحديث» قال الله تعالى ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾ ولكن الخوف على من أكرمهم الله تعالى عمل بالحق، فالحق أقوى من الباطل مادام أهل الحق معتزين به، إن رسول الله ﷺ صبر وصابر وربط ورابط وجهد وجاهد ﷺ وتوالت عليه آداب الوحي تأخذ بيده في الطريق حتى كمل خلقه وكمل دينه وتمت النعمة ورضيها رب العالمين.

وهذا الحديث يبين مدى الأذى الذي لقيه رسول الله ﷺ في بداية إشراق نور النوبة ومدى حقد قومه عليه وكيف هان عليهم بعد أن أصبح أعظم الناس بعد أن كان أحب الناس إليهم قبل تلك النعمة التي أرسله ربه بها ليخرج الناس من الظلمات إلي النور، لقد جاء لينقذهم من النار ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن العداوة إلى الألفة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الذل إلى العز، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن مصير النار إلى مصير الجنة، لقد ظنوا النور نارًا، فآذوه وحاربوه، وضيقوا عليه، وعذبوا أصحابه، وأفلت كثير منهم فوقعوا في النار والعياذ بالله تعالى كما قال ﷺ: فيما أخرجه البخاري في صحيحه[2]: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله =

(١) سورة ص آية (٥)، (٦)، (٧).

(٢) أخرجه البخاري فلا صحيحه ٢٤/١٠٨ في الرقاق ح٦٤٨٣.

= جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها» صلى الله عليه وآله وسلم وحديثنا هذا يبين أنه في بداية النبوة كان ﷺ يصلي عند الكعبة المشرفة وقد جلس جمع من كفار قريش بالقرب منه ﷺ، فقال بعضهم: ألا تنظرون إلى هذا الذي يصلي رياء أمام الناس فمن يذهب ليأتي بفضلات ما ذبح من الإبل من داخل كرشها ثم ينتظر فإذا سجد وضعه بين كتفيه،!! فكرة خبيثة بثها خبيث من الخبثاء بين قوم خبثاء قال تعالى مبيناً هذا أوضح البيان بأنهم شياطين كلهم وهم من جنود إبليس لعنه الله تعالى ولهم أتباع إلى يوم القيامة يوحي إليهم سيدهم وهم يوحون إلى بعضهم كل شر حتى يكون هلاك بعضهم على يد بعض وإنما حفروا ما فيه حتفهم يوم حفروا للخير وأهله، قال الله عز وجل ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾** ﴾[1] فانبعث أشقى القوم لأنه صاحب التنفيذ كقاتل الناقة فالمباشر للفعل بيده هو أشقى ممن شاهد وساعد وإن كان الكل قد لفحه لهب الإثم، والغالب أنه عقبة بن أبي معيط، قال الحافظ[2] : لمبادرة عقبة بن أبي معيط إلى إحضار ما طلبوه منه وهو المعنى بقوله: أشقاهم اهـ. فجاء بالسلى ثم وضع بين أشرف كتفين وهو ساجدﷺ وثبتﷺ ساجداً لله تعالى فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، وابن مسعود يشاهد ويقول: «لو كانت لي منعه؟!» يعني أدفع بها عن النبيﷺ لكن ما كانت له منعة وما كانت للنبيﷺ منعة إلا بالله تعالى، وربنا عز وجل يريد ذلك فهذا هو سلم الصعود إلى المقام المحمود بل لما ضاق صدر النبيﷺ مرة قال له ربه عز وجل ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾** ﴾[3] ، وثبت =

---

(١) سورة الأنعام آية (١١٢) (١١٣).

(٢) فتح الباري ٣/١٧٨.

(٣) سورة آل عمران آية ١٢٨.

= النبي ﷺ ساجدًا، مع أنه على ظهره الفرث، والفرث به نجاسة لكن قال بعض أهل العلم بداية الصلاة طاهرًا لا يضرها ما طرأ عليها، وذهب ابن مسعود إلى فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ يخبرها وهي بنت صغيرة فأقبلت مسرعة وألقت عن النبي ﷺ ما فعله الأشرار ثم أقبلت عليهم تعطيهم وتكافئهم ببعض ما يستحقون وهو ما تقدر عليه البنت الصغيرة، وسبحان الله بالرغم من هذا الفجور كله للملأ ما وصل فجورهم في هذه الحيثية إلى أن يتعرضوا لإمرأة أو يتطاولوا عليها، وكان من خلق العرب ألا يتعرضوا للمرأة، تأبى أخلاقهم أن يتعرضوا لها، فاللهم إنا نسألك العفو والعافيه والمعافة يا ذا الجلال والإكرام يا رب العرش العظيم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة رفع يديه الشريفتين يعرض الحال على من لم يجعل دون دعوة المظلوم حجاب، إنه أرحم بنبيه ﷺ من أمه لو كانت حية ومن عمه وجده لذلك استجاب دعوته حين قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات ثم سمى الملأ كلهم ولما فعلوا فعلتهم الخبيثة، مال بعضهم على بعض من الضحك هزءًا وسخرية وتكبرًا وتجبرًا فلما دعا عليهم ﷺ ووجدوه رافعًا يديه ذهب الضحك عنهم كما قال ربنا تعالى ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** (٣٣) ﴾[1] واستجاب الله تعالى الدعاء ورفع البلاء وأسبغ النعماء وأشرقت السماء وأجليت الظلماء، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجاء يوم بدر وخرج من قريش الكبراء والعظماء وخرج مع المصطفى ﷺ الفقراء والضعفاء ولكن معهم أعظم درة في تاج الإسلام وهو الإيمان الراسخ كالجبل الراسي بخالق الأرض والسماء ﴿ **إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ** =

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٣).

= حيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] ورفع النبي ﷺ يديه أيضًا مرة ثانية كالأولى «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم»[2] وتذلل حتى وقعت بردته من على كتفيه الشريفتين فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وما هي إلا أيام حتى جاء الفرج من رب العالمين حتى قال عمر[3]: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» والله الحكم العدل إنه لا يضيع عند الله سجود سيد المرسلين أمام بيت الله في حرم الله يلقي بين كتفيه الفرث والدم والسلى ولو بعد حين إن للكون رب لا يغفل ولا ينام يمهل ولا يهمل قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وهو السميع العليم ﴿٥﴾ ﴾[4] وقال ﷺ فيما أخرج في الصحيح[5] «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» والله ما كان الله ليقدر ذلك على النبي ﷺ لهوانه عليه ولكن ليجهزه ويعده لحمل الرسالة وتبليغها وإقامتها وما مضي الكثير حتى رأى النبي ﷺ جبريل معه يوم بدر ومعه الملائكة وسرعان ما جاء النصر العظيم الذي جاء على غير موعد وعلى غير ميعاد بل وعلى غير أمل، وعوقب أصحاب الفرث بالقتل المهين وألقى فرثهم هم في قليب بدر وناداهم رسول الله ﷺ وهم موتى فقال: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان! هل =

(١) سورة الأنفال آية (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٧/١٢ ح٢٩/٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٩٩/١٧ في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح٢٨٧٣/٧٦، باب عرض مقعد الميت من الجنة.

(٤) سورة آل عمران آية (٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢/٣: ١٤.

= وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقًا»[1] ثم قال ﷺ «وأتبع أهل القليب لعنة» ذهبت وراءهم اللعنة ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[2] والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٩٩/١٧ في الجنة وصفه نعميها وأهلها ح٢٨٧٣/٧٦.

(٢) سورة النبأ آية (٢٦) إلى آية (٣٠).

مبحث: في صبر النبي ﷺ على قومه

١٣٠ - عن عبد الله قال: قسم النبي ﷺ قِسْمَةً كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت: أَمَا لأَقُولَنَّ للنبي ﷺ فَأَتَيْتُهُ وهو في أصحابه فَسَارَرْتُهُ، فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وَجْهُهُ وَغَضِبَ حتى وَدِدْتُ أني لم أكنْ أخبرته، ثم قال: «**قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ**».

---

[١٣٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٣١١، في الأدب، باب الصبر في الأذى ح ٦١٠٠.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٢٦٧ في الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ح٦٠٥٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٧/١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة وما يخاف على إيمانه.

المعنى

قال الله لنبيه ﷺ ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** (٣٥)﴾[١] فاستجاب لأمر مولاه فصبر وصابر وتحمل ما تعجز عن حمله الجبال الرواسي ومع ذلك كان يقول «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٢] ومما تحمله ﷺ ما يقصه علينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في هذا الحديث فيقول: قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم قال ابن حجر[٣]: في رواية مسلم بينت

---

(١) سورة الأحقاف آية (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦/١١٤، في الديات ٦٩٢٩.

(٣) فتح الباري ٢٢/٣١١.

= أنها يوم حنين ففيها عن عبد الله قال: «لما كان يوم حنين... الحديث» قوله: «فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله» فالرجل من المنافقين قال القاضي عياض[1] : وسلك معه مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه وسمع منهم في غير موطن ما كرهه لكن صبر استبقاء لانقيادهم وتأليفًا لغيرهم لئلا يتحدث الناس أنه ﷺ يقتل أصحابه فينفروا اهـ قوله: «قلت: أما لأقولن للنبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فساررته» القائل هو عبد الله بن مسعود كما في رواية البخاري وقوله فساررته: أي كلمته سرًا قال ابن حجر[2] وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة لأن صورتهما موجوده في صنيع ابن مسعود هذا ولم ينكره النبي ﷺ وذلك أن قصد ابن مسعود كان نصح النبي ﷺ وإعلامه بمن يطعن فيه ممن يظهر الإسلام ويبطن النفاق ليحذر منه وهذا جائز كما يجوز التجسس على الكفار ليؤمن كيدهم، وقد ارتكب الرجل المذكور بما قال إثمًا عظيمًا فلم يكن له حرمة اهـ قوله: «فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته وفي رواية مسلم: فغضب من ذلك غضبًا شديدًا واحمر وجهه ﷺ قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾[3] وقال عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝١١٠ ﴾[4] قال ابن حجر: وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم كما صنع النبي ﷺ اقتداء بموسى عليه السلام اهـ قوله «حتى وددت أني لم أكن أخبرته» أي تمنيت أن لم أكن قلت له ذلك قوله: «ثم قال: «قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر» يعني يقتدي نبينا ﷺ =

(١) شرح مسلم ٧/١٥٩.
(٢) فتح الباري ٢٢/٣١٢.
(٣) سورة الشعراء آية (٣).
(٤) سورة الكهف آية (١١٠).

= بمن قبله كموسى عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿ فاصبر كما صبرا أولوا العزم من الرسل ﴾[1] قال الحافظ ابن حجر[2]: وأشار بقوله: «قد أوذى موسى» إلى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩ ﴾[3] وقد حكى في صفة أذاهم ثلاث قصص إحداها قولهم «هوآدر»[4] ثم قال ثانيها في قصة موت هارون[5] يعني عندما قالوا له أنت قتلته ثم قال ثالثها في قصة قارون[6] حيث أمر البغي أن تزعم أن موسى راودها حتى كان ذلك سبب هلاك قارون اهـ والله أعلم.

قلت ولفظ حديث «آدر» قالوا ـ أي بنوا إسرائيل ـ «والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر.. الحديث»[4].

---

(١) الأحقاف آية (٣٥).

(٢) فتح الباري ٣١٢/٢٢.

(٣) سورة الأحزاب آية (٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٣/٤، ١٩٤ في الغسل باب من اغتسل عريانًا وحده ح٢٧٨.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٣٨/١٠ في تفسير الأحزاب ح٢٨٦٧٦ آية (٦٩).

(٦) أخرجه الطبري في تفسير القصص آية (٨١) ج١٠٩/١٠ ح٢٧٦٣٥.

مبحث : في صبر النبي ﷺ ورحمته

١٣١ - عن عائشة رضي الله عنهـا أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يـوم أُحُدٍ؟ قال: «**لقد لَقيتُ من قَوْمك ما لَقيتُ، وكان أشد مالقيت منهم يوم العَقَبَة إذ عرَضْتُ نَفْسي على ابن عبْد يَالِيْل بن عَبْد كُلال فَلَمْ يُجبْني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهي فلم أسْتَفِقْ إلاَ وأنا بِقَرْن الثعَالب، فرفعتُ رأْسي فإذا أنَا بسَحَابة قد أظَلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قَدْ سَمعَ قَوْلَ قَوْمك لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ الله إلَيْكَ مَلَكَ الجبَال لتأمُرهُ بما شئت فيهم، فناداني مَلَكُ الجبال فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثم قال: «يا محمد، فقال: ذَلكَ فيمَا شئْتَ إنْ شئْتَ أنْ أُطْبقَ عَلَيْهمُ الأَخْشَبَين» فقال النبي ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله منْ أَصْلابِهِم مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لايُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

---

[١٣١] أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٣٧، في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين... الخ ح ٣٢٣١.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٢/١٥٤ في الجهاد باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

قوله: «على وجهي» أي على الجهة المواجهة لي اهـ فتح ١٣/٣٨.

قوله: «فلم أستفق» أي لم أوطن نفسي وأتنبه لحالي اهـ شرح مسلم ١٢/١٥٥.

قوله: «قرن الثعالب» هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير اهـ شرح مسلم ١٢/١٥٥.

قوله: «الأخشبين» الأخشبان: الجبلان المطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر، وهو جبل مشرف على وجهه قُعيقعان، والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة اهـ = نهاية ٢/٣٢.

المعنى

قال الله تعالى لنبيه محمدﷺ ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾[1] فاستجاب ﷺ لنداء ربه فصبر صبراً لاتطيقه الجبال بل ورحم مع ذلك رحمة أعظم من رحمة الأم بولدهاﷺ وهذا الحديث من أعظم الأدلة على ذلك فتقول عائشة رضي الله عنها للنبيﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد» أي هل لقيت أذى وشدة يا رسول الله أكثر من أذى يوم أحد حيث شج وجهه ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقالﷺ: «لقد لقيت من قومك ما لقيت» أي ما أكثر مالقيت من قريش وغيرهم يا عائشة فمنذ بعثته ﷺ وهو يلقي ويتحمل حتى من الأقربين فضلاً عن الأباعد الأبعدين قولهﷺ «وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت قال ابن حجر[2] : قوله: «ابن عبد يَالِيْل» بتحتانيه وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام، قوله: ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسمه كنانة اهـ قال ابن حجر: وذكر موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب أنهﷺ لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤوه فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم، وهم عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عمرو: فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه قومه فردوا عليه أقبح رد قال: وذكر ابن سعد أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة اهـ قوله: «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي» أي وقد أصابني همّ بسبب ما ردوه عليّ وإعراضهم عن دعوتي فانطلقت إلى الجهة التي أمامي قال ابن حجر[2]: قوله «على وجهي أي على الجهة

---

(١) سورة النحل آية (١٢٧)، (١٢٨) آخر السورة الكريمة.

(٢) فتح الباري ٣٧/١٣، ٣٨.

= المواجهة لي» اهـ قوله: «فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب» قال النووي[1] : أي لم أوطن لنفسي وأنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه إلا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه قال القاضي: قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير اهـ: «فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابه قد أظلتني فإذا فيها جبريل» أي في السحابه التي قد كانت فوقي كالظلة قوله: «فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم» أي ناداه جبريل عليه السلام مخبراً له أن الله تعالى قد سمع ما قاله القوم من الرد السيئ الشنيع على رسوله ﷺ واعتراضهم عليه لذلك بعث سبحانه رحمة بنبيه وتطييبًا لخاطره وتخفيفًا عليه وتثبيتًا له «ملك الجبال» قال ابن حجر[2]: أي الموكل بها اهـ لتأمره بما تريد فيهم قوله: «فناداني ملك الجبال فسلم عليّ» أي ناداني وألقى عليّ السلام تحية الإسلام قبل الكلام قوله: «ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» قال ابن حجر[2] قوله ذلك: مبتدأ وخبره محذوف وتقديره: كما علمت ـ أي ذلك كما علمت أو كما قال جبريل، وقوله ما شئت «استفهام وجزاؤه مقدر أي إن شئت فعلت اهـ بتصرف يسير قوله: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» قال النووي[1] : هما بفتح الهمزه وبالخاء والشين المعجمتين وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله أهـ وقال الصغاني عن الجبل المقابل: هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان اهـ قال ابن حجر[2] وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما والمراد بإطباقهما أن يلتقيا بمكة ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقا واحداً قوله: فقال النبي ﷺ «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا أي إن لم يسلموا هم فأنا أرجوا أن يكون من أولادهم وذراريهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ﷺ عليك يا حبيبي يا رسول الله =

(١) شرح مسلم ١٢/١٥٥.

(٢) فتح الباري ١٣/٣٧، ٣٨.

مبحث : صبر النبي ﷺ على أذى قومه ورحمته بهم ﷺ

١٣٢ ـ عن شقيق قال قال: عبد الله: كأني أنْظُرُ إلى النَّبِيِّ ﷺ يَحكِي نبيًا من الأنبياء ضَرَبه قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ فهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجهه ويقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لايَعْلَمُونَ**».

= قال الله عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] وقال تعالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾**﴾[2] وفعلاً تحقق ما كان يرجوه ﷺ من دخول كثير منهم الإسلام ومن لم يدخل فكثير منهم دخل أولادهم الإسلام بل والجنة إن شاء الله عز وجل. قال الحافظ في الفتح[3]: وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم**﴾ وقوله ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ والله أعلم.

مبحث صبر النبي ﷺ على أذى قومه ورحمته بهم ﷺ

[١٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦/١١٤، في الديات، باب إذا اعرض الذمي أو غيره، ح٦٩٢٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٢/١٤٩ في الجهاد. باب غزوة أحد.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٢٨٦ في حديث الأنبياء، باب ذكر بني اسرئيل، ح٣٤٧٧ قوله: «يحكى» قال ابن الأثير: حكيت إنسانًا أي فعلت مثل فعله اهـ نهاية ١/٤٢١.

المعنى

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل** =

---

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٢) سورة آل عمران (١٥٩).

(٣) فتح الباري ١٣/٣٧، ٣٨.

= لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] فصبر ﷺ أجمل الصبر وصابر أتم المصابرة بل ورحم وعفا وغفر ودعا وهذا الحديث الشريف يبين لنا نوعًا عظيمًا من أنواع الصبر على حالة من أشد أحوال الأذى الذي لاقاه ﷺ فيقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء قال ابن الأثير[2] : حكيت إنسانًا أي فعلت مثل فعله اهـ قوله: «ضربه قومه فأدموه» أي حتى نزل منه الدم، قوله: «وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» قال الحافظ ابن حجر[3] : لم أقف على اسم هذا النبي صريحًا ويحتمل أن يكون هو نوح عليه السلام ثم قال: وقد ذكر مسلم بعد تخريج هذا الحديث أنه ﷺ قال في قصة أحد: «كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شئ﴾ اهـ قلت هو قبله ليس بعده ولفظه[6] : عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[4] قال النووي[5] : فيه ما كنوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين وقد جرى لنبينا ﷺ مثل هذا يوم أحد. اهـ وقال ابن حجر[3] يحتمل أن ذلك لما وقع للنبي ﷺ ذكر لأصحابه أنه وقع لنبي آخر قبله وذلك فيما وقع له =

---

(١) سورة الأحقاف (٣٥).

(٢) النهاية ١/٤٢١.

(٣) فتح الباري ١٣/٢٨٦: ٢٨٧.

(٤) سورة آل عمران آية (١٢٨).

(٥) شرح مسلم للنووي ١٢/١٥٠.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢/١٤٩ في الجهاد باب غزوة أحد.

مبحث: قول النبي ﷺ في شهداء أحد
«أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»

١٣٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يَجْمَعُ بينَ رَجُلَيْنِ من قَتْلَى أُحُدٍ ثم يقول: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا للقُرْآن؟**» فَإذَا أُشِيرَ إِلى أحَدِهِمَا قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ، فقال: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» فأمر بدفنِهِم بدِمَائِهِم ولم يغسلهم.

= يوم أحد لما شج وجهه وجرى الدم منه فاستحضر في تلك الحالة قصة ذلك النبي الذي كان قبل فذكر قصته لأصحابه تطييبا لقلوبهم اهـ والله أعلم قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾[1] ﷺ والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ في شهداء أحد
«أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»

[١٣٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٦٦ في الجنائز، باب اللحد والشق في القبر، ح١٣٥٣.

قوله: «اللحد» الشّق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت، لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه اهـ نهايه ٤/٢٣٦.

المعنى العام

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١)﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(٢) سورة النساء آية (٤١).

= عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[1] وهنا يقول النبيﷺ عن قتلى أحد «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» أي يشهد بما ظهر من أعمالهم، وفي هذا الحديث يقول جابر رضي الله عنه كان النبيﷺ يجمع بين رجلين - وفي رواية «الرجلين» من قتلى أحد أي من شهداء أحد رضوان الله عليهم قال القسطلاني[2] : في ثوب واحد ويشقه بينهما. اهـ ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن» فيه فضيلة حفظ القرآن الكريم حتى في الدفن فيقدم بفضل القرآن الكريم في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، أما في الدنيا فلما استدل به عمر رضي الله عنه فيما رواه مسلم لما استخلف ابن أبزي قال لمن استخلفه من استعملت على أهل الوادي قال ابن أبْزَي قال: ومن ابن أبزي؟ قال مولى من موالينا. قال فاستَخلَفتَ عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكمﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»[3] أما في البرزخ أي في القبر فلهذا الحديث الذي أتكلم عنه حيث قالﷺ: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن» فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد وأما في الآخرة فقد أخرج مسلم في صحيحه عن النبيﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البرره، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[4] وأما قوله« قدمه في اللحد» ففيه فضيلة اللحد ففي سنن أبو داود عن ابن عباس مرفوعًا: «اللحد لنا والشق لغيرنا»[5] قال ابن حجر[6] : وهو يؤيد فضيلة اللحد =

(١) سورة البقرة آية (١٤٣).

(٢) إرشاد الساري ٢/٤٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/١٤٢ في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.. ح٢٦٩/٨١٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/١٢١ في صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه ح٢٤٤/٧٩٨.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٩/٢٥ في الجنائز، باب اللحد، ح٣١٩٢.

(٦) فتح الباري ٦/٢٦٦.

= على الشق اهـ قال القسطلاني[1] : ولقول سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه في مرض موته «الحدوا لي لحداً وانصبوا على اللبن نصباً كما صنع برسول اللهﷺ» رواه مسلم[2] .قال التوربشتي: أي اللحد هو الذي نختاره والشق اختيار من كان قبلنا، وقال الزين العراقي: المراد بغيرنا أهل الكتاب اهـ ثم قال النبيﷺ: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»، قال ابن الأثير في النهاية[3] : والشاهد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل. فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم. اهـ. قال جابر: «فأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلهم» وذُكر سبب ذلك فيما رواه أحمد[4] عن جابر أن النبيﷺ قال في قتلى أحد: «لا تغسلوهم فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة ولم يصل عليهم[4] قال ابن حجر[5] : فبين الحكم في ذلك ثم قال في قوله: «ولم يغسلهم» واستدل بعمومه على أن الشهيد لا يغسل حتى ولا الجنب والحائض وهو الأصح عند الشافعية، وقيل يغسل للجنابه لابنية غسل للميت لما رُوى في قصة[6] حنظلة بن الراهب أن الملائكة غسلته يوم أحد لما استشهد وهو جنب وقصته مشهورة فلو كان واجباً ما اكتفي فيه بغسل الملائكة، فدل على سقوطه عمن يتولى أمر الشهيد والله أعلم اهـ بتصرف يسير. فاللهم ارزقنا أعمالاً تشرفنا عند شهادة نبيناﷺ علينا يوم القيامة.

---

(١) إشراد الساري ٢/٤٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٤٨ في الجنائز، باب اللحد ونصب اللبن على الميت، ح٩٠/٩٦٦.

(٣) النهاية ٢/٥١٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٩٩.

(٥) فتح الباري ٦/٢٥٩.

(٦) ذكره الهيثمي في الزوائد ٣/٢٣/١١٨ وعزاه للطبراني في الكبير قال وإسناده حسن اهـ وعزى للطبراني ١١/٣٩١ح١٢٠٩٤ من المجمع .

مبحث: رحمة النبي ﷺ حتى بالطير والنمل

١٣٤ ـ عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرَةً معها فَرْخَانِ فأخذنا فَرْخيهَا، فجاءت الحُمَّرَةُ فجلعتْ تَفرُشُ أو تَعْرُشُ فجاءَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «**مَنْ فَجَعَ هَذه بوَلَدهَا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**» ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «**مَنْ حَرَّقَ هَذه**» قلنا: نحن قال: «**إِنَّهُ لاَيَنْبَغي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ**».

---

[١٣٤] أخرجه أبو داود في سننه ٣٣٤/٧، في الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار، ح٢٦٥٨.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٦٧/٢٣٩/٤ في الذبائح، ح٧٥٩٩ وقال صحيح الاسناد.

قوله: «حمرة» بضم الحاء وتشديد الميم، طائر صغير كالعصفور اهـ نهاية ٤٣٩/١.

قوله: «فرخان» تثنية فرخ قال في القاموس: الفرخ ولد الطائر اهـ عون ٣٣٤/٧.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته ﷺ «فرأينا حمرة معها فرخان» أي رأينا عصفوراً معه ولداه فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش قال في عون المعبود[1] قال في اللمعات: بفتح التاء وضم الراء من فرش الطائر إذا فرش جناحيه وبفتحها وتشديد الراء أي تفرش فحذف احدى التاءين أي ترفرفت بجناحيها وتقربت من الأرض اهـ وفيه رحمة الأمهات بأولادهن حتى في الطيور فسبحان من فطر الخلق على هذا ليتربى =

---

(١) عون المعبود ٣٣٤/٧.

الصغير ففي الحديث «حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبة»[1] قوله: «فجاء النبيﷺ» بأبي هو وأمي ففهم حركة الطائر أنها فقدت ولدها وذلك من علامات النبوه فقالﷺ: «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها» وصدق من قال له: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2] يهتم بفرخين لعصفور والناس الآن لا يهتمون بابن آدم فيحرمونه من ذويه ويحرمون ذويه منه بل ولا يرحمون مرضى ولا ضعفاء ولا صغير ولا كبير فلا رحمة إلا رحمة رب العباد سبحانه، حقًا: فلا مصيبة أصيب بها المسلمون أعظم من مصابهم بانتقال نبيناﷺ إلى الرفيق الأعلى، قال في العون: الفجع: أن يوجع الإنسان بشئ يكرم عليه فيعدمه اهـ قوله: «ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه» قلنا نحن قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» وتفصيل الشرح في حديثي البخاري «قرصت نملة نبيًا من الأنبياء... الحديث»[3] وحديث البخاري في صحيحه أيضًا[4] إن النار لا يعذب بها إلا الله عن ابن عباس، إن شاء الله تعالى قال الخطابي[5]: وفي الحديث دلالة على أن تحريق بيوت الزنانير مكروهه، وأما النمل فالعذر فيه أقل وذلك أن ضرره قد يزول من غير احراق قال والنمل على ضربين أحدهما مؤذ ضرار فدفع عاديته جائز، والضرب الآخر الذي لا ضرر فيه وهو الطوال الأرجل لا يجوز قتله اهـ قلت لكن الحديث على عمومه ففيه: نهى رسول اللهﷺ عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدهد[6] والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٧/١٧ في التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح٢٧٥٢/١٧.
(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧).
(٣) أخرجه البخاري في الجهاد ١٢١/١٢ح ٣٠١٩.
(٤) أخرجه البخاري ١١٦/١٢، ح٣٠١٦.
(٥) عون المعبود ٣٣٤/٧.
(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٠٧٤/٢ في الصيد ما ينهي عن قتله، ح٣٢٢٣.

مبحث: في رحمة النبي ﷺ

١٣٥ - عن أنس بن مالك في موت إبراهيمَ ابن النَّبِيِّ ﷺ قال: فدعا النبي ﷺ بالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وقال مَاشَاءَ اللهُ أن يقول، فقال أنس: لَقَدْ رأيتُهُ هو يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بين يدي رسول الله ﷺ فَدَمَعَتْ عينَا رسول الله ﷺ فقال: «**تَدْمَعُ العَيْنُ، ويَحْزَنُ القَلْبُ، ولاَ نَقُولُ إلاَّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا، واللهِ يَا إِبْراهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**».

---

[١٣٥] أخرجه مسلم في صحيحه ١٥/٧٥ في الفضائل، باب رحمته ﷺ وتواضعه.

وأخرجه أبو داود في سننه ٨/٣٩٨ في الجنائز، باب البكاء على الميت.

قوله: «وهو يكيد بنفسه» أي يجود بها يريد النزع اهـ نهاية ٤/٢١٦.

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه عن موت إبراهيم عليه السلام ابن النبي المصطفى سيد الخلق عليه الصلاة والسلام فيقول: «فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه» رحمة منه ﷺ فما بشر يعدله رحمة ﷺ وقد صدق الله تعالى القائل سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] ولكن رحمة لا تتعدى الحدود الشرعية فما زاد على الضم وقول الحق مع الدمع ﷺ: وقال: ما شاء الله أن يقول» أي من الذكر والدعاء فقال: أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ قال النووي[2]: أي يجود بها ومعناه وهو في النزع اهـ «فدمعت عينا رسول الله ﷺ» أي دموع رحمة التي قال فيها النبي ﷺ لما دمعت عيناه الشريفتان يوم ابنة ابنته وسأله سعد فقال ﷺ: «هذه الرحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ولا يرحم الله من عباده إلا =

---

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٢) شرح مسلم ١٥/٧٥.

= الرحماء»[٣] فقال: «أي بعد الدمع» تدمع العين «أي لها أن تدمع رحمة» ويحزن القلب أي هذه فطرته ولا يكلف ما لا يطيق فالحزن أمر فطر عليه القلب إذا أصابه ما يكره «ولا نقول إلا ما يرضي ربنا» هو كقولهﷺ في الحديث السابق في رواية أخرى بعد أن أخبر أن الدمع رحمة «إن الله لا يعذب على دمع العين ولكن يعذب على هذا»[٥] وأشار ﷺإلى لسانه الشريف كذلك الحزن لا يمنع مالم يكن هناك كلام ممنوع ففي الحديث[٤] عن عائشة «لما قتل زيد بن حارثة، وجعفر، وعبد الله بن رواحه جلس رسول اللهﷺ في المسجد يعرف في وجهه الحزن» قوله: «والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون» أي لفراقك لا للقدر، قال النووي: فيه جواز البكاء على المريض والحزن وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل ولهذا قالﷺ: «ولا نقول إلا ما يرضي ربنا» اهـ والله أعلم.

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٢٣٠ في المرضى باب عيادة الصبيان ح٥٦٥٥.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٨/٣٩١ في الجنائز باب الجلوس عند المصيبة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢١٤ في الجنائز، باب البكاء عند المريض ح١٣٠٤.

(٦) شرح مسلم ١٥/٧٥.

مبحث : رحمة النبي ﷺ بأمته وبكائه خوفا عليهم

١٣٦ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾، وقال عيس عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ **فرفع يديه وقال: «اللهم أُمَّتي ،أُمَّتي ، وبكى فقال الله عز وجل ﴿ يا جِبْرِيلُ اذهب إلى مُحَمَّدٍ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ﴾ فأتاهُ جِبْرِيلُ عليه الصلاة والسلام، فسأل فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله : ﴿ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ ﴾.**

[١٣٦] أخرجه مسلم في صحيحة ٣/٧٧، ٧٨ في الإيمان، باب بشارة الأمة.

المعنى

يخبرنا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾(١) فلم يدع لهم عليه السلام إنما وكل الأمر إلى الغفور الرحيم قوله: «وقال عيسى عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾»(٢) أيضا لم يدع لقومه إنما وكل الأمر إلى العزيز الحكيم سبحانه، أما نبينا ﷺ أرحم الناس بالناس سيد العالمين صاحب الشفاعة العظمى وصاحب المقام المحمود قال: «فرفع يديه» للدعاء وقال: «اللهم أمتي أمتي» أي يارب ارحم أمتي ارحم أمتي اقبل شفاعتي في أمتي ولا تعذب أمتي «وبكى» ﷺ دعاء تذلك وخشوع بإخلاص وشفقة وحب ورحمة فقد قال الله تعالى فيه ﴿ وَمَا =

(١) سورة إبراهيم آية (٣٦).

(٢) سورة المائدة آية (١١٨).

= أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3] إي والله لقد فاق الأب شفقة والأم رحمة والريح جودا والبحر كرما صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً قوله: «فقال الله عز وجل» أي في الحديث القدسي: «يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك» أي نادى ربنا عز وجل سيد الملائكه جبريل ليذهب إلى سيد النبيين محمدﷺ والله تعالى أعلم - قيل السؤال بها قبل خلق العالم كله - فسله ما يبكيك يا محمد قوله: فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول اللهﷺ بما قال وهو أعلم» أي أتي جبريل عليه السلام نبيناﷺ وسأله عما مضى من الدعاء والبكاء فأخبره رسول اللهﷺ فقال الله سبحانه وتعالى مجيبا» «يا جبريل اذهب إلى محمد» أي مرة أخرى» فقل: أي قل له «إنا» بنون العظمة والمتكلم ملك الملك، وملك الملكوت الذي قال ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[4] قوله: «فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» أي سنخرج من النار الموحدين ونقبل شفاعة سيد المرسلين وندخل الجنة المؤمنين ونرفع درجات الصالحين وغير ذلك من أنواع الشفاعات التي أعطاها الله سبحانه لنبيناﷺ يوم القيامة العظمى وما دونها وما أعطاها سبحانه لأحاد أمته من الصديقين والشهداء والصالحين والعلماء ونحوهم. قال النووي[5] : هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: كمال شفقة النبيﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفا بما وعدها الله تعالى بقوله «سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها ومنها بيان عظم منزلة النبيﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبيﷺ وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله أعلم، وهذا الحديث موافق لقوله الله عز وجل ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[6] اهـ والله أعلم.

---

(٣) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٤) سورة يس آية (٨٢).

(٥) شرح مسلم ٣/٧٨، ٧٩.

(٦) سورة الضحى آية (٥).

مبحث : شدة شفقة النبيﷺ بأصحابه وحبه الخير لهم

١٣٧ ـ عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبيﷺ قال له يوم توبة الله عليه وهو يبرق وجهه من السرور: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عليك مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**لاَ بَلْ مِنْ عِنْدِ الله**» وكان رسول اللهﷺ إذا سُرَّ إِسْتَنَارَ وَجْهُهُ حتى كأنه قِطْعَةُ قَمَرٍ وكنا نعرف ذلك منه»... الحديث.

---

[١٣٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٥٠، ٢٥١ في المغازي، حديث كعب بن مالك ح٤٤١٨.

المعنى

يخبرنا كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله تعالى عليه أنه قال عندما دخل على النبيﷺ قال: «فلما سلمت على رسول اللهﷺ» أي لما ألقى عليه السلام قال رسول اللهﷺ: أي رد السلام «وهو يبرق وجهه من السرور» أي زاد نوراً على نوره بسبب السرور بالخير الذي نزل من عند الله تعالى بما فرج به عن كعب وأصحابه الذين خلفوا بعد غزوة تبوك، قولهﷺ «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» أي هو خير أيامك منذ ولدت وإن كان يوم إسلامك خير أيامك أيضاً لكن يوم إسلامك أنت واحد كالجم الغفير الذين أسلموا لله رب العالمين أما يوم توبتك فأنت مخصوص بالذكر مع اثنين فقط خصك رب العالمين بنزول الوحي الأمين على قلب خاتم النبيين عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم بكلام يتلى إلى يوم الدين بتوبة الله تعالى عليك وعلى صاحبيك، قال الحافظ(١) : إستشكل هذا الإطلاق بيوم اسلامه فإنه مر عليه بعد أن ولدته أمه وهو خير أيامه، فقيل هو مستثنى تقديراً وإن لم ينطق به لعدم خفائه، والأحسن في الجواب أن يوم توبته مكمل ليوم =

---

(١) فتح الباري ١٦/٢٥٠، ٢٥١.

إسلامه فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها فهو خير جميع أيامه وإن كان يوم إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها والله أعلم اهـ قال: قلت: «أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله» لأنه سبحانه هو صاحب التوبه وحده لا يشركه فيها أحد قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3] لذلك قال النبيﷺ «لا» أي ليست من عندي ولا أملكها «بل هي من عند الله» أي هو وحده سبحانه الذي يملكها قوله: «حتى كأنه قطعة قمر» وقيل لم يقل كأنه قمر وقد عرف من التشبيه في كلام البلغاء بأنهم يشبهون الوجه بالقمر كله قال الحافظ[1] : أنه للإشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين وفيه يظهر السرور كما قالت عائشة: «مسرورا تبرق أسارير وجهه» فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر وكنا نعرف ذلك منه «أي فيه» كما في رواية[1]، وفيه ما كان النبيﷺ عليه من كمال الشفقة على أمته والرأفة بهم والفرح بما يسرهم وعند ابن مردويه من وجه آخر عن كعب بن مالك «لما نزلت توبتي أتيت النبيﷺ فقبلت يده وركبته» اهـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١٦/٢٥٠، ٢٥١.

(٢) سورة الشوري آية (٢٥).

(٣) سورة آل عمران آية (١٣٥).

مبحث : في تواضع النبي ﷺ

١٣٨ ـ عن عمر أنه إستأذن النبي ﷺ في العُمرة فقال: «أي أُخَيَّ أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ وَلاَ تَنْسَنَا».

---

[١٣٨] أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٧ في الدعوات، ح٣٦٣٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المعنى

يخبرنا عمر رضي الله عنه أنه إستأذن النبي ﷺ في العمرة أي في الخروج إلى العمرة وفيه أدب أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ فقال: ـ أي النبي ﷺ ـ لعمر بعد أن أذن له «أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا» أي ادع لي في حرم الله تعالى وأثناء سفرك بالخير فإن ذلك مظنة الإجابة إن شاء الله تعالى، ودعاء النبي ﷺ أعظم بركة وأكثر نفعًا من دعاء عمر بكثير ولكنه تواضع النبي ﷺ وإظهار العبودية لله تعالى والخوف منه والخشوع له ولتعليم أصحابه وليسن السنن الشرعية لتقتدي به أمته ﷺ وهذا من حسن خلقه أيضا ﷺ مع أصحابه ولزيادة التأليف لقلوبهم وتطييبًا لخواطرهم وترقيقًا لقلوبهم ولزيادة الخوف فيها من المولى عز جل قال الله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)** ﴾[١] قال صاحب التحفة[٢] : فقال ـ أي النبي ﷺ ـ «أي أخي» بالتصغير وهو تصغير وتلطف لا تحقير «أشركنا» يحتمل نون العظمة أو أن يريد نحن وأتباعنا «في دعائك» فيه إظهار الخضوع والمسكنة في مقام العبودية بالتماس الدعاء ممن عرف له الهداية وحث الأمة على الرغبة في دعاء الصالحين وأهل العبادة وتنبيه لهم على أن لا يخصوا أنفسهم بالدعاء ولا يشاركوا فيه أقاربهم وأحباءهم لا سيما =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(٢) تحفة الأحوذي ١٠/٧، ٨.

مبحث: من كان يحب النبيﷺ فليحب أصحابه

١٣٩ ـ عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول اللهﷺ: «اللهَ اللهَ في أَصْحَابي لاَ تَتَّخِذُوهمْ غَرَضًا بعْدي، فَمن أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُم، ومن أَبْغَضَهُم فَبِبُغْضِي أبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُم فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى الله، وَمَنْ آذَى الله يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

= في مظان الإجابة وتفخيم لشأن عمر وإرشاد إلى ما يحمي دعائه من الرد «ولا تنسنا» تأكيد أو أراد به في سائر أحواله اهـ والله أعلم.

مبحث: من كان يحب النبيﷺ فليحب أصحابه

[١٣٩] أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٦٥ في المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبيﷺ، وقال: حسن غريب.

وأخرجه أحمد في المسند ٤/٨٠٧.

قوله: «غرضا»: الغرض: الهدف اهـ نهاية ٣/٣٦٠.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «الله الله في أصحابي» يحذر نبيناﷺ من يتعرض لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم بأذى فهم الناس الذين مهدوا الطريق لخير الناس كي يسير بنور الوحي ليضع أساس صرح الإسلام العظيم ورفع بهم البناء حتى تمَّ وكمل وازين وظهر على الدين كله قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾[1] قال صاحب التحفة: «قوله: «الله الله في أصحابي» بالنصب =

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).

= فيها أي اتقوا الله ثم اتقوا الله «في أصحابي» أي في حقهم، والمعنى لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم اهـ وفي الحديث الصحيح «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2] وقوله: «لا تتخذوهم غرضا» أي لا يكونوا هدفكم لمسبتكم وغيظكم وبغضكم كيف هذا والله مدحهم وزكاهم واختارهم لصحبة نبيهﷺ قال صاحب التحفة[3] «لا تتخذوهم غرضا» بفتح الغين المعجمة والراء أي هدفًا ترموهم بقبيح الكلام كما يرمي الهدف بالسهم اهـ قوله: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم» أي من يحبهم فهو من حبه وبسبب حبه لرسول اللهﷺ فهم أحبابه فالمحب يحب حبيب المحبوب ويبغض ما يبغضه ومن يبغضه قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (31) ﴾[4] وقال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ** ﴾[5]، قال في التحفة[3]: «فبحبي أحبهم» أي بسبب حبه إياي أحبهم أو بسبب حبي إياهم أحبهم «ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» أي إنما أبغضهم بسبب بغضه إياي اهـ. قوله: «ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» الذي يؤذيهم بأي نوع من أنواع الأذى فقد أغضب رب العالمين في علاه لأنه قد آذى النبيﷺ بإيذاء أحبابه وأصحابه وقد أغضب الله تعالى بإغضاب نبيهﷺ لذلك قال: «ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» قال في التحفة[3] أي يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة اهـ والله نعوذ بالله من بغض ما يحبه الله ورسوله ونسأله تعالى أن نحب كل ما يحبه الله ورسوله ﷺ والله أعلم.

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٧٠ ح ٣٦٧٣.
(٣) تحفة الأحوذي ١٠/٣٦٥.
(٤) سورة آل عمران آية (٣١).
(٥) سورة المتحنة آية (١).

مبحث: شفقة النبي ﷺ بأمته ورحمته بهم

١٤٠ ـ وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ صلى ذَاتَ ليلةٍ في المسجدِ فَصَلَّى بصلاتِهِ نَاسٌ، ثم صَلَّى من القابلة، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثم اجْتَمَعُوا من الليلة الثالثة، أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: **«قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُم ولَمْ يمنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلاَّ أني خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عليكُم وذَلِكَ فِي رمضَانَ».**

[١٤٠] أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٦، كتاب التهجد، باب ترك القيام للمريض، ح١١٢٩.

المعنى

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] حقًا كان ﷺ رحمة مهداة فأرسل بالرحمة وتكلم بالرحمة ومشى بالرحمة ودعا بالرحمة بل بلغت فيه الرحمة أعلى مبلغًا فقاتل عدوه بالرحمة فنهى عن المثلة ونهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ هذا بالعدو فما بالنا بالمحب المؤمن ـ من مظاهر رحمته ﷺ التي يقف القلم عن تدوينها ويكل اللسان عن النطق بها بل وتعجز العقول عن إحصائها ـ من مظاهرها تلك الحالة التي في هذا الحديث فنبينا ﷺ يحب عبادة الله تعالى وهو أعبد الناس لله وأتقاهم له ﷺ ويحب من أصحابه أن يعبدوا الله تعلى حق عبادته ولكن من رحمته بهم وشفقته عليهم أنه خاف أن يفرض عليهم شيء فيعجزوا عنه فيهلكوا إذا عصوا الله رب العالمين فقد صلى ﷺ صلاة ليل مرة فصلى بصلاته ناس ثم أخبروا بعضهم فلما صلى من الليلة التي بعد الأولى كثر الناس فلما اجتمعوا الليلة بعدها وجدوه لم يخرج للصلاة بهم كما خرج إليهم من قبل فحصبوا بابه فلم يخرج أيضًا وظنوا أنه خفي عليه مكانهم لكنه ﷺ لما خرج إليهم في الصباح =

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

مبحث : في رفق النبيﷺ وتيسيره مالم تنتهك حرمات الله تعالى

١٤١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي، فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبيﷺ: **«دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا على بوله سَجْلاً من ماءٍ، أَوْذَنُوبًا من ماءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»**.

= أخبرهم أنه ما خفى عليه مكانهم ولا صنيعهم وما كان مانع من الخروج إليهم إلا أنه خشى عليهم وأشفق عليهم من أن تصبح صلاة الليل فريضة عليهم فإذا فرضت كان من ترك قد عصى والعياذ بالله تعالى فيهلك إنما هو نافلة فمن صلى ازداد قربًا ومن ترك فلا إثم عليه، صلى الله عليه وسلم وآله تسليمًا كثيرًا.

مبحث : في رفق النبيﷺ وتيسيره مالم تنتهك حرمات الله تعالى

[١٤١] أخرجه البخاري في صحيحه ٢/١١٤ في الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد ح٢٢٠.

قوله: «هريقوا»: في الروايات «أهريقوا» وفي بعضها «أريقوا» أي صبوا اهـ شرح الكرماني ٣/٤٥.

قوله: «ذنوبًا» الذنوب بفتح الذال المعجمة بعدها نون وآخرها موحدة تحتانية: الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوبًا إلا إذا كان فيها ماء اهـ ٢/١٧١.

قوله: «سجلاً» بفتح السين المهملة بعدها جيم ساكنة: قال ابن الأثير: السجل: الدلو الملأى ماءً اهـ نهاية ٢/٣٤٤.

المعنى

كان أرحم الناس بالناسﷺ وقد قال له الله عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] ويبين لنا هذا الحديث مدى الرحمة التي انبعثت منه ﷺ حيث =

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

= الفعل من الأعرابي شديد والحرمة للمسجد عظيمة والصحب ثائرون ومع ذلك كله يقول ﷺ «دعوه.. الحديث» الذي يقصه علينا أبو هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس، فصلى، فلما فرغ قال: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحد فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «لقد تحجرت واسعًا» فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي ﷺ: «أهريقوا عليه سجلاً من ماء أو دلواً من ماء»، ثم قال: «إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين» ذكر ابن حجر من طريق ضعيفة أن اسم الأعرابي ذو الخويصره وذكر قولاً أنه الأقرع، وقولا أنه عيينة ابن حصن ثم قال والعلم عند الله تعالى اهـ فلما بال في المسجد تناوله الناس لما انتهك من حرمة المسجد الشريف بل وقاموا إليه ففي البخاري «فثار إليه الناس»[3] وفي رواية «فزجره الناس»[4] فقال النبي ﷺ بلسان الرحمة الذي أرسل به ﷺ «دعوه وهريقوا» يعني صبوا على بوله «ذنوبًا» أي دلواً ملآى بالماء فهذا هو طهارتها فقال ابن حجر[5] : وفيه أن الأرض تطهر بصب الماء عليها ولا يشترط حفرها خلافًا للحنفية اهـ وقال الكرماني: قال الخطابي: فيه دليل على أن الماء إذا ورد على النجاسة على سبيل الغلبة لها طهرها وأن غسول النجاسة مع استهلاك عين النجاسة بأوصافها طاهر لو لم يكن كذلك لكان الغاسل لموضع النجاسة من المسجد أكثر تنجيساً له من البائل ثم قال: وقال سفيان الثوري: لم نجد في أمر الماء إلا السعة، وقال في المعالم: وإذا أصابت الأرض نجاسة ومطرت مطراً عاماً كان ذلك مطهراً لها وفيه دليل على أن أمر الماء على التيسير والسعة في إزالة النجاسة حيث قال: =

---

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١/٤٥٧ في الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ح١٤٧ قال حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الأدب ٢٢/٣٢٨، باب ما لا يستغنى من الحق للتفقه في الدين، ح٦١٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/١١٥ في الوضوء، باب يهريق الماء على البول، ح٢٢١.

(٥) فتح الباري ٢/١١٦.

= بعثتم ميسـرين اهـ ثم قال النبي ﷺ مبينًا لهم سبب الأمر بتركه: «فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» وقال الكرماني[٦] : حال، والمبعوث رسول الله ﷺ لما كانت الصحابة مقتدين به ومهتدين بهديه كانوا مبعوثين أيضًا باعتبار ذلك اهـ وقال الحافظ في الفتح[٧] : إسناد البعث إليهم على طريق المجاز لأنه هو المبعوث ﷺ بما ذكر لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك إذ هم مبعوثون من قبل ذلك أي مأمورون، وكان ذلك شأنه ﷺ في حق كل من بعثة إلى جهة من الجهات يقول: «يسروا ولا تعسروا»[٨] ثم قال: وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الاحتراز من النجاسة كان مقرراً في نفوس الصحابة، ولهذا بادروا إلى الانكار بحضرته ﷺ قبل استئذانه، ولما تقرر عندهم أيضا من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستدل به على جواز التمسك بالعموم إلى أن يظهر الخصوص، قال ابن دقيق العيد: أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، وفيه المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال المانع اهـ والله أعلى وأعلم.

---

(٦) شرح البخاري للكرماني ٣/٧١.

(٧) فتح الباري ٢/١١٥، ١١٦.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٢٥٧ في العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة كي لا ينفروا ح٦٨.

مبحث: في رحمة النبي ﷺ بأمته وزهده في الدنيا

١٤٢ ـ عن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف... فقلت يا رسول الله: ألاَ سألت رَبَّكَ مُلْكًا كملك سليمان؟ فضحك وقال: **«لَعَلَّ لِصَاحِبِكُمْ عند الله أَفْضَلَ من مُلْك سُلَيْمَانَ إنَّ الله لَمْ يَبْعَثْ نبيًا إلا أعطاه دعوةً فمنهم من اتَخَذَ بها دنْيَا فأعْطِيهَا، ومنهم من دعا بها على قومه فأهْلكوا بها وَإِنَّ الله أَعْطَانِي دعْوَةً فاختبأتها عِندْ رَبِّي شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيَامة»**.

[١٤٢] أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٦٨/١٣٨ في الإيمان ح٢٢٦.

ذكره ابن حجر في المطالب العالية ٤/٣٨٧.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٦٧٣ ح١٨٤٩٧ وقال: رواه الطبراني والبزار ورجالهما ثقات اهـ وهو بلفظ الحاكم.

المعنى

يخبر عبد الرحمن بن أبي عقيل رضي الله عنه أنه أتى رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فقال: يا رسول الله «ألا سألت ربك ملكًا كملك سليمان» أي ألا دعوت الله تعالى أن يعطيك مع النبوة ملكًا يشبه ملك نبي الله سليمان بن داود ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام «فضحك» ﷺ لعله على عدم علم الرجل بأنه عند نبينا ﷺ ما ليس عند غيره من الأنبياء والمرسلين عند رب العالمين وعدم تذكره بأن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة وقال رسول الله ﷺ: «لعل لصاحبكم» أي يقصد نفسه الشريفة ﷺ «عند الله أفضل من ملك سليمان» أي في الآخرة فكما تقدم أن نبينا ﷺ أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر[١] وأنه أول شافع وأول مشفع وأنه سيد ولد آدم[٢] ﷺ وأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول الناس خروجًا إذا

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ١٢/٤٢٦ في السنة، باب التخيير بين الأنبياء عليهم السلام.

= بعثوا، وأنه خطيبهم إذا وفدوا[1] وأنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة وأنه يدخل الجنه من أمته مالم يدخله من الأمم قبلها وأنه في الدنيا أيضا صعد إلى سدرة المنتهى ولم يبلغها أحد من الأنبياء قبله ﷺ وغير ذلك من المناقب التي فضل بها على سليمان وداود وكل الأنبياء فضلاً عن غيرهم بلا خلاف في ذلك وقد ذكر في هذا الحديث نوعًا واحدًا من الأفضليات وهو المقام المحمود الذي يحمده فيه الناس كلهم يوم القيامة حيث يقول كل نبي - كما سيأتي إن شاء الله تعالى في حديث الشفاعة نفسي نفسي ويقول نبينا ﷺ «أنا لها أنا لها فأخر ساجدًا لربي ... الحديث» فقال لذكره هذه المنقبة العظيمة رادًا على ابن أبي عقيل «أن الله لم يبعث نبينا إلا أعطاه دعوة» أي مستجابة، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها يقصد ﷺ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾﴾[2] قال: «ومنهم من دعا بها على قومه فأهلكوا بها» هو نوح عليه السلام قال تعالى عنه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[3] قال ﷺ: «وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة» هي الشفاعة وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى له فيه ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[4] والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٧٩ في المناقب وقال حسن غريب ح٣٦٨٩.

(٢) سورة ص آية (٣٥) إلى آية (٤٠).

(٣) سورة نوح آية (٢٦) (٢٧).

(٤) سورة الأسراء آية (٧٩).

تنبيه: ليس المقصد من قوله ﷺ «فمنهم من اتخذ بهادنيا فأعطيها» حب الأنبياء عليهم السلام الدنيا، ولكن كانت دعوتهم بشيء من أمور الدنيا لطلب الآخرة بها وقد دعوا بها في الحياة الدنيا أما نبينا ﷺ فادخر دعوته كلها وقتا وطلبا للآخره والله أعلم.

مبحث : المرء مع من أحب يوم القيامة

١٤٣ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عن الساعة فقال: مَتي السَّاعةُ؟ قال: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قال: لاَ شَيءَ إلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فقال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قال «أنس: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيءٍ فَرَحْنَا بقول النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قال أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

---

[١٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٩/١٤ في المناقب، باب مناقب عمر ابن الخطاب، ح٣٦٨٨.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٦٩/٢٢ في الأدب، باب علامة الحب في الله تعالى ح٦١٧١.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨٧/١٦ في البر، باب المرء مع من أحب.

المعنى

إن لقاء الأحبه يهون وحشة الغربة ويخفف الشدة ويلطف الأحوال الصعاب ويبث الأنس خاصة مع أهوال يوم القيامة وكرب الطامة، قال ابن رجب الحنبلي[1] : قال الحسن: لما كرهت الأنبياء الموت هون الله ذلك عليهم بلقاء الله وبكل ما أحبوا من تحفة أو كرامة حتى إن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له وفي المسند[2] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنه ليهون على أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة» وفي هذا الحديث الطيب يقول أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة قال ابن حجر[3] : هو ذو الخويصرة اليماني اهـ قوله: فقال: متي الساعة أي متي تقوم كما قال الله ﴿يسألونك =

---

(١) لطائف المعارف ص١١١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٨/٦ من طريق إسحاق بن طلحه عن عائشة بدون ذكر الموت.

(٣) فتح الباري ١٨٩/١٤.

عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[1] لذلك كانت إجابة النبي ﷺ عن المطلوب وهو الاستعداد لا معرفة الميعاد فقال: «وماذا أعددت لها» قال الكرماني[2] سلك مع السائل أسلوب الحكيم وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم اهـ «قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ» فيه ذكاء السائل وأن الله تعالى قد أكرمه ووفقه لعمل قليل لكن عند الله من أعظم الأعمال فهو عمل قلبي تخضع له الجوارح بالطاعة وينال به حب الله تعالى وإكرامه قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[3] قوله: فقال: «أنت مع من أحببت» وقال النووي[4] فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية اهـ قوله: «قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم» أي لما سمع أنس هذه البشارة وهي قول النبي ﷺ للأعرابي «أنت مع من أحببت» علم أن الخطب يسير فلم يفرحوا بشيء كما فرحوا بتلك البشرى حيث أنهم سيكونون على قرب من أعظم محبوب خلقه الله تعالى وهو رسول الله ﷺ فذاك نعيم من أعظم النعيم الأخروى في جنة الله تعالى حيث يلقى المحب رسول الله ﷺ ويحدثه ويجالسه - اللهم لا تحرمنا فنحن محبون ضعفاء عن اللحوق بالأعمال فأدخلنا في من أدرك بالحب يارب العالمين - وليس معنى هذا التساوي في المراتب، هيهات هيهات ولكنها المشاهدة والمجالسة واللقاء والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الأعراف (١٨٧).

(٢) فتح الباري ١٤/١٨٩.

(٣) سورة آل عمران آية ٣١.

(٤) شرح مسلم ١٦/١٨٦.

مبحث :بكاء الأنصار لفراق مجلس النبي ﷺ

١٤٤ ـ عن أنس بن مالك قال: مَرَّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجلس الأنْصَارِ وهم يبْكُونَ فقال: ما يُبْكِيكُمْ؟ قالوا: ذكرنا مجلسَ النَّبيِّ ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عَصَبَ على رأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أُوصِيكُمْ بالأَنصَار فَإِنهمْ كِرشِي وَعَيبْتي وقد قَضَوُا الذي عليهم وبقى الذي لهم فاقْبَلُوا من مُحْسِنِهِمْ وتَجَاوَزُوا عن مُسِيئِهِمْ**».

---

[١٤٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٣/١٤، في مناقب الأنصار، باب قول الله عز وجل ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. الآية**﴾ ح٣٧٩٩.

وأخرجه مسلم في صحيحة مختصراً ٦٨/١٦ في فضائل الصحابة، باب فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم قوله: «عصب» قال ابن الأثير في «العصائب والتساخين» وهي كل ما عصبت به رأسك من عمامة أو منديل أو خرقه اهـ نهاية ٢٤٤/٣.

قوله: «كرشي» قال الخطابي: ضرب مثلا بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه اهـ.

قوله: «وعيبتي» قال أيضا والعيبة: وعاء ومعروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها ضربها مثلا لأنهم أهل سره وخفى أحواله اهـ شرح النووي ٦٨/١٦.

المعنى

قال الله عز وجل لنبينا ﷺ ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم**﴾[١] فلما لان ﷺ لهم، =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٥٩).

= ورحمهم، وعلمهم، وأكرمهم، امتلأت قلوبهم محبة له وتواضعًا فعملت الجوارح بمقتضى ما في القلب، فالتزمت طاعته، فلما مرض ﷺ مرضه الأخير افتقدوا ما كانوا يجدونه من النور والهداية والبركة والخير بمجرد احتجاب ساعات، فعرفوا: أنه إذا توفى افتقدوه كل الساعات فبكوا، فلما رأى أبو بكر والعباس بكاءهم أخبروا حبيبهمﷺ بعد أن سألهم «ما يبكيكم»؟ قال ابن حجر[٢] : لم أقف على اسم الذي خاطبهم بذلك هل هو أبو بكر أو العباس ويظهر لي أنه العباس اهـ قوله: قالوا: «ذكرنا مجلس النبيﷺ منا» قال ابن حجر[٢] أي الذي كانوا يجلسون معه وكان ذلك في مرض النبيﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حزنًا على فوات ذلك قوله: «فدخل على النبيﷺ فأخبره بذلك» قال ابن حجر: كذا أفرد بعد أن ثنى والمراد به من خاطبهم وقد قدمت رجحان أنه العباس لكون الحديث من رواية ابنه وكأنه إنما سمع ذلك منه اهـ قلت بل الحديث من رواية أنس وليس ابن عباس رضي الله عنهم. قوله: «قال: فخرج النبيﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد» قال ابن الأثير[٣] العصائب: كل ما عصبت به رأسك من عمامة أو منديل أو خرقة اهـ قوله: «قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم» لأنه كان في مرض موته ﷺ بأبي وأمي ونفسي قوله: «فحمد الله وأثنى عليه» سنتهﷺ في كل خطبة حاجة قوله: «ثم قال: أوصيكم بالأنصار» قال ابن حجر[٢] استنبط منه بعض الأئمة أن الخلافة لا تكون في الأنصار لأن من فيهم الخلافة يوصون ولا يوصي بهم ولا دلالة فيه إذ لا مانع من ذلك اهـ قلت به فيه دلالة وقد حدث كما تنبأ بذلكﷺ قوله: «فإنهم كرشي وعيبتي» قال النووي[٤] قال العلماء معناه: جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم واعتمدهم في أموري، قال الخطابي: ضرب مثلا بالكرش لأنه مستقر =

(٢) فتح الباري ١٤/٢٧٣.

(٣) نهاية ٣/٢٤٤.

(٤) شرح مسلم ١٦/٦٨.

مبحث: قول النبي ﷺ عن الحسن
«اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»

١٤٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال للحسن: «**اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**».

= غذاء الحيوان الذي يكون به بقاءه، والعيبة وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها، ضربها مثلاً لأنهم أهل سره وخفي أحواله اهـ قوله: «وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم» قال ابن حجر[1] يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة فإنهم بايعوا على أن يؤوا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة فوفوا بذلك اهـ قوله: «فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم «أي اقبلوا الخير من فاعله منهم فهو محسن بفعله الخير وتجاوزوا عمن أساء ما لم يكن أمراً يقتضي حداً قال النووي[2] والمراد بذلك فيما سوى الحدود اهـ والله أعلم.

مبحث قول النبي ﷺ عن الحسن
«اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»

[١٤٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٩٦/٢٢ في اللباس، باب السخاب للصبيان ح٥٨٨٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤/١٥ في فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «اللهم إني أحبه» أي أنا يارب قلبي يحبه ويميل إليه ويسعد لسعادته ويرضى لرضاه وراض عنه «فأحبه» بالدعاء فعل مجزوم أي أحبه أنت يارب فاجعله =

---

(١) فتح الباري ٢٧٣/١٤.

(٢) شرح مسلم ٦٨/١٦.

= من أهل الصلاح الذين تحبهم ويحبونك فترضى عنهم وتسعدهم في الدارين فاستجاب الله تعالى دعاء النبيﷺ فكان الحسن محبوباً صاحب ود في قلوب المؤمنين أيامه بل وإلى الآن لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وقد قال فيه النبيﷺ: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1] ثم دعا النبيﷺ لكل من أحبه أي لله لا لعصبية ولا لتشابه اسم أو نحوه فقال: «وأحب من يحبه» أي اجعل من يحبه يارب محبوباً عندك، فاللهم ارزقنا حبك وحب أحب الناس إليك ﷺ وحب أحباب أحب الناس إليك ﷺ قال النووي[2] : فيه حث على حبه وبيان لفضيلته رضي الله عنه اهـ وفي رواية مسلم «وأحبب» بفك الإدغام، وقال الحافظ[3] : وفي الحديث منقبة للحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ اهـ والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٣/١٤ في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين ح٢٧٤٦.
(٢) شرح مسلم ١٩٢/١٥.
(٣) فتح الباري ١٩٨/٩.

مبحث : بكاء معاذ جزعًا لفراق النبي ﷺ

١٤٦ ـ عن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: «**يَا مُعَاذُ: إِنَّكَ عَسَى أَنْ لاَتَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي**» فبكى معاذٌ جَشَعًا لِفَرَاقِ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا**».

[١٤٦] أخرجه أحمد في المسند ٢٣٥/٥ من طريق عاصم بن حميد عن معاذ.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦/٣ وقال رواه البزار ورجاله ثقات اهـ ولم يخرج قوله: «إن أولى الناس» وهناك أيضًا زيادة «لا تبك...» وهو عن معاذ أيضًا.

قوله: «جشعًا» الجشع: الجزع لفراق الإلف اهـ نهاية ٢٧٤/١.

المعنى

يخبرنا معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته «أي تواضعًا منه ﷺ ولعلها الوصية التي وردت في الحديث الصحيح «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٦/١، ١٩٧ في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

قوله «فلما فرغ» أي من الوصيه قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا» أي يقصد رسول اللهﷺ أنه سينتقل إلى الرفيق الأعلى فيتوفاه الله عز وجل كما قال لفاطمة ابنته رضي الله عنها بإحساسه بقرب أجله لظهور آية ذلك وليس علماً بالغيب لكنها علامات فقال: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي، فبكيت.. الحديث»(1) وحق لفاطمة ومعاذ أن يبكيا جشعًا وجزعًا لفراق سيد الأحبة وسيد العالمين من استنارت الأرض ببعثته وأظلمت كثيرًا بموتهﷺ لذلك لما قال: «فلعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري» أي وأنا لست في الدنيا فلا تجدني «فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول اللهﷺ» ولو مات معاذ جزعًا لفراق رسول اللهﷺ فلا لوم عليه وله العذر في ذلك لقد كان صلى الله عليه وسلم كالشمس لهم والهواء لصدورهم والماء لأرواحهم فضلاً عن أن يزيد، وهذا ليس مبالغة بل جزء من الحقيقة ألم يقل الله تعالى له ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾(2) فأحيا قلوبهم بالروح وهداهم بالنور ﷺ «ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» ليعم كل تقي فإنه وليه النبيﷺ وناصره ومتولي أموره يهتدي بهديه ويستن بسنته ولا يطرف إلا بإذن من طريق شرعه وهديهﷺ والله أعلم.

(1) متفق عليه في البخاري ١٤/١٢٤ في علامات النبوة ح٣٦٢٣، ٣٦٢٤ ومسلم ١٦/٥، ٦ في فضائل الصحابة.

(2) سورة الشورى آية (٥٢)، (٥٣).

مبحث: أحب الناس إلى النبي ﷺ

١٤٧ ـ عن عمرو بن العاص أنه قال لرسول الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: «عَائِشَةُ» قلت «من الرِّجال» قال: «أَبُوهَا» قلت: ثم من؟ قال: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالاً فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجعلَنِي فِي آخِرِهِمْ.

---

[١٤٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/١٩٦ في المغازي باب غزوة ذات السلاسل، ح٤٣٥٨.

وأخرجه البيهقي في سننه ٦/٣٧٠/٦٠١ في قسم الفيء والغنيمة، باب إعطاء الفيء على الديوان ح١٣١٠٠.

المعنى

يروي لنا عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «أي الناس أحب إليك» أي أي المسلمين أكثر حبًا منك له يا رسول الله وذلك أنه لما أمَّره النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل ظن رضي الله عنه أنه ما أُمِّر إلا لفضل فيه على المأمورين وليس كذلك فالتأمير لحكمة عند النبي ﷺ يعلمها هو فقد أخرج البيهقي[1] عنه رضي الله عنه أنه قال: «فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب الناس إليك.. الحديث» وهناك أيضا رواية للبيهقي[1] تبين اسم الغزوة وسبب السؤال ففيها: أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل قوله: «قال: عائشة» أي هي أحب الناس إليَّ رضي الله عنها لذلك قال النبي ﷺ عند موته «إنه ليهون على أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة» وقد تقدم في وفاة النبي ﷺ وأخرجه أحمد في المسند قوله: «قلت» من الرجال؟ أي يا رسول الله إنما أقصد من أحب الناس إليك من الرجال أي ليكون هو أو منهم قوله: قال: «أبوها» =

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ١٠/٣٩٤ في الشهادات، ح٢١٠٧١.

أي أبو عائشة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه فليس للإمارة معنى إذًا في التفضيل إنما الحب لله وفي الله ومن الله ففي البخاري «باب المقة من الله» هو حديث أخرجه أحمد[1] في المسند فيه قال رسول الله ﷺ: «المقة في السماء فإذا أحب الله عبداً قال (إني أحببت فلانًا فأحبوه قال: فتنزل له المقة..» فهذه المنزلة إنما هو بفضل أكرم الأكرمين الذي شرح صدر النبي ﷺ لذلك قال النبي ﷺ إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، فينادى جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض[2] فأبو بكر فاز بها فهو صاحب ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3] وغيرها الكثير قوله: «ثم من» أي بعد الصديق رضي الله عنه قال ﷺ: «عمر» أي بعد أبو بكر الملهم المحدث صاحب الموافقات الذي قال فيه نبينا ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»[4] قوله: «فعد رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم «أي تركت السؤال لعدم ذكرى فيما مضى فخفت أن يجعلني آخر المذكورين لذلك عزم على عدم الرجوع لمثل هذا السؤال وهذا الموقف العصيب عليه رضي الله عنه فعند البيهقي قال: قلت في نفسي لا أعود لمثلها اسأل عن هذا قال الحافظ[5]: فيه منقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم لكن يقتضي أنه له فضلا في الجملة اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٩/٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٩/٢٢ في الأدب ح٦٦٤٠ من حديث أبي هريره مرفوعًا.

(٣) سورة براءة آية (٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٩/١٤، ١٩٠ في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ح٣٦٨٩.

(٥) فتح الباري ١٩٦/١٦.

مبحث: فاطمة وابناها أسياد في الجنة

١٤٨ ـ عن حذيفة قال: سَأَلَتْني أمي متي عهدك؟ تعني بالنبي ﷺ فقلتُ مالي به عهد منذ كذا وكذا، فنالت مني فقلت لها: دعيني آتى النبي ﷺ فأصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك. فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال: **«من هذا حذيفة؟»** قلت نعم قال: **«ما حاجتك غفر الله لك ولأمك»؟ قال: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**.

---

[١٤٨] أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٢٨٤ في المناقب، ح٣٨٧٠ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وأخرجه أحمد في المسند ٥/٣٩١.

قوله: «فنالت منه» أي وقعت فيه، نال ينال نيلاً إذا أصاب فهو نائل اهـ نهاية ٥/١٤١.

قوله: «انفتل» أي انصرف اهـ تحفة ١٠/٢٨٤.

المعنى

يخبرنا حذيفة رضي الله عنه عن أمه أنها سألته متى عهدك تعني بالنبي ﷺ «أي متى رأيت» النبي ﷺ وسلمت عليه قال صاحب التحفه[1]: قول: «متي عهدك بالنبي ﷺ» يقال: متى عهدك بفلان أي متى رؤيتك إياه اهـ قوله: «فقلت مالي عهد به منذ كذا وكذا» أي منذ كذا وكذا يوم أو ساعة لم تكتحل عيناي برؤيه نور

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠/٢٨٤.

= المصطفى ﷺ ولعل حذيفة كان في حاجة شديدة منعته من لقاء النبي ﷺ فقد كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم ما يطيقون مفارقته ﷺ قوله: «فنالت مني» زاد أحمد «وسبتني» إنها نعم الأم تعتب على إبنها وتنال منه بسبب البعد عن رسول الله ﷺ والخير، فأين أمهات وآباء زماننا فاللهم عفواً وغفراً قال في التحفة[1]: قوله: «مالي» أي ليس لي قوله «فنالت مني» أي ذكرتني بسوء اهـ قوله فقلت لها دعيني آتي النبي ﷺ فاصلي معه المغرب واسأله أن يستغفر لي ولك» وعند أحمد «ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك» أي لا أزال ألح عليه حتى يدعولي ولك بالمغفرة قوله: «فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء» قال في التحفة[1] قوله: «فصلى حتى صلى العشاء» فصلى أي النبي ﷺ النوافل اهـ قوله: «ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي» وعند أحمد «ثم انفتل فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فأتبعته فسمع صوتي» قال في التحفة[1]: ثم انفتل: أي انصرف «فتبعته» بكسر الموحدة أي مشيت خلفه فسمع صوتي أي صوت حركة رجلي اهـ لأن النبي ﷺ كان لا يلتفت إلا نادراً قوله: فقال: «من هذا حذيفة؟» قلت نعم قال: «ما حاجتك غفر الله لك ولأمك» وعند أحمد قال مالك «فحدثته بالأمر فقال غفر الله لك ولأمك» كأن هناك حذف في رواية الترمذي أو أن النبي ﷺ دعا له أولاً من علامات النبوة ثم سأله حاجته فأخبره فدعا له ثانيًا وهذا أرجح والله أعلم قوله: «قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم على ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» أي أن هذا الملك نزل على رسول الله ﷺ مستأذنًا ربه في ذلك وأن يبشر النبي ﷺ بأن ابنته فاطمة رضي الله عنها سيدة النساء في الجنة لذلك قال لها النبي ﷺ لما أخبر بوفاته وبكت «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت»[2] وقال =

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠/٢٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٢٤ في علامات النبوة في الإسلام، ح٣٦٢٣، ٣٦٢٤.

مبحث: من أحب النبي ﷺ وأهل بيته دخل الجنة

١٤٩ ـ عن علي بن أبي طالب: أن النبي ﷺ أخذَ بيدِ حسن وحسين قال: «**مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

= النبي ﷺ أيضًا عن الحسن: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1] وعند أحمد: قال: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل قلت بلى قال: فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة فاستأذن ربه أن يسلم علي.. الحديث» وفي آخره رضي الله عنهم اهـ والله أعلم.

مبحث: من أحب النبي ﷺ وأهل بيته دخل الجنة

[١٤٩] أخرجه الترمذي في سننه ٢٣٧/١٠ في المناقب، باب ح٣٨١٦ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه أحمد في المسند ٧٧/١ عن نصر بن علي الأزدي.. به بلفظه.

المعنى

يخبرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين قال وعند أحمد فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» وهم أهل البيت الذين نزلت فيهم الآية الكريمة فعن عائشة[2] رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ وعليه مرط من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فمن أحبهم =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٣/١٤ في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح٣٧٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤/١٥ في فضائل الصحابه، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

= فلحب النبي ﷺ وبحب النبي ﷺ أحبهم لذلك نال الدرجات العاليه لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «المرء مع من أحب»[1] وقال ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي»[2] قال صاحب التحفة في قوله[3] «وأباهما» أي علي ابن أبي طالب رضي الله عنه «وأمهما» أي فاطمة رضي الله عنها، وقوله: «كان معي في درجتي يوم القيامة» فإن المرء مع من أحب اهـ والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٣٦٦ في الأدب، ح٦١٦٨ باب علامة الحب في الله تعالى.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٢٩٢ في المناقب ح٣٨٧٨ وقال حسن غريب.

(٣) تحفة الأحوذي ١٠/٢٣٧، ٢٣٨.

مبحث: في وفاء النبيﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه

١٥٠ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا عند النبيﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبيﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فسلم وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فاقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثا، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال: «أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبيﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبيﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»؟ مرتين فما أوذى بعدها».

---

[١٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٥٥ في المناقب، باب ح٣٦٦١.

أخرجه البخاري في صحيحه ١٧/١٧٩ في التفسير، وسورة الأعراف، باب ﴿قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ ح٤٦٤٠.

قوله: «غامر» قال البخاري سبق بالخير اهـ بخاري ١٧/١٧٩ ح٤٦٤٠ قال ابن حجر وهو تفسير مستغرب ثم فسر «غامر» بالغين المعجمعة أي خاصم والمعنى دخل في غمرة الخصومة والغامر الذي يرمي نفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره اهـ فتح الباري ١٤/١٥٥: ١٥٦.

المعنى

كان ﷺ أشد الناس وفاء حتى من جامله في الجاهلية رد إليه في الإسلام وقد رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وفي هذا الحديث الشريف يخبرنا فيه أبو الدرداء رضي الله عنه أنه كان جالسا عند النبيﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه =

= حتى أبدى عن ركبته من شدة اهتمامه وإسراعه خوف ما حدث من نزاع بينه وبين عمر خاصة وأن عمر لم يغفر له وقتها قوله: فقال النبي ﷺ «أما صاحبكم فقد غامر» قال ابن حجر[1] بالغين المعجمة - أي خاصم والمعنى دخل في غمرة الخصومة اهـ وقال ذلك ﷺ لما رآه من هيئة أبي بكر بل لما يكرمه الله به من ارهاصات النبوة ﷺ - قوله: «فسلم» أي ألقى السلام على النبي ﷺ قال ابن حجر[1] ولم يقع في الحديث ذكر الرد وهو مما يحذف للعلم به اهـ وقال: يا رسول الله: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء في رواية التفسير: «كان بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر» أثناء المحاورة وهي المراجعة في الكلام قوله: «فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى على فأقبلت إليه» وفي رواية التفسير: «فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه» وهذا من أسباب ازدياد غضب النبي ﷺ على عمر حيث لم يقبل اعتذار الصديق بل وأغلق الباب في وجهه فلذلك رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقص عليه فقابله النبي ﷺ بما عوضه عما لقيه من عمر بل وعوضه عما قدمه للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ من قبل فقال بلسان الوفاء: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثًا أي دعا له بالمغفرة ثلاثًا قوله: «ثم إن عمر ندم» أي على عدم قبوله اعتذار الصديق بل وإغلاق الباب في وجهه الطيب قوله: فأتى منزل أبي بكر فقال: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا أي سأل عنه أهناك أو أهنا أبو بكر فقال أهل البيت لا ليس هنا قوله: «فأتي إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر» وفي رواية التفسير: «وغضب رسول الله ﷺ» قوله «يتمعر» قال الحافظ[1]: بالعين المهملة المشددة أي تذهب نضرته من الغضب اهـ قوله: «حتى أشفق أبو بكر» قال ابن الأثير[2] : الشفق والإشفاق: الخوف اهـ أي أن يكون من رسول الله ﷺ إلى عمر ما يكره كما في رواية قوله: «فجثا على ركبتيه» قال الحافظ[1] بالجيم والمثلثة أي برك قوله: فقال يا رسول الله في رواية التفسير وجعل أبو بكر يقول: والله يا =

(١) فتح الباري ١٤/١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) نهاية ٢/٤٨٧.

= رسـول الله قوله: «الله أنا كنت أظلم» قـال الحـافظ[1]: وإنما قـال ذلـك لأنه الذي بدأ كمـا تقدم في أول القـصة اهـ قوله: «مـرتين» أي قال ذلك القـول مرتين ويحـتمل أن يكون من قول أبي بكر فيكون متعلقًا بقوله : كنت أظلم قال الحافظ[1]: اهـ قوله فقال النبيﷺ: «إن الله بعثني إليكم» أي أرسلني إليكم رسـولا برسالة الإسلام وفي روايه التفسير: قلت ﴿ **يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا** ﴾[2] قولهﷺ: «فـقلتم كذبت وقال أبو بكر صـدق» أي في بداية أمر الدعوة كذبتموني وصـدقني بلا كبوة ولا تلعثم ولا انتظار ولا استـشـارة كغيـره. قـوله: «وواسـاني بنفـسه ومـاله» قـال الحافظ[1]: وهو من المواساة وهي بلفظ المفاعلة من الجانبين والمراد به أن صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه في ماله سواء وقد واسي بنفسه أيضًا رضي الله عنه في الهجرة وغيرها حيث كان مع النبيﷺ لحظة بلحظة وخطوة خطوة يتحـمل حارها وقارها وشدتها بل قيل إنه حمل النبيﷺ وشاركه حتى خاف القتل فقال له رسول اللهﷺ كمـا قال الله تعـالى ﴿ **لا تحزن إن الله معنا** ﴾[3] قـولهﷺ: «فـهل أنـتم تاركـو لي صاحبي» مرتين وفي روايه التفسـير: كرر اللفظه: أي تاركوه لي بلا أذى ولا مضارة قوله: «فـما أوذي بعدها» أي لم يتـعرض له أحد بأي أذى لما رأوا مـن تقدير النبيﷺ العظيم له قال الحافظ[1]: وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جـميع الصحابة وأن الفاضل لا ينبـغي له أن يغاضب من هو أفضل منه وفـيه ما طبع عليـه الإنسان من البـشرية حتى يحـمله الغـضب على ارتكاب خـلاف الأولى لكن الفـاضل في الدين يسـرع الرجوع إلى الأولى كـقوله تعـالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** (٢٠١) ﴾[4] وفـيه أن غـيـر النبيﷺ ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعـصوم وفيه استحـبـاب سؤال الاستـغفار والتـحلل من المظلوم اهـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف آية (١٥٨).

(٣) سورة التوبة آية (٤١).

(٤) سورة الأعراف آية (٢٠١).

مبحث: تزكية النبي ﷺ لأصحابه وتحفيزه هممهم للعمل الصالح

١٥١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت في المنام كأن في يدي سرقة من حرير لا أهوى بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: «**إِنَّ أَخَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ**» أو قال: «**إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ**».

---

[١٥١] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٦/٢٦ في التعبير، باب الإستبرق ودخول الجنة في المنام.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٣٧/١٦، ٣٨ في فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «سرقة»: بفتح السين المهمله والراء بعد قاف مفتوحه أيضًا هي قطعة من جيد الحرير اهـ نهاية ٣٦٢/٢.

المعنى

من الصحابة رضي الله تعالى عنهم من بشر يقظة بلفظ النبي ﷺ صريحًا كالعشرة ومنهم من بشر برؤية أو تعريضًا، منهم عبد الله بن عمر لكنهم كلهم عدول بشروا جملة بقوله تعالى ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾**﴾[1] فيقول عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: «رأيت في المنام كأن في يدي سرق من حرير» والسرقة هي قطعة من جيد الحرير قاله ابن الأثير[2] اهـ وفي رواية مسلم كأن في يدي قطعة إستبرق» قال =

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).

(٢) نهاية ٣٦٢/٢.

= النووي[1] : هو ما غلط من الديباج اهـ قوله: «لا أهوى بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه» تفسرها رواية مسلم «وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه» إذ أهوى بمعنى أريد هنا. قوله فقصصتها على حفصة» أي أخته وهي بنت عمر بن الخطاب وزوج النبيﷺ لذلك قصها عليها أخوها عبد الله قوله: «فقصتها حفصة علي النبيﷺ » أي حكت له ما حكاه لها أخوها عبد الله من رؤيته أنه رأى في المنام أن بيده قطعة من الحرير لا يريد أن يذهب إلى مكان في الجنة إلا ذهبت به إلى هذا المكان فكأنه أيضاً رأى نفسه في الجنة فاستبشر وأراد البشرى الكبرى التي لا تتخلف من رسول اللهﷺ فلذلك قصها على حفصة لتخبره فتأتيه البشرى فلما قصتها حفصة على رسول اللهﷺ قال رسول اللهﷺ: «إن أخاك رجل صالح» أو قال: «إن عبد الله رجل صالح» وعند مسلم أرى عبد الله رجل صالحا لأن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً ففي الحديث عن رسول اللهﷺ أنه قال: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[2] وفي الحديث عن الصادق ﷺالمصدوق أنه قال: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[3] زاد مسلم: «لو كان يصلي من الليل» قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا لأنه علم أنه من مقتضيات الخيريه والصلاح الذي أخبره به ﷺ أن يصلي الليل فقد كان عبد الله بعد ذلك لا يدع صلاة الليل وقد كان قبل ذلك لا يصلي من الليل قال الحافظ بن حجر[4] : ووقع في مسند أبي بكر بن هارون الروياني[5] «وكان عبد الله كثير الرقاد» اهـ قلت وفيه أيضاً «فقال ذلك الملك: يا عبد الله لا تدع الصلاة، نعم الرجل لولا قلة الصلاة قال النووي[3]: فيه فضيلة صلاة الليل اهـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٦/٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦/٢٢٢ في التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ح٦٩٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦/٢٢٣ في التعبير، باب المبشرات ح٦٩٩٠.

(٤) فتح الباري ٢٦/٢٥٧.

(٥) أخرجه أبو بكر محمد بن هارون الروياني في مسنده ٣/١٧٩ ح١٤٥ واللفظ: وكان كثير الرقاد.

الفصل السابع
حب الإسلام وأهله وشعائره
من الدين وبغض الكفر وأهله من الدين
مبحث: قوله تعالى ﴿اليوم أكلمت لكم دينكم﴾

١٥٢ ـ عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ قال عمر: قَدْ عَرَفْنا ذلكَ اليومَ والمكانَ الذي نزلتْ فيه على النَّبِيِّ ﷺ وهو قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يومَ جُمُعَةٍ.

---

[١٥٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٧٩، ١٨٠ في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه إلخ ح٤٥.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٧/١٣٩ في التفسير، تفسير سورة المائدة ح٤٦٠٦.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٤/٢٨ في الإعتصام بالكتاب والسنة ح٧٢٦٨.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨/١٥٣ في التفسير.

وأخرجه الترمذي في سننه ٨/٤٠٧ في التفسير، تفسير سورة المائدة، ح٥٠٣٤.

وأخرج له الترمذي في سننه ٨/٤٠٨ شاهداً عن ابن عباس في التفسير أيضاً لسورة المائدة ح٥٠٣٥.

المعنى

بدأ فضله سبحانه وكرمه بقوله للرسول ﷺ ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق... الآيات﴾[1] فقرأ وفهم وحفظ وعلم وتدبر وبلغ وعلم وأقام وبين وجهد وجاهد ـ

---

(١) سورة العلق آية (١).

وصبر وصابر ورابط وشرع فلما قرب الرحيل وتمت النعمة وإزدهرت وظهرت وبلغت منتهاها قال له ربه في يوم العيدين في يوم الجمعة في يوم عرفة في حجة الوداع ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[1] فلما أحس اليهود بالفضل العظيم لنا عليهم قالوا لو عندنا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فأخبرهم الفاروق رضي الله عنه أن الذي اتخذه لنا هو ربنا من غير أن نشرع لأنفسنا فمن تتمتها أن جعل يوم تمامها عيداً لنا سبحانه فلله الحمد والمنة حمداً طيباً كثيراً مباركًا فيه عدد خلقه وزنة عرشه ورضاء نفسه ومداد كلماته.

فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال الحافظ ابن حجر[2]: هذا الرجل هو كعب الأحبار وفي رواية التفسير: «قالت اليهود» وفي مسلم: قالت اليهود قال الحافظ: فيحمل على أنهم كانوا حين سؤال كعب عن ذلك جمعًا وتكلم بلسانهم أهـ قوله: «آية في كتابكم تقرؤنها» فيه إهتمام اليهود بما في كتابنا سواء من أسلم منهم أم من كفر فهم يعلمون أن نهايتهم وهلاكهم على أيدي المسلمين إن شاء الله تعالى قال تعالى ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾[3] قوله: «لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً» قال الحافظ: أي[3] لعظمناه وجعلناه عيداً لنا في كل سنة لعظم ما حصل فيه من إكمال الدين أهـ وقد نقل الكرماني[4] عن الزمخشري أن العيد هو السرور العائد وأقر ذلك فالمعنى أن كل يوم شرع تعظيمه يسمى عيداً أهـ قوله: «أي آية» سأله عمر لكثرة الآيات عندنا التي تحتاج لأعياد فالحمد لله على نعمه علينا قوله: قال أي قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾[3] قال

---

(١) سورة المائدة آية (٣).

(٢) فتح الباري ١/١٨٠.

(٣) سورة الأنعام آية (٣٣).

(٤) فتح الباري ٧/١٤٠.

الحافظ[1] : ظاهره يدل على أن أمور الدين كملت عند هذه المقالة وهي قبل موتهﷺ بنحو ثمانين يومًا أهـ قوله «قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبيﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة» أي هما بحمد الله تعالى عيدان فاليوم يوم جمعة وهو عندنا عيد والمكان عرفه في يوم عرفه وهو أيضًا عيد فصبيحة اليوم بعده عيد قال الحافظ: فإن قيل كيف طابق الجواب السؤال لأنه قال: لاتخذنا عيدًا؟ وأجاب عمر رضي الله عنه بمعرفه الوقت والمكان ولم يقل جعلناه عيدًا أهـ ثم ذكر أجوبة أفضلها عندي تصريح عمر بأنهما عيدان في رواية أخرى وكذلك ابن عباس فعند الطبري[3]: فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والمكان الذي أنزلت فيه: يوم جمعة، ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد» أهـ قال الحافظ[2]: فظهر أن الجواب تضمن اتخذوا ذلك اليوم عيداً وهو يوم الجمعة، واتخذوا يوم عرفة عيدًا، لأنه ليلة العيد وهكذا كما جاء في حديث الصيام: «شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة»[4] فسمى رمضان عيدًا لأنه يعقبه العيد أهـ والله أعلم وقال النووي[5] : ومراد عمر رضي الله عنه أنا قد اتخذنا ذلك اليوم عيدًا من وجهين فإنه يوم عرفه ويوم جمعة وكل منهما عيد لأهل الإسلام أهـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٢٨/٤.

(٢) فتح الباري ١/١٨٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٤/٤٢٢ح١١١٠٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٨٠ في الصيام، باب بيان معنى قولهﷺ شهرا عيد لا ينقصان ح١٠٨٩.

(٥) شرح مسلم للنووي ١٨/١٥٣.

مبحث: مكة أحب أرض الله إلى الله تعالى

١٥٣ - عن عبد الله بن عدي بن حمراء قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفًا على الحزورة فقال: «واللهِ إنَّك لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إلى اللهِ، ولَوْلاَ أنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ».

---

[١٥٣] أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٤٢٦ في المناقب، باب في فضل مكة، ح٤٠١٨ وقال: حسن غريب صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٠٣٧ في المناسك، باب فضل مكة.

وأخرجه الدارمي في سننه ٢/٣١١ في السير، باب إخراج النبي ﷺ قوله: الحزورة على وزن القسورة هو موضع بمكة قال الشافعي: الناس يشددون الحزورة والقسورة وهما مخففتان أهـ نهاية ٣٨٠.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ واقفًا على الحزورة فقال: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله» أي وقف رسول الله ﷺ بموضع مرتفع بمكة يسمى الحزورة قال الطيبي[1]: على وزن القسورة موضع بمكة والحزورة في الأصل: التل الصغير سميت بذلك لأنه هناك تل صغير أهـ فأقسم ﷺ بالله تعالى أن مكة خير أرض الله فهو كذلك فهي حرم الله تعالى وفيها بيته الحرام وتضاعف الصلاة فيه بمائة ألف صلاة على ما سواه إلا مسجد النبي ﷺ بالمدينة، فهي أيضًا إذًا أحب أرض الله إلى الله لتلك الفضائل وقد دعا لها إبراهيم عليه السلام قال تعالى ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾[2] =

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠/٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) سورة البقرة آية (١٢٩).

فاستجاب الله تعالى وكان الرسول هو محمدﷺ خاتم رسل الله وأكرمهم على الله وكان مولده في خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله وقال تعالى حاكيًا عنه أيضًا ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾[1] لذلك قالﷺ: «ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» أي لأنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله لولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت منك ولبقيت فيك إلى أن ألقى الله تعالى لذلك فقد ودعها ﷺ عند خروجه بتلك الكلمات الجامعات الطيبات، قال شيخنا الفاضل[2] د. عبد المهدي حفظه الله تعالى: وقبل أن يبتعد ﷺ عن مكة كثيراً نظر إليها وودعها بكلمات تنم عن حبه الجم لمكة، حب نبع من معرفته بحب الله لها، فإنه كان هدفه أن يعيش فيما يحب الله يبين كل هذه المعاني ما أسوقه من نصوص ثم ذكر حديث الفصل هذا أهـ قال في التحفة[3] فقال: أي مخاطبًا للكعبة وما حولها من حرمها «ولولا أني أخرجت منك» أي بأمر الله «ماخرجت» فيه دلالة على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يخرج من مكة إلا أن يخرج منها حقيقة أو حكمًا وهو الضرورة الدينية أو الدنيوية أهـ والله أعلم.

(١) سورة إبراهيم آية (٣٧).

(٢) كتاب السيرة النبوية من الكتاب والسنة دراسة وتحليل لمؤلفه أ.د عبد المهدي بن عبد القادر ص٤٢، ٤٣.

(٣) تحفة الأحوذي ١٠/٤٢٦، ٤٢٧.

مبحث: قول النبي ﷺ

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»

١٥٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

---

[١٥٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٣٠ في فضائل المدينة، ح١٨٨٨.
وأخرجه الطبراني في الأوسط ١/٣٧ ح في ٩٨.

المعنى

إنها جنة الدنيا عاشوها ليتصبروا حتى يدخلوا جنة الآخرة أحياهم فيها رسول الله ﷺ لما أشرق عليهم ببعثته ﷺ نقلهم من جحيم الكفر إلى رياض الإيمان فشربوا من أنهار التقوى ولبسوا حلل الأوبة واستظلوا بظل الإسلام وأكلوا فاكهة الإحسان بل وحدٌ لهم لبنات، من دخل وصلى بينها فكأنما صلى في الجنة، إنها الروضة النبوية الشريفة بالمدينة المنورة بجوار البيت هناك حيث أرز أصل الإيمان وسكن أصل الإحسان هناك حيث اضطجع أفضل من مشى على الأرض وصعد السماء فما بين بيته ومنبر دعوته روضة من رياض الجنة فها هو ديننا رياض في رياض ونور على نور وخير فوق خير وجنة تحت جنة. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى من لم يدخل جنة الدنيا فلن يدخل جنة الآخرة قال ويروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه هذا الحديث العظيم عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» جمع فيها الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر[1] أقوالاً طيبة قال خاتمًا لها: هذا محصل ما أوله العلماء في هذا الحديث وهو على ترتيبها في القوة فقال: قوله: «روضة من رياض الجنة» أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول =

---

(١) فتح الباري ٨/٢٣١.

السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر لا سيما في عهده ﷺ فيكون تشبيهاً بغير أداة أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة فيكون مجازاً أو هو على ظاهره وأن المراد أنه روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة هذا محصل ما أوله العلماء في هذا الحديث وهي على ترتيبها في القوة أهـ وأميل إلى أن أقواها آخرها لأنه لا مانع من الحمل عليه ولا ضرورة للتأويل هنا والله أعلم قوله: «ومنبري على حوضي» قال القسطلاني[1] : «ومنبري» يوضع بعينه يوم القيامة «على حوضي» والقدرة صالحة لذلك وقيل يوضع له هناك مبنى وقيل ملازمة منبره للأعمال الصالحة تورد صاحبها الحوض وهو الكوثر فيشرب منه أهـ وقال ابن حجر[2]: وأما قوله: ومنبري على حوضي أن ينقل الذي قال هذه المقالة وهو فوقه، وقيل المراد المنبر الذي يوضع له يوم القيامة، والأول أظهر أهـ فإن قيل بَيْتُ مَنْ المقصود من نساء النبيﷺ فالجواب المعروف والظاهر أنه بيت عائشة فإن وجد نص يصبح حقيقة وقد وجد بحمد الله تعالى وقد ذكره الحافظ في الفتح[2] فقال: وقد ورد الحديث بلفظ «ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة» وقال أخرجه الطبراني في الأوسط أهـ ولفظ الحديث في معجم الطبراني الأوسط[3] : عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: «مابين حجرتي ومصلاي روضة من رياض الجنة» والله أعلم.

وأيضاً في الأوسط عن أبي هريرة بلفظ حديث الباب والله أعلم.

(١) إرشاد الساري ٣/٣٤٢.

(٢) فتح الباري ٨/٢٣١.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط ٥/٢٥٢ ح٥٢٣١.

مبحث: الإيمان يأرز إلى المدينة ولا يدخلها الدجال

١٥٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيأرِزُ إِلى المَدِينة كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلى جُحْرِهَا**»[1].

١٥٦ ـ وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لايدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان**».

---

[١٥٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٢٣ في فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة ح١٨٧٦.

أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٧٦ في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

[١٥٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٢٥ في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح١٨٧٩.

المعنى

لقد طهرت من الوباء وأضاءت وأشرقت وطابت بقدومه إليها ﷺ إنها المدينة المنورة لذلك سماها ﷺ طابة فكان يقول «هذه طابة»[1] وفيها ظهر الإيمان وعلا واستمكن وإليها يعود آخر الزمان كما تعود الحية إلى جحرها بل وهي محروسة محفوظة من الدجال اللعين، تحرس أبوابها الملائكة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» أي أن الإيمان يجتمع وينضم إلى المدينة فإنه يرجع إليها ويسكنها وقد ظهرت علامات ذلك فأكثر البلاد أمنًا وأمانًا وعملاً بالسنة وتطبيقًا للشرع الحنيف وسماحة من أهلها هي مدينة النبي ﷺ قال القسطلاني[2]: قوله «ليأرز» اللام في ليأرز للتوكيد أي أن =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢١٨ في فضائل المدينة باب المدينة طابة ح١٨٧٢.

(٢) إرشاد الساري ٩/٣٣٦، ٣٣٧.

= أهل الإيمان لتنضم وتجتمع أهـ.

قال الحافظ ابن حجر[1] : قوله: «كما تأرز الحية إلى جحرها» أي أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شئ رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان إنتشر في المدينة وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ فيشمل ذلك جميع الأزمنة لأن في زمن النبي ﷺ للتعلم منه وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للإقتداء بهديهم ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده والتبرك في مشاهدة آثاره وآثار أصحابه أهـ وقال القاضي عياض[2] : وقوله ﷺ «وهو يأرز إلى المدينة» معناه أن الإيمان أولاً وآخراً بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجراً مستوطناً وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلماً منه ومتقرباً ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والإقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم أهـ، وفي الحديث الثاني يقول ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال» وفي رواية[3] «لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» قال القسطلاني[4]: «رعب المسيح الدجال» أي ذعره وخوفه والدجل وهو الكذب والخلط لأنه كذاب خلاط وإذا لم يدخل رعبه فالأولى أن لا يدخل هو وقوله: «لها يومئذ سبعة أبواب» أي للمدينة، «لكل باب ملكان» أي على كل باب ملكان يحرسانها من الدجال أهـ وأن تلك الملائكة فيهم من معه سيف مصلت في وجه الدجال يمنعه من طابة ففي المستدرك[5] للحاكم أبي عبد الله من حديث أبي بكرة مرفوعًا «ليس بلد إلا سيدخله رعب المسيح إلا المدينة على كل نقب من أنقابها يومئذ ملكان يذبان عنها رعب المسيح»، وفي رواية للحاكم[6] أيضًا من حديث محجن بن الأدرع «ثم يأتي المدينة =

---

(١) فتح الباري ٨/٢٢٣.
(٢) شرح مسلم للنووي ٢/١٧٧.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٢٥ في فضائل المدينة ١٨٨٠.
(٤) ارشاد الساري ٩/٣٣٦، ٣٣٧.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٥٨٤ في الفتن والملاحم ح٨٦٢٥.
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٥٨٦ في الفتن والملاحم ح٨٦٣١.

مبحث : فيمن تمنى الموت في المدينة المنورة

١٥٧ - عن عمر رضي الله عنه قال: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، واجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ** ﷺ».

= فيجد بكل نقب من نقابها ملكًا مصلتًا.. الحديث». والله أعلم.

مبحث : فيمن تمنى الموت في المدينة المنورة

[١٥٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٣٢ في فضائل المدينة ح١٨٩٠.

المعنى

لقد علموا وأيقنوا بما أخبر به رسول الله ﷺ عن المدينة التي أنارت وأضاءت بقدومه إليها ﷺ وإقامته فيها ودعائه الكثير لها، ولما رآها النبي ﷺ قال: «هذه طابة»(١) قال بعض أهل العلم(٢) : وفي طيب ترابها دليل شاهد على صحة هذه التسمية لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها أهـ وقال النبي ﷺ: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»(٣) قال ابن حجر(٤) : أي بفضلها من الصلاة في المسجد النبوي والإقامة فيها وغير ذلك أهـ وغير ذلك من الأحاديث العظيمة الكثيرة في فضائلها لذلك تمنى عمر رضي الله عنه الشهادة في سبيل الله تعالى لعلو مرتبتها وعظم ثوابها وأفضليتها على غيرها من الموتات وأن تكون في المدينة لتفضيل النبي ﷺ لها على كل أرض الله تعالى سوى مكة فبينها وبينها مشابهة في الفضل قال القسطلاني(٥) : في أثر عمر رضي الله عنه هذا حيث قال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك» قال قد استجيبت دعوته فقتله أبو لؤلؤة غلام =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢١٨ في فضائل المدينة ح١٨٧٢.

(٢) فتح الباري ٨/٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٢٢ في فضائل المدينة ح١٨٧٥.

(٤) فتح الباري ٨/٢٢٢.

(٥) إرشاد الساري ٣/٣٤٣.

مبحث: قول النبي ﷺ
«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا»

١٥٨ ـ عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

= المغيرة ابن شعبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فحصل له ثواب الشهادة لأنه قتل ظلمًا. قوله «واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ» فتوفى بها من ضربة أبي لؤلؤة في خاصرته ودفن عند أبي بكر رضي الله عنه عند النبي ﷺ فالثلاثة في بقعة واحدة وهي أشرف البقاع على الإطلاق أهـ قال الحافظ ابن حجر[1] : وأما أثر عمر فذكر ابن سعد[2] سبب دعائه بذلك وهي ما أخرجه باسناد صحيح عن عوف بن مالك أنه رأى رؤيا فيها أن عمر شهيد مستشهد، فقال لما قصها عليه: أني لي بالشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب لست أغزو والناس حولي، ثم قال: بلى: يأتي بها الله إن شاء أهـ والله أعلم فاللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتًا في بلد رسولك ﷺ.

مبحث: قول النبي ﷺ
«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا»

[١٥٨] أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٥/٢ في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

وأخرجه ابن ماجة في سننه ١٣٢٠/٢ في الفتن، باب بدأ الإسلام غريبًا ح٣٩٨٨ قوله: «طوبى»: اسم الجنة وقيل شجرة فيها أهـ نهاية ١٤١/٣.

=

(١) فتح الباري ٢٣٣/٨.

(٢) فتح الباري ٢٣٣/٨.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبيناﷺ أنه قال: «بدأ الإسلام غريبًا» أي بدأ في عدد قليل مستضعف ثم زاد وانتشر وسيعود كذلك قال القاضي عياض[1] : روى ابن أبي أويس عن مالك رحمه الله أن معناه في المدينة وأن الإسلام بدأ بها غريبًا وسيعود إليها قال القاضي: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضًا كما بدأ وجاء في الحديث تفسير الغرباء وهم النزاع من القبائل قال الهروي أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى أهـ قوله «وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء» أي سيأتي زمان يكون الإسلام أهله قليلون غرباء بين الناس والمتمسك به قليل والعامل به قليل والعالم به قليل والصابر عليه قليل وقد وضح ذلك في زماننا، فالحسنى إن شاء الله تعالى وقرة العين عند الله تعالى لهؤلاء القليل الغرباء الصابرون بل والجنة لهم إن شاء الله تعالى يتنعمون بشجرة يقال لها طوبى في طوبى.

قال تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[2] وفي رواية ابن ماجة فسر النبيﷺ الغرباء ففيها «قال: قيل:» ومن الغرباء قال: «النزاع من القبائل» قال ابن رجب الحنبلي[3] : وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث الذين يصلحون إذا فسد الناس وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل، لأنهم قلوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلاالواحد، والإثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد كما كان الداخلون في الإسلام في أول الأمر كذلك، وبهذا فسر الأئمة الحديث قال الأوزاعي في قولهﷺ «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ» أما إنه ما يذهب

(١) شرح مسلم ٢/١٧٧.

(٢) سورة سبأ آية (١٣).

(٣) في كفاية كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة تحقيق د. أسامة محمد عبد العظيم ص١٢، ١٣.

= الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد قال ابن رجب ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثيراً مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول لأصحابه: يا أهل السنة ترفقوا ـ رحمكم الله ـ فانكم من أقل الناس أهـ.

وقال الحافظ ابن القيم[1] رحمه الله تعالى: فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبطون ولقلتهم في الناس جداً سموا غرباء فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًا فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾[2] أهـ والله أعلم.

---

(١) الغربة والإغتراب لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية رسالة مختارة من مدارج السالكين ص٧.

(٢) سورة الأنعام آية (١١٦).

مبحث: قوله تعالى

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾

١٥٩ ـ عن عائشة قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الحسَنُ بنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثم جاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثم جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثم قال ﴿إِنَّمَا يريد اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

---

[١٥٩] أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤/١٥ في فضائل الصحابه، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

قوله: «مرط مرحل» المرط بكسر الميم كساء والمرحل هو المنقوش عليه صور رحال الإبل أهـ شرح مسلم ١٩٤/١٥.

المعنى

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج غداة يوم وعليه ثياب كساء عليه صور رحال الإبل، وفي الكساء شعر أسود، فلما جاء الحسن بن علي والحسين بن علي سبطا النبي ﷺ الذين قال فيهم النبي ﷺ: «هما ريحانتاى من الدنيا»[(١)] بسط النبي ﷺ الكساء ثم أدخلهما فيه ثم جاءت أمهما فاطمة سيدة نساء المؤمنين التي قال لها النبي ﷺ: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين»[(٢)] فأدخلها مع إبنيها ثم جاء على بن أبي طالب الذي قال فيه النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[(٣)] فأدخله مع أهله ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٨/١٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ح٣٧٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٩/١٦ في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ح٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٩/١٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، ح٣٧٠٧.

مبحث: قوله تعالى ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾

١٦٠ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وحول الكَعْبَةِ ثلاثمائة وستون نُصُبًا، فجعل يَطْعُنُهَا بِعُودٍ في يده، وجعل يقول ﴿جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾ الآية.

= ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[1] أي مستدلاً ﷺ بالآية الكريمة على أنهم هم أهل البيت المقصودون في الآية الكريمة وقد أخرج الطبري[2] بسنده إلى أم سلمة قالت: جاء النبي ﷺ إلى بيتي فقال: «لا تأذني لأحد»، فجاءت فاطمة، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن، فلم استطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت يا رسول الله وأنا؟ قالت فوالله ما أنعم وقال: «إنك على خير» وقال النووي[3] عن الرجس: هو الشك وقيل الإثم وقال الأزهري اسم لكل مستقذر أهـ والله أعلم.

مبحث: قوله تعالى ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾

[١٦٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٧/١٠ في المظالم، باب هل تكسر الأوثان التي فيها خمر... إلخ ح٢٤٧٨.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٢٦/١٦ في المغازي باب غزوة الفتح في رمضان ح٤٢٧٥.

=

---

(١) سورة الأحزاب، (٣٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسير سورة الأحزاب بسنده ٢٩٨/١٠ آية ٣٣ ح٢٨٥٠٢، وأخرجه الترمذي ٣٧٢/١٠ ح٣٩٦٣ في المناقب وقال حسن صحيح.

(٣) شرح مسلم ١٩٤/١٥، ١٩٥.

= وأخرجه مسلم في صحيحه ١٢/١٣٣ في الجهاد، باب فتح مكة.

المعنى

لقد جاهد نبيناﷺ بعد صبر طويل على الأذى والإبتلاء وصابر طويلاً في الدعوة وتحمل كثيراً في الجهاد ثم فتح الله تعالى له فتحًا عظيماً قال تعالى ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينا**﴾[1] فرجع يوم الحديبية ثم صبر حتى نقضوا فأعد ودخل مكة أحب أرض الله إلى الله ثم قال كلمات مجملات عظيمات جامعات خالدات وهو يشير إلى الأصنام رمز الشرك الذي ما بعث نبي إلا من أجل هدمه وإقامة نقيضه وهو توحيد الله عز وجل فقال قوله تعالى مشيراً إلى الأصنام المتهاوية أمامه بإشارته لهاﷺ ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾[2] .

وفي هذا الحديث الشريف يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخل النبيﷺ مكة أي يوم الفتح العظيم «وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبًا» قال الحافظ ابن حجر[3]: نصب بضم النون والمهملة وقد تسكن بعدها موحدة وهي واحد الأنصاب وهو ما ينصب للعبادة من دون الله تعالى وفي رواية صنماً بدل نصبًا أهـ بتصرف يسير قوله: «فجعل يطعنها بعود في يده» قال الحافظ ابن حجر مع أنها كانت ثابتة بالأرض قد شد لهم إبليس أقدامهم بالرصاص وفعل النبيﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تدفع عن نفسها شيئًا ثم قال: وفي الحديث كراهية الصلاة في المكان الذي فيه الصور لكونها مظنة الشرك وكان غالب كفر الأمم من جهة الصور أهـ وقال الطبري[4] : في حديث ابن مسعود جواز كسر آلات الباطل وما لا يصلح إلا في المعصية حتى تزول هيئتها وينتفع =

(١) سورة الفتح آية (١).

(٢) سورة الإسراء آية (٨١).

(٣) فتح الباري ١٦/١٢٦.

(٤) فتح الباري ١٠/٢٠٧.

مبحث: التحذير الشديد من التشبه بغير المسلمين

١٦١ - عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

= برضاضها أهـ قوله: وجعل يقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل... الآية﴾ وفي رواية مسلم: ويقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ ﴿جاء الحق ومايبدئ الباطل وما يعيد﴾ أهـ أي جعل يردد هذه الآية الكريمة وهو يطعن الأصنام ويشير إليها فتسقط أمامه. قال الحافظ ابن كثير[1] :وقوله ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل... الآية﴾ تهديد ووعيد لكفار قريش فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن الكريم والإيمان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك الباطل لاثبات له مع الحق ولابقاء ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾[2] أهـ والله أعلم.

مبحث: التحذير الشديد من التشبه بغير المسلمين

[١٦١] أخرجه أبو داود في سننه ١١/٧٤ في اللباس، باب في لبس الشهرة، ح٤٠١٢.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٥٠، ٩٢.

وأخرجه الطبراني في الأوسط ٨/١٧٩ شاهداً.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/٤٧٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد وضعفه وبقية رجاله ثقات.

المعنى

يخبرنا ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو =

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٥٩.

(٢) سورة الأنبياء آية (١٨).

= منهم» قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[1] وقال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[2] إنما الأسوة والإقتداء وكامل الإتباع من العقلاء تكون لسيد ولد آدم رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا فمن هدى الله تعالى قلبه لذلك فقد هداه لسلوك طريق الجنة ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾[3] فمن تشبه بالنبي ﷺ وأصحابه فهو منهم ومن تشبه بفرعون وآله فهو منهم قال في عون المعبود[4] : قال القاريء: أي من شبه نفسه بالكفار مثلاً في اللباس وغيره أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار «فهو منهم» أي في الإثم والخير، وقال المناوي والعلقمي: أي تزين في ظاهره بزيهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[5] : في الصراط المستقيم: قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» إن موجب هذا تحريم التشبه بهم مطلقًا وكذلك قوله «خالفوا المشركين»[7] ونحو ذلك مثل ما ذكرناه من دلالة الكتاب والسنة على تحريم سبيل المغضوب عيهم والضالين، وأعيادهم من سبيلهم إلى غير ذلك من الدلائل ثم قال في موضع آخر[6] : ثبت في الكتاب والسنة والإجماع الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما شرعه الله من مخالفة الكافرين ومفارقتهم في الشعار والهدى وسبب ذلك أن =

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢١).

(٢) سورة آل عمران آية (٣١).

(٣) سورة الشورى آية (٥٣).

(٤) عون المعبود ٧٤/١١.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص١٦١.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص١٥٧.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٧/٣ في الطهارة ح٥٤.

مبحث : التحذير الشديد من الإقامة مع المشركين

١٦٢ ـ عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لاَتُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تُجامِعُوهُمْ، فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُم فَلَيْس مِنَّا».

= المخالفة لهم لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد والزامهم بالجزية والصغار، فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لم يشرع المخالفة لهم فلما كان الدين وظهر وعلا شرع ذلك ثم قال: أما نحن فلا يجوز لنا أن نأخذ شيئًا من الدين عنهم لا من أقوالهم ولا من أفعالهم بإجماع المسلمين المعلوم بالإضطرار من دين الرسول ﷺ أهـ والله أعلم.

مبحث : التحذير الشديد من الإقامة مع المشركين

[١٦٢] أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٤٢/١٥٤ في قسم الفيئ، ح٢٦٢٧ وقال صحيح على شرط البخاري وقال الذهبي على شرط البخاري ومسلم أهـ واللفظ له.

وأخرجه أبو داود في سننه ٧/٤٧٧ في الجهاد باب في الإقامة بأرض الشرك ح٢٧٧٠.

قوله: «جامع» على وزن قاتل قال أصحاب اللغة: جامعه على كذا: اجتمع معه ووافقه أهـ عون المعبود ٧/٤٧٧.

المعنى

يروى لنا سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا» وعند أبي داود «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» أي من خالط المشركين وأكل معهم ومشى معهم وسافر معهم وسكن معهم فليس منا معشر المسلمين، ففيه تحذير شديد لموالاة أعداء الله تعالى لأن المخالطة تجلب المودة كما أن المشابهة تجلب لين القلب والله =

= تعالى يقول ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذًا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾[1] وقال تعالى ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾[2] وقال تعالى ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً. إذًا لأذقناك ضعف الحيواة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾[3].

قال في عون المعبود[4] : المشرك: أي بالله تعالى والمراد الكفار، ونص الشارع على المشرك لأنه الأغلب حينئذ، والمعنى: من اجتمع مع المشرك ووافقه ورافقه ومشى معه، فالمشرك هو مفعول جامع «وسكن معه» أي في ديار الكفر «فإنه مثله» أي من بعض الوجوه لأن الإقبال على عدو الله وموالاته توجب إعراضه عن الله ومن أعرض عنه تولاه الشيطان ونقله إلى الكفر، قال الزمخشري: وهذا أمر معقول: فإن موالاة الولي وموالاة العدو متنافيان وفيه إبرام وإلزام بالقلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والتحرز عن مخالطتهم ومعاشرتهم ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾[5] والمؤمن أولى بموالاة المؤمن، وإذا والى الكافر جره ذلك إلى تداعي ضعف فزجر الشارع عن مخالطته بهذا التغليظ حسمًا لمادة الفساد ﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خسرين ﴾[6] وقال ابن القيم في كتاب الهدي النبوي ومنع رسول الله ﷺ من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم وقال: «من جامع مع المشرك وسكن معه فهو مثله» وقال العلقمي في الكوكب المنير شرح الجامع الصغير حديث سمرة =

(١) سورة النساء آية (١٤٠).

(٢) سورة القلم آية (٩).

(٣) سورة الإسراء (٧٤).

(٤) عون المعبود ٧/٤٧٨.

(٥) سورة آل عمران آية (٢٨).

(٦) سورة آل عمران آية (١٤٩).

مبحث : شرار الخلق عند الله

١٦٣ ـ عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبيﷺ فقال: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فيه تلكَ الصُّوَرَ، فَأُولئكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يومَ القِيَامَةِ**».

= إسناده حسن وفيه وجوب الهجرة على من قدر عليها ولم يقدر على إظهار الدين أسيراً كان أو حربياً، فإن المسلم مقهور مهان بينهم، وإن انكفوا عنه فإنه لا يأمن بعد ذلك أن يؤذوه أو يفتنوه عن دينه، وحق على المسلم أن يكون مستظهراً بأهل دينه أهـ والله أعلم.

مبحث : شرار الخلق عند الله

[١٦٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٣/٨٧ في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ح٤٢٧.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٠٤ في الجنائز باب بناء المساجد على القبر ح١٣٤١.

المعنى

قال الله عزوجل ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً**﴾[1] فكل من أعرض عن شرع خالقه ومنهجه وعصا أمره واتبع هواه وعبد غير خالقه ومولاه وفي صنعته ضاهاه استحق بأن يوصف بأنه شر الخلق عند الله.

وهذا الحديث الشريف يبين صنفاً من تلك الأصناف التي هي من شرار الخلق عند الله، فتقص لنا عائشة رضي الله عنها عن علتيها أم حبيبة وأم سلمة رضي الله =

---

(١) سورة الفرقان آية (٣٤).

= عنهما أنهما ذكرتا كنيسة رأينها بـأرض الحبشة يعني عندما هاجرتا إلى أرض الحبشة قبل أن يتـشـرفا بالهـجرة والمقام في المديـنة المنورة طابة، قـال الحـافظ[1] : قولهـما «رأينها» أي همـا ومن كان معهمـا أهـ بتصرف وذلك كان في مرض النبيﷺ وقد ذكر الـراوى ليدل على عـدم إحتـمال النسخ فـفي رواية البخـاري أولها «لما اشـتكى النبيﷺ ذكرت بعـض نسائه...» والبعض المذكـور هنا هو ما فـسرته الراوية الأولى بأنهما أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهـما قال ابن حجر: وفائدة التنصيص على زمن النهـى الإشـارة إلى أنـه من الأمـر المحـكم الذي لم يـنسخ لكـونه صـدر فـي آخـر حـياتهﷺ أهـ قولها: فيـها تصاوير أي صور لصالحيهم ليأنسوا بهـا ويتذكروهم كما يقال في زماننا صـور للذكرى فذلك يشبه من وقع في حـقـهم الذم من النبيﷺقوله: «فذكرتا للنبيﷺ» أي ما رأتاه وذلك في مرض موتهﷺ أراد الله ذلك ليشرع النهى عن ذلك حتى لا يفعل ذلك بسيد الصـالحين والنبيينﷺ قوله: «فقال: إن أولئك» قال الحافظ ابن حجر[1] بكسر الكاف ويجوز فتحها، قوله: «إذا كان فيهم الرجل الصالح فمـات بنوا» أي إذا كـان بينهم الرجل الصالح حـيًا ثم مـات بنوا المسجـد على القـبر وصوروا الـصـور، قال الحـافظ[1]: «فـمات» عطـف على قوله «كـان» وقـوله: «بنوا» جـواب إذا، قوله «بنوا على قـبره مسجداً» قـال الحـافظ ابن حجر[2] : المنـع من ذلك إنما هو حال الخـشيـة أن يصنع بالقبر كـما صنع أولئك الذين لعـنوا، وأما إذا أمن ذلك فلا امتناع، وقد يقول بالمنع مطلقًا من يرى سـد الذريعة وهو هنا متجه قوى أهـ قلت: ورأى المنع مطـلقًا الذي ذكره الحـافـظ هو الأرجح حفاظًا على جناب التوحـيد حتى لا يتـعـلق القلب بغيـر الله ولا يتشـبه المصلي عند القـبر بمن يـعبد غـير الله تعـالى ولو كـانت النية لله، قـوله: «وصوروا فـيه تلك الصـور» قال الحـافظ[1]: وإنما فـعل ذلك أوائلهم ليـأنـسـوا برؤية تلك الصـور ويتـذكـروا أحـوالـهم الصـالحـة فـيجـتـهـدوا =

(١) فتح الباري ٣/٨٨.

(٢) فتح الباري ٦/٢٥٤.

مبحث: الزجر عن الدخول والمرور في ديار المعذبين

١٦٤ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَتَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فإن لم تكونوا باكين فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**».

= كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سداً للذريعة المؤدية إلى ذلك أهـ قال: وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وفيه كراهية الصلاة في المقابر سواء كانت بجانب القبر أو عليه أو إليه أهـ وقد ذكرت بعون الله مختتماً الأحكام في كل مسألة بما رأيته الأرجح معرضاً عما رأيته مرجوح للاختصار وهذا رأيي والله المستعان والله أعلم.

مبحث: الزجر عن الدخول والمرور في ديار المعذبين

[١٦٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٩٦/٣، في الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب... ح٤٣٣.

المعنى

قال تعالى ﴿**وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل. أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال. وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال**﴾[1] الآيات، فوجب الإعتبار وترك الإصرار على ما يغضب الجبار وفي هذا الحديث الشريف يحذر نبيناﷺ من الدخول على من ظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى فعذبهم الله تعالى بذنوبهم ففي رواية أخرى في البخاري «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم»[2] قال الحافظ[3] في الفتح: كان هذا النهى لما مروا =

---

(١) سورة إبراهيم آية (٤٤)، آية (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في أحاديث الأنبياء ح٣٣٨١، باب قول الله تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ ١٢١/١٣.

(٣) فتح الباري ٩٦/٣.

= مع النبي ﷺ بالحجر، ديار ثمود في حال توجههم إلى تبوك أهـ.

واستثنى النبي ﷺ فقال: «إلا أن تكونوا باكين» قال ابن حجر: ليس المراد الإقتصار في ذلك على إبتداء الدخول بل دائمًا عند كل جزء من الدخول أهـ أما النبي ﷺ فلم ينزل فيه البته ففي البخاري[1] «ثم قنع ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي» قال الحافظ: فدل على أنه لم ينزل ولم يصل هناك أهـ قلت: وقد نهى النبي ﷺ أيضًا نهيًا عامًا عن المكث وسط المشركين ففي الحديث المرفوع[2] «أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: «لا تراءى ناراهما» ثم قال ﷺ معللاً عدم الدخول إلا بالبكاء قائلاً «لا يصيبكم ما أصابهم» بالجزم على أن لا ناهية، قال ابن حجر[3] : وهو نهي بمعنى الخبر، ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والإعتبار فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، والتفكر أيضًا في مقابله أولئك نعمة الله تعالى بالكفر وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء إعتبارًا بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم أهـ وقد نهي عن الدخول مع عدم البكاء فقال ﷺ: «فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم» قال الكرماني[4] : وفيه دلاله على أن مساكن هؤلاء لا تسكن بعدهم ولا تتخذ وطنًا لأن المقيم المستوطن لا يمكنه أن يكون دهره باكيًا أبدًا وقد نهى أن تدخل دورهم إلا بهذه الصفة وفيه المنع من المقام بها والإستيطان أهـ قال ابن حجر: =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٥٥ في المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر ح٤٤١٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٢٩ في الجهاد، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ح١٦٥٤.

(٣) فتح الباري ٣/٩٦.

(٤) شرح الكرماني للبخاري ٢/٩٥.

مبحث: ما يكره من الصلاة على المنافقين والإستغفار للمشركين

١٦٥ - عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دُعِيَ له رسولُ الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وَثَبْتُ إليه فقلت: يا رسول الله أَتُصَلِّي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا، كذا وكذا أُعَدِّدُ عليه قَولَهُ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**» فلما أكثرت عليه، قال: «**إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَر لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**» قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم انْصَرَفَ فلم يَمكُثْ إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ منهم مات أبداً - إلى - وهم فاسقون**﴾ قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ والله ورسوله أعلم.

= وفي الحديث الحث على المراقبة والزجر عن السكنى في ديار المعذبين والإسراع عند المرور بها وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى ﴿**وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلناه بهم**﴾[1] أهـ والله أعلم.

مبحث: ما يكره من الصلاة على المنافقين والإستغفار للمشريكن

[١٦٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٨/٦ في الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والإستغفار للمشركين، ح١٣٦٦.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢١٤/١٧ في التفسير عن ابن عمر باب قوله ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم... الآية**﴾ ح٤٦٧٠ عن ابن عمر.

قوله: «وثبت» قال ابن الأثير: الوثوب في غير لغة حمير بمعنى النهوض والقيام =

---

(١) سورة إبراهيم آية (٤٥).

= اهـ نهاية ٥/١٥٠.

قوله: «أخر» قال ابن الأثير، أي تأخر يقال أخـر أخر وتأخر، وقيل معناه أخر عني رأيك اهـ نهاية ١/٢٩.

المعنى

رحمـة النبيﷺ عمت عمـوم الخلائق ولكن حكمـة الله تعالى أبت إلا أن يذوق كلٌّ من حاد الله ورسـوله جزاء ما قـدم من طعن خفي في الإسـلام وأهله وهو النفاق وظاهر وهم أهل الشرك، فسبحان الله أحكم الحاكمين.

وفي هذا الحديث الذي نحن بصـدد الكلام عنه يقص علينا أمير المؤمنين عـمر بن الخطاب الفاروق رضـي الله عنه أنه لما مات عبـد الله بن أبي سلول، قال ابن حـجر[١] في الفـتح: ذكر الواقـدي ثم الحـاكم في الإكليل: أنه مات بعـد منصـرفهم من تبـوك وذلك من ذي القـعدة سنة تسع وكانـت مدة مرضـه عشـرين يومًا، ابتداؤهـا من ليال بقيت من شوال، فقـالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تـبوك وفيهم نزلت ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا . . . الآية** ﴾[٢] اهـ وقد طلب ابن عـبد الله بن أبي ـ واسـمه عـبد الله أيضًـا وكان صـالحًا ـ من النبيﷺ الصـلاة على أبيه قـال ابن حجر وكأنه كان يحمل أمـر أبيه على ظاهره الإسلام فلذلك التمس من النبيﷺ أن يحضر عنده ويصلي عليـه ولا سيما وقد ورد ما يدل على أنه فعـل ذلك بعهد من أبيه ويؤيد ذلك مـا أخرجه الـطبري عن سـعيد عن قـتادة[٣] في تفـسير الآية قـال: بعث عبدالله ابن أبي بن سلول إلى رسول اللهﷺ وهو مريض ليـأتيه، فنهاه عن ذلك عمر، فأتاه نبي اللهﷺ فلما دخل عـليه قال نبي اللهﷺ «أهلكك حب اليهود» قـال: فقال: =

(١) فتح الباري ١٧/٢١٤.

(٢) سورة التوبة آية (٨٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسير سورة التوبة ٦/٤٤٠ آية (٨٤) ح١٧٠٧٣.

= يا نبي الله، إني لم أبعث إليك لتؤنبني، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه فاستغفر له رسول الله ﷺ.. الحديث» قال الحافظ: وهذا مرسل مع ثقة رجاله ثم قال: وكان عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه ووقعت إجابته عن سؤاله بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله تعالى الغطاء وهذا من أحسن الأجوبة فيما يتعلق بهذه القصة اهـ فلما قام رسول الله ﷺ يصلي نهض عمر آخذاً بثوب النبي ﷺ كما جاء في رواية مذكراً له بأقوال ابن أبي[7] كما قال الله تعالى عنه أنه قال ﴿ **لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا... الآية** ﴾[5] والآية الأخرى ﴿ **ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾[6] فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخر عني يا عمر» قال ابن حجر[7] قال الزين بن المنير: وإنما قال ذلك عمر حرصًا على النبي ﷺ ومشورة لا إلزامًا، وله عوائد بذلك ولا يبعد أن يكون النبي كان أذن له في مثل ذلك فلا يستلزم ما وقع من عمر أنه أجتهد مع وجود النص كما تمسك به قوم في جواز ذلك، وإنما أشار بالذي ظهر له فقط ولهذا احتمل منه النبي ﷺ أخذه بثوبه ومخاطبته له في مثل ذلك المقام إليه مبتسمًا اهـ ثم أخبره النبي ﷺ أنه خير بين الإستغفار وعدمه فاختار الإستغفار ولو يعلم ﷺ أنه إن زاد على السبعين غفر لهم لزاد، لقد فاق الآباء رحمة، فصلى عليه رسول الله ﷺ. قال الخطابي[8] : إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله ابن أبي ما فعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده =

(٤) أخرجه البخاري.

(٥) سورة المنافقون (٧).

(٦) سورة المنافقون (٨).

(٧) في رواية عند البخاري ح٤٦٧٠ فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ قائلاً يا رسول الله: أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا، كذا وكذا.

(٨) فتح الباري ١٧/٢١٦، ٢١٧.

(٩) إرشاد الساري ٢/٤٥٨.

مبحث: ما ينبغي من كراهية الظالمين والجبابرة

١٦٦ - عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قال**: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل﴾ **فقال جبرئيل: يا** محمد لو رَأَيْتَنِي وأَنَا آخِذٌ مِنْ حَالِ البحرِ وأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ».

= عبدالله الرجل الصالح ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب سؤال ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه فاستعمل أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نهى فانتهى اهـ ثم انصرف رسول الله ﷺ بعد الصلاة فلم يلبث إلا قليلاً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبداً - إلى قوله - فاسقون**﴾ وفي رواية عند الطبري «فترك الصلاة عليهم»[(١)] قال القسطلاني: نهى عن الصلاة لأن المراد منها الدعاء للميت والإستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات أبداً يعني الموت على الكفر وقوله «وهم فاسقون» تعليل للنهي قال عمر: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ «يعني في مراجعتي له والله ورسوله أعلم اهـ.

مبحث: ما ينبغي من كراهية الظالمين والجبابرة

[١٦٦] أخرجه الترمذي في سننه ٨/٥٢٥ في التفسير، باب ومن سورة يونس، ح٥١٠٧ وقال: حسن غريب صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند ١/٣٤٠.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٢٤٩/٢٧٨ في التوبة والإنابة ح٧٦٣٤ وقال صحيح قوله «حال البحر: الحال: الطين الأسود كالحمأة» اهـ نهاية ١/٤٦٤. =

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٦/٤٣٩ ح١٧٠٦٥.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾[1] أي قال لما عاين ملائكة العذاب حين لا ينفع الإيمان قال تعالى ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليما**﴾[2] وقال صاحب التحفة[3] : قوله «لما أغرق الله فرعون قال: أي فرعون ﴿آمنت آنه﴾ أي بأنه ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ قال ابن عباس: لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به، وقد كان في مهل، قال العلماء إيمانه غير مقبول، وذلك أن الإيمان والتوبة عند معاينة لملائكة العذاب غير مقبولين اهـ قوله: «فقال جبرئيل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمه» فقد سن جبريل عليه السلام لنبيناﷺ بغض الكافرين أعداء الله والظالمين والجبابرة وعدم الرحمة بهم مع أنه ملك ليس فيه شهوة ولا هوى لكنه يغضب لغضب الله تعالى ويرضي لرضاه فخاف جبريل عليه السلام من كثرة نطق الظالم الكافر فرعون بكلمة التوحيد عند غرقه أن يتجاوز عنه أرحم الراحمين عز وجل فلذلك جعل يأخذ من طين البحر ويضعه في فم فرعون لكتم فاه عن النطق وقت الإحتضار فيفوته العذاب وعند الحاكم تفصيل لذلك الموقف ففيه «إن جبريل عليه السلام جعل يدس في فم فرعون الطين خشية أن يقول: لا إله إلا الله فيرحمه الله عز وجل» قال صاحب التحفة[3] : في قوله: «وأنا آخذ من حال البحر» أي طينه الأسود وأدسه في فيه أي أدخله في فمه، مخافة أن تدركه الرحمة» أي خشية أن يقول لا إله إلا الله فتناله رحمة الله اهـ والله أعلم.

---

(١) سورة يونس آية (٩٠).

(٢) سورة النساء آية (١٨).

(٣) تحفة الأحوذي ٥٢٥/٨.

مبحث: فضل الموت بالمدينة

١٦٧ - عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا».

[١٦٧] أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٤١٦، في المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة، ح٤٠١٠ وقال حسن صحيح غريب.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت» أي من قدر أن يعيش في المدينة لا يتحول عنها صابراً على لأوائها محبًا لجوار أحب الخلق إلى الله عز وجل ﷺ فليفعل حتى تدركه ميتته هناك نسألك اللهم من فضلك يا أرحم الراحمين آمين.

قال صاحب التحفة[١] : قوله «من استطاع» أي قدر «أن يموت بالمدينة» أي يقيم بها حتى يدركه الموت «فليمت بها» أي فليقم بها حتى يموت فهو حث على لزوم الإقامة بها اهـ قوله: «فإني أشفع لمن يموت بها» لذلك أخرج البخاري[٢] عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ» وقال النبي ﷺ «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[٣]، قال صاحب التحفة في قوله ﷺ: «فإني أشفع لمن يموت بها» أي أخصه بشفاعتي غير العامة زيادة في إكرامه، قال الطيبي «أمر له بالموت بها وليس ذلك من استطاعته بل هو إلى الله تعالى لكنه أمر لزومها والإقامة بها بحيث لا يفارقها فيكون ذلك سببًا لأن يموت فيها فأطلق المسبب وأراد السبب كقوله تعالى ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[٤] اهـ والله أعلم.

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠/٤١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٣٢ في فضائل المدينة ح١٨٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٢٢١ في فضائل المدينة ح١٨٧٥.

(٤) سورة آل عمران آية (١٠٢).

مبحث: لزوم الجماعة طريق للجنة

١٦٨ ـ عن عمر رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: «**عَلَيْكُم بالجَمَاعَة، وإيَّاكُمْ والفُرْقَة، فإن الشيطانَ مع الواحد وهو منَ الإثْنَيْن أبْعَدُ، مَنْ أرَادَ بَحْبُوحَةَ الجنَّة فليلزمْ الجمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتهُ وَسَاءَتْه سَيِّئَتُهُ فَذلكُمُ المُؤمن**».

---

[١٦٨] أخرجه الترمذي في سننه ٦/٣٨٤ في الفتن، باب في لزوم الجماعة، ح٢٢٥٤ وقال حسن صحيح غريب.

قوله: «بحبوحة الجنة» بحبوحة الدار وسطها يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام اهـ نهاية ١/٩٨.

المعنى

يخبرنا عمر رضي الله عنه عن نبيناﷺ أنه قال: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة» قال صاحب التحفة[1] : في قوله «عليكم بالجماعة» أي المنتظمة بنصب الإمامة «وإياكم والفرقة» أي احذروا مفارقتها ما أمكن قال الحافظ ابن حجر أي في الحديث المتفق عليه من رواية حذيفة مرفوعًا[2] «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» أي أميرهم قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة فقال قوم هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم اهـ بتصرف وقوله «فإن الشيطان مع الواحد» قال أي الخارج عن طاعة الأمير المفارق للجماعة «وهو» أي الشيطان «من الإثنين أبعد» أي بعيد «من أراد بحبوحة الجنة» بضم الموحدتين أي من أراد أن يسكن وسطها وخيارها اهـ أي من أراد ذلك المكان الراقي من الجنة ليكون من أهلها ثم من أهله فليلزم الجماعة يعني مع عدم الموانع الأخرى، قوله «من سرته حسنته» أي من عمل =

---

(١) تحفة الأحوذي ٦/٣٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧/٤٢ في الفتن، ح٧٠٨٤.

= الحسنة ورضي بها وسعد بها وأطمأن بها لأن الله تعالى يحبها «وساءته سيئته» فندم وخاف عقاب الله عز وجل «فذلك المؤمن» قال الله تعالى ﴿**والذين يؤتون ماءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**﴾[1] وقال تعالى ﴿**يرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محظوراً**﴾[2] قال صاحب التحفة[3]: قوله: «من سرته حسنته» أي إذا وقعت منه «وساءته سيئته» أي أحزنته إذا صدرت عنه «فذلكم المؤمن» أي الكامل لأن المنافق حيث لا يؤمن بيوم القيامة إستوت عنده الحسنة والسيئة وقد قال تعالى ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾[4] اهـ والله أعلم.

(١) سورة المؤمنون آية (٦٠).

(٢) سورة الإسراء آية (٥٧).

(٣) تحفة الأحوذي ٦/٣٨٤.

(٤) سورة فصلت آية (٣٤).

الفصل الثامن
الرَّحمَةُ

مبحث: قول النبي ﷺ «إن تغفر اللهم تغفر جمًا»

١٦٩ ـ عن ابن عباس ﴿الَّذينَ يَجتَنِبُون كَبَائِرَ الإِثْم والفَواحش إلا اللمم﴾ قال: قال النبي ﷺ: «**إِنْ تَغْفِرِ اللهم تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا**».

---

[١٦٩] أخرجه الترمذي ٩/١٧٢ في التفسير، سورة النجم ح٣٣٣٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قوله: «اللمم» قال ابن عباس: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب اهـ تفسير الطبري ١١/٥٢٧ ح٣٢٥٦٧.

قوله: «جما» هو الاجتماع والكثره اهـ نهاية ٢/٣٠٠.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾[١] أن النبي ﷺ قال «إن تغفر اللهم تغفر جما» أي يارب إن تغفر تغفر كثيراً كثيراً من الذنوب قال تعالى ﴿**وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾[٢] قال صحاب التحفة[٣] في قوله «إن تغفر اللهم تغفر جما» بفتح الجيم وتشديد الميم أي كثيراً كبيراً اهـ «وأي عبد لك لا ألما» أي وأي عبد لك يارب ما أذنب وعصى وقصى؟ ومن نجا من الذنوب؟ ومن يغفر له إلا علام الغيوب؟ قال الله تعالى ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله** =

---

١) سورة النجم آية (٣٢).

(٢) سورة المدثر آية (٥٦).

(٣) تحفة الأحوذي ٩/١٧٢.

= **فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** ﴾[٤] قال في التحفة: «وأي عبد لك لا ألما» فعل ماضي مفرد والألف للاطلاق أي لم يلم بمعصية قال والبيت لأميه بن الصلت أنشده النبيﷺ أي من شأنك غفران كثير من ذنوب عظام أي لأجل أنك غفار غفر جمًا اهـ بتصرف وأما اللمم المذكورة في الآية الكريمة قال ابن جرير الطبري[٥]: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال «إلا» بمعنى الاستثناء المنقطع ووجه معنى الكلام إلى ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ بما دون كبائر الإثم ودون الفواحش الموجبه للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن ذلك معفو لهم عنه وذلك عندي نظير قوله تعالى ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا** ﴾[٤] والله أعلم.

---

(٤) سورة آل عمران آية (١٣٥)، (١٣٦).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري ٥٢٩/١١ لسورة النجم آية (٣٢).

(٦) سورة النساء آية (٣١).

مبحث: قول النبي ﷺ
«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»

١٧٠ ـ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت بنت النبي ﷺ إليه أن ابنًا لي قُبِضَ فَأْتِنَا فأرسل يُقْرِئُ السلامَ ويقول: «**إنَّ لله ما أخَذَ وله ما أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مسمى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**» فأرسلت إليه تُقْسِمُ عليه لَيَأْتِيَنَّهَا فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فَرُفِعَ إلى رسول الله ﷺ الصَّبِيُّ ونفسه تَتَقَعْقَعُ، قال: حسبت أنه قال: كأنها شن فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «**هَذه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ**».

---

[١٧٠] أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٧/٦، في الجنائز باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه».

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٤/٦، في البكاء، باب البكاء على الميت.

قوله: «تقعقع» أي تضطرب وتتحرك، أراد كلما سار إلى حال لم يلبس أن ينتقل إلى أخرى من الموت اهـ نهاية ٨٨/٤.

قوله: «شن» أي قربه اهـ نهاية ٥٠٦/٢.

المعنى

قال الله تعالى في الحديث القدسي «أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته»(١) فسمى نفسه سبحانه الرحمن الرحيم وقال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شئ﴾(٢) وفي الحديث «إن رحمتي =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣٣/٦، في البر والصله، باب ما جاء في قطيعة الرحم ح١٩٧٢ وصححه.

(٢) سورة الأعراف آية (١٥٦).

سبقت غضبي»[1] فلذلك يحب سبحانه من خلقه الرحماء ويكافئهم على الرحمة التي خرجت منهم بأعظم رحمة وهي رحمة أرحم الراحمين قال تعالى ﴿ **فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** ﴾[2] ويقول أسامه بن زيد رضي الله عنه: أرسلت بنت النبيﷺ إليه، قال الحافظ ابن حجر: هي زينب اهـ قولها: «أن ابنا لي قبض فأتنا» ذكر الحافظ ابن حجر تحليلا طويلا ذكر في ثناياه أنه أتفق أهل العلم أن زينب ـ يعني بنت النبيﷺ هي المرسلة كما ثبت في مسند[3] أحمد ولفظه: «أتى النبيﷺ بأمامة بنت زينب» ثم قال: اتفق أهل العلم بالنسبة أن زينب لم تلد لابي العاص إلا عليا وأمامة فقط ثم قال إن أهل العلم بالاخبار اتفقوا على أن أمامة بنت أبي العاص من زينب بنت النبيﷺ عاشت بعد النبيﷺ حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها.. الخ ثم قال: ويجاب بأن المراد بقوله في حديث الباب «إن ابنا لي قبض» أي قارب أن يقبض» وفي رواية أبي داود[4] «أن ابني أو ابنتي» وفي أولها «أن ابنة لرسول اللهﷺ أرسلت إليه ـ وأنا معه وسعد وأحسب أبيًا ـ أن ابني أو ابنتي قد حضر فاشهدنا... الحديث» قال: وقد قدمنا أن الصواب من قال ابنتي لا ابني ثم قال: والذي يظهر أن الله تعالى أكرم نبيه عليه الصلاة والسلام لما سلم لأمر ربه وصبر ابنته ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقه بأن عافى الله ابنة ابنته في ذلك الوقت فخلصت من تلك الشدة وعاشت تلك المدة وهذا ينبغي أن يذكر في دلائل النبوة والله المستعان اهـ فلله در الحافظ ورحمة الله تعالى ما شاء الله لا قوة إلا بالله. فاللهم علمنا وانفعنا وانفع بنا قولها: «إن ابنًا لي قبض فائتنا فأرسل =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٢٦/٢٨ في التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ **بل هو قرآن مجيد** ﴾ ح٧٥٥٤.

(٢) سورة يوسف آية (٦٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٤/٥ ولفظه (أتى رسول اللهﷺ بأمامه ابنه زينب ونفسها تقعقع).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٣٩٦/٨ ح٣١٠٩ في الجنائز باب البكاء على الميت ـ صححه الألباني.

= يقرئ السلام» بضم الياء من يقرئ أي يقول «السلام عليك أو عليكم قوله: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى» قال الحافظ[1] : قدم ذكر الأخذ على الاعطاء وإن كان متأخرًا في الواقع لما يقتضيه المقام - أي فإنه مقام أخذ - والمعنى أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه فإن أخذه أخذ ما هو له فلا ينبغي الجزع لأن مستودع الامانه لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه اهـ قوله: «وله ما أعطى» قال النووي[2] : معناه أن ما وهبه لكم ليس خارجًا عن ملكه بل هو سبحانه يفعل ما يشاء اهـ.

قوله: «وكل شئ عنده بأجل مسمى» قال ابن حجر[1] : أي من الأخذ والإعطاء أو من الأنفس أو ما هو أعم من ذلك وهي جملة ابتدائية معطوفه على الجمله المؤكده ثم قال والأجل يطلق على الحد الأخير وعلى مجموع العمر وقوله ﴿ مسمى ﴾ أي معلوم مقدر ونحو ذلك. اهـ قوله: «ولتصبر ولتحتسب» قال الحافظ أي تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها ليحسب لها ذلك من عملها الصالح. اهـ قوله: «فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها» قال ابن حجر: «وكأنها ألحت عليه في ذلك دفعًا لما يظنه بعض أهل الجهل أنها ناقصة المكانة عنده، أو ألهمها الله تعالى أن حضور نبيه ﷺ عندها يدفع عنها ما هي فيه من الألم ببركة دعائه وحضوره، فحقق الله ظنها، والظاهر أنه امتنع أولا مبالغة في اظهار التسليم لربه أو ليبين الجواز في أن من دعي لمثل ذلك لم تجب عليه الإجابه بخلاف الوليمة مثلا. اهـ قوله: «فقام ومعه سعد بن عباده ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال» وفي مسلم «وقام معه سعد بن عباده ومعاذ ابن جبل - قال أسامه - وانطلقت معهم» قال القسطلاني[3] : «فمشوا إلى أن دخلوا بيتها» اهـ قوله: «فرفع إلى رسول الله ﷺ =

(١) فتح الباري ٦/١٨٩.

(٢) شرح مسلم ٦/٢٢٥.

(٣) هدي الساري ٢/٤٠١.

= الصبي» قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا السياق حذف والتقدير فمشوا إلى أن وصلوا إلى بيتها فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا فرفع» اهـ قوله: «ونفسه تتقعقع» وعند مسلم «تقعقع» قال ابن حجر: والقعقعة حكاية صوت الشئ اليابس إذا حرك اهـ قوله: «قال حسبت أنه قال: «كأنها شن» قال النووي والشنه القربة البالية ومعناها لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا القى في القربة البالية اهـ قوله: «ففاضت عيناه» أي النبيﷺ لرواية البخاري في الطب[1] مصرحه بذلك اهـ قوله: «فقال سعد: يا رسول الله ما هذا فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده» قال النووي معناه أن سعد ظن أن جميع أنواع البكاء حرام وأن دمع العين حرام وظهر أن النبيﷺ نسى فذكره فأعلمه النبيﷺ أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه بل هو رحمة وفضيلة وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما اهـ قوله: «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» وفي رواية للبخاري في المرضى: «ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء» فاقتصرت الرحمة على الرحماء لا غيرهم قال الحافظ ابن حجر[2] و«من» في قوله: «من عباده» بيانيه وهي حال من المفعول الرحماء والرحماء جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة ومقتضاه أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها بخلاف من فيه أدنى رحمة لكن ثبت في حديث عبد الله بن عمر عند أبي داود وغيره «الراحمون يرحمهم الرحمن»[3] والراحمون جمع راحم فيدخل فيه كل من فيه أدنى رحمة ثم قال وفيه الترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة لهم والترهيب من قساوة القلب وجمود العين وجواز البكاء من غير نوح ونحوه اهـ والله أعلم وأرحم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في ٣/١ ٢١/٢٣٠ ح٥٦٥٥ باب عيادة الصبيان

(٢) فتح الباري ١٩٠/٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٥١/٦ في الجنائز باب ما جاء في رحمة الناس، ح١٩٨٩ وقال حسن صحيح.

مبحث : علاج لقسوة القلب

١٧١ - عن أبي هريرة أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فقال له «إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَاطْعِمِ المِسْكِينَ وامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ».

[١٧١] أخرجه أحمد في المسند ٢٦٣/٢.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦/٨، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً شكا إلى رسول اللهﷺ قسوة قلبه» أي غلظته وقلة الرقة فيه أو إنعدامها وعدم قشعريرته عند التذكرة وعدم وجله وخوفه من رب العالمين فقال له ﷺ «إن أردت تليين قلبك» أي ترقيقه وإزالة الران من عليه وفتح الأقفال ونزع الطبع من على القلب فالحل هو قولهﷺ: «فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم» وهي أوامر قد أمر الله عز وجل بها من قبل علاجًا للقلب بين رسول اللهﷺ وفصل وأعلم أن ذلك تليين للقلوب وترقيق لها قال تعالى ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ **فأما اليتم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر** ﴾[2] فإطعام المسكين يكسو النفس بثياب التواضع وخفض الجناح والخضوع وتذكر النعم ومسح رأس اليتيم إنما هو تعويضًا له عن الرحمة التي فقدها بموت والده تخفيفًا عليه حتى يستوي فيقوم بحوائجة فهما من الأسباب العظيمة لترقيق القلوب والله أعلم.

(١) سورة الإنسان آية (٨).

(٢) سورة الضحى آية ٩، ١٠.

مبحث: من فرج كربة عن مسلم فرج الله عنه أعظم منها

١٧٢ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجه أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**».

---

[١٧٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٧٧ مظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه ح٢٤٤٢.

قوله: «لا يسلمه» بضم أوله يقال: أسلم فلان إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه وهو عام في كل من أسلم لغيره لكن غلب في الالقاء إلى الهلكة. اهـ فتح ١٠/١٧٧، وقوله «كربة» بضم الكاف وسكون الراء هي الغم الذي يأخذ النفس. اهـ فتح ١٠/١٧٨.

المعنى

إسداء الخير إلى المسلم عبادة ودفع الشر عنه كذلك فالمسلم كله حرام على غيره دمه وماله وعرضه، والإسلام دين عظيم له حرمة عظيمة ويرفع الله عز وجل به صاحبه إلى المراتب السنية العالية في الدنيا والآخرة فإذا دخل قلب عبد ونطق به لسانه وتحركت به جوارحه فلابد أن تكون المعاملة معه على أساس تلك الحرمة التي أكرمه الله تعالى بها وهي الإسلام بل تصبح أحسن معاملة معه وإيصال الخير إليه قربة إلى الله تعالى ودفع السوء عنه أي سوء كان قربه إلى الله تعالى أيضاً يتقرب بها العباد إلى الله بل مما ينفع النفع العظيم يوم العرض على رب العالمين حتى أخبر نبيناﷺ أنه من أزال كربة ودفعها عن المسلم في الدنيا سواء كبرت أم قلت سواء صغيرة أو كبيرة في الدين أو الدنيا ـ لأنها في الحديث نكرة ـ فإن الله تعالى يفرج عنه مكافأة له كربة في يوم تعظم فيه الكربات وتشتد، ومن هنا كان الجزاء مضاعفاً معنى لا لفظاً فهي كربة مقابل كربة لكن إذا نظرنا إلى زمان الكربة وجدنا التضعيف يزيد عن العشرة بل ربما يزيد على المائة وهنا يبين ﷺ أن المسلم أخو المسلم في الدين =

= وهذه الأخوة تقتضي ألا يظلمه ولو بكلمة أو همزة أو لمزة فضلاً عن ظلم العرض والمال والدم فهذا تحريمه ظاهر لقول النبيﷺ «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1] ، لكن الذي يحتاج زيادة إنتباه هو قوله «لا يسلمه» لعدم معرفة غالب العامة بتحريم ذلك حيث يبين أنه يحرم أيضًا ترك المسلم مع من يؤذيه وفيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه ويمد له يد العون سواء مادية أو معنوية وهذا أخص من ترك الظلم وقد يكون واجبًا وقد يكون مندوبًا للمسلم على أخيه بحسب إختلاف الأحوال. ثم يخبرﷺ أنه من استخدم نفسه أو وقته أو ماله أو عقله أو لسانه أو نحو ذلك لقضاء حاجة أخيه المشروعة فإن حاجته يكون لها من لا يقف دون إنفاذ أمره وقدره شيء فما بال العبد إذا أيقن وعلم أن الذي يكون في قضاء حاجته من بيده ملكوت كل شئ وإذا تحقق الشرط تحقق جوابه فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة، فمن رأى أخاه على قبيح وجب عليه الستر والنصح أيًا كان القبيح فالستر في الدنيا على المسلم من محبة الله تعالى له جعل جزاءه الستر ممن يستر ﴿يوم تبلى السرائر﴾[2] قال الحافظ[3] : وليس في هذا ما يقتضى ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه اهـ فإذا أكثر له النصح وخاف من تفشى ضرره وإنتشار فساده كان له أن يرفع أمره إلى الحاكم. قال الحافظ «ليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة اهـ والستر على المسلم مشروع ومستحب حتى على النفس، ففي البخاري[4] عن أبي هريرة قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٨٢ في البر والصله والآداب، باب تحريم ظلم المسلم ح٢٥٦٤.

(٢) سورة الطارق آية (٩).

(٣) فتح الباري ١٠/١٧٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٢٨٢ في الأدب، ح٦٠٦٩، ٦٠٧٠ باب ستر المؤمن على نفسه.

مبحث: الرحمة ولو بالحيوان سبب لمغفرة الله عز وجل

١٧٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هذا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**». قالوا: يا رسول الله، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قال: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**».

= ويصبح يكشف ستر الله عنه» فالستر على النفس أيضًا واجب بل وأحب، قال ﷺ: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: «عملت كذا وكذا؟» فيقول: نعم ويقول: «عملت كذا وكذا؟» فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: «إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم» فالله عزوجل يحب الستر في الدارين ويحب الساترين ويستر على عبده ذنوبه ويتفضل بالمغفرة سبحانه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين والله أعلم.

مبحث: الرحمة ولو بالحيوان سبب لمغفرة الله عز وجل

[١٧٣] أخرجه البخاري في صحيحه ١١١/١٠ في المزارعه باب فضل سقى الماء ح٢٣٦٣.

أخرجه مسلم في صحيحه ٢٤١/١٤ في قتل الحيات ونحوها، باب فضل سقى البهائم المحترمه وإطعامهم.

غريب الحديث: قوله: «الثري» أي التراب الندى اهـ نهاية ٢١١/١.

وقوله: «يلهث» لهثا يخرج لسانه من شدة العطش والحر اهـ نهاية ٢٨١/٤.

المعنى

قد يبتلى الله تعالى العبد بشئ فيكون الخير فيه ولايدري إلا بعد حين وحكمة الله =

= عز وجل قد جعلها في كل شئ فهنا الرجل يمشي حتى يعطش عطشًا زائدًا على المعتاد يعده الله تعالى ليستخرج منه رحمة لم يتعودها غالب الناس وهي الرحمة بالحيوان فضلاً عن الإنسان، فكثير الآن حتى الرحمة بالإنسان لم يتعودها - أعاذنا الله من ذلك - إلا أن يبتليه الله تعالى بما يضطره أن يرحم ليس الإنسان وحده بل حتى ما يضايقه ويؤذيه من الحيوانات، فلما أحس الرجل بالعطش الشديد رحمه الله تعالى بوجود الماء في البئر فنزل وشرب وخرج مرويا فإذا هو بكلب قد أخرج لسانه من شدة العطش يأكل التراب الندى ليخفف عنه عطشه فلولا ابتلاء الله تعالى له بالعطش لما نظر إلى عطش الكلب بل ولا إلى عطش العبد فكم من إنسان يعطش ويجوع بل ويموت عطشا وجوعا وكم من إنسان يكاد يقتله الري والشبع ولا حتى ينظر إلى أخيه الجائع الظمآن فأراد نبيناﷺ أن يبين أعظم مما يراه حتى الرحماء وهو عموم الرحمه، حتى تصل إلى ما يستقذره الإنسان من كل كبد رطبة فالرجل عندما رأى الكلب يلهث تذكر عطشه فقال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي فملأ خفه الذي كان يلبسه واجتهد حتى أمسك الخف بفمه ليتمكن من الخروج من البئر ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قال تعالى ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾[1] ، وتعجب أصحاب النبيﷺ سائلين له هل نؤجر حتى في رحمة البهائم فأخبرهم ﷺ أنهم يؤجرون في كل كبد حية لها رطوبة الحياة وأنهم يؤجرون في الإحسان إلى الحيوان إلا إذا كان حيوانا أمرنا بقتله فمطلوب الإحسان إليه ثم الاحسان في قتله ففي حديث شداد بن أوس عن رسول اللهﷺ قال «إن الله كتب الإحسان على كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتله، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»[2] قال الحافظ[3] : =

(١) سورة النساء آية (٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٥٧/١٣ في الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل. ح١٩٥٥.

(٣) فتح الباري ١١١/١٠.

مبحث: عظم حق الوالدين والرحمة بهما

١٧٤ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئتُ أُبَايعكَ على الهِجْرَةِ وتركتُ أبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، قال: «**إرْجِعْ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**».

= ظاهره أن الرجل سقى الكلب حتى روى ولذلك جوزى بالمغفره وقال ابن التين: لهث الكلب: خرج لسانه من العطش وكذلك الطائر وقوله: «ثم أمسكه» أي أحد خفيه الذي فيه الماء وإنما احتاج إلى ذلك لأنه كان يعالج بيديه ليصعد من البئر وهو يشعر بأن الصعود منها كان عسراً وقوله: «فشكر الله له» أي أثنى عليه أو قبل عمله أو جازاه بفعله، وقوله: «وإن لنا» هو معطوف على شئ محذوف تقديره الأمر كما ذكرت وأن لنا في البهائم أي في سقى البهائم أو الإحسان إلى البهائم أجراً قال: «في كل كبد رطبة أجر» أي كل كبد حية والمراد رطوبة الحياة أو لأن الرطوبة لا زمة للحياة فهو كناية، قال الداودي: المعنى في كل كبد حي أجر وهو عام في جميع الحيوان اهـ. والله أعلم.

مبحث: عظم حق الوالدين والرحمة بهما

[١٧٤] أخرجه أبو داود في سننه ٢٠٣/٧ في الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان ح٢٥١١.

وأخرجه النسائي في سننه ١٤٣/٧ في البيعة، باب البيعه على الهجرة.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ٩٣٠/٢ في الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان ح٢٧٨٢.

وأخرجه أحمد في المسند ١٩٤/٢.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٥٢/٤/١٦٨ في البر والصله ح٧٢٥٠ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: «جئت أبايعك على الهجرة» وعند ابن ماجه «فقال يا رسول الله: إني جئت أريد الجهاد معك، أبتغي وجه الله والدار الآخرة» أي أريد الخروج معك مجاهدا أريد أن أرى الله عز وجل في روضات الجنات وهذه أعلى النيات ومع ذلك فالنبيﷺ عظم حق الوالدين لعلمه ﷺ أن الله تعالى قرن بره في أكثر من موضع من كتابه ببرهما، وقد قال الرجل «وتركت أبوى يبكيان» هي من تغليب إسم الأب على الأم والأصل تركت أبي وأمي يبكيان لكنه كما يقال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما العمران، أي تركتهما في بكاء من أجل مفارقتي لهما بنية الجهاد معك يا رسول الله فقالﷺ: «إرجع فأضحكهما كما أبكيتهما» أي إرجع فأخبرهما أنك تركت الجهاد لأجل برهما فيضحكان بذلك بدلا من بكاء الفراق، أي أمره بالبر فهو كالجهاد في الأجر بل هو جهاد فيهما لذلك قال في الحديث الآخر[1] : «ألك أبوان» قال نعم قالﷺ: «ففيهما فجاهد». قال في عون المعبود[2] : قال الخطابي: إن كان الخارج فيه متطوعًا فإن ذلك لا يجوز إلا بإذن الوالدين فأما إذا تعين عليه فرض الجهاد فلا حاجة إلى إذنهما، هذا إذا كانا مسلمين فإن كانا كافرين يخرج بدون إذنهما فرضا كان الجهاد أو تطوعًا اهـ والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٢٠٣/٧ في الجهاد ٢٥١٢.

(٢) عون المعبود ٢٠٣/٧.

مبحث : العدل والرحمة واجبان مع كل الخلائق وعليهم

١٧٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ اللهﷺ يقُولُ: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبيًّا منَ الأَنْبِيَاء، فَأَمَرَ بقَرْيَة النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً منَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ اللهَ».

---

[١٧٥] أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/١٢١ في الجهاد، ٣٠١٩.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٩٣ في بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب ـ الخ وخمس فواسق إلخ ح٣٣١٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٤/٢٣٩ في قتل الحيات، باب النهي عن قتل النمل.

وأخرجه أبو داود في سننه ١٤/١٧٧ في السلام، باب في قتل الذر، ح٥٢٤٤.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾[١].

وكل مسبح عبد عابد لله عز وجل له حق على من له علاقه به من المخلوقات وله حرمه وله قسط من الرحمه التي وجبت على المكلفين أن يعاملوه بها حيث قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شئ﴾[٢] وقالﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»[٣] ومن هنا عاتب الله تعالى نبيًا من أنبيائه بالتقصير في العدل مع نمل قرصته إحداهن فيروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «قرصت نملة نبيًا من الأنبياء» قال الحافظ ابن حجر[٤] : قيل هو العزيز وقيل موسى وجزم به القرطبي في =

---

(١) سورة الإسراء آية (٤٤).

(٢) سورة الأعراف آية (١٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٦/٥١ في البر والصله ح١٩٨٩ وقال حسن صحيح.

(٤) فتح الباري ١٣/٩٣، ٩٤، ٩٥.

= التفسير اهـ بتصرف قوله: «أمر بقرية النمل فأحرقت» وفي رواية بدء الخلق ومسلم: «فأمر بجهازه فأخرج من تحتها» يعني ليفرغ للتحريق للقرية. قال الحافظ: وقرية النمل موضع اجتماعهن اهـ قوله: «فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله» وفي رواية بدء الخلق ومسلم: «فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة» فالعقاب أولا على عدم العدل في القصاص من حيث الجاني نملة وقد تعدى الحرق إلى غيرها والثاني حتى لو واحدة فهذه أمة تسبح الله تعالى فالأولى العفو والصفح والكف عن قتل المسبحين.

لذلك عندما نهى رسولناﷺ بنفسي وأبي وأمي هو نهى عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد قال النووي[٥] : قال العلماء: وهذا الحديث محول على أن شرع ذلك النبيﷺ كان فيه جواز قتل النمل وجواز الإحراق بالنار ولم يعتب في الأصل على القتل أو الاحراق بل في الزيادة على نملة واحدة وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان إلا إذا أحرق إنسانا فمات بالإحراق فلولية الاقتصاص بإحراق الجاني وسواء في منع الاحراق بالنار النمل وغيره للحديث المشهور «وإن النار لايعذب بها إلا الله»[٦] وأما قتل النمل فمذهبنا أنه لا يجوز واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس أن النبيﷺ «نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد» رواه أبو داود[٧] بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم اهـ وقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن النبي إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع أذاه منه واحد وكان الأولى به الصبر والصفح قال وقوله «أمة من الأمم تسبح الله» قال الحافظ: استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة، ويتأيد به قول من حمل قوله تعالى ﴿وإن من شئ إلا **يسبح بحمده**﴾ على الحقيقة اهـ والله أعلم فسبحان من كل شئ يسبح بحمده.

(٥) شرح مسلم ٢٣٩/١٤.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٧/١٢ في الجهاد، باب لايعذب بعذاب الله ح١٦٠٣.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه ١٧٨/١٤ في السلام، باب في قتل الذر ح٥٢٤٥ وصححه الألباني.

الفصل التاسع

الايمان بالقدر والرضا به

مبحث: ما جاء أن الله تعالى كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار

١٧٦ - عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ»؟ فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تُخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فيه أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ، وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلاَ يُزَادُ فيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**» ثم قال للذي في شماله: «**هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا**» فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فُرِغَ منه؟ فقال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِن صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ**» ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فَنَبَذَهُمَا ثم قال: «**فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾**».

---

[١٧٦] أخرجه الترمذي في سننه ٦/٣٥٠ في القدر، باب ما جاء أن الله تعالى كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار ح٢٢٢٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/١٦٧.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وفي يده كتابان، قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي[1] : الظاهر من الإشارة أنهما حسيان ثم قال: ولا ملجئ لحمل لفظ =

---

(١) تحفة الأحوذي ٦/٣٥٠: ٣٥٣.

= الكتاب في هذا الحديث على معناه المجازي ولا مانع من إرادة معناه الحقيقي فالظاهر أنه يحمل على الحقيقة اهـ قوله ﷺ: «أتدرون ما هذان الكتابان» أي أتعرفون ما فيهما قوله: «فقلنا لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا» قال صاحب التحفة: «فقلنا لا» أي لا ندري «يا رسول الله إلا أن تخبرنا» استثناء منقطع أي لكن إن أخبرتنا علمنا وكأنهم طلبوا بهذا الإستدراك إخباره إياهم اهـ قوله: «فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين» أي قال للكتاب الذي يحمله في يده الشريفة اليمنى ﷺ هذا كتاب بأمر الله رب العالمين قدره وأراده سبحانه أن يحدث فلابد أن يحدث قال صاحب التحفة: خصه بالذكر دلالة على أنه تعالى مالكهم وهم له مملوكون يتصرف فيهم كيف يشاء فيسعد من يشاء ويشقى من يشاء وكل ذلك عدل وصواب فلا اعتراض لأحد عليه اهـ قوله: «فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا» أي الكتاب الأيمن مكتوب فيه بأمر رب العالمين أسماء الذين سيدخلون الجنة - جعلنا الله تعالى بمنه وفضله منهم - وأسماء آبائهم والقبيلة التي هم منها حتى إذا اشتبهت الأسماء عرفوا بالآباء فإذا اشتبهت الآباء عرفوا بالقبائل للملائكة والناس والله تعالى لا يخفى عليه شئ ثم جمعوا وختموا وتمموا سواء الذين ماتوا، أو الأحياء، أو الذين سيأتون من بعد ممن لم يولد حتى الآن فسبحان علام الغيوب، فلا يزاد في العدد ولا ينقص من العدد شئ قال في التحفة أي في قوله: «ثم أجمل على آخرهم» من قولهم أجمل الحسابات إذا اتمم ورد التفصيل إلى الإجمال وقوله: «فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا» لأن حكم الله لا يتغير اهـ قوله: «ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا» أي كما قال في أهل الجنة قوله: «فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه» أي طالما أن كل شئ قدر وكتب وعلم أهل الجنة أسماءً وعددًا، وكذلك أهل النار فلا داعي إذا للعمل قال في التحفة: «قد فرغ =

= منه» بصيغه المجهول: يعني إذا كان المدار على كتابة الأزل فأي فائدة في إكتساب العمل اهـ قوله: «فقال ﷺ: أي مجيبًا على سؤالهم سددوا وقاربوا» أي عليكم بالأعمال المستقيمة الصالحة وعلى الله تعالى الجزاء والهداية قال ابن الأثير[1] : سددوا أي اطلبوا بأعمالكم السداد والإستقامة وهو القصد في الأمر والعدل فيه اهـ وأما قاربوا فقال[2] فيها أيضًا أي اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلو فيها والتقصير يقال: قارب فلان في أموره إذا اقتصد اهـ قوله ﷺ: «فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل» أي العبرة بالخواتيم كما في بعض الأحاديث: «وإنما الأعمال بالخواتيم»[3] فمن أراد الله له السعادة والنجاة ختم له بعمل خالص صالح يموت عليه مع التوحيد كما في الحديث الصحيح «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[4] .

وفي رواية لمسلم[5] : «فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» قال صاحب التحفة: «فإن صاحب الجنة يختم له» بصيغه المجهول «بعمل أهل الجنة» أي بعمل مشعر بإيمانه ومشير بإيقانه «وإن عمل» أعم من الكفر والمعاصي «وإن عمل أي عمل» أي قبل ذلك من أعمال أهل الجنة اهـ ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم =

(١) النهاية ٢/٣٥٢.

(٢) النهاية ٤/٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤/٣٣١ في القدر ح٦٦٠٧.

(٤) أخرجه أبو داود في الجنائز ٨/٣٨٥ ح٣١٠٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٩١: ١٩٢ في القدر، باب كيف خلق الآدمي في بطن أمه.

مبحث : إنما الأعمال بالخواتيم

١٧٧ ـ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فأتانا النَّبيُّ ﷺ فقَعَدَ وقَعَدْنَا حَوْلَهُ ومَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَسَ فجعلَ يَنْكُتُ بمِخْصَرَتِهِ، ثم قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجنةِ والنَّارِ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ**» فقال رجل: يا رسول الله ﷺ أفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فمن كانَ منّا من أهلِ السعادةِ، فسيصيرُ إلى عملِ أهلِ السعادةِ، وأمَّا مَنْ كانَ منا من أهلِ الشقاوةِ فسيصيرُ إلى عملِ أهلِ الشقاوة، قال: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ**»، **ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.. الآية﴾**.

= من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير أي القى ﷺ الكتابين بعد أن أخبرهم بأن كل شئ قد قدر وقضى قال في التحفة «فنبذهما» أي طرح مافيهما من الكتابين قال القاري وفيه أن نبذهما ليس بطريق الإهانة بل إشارة إلى أنه نبذهما إلى عالم الغيب اهـ ثم أخبر ﷺ أن الله تعالى قدر وقضى أمر العباد فجعل فريقًا منهم في الجنة ونعيمها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا أبدًا لا يبغون عنها حولاً ولا حول لهم عنها اللهم إجعلنا منهم يا رب العرش العظيم آمين، وفريق منهم في النار والعياذ بالله تعالى. والله أعلم.

مبحث : إنما الأعمال بالخواتيم

[١٧٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٧٥، في الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، ح١٣٦٢.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٨/٣٦٢ في التفسير لسورة الليل، باب قوله تعالى ﴿**وكذب بالحسنى**﴾، ح٤٩٤٨.

=

= وأخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٩٥ في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.

قوله: «نكس» بتخفيف الكاف وتشديدها أي خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض على هيئة المهموم اهـ نووى ١٦/١٩٥.

قوله: «ينكت» بفتح الياء وضم الكاف وآخره تاء مثناه فوق أي يخط بها خطًا يسيراً مرة بعد مرة وهذا فعل المفكر المهموم اهـ نووى ١٦/١٩٥.

قوله: «بمخصرته» بكسر الميم ما أخذه الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفه وعكاز لطيف وغيرهما اهـ نووى ١٦/١٩٥.

قوله: «الغرقد» بفتح الغين المعجمة والقاف بينهما راء ساكن أخره دال مهملة ما عظم من شجر العوسج اهـ ارشاد الساري ٢/٤٥٤.

المعنى

مهما قدم المرء من عمل في حياته وأسلف من أحوال فإنه لاينال مرتبةً في الآخرة إلا مرتبة تترتب على آخر ما عمل وختم له به، لذلك قالﷺ «وإنما الأعمال بالخواتيم»[(١)] .

وهنا يفصل لنا عليٌ رضي الله عنه ما رآه من النبيﷺ في صحبته للجنازة فيقول: «كنا في جنازة في بقيع» قال القسطلاني[(٢)]: بقيع الغرقد: ما عظم من شجرالعوسج وهو مدفن أهل المدينة اهـ فأتانا النبيﷺ فقعد وقعدنا حوله «ترجم عليه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله[(٣)] اهـ قوله: «ومعه مخصره فنكس فجعل ينكت بمخصرته» قال الإمام النووي[(٤)] =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في القدر ٢٤/٣٣٠ ح٦٦٠٧ باب العمل بالخواتيم.

(٢) إرشاد الساري ٢/٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) صحيح البخاري ٦/٢٧٤ في الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر.. الخ.

(٤) شرح مسلم للنووي ١٦/١٩٥.

= أما نكس فبتخفيف الكاف وتشديدها لغتان فصيحتان: أي خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض على هيئة المهموم وقوله: «ينكت» بفتح الياء وضم الكاف واخره تاء مثناه فوق أي خط بها خطًا يسيراً مرة بعد مرة هذا فعل المفكر المهموم، «والمخصره» بكسر الميم ما أخذه الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفه، وعكاز لطيف وغيرها اهـ قوله ثم قال: «ما منكم من أحد مامن نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار» قال القسطلاني: «ما من نفس منفوسة» مصنوعة مخلوقة. اهـ قوله: «إلا كتب» البناء للمفعول وفي رواية مسلم: «إلا كتب الله مكانها» بالبناء للفاعل والمقصود بالمكان المنزل الذي تنزل فيه في الجنة أو النار؛ ففي رواية مسلم[١] : «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قوله: «وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» كما قال الله تعالى: ﴿ **فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ماذامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** ﴾[٢] وفي حديث البخاري[٣] : «ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربعة برزقه وأجله وشقي أو سعيد.. الحديث» قال الحافظ ابن حجر[٤] ومعنى قوله: «شقي أو سعيد: أن الملك يكتب إحدى الكلمتين كأن يكتب مثلاً أجل هذا الجنين كذا ورزقه كذا، وعمله كذا، وهو شقي باعتبار ما يختم له أو سعيد باعتبار ما يختم له كما دل عليه بقية الخبر وكأن ظاهر السياق أن يقول: ويكتب شقاوته وسعادته اهـ قوله: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل قال القسطلاني: نعتمد، قوله: «على كتابنا» قال القسطلاني أي ما كتب علينا اهـ قوله: «وندع العمل» قال القسطلاني: أي نتركه =

(١) أخرجه مسلم ١٩٧/١٦ في القدر باب كيفية خلق الآدمي.. الخ.

(٢) سورة هود آية (١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٠٤/٢٤ في القدر ح٦٥٩٤.

(٤) فتح الباري ٣١٠/٢٤.

= قوله: «من كان منا من أهل السعادة» قال فسيجره القضاء «إلى عمل أهل السعادة» قال: «قهراً ويكون مآل حاله ذلك بدون اختياره، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير «فسيجره إلى عمل أهل الشقاوة قهراً» قال ﷺ: وفي رواية مسلم «اعملوا فكل ميسر» وفيها أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة قال الحافظ ابن حجر[1] : وقوله: «اعملوا» جرى مجرى أسلوب الحكيم، أي الزموا ما يجب على العبد من العبودية ولا تتصرفوا في أمر الربوبية اهـ وقال القسطلاني وحاصل السؤال ألا نترك مشقة العمل فإنا سنصير إلى ما قدر علينا فلا فائدة في السعي فإنه لا يرد قضاء الله وقدره، وحاصل الجواب لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له وهو يسير على من يسره الله عليه، قال في شرح المشكاة الجواب من الأسلوب الحكيم منعهم عن الإتكال وترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية يعني أنتم عبيد ولابد لكم من العبودية فعليكم بما أمرتكم وإياكم والتصرف في أمور الربوبية لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فلا تجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط اهـ قوله: ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ قال القسطلاني: فقوله: «فأما من أعطى» أي أعطي الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي التي دلت على الحق ككلمة التوحيد، وقوله: «فسنيسره لليسرى» فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة، وأما من بخل بما أمر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى فسنيسره للعسرى للخلة الموجبة للعسر والشدة كدخول النار اهـ وقال النووي: وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها =

(١) فتح الباري ٦/٢٧٦.

= وشرها نفعها وضرها، قال الله تعالى ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون﴾[1] فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه، قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل ولن يصل إلى ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وواجبنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم. اهـ.

(١) سورة الأنبياء آية (٢٣).

الفصل العاشر
فضل الإيمان والتوحيد
وذم الشرك والرياء

مبحث: قول النبي ﷺ

من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة

١٧٨ ـ عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ».

---

[١٧٨] أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٨/١ في الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة.

المعنى

يخبرنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» أي قد علمها بقلبه وأقر بما فيها بأنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل وواجب صرف العبادات كلها له وحده من الصلاة والركوع والسجود والخشوع والخوف والرجاء والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة، والتوكل وغيرهم، لا تكون إلا له وحده سبحانه، ويقر بها لسانه، إلا إن تعذر نطقه لكن لابد للقلب أن يعلمها ويشهد بها غير شاك فيها كما في الأحاديث الصحيحة الكثيرة، قال النووي[١] : فيكون معنى قوله ﷺ: «دخل الجنة» أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب وهذا لابد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة، وفي قوله ﷺ: «وهو يعلم» إشارة إلى الرد على من قال من غلاة المرجئة أن مظهر =

---

(١) شرح مسلم ٢١٩/١.

مبحث: الغني غنى القلب بالخير والإيمان

١٧٩ - عن عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتى بمال أو بشئ فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً فبلغه أن الذين تَرَكَ عَتبُوا، فَحَمِدَ الله وأثْنَى عَلَيْهِ ثم قال: «**أَمَّا بَعْد، فو الله إني لأُعْطِي الرجلَ وأدعُ الرجلَ، والذي أدَعُ أحبُّ إِلَيَّ مِنَ الذي أُعْطِي، ولكن أُعْطِي أقوامًا لِمَا أرى فِي قُلوُبِهِم مِنَ الجَزَعِ والهَلَع، وأكِلُ أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهمْ من الغنَى والخَيْرِ، فيهِمْ عَمْرِو بن تغلب**» فو الله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم.

= الشهادتين يدخل الجنة. وإن لم يعتقد ذلك بقلبه وقد قيد ذلك في حديث آخر بقوله ﷺ: «غير شاك فيهما»[1] قال القاضي: ومذهب أهل السنة أن المعرفة بالقلب مرتبطة بالشهادتين لا تنفع احداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر على الشهادتين لآفة بلسانه أو لم تمهله المدة ليقولها بل اخترمته المنيه اهـ والله أعلم.

مبحث: الغنى غنى القلب بالخير والإيمان

[١٧٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٦٦/٥، في الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، ح٩٢٣.

أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٦/١٢ في فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم.. ح٣/٤٥.

قوله: «عتبوا» الإسم المعتبة والكسر من الموجدة والغضب. اهـ نهاية ١٧٥/٣.

قوله: «الجزع» الحزن والخوف اهـ نهاية ٢٦٩/١.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١١/٣ بلفظ «لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة».

= قوله: «حمر النعم» بفتحتين أي الإبل وحمرها أفضلها والنعم الإبل خاصة وإذا قيل الأنعام دخلت معها البقر والغنم اهـ هدي الساري مقدمة فتح الباري ١/٩٧.

المعنى العام

إذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبد خيراً عمر قلبه بالإيمان ورضى بذلك وقنع به فلا يغيره ما فات من لذات الدنيا وشهواتها فيشعر صاحبه بأنه من أغنى الناس بما تفضل الله تعالى عليه به، وهذا الذي أحبه رسول اللهﷺ في هذا الحديث الذي فيه أن النبيﷺ أتى بمال فقسمه بين الناس وترك ناساً منهم عمرو بن تغلب فبلغ النبيﷺ أن الذين تركوا عتبوا وغضبوا فحمد الله النبيﷺ وأثنى عليه سبحانه ثم خطبهم مبينًا سبب ذلك أنهﷺ يعطي رجالاً من المال ويترك رجالاً فلا يعطيهم لما يرى، قال القسطلاني[1] يعني في قوله: «أعطى أقوامًا لما أرى» من نظر القلب لا من نظر العين لما يشعر بهﷺ في قلوبهم من الحزن والخوف والضجر وهو الجزع والهلع، أخبر ﷺ أنه يترك أقوامًا لا يعطيهم لما جعل الله في قلوبهم من غنى النفس، قال القسطلاني: في قوله: «وأكل أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى» النفسي «والخير» الجبلي الداعي إلى الصبر والتعفف عن المسألة والشره، قال عمرو: «فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول اللهﷺ حمر النعم» قال الباء في «بكلمة» للبدل وتسمى باء المقابلة أي ما أحب أن لي بدل كلمته عليه الصلاة والسلام اهـ وقال الحافظ[2] : في الفتح: وقوله: «بكلمة رسول اللهﷺ» أي التي قالها في حقه وهي إدخاله إياه في أهل الخير والغني.. فالمعنى: لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي اهـ فما يحب عمرو أن يستبدل أحسن أنواع الإبل بكلمة رسول اللهﷺ فما أغلى كلام رسول اللهﷺ عند القلوب الحية الغنية والله أعلم.

---

(١) إرشاد الساري ٢/١٨٤.

(٢) فتح الباري ١٢/٢٣٦.

مبحث: سورة الإخلاص موجبة للجنة

١٨٠ - عن أبي هريرة قال: أقبلت مع النبيﷺ فسمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال رسول اللهﷺ: «وَجَبَتْ» قلت: مَا وَجَبَت؟ قال: «الجنَّةُ».

---

[١٨٠] أخرجه الترمذي في سننه ٢٠٩/٨ في فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص ح٣٠٦١ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٧٥٤/٥٦٦ في فضائل القرآن ح٢٠٧٩ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضي الله عنه أنه أقبل مع النبيﷺ فسمع رجلاً يقرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** وعند الحاكم **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾**[١] فقال رسول اللهﷺ: «وجبت» أي أصبحت له واجب دخولها إن شاء الله تعالى له قد كتب له بفضل الله تعالى وعلم نبينا ﷺ ذلك بطريق الوحي لأنه لايمكن أن يحكم أحد من الناس على أحد يقرأ السورة الكريمة بأنه وجبت له الجنة لكن يقال السورة قراءتها بشروطها وعدم الموانع توجب إن شاء الله تعالى لقارئها الجنة كما يقال من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أي بوجود الشروط وانتفاء الموانع لأنه هناك حديث في البخاري فيه «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان»[٢] وقد مضى الكلام عليه وتحقيقه بحمد الله تعالى وعونه، قوله: «قلت: ما وجبت» أي ما فاعل وجبت يا رسول الله قال صاحب التحفة[٣]: أي وما معنى قولك جزاء لقراءته وجبت - أو - ما فاعل وجبت «قال =

---

(١) سورة الصمد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٧/١ في الإيمان ح٤٤ باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) تحفة الأحوذي ٢٠٩/٨.

مبحث: فيمن ذاق طعم الإيمان

١٨١ - عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**».

= الجنة» أي بمقتضى وعد الله وفضله الذي لا يخلفه كما قال تعالى ﴿**إن الله لا يخلف الميعاد**﴾[1] اهـ والله أعلم. فلأنها صفة الرحمن عز وجل وقد قرأها القارئ بحب وإخلاص كان الجزاء المترتب على القراءة الجنة بفضل الله تعالى كما في حديث الرجل المداوم على القراءة بهذه السورة الكريمة في صلاته بقومه فقال ﷺ سلوه لأي شئ يصنع ذلك فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[2].

مبحث: فيمن ذاق طعم الإيمان

[١٨١] أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٢ في الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا.

وأخرجه الترمذي في سننه ٣٧٢/٧ في الإيمان ح٢٧٥٨.

وأخرجه أحمد في المسند ٢٠٨/١.

المعنى

يخبرنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا» أي من أقر بالله تعالى ربًا وخالقًا ورازقًا ومعطيًا ومانعًا ونافعًا وضارًا وله صفات الكمال كلها ويستحق العبودية وحده ورضي بذلك وأحبه ذاق طعم الإيمان وخلصت حلاوته إلى قلبه وكذلك من رضي بدين الإسلام أنه الدين الخاتم الذي لا ينبغي الإنقياد إلا لأحكامه ولا يعبد الله تعالى إلا بما شرع =

---

(١) سورة آل عمران آية (٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٩٥/٦ في الصلاة باب فضل قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾.

= فيه ولا دين بعده وأنه الدين الخاتم وأن الله تعالى لا يقبل من أحد بعد مبعث نبيناﷺ سواه قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[1] وكذلك ذاق طعم الإيمان من رضي بنبينا محمدﷺ رسولاً وآمن به أنه خاتم الرسل عليهم السلام أجمعين وأنه أفضلهم وأنه أول من يدخل الجنة ولا يدخلها أحد بعد مبعثه إلا وراءه ومن طريقته وإلا بطاعته كما قالﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[2].

قال النووي[3] : قال صاحب التحرير رحمه الله: معنى رضيت بالشئ قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمدﷺ، لاشك في أن من كانت هذه صفته، فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه، وقال القاضي عياض رحمه الله[3]: معنى الحديث «ذاق طعم الإيمان» أي صحح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمراً سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات الله تعالى ولذت له والله أعلم اهـ فاللهم ارزقنا طعم الإيمان بلا شك ولا نقصان يا رحمن.

(١) سورة آل عمران آية (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٢٨ في الإعتصام ح٧٢٨٠.

(٣) شرح مسلم ٢/٢.

مبحث : قول النبي ﷺ :

«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»

١٨٢ ـ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِه لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّٰهُ دَخَلَ الجَنَّةَ».

---

[١٨٢] أخرجه أبو داود في سننه ٨/٣٨٥ في الجنائز، باب في التلقين، ح٣١٠٠.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٥٢/٥٠٣ في الجنائز ح١٢٩٩ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

المعنى

يخبرنا معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» أي من تفضل عليه الله رب العالمين عند موته فحرك لسانه بقوله كلمة التوحيد لا إله إلا الله فقد أفلح وأنجح وفاز وسعد وقبل ما فات وعفا الله تعالى له عن الذلات بلا شروط ودخل جنة الخلد عند رب البريات فاللهم بحق عمل رضيته منا أكرمنا بذلك يا رب العرش العظيم وتجاوز لنا عما فات وثبتنا على الحق فيما هو آت. واعلم يا أخي المسلم الكريم أنه لا يوفق لذلك إلا من عاش على خير وكانت همته رضا ربه عز وجل فاجتهد واسع لذلك عسى الله الكريم أن يتفضل علينا وعليك بها.

قال النووي[1] : ويجوز في حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة أن يكون خصوصًا لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه وإن كان قبل مخلطًا =

---

(١) شرح مسلم ١/٢٢٠ في الإيمان.

مبحث: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة

١٨٣ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فأَخْبَرَنِي أو قال بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَيُشرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**» فقلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قال: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**».

= فيكون سببًا لرحمة الله تعالى إياه ونجاته رأسًا من النار وتحريمه عليها اهـ وقال الكرماني(١) قوله لا إله إلا الله أي هذه الكلمة والمراد هي وضميمتها محمد رسول الله ﷺ اهـ والله أعلم.

مبحث: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة

[١٨٣] أخرجه البخاري في صحيحه ١٣٣/٦، الجنائز، باب: في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله... ح١٢٣٧.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾(٢) فما تكلم ﷺ بهوى وما نطق إلا بالحق حتى في المزاح حتى في المنام كما في هذا الحديث.

وهنا يخبر ﷺ أنه أتاه آت وفي رواية في البخاري «جبريل»(٣) وهذا الحديث رؤيا منام كما بينت رواية البخاري(٤) في اللباس عن أبي ذر قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ»(٥) قال ابن حجر: فدل على أنها =

---

(١) عون المعبود ٣٨٥/٨.

(٢) سورة النجم آية (٣) (٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٢/٢٨ في التوحيد ح٧٤٨٧ باب كلام الرب مع جبريل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٨/٢٢ في اللباس، باب الثياب البيض ح٥٨٢٧.

(٥) فتح الباري ١٣٤/٦ شرح ح١٢٣٧.

= رؤيا منام قوله: «من أمتي» أي من أمة الإجابه ويحتمل أن يكون أعم من ذلك أي من أمه الدعوة وهو متجه اهـ وقوله: «لا يشرك بالله شيئًا» قال ابن حجر[1]: نفي الشرك يستلزم إثبات التوحيد ويشهد له استنباط ابن مسعود ذكر حديث مرفوعًا قال رسول الله ﷺ: «من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» وقلت أنا: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»[2] وقال القرطبي: معنى نفي الشرك أن لا يتخذ مع الله شريكًا في الإلهية، لكن هذا القول صار بحكم العرف عبارة عن الإيمان الشرعي.

قوله: «وإن زنى وإن سرق» قال القسطلاني[3]: جملة الشرط في محل نصب على الحال، لا يقال مفهوم الشرط أنه إذا لم يزن ولم يسرق لا يدخل اهـ ولا يغتر أحد بذلك فدخوله الجنة إما حالاً وإما مآلاً، فالحال أن يغفر الله له إن شاء، وإذا مات ولم يُحدَّ أو يتوب، والمآل إذا مات من غير حد ولا توبة فيعذب بذنبه في النار ثم يخرج مع جملة من يقال فيهم: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان» أخرجه البخاري[4]: قال الزين ابن المنير[5]: حديث أبي ذر من أحاديث الرجاء التي أفضى الإتكال عليها ببعض الجهلة إلى الإقدام على الموبقات وليس هو على ظاهره، فإن القواعد إستقرت على أن حقوق الآدميين لا تسقط بمجرد الموت على الإيمان ولكن لا يلزم من عدم سقوطها أن لا يتكفل الله بها عمن يريد أن يدخله الجنة، ومن ثم رد ﷺ على أبي ذر استبعاده، قال ابن حجر[6]: ويحتمل أن يكون المراد بقوله دخل الجنة أي صار إليها إما إبتداء من أول الحال وإما بعد أن يقع ما يقع من العذاب، نسأل الله العفو والعافية اهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ٦/١٣٤ ح١٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الجنائز ٦/١٣٥، باب في الجنائز ح١٢٣٨.

(٣) إرشاد الساري ٢/٣٧٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٧٧ في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ح٤٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨/٢٥٢ في التوحيد ح٧٤٨٧ باب كلام الرب مع جبريل.

(٦) فتح الباري ٦/١٣٤ شرح ح١٢٣٧.

مبحث : فضل كلمة التوحيد

١٨٤ - عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ من أمتي يوم القيامة على رؤس الخلائق، فَيُنْشَرُ له تسْعَةٌ وتسْعُونَ سجلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَر، ثم يقول الله عز وجل: ﴿هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا﴾؟ فيقول لا، يا رب! فيقول: ﴿أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ﴾ ثم يقول: أَلَكَ عن ذلك حَسَنَةٌ فيهاب الرجل، فيقول: لا فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظُلْمَ عليكَ اليوْمَ، فَتُخْرجُ له بطاقةٌ فيها: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قال: فيقول: يا رب ما هذه البِطَاقَةُ مع هَذه السِّجلاَّت! فيقول: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجلاَّتُ في كِفَّةٍ والبطاقة في كِفَّة فَطَاشَتْ السِّجلاَّتُ، وثَقُلَتْ البطَاقَةُ**». قال محمد بن يحيى: البطاقة: الرُّقْعَه، وأهل مصر يقول للرقعة: بطاقة.

---

[١٨٤] أخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٣٧/٢ في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ح٤٣.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٥٢٩/١/٧١٠ في الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ح١٩٣٧ وقال صحيح الإسناد.

قوله: «سجل» بكسر السين المهملة وتشديد اللام وهو الكتاب الكبير اهـ نهاية ٣٤٤/٢.

قوله: «البطاقة» فسرها شيخ ابن ماجة محمد بن يحيي كما في الحديث بالرقعة.

قوله: «طاشت» الطيش: الخفة اهـ نهاية ١٥٣/٣.

المعني

يروى لنا عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يصاح برجل من أمتي =

يوم القيامة على رؤس الخلائق» أي ينادى على رجل من الأمة المسلمة بين الناس أين فلان بن فلان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر» أي يفتح له من أعماله وسيئاته تسعه وتسعون كتابًا كبيرًا فيها أعماله وغدراته وفجراته وما قدم كل كتاب إلى آخر ما تبلغه العين إبصارًا ورؤية ثم يقول الله عز وجل ﴿ **هل تنكر من هذا شيئا** ﴾ أي هل تعترض على ما هو مسجل مدون محسوب عليك أنك لم تفعله؟ فيقول لا يا رب أي لا اعتراض فكله حق فيقول أي رب العزة سبحانه ﴿ **أظلمك كتبتي الحافظون** ﴾ أي هل ظلمك رقيب وعتيد بأن كتبا عليك مالم تكن فعلت أو زاد في وزرك المسجل فيقول لا «يارب» أي كله حق بلا ظلم ولا جور، وهذا الرجل غير آخرين أنكروا فختم الله تعالى على أفواههم وتكلمت أيديهم وشهدت أرجلهم بما كانوا يكسبون لذلك نجاه الله تعالى بسبب صدقه بأن رحمه وأظهر له ما كان خفيًا وضاعف له أجره سبحانه أرحم الراحمين ثم يقول: «أي رب العزة عز وجل» ألك عن ذلك حسنة وعند الحاكم «ألك عذر أو حسنة» يعني لم تكتب أو تتذكرها قد عملتها ونسيتها «فيهاب الرجل» يعني يخاف أكثر ويرهب وحق له فإنه أمام ملك الملك وملك الملكوت ذي الجلال والجبروت. فيقول: لا ليس هناك عذر أو حسنة نسيتها فيقول: «أي رب العالمين» بلى إن لك عندنا حسنات وليست حسنة واحدة قد خفيت عليك ولم تخف على الذي قال عن نفسه سبحانه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ۝٥** ﴾[1] «وإنه لا ظلم عليك اليوم» كما قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٧** ﴾[2] «فتخرج له بطاقة» أي رقعة صغيرة كقطعة الورق الصغيرة «فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» أي فيها كلمة قالها هي كلمة التوحيد، كلمة =

(١) سورة آل عمران آية (٥).

(٢) سورة غافر آية (١٧).

= النجاة، كـلمة الحق، كلمة السعادة في الدنيـا والآخرة، كلمـة تحقن الدمـاء، وتحفظ الأخلاء وتسعد بها الأرض والسماء كلمة تفتح بها الجنة ويسعد بها قائلها وينجو بها من النار قال: فـيقول: يارب مـا هذه البطاقة مع هذه السجـلات أي ما تساوى فـيهم فهم لهم حجم عظيـم ووزن ثقيل بالسيئات وهي حـجمها صغيـر، ولفظها قليل، ولم يعلم أنها ترجح الجبال وزنًا بخيرها الكثير» فيقول: [**إنك لا تظلم**] قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[1] فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة أي رجحت حسنات كلمة التوحيد على كل السيئات التي خفت سجلاتها بفضل أرحم الراحمين فسبحانه هو أهل التقـوى وأهل المغفرة، ونجا الخائف الذليل الراجي عفو ربه الرحيـم فلله الحمـد والمنه سبحـانه أرحم الراحمين الـقائل ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)**﴾[3] والله أعلم.

(١) سورة النساء آية (٤٠).

(٢) سورة الأنبياء آية (٤٧).

(٣) سورة يوسف آية (٦٤).

مبحث : ما يرجى من رحمة الله تعالى في الآخرة

١٨٥ ـ عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».

---

[١٨٥] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٧٧ في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه... ح٤٤ قوله: «برة» بضم الباء الموحدة وتشديد الراء المفتوحة، هي القمحة، قوله: «ذرة» بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء المهملة هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤس الإبر اهـ فتح ١/١٧٩.

المعنى

قال عز وجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2] فسبحانه لا يضيع عنده الصغير ولا الكبير بل يحصى النقير والقطمير ولا يظلم أحداً ولا قدر فتيل، من تلفظ بكلمة التوحيد وكان معها إيمان بها ولو وزن قمحة ولو وزن شعيرة ولو وزن ذرة ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا في كتاب مبين فإن ذلك يكون سبباً لنجاته من النار بإذن الله عز وجل قال شيخ الإسلام العسقلاني[3] : قوله: «من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه» فيه دليل على إشتراط النطق بالتوحيد، أو المراد بالقول هذا القول النفسي. فالمعنى من أقر بالتوحيد وصدق فالإقرار لا بد منه فلهذا أعاده في كل مرة والتفاوت يحصل في التصديق اهـ ودخولهم النار كان سبب ذنوب ماتوا =

---

(١) سورة الأعراف آية (١٥٦).

(٢) سورة النساء آية (٤٠).

(٣) فتح الباري ١/١٧٨.

= يوم ماتوا وما تابوا منها فحطت من مرتبتهم التي كانوا سيبلغونها بسبب توحيدهم لله عز وجل وعدم شركهم فأصبحوا في المشيئة حيث أذنبوا ذنوبًا دون الشرك بالله تعالى ولم يتوبوا حتى ماتوا فدخلوا النار للتطهير ثم يؤمر بهم ليخرجوا بالشرط وهو قول لا إله إلا الله مع أي إيمان لهم قل أو كثر، فعن أنس[1] عن النبيﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة، فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء...» فقوله: أدنى شيء يدخل فيه أقل القليل من الإيمان مع قوله لا إله إلا الله، قال الله عز وجل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴿٤٨﴾ ﴾ [2] فكل من مات على الشرك مخلد في النار والعياذ بالله تعالى، وأما من مات على ذنب دون الشرك فهو في المشيئة إن شاء الله غفر الله تعالى له دون سابقة عذاب وإن شاء عذبه على الذنب الذي مات عليه دون توبة، أما من أذنب وتاب فالله يكرمه بمنه وفضله ويتوب عليه سبحانه وتعالى له الحمد والمنة، والمراد بالخير في الحديث: هو الإيمان قال ابن حجر[3] : تعبيره في المتن بقوله: «من إيمان» بدل قوله: «من خير» يبين أن المراد بالخير هنا الإيمان اهـ، والإيمان يزيد وينقص قال تعالى ﴿ **ويزداد الذين آمنوا إيمانا** ﴾[4] لذلك عبر عن الإيمان بالبرة والذرة والخردلة وأدنى وأدنى شيء قال الكرماني: قوله: «أدنى أدنى» التكرير للتأكيد ويحتمل أن يراد التوزيع على الحبة والخردل أي أقل حبة من أقل خردلة من الإيمان.

ويستفاد منه صحة القول بتجزئ الإيمان وزيادته ونقصانه اهـ فاللهم ارزقنا إيمانًا عظيما تدخلنا به الجنة وتنجنا به من النار من غير سابق عذاب ولا مناقشة حساب يا رب العرش العظيم. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨/٢٦٤ في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح٧٥٠٩.

(٢) سورة النساء آية (٤٨).

(٣) فتح الباري ١/١٧٩.

(٤) سورة المدثر آية (٣١).

مبحث: الحياء والإيمان في الجنة والبذاء والجفاء في النار

١٨٦ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، والإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ، والبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، والجَفَاءُ فِي النَّارِ».

---

[١٨٦] أخرجه الترمذي في سننه ٦/١٤٨ في البر والصلة، باب ما جاء في الحياء وقال حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢/١٤٠٠ في الزهد، باب الحياء وهو شاهد عن أبي بكره.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٥٠١.

قوله: «البذاء» بالفتح والمد: الفحش في القول اهـ نهاية ١/١١١.

قوله: «الجفاء» بالفتح والمد: غلظ الطبع اهـ نهاية ١/٢٨١.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «الحياء من الإيمان» أي هو شعبة من الإيمان حيث أنه يدعو إلى فعل الخير وترك القبيح والإيمان كذلك وقد قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»(١)، قال صاحب التحفة(٢): قوله: «الحياء من الإيمان» أي بعض أو من شعبه اهـ وقوله: «والإيمان في الجنة» أي أصحاب الإيمان قال ﷺ: «ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»(٣) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴿١٠٨﴾﴾(٤) وفي رواية لأحمد(٥) «ألا لا يدخل الجنة =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٠٣ في الإيمان، باب أمور الإيمان ح٩.

(٢) تحفة الأحوذي ٦/١٤٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٢٠ في الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ح٢٢١.

(٤) سورة الكهف آية (١٠٧) (١٠٨).

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٤٩.

= إلا مؤمن» أي أهله، قال الطيبي: جعل أهل الإيمان عين الإيمان دلالة على أنهم تمحضوا منه وتمكنوا من بعض شعبه الذي هو أعلى الفرع منه كما جعل الإيمان مقراً ومبوأ لأهله في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾[1] لتمكنهم من الإيمان واستقامتهم عليه اهـ وقوله: «والبذاء من الجفاء» أي القول الفاحش من غلظة القلب والطبع وذلك يدل على سوء الأدب عن قلة الإيمان الذي يترتب عليه قساوة القلب وبعد رقته فما يزال العبد كذلك ـ والعياذ بالله تعالى ـ حتى يؤدي به إلى إنعدام الإيمان فيدخل النار أو يقرب من ذلك فيدخلها ليتطهر من الآثام التي لم يتب منها ولم يعاونه قلبه على ذلك قال تعالى: ﴿ **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيت إن كنتم تعقلون** ﴾[2] .

قال صاحب التحفة[3] : في قوله: «والبذاء» قال بفتح الباء خلاف الحياء وهو الناشيء من الفحش في القول، والسوء في الخلق «من الجفاء» وهو خلاف البر الصادر منه الوفاء. والجفاء: أي أهله التاركون للوفاء، الثابتون على غلظة الطبع وقساوة القلب «في النار» إما مدة أو أبداً لأنه في مقابل الكامل، أو مطلقه فصاحبه من أهل الكفران أو الكفر اهـ والله أعلم.

(١) سورة الحشر آية (٩).

(٢) سورة آل عمران آية (١١٨).

(٣) تحفة الأحوذي ٦/١٤٨.

مبحث: الحياء من الإيمان

١٨٧ ـ عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**».

---

[١٨٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٣٧ كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان ح٢٤.

قوله: «الحياء» هو انقباض النفس عن القبيح، وقيل: خوف الذم بنسبة الشر إليه، وقيل: هو انقباض النفس خشية ما يكره. اهـ فتح الباري ١/١٣٧: ١٣٨.

فوله: «دعه» أي اتركه وهو أمر لا ماضي له اهـ عمدة القارى ١/٢٠١.

المعنى

بئر الأدب، ومنبعه الصافي، والبذرة التي تخرج منها شجرة الأخلاق الحسنة هو الحياء، وهو غصن نضرة ثماره متفتحة في شجرة الإيمان، لذلك قال رسول الله ﷺ: «والحياء شعبة من الإيمان»[١] وهو صفة عظيمة جداً لذلك بلغت عالياً في الأنبياء ففي الحديث: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها»[٢] فالحياء لا شر فيه كما جاء في الصحيح «الحياء كله خير»[٣] حتى ولو كان يمنع الإنسان من استيفاء حق نفسه فأيضاً فيه خير ويؤجر على تسامحه في حقه حياء، لذلك لما وجد النبي ﷺ الأنصاري يعاتب أخاه في الحياء الذي يمنعه من استيفاء ما له أمره النبي ﷺ بأن يتركه على هذا الخلق السني وبين أنه من الإيمان. قال ابن حجر رحمه الله[٤] =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٨ في الإيمان ح٣٥ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.. الخ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٣١٣، ٣١٤ في الأدب ح٦١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٠ في الإيمان ح٣٧ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها .. الخ.

(٤) فتح الباري ١/١٣٧.

= تعالى فكأن الرجل كان كثير الحياء. فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه. فعاتبه أخوه على ذلك، فقال له النبيﷺ «دعه» أي اتركه على هذا الخلق السني ثم زاده في ذلك ترغيبًا لحكمه بأنه من الإيمان، وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جر له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق لا سيما إذا كان المتروك له مستحقًا اهـ وقال بدر الدين العيني[1] : قوله: «في الحياء» فيه حذف أي في شأن الحياء وفي حقه ومعناه أنه ينهاه عنه ويخوفه منه، فزجره النبيﷺ عن وعظه فقال: دعه: أي اتركه على حيائه، فإن الحياء من الإيمان، وقال التيمي الوعظ الزجر: يعني يزجره عن الحياء ويقول له لا تستحي، فقال رسول اللهﷺ - يعني - «دعه يستحي فإن الحياء من الإيمان» إذ الشخص يكف عن أشياء من مناهي الشرع للحياء ويكثر مثل هذا في زماننا اهـ بتصرف يسير. وأما قوله: «فإن الحياء من الإيمان» قال ابن قتيبة: معناه: أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان فسمى إيمانًا كما يسمى الشيء بإسم ما قام مقامه. وقال ابن حجر[2]: وقولهﷺ: ما معنى «من» في قوله: «من الإيمان» قلت: معناه التبعيض والدليل عليه قولهﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان» ثم قال: المعنى: فإن الحياء من مكملات الإيمان اهـ إذًا فمن لا حياء له فإما أنه قليل الإيمان أو لا إيمان عنده، فالطاعات يزداد بها الإيمان ويزداد تبعًا لها الحياء فأكثر الناس حياء الصالحون وقبلهم الصديقون وأعلاهم النبيون، وأبعد الناس عن الحياء الكافرون، فلما عاش المسلمون مع الكافرين وقلودهم ذهب حياؤهم حتى أصبحت المرأة التي كان يضرب بحيائها أعلى الأمثال أصبحت يضرب بقلة حيائها الأيدي على الأيدي فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال الله تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾[3] والآن العذراء تمشي بلا استحياء!! النساء الفضليات في القرن =

(١) عمدة القاري للعيني ١/٢٠١.

(٢) فتح الباري ١/١٣٨.

(٣) سورة القصص آية (٢٥).

= الأول قال لـهن عمـر رضي الله عنه: لو أطاع فيكن مـا رأتكن عين[1] فكيف لو رأى عمر هذا الزمان وصدق ﷺ حين قال ما أخرجه البخاري[2] عن أنس رضي الله عنه «لا يأتي عليكم زمـان إلا والذي بعده شـر منه» فالـلهم سلمنا من شر زمـاننا وما بـعد زماننا وما بعد زماننا يا ربنا.

والله لو لم يكن هناك داع إلى الحياء إلا التقلب في النعم المسبغة ظاهراً وباطناً من الله تعالى لكفى قال ابن حـجر: «قد يتـولد الحيـاء من الله تعالى من الـتقلب في نعـمه فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته اهـ والله أعلم.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٥٠٥ في تفسير سورة الأحزاب وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣/٢٧ في الفتن ح٧٠٦٨، باب «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه».

مبحث : محبة المؤمنين من الإيمان

١٨٨ - عن أبي هريرة قال: قَالَ رسول الله ﷺ: **«لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمنوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبتم أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُم»**.

---

[١٨٨] أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٣٥ في الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

وأخرجه الترمذي في سننه ٧/٤٦٠ في الإستئذان والآداب، باب ما جاء في إفشاء السلام، ح٢٨٢٨ وقال حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٢١٧ في الأدب، باب إفشاء السلام.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٣٩١.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا» وعند الترمذي: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا» هذا معروف اجتمعت أدلة الشرع الحنيف الشريف عليه أنه لا دخول للجنة إلا بالإيمان وفي المسند[١] : «ألا لا يدخل الجنة إلا مؤمن» قال النووي[٢] : وأما قوله ﷺ: «ولا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا» فهو على ظاهره وإطلاقه فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمنًا وإن لم يكن كامل الإيمان فهذا هو الظاهر من الحديث اهـ قوله: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» أي لا يكمل إيمانكم إلا إذا أحب بعضكم بعضًا لله تعالى، قال ابن الصلاح: معنى الحديث لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب ولا تدخلون الجنة عند =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند عن جابر مرفوعًا ٣/٣٤٩.

(٢) شرح مسلم ٢/٣٦.

= دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك، قال النووي: وهذا الذي قال محتمل والله أعلم اهـ قوله: «أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم» وعند الترمذي «ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم» أي ألا أخبركم بشيء إذا عملتموه حدث الحب بينكم الذي هو من الإيمان فإن حب المؤمنين من الإيمان وبغضهم من النفاق، وحب الكفار من الكفر وبغضهم من الإيمان قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾[1] قوله: «أفشوا السلام بينكم» قال صاحب التحفة[2]: بقطع الهمزة المفتوحة من الإفشاء وهو الإظهار اهـ قلت والنشر والبث والإلقاء على كل من لقيه من المسلمين فقط لأن الحديث الآخر يخرج غير المسلمين من الأمر السابق ففيه[3] «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».

وقال النووي: وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غير أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين اهـ والله أعلم.

(١) سورة المجادلة آية (٢٢).

(٢) تحفة الأحوذي ٤٦١/٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٠/١٤ في السلام ح٢١٦٧ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

مبحث : عاجل بشرى المؤمن

١٨٩ ـ عن أبي ذر قال: قِيلَ لِرَسُول الله ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ مِنَ الخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيهِ؟ قال: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ**».

---

[١٨٩] أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٨٩ في البر والصلة والآداب باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره.

المعنى

يروي لنا أبو ذر رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله ﷺ «أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه» أي أرأيت يا رسول الله الرجل من المسلمين يعمل العمل الصالح لله عز وجل فيخلصه له لا يبتغي وجه الناس لكن وجه الله تعالى لكنه يجد من الناس مودة ومحبة وحمداً وثناء، فقال ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن» أي: هذه بشريات من المولى عز وجل للمؤمن أن الله عز وجل يحبه، ويرضى عمله كما في الحديث الصحيح: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض»[١] قال النووي[٢]: ويحبه الناس عليه في رواية[٣] قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث: «ثم يوضع له القبول في الأرض» هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم. اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨/٢٥ في التوحيد ح٧٤٨٥.

(٢) شرح مسلم ١٦/١٨٩.

(٣) أخرجها مسلم ١٦/١٨٩ في البر والصلة.

مبحث: البكاء عند تلاوة القرآن الكريم

١٩٠ ـ عن عائشة رضي الله عنها زوج النَّبِيِّ ﷺ قالت: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيّ إلاَّ وَهُمَا يَدِينَـانِ الدِّينَ، ولم يَمُرّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلاَّ يَأْتِينَا فـيه رسولُ اللهِ ﷺ طَـرَفَي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثم بدا لأبي بكر فابْتَنَى مـسَجْدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، فكان يُصلي فيهِ ويَقْرأُ القرآنَ فـيقفُ عليهِ نسـاء المشركين وأبناؤهمْ يعـجبُونَ منْه وينظرُونَ إلَيْـهِ، وكان أَبُو بكر رجلاً بَكَّاءً لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُـرْآن، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أشرافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

---

[١٩٠] أخرجـه البخـاري في صحيـحه ٣/١٣٩ كتـاب الصلاة، باب المسـجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس وبه ح٤٧٦.

وأخرجـه أيضًا ١٥/٨٤ كتـاب المبعث النبـوي، باب هجرة النبيﷺ وأصـحابه إلى المدينة ح٣٩٠٥.

قوله: يدينان الدين: أي يدينان بدين الإسلام، وقـوله: لا يملك عينيه: أي لا يطيق إمساكهما عن البكاء من رقة قلبه. اهـ فتح ١٥/٨٤: ٨٧.

المعنى

إنه كـلام رب العـالمين ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[١] لذلك لو نزل على الجبـال لخشـعت وتصدعت قـال تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٢] ، لقد كان جبريل عليه السـلام ينزل بالوحي على رسول اللهﷺ وهو على ظهر الناقة فـيكاد ظهرها أن يندق، ولقد كان ينزل عليه وإن فخذه علـى فخذ زيد بن ثابت فتكاد أن ترض فخذه =

---

(١) سورة الشعراء آية (١٩٣: ١٩٥).

(٢) سورة الحشر آية (٢١).

= بالأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾﴾[1] يقول زيد رضي الله عنه: «أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي»[2] أما القلوب القاسية فلا تشعر بذلك كله، والقلوب المقفلة هي في منأى عن جبال الخير، والقلوب الغلف قد حرمت وستظل محرومة حتى تخلع غلافها لينفذ إليها الكلام الذي يرطبها كما يرطب الطمي في الشتاء أما القلوب النقية التقية الزاكية فسرعان ما تسمع، سرعان ما ترق لوصول القرآن إلى شغافها وسريانه بين خللها فلا تملك عينها فتنهمر دموعها إذ سمعت كلام ربها ينذر بوعدها، ويبشر بوعيدها، ويخوف من النار وأغلالها وسعيرها وحرها وزقومها وسلاسلها وحميمها وغساقها وغسلينها، ويبشر بالجنة وغرسها وحريرها، ومرجانها، وقصبها وذهبها وأكوابها، وصحافها، وأباريقها، وعسلها ولبنها، وخمرها وغير ذلك مما أعد ربها عز وجل وهكذا كان قلب الصديق رضي الله عنه لا يتمالك عند سماع القرآن ولا قراءته ولا يملك عينيه فلا يطيق إمساكها عن البكاء الذي يمنعه القراءة، لذلك لما قال النبي ﷺ في مرضه الأخير «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر ... الحديث»[3] وهنا أيضًا بكاؤه رضي الله عنه وحسن تلاوته للقرآن الكريم جعل نساء المشركين وشبابهم يتقصفون عليه أي يزدحمون عليه حتى يقع البعض على البعض فأفزع ذلك شيوخهم وخافوا على نساءهم وشبابهم من الدخول في الإسلام، لكن هيهات هيهات: أشرقت الشمس بعد زوال السحاب وانقشاع الغبار ونادى ربنا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ =

---

(١) سورة المزمل آية (٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٧/١٧ ح٤٥٩٢ في تفسير سورة النساء.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٤/٤، ١٨٥ ح٤١٨ - ٩٤.

= ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[1] فاللهم أصلح قلوبنا بالقرآن ورققه به يا رحمن. والحمد لله رب العالمين، قال الحافظ[2] : قوله: «لم أعقل أبوي» يعني أبا بكر وأم رومان قوله: «يدينان الدين» بالنصب ـ أي للدين ـ على نزع الخافض أي يدينان بدين الإسلام، أو هو مفعول به على التجوز، وقوله[3] : «ثم بدا لأبي بكر» أي ظهر له رأي غير الرأي الأول «فابتنى مسجداً بفناء داره» بكسر الفاء وتخفيف النون وبالمد أي أمامها اهـ وقوله: «فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم» وفي رواية الهجرة «فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم» قال الحافظ في الكفالة بلفظ «فيتقصف» أي يزدحمون عليه، حتى يسقط بعضهم على بعض، فيكاد ينكسر اهـ وقوله: «يعجبون منه وينظرون إليه» أي من البكاء والقراءة، وحلاوة الكلام لأنهم عرب يجيدون العربية ويفهمونها وازداد عجبهم لإعجاز الكلام الزائد التام الذي ما سمعوا مثله فلذلك ازدحموا، فأين أهل زماننا أي غالبهم!!؟ وقوله: «وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن» قال الحافظ[4] : قوله: «بكاء» بالتشديد أي كثير البكاء وقوله: «لا يملك عينيه» أي لا يطيق إمساكهما عن البكاء من رقة قلبه، وقوله: «فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين» أي أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام اهـ قال تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[5] والله أعلم.

---

(١) سورة النصر.

(٢) فتح الباري ١٥/٨٤.

(٣) فتح الباري ١٥/٨٦.

(٤) فتح الباري ١٥/٨٧.

(٥) سورة براءة آية (٣٢).

مبحث: من طهره الله من الغش والحسد أدخله الجنة

١٩١ ـ عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسًا مع رَسُول اللهﷺ فقال: «**يَطْلُعُ عَلَيّكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فطلع رجل من الأنصار تَنْطُفُ لحيته مِن وضوئه قد تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ في يدِهِ الشمالِ فلمَّا كَانَ الغَد قَالَ النبيُّﷺ مثل ذَلِكَ فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مثلَ المَرَّةِ الأُولى فَلَمَّا كَانَ اليوم الثالث قال النبيُّﷺ مثل مقالته أيضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى فَلَمَّا قَامَ النبيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ ابنُ عَمْروٍ بن العَاصِ فقال: إِنِّي لاَحَيْتُ أبي فأقسمتُ أن لاَ أدخلَ عليه ثلاثًا فإن رأيتَ أن يُؤْوِيَنِي إليكَ حتى تمضِيَ فعلتُ، قال نَعَمْ، قال أنس: وكَانَ عبْد الله يحدثُ أنهُ باتَ معهُ تلكَ الليالِي الثلاثَ فَلَمْ يرَه يقومُ منَ الليلِ شيئًا غير أنهُ إذا تَعَارَّ وتَقَلَّبَ على فراشِهِ ذَكَرَ اللهَ عزَّ وَجلَّ وكَبَّرَ حتى يقومَ لصلاةِ الفجرِ قال عَبْدُ الله غيرَ أني لمْ أسمعهُ يقولُ إلا خَيْرًا فلما مضتْ الثلاثَ ليالٍ وكدتُ أنْ أحْتَقِرَ عَمَلَهُ قلت: يا عَبْدَ الله إني لمْ يكنْ بيني وبينَ أبي غضب ولاَ هَجْرٌ ثَمَّ ولكن سمعتُ رَسُولَ اللهﷺ يقولُ لك ثلاث مرارٍ «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فطلعتَ أنت الثلاثَ مرار فأردتُ أن آوي إليك لأنظرَ ما عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ به فلم أرَكَ تعمل كثيرَ عملٍ فما الذي بلغ بك ما قال رسولُ اللهﷺ فقال: ما هو إلا ما رأيتَ قال: فلما وليتُ دعاني فقال ما هُوَ إلا مَا رَأَيْتَ غيرَ أنِّي لاَ أجِدُ فِي نَفْسِي لأحَدٍ مَنَ المُسْلمينَ غشًا ولا أحسدُ أحَدًا علىَ خَيْرٍ أعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فقال عبدُ الله هذه التي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ التي لا نُطِيقُ».

---

[١٩١] أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٦٦ عن شيخه عبد الزراق عن معمر عن الزهري عن أنس فالحديث رواته كلهم أئمة ثقات مشهورون.

وأخرجه الإمام عبد الله بن المبارك في كتابه الزهد باب ما جاء في الشح ص٢٤١ ح٦٩٤.

قوله: «تنطف لحيته» نطف الماء ينطف، وينطف: إذا قطر قليلاً اهـ نهاية ٥/٧٥.

قوله: «لا حيت أبي» لاحيته ملاحاة ولحاء: إذا نازعته اهـ نهاية ٤/٢٤٣.

قوله: «تعار من الليل» أي: هب من نومه واستيقظ والباء زائدة اهـ نهاية ١/١٩٠.

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنهم كانوا جلوساً مع النبي ﷺ فقال ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل جنة» أي سيخرج عليكم ماراً أو آتياً إلى مجلسكم رجل سيكون مصيره بما علمني الله تعالى أنه من أهل الجنة إن شاء الله تعالى: «فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال» أي خرج الرجل المقول عنه بتلك البشرى العظيمة حالة كونه متوضئاً والماء يقطر من لحيته وقد أمسك نعليه بيده اليسرى كما هو في السنة «فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى «أي تكررت البشرى من النبي ﷺ ثلاث مرات وتكرر دخول صاحبها محافظاً على تجديد وضوئه محافظاً على إتباع السنة في الأخذ بنعليه ثلاث مرات وذلك أيضاً من دلائل نبوة نبينا ﷺ حيث يخبرنا قبل دخول الرجل ثلاث مرات «فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضى فعلت، قال نعم «أي فلما قام رسول الله ﷺ من مجلسه المبارك الشريف قام عبد الله بن عمرو وراء الأنصاري المبشر بالجنة فأخبره أنه تنازع مع أبيه رضي الله عنهم أجمعين فحلف أن لا يدخل على أبيه ثلاثة أيام ولعل ذلك كان من عبد الله قبل إسلامه فليس ها هنا كذباً لأنه لم يحدد وقت الملاحاة والحلف والله أعلم. ثم طلب منه إن رأى أن يؤييه تلك الثلاث حتى تمضي فعل. قال الأنصاري =

= صاحب البشرى: نعم أي رضيت، وذلك خلق أهل الجنة «قال أنس وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر» أي أنه وجده بلا عباده زائدة عن عامة الناس إلا أنه إذا هب من نومه مستيقظا ذكر الله عز وجل مكبراً مسبحًا مهللاً مثنيًا على المولى عز وجل وذلك حتى الفجر فكان ذلك موضع عجب من عبدالله. قال عبد الله «غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً» هذه أول الأشياء التي تدبر عبد الله فيها أنه فاق فيها غيره من الناس ليبشر بالجنة أنه لم يتكلم إلا بخير وهذه حقًا موجبة للجنة «فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ» أي بعد الثلاثة أيام كاد عبد الله أن يحتقر عمل الأنصاري من قلته وقد ظن أنه ذو عمل دائب كثير ولم يعلم أنه وصل بعمل عظيم لكنه عمل قلبي لا دخل للجوارح فيه، فأخبره عبد الله أنه لم يكن هناك غضب بينه وبين أبيه ولا هجر هناك ولكن جاء لحديث النبي ﷺ أنك من أهل الجنة فجئت لأقتدي بأعمال المبشرين بها فكيف وصلت مع قلة قيامك وصيامك وما رأيت إلا قول الخير فقط فقال: ما هو إلا ما رأيت أي ليس هناك من الأعمال غير ما رأيته مني قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه أي ثم تذكر فدعاني ليخبرني بالتي غالبًا وصل بها بل هي التي وصل بها وهي أنني لا أحمل في صدري لأحد من المسلمين حسداً ولا حقداً ولا ضغينة ولا غشًا ولا أتمنى زوال نعمة أنعمها الله تعالى على عبد من عباده المسلمين لذلك قال عبد الله: «هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق» يعني أنت وصلت بهذا الأمر العظيم وهو طهارة القلب للمسلمين وهي التي لا يقدر عليها أكابر الصالحين إلا من وفقه الله عز وجل فاللهم نق قلوبنا وطهرها من كل شرك ورياء وحقد وغل وحسد يارب العرش العظيم والله أعلم.

مبحث: تحريم سب الصحابة
فإنهم أفضل الناس إيمانًا بعد الأنبياء

١٩٢ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابي، لاَتَسبُّوا أَصْحَابي، فوَالَّذي نَفْسِي بيَده لَوْ أَنَّ أَحَدكُمْ أَنْفَقَ مثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدهمْ وَلاَ نَصيفَهُ**».

---

[١٩٢] أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٩٢ في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة.

قوله: «مد» المد في الأصل: ربع الصاع اهـ نهاية ٤/٣٠٨.

قوله: «نصيفه» النصيف: النصف اهـ شرح مسلم ١٦/٩٣.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي» أي لا تشتموهم وإن أخطأوا فخيرهم كثير وخطؤهم قليل فهم أعمدة الإسلام وأصحاب النشأة الأولى الذين جاهد بهم رسول الله ﷺ حتى أقام الله عز وجل دينه وأظهره وقوله: «فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» أي يقسم نبينا ﷺ أنه لو تصدق أحد من الناس بعد الصحابة رضوان الله عليهم بمثل جبل أحد ذهبًا، هذا الجبل العظيم، لو كان ذهبًا ملك أحد من الناس فتصدق به لله تعالى ما بلغ أجره كأجر رجل من الصحب الكرام تصدق بملء كفيه ولا نصفه!! نعم فهم الذين قال الله عز وجل عنهم وعن أسبقيتم مالم ينل أحد مثل مراتبهم ولن ينال لأجل تلك الأسبقية قال الله عز وجل ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (١٠٠)[1] وجعل النبي ﷺ حبهم حبًا له ﷺ فقال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم =

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).

= غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد أذى الله، ومن أذى الله يوشك أن يأخذه»[1] .

قال النووي[2] : واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر وقال بعض المالكية يقتل اهـ وهو الأرجح ثم قال قال أهل اللغة النصيف النصف ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدًا ولا نصف مد قال القاضي ويؤيد هذا ما قدمناه عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحلال بخلاف غيرهم ولأن انفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته وذلك معدوم بعده وكذا جهادهم وسائر طاعتهم وقد قال الله تعالى ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة .. الآية** ﴾ هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء والفضائل لا تؤخذ بقياس ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴿٤﴾ ﴾[3] اهـ والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٦٥ في المناقب في من سب الأصحاب، وقال حسن غريب.

(٢) شرح مسلم ١٦/٩٣.

(٣) سورة الجمعة آية (٤).

مبحث: ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة

١٩٣ ـ عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةَ».

---

[١٩٣] أخرجه مسلم في صحيحه أصله بلفظ مقارب ١٦/٨٤ في فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم ح٢٤٩٦.

وأخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٦٢ واللفظ له في المناقب، باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة، ح٣٩٥١ وقال حسن صحيح واللفظ له.

وأخرجه أبو داود في السنة ١٢/٤٠٤.

وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٥٠.

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» وعند مسلم «لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها». أي من أسرعوا بالإستجابة لرسول الله ﷺ وقت أن احتاج البيعة منهم لهم ولمنفعتهم ولم يتقاعسوا ويترددوا أو يتلعثموا عنها كافأهم ربنا عز وجل بأن ذكرهم صراحة في كتابه الكريم بأنه رضي عنهم سبحانه قال تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[1] وكافأهم نبينا ﷺ بقوله: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» قال النووي[2] : قال العلماء: معناه: لا يدخلها أحد منهم قطعاً وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك اهـ وقال =

---

(١) سورة الفتح آية (١٨).

(٢) شرح مسلم ١٦/٨٤ ح٢٤٩٦.

مبحث: فضل القلوب الرقيقة

١٩٤ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الفِقْهُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**».

= صاحب التحفة: هذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ قيل ألفًا وثلاثمائة، وقيل وأربعمائة وقيل خمسمائة الأوسط أصح قاله الحافظ ابن كثير اهـ. وهذه البيعة كانت زمن الحديبية ولم يتوانى الصحابة في الإسراع إلى المبايعة وهذا من أسباب رضا الله تعالى عنهم فقد أخرج الطبري[1] عن سلمه قال: بينما نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادي رسول الله ﷺ أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس صلوات الله عليه قال: فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة، قال: فبايعناه، وذلك قول الله ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ اهـ والله أعلم.

مبحث: فضل القلوب الرقيقة

[١٩٤] أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٣٠ في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان.
وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٥٢.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية» ذكرى النووي[2] في تأويل هذا الحديث آراء منها أن النبي ﷺ قال ذلك وهو بتبوك فالإشارة إلى مكة والمدينة ومنها أن المراد بذلك الأنصار لأن أصلهم يمانيون ثم رجح أنهم أهل اليمن لأن النبي ﷺ =

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره لسورة الفتح آية ١٧ ح٣١٥١٧ ح١١/٣٤٨.

(٢) شرح مسلم ٢/٣٢: ٣٤.

= كـان يكلم بذلك الحديث أهل مكة والمـدينة وأنه في حديث قـال: «جاء أهل اليـمن» وإنما جاء حـينئذ غير الأنصـار ثم قال: ولا مانع من إجـراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقـيقة لأن من اتصف بشيء قوي قيامـه به وتأكد إطلاعه منه ينسب ذلك الشيء إليه اشعاراً بتمييزه به وكمال حاله فيه وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة رسول اللهﷺ وفي أعقاب وفاتهﷺ كأويس القرنـي وأبي مسلم الخـولاني رضي الله عنهمـا وشبهـهمـا ممن سلم قلبه وقـوي إيمانه فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قولهﷺ: «الإيمان في أهل الحجاز»[1] ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئـذ لا كل أهل اليمن في كل زمان فإن اللفظ لا يقتـضيه هذا هو الحق في ذلك ونشكر الله تعالى على هدايتنا له والله أعلم اهـ.

قوله: «هم أضعف قلوبًا وأرق أفئدة» قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: قيل الفؤاد غير الـقلب وهو عين القلب وقيل باطن القلب وقيل غـشاء القلب وأما وصفـها باللين والرقة والضـعف فمعناه أنها ذات خـشية واستكانة سـريعة الإستجابة والتـأثر بقوارع التذكـير سالمة من الغلظ والشـدة والقسوة التي وصف بهـا الآخرين قولهﷺ: «الفـقه يمان والحكمة يمانيـة» قال النووي[2]: قال الشيـخ أبو عمرو بن الصـلاح: وأمـا ما ذكر من الفقـه والحكمة فالـفقه هنا عـبارة عن الفهم في الدين واصطـلح بعد ذلك الفقـهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحـكام الشرعية العملية بالإستدلال على أعيانهـا، وأما الحكمة ففـيها أقوال كثيرة ذكر أرجحهـا عندي وهو أن الحكمة: عبارة عن العلم المتـصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتـعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك اهـ قـال الله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[3] والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان ٢/٣٢، باب تفاضل أهل الإيمان.

(٢) شرح مسلم ٢/٣٢: ٣٤.

(٣) سورة البقرة آية (٢٦٩).

مبحث : من صدق الله صدقه الله

١٩٥ - عن أنس رضي الله عنه قال: عَمِّي الذي سميتُ به لم يشهدْ مع رَسُولِ الله ﷺ بَدْرًا، قال: فشق عليه قال: أول مشهدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ الله ﷺ غُيِّبْتُ عنه وإن أرانيي الله مشهداً فيما بعدُ مع رسول الله ﷺ لَيَرَانِي الله مَا أَصْنَعُ، قال: فَهَابَ أن يقول غيرها قال: فشهدَ مع رَسُولِ الله ﷺ يوم أُحُدٍ، قال: فاسْتَقْبَلَ سَعْدَ بن مُعَاذٍ فقال له أنس: يا أبا عمرو: أين؟ فقال: وَاهًا لِرِيح الجَنَّةِ أجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قال: فقاتلهم حتى قُتِلَ، قال: فَوُجِدَ في جسده بضعٌ وثمانون ما بينَ ضَرْبَةٍ وطَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ، قال: فقالت أختُه عَمَّتي الربيع بنت النضر: فما عَرَفْتُ أخي إلا بِبَنَانِهِ، ونزلت هذه الآية ﴿رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ قال: فكانوا يرونَ أنها نزلتْ فيه وفي أصْحَابِهِ.

---

[١٩٥] أخرجه البخاري في صحيحه في الجهاد ١١/٢٨٤ باب قول الله عز وجل ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه...﴾ الآية ح٢٨٠٥.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣/٤٧ في الجهاد والسير، باب ثبوت الجنة للشهيد واللفظ له.

وأخرجه الطيالسي في مسنده ٢٧٢/٨ من طريق ثابت عن أنس ح٢٠٤٤.

قوله: «بنانه» البنان الأصابع وقيل أطرافها واحدتها بنانة اهـ نهاية ١٥٧/١.

ملاحظة: الشرح على رواية البخاري والحديث بلفظ مسلم.

المعنى

ما طاب عيش لمن فاته ما أدرك أصحابه من نيل المراتب العالية بإدراك الشهادة في سبيل الله تعالى حتى شد على رحله ليقطع أطول الطريق ليلحق بالركب حتى ولو =

= كان ذا عرج قال القائل: اسير خلف ركاب النجب ذا عرج.. مؤملاً كشف مالقيت من عوج، فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا.. فكم لرب الورى في ذاك من عجب، وإن بقيت بظهر الأرض منقطعًا فما على عرج في ذلك من حرج. فيقول أنس رضي الله عنه غاب عمي أنس بن النضر وعند مسلم: «الذي سميت به» أي سموني على اسمه قوله: «عن قتال بدر» وعند مسلم: «فشق عليه» أي التخلف مع أنه معذور للفجأة على غير ميعاد أي حدوثها قوله: «فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين» قال الحافظ بن حجر[1] : أي لأن بدراً أول غزوة خرج فيها النبيﷺ بنفسه مقاتلاً وقد تقدمها غيرها لكنه ما خرج فيهاﷺ بنفسه مقاتلاً: اهـ قوله: «لئن الله أشهدني قتال المشركين» أي لئن قدر الله عز وجل لي أن نقاتل المشركين قال الحافظ[1]: أي أحضرني اهـ قوله: «ليرين الله ما أصنع» كأنه يقسم لأفعلن ما يعجب الله عز وجل ويرضيه عنه قال الحافظ[1]: «ليرين بتشديد النون للتأكد واللام جواب القسم المقدر اهـ وعند مسلم: «أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول اللهﷺ ليراني الله ما أصنع» قوله: «فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون» أي لما جاء يوم غزوة أحد وانهزم المسلمون بعد النصر الأول وقبل الإلتئام وجمع الشمل الأخير قوله: «قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء» يعني أصحابه قال الحافظ: أي من فرار المسلمين قوله: «وابرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين» أي من فعل المشركين «ثم تقدم» أي نحو المشركين اهـ «فاستقبله سعد بن معاذ» وعند الطيالسي[2] : «فرأى سعد بن معاذ منهزمًا» فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد» وعند مسلم «فقال: واهاً لريح الجنة أجده دون أحد» قال النووي[3] : قال العلماء: واهًا كلمة تحنن وتلهف قوله: «أجده دون أحد» =

---

(١) فتح الباري ١١/٢٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ص٢٧٢ ح٢٠٤٤ مسند أنس من رواية ثابت.

(٣) شرح مسلم ١٣/ ٤٨.

= محمول على ظاهره وأن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام اهـ فلما أخلص واشتاق وطار قلبه إلى هناك شم رائحتها قال الحافظ[1]: «واهًا» قال إما تعجبًا وإما تشوقًا إليها فكأنه لما ارتاح لها وإشتاق إليها صارت له قوة من استنشقها حقيقة.

قوله: «قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس» قال الحافظ[1]: قال ابن بطال: يريد ما استطعت أن أصف ما صنع أنس من كثرة ما أغنى في المشركين. والأرجح ما تأوله الحافظ برواية يزيد بن هارون عن حميد «فقلت أنا معك فلم أستطع أن أصنع ما صنع»[2] قال وظاهره أنه نفي استطاعة إقدامه الذي صدر منه حتى وقع له ما وقع من الصبر على تلك الأهوال ثم قال: وهذا أولى من تأويل ابن بطال اهـ قوله: «فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون» وعند مسلم «من بين ضربة وطعنة ورمية» قال الحافظ في البضع ما بين الثلاث والتسع ومثل من المثلة وهي: قطع الأعضاء من أنف وأذن ونحوهما اهـ ملخصًا قوله: «فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه» وعند مسلم: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه وزادت عند الطيالسي[3]: «كان حسن البنان» لذلك عرفته أكد. قال الحافظ: والبنان الإصبع وقيل طرف الإصبع قوله: «قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴿٢٣﴾ ﴾[4] إلى آخر الآية أي نزلت فيمن فعل مثل ما فعل أنس بن النضر وفيه رضي الله عنهم أجمعين وألحقنا الله تعالى بهم بمنه وكرمه آمين. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٢٨٣/١١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٠١/٣.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ص٢٧٢ ح٢٠٤٤ مسند أنس من رواية ثابت.

(٤) سورة الأحزاب آية (٢٣).

مبحث : سلام جبريل عليه السلام على بعض أزواج النبيﷺ

١٩٦ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ يومًا: «يَا عَائش، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ» فقلت: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، تَرَى مَالاَ أَرَى، تُرِيدُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

---

[١٩٦] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٢٥٦ في المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها ح٣٧٦٨.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٥/٢١١، ٢١٢ في فضائل الصحابة، باب فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المعنى

قال تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءابآئِهِم وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[١] فقد سَلَّمَ جبريل من قبل على خديجة رضي الله عنها بل قد بلغها السلام من رب العزة عز وجل وهنا يقرئ السلام لعائشة رضي الله عنها وقد أخذ البعض من ذلك تفضيل خديجة على عائشة وهو أوضح بأدلة كثيرة أخرى قال الحافظ في الفتح[٢]: وقد استنبط بعضهم من هذا الحديث فضل خديجة على عائشة لأن الذي ورد في حق خديجة أن النبيﷺ قال لها: «إن جبريل يقرئك السلام من ربك» وأطلق هنا السلام من جبريل نفسه اهـ قلت ولفظ الحديث في البخاري «فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة.... الحديث» وهنا تقول عائشة قال رسول اللهﷺ يوماً «يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام» قال =

---

(١) سورة الرعد آية (٢٣، ٢٤).

(٢) فتح الباري ١٤/٢٥٦.

= الحافظ ابن حجر[1]: قوله: «يا عائش» بضم الشين ويجوز فتحها وكذلك يجوز ذلك في كل اسم مرخم اهـ. أي هذا جبريل يرسل معي إليك السلام وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها حيث أن سيد الملائكة جبريل عليه السلام نفسه يقرئها السلام قال النووي[2]: ومعنى يقرئ عليك السلام: أي يسلم اهـ قولها: «فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته» قال النووي: فيه فضيلة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها وفيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه قال أصحابنا وهذا الرد واجب على الفور وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه وفيه أن يستحب في الرد أن يقول: «وعليك، أو» وعليكم السلام» بالواو فلو قال: عليكم السلام أو عليكم أجزأه على الصحيح وكان تاركًا للأفضل ومعنى يقرأ عليك السلام أي يسلم عليك اهـ قولها: «ترى ما لا أرى» تريد رسول الله ﷺ قال الحافظ[3] هو من قول عائشة اهـ وفي رواية مسلم «وهو يرى ما لا أرى» أي يرى جبريل ونحن لا نراه حيث هو يراه كلما أتاه والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١٤/٢٥٦.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٥/٢١١.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب ١٤/٢٩٣ باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ح٣٨٢٣.

مبحث: من مات على الإسلام نجا من النار ولو كان صغيراً

١٩٧ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهودي يَخْدُمُ النَّبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فأتاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فقعد عند رأْسِهِ، فقال له: «**أَسْلِمْ**»، فنظرَ إلى أبيه وهو عندَهُ فقال له: أطعْ أبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فخرج النَّبيُّ ﷺ وهو يقول: «**الحَمْدُ للهِ الَّذي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**».

---

[١٩٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦٩/٦ في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ومات هل يصلي عليه، ح١٣٥٦.

المعنى

هو الحبل المتين، وهو العروة الوثقي، هو سفينة نوح، من اعتصم به نجا في الآخرة بعد أن يسعد في الدنيا وفاز في الآخرة إذا مات على ذلك ولو كان صغيراً وينجو من النار ولو كان ذلك عند الأنفاس الأخيرة.

ويخبرنا أنس رضي الله عنه أن غلامًا يهوديًا كان يخدم النبي ﷺ، قال ابن حجر(١) : لم أقف في شيء من الطرق على تسميته إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب العتيبة حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد القدوس اهـ قلت: وقد قال خلف بن بشكوال في كتابه الغوامض: المذكور اسمه عبد القدوس ذكر ذلك محمد بن أحمد العتيبي في جامعه اهـ(٢) فمن رحمة النبي ﷺ التي فاضت حتى نالت الكافر أن زاره صغيراً كافراً، لكن ذلك كان ليدعوه وينقذه من النار وتحقق ذلك بفضل الله تعالى، صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال القسطلاني في شرح الحديث(٣) : ولله در القائل: ومريض أنت عائده. قد =

---

(١) فتح الباري ٢٦٩/٦ شرح ح١٣٥٦.

(٢) كتاب الغوامض والمبهمات لخلف بن بشكوال ٦٤٥/٢ ح٦٤٦.

(٣) هدي الساري شرح القسطلاني ٤٤٩/٢ جنائز، باب إذا أسلم الصبي..

مبحث: لا يضيع عند الله من أعمال الإيمان شيء

١٩٨ ـ عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أرأيت أمورًا كنت أتحنث ـ أو ـ أتحنت بها في الجاهلية من صلة، وعتاقة، وصدقة، هل لي فيها أجر؟ قال حكيم رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**أسلمت على ما سلف لك من خير**».

= أتاه الله بالفرج اهـ فلما عاده رسول الله ﷺ قال له «أسلم» قال القسطلاني[1]: فعل أمر من الإسلام اهـ فنظر الغلام إلى أبيه كأنه يستشيره فقال له أبوه أطع أبا القاسم أي رسول الله ﷺ ـ فهذه كنيته ﷺ التي نهى أن يتكنى أحد بها ـ، فأسلم الغلام ناطقًا الشهادتين عند موته. ولما كانت عند الخاتمة فقد فاز بالنجاة لقول النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[2] لذلك قال ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

قال ابن حجر[3]: وفيه حسن العهد، وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله: «أنقذه بي من النار» دلالة على أنه صح إسلامه وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه يعذب اهـ والله أعلم.

مبحث: لا يضيع عند الله من أعمال الإيمان شيء

[١٩٨] أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٢٨٣ في البيوع، باب شراء المملوك من الحربي ح٢٢٢٠.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٧/٥٤ في الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ح١٤٣٦.

قوله: «أتحنث» بالمثلثة أي أتقرب والحنث في الأصل وكأنه أراد ألقي عنى الإثم اهـ فتح ٧/٥٤. =

---

(١) هدي الساري شرح القسطلاني ٢/٤٤٩ جنائز، باب إذا أسلم الصبي.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٨/٣٨٥ في الجنائز باب في التلقين ح٣١٠٠.

(٣) فتح الباري ٦/٢٦٩ شرح ح١٣٥٦.

= قال عياض: رواه جماعة من الرواة في البخاري بالمثلثة وبالمثناه، وبالمثلثة أصح رواية ومعنى اهـ فتح ٤/٧٥.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءامنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾[2] وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[3].

ونبيناﷺ يبين أن الله عز وجل لا يضيع عنده شيء من الخير ولو كان مقدمه كافرًا، فيعطيه عليه الدنيا إذا حرم الإسلام، ويأجره عليه إذا أكرمه الله تعالى بالإسلام ثم يضاعف له بعد ذلك الخير والحسنات إلى عشر إلى سبعمائة، فقد روى مسلم في صحيحه[4] عن النبيﷺ أنه قال: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته» ولما سأل حكيم بن حزام رضي الله عنه النبيﷺ عما قدمه قبل إسلامه من صلة للرحم وإعتاق للمماليك وصدقة ونحوهم فأخبره النبيﷺ أن هذا خير سلف له، قال ابن حجر[5] والحنث في الأصل الإثم وكأنه أراد ألقى عني الإثم اهـ وقال المازري: ظاهره أن الخير الذي أسلفه كتب له، والتقدير أسلمت على قبول ما سلف لك من الخير، قال ابن الجوزي: قيل: إن النبيﷺ ورى عن جوابه فإنه سأل: هل لي فيها من أجر؟ فقال: «أسلمت على ما سلف من خير» والعتق فعل خير وكأنه أراد =

---

(١) سورة الكهف آية (٣٠).

(٢) سورة النساء آية (٤١).

(٣) سورة الأنعام آية (١٦٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/١٥٠.

(٥) فتح الباري ٧/٥٤ شرح حديث ١٤٣٦.

مبحث: من الإيمان أن يولى الفضل إلى الله تعالى

١٩٩ - عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بالحُدَيْبِيَّةِ على إِثْرِ سَمَاءٍ كانت من الليلة، فلما انصرفَ أقبلَ على الناس فقال: «هلْ تدرُونَ ماذا قَالَ ربُّكُم»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وكَافِرٌ، فأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مُؤْمِنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كَافِرٌ بي ومُؤْمِنٌ بالكوكب».

= أنك فعلت الخير والخير يمدح فاعله ويجازي عليه في الدنيا، فقد روى مسلم في حديث أنس مرفوعًا: «أن الكافر يثاب في الدنيا بالرزق على ما يفعل من حسنة» اهـ والله أعلم قلت ولفظ حديث مسلم في رواية لأنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة. وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها»(١) والله أعلم.

مبحث: من الإيمان أن يولى الفضل إلى الله تعالى

[١٩٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٢٦٣ في صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ح٨٤٦.

قوله: «إثر سماء»: إثر بكسر الهمزة وإسكان المثلثة في الفرع ويجوز فتحها أي على أثر مطرة كانت اهـ إرشاد الساري ٢/١٤١.

قوله: نوء بفتح النون وسكون الواو في آخره همزة قبل ناء بعد.

وقال القسطلاني: أي بكوكب كذا وكذا سمي نجوم منازل القمر أنواء وسمي نوءًا لأنه ينوء طالعا عند مغيب مقابله طالعا بناحية المغرب اهـ إرشاد الساري ٢/١٤٢.

=

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/١٤٩، ١٥٠ في صفة القيامة، باب جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة.

المعنى

. قال الله عز وجل ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾[1] وقال تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾[2].

سبحانه له النعمة والمنة والفضل كله قال عز وجل: ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون. ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون**﴾[3] لذلك في هذا الحديث نسب من اعترف بفضل الله تعالى ونعمته إلى الإيمان، ومن نسبها إلى غيره إلى الكفر، فقد صلىﷺ صلاة الصبح بالحديبية، وقد كانت السماء أمطرت ليلتها، فلما انصرف النبيﷺ من الصلاة أقبل على الناس بوجهه الشريف قائلا لهم: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» أي بسبب أن بعضهم نسب الفضل في نزول المطر إلى الله تعالى وبعضهم نسبه إلى غيره، وأعتقد أنَّ فاعله غير الله تعالى كالكوكب قال القسطلاني[4] : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر «الكفر الحقيقي لأنه قابله بالإيمان حقيقة لأنه اعتقد ما يفضي إلى الكفر وهو اعتقاد أن الفعل للكوكب - ثم قال - أو المراد كفر النعمة لإضافة الغيث إلى الكوكب، قال =

---

(١) سورة المؤمنون آية (٨٤: ٨٩).

(٢) سورة يونس آية (٣١، ٣٢).

(٣) سورة النحل آية (٥٣، ٥٤).

(٤) إرشاد الساري ٢/١٤١، ١٤٢.

= الزركشي والإضافة في عبادي للتغليب وليست للتشريف كهي في قوله: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾[1] . لأن الكافر ليس من أهله اهـ وأما من قال مطرنا بفضل الله تعالى ورحمته فذلك مؤمن بالله تعالى أنه المعطي المتفضل المانع الضار الخالق المالك لكل شيء وأما من قال بنوء كذا، قال القسطلاني[2] : وقال ابن الصلاح: النوء ليس نفس الكوكب بل مصدر ناء النجم إذا سقط وقيل نهض وطلع اهـ فمن قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالله عز وجل وبفضله مؤمن بفعل الكوكب والعياذ بالله تعالى قال الله عز وجل: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار... الآية**﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء آية (٦٥).

(٢) إرشاد الساري ٢/١٤١، ١٤٢.

(٣) سورة يونس آية (٣١).

مبحث : الإسلام يجب ما قبله

٢٠٠ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يقول: «**إِذا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللّٰه عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَة كَانَ زَلَفَهَا، وكَانَ بَعْدَ ذَلكَ القِصَاصُ، الحَسنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمائَة ضِعْفٍ، والسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللّٰهُ عَنْهَا**».

---

[٢٠٠] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٧١ في الإيمان، باب حسن إسلام المرء، ح٤١.

قوله: «زلفها» بتخفيف اللام وقيل بالتشديد وزلف وأزلف بمعنى واحد أي سلف وقدم اهـ بتصرف.

قوله: «القصاص» أي القود، والمراد به هنا مقابلة الشيء أي كل شيء يعمله يعطي في مقابله شيء إن شراً فشر وإن خيراً فخير اهـ بتصرف عمدة القارى ١/٢٨٧.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿الَّذينَ ءاتيناهم الْكتَابَ من قَبْله هُم به يُؤْمنُونَ ﴿٥٢﴾ وإِذَا يتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءامنا به إِنَّهُ الْحَقُّ من رَّبّنَا إِنَّا كُنَّا من قَبْله مُسْلمينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ويَدْرَؤُنَ بالْحَسَنَة السَّيِّئَةَ وممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿من جَاءَ بالْحَسَنَة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالهَا ومَن جَاءَ بالسَّيِّئَة فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مثْلَهَا وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ ومَن يَعْمَلْ مثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾[3]، ونبينا ﷺ يبين أن الخير =

---

(١) سورة القصص آية (٥٢: ٥٤).

(٢) سورة الأنعام آية (١٦٠).

(٣) سورة الزلزلة آية (٧، ٨).

= لا يضيعه الله عز وجل بل يضاعفه ويربيه حتى يدخل صاحبه الجنة، وأما الشر فإما أن يجازي عليه وإما أن يغفره ويتجاوز عنه ويمحوه، فيقول ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه» أراد رسول اللهﷺ أن يبين سبب العفو عما سلف ومضاعفة ما هو آت من الحسنات والاقتصار على السيئة بمثلها أو المجاوزة عنها وهو الإحسان في الأعمال القلبية والبدنية قال العيني في العمدة. معنى حسن الإسلام: الدخول فيه بالظاهر والباطن جميعًا، يقال في عرف الشرع حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة. اهـ وقال شيخ الإسلام ابن حجر؟ في الفتح؟: والخطاب بأحدكم بحسب اللفظ للمحاضرين، لكن الحكم عام لهم ولغيرهم اهـ فإذا أحسن العبد في إسلامه يكفر الله تعالى عنه كل سيئة قد قدمها قبل الإسلام وبعد ذلك يعامل بالقصاص أي مقابلة أعماله بمثلها إن خيراً جوزي خيراً مضاعفًا، وإن شراً عوقب بمثله أو قوبل بعفو الله تعالى قال العيني: قوله: «يكفر الله» من التكفير وهو التغطية في المعاصي كالإحباط في الأعمال، ثم قال القصاص: المراد به هاهنا مقابلة الشيء بالشيء أي كل شيء يعمله يعطي في مقابله شيء إن خيراً فخير وإن شراً فشر اهـ لذلك لما أراد عمرو بن العاص أن يبايع النبيﷺ وقال أردت أن اشترط أن يغفر لي قال له النبيﷺ: «أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله... الحديث»[1] فحسنات من أسلم هي له وبعد ذلك تضاعف وأما سيئاته فتغفر بعد إسلامه وإذا عمل غيرها إما العقوبة بالمثل أو العفو، وإذا لم يسلم والعياذ بالله تعالى فلا أجر له في الآخرة على حسنة قدمها. قال ابن حجر؟: والحق: أنه لا يلزم من كتابة الثواب للمسلم في حال إسلامه تفضلا من الله وإحسانًا أن يكون ذلك لكون عمله الصادر منه في الكفر مقبولاً ثم قال: ويحتمل أن يكون القبول يصير معلقا على إسلامه فيقبل ويثاب إن أسلم وإلا فلا وهذا أقوى اهـ وقال =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٨/٢ في الإيمان، باب الإسلام يهدم ما قبله.

= ابن المنير: المخالف للقواعد دعوى أن يكتب له ذلك في كفره، وأما أن الله يضيف إلى حسناته في الإسلام ثواب ما كان صدر منه مما كان يظن خيراً فلا مانع منه كما لو تفضل عليه ابتداءً من غير عمل، وكما يتفضل على العاجز بثواب ما كان يعمل وهو قادر اهـ ثم استدل على عدم قبول عمل الكافر إذا لم يسلم بحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما سألت النبيﷺ عن ابن جدعان قالت، قلت: يا رسول الله ابن جدعان، كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قالﷺ: «لا ينفعه إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[1] فدل على أنه لو قالها بعد أن أسلم نفعه ما عمله في الكفر اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٠٧، ١٠٨ في الإيمان، باب الدليل على من مات على الكفر لا ينفعه عمل ح٣٦٥/٢١٤.

مبحث : فضل الإخلاص

٢٠١ - عن نافع عن ابن عمـر رضي الله عنهمـا عن النبيﷺ قـال: خَرَجَ ثَلاثَهُ نَفَرٍ يمشـونَ فـأصـابهُمُ المَطَرُ فـدخلوا في غـارٍ في جبلٍ فانْحَطَّتْ عليهم صَخْرَةٌ. فقال بعضهم لبعض : ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه فقـال أحدهم اللهم إني كان لي أبوان شَيْخَانِ كَبيرانِ فكنتُ أخرجُ فأَرْعَى ثم أَجيءُ فأحلب فأجيء بالحلاب فآتي به أبوي فيشربان. ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي. فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، فقال : فكرهت أن أُوقظهما ؛ والصبية يتضاغون عند رجلي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجةً نرى منها السماءَ. قال ففرج عنهم. وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأةً من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء. فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينارٍ، فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها. فإن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجةً، قال : ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيراً بفرقٍ من ذرة فأعطيته وأبي ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها. ثم جاء فقال يا عبد الله، أعطني حقي، فقلت : انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك. فقال أتستهزيء بي قال فقلت : ما استهزئ بك ولكنها لك. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم».

---

[٢٠١] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٨/٩ في البيوع، باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذن فرضى ح٢٢١٥.

وأخرجه البخاري في أخر كتاب أحاديث الأنبياء ٢٧٠/١٣ ح٣٤٦٥.

قوله: «الحلاب»: بكسر المهملة وتخفيف اللام أخره موحدة الإناء الذي يحلب فيه أو المراد اللبن اهـ فتح ٢٧٩/٩.

وقوله: «يتضاغون» بمعجمتين أي يتباكون من الضغاء وهو البكاء بصوت اهـ فتح ٢٧٩/٩.

وقوله: «فرق»: بفتح الفاء والراء مكيال يسع ثلاثة أصع اهـ فتح ٢٧١/١٣.

المعنى

الإخلاص أصل أصيل في دين الإسلام فلا قبول للعمل إلا بالإخلاص والسنة والإخلاص إفراد الله تعالى بالنية والقصد فلا يقبل عمل عامل إلا إذا ابتغى وجه الله تعالى ورضوانه قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[1] فهو تصفية العمل الصالح بصالح النية عن جميع شوائب الشرك قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴿٥﴾﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾[5] وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»[6] وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة =

(١) سورة الليل آية (٢٠، ٢١).

(٢) سورة الزمر آية (٣).

(٣) سورة البينة آية (٥).

(٤) سورة الزمر آية (١١).

(٥) سورة الزمر آية (١٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٦/١ في العلم ح٩٩.

= رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتي تفضي إلى العرش ما أجتنب الكبائر»[1] قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[2] . فمن أكرمه الله تعالى بالإخلاص فقد أكرمه الله تعالى بسعادة الدنيا والآخرة وكتب له النجاة في الدنيا والآخرة وفي هذا الحديث يخبر نبينا ﷺ عن ثلاثة رجال من بني إسرائيل أواهم المبيت في غار بسبب نزول المطر فاضطرهم المطر إلى دخول الغار بعداً عنه ليجري القدر عليهم بما كان سببًا في ظهور عظيم فضل الإخلاص فلما دخلوا الغار هبط حجر عظيم من خشية الله تعالى من الحجارة التي قال الله عز وجل عنها ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[3] فأمسوا لا حول لهم ولا قوة ولا يعلم بهم أحد إلا الله تعالى ولا داعي ولا مجيب، لا داعي يدعونه إلا الله ولا مجيب لهم إلا الله ولا يسمعهم إلا هو ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[4] فالظلام دامس لا يرون السماء والصخرة عظيمة لا يستطيعون دفعها والصوت لا يخرج وإذا خرج لا يسمع وإذا سمع فلا مجيب إلا واحد فقط هو الذي خلق الصخرة وسقطت من خشيته وخلق النفر وخلق الجبل ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[5] وإذا نفذت الحيل وعجزت الأسباب لم يبق أمام المضطر إلا دعاء الواحد الأحد الذي لا يغفل ولا ينام فكم من أسباب عجزت عن تحقيق أهداف =

(١) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٤٩ في الدعوات ح٣٦٦٠.

(٢) معارج القبول ١/٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) سورة البقرة آية (٧٤).

(٤) سورة الأنعام آية (٦٣، ٦٤).

(٥) سورة الأنعام آية (٥٩).

= الآخرين بها فلما عجزت أسبابهم لجأوا إلى من يسببها مخلصين الدعاء له ففرج عنهم وقضى حاجاتهم ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1] فعلموا أنه لا ينجيهم مما هم فيه إلا أن يدعوا الله تعالى ولكن طلبوا من بعضهم أن يتوسلوا بعمل صالح قد عملوه هو أرجى الأعمال عندهم قد أخلصوا لله تعالى فيه ليس فيه رياء ولا شرك ولا هوى ولا للنفس حظ منه ثم يسألوا الله تعالى إن كان قد تقبله منهم وأخلصوا فيه يفرج عنهم فبدأوا بذلك ورضوا به فقال أحدهم مناجيا ربه عز وجل أي يارب أنت تعلم أنه كان لي أب وأم، أبي شيخ كبير وأمي أمرأة عجوز ـ وقال شيخان للتغليب كما يقال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما العمران ـ يعني وكان يعيشان معي ومعي أهلي وأولادي أسعى عليهم جميعا حرفتي الرعي فكنت أتكسب وأحلب اللبن بعد سعيي ثم آتي عشاء فأطعم والدي قبل أولادي براً لهما طاعة لك لا أريد من وراء ذلك إلا رضاك، وهذا أمر إلى هنا عمل عادي واجب أما العمل الذي رجا الرجل به الإجابة فهو أنه تأخر يومًا في الرجوع بسبب بعد المرعى فلما جاء بالحلاب تلك الليلة المتأخرة وجد أبويه قد ناما ووجد الصبية يتألمون جوعًا، كان من الممكن أن يسقى أولاده ويترك نصيب والديه ولا إثم عليه في ذلك، وكان من الممكن أن يوقظ والديه ليشربا شربتهما ثم يسقى أولاده كما تعود ولكن أكرمه الله تعالى وتفضل عليه بترقية قلبه إلى زيادة القرب من الله تعالى بعمل ينفع وقت الشدة في الدنيا والآخرة حقق به قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3] فقام على رجليه =

(١) سورة النمل آية (٦٢).

(٢) سورة الإسراء (٢٤).

(٣) سورة الإسراء (٢٣).

= والقدح في يده قيام الخادم أمام مولاه ووالداه نائمان لا يريد أن يقطع عنهما لذة النوم والأولاد يصيحون جوعًا، فصبر على تألم أولاده لا يريد أن يسقيهم ويطعمهم قبل والديه وصوت تألم الأولاد جوعًا مع وجود الطعام ولا مانع من إعطائهم إلا زيادة البر، ولا مانع من إيقاظ الوالدين إلا زيادة البر، ولا مانع من الجلوس إلا زيادة البر ابتغاء وجه الله تعالى حتى استيقظا وشربا غبوقهما، يا لها من ليلة طويلة وألم عظيم لا يتحمله إلا من علم قلبه كيف يتعامل مع من لا يضيع عنده شيء لذلك لما عاد وقال: «اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء»، لم يمن بعمله بل علقه على علم الله تعالى به إن كان خالصًا لذلك انفرجت فعلاً الصخرة ورأوا ضوء السماء» وفي رواية (انشقت الصخرة) فرأوا السماء غير أنهم لا يستطيعون الخروج، فقال الآخر مناجيًا ربه: أي اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب ابنة عمي حبا شديدًا كأشد ما يحب رجل امرأة وراودتها عن نفسها فعفت وأبت وامتنعت من فعل ما يغضب الله تعالى فلم استطع ذلك منها حتى ضاق بها الدهر وأصبحت شديدة الفقر واضطرت إلى أن تسألني مالاً هو مائة دينار. قال ابن حجر والجمع بين هذه الروايات ممكن والحديث يفسر بعضه بعضًا[1] فقال إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجه، وهذا الرجل أيضا عمل عملاً غير عادى مخافة ما قدمه من معصية وهو أنه قعد من امرأة شديد الحب لها قعود الرجل من امرأته ومع ذلك لما ذكرته بالله رب العالمين خاف الله تعالى في شدة شهوته وتركها من غير أن يمسها بل وتصدق عليها بالمال صلة للرحم ورحمة بها ابتغاء وجه الله تعالى لذلك لما توسل بهذا العمل العظيم إلى الله تعالى أجابه سبحانه وانساخت الصخرة زيادة على المرة الأولى لكن أيضا لا يستطيعون الخروج منتظرة دعاء الثلاثة بما ينجيهم بسبب صالح أعمالهم في الدنيا والآخرة فقال الآخر داعيا يعني أني استأجرت أجراء على ثلاثة آصع من أرز أو ذرة فكلهم أخذ أجره إلا رجل =

(١٥) فتح الباري ١٣/٢٧٥.

= واحد لـم يرض بأجره «فتسـخط أجره لأنه يريد الزيادة لزيادة جـهده لكن صـاحب العمل لم يعطه لأنه اشترط عليه ذلك كان من الممكن أن يدخر له أجره حتى إذا طلبه أداه له هذا هو الواجب عليـه لكن أراد أن يتقرب إلى الله عـز وجل بما يحبـه ويرضاه ويقرب به صـاحبه ويفرج به عـند شدائد الدنيا والآخره وهو مـا فعله من تثمـير ذلك المال القليل الضئيل فـزرع ذلك الفرق من الأرز أو الذرة حتى أصبح منه الثمـر الكثير واشتري بقرة حتى أصبحت بقراً واشتري رقيقًا رعاة للبقر واشتري أموالاً أخرى وفي رواية في الصحيح[1] «فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال» ومضت الأيام واحتاج الأجير إلى أجـره فطلب أجره من صاحب العمل فأخـبره أن كل هذا المال له كله فلم يصدق وظن أنه يسـخر منه فأخبره بتأكـيد ذلك فأخـذه كله ولـم يترك منه شيـئًا ولـم يـخس الرجل صاحب العـمل ولا شـيئًـا من المال وكـان من الممكن إعطاؤه حقـه أو يزيده شيئا لكن قدم عملا يبتغي به وجه الله عز وجل ليس لنفسه حظ منه ينفع وقت الشـدة فلما توسل بذلك العـمل فرج الله تـعالى عنهـما الكرب وانسـاخت الصخـرة وخـرجوا يمشـون والحـمد لله رب العـالمين فالـلهم ارزقنا الإخلاص وثبتـه في قلوبنا وانفعنا به يارب العالمين واجعلنا من أهل السنة العاملين بها يارب العالمين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٦ في الإجارة ح٢٧٢.

مبحث: الغلول في النار والإيمان في الجنة

٢٠٢ ـ عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ، فلان شهيدٌ، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كَلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ في النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» قال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون».

---

[٢٠٢] أخرجه مسلم في صحيحه ١٢٧/٢ في الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول.

قوله: «غلها» من الغلول، قال أبو عبيد: هو الخيانة في الغنيمة خاصة وقال غيره: هي الخيانة في كل شيء ويقال منه غل يغل بضم الغين اهـ شرح مسلم ١٢٨/٢، ١٢٩.

المعنى

يخبرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن يوم غزوة خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد «أي يشيرون إلى القتلى من المسلمين المرجو لهم الشهادة حتى جاء الدور في الإشارة على رجل من القتلى المسلمين فأشاروا إلى بقية أصحابه بأنه شهيد لكن رسول الله ﷺ لم يقرهم هذه المرة إنما ردهم إلى علم من أعلام النبوة أخبرهم به أنه رآه حقًا في النار بسبب عباءة أو بردة أخذها خيانة قبل القسمة للمغانم فقال: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة» قال النووي[1] : أما البرده بضم الباء فكساء مخطط وهي الشملة والنمرة وجمعها برد بفتح الراء وأما العباء فمعروفة ويقال أيضًا عباية قاله ابن السكيت =

---

(١) شرح مسلم ١٢٨/٢: ١٣٠.

= وقوله ﷺ: «في بردة» أي من أجلها أو بسببها ثم بين الغلول كما في المفردات اهـ قوله: ثم قال رسول الله ﷺ «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس» أي جمع الصحابة ومن معهم «أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» أي بين لهم أن الجنة اقتصرت على من مات مؤمنًا موحدًا لا يشرك بالله شيئًا طاهرًا من الذنوب وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه بسبب ذنوبه، حيث أن الإيمان عمل قلبي وقد ظن الصحابة رضوان الله عليهم بذاك القتيل خيرًا، لكن قلبه كان لا يصلح للجنة حيث غلوله للعباءة أضاع منه الإيمان، فاستوجب النيران، والعياذ بالله الرحمن، أما الإيمان وأهل الإيمان فهم سكان الجنان تحت عرش الرحمن وذلك بإجماع أهل العلم والقرآن.

قوله: «قال فخرجت فناديت: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» امتثالاً لأمر النبي ﷺ حيث يظهر للناس أن لا عبرة إلا بالإيمان ولا يكفي العمل الظاهر حتى يكون نابعًا عن إيمان باطن والله أعلم.

وقال النووي[1]: عن أحكام الحديث أنه فيه غلظ تحريم الغلول ومنها أنه لا فرق بين قليلة وكثيره ومنها أنه لا يدخل الجنة أحد ممن مات على الكفر وهذا بإجماع المسلمين وأن من غل شيئًا من الغنيمة يجب عليه رده وأنه إذا رده يقبل منه اهـ وقال الحافظ[2]: وفي الحديث تحريم قليل الغلول وكثيرة وقوله: «في النار»، أي يعذب عن معصيته أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه اهـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ٢/١٢٨: ١٣٠.

(٢) فتح الباري ١٢/١٦١.

مبحث: من قام مقام رياء وسمعة عوقب به مثله يوم القيامة

٢٠٣ ـ عن أبي هند الداري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَايَا اللهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَسَمَّعَ**».

---

[٢٠٣] أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٧٠ من طريق مكحول عن أبي هند مرفوعًا.

أخرجه الدارمي في سننه ٢/٤٠٠ في الرقاق، باب من راأى راأى الله به.

وأخرج له أبو داود شاهدًا في جزء من حديث في سننه ١٣/٢٢٥ في الأدب، باب في الغيبة.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٩٦ وعزاه للبزار وقال رجاله رجال الصحيح.

المعنى

يخبرنا أبو هند الداري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قام مقام رياء وسمعة رايا الله تعالى به يوم القيامة وسمع» وعند البزار «من قام بأخيه مقام رياء وسمعه أقامه الله عز وجل يوم القيامة وسمع به» أي من اغتاب أخاه وذمه ليسمع من يبغضوه ويريهم أنه يبغضه ليكرموه بذلك فإن الله تعالى يعاقبه يوم القيامة أمام الناس لتفضحه الملائكة يوم القيامة بمثل فعله ويراأى به ويسمع به أنه كان من المرائين، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾**﴾[1]، قال في عون المعبود[2]: قال في اللمعات: ذكروا له ـ أي للحديث هذا ـ معنيين: أحدهما أن الباء =

---

(١) سورة النساء آية (١٤٢، ١٤٣).

(٢) عون المعبود ١٣/٢٢٥.

= للتعدية أي أقام رجلاً مقام سمعة ورياء ووصفه بالصلاح والتقوى والكرامات وشهره بها وجعله وسيلة إلى تحصيل أغراض نفسه وحطام الدنيا فإن الله يقوم به أي بعذابه وتشهيره أنه كان كاذباً، وثانيهما أن الباء للسببية وقيل: هو أقوى وأنسب أي من قام بسبب رجل من العظماء من أهل المال والجاه مقاماً يتظاهر فيه بالصلاح والتقوى ليعتقد فيه ويصير إليه المال والجاه أقامه الله مقام المرائين ويفضحه ويعذب عذاب المرائين اهـ والله أعلم.

مبحث: تحريم الشرك والرياء

٢٠٤ - عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».**

٢٠٥ - عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: **«من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به».**

٢٠٦ - عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ وقرأت القرآن ليقال هو قارئٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال: ما تركت من سبيلٍ تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».**

---

[٢٠٤] أخرجه مسلم في صحيحه ١١٥/١٨ في الزهد، باب تحريم الرياء.

[٢٠٥] أخرجه مسلم في صحيحه ١١٦/١٨ في الزهد، باب تحريم الرياء.

[٢٠٦] أخرجه مسلم في صحيحه ٥٠/١٣ في الجهاد والسير، باب من قاتل الرياء والسمعة استحق النار.

قوله: «جواد» الجود: الكرم اهـ نهاية ٣١٢/١.

=

المعنى

في الحديث الأول يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى» أي في الحديث القدسي «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» أي لا حاجة لي فيه فأنا غني عن الشريك والمساعد والمعاون لأنه عرف أن المشارك يحتاج لمعاونة شريكه ويحتاج لنصيبه في الشركة لكن ربنا تبارك وتعالى متنزه عن كل نقص فإذا وجد عملاً له معه غيره ترك كله لأنه ليس محتاجًا فهو غني عن الشرك والشريك لذلك قال: «**من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه**» كمن صلى لله تعالى وللناس فإن الله تعالى غني عن صلاته فيتركها كلها لا يقبل منها شيئًا لأنه سبحانه غني عن عمل للمخلوق فيه نصيب وكيف يكون للمخلوق نصيب مع الخالق الذي خلق فسوى وقدر فهدى وأنعم ورزق وأعطى ومنح ووهب، وهو وحده مالك الضر والنفع، فالعاقل المؤمن عليه عند كل أعماله أن يتذكر ذلك وأن الله مالك الملك فيتوجه إليه بكله ولا يشرك معه غيره فيستقيم القلب وتقبل العبادة الخالصة من قلب ملئ بالإخلاص.

لذلك قال الله عز وجل ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥**﴾[1] وقال عز وجل ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨**﴾[3] قال النووي[4] : ومعناه أنا غني عن المشاركة =

---

(١) سورة البينة آية (٥).

(٢) سورة الزمر آية (٢، ٣).

(٣) سورة النساء آية (٤٨).

(٤) شرح مسلم ١٨/١١٥، ١١٦.

= وغيرها فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به اهـ. وفي الحديث بعده يبين نبينا ﷺ أن من فعل ذلك الرياء والشرك للناس كان ذلك حظه منه لأن الله تعالى تركه للناس ولم يقبل منه شيئًا بل ويوم القيامة يفضحه والعياذ بالله تعالى ويبين ذلك على رؤس الخلائق للناس، قال النووي: قوله ﷺ «من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به» قال العلماء: معناه من رايا بعمله وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل معناه: من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل أسمعه المكروه، وقيل أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه، وقيل معناه: من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه اهـ والرأى الأول والأخير أفضل الآراء والله أعلم وفي الحديث الثالث يبين نبيناﷺ غلظ عقوبة الرياء والشرك والعياذ بالله تعالى وأن صاحبها يهوى بعمله الصالح الذي هو طريق للجنة يهوى به بسبب الرياء والشرك في النار أول الداخلين والعياذ بالله تعالى فيروى لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه» أي يحكم الله تعالى فيه من أوائل الناس لأنه هناك حديث «أول ما يقضي بين الناس يوم القيامه في الدماء» أي والله أعلم من أول ما يقضي فيه «رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها» أي رجل قتل في ساحة القتال فطريقته طريقة الشهداء حيث القتل من الكفار في ساحة القتال وهو ظاهره الإسلام فيجاء به فتعد عليه نعم الله تعالى السابغة عليه فيعرفها كلها «قال فما عملت فيها» أي كيف استخدمتها أفي طاعة الله تعالى أم في معصيته «قال: قاتلت فيك» أي في سبيل إعلاء دينك ولتكون كلمتك يا رب هي العليا «حتى استشهدت» أي حتى قتلت في سبيلك «قال كذبت» أي أنت كذاب ما قتلت لهذه النية كانت نية سوء لنفسك لذلك بين له فقال: «ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ» أي ليقول عنك الناس أنك جرئ =

= شجاع «فقد قيل» أي ما أردته حصل ونلته وهو كلام الناس، فليس لك نصيب إلا ذلك، وهو تصديق للحديث الأول «تركته وشركه» فتركه سبحانه للناس فكافأه الناس بالثناء عليه «ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار» أي أمر الله عز وجل الملائكة فأمشوه على وجهه إلى النار وبئس القرار والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾[1] ثم ذكر المرائى الثاني فقال: «ورجل تعلم العلم» أي القرآن الكريم والسنة المطهرة وأدواتهما «وقرأ القرآن» الكريم وأتقنه «فأتى به» كالأول «فعرفه نعمه» كالأول «فعرفها كالأول» قال فما عملت فيها قال تعلمت، العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن «أي من أجل رضاك والجنة وإقامة دينك وشريعتك وتعليمه الناس ليقيموه ولتكون كلمتك هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى «قال كذبت» أي لم تكن هذه نيتك ولو كانت نيتك هذه لدخلت الجنة ولفزت مع الفائزين. أي أخذت ما نويت وهو ثناء الناس عليك بأنك عالم وقارئ «ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار كالأول» والعياذ بالله تعالى «ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله» كالذهب والفضة والأنعام والحرث والخيل المسومة ونحوهم «فأتى به فعرفه نعمه فعرفها» كالأول والثاني «قال فما عملت فيها» كالأول والثاني «قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك» أي ما تركت من وجه من وجوه الخير تحب أنت يا رب أن أنفق فيها مالي إلا فعلت، فهذا ظاهر العمل هو فعلاً عمل ذلك ولكن النية لم تكن لرضا الله عز وجل إنما كانت من أجل المباهاة والمفاخرة، وليقال فلان جواد، منفق، كريم، متصدق فاعل خير سخي وغير ذلك من ألفاظ المدح للمنفقين لذلك «قال كذبت» أي ما كانت هذه نيتك «ولكنك فعلت ليقال هو جواد» قال ابن الأثير[1] : والجود: الكرم اهـ «فقد قيل» أي ما نويت وأردت نلته «ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار» والعياذ بالله تعالى كالذين قبله. =

(١) سورة القمر آية (٤٨).

= قال النووي[2] : قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[3] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصًا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصًا اهـ والله أعلم.

(١) نهاية ٣١٢/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٤٠/١١ ح١٦٧٨ في القسامة.

(٣) سورة البينة آية (٥).

مبحث : قوله تعالى
﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾

٢٠٧ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع، واستغفر، وتاب، سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

---

[٢٠٧] أخرجه الترمذي في سننه ٩/٢٥٤ في التفسير، سورة المطففين وقال هذا حديث حسن صحيح، ح٣٣٩٠.

وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢/١٤١٨ في الزهد، باب ذكر الذنوب، ح٤٢٤٤

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٩٧.

وأخرجه الطبري في تفسير سورة المطففين ١٢/٤٩٠ ح٣٦٦٢٣ آية ١٤.

قوله: «سقل» الصقل وقال فيه: صقلة: جلاه اهـ من التحفة وعزاه للقاموس المحيط ٩/٢٥٤.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبيناﷺ أنه قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكته سوداء» وعند ابن ماجة وأحمد «إن المؤمن إذا أذنب» أي إذا وقع من المؤمن ذنب وقلبه أبيض لإيمانه فتقع في قلبه نكتة سوداء لها أثر كالنقطة تدل على الذنب وعلى قدره، قال صاحب التحفة[2] : قوله: «نكتت في قلبه» بصيغة المجهول من النكت وهو في الأصل أن تضرب في الأرض بقضيب فيؤثر فيها «نكتة =

---

(١) سورة المطففين آية (١٤).

(٢) تحفة الأحوذي ٩/٢٥٤.

= سـوداء» أي جعلت في قلبـه نكتة سـوداء أي أثر قليل كـالنقطة شبـه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما، وقال: القاري أي كقطرة مداد في القرطاس ويختلف على حسب المعصية وقدرها اهـ قوله: «فإذا هو نزع واستغفر سقل قلبه» أي إن أقلع عن الذنب وتاب واستغفر أزال السواد من على قلبه، قال صاحب التحفة: «فإذا هو» أي العبد «نزع» أي نفسه عن ارتكاب المعاصي «واستغفر» أي سأل الله تعالى المغفرة: وتاب أي من الذنب «سقل قلبه» بالسين المهملة على البناء للمفعول والمعنى: نظف وصفي مرآة قلبه لأن التوبة بمنزلة الصقلة تمحو وسخ القلب وسواده «وإن عاد» أي العبد في الذنب والخطيئة «زيد فيها» أي في النكتة السوداء «حتى تعلو» أي النكت «قلبه» أي تطفئ نور قلبه فتعمى بصيرته «وهو الران الذي ذكر الله أي في كتابه اهـ بكثرة الذنوب التي لا استغفار منها ولا توبة عنها يتراكم وسخ منها وسواد من الذنوب والمعاصي والآثام فهذا هو الران الذي قال الله تعالى فيه ﴿ **كل بل ران على قلبوهم ما كانوا يكسبون** ﴾ وهو الذي فسره الحسن بموت القلب فقد أخرج عنه الطبري[1] في قوله تعالى: ﴿ **كل بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ قال: الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وأخرج بعده عن الأعمش قال: أرانا مجاهد قال: كانوا يرون القلب في مثل هذا يعني الكف فإذا أذنب العبد ذنبًا ضم منه وقال بإصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضم إصبعًا أخرى حتى ضم أصابعه كلها ثم يطبع عليه بطابع قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرين اهـ والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري في تفسير المطففين آية ١٢/ ٤٩٠ ح٣٦٦٢٨، ح٣٦٦٢٩.

الباب الثاني

في العبادات

ويشتمل على سبعة فصول

الفصل الأول : الإجتهاد في العبادة

الفصل الثاني : القصد والمداومة على العمل

الفصل الثالث : المبادرة إلى العمل الصالح، والمسارعة إلى الخير ولو كان قليلاً

الفصل الرابع : فضل القرآن الكريم والذكر والدعاء

الفصل الخامس : فضل السخاء وحسن الخلق والنفقة في وجوه الخير

الفصل السادس : التحذير من ترك العمل الصالح وتقليله بعد الزيادة فيه

الفصل السابع : جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة

الفصل الأول
الاجتهاد في العبادة

مبحث: من عبد الرحمن وأطعم الطعام وأفشي السلام

دخل الجنة بسلام

٢٠٨ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اعْبُدُوا الرَّحْمنَ وأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وأَفْشُوا السَّلَامَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

---

٢٠٨ ـ أخرجه الترمذي في سننه ٥/٥٨٨ في الأطعمة، باب ما جاء في فضل اطعام الطعام، ح١٩١٦ وقال حسن صحيح.

المعنى

يخبر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: اعبدوا الرحمن «أي اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئًا، وائتمروا بأوامره وانتهوا عن نواهيه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه «واطعموا الطعام» أي الحلال بطيب من أنفسكم إكرامًا وصدقه ومنحة وهبة وإيجابًا واستحبابًا للنفس والأهل والولد والرحم والجيران المسلمين وخاصتكم وعامة المسلمين والدواب مما يصلحه ذلك وغيرهم «وأفشوا السلام» قال الله تعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾[1] فهو تحيه أهل الجنة وإفشاؤه إظهاره ونشره بين المسلمين كما في حديث عبدالله بن عمرو[2]: أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف «قال النووي: وهذا العموم مخصوص بالمسلم فلا يبتدئ السلام على الكافر» أ هـ قلت والدليل هو الحديث الآخر المخصص «لا =

---

(١) سورة يونس آية (١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣/٢٤ في الإستئذان ح٦٢٣٦.

مبحث: من أقبل على مجلس العلم والذكر آواه الله تعالى

٢٠٩ - عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بَيْنَمَا هو جالس في المسجد والناس معه إِذْ أَقْبَلَ ثلاثةُ نَفَر، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأمَّا أحدهُما فرأى فرجةً في الحلقةِ فجلسَ فيهاَ، وأما الآخر فجلسَ خلفهمْ، وأمَّا الثالثُ فَأَدْبَرَ ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَة: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فآواه اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فاستَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فأعرَضَ اللهُ عَنْهُ».

= تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام ... الحديث»ص٥٦٩[1] قال صاحب التحفة[2] في قوله ﷺ: «اعبدوا الرحمن» أي أفردوه بالعبادة «**وأطعموا الطعام**» أراد به قدرًا زائدا على الواجب في الزكاة سواء فيه الصدقة والهدية والضيافه «وأفشوا السلام» أي أظهروه وعموا به الناس ولاتخصوا المعارف «**تدخلوا الجنة بسلام**» أي فإنكم إذا فعلتم ومتم عليه دخلتم الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون أ هـ والله أعلم.

مبحث: من أقبل على مجلس العلم والذكر آواه الله تعالى

٢٠٩ - أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٨/١) في العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس... إلخ، (ح٦٦) وأخرجه البخاري في صحيحه ١٣٧/٣ في الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، ح٤٧٤.

قوله: «نفر» النفر بالتحريك الرجال من ثلاثه إلى عشرة والمعنى ثلاثة هم نفر. أهـ. فتح (٢٤٨/١).

قوله: «**أوى إلى الله**» أي رجع إليه.أهـ. (نهاية ٨٢/١).

قوله: «**آواه الله**» أي جازاه بنظير فعله بأن ضمه رحمته ورضوانه.أهـ. فتح (٢٤٩/١). =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٠/١٤) في السلام (ح٢١٦٧/٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٥٨٨/٥).

= قوله: «فوقفا على رسول اللهﷺ «أي على مجلس رسول اللهﷺ».أهـ. (فتح ١/٢٤٨).

المعنى العام

مجلس العلم الشرعي مجلس الخير والذكر والرحمة، أصحابه تحفهم الملائكة وتفرح بهم وتضع أجنحتها لهم تواضعًا ورضًا بما يصنعون فمن أقبل على ذلك المجلس جازاه الله تعالى نظير انضمامه أن يضمه إلى رحمته ورضوانه، كما يبين هذا الحديث الشريف أن ثلاثة رجال أيام النبيﷺ مروا على مجلس النبيﷺ في روايه الموطأ «فلما وقفا على مجلس رسول اللهﷺ سلما[1] ثم بعد ذلك تفرقوا، فأما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة قال ابن حجر: قوله «**فرجة**» هي الخلل بين الشيئين والحلقة بإسكان اللام كل شئ مستدير خالي الوسط. وفيه استحباب التحليق في مجالس الذكر والعلم وفيه أن من سبق إلى موضع منها كان أحق به أهـ «وأما الآخر» قال ابن حجر[2]: بفتح الخاء المعجمه وفيه رد على من زعم أنه يختص بالأخير لإطلاقه هنا على الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فولى مدبراً «**فلما فرغ رسول اللهﷺ**» قال العيني في العمده[3]: أي عما كان مشتغلاً به من الخطبة أو تعليم العلم أو الذكر ونحوه.أهـ.

قال ﷺ: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة**» قال العيني: فيه حذف تقديره: قالوا أخبرنا، فقال: «**أما أحدهم فأوى إلى الله**» أي: لجأ إلى الله وقال: القاضي معناه: دخل مجلس ذكر الله.أهـ. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ومعنى أوى إلى الله: لجأ إلى الله، أو على الحذف أي انضم إلى مجلس رسول اللهﷺ، ومعنى «**فآواه الله**» أي جازاه بنظير فعله، بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه، وفيه استحباب الأدب في =

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٣/١٣٣) في جامع السلام عن أبي واقد مرفوعًا.

(٢) فتح الباري (١/٢٤٩).

(٣) عمدة القارى (١/٤١١).

= مجالس العلم وفضل سد خلل الحلقة كما ورد الترغيب في سد خلل الصفوف في الصلاة، وجواز التخطي لسد الخلل مالم يؤذ، فإن خشى استحب الجلوس حيث ينتهي كما فعل الثاني، وفيه الثناء على من زاحم في طلب الخير، قوله «**فاستحيا**» أي ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبي ﷺ وممن حضر، قاله القاضي عياض وقد بين أنس في روايته سبب استحياء هذا الثاني فلفظه عند الحاكم[1] : «**ومضى الثاني قليلاً ثم جلس**» فالمعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث.أهـ. ونعم خلق المرء الحياء فكما قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[2] : وفي روايه «الحياء خير كله»[3] : فنجاه الله تعالى بالحياء من الوقوع في إعراض الله تعالى عنه قوله: «فاستحيا الله منه» قال العيني: أي جازاه بمثل فعله بأن رحمه ولم يعاقبه وهذا أيضًا من باب المشاكله.أهـ. قوله: «وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه» قال الحافظ في الفتح: أي سخط عليه وهو محمول على من ذهب معرضًا لا لعذر هذا إذا كان مسلمًا، ويحتمل أن يكون منافقًا واطلع النبي ﷺ على أمره كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ «**فأعرض الله عنه**» إخبار أو دعاء ووقع في حديث أنس «فاستغنى الله عنه» وهذا يرشح كونه خبراً، وإطلاق الإعراض وغيره في حق الله تعالى على سبيل المقابلة والمشاكلة فيحمل كل لفظ منها على ما يليق بجلاله ـ سبحانه تعالى.أهـ. قال القاضي عياض: من أعرض عن نبيه ﷺ وزهد عنه فليس بمؤمن، وإن كان هذا مؤمنًا وذهب لحاجة دنيوية أو ضروريه فإعراض الله عن ترك رحمته وعفوه فلا يثبت له حسنه ولا يمحو عنه سيئة، قال العيني[4] : وإذا كان منافقًا كان النبي ﷺ اطلع على أمره فلذلك قال أعرض الله عنه أهـ قال ابن حجر: وفيه جواز الإخبار عن أهل المعاصي وأحوالهم للزجر عنها، وأن ذلك لا يعد من الغيبة، =

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٢٨٤/٢٥٥ح ٧٦٥٣ في التوبة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الأدب ٢٢/٣٢٢ باب الحياء ح٦١١٧.

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٠ في الإيمان ح٦١ باب بيان عدد شعب الإيمان.

(٤) عمدة القارئ ١/٤١٢.

مبحث: فضل من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله تعالى

٢١٠ ـ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ بَنى مَسْجِداً ـ قال بكير حسبت أنه قال: يَبْتَغِي به وَجْهَ اللهِ ـ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ».

= وفي الحديث فضل ملازمة حلق العلم والذكر وجلوس العالم والمذكر في المسجد وفيه الثناء على المستحي والجلوس حيث ينتهي به المجلس ولم أقف في شئ من طرق هذا الحديث على تسمية واحد من الثلاثة المذكورين والله تعالى أعلم أ هـ.

مبحث: فضل من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله تعالى

[٢١٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١١٣/٣) في الصلاة، باب: من بني مسجداً، ح٤٥٠.

أخرجه مسلم في صحيحه (١١٣/١٨) في الزهد، باب فضل بناء المساجد

المعنى العام

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١] إنها بيوت الله تعالى في الأرض، إنها منبع النور، إنها بيوت الرحمة، إنها مراكز الهدى، إنها المساجد، لذلك حث النبي ﷺ في غير ما موضع من السنة المطهرة على كثرة التردد عليها بل جعل جزاء التردد عليها الجنة فقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا وراح»[٢] وجعل أيضًا جزاء بناءها الجنة إذا أخلص العبد في ذلك لله تعالى سواء كانت صغيرة أو كبيرة فقال في حديثنا هذا قال ﷺ: «من بنى مسجداً» وفي رواية الترمذي[٣] «صغيراً كان أو كبيراً» وعند ابن ماجه[٤] =

(١) سورة النور آية (٣٦، ٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥٠٩/٢ من حديث لأبي هريرة مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٢٦٥/٢ في الصلاة ح٣١٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢٤٤/١ ح٧٣٨ في المساجد وإسناده صحيح في الزوائد، قال الشيخ محمد فؤاد =

= بيان ففيه »كمفحص قطاة أو أصغر» «يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» زاد النسائي[١] يذكر الله فيه» وهذا قيد ثاني مع الإخلاص لتحقق الثواب الموعود به وهو قوله: فنبينا ﷺ يبين أنه من بنى مسجداً أي مسجدٍ كان للصلاة فيه وذكر الله ففي رواية عند ابن ماجه «من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله» وقوله «يبتغي به وجه الله» قال الكرماني[٢] في شرحه: والمراد بوجه الله: ذات الله أهـ.

وقال ابن حجر[٣] : أي يطلب به رضا الله، والمعني بذلك الإخلاص أهـ. فمن فعل ذلك جازاه مولاه عز وجل بمثله في الجنة والمثلية في الكمية لا الكيفية، فليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، قال الكرماني: فإن قلت ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾[٤] فما معنى التقييد بمثله؟ قلت إما أنه ﷺ قاله قبل نزول هذه الآية الكريمة أو أن المثليه إنما هي بحسب الكمية والزيادة تحصل بحسب الكيفية.. أو أن المقصود من بيان المماثله في أن جزاء هذه الحسنة من جنس العمل لا من غيره.أهـ.

قال النووي: يحتمل أن يكون معناه بنى الله تعالى له مثله في مسمى البيت وأما صفته في السعة وغيرها فمعلوم فضلها وأنها مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أهـ قال ابن حجر[٥] : والأصل أن ثواب الحسنة الواحدة واحد بحكم العدل والزيادة عليه بحكم الفضل، وأما من أجاب باحتمال أن يكون ﷺ قال ذلك قبل نزول قوله تعالى ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾[٦] ففيه بعد وكذا =

= عبد الباقي.

(١) أخرجه النسائي في سننه ٢/٣١ في المساجد، باب الفضل في بناء المساجد.

(٢) شرح الكرماني ٤/١١٠ح٤٤٠.

(٣) فتح الباري ٣/١١٥ حح٤٥٠.

(٤) سورة الأنعام آية (١٦٠).

(٥) فتح الباري ٣/١١٥ح٤٥٠.

(٦) سورة الأنعام آية (١٦٠).

= من أجاب بأن التقييد بالواحد لا ينغي الزيادة عليه، ومن الأجوبة المرضية أيضًا أن المثليه هنا بحسب الكمية والزيادة حاصله بحسب الكيفيه فكم من بيت خير من عشرة بل من مائة أهـ ويؤيد ذلك الرأي الأخير ما رواه أحمد بلفظ «بنى له بيت أوسع منه في الجنة»[1] قال ابن حجر وهذا يشعر بأن المثلية لم يقصد بها المساواة من كل وجه أهـ قال النووي[2] : قولهﷺ: «من بنى مسجداً بنى الله له مثله في الجنة» يحتمل مثله في القدر والمساحة ولكنه أنفس منه بزيادات كثيرة ويحتمل مثله في مسمى البيت وإن كان أكبر وأشرف أهـ قوله «في الجنة» يتعلق ببنى أو هو حال من قوله «مثله» وفيه اشارة إلى دخول فاعل ذلك الجنة إذا المقصود بالبناء له أن يسكنه وهو لا يسكنه إلا بعد الدخول والله أعلم أ.هـ ويلحق بهذه النية أي عمل يبتغى المرء به وجه الله عز وجل فله عند الله تعالى لها درجات عالية ويدل على ذلك حديث[3] سعد بن أبي وقاص أن النبيﷺ قال له: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغى به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ... الحديث» قال النووي: وأما قوله ﷺ: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً» فالمراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من أصحابه وفي هذا الحديث فضيلة طول العمر للازدياد من العمل الصالح والحث على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال، والله تعالى أعلم أهـ فكل عمل يحتاج لهذه النية ومعها الصلاح فينال العبد المراتب العاليه من الله تعالى نسأله من فضله سبحانه والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٢١.

(٢) شرح مسلم ١٨/١١٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١١/٧٨ في الوصية.

مبحث : من تفرغ لعبادة الله سد الله فقره

٢١١ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يقول : ﴿ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعَبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وإِن لاَّتَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**» .

---

[٢١١] أخرجه الترمذي في سننه ١٦٦/٧ في صفة القيامة، ح٢٥٨٤ وقال حسن غريب.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله يقول» أي في الحديث القدسي الشريف «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك» أي إن تفرغت لطاعتي وقنعت من الدنيا بالقليل وانقطعت لذكري وعبادتي ملأت قلبك غنى عن الدنيا وأهلها بي ورزقتك من حيث لا تحتسب قال تعالى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ۝٢ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾[١] وقال تعالى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ۝٤ **ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾[٢] .

«وإن لاتفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك» أي وإن إنشغلت بالدنيا عن عبادتي وطاعتي وذكري ملأت يديك شغلاً بالدنيا؛ وهذا ملموس فمن انشغل عن طاعة الله والصلاة والحج والقيام وغيرهم بحجة الأعمال والمصالح لم ينته منها وما إن انتهى من أمر وشغل إلا ودخل في آخر وما سد فقره، فهو دائما محتاج لايشبع ولا يكفيه شئ وتظل نهمته دائماً لا تنقضي من الدنيا وحاجاتها وفي الحديث «إن الله =

---

(١) سورة الطلاق آية (٢، ٣).

(٢) سورة الطلاق آية (٤، ٥).

مبحث : اجتهاد النبيﷺ في عبادة الله تعالى

٢١٢ ـ عن المغيـرة رضي الله عنه قـال: «إِن كَـانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُـومُ أو لَيُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، أَوْ سَاقَاهُ: فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

= لايظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة»[١] قال في التحفة[٢]: قوله: «إن الله يقـول «يا ابن آدم تفرغ لعبـادتي» أي تفرغ عن مـهماتك لطاعـتي «أملأ صـدرك» أي قلبك «غنى» والغـنى إنما هو غنى القلب «وأسـد فـقـرك» أي تفـرغ عن مهماتك وأغنيك عن خلقي «وإن لاتفعل مـلأت يديك شغلا ولـم أسد فقرك» أي وإن لم تتفرغ لذلك واشـتغلت بغيري لم أسـد فقرك لأن الخلق فقراء عـلى الإطلاق فتزيد فقـراً على فقـرك أهـ قـال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٣] والله أعلم.

مبحث : اجتهاد النبيﷺ في عبادة الله تعالى

[٢١٢] أخرجـه البخاري في صـحيحه ١٧/٦ في التـهجد، باب قـيام النبيﷺ الليل، ح١١٣٠.

أخرجه مسلم في صـحيحه ١٦٢/١٧ في صفة القيـامة والجنة والنار، باب اكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة.

قـوله «تـرم»: وَرِمَ يَرِمُ: أي انتـفـخـت من طول قـيامـه في الصـلاة أهـ نـهـاية ١٧٧/٥.

=

---

(١) أخرجة مسلم في صحيحة ٢١٩/١٧ في صفات المنافقين، ح٢٨٠٨.

(٢) تحفة الأحوذي ١٦٦/٧.

(٣) سورة فاطر آية (١٥،١٦،١٧).

المعنى

قال ﷺ: «فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[1] لقد بلغ الذروه في العبادة والعمل ﷺ فما كاد أن يقاربه أحد فضلاً عن أن يلحق به عبادة وعلمًا وعملاً بل لما صلى معه ابن مسعود رضي الله عنه صلاة الليل قال صليت مع النبي ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل وما هممت به قال: هممت أن أجلس وأدعه»[2] وقد افتتح البقرة حتى أتمها ثم النساء ثم آل عمران في ركعة كما أخبرنا حذيفة رضي الله عنه ولما سئل ﷺ عن ذلك يعني قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكانت الإجابة «أفلا أكون عبدًا شكورًا» يعني إذا كان غفر و ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[3] صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله وسلم تسليمًا كثيرًا، وحق لقدميه الشريفتين أن تتورما فقد قال حذيفة صليت مع النبيﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبًا من قيامه»[4] قوله: «إن كان النبيﷺ ليقوم أي ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه» يعني من كثرة قيامه ﷺ وطوله تنتفخ قدماه أو ساقاه قوله «فيقال له» قال ابن حجر[5] : لم يذكر القول ولم يسم القائل، وفي تفسير الفتح فقيل له: «غفر الله لك ما تقدم من =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٢/٢٢ أدب ح٦١٠١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٣/٦ في الصلاة باب الحث على الصلاة الوقت وإن قلت.

(٣) سورة الرحمن (٦٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٦١/٦ في الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة العيد.

(٥) فتح الباري ١٨/٦.

ذنبك وما تأخر» أهـ قلت وفي صحيح مسلم أوضح من هذه الرواية ولفظه «فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر»[1] قوله: «أفلا أكون عبداً شكوراً» قال الحافظ ابن حجر: والفاء في قوله «أفلا أكون» للسببية وهي عن محذوف تقديره أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً، والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه أهـ وقال النووي قال القاضي: الشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به، وسميت المجازاه على فعل الجميل شكراً لأنها تتضمن الثناء عليه، وشكر العبد الله تعالى اعترافه بنعمه وثناؤه عليه وتمام مواظبته على طاعته وأما شكر الله تعالى أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها وتضعيف ثوابها وثناؤه بما أنعم به عليهم فهو المعطي والمثني سبحانه والشكور من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى والله أعلم أهـ وقال القسطلاني[2] : كأن المعنى ألا أشكره وقد أنعم علي وخصني بخير الدارين أهـ وقال الحافظ ابن حجر: وفيه مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[3]، والشكر الإعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكوراً ومن ثم قال سبحانه وتعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الإجتهاد في العبادة والخشية من ربه، قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ـ والله أعلم أهـ والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) هو تخريج صحيح مسلم للرواية الأصل للحديث أول الشرح ١٦٢/١٧.

(٢) إرشاد الساري.

(٣) سورة سبأ آية (١٣).

مبحث : استحباب العبادة في الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء

٢١٣ ـ عن عبد الله بن السائب أنَّ رسَوُل الله ﷺ: «كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ فقال: «**إِنَّها سَاعَةٌ تُفَتَّحُ فِيهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ**».

---

[٢١٣] أخرجه الترمذي في سننه ٥٨٧/٢ في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند الزوال.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن السائب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر «أي كان ﷺ يصلي أربع ركعات سنة الظهر القبليه بعد أن تميل الشمس عن كبد السماء وحلول وقت الظهر إلا أن ذلك قبل الفريضه وفي التعبير كان دليل على المواظبة على تلك الأربع وغيرها من الرواتب المؤكدات التي واظب عليها النبي ﷺ قال الترمذي بعد رواية الحديث: روى عن النبي ﷺ أنه «كان يصلى أربع ركعات بعد الزوال لايسلم إلا في آخرهن» قال في التحفة[1] : في قوله كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قال العراقي: هي غير الأربع التي هي سنة الظهر قبلها وتسمى هذه سنة الزوال أهـ وكأنه سئل ﷺ عن ذلك فقال: «إنها ساعة تفتح فيه أبواب السماء» أي لهذا السبب لأن أبواب السماء هي التي صعد منها نبينا ﷺ وجبريل عليه السلام ليلة الاسراء والمعراج وكان في الحديث الصحيح المتقدم شرحه وتخريجه «فاستفتح جبريل، فقيل من هذا قال جبريل، قيل ومن معك قال: محمد ﷺ.... الحديث»[2] وتصعد أعمال الصالحين عند فتح الأبواب كما قال الله

---

(١) تحفة الأحوزي ٥٨٨/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٣/٢ في الإيمان.

= عز وجل ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[1] وقد ذكر ربنا تعالى أنها تغلق أمام أرواح الكافرين والعياذ بالله تعالى، قال تعالى ﴿إن الذين كذبوا بآيتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾[2] لذلك قال ﷺ: «وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح» تعليماً لأمته فكل أعماله ﷺ صالحه وصاعده، قال صاحب التحفة: في قوله «فقال إنها ساعة» أي ما بعد الزوال وأنثه باعتبار الخبر «تفتح» بالتخفيف ويجوز التشديد «فيها أبواب السماء» لطلوع أعمال الصالحين «أن يصعد» بفتح الياء ويضم «فيها» أي في تلك الساعة «عمل صالح» أي إلى السماء وفيه تلميح إلى قوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ والله أعلم.

---

(١) سورة فاطر آية (١٠).

(٢) سورة الأعراف (٤٠).

مبحث: من بلغ درجة عالية في عمل صالح

دخل من باب الجنة

٢١٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأمّي يا رَسُولَ الله: ما علي من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضَرُورَةٍ، فهل يُدْعى أحَدٌ من تلك الأبوابِ كُلِّهَا؟ قال: «**نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**».

---

[٢١٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٦/٨ في الصيام، باب الريان للصائمين، ح١٨٩٧.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٦١/١٤ في فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ح٣٦٦٦.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١١٥/٧، ١١٦، ١١٧ في الزكاة، باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر.

قوله: «زوجين»: كل شئ قرن بصاحبه فهو زوج أهـ فتح ١٦١/١٤.

المعنى

وكما قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[1] فكما فضل البعض على البعض بدرجات متفاوته في =

---

(١) سورة الإسراء آية (٢١).

= الدنيا وذلك واضح فكذلك ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ فلكل باب أهله الذي قد حصلوا على ما يؤهلهم للدخول منه إلا الصديق رضي الله عنه فقد حاز الدرجات كلها ونال المراتب أعلاها كلها بعد الأنبياء على نبينا وعليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

فيقول أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله» قال النووي[1] : قال القاضي: قال الهروي في تفسير هذا الحديث: قيل: وما زوجان؟ قال: فرسان أو عبدان أو بعيران. وقال ابن عرفة: كل شئ قرن بصاحبه فهو زوج، وقيل يحتمل أن يكون هذا الحديث في جميع أعمال البر من صلاتين أو صيام يومين والمطلوب تشفيع صدقة بأخرى والتنبيه على فضل الصدقة والنفقة في الطاعة والإستكثار منها وقوله في سبيل الله قيل هو على العموم في جميع وجوه الخير وقيل هو مخصوص بالجهاد أهـ بتصرف يسير قوله ﷺ: «نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير» قال الحافظ[2] : لفظ خير بمعنى فاضل لا بمعنى أفضل وإن كان اللفظ قد يوهم ذلك ففائدته ترغيب السامع في طلب الدخول من ذلك الباب أهـ ففي رواية مسلم «دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فل هلم» أي فلان هلم. قوله «فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» قال النووي: قال العلماء معناه من كان الغالب عليه في عمله وطاعته ذلك أهـ قوله: فقال أبو بكر رضي الله عنه: «ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة» قال القسطلاني[3] : قال في شرح المشكاة: لما خص كل باب بمن أكثر نوعًا من العبادة وسمع الصديق رضي الله عنه رغب في أن يدعى =

---

(١) شرح مسلم ٧/١١٥، ١١٦.

(٢) فتح الباري ١٤/١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) إرشاد الساري ٣/٣٤٩.

مبحث : يأتي أهل الوضوء يوم القيامة غراً محجلين

٢١٥ ـ عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ أُمَّتي يُدعَوْن يوْمَ القيَامَة غُرًّا مُحَجَّلِينَ من آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَه فَلْيَفْعَلْ**».

= من كل باب وقال ليس على من دعى من تلك الأبواب من ضرر بل شرف وإكرام ثم سأل فقال: «فهل يدعى أحد من تلك الأبواب» ويحظى بهذه الكرامة «كلها قال عليه الصلاة والسلام: «نعم» يدعى منها كلها على سبيل التخيير في الدخول من أيها شاء لاستحالة الدخول من الكل معًا «وأرجوا أن تكون منهم» الرجاء منه ﷺ واجب ففيه أن الصديق من أهل هذه الأعمال كلها أهـ قال ابن حجر قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع وفي الحديث من الفوائد أن من أكثر من شئ عرف به، وأن أعمال البر قل أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء وأن تمنى الخير في الدنيا والآخرة مطلوب أهـ والله أعلم فاللهم ارزقنا بابًا من أبواب الجنة.

مبحث : يأتي أهل الوضوء يوم القيامة غراً محجلين

[٢١٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٧ في الوضوء باب فضل الوضوء والغر المحجلين، ح١٣٦.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٤ في الطهارة، باب استحباب اطالة القرة والتحجيل

قوله: «عزًا» الغر: المعجمة بعدها راء ثقيلة جمع الأغر من الغرة بياض الوجه، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة ا.هـ. نهاية ٣/٣٥٤.

قوله: «محجلين» المحجل: هو الذي يرتفع البياض في قوائمة إلى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنهما مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود، قاله ابن الأثير نهاية ١/٣٤٦. =

المعني

لله الحمد حيث فضلنا وأدبنا ونظفنا وجعل لنا على ذلك أجرًا عظيمًا إن اتبعنا فيه ما اقتبسناه من نبينا ﷺ فأمرنا بالوضوء قبل الصلاة لنطهر الظاهر فيتبعه الباطن وجعل أثره في الدنيا مترتبًا عليه نعيم في الآخرة.

فيقول ﷺ: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء» فقوله: «أمتي» أي الذين استجابوا له ﷺ فتوضؤا وصلوا، قال الحافظ ابن حجر[1] : قوله «أمتي» أي أمة الإجابة وهم المسلمون، وقد تطلق أمة محمد ويراد بها أمة الدعوة وليست مرادة هنا وقوله «يدعون» أي ينادون أو يسمون أهـ وقال: بدر الدين العيني[2]: قوله «يدعون» إما من الدعاء بمعنى النداء أي يدعون إلى موقف الحساب أو إلى الميزان أو غير ذلك، وإما من الدعاء بمعنى التسمية نحو دعوت ابني زيدًا أي سميته به أهـ وقوله «غرًا محجلين» قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد به هنا النور الكائن في وجوه أمة محمدﷺ. و«غرًا» منصوب على المفعولين ليدعون أو على الحال: أي أنهم إذا دعوا على رؤس الأشهاد نودوا بهذا الوصف، وكانوا على هذه الصفة، وقوله «محجلين» من التحجيل: وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، والمراد به هنا أيضًا النور أهـ بتصرف يسير، وقال النووي رحمه الله تعالى[3] : قال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهًا بغرة الفرس والله أعلم أهـ وقد اختلف العلماء هل الوضوء من خصائص هذه الأمة أم علاماته؟ قال الحافظ ابن حجر: فالظاهر أن الذي =

---

(١) فتح الباري ٢/٧.

(٢) عمدة القارى ٢/٢٢٦.

(٣) شرح مسلم للنووي ٣/١٣٥.

= اختصت به هذه الأمة هو الغرة التحجيل لا أصل الوضوء واستدل بحديث جريج عند البخاري «انه توضأ وصلى ... الحديث»[1] لكن اختصاص الأمة بالغرة والتحجيل أهـ دليله حديث أبي هريرة مرفوعًا عند مسلم: قالوا: يا رسول الله: أتعرفنا يؤمنذ؟ قال: «نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون على غراً محجلين»[2] قال ابن حجر[3] : «وسيما» بكسر المهمله واسكاف الياء الأخيرة أي علامة أهـ وقوله «من آثار الوضوء» قال بدر الدين العيني: الآثار: جمع أثر، وأثر الشئ هو بقيته، والوضوء بضم الواو ويجوز فتحها، فإن الغرة والتحجيل نشأ عن الغسل بالماء فيجوز أن ينسب إلى كل منهما أهـ قوله «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» اختلف في ذكره لإطالة الغرة دون ذكر التحجيل، وقد أطال الحافظ ابن حجر في تأويل ذلك وأحسن الإجابات هي أنه ورد في رواية مسلم[2] في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل عن أبي هريرة بلفظ «فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله» فالمطلوب استحباب إطالة مواضع غسل مكان الغرة من الواجهة والتحجيل من اليدين والرجلين وقد اختلف العلماء في القدر المستحب من التطويل في التحجيل من اليدين والرجلين وقد اختلف العلماء في القدر المستحب من التطويل في التحجيل فقيل إلى المنكب والركبة وقيل إلى نصف العضد والساق وقيل فوقه وما ظهر من فضل الغرة والتحجيل يوم القيامة يدل على فضل الوضوء والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٨/١٣، ح٣٤٣٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٥/٣ في الطهارة، باب استحباب اطالة الغرة والتحجيل في الضوء.

(٣) فتح الباري ٨/٣.

مبحث: إسباغ الوضوء مع الخشوع كفارة لما تقدم

٢١٦ ـ عن حمران مولى عثمان أنه رأى عثمانَ بنَ عفان دَعَا بإناءٍ فأفرغَ على كفيهِ ثلاثَ مِرارٍ فغسلهما ثم أدخلَ يمينَهُ في الإناءِ فمضمض واستنثرَ ثم غسلَ وجهَهُ ثلاثًا ويديهِ إلى المرفقينِ ثلاثَ مرار، ثم مسحَ برأسِهِ، ثم غسل رجليهِ ثلاثَ مرارٍ إلى الكعبين ثم قال قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّ رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

---

[٢١٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٣٦ في الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، ح١٥٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٠٩ في الوضوء، باب صفة الوضوء وكماله.

قوله: «فأفرغ» أي صَبَّ أ.هـ. فتح٢/٣٦.

قوله «إستنثر» نثر ينثر بالكسر، إذا إمتخط، وأستنثر إستفعل منه أي إستنشق الماء ثم إستخرج ما في الأنف فينثره أ.هـ نهاية ٥/١٥.

قوله «الكعبان» قال النووي: واتفق العلماء على أن المراد بالكعبين العظمتان الناتئتان بين الساق والقدم وفي كل رجل كعبان أهـ صحيح مسلم بشرح النووي ٣/١٠٧.

المعني

من فضل الوضوء ما يترتب على إتقانه واتقان الصلاة به بالخشوع، من خروج فاعل ذلك نقيًا من كل صغيرة أسلفها، وحديثنا هذا يدل على ذلك فقد توضأ عثمان رضي الله عنه فصب على كفيه فغسلهما ثلاثًا ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثًا ويديه إلى المرفقين ثلاثًا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا ثم أخبر أن النبي ﷺ قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه»، قال النووي[1]: إنما قال ﷺ نحو وضوئي ولم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/١٠٨.

= يقل مثل لأن حقيقة مماثلته ﷺ لا يقدر عليها غيره والمراد بالغفران الصغائر دون الكبائر وفيه استحباب صلاة ركعتين فأكثر عقب كل وضوء وهو سنة مؤكدة، قال جماعة من أصحابنا: ويفعل هذه الصلوات في أوقات النهي وغيرها لأن لها سبباً واستدلوا بحديث بلال رضي الله عنه المخرج في صحيح البخاري[1] أنه كان متى توضأ صلى وقال إنه أرجى عمل له ولو صلى فريضة أو نافلة مقصودة حصلت له هذه الفضيلة كما تحصل تحية المسجد بذلك والله أعلم أهـ وقال ابن حجر[2] في قوله «ثم صلى ركعتين» فيه استحباب صلاة ركعتين عقب الوضوء وقوله: «لايحدث فيهما نفسه» قال المراد به ما تسترسل النفس معه، ويمكن المرء قطعه، لأن قوله «يحدث» يقتضي تكسبا منه ـ فأما ما يهجم من الخطرات والوساوس ويتعذر دفعه فذلك معفو عنه ووقع في رواية في الزهد لابن المبارك «لا يحدث نفسه بشئ من الدنيا» أهـ بتصرف يسير. قال النووي: وأما قوله ﷺ: «لايحدث فيهما نفسه» فالمراد لايحدث بشئ من أمور الدنيا ومالا يتعلق بالصلاة، ولو عرض له حديث فأعرض عنه بمجرد عروضه عفى عن ذلك وحصلت له هذه الفضيلة إن شاء الله تعالى لأن هذا ليس من فعله وقد عفى لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر، وقال القاضي عياض: وقال بعضهم: هذا الذي يكون بغير قصد يرجى أن تقبل معه الصلاة ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشئ لأن النبي ﷺ إنما ضمن الغفران للمراعى لأنه قل من تسلم صلاته من حديث النفس وإنما حصلت له هذه المرتبة لمجاهدة نفسه من خطرات الشيطان ونفيها عنه ومحافظته عليها حتى لم يشتغل عنها طرفة عين وسلم من الشيطان أهـ وقال بدر الدين العيني[3] : وقوله =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤١/٦ وتفصيل شرحه في الحديث القادم إن شاء الله تعالى.

(٢) فتح الباري ٣٧/٢.

(٣) عمدة القارى ٣٠١/٢.

= «يحدث» وهو يقتضي التكسب من أحاديث النفس ودفع هذا ممكن، وأما ما يهجم من الخطرات والوساوس فإنه يتعذر دفعه فيعفي عنه أهـ. وقوله «غفر له ماتقدم من ذنبه» قال النووي: المراد بالغفران الصغائر دون الكبائر أهـ وقال الحافظ ابن حجر[1]: العلماء خصوه بالصغائر لوروده مقيداً باستثناء الكبائر في غير هذه الرواية وهو في حق من له كبائر وصغائر، فمن ليس له إلا صغائر كفرت عنه ومن ليس له إلا كبائر خفف عنه منها بمقدارها لصاحب الصغائر، ومن ليس له صغائر ولا كبائر يزاد في حسناته بنظير ذلك أهـ وقد تعقب العيني في العمدة كلام الحافظ ابن حجر الأخير هذا فقال: الأقسام الثلاثة الأخيرة غير صحيحه، أما الذي ليس له إلا صغائر فله كبائر أيضًا لأنه كل صغيرة تحتها صغيرة فهي كبيرة ... الخ أهـ قلت: هذا تعقب فيه تعسف وتعنت وليس مقصد ابن حجر بالكبائر إلا التي جاءت في النصوص مما توعد عليه بنار أو عذاب شديد أو ما يترتب عليها حد والصغائر ما دون ذلك وأما قول العيني الصغيرة تحت الصغيرة فهى كبيرة فالنصوص لاتسمى الصغائر بالرغم من تعددها إلا بصغائر وتسمي لم قال تعالى: ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا** ﴾[3] فقد جاءت بلفظ الجمع وما يقال عنها إلا صغائر والله أعلم.

(١) فتح الباري ٣٨/٢.

(٢) سورة النجم آية (٣٢).

(٣) سورة النساء آية (٣١).

مبحث: فيمن واظب على طهور وصلاة فدخل بذلك الجنة

[٢١٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «**يَا بِلاَلُ حدثني بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإِسْلام، فإني سمعتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بين يَدَيَّ في الجَنَّة**» قال: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طهُورًا فِي سَاعَةِ لِيلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِيَ أَنْ أُصَلِّيَ قال أبو عبدالله: دَفَّ نعليك: يعني تَحْرِيك.

---

[٢١٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤١ في التهجد، باب فضل الطهور بالليل والنهار... الخ، ح١١٤٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٩ في فضائل الصحابة، باب من فضل بلال رضي الله عنه ح٢٤٥٨.

المعني

رسول الله ﷺ أطلعه الله عز وجل على الجنة والنار معجزة له ﷺ فلما رآهما رأى من آيات الله الكبرى ومما عرض عليه سماعه تحريك نعلي بلال بن رباح رضي الله عنه في الجنة فسأل بلالاً عن أفضل أعماله التي يرجو بها رحمه الله عز وجل فأخبره بلال رضي الله عنه أنه ما توضأ في أي وقت إلا صلى بذلك الوضوء ما قدره الله عز وجل له. قوله «قال لبلال عند صلاة الفجر» قال ابن حجر[١]: أي ابن رباح المؤذن، فيه اشارة إلى أن ذلك وقع في المنام لأن عادته ﷺ أنه كان يقص ما رآه ويعبر ما رآه أصحابه، وقوله: «بأرجى عمل» بلفظ أفعل التفضيل، وإضافة العمل إلى الرجاء لأنه السبب الداعي إليه أهـ وقال القسطلاني[٢]: فالعمل ليس براج للثواب وإنما هو مرجو الثواب، وأضيف إلى العمل لأنه السبب الداعي إليه، والمعنى: =

---

(١) فتح الباري ٦/٤١.

(٢) ارشاد الساري ٢/٣٢٦.

= حدثني بما أنت أرجى من نفسك من أعمالك؟ قوله: «فإني سمعت» في رواية مسلم «الليله» قال ابن حجر: وفيه اشارة إلى أن ذلك وقع في المنام أهـ وقوله «دف نعليك» قال ابن حجر: بفتح المهملة، وقد فسره المصنف: بالتحريك وقال الخليل: دف الطائر إذا حرك جناحيه وهو قائم على رجليه، وقال الحميدي الدف: الحركة الخفيفة أهـ وقال القسطلاني: «دف نعليك» بفتح الدال المهملة والفاء المشددة أي صوت مشيك فيهما «بين يدي في الجنة»، ظرف للسماع أهـ قوله «أني لم أتطهر طهوراً، وعند مسلم» «طهوراً تامًا» وقوله «في ساعة ليل أو نهار» قال ابن حجر: بتنوين ساعة وخفض ليل على البدل أهـ وقال القسطلاني: ونكر ساعة لإفادة العموم فتجوز هذه الصلاة في الأوقات المكروهة، وعورض بأن الأخذ بعموم هذا ليس أولى من الأخذ بعموم النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة وأجيب بأنه ليس فيه ما يقتضي الفورية، فيحمل على تأخير الصلاة قليلاً ليخرج وقت الكراهه أهـ وقوله «بين يدي في الجنة» قال القسطلاني: ظرف للسماع أهـ فأخبره بلال أنه ما من مرة يتوضأ وضوءاً تامًا للصلاة إلا صلى بذلك الوضوء سواء كان ذلك بالليل أو بالنهار، وقال الحافظ ابن حجر[1]: والذي يظهر أن المراد بالأعمال التي سأله عن أرجاها الأعمال المتطوع بها والا فالمفروضه أفضل قطعًا أهـ وقوله «ما كتب لي أن أصلي» قال القسطلاني: أي ما قدر على أعم من النوافل، قال ابن التين: إنما اعتقد بلال ذلك لأنه علم من النبيﷺ أن الصلاة أفضل الأعمال وأن عمل السر أفضل من عمل الجهر أهـ قال ابن حجر وقال ابن الجوزي: فيه الحث على الصلاة عقب الوضوء لئلا يبقى الوضوء خاليًا عن مقصوده، وقال المهلب: فيه أن الله يعظم المجازاة على ما يسره العبد من عمله أهـ وقال الكرماني: ظاهر الحديث أن السماع المذكور وقع في النوم لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعد الموت، ويحتمل أن يكون في اليقظة لأن =

(١) فتح الباري ٦/ ٤٢.

مبحث : من غدا إلى المسجد أو راح كان له نزل في الجنة

[٢١٨] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ».

= النبي ﷺ دخلها ليلة المعراج وأما بلال فلا يلزم من هذه القصة أنه دخلها لأن قوله «في الجنة» ظرف للسماع ويكون الدف بين يديه خارجًا عنها، وقال ابن حجر: ويؤيد قوله وقع في المنام ما سيأتي في أول مناقب عمر مرفوعًا[1] «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء إمرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا؟ فقال هذا بلال... الحديث» وبعده حديث أبي هريرة مرفوعًا «بينا أنا نائم .. الحديث» فعرف أن ذلك وقع في المنام وثبتت الفضيلة لذلك لبلال لأن رؤيا الأنبياء وحي ولذلك جزم النبي ﷺ له بذلك أهـ والله أعلم.

مبحث : من غدا إلى المسجد أو راح كان له نزل في الجنة

[٢١٨] أخرجه البخاري في صحيحه ٣١/٤ في الصلاة، أبواب الجماعة والإمامة، باب فضل من غدا إلى المسجد أو راح، ح٦٦٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧٠/٥ في الصلاة، باب ثواب المشي إلى الصلاة.

قوله: «غدا»: قال ابن الأثير: وقد غدا يغدو غدوا. والغدوة بالضم: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس وقال: الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو سير أول النهار نقيض الرواح أهـ نهاية ٣٤٦/٣.

قوله: «راح» قال ابن الأثير: أصل الرواح أن يكون بعد الزوال قال: راح القوم وتروحوا إذا ساروا أي وقت كان أهـ نهاية ٢م٢٧٣ وقال ابن حجر: ثم قد يستعملان في كل ذهاب ورجوع توسعًا أهـ فتح ٣١/٤ قوله: «نزله» وفي مسلم «نزلاً» قال النووي في شرح مسلم: النزل ما يهيأ للضيف عند قدومه أهـ ١٧٠/٥.

=

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٠/١٤ في المناقب ح٣٦٧٩ والحديث بعده ح٣٦٨٠.

المعني

إن بيوت الله في الأرض المساجد وعمارها زوارها وحق على المضيف أن يكرم زائره، وأكرم الأكرمين هو رب العالمين فلذلك أكرم الضيافة ضيافته، وأعظم مأدبة إنما هي مأدبة ربنا عز وجل في الجنة وهنا يخبرنا نبينا ﷺ أنه من خرج إلى المسجد أو رجع منه أكرمه الله تعالى بنزل في الجنة كلما خرج أو رجع، ولفظ الغدو والرواح في الحديث يطلقان في الأكثر على المعنى المجازي لهما وهو الخروج والرجوع قال ابن حجر[1] يستعملان في كل ذهاب ورجوع توسعًا وقوله «أعد» أي هيأ، والنزل بضم النون والزاي المكان الذي يهيأ للنزول فيه وبسكون الزاي ما يهيأ للقادم من الضيافة ونحوها فعلى هذا «من» في قوله من الجنة للتبعيض على الأول وللتبيين على الثاني ورواه مسلم بلفظ «في الجنة نزلاً» وهو محتمل للمعنيين أهـ وقد قال بالثاني النووي في شرح مسلم[2] فقال: النزل: ما يهيأ للضيف عند قدومه أهـ والمقصود بالذهاب والرجوع من وإلى المسجد: للطاعة لله عز وجل، وليس لدنيا أو لحظ نفس أو لمعصية أو لهوى ففي الحديث الصحيح[3] «ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة أو حطت عنه بها خطيئة... الحديث» وقال القسطلاني في إرشاد الساري: في قوله «كلما غدا أو راح»: للطاعة أهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ٣١/٤.

(٢) شرح مسلم ١٧٠/٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٦/٩ في البيوع ح ٢١١٩.

مبحث: فضل السعي على الأقدام إلى المساجد والطاعات

[٢١٩] عن عباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**».

---

[٢١٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٥٠ في الجمعة باب المشي إلى الجمعة وقول الله جل ذكره ﴿**فاسعوا إلى ذكر الله.. الآية**﴾ ح٩٠٧.

أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٢/١١ في الجهاد، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، ح٢٨١١.

قوله: «اغبرت قدماه» أي أصابهما الغبار أهـ قسطلاني في إرشاد الساري ١٧٥/٢.

المعني

قال الله تعالى ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)**﴾[1] فحتى الغبار الملوث لأقرب أعضاء الجسم إليه وهي الأقدام يحصيه الله تعالى ويعطي عليه الأجر لمن قدم ذلك العمل ساعياً لمرضات الله عز وجل، وقد اعتبر أبو عبس وهو عبد الرحمن بن جبر كما ذكر الحافظ - اعتبر تغفر الأقدام للجمعات هو في سبيل الله يؤجر على ذلك فاعله، فلما رأى عبد الرحمن عباية بن رفاعة ذاهباً إلى صلاة الجمعة أخبره بحديث النبي ﷺ هذا الذي يبشر من مشى على رجليه للجمعات ونحوها، وقد اختلف العلماء في قوله «في سبيل الله» فمنهم من حملها على الجهاد وحده وهو الأرجح كما في القرآن =

---

(١) سورة التوبة آية (١٢٠).

مبحث: قول النبي ﷺ: «إن في الصلاة شغلاً»

[٢٢٠] عن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ في الصلاةِ فَيَرُدُّ علينا فَلَمَّا رَجعنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِي سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ علينا وقال: «إِنَّ فِي الصَّلاَةِ شُغُلاً».

= الكريم وغالب الأحاديث النبوية الشريفة، وبعضهم عممها على جميع الطاعات، قال ابن حجر في الفتح[1]: وأورده هنا لعموم قوله في سبيل الله فدخلت فيه الجمعة ولكون راوى الحديث استدل به على ذلك أهـ وقال ابن بطال: والمراد في سبيل الله تعالى جميع طاعته قال ابن حجر[2]: وهو كما قال إلا أن المتبادر عند الاطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد أهـ وقال القرطبي[3] في قوله تعالى ﴿وفي سبيل الله﴾ وهم الغزاة وموضع الرباط يعطون ما ينفقون في غزوهم كانوا أغنياء أو فقراء وهذا قول أكثر العلماء أهـ وقال القسطلاني[4]: في قوله «أغبرت قدماه» أي أصابهما الغبار وقوله «حرمه الله» كله أهـ فمن اغبرت قدماه في سبيل الله عز وجل كان جزاء تغبير القدم عافية الجسد كله من النار كلها يوم القيامة وما فعله قبل وبعد فله جزاؤه وعليه حسابه والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ: «إن في الصلاة شغلاً»

[٢٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٨٨، في الصلاة، أبواب العمل في الصلاة، باب ما ينهي من الكلام في الصلاة، ح١١٩٩.

أخرجه مسلم في صحيحه ٥/٢٦ في الصلاة، كتاب المساجد ومواضع =

(١) فتح الباري ٥/٥١.

(٢) فتح الباري ١١/٢٩٢.

(٣) تفسير القرطبي ٨/١١٧ سورة التوبة آية (٦٠).

(٤) ارشاد الساري ٢/١٧٥.

= الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة.

المعني

قال الله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وقوموا لله قنتين ﴾[2] فعلمهم نبينا ﷺ ذلك حتى ساغوه فوصلوا إلى مقام الإحسان فبشروا بالروضات قبل الممات.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كنا نسلم على النبيﷺ وهو في الصلاة» وفي رواية مسلم[3] عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتي نزلت ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وهذا هو سبب الحديث نزول الآية الكريمة وفي رواية في مسلم: فقلنا يا رسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا فقال: «إن في الصلاة شغلا» بضم الشين المعجمة والغين المعجمة قال الحافظ ابن حجر[4]: والتنكير فيه للتنويع أي بقراءة القرآن والذكر والدعاء أو للتعظيم أي شغلاً وأي شغل لأنها مناجاة مع الله تستدعي الإستغراق بخدمته فلا يصلح فيها الإشتغال بغيره أهـ وقال النووي[5] : قوله ﷺ: «إن في الصلاة شغلاً» معناه أن المصلي وظيفته أن يشتغل بصلاته فيتدبر ما يقوله ولا يعرج علي غيرها فلا يرد سلامًا ولا غيره وقال هذه الأحاديث فيها فوائد: منها تحريم الكلام في الصلاة سواء كان لمصلحتها أم لا وتحريم رد السلام فيها باللفظ وأنها لا تضر الإشارة بل يستحب رد السلام بالإشارة وبهذه الجملة قال الشافعي والأكثرون أهـ والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة المؤمنون آية (١)، (٢).

(٢) سورة البقرة آية (٢٣٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٥/٢٦ في المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة.

(٤) فتح الباري ٦/٨٨.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٢٧.

مبحث : من أقبل على الصلاة بقلبه ووجهه وجبت له الجنة

[٢٢١] عن عقبة بن عامر عن رسول اللهﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ مسْلِم يَتوضَّأُ فيُحْسِنُ وضُوءه ثُمَّ يقُومُ فيُصَلِّي ركْعَتَين مُقْبلٌ علَيهِمَا بِقَلْبِه وَوَجْهِه إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**».

قال فقلت: ما أجود هذه فإذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قل: «إني قد رأيتُكَ جِئتَ آنفًا قال: «**ما منْكُمْ منْ أَحَد يَتَوضَّأُ فيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ ثُمَّ يقول: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ الله ورَسُولُهُ إلاَّ فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ يدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**».

---

[٢٢١] أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١١٨ في الإيمان، باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

أخرج الحديث الأول عن عقبة أيضًا النسائي في سننه ١/٩٥ في الطهارة، باب ثواب من أحسن الوضوء ثم صلى ركعتين.

قوله: «آنفًا» أي قريبًا وهو بالمد على اللغة المشهورة وبالقصر على لغة صحيحه أهـ شرح مسلم ٣/١٢١.

المعنى

يخبرنا عقبه بن عامر رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه» أي يتقنه بالواجب والسنة مع تعميم الماء لكل أعضاء الوضوء «ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه» أي بخشوع وخضوع وانتباه لما يقول من قرآن وذكر واستحضار لهيبة المقام بين يدي الرحمن عز وجل وعند البخاري[1] قال رسول اللهﷺ هنا: «غفر له ما تقدم من ذنبه» أي استحق بذلك =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٣٦: ٣٨ في الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ح١٥٩ من حديث عثمان.

= إن مات الجنة بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب لأنه خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، لذلك قال عقبه ما أجود هذا أي ما أحسن هذا وأعظمه أجرًا لسهولة العمل وعظيم الأجر، قال الله عز وجل ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾[1]، قال النووي[2]: قوله ﷺ «مقبل عليهما بقلبه ووجهه» أي وهو مقبل، وقد جمع ﷺ بهذين اللفظين أنواع الخضوع والخشوع لأن الخضوع في الأعضاء والخشوع في القلب على ما قاله جماعة من العلماء، قوله: «**ما أجود هذه**» يعني هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة وجودتها من جهات، منها أنها سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة ومنها أن أجرها عظيم والله أعلم أهـ فقال عمر التي قبلها أجود فنظر عقبه فإذا عمر يقول له إني رأيتك جئت آنفًا أي قريبًا أي فأحببت أن أبشرك وأخبرك أنه ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء» هو بمعنى الحديث الأول فيحسن. قال النووي: هما بمعنى واحد أي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون والله أعلم أهـ قوله ﷺ: «ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» هذا أيضًا من موجبات الجنة كالأول لكن قول عمر رضي الله عنه عن هذه أنها أجود لأنها أسهل مع مقاربة الأجر والله أعلم.

قال النووي: أما أحكام الحديث: ففيه أن يستحب للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله» وهذا متفق عليه وينبغي أن يضم إليه ما جاء في رواية الترمذي[3] متصلاً بهذا الحديث «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» أهـ والله أعلم.

---

(١) سورة المؤمنون آية (١)، (٢).

(٢) شرح مسلم ١٢١/٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ١٨١/١ في الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء ح٥٥.

مبحث : صلاة الملائكة على المصلي مادام في مصلاه

٢٢٢ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَة تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتهِ فِي بَيْتِه وفي سُوقِه خَمْسًا وعِشْرِين ضِعْفًا، وذَلِك أنهُ إذا تَوضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثم خَرَجَ إلى المَسْجِد لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَّلاة، لَمْ يَخْطُ خطْوَةً إلاَّ رُفعتْ لَهُ بهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، فإذا صَلَّى لم تزَلْ المَلاَئِكَةُ تُصلِّي عَلَيْه مَادَامَ فِي مُصَلاَّهُ اللهم صَلِّ عَلَيْه، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، ولاَ يَزَالُ أَحدكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ**».

---

[٢٢٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٤، في الصلاة كتاب أبواب الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة الجماعة ح٦٤٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٦٥/٥ في الصلاة باب فضل الصلاة المكتوبة في جماعة.

قوله: «خطوه» قال الجوهري: الخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة الواحدة أهـ فتح ١٥/٤.

المعنى

يبين نبينا ﷺ أن صلاة الرجل في الجماعة في المسجد تزيد على صلاته في بيته ونحوه خمساً وعشرين ضعفًا وذلك أنه إذا توضأ فأسبغ الوضوء ثم توجه إلى المسجد محتسبًا أنه خرج لعبادة الله تعالى بالصلاة فلذلك تجعل حركته محسوبة أجرًا فلا يخط خطوة إلا رفع بها درجة ووحط عنه بها خطيئة، بل ويستمر الأجر له ممدودًا له بالخير بعد الصلاة مادام في مجلسه مالم يعص الله تعالى فيه أو ينتقض وضوءه لكن الخير الحاصل له بعد الصلاة هو دعاء الملائكة له «اللهم ارحمه اللهم اغفر له» وكأنه في صلاة يأخذ أجرها مادام ينتظرها.

وقوله «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً =

= وعشرين ضعفًا» قال ابن حجر[1]: وحكى الكرماني وغيره أن فيه خمسًا وعشرين درجة بتأويل الضعف بالدرجة أو الصلاة أهـ وقوله «في بيته وفي سوقه» قال النووي[2] : المراد صلاته في بيته منفردًا أهـ وقال الحافظ ابن حجر: مقتضاه أن الصلاة في المسجد جماعة تزيد على الصلاة في البيت وفي السوق جماعة وفرادى قال ابن دقيق العيد، قال: والذي يظهر أن المراد بمقابل الجماعة في المسجد الصلاة في غيره منفردًا لكنه خرج مخرج الغالب في أنه من لم يحضر الجماعة في المسجد صلى منفردًا.

قال: وبهذا يرتفع الاشكال عمن استشكل تسوية الصلاة في البيت والسوق أهـ وقال القسطلاني[3] : ومذهب الشافعي كما في المجموع أنه من صلى في عشرة فله سبع وعشرون درجة ومن صلى مع اثنين كذلك لكن صلاة الأول هو مذهب المالكية وقال ابن حبيب منهم تفضل صلاة الجماعة بالكثرة وفضيلة الإمام أهـ وقد أخرج النسائي[4] في سننه عن أبي بن كعب حديثًا يبين زيادة الأجر بزيادة عدد الجماعة فقال عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاة الرجل مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كانوا أكثر فهو أحب إلى الله عز وجل». قوله: «وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد» قال ابن حجر: ظاهر في أن الأمور المذكورة علة للتضعيف المذكور إذ التقدير: وذلك لأنه، فكأنه يقول التضعيف المذكور سببه كيت وكيت، وإذا كان كذلك فما رتب على موضوعات لا يوجد بوجود بعضها إلا إذا دل الدليل على الغاء ما ليس معتبرًا أو ليس =

(١) فتح الباري ١٤/٤.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٦٥/٥.

(٣) إرشاد الساري ٢٧/٢.

(٤) أخرجه النسائي في سننه ١٠٥/٢ في الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين.

مقصوداً لذاته وهذه الزيادة التي في حديث أبي هريرة معقولة المعنى فالأخذ بها متوجه والذين قالوا بوجوب الجماعة على الكفاية ذهب كثير منهم إلى أن الحرج لا يسقط بإقامة الجماعة في البيوت، وكذا روى عن أحمد في فرض العين ووجهوه بأن أصل المشروعية كان في جماعة المسجد وهو وصف معتبر لا ينبغي الغاؤه فيختص به المسجد ويلتحق به ما في معناه مما يحصل به إظهار الشعائر أهـ قوله: «لا يخرجه إلا الصلاة» قال النووي[1] : لا تنهضه وتقيمه وهو بمعنى قوله: لا يريد إلا الصلاة أهـ بتصرف يسير وقال الحافظ ابن حجر[2]: أي قصد الصلاة في جماعة واللام فيه للعهد وقوله «لم يَخْطُ خطوة» يخط بفتح أوله وضم الطاء، وخطوه بضم أوله ويجوز الفتح قال الجوهري: الخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة الواحدة أهـ قوله: «إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة» قال القسطلاني إلا رفعت له بها بالخطوة درجة وحط عنه بها خطيئة بضم راء رفعت وحاء حطت مبنيين للمفعول قوله «فإذا صلى» قال الحافظ ابن حجر[2] : قال ابن أبي جمرة: أي صلى صلاة تامة لأنه ﷺ قال للمسيء صلاته «ارجع فصل فإنك لم تصل[3]. أهـ قوله «لم تزل الملائكة تصلي عليه» أي يكافؤه الله تعالى باستمرار صلاة الملائكة عليه بالدعاء له مادام جالساً في مكان صلاته علي حاله من الطاعة والذكر والبعد عن نواقض الوضوء والحسنات وقوله «مادام في مصلاه» قال الحافظ في الفتح أي المكان الذي أوقع فيه الصلاة من المسجد وكأنه خرج مخرج الغالب وإلا فلو قام إلى بقعة أخرى من المسجد مستمراً على نية الإنتظار كان كذلك أهـ قوله «اللهم صل عليه اللهم ارحمه» أي قائلين ذلك زاد ابن ماجه[4] «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه =

(١) شرح مسلم ١٦٦/٥.

(٢) فتح الباري ١٥/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٧/٤ ح٧٥٧ في الصلاة.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ٢٦٢/١ في المساجد والجماعات، باب لزوم المسجد وانتظار الصلاة ح٧٩٩.

مبحث : قول النبي ﷺ : «مَنْ صَلىَّ البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»

٢٢٣ ـ عن أبي موسي أن رسـول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلىَّ البَـرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

= ما لم يحدث فيه مالم يؤذ فيه» ثم قـال واستدل به على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال لما ذكر مـن صلاة الملائكة عليه ودعائهم له بالرحمة والمغـفرة والتوبة، وعلى تفضـيل صالحي الناس على المـلائكة لأنهم يكونون في تحصـيل الدرجات بعـباداتهم والملائكة مشغـولين بالاستغفار والدعاء لهم أهـ ثم خـتم ﷺ بقوله: «لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة» إنها منة عظيمة فنعم العبادة الصلاة فما قبلها يلحق بها في الأجر أو يقاربها من وضوء وخطوات وما بعد الفـراغ منها كأنه فيها يجري له الأجر ويذر على رأسه البر فلله الحمد والمنة والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ : «مَنْ صَلىَّ البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»

[٢٢٣] أخرجه البخـاري في صحيحه ٣/٢٤١ في مواقيت الصلاة، باب فضل صلا الفجر، ح٥٧٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٥/١٣٥ في الصلاة، باب أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس.

قـوله: «البــردين» البـردان والأبردان الغـداة والعـشي وقـيل ظلاهمـا أهـ نهـاية ١/١١٤.

المعنى

يخبـرنا أبو موسي رضي الله عنه عـن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلـى البردين دخل الجنة» أي من حـافظ على صلاتي الفـجر والعصـر بتمـامهـما في وقتـهمـا كان جـزاؤه الجنة إن شاء الله عـز وجل قال الله تعـالى ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة**

=

= الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[1] فالمحافظة على الصلوات كلها مأمور بها وتدخل صاحبها الجنة إن شاء الله تعالى ولكن زاد النبي ﷺ تأكيد الحث والتنبيه على هاتين الصلاتين حيث تقصير غالب الناس يكون في هذين الصلاتين زائد وواضح متفشي فقبل الفجر نوم الليل وقبل العصر نوم القائلة والاستيقاظ والاستعداد قد يشقل غالبًا على المرء فكان هذا من أسباب زيادة التأكيد على الإهتمام بشأنهما وجعل ثواب من حافظ عليهما الجنة، قال الحافظ شيخ الإسلام في الفتح[2] : قوله: «من صلى البردين» بفتح الموحده وسكون الراء تثنيه برد والمراد صلاة الفجر والعصر، قال الخطابي: سميتا بردين لأنهما تصليا في بردى النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب سورة الحر أهـ قال الحافظ: «من» في الحديث شرطيه وقوله «دخل» جواب الشرط وعدل عن الأصل وهو الفعل المضارع كأن يقول يدخل الجنة إرادة للتأكيد في وقوعه بجعل ما سيقع كالواقع أهـ والله أعلم.

(١) سورة البقرة آية (٢٣٨).

(٢) فتح الباري ٣/٢٤١.

مبحث: من حافظ على الفجر والعصر بوقتيهما يرجى له أعظم نعيم الجنة

٢٢٤ ـ عن جرير قال: كنا عند النبيﷺ فنظر إلى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِه فَإِن اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾ قال إسماعيل: افعلوا: لا تفوتنكم.

---

[٢٢٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٧/٣ في الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ح٥٥٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٤٣/٥ في الصلاة، باب فضل صلاتي العصر والصبح والمحافظة عليهما.

قوله: «لا تضامون» بضم أوله أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ، وقال ابن حجر: وروى بفتح أوله والتشديد من الضم، والمراد نفي الإزدحام أهـ فتح الباري ٢١٧/٣ وقال الكرماني: روى بضم التاء وخفة الميم من الضيم وهو التعب أهـ شرح الكرماني ١٩٨/٤.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[1] فمن الأسباب الموصلة إلى تلك المرتبة السنية أعظم النعيم في دار الخلود هو المواظبة على الصلوات المكتوبات تقربًا وطاعة لرب البريات خاصة صلاة الصبح وصلاة العصر في وقتهما، فلذلك في هذا الحديث الشريف لما نظر رسول اللهﷺ إلى القمر ليلة =

---

(١) سورة القيامة آية (٢٢، ٢٣).

التمام وسط الشهر العربي فأخبر الرسول ﷺ أن المؤمنين سيرون الله تعالى يوم القيامة كما يرون القمر واضحًا ليلة التمام ثم حثهم على المواظبة على صلاة العصر قبل غروب الشمس والفجر قبل طلوعها «فإن استطعتم أن لا تفوتنكم هذه الصلاة وهذه الصلاة فلا تفوتنكم» فقوله «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» قال الإمام النووي[1] : أي ترونه رؤيا محققة لا شك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة فهو تشبيه للرؤية لا المرئي بالمرئي، والرؤية مختصة بالمؤمنين، وأما الكفار فلا يرونه سبحانه وتعالى ثم قال: والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة أن المنافقين لا يرونه كما لا يراه الكفار باتفاق العلماء أهـ وقوله «لا تضامون» قال الكرماني[2] : روى بضم التاء وخفة الميم من الضيم وهو التعب ثم قال: الخطابي: يروى على وجهين أحدهما مفتوحة التاء مشددة الميم وأصله تتضامون حذفت إحدى التاءين أي لا يضام بعضكم بعضًا كما يفعل الناس في طلب الشئ الخفي الذي لا يسهل دركه فيتزاحمون عنده يريد أن كل واحد منكم وادع مكانه لا ينازعه رؤيته أحد؛ والآخر لا يضامون من الضيم أي لا يضيم بعضكم بعضًا في رؤيته أهـ وقوله «فإن استطعتم أن لا تغلبوا» قال الكرماني: يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين أهـ وقال شيخ الإسلام ابن حجر[3] : فيه إشارة إلى قطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة كالنوم والشغل ومقاومه ذلك بالاستعداد له وقوله «فافعلوا» أي عدم الغلبة وهو كناية عما ذكر من الاستعداد أهـ وقوله «قبل طلوع اشمس وقبل غروبها» وفي رواية مسلم[4] زاد «يعني العصر والفجر» قال المهلب: قوله «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة» =

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٤/٥.

(٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٩٨/٤.

(٣) فتح الباري ٢١٧/٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٤/٥ في الصلاة، باب فضل صلاة العصر والصبح والمحافظة عليهما.

أي في الجماعة قال: وخص هذين الوقتين لاجتماع الملائكة فيهما ورفعهم أعمال العباد لئلا يفوتهم هذا الفضل العظيم، وتعقبه ابن حجر قائلا لكن لم يظهر لي وجه تقييد ذلك بكونه في جماعة وإن كان فضل الجماعة معلومًا من أحاديث أخر، بل ظاهر الحديث يتناول من صلاهما ولو منفردًا إذ مقتضاه التحريض على فعلهما أعم من كونه جماعة أولا: قوله «فافعلوا» قال الخطابي: هذا يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين أهـ وقوله: «ثم قرأ» قال ابن حجر: وظاهره أنه النبي ﷺ، لكن لم أر ذلك صريحًا وحمله عليه جماعه من الشراح ووقع عند مسلم «ثم قرأ جرير» أهـ وقوله «افعلوا، لا يفوتنكم» قال الكرماني وهذا الكلام مراد به أن معنى افعلوا، هو لا يفوتنكم من كلام اسماعيل تفسيراً لما هو المقصود من افعلوا، وفي الحديث أن رؤية الله تعالى ممكنه وأنها ستقع في الآخرة للمؤمنين - إن شاء الله تعالى - كما هو مذهب الجماعة أهـ والله أعلم.

مبحث: استقبال الملائكة للمبكرين للجمعات

٢٢٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ **«إِذَا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلائِكَةُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الذَّي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالذي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثم بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»**.

---

[٢٢٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٧٠ في الجمعة، باب الإستماع إلى الخطبة يوم الجمعة ح٩٢٩.

أخرجه مسلم في صحيحه ٦/١٤٥ في الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة.

قوله: «المهجر»: قال ابن الأثير: وفي حديث الجمعة «فالمهجر إليها كالمهدي بدنه» أي المبكر إليها أهـ نهاية ٥/٢٤٦.

قوله: «بدنه» قال النووي: وأما البدنة فقال جمهور أهل اللغة وجماعة من الفقهاء يقع على الواحدة من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها وخصها جماعة بالإبل والمراد هنا الإبل بالإتفاق ولتصريح الأحاديث بذلك أهـ شرح مسلم ٦/١٣٦.

المعني

قال الله عز وجل **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ... الآية﴾**(١) وقال تعالى **﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾**(٢) فهم أحباب المؤمنين، أي: ملائكة الله الكرام يحبون أهل =

---

(١) سورة غافر آية (٧).

(٢) سورة الشوري آية (٥).

= الطاعة فيستغفرون لهم ويدعون الله لهم ويحصون حسناتهم ويصبرون على سيئاتهم فلا يتعجلون تدوينها، ويوم الجمعة العظيم يشاركونهم في هذا العيد فيكتبون ترتيبهم فإذا حضر إمامهم طووا صحفهم وجلسوا لسماع ذكر ربهم.

فيخبرنا نبينا ﷺ أنه إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد بصحف يكتبون فيها الداخل أولا فالذي بعده. قال القسطلاني[1] في قوله: «الأول فالأول» قال في المصابيح، نصب على الحال وجاءت معرفة وهو قليل أهـ. ثم قال: «ومثل المهجر» قال النووي[2] : قال الخليل بن أحمد وغيره من أهل اللغة وغيرهم التهجير: التبكير، ومنه الحديث[3] «ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه» أي التبكير إلى كل صلاة هكذا فسروه أهـ قوله «كمثل الذي يهدي بدنه» أي من ذهب في الساعة الأولى فكأنما تصدق ببدنه قال النووي[4] في البدنه: والمراد هنا الابل سميت بذلك لعظم بدنها أهـ بتصرف يسير وقال ابن حجر[5] : أي تصدق بها متقربًا إلى الله، وقيل المراد أن المبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت الأمم السالفة ثم قال: فكأن المراد بالقربان في رواية الباب الإهداء إلى الكعبة، قال الطيبي: وفي لفظ الإهداء إدماج بمعنى التعظيم للجمعة وأن المبادر إليها كمن ساق الهدي والمراد بالبدنة البعير ذكرًا كان أو أنثى والهاء فيها للوحده لا للتأنيث وكذلك باقي ما ذكر أهـ ثم البقرة كذلك ثم الكبش وفي رواية «كبشًا أقرن»[6] قال النووي[4] : =

(١) إرشاد الساري ١٨٦/٢.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٤٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٦/٣ ح٦١٥ في الآذان

(٤) شرح مسلم ١٣٦/٦، ١٣٧.

(٥) فتح الباري ٢٠/٥.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩/٥ في الجمعة ح٨٨١ في الجمعة باب فضل الجمعة، ومسلم في صحيحه ١٣٦/٦ في الجمعة، باب الجمعة.

وصفه بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة ولأن قرنه ينتفع به أهـ وقوله «دجاجة» بالفتح والكسر والضم قال الحافظ ابن حجر: وعن محمد بن حبيب أنها بالفتح من الحيوان وبالكسر من الناس. ثم استشكل قوله «كالذي يهدى» والهدى يكون من الابل والبقر. قال ابن بطال أنه لما عطفه على ما قبله أعطاه حكمه في اللفظ فيكون من باب الإتباع كقوله «متقلداً سيفًا ورمحًا» وتعقبه ابن المنير في الحاشية بأن شرط الإتباع أن لا يصرح بالفظ في الثاني فلا يسوغ أن يقال متقلداً سيفًا ومتقلداً رمحًا، قال الحافظ: والذي يظهر أنه من باب المشاكلة وإلى ذلك أشار ابن العربي بقوله: هو من تسمية الشئ باسم قرينه ثم رجح ابن حجر أن المراد بالهدى هنا التصدق كما دل عليه لفظ التقرب والله أعلم أهـ.

قال النووي: فيه الحث على التبكير إلى الجمعة وأن مراتب الناس في الفضيلة فيها وفي غيرها بحسب أعمالهم وهو من باب قوله الله تعالى ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1] وفيه أن القربان والصدقة يقع على القليل والكثير وقد جاء في رواية النسائي[2] بعد الكبش بطة ثم دجاجة ثم بيضه وفي رواية بعد الكبش دجاجة ثم عصفور ثم بيضه واسناد الروايتين صحيحان أهـ والله تعالى أعلى وأعلم وهو المستعان.

(١) سورة الحجرات (١٣).

(٢) أخرجهم النسائي في سننه ٩٨/٣، ٩٩ في الجمعة، باب التبكير إلى الجمعة.

مبحث: التأهب للجمعة والتبكير لها من أسباب المغفرة

٢٢٦ ـ عن سلمان الفارسي قال: قال النبي ﷺ: «**لايَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَة، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِه، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِه، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى**».

---

[٢٢٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢٤، في الجمعة باب الدهن للجمعة، ح٨٨٣.

قوله: «ويدهن» المراد به إزالة شعث الشعر به ـ أي بالدهان ـ أهـ فتح ٥/٢٥ بتصرف يسير.

المعنى

يوم الجمعة هو سيد الأيام في الدنيا والآخرة ففي الدنيا قال عنه ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد»[١] وفي الآخرة هو يوم المزيد الذي يرى فيه المؤمن رب العزة عز وجل، لذلك وصانا النبي ﷺ في غير ما موضع من كتابه بالإهتمام به والإستعداد له بالغسل والدهن والطيب وأحاسن اللباس والتبكير ونحوهم وجعل ذلك من أسباب المغفرة.

وهنا يخبرنا نبينا ﷺ أنه: «لايغتسل رجل يوم الجمعة» قال القسطلاني[٢] غسلاً شرعيًا أهـ قوله: «ويتطهر ما استطاع من طهر» قال الحافظ ابن حجر[٣]: والمراد به المبالغة في التنظيف، ويؤخذ من عطفه على الغسل أن إفاضه الماء تكفي في حصول =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٥، ٦، ٧ في الجمعة باب فرض الجمعة، ح٨٧٦.

(٢) ارشاد الساري ٢/١٦١.

(٣) فتح الباري ٥/٢٥.

= الغسل، أو المراد به التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة، أو المراد بالغسل غسل الجسد وبالتطهير غسل الرأس، قوله «ويدهن» المراد به إزالة شعث الشعر به وفيه إشارة إلى التزين يوم الجمعة أهـ وهذا توجيه عظيم من الشارع للتأكيد على استحباب النظافة والرائحة الطيبة عند اجتماع الناس في بيوت الله تعالى وهذا يحبه الله تعالى وملائكته ففي الحديث[1] «إن الله جميل يحب الجمال» وفي الحديث «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو ءادم»[2] وقال النووي[3] : يندب لكل من أراد المسجد أو مجالسة الناس أن يتجنب الريح الكريهة في بدنه وثوبه ثم قال: الغسل يستحب لكل مريد الجمعة ومتأكد في حق الذكور أكثر من النساء لأنه في حقهن قريب من الطيب ومتأكد في حق البالغين أكثر من الصبيان. أهـ وقوله « أو يمس من طيب بيته» قال الحافظ ابن حجر: وإضافته إلى البيت تؤذن بأن السنه أن يتخذ المرء لنفسه طيبًا ويجعل استعماله له عادة فيدخر في البيت ثم ذكر عن عبد الله بن عمرو عند أبي داود «أو يمس من طيب امرأته» قال: فعلى هذا المعنى إن لم يتخذ لنفسه طيبًا فليستعمل من طيب امرأته أهـ وفي رواية لأبي داود[4] عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدًا فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ وقوله «ثم يصلي ما كتب له» قال القسطلاني[5]: وفيه مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعه أهـ وقوله: «ثم ينصت إذا تكلم الإمام» وفي رواية عند مسلم[6] زاد فيها «حتى يفرغ من خطبته ثم يصلي معه غفر له.. الحديث».

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١١٨/٢ في الإيمان ح٩١ باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٧٠/٥ في المساجد ح٥٦٤ باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٣) شرح مسلم ١٣٤/٦.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في الكتاب الجمعة ٤٦٢/٣، ٤٦٣ ح١١٠٠.

(٥) إرشاد الساري ١٦٢/٢.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٦/٦ في الجمعة باب فضل من استمع وأنصت للخطابة.

قال القسطلاني[1]: بضم أوله من أنصت وفتحه من نصت أي يسكت أهـ وقوله: «غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» وفي رواية لمسلم زاد «غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام»[2] وفي رواية أيضًا لمسلم «وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصا فقد لغا» وزاد ابن ماجه «مالم تغش الكبائر»[3] قال القسطلاني[4] : أي فإنها إذا غشيت لا تكفر وليس المراد تكفير الصغائر مشروط بإجتناب الكبائر إذ اجتناب الكبائر بمجرده يكفر الصغائر كما نطق به القرآن العزيز في قوله تعالى ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم... الآية**﴾[5] أي نمح عنكم صغائركم ولا يلزم من ذلك أن لا يكفر الصغائر إلا إجتناب الكبائر فإذا لم يكن له صغائر تكفر رجى له أن تكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر وإن لا أعطي من الثواب بمقدار ذلك الكبائر وإن لا أعطي من الثواب بمقدار ذلك أهـ وقال الحافظ ابن حجر[5]: وتبين بمجموع ما ذكرنا أن تكفير الذنوب من الجمعة إلى الجمعة مشروط بوجود جميع ما تقدم من غسل وتنظف وتطيب أو دهن ولبس أحسن الثياب والمشي بالسكينة وترك التخطي والتفرق بين الإثنين وترك الأذى، والتنفل والإنصات، وترك اللغو ووقع في حديث عبد الله بن عمرو ـ أي عند أبي داود[6] ـ فمن تخطى أو لغا كانت له ظهرًا» أهـ والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) إرشاد الساري ١٦٢/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٦/٦ في الجمعة باب فضل من استمع وأنصت للخطبه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ٣٤٥/١ في الإقامة ح١٨٦.

(٤) فتح الباري ٢٦/٥.

(٥) سورة النساء ٣١.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجمعة ٤٦٢/٣، ٤٦٣ ح١١٠٠.

مبحث : في عظيم ثواب المغتسل المبكر المنصت للجمعه

٢٢٧ ـ عن أوس بن أوس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «مَنْ أغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَة، وَغَسَّلَ، وَبَكَّر وابتكر، وَدَنَا، واسْتَمَعَ، وَأَنْصَتَ: كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخطُوهُا أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا».

---

[٢٢٧] أخرجه الترمذي في سننه ٣/٣ في الجمعة، فضل الغسل يوم الجمعة، ح٤٩٤ وقال حسن غريب.

وأخرجه أبو داود في سننه ١١/٢ في الطهارة باب في الغسل للجمعه، ح٣٤١، ٣٤٢ قوله «من بكر وابتكر» بكر أتى الصلاة في أول وقتها وكل من أسرع إلى شئ فقد بكر إليه، وأما ابتكر فمعناه أدرك أول الخطبه أهـ نهاية ١٤٨/١.

المعنى

يخبرنا أوس بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اغتسل يوم الجمعه وغسل» وقال الترمذي: قال وكيع اغتسل هو وغسل امرأته، ويروى عن ابن المبارك أنه قال في هذا الحديث: من غسل واغتسل يعني غسل رأسه واغتسل أهـ وقال صاحب التحفة[1] : روى بالتشديد والتخفيف قيل أراد به غسل رأسه وبقوله اغتسل غسل سائر بدنه وقيل جامع زوجته فأوجب عليها الغسل فكأنه غسلها واغتسل وقيل كرر ذلك للتأكيد ويرجح التفسير الأول في رواية أبي داود[2] في هذا الحديث بلفظ «من غسل رأسه واغتسل وبكر» بالتشديد على المشهور أي راح في أول الوقت «وابتكر» أي أدرك أول الخطبة ورجحه العراقي وقيل كرره للتأكيد وجزم به ابن العربي أهـ وقوله «ودنا واستمع وأنصت» أي بعد الغسل والاغتسال =

---

(١) تحفة الأحوذي ٣/٣، ٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ١١/٢ في الطهارة باب الغسل للجمعة ح ٣٤٢.

والتبكير والابتكار وهذا الاستعداد العظيم لليوم الذي اختلف فيه من قبلنا فهدانا الله له وجعله لنا عيداً وسن لنا شدة الاهتمام به ظاهراً ثم باطنًا لصلاح القلوب وتعميرها بالإيمان بل وحشوها به حثنا على الدنو لسماع الذكر والاستماع والانصات لدخول الرحمة إلى القلب حتى يزداد إيمانًا على الإيمان الذي جاء به، والإستعداد الظاهري هذا من الغسل والطيب والسؤال ونحوهم يمهد للنفس ويؤهل القلب لتقبل الذكر بانشراح واضح غير خفي لاسيما مع التبكير والإقبال والدنو من الإمام وغير ذلك من كثرة الذكر والصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم المبارك، قال صاحب التحفة: في قوله ﷺ: «ودنا» زاد أبو داود وغيره «من الإمام» «واستمع» ـ قلت: زاد أبو داود «ولم يلغ» قال في التحفة «واستمع» أي الخطبة «وأنصت» تأكيداً أهـ وقوله «كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها» قال في التحفة: «بكل خطوة» بفتح الخاء وتضم بعد مابين القدمين «صيامها وقيامها» بدل سنة أهـ وهذا الثواب العظيم النادر في مثل هذا العمل السهل القليل يدل على عظمة هذا اليوم المبارك ومرتبته العاليه عند الله تعالى، قال صاحب التحفة[1]: قال بعض الأئمة لم نسمع في الشريعة حديثا صحيحا مشتملاً على مثل هذا الثواب أهـ والله أعلم.

---

(١) تحفة الأحوذي ٣/٥.

مبحث : من صلى من الرواتب النوافل ثنتى عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة

٢٢٨ ـ عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ، أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ صَلَاةِ الغَدَاةِ**».

---

[٢٢٨] أخرجه الترمذي في سننه ٢/٤٦٧ في الصلاة، باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة من السنة ماله من الفضل ح٤١٣ وقال حديث حسن صحيح.

المعنى

تخبرنا أم حبيبه رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى في يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة بني له بيت في الجنة» أي من تنفل من السنن الرواتب للفرائض غير الفريضة في كل يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة بني له بكل مجموعة بيت له يسكنه إن شاء الله تعالى في الجنة بعد لقاء الله عز وجل وهذا من عظيم فضل الله تعالى وسعة رحمته وكرمه وعظيم جوده سبحانه، حيث يثيب على العمل القليل الأجر العظيم الكثير وبيوت الجنة لم تبن بالطين ولا الحمأ إنما لبنة من ذهب ولبنة من فضه ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران كما سيأتي في صفة الجنة إن شاء الله تعالى قال تعالى ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٧﴾ ﴾(١)، وهذه الركعات هي أربع قبل صلاة الظهر واثنتان بعدها واثنتان بعد صلاة المغرب واثنتان بعد صلاة العشاء واثنتان قبل صلاة الفجر التي تسمى الغداة وتسمى هذه الركعات السنن المؤكدة أي التي واظب عليها النبي ﷺ وأكد الترغيب فيها ووعد عليها عظيم الأجر من الله تعالى والله أعلم.

---

(١) سورة السجدة آية (١٧).

مبحث: تحريض النبي ﷺ على قيام الليل

٢٢٩ ـ عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنتَ النَّبِيِّ ﷺ ليلة فقال: «أَلاَ تُصَلِّيَانِ»؟ فقلت: يا رسول الله أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله، فإذا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فانصرفَ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾(١).

---

[٢٢٩] أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٦ في التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، ح١١٢٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦٤/٦ في الصلاة، باب الحث على صلاة الوقت وإن قلت.

قوله: «طرقة» أصل الطرق: الدق وسمى الآتي بالليل طارقًا لحاجته إلى دق الباب أهـ نهاية ١٢١/٣.

المعنى

حث النبي ﷺ أصحابه على أن ينهلوا من نسيم الأنس الذي ربى الله تعالى فيه نبيه ﷺ ليشتد العود وتثبت الأقدام حتى يتلقى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾(٢) فيقول علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً قال الحافظ ابن حجر(٣) قوله: «طرقه وفاطمة» بالنصب ـ أي فاطمة ـ عطفًا على الضمير ـ المفعول لطرق ـ والطروق الإتيان بالليل، وعلى هذا فقوله ليلة للتأكيد، وحكى ابن فارس أن معنى طرق أتى فعلى هذا يكون قوله «ليلة» لبيان وقت المجئ ويحتمل أن يكون المراد بقوله «ليلة» أي مرة واحدة» أهـ قلت وإذا نظرنا إلى أصل الطرق وهو الدق فتكون =

---

(١) سورة الكهف آية (٥٤).

(٢) سورة المزمل آية (٥).

(٣) فتح الباري ١٢/٦.

= «ليلة» لبيان وقت الطرق والله أعلم. وقال النووي[1] : قوله «طرقه وفاطمة» أي أتاهما ليلاً أهـ وقوله: «فقال: ألا تصليان» قال ابن بطال: فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك، وفي رواية حكيم بن حكيم عند النسائي[2] عن علي أنه قال: دخل علي رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل فأيقظنا للصلاة ثم رجع إلى بيته فصلى هويًا من الليل فلم يسمع لنا حسًا فرجع إلينا فأيقظنا الحديث، قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ عن عظيم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا لكنه اختار لهما احراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى ﴿وأمر أهلك بالصلاة... **الآية**﴾[3] قوله «أنفسنا بيد الله» قال ابن حجر وفيه اثبات المشيئة لله تعالى وأن العبد لا يفعل إلا بإرادة الله أهـ قوله: «فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا» قال القسطلاني[4] بفتح المثلثة فيهما أي: إذا شاء الله أن يوقظنا أيقظنا أهـ قوله: «فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئًا» أي فانصرف ﷺ راجعًا إلى بيته حين سمع تلك الإجابة التي لم تصدر من علي رضي الله عنه في موضعها، فما كانت لتقال، لذلك قال النووي: المختار في معناه: أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته على الإعتذار بهذا ولهذا ضرب فخذه أهـ وقال ابن حجر قوله: ولم يرجع بفتح أوله أي لم يجبني وفيه أن السكوت يكون جوابًا والإعراض عن القول الذي لا يطابق المراد وإن كان حقًا في نفسه أهـ قوله: «يضرب فخذه» قال الحافظ ابن حجر: فيه جواز ضرب الفخذ عند التأسف قوله: ﴿**وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً**﴾ قال ابن التين: كره احتجاجه بالآية المذكورة، وأراد منه أن ينسب التقصير إلى نفسه، وفيه جواز الإنتزاع من القرآن، وترجيح قول =

(١) شرح مسلم ٦/٦٤.

(٢) أخرجه النسائي في سننه ٣/٢٠٦ في قيام الليل باب الترغيب في قيام الليل من حديث الحسين بن علي.

(٣) سورة طه آية ١٣٢.

(٤) الساري ٢/٣١٢.

مبحث: فضل قيام الليل

٢٣٠ ـ عن سالم عن أبيه قال: كان الرجل في حياة النبيﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول اللهﷺ، فتمنيتُ أن أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصها على رسول اللهﷺ، وكنتُ غُلامًا شابًا، وكنتُ أنَامُ فِي المسجدِ على عهد النبيﷺ فرأيتُ في النوم كأنَّ ملكينِ أخذَانِي فذهبَا بي إلى النَّارِ فإذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ على رسول اللهﷺ فقال: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» فكانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ قَلِيلاً.

= من قال: إن اللام في قوله ﴿وكان الإنسان﴾ للعموم لا لخصوص الكفار، وفيه منقبة لعلي حيث لم يكتم ما فيه عليه أدنى غضاضة، فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه علي كتمه أهـ والله أعلم.

مبحث: فضل قيام الليل

[٢٣٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٦ في التهجد، باب فضل قيام الليل ح١١٢١، ١١٢٢ قوله: «مطويه» أي مبنيه، والبئر قبل أن تبني تسمى قليبًا أهـ فتح ٦/٧.

وقوله: «قرنان» قرنا البئر البنيان على جانبيها أهـ نهاية ٢/٥٢.

قوله: «لم ترع» الروع: الفزع أهـ نهاية ٢/٢٧٦.

المعنى

في الحديث الشريف «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[1] فيه يخلو =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٨/٧٩ في الصيام، باب فضل صوم المحرم، ح١١٦٣.

= المتهجدون بربهم عز وجل فتصفوا قلوبهم وتمتلئ بنور الوحي وتخف كواهلهم من أثار المعاصي فيصبحون وقد تاقت نفوسهم إلى جنة ربهم بعد أن تنفسوا نسيم الأنس في الأسحار قال القائل:

قلت لليل هل في جوفك سرٌّ　　عامر بالحديث والأسرار

قال: لم ألق في حياتي حديثًا　　كحديث الأحباب في الأسحار

وهنا يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا رأى الرجل رؤيا قصها على رسول الله ﷺ قال الحافظ ابن حجر[1] في الفتح: قوله «كان الرجل» اللام للجنس أولا مفهوم له وإنما ذكر للغالب أهـ فهنيئًا للصحب الكرام إنما كان قصهم على رسول الله ﷺ وكان التأويل من اللسان الشريف الذي لا ينطق عن الهوى قوله: «في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا» قال القسطلاني[2] : رؤيا: كفعلى بالضم من غير تنوين أي في النوم أهـ قوله: «فتمنيت أن أرى» وزاد البخاري[3] في التعبير من وجه آخر «فقلت في نفسي لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء» قال الحافظ بن حجر: ويؤخذ منه أن الرؤيا الصالحة تدل على خير رائيها قوله: «فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ» قال القسطلاني أي أخبره بها أهـ قوله «كأن ملكين» قال الحافظ: لم أقف على تسميتها أهـ.

وقوله: «وكنت غلامًا شابًا، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هو مطوية كطي البئر» هذا يدل على جواز النوم في المسجد فقد كان عبدالله بن عمر ينام فيه ففيه إشارة إلى =

(١) فتح الباري ٦/٧.

(٢) إرشاد الساري ٢/٣٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٣/٢٦ ح٧٠٢٨ في التعبير.

= الحديث» ورجل قلبه معلق في المساجد»(١) فلا يطيق طول المكث فيه وكثره التردد عليه إلا من كان قلبه معلق فيه وفي رواية للبخاري(٢) «فنمت فرأيت ملكين أتياني فانطلقا بي فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تراع، إنك رجل صالح...» وقوله: «فإذا هي مطوية» قال الحافظ أي مبنيه والبئر قبل أن تبني تسمى قليبًا أهـ قوله: «وإذا لها قرنان قال القسطلاني(٣): بفتح القاف أي جانبان أهـ وقال الحافظ ابن حجر: ضمن إذا المفاجأة معنى الوجدان، أي فإذا بي وجدت لها قرنين، والمراد بالقرنين هنا خشبتان أو بناءان تمد عليهما الخشبة العارضة التي تعلق فيها الحديدة التي فيها البكرة، فإن كان من بناء فهما القرنان، وإن كانا من خشب فهما الزرنوقان بزاي منقوطة قبل المهملة ثم نون وقاف، وقد يطلق على الخشبة أيضًا قرنان. أهـ قوله: «وإذا فيها أناس قد عرفتهم» قال ابن حجر: لم أقف على تسمية أحد منهم(٤)أهـ قوله: «فجعلت أقول أعوذ بالله من النار» وذلك أهم ما تعوذ منه المتعوذون فكل الشر والمعاصي النار مصيره وكل الخير في البعد عنها ودخول الجنة.قوله «فلقيه ملك آخر، فقال لي: لم ترع» قال ابن حجر بضم أوله وفتح الراء بعدها مهملة ساكنة أي: لم تخف والمعنى لا خوف عليك بعد هذا أهـ قوله: «فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول اللهﷺ فقال: نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل. فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً» وفي رواية أن الملك قال له ذلك أيضًا ففيها «فقال لي: لن تراع إنك رجل صالح.. الحديث» وفي رواية قال رسول اللهﷺ: «إن عبدالله رجل صالح»(٥) قال القسطلاني: لو: للتمني لا للشرط ثم قال: فإن قلت من أين أخذ =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧/٩٧/٤ في المساجد ح٦٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٥/٢٦ في التعبير، باب الأخذ على اليمين في النوم، ح٧٠٣٠.

(٣) إرشاد الساري ٣١٠/٢.

(٤) فتح الباري ٨/٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٤/٢٦ في التعبير، باب الأمن وذهاب الروع في المنام ح٧٠٢٩.

(٦) تخريجه وشرحه في باب العبادات من هذه الرسالة.

مبحث : الذاكر في جوف الليل الآخر أقرب الناس إلى الله عز وجل

٢٣١ ـ عن عمرو بن عبسه أنه سمع النبيﷺ يقول: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الَعبْد فِي جَوْف اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَة فَكُنْ».

= النبي عليه الصلاة والسلام التفسير بقيام الليل من هذه الرؤيا؟ أجاب المهلب بأنه إنما فسر عليه الصلاة والسلام هذه الرؤيا بقيام الليل لأنه لم ير شيئًا يغفل عنه من الفرائض فيذكر النار وعلم مبيته بالمسجد فعبر عن ذلك لأنه منبه على قيام الليل فيه، وفي الحديث أن قيام الليل ينجي من النار وفيه كراهة كثرة النوم بالليل أهـ وقال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها وقيل له لا روع عليك، وذلك لصلاحه غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك قال ابن حجر: وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب وفيه تمني الخير والعلم أهـ والله أعلم.

مبحث : الذاكر في جوف الليل الآخر أقرب الناس إلى الله عز وجل

[٢٣١] أخرجه الترمذي في سننه ٣٩/١٠ في الدعوات، ح ٣٦٥٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وأخرجه الحاكم وقال صحيح.

المعنى

يخبرنا عمرو بن عبسه رضي الله عنه عن نبيناﷺ أنه قال: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر» كما قالﷺ: «ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى =

= السماء الدنيا لنصف الليل الآخر أو لثلث الليل الآخر فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر أو ينصرف القارئ من صلاة الصبح»[1] فهو نزول يليق بجلال الله عز وجل وقرب يليق بجلاله سبحانه وهذا يدل على عظيم فضل الذكر في هذا الوقت وقت الأسرار والأسحار وقت نوم النائمين وتهجد المتهجدين وخلو الأحباب بأحبابهم قال القائل:

قلت لليل هل في جوفك سر ... عامر بالحديث والأسرار

قال: لم ألق في حياتي حديثًا ... كحديث الأحباب في الأسحار

وقال بعض الصالحين: أهل الليل في ليلهم أسعد من أهل اللهو في لهوهم، قال الله تعالى ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾[2]، قال صاحب التحفة: قوله «في جوف الليل» خبر أقرب أي أقربيته تعالى من عباده كائنة في الليل[3] وقال ميرك: فإن قلت ما الفرق بين هذا القول وقوله أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؟ قلت: المراد منها بيان وقت كون الرب أقرب من العبد وهو في جوف الليل، والمراد هناك بيان أقربية أحوال العبد من الرب وهو حال السجود فتأمل أهـ وهو كلام طيب. قوله ﷺ: «فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» لأنها ساعة الوصول في الطريق السهل الميسور بعيدًا عن المشقة والثبور فهي الدلجة التي قال فيها ﷺ فيما أخرجه الترمذي «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة»[4].

=

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٥٠٤ من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) سورة الذاريات آية (١٧)، (١٨).

(٣) تحفة الأحوذي ١٠/٣٩.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٧/١٤٦، ١٤٧ في القيامة ح٢٥٦٧ وقال حسن غريب.

مبحث: دعوة النبي ﷺ للمتهجد

٢٣٢ ـ عن عائشة قالت: تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فقال: «يَا عَائِشَةُ: أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا»؟ قُلتُ: نَعَمْ، قال: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادا».

= قال ابن رجب[1]: سير الدلجه آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخره، وقال أيضًا: وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار أهـ فمن قدر على أن لايفوته نصيبه من ذكر الله تعالى في هذا الوقت الطيب المبارك فليفعل فهو وقت الأنبياء وأتباعهم، قال طاوس ما كنت أظن أن أحدًا ينام في السحر أهـ قال صاحب التحفة: في قوله «فإن استطعت» أي قدرت ووفقت أن تكون ممن يذكر الله في ضمن صلاة أو غيرها «في تلك الساعة» إشارة إلى لطفها «فكن» أي اجتهد أن تكون من جملتهم وهذا أبلغ مما لو قيل إن استطعت أن تكون ذاكرًا فكن لأن الأولى فيها صفة عموم شامل للأنبياء والأولياء فيكون داخلاً فيهم أهـ والله أعلم.

مبحث: دعوة النبي ﷺ للمتهجد

[٢٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٨٣ في الشهادات، باب شهادة الأعمى وأمره... الخ، ح٢٦٥٥.

قوله: «تهجد» أي المصلي بالليل يقال: تهجدت إذا سهرت وإذا نمت أهـ نهاية ٥/٢٤٤.

المعنى

قال الله تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا =

---

(١) كتاب سير الدلجه لأبن رجب ص٤٤.

= محموداً ﴾(١) فمن قام في ظلمة الليل بين يدي مولاه دون من غط في نومه إلى الصبح أقامه الله تعالى في أعلى المقامات يوم توزع الجزاءات الطيبات التي يتحفهم بها رب البريات لذلك دعا نبينا عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلامات لمتهجد في الظلمات تقول عائشة: تهجد النبي ﷺ في بيتي أي قام من الليل بعد نوم حيث كان النبي ﷺ ينام بعد العشاء غالبًا ثم يقوم نصف الليل إذا سمع الصارخ أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم ينام في السحر قبيل الفجر وكان يقول فيما أخرجه البخاري[٢] عن نبينا ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام... كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» قال ابن الأثير: المتهجد: أي المصلي بالليل يقال، تهجدت إذا سهرت وإذا نمت أهـ بتصرف وعباد المذكور في الحديث: هو عباد بن بشر الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه كان يتهجد في مسجد النبي ﷺ فسمعه النبي ﷺ والنبي يتهجد أيضًا في حجرة عائشة رضي الله عنها فقال يا عائشة: أصوت عباد هذا؟ قالت نعم فدعا له النبي ﷺ رضا بما يصنع قائلاً: «اللهم ارحم عبادًا» ودعوة النبي ﷺ موجبة فقد نال الرحمة بما فعله من قيامه بين يدي مولاه في ظلام الليل تاركًا لذته وشهوته وراحته لله تعالى. والله أعلم.

(١) سورة الإسراء آية (٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩/٦، ٢٠ في التهجد، ح١١٣١.

مبحث: من صلى المكتوبة وصام رمضان وأحل الحلال وحرم الحرام دخل الجنة

٢٣٣ ـ عن جابر قال: أتـى النبي ﷺ النعمانَ بنَ قَوْقَل فـقال: يا رسول الله: أرأَيْتَ إذَا صليتُ المَكْتُـوبَةَ، وحرمتُ الحَـرَامَ وأَحْلَلْتُ الحلالَ أأَدْخُلُ الجَنَّةَ فـقال النَّبيُّ ﷺ: «**نعم**».

---

[٢٣٣] أخـرجـه مـسلم في صـحـيـحـه ١/١٧٥ في الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل الجنة.

المعنى

يخبرنا جـابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النعـمان بن قوفل رضي الله عنه أنه قـال للنبي ﷺ: يا رسـول الله: أرأيت إذا صليت المكتـوبة وحـرمت الحـرام وأحللت الحـلال أأدخل الجنة» وفي رواية أخرى في الـباب زاد «وصـمت رمضـان» أي هل يا رسـول الله إذا حـافظت على الصلوات المفروضـة الخـمـسه بشـروطهـا وأركـانهـا وواجبـاتها وصمت رمضـان بمقتضيـات الصيام واعتـقدت الحرام حرامًـا فلم أقربه أو أفعله واعتقـدت الحلال حلالاً ففعلت منه ما قدرت عليـه واكتفيت بذلك وفي رواية في البـاب «ولم أزد على ذلك شيـئـا» أي من النوافل والمسـتـحبـات والقـربات التي ليست بواجبه هل ذلك يكرمني به ربي عز وجل ويـتقبله مني فيدخلني به تلك الجنة التي سـمعنا عنهـا التي أدنى المؤمنين فـيها مـنزلة له مثل ملك من ملوك الدنـيا وعـشرة أمثاله وأنا يكفيني ذلك وهل هناك نعيم فوق ذلك يريحنا من شقاء الدنيا وتعبها ـ فهل ذلك يا رسـول الله يبلغ الرحـال مكان المقيـل في جنات النعـيم عند رب العـالمين قال ﷺ «نعم» أي إن صـدقت وأديت المكتوبة تامـة والصيام كـاملاً واجـتنبت الحرام كله واعـتـقدت الحـلال كله تدخل بذلك إن شـاء الله تعـالى الجنة التي قـال الله عـز وجـل عنها وعن أصحابها ﴿**فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا** =

= واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾[1] قال النووي[2]: أما قوفل فبقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنه آخره لام، وأما قوله «حرمت الحرام» فقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى : الظاهر: أنه أراد به أمرين: أن يعتقده حراماً وأن لايفعله بخلاف تحليل الحلال فإنه يكفي فيه مجرد إعتقاده حلالاً أهـ وقال الدكتور موسى[3]: النعمان بن قوقل: شهد بدراً واستشهد يوم أحد قوله «أرأيت» أي أخبرني وقوله «أحللت الحلال» في القاموس: أحله الله وحلله إحلالاً وتحللاً والحلال ضد الحرام: مستعار من حل العقدة، وهو ما انتفى عنه حكم التحريم فيشمل ما يكره وما لا يكره وقيل: ما لايعاقب عليه قال: قال الأبى والستوني: قوله «ولم أزد» يحتمل أن يكون اكتفى منه بذلك لقرب عهده بالاسلام حتى يأنس، ويحرص على الخير، وتسهل عليه الفرائض، ويحتمل أنه قال ذلك لأنه لم يتفرغ للنوافل لشغله بالجهاد أو غيره من أعمال البر أهـ قال: والحديث بإعتبار مافيه من تحليل الحلال وتحريم الحرام يعد جامعًا لكل وظائف الإيمان لأنه كناية عن الوقوف عند حدود الشرع القويم أهـ والله أعلم.

(١) سورة الحاقة من آية (٢١) إلى آية (٢٤).

(٢) شرح مسلم ١/١٧٥.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ١/٧٤: ٧٦.

مبحث : في نفحات رمضان

٢٣٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ».

---

[٢٣٤] أخرجه البخاري ٢٤٨/٨ في الصيام باب، هل يقال رمضان أو شهر رمضان ح١٨٩٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨٧/٧ في الصيام، باب فضل رمضان.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٦٨/١٣ في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ح٣٢٧٧.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان... الآية ﴾[1] إنه شهر نزول القرآن الكريم إلى السماء الدنيا إنه شهر النفحات، شهر البركات والخيرات، والعبادات، والصدقات، والتلاوات، والكلمات الطيبات، الزائدات عن الأحوال المعتادات.

لذلك روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا دخل شهر رمضان» وفي رواية للبخاري «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين» وفي رواية مسلم «إذا كان رمضان» قال النووي[2] : فيه دليل للمذهب الصحيح المختار الذي ذهب إليه البخاري والمحققون أنه يجوز أن يقال رمضان من غير ذكر الشهر بلا كراهة. أهـ قوله: «فتحت أبواب السماء» وفي =

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٢) شرح مسلم ١٨٧/٧.

= رواية مسلم: «فتحت أبواب الرحمة» وعند البخاري «فتحت أبواب الجنة» وعند ابن خزيمة(١) : قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين مردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار» والجمع بين الثلاث روايات ممكن ففتح أبوب السماء يدل على أن الجنة في السماء وأنها تفتح معها وأما أبواب الرحمة فمترتبه على فتح أبواب الجنة والله أعلم. قال الزين بن المنير(٢) : ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وأما الرواية التي فيها أبواب الرحمة وأبواب السماء فمن تصرف الرواة والأصل أبواب الجنة بدليل ما يقابله وهو غلق أبواب النار واستدل به على أن الجنة في السماء لإقامة هذا مقام هذه في الرواية أهـ قوله «وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين» قال القاضي عياض(٣) : يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمتة ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم أهـ قال الحافظ ابن حجر: وقال القرطبي بعد أن رجح حمله على ظاهره فإن قيل كيف ترى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك فالجواب أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه، أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات أو المقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس فإن ذلك فيه أقل من غيره إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصيه لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين كالفنوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية أهـ وقال الطيبي فائدة فتح أبواب السماء توفيق =

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٨٨/٣في الصيام ح١٨٨٣، باب ذكر البيان أن النبي ﷺ إنما أراد.. إلخ.

(٢) فتح الباري ٢٤٩/٨.

(٣) شرح مسلم ١٨/٧.

مبحث: قول النبي ﷺ:
«لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»

٢٣٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسـول الله ﷺ قال: «**الصيامُ جُنَّةٌ فلا يَرْفُثْ ولا يَجهَلْ وإن امرؤٌ قَاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ فليقل: إني صَائمٌ مرتين، والذي نَفْسي بِيَده لَخُلُوفُ فَم الصَّائمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله تَعالىَ من ريح المِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلي، الصِّيَامُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**».

= الملائكة على استحماد فعل الصائمين وأنه من الله بمنزله عظيمة. وفيه إذا علم المكلف ذلك بإخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحيه أهـ والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ

«لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»

[٢٣٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٦/٨ في الصوم، ح١٨٩٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٩/٨، ٣٠ في الصيام، باب فضل الصيام.

قوله: «جنة» بضم الجيم وفتح النون الثقيلة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات والجُنَّةُ: الوقاية أهـ نهاية ٣٠٨/١.

قوله: «فلا يرفث» قال الأزهري: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة أهـ نهاية ٢٤١/٢.

قوله: «خلوف» تغير ريح الفم أهـ نهاية ٦٧/٢.

المعنى

هذا الخلوف الذي يتقذر صاحبه منه ولا يطيق رائحته الناس، لكنه لما كان متسببًا عن تحمل طاقة لها مشقة ابتغاء وجه الله تعالى وابتغاء رضوانه جعله الله سبحانه وتعالى عنده أطيب من ريح المسك فيروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه =

= عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصيام جنة» قال ابن حجر(١) : والجنة بضم الجيم الوقاية والستر تفسرها رواية أحمد «جنة وحصن حصين من النار»(٢) قوله: «فلا يرفث ولا يجهل» قال القرطبي جنة أي سترة يعني بحسب مشروعيته فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه وإليه الإشارة بقوله «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث...»(٣) ويصح أنه يراد أنه سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس وإليه الإشارة بقوله: «يدع شهوته» ويصح أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل من ثواب وتضعيف الحسنات أهـ قال الحافظ: ويرفث بالضم والكسر والمراد بالرفث الكلام الفاحش وهو يطلق على الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقًا ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها أهـ قوله «ولا يجهل» قال الحافظ: أي لا يفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك أهـ قال القرطبي: لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم أهـ قوله: «وإن امرؤ قاتله أو شاتمه» قال الحافظ: المراد بالمفاعلة التهيؤ لها أي أن تهيأ أحد لمقاتلته أو مشاتمته فليقل إني صائم فإنه إن قال ذلك أمكن أن يكف عنه فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف كالصائل، هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة، فإن كان المراد بقوله قاتله شاتمه لأن القتل يطلق على اللعن واللعن من جملة السب فالمراد من الحديث أنه لا يقابله بمثل عمله بل يقتصر على قوله «إني صائم» أهـ قوله: «فليقل إني صائم مرتين» قال الحافظ: هل يخاطب بها الذي كلمه أو يقولها في نفسه؟ قال النووي: والقول باللسان أقوى ولو جمعها لكان حسنًا أهـ قوله «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك» وعند مسلم(٤) «لخلفة فم الصائم...» قوله =

---

(١) فتح الباري ٨/٢٣٦: ١٤٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٤٠٢ عن أبي يونس عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٨/٣١ في الصيام باب فضل الصيام.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٨/٢٩ في الصيام باب فضل الصيام.

= «والذي نفسي بيده» قال الحافظ أقسم على ذلك تأكيداً قوله «لخلوف» بضم المعجمة واللام وسكون الواو بعدها فاء قال واتفقوا على أن المراد به تغير رائحة الصائم بسبب الصيام أهـ قوله: «فم الصائم» قال القسطلاني[1] أي تغير رائحة فم الصائم لخلاء معدته من الطعام أهـ قوله: «أطيب عند الله تعالى من ريح المسك» قال الحافظ: المعنى أطيب عند الله تعالى من ريح المسك عندكم وقيل المعنى: إن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ماهو عندكم، وقال الداودي وجماعة: المعنى أن الخلوف أكثر ثوابًا من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر ورجح النووي هذا الأخير وحاصله حمل معنى الطيب على القبول والرضا أهـ وقد ذكر أقوالاً اخترت هؤلاء منها فهم الأرجح عندي وهم أقرب إلى النص فلا داعي للبعد عنه ما دام يحتمل. قوله: «يترك طعامه وشرابه من أجلي» فيه معنى الاخلاص واشتراطه للحصول على الوعد المذكور بالخير. قال الحافظ: قوله «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» التنبيه على الجهة التي بها يستحق الصائم الفضل المذكور لكن المدار في هذه الأشياء على الداعي القوي الذي يدور معه الفعل وجوداً وعدمًا، ولاشك أن من لم يعرض في خاطره شهوة شئ من الأشياء طول نهاره إلى أن أفطر ليس هو في الفضل كمن عرض له ذلك فجاهد نفسه في تركه، والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص أهـ قوله: «الصيام لي وأنا أجزي به» قال الحافظ: وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى «الصيام لي وأنا أجزي به» مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها، على أقوال: فذكرها واخترت منها قوله: إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله إنما هو شئ في القلب، وقول القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لايطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافة الله إلى نفسه ولهذا قال في الحديث يدع شهوته من أجلي، وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب =

(١) إرشاد الساري ٣/٣٦.

مبحث : من أحسن الصيام فاز بالدخول من الريان

٢٣٦ - عن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة بابًا يقالُ له الرَّيانُ يدخلُ منه الصائمونَ يومَ القيامة، لا يدْخُلُ منه أحدٌ غيرُهُم، يقالُ: أين الصَّائمُونَ؟ فيقومُونَ لا يدْخُلُ منْهُ أحَدٌ غيرُهُم، فإذا دَخَلوا أُغْلِقَ فَلَمْ يدْخُلْ منْهُ أحَدٌ**».

بخلاف الصوم وقول رابع: قال القرطبي: معناه أن الاعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله. إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير أهـ يؤيده رواية مالك في الموطأ[1] : «فالصيام لي وأنا أجزي به كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به».

وقوله خامس: قال: إن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام ويستدل بذلك بما رواه أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل «كل العمل كفارة إلا الصوم، والصوم لي وأنا أجزي به»[2] أهـ والله أعلم.

مبحث : من أحسن الصيام فاز بالدخول من الريان

[٢٣٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٥/٨ في الصيام، باب الريان للصائمين، ح١٨٩٦.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٣٢/٨ في الصيام، باب فضل الصيام.

قوله: «الريان» بفتح الراء وتشديد التحتانيه وزن فعلان من الري اسم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه.

المعنى

قال تعالى ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾[3] فلما جاهد الصائمون أنفسهم طاعة لربهم عز وجل فتركوا الطعام والشراب والجماع

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢٨٩/١ في الصوم، باب جامع الصيام.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٦٧/٢.

(٣) آخر سورة العنكبوت

= والغيبة والنميمة والرفث والصخب والجهل والظمأ في الهواجر وجاعوا في البرد عوضهم الله تعالى بباب خاص اشتق اسمه من شئ حرموه لله وهي الري في الحر فسمي باب الريان. فيقول سهل رضي الله عنه وهو ابن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان» قال الحافظ ابن حجر[1] «الريان» بفتح الراء وتشديد التحتانية وزن فعلان من الرى اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه لأنه مشتق من الري وهو مناسب لحال الصائمين وسيأتي من دخله لم يظمأ قال القرطبي: اكتفي بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه قال الحافظ: قلت أو لكونه أشق عليه من الجوع أهـ قوله: «يدخل منه الصائمون يوم القيامة» قال القسطلاني[2] : يدخل منه الصائمون يوم القيامة إلى الجنة أهـ قوله: «لايدخل منه أحد غيرهم» فيه خصوصية للصائمين لزيادة الرفعة والظاهر أن ذلك لمكثري صيام النافلة لأن كل المسلمين يشتركون في صيام الفريضة فلا خصوصيه هنا والله أعلم. قوله: «يقال: أين الصائمون» أيضًا فيه رفعة لهم لندائهم على رؤس الخلائق بصفة طاعة لله تعالى تذكر لهم وقت الشدائد يوم القيامة فهذه من البشريات يوم احتياجها الشديد قوله: «فيقومون» عند مسلم: «فيدخلون منه» قوله: «لا يدخل منه أحد» قال الحافظ وأما قوله فلم يدخل فهو معطوف على أغلق أي لم يدخل منه غير من دخل ووقع عند مسلم: «فإذا دخل آخرهم أغلق» قال النووي[3] : وفي هذا الحديث فضيلة الصيام وكرامة الصائمين أهـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٨/٢٤٥.

(٢) إرشاد الساري ٣/٢٤٨.

(٣) شرح مسلم ٨/٣٢.

مبحث: اجتماع خصال الخير من موجبات الجنة

٢٣٧ ـ عن أبي هريرة قال: رسول الله ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا» قال أبو بكر: أنا قال «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قال أبو بكر: أَنَا، قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قال أبو بكر: أَنَا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قال أبو بَكْر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

---

[٢٣٧] أخرجه مسلم في صحيحه ١٥/١٥٦ في فضائل الصحابه رضوان الله عليهم، باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أصبح منكم اليوم صائمًا» أي من صام اليوم صيام نافله، لأنه لو كان فريضه ما سأل عن ذلك رسول الله ﷺ قال أبو بكر أنا أي صائم اليوم يا رسول الله ﷺ قال ﷺ: «فمن تبع منكم اليوم جنازة» أي من بيتها حتى يصلي عليها ثم حتى تدفن قال أبو بكر: أنا، أي تبعت جنازة اليوم مع الصيام يا رسول الله، قال ﷺ: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا» أي اعطاه طعامًا وشرابا أو احدهما والغالب الطعام، قال أبو بكر أنا أي أطعمت مسكينا وتبعت جنازة اليوم وأنا صائم، قال ﷺ: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا» أي من زار مريضًا قال أبو بكر: أنا أي زرت مريضٌ يا رسول الله وقد تبعت جنازة وأطعمت مسكنيا اليوم وأنا صائم، وهكذا كان دائمًا سباقًا رضي الله عنه في كل خير فإنه كان جديرًا بأن ينال مرتبة الصاحب المذكور في الكتاب الكريم في قوله تعالى ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾[1] هو أيضا صاحب التكريم في قوله تعالى ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾[2] هو صاحب التزكية =

---

(١) سورة التوبة آية (٤٠).

(٢) سورة الزمر آية (٣٣).

مبحث : في العمل الأحب إلى الله تعالى

٢٣٨ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النَّبِيَّ ﷺ: أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»، قال ثم أي؟ قال «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**» قال: حدثني بِهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ ولَو استَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

= في قوله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير ... الحديث» قال أبو بكر رضي الله عنه ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»[١] لذلك قال له هنا ﷺ أيضا «ما أجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» أي كلهم يقعون مجتمعين من مسلم مخلص في يوم واحد وهي بشرى أيضا للصديق رضي الله عنه قال القاضي[٢] : معناه: دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال وإلا فبمجرد الايمان يقتضي دخول بفضل الله تعالى أهـ أو دخولاً بلا مناقشة حساب ولا سابقة عذاب نسأله تعالى من فضله. والله أعلم.

مبحث : في العمل الأحب إلى الله تعالى

[٢٣٨] أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٧/٣ في الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها، ح٥٢٧.

أخرجه مسلم في صحيحه ٩٧/٢ في الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ح٨٥

المعنى

سبحانه فضل خلقًا على خلق وعملاً على عمل وقولاً على قول وعبادة على عبادة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[٣]. =

---

(١) شرح مسلم ١٥٦/١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٦/٨ في الصيام ح١٨٩٧ ومسلم ١١٥/٧ في الزكاة.

(٣) سورة الأنبياء آية (٢٣).

وقد سأل ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ : «أي العمل أحب إلى الله» وفي رواية مسلم «أي العمل أفضل» قال الحافظ ابن حجر : ومحصل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث بأنْ أَعْلَمَ كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة أو بما هو لائق بهم . وكان الإختلاف باختلاف الاعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن من آدائها وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل. أو أن «أفضل» ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق، أو المراد «من أفضل الأعمال، فحذفت «مِنَ» وهي مراده. أهـ قوله: «الصلاة على وقتها» قال الكرماني:عند البصرية: فاستعمال «على» هو بالنظر إلى إرادة الإستعلاء على الوقت والتمكن على آدائها في أي جزء من أجزائها أهـ. وقال الحافظ ابن حجر: وقوله: على وقتها: قيل على بمعنى اللام وقيل لإرادة الإستعلاء على الوقت وفائدته تحقق دخول الوقت ليقع الأداء فيه. أهـ[1] قوله: «ثم أي» قال الكرماني[2]: أي قال سألت: ثم أي العمل ولفظ «ثم» للدلالة على تراخي المرتبه لا لتراخي الزمان. أهـ وقال ابن حجر قوله «ثم أي» قيل الصواب أنه غير منون لأنه غير موقوف عليه في الكلام والسائل ينتظر الجواب والتنوين لا يوقف عليه أهـ قوله: ثم بر الوالدين» قال ابن حجر[3]: قال بعضهم: هذا الحديث موافق لقوله تعالى ﴿ أن اشكر لي ولو الديك ﴾[4] وكأنه أخذه من تفسير ابن عيينه حيث قال: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه عقبهما فقد شكر لهما أهـ قوله: «ثم أي»؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال ابن حجر[5]: وقال ابن دقيق العيد:

(١) فتح الباري ٣/١٨٨.

(٢) شرح البخاري للكرماني.

(٣) فتح الباري ٣/١٨٩.

(٤) سورة لقمان آية (١٤).

(٥) فتح الباري ٣/١٨٧.

مبحث: قوله النبيﷺ: «والحـــج المبـــرور ليس لـــه جزاء إلا الجنة»

٢٣٩ ـ عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارةُ لمَا بَينَهُمَا والحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءُ إِلاَّ الجَنَّةَ**».

= الأعمال في هذا الحديث محمولة على البدنيه وأراد بذلك الاحتراز عن الإيمان لأنه من أعمال القلوب فلا تعارض حيئذ بينه وبين حديث أبي هريرة «أفضل الأعمال إيمان بالله» الحديث وقال غيره: المراد بالجهاد هنا ليس بفرض عين لأنه يتوقف على إذن الوالدين فيكون برهما مقدمًا عليه. أهـ قوله: «حدثني بهن رسول اللهﷺ ولو استزدته لزادني» قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله حدثني بهن: هو مقول عبد الله بن مسعود، وفيه تقرير وتأكيد لما تقدم من أنه باشر السؤال وسمع الجواب قوله: «ولو استزدته» يحتمل أن يزيد من هذا النوع وهو مراتب أفضل الأعمال. ويحتمل أن يريد من مطلق المسائل المحتاج إليها أهـ والسبب في ذلك ما زاده مسلم في آخر الرواية «فما تركت استزيده إلا إرعاءً عليه»[1] قال الحافظ أي شفقة عليه لئلا يسأم. أهـ والله أعلم.

مبحث: قول النبيﷺ: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»

[٢٣٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٨٢/٨ في أبواب العمرة، باب وجوب العمرة ح١٧٧٣.

أخرجه مسلم في صحيحه ١١٧/٩، ١١٨ في الحج، باب فضل الحج والعمرة.

وأخرجه أحمد في المسند ٢٤٦/٢، ٤٦١، ٤٦٢.

=

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣/٢ في الإيمان باب أفضل الأعمال.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما» أي ما بين العمرتين من الصغائر يكفر بالعمرة الثانية.

قال الحافظ[1]: قوله «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينها» أشار ابن عبد البر إلى أن المراد تكفير الصغائر دون الكبائر أهـ وقال النووي[2]: هذا ظاهر في فضيلة العمرة وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين أهـ قوله ﷺ: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» أي أن الحج الصالح المقبول يخرج صاحبه من ذنوبه التي كان قد تحملها بل ويحمل بدلها الثواب العظيم الذي يجعله يستحق الجنة بفضل الله تعالى قال النووي: الأصح الأشهر أن المبرور هو الذي لا يخالطه إثم مأخوذ من البر والطاعة وقيل هو المقبول ومن علامة القبول أن يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصي وقيل هو الذي لا رياء فيه، وقيل الذي لا يعقبه معصية وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض الذنوب بل لابد أن يدخل الجنة والله أعلم أهـ وقد روى أحمد[3] تفسير المبرور من حديث جابر مرفوعًا: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» قالوا يا نبي الله: ما الحج المبرور؟ قال: «إطعام الطعام وإفشاء السلام» والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٨٢/٨.

(٢) شرح مسلم ١١٨/٩، ١١٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٢٥/٣ عن جابر مرفوعًا.

الفصل الثاني
القصد والمداومة على العمل
مبحث : من قطع وقتًا في إنتظار الصلاة كأنما كان يصلي

٢٤٠ ـ عن أنس قال أخر النبي ﷺ الصلاة ذات ليلة إلى شطر الليل ثم خرج علينا، فلما صلى أقبل علينا بوجهه فقال: «**إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا وَرَقَدُوا وإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ**».

---

[٢٤٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٢٦٣ في الصلاة أبواب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ح٨٤٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٥/١٣٩ في الصلاة، باب وقت العشاء.

المعنى

هي أفضل ما تقرب به العباد إلى الله عز وجل ففي الحديث «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة»[1] لذلك جعل النبي ﷺ الإستعداد لها عبادة والسعي إليها كفارة ورفعة وإنتظارها صلاة والجلوس بعدها استغفار لصاحبها من الملائكة.

ويقص علينا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخر ليلة الصلاة إلى شطر الليل ثم صلى ثم توجه إلى أصحابه مبشرًا لهم أن الكثير صلوا وناموا لكن أنتم مازلتم في صلاة بإنتظاركم لها.

قوله «أخر النبي ﷺ الصلاة ذات ليلة» قال ابن حجر[2]: وفيه اشعار بأنه لم يكن يواظب على ذلك أهـ وقال النووي[3]: واعلم أن التأخير المذكور في هذا الحديث وما بعده كله تأخير لم يخرج به عن وقت الإختيار وهو نصف الليل أو ثلث الليل أهـ =

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه ١/١٠١، ١٠٢ في الطهارة وسننها ح٢٧٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٣/٢٤٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/١٧٣.

= وقوله «إلى شطر الليل» وفي رواية في البخاري «إلى نصف الليل ثم صلى»[1] وقوله «ثم خرج علينا فلما صلى أقبل علينا بوجهه» قال ابن حجر قيل الحكمة في استقبال المأمومين أن يعلمهم ما يحتاجون إليه فعلى هذا يختص بمن كان في مثل حاله ﷺ من قصد التعليم والموعظة، وقيل الحكمة فيه تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت إذ لو استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلا، وقال الزين بن المنير: استدبار الإمام المأمومين إنما هو لحق الإمامة فإذا انقضت الصلاة زال السبب، فاستقبالهم حينئذ يرفع الخيلاء والترفع على المأمومين أهـ.

وقوله «إن الناس قد صلوا ورقدوا» وفي رواية أخرى للبخاري[2] ٣/٢٤٠، ح٥٧٢، «قد صلى الناس وناموا» قوله: «إن الناس» قال القسطلاني[3] الغير الحاضرين في المسجد أهـ وقال الحافظ ابن حجر[4]: أي المعهودون ممن صلى من المسلمين إذ ذاك أهـ وقوله «وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة» قال القسطلاني: أي مدة إنتظارها أهـ وفي رواية للبخاري[5] أيضًا تبين أن المنتظر للصلاة هو في صلاة مادامت تحبسه وهي قوله ﷺ: «لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة» قال الحافظ ابن حجر[6]: يقتضي أنه إذا صرف نيته عن ذلك صارف أخر انقطع عنه الثواب المذكور، وكذلك إذا شارك نية الإنتظار أمر آخر، وهل يحصل ذلك لمن نيته ايقاع الصلاة في المسجد ولو لم يكن فيه؟ الظاهر: خلافه لأنه رتب الثواب المذكور على المجموع من النية وشغل البقعة بالعبادة، لكن للمذكور ثواب يخص أهـ والله أعلى وأعلم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٢٤٠ مواقيت الصلاة باب وقت العشاء إلى نصف الليل.

(٢) أخرجها البخاري في صحيحه ٣/٢٤٠ ح٥٧٢ في مواقيت الصلاة باب وقت العشاء إلى نصف الليل.

(٣) إرشاد الساري ٢/١٤٢.

(٤) فتح الباري ٣/٢٤٠.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح ٤/٢٤ في أبواب الجماعة والإمامه باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ح٦٥٧.

(٦) فتح الباري ٤/٢٤.

مبحث : فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة

٢٤١ ـ عن حنظلة الأسيدي وكان من كتاب رسول الله ﷺ أنه دخل على رسول الله ﷺ قال: قلتُ نافقَ حنظلةُ يا رسـولَ الله، فقال رسول الله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ**»؟ قلتُ يا رسـولَ الله نكونُ عندكَ تذكرنَا بالنارِ والجنةِ حتىَ كأنَّا رأيَ عينٍ فإذا خرجنَا من عندكَ عافسنَا الأزواجَ والأولادَ والضيعاتِ نسينَا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ: «**والَّذي نَفْسي بِيَده إنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَاتَكُونُونَ عِنْدي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً**» ثلاث مرات.

---

[٢٤١] أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/٦٥، ٦٦ في التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة.

وأخرجه الترمذي في سننه ٧/١٤٨ في القيامة جزءاً منه قوله «لو أنكم ... إلى بأجنحتها» ح ٢٥٦٩.

وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢/١٤١٦ في الزهد، باب المداومة على العمل.

قوله: «عافسنا» المعاسفة: المعالجة والممارسة والملاعبة أهـ نهاية ٣/٢٦٣.

قوله: «والضيعات» جمع ضيعة بالضاد المعجمة وهو معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة أهـ نووي ١٧/٦٦.

المعنى

يخبرنا حنظلة رضى الله عنه وكان كاتباً من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ أنه دخل على رسول الله ﷺ متهماً نفسه بالنفاق لكونه يتأثر ويرق قلبه عند النبي ﷺ لما يسمع من الحكمة والكلم الطيب من فِي رسول الله ﷺ الشريف فإذا خرج من عنده وذهب إلى أهله لاعبهم ومازحهم وانشغل بماله ومعايشه فلذلك قال للنبي ﷺ: «نافق حنظلة يارسول الله» فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك» أي ماهذا النفاق الذي =

تتحدث عنه أو ماذا حدث قوله: قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى عين» أي كأننا نراهم من وصفك ياسيد العلماء والعالمين قال القاضي: أي كأنا بحال من يراها بعينه أو تراها رأى أهـ قوله: «فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً» أي بعد هذه الذكرى إذا خرجنا كأنا لم نر ولم نسمع ولم ندمع فلاعبنا أزواجنا وأولادنا وانشغالنا بمعايشنا فلذلك خاف النفاق لحدوث ظاهره وهو كونهم عنده ﷺ على الحال التي ليسو هم عليها في خارج بيته ﷺ فننسى كثيراً من الحال الأولى الطيبة قال النووي[1]: معناه أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة فإذا خرج إشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر فخاف أن يكون ذلك نفاقًا أهـ قوله ﷺ «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم» أي والله الذي أنا مملوك له لو تستمرون على حال الخشوع التي تكونون عندي فيها وفي ذكر الله تعالى الدائم لأكرمكم الله تعالى بمصافحة الملائكة لكم عيانًا على فرشكم وطرقكم ولكن «ساعة وساعة» أي إنكم لم تكلفوا بالدوام على هذا الحال العظيم لمشقة ذلك عليكم وشدة ذلك عليكم لكن ساعة في الخشوع وساعة في المباح مما لاحرام فيه ولامكروه، قال النووى فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك، وساعة وساعة أي ساعة كذا وساعة كذا أهـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ٦٦/١٧.

مبحث: قول النبي ﷺ «إن لربك عليك حقًا»

٢٤٢ ـ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كل، قال فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: «**صدق سلمان**».

---

[٢٤٢] أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٣٩ في الصيام، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ح١٩٦٨.

قوله: «متبذلة»: بفتح المثناه والموحدة وتشديد الذال المعجمة المكسورة أي لابسه ثياب البذلة ـ بكسر الموحدة وسكون الذال ـ أي المهنة وزنًا ومعنى والمعنى أنها تاركة للبس ثياب الزينة أهـ فتح الباري ٩/٤٠.

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1] سبحانه، لله الحمد حمداً طيبًا كثيراً مباركًا فيه عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضاء نفسه، ومداد كلماته، خلق فسوى، وقدر فهدى، ورزق، وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة حتى أعجز عباده عن مجرد إحصائها، فأقروا بعجزهم وصدق قول الله تعالى فيهم: =

---

(١) سورة الروم آية (٤٠).

= ﴿ وإن تعدوا نعمة او لاتحصوها ﴾[1] فالله على عباده أعظم الحقوق، فمن حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا لذلك قال النبي ﷺ لمعاذ: «هل تدري ما حق الله على العباد» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ... الحديث»[2] ومن حقه عليهم سبحانه أن ينسبوا النعم كلها له فهو المعطي حقًا بسبب أو بغير سبب ومن حقه سبحانه أن يقوم العباد فى خدمته بالطاعة المفروضة والمستحبة لذلك قال النبي ﷺ لأبي الدرداء «إن لربك عليك حقًا» وقد نكَّر حقًا ليعم الحقوق ويشملها، وسبب هذا الحديث هو ما قصه علينا أبو جحيفة رضي الله عنه من مؤاخاة النبي ﷺ بين سلمان الفارسي رضي الله عنه وأبي الدرداء رضي الله عنه التي كانت على المواساة والمناصرة، فلما زار سلمان أبا الدرداء رأى أم الدرداء مبتذلة على هيئة رثة تاركة لثياب الزينة لزوجها فسألها سلمان عن سبب ذلك فأخبرته أن أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا تعني ولا في النساء فهو إذًا لا يقربها إذًا لا داعي للزينة لأنه عكف على العبادة ليل نهار. فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وصنع له طعامًا فقال سلمان: «كل» فقال إني صائم «قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل» قال ابن حجر[3]: والحاصل أن سلمان هو الضيف أبى أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه، وغرضه أن يصرفه عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه في العبادة وغير ذلك فمما شكته إليه إمرأته أ.هـ فأكل أبو الدرداء وأبر بقسم سلمان، فلما جاء الليل أراد أبو الدردء أن يأخذ الليل أو غالبه، وسلمان يريد الرفق والإكتفاء بالسحر المبارك وقت النزول =

(١) سورة إبراهيم آية (٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه وقد تقدم تخريجه في باب التوحيد والإيمان. وهو في مسلم ١/٢٣١، ٢٣٢ في الإيمان.

(٣) فتح الباري ٩/٤١.

= الإلهي فلذلك «قال سلمـان: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم فنام» فلمـا كان من آخر الليل يعني سحرًا. وعظه سلمان ناصحًا قائلاً: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا» وفي رواية «وإن لضيفك عليك حقًا» وقد أخبر أبو الدرداء النبيﷺ ظانًا أنه منع خيـرًا، فعلم أنه منع مـايؤول به إلى التـقصيـر في الخيـر فقـال ﷺ«صدق سلمان» فبين له النبي أعظم الحقوق وهي حقوق الله عز وجل ثم الحقوق التي يحبـها الله تعالى وهي حق نفسـه ثم أهله ثم ضيفـه وهكذا. قال ابن حجر: فـيه النصح للمـسلم وتنبيـه من أغفل،وفـيه فـضل قيـام آخر الليل، وفـيه جـواز النهي عن المستحبـات إذا خشي إن ذلـك يفضي إلى السـآمة والملل وتفـويت الحقـوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور، وإنما الوعيد الوارد ـ أي في النهي عن الصـلاة ـ على من نهى مصليًا عن الـصلاة المخصـوصة كمن نهـاه ظلمًا وعدوانًا أهـ بتصرف يسير والله أعلم.

الفصل الثالث

المُبَادَرَةُ إلى العَمَل الصَّالح والمُسَارَعَةُ إلى الخَيْرِ وَلَوْ كَانَ قَليلاً

مبحث : لا يمل الله تعالى حتى يمل العباد

٢٤٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانتْ عندي إمرأةُ من بَني أسَد، فَدَخلَ عَليَّ رَسُولُ الله ﷺ فقال: «مَنْ هذه»؟ قُلْتُ: فُلانَة، لاتَنامُ بالليل، تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا، فقال: «**مَه، عَلَيْكُمْ ما تُطيقُونَ منَ الأعْمَال، فَإنَّ الله لايَمَلُّ حَتَّى تَملُّوا**».

---

[٢٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤٤ في التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ح١١٥٠.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦/٧٤ في الصلاة، باب فضيلة العمل الدائم.

قوله: «مه» بفتح الميم وسكون الهاء بمعنى أكفف أهـ إرشاد الساري ٢/٣٢٧.

المعنى

سبحانه له خزائن السماوات والأرض قال ﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه» قال وعرشه على الماء»[١] .

فسبحانه لو عمل العباد بالطاعة ليل نهار لا يفترون لما أنقطع عنهم عظيم الثواب من رب الأرباب، قال الله تعالى في الحديث القدسي: (ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)[٢] قوله: «عن عائشة =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٨٠ في الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٢٠٠ في البر والصله، باب تحريم الظلم، ح٢٥٧٧.

= رضي الله عنهـا قالت: كـانت عندي إمرأة من بني أسـد فدخل علـي رسول الله ﷺ فقال: «من هذه» قلت فلانة» قال القسطلاني[3]: «فلانة» غير منصرف ـ أي ممنوع من الصرف ـ قال: وهـي الحولاء بنت تويت أهـ وقوله: «لا تنام الليل» قال ابـن حجر[4]: ووصفها بذلك خرج مخرج الغالب، قال: وسئل الشافعي عن قيام جميع الليل فقال: لا أكرهه إلا لمن خشـى أن يضر بصلاة الصبح. وفي قولـه ﷺ في جواب ذلك «مه» إشارة إلى كراهة ذلك خشية الفتور والملال على فاعله لئلا ينقطع عن إلتزامها فيكون رجوعًا عما بذل لربه من نفسه، وقوله: «علـيكم ماتطيقون من الأعمال» قال: هو عام في الصلاة وفي غيرها أهـ.

قـوله: «فإن الله لا يمل حـتى تملوا» قـال ابن حجـر: قال الـهروي: مـعناه لا يقطع عنكم فضله حـتى تملوا سؤاله فتـزهدوا في الرغبة إليـه، وقال غيـره: معناه: لا يتناهى حقه عليكم في الطاعة حـتى يتناهى جهدكم وفي رواية أخرجها الطبـري في تفسيره سـورة المزمل «إن الله لا يمل من الثـواب حـتى تملوا مـن العـمل» قـال لكن في سنده موسى ابن عبيـد وهو ضعيف، وقال ابن حبان: وهذا من ألفاظ التعـارف التي لايتهيأ للخاطب أن يعرف القصد بما يخاطب به إلابها أ هـ والله تعالى أعلى وأعلم.

(٣) إرشاد الساري ٣/٣٢٧.

(٤) فتح الباري ٦/٤٥، ١/١٧٦.

مبحث: من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً

٢٤٤ ـ عن عبد الله بن عمرو عن النبيﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامة، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ».

---

[٢٤٤] أخرجه أحمد في المسند ١٦٩/٢ وقال الهيثمي في المجمع ٢٩٢/١ رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات.

قوله: «برهان»: البرهان الحجة والدليل أهـ نهاية ١٢٢/١.

المعنى

يخبرنا عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبيﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة» أي من حافظ على وقتها ووضوءها وأركانها وخشوعها كانت نوراً تضيء له يوم القيامة «وبرهانًا» قال الله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[١] قال ابن الأثير[٢]: البرهان: الحجة والدليل أي أنها حجة لطالب الأجر من أجل أنها فرض يجزي الله به وعليه أهـ «ونجاة يوم القيامة» ينجي الله بها من كرباته وعذابه ونيرانه إلى نعيمه سبحانه وجنته عز وجل «ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة» لذلك قال ﷺ «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[٣] وقال ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»[٤] قوله: وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» قال الإمام الذهبي[٥]: وقال بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ =

---

(١) سورة البقرة آية (٢٣٨). (٢) نهاية ١٢٢/١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٣٦٩/٧ في الإيمان ح٢٧٥٦، باب ما جاء في ترك الصلاة.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٤٠/٢ ح١٨٥٩ عن أنس مرفوعًا.

(٥) ذكره الحافظ الذهبي في كتابه الكبائر تهذيب الشيخ أسامه عبدالعظيم ص٤٩.

مبحث: أعمال يدخل الله تعالى العبد بسببها الجنة

٢٤٥ - عن أبي أيوب رضي الله عنه أنَّ رَجُلاً قال للنبيِّ ﷺ: «أخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قال: «مَالَهُ مَالَهُ»؟ وقال النبي ﷺ: «أَرَبٌ مَالَه؟ تَعْبُدُ الله ولاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤتِي الزَّكَاةَ وتَصِلُ الرَّحِمَ».

= وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته، فإن إشتغل بماله حشر مع قارون، وإن إشتغل بملكه حشر مع فرعون، وإن إشتغل بوزارته حشر مع هامان، وإن إشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة» أهـ والله أعلم.

مبحث: أعمال يدخل الله تعالى العبد بسببها الجنة

[٢٤٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٧ في الزكاة، أوله، ح١٣٩٦.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧٣/١ في الإيمان.

قوله: «أرب ماله» بوزن جمل، أي حاجة له، وما زائدة للتقليل، أي له حاجة يسيرة، وقيل معناه حاجة جاءت به، فحذف ثم سأله فقال: ماله أهـ نهاية ١/٣٥.

المعنى

يخبرنا أبو أيوب رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة «أي أوجز لي عملاً من الأعمال الشرعية الصالحة الكثيرة عملاً صالحًا أقوم به أدخل به الجنة إن شاء الله تعالى قوله: «قال: ماله ماله» وقال النبي ﷺ: «أرب ماله» قال الحافظ[١]: قال ابن بطال: هو إستفهام والتكرار للتأكيد وقوله «أرب» بفتح الهمزة والراء منونًا أي حاجة وهو مبتدأ وخبره محذوف أي إستفهم أولاً ثم رجع إلى نفسه فقال له أرب أهـ قال الحافظ: وهذا بناء على أن فاعل قال النبي ﷺ وليس =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٧/٧ في الزكاة ح١٣٩٧.

= كذلك لما بيناه والمستفهم الصحابة والمجيب النبي ﷺ و«ما» زائدة كأنه قال: له حاجة وقال النضر بن شميل: يقال: أرب الرجل في الأمر إذا بلغ فيه جهده، وقال الأصمعي: أرب في الشئ صار ماهرًا فيه فهو أريب وكأنه تعجب من حسن فطنته والتهدي إلى موضع حاجته ويؤيده قوله في رواية مسلم فقال النبي ﷺ «لقد وفق أو لقد هدي» أهـ قوله: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا» أي تعبد الله عز وجل وحده لا تشرك به شيئًا» أي تعبد الله عز وجل وحده لا تشرك معه في عبادته أي شيء كان سواء كان شركًا أصغر أو أكبر وتفرده سبحانه بجميع أنواع العبادات البدنية والقلبية فالأولى كالصلاة والزكاة والصيام والحج بعد الشهادتين والثانية كالإستعانة والإستغاثة والنذر والحلف والقصد والدعاء فلا تقصد بها إلا الله عز وجل وحده قوله: «وتقيم الصلاة» أي تحافظ على آدائها كاملة تامة بأركانها وواجباتها ومستحباتها في أوقاتها مع خشوعها قوله: «وتؤتي الزكاة» أي المفروضة من طيب مالك خالصة من عند نفسك راضيًا وفي رواية «وتؤتي الزكاة المفروضة» قال الحافظ: عبر في الزكاة بالمفروضة للإحتراز عن صدقة التطوع فإنها زكاة لغوية أهـ قوله: «وتصل الرحم» قال النووي[1] : أي تحسن إلى أقاربك ذوي رحمك بما تيسر على حسب حالك وحالهم من انفاق أو زيارة أو طاعتهم أو غير ذلك أهـ والله أعلم.

وفي رواية البخاري زيادة: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وعند مسلم: «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة» قال الحافظ: إما أن يحمل على أنه ﷺ أطلع على ذلك فأخبر به أو في الكلام حذف تقديره: إن دام على فعل الذي أمر به ويؤيده قوله في حديث أبي أيوب عند مسلم أيضًا: إن تمسك بما أمر به دخل الجنة» أهـ والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١/١٧٣.

مبحث: في العمل الذي يدخل الجنة

٢٤٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: «دُلَّني على عمل إذا عملتُهُ دخلتُ الجنةَ، قال: «**تَعْبُدَ اللهَ لاتُشْرِكُ به شَيْئًا، وتُقِيمُ الصلاةَ المَكْتُوبَةَ، وتُؤَدِّيَ الزكاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رمضَانَ**» قال: والذي نفسي بيدِهِ لا أزيدُ على هذا. فلما ولّى قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**».

---

[٢٤٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٧/٧ في الزكاة باب قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...﴾ الآية ح ١٣٩٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧٤/١ في الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل الجنة.

المعنى

خلق الله تعالى الجنة وخلق لها أهلاً وخلق لها أعمالاً تؤهل صاحبها للحوق بالركب السابقين الذين تفضل الله عليهم بسكناها.

من هذه الأعمال ما بينه نبينا ﷺ للأعرابي لما قال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة «أي أخبرني وبين لي أعمالاً إذا عملتها دخلت الجنة ونجوت من النار ففي رواية أبي أيوب عند مسلم[1] «أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار» قوله: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا» هذا هو الأصل الذي لا يخلد صاحبه في النار ويغفر له ما دونه وإذا فاته لا ينفع عمل دونه قوله«وتقيم الصلاة المكتوبة» عبر في الصلاة بالمكتوبة إحترازًا عن النافلة لأن المقصود الإيجاز له والأهم الذي من أتمه نجا بإذن الله تعالى قوله: «وتؤدي الزكاة المفروضة» قال الحافظ ابن حجر[2] : قيل =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان باب الإيمان الذي يدخل الجنة ١٧٢/١، ١٧٣.

(٢) فتح الباري ٧/٧، ٨.

= عبر عن الزكاة بالمفروضة للإحتراز عن صدقة التطوع فإنها زكاة لغوية أهـ قوله: «وتصوم رمضان» لأنه ذكر له الفرائض قال الحافظ: ولم يذكر الحج لأنه كان حينئذ حاجاً ولعله ذكره فاختصره أهـ قوله: «قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا «وفي مسلم: «لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه» قال النووي[1] : قيل يحتمل أنه أراد أنه لا يصلي النافلة مع أنه لا يخل بشئ من الفرائض وهذا مفلح بلا شك وإن كانت مواظبته على ترك السنن مذمومة وترد بها الشهادة إلا أنه ليس بعاص بل هو مفلح ناج والله أعلم أهـ بتصرف يسير.

قوله: «فلما ولي قال النبيﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وقال الحافظ: إما أن يحمل على أنه ﷺ أطلع على ذلك فأخبر به أو في الكلام حذف تقديره إن دام على فعل الذي أمر به ويؤيده قوله في حديث أبي أيوب عند مسلم[2] : «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة» قال القرطبي: للحديث دلالة على جواز ترك التطوعات لكن من داوم على ترك السنن كان نقصاً في دينه فإن كان تركها تهاوناً بها ورغبة عنها كان ذلك فسقاً، يعني لورود الوعيد عليه حيث قال ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3] وقد كان صدر الصحابة ومن تبعهم يواظبون على السنن وعلى الفرائض ولا يفرقون بينهم في إغتنام ثوابهما ثم قال: ولعل أصحاب هذه القصص كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا حتى إذا إنشرحت صدورهم للفهم عنه والحرص على تحصيل ثواب المندوبات سهلت عليهم أهـ والله أعلم. =

(١) شرح مسلم للنووي ١/١٦٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٧٤، في الإيمان باب الإيمان الذي يدخل الجنة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩/١٢٦ في النكاح ح٥٠٦٣.

مبحث: عظيم جزاء من وطن المساجد للصلاة والذكر

٢٤٧ - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يُوطِئَنَّ أَحَدُكُمْ المَسَاجِدَ لِلصَّلاَةِ إِلاَّ تَبَشْبَشَ اللهُ بِهِ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ**».

٢٤٨ - وعن عبد الله بن عمرو قال: صَلَّيْنَا مع رسول الله ﷺ المَغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْرِعًا قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ فقال: «**أَبْشِرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي، قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى**».

---

[٢٤٧] أخرجه الحاكم في المستدرك ١/١٢٣/٣٣٢ في الصلاة، ح ٧٧١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرج ابن ماجة في سننه ١/٢٦٢ في المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وإنتظار الصلاة، ح ٨٠٠

[٢٤٨] أخرجه ابن ماجة في سننه ١/٢٦٢ في المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة ح ٨٠١ وذكره المنذري في الترغيب ١/١٦٠ في الصلاة باب الترغيب في إنتظار الصلاة ح ٤ وقال: رواه ابن ماجة عن أبي أيوب عنه ورواته ثقات وأبو أيوب هو المراغي العتكي ثقة ما أراه سمع من عبد الله والله أعلم أهـ وقال الحافظ ابن حجر: أبو أيوب المراغي الأزدي العتكي البصري إسمه يحي: روى عن عبد الله ابن عمر ابن العاص وسمرة وأبي هريرة وابن العباس وعنه ثابت البناني وذكر غيرهم قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال العجلي: تابعي ثقة وقال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا أهـ تهذيب ١٢/١٩ وقال ابن حجر ثقة من الثلاثة أهـ تقريب التهذيب ٢/٣٩٣ ت ٨٤.

= قوله «تبشبش أصل كلمة البش: فرح الصديق واللطف في المسألة والإقبال عليه أهـ نهاية ١/١٣٠.

قوله: «حفزه» الحفز: الحث والإعجال أهـ نهاية ١/٤٠٧.

قوله: «حسر» أي كشف أهـ نهاية ١/٣٨٣.

قوله: «عقب» قال ابن الأثير فيه « من عقب في صلاة فهو في صلاة» أي أقام في مصلاة بعدما يفرغ من الصلاة أهـ نهاية ٣/٢٦٧.

قوله: «وطن المسجد» أي اتخذ المساجد وطنًا ومحلاً: أهـ بتصرف النهاية ٥/٢٠٤.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يوطئن أحدكم المساجد للصلاة» وعند ابن ماجه (١/ب) «ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر» أي ما اعتاد أحد المساجد لأداء الفرائض وأكثر من الصلاة فيها وذكر الله تعالى حتى أصبحت من كثرة تردده عليها وإقامته فيها كالوطن له «إلا تبشبش الله به من حيث يخرج من بيته كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم» فأهل الغائب المحبوب طويل الغيب إذا قدم من بعيد واقترب يفرح به أهله إذا قدم عليهم ويلطفون به ويقبلون عليه ويحسنون الترحيب ﴿والله خير وأبقى﴾[١] وهذا من علامات الإيمان توطين المساجد للصلاة وطاعة الرحمن عز وجل قال الله تعالى ﴿إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾[٢]، أخرج الطبري[٣] عن =

(١) سورة طه آية (٧٣).

(٢) سورة التوبة آية (١٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٦/٣٣٥ ح١٦٥٦٩ تفسير سورة التوبه آية (١٨).

= ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ يقول: من وحد الله وآمن باليوم الآخر، يقول: أقر بما أنزل الله ﴿وأقام الصلاة﴾ يعني الصلوات الخمس ﴿ولم يخش إلا الله﴾ يقول: ثم لم يعبد إلا الله، قال: ﴿فعسى أولئك﴾ يقول: إن أولئك هم المفلحون أهـ.

كذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي قال فيه صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع «أي بعد أداء الصلاة إلى بيته أو نحوه» وعقب من عقب أي أقام في مصلاه بعدما يفرغ من الصلاة «فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا قد حفزه النفس» من فرحته بالبشرى لأحبابه فهو أرحم بأمته من الأم بولدها قال الله تعالى له: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1] فجاء مسرعًا والنفس سريعًا بأبي هو وأمي ﷺ ويزيد على ذلك شده المشي والسعي «قد حسر عن ركبتيه» أي كشفهما فقال: «أبشروا» أي بالخير والنعيم لرضا ربكم عز وجل «هذاربكم» سبحانه وتعالى «قد فتح بابًا من أبواب السماء» فقد يفتح لخير ولنزول الرحمه «يباهي بكم الملائكة» أي بهذا العمل العظيم وهو صلاتكم ومكثكم في ذكر لانتظار الأخرى «يقول» أي ربنا سبحانه وتعالى «انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضه وهم ينتظرون الآخرى» أي صلوا المغرب وهم ينتظرون العشاء وفيه فضيلة إنتظار الصلاة بعد الصلاة عمومًا والعشاء بعد المغرب خصوصًا لقصر المسافة بينهما فيسهل الإنتظار فتحصل المداومة التي يحبها الله تعالى وفي الحديث[2] «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» والله أعلم.

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٩/٣ في الطهارة ح٤١/٢٥١ باب فضل أسباغ الوضوء على المكاره.

مبحث: المسابقة إلى الطاعات من الدين

٢٤٩ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً».

---

[٢٤٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٣/٢٩٦ في أبواب الآذان، باب الأستهمام في الآذان ح٦٠٥.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٥٧ في الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.

قوله: «استهموا» أي اقترعوا أهـ نهاية ٢/٤٢٩.

قوله: «التهجير» التبكير إلى كل شئ والمبادرة إليه، يقال: هجر يهجر تهجيراً فهو مهجر وهي لغة حجازية أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة أهـ نهاية ٥/٢٤٦.

قوله: «حبوا» باسكان الباء قبلها حاء مهملة مفتوحة وهو أن يمشي على يديه وركبتيه أهـ نهاية ١/٣٣٦.

المعنى

قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[1] وقال عز وجل ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[2] والآيات في الحث على المسارعة والمسابقة إلى الطاعات والقربات التي تسرع بالعبد حاملة له إلى رضوان رب =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٣).

(٢) سورة الحديد آية (٢١).

= البريات ليدخله نعيم الجنات كثيرة معلومه وأما الأحاديث فمنها ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس» قال ابن حجر[1]: قال الطيبي: وضع المضارع موضع الماضي ليفيد استمرار العلم أهـ قوله: «ما في النداء» قال النووي[2] : النداء هو الآذان والإستهام هو الإقتراع أهـ قوله: «والصف الأول» قال القسطلاني[3] : ولو يعلم الناس ما في الصف الأول «الذي يلي الإمام أي من الخير والبركة» أهـ قوله: «ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» قال النووي : معناه أنهم لو علموا فضيلة الآذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقًا يحصلونه به لضيق الوقت عن آذان بعد آذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا في تحصيله، ولو يعلمون ما في الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاءوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه وفيه اثبات القرعة في الحقوق التي يزدحم عليها ويتنازع فيها أهـ قوله: «ولو يعلمون ما في التهجير لا ستبقوا إليه» قال النووي: التهجير التبكير إلى الصلاة أهـ وقال الحافظ ابن حجر: قال الهروي: وحمله الخليل وغيره على ظاهره فقالوا: المراد الإتيان إلى صلاة الظهر في أول الوقت لأن التهجير مشتق من الهاجرة وهي شدة الحر نصف النهار وهو أول وقت الظهر وإلى ذلك مال المصنف ـ أي البخاري ـ قال ولا يرد على ذلك مشروعية الابراد ـ أي في الحديث[4] «أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم» لأنه أريد به ـ أي بالأبراد ـ الرفق وأما من ترك قائلته ـ يعني آثر على نفسه بترك الرفق ـ وقصد إلى المسجد لينتظر الصلاة فلا يخفي ماله من الفضل أهـ بتصرف قوله: «لا ستبقوا» قال ابن أبي جمرة: المراد الإستباق معنى =

(١) فتح الباري ٢٩٦/٣.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٥٧/٤، ١٥٨.

(٣) إرشاد الساري ٩/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٠/٣ في المواقيت ح٥٣٨.

= لاحسًا لأن الاستباق على الأقدام حسًا تقتضي السرعة في المشي وهو ممنوع منه. أهـ قوله: «ولو يعلمون مافي العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا» قال ابن الأثير[1] : وفيه «لو يعلمون في العشاء والفجر لأتوهما ولو حبوًا» الحبو: أن يمشي على يديه وركبتيه أو إسته، وحبا البعير إذا برك ثم زحف من الإعياء وحبا الصبي إذا زحف على إسته أهـ قلت هذا يدل على أن ثواب ذلك لايتخيله عقل حيث أنه لو علم الجعل الكسالي والمتكبرون يأتون على أرجلهم وأيديهم فسبحان من أخفي الجزاء ليتسابق أهل السبق، قال النووي: فيه الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين والفضل الكثير في ذلك لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره ولهذا كانت أثقل صلاة على المنافقين وفي هذا الحديث تسمية العشاء عتمة وقد ثبت النهي عنه وجوابه من وجهين أحدهما أن هذه التسمية بيان للجوازوأن ذلك النهي ليس للتحريم والثاني وهو الأظهر أن استعمال العتمة هنا لمصلحه ونفي مفسدة لأن العرب كانت تستعمل لفظ العشاء في المغرب فلو قال لو يعلمون ما في العشاء والصبح لحملوها على المغرب فسد المعنى وفسد المطلوب فاستعمل العتمة التي يعرفونها ولا يشكون فيها وقواعد الشرع متظاهرة على احتمال أخف المفسدتين لدفع أعظمهما أهـ والله تعالى أعلم.

(١) النهاية ١/٣٣٦.

مبحث : من حفظ فرجه ولسانه سعد بالجنة

٢٥٠ ـ عن سهل بن سعد عن رسول اللهﷺ قال: **«مَنْ يَضْمَنْ لي مَابَيْن لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»**.

---

[٢٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣/٩٧، ٩٨ في الرقاق، باب حفظ اللسان، ح٦٤٧٤.

أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥/٢٥٥ في المحاربين ح٦٨٠٧.

أخرجه الترمذي في سننه ٧/٨٩ في الزهد.

قوله: «لحييه» بفتح اللام وسكون المهمله والتثنية هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان وما يتأتى به النطق أهـ ٢٤/٩٨.

المعنى

يخبرنا سهيل بن سعد رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» أي من يتكفل ويقي بحفظ ما بين جانبي الفم من الوقوع في معصية من قبلهما فلا ينطق إلا بما يرضيه سبحانه ولا يدخل فيهما من الطعام والشراب إلا ما أحله سبحانه وتعالى ولا يتلفظ إلا بذكره أو التذكير به أو الكلام فيما ينفع ثم يحفظ أيضا ما بين رجليه وهو فرجه عن الوقوع في الفاحشة فبذلك يمتنع عن فحش اللسان وفاحشة الفرج فإذا ضمن للنبيﷺ ذلك الحفظ لأعضائه هؤلاء ضمن له النبيﷺ دخول الجنة لأن عامة الشرائع للسان دخل فيها فإذا حفظه حفظ غالب الشرع الحنيف لذك جعل نبينا ﷺ ما يقوله الإنسان بل صمته وكلامه علامة من علامات الإيمان فقالﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[1] بل أنبأنا أن كلمة تصعد بصاحبها تطير به إلى جنة عالية وكلمة تهوي بصاحبها والعياذ بالله تعالى إلى نار حامية فقالﷺ: «إن العبد =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/٩٨ في الرقاق ح٦٤٧٥.

= ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[1] قال الحافظ[2] : من يضمن بفتح أوله وسكون الضاد المعجمة والجزم من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو آداء الحق الذي عليه، فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام، وقوله: «لحييه» بفتح اللام وسكون المهمله والتثنيه هم العظمان في جانبي الفم والمراد بهما اللسان وما يتأتى به النطق وبما بين الرجلين الفرج ثم قال: إنما محمل الحديث على أن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم؛ وقال ابن بطال[3] : دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر أهـ قوله: «أضمن له الجنة»[4] قال بالجزم جواب الشرط أهـ أي أتكفل له بالجنة إن ثبت على ذلك ولم يتغير ولا يغيروعند الترمذي (حـ): «من يتوكل لي» بدلا من يضمن وهما بمعنى واحد قال ابن الأثير: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به وقيل هو بمعنى تكفل أهـ قوله: «بالجنة» قال صاحب التحفة: أي دخولها أولا أو درجاتها العالية أهـ والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/١٠١ في الرقاق ح٦٤٧٨.

(٢) فتح الباري ٢٤/٩٨.

(٣) نهاية.

(٤) تحفة الأحوذي ٧/٩٠.

مبحث : من أخذ من طريق الناس مايؤذيهم غفر الله تعالى له

٢٥١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ فَشَكَرَ الله لَهُ فَغَفَرَ لَهُ».

---

[٢٥١] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٢/١٠ في المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به، ح٢٤٧٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦٢/١٣ في الإمارة، بيان الشهداء.

المعنى

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١) فسبحانه يكافئ على الصغير كثيراً، ويعطي على الحقير عظيماً فيغفر الذنب الثقيل بالشوك الحقير إن احتسب فاعله وأبعد أذاه عن المسلمين.

فيروي لنا أبو هريرة عن رسول اللهﷺ أنه قال: «بينما رجل يشمي بطريق» قال القسطلاني(٢) «بينما» أصله بين فأشبعت فتحت النون فصارت ألفًا وزيدت الميم، ظرف زمان يضاف إلى جمله من فعل وفاعل أو مبتدأ أو خبر وهو هنا «رجل» النكره المخصصة بالصفة وهي قوله: «يمشي بطريق» أي فيها، وخبر المبتدأ قوله: «وجد غصن شوك على الطريق فأخذه» عن الطريق أهـ وفي رواية مسلم: «فأخره» بالراء المهملة بدلاً من الذال المعجمة فيه أنه ينحيه عن الطريق سواء بالأخذ أو بغيره فيتعرض للأجر إن شاء الله تعالى، وقوله: «فشكر الله له فغفر له» قال الحافظ ابن حجر(٣) : أي رضى بفعله وقبل منه، وفيه فضل إماطة الأذى عن الطريق، وقال ابن المنير بدلاله الحديث على أن الطاعة وإن قلت فلا ينبغي أن تترك أهـ وقال النووي(٤) : فيه فضيلة إماطة الأذى عن الطريق وهو كل مؤذ وهذه الإماطة أدنى شعب الإيمان =

---

(١) سورة النساء آية (٤٠).

(٢) إرشاد الساري ٢٨/٢.

(٣) فتح الباري ١٩/٤.

(٤) شرح مسلم للنووي ٦٢/١٣.

مبحث: من حافظ على جماعة الفجر والعصر شهدت له طائفتان من الملائكه الكرام

٢٥٣ ـ عن أبي هريره أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فيكُمْ مَلائَكَةٌ بالَّليْل ومَلائكَةٌ بالنَّهَار ويجتَمِعُونَ في صَلاَة الفَجْر وصَلاَة العَصْر، ثُمَّ يَعْرُجُ الذّينَ بَاتُوا فيكُم فَيَسْأَلهُمْ وهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ (كَيفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي)؟ فيقولون: تَرَكْنَاهُم وهم يُصَلُّون وأَتَيْنَاهُم وهم يُصَلُّونَ».

= كما سبق في الحديث أهـ وقد وردت بذلك أحاديث كثيرة في فضيلة هذا العمل الصغير بحسنات عظيمة فعند أحمد[1] عن أنس بن مالك قال: كانت شجرة في طريق الناس تؤذي الناس فأتاها رجل عزلها عن طريق الناس قال النبي ﷺ: «فلقد رأيته يتقلب في ظلها في الجنة» فما أعظم فضل الله عز وجل ورحمته قال تعالى: ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ والله أعلم.

مبحث: من حافظ على جماعة الفجر والعصر شهدت له طائفتان من الملائكة الكرام

[٢٥٣] أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٨/٣، في الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ح٥٥٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣٣/٥ في الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والحفاظ عليهما.

وأخرجه ابن خزيمه في صحيحه ١٦٥/١ بلفظ مقارب في الصلاة باب ذكر اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار.. ح٣٢٢ قوله «يتعاقبون» أي تأتي طائفة عقب =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٥٤/٣.

= طائفه ثم تعود الأولى عقب الثانيه أهـ فتح ٣/٢١٨.

قوله: «يعرج» العروج: الصعود. أهـ نهاية ٣/٢٠٣.

المعنى

قال الله تعالى ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ... الآية**﴾[1] إن الملائكة أحباب المؤمنين يرغبون في إخائهم وبأجنحتها تحف طالب العلم منه وتستغفر لمسيئهم وتدعوا لهم بالجنة والوقاية مما يوجب النار ويخبرون الله تعالى وهو أعلم سبحانه بصالح أعمالهم.

فيروي لنا أبو هريره أن رسول اللهﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر» قال النووي[2] : ومعنى يتعاقبون: تأتي طائفه بعد طائفة ومن تعقب الجيوش وهي وهو أن يذهب إلى ثغرٍ قومٌ ويجئ آخرون، وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وتكرمه لهم أن اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم وإجتماعهم على طاعة ربهم فيكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير. أهـ قوله: «فيكم» قال الحافظ ابن حجر[3] : أي المصلين أو مطلق المؤمنين أهـ قوله: «ملائكة» قيل هم الحفظه نقله عياض وغيره عن الجمهور وقال القرطبي: الأظهر عندي أنهم غيرهم ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظه يفارقون العبد ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار أهـ وقال الكرماني[4] : وكرر الملائكة وجئ بها نكره دلالة على أن الثانية غير الأولى كقوله تعالى ﴿**غدوها شهر ورواحها شهر**﴾[5] أهـ قوله: يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر قال =

---

(١) سورة غافر آية (٧).

(٢) شرح مسلم النووي ٥/٣٣.

(٣) فتح الباري ٣/٢١٩.

(٤) شرح البخاري للكرماني ٤/١٩٩، ٢٠٠.

(٥) سورة سبأ آية (١٢).

= الزين بن المنير: التعاقب مغاير للاجتماع لكن ذلك منزل على حالين. قال ابن حجر: وهو ظاهر، وقال ابن عبد البر: الأظهر أنهم يشهدون معهم الصلاة في الجماعة واللفظ محتمل للجماعة وغيرها. أهـ قوله: «في صلاة» قال الكرماني: في وقت صلاة أهـ قوله: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم» قال ابن حجر ولا مانع أيضا من أن تصعد ملائكة النهار وبعض النهار باق وتقيم ملائكة الليل لأن إسم المبيت صادق عليهم ولو تقدمت إقامتهم بالليل إقامتهم قطعة من النهار أهـ قوله: «الذين باتوا فيكم» قال ابن حجر: اختلف في سبب الاقتصار على سؤال الذين باتوا على الذين ظلوا قيل هو من باب الاكتفاء بذكر أحد المثلين عن الآخر كقوله تعالى ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾[1] أي وإن لم تنفع أهـ قوله: «فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم» قال الكرماني: أي بالمؤمنين أهـ وقال الحافظ ابن حجر قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير واستنطاقهم ما يقتضي التعطف عليهم وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون** ﴾[2] أي قد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم. أهـ.

وقال النووي: فهذا السؤال على ظاهره وهو تعبد منه لملائكته كما أمرهم بكتب الأعمال وهو سبحانه أعلم بالجميع أهـ قوله: «كيف تركتم عبادى» قال ابن أبي جمره[3] : وقع السؤال عن آخر الأعمال لأن الأعمال بخواتيمها قال: والعباد المسؤل عنهم هم المذكورون في قول الله تعالى ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾[4] أهـ. =

(١) سورة الأعلى آية (٩).

(٢) سورة البقرة آية (٣٠).

(٣) فتح الباري ٣/٢٢١.

(٤) سورة الأسراء آية (٦٥).

قوله: «تركناهم وهم يصلون» قال ابن حجر: لم يراعوا الترتيب الوجودي لأنهم بدأوا بالترك قبل الإتيان والحكمة فيه: أنهم طابقوا السؤال لأنه قال: كيف تركتم، وقال ابن المنير: الواو في قوله «وهم يصلون» واو الحال أي تركناهم على هذه الحال ولا يقال يلزم منه أنهم فارقوهم قبل انقضاء الصلاة فلم يشهدوها معهم والخبر ناطق بأنهم يشهدونها لأنا نقول هو محمول على أنهم شهدوا الصلاة مع من صلاها في أول وقتها وشهدوا من دخل فيها بعد ذلك ومن شرع في أسباب ذلك أهـ. قوله: «وأتيناهم وهم يصلون» قال الكرماني: «وأتيناهم» زادوا على الجواب إظهاراً لفضيلتهم وحرصًا على ذكر ما يوجب مغفرتهم كما هو وظيفتهم فيما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ أهـ قال الحافظ بن حجر: وقع في صحيح ابن خزيمه عن أبي هريرة في آخر هذا الحديث[1] «فاغفر لهم يوم الدين» فقال يستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات لأنه عنها وقع السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرها طائفة واحدة والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح وأن الأعمال ترفع آخر النهار فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وعمله والله أعلم.

(١) أخرجه ابن خزيمه في صحيحه ١/١٦٥ في الصلاة، ح٣٢٢.

مبحث: من عاد مسلمًا كان له خريف في الجنة

٢٥٣ ـ عن علي قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلمًا غُدْوَةً إلاّ صَلَّى عَلَيْه سَبعونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّة»**.

---

[٢٥٣] أخرجه الترمذي في سننه ٤/٤٣ في الجنائز باب ما جاء في عيادة المريض، ح٩٧٧ وقال: هذا حديث حسن وقد روى عن على هذا الحديث من غير وجه ومنهم من وقفه ولم يرفعه.

وأخرجه أبو داود في سننه ٨/٣٦٢ في الجنائز، باب فضل العيادة على الوضوء من طريق عبد الله بن نافع الذي تابع أبا فاخته سعيد بن علاقه عن علي موقوفا، ومن طريق عبد الرحمن بن أبي ليلة الذي تابع أبا فاخته سعيد بن علاقه عن علي مرفوعًا.

قوله: «خريف في الجنة» أي مخروف من ثمرتها وفي خرافة الجنة أي في اجتناء ثمرها أهـ نهايه ٢/٢٤.

قوله: «غدوة» المرة من الغدو وهو سير أول النهار نقيض الرواح هذه الغدوة وأما الغدوة بالضم: مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس أهـ ٣/٣٤٦.

وقوله: «عشية» العشي: من زوال الشمس إلى الصباح أهـ نهاية ٣/٢٤٢.

المعنى

يخبرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عداه عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح «أي ما من مسلم يزور أخا له في الله مريضا» أول النهار إلا قيض الله عز وجل له سبعين ألف ملك يدعون له بالمغفرة والخير حتى المساء وإن عاده بعد الزوال أو أول الليل دعوا له حتى الصباح قال الله =

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾[1] قال صاحب التحفة[2] في قوله ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة» بضم الغين مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس كذا قال ابن مالك والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال أهـ قلت هذا الظاهر الذي ذكره هو إذا كانت غدوه بفتح الغين كما بين ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية، وقوله «إلا صلى عليه» قال صاحب التحفة: أي دعا له بالمغفرة حتي يمسي «من الامساء» وإن عداة إن نافية بدلالة إلا ولمقابلتها ما «عشية» أي مابعد الزوال أو أول الليل «وكان له» أي للعائد «خريف في الجنة» أي بستان وهو في الأصل الثمر المجتني أو مخروف ثمر الجنه أهـ هذا إذا عاد أخاه المسلم ابتغاء مرضات الله تعالى فكيف إذا زاد على ذلك معونته وتفريج كربته وتيسير عسرته فسبحان ربنا أكرم الأكرمين والله أعلم.

---

(١) سورة غافر آية (٧).

(٢) تحفة الأحوذي ٤/٤٣، ٤٤.

مبحث: من رد عن عرض مسلم، جزاؤه رد النار عنه

٢٥٤ ـ عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: قال: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

٢٥٥ ـ وعن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ**».

---

[٢٥٤] أخرجه الترمذي في سننه ٥٨/٦ في البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن المسلم ١٩٩٦ وقال حديث حسن.

[٢٥٥] أخرجه أحمد في المسند ٤٦١/٦ وقال الهيثمي في الزوائد ٩٥/٨: رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن وقد ذكره عن أسماء أيضاً.

قوله: «عرض» بكسر العين المهملة: موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو من يلزمه أمره أهـ نهاية ٢٠٨/٣، ٢٠٩.

المعنى

يروي لنا أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» أي من دفع عن أخيه غيبته والنيل منه وإنتهاك حرمته في غيابه كان جزاؤه أن يدفع الله عز وجل عن وجهه النار يوم لا دافع لها إلا الجبار عز وجل وذلك من باب الجزاء من جنس العمل فكما دفع عن أخيه ورد غيبته وبرأه مما قيل فيه من بهتان وكذب وزور كافأه رب العالمين عز وجل بأن سلمه من النار وردها عنه يوم القيامة. قال تعالى ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون**﴾[1]، وفي حديث أسماء أيضاً رضي الله عنها ذب بمعنى رد ودفع عن لحم أخيه كان حق: وعداً على الله برحمته =

---

(١) سورة الأنعام آية (١٦٠).

مبحث: بر الوالدين لاسيما عند الكبر طريق ميسر للجنة

٢٥٦ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ» قيل من يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدَهُمَا، أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الجَنَّةَ».

= فإنه تعالى لا يجب عليه شئ إلا أن يوجبه على نفسه سبحانه أن يعتقه من النار فلا يدخلها أصلاً بل يحرره منها بفضله تعالى قال صاحب التحفة[1]: قوله «من رد عن عرض أخيه» أي منع غيبة أخيه «رد الله عن وجهه النار» أي صرف الله عن وجهه نار جهنم. قال المناوي أي عن ذاته العذاب وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان أهـ والله أعلم.

مبحث: بر الوالدين لاسيما عند الكبر طريق ميسر للجنة

[٢٥٦] أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٠٨ في البر والصله والآداب، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

قوله: «رغم أنف» أرغم الله أنفه: أي ألصقه بالرغام هو التراب هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره أهـ نهاية ٢/٢٣٨.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف» أي ذل وعجز وألصق أنفه بالتراب ثم ذل ثم ذل، هو دعاء من النبي ﷺ مع شفقة التحذير والتعليم والنبوة والانذار «قيل: من يا رسول الله» أي من المدعو عليه بذلك قال ﷺ: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» أي من عاش وعاش له أبوه وأمه حتى بلغا عنده سن الكبر فأصبح أبوه شيخا هرمًا وأمه أمرأةً عجوزًا فأتيحت له فرصة البر التام والمساعدة والعون والخدمة الكاملة =

---

(١) تحفة الأحوذي ٦/٥٨.

مبحث : من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه

٢٥٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبيﷺ يقول: «مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يرفُثْ ولَمْ يفسُقْ، رجعَ كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ».

= التي يسر الله عز وجل بها طرق الوصول إلى رضا الله عز وجل الذي به يسكن الجنة مع الصالحين وقد أوصى ربنا عز وجل كثيراً ببر الوالدين في غير ما موضع من كتابة، منه ما قاله ربنا عز وجل ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما** ﴾[1] وغير ذلك الكثير حتى جعل عقوقهما من الكبائر وبرهما من موجبات الجنة، قال النووي[2]: قوله ﷺ: «رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» قال أهل اللغة: معناه ذل وخزي وبفتح الغين وكسرها وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل، وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه ومعناه: أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه أهـ والله أعلم.

مبحث : من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه

[٢٥٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٤/٧ في الحج، باب فضل الحج المبرور، ح١٥٢١.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١١٩/٩ في الحج، باب فضل الحج والعمرة.

قوله: «يرفث» الرفث: الجماع ويطلق على التعريض به وعلى الفحش في القول أهـ فتح الباري ١٥٤/٧.

=

---

(١) سورة الأسراء آية (٢٣).

(٢) شرح مسلم ١٠٨/١٦، ١٠٩.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبيناﷺ أنه قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» أي من حج بيت الله الحرام ولم يأت بمخالفة شرعية فلا معصية ولا ماينافي الوقار والأدب كالكلام في الجماع ومقدماته رجع نقيًا من الذنوب كما ولدته أمه وعند مسلم: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» أي أصبح بلا ذنب يباعده عن الجنة ويقربه من النار لذلك قال ﷺ في الحديث[1] الآخر «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» وقال الله عز وجل ﴿**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج... الآية**﴾[2] قال الحافظ[3] : والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع وعزاه لعياض ثم قال عياض[4] : هذا من قوله تعالى ﴿**فلا رفث ولا فسوق**﴾ والرفث اسم للفحش من القول وقيل هو الجماع وهذا قول الجمهور في الآية أهـ قال الحافظ: والذي يظهر أن المراد به في الحديث ما هو أعم من ذلك وإليه نحا القرطبي وهو المراد بقوله في الصيام «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث» أهـ قلت وقول الجمهور أرجح ولا مانع من كونه في الحج والصيام والأعم هو الفسق قال الحافظ: ولم يفسق أي لم يأت بسيئة ولا معصيه قوله: رجع كيوم ولدته أمه أي بغير ذنب أهـ وقال النووي[4] ومعنى «كيوم ولدته أمه» أي بغير ذنب وأما الفسوق فالمعصية والله أعلم أهـ قال الحافظ: ويجوز أن يكون حالاً أي صار مشابهًا لنفسه في البراءة عن الذنوب في يوم ولدته أمه أهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم فالبخاري ٨/٨٢ في العمره ٩/١١٧ في الحج.

(٢) سورة البقرة آية (١٩٧).

(٣) فتح الباري ٧/١٥٥.

(٤) شرح مسلم ٩/١١٩.

مبحث: فيمن أزال الأذى ودخل الجنة

٢٥٨ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ».

---

[٢٥٨] أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٧١ في البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن طريق الناس.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس» سبحان الله تعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[١] هذا في ذنب وأيضًا في الطاعات كم من طاعة يستحقرها صاحبها لكن بفضل الإخلاص لله تعالى يربيها ربنا عز وجل له حتى تأتي يوم القيامة كالجبل قال الله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾[٢] وهذا الرجل الذي قطع الشجرة إرضاء لرب العالمين لعلمه أن الله تعالى يحب من يرحم المسلمين ويصرف الأذى عنهم وقد قال نبينا ﷺ «ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[٣] ولكنها صدقة ليس كما يظنه الناس إنما صدقة ﴿آتت أكلها ضعفين﴾ فأدخله الله تعالى بها الجنة حتى أصبح يتقلب فيها بقطعه شجرة مؤذيه لا شجرة مرضيه، قال النووي[٤]: هذه الأحاديث المذكورة في الباب ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق سواء كان الأذى شجرة تؤذي أو غصن شوك أو حجراً يعثر به أو قذراً أو جيفة وغير ذلك وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان كما سبق في الحديث الصحيح وفيه =

---

(١) سورة النور آية (١٥).

(٢) سورة البقرة اية (٢٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٩٧ في الجهاد، ح٢٩٨٩ باب من أخذ بالركاب.

(٤) شرح مسلم ١٦/١٧١.

مبحث: الصوم الخالص لله تعالى يباعد به من النار ويدخل به الجنة

٢٥٩ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**».

٢٦٠ - وعن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتَغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

= التنبيه على فضيله كل ما نفع المسلمين وأزال عنهم ضرراً، قوله ﷺ «رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق» أي يتنعم في الجنة بملاذها بسبب قطعه الشجرة أهـ والله أعلم.

مبحث: الصوم الخالص لله تعالى يباعد به من النار ويدخل به الجنة

[٢٥٩] أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٣١٤ في الجهاد باب فضل الصوم في سبيل الله.

أخرجه مسلم في صحيحه ٨/٣٣ في الصيام، باب فضل الصوم في سبيل الله.

وأخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٥٢ في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله ح١٦٧٣.

[٢٦٠] أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٩١ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٣٢٤، ٣/٦٦ رواه أحمد ورجاله موثقون.

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «من صام يوماً في سبيل الله» أي من اكرمه الله عز وجل وتفضل عليه بأن يسر له الخروج مجاهداً في سبيل الله تعالى فكما بينت بفضل الله تعالى في كتاب الجهاد أن عبارة «في سبيل الله =

= تعالى» عند جماهير المحدثين والمفسرين والفقهاء يراد بها الجهاد والمرابطه للعدو فإن جزاءه أن يكون ممن «باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا» أي اليوم الواحد لله تعالى صيامًا أثناء الغزو يباعد الله تعالى صاحبه عن النار سبعين سنه وإن زاد فالله أكرم وأعظم قال الله تعالى ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل او كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**﴾[1] فهذه المضاعفة في الصيام أيضًا من فضل الله الواسع العليم بالنيات، قال النووي[2] : قوله ﷺ «من صام يومًا في سبيل الله بّعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا» فيه فضيلة الصيام في سبيل الله وهو محمول على من لا يتضرر به ولا يفوت به حقًا ولا يختل به قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ومعناه المباعده عن النار والمعافه منها، والخريف السنة والمراد سبعين سنة أهـ والله أعلم.

وهذا الحديث يفيد أن من أصبح صائمًا أثناء الجهاد والغزو والمرابطة بّعده الله عن النار سبعين خريفًا، وعند مسلم (١/ب) «باعد» أي سبعين عامًا وجماهير العلماء على أنه في الجهاد فقد قال الحافظ[3]: قال ابن الجوزي: إذا اطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد، وقال ابن دقيق العيد: العرف الأكثر إستعماله في الجهاد فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين قال الحافظ: فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين أهـ وهناك رواية[4] عن عمرو بن عبسه مرفوعًا «من صام في سبيل الله يومًا بوعد من النار مسيرة مائة عام» فالفرق بين السبعين والمائة لعلها إما على قدر السير والراحله وإما على قدر إخلاص الصائم وجهده فلا معارضه. =

---

(١) سورة البقرة آية (٢٦١).

(٢) شرح مسلم ٣٣/٨.

(٣) فتح الباري ٣١٣/١١.

(٤) ذكره ابن حجر في المطالب العالية ٢٦٩/١ وعزاه لعبد بن حميد وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٦٣/٢ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

وأما الحديث الثاني فيبين فضل الصوم عامة في الجهاد وغيره إذا ابتغى صاحبه وجه الله العزيز الكريم ففيه «من صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة» أي من صام لله تعالى يومًا ولو واحدا بشرطين الأول أن يحتسب جيدًا بأن يريد بذلك اليوم أن يجعله الله تعالى في جملة الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[1] ، والثاني أن يكون آخر أعماله فالجزاء تعجيل دخول الجنة لأن مجرد الدخول لكل المؤمنين ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ والله أعلم.

---

(١) سورة القيامة آية (٢٢).

الفصل الرابع
فَضْلُ القُرآنِ الكَريمِ والذِّكْرِ والدُّعَاءِ

مبحث: رحمة النبيﷺ وشفقته وكرمه وفضل القرآن الكريم

٢٦١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضَمَّنِي رَسُولُ اللهِﷺ وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ».

[٢٦١] أخرجه البخاري في صحيحه ١/٢٦٦ في العلم، باب قول النبيﷺ: «اللهم علمه الكتاب» ح٧٥،

أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٢٤٩ في المناقب باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «اللهم علمه الحكمة» ح٣٧٥٦.

وأخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٢٧ في المناقب عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ح٣٩١٣.

المعنى

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(١) وقال عز وجل ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم.. الآية﴾(٢) فكان ﷺ أرحم الناس بأمته وأعظمهم شفقة ومكافأة لأصحاب المعروف فما رد سائلاً، وما منع نصيحة، وما بخل بمعروف، وما ادخر حاجة، وما جبن في لقاء، وما توارى عن محتاج، ففي الحديث «ما سئل النبيﷺ عن شئ قط فقال: لا» وفي حديث أبي سعيد الخدري أنّ ناساً من الأنصار سألوا رسول اللهﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده قال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله»(٣) بل كان يقبل الهدية ويكافئ عليها ومن =

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧). (٢) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٠٤ في الزكاة، باب فضل التعفف والصبر ح١٠٥٣/١٢٤.

أعظم عطاياه ﷺ هو الدعـاء ففي الدعاء يوكل المولى عـز وجل بالمكافأة بنفسـه فزاد الكرم إلى منتـهاه وهو ترك المكافـأة إلى من بيده ملكوت كل شـئ سبحـانه وفي هذا الحديث الذي أتكلم عنه بعون الله وتوفيقه يقول فيه ابن عباس وهو عبد الله بن عباس بن عبـد المطلب بن هاشم يكنى أبا العبـاس ابن عم النبيﷺ ولد قبل الهجـرة بثلاث سنين ومـات بالطـائف سنة ثمـان وستين من الهـجـرة، كـان من علـمـاء الصـحـابة رضـوان الله عليـهم، روى يعـقوب بن سـفيـان في تاريخـه باسناد صحيح عن ابن مسعود قال: «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل، وكان يقول نعم ترجمان القرآن ابن عباس»[٤].

لقد فـاز الحبر عبـد الله بن عباس بما لم يفز بـه غيره من التعرض لدعوة النبيﷺ حتى أصابته تلك الدعوة العظيمة الطيبة بما أكرمه الله تعالى به وابتدأه سبحانه بمنة منه ومنحـة من عنده وهي بلوغ ابن عبـاس مرتبـة سنية في الأدب والذكـاء، فقـد أخرج أحمـد عن ابن عبـاس في قيـامه خلف النبيﷺ في صـلاة الليل، وفيـه فقـال لي «ما بالك؟ أجـعلك حـذائي فتـخلفني؟» فـقلت: أو ينبـغي لأحـد أن يـصـلي حـذائك وأنت رسول الله، فدعا لي أن يزيدني فـهمًا وعلمًا»[٥] كذلك من أسباب هذا الدعاء ما أخرجه البخاري في صحيحه[٦] عن ابن عباس أن النبيﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضـوءًا قال: «مـن وضع هذا»؟ فأخـبـر فقـال: اللهم فـقـهه في الديـن وقد دعـا له النبيﷺ مرة بالكتاب ومرة بالحكمة فاحتمل تعدد الواقعة وقد روى الترمذي عن ابن عباس قـال: دعا لي رسـول اللهﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مـرتين[٧] قال ابن حـجر:

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٢٤٤ في الأدب ح٦٠٣٤ باب حسن الخلق والسخاء.

(٤) فتح الباري ١٤/٢٥٠.

(٥) هكذا ذكره ابن حجر في الفتح وعزاه لأحمد من طريق كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد وجدته بحمد الله تعالى عند أحمد في المسند ١/٣٣٠ من طريق كريب عن ابن عباس ولكن بلفظ «قال لي: ما شأنك؟ أجعلك حزائي فتنخنس؟ فقلت: يا رسول الله؟ أوينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله، الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا...» الحديث.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/١٨ في الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء ح١٤٣.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٢٧ في المناقب باب مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ح٣٩١٢.

والمراد بالكتاب القرآن لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه ثم قال يعني والمراد بالحكمة السنة ويؤيده روايه الشيخين «اللهم ففقه في الدين» أهـ قال شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالى: وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبيﷺ فيها، لما علم من حال ابن عباس في معرفة التفسير والفقة في الدين، رضي الله تعالى عنه. واختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا، فقيل القرآن كما تقدم، وقيل العمل به، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل الخشية، وقيل الفهم عن الله وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل نور يفرق بين الالهام والوسواس، وقيل سرعة الجواب مع الإصابة ثم قال: والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس الفهم في القرآن أهـ ولقد شهد له جهابذة علماء الصحابة رضي الله عنهم بذلك الخير الذي تفضل الله تعالى عليه به بدعوة رسول اللهﷺ.

فطوبى لابن عباس فقد أوتي خيراً كثيراً وهنيئًا لمن نهل من البحر الذي عاش فيه ابن عباس أو سبح على شاطئه قاصداً الوصول إلى نور الأصول وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** (٢٦٩) ﴾[٨] والله أعلم.

(٨) سورة البقرة آية (٢٦٩).

مبحث : فضل فاتحة الكتاب

٢٦٢ ـ عن أبي سعيد الخدري: قال : كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم وإن نَفَرَنَا غيب فهل منكم رَاقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فَرَقَاهُ فبرأ، فأمر له بثلاثين شاةً وسَقَانَا لَبَنًا، فلما رَجَعَ قلنا لَهُ: أكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً أو كُنْتَ تَرْقي؟ قال: لا، مَارَقَيْتُ إلا بأمِّ الكتَاب، قلنا: لا تُحْدِثُوا شَيْئًا حتَّى نَأْتِي أَوْ نَسْأَلَ النَّبيَّ ﷺ فَلمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ للنَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيه أَنَّهَا رُقْيَةٌ، اقْسِمُوا واضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**».

---

[٢٦٢] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠/١٠ في الإجازة، باب ما يعطي في الرقية ح٢٢٧٦.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٦٥/١٩ في فضائل القرآن الكريم ح٥٠٠٧ واللفظ له.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨٨/١٤ في السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار.

قوله: «سليم» أي لديغ وقيل إنما سمى سليمًا تفاؤلاً بالسلامة أهـ نهاية ٣٩٦/٢.

قوله: «نأبنه» أبنت الرجل إذا رميته بخلة سوءٍ أهـ نهاية ١٧/١ وهنا بمعنى النسبة بالشئ والرمى به.

قولها: «نفرنا» جمع نفر وهم رهط الإنسان وعشيرته أهـ نهاية ٩٣/٥.

قولها: «غيب» بفتح الغين بعدها ياء مثناه تحتيه مفتوحه أخرها موحده تحتيه: قال ابن الأثير: «وإن نفرنا غيب» أي إن رجالنا غائبون أهـ نهاية ٣٩٩/٣.

المعنى

حقًا إنها أعظم سورة في القرآن الكريم هى أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وخصها تعالى بذلك فقال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿**ولقد ءاتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**﴾[1] هي الراقية هي الوافية هي الفاتحة. يقول أبو سعيد رضي الله عنه «كنا في مسير لنا فنزلنا» قال الحافظ ابن حجر[2] : لم أقف على اسم أحد منهم سوى ـ

---

(١) سورة الحجر آية (٨٧).
(٢) فتح الباري ٢١/١٠، ٢٤.

= أبي سيعد وليس في سياق هذه الطريق ما يشعر بأن السفر كان في جهاد أهـ قوله: فجاءت جارية فقالت أن سيد الحي سليم وأن نفرنا غيب» قال ابن الأثير[٣] السليم: اللديغ يقال سلمته الحية أي لدغته، وقيل إنما سمى سليمًا تفاؤلاً بالسلامة، كما قيل للغلاة المهلكة مفازة أهـ «وإن نفرنا غيب» قوله «نفرنا» قال ابن الأثير[٤] : جمع نفر وهم رهط الإنسان وعشيرته وهو اسم جمع، يقع على جماعة من الرجال خاصة مابين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظ وقال[٥] «وإن نفرنا غيب» أي إن رجالنا غائبون أهـ قوله: «فهل منكم راق» وفي رواية الإجارة فهل عند أحد منكم من شئ يعني ينفع المريض كما في رواية أبي داود «ينفع صاحبنا»[٦] قوله: «فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية» أي ما كنا نصفه بأنه صاحب رقيه يستطيع أن يرقي مريضًا قال الإمام النووي[٧] : وهذا الراقي هو أبو سيعد الخدري الراوي أهـ قوله: «فرقاه فبرأ» في رواية الإجارة: «فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه» فهذه فسرت الرقية والشفاء وبما رقى فقد رقى بالشافيه الكافية أم القرآن العظيم الفاتحة بـ ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ قوله: «فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا» وكانوا قد اتفقوا على ذلك واشترطوه لبخلهم بضيافتهم أولاً ففي رواية الإجارة: «فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه» وأما مقداره فبينته رواية مسلم[٨] : «فأعطي قطيعٌ من غنم» قال النووي: «فلمارجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال لا مارقيت إلا بأم الكتاب» فيه تأكيد لقولهم =

(٣) النهاية ٢/٣٩٦.

(٤) النهاية ٥/٩٣.

(٥) النهاية ٣/٣٩٩.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ١٠/٣٩٣ ح٣٨٨٢.

(٧) شرح مسلم للنووي ١٤/١٨٧.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤/١٨٧ في السلام.

= في أول الحديث «ما كنا نأبنه برقية» وقد بينت رواية الإجارة كيفية الرقية ففيها فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ قال ابن أبي جمرة: محل التفل في الرقية يكون بعد القراءة لتحصيل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريق فتحصل البركة في الريق الذي يتفله أهـ قوله: «قلنا لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي أو نسأل النبيﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبيﷺ» وقد بينت رواية الإجارة من الممتنع أصلاً من قربها حتى سؤال النبيﷺ ففيها «فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي النبيﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا» فيه ما كان عليه أصحاب النبيﷺ ورضي عنهم من الأدب والورع والإنقياد في كل شئ للشرع الحنيف. قال ابن حجر: قوله «فتنظر ما يأمرنا» أي فنتبعه ولم يريدوا أنهم يخيرون في ذلك أهـ قوله: «فقال ﷺ: وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم» قال النووي: فيه التصريح بأنها رقية فيستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات، قوله ﷺ: «اقسموا واضربوا لي بسهم» قال: هذا تصريح بجواز أخذ الأجرة على الرقية بالفاتحة والذكر وأنها حلال لا كراهه فيها وكذا الأجر على تعليم القرآن الكريم وهذا مذهب الشافعي ومالك وأحمد وإسحاق وأبي ثور وآخرين من السلف ومن بعدهم، وأما قولهﷺ «واضربوا لي بسهم معكم» في الرواية الأخرى «اقسموا واضربوا لي بسهم» فهذه القسمة من المروءات والتبرعات ومواساة الأصحاب والرفاق وإلا فجميع الشياه ملك للراقي مختصة به لا حق للباقين فيها عند التنازع فقاسمهم تبرعًا وجوداً ومروءة وأما قولهﷺ «واضربوا لي بسهم» فإنما قاله تطييبًا لقلوبهم ومبالغة في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه أهـ ﷺ تسليمًا كثيرًا عدد خلقه وزنة عرشه ورضاء نفسه ومداد كلماته.

مبحث : في فضل القرآن يوم القيامة

٢٦٣ ـ عن بريدة قال: كُنْتُ جَالساً عند النَّبيِّ ﷺ فسمعتُه يقولُ: «تَعلَّموا سُورَةَ البَقرَة فإنَّ أَخْذَها بَرَكَةٌ وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا يَسْتَطيعُها البَطَلَةُ» قال: ثم مَكَثَ ساعةً ثم قال: «تَعلَّموا سُورَةَ البَقرَة وآلَ عمْرَانَ، فإنَّهما الزَّهْرَاوَان يُظلاَّن صَاحِبَهما يومَ القيامة كأنَّهما غَمامَتَان أو غَيَابَتَان أَوْ فِرْقَان من طَيرٍ صَوافَّ، وَإنَّ القُرآنَ يَلْقَى صَاحبَهُ يومَ القيامة حين يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِب فيقولُ له: هَلْ تعرِفُني؟ فيَقُولُ: مَا أعْرِفُكَ فيقُولُ لَهُ: هَلْ تَعرِفُني؟ فيَقُولُ: ما أعْرِفُكَ فيقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ القُرآنُ الَّذي أَظْمَأْتُكَ في الهَوَاجر، وأَسْهَرْتُ لَيلَك، وَإنَّ كُلَّ تاجرٍ منْ وَرَاء تجَارَته، وإنَّك اليَوْمَ منْ وَرَاء كُلِّ تجارةٍ، فَيُعْطَى المُلْكَ بيَمينه، والخُلْدَ بشماله، ويُوضَعُ عَلَى رَأْسه تَاجُ الوَقَار، وَيُكْسَى وَالداهُ حُلَّتَيْن لايَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيا، فيقولان بِمَ كُسينا هَذه؟ فيُقَالُ: بأخْذ وَلَدكُما القُرآن، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: إقْرَأْ واصْعَدْ في دَرَجة الجَنَّة وَغُرَفها، فَهُوَ في صُعُودٍ مَادَامَ يَقْرأُ هَذّاً كَانَ أَوْ تَرْتيلاً».

---

[٢٦٣] أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣٤٨ بطوله واللفظ له.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٩/٣٣٠ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم أوله في المستدرك ١/٥٦٠/٤٧٨ وفضائل القرآن ح٢٠٥٧ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قوله: «البطلة» بفتح الباء الموحدة بعدها طاء مهمله مفتوحتين بعدها لام مفتوحة وآخرها هاء قيل: هم السحرة أهـ نهاية ١/٢٣٦.

قوله: «الزهروان» أي المنيرتان: واحدتها زهراء أهـ ٢/٣٢١.

قوله: «فرقان» أي قطعتان أهـ نهاية ٣/٤٤٠.

قوله: «صواف» أي باسطات أجنحتها في الطيران أهـ ٣/٣٨.

قوله: «الشاحب» المتغير اللون والجسم لعارض من سفر أو مرض ونحوهما أهـ نهاية ٢/٤٤٨.

قوله: «درج» جمعه أدراج وهو الطريق أهـ نهاية ٢/١١١.

قوله: «هَذًّا» الهذ: سرعة القطع أراد أتهذ القرآن فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر أهـ نهاية ٥/٢٥٥ وقد ذكر تلك المقوله لتفسير الهذ بأنه سرعة القراءة والله أعلم.

المعنى

يخبرنا بريدة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «تعلموا البقرة» أي سورة البقرة التي قال فيها النبي ﷺ «أقرؤا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتًا يقرأ فيه سورة البقرة»[1] قوله «فإن أخذها بركة أي حفظها وتعلمها بركة على صاحبها» وتركها حسرة «**أي ندامة في الدارين على ما فاته من الخير لو كان أتاه» ولا** تستطيعها البطلة «أي لا تؤثر السحرة بنعمة الله تعالى فيمن كانت البقرة معه يداوم على قراءتها وحفظها وعلمها» قال: ثم سكت ساعة «أي بعض الوقت» ثم قال ﷺ: «تعلموا البقرة وآل عمران» أي ثم حث ﷺ على **تعلم سورة البقرة وآل عمران معا** بعد أن تكلم ﷺ على فضل البقرة وحدها أضاف إليها صاحبتها وبين فضل الاثنين معا فقال ﷺ: «فإنهما الزهروان أي المنيرتان المضيئتان يوم لانور على الصراط إلا نور أعمال المؤمنين أما المنافقون فلا نور لهم على الصراط فهم يلتمسون النور من المؤمنين =

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٦١/٧٤٩ ح٢٠٦٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

= قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[1] فالمؤمن يمشي في أنوار أعماله وأعظمها نور البقرة وآل عمران الزهراوان وأيضا فضلاً عن أنهما «يظلان صاحبهما يوم القيامة» أي من الشمس كالسحاب المظلل على رأس صاحبه حين يشتد قربها وحرارتها بعد دنوها منه حيث تدنو الشمس من العباد حتى تكون منهم كقدر الميل ففي تلك الشدة العظيمة لقرب الشمسْ التي لا يطاق حرها في الدنيا مع بعدها فكيف وهي قريبه ميلاً فوق رؤس الخلائق فاللهم سلم سلم فحينئذ تكون البقرة وآل عمران «كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف» أي قطعتان من الطير المصطف المظلل على صاحبه زاد أحمد[2] في رواية «تجادلان عن صاحبهما» أي يدافعان عنه ويردان عنه ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[3] فاللهم سلم قلوبنا بالفاتحة والبقرة وآل عمران وما بعدهما إلى آخر القرآن يا رحمن.

قوله «وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامه حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب» أي يأتيه القرآن الكريم الذي حفظه وقرأه وعمل به كالرجل المتغير اللون أثر السهر والصوم ممثلاً ما قدمه في حياته يأتيه أحوج ما يكون إلى الصاحب والأنيس والمعين ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾[4] لكن القرآن الكريم لا يفر منه وشأنه أن يكون معه فلا أب ولا أم ولا أخ ولا ابن ولا بنت ولا زوج ينفع لكن يفرون ويبقى كلام الرحمن يشفع لتنزل رحمة =

(١) سورة الحديد آية (١٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٢/٥.

(٣) سورة الشعراء آية (٨٨)، (٨٩).

(٤) سورة عبس آية (٣٤) إلى (٣٧).

= أرحم الراحمين «فيقول: هل تعرفني فيقول أي الرجل المسلم ما أعرفك فيقول أي القرآن أنا صاحبك القرآن» فوالله لنعم الصاحب لقد فر أقرب الناس، قوله «الذي أظمأتك في الهواجر» أي أصابك العطش بسبب قراءتي وقت الحرور نصف النهار «وأسهرت ليلك لتقرأني وتصلي بي» وإن كل تاجر من وراء تجارته فكل من اشترى بعمله شيئا يأتيه ناتج عمله وثوابه إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال ابن الأثير[1] : يتجر: يفتعل من التجارة لأنه يشترى بعمله الثواب أهـ «إنك اليوم من وراء كل تجارة» فأنت أمام كل تاجر وأربحهم وأسبقهم إلى درجات الخير العالية» فيعطي الملك بيمينه أي في الجنة قال تعالى ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء**﴾[2] فملك الدنيا والآخره المعطي له هو الرحمن عز وجل مالك الملك والخلد بشماله ليزداد اطمئنانًا لما هو فيه من النعيم فأول ما يخطر ببال صاحب النعيم ويهمه هو حفظ ذلك النعيم ودوامه فالله تعالى يطمئنه عليه بإعطائه له في يده ليزداد نعيما فوق نعيم قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾**﴾[3] قوله ﷺ: «ويوضع على رأسه تاج الوقار»، قال ابن الأثير[4] : الوقار: الحلم والرزانة ومنه الحديث «يوضع على رأسة تاج الوقار» أهـ وقوله «ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا» قال ابن الأثير[5] : الحله واحدة الحلل ولا تكون حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد أهـ لكن هذا في الجنة وما أدراك ما حلل الجنة ما فيها شبه بحلل الدنيا إلا اسمها فيكسى الوالدان لصاحب القرآن تلك الحلتين بما أخذ ابنهما لا بعمل لهما غير ذلك لذلك =

(١) نهاية ١/١٨٢.
(٢) سورة آل عمران آية (٢٦).
(٣) سورة لقمان آية (٨)، (٩).
(٤) نهاية ٥/٢١٣.
(٥) نهاية ١/٤٣٢.

مبحث : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته

٢٦٤ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ من النَّاس» قالوا: مَنْ هم يا رسولَ الله؟ قال: «أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وخاصَّتُه».

= فهما يتعجبان من نعيم حل بهما لم يعلما من أي الأعمال أجرا عليه فليس لهما عمل يبلغ بهما ذلك لذلك قال ﷺ «فيقولان بما كسبنا هذا» أي بأي عمل كسبنا تلك الكسوة العظيمة «فيقال: بأخذ ولدكما القرآن» أي بحفظ وتعلم ولدكما القرآن «ثم يقال» أي للحافظ نفسه «إقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها» أي على قدرما قرأت تصعد في طرق الجنة ومساكنها العالية قال الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1] قال: فهو في صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلا أي على قدر ما كان يقرأ في الدنيا يصعد في درج الجنة سواء كانت القراءة بإسراع أو بترتيل فاللهم ارزقنا من فضلك وثبتنا على الخير حتى نلقاك عليه يارب العالمين والله أعلم.

مبحث : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته

[٢٦٤] أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٦/٧٤٣ في فضائل القرآن، ح٢٠٤٦.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ١/٧٨ في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، ح٢١٦.

وذكره المنذري في الترغيب وعزاه للنسائي وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده ٢/٢١٠.

وأخرجه أحمد في المسند ٣/١٢٧، ١٢٨. =

---

(١) سورة الفرقان آية (٧٥، ٧٦).

مبحث : قوله تعالى ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾

٢٦٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ اللهﷺ يقولُ: **«تَفْضُلُ صَلاَةُ الجَمِيعِ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً، وَتَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.**

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «إن لله أهلين من الناس» كما قال تعالى ﴿ **يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين الآية** ﴾[1] «قالوا: من هم يا رسول الله» أي من هم الذين نالوا تلك المرتبة العظيمة بقربهم من الله تعالى خالقهم ورازقهم يحبهم ويحبونه قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» أي أقرب الناس إلى الله تعالى وأحبهم إليه بعد أنبيائه أهل القرآن الذي أحبوه وتعلموه وحفظوه وقرأوه وتدارسوه وعلموه ودعوا به وإليه، وعملوا بما فيه فهم أهل الله وأصحاب مودته وأهل رحمته ورأفته وكرامته الذي ينعمهم ربنا تعالى ولا يعذبهم كما قال أبو أمامه الباهلي رضي الله عنه قال: اقرؤا القرآن، ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لن يعذب قلباً وعى القرآن»[2] ا.هـ والله أعلم.

مبحث : قوله تعالى ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾

[٢٦٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٦ في الصلاة كتاب أبواب الجماعة والإمامة باب فضل صلاة الفجر في جماعة ح٦٤٨.

أخرجه مسلم في صحيحه ٥/١٥١ في الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة =

---

(١) سورة المائدة آية (٥٤).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٢/٥٢٤ في فضائل القرآن ح٣٣١٩.

= والتشديد في التخلف عنها.

المعنى

يخبر نبيناﷺ أن صلاة الجماعة تفضل صلاة المنفرد بخمس وعشرين جزءًا وأن ملائكة الليل تصعد إلى السماء في صلاة الفجر في حين تنزل ملائكة النهار أيضًا في صلاة الفجر فيجتمعون في ذلك الوقت الطيب العظيم ثم يصعدون فيسألهم ربهم عن أعمال عباده وهو أعلم ويزيد هذا الحديث وضوحًا الحديث الذي رواه أبوهريرة أن رسول اللهﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهو يصلون وأتيناهم وهو يصلون»[1] .

قوله «تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءًا» وفي رواية «بسبع وعشرين» وجمع بينهما النووي[2] بأوجه منها أن يكون أخبر أولاً بالقليل ثم أعلمه الله تعالى بزيادة الفضل فأخبر بها، ومنها: أنه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة فيكون لبعضهم خمس وعشرون ولبعضهم سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ومحافظتهم على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلهم و شرف البقعة و نحو ذلك أهـ.

وقوله: «وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» قال القسطلاني[3]: لأنه وقت صعودهم لعمل الليل ومجيئ الطائفة الأخرى لعمل النهار، =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٨/٣، في الصلاة، مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ح٥٥٥.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٥١/٥.

(٣) إرشاد الساري ٢٨/٢.

= «ثم يقول أبو هريرة» مستشهداً لذلك فاقرءوا إن شئتم» قوله تعالى ﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾ قال تشهده الملائكة أهـ وقد أخرج الترمذي[1] بسند صحيح عن النبيﷺ في قوله تعالى ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

وقال الحافظ ابن حجر[2] : وقال ابن عبد البر: الأظهر أنهم يشهدون معهم الصلاة في الجماعة واللفظ محتمل للصلاة وغيرها أهـ ثم قال: قال عياض: والحكمة في إجتماعهم في هاتين الصلاتين من لطف اللهتعالي بعباده واكرامه لهم بأن جعل اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة أهـ قال الحافظ ابن حجر: وفيه الإشارة إلي عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفى غيرهما طائفة واحدة والاشارة الى شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وعمله والله أعلم، ويترتب عليه حكمة الأمر بالمحافظة عليهما والإهتمام بهما، وفيه تشريف هذه الأمة وغيرها ويستلزم تشريف نبيها ﷺ علي غيره وفيه الإخبار بالغيوب ويترتب عليه زيادة الإيمان، وفيه الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتي نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا أهـ فالله الحمد حمداً كثيراً مباركًا فيه عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥٦٩/٨ عن أبي هريرة مرفوعًا ح٥١٤٢.

(٢) فتح الباري ٢١٩/٣.

مبحث: من داوم ذكر الله تعالى فقد استمسك بما ينجو به

٢٦٦ ـ عن عبدالله بن بسر أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائعَ الإسلام قَدْ كَثُرَتْ، عَلَيَّ فَأَخْبِرْني بشيءٍ أَتَشَبَّثُ به، قال: «لايَزَالُ لسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله».

---

[٢٦٦] أخرجه الترمذي في سننه ٣١٤/٩، في الدعوات، باب ما جاء في فضل ذكر الله، ح ٣٤٣٥ وقال حسن غريب.

قوله: «أتشبث به» الشَّبْثُ بالشيء: المُتَعَلِّقُ به أهـ نهاية ٤٣٩/٢.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن شرائع الإسلام كثرت علي فأخبرني بشئ أتشبث به. أي يا رسول الله صلى الله عليك أن أعمال الخير من النوافل تكاد لاتحصى ذكرًا وصلاةً وصيامًا وحجًا وصدقة وجهاداً وعلمًا وصلة وبرًا ونصيحة، فعلمني شيئاً أطيقه أتعلق به مع الفرائض أداوم عليه أدخل به الجنة إن شاء الله تعالى، فعلمه ﷺ بأبي هو وأمي ونفسي ما يناسبه وما يطيقه مما يليق بحاله بنورنيات النبوة وارهاصاتها، أن فلانًا يصلحه كذا والآخر يصلحه كذا، فقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله» أي لا تزال تذكر حتى يجري ريقك بذكر الله تعالى ولا يجف وهذا دليل على عدم الإنقطاع عن ذكر الله تعالى إلا لضرورة كطعام وشراب ونحوهما من الضروريات التي يقطع معها ذكر اللسان، قال الله تعالى﴿ يا أيها الَّذين آمَنوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذكْرًا كثيرا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلاً ﴾[1] وقال تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾[2] وقال تعالى﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[3] قال صاحب التحفة[4]:

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤١)، (٤٢).

(٢) سورة آل عمران آية (١٩١).

(٣) سورة الرعد آية (٢٨).

(٤) تحفة الأحوذي ٣١٥/٩.

= قوله: «إن شرائع الإسلام» قال القاري: الظاهر أن المراد بها هنا النوافل لقوله: «قد كثرت علي» بضم المثلثة وبفتح أي غلبت علي بالكثرة حتى عجزت عنها لضعفي «فأخبرني بشيء» قال الطيبي: «التنكير في شئ للتقليل المتضمن معنى التعظيم كقوله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾[٥] ومعناه أخبرني بشئ يسير مستجلب لثواب كثير «أتشبث به» أي أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه بترك شرائع الإسلام رأسًا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه قال الطيبي: «قال: لا يزال» أي هو إنه لا يزال «لسانك رطبًا من ذكر الله» أي طريًا مشتغلاً قريب العهد منه وهو كناية عن المداومة على الذكر أهـ ملخصاً والله أعلم.

(٥) سورة التوبة آية (٧٢).

مبحث: إن الله عز وجل يباهي بالذاكرين

٢٦٧ ـ عن معاوية قال: إن رسول الله ﷺ خرجَ على حلقةٍ من أصحابِهِ فقال: «مَا أَجْلَسَكُمْ» قالوا جلسنَا نذكُرُ اللهَ ونَحْمَدُهُ على مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ بِهِ علينَا، قال: «اللهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ» قالوا: واللهِ ما أجلسنَا إلا ذَاكَ قال: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهَمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ».

---

[٢٦٧] أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢/١٧، ٢٣ في الذكر والدعاء، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن والذكر.

وأخرجه النسائي في سننه ٢٤٩/٨ في القضاة والأدب، باب كيف يستحلف الحاكم.

وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢٦٢/١ في المساجد، باب لزوم المساجد وإنتظار الصلاة، و ١٠٠٢/٢ في المناسك باب الدعاء قوله: «تهمة» بفتح الهاء» وإسكانها من الوهم والتاء بدل من الواو واتهمته به إذ ظننت به ذلك أهـ نووي ٢٣/١٧.

المعنى

قال الله عز وجل﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وأجْراً عَظِيماً ﴿٣٥﴾ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كثيراً ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ... الآية ﴾[3] والآيات في ذكر الله كثيرة ومن الأحاديث هذا الحديث العظيم الذي يرويه =

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٥).

(٢) سورة الأحزاب آية (٤١، ٤٢).

(٣) سورة آل عمران آية (١٩١).

= معاوية رضي الله عنه فيقول: إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه «الحلقة جمعها حلق مثل قصعة وقصع وهي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيره قاله ابن الأثير[1] أهـ قوله: فقال ﷺ: «ما أجلسكم» سألهم إستفساراً عن سبب الجلوس الذي نالوا من أجله تلك المرتبة العظيمة وهي مباهاة الملك عز وجل بهم الملائكة. قوله: «قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده» هو من عطف الخاص على العام لأن الحمد لله هو ذكر الله عز وجل والذكر يشمل الحمد وغيره قوله: «على ما هدانا للإسلام ومن به علينا» هو متعلق الحمد أن نحمده ونشكره على نعمة هدايته لنا للدخول في الإسلام والعمل بتعاليمه وشرائعه ونحمده على أن من بالإسلام علينا كما قال تعالى ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾[2] قوله: «قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك» يستحلفهم ﷺ راضياً عن إخلاص النية في جلوسهم ذلك المجلس العظيم الذي تحبه الملائكة وتحفه قوله: «قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك» أقروا إستحلافه ﷺ وحلفوا أبداً بلا إعتراض ولا ضجر لذلك بين لهم إنه لم يستحلفهم إتهاماً لنيتهم وإخلاصهم فقال ﷺ: «أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم» قال النووي[3] في «تهمة» هي بفتح الهاء وإسكانها وهي فعلة من الوهم والتاء بدل من الواو واتهمته به إذ ظننت به ذلك أهـ قوله ﷺ: «ولكنه أتاني جبريل فأخبرني إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة؟ قال النووي : معناه يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم وأصل البهاء الحسن والجمال وفلان يباهي بماله أي يفخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم أهـ والله أعلم.

---

(١) نهاية ١/٤٢٦.

(٢) سورة الأعراف آية (٤٣).

(٣) شرح مسلم ١٧/٢٣.

مبحث : سبحان الله العظيم وبحمده غراس نخل الجنة

٢٦٨ ـ عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**».

---

[٢٦٨] أخرجه الترمذي في سننه ٤٣٣/٩ في الدعوات ح ٣٥٣١ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح.

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» أي إذا قالها مرة غرست نخلة، فإن قالها مائة غرست له مائة نخلة في الجنة لا تشبه نخلة الدنيا إلا في إسمها فقط. سبحان الله تعالى والله أكبر والحمد لله كثيراً فكيف بالأعمال العظيمة الكبيرة الثقيلة فكفى بنعيم الله تعالى في الجنة مكافأة لأهل الإيمان والعمل الصالح أن يقول فيه ربنا عز وجل ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1] وهذا الذكر العظيم يحبه ربنا تعالى ويعطي عليه الأجر الجزيل فقد قال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[2] وقد ختم به الإمام البخاري صحيحه المبارك الطيب فنعم الخاتمة ونعم المختوم ونعم المختوم به. قال الحافظ[3] في معنى «سبحان الله» معناه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرزائل ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر ويطلق به ويراد به صلاة النافلة أهـ قال في موضع[4] آخر عن قوله ﷺ: «وبحمده»: قيل =

---

(١) سورة السجد آية (١٧).

(٢) آخر حديث في صحيح البخاري ٣٤١/٢٨ في التوحيد ٧٥٦٣ فنعم الخاتمة ونعم المختوم به.

(٣) فتح الباري ٢٤٢/٢٣.

(٤) فتح الباري ٣٤٢/٢٨.

مبحث: الحوقلة من كنوز الجنة

٢٦٩ - عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ».

= الواو للحال والتقدير يسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه أهـ وقال في التحفة(١) قوله: «سبحان الله العظيم وبحمده» قيل الواو زائدة أي تسبيحًا مقرونًا بحمده أهـ ورأي الحافظ أرجح وقوله «غرست له» قال صاحب التحفة: بصيغة المجهول يقال، غرست الشجرة غرسًا وغرسًا إذا نصبتها في الأرض «النخلة» أي غرست له بكل مرة نخلة « في الجنة» أي المعدة لقائلها خصت لكثرة منفعتها وطيب ثمرتها ولذلك ضرب الله تعالى مثل المؤمن وإيمانه بها وثمرتها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾(٢) وهي كلمة التوحيد ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة أهـ والله أعلم.

مبحث: الحوقلة من كنوز الجنة

[٢٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/٣٣٣ في القدر كتاب لاحول ولا قوة إلا بالله ح ٦٦١٠.

أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/٢٦ في الذكر والدعاء باب إستحباب الإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

أخرجه أحمد في المسند ٤/٤٠٠.

المعنى

يخبرنا أبو موسى رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «يا عبد الله ابن قيس ألا أعلمك كلمة هي كنز من كنوز الجنة» أي ألا أخبرك بكلمة هي كنز في الجنة من =

---

(١) تحفة الأحوزي ٩/٤٣٣.

(٢) سورة إبراهيم آية (٢٤).

= أنواع الكنوز التي هي فيها فهي تؤدي إلى عظيم الثواب الذي يجعل صاحبه صاحب نعيم عظيم في الجنة إن شاء الله تعالى، وعبد الله بن قيس هو اسم أبي موسى وكنيته أبو موسى زاد مسلم: «قلت ما هي يا رسول الله»؟ أي ما هي الكلمة التي هي الكنز بأبي أنت يارسول الله؟ قوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله» أي الإكثار من هذه الكلمة الطيبة والمقصود الجملة كلها يسبب ثوابًا في الجنة كأنه كنز، ومعناه ما قاله الحافظ [1] : لا تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة له على طاعة الله إلا بتوفيق الله، وقيل «لا حول» لا حيلة أهـ وقال في موضع آخر[2] : وقوله: «لا حول» يجوز أن يكون في موضع جر على البدل من قوله: «على كنز» وفي موضع نصب بتقدير أعني، وفي موضع رفع بتقدير هو أهـ وقال النووي[3] : قوله ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة» قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى وإعتراف بالإذعان له وإنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة أي لا حركة ولا إستطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى وقيل معناه لا حول في دفع الشر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله وقيل لا حول عن معصية إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعاونته وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وكله متقارب قال أهل اللغة: ويعبر عن هذا بالحوقلة والحولقة أهـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٣٣٢/٢٤.

(٢) فتح الباري ٢٢١/٢٣.

(٣) شرح مسلم ٢٦/١٧.

مبحث : قول النبي ﷺ : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن »

٢٧٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **كَلِمَتَانِ حَبِيبتَانِ إِلَى الرَّحمنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ** ».

---

[٢٧٠] أخرجه البخاري خاتمًا به آخر الصحيح المبارك ٣٤١/٢٨ في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾ ح٧٥٦٣.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٣١/١٧ في الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ح٢٦٩٤.

وأخرجه أحمد في المسند ٢٣٢/٢.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن» أي يحبهما الله تعالى ويحب قائلهما لتلفظه بما يحب ويرضى عنه سبحانه وكفى بهما رفعة وعظمه وأجرًا لقائلهما أن ملك الملوك يرضيه ذلك ويحبه حبًا يليق بجلاله عز وجل، قال الحافظ[1] أحمد بن حجر وفي قوله «كلمتان» إطلاق كلمة على الكلام وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة وقوله «كلمتان» هو الخبر و«حبيبتان» وما بعدها صفة والمبتدأ سبحان الله إلى آخره، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقًا وقوله: «حبيبتان» أي محبوبتان والمعنى محبوب قائلهما أهـ وهما أيضًا محبوبتان إلى ربنا عز وجل كما قال نبينا ﷺ وقوله: «خفيفتان على اللسان» أي لا يشق عليه الحركة بتكرارهما فضلاً عن مجرد النطق =

---

(١) فتح الباري خاتمه الشرح المبارك ٣٤٢/٢٨.

= بهما بل لعله يلتذ بذلك وإذا خرج عن قلب مؤمن مصدق يقظ يحب خالقه المتلفظ بذكره زاد إيمانه وشعر بحلاوة الذكر والمناجاة لذلك مدح الله عز وجل الذكر والذاكرين كثيراً في كتابه العزيز قال تعالى ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴿٣٥﴾﴾(١) وقال تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾(٢) قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم(٣) : قد أمر الله المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ومدح من ذكره وأن الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً فمن أكثر ذكر الله فقد باينهم في أوصافهم ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله تعالى وأن لا يلهى المؤمن عن ذلك مال ولا ولد وإن من ألهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين ثم قال رحمه الله: المحب إسم محبوبه لا يغيب عن قلبه، فلو كلف أن ينسى ذكره لما قدر، ولو كلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر كيف ينسى المحب ذكر حبيب اسمه في فؤاده مكتوب.

كان بلال كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول: «أحد أحد»، فإذا قالوا له قل واللات والعزى قال: «لا أحسنه»، يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل. كلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه الله الله، ولهذا يلهم الله أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس، وتصير لا إله إلا الله لهم كالماء البارد لأهل الدنيا، كان الثوري ينشد: لا لأني أنساك أكثر ذاكرك لكن بذاك يجري لساني أهـ قال الحافظ: قوله «خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان» وصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب وقوله «خفيفتان» فيه إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما =

(١) سورة الأحزاب آية (٣٥).

(٢) سورة البقرة آية (١٥٢).

(٣) جامع العلوم والحكم ص٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩.

= ورشاقتهما وفي هذه الألفاظ الثلاثة سجع مستعذب قال الطيبي: الخفة مستعارة للسهولة وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الأمتعه فلا تتعبه كالشئ الثقيل وهذه سهلة عليه مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاقة من التكاليف وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة؟ فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها - أي غالبًا - فثقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها أهـ بتصرف يسير قوله: «سبحان الله وبحمده» قال الحافظ[1] في معنى «سبحان الله» معناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر ويطلق ويراد به صلاة النافلة أهـ قوله «وبحمده» قال الحافظ: قيل الواو للحال والتقدير: أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه وقيل عاطفة والتقدير: أسبح الله واتلبس بحمده أهـ قوله «سبحان الله العظيم» أي أنزه الله عز وجل متلبسًا بحمده على نعمه وأنزهه سبحانه إنه هو الله العظيم.

قال الكرماني صفات الله وجودية كالعلم والقدرة وهي صفات الاكرام، وعدميه كلاشريك له ولا مثل له وهي صفات الجلال، فالتسبيح إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام وترك التقييد مشعر بالتعميم - أي في التسبيح العام - والمعنى أنزهه عن جميع النقائص وأحمده بجميع الكمالات قال: والنظم الطبيعي يقتضي تقديم التخلية على التحلية، فقدم التسبيح الدال على التخلي على التحميد الدال على التحلي وقدم لفظ «الله» لأنه اسم الذات المقدسة الجامع لجميع الصفات والأسماء الحسنى ووصفه بالعظيم لأنه الشامل لسلب مالا يليق به وإثبات ما يليق به، وإذا العظمة الكاملة مستلزمة لعدم النظير والمثيل ونحو ذلك وذكر =

(١) فتح الباري ٢٣/٢٤٢.

= التسبيح متلبسًا بالحمد ليعلم ثبوت الكمال له نفيًا وإثباتًا، وكرره تأكيدًا ولأن الإعتناء بشأن التنزيه أكثر من جهة المخالفين، ولهذا جاء في القرآن بعبارات مختلفة نحو سبحان، وسبح بلفظ الأمر، وسبح بلفظ الماضي، ويسبح بلفظ المضارع، ولأن التنزيهات تدرك بالعقل بخلاف الكمالات فإنها تقصر عن إدراك حقائقها كما قال بعض المحققين: الحقائق الإلهية لا تعرف إلا بطريق السلب كما في العلم لا يدرك معه إلا أنه ليس بجاهل أهـ قلت بل لا يدرك منه إلا أنه عالم ثم قال وأما معرفة حقيقة علمه فلا سبيل إليه، قال الحافظ ابن حجر: وقال شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في كلامه على مناسبة أبواب صحيح البخاري: لما كان أصل العصمة أولاً وآخراً هو توحيد الله، فختم بكتاب التوحيد وكان آخر الأمور التي يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر تراجم الكتاب، فبدأ بحديث «الأعمال بالنيات» وذلك في الدنيا وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة وأشار إلى أنه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى، وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف وحث على الذكر المذكور لمحبة الرحمن له والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل والثقل بالنسبة لإظهار الثواب وقد جاء هذا الحديث على ترتيب عظيم، وهو أن حب الرب سبحانه سابق وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه نال، ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة، أهـ ملخصًا أهـ والله أعلم.

مبحث: فضل ذكر الله عز وجل

٢٧١ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله ملائكةً يطوفونَ في الطُرُق يَلْتَمسُونَ أهلَ الذِّكْر، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تنادَوْا: هلُمُّوا إلى حاجتكمْ، قال: فَيَحُفُّونَهُم بأَجْنحتهمْ إلى السَّمَاء الدُّنْيَا، قال: فيسألهُمْ رَبُّهُمْ عزَّ وجَلَّ وهو أَعْلَمُ منْهُمْ: ما يقولُ عبادي؟ قال تقولُ: يسبحونكَ ويكبرونكَ ويحمدونك ويمجدونك قال فيقولَ: هل رَأَوْني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك قال: فيقول كيف لو رأوني!؟ قال: يقولونَ، لو رأوكَ كانُوا أشدَّ لكَ عبادةً، وأشدَّ لك تَمْجيدًا، وأكثر لكَ تَسبيحًا. قال: يقولُ: فما يسْأَلُوني؟ قال: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قال: يقولُ: وهل رَأَوْهَا؟ قال: يقولونَ: لا؛ والله يا رَبّ ما رأوهَا، قال: فيقولُ: فكيفَ لو أنهم رَأَوْهَا؟ قال: يقولون: لو أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عليها حِرْصًا وأشدَّ لَهَا طَلَبًا وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةَ، قال: فَممَّ يَتعوَّذُونَ؟ قال: يقولونَ: من النَّار، قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قال: فيقولونَ: لاَ والله يا رَبّ مَا رَأَوْهَا، قال: يقولُ: فيكفَ لو رأوهَا قال: يقولونَ: لو رأوها كانُوا أَشَدَّ منها فرارًا وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قال: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غفَرْتَ لَهُمْ. قال: يقول مَلَكٌ من المَلائكة: فيهِمْ فُلانُ لَيْسَ منْهُم إنَّما جَاءَ لحَاجَةٍ، قال: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ».

---

[٢٧١] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٧/٢٣ في الدعوات فضل ذكر الله عز وجل ح٦٤٠٨.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٤/١٧ في الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب فضل مجالس الذكر، ح٢٦٨٩.

وأخرجه أحمد في المسند ٣٥٩/٢.

قوله: «هلموا» هلم: معناه: تعال أهـ نهاية ٥/٢٧٢.

قوله: «فيحفونهم» قال ابن الأثير: في حديث أهل الذكر «فيحفونهم بأجنحتهم» أي يطوفون بهم ويدورون حولهم أهـ نهاية ١/٤٠٨.

قوله: «ويمجدونك» قال ابن الأثير: ومنه حديث قراءة الفاتحة «مجدني عبدي» أي شرفني وعظمني أهـ نهاية ٤/٢٩٨.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله ملائكة يلتمسون أهل الذكر» وعند مسلم: إن لله تباركَ وتعالى ملائكة سيارة فضلا» قال النووي[1]: أما السيارة فمعناه سياحون في الأرض، وأما فضلاً: بضم الفاء والضاد وذكر أوجهًا أخرى ثم قال العلماء معناه على جميع الروايات: أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فهؤلاء لا وظيفة لهم، وإنما مقصودهم حلق الذكر أهـ أي خصصوا لمجالس ذكر الله عز وجل يحفون أهلها ويمدحونهم ويجيبون عنهم رب العالمين عز وجل ويستغفرون لهم قوله: «فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا» وعند مسلم بعض التفصيل ففيه «فضلاً يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم» أي هؤلاء الملائكة المختصون بمجالس الذكر يبحثون عنها في الأرض كلها فإذا ظفروا بتلك المجالس العطرة بالذكر نادى بعضهم بعضًا، أي نادى من ظفر أولاً بغيره من الملائكة هلم نحن وجدنا ما نبغيه تعالوا فيقعدون معهم ويحيطون بهم ويدورون حولهم حافين بهم. قال الحافظ[2]: وقوله: «هلموا» على لغة أهل نجد» وأما لغة أهل الحجاز: فيقولون =

(١) شرح مسلم ٢٧/٢٤، ٢٥ ط ق.

(٢) فتح الباري ٢٣/٢٤٩، ٢٥٠.

للواحد والإثنين والجمع «هلم» بلفظ الإفراد وقوله «فيحفونهم بأجنحتهم» أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين والباء للتعدية وقيل للإستعانة أهـ أي يستعينون على الحف بالجناح قوله: «قال: فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم ما يقول عبادي؟» ورواية مسلم فيها زيادة توضيح «وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينه وبين السماء الدنيا، وفإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم» أي سبحانه علام الغيوب لا يسأل سؤالاً للعلم إنما هو أعلم بما حدث وبما سيحدث ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[1] قوله: «ما يقول عبادي» وعند مسلم «من أين جئتم» وهو أعلم بما قالوا ومن أين جاءوا وإلى أين سيصيرون سبحانه علام الغيوب قوله: «تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك» وليس عند مسلم «يمجدونك» لكن عنده «يهللونك ويسألونك» أي يقولون: سبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا إله إلا الله، ويدعون الله تعالى ويثنون عليه بما هو أهله والذكر يجمع هذا كله وبعضه قال الحافظ: ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة أهـ قوله: «فيقول: هل رأوني؟» قال: فيقولون: لا والله ما رأوك «قال: فيقول: كيف لو رأوني قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا» أي هل رأوني ونظروا إلي؟ فيجيبون لا والله ما رأوك يارب لأنك لا ترى في الدنيا ففي صحيح مسلم[2] مرفوعًا «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت» فيقول أي كيف لو رأوني ونظروا إليّ ورأوا مالم يروه من قبل، ولم يخطر على قلوبهم من الجلال والجمال والبهاء والعظمة والكبرياء فيقولون أي لزادت العبادة والتمجيد والتسبيح والذكر =

---

(١) سورة آل عمران آية (٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٧٦/١٨ في الفتن وأشراط الساعة ح١٦٩.

= والخشـوع والخوف والرجـاء لما رأو مما يذهل العقـول ويدك الصخـور الصم الرواسي قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[1] الآية قوله: «قال يقول: فمـا يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة قال: يقـول: وهل رأوها قال: يقولون: لا، والله يارب ما رأوها؛ قال: فيقول، فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًـا وأعظم فيها رغبة» أي ماذا يسألونني ويطلبون مني قالوا الجنة قال: أي هل علمـوا مافيها ونظروه ورأوا ما أعـددت لعبادي الصالحين مما لاعين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشـر فيـقولون لا والله يـارب ما رأوا ذلك إنما سمعـوا عنه فقط قال: أي كيف لو رأوا ذلك ونظروه بأعينهم فـيقولون أي لو رأوا ذلك النعـيم العظيم المقيم الذي مـا خطر على قلوبهم كـانوا أشد لها طـلبًا وسؤلاً وسـعيًا وأعظم فيـها رغبة وشـوقًا قوله: «قـال فمم يتعوذون؟ قـال: يقولون من النار قال: يـقول: وهل رأوها؟ قال: فـيقـولون: لا والله يا رب ما رأوها، قـال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فـرارًا وأشد لها مخافة» عند مسلم «ويسـتجيرون من نـارك» أي يطلبون الأمان منها قـاله النووي أهـ قلت: ولفظة «ومم يستجيروني» قـالوا: من نارك يارب أي ويسألهم وهو أعلم من أي شئ يتعوذون ويخـافون يقـولون: من النار فيـسألهم هل رأوها حـقيـقة ورأو غـسلينهـا وحـميـمـها وغساقها وسعـيرها وزقومها وعذابها فيقولون لا فيـقول: «كيف لو رأوها؟» فيقولون أي لو رأوها كانوا أشد خوفًا وفوارًا وشفقه منها قوله: «قال فيقول: فأشهدكم أني قد غـفرت لهم» أي مـا مضى من ذنوبـهم زاد مسلم «فـأعطيتـهم مـا سألوا وأجـرتهم مما استجاروا» قـوله «قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس مـنهم إنما جاء لحاجة» وعـند مسلم «قـال: فيـقولون: رب فيهـم فلان عـبد خـطاء» قال النـووي: أي كـثير الخطـايا أهـ أي يا رب فيـهـم رجل ليس نيته الذكر ولا جاء من أجلـه ولا رغـبة فـيه إنما له حاجـة أخـرى يهواها ويطلبهـا لا يعملهـا وفيهـا شئ لك إنما هو كـثير الخطايا =

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٣).

= ولكن ربنا قال عن نفسه ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[1] قوله: «قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم» وعند مسلم «قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» قال الحافظ في قوله: «هم القوم» في اللام اشعار بالكمال أي هم القوم كل القوم أهـ أي هم قوم صالحون من جلس معهم يمسه من رائحتهم الطيبة فينصرف وقد تعطرت ثيابه وأعضاؤه بطيب ما يخرج منهم من ذكر الله عز وجل كذلك قال النبي ﷺ: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ... الحديث»[2] قال الحافظ: وفي العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود أهـ وقال أيضًا[3] ونقل عن بعض العارفين قال: الذكر على سبعة أنحاء، فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا أهـ وقال النووي: وفي هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم وفضل مجالسه الصالحين وبركتهم والله أعلم. أهـ فاللهم ألهمنا ذكرك دومًا.

(١) سورة يوسف آية (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٧٦ في الذبائح، ح٥٥٣٤ باب المسك.

(٣) فتح الباري ٢٣/٢٤٥.

مبحث: من قال مثل قول المؤذن من قلبه دخل الجنة

٢٧٢ ـ عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: لاَحَوْلَ وَلاَقُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ قَالَ: لاَحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ».

---

[٢٧٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٨٥ في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه.

قوله: «حي على الفلاح» أي تعالى إلى الفوز والنجاة وإصابة الخير أهـ شرح مسلم ٤/٨٧.

قوله: «لا حول» أي لا حركة ولا استطاعة إلا بالله أي إلا بمشيئة الله ومعونته أهـ شرح مسلم ملخصاً ٤/٨٧.

المعنى

يخبرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر «أي إذا أعلن بها في الآذان للصلوات بأن الله أكبر من كل شئ وكل شئ هو خلقه ودونه وتحته إلا ما كان من صفاته وكلامه كالقرآن الكريم فهو شئ غير مخلوق بل هو صفة من صفاته تعالى وكلام من كلامه يخلق به الأشياء.

قوله: «فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر» أي ردد الكلمة وراء المؤذن معتقداً معناها من قلبه بأن الله تعالى حقًا أكبر من كل شئ قوله «ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله، قال أشهد أن لا إله إلا الله» إذا جهر المؤذن بكلمة التوحيد لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله له صفات الكمال كلها خلق الكون كله وكل أنواع العبودية من =

= صلاة وصيام وركوع وسجود وذبح ونذر واستعانة واستعاذه واستغاثة وتلاوة وخشوع وغيرها لا تحق إلا لله رب العالمين لا شريك له فيقول السامع وراء المؤذن ذلك معتقداً له من قلبه هذا شرط الجزاء الأخير هو دخول الجنة بإذن الله تعالى وفضله، قوله ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله قال أشهد أن محمداً رسول الله «أي ثم جهر معلنا أن نبينا محمداً ﷺ رسول من عند الله عز وجل جاء بالبينات والهدى وكل دعوى النبوة بعده فغي وضلال وهو الخاتم لانبي بعده ولا بشر أفضل منه بل ولا بشر يساويه وكل ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى فربنا أصدق القائلين ونبينا أصدق المبلغين وخلق الله أجمعين ممن قال ذلك مردداً له وراء المؤذن من قلبه دخل الجنة إن شاء الله تعالى قوله «ثم قال حي على الصلاة» قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله.

أي إذا سمع المؤذن يحوقل بالحيعلتين قال لا حول ولا قوة إلا بالله، أي استعان بالله تعالى على تلبية النداء لأنه لا تحول من الركون والاسترخاء إلى الطاعة والنشاط لها إلا بعون الله رب العالمين وقوته قال الله ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[1]، قال النووي[2] : ومعنى حي على كذا: أي تعالوا إليه، والفلاح: الفوز والنجاة وإصابة الخير قالوا: وليس في كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة الفلاح ويقرب منها النصيحة فمعنى حي على الفلاح أي تعالوا إلى سبب الفوز والبقاء في الجنة والخلود في النعيم والفلاح، قال أبو الهيثم: الحول: الحركة «ولا حول ولا قوة إلا بالله» أي لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله وقيل لا حول في دفع الشر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله وقيل لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته، قال الأزهري: ويقال في التعبير عن قولهم لا حول ولا قوة إلا بالله: الحوقله. قال =

(١) سورة هود آية (٥٢).

(٢) شرح مسلم ٤/٨٧: ٨٨.

النووي ومثل الحوقلة الحيعله في حي على الصلاة حي على الفلاح والبسملة في بسم الله والحمدلة في الحمد لله والـهيلله في لا إله إلا الله والسبحله في سبحان الله أهـ. ملخصًا وقوله «ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة» قال القاضي: قوله ﷺ «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر. فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر... إلى آخره» ثم قال في آخره «من قلبه دخل الجنة» لأن ذلك توحيد وثناء على الله تعالى وإنقياد لطاعته وتفويض إليه لقوله لا حول ولا قوة إلا بالله فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان وكمال الإسلام وأستحق الجنة بفضل الله تعالى أهـ قال النووي: أما أحكام الباب ففيه استحباب قول سامع المؤذن مثل ما يقول إلا في الحيعلتين فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله وقوله ﷺ في حديث أبي سعيد[1] : «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» عام مخصوص لحديث عمر[2] أنه يقول في الحيعلتين لا حول ولا قوة إلا بالله وفيه استحبب الصلاة على رسول الله ﷺ بعد فراغه من متابعة المؤذن منها ولا ينتظر فراغه من كل الآذان وفيه أنه يستحب أن يقول بعد قوله وأنا أشهد أن محمداً رسول الله: رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دنيًا، وفيه أن الاعمال يشترط لها القصد والإخلاص لقوله ﷺ «من قلبه» أهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٨٤ في الصلاة ـ الآذان ـ باب استحباب القول مثل قول الموذن لمن سمعه.

(٢) حديث الباب هذا.

مبحث: من صلى على النبي الله عليه وسلم بعد إجابة المؤذن ثم سأل له الوسيلة حلت له الشفاعة

٢٧٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

٢٧٤ - عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**».

---

[٢٧٣] أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٨٥ في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه.

[٢٧٤] أخرجه الترمذي في سننه ٢/٦٠٧ في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ح٢٤٨٢ وقال: هذا حديث حسن غريب.

قوله: «الوسيلة» هي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشئ ويتقرب به والمراد في الحديث القرب من الله تعالى أهـ نهاية ٥/١٨٥.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول» كما وضح مفصلاً في حديث عمر رضي الله عنه الماضي الذي تم شرحه بحمد الله تعالى وعونه وقوله «ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً» هذه منقبة عظيمة لنبينا ﷺ حيث جعل الله تعالى دعاء العبد له والصلاة عليه قربة ينال بها الرحمة من الله عز وجل وهو أيضاً من باب قول الله تعالى ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها... الآية**﴾[1] قال صاحب =

---

(١) سورة الأنعام آية (١٦٠).

= التحفة[1] : «قوله: من صلى عليّ صلاة» أي واحدة صلى الله عليه عشراً» أي عشر صلوات والمعنى رحمه وضاعف أجره كقوله تعالى ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ والظاهر أنه أقل المضاعفة أهـ وأما كيفية الصلاة على النبيﷺ فهي بأي صيغة تتيسر للمصلي وأفضلها ما بينه رسول اللهﷺ نفسه فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله؛ هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[2] وهناك صيغ صحيحه كثيرة وقوله: «ثم سلوا لي الوسيلة» أي ادعوا الله تعالى لي بعد الآذان بأن يعطيني الوسيلة التي أرجوها من الله عزوجل ـ وهو أهل لها ﷺ فما يوجد من يستحقها غيره، فإذا كانت لأعلى الناس مرتبة فهو أعلاهم وإذا كانت لأقرب الناس إلى الله تعالى فهو أقربهم وإذا كانت لأعلمهم بالله وأشدهم له خشيه فهو أعلم الناس بالله عز جل وأشدهم له خشية ﷺ وآله وسلم تسليماً كثيراً عدد خلقه ورضاء نفسه وزنه عرشه ومداد كلماته، قال الله تعالى لنبيهﷺ ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾[3] ، قال النووي[4]: الوسيلة قد فسرها نبيناﷺ بأنها منزلة في الجنة. قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وقوله ﷺ «فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» أي وجبت له وقيل نالته أهـ وهي الشفاعة العظمى التي ليست إلا لنبينا ﷺ يوم القيامة وهي المقام المحمود الموعود به ﷺ في الآية السابقة ثم بقية الشفاعات التي له ﷺ في إخراج ناس من =

---

(١) تحفة الأحوذي ٦٠٨/٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٦٠٣/٢، ٦٠٤ في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبيﷺ ح٤٨٢.

(٣) سورة الإسراء آية (٧٩).

(٤) شرح مسلم ٨٦/٤.٨٧.

= النار وفي إنقاذ ناس من النار وفي إدخال ناس الجنة وفي رفع درجات ناس في الجنة وغير ذلك فأحباب النبيﷺ المكثرون من الصلاة عليه السائلون له الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة هم أولى الناس به وبشفاعتهﷺ يوم القيامة. لذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث الثاني عن رسول اللهﷺ أنه قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة» قال صاحب التحفة[1] : قوله «أولى الناس بي» أي أقربهم إلي أو أحقهم بشفاعتي أكثرهم عليَّ صلاة لأن كثرة الصلاة منبئة عن التعظيم المقتضي للمتابعة الناشئة عن المحبة الكاملة المترتبة عليها محبة الله تعالى قال تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾[2] أهـ بل قد أمر الله تعالى أمراً صريحا في محكم كتابه عبادة منا له سبحانه بالصلاة على النبيﷺ قال عز وجل ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[3] ، قال النووي: وفيه استحباب الصلاة على رسول اللهﷺ بعد فراغه من متابعة المؤذن واستحباب سؤال الوسيلة له وفيه: أنه يستحب لمن رغب غيره في خير أن يذكر له شيئا من دلائله لينشطه لقولهﷺ «فإنه من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً ومن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» قال القاضي عياض: وأعلم أن الآذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعين من العقليات والسمعيات فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها وذلك بقوله «الله أكبر» ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفى الشرك المستحيل في حقه تعالى وهذه عمدة التوحيد المقدم على كل وظائف الدين ثم إثبات النبوة والرسالة لنبينا ﷺ وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية ثم دعا إلى العبادات فدعا إلى الصلاة بعد النبوة لمعرفة وجوبها من طريقها بالعقل ثم =

(١) تحفة الأحوذي ٢/٦٠٨.

(٢) سورة آل عمران آية (٣١).

(٣) سورة الأحزاب آية (٥٦).

مبحث : كل من سمع النداء يشهد للمؤذن يوم القيامة

٢٧٥ ـ عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري ثم المازني، أن أبا سعيد الخدري قال له: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغنمَ والبَادِيَةَ فإذا كنتَ فِي غنمكَ أو بَادِيَتِكَ فأذنتَ بالصلاةِ فارفعْ صوتَكَ بالنداءِ فإنه، «**لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ.

= دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم فهي دعوة إلى الآخرة وإشعار بأمرها وهي آخر تراجم عقائد الإسلام ثم كرر الصلاة بالإقامة لتأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلى فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه قال النووي: هذا آخر كلام القاضي وهو من النفائس الجليلة وبالله التوفيق أهـ بتصرف واختصار والله أعلم.

مبحث : كل من سمع النداء يشهد للمؤذن يوم القيامة

[٢٧٥] أخرجه البخارى في صحيحه ٣/٢٨٥ في الآذان باب رفع الصوت بالنداء، ح٦٠٩ تفرد به البخارى دون مسلم .

وأخرجه النسائي في سننه ٢/١٢، ١٣ في الآذان باب رفع الصوت بالآذان.

المعنى

بداية عزة الإسلام وظهور قوته هو الآذان فما رفع الصوت بالآذان فوق الكعبة إلا لما أعز الله الإسلام بإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فهو شعيرة عظيمة لذلك أخبر النبى ﷺ باستحباب رفع الصوت بالآذان وأنه لا يسمع صوت المؤذن إنسان أو جان أو حيوان أوحتى الجماد إلا شهد للمؤذن يوم القيامة بل جعل المؤذنون يوم القيامة أطول الناس أعناقا فقد قال رسول الله ﷺ : «المؤذنون أطول =

= الناس أعناقًا يوم القيامة»(1) بل هو من أقوى الأسلحة ضد الشيطان فعنه ﷺ «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص»(2) فقوله : «إني أراك تحب الغنم والبادية» قال الحافظ ابن حجر(3) :أى لأجل الغنم لأن محبها يحتاج إلي إصلاحها بالمراعي وهو في الغالب يكون في البداية وهو الصحراء التي لا عمارة فيها، قوله«في غنمك أوباديتك» يحتمل أن تكون أوشكا من الراوى،ويحتمل أن تكون للتنويع لأن الغنم قد لاتكون في البداية ولأنه قد يكون في البداية حيث لاغنم .قوله«فأذنت بالصلاة أي لأجل الصلاة أهـ وقال القسطلانى(3) أى أعلمت بوقتها وفي رواية لـلصلاة أي لأجلها أهـ بتصرف قوله «فارفع صوتك بالنداء» قال القسطلاني: أي الآذان أهـ وقال الحافظ ابن حجر: فيه اشعار بأن آذان من أراد الصلاة كان مقررا عندهم لاقتصاره على الأمر بالرفع دون أصل التأذين، واستدل به الرافعي للقول السائر إلى استحباب آذان المنفرد وهو الراجح عند الشافعية بناء على أن الآذان حق الوقت، وقيل لا يستحب بناءً على أن الآذان لاستدعاء الجماعة للصلاة ومنهم من فصل بينما من يرجو جماعة أولا، وقوله «فإنه لايسمع مدى صوت المؤذن» أى غاية الصوت، قال البيضاوى، غاية الصوت تكون أخفى من إبتدائه فإذا شهد له من بعد عنه ووصل إليه منتهى صوته فلأن يشهد له من دنا منه وسمع مبادي صوته أولى، وقوله «جن ولا إنس ولا شئ» ظاهره يشمل الحيونات والجمدات فهو من العام بعد الخاص، ويؤيد رواية ابن خزيمة(5) «لايسمع صوته شجر ولامدر ولاحجر ولاجن ولا إنس إلاشهد له» وعند النسائى (6) المؤذن يغفر له بمد صوته ويشهد له كل رطب =

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١١٨ في الصلاة باب فضل الآذان ح٣٨٧.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٢٠ في الصلاة باب فضل الآذان ح٣٨٩.

(3) فتح الباري ٣/٢٨٥.

(4) إرشاد الساري ٢/٦.

(5) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١/٢٠٣ في الآذان ح٣٨٩ باب فضل الآذان.

(6) أخرجه النسائي في سننه ٢/١٣ في الآذان عن أبي هريرة مرفوعًا.

= ويابس[1] «ويصدقه من سمعه من رطب ويابس» قال الحافظ[2]: فهذه الأحاديث تبين المراد من قوله في حديث الباب ولاشئ ثم ذكر عن بعض العلماء أنه قال: المراد كل ما يسمع المؤذن من الحيوان حتى ما لايعقل دون الجمادات ومنهم من حمله على ظاهره وذلك غير ممتنع عقلا ولاشرعا، واستدل بحديث مسلم[3] الذي لفظه عن النبي ﷺ أنه قال «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ابعث إني لأعرفه الآن» أهـ قال ذلك مؤيدا من قال بعموم الحديث وظاهره فى أن قوله «ولاشئ» يشمل حتى الجمادات وهو الراجح إن شاء الله تعالى قال تعالى﴿**وإن من شئ إلا يسبح بحمده**﴾[4] وقال التوربشتى المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلو الدرجة وكما أن اللهيفضح بالشهادة قوما فكذلك يكرم بالشهادة آخرين أهـ وقال القسطلانى[5]: مدى الشئ غايته أى أنه يستكمل المغفرة إذا استوفى وسعه رفع الصوت فيبلغ الغاية من المغفرة إذا بلغ الغاية من الصوت أو لأنه كلام تمثيل وتشبيه يريد أن المكان ينتهى إليه الصوت لوقدر أن يكون بين أقصاه وبين مقامه الذى هو فيه ذنوب تملأ تلك المسافة غفرها الله تعالى له أهـ وقوله «قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ» قال القسطلانى: أي قوله: إنه لا يسمع مدى صوت المؤذن... الخ» وحينئذ .. فذكر الغنم والبادية موقوف أهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه ١٣/٢ في الآذان عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) فتح الباري ٢٨٦/٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٥٣/١٥ في الفضائل باب فضل نسب النبيﷺ وتسليم الحجر عله قبل النبوة ح٢٢٧٦.

(٤) إرشاد الساري ٦/٢.

مبحث: خمس يثقلن ميزان الحسنات

٢٧٦ - عن أبي سلام عن مولى لرسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ في المِيزَانِ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ لِلهِ، والوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ» وقال: «بخ بخ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالجَنَّةِ والنَّارِ وبِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ والْحِسَابِ».

---

[٢٧٦] أخرجه أحمد في المسند ٢٣٧/٤ واللفظ له.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٩/١ بعد أن عزاه لأحمد في المسند قال: ورجاله ثقات.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٥١٢/١/٦٩٢ ح١٨٨٥ عن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

المعنى

يخبرنا مولى رسول الله ﷺ قال: «بخ بخ» قال ابن الأثير(١): هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون أهـ فالنبي ﷺ مدح مدحًا عظيمًا خمسًا ميزانهن ثقيل ثقيل لذلك قال «ما أثقلهن في الميزان» ثم سماهم وذكرهم ﷺ فقال معدًا لهن «لا إله إلا الله» كلمة التوحد المنجية في الدنيا والآخرة ومفتاح الجنة «والله أكبر» من كل شئ وفوقه «وسبحان الله» تنزيه لله تعالى وتعظيم له «والحمد لله» كلمة الثناء والشكر «والولد الصالح يتوفى» أي يموت «فيحتسبه والده» أي يصبر عليه ويبتغي بذلك ثواب الله تعالى قال ابن الأثير(٢): فالإحتساب من =

---

(١) نهاية ١٠١/١.

(٢) نهاية ٣٨٢/١.

= الحسب، كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتسبه، لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به، والاحتساب في الأعمال الصالحة، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر أو بإستعمال أنواع البر والقيام بهاعلى الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجو منها أهـ قوله «بخ بخ لخمس من لقى الله عز وجل مستيقنًا بهن دخل الجنة» أي من فعلهن من قلبه موقنًا بأن الله تعالى فرضهن ويأجر عليهن سبحانه أدخله الله تعالى الجنة: ثم سماهن ﷺ فقال «يؤمن بالله» أصل الإيمان وأعظمه وأعلاه: الإيمان بالله تعالى وحده إلهًا واحدًا لا شريك له في ذاته ولا أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله «واليوم الآخر» كل الخلق يجمع فيه أمام رب العالمين قال تعالى ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[1] قوله «والجنة» أنها دار النعيم فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] قوله: «وبالبعث بعد الموت» أي أن الله تعالى يبعث العباد فيحييهم مرة أخرى بعد أن ماتوا ليحاسبهم على ما أسلفوا قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[3] قوله «وبالحساب» أي أنه سبحانه وتعالى إذا أحياهم سيحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة كما قال تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾[4] ويظهر في الحساب =

---

(١) سورة غافر آية (١٦).

(٢) سورة فصلت آية (٣١).

(٣) سورة يس آية (٧٨)، (٧٩).

(٤) سورة الزلزلة آية (٧)، (٨).

= ما لا يعلمه الناس في الدنيا مما يخفى في الصدور كما قال عز وجل ﴿يوم تبلى السرائر . فماله من قوة ولا ناصر﴾[1] فقد يعمل بعض الناس أعمالاً كالجبال لكنهم إذا خلوا عصوا الله تعالى فيضيع الله أعمالهم لريائهم ولخشيتهم الناس ولا يشخون رب الناس سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾[2] وقال ﷺ: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة، بيضًا فيجعلها الله عز وجل هباء منثورًا» قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: «أما إنهم أخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[3] والله أعلم.

(١) سورة الطارق آية (٩)، (١٠).

(٢) سورة النساء آية (١٠٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٤١٨/٢ ح٤٢٤٥ في الزهد باب ذكر الذنوب قال المحقق إسناده صحيح وعزاه للزوائد.

مبحث : ساعة الإجابة في يوم الجمعة الذي هدانا الله إليه

٢٧٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فقال: «**فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**» وأشار بيده يقللها.

---

[٢٧٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٨١، باب الساعة التي في يوم الجمعة، ح٩٣٥.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦/١٣٩ في الجمعة باب ...

وأخرجه ابن ماجه في سننه ١/٣٦٠ في فرض الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة، ح١١٣٧.

المعنى

هو عيد المسلمين الأسبوعي ويوم المزيد في الآخرة يكافئ رب العزة فيه المؤمنين برؤيته التي تنضر الوجوه وتشرح الصدور وقد جعل الله تعالى فيه ساعة لنيل تلك المراتب السنية من رب البرية عز وجل.

قوله: «ذكر رسول الله ﷺ الجمعة فقال: «فيه ساعة...» قال الحافظ ابن حجر[1]: كذا فيه مبهمة وعينت في أحاديث أخر أهـ وقلت منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي مابين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة[2]» وقوله: «لا يوافقها عبد مسلم» قال ابن حجر: أي يصادفها وهو أعم من أن يقصد لها أو يتفق له وقوع الدعاء فيها أهـ قوله: «وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى» هذه الكلمات صفات لقوله «مسلم» أعربت حالاً، قال النووي[3] : قال القاضي: اختلف السلف في وقت هذه الساعة وفي معنى قائم

---

(١) فتح الباري ٥/٨١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/١٤٠ في الجمعة.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٤٠.

= يصلي، فقال بعضهم هي من بعد العصر إلى الغروب، قالوا: ومعنى يصلي يدعو، ومعنى قائم: ملازم ومواظب كقوله تعالى ﴿مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾[1] وقال آخرون: هي من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة وقال آخرون: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ والصلاة عندهم على ظاهرها، وقيل من حين يجلس الإمام على المنبر حتى يفرغ من الصلاة، وقيل آخر ساعة من يوم الجمعة، قال القاضي: وقد رويت عن النبيﷺ في كل هذا آثار مفسرة لهذه الأقوال، قال: وقيل عند الزوال، وقيل من الزوال إلى أن يصير الظل نحو ذراع وقيل هي مخفية في اليوم كله كليلة القدر، وقيل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، قال القاضي: وليس معنى هذه الأقوال أن هذا كله وقت لها بل معناه أنها تكون في أثناء ذلك الوقت لقوله «وأشار بيده يقللها» قال النووي: هذا كلام القاضي والصحيح بل الصواب: ما رواه مسلم[2] من حديث أبي موسى عن النبيﷺ «هي مابين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة» أهـ وقال القسطلاني[3]: عن قوله «فيه ساعة» قال: أبهمها هنا كليلة القدر والإسم الأعظم والرجل الصالح حتى تتوفر الدواعي على مراقبة ذلك اليوم، وفي الحديث «افعلوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم»[4] ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضاً لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والدعاء والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشئ من تلك =

(١) سورة آل عمران آية (٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/١٤٠ في الجمعة.

(٣) الساري ٢/١٩٠.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ١/٢٥٠ ح٧٢٠ في مسند أنس بن مالك وقال الهيثمي في المجمع رجال الصحيح ١٠/٢٣١/٣٩٥.

مبحث : فضل يوم الجمعه خير الأيام وفيه ساعة الإجابة

٢٧٨ ـ عن أبي هريرة قال قال: رسول اللهﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فيه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَة فيه خُلِقَ آدَمُ، وَفيه أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفيه أُهْبطَ منْهَا، وفيه سَاعَةٌ لايُوافقُهَا عَبْدٌ مُسْلمٌ يُصَلِّي فَيَسْأَلُ اللهَ فيهَا شَيْئًا إلاَّ أَعْطَاهُ إيَّاهُ».

= النفحات أهـ وقوله «يسأل الله شيئًا» قال ابن حجر[1] : أي مما يليق أن يدعو به المسلم ويسأل ربه تعالى ففي رواية لمسلم[2] : «يسأل الله خيرًا» قوله «وأشار بيده يقللها» وفي رواية لمسلم «وهي ساعة خفيفة» قال الزين بن المنير: الإشارة لتقليلها هو الترغيب فيها والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها أهـ فاللهم ادخلنا فيها متيقظين داعين بما تحب وترضى.

مبحث : فضل يوم الجمعه خير الأيام وفيه ساعة الإجابة

[٢٧٨] أخرجه الترمذي في سننه ٦١٨/٢ في الجمعة، باب في الساعة التي ترجى يوم الجمعه، ح٤٨٩ وقال حديث صحيح.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعه» لذلك جعله الله تعالى لهذه الأمة المباركة فضلاً لها على غيرها من الأمم قبلها كما قال نبينا ﷺ في حديث البخاري الذي تقدم شرحه «ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» وقوله «فيه خلق آدم» عليه السلام نبي الله أبو البشر خلقه الله يوم الجمعه، إذ هذا اليوم المبارك «الجمعه» مخلوق قبل آدم بل مخلوق يوم خلق الله =

---

(١) فتح الباري ٨٢/٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٠/٦ في الجمعة.

= السموات والأرض وقوله «وفيه أدخل الجنة» أي التي قال الله عز وجل له عنها ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما .... الآيات ﴾[1] فخرج منها بعد أن سكنها لما ﴿ عصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[2] لذلك أهبط عليه السلام لما نسي وعصى وأكل من الشجرة المنهي عن الأكل منها قال تعالى ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾[3] وكان هبوطه عليه السلام يوم الجمعه أيضًا «وفيه أهبط منها» وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه أياه قال صحاب التحفة[4] : قوله «لا يوافقها» أي لا يصادفها وهو أعم من أن يقصد لها أو يتفق له وقوع الدعاء فيها «عبد مسلم يصلي» صفه لعبد أو حال بمسلم «فيسأل الله فيها شيئًا» أي مما يليق أن يدعو به المسلم أهـ وهذه الساعة الغالب أنها بعد العصر إلى المغرب فقد جاء في الحديث المرفوع «التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعه بعد العصر إلى غيبوبة الشمس» قال الترمذي[5] : ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبيﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجيى بعد العصر إلى أن تغرب الشمس؛ وبه يقول أحمد وإسحاق، وقال أحمد: أكثر الحديث في الساعة التي ترجى فيه إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر، وترجى بعد زوال الشمس أهـ وقوله «إلا أعطاه أياه» أي الإجابة إما عاجلاً وهو الغالب إن شاء الله تعالى لأنها ساعة إجابة وإما آجلا فهي إجابة أيضًا والحال يختلف حسب الداعي والدعاء والله أعلم.

---

(١) سورة الأعراف آية (١٩، ٢٠).

(٢) سورة طه آية (١٢١).

(٣) سورة طه آية (١١٥).

(٤) تحفة الأحوذي ٢/٦١٨.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٢/٦١٥ في الجمعه باب في الساعة التي ترجى يوم الجمعه ح٤٨٧.

مبحث : الدعاء في الشدائد

٢٧٩ ـ عن شريك، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً دخل المسجدَ يوم جُمُعَةٍ من بابٍ كانَ نحوَ بابِ دارِ القضاءِ. ورسولُ اللهﷺ قائمٌ يخطبُ فاستقبَل رسولَ اللهﷺ قائمًا ثم قالَ: يا رسولَ الله هلكتِ الأموالُ، وانقطعتِ السبلُ، فادعُ الله يُغيثُنَا. فرفعَ رسولِ اللهﷺ ثم قال: «**اللَّهُمَّ أغثْنَا، اللَّهُمَّ أَغثْنَا، اللَّهُمَّ أَغثْنَا**» قال أنس: ولا والله ما نرى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعَةٍ وَمَا بَيْنَنَا وَبينَ سَلْعٍ من بيتٍ ولا دارٍ قال: فطلعتْ مِنْ ورائهِ سحابةٌ مثلُ الترسِ فلمَّا توسطتِ السماءَ انتشرتْ ثم أمطرتْ، فلا واللهِ ما رأينَا الشمسَ ستًّا، ثم دخلَ رجلٌ من ذلكَ البابِ فِي الجمعةِ ورسولُ اللهﷺ قائمٌ يخطبُ فاستقبلهُ قائمًا، فقال: يا رسول اللهِ، هلكتِ الأموالُ وانقطعتِ السبل، فادعْ اللهَ يُمْسِكْهَا عنَّا، قال: فرفعَ رسولُ اللهﷺ يَديهِ، ثم قال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ والظِّرَاب وبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» قال: فأقلعتْ وخرجنَا نمشي في الشمسِ، قال شريك سألت أنس بن مالك: أَهُوَ الرَّجُلُ الأولُ؟ فقال: مَاأَدْرِي.

---

[٢٧٩] أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٥/٥، ١٩٦ في الإستسقاء، باب الإستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ح١٠١٤.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٨٨/٥ في الإستسقاء باب الإستسقاء في المسجد الجامع ح١٠١٣.

قزعة: بفتح القاف بعدها زاي مفتوحة ثم عين مهملة مفتوحة أيضًا وجمعها قزع: أي قطعة من الغيم أهـ نهاية ٥٩/٤.

الآكام: جمع أكم، والأكم جمع الإكام، والإكام جمع أكمة وهي الرابية أهـ نهاية ٥٩/١.

الظراب: بالظاء المعجمة المكسوره بعدها راء مهملة آخرها موحدة تحتيه جمع ظرب على وزن كتف وهي الجبال الصغار أهـ نهاية ١٥٦/٣.

المعنى

كان النبي ﷺ يعلم الناس كل الأحوال، توكلاً بلا أسباب وأخذًا بالأسباب مع التوكل تاركًا الأقدار تجري من غير اعتراض قلبًا وقالبًا فإذا احتاج الناس إلى شئ علمهم وأجاب حاجاتهم مالم يكن فيها مأثم وحدث جدب وقحط هلكت من الجوع والعطش المواشي أو كادت، وتعطلت الطرق بسبب قلة الحاجة التي يداولها الناس وقلة الزرع والضرع وصبر الناس إلى الجمعة والنبي ﷺ مستسلمًا لقدر الله عز وجل فقلة الدنيا لا تضيره ولا تغضبه أصلاً بل ترضيه فهو يأمل في أعلى نعيم في الآخرة ويعلم أن أعلى درجات الآخرة من مقتضياتها الزهد في الدنيا والتقلل منها إلا ما لا يقدر على أقل منه لكن أحوال الناس تتفاوت في المقدرة خاصة الأعراب فلا يقدرون على مثل ذلك فلما انعدم المطر انتظر الناس إلى الجمعة فدخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ قائم يخطب فعرض الحال على النبي ﷺ ليستجلب دعاءه فناداه الناس أيضًا يا رسول الله ﷺ هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فَرَقَّ لهم النبي ﷺ لما رأى جزعهم وفاقتهم فرفع ﷺ يديه الشريفتين ورفعوا أيديهم فدعا ﷺ ثلاثًا مستغيثًا بالله عز وجل متذللاً بالعبودية لله تعالى رافعًا أكف الضراعة إلى من يملك مفاتيح الغيث لا يشاركه أحد، سبحانه، واستجاب رب العالمين أرحم الراحمين بإجابة عاجلة تامة مؤيدة لرسول الله ﷺ وظهرت سحابة من وراء جبل سلع الظاهر لهم ليس بينهم حجاب فلما توسطت السماء انتشرت حتى غطت الشمس ملبية نداء رسول الله ﷺ امتثالاً لأمر رب العالمين وسرعان ما نزل المطر قبل أن يعود المصلون إلى بيوتهم وسقى البلاد والعباد وأغاثهم الله تعالى ورحمهم ومن عليهم بنعمة الماء هذه النعمة العظيمة التي قال الله تعالى فيها ﴿ **وجعلنا من الماء**

= كل شئ حي أفلا يؤمنون﴾[1] ومطروا من الغد وبعد الغد حتى الجمعة المقبلة حتى كادوا يهلكون من كثرته وبينما رسول الله ﷺ يخطب الجمعة أيضًا إذ دخل رجل يستغيث أيضًا لكن هذه المرة إنما هي استغاثة من كثرة الغيث الذي منه كادوا أن يغرقوا من كثرة الكرم والعطاء من أكرم الأكرمين، فأخبر الرجل النبي ﷺ أن الأموال هلكت من كثرته وانقطعت السبل من غزارته فادع الله يمسكها عنا فتبسم النبي ﷺ عجبًا من أمر العباد ثم رفع يديه الشريفتين متذللاً لله تعالى الذي بيده وحده تصريف الأمور ومفاتيح الغيث ومغاليقه وتحويله فلما تضرع نبينا ﷺ تضرع الناس فأجاب الله تعالى الدعوة وكشف الكربة وفرج الغمة وأنزل الغيث حيث لا يضارون منه في الأماكن ذات المنابت كالجبال والأشجار والأودية وأقلعت السماء حتى خرج الناس يمشون في الشمس فصلى الله على نبينا محمد وآله والحمد لله رب العالمين.

قال الحافظ في الفتح[2] ويستنبط منه أن من أنعم الله عليه بنعمة لا ينبغي أن يتسخطها لعارض يعرض فيها بل يسأله الله رفع ذلك العارض وابقاء النعمة وفيه أن الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل وإن كان مقام الأفضل التفويض لأنه ﷺ كان عالمًا بما وقع فهم من الجدب وأخر السؤال في ذل تفويضًا لربه، ثم أجابهم إلى الدعاء لما سألوه في ذلك بيانًا للجواز وتقريرًا للسنة في هذه العبادة الخاصة أهـ وعزاه لابن أبي جمرة ثم قال الحافظ: وفيه جواز تبسم الخطيب على المنبر تعجبًا من أحوال الناس، وجواز الصياح في المسجد بسبب الحاجة المقتضيه لذلك واستدل به على جواز الإستسقاء بعد صلاة مخصوصة وعلى أن الاستسقاء لا تشرع فيه صلاة وفيه جواز الدعاء بالاستصحاء أهـ والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٠).

(٢) فتح الباري ١٩٥/٥.

مبحث: عظيم فضل الله تعالى على المتهجدين في آخر الليل

٢٨٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ يَقُولُ: ﴿مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ﴾**».

---

[٢٨٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٣٥ في التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ح١١٤٥.

أخرجه مسلم في صحيحه ٦/٣٦ في الصلاة، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا» قال النووي في شرح مسلم[1]: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق أهـ قال والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها أهـ قلت ومذهب السلف أسلم وأعلم وهو ما أختاره إن شاء الله تعالى لأنه طريقة أصحاب النبي ﷺ فما وصل إلينا أنهم تكلموا بتأويل هذه الأحاديث إنما أمروها وقالوا كما قالها رسول الله ﷺ فيسعنا ما وسعهم، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح[2]: وقد اختلف في معنى النزول على أقوال، فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى عن قولهم، ومنهم =

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٣٦.

(٢) فتح الباري ٦/٣٧.

= من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإما عناداً ثم ذكر طريقة السلف فقال: ومنهم من أجراه على ماورد مؤمناً به على طريق الإجمال منزهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم، قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه أهـ قلت فلله درهم فرحمهم الله تعالى ورضي عنهم فما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، قال الإمام الطحاوي[1] الحنفي رحمه الله تعالى فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والإستسلام أهـ.

وقوله: «حين يبقى ثلث الليل الآخر» برفع الآخر لأنه صفة ثلث، وقد اختلفت الروايات اختلافاً شديداً قال ابن حجر: وذلك أن الروايات انحصرت في ستة أشياء، أولها: هذه، ثانيها: إذا مضى الثلث الأول ثالثها: الثلث الأول أو النصف، رابعها النصف، خامسها النصف أو الثلث الأخير، سادسها الإطلاق فأما الروايات المطلقة فحمولة على المقيدة وأما التي بأو، فإن كانت «أو» للشك فالجزوم به مقدم على المشكوك فيه وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بإختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان والآفاق بإختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم، وقيل يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار، ويحمل على أن النبي ﷺ أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به ثم أخبر به في وقت آخر فأخبر به، فنقل الصحابة عنه ذلك والله أعلم أهـ. =

(١) العقيدة الطحاوية ص١٤٤.

= قوله: «يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» قال القسطلاني[1] : بالنصب على جواب الإستفهام ـ أي فأستجيب، فأعطيه، فأغفر ـ وبالرفع على تقدير مبتدأ أي فأنا أستجيب له، كذلك حكم فأعطيه، فأغفر له وليست السين للطلب بل استجيب لمعنى أجيب أهـ قال ابن حجر[2] وقد قرئ بهما في قوله تعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[3] وقال: لم تختلف الروايات على الزهري في الإقتصار على الثلاثة المذكورة وهي الدعاء والسؤال والإستغفار والفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب مسار، وذلك إما ديني وإما دنيوى، ففي الإستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث أهـ وفي رواية عند مسلم «فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر»[4] قال النووي: وفيه دليل على امتداد وقت الرحمة واللطف التام إلى إضاءة الفجر وفيه الحث على الدعاء والإستغفار في جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر وفيه تنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والإستغفار وغيرها من الطاعات أفضل من أوله والله أعلم أهـ. فلله الحمد والمنة. والله أعلم.

---

(١) إرشاد الساري ٢/٣٢٤.

(٢) فتح الباري ٦/٣٨.

(٣) سورة الحديد آية (١١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/٣٧ في الصلاة، باب صلاة الليل مثنى مثنى.

مبحث: من رق قلبه عند تلاوة القرآن الكريم

٢٨١ - عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - أي ابن عمر - قال: لَمَّا اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ، قِيلَ لَهُ فِي الصَّلاَةِ فقال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» قالت عَائِشَةُ إِنَّ أَبَابَكْرٍ رجلٌ رقيقٌ إذا قرأ غَلَبَهُ البكاءُ. قال: «**مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ**» فعاودته قال: «**مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ، إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**».

---

[٢٨١] أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٥٢، أبواب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح٦٨٢.

المعنى

تفاوتت القلوب فتفاوتت مراتب الإيمان فيها فتفاوتت درجاتها، ومراتبها في الآخرة، بل تفاوتت سير حياتها وعزتها بدينها حيث تفاوتت قلوبهم.

إن الناس الذين عاشوا حول النبي ﷺ كانوا صفوة الناس وخيار الناس بعد الأنبياء إن أرض قلوبهم طائفة طيبة قبلت ماء الوحي فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فارتوت بنور الإيمان فرقت ورطبت وخشعت واهتزت وربت، فكان منها ما وصل إليه الصديق رضي الله عنه صاحب الغار ثاني الاثنين صاحب أعلى سند وأوصله بلسان النبوة الشريف، لقد رق قلبه وارتقى لملازمته صحبة المصطفى ﷺ حتى كان لا يملك عينيه عند القراءة بل ولا صوته تقول عائشة: قلت لحفصة: قولي له: «إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء... الحديث»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٥١ في الجماعة والإمامه، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ح٦٧٩.

لذلك لما اشتد برسول اللهﷺ وجعه بأبي هو وأمي وسئل عمن يصلي بالناس فأمرهم أن يأمروا أبا بكر رضي الله عنه أن يؤم الناس فخافت عائشة على أبيها من تشاؤم الناس منه حين يجدونه واقفًا مكان النبيﷺ فيكرهونه حيث تشعر قلوبهم بدنو فراق أحب الناس إليهم فيظلون يتذكرون وقفته عند رحيل رسول اللهﷺ فكلما وقف تذكروا هذا فمن هنا كان خوف عائشة من التشاؤم، لذلك لما قال النبيﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة رضي الله عنها عن أبيها أنه رجل رقيق القلب لا يسمع الناس من كثرة بكائه في قراءة القرآن الكريم وهي صادقه لكنها ما رفضت من أجل ذلك إنما من أجل ما ذكرته آنفًا ولم تكتف عائشة رضي الله عنها بذلك من شدة حرصها وخوفها على أبيها أن يقف موقفًا يتشائم الناس منه فأوصت حفصه بأن تبدي لرسول اللهﷺ نفس العله التي أبدتها عائشة وكان النبيﷺ قد رد على عائشة قولها لأن هذا السبب ليس بعذر يعترض به على إمامة الناس، بل هو أقرب إلى رسوخ القرآن في قلوب المؤمنين إذا سمعوه ممن يخشى الله تعالى ففي الحديث: «أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله»[2] بعكس حال غالب أهل زماننا ممن يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه إلى اليوم العظيم يلحنون به لحنًا في مجالس القوم في المناسبات بأنواعها يظنونه قربًا ولكن على هذا الحال بعدًا والعياذ بالله تعالى.

لكن من رتل القرآن كما أمر الله عز وجل، وتدبره وتفهمه، وتعقله، واتبعه، وعظمه، وعمل به وأحل حلاله وحرم حرامه، رق قلبه عند تلاوته وسماعه وقاده إلى الجنة وظفر برحمة الدنيا والآخرة وسعادة الدنيا والآخرة قال عز وجل ﴿ وإذا قرئ

(٢) ذكره في كنز العمال ٦٠٢/١ ح٢٧٧٥٠ وعزاه لمحمد بن نصر في كتاب الصلاة ولغيره عن ابن عباس.

= **القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾**[1] ومن أعرض عنه وسها عند سماعه ولغا ولم يحل حلاله ولم يحرم حرامه زخ في قفاه إلى النار ففي الحديث عن أبي موسى قال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم ذكراً وكائن بكم نوراً وكائن عليكم وزراً، اتبعوا هذا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن يزخ في قفاه فيقذفه في جهنم»[2] وقال الله عز وجل **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾**[3] فلذلك لما راجعت عائشة وحفصة النبيﷺ لم يرضى بالرأي وقال غضباً إنكن صواحب يوسف أي كثيرات الإلحاح «مروا أبا بكر فليصل بالناس» والله أعلم.

---

(١) سورة الأعراف آية (٢٠٤).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٢/٥٢٦ في فضائل القرآن ح٣٣٢٨.

(٣) سورة طه آية (١٢٤، ١٢٥، ١٢٦).

الفصل الخامس
فَضْلُ السَّخَاءِ وحُسْنِ الخُلُقِ والنَفَقَة فِي وجُوه الخَيْرِ

مبحث: من نفس عن المسلم ويسر عليه وستر عليه كافأه الله تعالى من جنس عمله في الدارين

٢٨٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

---

[٢٨٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٢١/١٧ في الذكر والدعاء، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

وأخرجه البخاري في صحيحه تفريج الكربة والستر على المسلم ١٠/١٧٨ في الظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ح٢٤٤٢.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٥٢.

وأخرج الترمذي «انظار المعسر» بمعناه ٤/٥٣٤ في البيوع، باب ما جاء في =

= انظار المعسر والرفق به، ح١٣٢١ وقال حسن صحيح وأخرج الترمذي ذكر الله تعالى وحف الملائكة وغشى الرحمة ونزول السكينة في الدعوات ٣١٨/٩ باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ... قال حسن صحيح.

قوله: «يتدارسونه» أي يتعاهدوه لئلا ينسوه وأصل الدراسة التعهد للشئ أهـ بتصرف ١١٣/٢.

قوله: «السكينة» قيل الطمأنية والوقار أهـ شرح مسلم ٢١/١٧.

قوله: «غشيتهم الرحمة» أي علتهم وغطتهم أهـ نهاية بتصرف ٣٦٩/٣.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة» وفي رواية البخاري: «ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة» أي من أزال عن أخيه المسلم غمًا من غموم الدنيا وأحزانها وضيقها جزاه الله تعالى أعظم منها من مثلها وهو أنه يفرج عنه سبحانه ضيقًا وغمًا من غموم القيامة وما أعظمها وأكثرها فلا يشكل أن الحسنة بعشرة أمثالها فكيف تكون كربة بكربة واحدة والجواب أن كربة يوم القيامة أشد مئات المرات من كربات الدنيا فمن هنا كان الجزاء أعظم، قال الحافظ[1] : قوله: «ومن فرج عن مسلم كربة» أي غمة والكرب هو الغم الذي يأخذ النفس أهـ وقال القسطلاني[2] : «كربة» بضم الكاف وسكون الراء وهي الغم الذي يأخذ النفس أي من كرب الدنيا أهـ قوله: «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» وفي رواية لمسلم[3] مرفوعًا إلى النبي ﷺ «من سره =

---

(١) فتح الباري ١٧٨/١٠.

(٢) إرشاد الساري ٢٥٥/٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٦/١٠ في المساقاة والمزارعة، باب فضل أنظار المعسر.

= أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» أي من أعان ذا عسر في ماله وأعطاه من ماله إما قرضًا وأما صدقة وإما إكرامًا كان جزاؤه أن ييسر الله تعالى عليه في الدنيا والآخرة، قال النووي[1]: ومعنى ينفس أي يمد ويؤخر المطالبه وقيل معناه يفرج عنه والله أعلم أهـ وعند الترمذي[2] مرفوعًا «من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» قال في التحفة[3]: قوله «من أنظر معسرًا» أي أمهل مديونًا فقيرًا أو وضع له أي حط وترك دينه كله أو بعضه «أظله الله تحت ظل عرشه» أي أوقفه في ظل عرشه أهـ قوله ﷺ «ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» وعند البخاري: «ومن ستر ملسمًا ستره الله يوم القيامة» أي من رأى أخاه على معصية ثم تاب أو تحدث منه نادرًا فستره ولم يفضحه كان جزاؤه وأجره أن ينزل الله تعالى عليه ستره في الدنيا والآخرة قال الحافظ: قوله: «ومن ستر ملسمًا» أي رآه على قبيح فلم يظهره للناس وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شئ، فلو توجه إلى الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر في معصية قد انقضت والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم وليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة أهـ قوله: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» أي إذا انشغل المسلم بقضاء حاجات أخيه النافعة لا الضاره واقتطع من وقته وماله لأجله وأعانه على مصالحه وحاجياته كان جزاؤه أن الذي يعينه هو ملك الملك ذاته سبحانه الذي لا تقف عنده حوائج قال =

(١) شرح مسلم ١٠/٢٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٥٣٤ في البيوع، باب ما جاء في أنظار المعسر والرفق به ح١٣٢١ وقال حسن صحيح.

(٣) تحفة الأحوذي ١٠/٥٣٤.

= تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾[1] قال النووي[2] : فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونه أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك وفضل الستر على المسلمين وفضل انظار المعسر أهـ قوله: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» أي من سار في طريق العلم الشرعي علم الدين الإسلامي الحنيف يتعلمه ليحيى به الإسلام سهل الله تعالى له بذلك السعي طريقًا من الطرق الموصله إلى الجنه والعلم أيضا من الطرق الموصله إلى الجنة فالله عز وجل ييسر له طلب العلم أيضا بشرط أن يبتغي به وجه الله تعالى ورضوانه قال النووي: وفي فضل المشي في طلب العلم ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى وإن كان هذا شرطًا في كل عباده لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسأله به لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم أهـ قال الحافظ[3] : والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه أهـ قوله: أهـ «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده أي ما من قوم من المسلمين يجتمعون في مسجد من مساجد الله عز وجل يقرأون القرآن ويتعاهدونه لئلا ينسوه إلا أكرمهم الله تعالى بجزاء عاجل لهم فضلا عن الآجل يوم القيامه بالجنة إن شاء الله تعالى فالعاجل هو أن ينزل عليهم الطمأنينه والوقار والسكون وتعلوهم الرحمه حتى تعمهم فضلاً =

(١) سورة يس آية (٨٢).
(٢) شرح مسلم ١٧/٢١، ٢٢.
(٣) فتح الباري ١/٢٢٨.

= عن إحاطة الملائكة كما قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**﴾[1] وفي الحديث القدسي الصحيح «وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم»[2] قال النووي: قيل المراد بالسكينة الطمأنينة والوقار وفي هذا دليل لفضل الإجتماع على تلاوة القرآن في المسجد ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى ويدل عليه الحديث الذي بعده أهـ ـ قلت فيه ـ «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة .. الحديث» بعد الرواية قال: ويكون التقييد ـ أي بالمسجد ـ في الحديث الأول خرج على الغالب، قوله ﷺ «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» معناه من كان عمله ناقصاً لم يلحقه بمرتبه أصحاب الأعمال فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل أهـ والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦٤/٢٨ في التوحيد ح٧٤٠٥.

مبحث: إن اللقمة من الصدقة الخالصة تصير مثل أحد عند الله تعالى

٢٨٣ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أحدكم مُهْرَهُ حَتَّى أن اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** ﴿وهو الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ و﴿**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾.

---

[٢٨٣] أخرجه الترمذي في سننه ٣/٣٣٠ في الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة ح٦٥٩ وقال: صحيح.

وأخرجه الطبري في تفسيره ٣/١٠٥ سورة البقرة آية ٢٧٦ ح٦٢٥١ عن أبي هريرة مرفوعًا.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه وكلتا يديه سبحانه يمين فقد قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[١] فله يمين سبحانه وكلاهما يمين وله يد سبحانه ولا تشبه المخلوق في شئ بل له كما يليق به بلا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل بل ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾[٢] قوله: «**فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره**» أي كما يهتم أحدكم بولد الفرس ذلك الإهتمام الشديد قال صاحب التحفة[٣]: «كما يربي أحدكم مهره» بضم الميم وسكون الهاء قال في القاموس: المهر بالضم =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣/٢٩ في الأمارة، ح١٨٢٧.

(٢) سورة الشوري آية (١١).

(٣) تحفة الأحوزي ٣/٣٣٠.

= ولد الفرس أو أول ما ينتج منه ومن غيره جمعه أمهار والأنثى مهره أهـ «حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد» أي بعد أن يربيها وينميها ويضاعفها فكذلك الصدقة الصغيرة الخالصة ولو لقمة تصبح كالجبل في الثواب والأجر، أو كأنه تصدق بجبل مما يتصدق به، قوله: «وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ قال العراقي[٣] : في هذا تخليط من بعض الرواة والصواب ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾[٤] وقد رويناه في كتاب الزكاة ليوسف القاضي على الصواب أهـ قلت وقد أخرجه الطبري في تفسيره على الصواب. أما هذه الآية التي أخطأ فيها الرواة فهي ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿ **يحمق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾[٦] قال الطبري: فإن قال لنا قائل: وكيف إرباء الصدقات قيل: إضعافه الأجر لربها كما قال جل ثناؤه ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة** ﴾[٧] وكما قال سبحانه ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة** ﴾[٨] والله أعلم.

(٤) سورة براءة آية (١٠٤).

(٥) سورة الشوري آية (٢٥).

(٦) سورة البقرة آية (٢٧٦).

(٧) سورة البقرة آية (٢٦١).

(٨) سورة البقرة آية (٢٤٥).

مبحث: في شئ من المعجزات والكرامات

٢٨٤ ـ عن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أصحابَ الصُّفَّةِ كانوا أُنَاسًا فقراءَ، وأن النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِث وَإِنْ أَرْبَع فَخَامس أَوْ سَادِس**»، وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بعشرةٍ، قال: فهو أنا وأبي وأمي، فلا أدري قال: وامْرَأَتِي وخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وبَيْنَ بيتِ أَبِي بَكْرٍ وإن أبا بكر تَعَشَّى عندَ النَّبِيِّ ﷺ ثم لَبِثَ حيث صُلِّيَتْ العِشَاءُ، ثم رجع فلبث حتى تعشَّى النَّبِيُّ ﷺ فجاء بعدما مضى من الليلِ ما شاءَ اللهُ، قالت له امرأته: وما حَبَسَكَ عن أضيافكَ ـ أو قالت ـ ضَيْفِكَ؟ قال: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قال: أَبَوْا حتى تَجِيءَ، قد عُرِضُوا فأَبَوْا، قالوا: فذهبت أنا فاختَبَأْتَ فقال: يا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ، وسَبَّ، وقال: كُلُوا لا هنيئًا فقال: والله لا أَطْعَمُهُ أبدًا، وأَيْمُ اللهِ ما كنا نأخذ من لُقْمَةٍ إلا رَبَا من أسفلهَا أكثرَ منها. ـ قال ـ وشبعوا وصارتْ أَكْثَرَ مما كَانَتْ قبلَ ذَلِكَ، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها. فقال لامرأته يا أُخْتَ بَنِي فِرَاس ما هذا؟ قالت: لا، وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الآن أَكْثَرُ منها قبل ذلك بثلاث مَرَّاتٍ، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كانَ ذلكَ من الشيطانِ ـ يعني يَمِينَهُ ـ ثم أكل منها لُقْمَةً ثم حَمَلَهَا إلى النَّبِيِّ ﷺ فأصبحتْ عنده وكان بَيْنَنَا وبين قوم عَقْدٌ، فمضى الأَجَلُ، ففرقنا اثنا عشرَ رَجُلاً مع كل رجل منهم أُنَاسٌ اللهُ أَعْلَمُ كم مع كل رجلٍ؟ فأَكَلُوا منها أَجْمَعُونَ أو كما قال.

---

[٢٨٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٣/٢٧٠ في الصلاة باب السمر مع الأهل والضيف ح٦٠٢.

أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٨٤ في علامات النبوة في الإسلام ح٣٥٨١.

= قوله: «الصفة» مكان في مؤخرة المسجد البنوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر أهـ فتح ١٤/٨٥، وقوله «غنثر» بضم الغين المعجمه وسكون النون وفتح المثلثة أي الذباب وأنه سمي بذلك لصوته فشبهه به حيث أراد تحقيره وتصغيره، وقيل الجاهل وقيل السفيه وقيل اللئيم أهـ شرح الكرماني ٤/٢٣٩، قوله: «وقرة عيني» قرة العين يعبر بها عن المسره ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه. قيل ذلك لأن عينه تقر لبلوغه أمنيته فلا يستشرف لشئ فيكون مشتقًا من القرار أهـ ١٤/٨٩، كرماني ٤/٢٣٩.

المعنى

من الكرامات ما يكرم الله تعالى به عباده الصالحين بسبب ما بدأهم به من جذب قلوبهم إليه وتحنينها إلى ذكره وتشويقها إلى لقائه وتحبيبها إلى ما يحب، ثم يزيدهم بعد العمل الصالح أحيانًا ببعض الكرامات الطيبة تهب عليهم كل حين بإذن ربها تزيد في إيمانهم وتثبت أقدامهم وتشعل لهيب الشوق إلى أعلاها ﴿**في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾[1] .

وفي هذا الحديث ذى القصة الطيبة يخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أن فقراء الصفه الذين كانوا في مؤخر المسجد مقيمين كان النبيﷺ يطعمهم فأمر من كان عنده طعام رجلين فليأخذ ثالثًا لأن طعام الواحد يكفي الإثنين وطعام الإثنين يكفي الثلاثة، وهكذا وجاء أبو بكر بثلاثة وانطلق النبيﷺ بعشرة وأن أبا بكر تعشى عند النبيﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول اللهﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله وقد كان أبو بكر رضي الله عنه أوصى بضيافة أضيافه من غير تأخير حتى يأتي لكن الأضياف لما عرض عليهم الطعام =

(١) سورة القمر آية (٥٥).

= أبوا حتى يجيء أبو بكر رضي الله عنه، فعند مسلم «وقال: يا عبد الرحمن أفرغ من أضيافك، قال: فلما أمسيت جئنا بقراهم، قال: فأبوا، فقالوا: حتى يجيء أبو منزلنا فيطعم معنا قال: فقلت لهم: إنه رجل حديد، وإنكم إن لم تفعلوا خفت أن يصيبني منه أذى قال: فأبوا، فلما جاء لن يبدأ بشيء أول منهم، فقال: أفرغتم من أضيافكم... الحديث» وبالفعل لما جاء الصديق بادرته امرأته بالسؤال عن تأخيره عن ضيفانه، فبادرها بسؤال بدلاً من الجواب وهو عن الأهم عنده وهو إكرامهم فقال: «أو ما عشيتهم» فأجابته بإمتناعهم حتى يجيء فغضب الصديق رضي الله عنه وكانت به حده يعني يغضب لله عز وجل فلذلك شتم ابنه عبد الرحمن واختبأ عبد الرحمن مهابة وحياء مع ماله عن عذر فيما حدث كما سبق في الحديث، فلما أخبروه بالسبب غضب من الأضياف وقال «كلوا لا هنيئًا» أي لا أكلتم هنيئًا، قال بذلك ابن حجر[1]: يستفاد من ذلك جواز الدعاء على من لم يحصل منه الإنصاف ولا سيما عند الخروج والتغيظ، وذلك أنهم لما تحكموا على رب المنزل بالحضور معهم ولم يكتفوا بولده مع إذنه لهم في ذلك، وكأن الذي حملهم على ذلك رغبتهم في التبرك بمؤاكلته أهـ لكن للكرماني[2] رأي آخر فقال في شرحه: إنما خاطب أهله لا أضيافه قاله لما حصل له من الجزع والغيظ وقيل إنه ليس بدعاء بل هو خبر أي لم تتهنوا به في وقته أهـ ورأى ابن حجر أقرب للصواب لأن كلوا شملت في ظاهر السياق الأضياف أو الأهل مع الأضياف وأنه غضب رضي الله عنه كما بين لشدة تحكمهم في أمر لا ينبغي التحكم فيه، ثم أقسم الصديق أن لا يطعمه أبدًا أيضًا غضبًا منه رضي الله عنه لما حدث، لكن حلف الأضياف ألا يطعموا حتى يطعم الصديق فعلم الصديق أن الشيطان أراد أن يوقع الوحشة بينه وبين أضيافه فحنث وطعم ففي رواية في الصحيح[3] : =

(١) فتح الباري ١٤/٨٨.

(٢) شرح الكرماني للبخاري ٤/٢٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب ٢٢/٣٤٠ ح٦١٤١ باب قول الضيف لصاحبه والله لا آكل حتى تأكل.

فقال: يا غنثر، فحلفت المرأة لا تطعمه حتى يطعمه، فحلف الضيف أو الأضياف أن لا يطعمه حتى يطعمه فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان فدعا بالطعام فأكل وأكلوا» لكن في روايتنا هذه «ثم أكل منها لقمة».

قال ابن حجر[1] : ويحتمل أن يجمع بأن يكون أبو بكر أكل لأجل تحليل يمينهم شيئًا ثم لما رأى البركة ظاهرة عاد فأكل منها لتحصل له وقال كالمعتذر عن يمينه التي حلف إنما كان ذلك شيطان. والحاصل: أن الله أكرم أبا بكر فأزال ما حصل له من الحرج فعاد مسروراً وانفك الشيطان مدحوراً، واستعمل الصديق مكارم الأخلاق فحنث نفسه زيادة في إكرام ضيفانه ليحصل مقصوده من أكلهم ولكونه أكثر قدرة منهم على الكفارة أهـ ولما حكى الصديق للمصطفى ﷺ فطمأنه النبي ﷺ أنه أفضل من ضيفانه وأخير منهم. فعند مسلم[2] : قال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ بروا وحنثت «قال: فأخبره فقال: بل أنت أبرهم وأخيرهم» قال: ولم تبلغني كفارة، وقد ظهرت الكرامة في بركة القصعة ظهوراً جليًا يقول عبد الرحمن «وأيم الله» يقسم ما كنا نأخذ لقمة إلا ربا وزاد من تحتها أكثر مما أخذنا حتى أكلوا وشبعوا وصارت أكثر مما كانت فتعجب الصديق رضي الله عنه وسأل امرأته فأخبرته أنها أكثر بثلاث مرات فأكل الصديق رضي الله عنه ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان هناك جيش ففرقهم النبي ﷺ وقسمهم وجعل مع كل مجموعة عريفًا وبدأت البركة عند الصديق صغيرة ثم ذهب بها إلى النبي ﷺ فتمت وأصبحت كبيرة تكفي الجيش فأكلوا أجمعون. قال ابن حجر : وأما المعنى: فالحاصل أن جميع الجيش أكلوا من تلك الجفنه التي أرسل بها أبو بكر إلى النبي ﷺ وظهر بذلك أن تمام البركة في الطعام المذكور كانت عند النبي ﷺ لأن

(١) فتح الباري ١٤/٩٠، ٩١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤/٢٩ في الأشربه ح١٧٧.

= الذي وقع فيها في بيت أبي بكر ظهور أوائل البركة فيها وأما انتهاؤها إلى أن تكفي الجيش كلهم فما كان إلا بعد أن صار عند النبي ﷺ على ظاهر الخبر والله أعلم.

وقد أخرج أحمد في المسند[1] عن سمرة أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة يقوم ناس ويقعد آخرون، قال له رجل: هل كانت تمد؟ قال: فمن أي شئ تعجب ما كانت تمد إلا من ههنا وأشار إلى السماء قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون هذه القصعة هي التي وقع فيها في بيت أبي بكر ما وقع. والله أعلم أهـ والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٨ عن سمرة بن جندب مرفوعًا.

مبحث : في أربح الأموال

٢٨٥ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانَ أبو طلحةَ أكثرَ الأنصارِ بالمدينةِ مالاً من نخلٍ، وكانَ أحب أموالِهِ إليه بير حاءَ وكانتْ مستقبلةَ المسجِدِ، وكان رسول اللهﷺ يدخلهَا ويشربُ منْ ماءٍ فيهَا طيب، قال أنسُ: فلمَا نزلتْ الآيةُ ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قامَ أبو طلحةَ إلى رسول اللهﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَ اللّهَ تباركَ وتعالىَ يقولُ ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإنَّ أحبَّ أموالِي إليَّ بيْرُ حَاءَ، وإنهَا صدقةٌ للهِ أرجو برهَا وذخرهَا عند اللهِ، فضعَها يا رسولَ الله حيثُ أراكَ اللهُ قال: فقال رسولُ اللهﷺ: «**بَخْ ذلكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابحٌ وقد سَمعْتُ مَا قُلْتَ، وَإني أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ**» فقال أبو طلحةَ: أفعل يا رسولَ الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه».

---

[٢٨٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٨٣/٧ في الزكاة، باب الزكاة على الأقارب ح١٤٦١.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٨/١١ في الوصايا باب إذا وقف أرضا ولم يبين الحد فهو جائز، ح٢٧٦٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٨٤/٧، ٨٥ في الزكاة، باب النفقة على الأقربين والزوج والأولاد.

قوله: «بير حاء» بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمد فيها وبفتحهما وبالقصر وهي اسم مال وموضع بالمدينة أهـ نهاية ١١٤/١.

قوله: «بخ» بفتح الموحده وسكون المعجمة وقد تنون مع التشقيل والتخفيف بالكسر والرفع والسكون ومعناها تفهيم الأمر والإعجاب به أهـ فتح ٢٣٨/١١.

المعنى

قد يربح المرء ربحًا ثم يزيد وقد ينقص وقد يزول وقد يؤدي به إلى الهلاك كالربا وقد يكون وبالاً عليه والعياذ بالله إن كان حرامًا، وقد يكون كثيراً ولكن بتضييع حق الله تعالى فيه يضيع، أما الربح الذي لا يقل ولا يضيع ولا يزول ولا يؤدي بصاحبه إلى الهلاك بل يزيد دائمًا زيادة لم يتعودها مخلوق ويحوطه الخير من جوانبه فهو ما أودع رأس ماله في خزائن الذي له خزائن السموات والأرض، لذلك لما قسم أبو طلحة بير حائه في أقاربه وقال: إنها صدقة لله أرجوا برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله ﷺ «بخ ذلك مال رابح، ذلك مالك رابح».

ويبدأ أنس رضي الله عنه الحديث من أوله فيقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل أي بالنسب للنخل هو أغناهم، قوله: «وكان أحب أمواله إليه بير حاء» قال ابن الأثير[1] : بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمهما والمد فيهما، وبفتحهما والقصر، وهي اسم مال وموضع بالمدينة أهـ وقال القاضي عياض[2] : وهو حائط يسمى بهذا الإسم وليس إسم بئر والحديث يدل عليه والله أعلم أهـ قوله: «وكانت مستقبلة المسجد» أي أمام مسجد النبي ﷺ يدل عليه قوله: «وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب» تواضعًا منه ﷺ حيث كان من الممكن أن يأتيه الماء إلى بيته أو مسجده ولكن من حسن خلقه وتطييبًا لقلب أبي طلحة يقوم بنفسه فيدخل فيها ﷺ قوله: «قال أنس: فلما نزلت هذ الآية ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾[3] فيه سبب ورود هذا الحديث الشريف قوله: «قام أبو

(١) النهاية ١/١١٤.

(٢) شرح مسلم ٧/٨٤، ٨٦.

(٣) سورة آل عمران (٩٢).

= طلحة إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال النووي: فيه دلالة للمذهب الصحيح وقول الجمهور أنه يجوز أن يقال إن الله يقول كما يقال إن الله قال ثم غلط من منع المضارعة أهـ «وإن أحب أموالي إلى بير حاء» فيه مطابقة الآية الكريمة لأن الله قال ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وأبو طلحة يقول «إن أحب أموالي» ففيه ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الفهم في كتاب الله الكريم وسرعة الإستجابة والمبادرة إلى الخير إبتغاء وجه الله تعالى قوله: «وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها» أظهر أبو طلحة نيته للنبي ﷺ وقبلها رسول الله ﷺ بل ودعا له قوله «برها» قال ابن الأثير(١) : البر بالكسر: الإحسان أهـ قوله: «وذخرها» هي من الإدخار قال ابن الأثير(٢) : وأصل الإدخار: إذتخار وهو افتعال من الذخر أهـ قوله: «فضعها يا رسول الله حيث أراك الله» فيه تسليم العنان لصاحب الشرع وهذا مما يحبه الله تعالى ويرضاه قوله: «قال: فقال رسول الله ﷺ بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح» قال الحافظ ابن حجر(٣) : قوله: «بخ» بفتح الموحدة وسكون المعجمة وقد تنون مع التثقيل والتخفيف بالكسر والرفع والسكون ويجوز التنوين لغات ولو كررت فالاختيار أن تنون الأولى وتسكن الثانية وقد يسكنان جميعًا ومعناها تفخيم الأمر والإعجاب به أهـ أي عظم النبي ﷺ شأن هذه الصدقة لمطابقتها موعود الله عز وجل وسرعة الإستجابة وصدق النية فيما ظهر له ﷺ.

والرابح أي ذو الربح العظيم، قال النووي: فمن رواه بالموحده فمعناه ظاهر وأما بالمثناه رايح فمعناه رايح عليك أجره ونفعه في الآخره أهـ قوله «وقد سمعت ما قلت، =

---

(١) نهاية ١/١١٦.

(٢) نهاية ٢/١٥٥.

(٣) فتح الباري ١١/١٣٨، ١٣٩.

مبحث : من أحسن إلى البنات كنَّ له ستراً من النار

٢٨٦ ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ معهَا ابنتَان تَسأَلُنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: «**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئاً فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ**»

٢٨٧ ـ عن أنس بن مالك قال: قال: رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وضَمَّ أَصَابِعَهُ**».

= وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» لأن الصدقة على الفقير أو المسكين أو أي مستحق للصدقة صدقة، وعلى ذوي الأرحام صدقة وصلة قال النووي: في الحديث «لهما أجران أجر القرابه وأجر الصدقة فيه الحث على الأقارب وصلة الأرحام وأن فيها أجرين أهـ قوله: «فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله قال ابن حجر: أفعل بضم اللام على أنه قول أبي طلحة أهـ قوله «فقسمها أبوطلحة في أقاربه وبني عمه» وفي الحديث من الفوائد أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين وفيه أن القرابة يرعى حقها في صلة الأرحام وإن لم يجتمعوا إلا في أب بعيد لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين فجعلها في أبي بن كعب وحسان بن ثابت وإنما يجتمعان معه في الجد السابع أهـ والله أعلم.

مبحث : من أحسن إلى البنات كن له ستراً من النار

[٢٨٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٩/٢٢، باب من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم ح٥٩٩٥.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٣٢/٧ في الزكاة، باب «اتق النار ولو بشق تمرة» ح١٤١٨.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧٩/١٦ في البر، باب فضل الإحسان إلى البنات، روايتان.

وأخرجه أحمد في المسند ٣٣/٦، ٨٨.

[٢٨٧] أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٠/١٦ في البر والصلة والآداب، باب =

= فضل الإحسان إلى البنات.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ... الآية﴾[1] وهذا حال غالب الناس لذلك ندب الشرع الحنيف إلى الإحسان إلى البنات وكافأ على ذلك أعظم المكافآت.

فتقول عائشة رضي الله عنها زوج النبيﷺ: «جاءتني امرأة معها ابنتان» قال الحافظ ابن حجر[2] : لم أقف على أسمائهن، أهـ وفي رواية مسلم: «ومعها ابنتان لها» فبينت أنهما ابنتيها قولها: «تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة» فيه ما كانت فيه عائشة من الزهد والسخاء فرضيت بالقلة وتصدقت بها قال ابن بطال[2] : وفيه سخاء عائشة لكونها لم تجد إلا تمرة فآثرت بها وأن القليل لا يمتنع التصدق به لحقارته بل ينبغي للمتصدق أن يتصدق بما تيسر له قل أو أكثر أهـ قولها: «فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها» وفي رواية للبخاري «ولم تأكل منها» قال القسطلاني[3] : لم تأكل منها شيئاً لما جعل الله في قلوب الأمهات من الرحمة أهـ قولها: «ثم قامت فخرجت» وفي رواية مسلم: «ثم قامت فخرجت وابنتاها» أي من عند عائشة رضي الله عنها قولها: «فدخل النبيﷺ فحدثته» وفي رواية مسلم «فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول اللهﷺ» أي لما تعجبت وعجبت منها أخبرت رسول اللهﷺ لأعلم رأيه ﷺ في ذلك قولها: «فقال ﷺ: من يلي من هذه البنات شيئاً =

(١) سورة النحل آية (٥٨).

(٢) فتح الباري ٢٢/٢٠٩، ٢١٠.

(٣) إرشاد الساري ٣/٢٠.

= فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» وفي رواية مسلم: «من ابتلى» وفي رواية[1]: «من كانت له ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» فذكر أيضًا الأخوات مع البنات في الفضيلة للعمل قال النووي[2]: إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة قال الله تعالى ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم** ﴾ أهـ قوله: «فأحسن إليهن» تفسرها رواية أحمد[3] «يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن» ولفظه قال رسول الله ﷺ: «من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البته» «قال: قيل يا رسول الله فإن كانت إثنتين قال: وإن كانت إثنتين ... الحديث» قال الحافظ ابن حجر: دل على أن من فعل معروفًا لم يكن واجبًا عليه أو زاد على قدر الواجب عليه عد محسنًا والذي يقتصر على الواجب وإن كان يوصف بكونه محسنًا لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه أهـ قوله: «كن له ستراً من النار» وفي رواية لمسلم: «وإن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار» أي فعل ذلك الإحسان إلى البنات أو إثنتين أو واحدة يؤدي إلى الجنة والنجاة من النار إن شاء الله تعالى، قال القسطلاني: «كن له ستراً» أي حجابًا أهـ والله أعلم قال ابن حجر: وفي الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال أهـ والله أعلم.

وفي الحديث الثاني أيضًا يخبرنا أنس عن نبينا ﷺ أنه قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه» أي من قام على إبنتين له خير قيام =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣٩/٦ في البر والصلة، باب ما جاء في النفقات على البنات والأخوات.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٧٩/١٦، ١٨٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٠٣/٣ عن جابر بن عبد الله مرفوعًا.

مبحث : عتق المسلم ينقذ من النار

٢٨٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَءًا مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ».

= من تأديب وتعليم الشرع الحنيف وتعليم العفه والستر والطاعة والنفقة جاء يوم القيامة قريبًا من سيد العالمين ﷺ، قال الله تعالى ﴿ **يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾[1] .

قال النووي: ومعنى عالهما: قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما مأخوذ من العول وهو القرب، ومنه «وابدأ بمن تعول»[2] ومعناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين أهـ والله أعلم.

مبحث : عتق المسلم ينقذ من النار

[٢٨٨] أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٢٣٦ في العتق وفضله وقوله تعالى ﴿ **فك رقبه ... الآية** ﴾، ح٢٥١٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٠/٢١٣ في العتق، باب فضل العتق، ح٢٣، ٢٤.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٤٤٧.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «أيما رجل أعتق امرءًا مسلمًا» أي حرره من الرق فيصبح حرًا بدلاً من أن يكون عبدًا قال تعالى ﴿ **فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة. فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا ذا مقربة أو** =

---

(١) سورة التحريم آية (٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/١٧٦ في الزكاة ح٩٥/١٠٣٤.

= مسكينًا ذا متربة﴾[1] ، وبين العتق والفك عموم وخصوص مطلق فكل عتق فك وليس كل فك عتق فقد أخرج الحاكم في المستدرك[2] عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئًا يدخلني الجنة، فقال: «لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، اعتق النسمة وفك الرقبة» قال: أو ليسا واحدًا؟ قال: «فإن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها... الحديث» وقوله: «أيما رجل» عند مسلم: «أيما امرئ مسلم» إذا فهذا شرط وهو الإسلام في المعتق بكسر التاء والمعتق بفتحها قوله: «استنفذ الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار» أي كل عضو من المعتوق يعتق الله تعالى به عضوًا من العاتق وكان من الممكن أن يخبر نبينا ﷺ أيما رجل أعتق امرءًا مسلمًا استنقذ الله من النار لأنه لازم الأعضاء لكنه ذكر العضو بالعضو لأنه قد يشارك في عتق البعض لا الكل فيؤجر على كل ما فكه عضو بعضو وإذا اعتق الكل فالكل.

قال الحافظ[3]: والمراد بفك الرقبة تخليص الشخص من الرق وتسمية الشئ باسم بعضه وإنما خصت بالذكر اشارة إلى أن حكم السيد عليه كالغل في رقبته فإذا أعتق فك الغل من عنقه أهـ وقال النووي[4] : وأما التقييد في الرقبة بكونها مؤمنة فيدل على أن هذا الفضل الخاص إنما هو في عتق المؤمن ولهذا أجمعوا على أنه يشترط في عتق كفارة القتل كونها مؤمنة أهـ والله أعلم.

---

(١) سورة البلد من آية (١١) إلى آية (١٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢١٧/٢٣٦ في المكاتب، ح٢٨٦١ وقال صحيح الإسناد.

(٣) فتح الباري ١٠/٢٣٦.

(٤) شرح مسلم ١٠/٢١٤.

مبحث : حسن الخلق يثقل الميزان يوم القيامة

٢٨٩ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «مَا مِنْ شَئْ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مَنْ حُسْنِ الخُلُقِ».

---

[٢٨٩] أخرجه أبو داود في سننه ١٣/١٥٥ في الأدب، باب في حسن الخلق، ح٤٧٧٧.

وأخرجه الترمذي في سننه ٦/١٤٠ في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ح٢٠٧٠ وقال حسن صحيح.

المعنى

يخبرنا أبو الدرداء رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما من شئ أثقل في الميزان من حسن الخلق أي من أعظم الأشياء الطيبة من الأعمال الصالحة بعد التوحيد التي تثقل ميزان العبد يوم القيامه بالحسنات فتؤول به بفضل الله تعالى إلى النجاة هو حسن الخلق زاد الترمذي «فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذئ» وقد وصل نبينا ﷺ في هذا الأمر غايته فما لحقه أحد فضلاً عن أن يدانيه ولا حتى من الأنبياء فإن نوحًا عليه السلام دعا على قومه وإبراهيم عليه السلام شكاهم إلى ربه وعيسى وكل الأمر إلى ربه لكن نبيناﷺ في أشد الأذى خير فدعا لهم بالمغفرة والهداية قائلاً «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» وقد تقدم شرحه بحمد الله تعالى في باب العقائد لذلك زكاه ربنا تعالى بنفسه فقال: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] قال صاحب التحفة[2] : قوله «ما من شئ» ثوابه أو صحيفته أو عينه المجسد «اثقل في الميزان من حسن الخلق» وعند الترمذي «من خلق حسن» قال: فإنه تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه أهـ وقال صاحب عون المعبود[3] في قوله: «من حسن الخلق» أي من ثوابه وصحيفته أهـ قال =

---

(١) سورة القلم آية (٤).

(٢) تحفة الأحوذي ٦/١٤٠.

(٣) عون المعبود ١٣/١٥٥.

مبحث : من تجاوز عن المسلم تجاوز الله عنه

٢٩٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِه : تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللّٰهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللّٰهُ عَنْهُ**».

٢٩١ ـ وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**مَاتَ رَجُلٌ فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ ، قَالَ : كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فَأَتَجَوَّزُ عَنِ الْمُوسِرِ ، وأُخَفِّفُ عَنِ الْمُعْسِرِ ، فَغُفِرَ لَهُ**».

= في التحفة قال القاريء: ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضًا لله ليس له وزن وقدر كما أن كل ما يكون محبوبًا له يكون عنده عظيمًا قال تعالى في حق الكفار ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾[1] وقال في قوله: «فإن الله يبغض الفاحش» أي الذي يتكلم بما يكره سماعه أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي «البذيء» قال المنذري في الترغيب: البذيء بالذال المعجمة ممدوداً هي المتكلم بالفحش أهـ والله أعلم.

مبحث : من تجاوز عن المسلم تجاوز الله عنه

[٢٩٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٩/١٥٨ في البيوع، باب من أنظر معسراً، ح٢٠٧٨.

[٢٩١] أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١٣٢ في الإستقراض باب حسن التقاضي ٢٣٩١.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٠/٢٢٥ في المساقاة والمزارعة، باب فضل من أنظر معسر.

قوله: «الموسر والمعسر» يرجعان إلى العرف فمن كان بالنسبة إلى مثله يعد عساراً فهو معسر وعكسه وهذا هو المعتمد أهـ فتح الباري، وقوله «فتيان» جمع فتى وهو =

---

(١) سورة الكهف آية (١٠٥).

= الخادم حراً كان أو مملوكًا أهـ فتح ١٥٦/٩ هذا هو الأعم الغالب وقيل الفتاء: المصدر من الفتى السن أي طري السن أهـ نهاية ٤١١/٣.

المعنى

إن ربنا عز وجل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما قال عز وجل ﴿ورحمتي وسعت كل شئ... الآية﴾[1] وقال ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن»[2] لذلك فهو سبحانه يرحم من يرحم عباده ويحبه ويدنيه ويغفر له ويزكيه بل وإلى الجنة يأويه، كل على قدر عمله فالرحمة أنواع ومنها ما يصنعه من داين إنسانًا وكان المدين معسراً وقت السداد فإذا أمهله محتسبًا الأجر عند من لا تنفد خزائنه فإنه يكافئه بذلك بالنجاه من ضيق يوم القيامة وشدة حره كما نفس عن أخيه ضيق الدين، فقد أخرج مسلم عن أبي اليسر مرفوعًا «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»[3] ويقص علينا نبيناﷺ أن هناك رجلاً كان يداين الناس ويبايعهم فإذا وجد من كان في ضيق وقلة مال قال لعماله أتركوا له وإذا وجد من هو في سعة من المال قال أمهلوه، لقد أتى بأعمال قد يظنها البعض صغيرة حقيره لا تفي بمحو آثامه العظيمة حيث أنه لم يوجد له من الخير شئ إلا هذا العمل، فلما تلقت الملائكة روحه سألته عن عمل الخير فلم يوجد إلا ذلك حيث أنه لا يستطيع أن يكتم الله حديثًا فلما وجد من خلقه التجاوز قوبل بفعله حيث أن الله أكرم منه سبحانه فتجاوز عنه أكرم الأكرمين لتجاوزه، وهذا الرجل كان من بني إسرائيل، وشرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ أو يذم، ولمسلم[4] عن أبي مسعود رفعه: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً ...» وفي رواية عند مسلم[5]: «أتى الله بعبد من عباده أتاه الله مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ولا يكتمون الله =

(١) سورة الأعراف آية (١٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٦٠/٢ عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٣/١٨ في الزهد ح٣٠٠٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٦/١٠ في المساقاة والمزارعة، باب فضل أنظار المعسر.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٥/١٠ في المساقاه والمزارعة، باب فضل أنظار المعسر.

= حديثًا، قال يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقي الجواز.. الحديث» وقد رجى الرجل ذلك محتسبًا عند فعله في حياته فقد كان يرجو أن يتجاوز الله عنه ففي حديث الباب قال لفتيانه: «تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه» وفي رواية: «فغفر له» فسبحان من يضاعف الصغير ويجزي عن الحسنة عشراً إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيرة قال تعالى ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما** ﴾[6] وشرعنا الحنيف فيه ذلك، قال ابن حجر[7] : وفيه أن الأجر يحصل لمن يأمر به وإن لم يتول ذلك بنفسه، وهذا كله بعد تقرير أن شرع من قبلنا إذا جاء في شرعنا في سياق المدح كان حسنًا عندنا أهـ قال تعالى ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾[8] .

ملاحظة: قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى بعد حديث ٢٠٧٧ ص١٥٦ ح٩: وقال أبو مالك عن ربعي: «كنت أيسر على الموسر وانظر المعسر» ثم قال: وقال أبو عوانه عن عبد الملك عن ربعي: «أنظر الموسر واتجاوز عن المعسر» أهـ قال ابن التين: رواية من روى، وأنظر الموسر «أولى من رواية» وأنظر المعسر، لأن انظار المعسر واجب أهـ والله أعلم.

---

(٦) سورة النساء آية (٤٠).

(٧) فتح الباري ٩/١٥٨:

(٨) سورة الزمر آية (٥٣).

مبحث : كافل اليتيم في الجنة

٢٩٢ ـ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**كَافِلُ اليَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ**» وأشار مالك بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى.

---

[٢٩٢] أخرجه مسلم في صحيحه ١٨/١١٣ في الزهد، باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم.

قوله: «اليتيم» اليتم في الناس فقد الصبي أباه قبل البلوغ أهـ نهاية ٥/٢٩١، وكافل اليتيم هو القائم بأموره أهـ شرح مسلم ١٨/١١٣.

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» أي الساعي على من مات أبوه وهو صغير فرباه وعلمه وأدبه وأخذ بيده إلى طريق الخير والصلاح وعرفه الحلال وحذره الحرام حتى أصبح تقيًا سواء كان هذا اليتيم من الأقارب أو الأجانب نال بهذه المراتب العالية بل أعلاها حيث يكون قريبا بفضل الله تعالى بفعله ذلك من سيد العالمين نفسه صاحب أعلى الدرجات وأرفعها في الجنة ﷺ كقرب الأصبع السبابه الموحدة والوسطى المجاورة لها فلذلك أشار الامام مالك بذنيك الأصبعين قال الله عز وجل ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر** ﴾[1] قال النووي[2] : كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية، وأما قوله له أو لغيره فالذي له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجنبيًا أهـ والله أعلم.

---

(١) سورة الضحي آية (٩).

(٢) شرح مسلم ١٨/١١٣.

الفصل السادس
التَحْذِيرُ من تَـرْكِ العَمَلِ الصَّالِحِ وتَقْلِيلِه بعد الزِّيَادَةِ فيه

مبحث: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه

٢٩٣ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ لاَتَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ، كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**».

---

[٢٩٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤٥ في التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ح١١٥٢.

المعنى

فعل الخير يسوغ الوصول إلى مراتب القبول، فلذلك يكره العدول عنه حتى لا يؤول بصاحبه إلى النزول وهنا عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال لي رسول لله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان» ينصحه رسول الله ﷺ بألا يتشبه بمن رجع عن الخير فخسر الكثير مما يقربه من الله عز وجل فإن «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»[1] قال الحافظ بن حجر[2]: قوله «مثل فلان» لم أقف على تسميته في شئ من الرطق وكأنه إبهام مثل هذا لقصد الستره عليه كالذي تقدم قريباً في الذي نام حتى أصبح ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصاً معيناً وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمرو من الصنيع المذكور أهـ قول: «كان يقوم من الليل» قال =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/٧٢ في الصلاة باب فضيلة العمل الدائم.

(٢) فتح الباري ٦/٤٥.

= القسطلاني[1] : أي فيه، وفي رواية «الليل» أي بعضه أهـ وقال ابن حجر: «من الليل» أي بعض الليل. قوله «فترك قيام الليل» قال ابن العربي: في هذا الحديث دليل على أن قيام الليل ليس بواجب إذ لو كان واجبًا لم يكتف لتاركه بهذا العذر بل كان يذمه أبلغ الذم، وقال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه، وفيه أستحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط ويستنبط منه كراهه قطع العبادة وإن لم تكن واجبة أهـ والسبيل إلى المداومة إن شاء الله تعالى الإقتصاد لذلك ترجم الإمام البخاري[2] باب ما يكره من التشديد في العبادة ثم عقبه بباب[3] ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه. قال ابن حجر: وما أحسن ما عقب المصنف هذه الترجمه بالتي قبلها لأن الحاصل منهما الترغيب في ملازمة العبادة والطريق الموصل إلى ذلك الإقتصاد فيها لأن التشديد فيها قد يؤدي إلى تركها وهو مذموم أهـ والله أعلم.

---

(١) إرشاد الساري ٢/٣٢٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٤٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٤٥.

مبحث: من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر شرعي جعل قلبه قلب منافق والعياذ بالله تعالى

٢٩٤ ـ عن أبي الجَعْدِ الضَّمْرِي قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الجُمُعَةَ ثَلاَثَ مرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ».

---

[٢٩٤] أخرجه الترمذي في سننه ١٣/٣ في الجمعة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر ح٤٩٨ وقال حسن.

وأخرجه أبو داود في سننه ٣٧٧/٣ في الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ٣٥٧/١ في الصلاة، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر.

وأخرجه أحمد في المسند ٣٣٢/٣.

وذكره ابن حجر في المطالب العاليه ١٧٣/١، ١٧٤ وعزاه لمسدد.

المعنى

يخبرنا أبو الجعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونًا بها» أي ترك ثلاث مرات صلاة الجمعة في الجماعة في المسجد الجامع مع المسلمين متكاسلاً أو متعمداً أو مستهزءاً بحقها غير مكترث بقيمتها وعظمتها وأنها من الخصائص المفضلة بها الأمة المسلمة أتاه العقاب قال الله تعالى عن المستهزئين ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾[1] ،قال صاحب التحفة[2] : قال العراقي: المراد بالتهاون: الترك من غير عذر والمراد بالطبع أنه يصير قلبه قلب منافق أهـ وقال الطيبي: أي إهانة؛ والظاهر هو ما قال العراقي والله تعالى =

---

(١) سورة البقرة آية (١٥).

(٢) تحفة الأحوذي ١٣/٣، ١٤.

= أعلم قال الشيخ عبد الحق في اللمعات: الظاهر أن المراد بالتهاون التكاسل وعدم الجد في أدائه لا الإهانه والاستخفاف فإنه كفر والمراد بيان كونه معصية عظيمة أهـ.

وقوله ﴿طبع الله على قلبه﴾ أي جزاء هذه الكبيره المتكرره من غير عذر شرعي ضروري قال تعالى ﴿ **وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً** ﴾(١) أي بسبب الكفر حدث الطبع فلا يفتح لما دخلها من سواد النفاق والكفر والمعاصي وهكذا هنا مع تكرار هذا الذنب العظيم حدث الطبع والعياذ بالله تعالى لذلك هناك زيادة في رواية مسدد «وجعل قلبه قلب منافق» قال في التحفة: قوله «طبع الله على قلبه» أي ختم على قلبه بمنع إيصال الخير إليه وقيل كتبه منافقًا كذا في المرقاة أهـ والله أعلم.

ترجمة الصحابي أبو الجعد الضمري رضي الله عنه: قيل اسمه أدرع وقيل عمرو بن بكير وقيل جنادة له صحبة، قال ابن سعد: بعثه النبيﷺ بجيش قومه لغزوة الفتح ولغزوة تبوك، قال ابن حجر: قال البرقي: قتل مع عائشة يوم الجمل أهـ تهذيب ١٢/٥٧ أما الجعد: فبفتح الجيم وسكون العين المهمله بعدها دال مهمله وأما الضمري فقال الهندي محمد بن طاهر: بمفتوحه وسكون ميم نسبة إلى صخرة بن بكر أهـ المغني في ضبط الأسماء ص١٥٦ والله أعلم.

---

(١) سورة النساء آية (١٥٥).

مبحث: من ترك صلاة الليل استحوذ عليه الشيطان

٢٩٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَأَرْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انحل عقدة، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**».

---

[٢٩٥] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩/٦، في التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ح١١٤٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦٥/٦ في الصلاة، باب الحث على صلاة الوقت وإن قلت.

وأخرجه النسائي في سننه ٢٠٣/٣ في قيام الليل، باب الترغيب في قيام الليل.

قوله: «قافية رأس أحدكم» القافية آخر الرأس وقافية كل شئ أخره، ومنه قافية الشعر أهـ شرح مسلم للنووي ٦٥/٦.

وقال ابن الأثير في النهاية ٩٤/٤: القافية: القفا وقيل: قافية الرأس: المؤخرة. وقيل وسطه أهـ.

المعنى

من لم يصل بالليل فرح به الشيطان واستمكن منه بالعقد على مؤخر رأسه حتى يفوته الفوز بالمراتب السنية التي يحصل عليها أهل السرى عندما يحمدون الله عز وجل عند الصباح فعند الصباح يحمد القوم السرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافيه رأس أحدكم» قال القسطلاني[٢]: «يعقد الشيطان» إبليس أو أحد أعوانه أهـ وقوله «على قافية» قال النووي[١] القافية آخر =

---

(١) إرشاد الساري ٣٢١/٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/٦.

= الرأس وقافية كل شئ آخره ومنه قافيه الشعر أهـ وقال ابن الأثير: قافية الرأس مؤخره وقيل وسطه، أراد تثقيله في النوم واطالته فكأنه قد شدد عليه شداداً وعقده ثلاث عقد أهـ.

وقال الحافظ ابن حجر[3]: ظاهر قوله «أحدكم» التعميم في المخاطبين ومن في معناهم، ويمكن أن يخص منهم من تقدم ذكره ومن ورد في حقه أنه يحفظ من الشيطان كالأنبياء ومن تناوله قوله تعالى ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾[4] أهـ قوله «إذا هو نام» وفي رواية مسلم المخرجة آنفًا «إذا نام» وقوله: «يضرب على مكان كل عقدة» قال الحافظ ابن حجر[5]: وقوله «يضرب أي بيده على العقدة تأكيداً وإحكامًا لها قائلاً ذلك وقيل معنى يضرب يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ومنه قوله ﴿ **فضربنا على آذانهم** ﴾[6] أي حجبنا الحس أن يلج في آذانهم فيتنبهوا أهـ قوله: «عليك ليل طويل فارقد» ورواية مسلم الماضية: «عليك ليلاً طويلاً» قال النووي[7]: بالنصب على الإغراء، وبالرفع أي بقي عليك ليل طويل. أهـ بتصرف، وقال القرطبي[8]: الرفع أولى من جهة المعنى لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد بقوله «فارقد» ثم قال، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه أهـ وقال النووي[9]: واختلف العلماء في هذه العقد فقيل هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام، قال الله تعالى =

(٣) فتحح الباري ٢٩/٦.
(٤) سورة الحجر آية (٤٢).
(٥) فتح الباري مقدمته ٣٢١/٢.
(٦) سورة الكهف آية (١١).
(٧) شرح مسلم ٦٥/٦.
(٨) فتح الباري ٣/٦.
(٩) شرح مسلم ٦٥/٦، ٦٦.

= ﴿ ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذ حسد ﴾[1] فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر وقيل يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد وقيل هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام وقيل هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل أهـ والغالب أن العقد حقيقي ويكون بحبل فعند أحمد[2] في المسند «قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد...» وقوله «فإن أستيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقده، فإن صلى انحل عقده» قال النووي: فيه فوائد: منها الحث على ذكر الله تعالى عند الإستيقاظ وجاءت فيه أذكار مخصوصه مشهورة في الصحيح، ولا يتعين لهذه الفضيلة ذكر لكن الأذكار المأثوره فهي أفضل ومنها التحريض على الوضوء إذًا وعلى الصلاة أهـ.

وقال ابن حجر[3] : وظاهره أن العقد تحل كلها بالصلاة خاصة وهو كذلك في حق من لم يحتج إلى الطهارة كمن نام متمكنًا مثلاِ ثم تنبه فصلى من قبل أن يذكر أو يتطهر فإن الصلاة تجزئة في حل العقد كلها لأنها تستلزم الطهارة وتتضمن الذكر أهـ قوله: «فأصبح نشيطًا» قال القسطلاني[4] : أي لسروره بما وفقه الله له من الطاعة، وما وعد به من الثواب، ومازال عنه من عقد الشيطان أهـ قوله: «طيب النفس» قال الحافظ بن حجر[5] : والذي يظهر أن في صلاة الليل سراً في طيب النفس وإن لم يستحضر المصلي شيئًا مما ذكر وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً ﴾[6]، وقوله: «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» =

(١) سورة الفلق آية (٤)، (٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٥٣ عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) فتح الباري ٦/٣٠.

(٤) إرشاد الساري ٢/٣٢٢.

(٥) فتح الباري ٦/٣٢.

(٦) سورة المزمل آية (٦).

مبحث : إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه

٢٩٦ ـ عن أبي وائل بن عبد الله رضي الله عنه قال: ذكر عند النبيﷺ رجل فقيل: مازال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال: «**بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِه**».

= قال النووي[1]: معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه وظاهر الحديث أن لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهي الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان وليس في هذا الحديث مخالفة لقوله ﷺ «لايقولن أحدكم خبثت نفسي»[2] فإن ذلك نهي للإنسان أن يقول هذا اللفظ عن نفسه وهذا إخبار عن صفة غيره أهـ والله تعالى أعلم.

مبحث : إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه

[٢٩٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٣٤، في التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، ح١١٤٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦/٦٣ن في الصلاة، باب الحث على صلاة الوقت وإن قلت.

وأخرجه النسائي في سننه ٣/٢٠٤ في قيام الليل، باب الترغيب في قيام الليل.

المعنى

فضلا عن أن يعقد الشيطان على قافية النائم ليله فإنه يزيده تثبيطا عن الخير ليحرمه من تدارك ما فات بما بقي فإنه يبول في أذنه والعياذ بالله تعالى.

لذلك يذكر لنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أنه ذكر عند النبيﷺ رجل» =

(٢) شرح مسلم ٦/٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٣٧٣ في الأدب ح٦١٧٩.

قال الحافظ ابن حجر[1] : لم أقف على اسمه، قوله: «فقيل مازال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة» قال الحافظ ابن حجر: المراد الجنس - أي جنس الصلاة - ويحتمل العهد ويراد به صلاة الليل والمكتوبه، وقال السندي[2] : قوله «حتى أصبح» لعله ترك العشاء وظاهر كلام المصنف أنه ترك صلاة الليل وقوله «بال الشيطان في أذنه» قيل على الحقيقه وقيل مجاز عن سد الشيطان أذنه أهـ وفي رواية مسلم[3] : «في أذنيه» قال القسطلاني[4] : وقال في شرح المشكاه للطيبي: خص الأذن بالذكر والعين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم فإن المسامع هي موارد الانتباه بالاصوات ونداء حي على الصلاة قال تعالى ﴿**فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً**﴾[5] أي أنامهم إنامة ثقيله لاتنبههم فيها الأصوات وخص البول من بين الأخبثين لأنه مع خباثته أسهل مدخلا في تجاويف الخروق والعروق ونفوذه فيها فيورث الكسل في جميع الأعضاء أهـ.

وقال النووي[6] : اختلفوا في معناه فقال ابن قتيبه: معناه افسده يقال: بال في كذا إذا أفسده. وقال المهلب والطحاوي وآخرون: هو استعاره وإشارة إلى إنقياده للشيطان وتحكمه فيه وعقده على قافية رأسه «عليك ليل طويل» وإذلاله له وقيل معناه استخف به واحتقره واستعلى عليه، وقل الحربي: معناه ظهر عليه وسخر منه وقال القاضي عياض: ولا يبعد أن يكون على ظاهره أهـ قلت ورأى القاضي ما أختاره وإني عنه راض، لعدم امتناع حدوث ذلك قال ابن حجر[7] : قال القرطبي وغيره: لا =

(١) فتح الباري ٦/٣٤.
(٢) حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى ٣/٢٠٤.
(٣) أخرجها مسلم في صحيحه ٦/٦٣ في الصلاة، باب الحث على صلاة الوقت وإن قلت.
(٤) إرشاد الساري ٢/٣٢٣.
(٥) سورة الكهف آية (١١).
(٦) شرح مسلم للنووي ٦/٦٤.
(٧) فتح الباري ٦/٣٤.

مبحث : من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإستطاعة عاقبه الله تعالى

٢٩٧ ـ عن حذيفة بن اليمان عن النبيﷺ قال: «**والَّذي نَفْسي بِيَده لَتَأْمُرنَّ بالْمَعْرُوف ولَتَنْهَوُنَّ عَن الْمُنْكَرِ أو لَيُوشكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْه فَتَدْعُونَهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**».

= مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول. أهـ فاللهم أعذنا من أكله وشربه ومنكحه وبوله وأعوانه وأعماله يا سميع ياعليم. والله أعلم.

مبحث : من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإستطاعة عاقبه الله تعالى

[٢٩٧] أخرجه الترمذي في سننه ٦/٣٩٠ في الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح٢٢٥٩ وقال حسن.

المعنى

يخبر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده» يقسم نبينا ﷺ بالله تعالى الذي هو مملوك له ونفسه بيده سبحانه يحفظها ويرفعها إلى أعلى عليين، والمقسوم عليه قوله: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر»، أي لتسمعن الأمر ولتطيعن ربكم في أمره لكم بأمر الناس بفعل المعروف وهو كل ما جاء به الشرع الحنيف من فعل الخيرات والصبر عليها والإخلاص فيها ولتمنعن الناس إما باللسان أو باليد إن استطعتم أو بالقلب إن لم تستطيعوا هذه ولا تلك عن فعل كل ما قبحه الشرع الحنيف وحذر منه ونهى عنه قال تعالى ﴿كنتم خير أمة =

= أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... الآية﴾[1] وقال تعالى ﴿ليسوا سواءاً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾[2] وقد قال أبو بكر رضي الله عنه[3] : يأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ﴿يأيها الذين امنوا عليكم أنفسكم ... الآية﴾[4] وإنا سمعنا النبيﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» وفي رواية «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب»[5] .

قوله: «أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم» أي إن رأيتم المنكر وقدرتم على التغير ولم تفعلوا لينزلن عليكم ربكم عذاباً من عنده فتدعونه وتستغيثونه فلا يرفع عنكم عذابه لتقصيركم في حق ربكم بإهمالكم دينه وشرعه وذهاب الغيرة عليه من قلوبكم فلو أحببتموه وعظمتموه لما تركتموه تهمل قواعده وحدوده، تنتبذ وراء الظهور، من غير إظهار نكير ولو تمعر وجه ونحوه مما يعبر به المحب عن التعرض لحبيبه بسوء، فالرجل يشتد غضبه إذا سب شخصه أو أبوه أو أمه بل وناديه ولا يغضب إذا انتهكت حرمات الله تعالى مدعياً أنه لا يقدر على إزالة المنكر!! أولا باللسان؟!! فكيف إذا هاجت غيرتك وأحمر وجهك وجري الدم في عروقك لما سببت أو سب ناديك أو قومك وفعلت الأفاعيل فهلا =

(١) سورة آل عمران آية (١١٠).

(٢) سورة آل عمران آية (١١٣)، (١١٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ١١/٤٩٠ في الملاحم باب أمارات الساعة.

(٤) سورة المائدة آية (١٠٥).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ١١/٤٩٠ في الملاحم.

= شيئًا قليلاً من ذلك لحرمات رب العالمين، لذلك توعد الله تعالى بالعقاب من ذابت غيرته وتاهت وماتت وقت انتهاك حرمت الشرع الحنيف، ونبيناﷺ قد جعلها ثلاث مراتب رحمة بالمسلمين حتى لا يفوتهم إقامة هذا الحكم من شرع الله تعالى تجنبًا لسخطه سبحانه فقالﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1] ، قال صاحب التحفة[2] : قوله: «أو ليوشكن» أي ليسرعن أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه أي تسألونه «فلا يستجيب لكم» والمعنى والله أعلم أن أحد الأمرين واقع إما الأمر والنهي منكم وإما إنزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء منكم له في دفعه عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب وإن لم يكونا كان عذاب عظيم أهـ والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٢٨ في الإيمان ح٧٨/٤٩ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.
(٢) تحفة الأحوذي ٦/٣٩١.

الفصل السابع

جَزَاءُ المُؤْمنِ بِحَسَنَاته في الدُّنْيَا والآخِرَة

مبحث: جزاء المؤمن بفضل الله تعالى بحسناته في الدنيا والآخرة

٢٩٨ - عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَي بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**».

---

[٢٩٨] أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/١٤٩، ١٥٠ في صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة.

المعنى

يخبر أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا يظلم مسلمًا حسنة» أي يجازيه سبحانه بحسناته كلها في الدنيا والآخرة قال النووي: والظلم يطلق بمعنى النقص وحقيقة الظلم مستحيلة من الله تعالى أهـ قوله: «يعطي بها في الدنيا» أي يكرمه الله تعالى بعاجل ثواب في الدنيا بشرى له من الرزق الحسن والصحة والعافية ولذة العيش والولد الصالح ومحبة الخالق والود من الصالحين «ويجزي بها في الآخرة» هذا هو الأصل أن الأعمال الصالحة الخالصة جزاء صاحبها إن شاء الله بفضله تعالى الحسنى قال عز وجل: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾[1] وفي رواية أخرى في الباب «وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه =

---

(١) سورة يونس آية (٢٦).

= رزقًا في الدنيا على طاعته «قال النووي[1] :وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويجزي بها مع ذلك أيضًا في الدنيا ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة وقد ورد الشرع به فيجب إعتقاده قوله «إن الله تعالى لا يظلم مؤمنًا حسنة» معناه لا يترك مجازته بشئ من حسناته أهـ وقوله «وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا» أي من رحمة الله عز وجل أنه سبحانه يأجزهم بالأعمال التي ظاهرها الصلاح كالصلة والصدقة والضيافة واللين والرفق ونحوه» حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» لأن الله تعالى جازاه على حسناته في الدار الفانية كلها ولا يعطيه شيئًا في الآخرة لأن الآخرة إنما هي دار نعيم المؤمنين كما في الحديث الذي تقدم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[2] والعكس قال الله عز وجل: ﴿**من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾[3] وقال عز وجل: ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب**﴾[4] وفي رواية الباب «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها في الدنيا» قال النووي[5] : أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة ولا يجازى فيها بشئ من عمله في الدنيا متقربًا إلى الله تعالى وصرح في هذا الحديث بأنه يطعم بما عمله من الحسنات أي بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها. أهـ والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٧/١٥٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٦/٦١٤ باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال حسن صحيح.

(٣) سورة هود آية (١٥)، (١٦).

(٤) سورة النور آية (٣٩).

(٥) شرح مسلم ١٧/١٥٠.

مبحث : في سعة فضل الله تعالى

٢٩٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروى عَنْ رَبِّهِ عزَّ وَجَلَّ قال: «**قال إن الله عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الحَسَنَات والسَّيِّئَات ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمنْ همَّ بَحَسَنَة فلمْ يَعْمَلْها كتبها الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَاملةً فإنْ هُوَ هَمَّ بها وعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلى سَبْعمائة ضعف إلى أَضْعَاف كَثيرَة ومَنْ هَمَّ بِسَيِّئة فلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَاملةً، فإِنْ هُوهَمَّ بِهَا فعَمِلَهَا كَتَبَها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

---

[٢٩٩] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/١١٥ في الرقاق باب من هم بحسنة أو سيئة ح ٦٤٩١.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٩٦ في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ح ٢٠٧.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ عن رب العالمين عز وجل أنه قال: «إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك» قال الحافظ ابن حجر[١] : هذا من الأحاديث الإلهية ثم هو محتمل أن يكون ممن تلقاه ﷺ بلا واسطة ويحتمل أن يكون ممن تلقاه بواسطة الملك وهو الراجح وقال الكرماني: يحتمل أن يكون من الأحاديث القدسية أهـ وعند مسلم والبخاري عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ «يقول الله إذا أراد عبدي ... الحديث» هذا عند البخاري[٢] وعند مسلم[٣] عن أبي هريرة مرفوعًا قال الله عز وجل «إذا هم عبدي ... الحديث»، =

---

(١) فتح الباري ٢٤/١١٥ ح٦٤٩١ إلى ١٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨/٢٥٩ في التوحيد، ح٧٥٠١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٩٤ في الإيمان، ح٢٠٤.

= وقوله: «إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات» قال الحافظ: يحتمل أن يكون هذا من قول الله تعالى فيكون التقدير قال الله؛ إن الله كتب ويحتمل أن يكون من كلام النبي ﷺ يحكيه عن فعل الله تعالى وفاعل «ثم بين ذلك» هو الله تعالى، وقوله «فمن هم» شرح ذلك أهـ.

والراجح أنه قدسي من كلام الله تعالى كما في الروايتين السابقتين وفيه سعة رحمة الله تعالى وزيادة بل تمام كرمه وجوده سبحانه حيث يكافئ على الهم بالحسنة حسنة ويضاعفها بالعمل. وأما الهم بالسيئة من غير عمل إذا تركها من مخافته يكافئه بها حسنة فضلاً عن محوها وإذا عملها فالجزاء مثلها وصدق سبحانه حيث قال: ﴿ فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين ﴾[1] قوله: «ثم بين ذلك» قال الحافظ أي فصله بقوله «فمن هم» والمجمل قوله «كتب الحسنات والسيئات وقوله «كتب» قال الطوفي المراد قدر ذلك في عمله على وفق الواقع منها أهـ قوله: «فمن هم» وفي التوحيد: «إذا أراد» وهو المراد. قوله: «فلم يعملها» قال الحافظ: يتناول نفي عمل الجوارح أهـ أي لم تعملها جوارحه بَعْدَ هَمِّ قلبه ثم قال: وأما عمل القلب فيحتمل نفيه أيضًا إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهم كما في معظم الأحاديث أهـ قوله: «كتبها الله له عنده حسنة كاملة» قال الحافظ: قوله «كتبها الله» أي للذي هم بالحسنة «عنده» أي عند الله «حسنة كاملة» قال: وفيهما نوعان من التأكيد، فأما العندية فإشارة إلى الشرف وأما الكمال فإشارة إلى رفع توهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرد، فكأنه قيل بل هي كاملة لا نقص فيها أهـ قوله: «فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة» أي إذا حصل بعد الهم عملاً خالصًا موافقًا للسنة ضاعفها الكريم إلى عشر أضعاف وقد يزيدها خاصة إذا كانت في سبيل الله تعالى إلى سبعمائة ضعف إلى أكثر إن شاء الله =

---

(١) سورة يوسف آية (٦٤).

= سبحانه قال الحافظ: فإنه يتناول من هم بها أعظم قدرًا ممن لم يهم بها والعلم عند الله تعالى أهـ وقال النووي[1] :ففيه تصريح بالمذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف على سبعمائة ضعف وفى أحاديث الباب بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة، زادها الله شرفًا، وخفف عنهم مما كان على غيرهم من الإصر وهو الثقل والمشاق أهـ قوله: «من هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة» فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة وزاد مسلم في رواية[2] «إنما تركها من جراى» وفي رواية «ولا يهلك على الله إلا هالك»[3] قال النووي[4] : قال الإمام المازري رحمه الله: مذهب القاضي أبي بكر الطيب أن من عزم على المعصيه بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصيه، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا همًا ويفرق بين الهم والعزم هذا من مذهب القاضي أبي بكر وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث قال القاضي عياض رحمه الله: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذه بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة، وليست السيئة التي هم بها لكونها لم يعلمها كتبت معصية ثانية فإن تركها خشية لله تعالى كتبت حسنة كما في الحديث «إنما تركها من جراى» فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة، فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية ولا عزم أهـ وأما قوله ﷺ: «ولا يهلك على الله إلا هالك» فقال =

(١) شرح مسلم ٢/٢٠٠ ط ق.

(٢) أخرجها مسلم في صحيحه ٢/١٩٥ في الإيمان، ح٢٠٥.

(٣) أخرجها مسلم في صحيحه ٢/٩٧ في الإيمان، ح٢٠٨.

(٤) شرح مسلم ٢/١٩٩، ٢٠٠.

مبحث: من شاب مسلماً ومجاهداً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة

٣٠٠ ـ عن كعب بن مره قال: سمعت النبيﷺ يقول: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ كَانَتْ لَهُ نُورَاً يَوْمَ القِيَامَةِ».

٣٠١ ـ عن عمر بن عبسه أن رسول اللهﷺ قال: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ».

= القاضي عياض رحمه الله: معناه: من حتم هلاكه وسدت عليه أبواب الهدى مع سعة رحمة الله تعالى وكرمه، وجعله السيئة حسنة إذا لم يعملها، وإذا عملها واحدة والحسنة إذا لم يعملها واحدة، وإذا عملها عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فمن حرم هذه السعة وفاته هذا الفضل وكثرت سيئاته حتى غلبت مع أنها أفراد وحسناته مع أنها متضاعفة فهو الهالك المحروم والله أعلم أهـ نسأل الله تعالى من فضله ونعوذ به من سخطه والله المستعان.

مبحث: من شاب مسلماً ومجاهداً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة

[٣٠٠] أخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٦١ في فضائل الجهاد، باب ما جاء في من شاب شيبة في سبيل الله، ١٦٨٤ وقال: حديث حسن.

وأخرجه النسائي في سننه ٦/٢٧ في الجهاد، باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل.

[٣٠١] أخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٦٣ في فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن شاب شيبة في سبيل الله، ح١٦٨٥ وقال هذا حديث حسن صحيح.

=

المعنى

يخبرنا كعب بن مرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شاب شيبة في الإسلام» أي من ابيضت شعرة من شعره وهو في الإسلام بسبب خوف من الله تعالى أو جهاد أو طاعة لأن قوله في الإسلام يقتضي أنه في طاعة لازمه متواصله لله رب العالمين لذلك رتب عليها هذا الجزاء العظيم بالرغم من أن الشيب ليس من كسب العبد لكن قال «كانت له نوراً يوم القيامة» أي تلك الشيبة تنير له يوم القيامة قال الله تعالى ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير ﴾[1] قال صاحب[2] التحفة: في قوله «من شاب شيبة» أي شعرة واحدة بيضاء «في الإسلام» يعني أعم من أن يكون في الجهاد أو غيره «كانت له نوراً يو م القيامة» أي ضياء ومخلصاً عن ظلمات الموقف وشدائده قال المناوي: أي يصير الشعر نفسه نوراً يهتدي به صاحبه، والشيب وإن كان ليس من كسب العبد لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزلة سعيه أهـ أما الحديث الثاني فالشرط هو الشرط والجزاء هو الجزاء لكنه خاص بشعيرة من شعائر الإسلام وعبادة من عباداته ألا هو الجهاد في سبيل الله تعالى فقد قال ﷺ: «من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة» قال الطيبي[3] : معناه من مارس الجهاد حتى يشيب طاقة من شعره فله ما لا يوصف من الثواب دل عليه تخصيص ذكر النور والتنكير فيه أهـ والله أعلم.

(١) سورة الحديد آية (١٢).

(٢) تحفة الأحوذي ٢٦١/٥.

(٣) تحفة الأحوذي ٢٦٢/٥.

مبحث: قول النبي ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»

٣٠٢ - عن أبي هريرة قال: سمعت خَلِيلي ﷺ يقول: «**تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ**».

[٣٠٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٧٨ في الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء ح٢٥٠.

وأخرجه النسائي في سننه ١/٩٣ في الطهارة، باب حلية الوضوء.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» أي موضع التحجيل في المؤمن كله نور يوم القيامة وملئ بالأساور في الجنة فكلما زاد المؤمن موضع التحجيل زاد موضع الحلية تبعًا له قال ﷺ: «نعم تردون على غرًا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم»(١) قوله «تبلغ الحليه» قال السندي(٢): بكسر مهملة وسكون لام وخفة ياء يطلق على السيما فالمراد ههنا التحجيل من أثر الوضوء يوم القيامة، وعلى الزينة والمراد ما يشير إليه قوله تعالى ﴿**يحلون فيها من أساور من ذهب ... الآية**﴾(٣) والله أعلم أهـ وقوله تعالى ﴿**عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا**﴾(٤) والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٧٤ في الطهارة ح٢٤٨.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ١/٩٣.

(٣) سورة الحج آية (٢٣) والكهف آية (٣١).

(٤) سورة الإنسان آية (٢١)، (٢٢).

مبحث: كاظم الغيظ يخير من الحور

٣٠٣ ـ عن أنس الجهني عن النبيﷺ قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى رُؤُسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الحُورِ شَاءَ**».

---

[٣٠٣] أخرجه الترمذي في سننه ١٦٥/٦ في البر والصلة، باب في كظم الغيظ ح٢٠٩ وقال حسن غريب.

وأخرجه أبو داود في سننه ١٣٥/١٣ في الأدب، باب من كظم غيظا.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٠٠/٢ في الزهد باب الحلم.

وأخرجه أحمد في المسند ٤٤٠/٣.

قوله: «كَظَم غيظًا» كظم الغيظ: تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه أهـ نهاية ١٧٨/٤.

المعنى

يخبرنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن أبيه عن النبيﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه» أي من كظم غيظا داخل صدره مع قدرته على الانتقام ممن غاظه وعاداه قال الله عز وجل ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾[1] قال صاحب التحفة: قوله «كظم غيظًا» أي اجترع غضبا كامنًا فيه أهـ وهو يستطيع أن ينفذه «قال في عون المعبود: من التنفيذ والإنفاذ أي يمضيه أهـ فهذا الكاظم للغيظ مع القدرة له جزاء عظيم عظيم، فقال: «دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق» أي بين الخلائق يوم القيامة على مرأى منهم ومسمع ليشتهر بينهم بهذا الخبر العظيم قال صاحب التحفة[2] : «دعاه الله يوم القيامة على =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٤).

(٢) تحفة الأحوذي ١٦٦/٦.

= رؤس الخلائق» أي شهرة بين الناس وأثنى عليه وتباهي به ويقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصله العظيمة أهـ وقوله «حتى يخبره في أي الحور شاء» أي يختار أمام الجمع العظيم ما شاء له من الحور العين جزاء ما قدم من عظيم العمل حيث يصعب صعوبة بالغة على الكثير حتى من أهل الفضل كظم الغيظ إلا من وفقه الله تعالى قال في عون المعبود[1] : في قوله «حتى يخيره» أي يجعله خيراً «من أي الحور العين شاء» أي أخذ أيهن، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرة الرفيعة قال الطيبي: وإنما حمد الكاظم لأنه قهر النفس الأمارة بالسوء ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ أهـ وقال القارى: وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه أهـ والله أعلم.

وهناك شرط لابد أن يوضع لنيل تمام الثواب أو أصله عند الكظم أن يكظم ابتغاء وجه الله تعالى أو ابتغاء رضوانه لا خوفًا ولا لحظ نفس ولا رياء ونحوه والدليل على ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول اللهﷺ أنه قال: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله»[2] والله أعلم.

(١) عون المعبود ١٣/١٣٥، ١٣٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤٠ في الزهد، باب الحلم، ح٤١٨٩.

مبحث: القيراط عند الله تعالى كالجبل العظيم

٣٠٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ**» قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ**».

---

[٣٠٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٣٩، في الجنائز، باب: من انتظر حتى تدفن، ح١٣٢٥.

المعنى

قال تعالى ﴿**والله ذو الفضل العظيم**﴾[1] سبحانه جعل الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة بل ويضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وفي هذا الحديث يبين نبينا ﷺ أنه من شهد الجنازة حتى يصلي عليها كان له من الأجر قيراط ومن تبعها حتى تدفن يرجع بقيراطين وفي رواية لمسلم «من خرج مع جنازة من بيتها»[2] بينت أن البداية لاعتبار شهودها هو عند بيتها. قال الحافظ ابن حجر[3] : ومقتضاه أن القيراط يختص بمن حضر من أول الأمر إلى انقضاء الصلاة وبذلك صرح المحب الطبري وغيره، والذي يظهر لي أن القيراط يحصل أيضا لمن صلى فقط لأن كل ما قبل الصلاة وسيلة إليها لكن يكون قيراط من صلى فقط دون قيراط من شيع مثلا وصلى واستدل بحديث مسلم «أصغرهما مثل أحد»[4] قال: فدل على أن الصلاة تحصل القيراط وإن لم يقع الاتباع أهـ ولكن يشترط الاخلاص لله عز وجل في هذا العمل دون أن يحدث ما يفعله كثير من الناس من المجاملات والشهود لرد ما =

---

(١) سورة الحديد آية (٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٢ في الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، ح٥٦/٩٤٥.

(٣) فتح الباري ٦/٢٤٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢١ في الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ح٥٣/٩٤٥.

= قدم من شهود غيره جنازة من يتصل به أو شهود جنازات الاعيان والرؤساء ونحوهم، لذلك في رواية أبي هريرة[1] : «من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين .... الحديث» قال الحافظ ابن حجر: «وأما التقييد بالإيمان والاحتساب فلابد منه لأن ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية فيه فيخرج من فعل ذلك على سبيل المكافأة المجردة أو على سبيل المحاباه والله أعلم. أهـ ثم قال ﷺ: «ومن شهد حتى تدفن فله قيراطان» قال القسطلاني[2] : أي يفرغ من دفنها بأن يهال عليها التراب وعلى ذلك تحمل رواية مسلم[3] : «حتى توضع في اللحد» أهـ أما قوله «كان له قيراطان» فالظاهر أنه قيراط للصلاة وقيراط للدفن ففي رواية لمسلم[4] بلفظ «من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد»، وقوله «قيل وما القيراطان» فالقائل أبو هريرة والمقول له هو رسول الله ﷺ ففي رواية مسلم[5] فقال: قيل وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين» سبق أنه في رواية مسلم «أصغرهما مثل أحد» وفي رواية ابن ماجه[6] «القيراط أعظم من أحد هذا» قال ابن حجر[7] : كأنه أشار إلى الجبل عند ذكر الحديث أهـ وقال القسطلاني قال الزين بن المنير: أراد تعظيم الثواب فمثله للعيان بأعظم الجبال خلقا وأكثرها للنفوس المؤمنة حبًا لأنه الذي قال في حقه «أحد جبل =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٨٤، ١٨٥ في الإيمان ح٤٧ باب إتباع الجنائز من الإيمان.

(٢) إرشاد الساري ٢/٤٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٠ في الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها، ح٩٤٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٢ في الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها، ح٥٦/٩٤٥.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/١٨، ١٩ في الجنائز، باب فضل الصلاة إلى الجنازة وإتباعها ح٥٢/٩٤٥.

(٦) أخرجه بن ماجه في سننه ١/٤٩٢ في الجنائز باب ما جاء في ثواب من صلى جنازة ومن أنتظر دفنها ح١٥٤١.

(٧) فتح الباري ٦/٢٤١.

مبحث : إن الله تعالى يحب الحلم والأناة

٣٠٥ ـ عن أبي سعيد الخدري أن النبيﷺ قال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الحِلْمُ والأَنَاةُ».

= يحبنا ونحبه»[1] ويجوز أن يكون على حقيقته بأن يجعل الله عمله يوم القيامه جسماً قدر أحد ويوزن أهـ قال ابن حجر وفي حديث الباب غير ما تقدم الترغيب في شهود الميت والقيام بأمره والحرص على الاجتماع له والتنبيه على عظيم فضل الله وتكريمه للمسلم في تكفير الثواب لمن يتولى أمره بعد موته وفيه تقدير الأعمال بنسبة الأوزان إما تقريبا للأفهام وإما على حقيقته والله أعلم أهـ اللهم أحسن لنا السير والخواتيم يارب العرش العظيم.

مبحث : إن الله تعالى يحب الحلم والأناة

[٣٠٥] أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٢/١ في الإيمان، باب: بيان أسقية الأدم.

قوله: «الحلم» هو الأناة والتثبت في الأمور وذلك من شعار العقلاء أهـ نهاية ٤٣٤/١.

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدري عن نبينا ﷺ أنه قال لأشج عبد القيس وهو الرجل الذي قدم مع وفد عبد القيس على النبيﷺ وكانت فيه جراحه قال: وكنت أخبأها حياء من رسول اللهﷺ قال النووي[2] : واسم هذا الرجل جهم وكانت الجراحة في ساقه أهـ فقال له النبيﷺ : «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» قال الدكتور موسى لاشين[3] : أشج عبد القيس: هو المنذر بن عائذ سماه النبيﷺ بالأشج لأثر في وجهه وذكر سبب هذا الوصف الطيب بالحلم والأناة فقال[3] : إنه المنذر بن عائذ الأشج رئيس الوفد، لم يتسرع كما تسرعوا، بل عمد إلى الأمتعة =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٧٤/٢٨ في الإعتصام ح٧٣٣٣ بلفظ «هذا جبل يحبنا ونحبه».

(٢) شرح مسلم ١٩١/١.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ٩٩/١.

= فجعمها، وإلى الراحلة فعقلها، وخلع ملابس سفره، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل على النبيﷺ، فرحب به وقربه إليه، وأجلسه إلى جانبه، ثم أقبل مخاطبًا الوفد كله: بايعوني على أنفسكم وقومكم، فمد القوم أيديهم وقالوا: نعم بايعناك، فقال المنذر: يا رسول الله. إن أشد ما يحول عنه المرء هو دينه، نبايعك على أنفسنا فقط وترسل معنا إلى قومنا من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ومن أبى قاتلناه قال رسول اللهﷺ: صدقت «إن فيك» يا أشج «خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة» قال: يا رسول الله أكانتا في أم حدثتا؟ قال بل قديما قال: الحمد لله الذي جعلني على خلقين يحبهما أهـ وهكذا ذكره ولم يعزه فالله أعلم ثم قال: الحلم: العقل، والأناة: التثبت وترك العجلة، وأناة الأشج كانت في تريثه بعد الوصول إلى المدينة حتى جمع الرحال وعقل الإبل ولبس أحسن الثياب، وحلمه رجاحة عقله تمثلت في مناقشته رسول اللهﷺ حيث اعتذر عن أن يبايع قومه أهـ والله أعلم.

الباب الثالث

الجهاد في سبيل الله تعالى وما يتبعه من الشهادة
والأعمال الداخلة فيه والأجر عليها

مبحث : في قول الله تعالى

﴿ يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ﴾

٣٠٦ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم مُسيلمة الكذاب على عهد النبي ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثيرٍ من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريدٍ حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني** «ثم انصرف عنه».

---

[٣٠٦] أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢١٣ في المغازي، باب وفد بنى حنيفه وحديث ثمامة بن أثال، ح ٤٣٧٣.

قوله «ولئن أدبرت ليعقرنك الله» لئن أدبرت أي خالفت الحق ليعقرنك الله أي يهلكك أهـ فتح ١٦/٢١٣.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضى الله عنهما عن مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى أنه قدم على النبي المصطفى رسول الله محمد ﷺ فجعل يقول: «إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته» قال الحافظ[١] : أي الخلافة أهـ أي يشترط الإيمان مقابل الوعد بالخلافة فحرمه الله تعالى الإثنين والحمد لله رب العالمين قوله: «وقدمها في بشر كثير من قومه» ذكر الواقدي: أن عدد من كان مع مسيلمة من قومه سبعة عشر نفسا أهـ قوله: فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس» وثابت هذا الذي كان يسمى

---

(١) فتح الباري ١٦/٢١٣.

= خطيب الأنصار وكان خطيب النبيﷺ وفي الصحيح[٢] أن النبيﷺ قال عنه «إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة»[٢] في حديث سورة الحجرات قوله : «وفي يد رسول اللهﷺ قطعة جريد» أي غصن نخلة قوله «حتى وقف على مسيلمة في أصحابه» قال الحافظ[٣] : توجه ﷺ بنفسه إليهم ليقيم عليهم الحجة ويعذر إليه بالإنذار والعلم عند الله تعالى أهـ بتصرف يسير قوله: فقال: لو سألتني هذه الجريدة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك «أخذ النبيﷺ في مسيلمة لما علم من شدة الإعراض والكفر والتكذيب والجحود بقول الله تعالى: ﴿ **يأيها النبي جاهد الكفار** والمنافقين وأغلظ **عليهم** ومأواهم **جهنم وبئس المصير** ﴾[٤] فسخر به وعامله بما هو أهله وأغلظ له حتى قال عن الجريدة لو سألتني الجريدة ما أعطيتها لك فضلاً عن الخلافة وكيف استخلف خبيثًا مخبثًا، ولن تفر وتفلت من حكم الله فيك وهو القتل والكفر والعياذ بالله تعالي قال الحافظ[٣] : والمراد بأمر الله حكمه أهـ قوله: «ولئن أدبرت ليعقرنك الله» أي لئن توليت عن الحق والنور والخير والإسلام ونبيه ﷺ ليهلكنك الله عز وجل، وحدث فهي آية من آيات النبوة، قال الحافظ[٣] وقوله «ولئن أدبرت أي خالفت الحق وقوله «ليعقرنك الله» بالقاف أي يهلكك أهـ قوله: «وإني لأراك الذي أُريت فيه ما رأيت» أي ما رآه فيه النبيﷺ حيث قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة»[٥] قوله: «وهذا ثابت ابن قيس يجيبك عني ثم انصرف عنه» أي أني أخبرتك بالجمل الجامع وفيه ما يكفي المقام وهذا ثابت يجيبك عن هزيانك الذي لا يليق بمقام النبوة أن =

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٨/٢٢١ في التفسير، تفسير الحجرات، ح٤٨٤٦.

(٣) فتح الباري ١٦/٢١٢.

(٤) سورة التوبة آية (٧٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢١٣ في المغازي ح٤٣٧٤.

مبحث: قول النبي ﷺ
«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»

٣٠٧ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما القتال في سبيل الله؟ فإنَّ أحدنا يقاتل غضبًا، ويقاتل حميةً، فرفع إليه رأسه قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائمًا فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل**».

٣٠٨ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».

= يكون عنده وفيه قال الحافظ[1] أي لأنه ـ أي ثابت كان خطيب الأنصار وكان النبي ﷺ قد أعطى جوامع الكلم فاكتفى بما قاله لمسيلمة وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عني في ذلك أهـ والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ
«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»

[٣٠٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١/٣٣٣. في العلم، باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا، ح ١٢٣.

[٣٠٨] أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٩٠، في الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح ٢٨١٠.

قوله: «الرجل يقاتل للذكر» أي ليذكر بين الناس ويشتهر بالشجاعة. / وقوله: ويقاتل حَمية أي لمن يقاتل لأجله من أهل أو عشيرة أوصاحب» أهـ فتح الباري ١١/٢٩٠.

قوله «كلمة الله» دعوة الله إلى الإسلام. =

---

(١) فتح الباري ١٦/٢١٣.

المعنى العام

إن أعز ما يقدمه المسلم لدينه هو نفسه لله عز وجل، فذلك أحب القربات إلى القلوب التقيات إلى رب البريات قال النبي عليه من الله أفضل السلام وأزكى الصلوات ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه، قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»[1] قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» أخرجه البخاري[1] في صحيحه بشرط أن تكون النيات مستحضرات لرفع الدعوة إلى الله إلى أعلى الدرجات، والتمكين في الأرض لإقامة الحدود الشرعيات، لذلك لما جاء الرجل إلى النبيﷺ وسأله يا رسول الله: ما القتال في سبيل الله؟ قيل الرجل«كان أعرابيًا» كما أخرج البخاري في فرض الخمس، وبعد السؤال بين ما يقصدوه في قتالهم بأن أحدهم قد يقاتل غضبًا لماله أو دنياه وقد يكون في الإسلام لدينه أيضًا وقد يقاتل حمية لأهله أو عشيرته، أو أصحابه، وقد يقاتل ليذكر بين الناس ليشتهر بالشجاعة وقد يقاتل للمغنم وقد يقاتل ليرى مكانه أي رياء.

ولما كان من الممكن أن تكون بعض الأنواع المذكورات من أحوال المقاتل محمودة إذا كانت للدين كالغضب لله والحمية للإسلام لم ينفها النبيﷺ كلها إنما تكلم بجوامع كلمه ﷺ ليثبت الحق من غير أن ينفي غيره أويفوته من الخير شيء، فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل» قال ابن حجر[2] رحمه الله تعالى: وفي إجابة النبيﷺ بما ذكر غاية البلاغة والإيجاز لأنه من جوامع كلمه ﷺ لأنه لو أجابه بأن جميع ما ذكره ليس في سبيل الله احتمل أن يكون ما عدا ذلك كله في سبيل الله وليس كذلك فعدل إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ماهية القتال إلى حال المقاتل فيضمن الجواب وزيادة. أهـ وقال ابن بطال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/١٣٥، ١٣٦ في العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق.

(٢) فتح الباري ١٢/٢٩١.

= إنما عدل النبي ﷺ عن لفظ جواب السائل لأن الغضب والحمية قد يكونان لله فعدل النبي ﷺ عن ذلك إلى لفظ جامع. أهـ ولا قتال يقبل إلا إذا كان في سبيل الله من غير أن تشترك نية أخرى مع نية الإخلاص فلو حدث تبطلها على الرأي الراجح لأهل العلم واستدلوا بحديث(1) رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي أمامة بإسناد جيد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله فقال رسول الله ﷺ: «لا شئ له» فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «لا شئ له» ثم قال: «إن الله لايقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه» وقد قال بعض أهل العلم بأنه إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى أصلاً ومقصوداً ثم حصل له ضمنًا فلا يضره لكن الثواب دون الأول. قال الطبري: إذا كان أصل الباعث هو الأول لا يضره ما عرض له بعد ذلك. أهـ قال ابن حجر: وفيه بيان أن الأعمال إنما تحتسب بالنية الصالحة وفيه جواز السؤال عن العلة، وتقدم العلم على العمل. وفيه ذم الحرص على الدنيا وعلى القتال لحظ النفس في غير الطاعة. أهـ فاللهم ارزقنا أخلص الإخلاص وشهادة في سبيلك مقبلين غير مدبرين محتسبين.

(1) أخرجه النسائي في سننه ٦/٢٥ في الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر.

مبحث: الاستغاثة بالله تعالى
والاستعانه به سبحانة في الحرب وغيره

٣٠٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قبة: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد الححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول لي ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر** ﴾ وفي روايه لخالد ـ يوم بدر ـ.

---

[٣٠٩] أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٥٧ في الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، ح ٢٩١٥.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٥/١٥٢ في المغازي، باب قصة غزوة بدر ح ٣٩٥٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس عن ابن عمر فيتحول من مرسل صحابي عند البخاري إلى مرفوع متصل عند مسلم ١٢/٨٤ في الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر بمعناه.

وأخرجه أحمد في المسند ١/٣٢٩ عن ابن عباس بلفظه.

قوله: «قبة» القبة من الخيام: بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب. أهـ نهاية ٣/٤ وقد تقدم قوله: «أنشدك» بفتح الهمزة وسكون النون وضم المعجمة والدال: أي أطلب منك. أهـ فتح ١٥/١٥٢.

المعنى

يخبرنا ابن عباس عن ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال يوم بدر وهو في قبة: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك» يستغيث نبينا ﷺ بربه ومولاه لينصره عبودية لله تعالى فهو مطمئن بنصر الله له، ولكن مقام النبوة الذي اقتضى أعلى مقامات العبادة =

= استلزم إظهار الذل لله تعالى في مواقف الشدة كما قال عز وجل: ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾(١) وسبب ذلك ما عند مسلم قال عمر: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائةوتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ...» قال الحافظ(٢) : قوله: «وهو في القبة» والمراد بها العريش الذي اتخذه الصحابة لجلوس النبيﷺ فيه. أهـ قوله: «اللهم أنشدك» قال الحافظ(٢) بفتح الهمزة وسكون النون وضم المعجمة والدال المهملة أي أطلب منك. أهـ بتصرف يسير أي أطلب منك يارب ما عاهدتني ووعدتني من النصر والتمكين: قوله: «عهدك» قال البدر العيني(٣) :نحو قوله تعالى: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**﴾(٤) قوله: «ووعدك» نحو قوله تعالى: ﴿**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**﴾(٥) وعند مسلم: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني ..» قوله: «اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» وعند مسلم: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» قال الحافظ(٢): أما تهلك فبفتح أوله وكسر اللام وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعوا إلى الإيمان ولا استمر المشركون يعبدون غير الله ، فالمعنى لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة. أهـ ومما يدل على بلوغ النبيﷺ من المناشدة لله عز وجل أشده ما أخرجه الحاكم(٦) عن علي رضي الله عنه أنه قال: لما =

---

(١) سورة الأنفال آية (٩).

(٢) فتح الباري ١٥/١٥٢، ١٥٣.

(٣) عمدة القاري ١٢/٣، ٤.

(٤) سورة الصافات آية (١٧١)، (١٧٢) (١٧٣).

(٥) سورة الأنفال آية (٧).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٤٤/٢٢٢ في الصلاة، ح٨٠٩ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبي.

= كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال ثم جئت مسرعًا لأنظر إلى رسول اللهﷺ ما فعل فجئت فأجده وهو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم» لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، فلم يزل يقول ذلك حتى فتح الله عليه «قوله: «فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألحت على ربك وعند مسلم: «فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾فأمده الله بالملائكة وقوله: حسبك: قال العيني[1]: أي يكفيك ما قلت قوله: «ألححت» أي داومت الدعاء ويقال: معناه: بالغت في الدعاء وأطلت فيه. أهـ وقال النووي[2] : المناشدة السؤال مأخوذة من النشيد وهو رفع الصوت. أهـ قوله: «وهو في الدرع» أي مرتديًا الدرع للحرب، قولّ «فخرج وهو يقول لي:﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾[3] يوم بدر» أي وتلك القصة يوم بدر كما في رواية المغازي وعند مسلم. قال الخطابي[1]: قد يشكل معنى هذا الحديث على كثير من الناس وذلك إذا رأوا نبي اللهﷺ يناشد ربه في استنجاز الوعد وأبو بكر رضي الله تعالى عنه يسكن منه فيتوهمون أن حال أبو بكر بالثقة بربه والطمأنينة إلى وعده أرفع من حاله وهذا لا يجوز قطعًا، فالمعنى في مناشدته ﷺ إلحاحه في الدعاء الشفقة على قلوب أصحابه وتقويتهم إذ كان ذلك أول مشهد شهدوه في لقاء العدو وكانوا في قلة من العدد والعدد، فابتهل في الدعاء وألح ليسكن ذلك ما في نفوسهم إذ كانوا يعلمون أن وسيلته مقبوله ودعوته مستجابه فلما قال له =

---

(١) عمدة القارى ١٢/٣، ٤.

(٢) شرح مسلم ١٢/٨٥.

(٣) سورة القمر آية (٤٥)، (٤٦).

= أبو بكر مقالته كف عن الدعاء إذ علم أنه استجيب له بما وجده أبو بكر في نفسه من القوة والطمئنينة حتى قال له له هذا القول ويدل علي صحه ما تأولناه تمثله علي إثر ذلك بقوله تعالي: ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾[1] وفيه تأنيس من استبطأ كريم ما وعده الله به من النصر والبشري لهم بهزم حزب الشيطان وتذكيرهم بما نبههم به من كتابه عز وجل، والمراد من الجمع جمع كفار مكه يوم بدر، فأخبر الله تعالي أنهم سيهزمون ويولون الدبر أي الأدبار فوحد والمراد الجمع. أ هـ قال العيني قوله: ﴿ **بل الساعة موعدهم** ﴾[2] أي موعد عذابهم قوله «والساعة» أي عذاب يوم القيامه «أدهي» أشد وأفظع. أهـ فاللهم نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والأخرة فحق لهم أن يكافئهم الله تعالي بقوله: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾[3] وكافأهم نبينا ﷺ بقوله «وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع علي أهل بدر فقال: ﴿ **إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** ﴾[4] والله أعلم.

(١) سورة القمر آية (٤٥).

(٢) سورة القمر آية (٤٦).

(٣) سورة التوبة آية (١٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/١١٠ في الجهاد، باب الجاسوس ، ح٣٠٠٧.

مبحث: نبيناﷺ قد اغبر رأسه
وجبريل عليه السلام حمل السلاح في سبيل الله تعالى

٣١٠ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعت السلاح فو الله ما وضعته فقال رسول اللهﷺ فأين؟: قال: ها هنا، وأوما إلى بني قريظة. قالت: فخرج إليهم رسول اللهﷺ.

---

[٣١٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٣/١١ في الجهاد، باب الغسل بعد الحرب والغبار ح ٢٨١٣.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٣/١٥ في المغازي، باب مرجع النبيﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى قريظة..ح ٤١١٧.

المعنى

تخبرنا عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل «أي بعد غزوة الأحزاب بعدما قال الله تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[1] فوضع النبيﷺ عدة الحرب وخلع لأمته واغتسل من الغبار الذي أصابه في سبيل الله تعالى وغيره من العرق والأذى. قال العيني[2]: قوله «يوم الخندق: هو خندق مدينة رسول الله ﷺ الذي حفره الصحابة لما تحزبت عليهم الأحزاب، فيوم الخندق هو يوم الأحزاب، قال مالك كانت غزوة الخندق سنة أربع وقيل سنة خمس أهـ. قوله: «فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار» قال العيني: بفتح العين والصاد المهملتين جملة حالية أي قد ركب رأسه الغبار وعلق به كالعصابة أهـ قوله: «فقال وضعت السلاح» =

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢٥).

(٢) عمدة القارى ٣٧٨/١١.

= أي كيف وضعت سلاح الحرب ونحن ما وضعناه نريد قومًا آخرين قوله: «فوالله ما وضعته» أي ما زلت أحمله في سبيل الله وفيه أن الملائكة يتشرفون بالجهاد مع النبي ﷺ وفيه كرامة ظاهرة للنبي ﷺ وأصحابه حيث أمدهم الله تعالى بملائكة من عنده يزعمهم جبريل عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾[1] وفي رواية المغازي «والله ما وضعته اخرج إليهم» قوله: «فقال رسول الله ﷺ: «فأين» أي إلى أين جهة الجهاد قوله: «قال: هاهنا وأومأ إلى بني قريظة» أي أشار جبريل عليه السلام إلى ناحية بني قريظة إجابة لسؤال النبي ﷺ ولم يتلفظ باسمهم قوله: «قالت فخرج إليهم رسول الله ﷺ» وفي رواية المغازى: فأشارإلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه «قال الحافظ[2] :قوله: «فأتاهم رسول الله ﷺ، أي فحاصرهم أهـ والله أعلم.

(١) سورة آل عمران آية (١٢٥).

(٢) فتح الباري ١٥/٣٠٠.

مبحث: الجهاد في سبيل الله تعالى باب من أبواب الجنة

٣١١ - عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ «**جاهدوا في سبيل الله فإن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى باب من أبواب الجنة ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم**».

---

[٣١١] أخرجه أحمد في المسند ٥/٣١٤ عن المقدام عن عباده مرفوعآ واللفظ له هنا.

وأخرجه أحمد في المسند ٥/٣١٦، في جزء آخر حديث طويل بعض الشئ بلفظ مقارب عن عبادة مرفوعًا.

وأخرجه أحمد في المسند ٥/٣٢٦ في جزء آخر حديث طويل بعض الشئ بلفظ مقارب عن عبادة مرفوعًا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٢٧٢/٤٩٧ رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط أطول من هذا وأحد أسانيد أحمد وغيره ثقات أ هـ.

المعني

يخبرنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا في سبيل الله» أي اكلفوا الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه سبحانه وإظهار شعائره وإقامة حدوده ودحض الباطل وإزهاقه ونصرة الحق، قوله: «فإن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى باب من أبواب الجنة» أي له باب يدخل منه المجاهدون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد كما أن هناك بابًا للصائمين يقال له الريان يدخل منه الصائمون ففي الحديث الصحيح[1] عن النبي ﷺ: «إن في الجنه بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في الصيام ٨/٢٤٥، ٢٤٦، ح١٨٩٦.

مبحث: الجهاد من أقرب الأعمال إلى الجنة

٣١٢ ـ عن عبد الله بن مسعود قال قلت: «يا نبي الله: أي الأعمال أقرب إلى الجنة قال: الصلاة على مواقيتها، قلت وماذا يانبي الله، قال: بر الوالدين، قلت: وماذا يا نبي الله قال: الجهاد في سبيل الله».

= يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلو أغلق فلم يدخل منه أحد» كذلك للجهاد باب خاص للمجاهدين في سبيل نصر شرع ودين المسلمين فاللهم ألحقنا بهم يارب العالمين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقه دعي من باب الصدقة، فقال أبوبكر رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يارسول الله، ماعلي من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها قال: «نعم وأرجوا أن تكون منهم»[1] قوله: «ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم» أي جعله الله تعالى سبباً للشفاء والنجاة من الهم والغم والله أعلم.

مبحث: الجهاد من أقرب الأعمال إلى الجنة

[٣١٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٧٤ في الإيمان، باب أفضل الأعمال.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢/٧٤ في الإيمان، باب أفضل الأعمال بلفظ «أي الأعمال أحب إلى الله...».

وأخرج البخاري له شاهداً عن أبي هريرة بذكر الإيمان ثم الجهاد، ثم الحج ١/١٤٣ في الإيمان باب من قال إن الإيمان هو العمل ح ٢٦.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في الصيام ٨/٢٤٦، ٢٤٧، ح١٨٩٧.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ قائلا: يا نبي الله: أي الأعمال أقرب إلى الجنة «أي: أي الأعمال يا رسول الله تقرب صاحبها أقرب ما يكون من غيرها إلى الجنة وفي رواية: أي الأعمال أحب إلى الله» فلا منافاة فالأحب أقرب إلى جنة الله تعالى عما دونها، قوله: «قال الصلاة على مواقيتها» قال النووي[1] :وفي هذا الحديث الحث على المحافظة على الصلاة في وقتها ويمكن أن يؤخذ منه استحبابها في أول الوقت لكونه احتياطًا لها ومبادرة إلى تحصيلها في وقتها. أهـ فبدأ بها لأهميتها ولعدم وجود الإسلام عند عدمها أو على المرجوح بقاء صورته فقط لقول النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[2] وتأخيرها عن وقتها غالبًا يفضي إلى تركها والعياذ بالله تعالى، قوله: «قلت: وماذا يا نبي الله «أي ماذا بعد الصلاة أقرب إلى الجنة فاعله، قوله: «قال بر الوالدين «فقد ذكره الله تعالى بعد الأمر بتوحيده وهنا بعد عبادته قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾[3] ،قال النووي[4] : وأما بر الوالدين فهو الإحسان إليهما وفعل ما يسرهما ويدخل فيه الاحسان إلى صديقهما كما جاء في الصحيح: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه». أهـ قلت ولفظه عند مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر، صلة الولد أهل ود أبية»[6] ويدخل فيه الطاعة في المعروف والنصح والتواضع وخفض

---

(١) شرح مسلم ٢/٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٩٢ في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ح١٣٤/٨٢.

(٣) سورة الإسراء (٢٣).

(٤) شرح مسلم ٢/٧٦، ٧٨.

(٥) فتح الباري ١/١٤٣، ١٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٦٥، في البر والصلة والآداب باب فضل صله أصدقاء الأب والأم ونحوهما ح٢٥٥٢.

= الجناح ومداومة الدعاء لهما أحياء وأمواتًا وشكر الإحسان ونحوه قوله : «قلت : وماذا يانبي الله» اي ما أقرب الأعمال الي الجنة فاعله بعد الصلاة والبر قوله :قال الجهاد في سبيل«أي الجهاد للكفار لإعلاء دين الله تعالى وإعلاء كلمته وإظهار دينه ونيل الشهادة في سبيله وهناك روايات قدم فيها الجهاد على الحج قال الحافظ[1] : فإن قيل لم قدم الجهاد وليس بركن على الحج وهو ركن فالجواب أن نفع الحج قاصر غالبًا ونفع الجهاد متعد غالبًا اهـ وقال النووي[2]: قال صاحب التحرير: والصحيح أنه محمول على الجهاد في وقت الزحف الملجئ والنفير العام فإنه حينئذ يجب الجهاد على الجميع وإذا كان هكذا فالجهاد أولى بالتحريض والتقديم من الحج لما في الجهاد من المصلحة العامة للمسلمين مع أنه متعين متضيق في هذا الحال بخلاف الحج والله أعلم. اهـ وأما ما تقدم الصلاة والبر على الجهاد فقال الحافظ[3] أي بن حجر: فالذي يظهر أن تقديم الصلاة على الجهاد والبر لكونها لازمة للمكلف في كل أحيانه وتقديم البر على الجهاد لتوقفه على إذن الأبوين، وقال الطبري: إنما خص ﷺ هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برًا، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عدواتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ومن ضيعها كان لما سواها أضيع. اهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١/١٤٣، ١٤٤.

(٢) شرح مسلم ٢/٧٦، ٧٨.

(٣) فتح الباري ١١/٢٦١، ٢٦٢.

مبحث: الجهاد في سبيل الله حجاب عن النار

٣١٣ - عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما خالط قلب امرئٍ مسلمٍ رهجٌ في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار**».

---

[٣١٣] أخرجه الامام أحمد في المسند ٨٥/٦ عن عائشة رضي الله عنها.

قال الهيثمي في المجمع ٢٧٥/٥: أحمد والطبري في الأوسط ورجال أحمد ثقات.

قوله: «رهج» الرهج: الغبار. اهـ نهاية ٢٨١/٢.

المعنى

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما خالط قلب امرئ مسلم رهج في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار» أي يخبرنا نبينا ﷺ عن عظيم عمل المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل وإظهار دينه وإقامة شعائره سبحانه فجعل لهم الأجر إذا تنفسوا غبار الطريق ودخل أجوافهم وخالطها أصبح حصناً من النار وحرم الله على صاحب الرهج النار كما امتنع على صاحب الأقدام المغبرة في سبيل الله النار كما قال ﷺ: «ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»[١] قال ابن الأثير[٢]: الرهج الغبار وفي حديث آخر» من دخل جوفه الرهج لم يدخله حر النار» اهـ والله أعلم قال الحافظ ابن حجر[٣]: والمعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه. اهـ كذلك إذا كان دخول الغبار جوف المجاهد يحرم عليه النار ولو لم يباشر قتالاً فكيف بمن باشر وقاتل وقتل قال العيني[٤]: وكذلك دل الحديث على أن من اغبرت قدمه في سبيل الله حرمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لم يباشر. اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٢/١١ في الجهاد ح٢٨١١.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢٨١/٢.

(٣) فتح الباري ٢٩٢/١١.

(٤) عمدة القارى ٣٤٩/١١.

مبحث: مالمن أسلم وهاجر وجاهد

٣١٤ - عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا زعيم - والزعيم الحميل - لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيتٍ في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيتٍ في ربض الجنة وببيتٍ في وسط الجنة وببيتٍ في أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبًا ولا من الشر مهربًا يموتُ حيث شاء أن يموتُ»**.

---

[٣١٤] أخرجه النسائي في سننه ٢١/٦ في الجهاد، باب مالمن أسلم وهاجر وجاهد.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٨١/٧١/٢ في الجهاد، ح٢٣٩١ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال التلخيص على شرط البخاري ومسلم.

وأخرجه البيهقي في سننه ١١٩/٧٢/٦ في الضمان، باب وجوب الحق بالضمان ح١١٣٩٤ قوله: زعيم: الكفيل اهـ نهاية ٣٠٣/٢.

قوله: «ربض الجنة» بفتح الراء والباء: ما حولها خارجًا تشبيهًا بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع اهـ ١٨٥/٢.

المعنى

يخبرنا فضاله بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا زعيم - والزعيم الحميل - لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة» وعند الحاكم: «وجاهد» بدلاً من هاجر أي أن النبي ﷺ يضمن بيتًا حول الجنة وبيتًا وسطها لمن آمن به ﷺ وبشرعه وبما جاء به وثبت على ذلك حتى الممات وكان قد هاجر من قبل الفتح، والزعيم هو الضامن في لغة وهو أيضًا يطلق عليه الحميل والكفيل قال =

ابن حبان(1) : الزعيم: لغة أهل المدينة والحميل لغة أهل مصر، والكفيل لغة أهل العراق قال: ويشبه أن يكون قوله الزعيم الحميل من قول ابن وهب أدرج في الخبر. اهـ وقال السندي(2) : «آمن بي» بالقلب «وأسلم» بالظاهر «في ربض الجنة» بفتحتين في المجمع هو ما حولها خارجًا عنها تشبيهًا بأبنية حول المدن وتحت القلاع، قلت: ينبغي أن يراد هاهنا في طرف الجنة داخلها لا خارجًا عنها وإلا يلزم المنزلة بين المنزلتين فليتأمل. اهـ قوله: «وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة «أي أنا ضامن لمن آمن بي وصدق بما جئت به وأظهر الإسلام ومع ذلك جاهد في سبيل الله تعالى ببيت في الجنة حولها وفي أطرافها وببيت في وسط الجنة مع ما في ربضها وببيت في أعلى غرف الجنة مع ربطها ووسطها.

هذا يدل على عظيم درجة المجاهدين المؤمنين المسلمين فقد زادوا على المهاجرين المؤمنين المسلمين ببيت في أعلى الجنة.

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾(3) .

قوله: «فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبًا ولا من الشهر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت»: أي من أتى بالإسلام، والإيمان، والهجرة، والجهاد لم يترك بفعله ذلك شيئًا من الخير إلا وكان طلبه ولا بعدًا عن الشر إلا وكأنه قد ابتعد عنه.

قال السندي: «مهربًا» أي ما من مكان يهرب إليه من الشر ويلجأ إليه ويعتصم به للخلاص من إلا هرب إليه واعتصم به ا.هـ. والله أعلم.

---

(1) حاشية السيوطي على النسائي ٦/ ٢١.

(2) حاشية السندي على النسائي ٦/ ٢١.

(3) سورة الفرقان آية (٧٥).

مبحث: من خرج في سبيل الله إيمانًا وتصديقًا فله إحدى الحسنيين

٣١٥ ـ عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل**».

٣١٦ ـ وفي رواية عن أبي هريرة ـ قال سمعت رسول اللهﷺ: «**يقول مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجرٍ أو غنيمةٍ**».

---

[٣١٥] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٦٢، باب الجهاد من الإيمان ح٣٦.

[٣١٦] أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٦٥ في الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ح٢٧٨٧.

قوله: «في سبيل الله» أي الجهاد اهـ فتح الباري ١١/٢٧٢.

قوله: انتدب: بالنون أي سارع بثوابه وحسن جزائه وقيل بمعنى أجاب إلى المراد، وقيل معناه: تكفل المطلوب. اهـ فتح الباري ١/١٦٢، ١٦٣.

المعنى العام

قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾(١) إنه ذروة سنام هذا الدين العظيم إنه ثمن الجنة والتسليم نقداً مع =

---

(١) سورة التوبة آية (١١١).

= الفوز بيع بلا أجل إنه الخروج في سبيل الله جهاداً هذا اسمه اختص به، إذا قيل في سبيل الله فلا يطلق إلا على ذروة سنام الإسلام، الجهاد في سبيل الله تعالى، شوكة المسلمين فيه عزهم، فيه ذل عدوهم، بشرط أن يكون المجاهد قد خرج مؤمنا بالله تعالى مبتغيًا وجهه تعالى مصدقًا لما قاله الرسولﷺ من الوعد والوعيد، فهذا تكفل الله عز وجل لصاحبه إذا رجع حيًا من غير غنيمة أن يتم له أجره كله يوم القيامة وإذا رجع بغنيمه أن يسعده بما غنم وأن يدخر له ثلث أجره يوم القيامة فقد روى مسلم(٢) في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخره ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم «فالمجاهد المخلص لله عز وجل كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر أجره مستمر حتى حركة فرسه وما يخرج منها له حسنات ففي الحديث(٣) «إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات» قال الله عز وجل: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (١٢٠) ﴾(٤) قال ابن حجر رحمه الله تعالى:(٥) وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب. اهـ فقد ضمن الله عز وجل له الرجوع بخير إما أجر وإما غنيمة مع أجر وإما الشهادة مع الجنة قال ابن حجر: وقوله: «تضمن الله» و«تكفل الله» و«انتدب الله» بمعنى واحد ومحصله تحقيق الوعد المذكور في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾(٦) ذلك التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه وتعالى: وقد عبر ﷺ عن الله سبحانه وتعالى بتفضله =

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣/٧٧ في الإمارة ح١٥٣/١٩٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٦٣ في الجهاد ح٢٧٨٥.

(٤) سورة التوبة آية (١٢٠).

(٥) فتح الباري ١١/٢٦٥.

(٦) سورة التوبة آية (١١١).

= بالثواب بلفظ الضمان ونحوه مما جرت به عادة المخاطبين بما تطمئن به نفوسهم اهـ والذي يكتب الله له تعالى الشهادة إنما قد أوجب له سبحانه سكن الجنة من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب ففي الحديث[٦] «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين» وفي الحديث عند ابن ماجه[٧] «للشهيد عند الله ست خصال» يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»، هذا معنى دخول الجنة لأن السالم الغانم أيضًا له الجنة إن شاء الله تعالى بالأعمال الصالحة غير الشهادة فتخصيص الشهيد بالجنة أي دخولها عاجلاً فهو بيع نقد لا بيع أجل، ربح عاجل فالمشترى لا يعوزه شيء بل له ملكوت كل شيء قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٨] فالثمن عند أول قطرة من البيع «إنه مال رابح» إنه بيع رابح قال ابن حجر[٩]: قوله: «أن يدخله الجنة» أي بغير حساب ولا عذاب أو المراد أن يدخله الجنة ساعة موته كما ورد أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة وبهذا التقدير يندفع إيراد من قال: ظاهر الحديث التسويه بين الشهيد والراجع سالمًا لأن حصول الأجر يستلزم دخول الجنة. ومحصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول خاص. اهـ فاللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك مقبلين غير مدبرين صابرين محتسبين يارب العالمين.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣/٤٥ في الإمارة ح١١٩/١٨٨٦.

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/٩٣٥ في الجهاد، ح٢٧٩٩.

(٨) سورة المؤمنون آية (٨٨).

(٩) فتح الباري ١١/٢٦٥.

مبحث: فضل الجهاد في سبيل الله تعالى والشهادة في الجهاد وقول النبيﷺ: لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها

٣١٧ - عن أنس بن مالك عن النبيﷺ أنه قال: «**لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها - ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**».

---

[٣١٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٧٥ في الجهاد، باب الحور العين وصفتهن ح٢٧٩٦.

أخرج مسلم له شاهداً في جملته الأولى «الغدوة والروحة» عن سهل بن سعد ١٣/٢٦ في الجهاد والسير، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله تعالى.

المعني

يخبرنا أنس بن مالك عن نبيناﷺ أنه قال: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها» قال الله عز وجل ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾[1].

يبين نبيناﷺ عظم أمر الجهاد في سبيل الله تعالى الذي هو ذروة سنام الإسلام فبه تقوى شوكة المسلمين ويحفظ العرض والدين ويعبد الله وحده لا يشرك به شيئا فيخبرﷺ أن الروحة آخر النهار يتحركها العبد في سبيل الله أي مجاهداً في =

---

(١) سورة النساء آية (١٠٠).

= سبيل الله تعالى وكذلك الغدوة أول النهار يخرجها العبد دفاعًا عن الدين مجاهدًا للكافرين خير من الدنيا وما فيها قال الحافظ ابن حجر[٢] : والغدوة بالفتح: المرة الواحده من الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه والروحة المرة الواحدة من الرواح وهي الخروج في أي وقت من زوال الشمس إلى غروبها اهـ قوله: «في سبيل الله» قال الحافظ[٢] : أي الجهاد اهـ قلت وهذا المعنى للجهاد هو الذي عليه جماهير المحدثين والمفسرين لا يطلق في سبيل الله إلا على الجهاد قوله: «ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها» هذا الشيء الصغير ما بين الوتر والقوس من الجنة للعبد المجاهد خير من الدنيا كلها بزينتها وزخرفها خير من الدنيا وما فيها فكيف بقصورها وحورها وباقي نعيمها، قال الحافظ[٢]: «وقاب قوس أحدكم» أي قدره والقاب بتخفيف القاف وآخره موحده: معناه القدر وقيل القاب ما بين مقبض القوس وسيته وقيل ما بين الوتر والقوس، والقيد بكسر القاف بعدها تحتانيه ساكنه ثم دال وبالموحدة بدل الدال وقيل المراد بالقوس هنا الذراع الذي يقاس به، وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع من الجنة اهـ قوله: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا» أي إنه من نعيم الجنة نساء الحور ولو أن امرأة من الحور العين أطلت بوجهها على الدنيا لأضاءت الأرض وجوانبها ونواحيها بضوء وجهها ولملأته ريحا طيبًا!! امرأة واحدة من اطلاعة واحدة فكيف بمن يعيش معها زوجة له فاللهم ارزقنا من فضلك ولا تحرمنا الشهادة في سبيلك يارب العالمين: إذا حقا الغدوة الواحدة والروحة الواحدة في سبيل الله عز وجل خير من كل نعيم الدنيا وقوله: «خير من الدنيا وما فيها» قال ابن دقيق العيد[٢]: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع فلذلك =

(٢) فتح الباري ١١/٢٧٢، ٢٧٣.

= وقعت المفاضلة بها وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة والثاني: أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها فأنفقها في طاعة الله تعالى ورجح الحافظ الثاني اهـ قوله: «ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» أي خمارها على رأسها أيضًا خير من كل زينة الدنيا وما فيها. الدنيا التي قليلها غَرٌّ الكثير وأنساهم لقاء العلي القدير، خمار المرأة من أهل الجنة خير منها بما فيها تامة: قال الحافظ[3] : ولنصيفها: بتفح النون وكسر الصاد المهملة بعدها تحتانيه ساكنه ثم فاء هو الخمار بكسر المعجمة وتخفيف الميم، ثم قال المعنى الذي من أجله يتمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى في سبيل الله لكونه يرى بالشهادة فوق ما في نفسه إذ كل واحدة يعطاها من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لأضاءت كلها وعزاه للمهلب اهـ والله أعلم.

(٣) فتح الباري ١١/٢٧٥.

مبحث : فضل من عصى الشيطان وجاهد

٣١٨ ـ عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك، وآباء أبيك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فقال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك كان حقًا على الله عز وجل أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة**».

---

[٣١٨] أخرجه النسائي في سننة ٢١/٦ في الجهاد باب مالمن أسلم وهاجر وجاهد.

وأخرجه أحمد في المسند ٤٨٣/٣ متابعًا لشيخ النسائي إبراهيم بن يعقوب كلاهما عن هاشم بن القاسم أبي النصر متابعة تامة.... به مرفوعًا.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٧٣/٢ في الجهاد، باب الترغيب في الجهاد... الخ، ح٥ عن سبرة بن أبي فاكه أيضًا مرفوعًا وعزاه للنسائي وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

قول: «بأطرقه» قال ابن الأثير: وفي حديث سبرة «إن الشيطان قعد لابن ادم بأطرقه» هي جمع طريق على التأنيث لأن الطريق تذكر وتؤنث فجمعه على التذكير أطرقه وعلى التأنيث أطرق اهـ نهاية ١٢٣/٣.

قوله: «الطول»: بكسر الطاء المهمله بعدها واو مفتوحة والطول: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه اهـ نهاية ١٤٥/٣.

قوله: «وقصته» الوقص: كسر العنق اهـ نهاية ٢١٤/٥.

المعنى

يخبرنا سبره بن أبي فاكه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه» أي قعد الشيطان لابن آدم بطرق الخير يصده عن السير فيها ولولا رحمة ربنا لما سلك الطريق السوى أحد قال تعالى حاكيًا عنه ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾[١] قال ابن الأثير:[٢] وفي حديث سبرة «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه» هي جمع طريق على التأنيث لأن الطريق تذكر وتؤنث فجمعه على التذكير أطرقه كرغيف وأرغفه وعلى التأنيث أطرق اهـ قوله: «فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك» أي وقف له أمام الإسلام يثبطه عن الإسلام مخافة أن يسلم قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[٣] يقول له أي كيف تدخل في الإسلام وتترك دينك ودين من سبقك من أبائك وآباءهم وهل هؤلاء كانوا ضلالاً كما قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾﴾[٥]، قال السندي[٤] : قوله بأطرقه، جمع طريق ـ قوله ـ «تسلم» أي كيف تسلم اهـ قوله: «فعصاه فأسلم» أي غلب الشيطان وتخطى عقباته ووسوسته وأسلم فدخل النجاة

---

(١) سورة الأعراف آية (١٦)، (١٧) (١٨).

(٢) النهاية لابن الأثير ٣/١٢٣.

(٣) سورة فاطر اية (٦).

(٤) حاشية السندي على السنائي ٦/٢١، ٢٢.

(٥) سورة ص آية (٥)، (٦) (٧)، (٨).

= واستمسك بعروتها قال تعالى ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٦) قوله ثم قعد له بطريق الهجرة أي كما قعد له بطريق الإسلام قوله فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك أي كيف تهاجر إلى أرض غريبة وتترك أرضك التي ألفتها وسماءك التي عرفتها قوله: وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول أي مثل المهاجر كمثل فرس مربوط في وتد غريب لا يعرف أحدًا إلا خليلاً فلا يتحرك إلا قليلاً كأنه محبوس والعياذ بالله عز وجل بخلاف المقيم في بلاده فهو كثير الحركة لكثرة معارفة وهذا من وسوسة الشيطان لعنه الله قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾(٧) قال السندي(٨): أي في قولهﷺ: «وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول» بكسر الطاء وفتح الواو وهو الحبل الذي يشد أحد طرفيه في وتد والطرف الآخر في يد الفرس وهذا من كلام الشيطان ومقصوده أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة لا يدور إلا في بيته ولا يخالطه إلا بعض معارفه فهو كالفرس في طول لا يدور ولا يرعى إلا بقدره بخلاف أهل البلاد في بلادهم فإنهم مبسوطون فأحدهم كالفرس المرسل اهـ قوله: فعصاه فهاجر» كما عصاه وأسلم قوله: «ثم قعد له بطريق الجهاد» كما قعد بطريق الإسلام والهجرة قوله: «فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقتل فتنكحُ المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد» أي كيف تجاهد وهذا من كلام الشيطان لعنه الله تعالى - فهو مشقة وتعب وإجهاد للنفس ونقصان للمال فقد تقتل فتتزوج امرأتك بعدك ويقسم مالك بين ورثتك فتضيع دنياك ولم يذكر له عظيم ثواب الآخرة لكن لما ذكره المجاهد غلب به الشيطان لما رأى موعود الرحمن بعين بصيرته لذلك قالﷺ «فعصاه فجاهد» قال السندي(٨): «فهو جهد» بفتح الجيم بمعنى المشقة والتعب والمراد بالمال الجمال والعبيد ونحوهما أو المال مطلقا وإطلاق الجهد للمشاكله أي تنقيصه وإضاعته والله أعلم اهـ قوله: «فقال رسول اللهﷺ: «فمن فعل ذلك كان =

(٦) سورة لقمان آية (٢٢).

(٧) سورة البقرة آية (٢٦٨).

(٨) حاشية السندي على النسائي ٦/٢١، ٢٢.

= حقـا على الله عز وجل أن يدخله الجنة»» أي سبق وصبر على عـقبـات الشيطان ولم يبال بوسـوسته وتخطاها كـان على الله تعالى إكرامًا منه سبحانه فإنه لا يجب عليه شيء إلا أن يوجبه هـو سبحانه على نفسـه أن يدخله الجنة قوله: «ومن قتل كـان حقا على الله عـز وجل أن يدخله الجنة، وإن غـرق كان حـقـا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة» أي إن استشهد قتيلا في ساحة القتال سواء بالسـيف أو غيره أو غرقـا أو وقع على دابته وهو مرابط فـكسر عنقه كان حـقًا على الله عز وجل أن يكافأه بذلك بالجنـة لا بديل عنها رحمة منه وكراما منه سـبحانه وتعالى اهـ والله أعلم.

تراجم الرجال

إبراهيم بن يعـقـوب: هو إبراهيم بن يعـقوب بن إسـحاق السـعـدي أبو إسحـاق الجوزجـاني روى عنه النسائي والترمذي وغـيرهمـا وروى عن يزيد بن هارون وأبي صالح كاتب الـليث وغيرهما وثقه النـسائي والدارقطني وقال ابن حجـر: ثقة حافظ رمى بالنصب. اهـ. (تهذيب ١/١٥٨، تقريب ١/٤٦).

أبو النضر: هاشم بن القـاسم: بن مسلمة بن مقـسـم الليثي البغدادي الحـافظ متفق علي توثيقـه. (تهذيب ١١/٢١٨، تقريب ٢/٣١٢ تذكرة الحـفاظ ١/٣٥٩، الجرح والتعديل ٩/١٠٥).

عبـد الله بن عقـيل: أبو عقـيل الثقـفي الكوفي نزيل بغداد وثقـه أحمـد وابن معين وعـثمـان الدارمي وغيـرهـم وقـال ابن حـجـر: صـدوق. (تهذيب ٥/٢٨٢، تقـريب ١/٤٣٤).

مـوسى بن المسيب: الـثقـفي أبو جعـفـر الكوفي البزاز، قـال الحـافظ ابن حجـر: صدوق (تهذيب ١٠/٣٣٢، تقريب ٢/٢٨٨).

سالم بن أبي الجـعد: رافع الغطفـاني الأشجعي مـولاهم الكوفي قال: مـتفق على توثيقه لكن كان يرسل كثيراً تهذيب ٣/٢٧٤، تقريب ١/٢٧٩). =

مبحث: الغبار في سبيل الله ذريرة الجنة

٣١٩ - عن ربيع بن زيد قال: بينما رسول الله ﷺ يسير معتدلاً عن الطريق إذا أبصر شابًا من قريش يسير معتزلاً فقال النبي ﷺ: «**أليس ذاك فلان؟**» قالوا: نعم، قال: «**فادعوه**»، فجاء فقال له النبي ﷺ: «**مالك اعتزلت عن الطريق**» قال: كرهت الغبار. قال: «**فلا تعتزله، فوالذي نفسي بيده إنه لذريرة الجنة**».

= إسناد الحديث: إن ثبت سماع سالم من سبرة رضي الله عنه فالحديث حسن وإلا فمنقطع لكثرة إرسال سالم بن الجعد وعدم تصريحه بالسماع من سبرة رضي الله عنه والله أعلم.

[٣١٩] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٦٦/٥، ٤٦٠٨ عن وبرة أبي كرز عن ربيع بن زيد... به ترجمة ٤٥٨.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٢٢/٢٨٧/٥ ح٩٤٨٥: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

قوله: «ذريرة» بفتح الذال المعجمة وكسر الراء بعدها مثناه تحتيه ثم راء آخرها قال ابن الأثير: هو نوع من الطيب اهـ ١٥٧/٢.

المعنى

يخبرنا ربيع بن زيد رضي الله عنه فيقول أنه بينما رسول الله ﷺ يسير معتدلاً عن الطريق أي مجانبًا الطريق قوله: «إذا أبصر شابًا من قريش يسير معتزلاً» أي رأى ﷺ شابًا من القوم خرج معهم لكن لم يكن سيره في وسطهم إنما جانبهم لكن بعيدًا قوله: فقال النبي ﷺ «أليس ذاك فلان» أي استفهم ﷺ استفهامًا تقريريًا أليس هذا الرجل فلان الذي أعرفه قوله: «قالوا نعم» لعله تصحيف فالأصل قالوا: بلى أي هو فلان الذي تعنيه يا رسول الله قال: «فادعوه» أي اطلبوه أكلمه، فقال له النبي ﷺ: «مالك =

اعتـزلت عن الطريق؟» أي مـا حملك على اعـتزالك بعـيداً عن إخـوانك وأصحـابك وقومك في سيرك بعـيداً عن الطريق قوله: «كرهت الغبار» أي كرهت مضـايقة الغبار أن يؤذيني ويدخل صدري ظاناً أن ذلك لا شيء فيه بأجر أو وزر فابتـعد عما يضايقه كابتـعاده عن أي أذى فأراد ﷺ أن يبين أمراً عظيماً كـما بين من قبل أن غبـار الأقدام يحرم عليها مس النار وغبار الصدر يحرم عليه النار فقال: «ما خالط قلب امرئ مسلم رهج في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار»[٤] وقال: «ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»[٥] بين هنا ﷺ أنه هذا الغبار أيضاً الذي تشمـئز منه النفس ويضايقها هو نفسـه طيب الجنة فقالﷺ: «فو الذي نفـسي بيده إنه لذريرة الجنة» أي لا تبتـعد عنه فـوالله الذي أنا مملوك له إنه لذريرة الجنة قـال ابن الأثيـر[٣] : هو مـن الطيـب اهـ والله أعلم.

(٣) النهاية لابن الأثير ١٥٧/٢.

(٤) ص٨٠٦ ح٣٠٩.

(٥) سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى في هذا الباب.

مبحث: تأمير النبي ﷺ أحب الناس إليه ومن كان خليقًا للإمارة

٣٢٠ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقًا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده**».

---

[٣٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٨٢، ٨٣ في المغازي باب غزوة زيد ابن حارثة ح٤٢٥٠.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٨٧ في المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه ح٤٤٦٨.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٥/١٩٦ في الفضائل، باب فضائل زيد وابنه أسامة رضي الله عنهما قوله: «خليقًا» أي حقيقًا بها. اهـ شرح مسلم ١/١٩٦.

المعنى

يخبرنا ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه أمر أسامة بن زيد رضي الله عنهما على قوم فطعنوا في إمارته» أي غمزوا في إمارته ولم يعجبهم تأميره مع أن الواجب التسليم فضلاً عن الرضا والفرح بذلك لأن الذي أمره هو رسول الله ﷺ قال الحافظ:(١) جاء أنه كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة فقال سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، وأغر صباحًا وحرق عليهم، وأسرع المسير تسبق الخير فإن ظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامه فدفعه إلى =

---

(١) فتح الباري ١٥/٢٨٧، ٢٨٨.

= بريدة وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامه كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وسعد، وسعيد، وقتادة بن نعمان، وسلمة بن أسلم، فتكلم في ذلك عياش بن أبي ربيعة المخزومي فرد عليه عمر وأخبر النبيﷺ فخطب بما ذكر في هذا الحديث، ثم اشتد برسول اللهﷺ وجعه فقال: «أنفذوا بعث أسامة» فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها وقتل قاتل أبيه ورجع بالجيش سالمًا وقد غنموا وقد قص أصحاب المغازي قصة مطولة فلخصتها وكانت آخر سرية جهزها النبيﷺ وأول جيش جهزه أبو بكر رضي الله عنه. اهـ قوله: فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله»، أي كذلك كنتم طعنتم في إمارة زيد من قبل فهذا شأنكم لشيء في قلوبكم قال الحافظ[1]: والذي باشر القول ممن نسب إليهم الطعن في إمارته عياش بن أبي ربيعة. اهـ قوله: «وأيم الله لقد كان خليقًا للإمارة» أي كان جديرًا بها أهلاً لها رضي الله عنه ونبيناﷺ ﴿ما ينطق عن الهوى﴾ فطالما قال خليقًا للإمارة إذا هو خليق للإمارة بلا شك ولا ريب ولا تردد، قال النووي[2]: أي حقيقًا بها، فيه جواز تولية الصغار على الكبار فقد كان أسامة صغيرًا جدًا توفي النبيﷺ وهو ابن ثمان عشرة وقيل عشرين وجواز تولية المفضول على الفاضل للمصلحة وفي هذه الأحاديث فضائل ظاهرة لزيد وأسامة رضي الله عنهما. اهـ قوله: «وإن كان من أحب الناس إلى» وعند مسلم «وأيم الله إن كان لأحب الناس إليَّ» أي ويمين الله إن كان زيد رضي الله عنه من أحب الناس إليَّ وعند البخاري: «من أحب الناس إلى» وهذه أوضح حيث في الصحيح صحيح البخاري[3] في المغازي في غزوة ذات السلاسل عن عمرو بن العاص أنه قال للنبيﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت ثم من؟ قال عمر، فعد رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم» فزيد إذًا ليس =

(١) فتح الباري ١٥/٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٥/١٩٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥/١٩٥، ١٩٦ في المغازي، ٤٣٥٨.

مبحث: التحذير من طاعة الأمير في معصية الله تعالى

٣٢١ - عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا فقال: أو قدوا ناراً فأوقدوها فقال: أدخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار فمازالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، والطاعة في المعروف**».

= أحب على الاطلاق إنما هو من الأحب كما في رواية البخاري قوله: «وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده» أي أسامة أحب الناس إليَّ بعد أبيه وعند مسلم «وأيم الله إن هذا الخليق يريد أسامة بن زيد وأيم الله إن كان لأحبهم إلى من بعده فأوصيكم به فإنه من صالحيكم» فهذا سبب حب النبي ﷺ «فإنه من صالحيكم» فهو حب في الله ولله والله أعلم فلذلك أمره وأحبه وأحب عائشة وأبيها ثم عمر ومن بعده رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله وسلم على نبينا الأمين ﷺ والحمد لله رب العالمين.

مبحث: التحذير من طاعة الأمير في معصية الله تعالى

[٣٢١] أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/١٧٧ في المغازي، باب سرية عبدالله ابن حذافة السهمي، ح ٤٣٤٠.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٢/٢٢٧ في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

المعنى

يخبرنا علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار أي جعل الأنصاري أميراً على السرية قوله: «وأمرهم أن يطيعوه» حيث قال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»[1] فهم فهموا ذلك وقاموا به خير قيام =

= قوله: «فغضب فقال أليس أمركم النبيﷺ أن تطيعوني قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبا، فجمعوا» أي لما غضب عليهم فعند مسلم «فأغضبوه في شيء» ذكرهم وأقرهم على أن النبيﷺ أمرهم بطاعته لكنه نَسِيَ وَنَسَوْا، نسى أن النبيﷺ قال: «لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»[2]. ونسى أن النبيﷺ قال: «اللهم من ولى من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»[3] ونسوا هم أن النبيﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[5] أي إنما الطاعة لله عز وجل أصلاً، وطاعة الأمير فرع من طاعة رسول اللهﷺ فلا طاعة لمن أمر بمعصية أيًا كان، لذلك لما أمرهم بجمع الحطب فجمعهم طاعة لكن جمعه هو معصية وهم قد أخطأوا في هذه الطاعة رضي الله عنهم قوله: «فقال أوقدوا نارًا فأوقدوها» أي أمرهم بأن يُورُوا نارًا ففعلوا قوله: «فقال: ادخلوا، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضًا» هنا أمر بمعصية بلا شك وهم كادوا يفعلوها طاعة للنبيﷺ لكن نجاهم الله تعالى لحسن نيتهم فأبى بعضهم وفهموا أن الطاعة في المعروف لذلك جعلوا يمسكون ببعضهم خوفًا من أن يقع بعضهم في النار فقد نجاهم الله بحسن نيتهم وعند مسلم فنظر بعضهم إلى بعض قوله: «ويقولون فررنا إلى النبيﷺ من النار فمازالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه» أي قالوا إنما أسلمنا فارين من الكفر والنار إلى النوروالرحمة والإيمان عند رسول اللهﷺ فكيف ندخلها ملقين أنفسنا فيها ومازالوا مستمرين على هذا التردد حتى خمدت النار وسكن غضبه، قال الحافظ:[4] خمدت هو بفتح الميم أي طفئ لهبها اهـ قوله: فبلغ النبيﷺ: «أي أخبر بذلك الحدث العظيم فقال: «لو =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٣/١٢ في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٥/١٢ في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٣/١٢ في الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر على الرفق.

(٤) فتح الباري ١٧٧/١٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٤/١٢ في الإمارة ح١٨٣٨/٣٧.

دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة والطاعة في المعروف» أي لو دخلوها لدخلوا بسببها نار الآخرة لإلقائهم أنفسهم في النار قتلاً للنفس وفي الحديث الصحيح في البخاري «ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا»[٥] قال الحافظ[٦] : يعني أن الدخول فيها بمعصية والعاصي يستحق النار ويحتمل أن يكون لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبدًا. اهـ قوله «والطاعة في المعروف» وعند مسلم: «إنما الطاعة في المعروف» أي إنما الطاعة للأمير في طاعة الله وإذا أمر بمرضاته لا في غير ذلك وطاعة الله وأوامره كلها مصلحة وخير قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[٦] والله أعلم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٣٨٣ في الطب، باب شرب السم والدواء به وما يخاف به، ح٥٧٧٨.

(٦) فتح الباري ١٦/١٧٧.

(٧) سورة النحل آية (٩٠).

مبحث : رحمة النبى ﷺ وحسن خلقه

٣٢٢ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جَاءَ الطفيل بنُ عَمْرو إلى النَّبىِّ ﷺ فقال: «**إنَّ دَوْساً قَدْ هَلَكَتْ عصت وأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ. فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَأْتِ بِهِمْ**».

---

٣٢٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٢٧٧ فى المغازى ـ قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسى، ح ٤٣٩٧ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة الدوسى رضى الله عنه أن الطفيل بن عمرو ـ الدوسى أيضاً ـ جاء النبى ﷺ فقال إن دوساً قد هلكت، عصت وأبت فادع الله عليهم، قال الحافظ[1] : الدوسى، بفتح المهملة وسكون الواو وبعدها مهملة والطفيل بن عمرو أى ابن طريف ابن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه وأجابه أبو هريرة وحده. أ هـ لذلك قال للنبى ﷺ: إن دوساً قد هلكت «أى بكفرها وتكذيبها قوله «عصت وأبت» يفسر الهلاك، «فادع الله عليهم» أى بالهلاك أو بالإنتقام منهم، لكن نبينا ﷺ الذى قال الله تعالى له ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[2] حقا إنه الرحمة نفسها بل وزادت الرحمة، وتتشرف الرحمة وتعلوا وتتم وتسموا إذا كانت منه ﷺ وصدق الله القائل ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم... الآية** ﴾[3] لذلك قال مجيباً عن طلب طفيل بالدعاء على قومه أى الدعاء لهم قائلاً: «اللهم اهد دوساً وأت بهم» قال الحافظ[1]: وهذا يدل على تقدم إسلامه وذكر موسى بن عقبه عن ابن شهاب أن الطفيل بن عمرو استشهد بأجنادين فى خلافة أبى بكر. أ هـ والله أعلم ورضى الله عنهم أجمعين وعن أبى هريرة والسابقين أجمعين.

---

(١) فتح البارى ١٦ / ٢٦٦، ٢٦٧.
(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧).
(٣) سورة آل عمران آية (١٥٩).

مبحث : وصية النبى ﷺ

أمراء المغازى بالذكر والرحمة

٣٢٣ عن بريدة عن رسول الله ﷺ قال: «**اغْزُوا باسْم الله في سَبيل الله. قَاتلوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا ولاَ تَغلُوا، ولاَ تَغْدِرُوا، ولاَ تَمْثُلُوا ولاَ تَقْتُلُوا وليداً ... الحديث.**

---

٣٢٣ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٢ / ٣٧ فى الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث .

وأخرجه أبو داود فى سننه ٧ / ٢٧١ فى الجهاد، فى دعاء المشركين، ح ٢٥٩٥ من غير ألفاظ الباب.

وأخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٢٤٢ فى السير، باب ما جاء فى وصية النبى ﷺ فى القتال، ح ١٦٦٦ .

وأخرجه البيهقى فى السنة ٩ / ٨٤ فى السير، ح ١٧٩٤٩ .

قوله: «لا تغلوا» تقدم شرحه فى حديث تحريم الغلول.

قوله: «لا تمثلوا» قال ابن الأثير: فيه «أنه نهى عن المثلة» يقال: مثلة بالحيوان أمثل به مثلاً إذا قطعت أطرافه وشوهت به ومثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه والإسم المثلة. أ هـ نهاية ٤ / ٢٩٤ .

المعنى

يخبرنا بريدة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله» أى مستعينين بالله بادئين ومنتهين بذكره سبحانه كما قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٤٥﴾﴾[1] قوله: «فى سبيل الله» أى محتسبين خروجكم قاصدين وجه الله وابتغاء مرضاته مجاهدين لإعلاء دينه ولتكون كلمة الله هى العليا حتى يكون مآلهم الجنة. قال تعالى ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ**

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٥).

مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] قوله: «قاتلوا من كفر بالله» ولا تقتلوا غيره فالدم كله حرام إلا دم الكفار ومن نص الشرع على إباحة دمه ففى الحديث: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[2] قوله: «اغزوا ولا تغلوا» أمرهم بالغزو فى سبيل الله لعظم أجره ونهاهم عن الغلول لعظم جرمه وذنبه وإثمه قال ابن الأثير[3] : الغلول: هو الخيانة فى المغنم والسرقه من الغنيمة قبل القسمة وكل من خان فى شئ خفية فقد غل. أ هـ قوله: «ولا تغدروا» قال صاحب التحفة[4] : بكسر الدال أى لا تنقضوا العهد، وقيل لا تحاربوهم قبل أن تدعوهم إلى الاسلام. أ هـ وقد قال الله عز وجل ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[5] قوله: «ولا تمثلوا «بضم المثلثة قال ابن الأثير: مثلت بالقتيل إذا أجدعت أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه والاسم المثله. أ هـ وصدق الله سبحانه إذ قال له ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[7] حتى مع الأعداء رحم الحى والميت فحتى لا يتأذى الأحياء منهم بالمثلة نهى عنها رحمة وغير ذلك من الحكم الخفية التى يعلمها ﷺ، قوله: «ولا تقتلوا وليداً» قال النووى[8] : الوليد: الصبى. أ هـ لأنه لا يد له فى أذى المسلمين ولا شوكة له والإسلام إنما يحارب ليكسر شوكة الكفر ويغرز شجرة الحق، قال النووى: وفى هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهى تحريم الغدر وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام امراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون فى غزوهم وما يجب عليهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب. أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة النساء آية (١٠٠).
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٦ / ٢٠ فى الديات ح ٦٨٧٨ .
(٣) نهاية ٣ / ٣٨٠ .
(٤) تحفة الأحوذى ٥ / ٢٤٣.
(٥) سورة الاسراء آية (٣٤).
(٦) النهاية ٤ / ٢٩٤ .
(٧) سورة الأنبياء آية (١٠٧).
(٨) شرح مسلم ١٢ / ٢٧ .

مبحث : اعطاء النبى ﷺ

اللواء لمن يحبه الله ورسوله

٣٢٤ ـ عن سلمة رضى الله عنه قال: كان علىٌّ رضىَ اللهُ عنهُ تخلفَ عن النبيِّ ﷺ فى خيبرَ وكانَ بهِ رمدٌ فقال: أنَآ أتخلفُ عن رسولِ اللهُ ﷺ فخرجَ علىٌّ فلحقَ بالنبيِّ ﷺ فلما كانَ مساءِ الليلةِ التى فتحهَا فى صباحها فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لأُعْطِينَّ الرَّايَةَ ـ أو لَيَأْخُذَنَّ ـ غَداً رَجُلٌ يُحبُّه اللهُ وَرَسُولُهُ ـ أَو قَالَ ـ يُحبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْه «فإذا نحنُ بعلىَّ وما نرجوهُ فقالُوا: هذَا علىٌّ فأعطاهُ رسولُ اللهِ ﷺ فَفَتَحَ اللهُ عليه**».

---

٣٢٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٩٠ فى الجهاد، باب ما قيل فى لواء النبى ﷺ، ح ٢٩٧٥ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٥٦ فى المغازى، باب غزوة خيبر، ح ٤٢٠٩.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ١١١ شاهداً فى الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ح ٣٠٠٩.

أخرجه مسلم فى صحيحه ١٥ / ١٧٦، ١٧٧ فى فضائل الصحابة شاهداً عن سعد رضى الله عنه، باب فضائل على رضى الله عنه.

المعنى

يخبرنا سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن علياً بن أبى طالب رضى الله عنه تخلف عن النبى ﷺ فى خيبر كان به رمد» أى أن سبب تخلف على رضى الله عنه أولاً عن خيبر أنه كان وَجعَ العين رمداً قوله: فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ «أى كيف أتخلف وهل يليق بمثلى أن يتخلف فلا يخرج إلى خيبر مع رسول الله ﷺ =

= أو غيرها وأنا أحب الله تعالى ورسوله ﷺ، قال الحافظ بن حجر[1] : وكأنه أنكر على نفسه تأخره عن النبى ﷺ فقال ذلك. أ هـ قوله: «فخرج على فلحق بالنبى ﷺ «أى بالرغم من مرضه عاتب نفسه رضى الله عنه ثم خرج فلحق بالنبى ﷺ بخيبر أو قبلها قال الحافظ[1] : يحتمل أن يكون لحق به قبل أن يصل إلى خيبر ويحتمل أن يكون لحق به بعد أن وصلها. أ هـ قوله: «فلما كان مساء الليلة التى فتحها فى صباحها» وفى المغازى «فلما بتنا الليلة التى فتحت «أى خيبر قوله: «فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية ـ أو ليأخذن ـ غداً رجل يحبه الله ورسوله ـ أو قال يحب الله ورسوله» وفى المغازى: «يحبه الله ورسوله» بدون شك وسبب ذلك ما أخرجه الحاكم[2] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما كان يوم خيبر بعث رجلاً فجبن فجاء محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله لم أر كاليوم قط... إلى أن قال رسول الله ﷺ: «لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه لا يولى الدبر يفتح الله على يديه» فتشرف لها الناس وعلى رضى الله عنه يومئذ أرمد فقال له رسول الله ﷺ: «سر» .. الحديث إذاً اللواء هو الراية وعلى حمله بعد حمل غيره له وليس فى هذا تفضيل لعلى رضى الله عنه على العمرين بل الصديق أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ ثم عمر ثم عثمان ثم على بالنصوص الصريحه الصحيحة وقد كانوا كلهم يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله وليس فى التنصيص عَلَى عَلِيّ هنا إخراج سواه كما نص النبى ﷺ فقال «أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان»[3] إلى آخر العشرة فليس فى ذلك إبعاد سواهم بل فيه أنه أخبر بهؤلاء على وجه مخصوص وزاد علياً هنا أن يفتح الله على يديه أى خيبر هذا هو التخصيص هنا، قال الحافظ[1] : والراية بمعنى اللواء وهو العلم الذى فى الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يرفعه لمقدم العسكر. وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما. أ هـ قوله: «فإذا نحن بعلى وما =

(١) فتح البارى ١٦ / ٥٦ .
(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ / ٣٨ فى المغازى والسرايا، ح ٤٣٤٢ / ٤٦ .
(٣) أخرجه أحمد فى المسند ١ / ١٨٨ .

= نرجوه» وفي المغازي «فنحن نرجوها» وبعدها «فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها» أي باتوا مختلفين أيهم يأخذها وكلهم يتمناها. قوله: «فقالوا: هذا على فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه» وفي المغازي: فقال: أين على بن أبي طالب»؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... الحديث وفي رواية: «فأعطاه ففتح عليه» أي نصرهم الله عز وجل على إمرة على رضى الله عنه لحبه الله ورسوله ﷺ وحب الله ورسوله له قال الحافظ[1]: وقد اختلف في فتح خيبر هل كانوا عنوة أو صلحاً ورجح الأولى وأنهم لما غلبوا صالحوا النبى ﷺ. أ هـ وقد أخرج القصة أبو داود فى الامارة من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على الأرض والنخل وألجأهم إلى قصرهم فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ما حملت ركابهم على أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكاً لحيي ابن أخطب... الحديث إلى أن قال... فوجدوا المسك فقتل ابن أبي الحقيق وسبى نساؤهم وذراريهم وأراد أن يجليهم فقالوا يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك ولكم الشطر... **الحديث[2] . أ هـ والله أعلم.**

---

(١) فتح الباري ٥٦/١٦.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ٨ / ٢٣٨: ٢٤١ فى الامارة، باب ما جاء فى حكم أهل خيبر ح ٢٩٩٠ .

مبحث : تحذير النبى ﷺ
من تأمير المرأة وتوليتها

٣٢٥ ـ عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: لما بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ أهلَ فارسٍ قدْ ملكوُا عليهِم بنتَ كسرىَ قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**».

---

٣٢٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٢٥٨ فى المغازى، باب كتاب النبى ﷺ إلى كسرى وقيصر، ح ٤٤٢٥ .

وأخرجه أحمد فى المسند ٥ / ٤٣ .

المعنى

يخبرنا أبو بكرة رضى الله عنه أنه لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى «قال الحافظ[1] : هي بوران بنت شيرويه بن كسرى بن برويز، وذلك أن شيرويه لما قتل أباه كما تقدم كان أبوه لما عرف أن ابنه قد عمل على قتله إحتال على قتل ابنه بعد موته فعمل فى بعض خزائنه المختصة به حُقاً مسموماً وكتب عليه حُق الجماع من تناول منه كذا جامع كذا، فقرأه شيرويه فتناول منه فكان فيه هلاكه، فلم يعش بعد أبيه سوى ستة أشهر، فلما مات لم يخلف أخاً لأنه كان قتل إخوته حرصاً على الملك ولم يخلف ذكراً وكرهوا خروج الملك عن ذلك البيت، فملكوا المرأة واسمها بوران ذكر ذلك ابن قتيبه فى المغازى. أ هـ قوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة» كلمة مأثورة عظيمة قديمه قالها صاحب جوامع الكلم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى مخبراً محذراً أن لا فلاح لقوم أعطوا أمرهم وتركوه تتصرف فى شئونهم إمرأة وتقضى بينهم وتكون أميراً عليهم أو حتى أميراً على مصلحة من مصالحهم فإذا فعلوا ذلك فاتهم الفلاح حتى ولو أرجح نسائهم عقلاً فعقلها ما تم ولن يتم بنص صاحب الشرع الشريف حيث قال ﷺ «ما رأيت من =

---

(١) فتح البارى ١٦ / ٢٥٨، ٢٥٩ .

= ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن[1] فما فعل قوم ذلك إلا خابوا ولو كابروا فالخيبة تكون واضحة وهم ينكرونها لكن الحق أظهر من أن يخفى، قال الخطابى: فى الحديث: أن المرأة لا تلى الإمارة ولا القضاء.، وفيه أنها لا تزوج نفسها، ولا تلى العقد على غيرها. أ هـ وأما تولية الفُرس امرأة فهى دعوة من النبى ﷺ بتمزيق ملكهم فكان تولية المرأة هى استجابة الدعوة حيث ضاع الملك ومُزق فعلاً بتولية المرأة عليهم قال الحافظ[1]: أى أن كسرى الذى مزق كتاب النبى ﷺ فسلط الله عليه ابنه فقتله ثم قتل إخواته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومُزقوا كما دعا النبى ﷺ أ هـ. والله أعلم.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢ / ٢١٨ فى الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ح ٣٠٤ .

مبحث : الاستعانة بالصالحين فى الغزو

٣٢٦ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يَأتى زَمَانٌ يغزو فئام من النَّاسِ فَيُقَالُ: فيكُم مَنْ صَحِبَ النَّبيَّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفتَحُ عَلَيْه، ثُمَّ يَأتِى زَمَانٌ، فَيُقَالُ فيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ فيفتح، ثُمَّ يأتِي زَمانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ**».

٣٢٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٤٥ فى الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب، ح ٢٨٩٧.

أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ١٠٤ فى علامات النبوة فى الإسلام، ح ٣٥٩٤.

أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ١٣٧ فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، ح ٣٦٤٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٨٣/١٦ في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قوله: «فئام» الفئام مهموز: الجماعة الكثيرة. أ هـ نهاية ٣ / ٤٠٦ .

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «يأتى زمان يغزو فئام من الناس» أى سيأتى زمان من بعدى تغزو جماعات كثيرة من الناس فى سبيل الله تعالى قال الحافظ[1] : بكسر الفاء ويجوز فتحها وبهمزة على التحتانية ويجوز تسهيلها أى جماعة. أ هـ قوله: «فيقال: فيكم من صحب النبى ﷺ فيقال: نعم فيفتح لهم» أى يسألون: هل فيكم أحد من الصحابة رضوان الله عليهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ورأوه مؤمنين به ناصرين له ﷺ فإذا أجابوا بالإثبات فتح لهم قال الحافظ[2] ويستفاد من بطلان قول من ادعى فى هذه الأعصار المتأخرة الصحبة لأن الخبر يتضمن إستمرار الجهاد والبعوث إلى بلاد الكفار، وأنهم يسألون: هل فيكم أحد من =

(١) فتح البارى ١٢ / ٤٥ .

(٢) فتح البارى ١٤ / ١٣٧ .

= أصحابه؟: فيقولون: لا، وكذلك في التابعين، وفي أتباع التابعين. وقد وقع كل ذلك فيما مضى وانقطعت البعوث عن بلاد الكفار في هذه الأعصار بل انعكس الحال في ذلك على ما هو معلوم مشاهد من مدة متطاولة ولا سيما في بلاد الأندلس أ هـ قلت: فكيف لو رأى زماننا وبلادنا فإنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان قال الحافظ[1]: وضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة وهو على الاطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه وكان موته سنة مائة، وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو موافق لقوله ﷺ قبل وفاته بشهر، على رأس مائة سنة» لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد»[2] قوله: «ثم يأتي زمان، فيقال فيكم من صحب أصحاب النبي ﷺ فيقال نعم فيفتح أي في زمن التابعين يقال منكم من صحب أصحاب النبي ﷺ «وفي رواية الفضائل» فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم فيفتح «لهم» قال العيني[3] : أن من صحب النبي ﷺ ومن صحب أصحاب النبي ﷺ ومن صحب صاحب النبي ﷺ هم ثلاثة: الصحابة والتابعون وأتباع التابعين حصلت بهم النصرة لكونهم ضعفاء فيما يتعلق بأمر الدنيا، أقوياء فيما يتعلق بأمر الآخرة. أ هـ قلت وأما الصلاح فكانوا أصلح الناس وأخيرهم لذلك قال ابن بطال: يشهد لهذا الحديث قوله ﷺ «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[4] وفيه معجزة لسيدنا رسول الله ﷺ وفضيلة لأصحابه وتابعيهم. أ هـ قوله «ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب صاحب أصحاب النبي ﷺ فيقال: نعم فيفتح وفي الفضائل «فيقولون: نعم فيفتح لهم» أي هل فيكم من رأى التابعين الذين رأوا الصحابة الذين رأوا النبي ﷺ وهم مؤمنون فعند مسلم في كل مرة يقال: «هل فيكم من رأى ... الحديث» قال النووي[5] هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم. أهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١٤/١٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١ / ٣٢٠ في العلم ح ١١٦ بلفظ «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد»
(٣) عمدة القاري ١١ / ٤٢٩ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤ / ١٣٨ في فضائل الصحابه بلفظ «خير أمتي قرني... الحديث» ح ٣٦٥٠.
(٥) شرح مسلم ١٦ / ٨٣ .

مبحث : فضل الضعفاء فى الجهاد

٣٢٥ ـ عن مصعب بن سعد قال: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَه فقال النبى ﷺ: «**هَلْ تُنصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ**».

---

٣٢٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٤٤ فى الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب، ح ٥٢٨٩٦ .

المعنى

يخبرنا مصعب بن سعد أن أباه سعداً رضى الله عنه رأى أنه له فضلاً عن من دونه أى ظن رضى الله عنه أنه أشجع من غيره أو أقوى أو نحوه من غيره من الصحابة رضوان الله عليهم قال الحافظ[1] «قوله: «رأى» أى ظن وهو رواية النسائى[2] قوله «على من دونه» زاد النسائى من أصحاب النبى ﷺ أى بسبب شجاعته ونحو ذلك. أهـ قوله «فقال النبى ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» أى وهل غالب النصر إلا بدعاء الضعفاء وتواضعهم واخلاصهم فعند النسائى: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» قال ابن بطال: تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصاً فى الدعاء وأكثر خشوعاً فى العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا. وقال المهلب: أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع ونفى الزهو على غيره وترك إحتقار المسلم فى كل حالة، وقال الحافظ: المراد بالفضل إرادة الزيادة من الغنمية فأعلمه ﷺ أن سهام المقاتلة سواء، فإن كان القوى يترجح بفضل شجاعته فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه. أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ١٢ / ٤٤ .

(٢) أخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٤٥ فى الجهاد باب الإستنصار بالضعيف .

مبحث : المجاهد بنفسه وماله من خير الناس

٣٢٨ ـ عن أبي سعيد الخدرى قال جَاءَ أَعْرابِيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللهِ: أى الناس خَيْر؟ قال: «**رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعَبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**».

---

٣٢٨ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٢٥ فى الرقاق، باب العزلة راحة من خلطاء السوء، ح ٦٤٩٤ .

أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٥٠ فى الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، ١٨٨٨.

قوله: «شعب» الشعب هو ما انفرج ما بين جبلين. أ هـ شرح مسلم ١٣ / ٥١ .

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدرى أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله: أى الناس خير» وعند مسلم: «أى الناس أفضل؟» أى من أفضل الناس يا رسول الله وأخير، فخير بمعنى أخير قال القاضى عياض[١] : هذا عام مخصوص، وتقديره هذا من أفضل الناس، وإلا فالعلماء أفضل وكذلك الصديقون، كما جاءت به الأحاديث. أ هـ قوله: «رجل جاهد بنفسه وماله» أى من جاهد بالدم والروح يقدمهما فى سبيل الله تعالى مخلصاً صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر وينفق المال والنفس والنفيس فى سبيل تحقيق ما تقدم هذا من أفضل الناس، وقد تقدم فى كتاب الإيمان[٢] حديث عبد الله بن عمر أيضاً أن رجلاً سأل النبى ﷺ : أى الإسلام خير؟ قال «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، قال الحافظ[٣] : الاختلاف فى ذلك بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات. أ هـ أى يجيب ﷺ كلاً بما يناسب حاله =

---

(١) شرح مسلم ١٣ / ٥٠ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ١١٠ فى الإيمان باب اطعام الطعام من الإسلام ح ١٢ .

(٣) فتح البارى ٢٤ / ١٢٥ .

= ووقته وأرضه، وقال الكرماني[1] : الفضل بمعنى كثرة الثواب في مقابلة القلة والخير بمعنى النفع في مقابلة الشر. أ هـ قوله، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع من شره، أي التالي في الخيرية والأفضلية بعد المجاهد بنفسه وماله هو رجل معتزل الناس يعبد الله تعالى ويقي الناس آذاه وشره باعتزالهم وانفراده بذكر مولاه قال الحافظ[2]: هو محمول على من لا يقدر على الجهاد فيستحب في حقه الغزلة ليسلم غيره منه، والذي يظهر أنه محمول على ما بعد عصر النبي ﷺ. أ هـ قال النووي[3]: فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط، وفي ذلك خلاف مشهور فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل، بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف أن الاعتزال أُفضل. وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتنه والحروب، أو هو فيما لا يسلم الناس منه، ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص. وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد، مختلطين، فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك وأما الشعب فهو ما انفرج بين جبلين، وليس المراد نفس الشعب خصوصا بل المراد الانفراد والاعتزال وذكر الشعب مثالاً لأنه خال عن الناس غالباً وهذا الحديث نحو الحديث[4] الآخر حين سئل ﷺ عن النجاة فقال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» أ هـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١ / ١١٠ .
(٢) فتح الباري ٢٤/١٢٥.
(٣) شرح مسلم ١٣/٥٠.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه وتفصيله إن شاء الله تعالى في باب الزهد.

مبحث : فى شجاعة النبى ﷺ فى الغزو

٣٢٩ ـ عن أبى إسحاق قال: قال رجل للبراء بن عازب رضى الله عنه: **أَفَرَرْتُمْ عَنْ رسول الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْن؟ قَالَ: لَكَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يفرَّ، إنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْماً رُمَاة، وَإنَّا لَمَّا لقيناهمْ حملنَا عليهمْ فانهزمُوا فأقبلَ المسلمونَ على الغنائم، فاستقبلونَا بالسَّهَام، فأمَّا رسولُ الله ﷺ فَلَمْ يفرَّ فلقدْ رأيتهُ، وإنَّهُ لَعَلَى بَغْلَته البَيْضَاءَ وإنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخذٌ بلجَامها والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبٌ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبْ».**

٣٢٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٢١ فى الجهاد، باب من قاد دابة غيره فى الحرب، ح ٢٨٦٤ .

أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ١٤٠ : ١٤٤ فى المغازى، باب قول الله تعالى ﴿ ويوم حنين... ﴾ الآية ح ٤٣١٥، ٤٣١٦، ٤٣١٧.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٢ / ١١٧ فى الجهاد والسير، باب غزوة حنين.

المعنى

يخبرنا أبو إسحاق رحمه الله تعالى أنه قال للبراء رضى الله عنه: «أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين» يعنى هل تركتم رسولَ الله ﷺ وفررتم يوم حنين بمفرده حيث قال الله تعالى **﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾**[1] وفى رواية المغازى «سأله رجل من قيس» وفى رواية قال أبو اسحاق: سمعت البراء وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة: «أفررتم عن رسول الله ﷺ قوله: قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر» وفى المغازى[2] : «أما أنا فأشهد على النبى ﷺ أنه لم يول» أراد البراء رضى الله عنه بحسن أدبه أن قوله تعالى **﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾** على السائل أن يفهم أن النبى ﷺ مخصوص من =

(١) سورة التوبة آية (٢٥)

(٢) فتح البارى ١٦ / ١٤٠ .

= هذا الجمع بعدم الفرار وما يلحق به. قال الحافظ[١]: تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم لكن لا على طريق التعميم فبادر إلى استثناء النبى ﷺ لأنه يحتمل أن يكون السائل أخذ التعميم من قوله تعالى ﴿ **ثم وليتم مدبرين** ﴾ فبين له أنه من العموم الذى أريد به الخصوص ثم أوضح ذلك وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد منه ﷺ.

أ هـ ملخصاً مختصراً قوله: «إن هوازن كانوا قوما رماة» أى كانوا مهرة فى الرمى لذلك فى رواية المغازى» ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن» قال الحافظ[١]: والرشق: بالشين المعجمة والقاف رمي السهام، أما هوازن فهى قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن من منصور بن عكرمة ابن خصفة. أ هـ وقال العينى[٢] : قوله «يوم حنين» قال الواقدى: حنين واد بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وقال البكرى: هو وراء عرفات سمي بحنين بن قانيه بن مهلايل. أ هـ وكانت سنة ثمان وسببها أنه لما أجمع ﷺ على الخروج إلى مكة لنصرة خزاعة، أتى الخبر إلى هوازن أنه يريدهم، فاستعدوا للحرب حتى أتوا سوق ذى المجاز، فسار ﷺ حتى أشرف على وادى حنين مساء ليلة الأحد. أ هـ قوله« وأنا لما أتيناهم حملنا عليهم فانهزموا» وفى المغازى «وَإنا لما حملنا عليهم انكشفوا» أى لما تصافنا قمنا إليهم وهاجمناهم فانهزموا وانكشفوا أولا فلما نظر حدثاء الإسلام والأعراب والمؤلفة قلوبهم إلى الدنيا وانكبوا على الغنائم قام المشركون بسهامهم على المُنْكَبِّ على الدنيا خاصة وهم أصحاب رمى مهرة لذلك قال «فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام» وهو معنى قول فى المغازى «ولكن عجل سرعان القوم فرشقهم هوازن» وفى رواية أيضاً خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا فاستقبلهم جمع هوازن وبنى مضر ما يكادون يسقط لهم سهم فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون.. الحديث فهذا سبب ما قال ربنا تعالى ﴿ **ثم وليتم مدبرين** ﴾ قوله: وأما رسول الله ﷺ فلم يفر» وفى المغازى «أما أنا فأشهد على النبى ﷺ أنه لم يول» وهما بمعنى في الفعل المنفي متقارب قال الحافظ قوله: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول تضمن إثبات الفرار لهم لكن =

(١) فتح الباري ١٦/١٤٠.

(٢) عمدة القارى ١١ / ٤٠٣.

لا على طريق التعميم وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبى ﷺ فبادر إلى استثنائه ثم أوضح ذلك وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد منه ﷺ. أ هـ ملخصاً وقال النووى(١) : هذا الجواب الذى أجاب به البراء رضى الله عنه من بديع الأدب لأن تقدير الكلام فررتم كلكم فيقتضى أن النبى ﷺ .. فى ذلك، فقال البراء: لا والله مَا فَرَّ رسولُ الله ﷺ ولكن جماعة من الصحابة جرى لهم كذا وكذا. أ هـ قوله «فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها» أى أبو سفيان بن حرب يقود البغلة البيضاء التى يمتطيها رسول الله ﷺ وأنا رأيته كذلك وفى المغازى: وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء قال الحافظ أبو سفيان بن الحارث أى ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبى ﷺ، وكان إسلامه قبل فتح مكة لأنه خرج إلى النبى ﷺ فلقيه فى الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه أ. هـ قوله: والنبى ﷺ يقول: أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب» وعند مسلم «وأبو سفيان ابن الحارث يقود به فنزل فاستنصر وقال: أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم» قال النووى(١) قوله: «فنزل فاستنصر» أى دعا ففيه استجاب الدعاء عند قيام الحرب. أ هـ وفيه ما كان عليه النبى ﷺ من الشجاعة العظمى والإيمان التام المثبت من عند الله تعالى الذى فاق به الناس أجمعين ومن أحسن الأجوبة التى أجابها الحافظ على كون هذا شعراً وكيف يقوله ﷺ وقد قال الله تعالى له ﴿وما **علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**﴾(٢) فقال: أنه نظم غيره وأنه كان فيه أنت النبي لا كذب أنت ابن عبد المطلب فذكره بلفظ أنا، ثانياً: أنه لا يكون شعراً حتى يتم قطعة وهذه كلمات يسيرة ولا تسمى شعراً ثالثاً: أنه خرج موزوناً ولم يقصد به الشعر، وهذا أعدل الأجوبة. أ هـ وقال القاضى(١): وأجابوا عن هذا بأن الشعر هو ما قصد إليه واعتمده الإنسان أن يوقعه موزوناً مقفى بقصده إلى القافية، ويقع فى ألفاظ العامة كثير من الألفاظ الموزونة ولا يقول أحد أنها شعر ولا صاحبها شاعر. أ هـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٢ / ١١٧، ١١٨ .
(٢) سورة يس آية (٦٩).

مبحث : فيمن استبطأ وقت أكل التمرات متعجلاً الجنة

٣٣٠ ـ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رجلٌ للنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قال: «فِي الجَنَّةِ» **فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»**.

٣٣٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٣٠ فى المغازى، باب غزوة أحد، ح ٤٠٤٦ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٤٣، فى الجهاد والسير، باب ثبوت الجنة للشهيد.

وأخرجه أحمد فى المسند ٣ / ٣٠٨ .

المعنى

يروى لنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلاً قال للنبى ﷺ يوم أحد أى يوم غزوة أحد المشهورة باسم جبل أحد التى وقعت عنده والذى قال فيه النبى ﷺ : «هذا جبل يحبنا ونحبه»[1] قوله: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟» وعند مسلم: «قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قتلت» أى إلى أى مكان مصيرى إن قتلت فى الغزوة قوله: «قال: «فى الجنة» يعنى إن قتلت شهيداً مقبلاً غير مدبر صابراً محتسباً فأنت فى الجنة وهذه الاحترازات كانت معروفة لدى الصحابة رضوان الله عليهم فهم يعلمون أن من شروط الشهادة فى سبيل الله بعد القتل النية ابتغاء مرضات الله عز وجل والإقبال على العدو لا الفرار والإدبار والصبر على القتال ونحوه قوله: «فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل» اعتبر وقت أكل التمرات وقتاً طويلاً يحول دون الوصول سريعاً إلى الجنة فلذلك ألقى التمرات واستعجل الشهادة لنيل مراتب الجنة العالية والقصور الغالية فأعطاها الله عز وجل له ونالها بحمد الله تعالى وفضله، قال النووى[2] : فيه ثبوت الجنة للشهيد وفيه المبادرة بالخير ولا يشتغل عنه بحظوظ النفس. أ هـ وقال الحافظ[3] : وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصر الإسلام والرغبة فى الشهادة ابتغاء مرضات الله. أ هـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٣٩ فى الجهاد، باب الخدمة فى الغزو، ح ٢٨٨٩ .
(٢) شرح مسلم ١٣ ، ٤٣، ٤٤ .
(٣) فتح البارى ١٥ / ٢٣٠ .

مبحث: قول النبى ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو»
واستغاثة النبى ﷺ بربه

٣٣١ - عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **«أَيُهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوَّ وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ» ثم قال: «اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِى السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».**

---

٣٣١ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٨٢ فى الجهاد، باب كان النبى ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، ح ٢٩٦٥، ٢٩٦٦ .
وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٢٤ فى الجهاد باب لا تمنوا لقاء العدو، ح ٣٠٢٤، ٣٠٢٥ .

المعنى

يخبرنا عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية» أى لا يتمنى المرء ملاقاة الأعداء والحرب معهم لأنه لا يدرى كيف يكون حاله وقتها حيث تبلى السرائر فمقبل ومدبر وثابت يشبه لقاء الموت الذى أيضاً نهى النبى ﷺ عن تمنيه ثم قال: «وسلوا الله العافية» فلا عدل لها فى الدين والدنيا والآخرة. فهي أحب دعاء إلى النبيﷺ فاللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة في الدين والدنيا والآخرة قال الحافظ[1] : قال ابن بطال: حكمة النهى أن المرء لا يعلم ما يئول إليه الأمر وهو نظير سؤال العافية من الفتنة وقد قال الصديق لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن ابتلى فأصبر وقال غيره: إنما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صور الإعجاب والاتكال على النفوس والوثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو وكل ذلك يبين الاحتياط والأخذ بالحزم ويؤيد تعقيب النهى بقوله «وسلوا الله العافية» وقال ابن دقيق العيد: لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي فيكره =

---

(١) فتح البارى ١٢ / ١٢٤، ١٢٥ .

التمنى لذلك، ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة أ هـ قال الحافظ[1]: واستدل بهذا الحديث على منع طلب المبارزة وهو رأى الحسن البصرى، وكان يقول: لا تدع إلى المبارزة فإذا دعيت فأجب تنصر لأن الداعى باغ أ هـ وقوله: «فإذا لقيتموهم فاصبروا» أى إذا قدر وحدث لقاء فالصبر واجب والفرارمذموم قال العينى: يحتمل أن يراد به الصبر عند إرادة القتال والشروع فيه، أو الصبر حال المقاتلة والثبات عليه أ هـ وقوله: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف سيأتى إن شاء الله تعالى الكلام عليه مستوفى «قوله: «ثم قال:» اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصرنا عليهم: أى دعا النبى ﷺ بصفات الله تعالى التى كل صفة منها لها حال تستدعيه حالة القتال ليتحقق بها النصر إذا تحققت، فمنزل الكتاب الذى أكرمنا به بخير الدنيا والآخرة تطلب منك النصر لحفظ أوامر الكتاب ونواهيه وتحقيقها وإقامتها، ومجرى السحاب الذى ينزل منه المطر والغيث فتصبح الأرض مخضرة ننعم بخيرها وهازم الأحزاب وحدك اهزم هؤلاء كما هزمت الأحزاب بلا عمل منا ولا قوة من عندنا بل بفضل منك ورحمة. قال الحافظ ابن حجر: أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم فالكتاب - يشير - إلى قوله تعالى: ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾[3]، وبمجرى السحاب إلى القدرة الظاهرة فى تسخير السحاب حيث تحرك الريح بمشيئة الله تعالى وحيث يستمر فى مكانه مع هبوب الريح وحيث تمطر تارة وأخرى فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين فى حركتهم فى القتال وبوقوفه إلى إمساك أيدى الكفار عنهم وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم وبعدمه إلى هزيمتهم وكلها أحوال صالحة للمسلمين، وأشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة وإلى تجريد التوكل واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل، وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة وهى الإسلام، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية وهى الرزق وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما فأبقهما. أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ١٣/ ١٢٤، ١٢٥.
(٢) عمدة القارى ١١ / ٣٧٤.
(٣) سورة التوبة آية (١٤).

مبحث: مكة بلد حرمه الله تعالى

فلا يحل القتال فيه

٣٣٢ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ يوم افتتح مكة: **«لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ القِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِى، وَلَمْ يَحِلَّ لِى إِلاَّ سَاعَةً مِن نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلا مَنْ عَرَّفَهَا وَلا يُخْتَلَى خَلاَهَا، قال العباس: يا رسولَ اللهِ إِلاَّ الإِذْخَر فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ قال: قال: إِلاَّ الإِذْخَرْ».**

---

٣٣٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٨ / ١٦٨ فى الحج، باب لا يحل القتال بمكة ح ١٨٣٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٩ / ١٢٣ فى الحج، باب تحريم مكة وتحريم صيدها وخلالها وشجرها ولقتطها.

قوله: «يُعْضد» أى يقطع أ هـ نهاية ٣ / ٢٥١ .

قوله «لا يختلى خلالها» الخلا مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً، واختلاؤه: قَطْعُهُ أ هـ ٢ / ٧٥ .

قوله: «إذا استنفرتم فانفروا» الاستنفار: الإستنجاد والإستنصار أى إذا طلب منكم النصرة فأجيبوا وانفروا إلى الاعانة أ هـ نهاية ٥ / ٩٢ .

قوله: «لقينهم» القين: الحداد والصائغ أ هـ نهاية ٤ / ١٣٥ .

المعنى

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ يوم افتتح مكة قال: «لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»

أى قال ﷺ بعد فتح مكة التى هاجر منهـا وأصحابه ﷺ لا هجرة منها بعد ذلك لأنها ستكون دائماً دار اسلام إنما الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ـ فهو معجزة من معجزاته ﷺ وبشرى لها ولأهلها إنما من أراد أن يستعيض عن فوات الهجرة بشئ فعليـه بالجهاد فى سبيل الله تعالى صابراً محـتسباً قـال الحافظ[1] : المعنى أن وجـوب الهجـرة من مكة انقطع بفتـحها إذ صـارت دار اسلام ولكن بقى وجوب الجـهاد على حاله عند الإحتياج إليه وفسره بقوله «فإذا استنفرتم» أى إذا دعيتم إلى الغزو فاجيبوا ثم قـال: وتضمن الحـديث بشـارة من النبى ﷺ بأن مكة تـستـمـر دار إسلام أ هـ وقـال النووى[2] : «ولكن جهاد ونية» فمعناه ولكن لكم الطريق إلى تحصيل الفضائل التى فى معنى الهـجرة وذلك بالجهاد ونيـة الخير فى كل شئ. أ هـ قوله «فـإن هذا بلد حَرم الله يوم خلق السموات والأرض وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» أى أصلاً كتب فى اللوح تحريمه وسيزال إن شـاء الله محفـوظاً له حرمته وتحريمه بإذن الله تـعالى إلى يوم القيامة. قال النووى[2] : قيل إنها ما زالت محرمة من يوم خلق الله السموات والأرض وقـيل مـا زالت حلالاً كـغيـرها إلى زمن إبراهيم ﷺ ثم ثبت لهـا التـحـريم من زمن إبراهيم ـ أى لأن هناك حديثاً متـفق عليه «إن إبراهيم حرم مكة»[3] ـ وقيل أن تحريمها كان ثابتاً من يوم خلق الله السموات والأرض ثم خفى تحريمها واستمر خفاؤه إلى زمن إبراهيم فأظهره وأشـاعه لا أنه ابتدأه وقيل إن الله تعالى كـتب فى اللوح المحفوظ أو فى غيـره يوم خلق الله تعالـى السموات والأرض إن إبراهـيم سيحـرم مكة بأمر الله تـعالى والله أعلم. أ هـ وقـوله: «وهو حرام بـحرمـة الله إلى يوم القـيامـة» قال الحـافظ[1]: أى بتحريمه وقيل الحرمة الحق أى حـرام بالحق المانع من تحليله واستدل به على تحريم القتال والقتل بالحرم إلا من أتى حداً فيها يستحق القتل قتل: أ هـ بتصرف يسير قوله: وإنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم =

(١) فتح البارى ٨ / ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠ .

(٢) شرح مسلم ٨ / ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

(٣) واللفظ فى البخارى «اللهم أنى أحرم ما بين لابتيها كتحريم ابراهيم مكة ... الحديث» ١٢ / ٣٨ فى الجهاد باب الحزمة فى الفروح ٢٨٨٩ .

= القيامة» أى لم يسبق تحليل القتال فيه لأحد الأنبياء ولا غيرهم وكذلك أنا ما أحل لي إلا ساعة الفتح ثم عادت حرمته اليوم كحرمته بالأمس كما فى بعض الروايات فى الصحيحين وقال النووى[1] : هذه الأحاديث ظاهرة فى تحريم القتال بمكة ثم ذكر الخلاف إن بغى أهلها على أهل العدل فبعضهم قال بحرمة قتالهم بل يضيق عليهم حتى يرجعوا وبعضهم قال يقاتل قتال البغاة فهو حق لله تعالى ورجح الثانى وصوبه وعزاه للشافعى أ هـ قوله «لا يعضد شوكة ولا يختلى خلالها» قال النووى[1]: العضد: القطع والخلا بفتح الخاء المعجمة مقصور والعشب اسم للرطب من الكلأ أما الحشيش والهشيم إسم لليابس ومعنى يختلى يؤخذ ويقطع، قال واتفق الفقهاء على تحريم قطع أشجارها التى لا يستنبتها الآدميون واختلفوا فيما يستنبته الآدميون أ هـ وقوله قال الحافظ[2]: واختلاؤه قطعه واحتشاشه أ هـ قوله: «ولا ينفر صيده» أى لا يحل إزعاجه ومطاردته تعظيماً لحرم الله قال النووى[1]: «ولا ينفر صيده» تصريح بتحريم التنفير وهو الإزعاج وتنحيته من موضعه أ هـ قوله «ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها» قال النووى[2]: واللقطة: بفتح القاف على اللغة المشهورة وقيل بإسكانها وهى الملقوط ومعنى الحديث لا تحل لقطتها إلا لمن يعرفها أبداً ولا يتملكها وبهذا قال الشافعى وعبد الرحمن بن مهدى وأبو عبيد وغيرهم أ هـ قوله: «ولا يختلى خلاها» قال العباس: يا رسول الله الا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم قال: «إلا الإذخر» أى نهى النبى ﷺ أن عن قطع الرطب من كلأ المدينة فأراد العباس رضى الله عنه من النبى ﷺ يستثنى نبات الإذخر حيث يحتاجونه للموتى وللحدادة ولسقوف البيوت ونحوهم قال الحافظ[2]: والإذخر نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح له أصل مندفن وقطبان دقاق ينبت فى السهل والحزن قال ابن البيطار: والذى بمكة أجوده وأهل مكة يسقفون به البيوت بين الخشب ويسدون الخلل بين اللبنات فى القبور. أ هـ ولهذا قال العباس فإنه لقينهم وهو ـ أى القين ـ بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون أى الحداد وقال =

(١) شرح مسلم ٨/١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.
(٢) فتح الباري ٨/١٦٨، ١٦٩، ١٧٠.

....

= الطبرى: القين عند العرب كل ذى صناعة يعالجها بنفسه أ هـ قوله ﷺ : «إلا الإذخر» قال الحافظ[1]: وقوله ﷺ فى جوابه إلا الإذخر وهو استثناء بعض من كل لدخول الإذخر فى عموم ما يختلى وقيل: كأن الله فوض له الحكم فى هذه المسألة مطلقاً: قال ابن المنير: والحق أن سؤال العباس كان على معنى الضراعة وترخيص النبى ﷺ كان تبليغاً عن الله، إما بطريق الالهام أو بطريق الوحى ومن ادعى أن نزول الوحى يحتاج إلى أمد متسع فَقَدْ وهم أ هـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ٨/١٦٨، ١٦٩، ١٧٠.

مبحث : جبريل عليه السلام يحارب

مع النبي ﷺ يوم بدر

٣٣٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَخِذ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ**».

---

٣٣٣ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ١٨١ في المغازي في غزوة بدر، ح ٣٩٩٤.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر «أي يوم غزوة بدر الكبرى المشهورة التي رفع الله تعالى بها أقواماً وأذل آخرين، قوله ﷺ: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» قال الله تعالى ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾[1] فالله تعالى أمد المسلمين يوم بدر بالملائكة غوثاً من عنده لما استعان النبي ﷺ ربه تعالى حتى سقط رداؤه وأخرج الطبري[2] في تفسير سورة الأنفال بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾ قال: وراء كل ملك ملك. أ هـ إذا فجبريل عليه السلام لم يكن وحده من الملائكة إنما كان معه مدد بألف أو يزيدون وقد كان جبريل عليه السلام مرتدياً أداة الحرب كالصحابة ونبيهم ﷺ، وأخرج الطبري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي ﷺ فقال: «اللهم ربنا أنزلت علي الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني بالنصر، ولا تخلف الميعاد فأتاه جبريل عليه السلام، فأنزل الله ﴿**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**﴾[3] قال =

---

(١) سورة الأنفال آية (٩).

(٢) تفسير الطبري ٦ / ١٨٩ سورة الأنفال آية ٩ ح ١٥٧٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٢٤، ١٢٥ .

= الحافظ[1] قال الشيخ تقى الدين السبكى: سئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى ﷺ وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التى أجراها تعالى فى عباده والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم.

(١) فتح البارى ١٥ / ١٨١ .

مبحث : أهل بدر من المسلمين أفضلهم وأخيرهم ومن الملائكة أفضلهم وأخيرهم

٣٣٤ ـ عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر قال: جاءَ جبريلُ إلى النبىَّ ﷺ فقال: «**ما تعدونَ أهلَ بَدْرٍ فيكُمْ؟ قال: «منْ أفضلِ المسلمينَ» أو كلمة نحوها ـ قال: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِن المَلائكَةِ**».

---

٣٣٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ١٨٠ فى المغازى، غزوة بدر، ح ٣٩٩٢ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ١٨٠ فى المغازى، غزوة بدر، ح ٣٩٩٣ .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه ١ / ٥٦ فى المقدمة، فضل أهل بدر، ح ١٦٠ .

المعنى

يخبرنا معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رضى الله عنهم الذى شهد العقبة فكان يفخر على ابنه الشاهد بدراً ففى الرواية «وكان رفاعة من أهل بدر، وكان رافع من أهل العقبة فكان يقول لابنه: ما يسرنى أنى شهدت بدراً بالعقبة» أى هو ما يتمنى أنه شهد بدراً دون العقبة فالعقبة عنده أولى ـ والجمع أولى من هذه وتلك بمفردها ـ فلما سمع منه ابنه معاذ ذلك أخبر بقيمة بدر العظيمة التى لا تدانيها فيها غيرها فى مرتبتها فضلاً عن أن تساويها قال له حديثاً عن النبى ﷺ يحسم النزاع ويحل المشكل ويقضى بالحق فقال له: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: أى جبريل للنبى ﷺ ـ «ما تعدون أهل بدر فيكم» أى فى أى مرتبة عندكم منكم قال ﷺ: «من أفضل المسلمين» أى أخيرهم وأعظمهم أجراً فى الجهاد، قال الحافظ[1] : والذى يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبى ﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم فقال ما قال باجتهاد =

---

(١) فتح البارى ١٥ / ١٨١ .

= منه، وشبهته أن العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام وسبب الهجرة التى منها الاستعداد للغزوات كلها لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله أعلم. أ هـ قوله: «أو كلمة نحوها» أى أفضلهم أو أحسنهم أو خيرهم أو نحو ذلك كرواية ابن ماجه ففيها: «قالوا خيارنا» قال: كذلك هم عندنا خيار الملائكة» قوله وكذلك من شهد بدراً من الملائكة» أى وكذلك كما أن أفضل المسلمين وخيرهم أهل بدر فكذلك أفضل الملائكة وخيرهم من شهد بدراً منهم كجبريل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. أهـ والله أعلم.

مبحث: قول النبى ﷺ

عند الغزو (الله أكبر)

٣٣٥ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: **صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بُكْرَةً فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاحِي فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ والخَمِيسُ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ ـ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)....** الحديث.

---

٣٣٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٤٦ فى المغازى باب غزوة خيبر، ح ٤١٩٨.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٩٩ فى الجهاد، باب التكبير عند الحرب، ٢٩٩١.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٢ / ١٦٥ فى الجهاد والسير، باب غزوة خيبر.

قوله: «بالمساحى» جمع مسحاة وهى المجرفة من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو: الكشف والإذالة. أ هـ نهاية ٤ / ٣٢٨.

قوله: «الخميس» قال ابن الأثير: فى حديث «محمد والخميس»، والخميس: الجيش: سمى به لأنه مقسوم بخمسة أقسام، المقدمة والساقه والميمنة والميسرة والقلب وقيل لأنه تخمس فيه الغنائم، «ومحمد» خبراً مبتدأ محذوف أى هذا محمد. أ هـ ﷺ. نهاية ٢ / ٧٩.

المعنى

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: صبحنا خيبر بكرة» أى غزوناهم أول النهار فى الغداة وفى رواية أنه ﷺ أتى خيبر ليلاً وللجمع بأنه أتاهم ليلاً ثم غزاهم بكرة فعن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليل لم =

= يقربهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم الحديث[1]
قوله: فخرج أهلها بالمساحى» أى خرجوا لزروعهم بآلات الحرث قال الحافظ[2] قوله: «بمساحيهم» بمهملتين جمع مسحاة: وهو من آلات الحرث. أ هـ وفى رواية: «ومكاتلهم» قال الحافظ[1]: جمع مكتل وهى القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغير أهـ. قوله فلما بصروا النبي ﷺ قالوا محمد والله «أى يقسمون بالله أنه محمد رسول الله ﷺ فقد هالهم وأرهبهم وأزعجهم النظر إليه ورؤيته ﷺ خاصة أول مرة قال تعالى ﴿ **لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾[3] قوله: «محمد والخميس» أى هذا محمد ومعه الجيش واليهود ترتعد من جيش التوحيد إذا وجد بمجرد الرؤية فضلاً عن الالتحام لذلك قال الله تعالى ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** ﴾[4] ، قال ابن الأثير[5] : محمد والخميس» الخميس الجيش، سمى به لأنه مقسوم بخمسة أقسام المقدمة والساقه والميمنه والميسرة والقلب وقيل لأنه تخمس فيه الغنائم، ومحمد خبر مبتدأ محذوف أى هذا محمد ـ ﷺ ـ أ هـ قوله «فقال النبى ﷺ: الله أكبر خربت خيبر» وفى رواية الجهاد «فرفع النبى ﷺ يديه وقال الله أكبر خربت خيبر» يكبر نبينا ﷺ ربه عز وجل فهو أكبر من كل كبير والله أكبر أعز دينه ورسوله وجنده والله أكبر أذل الكفر وأهله والله أكبر أرهب اليهود وخذلهم وخرب ديارهم ومدينتهم والله أكبر أورثها سبحانه للنبى ﷺ وصحبه الكرام قال الله تعالى ﴿ **وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا** ﴾[6] : قال الحافظ[1] قال السهيلى: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل لأنه ﷺ لما رأى آلات الهدم مع أن لفظ المسحاة من سحوت إذا قشرت أخذ =

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٤٥ فى المغازى ـ غزوة خيبر؛ ٤١٩٧ .
(٢) فتح البارى ١٦ / ٤٥، ٤٦ .
(٣) سورة الحشر آية(١٣).
(٤) سورة الحشر آية (١٤).
(٥) النهاية ٢ / ٧٩ .
(٦) سورة الأحزاب آية (٢٧).

منه أن مدينتهم ستخرب. أ هـ قال الحافظ ويحتمل أن يكون قال: خربت خيبر بطريق الوحى ويؤيد قوله بعد ذلك «إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿ **فساء صباح المنذرين** ﴾[1] أى تلى النبى ﷺ جزء الآية بعد دخوله استبشاراً وحدث ما ظنه بربه تعالى فأيده ونصره ومكنه وأعلى دينه وشأنه فلله الحمد فى الأولى والآخره و ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ لذلك فى رواية مسلم فى آخرها «فهزمهم الله عز وجل» قال القاضى[2] : فى الحديث أن الإغارة على العدو يستحب كونها عند الصبح لأنه وقت غرتهم وغفلة أكثرهم ثم يضئ لهم النهار لما يحتاج إليه بخلاف ملاقاة الجيوش ومصافقتهم ومناصبة الحصون فإن هذا يستحب كونه بعد الزوال ليدوم النشاط ببرد الوقت. أ هـ والله أعلم.

(١) سورة الصافات آية (١٧٧).
(٢) شرح مسلم ١٢ / ١٦٥ .

مبحث : ما كان عليه الصحابة من شدة حبهم للنبى ﷺ ودعهم عنه أرواحهم

٣٣٦ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحةَ بينَ يدى النبىّ ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بجحفة له وكان أبو طلحة رجلاً راميًا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجلُ يمرُ معهُ بجُعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ فيقول انْثُرْهَا لأبى طَلْحَةَ، قال: «**ويُشرِفُ النَّبىُّ ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحةَ: بأبِى أنتَ وأمِّى لا تُشْرِفْ يصبك سهم من سهامِ القومِ، نحرى دُونَ نحرِكَ**».

---

٣٣٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٣٨ فى المغازى، باب (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما» الآية، ح ٤٠٦٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٢ / ٨٩ فى الجهاد، باب غزوة النساء مع الرجال.

وأخرجه أحمد فى المسند ٣ / ١٠٥ .

قوله: «مجوب عليه بجحفة» أى مترس عنه ليقيه سلاح الكفار. أ هـ نووى ١٢ / ١٨٩ والجحفة: بفتح المهملة والجيم والحاء: هى الترس. أهـ فتح ١٥ / ٢٣٩ .

قوله: «جعبة» الجعبة: الكنانة التى تجعل فيها السهام. أ هـ نهاية ١ / ٢٧٤ .

المعنى

يقول أنس رضى الله عنه لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ «أى تفرقوا عنه ﷺ لما عصوه فانهزموا قال الله تعالى ﴿**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير**﴾[1] ، قال الحافظ[2] :قوله: «إنهزم الناس أى بعضهم وأطلق ذلك باعتبار تفرقهم كما تقدم بيانه والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى =

---

(١) سورة آل عمران (١٦٥).

(٢) فتح البارى ١٥ / ٢٣٨، ٢٣٩ .

= انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾[1] ، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى ﷺ قتل فصار غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته فى القتال إلى أن يقتل وهم أكثر الصحابة، وفرقة ثبتت مع النبى ﷺ ثم تراجع القسم الثانى إليه شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حى كما بينته فى الحديث السابع. أهـ وأبو طلحة بين يدى النبى ﷺ مجوب عليه بجحفة له «أى ممن ثبت مع النبى ﷺ ولم يتول أبو طلحة يدافع عن رسول الله ﷺ ويفديه بنفسه، قال الحافظ[2] قوله: وأبو طلحة هو زيد بن سهيل الأنصارى وهو متزوج والدة أنس وكأن أنساً حمل هذا الحديث عنه. أهـ وقال النووى[2] :قوله: «مجوب عليه بجحفة» أى مترس عنه ليقيه سلاح الكفار. أهـ قوله: «وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً» أى كان قوى الرمى ماهراً به متقناً له حتى كانت الأقواس تنكسر من شدة أخزه لها ورميه بها، قال الحافظ[2]: قوله شديد النزع «بفتح النون وسكون الزاى ثم المهملة أى رمى السهم. أ هـ وقال النووى[3]: أى شديد الرمى. أهـ قال الحافظ قوله: كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً» أى من شدة الرمى. أهـ قوله: «وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول انثرها لأبى طلحة» أى هو أولى بها منك لمهارته فأعطها له بنبلها ليرميها هو فتصيب إن شاء الله تعالى أولى من رميك أنت فقد يكثر خطؤها، قال الحافظ[2]: قوله: «بجعبة» بضم الجيم وسكون العين المهملة بعدها موحدة هى الآلة التى يوضع فيها السهام. أهـ قوله: «قال: ويشرف النبى ﷺ ينظر إلى القوم» أى يظهر عليه الصلاة والسلام ليرى القوم أثناء الرمى بين الطرفين بنفسه ﷺ قوله: «فيقول أبو طلحة بأبى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم» أى أفديك يا رسول الله بأبى وأفديك بأمى فضلاً عن نفسى ودمى وروحى لا تظهر لهم حتى لا يصيبك سهم من سهام القوم لذلك قال: =

(١)سورة آل عمران آية (١٥٥).
(٢) فتح الباري ١٥/٢٣٨، ٢٣٩.
(٣) شرح مسلم ١٢ / ١٨٩ .

= «نحرى دون نحرك» أى أقدم نفسى فداءً لك ونحرى فداء لنحرك وجسدك. نعم حق لهم ذلك فما فعلوا إلا ما هو واجب عليهم وقد جعلهم الله تعالى أهلاً للصحبة فشرفهم بها واستحقوا الشرف لأن يكون فداء لمن نزل على قلبه الإسلام فقبله وأنبته وعاش به وعمل به وبلغه وبينه وحفظه وأقامه وأحبه وأظهره الله به على الدين كله ﷺ وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، قال الحافظ[1] قوله: «لا تشرف» أى لا تطلب الإشراف عليهم قوله «يصبك» بسكون الموحدة على جواب النهى، قوله: نحرى دون نحرك» أى أفديك بنفسى. أهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١٥/٢٣٨، ٢٣٩.

مبحث : من رأى الكرامة أحب عندها الإقامة

٣٣٧ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: خطبَ النبىُّ ﷺ فقال: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللّٰه بن رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالدُ بنُ الوَلِيد عَنْ غَيرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ ، وقال «مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا ـ أو ـ مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**».

---

٣٣٧ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٧٧ فى الجهاد، باب: تمنى الشهادة، ح ٢٧٩٦ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ١٠٠ فى المغازى، باب غزوة مؤته من أرض الشام، ح ٤٢٦٢.

وأخرجه أحمد فى المسند بلفظه ٣ / ١١٨ تابع فيه الإمام أحمد شيخ البخارى يوسف الصفار عن إسماعيل بن عليه ... به.

المعنى

يخبرنا أنس رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه خطب فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب» وفى رواية المغازى «أن النبى ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيه خبرهم» أى أخبر النبى ﷺ الناس باستشهاد زيد وجعفر وابن رواحة رضوان الله عليهم قبل أن يخبره أحد من الناس قال الحافظ[1] : قوله «نعى زيداً» أى أخبرهم بقتله أهـ قوله: «ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرةٍ ففتح له» وفى المغازى: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» أخذها خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد استشهاد إخوانه رضى الله عنهم ولم يؤمره أحد لاضطراره لذلك وحاجة الجيش إلى أمير فى مثل تلك

---

(١) فتح البارى ١٦ / ١٠٠ .

= الحالة حيث قتل الأمراء الثلاثة شهادةً الذين أمرهم رسول الله ﷺ قال الحافظ: والمراد نفي كونه منصوصاً عليه والا فقد ثبت أنهم اتفقوا عليه أهـ قوله: وقال «ما يسرنا أنهم عندنا» أو قال ـ ما يسرنا أنهم عندنا» أى ما يفرحهم أنهم أحياء فى الدنيا عندنا لما رأوا من الكرامة والخير والنعيم المقيم الذى لا يبغون عنه حولا» قال الحافظ[1] : «قوله ما يسرهم أنهم عندنا» أى لما رأوا من الكرامة بالشهادة فلا يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى أهـ قوله: «وعيناه تذرفان» أى تدمعان حزنا على من أصيبوا كما في الحديث» أن العين تدمع، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا... الحديث[2] وفى الحديث الأخر قال ﷺ... «ألا تسمعون؟» إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب هذا وأشار إلى لسانه أو يرحم[3] ... الحديث قال الحافظ[1] «تذرفان» بذال معجمة وراء مكسورة أى تدفعان الدموع والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١١ / ٢٧٧ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦ / ٢١٢ فى الجنائز، ح ٢١٢ .
(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه ٦ / ٢١٤ فى الجنائز، ح ١٣٠٤ .

مبحث : تحريم الغدر في الغزوة وغيره

٣٣٨ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ الغَادِرَ يُرفَعُ لَهُ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بنِ فُلاَنٍ**».

---

٣٣٨ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٢ / ٣٧٢ فى الأدب، باب ما يدعى الناس بآباءهم ح ٦١٧٧، ٦١٧٨.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٢ / ٤٢، ٤٣، ٤٤ فى الجهاد، باب تحريم الغدر.

وأخرجه أحمد فى المسند ١ / ٤١٤، ٤١٧ .

قوله «الغادر» غدر يغدر بكسر الدال وأما الغادر فهو الذى يواعد على أمر ولا يفى به أهـ شرح مسلم ١٢ / ٤٣ .

قوله: «لواء» اللواء الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب ويكون الناس تبعاً، أهـ شرح مسلم ١٢ / ٤٣ .

المعنى

يروى لنا ابن عمر رضى الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «إن الغادر له لواء يوم القيامة» أى الذى يعد ولا يفى والذى يعاهد ويخون هذا مبغوض لرب العالمين يعد له عذاباً يوم الدين يشهر به على رؤوس الخلائق كما غدر على رؤوس الخلائق وخالف العلائق قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾[١] الآية وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[٢] ، قال النووى[٣] : قالوا فمعنى لكل غادر لواء أى علامة يشهر بها فى الناس لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة وكانت العرب تنصب الألوية فى الأسواق الحفلة لغدرة الغادر بذلك. أهـ وقال الحافظ[٤] : وقال ابن حجر: والغدر على عمومه فى الجليل والحقير، وفيه أن لصاحب

---

(١) سورة الرعد آية (٢٠)

(٢) سورة الاسراء آية (٣٤).

(٣) شرح مسلم ١٢ / ٤٣، ٤٤ .

(٤) فتح البارى ٢٢ / ٣٧٢ .

= كل ذنب من الذنوب التي يريد الله إظهارها علامة يعرف بها صاحبها ويؤيده قوله تعالى ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾[1] ، وظاهر الحديث أن لكل غدرة لواء فعلى هذا يكون للشخص الواحد عدة ألوية بعدد غدراته، قال والحكمة فى اللواء أن العقوبة تقع غالباً بضد الذنب، فلما كان الغدر من الأمور الخفيه ناسب أن تكون عقوبته بالشهرة، ونصب اللواء أشهر الأشياء عند العرب. أهـ وفى رواية لمسلم: فى آخره «يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة» قال النووى[2] : وفى الأحاديث بيان غلظ الغدر لاسيما الولاية العامة لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين وقيل لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء كما جاء فى الحديث فى تعظيم كذب الملك والمشهور أن هذا الحديث وارد فى ذم الإمام الغادر. أهـ والله أعلم.

(١) سورة الرحمن آية (٤١).
(٢) شرح مسلم ١٣/٤٣، ٤٤.

مبحث : فيما صبر به النبى ﷺ

أصحابه من الرجز وغيره

٣٣٩ - عن أنس رضى الله عنه قال خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الخَنْدَقِ فَإذَا المُهَاجِرُونَ والأنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِى غَدَاةٍ بَارِدَةٍ فلم يكُنْ لَهُم عَبِيدٌ يعملونَ ذَلِكَ لَهُمْ فَلَمَّا رَأى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ والجُوعِ قال: «**اللّهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة، فَاغْفِرْ للأنْصَارِ والمُهَاجِرَة، فقالوا مجيبين له: نحنُ الذينَ بايعُوا مُحَمَّداً عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَداً**».

٣٣٩ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٧٧ فى المغازى، باب غزوة الخندق الأحزاب، ح ٤٠٩٩ .

أخرجه البخاري في صحيحه ٣١١/١١ في الجهاد باب التحريض على القتال ح٢٨٣٤.

المعنى

يخبرنا أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى الخندق «أى فى غزوة الخندق حين أشير عليه ﷺ فى حفر خندق حول المدينة قال الحافظ ابن حجر[1] : فى مغازى ابن عقبة: ولما بلغ النبى ﷺ جمعهم أخذ فى حفر الخندق حول المدينة ووضع يده فى العمل معهم مستعجلين يبادرون قدوم العدو، أقاموا فى عمله قريباً من عشرين ليلة. أهـ قوله: فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة» أى فى صبح بارد وكان سبب غزوة الخندق ما ذكره ابن القيم[2] الجوزية فى زاد المعاد فقال: وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد وعلموا بميعاد أبى سفيان لغزو المسلمين فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل خرج أشرافهم =

(١) فتح البارى ١٥ / ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد ﷺ ٢ / ١١٧ .

= كسلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحوضونهم على غزو رسول الله ﷺ ويوالونهم ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم فأجابتهم قريش ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف ووافاهم بنو سليم بمر الظهران وخرجت بنو أسد وفزاره وأشجع وبنو مرة وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن؛ وكان من وَافَى الخندقَ من الكفار عشرة آلف فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه استشار الصحابة فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق يحول بين العدو وبين المدينة فأمر رسول الله ﷺ فبادر إليه المسلمون وعمل بنفسه ﷺ فيه وبادروا هجوم الكفار عليهم وكان في حفره من آيات نبوته وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به، وكان حفر الخندق أمام سلع وسلع جبل خلف ظهور المسلمين والخندق بينهم وبين الكفار، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين فتحصن بالجبل من خلفه وبالخندق أمامهم. أهـ قوله: «فلم يكن لهم عبيد يعملون لهم ذلك أي لم يكن لهم من المماليك من يخدمهم فيحفر لهم إنما كانوا يحفرون لأنفسهم بأيديهم قال الحافظ[1]: أي أنهم عملوا فيه بأنفسهم لإحتياجهم إلى ذلك لمجرد الرغبة في الأجر قوله «فلما رأي ما بهم من النصب والجوع» أي لما رأى ﷺ ما نزل بأصحابه من التعب والجوع حيث لا راحة ولا طعام كاف، لذلك أكرمهم الله تعالى برضاه بقوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2] فما أعد لهم حتى أعدوا لنبيهم سواعدهم وأكتافهم وأرواحهم ففازوا بجنات تجرى تحتها الأنهار وأخبرهم سبحانه بأن كل قطرة عرق ولحظة نصب وحالة عطش وجوع مكتوبة =

(١) فتح الباري ١٥/٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨.
(٢) سورة التوبة آية (١٠٠).

= محسوب لهم بها عمل صالح قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[1] ، قال الحافظ: قوله: «فلما رأى ما بهم من النصب والجوع» فيه بيان لسبب قوله ﷺ «اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة» قال الحافظ[1]: قال ابن بطال: هو قول ابن رواحة يعنى تمثل به النبى ﷺ، ولو لم يكن من لفظه لم يكن - أيضاً النبى ﷺ، قال: وإنما يسمى شاعراً من قصده وعلم السبب والوتد وجمع معانيه من الزحاف ونحو ذلك. أهـ فأراد النبى ﷺ أن يصبرهم بذلك ويقوى عزائمهم ويشد أزرهم ويحفز هممهم مخبراً لهم أن ما هم فيه من نصب وظمأ ومخمصة إنما هو طريق للعيش الهنى الحقيقى عيش الآخرة ثم دعا لهم بالمغفرة ﷺ قوله: «فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً» أى قالوا رادين تحيته ﷺ وإكرامه بتحية منهم وإكرام له بأنهم بايعوه ﷺ على الجهاد، وفى رواية على الإسلام طيلة بقائهم فى الدنيا حتى يلقوا ربهم عز وجل وفى رواية بعد الماضية فى البخارى أيضاً قال يقول النبى ﷺ وهو يحيهم: «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك فى الأنصار والمهاجرة قال الحافظ: وفيه إنشاد الشعر تنشيطاً فى العمل وبذلك جرت عاداتهم فى الحرب وأكثر ما يستعملون فى ذلك الرجز. أهـ وقد كافأهم الله تعالى ببشرى تقدمة لمكافأة الآخرة فقال سبحانه بعد هذه الغزوة ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾[2]

(١) سورة التوبة آية (١٢٠).
(٢) سورة الأحزاب آية (٢٥).

مبحث: فضل الصدقة فى سبيل الله تعالى

٣٤٠ ـ عن أبى مسعود الأنصارى قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: «هذه فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ».

---

٣٤٠ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٣٨ فى الجهاد، باب فضل الصدقة فى سبيل الله تعالى.

وأخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٤٩ فى الجهاد، باب فضل الصدقة فى سبيل الله عز وجل.

وأخرجه أحمد فى المسند ٤ / ١٢١ .

قوله: «مخطومة» خطام البعير: أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل فى أحد طرفيه حلقه ثم يشد فيها الطرف الآخر حتى يكون كالحلقة ثم يقاد البعير، ثم يثنى على مخطمه، وأما الذى يجعل فى الأنف دقيقا فهو الزمام أهـ نهاية ٢ / ٥٠ .

المعنى

يخبرنا أبو مسعود الأنصاري رضى الله عنه أن رجلاً جاء بناقة مخطومة» قال النووى[1] : معنى مخطومة أى فيها خطام وهو قريب من الزمام أهـ وقال ابن الأثير[2]: عن الخطام: أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل فى أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيها الطرف الآخر حتى يكون كالحلقة ثم يقاد البعير أهـ قوله: «فقال: هذه فى سبيل الله» أى صدقة للجهاد والمجاهدين ليحملوا ويحملوا عليها للغزو وقوله =

---

(١) شرح مسلم ١٣ / ٣٨ .
(٢) النهاية ٢ / ٥٠ .

= «فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» فيه إشارة إلى قول الله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] ، قال النووى[2]: قيل يحتمل أن المراد أجر سبعمائة ناقة ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له فى الجنة بها سبعمائة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء فى خيل الجنة ونجبها وهذا الإحتمال أظهر والله أعلم أهـ والله المستعان.

(١) سورة البقرة آية (٢٦١).
(٢) شرح مسلم ٣٨/١٣.

مبحث : فضل النفقة فى سبيل الله تعالى

٣٤١ ـ عن خريم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِى سَبِيلِ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ سَبْعُمَائَةِ ضِعْفٍ**».

---

٣٤١ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٢٥٣ أبواب فضائل الجهاد، باب فضل النفقه فى سبيل الله، وقال هذا حديث حسن ح ١٦٧٥ .

وأخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٤٩ فى الجهاد، باب فضل النفقه فى سبيل الله تعالى.

وأخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٣٤٦ .

المعنى

يخبرنا خريم بن فاتك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أنفق نفقة فى سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف» أى من جهز نفسه بماله للجهاد أو جهز غيره فالحسنة ليست بعشر كبقية النفقات، إنما الحسنة هنا بسبعمائة ضعف قال تعالى ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**﴾[1] ، قال صاحب التحفة[2] : «خريم» بضم الخاء المعجمة وفتح الراء وسكون التحتانية» بن فاتك» بالفاء وكسر الفوقية الأسدى صحابى شهد الحديبية مات فى خلافة معاوية بالرقة. قوله: «من أنفق نفقة» أى صرف نفقة صغيرة أو كبيرة» كتبت له سبعمائة ضعف» أى سبعمائة مثل، قال: وهذا أقل الموعود والله يضاعف لن يشاء أهـ واستدل بقوله تعالى فى آخر الآية الكريمة السابقة ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء**﴾ ، والله أعلم . وكما وعد الله تعالى بمضاعفة النفقة فى سبيل الله تعالى عن غيرها من النفقات فغيرها بعشرة وهذه بسبعمائة فكذلك أوعد من تقاعس عن الغزو أو مساعدة الغازين أو خلفهم فى أهليهم بخير بعذاب شديد فعن أبى أمامه عن النبى ﷺ أنه قال: «من لم يغزو أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً فى أهله بخير أصابه الله سبحانه بقارعة قبل يوم القيامة»[3] .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٦١).
(٢) تحفة الأحوذى ٥ / ٢٥٤ .
(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه ٢ / ٩٢٣ ح ٢٧٦٢ وأخرجه أبو داود فى سننه ٧ / ١٨١ فى الجهاد باب كراهية ترك الغزو وأخرجه البيهقى فى سننه ٩ / ٤٨ فى السير ح ١٧٩٤٢ وأخرجه الدارمى فى سننه ٢ / ٢٧٥ فى الجهاد باب فى فضل من جهز غازياً.

مبحث : فضل الصيام والجهاد

٣٤٢ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**مَنْ صَامَ يَوْماً فِى سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً**».

---

٣٤٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٣١٤ فى الجهاد، باب فضل الصيام والجهاد فى سبيل الله.

المعنى

يخبرنا أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «من صام يوماً فى سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً» أى من صام وهو مرابط فى الجهاد فى سبيل الله تعالى يوماً أبعد الله وجهه عن النار مسيرة سبعين عاماً فكلمة: فى سبيل الله تعالى «لا تطلق على الراجح إلا على الجهاد والمرابطة فى سبيل الله تعالى فمن أطلقها على غير ذلك فقد أخطأ وبعد عن الصواب، ولم يطلقها إلى غير ذلك إلا القليل وهم محجوجون بالأحاديث والآثار فضلاً عن الآيات الكريمات الواردات فى ذكر، ذلك قال الحافظ[1] أى ابن حجر: قال القرطبى: سبيل الله: طاعة الله، فالمراد من صام قاصداً وجه الله، قال ابن الجوزى: إذا أطلق ذكر فى سبيل الله فالمراد به الجهاد، قال الحافظ: ثم وجدته فى فوائد أبى الطاهر الذهلى من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثى عن المقبرى عن أبى هريرة بلفظ: «ما من مرابط يرابط فى سبيل الله فيصوم يوماً في سبيل الله الحديث» وقال بن دقيق العيد العرف الأكثر استعماله فى الجهاد فإن حمل عليه كانت الفضيله لاجتماع العبادتين قال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف =

---

(١) فتح البارى ١١ / ٣١٣، ٣١٤ .

(٢) عمدة القارى ١١ / ٣٧٨ .

= كانت والأول أقرب، ولا يعارض ذلك أن الفطر فى الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عند اللقاء كما تقدم تقريره فى باب من اختار الغزو على الصوم لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا ولاسيما من إعتاد به فصار ذلك. من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم فى حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين أهـ.
وقوله: «بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً» قال العينى: لا مانع من الحقيقة على ما لا يخفى ثم هذا يقتضى إبعاد النار عن وجه الصائم، وليس فيه أن يبقى الجسد لا يناله النار إلا أن الوجه كان أبعد من النار من سائر جسده وذلك لأن الصيام يحصل منه الظمأ ومحله الفم لأن الرى يحصل بالشرب فى الفم قوله: «سبعين خريفاً» أى سنة ولأن السنة تستلزم الخريف فهو من باب الكناية أهـ. والله أعلم.

مبحث: من جهز غازياً أو خلفه بخير

٣٤٣ ـ عن زيد بن خالد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

---

٣٤٣ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٣١٦ فى الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، ح ٢٨٤٣.

المعنى

يروى لنا زيد بن خالد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا» أى من عاون مريداً للجهاد والغزو لقتال الكفار بماله أو بما هو دون ذلك أو فوقه وأعده للجهاد فكأنما غزا هو بنفسه فى سبيل الله تعالى قال الحافظ[1]: «من جهز غازياً» أى هيأ له أسباب سفره أهـ وعند ابن ماجه[2] وابن حبان من حديث عمر بلفظ: «من جهز غازياً فى سبيل الله حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع» قال ابن حبان: معناه أن مثله فى الأجر إن لم يغزو حقيقة وأفادت.. أى الرواية الأخيرة ـ فائدتين: إحداهما أن الوعد المذكور مرتب على تمام التجهيز وهو المراد بقوله: «حتى يستقل» ثانيهما أن يستوى معه فى الأجر إلى أن تنقضى تلك الغزوة أهـ قوله: «ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير فقد غزا «أى من أقام على حاجة الخارج للغزو فأصلحها وأتمها وحفظها وقام بشؤونها فكأنما أيضا غزا مع أخيه الخارج التارك له الضيعة، قال الحافظ[1]: من يجهز غازياً بماله مثلا وكذا من يخلفه فيمن يترك بعده يباشر شيئاً من المشقة أيضاً فإن الغازى لا يتأتى منه الغزو إلا بعد أن يكفى ذلك العمل فصار كأنه يباشر معه الغزو بخلاف من يقتصر على النية مثلاً والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ١١ / ٣١٦، ٣١٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه ٢ / ٩٢١، فى الجهاد باب من جهز غازياً ح ٢٧٥٨.

مبحث : فضل من اغبرت قدماه فى سبيل الله تعالى

٣٤٤ ـ عن أبى عبس عبد الرحمن بن جبر: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَا أغْبَرَّتَا قَدَمَا عَبْدٍ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ».

---

٣٤٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٩٢ فى الجهاد، باب ما اغبرت قدماه فى سبيل الله تعالى، ح ٢٨١١ .

المعنى

يروى لنا أبو عبس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ما اغبرتا قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار» أى من فضل الله تعالى وإكرامه للمجاهدين جعل الأجر العظيم والثواب الجزيل ثابتاً لهم على العمل القليل فحتى الغبار اللاحق بالأقدام يقى صاحبها بخار النار، قال البدر العينى(١) وكذلك دل الحديث على أن من اغبرت قدمه فى سبيل الله حرمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لا أهـ. وقال الحافظ(٢) : والمعنى أن المس ينتفى بوجود الغبار المذكور وفى ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف فى سبيل الله تعالى ـ فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه أهـ. والله أعلم.

---

(١) عمدة القارى ١١ / ٣٤٩ .

(٢) فتح البارى ١١ / ٢٩٢ .

مبحث : فضل من احتبس فرسا فى سبيل الله تعالى

٣٤٥ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «مَنْ احْتَبَسَ فَرساً فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَاناً بِاللهِ وَتَصْدِيقاً بِوَعْدِهِ ، فَإِنَّ شِبَعَهُ ، وَرِيَّهُ ، وَرَوْثَهُ ، وَبَوْلَهُ : فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» .

---

٣٤٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ٧ فى الجهاد، باب من احتبس فرساً فى سبيل الله لقوله عز وجل (ومن رباط الخيل)، ح ٢٨٥٣ .

قوله: «شبعه وريه: بكسر أوله أى ما يشبع به وكذا قوله: «ريه» بكسر الراء وتشديد التحتانية. أهـ فتح ١٢ / ٧ .

قوله: «وروثه» الروث: رجيع ذوات الحافر. أهـ ونهاية ٢/ ٢٧١ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «من احتبس فرساً فى سبيل الله» أى يربطه ويجعله خاصاً للغزو قال العينى[1] : والمعنى: يحبه على نفسه لسد ما عسى أن يحدث فى ثغر من الثغور من ثلمة. أهـ قوله: «إيماناً بالله» أى مصدقاً بأنه حق ومن محابة هذا الفعل فهو يفعله لأجل رضاه، قال العينى[1]: نصب على أنه مفعول له: أى ربطه خالصاً لله تعالى إمتثالاً لأمره. أهـ قوله: «وتصديقاً بوعده» أى الوعد الذى جعله الله تعالى من الخير لمن فعل هذا الإحتباس لله سبحانه، قال الحافظ[2] : قوله: «وتصديقاً بوعده» أى الذى وعد به من الثواب على ذلك، وفى إشارة إلى الميعاد كما أن لفظ الإيمان إشارة إلى المبدأ. أهـ قوله: «إن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة» يؤجر صاحب الخيل الحابس لها فى سبيل الله إذا شبعت خيله أو رويت أو راثت روثاً أو بالت ويجعل فى ميزانه يوم القيامة قال الحافظ[2]: وقوله: «شبعه» بكسر أوله: أى ما يشبع به وكذا قوله: ريه بكسر الراء وتشديد التحتانية. أهـ وقال العينى[1]: =

---

(١) عمدة القارى ١١ / ٢٩١، ٢٩٢ .

(٢) فتح البارى ١٢ / ٧ .

= قوله: «وريه» بكسر الراء وتشديد الياء آخر الحروف من رويت من الماء بالكسر أروى ريا. أهـ قال الحافظ[1]: قال المهلب وغيره: ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب أولى، وقوله: وروثه: يريد ثواب ذلك لا أن الأدوات بعينها توزن وفيه أن المرء يؤجر بنيته كما يؤجر العامل. أهـ والله أعلم وروى ابن ماجه[2] من حديث تميم الداري رفعه «من ارتبط فرساً في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة» والله أعلم.

(١) فتح الباري ١٢/٧.
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢ / ٩٣٣ في الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله، ح ٢٧٩١ .

مبحث : فضل الجرح فى سبيل الله عز وجل

٣٤٦ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والَّذِى نفسي بيدِه لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك**».

---

٣٤٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٨٠ فى الجهاد، باب من يجرح فى سبيل الله عز وجل، ح ٢٨٠٣ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٢١، ٢٢ فى الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج فى سبيل الله تعالى.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذى نفسي بيده» أى والله الذى نفس رسول الله ﷺ مملوكة له يرفعها أعلى الخيرات بإذن الله تعالى قال النووى[١] : وفيه دليل على جواز اليمين وانعقادها بقوله والذى نفسى بيده ونحو هذه الصيغة من الحلف بما دل على الذات أهـ قوله: «لا يكلم أحد فى سبيل الله» هذا هو المقسوم عليه أنه لا يجرح أحد فى سبيل الله تعالى أى أثناء غزوه أو جهاده قال الحافظ[٢] : قوله: «لا يكلم» بضم أوله وسكون الكاف وفتح اللام: أى يجرح أهـ قوله «أحد» قال الحافظ[٢]: قيده فى رواية همام عن أبى هريرة بالمسلم أهـ قلت ولفظها» كل كلم يكلمه المسلم فى سبيل الله «قوله» والله أعلم بمن يكلم فى سبيله» أى أن ربنا عز وجل وحده الذى يعلم من أجل أى شئ أهريق هذا الدم قال الحافظ: جملة معترضة قصد بها التنبية على شرطية الإخلاص فى نيل هذا الثواب أهـ قوله: «إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك» وفى رواية مسلم: «إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك» قال الحافظ[٢]: =

---

(١) شرح مسلم ١٣ / ٢١، ٢٢ .

(٢) فتح البارى ١١ / ٢٨٠، ٢٨١ .

= العـرف: بفتح المـهملة وسكون الراء بـعدها فـاء هو الرائحـة أهـ يأتى الشـهيـد به يوم القيـامة والجرح أيضـاً ينزف كما عند الشـهادة واللون كمـا هو لون الدم ولكن الريح ليس ريح دم لكنه ريح مسك قال الحافظ[1]: ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندمـاله لا ما يندمل فى الدنيا فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول ولا ينفـى ذلك أن يكون له فـضل فى الجـمـلة، لكن الظاهر أن الـذى يجئ يوم القيامة وجـرجه يثعب دماً، من فارق الدنيا وجـرحُه كذلك أهـ وقال النووى[2]: وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بـغسل ولا غيره والحكمة فى مجيئـه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه فى طاعة الله تعالى أهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١١/٢٨٠، ٢٨١.
(٢) شرح مسلم ١٣/٢١، ٢٢.

مبحث : عظيم فضل الرباط فى سبيل الله عز وجل

٣٤٧ ـ عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خير مِنْ صِيَام شَهْرٍ وقِيَامه، وَإِنْ مَاتَ جرى عَلَيه عَمَلُهُ الَّذى كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الفَتَّان».

---

٣٤٧ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٦١ فى الجهاد والسير، باب فضل الرباط فى سبيل الله عز وجل.

وأخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٣٠٦ فى فضل الجهاد، ح ١٧١٦ وقال هذا حديث حسن.

وأخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٣٩ فى الجهاد، باب فضل الرباط.

وأخرجه أحمد فى المسند ٥ / ٤٤٠، ٤٤١ .

قوله: «رباط» الرباط فى ا لأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل واعدادها أهـ نهاية ٢ / ١٨٥ .

المعنى

يخبرنا سلمان الفارسى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه» وعند الترمذى: «رباط يوم» والرباط قال ابن الأثير[1]: الاقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل واعدادها أهـ أى من لازم العدو مستعداً له ولو يوماً وليلة فذلك خير من صيام شهر تام وقيامه، وعند النسائى: «من رابط يوماً وليلة فى سبيل الله» قال السندى[2] : من رابط أى لازم الثغر للجهاد أهـ قوله «وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله» أى استمر ثواب عمله واصلاً له حتى فى قبره وذلك عمله الذى كان مواظباً عليه والله أعلم. قوله: «وأجرى عليه رزقه لأنه حى عند الله يرزق فى الجنة بروحه ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش قال =

---

(١) النهاية ٢ / ١٨٥ .

(٢)شرح سنن النسائى الصغرى ٦ / ٣٩ .

= النووى(١) : موافق لقوله تعالى فى الشهداء ﴿عند ربهم يرزقون﴾ والأحاديث السابقة أن أرواح الشهداء تأكل من ثمار الجنة أهـ قوله: «وأمن الفتان» تفسرها رواية الترمذى «وقى فتنة القبر» من سؤال وانتهار وضيق وعذاب وغير ذلك والعياذ بالله تعالى، قال صاحب التحفة(٢) «فتنة القبر» أى مما يفتن المقبور به من ضغطة القبر والسؤال والتعذيب أهـ قال السندى(٣) «الفتان» بضم فتشديد جمع فاتن وقيل بفتح فتشديد للمبالغة وفسر على الأول بالمنكر والنكير والمراد أنه لا يجيئان إليه للسؤال بل يكفى موته مرابطاً فى سبيل الله شاهداً على صحة إيمانه أو أنهما لا يضرانه ولا يزعجانه وعلى الثانى بالشيطان ونحوه ممن يوقع الإنسان فى فتنة القبر أى عذابه والله تعالى أعلم أهـ وقال النووى(١): هذه فضيلة ظاهرة للمرابط وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد وقد جاء صريحاً فى غير مسلم(٤) «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة» أهـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٣ / ٦١ .
(٢) تحفة الأحوذى ٥ / ٣٠٦ .
(٣) شرح سنن النسائي الصغرى ٦/٣٩.
(٤) قوله «ونمى له عمله يوم القيامة» أخرجه الترمذى ٥ / ٣٠٦ فى الجهاد ح ١٧١٦ وقال حسن.

مبحث : ما لقيه النبى ﷺ من الخوف فى سبيل الله تعالى

٣٤٨ ـ عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركتُ رسولَ الله ﷺ قاتلتُ معهُ وأبليتُ فقال حذيفةُ: أنتَ كنتَ تفعلُ ذلكَ؟، لقدْ رأيتُنا معَ رسولِ الله ﷺ ليلةَ الأحْزَابِ وأخَذَتْنا ريحٌ شَديدةٌ وَقَرٌّ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**ألاَ رَجُلٌ يأتينى بخبرِ القوْمِ جعَلَهُ الله معى يومَ القيامَة فسكتنَا فلم يجبْه منَّا أَحَدٌ، ثم قال : «ألاَ رجلٌ يأْتينا بخَبرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ معى يوْمَ القيامَة» فسكتنَا فلم يجبْه منا أحدٌ ثم قال : «ألاَ رجلٌ يَأْتينَا بخَبَرِ القَوْمِ جعلَهُ اللهُ معى يَوْمَ القيَامَة» فسكتنَا فلم يجبْه منا أحدُ فقال : «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتنا بخبرَ القَوْمِ» فلمْ أجدْ بُدّاً إِذْ دَعانى باسْمِى أَنْ أَقُومَ قال : اذْهَبْ فَأْتنى بخَبرِ القوْمِ ولاَ تذْعَرهُمْ علىّ فلما وليتُ من عندهُ جعلتُ كأنمَا أمشى فى حَمَّامٍ حَتَى أتيتُهُم فرأيتُ أَبَا سفيانَ يَصلى ظهرَهُ بالنارِ فوضعتُ سهماً فى كَبد القوسِ فأردتُ أن أرميَهُ فذكرتُ قولَ رسولِ الله ﷺ : «ولاَ تذْعَرهُمْ عَلَىّ» وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ فَرَجعْتُ وأنَا أمشى فى مثلِ الحمَّام فلمَا أتيتُهُ فأخبرتُهُ بخَبرِ القومِ وفرغتُ قَرَرْتُ فألبسَنى رسولُ اللهُ ﷺ من فضل عباءةٍ كَانتْ عليه يُصَلّى فيهَا فلمْ أزلْ نائماً حتى أصبحتُ فلمَّا أصبحتُ قال : «قُمْ يَا نَوْمَان»**.

---

٣٤٨ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٢ / ١٤٥ فى الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب.

قوله: «وأبليت» الإبلاء، الانعام والإحسان أهـ نهاية ١ / ١٥٥ . =

قوله «قُرَّ» القَرَ: البرد أهـ نهاية ٤ / ٣٩.

قـوله: «لا تذعرهـم» هو بفـتح التاء وبالـذال المعجـمة مـعناه: لا تفزعـهـم عليّ ولا تحركهم على أهـ شرح مسلم ١٢ / ١٤٥ .

قوله: «يَصْلى» هو بفتح الياء واسكان الصاد أن يدفئه ويدنيه منها أهـ شرح مسلم ١٢ / ١٤٦ .

المعنى

يخبرنا ابراهيم التيمي عن أبيه أنهم كانوا عند حذيفة رضى الله عنه فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت مـعه وأبليت معه» أى لو كنا مكانكم صـحابة لقاتلت معه وفعلت أفعالاً حسنه كثيرة جميلة عظيمـة وهكذا كما يرجو كـثير من المسلمين ويظنوا ذلك سهـلاً ميسوراً لا مشقة فيه ولا نصب ولا وصب ولا هم ولا غم لذلك قال حذيفـة رضى الله عنه أنت كنت تفعل ذلك» أى أتستطيع تحقـيق ما تقول إنك لا تدرى ولا تشعر ولا تتخيل ما لقـيناه فى صبرنا مع النبى ﷺ كما فى الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومـه فى العجل فلم يلق الألواح فلـما عاين مـا صنعوا ألقى الألواح فـانكسرت، قـوله: «لقد رأيتـنا مع رسول الله ﷺ ليلـة الأحزاب وأخـذتنا ريح شـديدة وقر» قـال النووى[1] : معناه أن حذيفة فـهم منه أنه لو أدرك النبى ﷺ لبالغ فى نصرته ولزاد على الصحـابة رضى الله عنهم فـأخبره فى ليـلة الأحزاب، وقصـد زجره عن ظنه أنه يـفعل أكثر من فعل الصحـابة. وَقُرٌّ: هو بضم القاف وهو البـرد أهـ قوله: «فقـال رسول الله ﷺ : «ألا رجل يأتينى بخـبر القوم جـعله الله معى يوم القيـامة، أى من يتـجسس على الكفار والمشركين واليهود وذلك يوم الأحزاب ويكون بالقرب منى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾[2] ما أعظمـها مرتبـة وما أحسنها وأفضلها =

(١) شرح مسلم ١٢ / ١٤٥، ١٤٦ .

(٢) سورة الشعراء (٨٨)، (٨٩).

= وأعلاها ومع ذلك بالرغم من حضور كبار القـوم لا أقول نسباً فقط بل إيماناً وإخلاصاً بل ولم يأت بعدهم مثـلهم لكن لوجود الحال الذى قصه علينـا ربنا عز وجل فى سورة الأحزاب حيث يقول سبحانه ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[1] جعل هـؤلاء الأفاضل لا يجـيبون النبى ﷺ لذلك يقول حـذيفة: «فـسكتنا فلم يجبـه منا أحد» تكرر السـؤال والجـواب ثلاث مـرات فلمـا رأى النبى ﷺ ذلك اضطر إلـى التكليف فـقـال: «قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم» هذا هو التكليف بالإسم والفعل قوله: «فلم أجد بداً إذ دعانى باسمى أن أقوم» أى لم أجد فراراً من أن ألبى طلبه بعد السكوت الأول لأنه عيننى ولم يعين غيرى قوله: فاذهب فأتنى بخبـر القوم ولا تذعرهم علىّ» أى أخبرني خبرهم ولا تفزعـهم وتؤلبهم عليك فإنمـا هو على أنا، قال النووى[2]: لا تذعـرهم: هو بفتح التـاء وبالذال المعجـمه: معنـاه لا تفزعهم على ولا تحـركهم أهـ قوله: «فلمـا وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمام وحتى أتيتهم أي ببركة بعثه ودعائه ﷺ بالرغم من القر الشديد جـعلت كأنما أمـشي في حمام قـال النووى يعنى أنه لم يجد البـرد الذى يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً بل عافاه الله منه ببركة إجابته ﷺ وإجابته فيما وجه له ودعائـه ﷺ له واستمر ذلك اللطف به ومـعافاته من البرد حـتى عاد إلى النبى ﷺ فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذى يجـده الناس وهذه من معجزات رسول الله ﷺ أهـ قوله «فـرأيت أبا سفيـان يصلى ظهره بالنار فـوضعت سهـما فى كبـد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تذعـرهم على ولو رميته لأصبته» أى أنى رأيت أبا سفيان بن حرب زعيم المشركين وقتها يستدفئ لظهره بالنار فجهزت السـهم فى مقبض القوس لأضـربه حيـث لا مانع من ذلك بل وبتـمكن وأردت ذلك فغلبنى مـا سمعت من النبى ﷺ حيث نهانـى عن تحريكهم وتنفيرهم عليـه فإذا فعلت نفروا وكـأنهم نفروا على شخص المصطـفى ﷺ قال النووى[2]: «يَصْلى» بفـتح الياء وإسكان الصاد أى يدفئـه ويدنيه وكبد القـوس هو مقبضهـا وكبد كل شئ هو وسطه =

(١) سورة الأحزاب آية (١٠).

(٢) شرح مسلم ١٢/١٤٥، ١٤٦.

= أهـ قوله: «فرجعت وأنا أمشي في حمام أي كأني في حمام من أثر الدفء المترتب على الدعوة الطيبة الزكية: قال النووي[1] ولفظة الحمام عربية وهو مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار أهـ قوله: «فلما أتيته وأخبرته بخبر القوم وفَرَغْت قرَرْت» أي لما أديت المهمة التي دعا لي من أجلها وأخذت بركتها وأخبرته بسر القوم وأديت ورجعت جاءني البرد الأول قوله: «فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها» قال النووي[1]: العباءة بالمد والعباية بزيادة ياء أهـ أي ألقاها على من فضل عباءة كانت عنده ﷺ فيها ليستدفئ حيث رجوع القر قوله: «فلم أزل نائماً حتى أصبحت قال «قم يا نومان» أي لما ألقي على العباية المباركة التي هنأني الله تعالى بتغطيتها لي سكنت ونمت حتى الفجر فلما طلع الفجر أيقظني قائلاً «قم يا نومان» قال النووي[1]: نومان: بفتح النون وإسكان الواو وهو كثير النوم وقوله: «أصبحت» أي طلع الفجر وفي هذا الحديث أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو والله أعلم أهـ والله المستعان.

فكيف بالرجل المستسهل أمر هؤلاء الجبال من الصحب الرجال وما لا قوه مع سيد الأولين والآخرين وصبرهم معه؟ حقا لقد اختار ربنا خير الناس لصحبة سيد الناس ﷺ. والله أعلم.

---

(1) شرح مسلم ١٢/١٤٥، ١٤٦.

مبحث: كل المسلم على المسلم حرام

٣٤٩ - عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «الزَّمَانُ قد اسْتَدار كَهَيْئَته يَوْمَ خلقَ الله السَّموَات والأَرْض، السَّنَة اثنَا عَشر شَهراً، منها أَرْبعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتوالِيَات: ذُو القعْدَة وذُو الحَجّة والمُحَرَّمُ ورَجَبُ مُضَرَ الَّذي بَيْن جُمَادَى وشَعْبَان، أيُّ شَهْرٍ هذَا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أَنَه سيُسَمَّيه بغير اسْمه، قال: «أَلَيْسَ ذُو الحجَّة»؟ قُلْنَا: بَلَى قال: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا»؟ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ فَسكَتَ حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة؟ قلنا بلى قال فأي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أَلَيْسَ يَوْمُ النَّحْر»؟ قُلْنَا: بلى قال: «فإن دمائكم وأموالكم - قال محمد: وأحسبه قال وأعراضكم عليكُمْ حرامٌ كحرمة يومكُمْ هذَا في بلدكُمْ هذاَ في شهركُمْ هذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالكُمْ أَلاَ فَلاَ تَرْجعُوا بَعْدي ضُلاَّلاً يَضْربُ بَعْضُكُمْ رقَابَ بَعْض، أَلاَ ليُبَلِّغ الشَّاهدُ الغَائبَ، فلعل بعض مَن يبْلُغُهُ أَنْ يَكُون أَوْعَى لَهُ منْ بَعْض منْ سَمعَه» فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ ثم قال: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» مرتين.

---

٣٤٩ - أخرجه البخاري في صحيحه ١٦ / ٢٣٥ في المغازي، باب حجة الوداع، ح ٤٤٠٦.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١١ / ٢٤١ في القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح ٢٩ / ١٦٧٩.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١ / ٢٥١ في العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع» ح ٦٧.

= قوله: «رجب مضر» أى رجب المنسوب لقبيلة مضر فهى تجعل رجباً هذا الشهر الذى بين جمادى وشعبان بخلاف ربيعة فكانت تسمى شعبان رجباً. أهـ ملخص شرح مسلم ١١ / ٢٤٢ قرطبة.

قوله: «أعراضكم» قال الحافظ: العرض بكسر العين موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان فى نفسه أو سلفه. أهـ فتح ١٦ / ٢٥١ .

المعنى

يخبرنا أبى بكرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» قال النووى[1] :كانوا فى الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فكانوا يحرمون الأشهر الحرم فشق عليهم ثلاث حرم متواليات فكانوا يؤخرون المحرم إلى صفر وهكذا كل عام حتى كان العام الذى حج فيه النبى ﷺ صادف تحريمهم تحريم الشرع الحنيف فأخبر النبى ﷺ أن الاستداره صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض. أهـ ملخصاً قوله: السنة إثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان» قال النووى[1]: وإنما قيده هذا التقييد مبالغة فى إيضاحه، وإزالة اللبس عنه،قالوا: وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف فى رجب، فكانت مضر تجعل رجباً هذا الشهر المعروف الآن وهو الذى بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان فلهذا أضافه النبى ﷺ إلى مضر. أهـ قوله: «أى شهر هذا» قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير إسمه قال أليس ذو الحجة، قلنا بلى «أى سألهم عن الشهر وهو معروف للتفخيم وإثارة انتباههم والتنبيه على عظم ما سيمثل به فأدباً قالوا الله ورسوله أعلم ثم سكت زيادة فى استجلاب الإنتباه ثم قررهم على أنه ذو الحجة قالوا بلى وهكذا قوله «فأى بلد =

(١) شرح مسلم ١١ / ٢٤٢ طبعة قرطبة (ط: ق).

= هذا»؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس البلدة؟ قلنا: بلى قال: فأى يوم هذا» قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا: بلى قال الحافظ[1] قال القرطبى: سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها، كان لإستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه ولذلك قال بعد هذا «فإن دماءكم» إلى آخره مبالغة فى بيان تحريم هذه الأشياء. أهـ حيث أن هذه تلك الثلاث حرمتها عظيمة معلومة شديدة الحرمة والتعظيم فأراد النبىﷺ أن يبين أن حرمة المسلم ودمه وماله وعرضه وكله على أخيه المسلم كحرمة البلد والشهر واليوم الحرام ولذلك قال ﷺ «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» قال النووى[2] : هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظيم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم، وقولهم الله ورسوله أعلم هذا من حسن أدبهم وأنهم علموا أنه ﷺ لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون. أهـ قوله ﷺ وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم» كما قال تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[4] وكما قال تعالى ﴿ يؤمئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه ﴾[3] فلا يترك سبحانه كلمة، ولا نظرة، ولا همزة، ولا لمزة، ولا لطمة، إلا حاسب عليها خاصة ما كان فى حق المسلم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[5] قوله: «ألا فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» كأنه ﷺ يرى ما يصنعون قبل وقوعه وهو =

(١) فتح البارى ١ / ٢٥١ .
(٢) شرح مسلم ١١ / ٢٤٣، ٢٤٤ .
(٣) سورة الحاقة آية (١٨).
(٤) سورة البقرة آية (٢٨١).
(٥) سورة الأحزاب آية (٥٨).

من أعلام نبوته ﷺ حيث قال ﷺ: «هل ترون ما أرى»؟ قالوا: لا قال: فأني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر»[1] قال النووى المراد به كفران النعم أو هو محمول على من استحل قتال المسلمين بلا شبهة. أهـ قوله ﷺ ... ألا ليبلغ الشاهد الغائب» قال الحافظ[2]: ليبلغ الشاهد: أى الحاضر فى المجلس قوله الغائب: أى الغائب عنه، والمراد إما تبليغ القول المذكور أو تبليغ جميع الأحكام. أهـ قوله فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه» أى لعل السامع ممن سمع متصلاً أن يكون أفقه من السامع الأول فيفتح له الله تعالى باستنباط فوائد فقهيه عظيمة من كنز السنة المحفوظ قال النووى[3]: احتج به العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم ولا فقه عندهم إذا ضبط ما يحدث به أهـ يعنى إذا انطبقت عليه شروط قبول الرواية وعرضها من العدالة والضبط وغيرهما والله أعلم.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ١٤، ١٥ فى الفتن، ح ٧٠٦٠.
(٢) فتح الباري ٢٥١/١.
(٣) شرح مسلم ٢٤٣/١١، ٢٤٤.

مبحث : التحذير من دخول ديار الظالمين

٣٥٠ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لَمَّا مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ بالحجر قال: «**لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» ثم قَنَّعَ رأسه وأسرَعَ السيرَ حتى جَاوزَ الوَادى**».

---

٣٥٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٢٥٥ فى المغازى، باب نزول النبى ﷺ الحجر ح٤٤١٩ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ١١١ فى الزهد والرقاق، باب النهى عن الدخول على أهل الحجر إلا من يدخل باكيا ط ق.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ١٢٠ فى أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحا . . .** ﴾ ح ٣٨٨٠ .

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه لما مر النبى ﷺ بالحجر» قال الحافظ[١] الحجر بكسر المهملة وسكون الجيم وهى منازل ثمود. أهـ قوله ﷺ : «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم» وعند مسلم: «حذراً من أن يصيبكم ما أصابهم» هو تحذير من النبى ﷺ من دخول مساكن الظالمين الذين أغضبوا ربهم عز وجل فغضب عليهم وعذبهم وجعل مساكنهم وآثارهم عبرة لغيرهم كما قال تعالى عن فرعون ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾[٢] وقال تعالى عن أصحاب السبت من بنى اسرائيل﴿ **فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[٣] قال الحافظ[٤] =

---

(١) فتح الباري ١٣/١٢٠، ١٢١.

(٢) سورة يونس آية (٩٢)

(٣) سورة البقرة آية (٦٦).

(٤) فتح البارى ١٣ / ١٢٠، ١٢١ .

= : «قوله أن يصيبكم ما أصابهم» أى كراهية أو خشية أن يصيبكم والتقدير عند الكوفيين لئلا يصيبكم. أهـ وقال النووى[1] : قوله «أن يصيبكم» بفتح الهمزة أى خشية أن يصيبكم ما أصابهم أو حذراً أن يصيبكم ما أصابهم كما صرح به فى الرواية الثانية وفيه الحث على المراقبة عند المرور بديار الظالمين ومواضع العذاب ومثله الاسراع فى واد محسر لأن أصحاب الفيل هلكوا هناك فينبغى للمار فى مثل المواضع المراقبة والخوف والبكاء والاعتبار بهم بمصارعهم وأن يستعيذ بالله من ذلك. أهـ قوله: «إلا أن تكونوا باكين» زاد مسلم «فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم» قال النووى[1] وكان هذا فى غزوة تبوك. أهـ كأنهم أمرهم ﷺ بالبكاء عبرة وعظة وخوفاً من الله عز وجل حتى لا يصيبهم الله تعالى بمثل ما أصاب به هؤلاء الظلمة لغيرهم ولأنفسهم قال الحافظ[2]: وهذا يتناول ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم وإن كان السبب ورد فيهم. أهـ وقال تعالى ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ** ﴾[3] والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٨/ ١٤٧ ط ق.
(٢) فتح الباري ١٣/ ١٢٠، ١٢١.
(٣) سورة إبراهيم آية (٤٥).

مبحث : من قال لا إله إلا الله ومن قال أسلمت وجب الكف عنه وتعظيم قتله.

٣٥١ ـ عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصارِ رجلاً منهم، فلما غشيناهُ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فَكَفَّ الأنصارىُّ فطعنتُهُ برمحى حتَّى قتلتُهُ، فلمَّا قدمنَا بلغَ النَّبى ﷺ فقال: «**يا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بعدمَا قال لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»؟ قلتُ: كان مُتَعَوِّذاً، فما زال يكررهَا حتى تمنيتُ أنّى لم أكنْ أسلمتُ قَبلَ ذلكَ اليَوْمَ.

٣٥٢ ـ وعن سالم عن أبيه قال: بعثَ النبىُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلى بنى جذيمة فدعاهمْ إلى الإسلام فَلَمْ يُحْسِنُوا أن يقولُوا أسْلَمْنَا فجلعوا يقولونَ: صَبَأْنَا، صبأْنَا، فجعلَ خالدٌ يقتلُ منهم ويأسرُ ودفعَ إلى كلِّ رَجُلٍ منَّا أَسيَرهُ، حتى إذا كان يومٌ أَمر خالدٌ أن يقتلَ كُلُّ رَجُلٍ أسِيرَهُ، فقلتُ: واللهِ لا أقتلُ أسيرِى ولا يقتلُ رجلٌ مِنْ أصحابِى أسيرَه، حتى قدمنا على النبى ﷺ فذكرناه له فرفعَ النَّبى ﷺ يديهِ فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرأُ إِلَيْكَ ممَّا صَنَعَ خَالدٌ**» مرتين.

---

٣٥١ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ١٠٥ فى المغازى، باب بعث النبى ﷺ أسامه إلى الحرقات من جهينة؛ ٤٢٦٩ .

أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٦ / ١٢، ١٣ فى الديات، باب قول الله تعالى (ومن أحياها)، ح ٦٨٧٢ / ،أخرجه أحمد ٥ / ٢٠٠ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ٩٩ فى الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قول لا إله إلا الله.

٣٥٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ١٧٤ فى المغازى، باب بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جزيمة ح ٤٣٣٩ .

المعنى

يخبرنا أسامة بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثهم إلى الحرقة قال الحافظ[1] : بضم المهملة وفتح الراء بعدها قاف نسبة إلى الحرقة واسمه جهيش بن عامر بن ثعلبة بن مزدعة بن جهينة وسمى الحرقة لأنه حرق قوماً بالقتل فبالغ فى ذلك. أهـ قوله: «فصبحنا القوم فهزمناهم» أى دخلنا عليهم صبحاً فى الغداة كما هو صنيع النبى ﷺ إذا دخل ليلا انتظر حتى يصبح واذا فاته الصباح انتظر حتى تميل الشمس وقت الزوال وهبوب رياح النصر قال الحافظ[2] : قوله «فصبحنا القوم» أى هجموا عليهم صباحاً قبل أن يشعروا بهم يقال: صبحته: أتيته صباحا بغته. أهـ قوله: «ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم» أى أدركته لأقتله حيث هذا قبل النطق بكلمة التوحيد، قال الحافظ[2]: لم أقف على إسم الأنصارى المذكور فى هذه القصة. أهـ قوله «فلما غشيناه قال لا إله إلا الله» أى فلما أدركناه ولحقنا به وتمكنا منه قال: لا إله إلا الله «هذا الذى جعل أسامة يقتله ظاناً أنه ما قالها إلا خوفاً من القتل فاعتصم بها لكن بيَّنَ لَهُ رسولُ الله ﷺ أن القلوب لا يطلع عليها إلا علام الغيوب فلعله كان صادقاً فلذلك وجب الكف عمن أسلم ظاهره وتَرْك باطنه إلى الله تعالى. وقد أخرج البخارى[3] عن عمر رضى الله عنه أنه كان يقول إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله ﷺ وإن الوحى قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شئ والله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سؤاً لم نأمنه ولم نصدقه وإذا قال: إن سريرته حسنة» قال تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾[4] قال الحافظ: غشيناه بفتح أوله وكسر ثانيه معجمتين أى =

---

(١) فتح البارى ١٦ / ١٠٥ .

(٢) فتح البارى ٢٦ / ١٢، ١٣، ١٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٦٧، ٦٨ فى الشهادات ح ٢٦٤١ .

(٤) سورة الجن آية (٢٦).

= لحقنا به حتى تغطى بنا. أهـ قوله: «فكف الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته» وعند مسلم «فقال لا إله إلا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك» أى أن الأنصارى تورع فلم يشارك أسامة فى قتل المتلفظ بكلمة التوحيد أما أسامة فتأول أنه قالها حيلة للفرار من القتل فطعنه فقتله لكن لإيمانه رضى الله عنه شك فى حل الفعل واضطرب لذلك صدره قوله: «فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ» أى لما قدمنا من الغزوة إلى المدينة المنورة وعند مسلم: فجاء البشير إلى النبى ﷺ فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله لم قتلته، الحديث «أى أخبره البشير ثم جاء أسامة بعد علمه ﷺ فسأله أيضاً فأخبره أسامة قوله: «يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله» إستفهام انكارى أى أقتلته بعدما قال هذه الكلمة العظيمة المنجية صاحبها من العذاب الأدنى والعذاب الأكبر ومن ضلال الدنيا وشقاء الآخرة وعند مسلم: قال رسول الله ﷺ «أقتلته»؟ قال نعم قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة «قوله:» قلت: كان متعوذاً وعند مسلم «إنما قالها خوفاً من السلاح» أى متعوذاً من القتل خائفاً من السلاح هذه نيته كما ظهر لأسامة أما النبى ﷺ فيعلم أن قدر لا إله إلا الله عظيم يبلغ منه أن يقى صاحبه العذاب والقتل ولو قالها فيما يظهر للناس أنه متعوذاً لاذ بها للفرار فأيضاً ينجيه ويعاقب قاتله وعليه الدية لأنه ربما كان صادقاً حيث القلب سره خاص علمه بخالقه فعند مسلم فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته، قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا» قال النووى[1] : الكفارة واجبة والقصاص ساقط للشبهة فإنه ظنه كافراً وظن أن اظهاره كلمة التوحيد فى هذه الحالة لا يجعله مسلماً. أهـ قوله: فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» أى ما زال يعتب عليه ﷺ حتى تمنى أنه كان قبل اليوم كافراً وأسلم اليوم حتى لا يحاسب على ما مضى ويغفر له بالإسلام حيث فى =

(١) شرح مسلم ٢ / ١٠٦ .

= حديث مسلم[1] عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال له: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله، وما كان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ... الحديث، وهو عن عبد الله بن عمرو، ويؤيد ذلك التفسير رواية مسلم» فما زال يكررها على حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ» قال الحافظ: أى أن إسلامى كان ذلك اليوم لأن الإسلام يجب ما قبله، فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الفعلة ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلماً قبل ذلك. أهـ والله أعلم.

وفى الحديث الثانى

نحو هذه القصة حدث مع خالد بن الوليد ما يشبه حال أسامة رضى الله عنهم يحكيه لنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة» ذكر ابن حجر[2] عن ابن اسحاق بسنده إلى أبى جعفر الباقر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بنى جذيمة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً. أهـ قوله: «فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر» أى لأنه رضى الله عنه بعث داعياً فدعا ودعا حتى وقع الإسلام فى قلوبهم وقد علموا أن الذى يتحول من دين إلى دين يقال عنه صبأ كما كان يقال عمن يدخل فى الإسلام صابئ قال الحافظ[2]: هذا من ابن عمر راوى الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة، ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها فى مقام الذم.. فلما اشتهرت هذه اللفظه بينهم فى موضع أسلمت استعملها هؤلاء وأماخالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أى خرجنا من دين إلى دين ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالاسلام. وقال الخطابى: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل =

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ١٣٨ فى الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والعمرة.

(٢) فتح الباري باب بعث النبيﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ٨/ ٣٨٠.

= الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً قولهم. أهـ فلذلك جعل خالد يقتل منهم بعضهم ويأسر البعض الآخر ثم بدا له فأمر بقتل الأسرى فقتل البعض ولم يقتل المهاجرون والأنصار أسراهم قال الحافظ(١): فأما بنو سليم فقتلوا من كان فيهم بأيديهم وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم وعزاه لابن سعد. أهـ قوله: «ودفع إلى كل رجل منا أسيره» أى ليكتفه ويجعله عنده قال الحافظ(١): فى كلام ابن سعد أنه أمرهم أن يستأسروا فكتف بعضهم بعضاً وفرقهم فى أصحابه. أهـ قوله «حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره» أى بدا لخالد يوماً ما بعد القتل الأول والأسر أن يقضى على الباقى من الأسارى فحلف عبد الله بن عمر أن لا يقتل أسيره لعلمه بقول النبى ﷺ : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» فعلم أن هذه معصية وإن كان خالد لم يتعمدها لكن طالما علمها عبد الله وجب عليه تركها قال الحافظ(١): وفيه جواز الحلف على نفى الغير إذا وثق بطواعيته. أهـ حيث حلف على أصحابه أيضاً رضوان الله على الجميع بأن لا يقتلوا أسراهم مطمئناً لطاعتهم الله حيث مكانته المعروفة عندهم بشدة إتباعه وحبه للنبى ﷺ قوله: «حتى قدمنا على النبى ﷺ» أى من الغزوة قوله «فذكرنا له» أى قصصنا عليه ما حدث من خالد والقوم والقتل والأسر وترك القتل قوله: «فرفع النبى ﷺ يديه فقال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين تبرأ النبى ﷺ من فعل خالد منكراً عليه بشدة حيث قتل المسلمين بعد إظهارهم الإسلام فعند أسامة كرر النبى ﷺ العتاب بقوله أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله» لأن أمرها أخف حيث هناك احتمال عذر وتعوذ من الرجل من أجل السيف أما عند خالد فالأمر أشد لأن القوم أسلموا بالفعل لكنهم عبروا باللغة التى يعرفونها ويحسنونها لذلك صرح النبى ﷺ بالبراءة إلى الله عز وجل من فعل خالد حيث قتل المسلمين وإن كان له وجه للتأويل كما ذكرت آنفاً» قال الحافظ: قال الخطابى: أنكر عليه العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا. أهـ والله أعلم.

مبحث : من قاتل فى سبيل الله
فواق ناقة وجبت له الجنة

٣٥٣ ـ عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال: «**مَنْ قَاتَلَ فِى سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فواق نَاقَةٍ وجبت لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحاً فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِئُ يومَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ**».

---

٣٥٣ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٢٩٧ فى فضائل الجهاد، باب ما جاء فى المجاهد والمكاتب والناكح وعون الله إياهم، ح ١٧٠٧ وقال: هذا حديث صحيح.

أخرجه النسائى ٦ / ٢٥ فى الجهاد، باب ثواب من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة.

قوله «فواق ناقة» هو ما بين الحلبتين من الراحة أهـ حاشية السيوطى على النسائى ٦ / ٢٥.

قوله «نكب نكبة» نكبت أصبعه أى نالتها الحجارة أهـ نهاية ٥ / ١١٣.

المعنى

يخبرنا معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من قاتل فى سبيل الله من رجل مسلم» هذه كلها مقدمات وشروط للجزاء المترتب عليها بعد «فواق ناقة» قال السيوطى[1] : هو ما بين الحلبتين من الراحة وتضم فاؤه وتفتح ومنصوب على الظرفية أو المصدرية أهـ ملخصاً أى من قاتل فى سبيل الله عز وجل ولو هذا الوقت القليل وجبت له الجنة زاد النسائى: «ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فله أجر شهيد» كما فى الحديث المتقدم» من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله =

---

(١) حاشية السيوطى على سنن النسائى الصغرى ٦ / ٢٥ .

منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[1] قال الله تعالى ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2] وقوله «أى من جرح جرحاً فى سبيل الله أو نكب نكبة» قال السندى[3] : «نكبة» بفتح نون مثل العثرة تدمى الرجل فيها أهـ أى من جرح جرحاً كبيراً أو صغيراً فى سبيل الله أمام العدو «فإنها» قال فى التحفة[4] أى النكبة التى فيها الجراحة «تجئ يوم القيامة» قال الطيبى: قد سبق شيئان الجرح والنكبة وهو ما أصابه فى سبيل الله من الحجارة فأعاد الضمير إلى النكبة دلالة على أن حكم النكبة إذا كان بهذه المثابة فما ظنك بالجرح بالسنان والسيف؟» كأغزر ما كانت» أى كأكثر أوقات كونها فى الدنيا شديدة السيلان والإنفجار، قال الطيبى: الكاف زائدة وما مصدرية والوقت مقدر يعنى حينئذ تكون غزارة دمه أبلغ من سائر أوقاته أهـ «لونها الزعفران وريحها المسك» فاللون أحمر كالزعفران شديد الحمرة فلذلك شبه به فى اللون فقط أما المسك فشبه به فى الرائحة فقط لأن احمرار المسك غير احمرار ا لزعفران ورائحة الزعفران غير رائحة المسك قال فى التحفة[3]: كل منهما تشبيه بليغ أهـ زاد النسائى: «ومن جرح جرحا فى سبيل الله فعليه طابع الشهداء» قال السندى[4]: «طابع» بفتح الباء وكسرها الخاتم يختم به على الشئ أهـ والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٨٢ فى الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة، ح ١٥٧ / ١٩٠٩ .

(٢) سورة آل عمران آية (١٥٧)، (١٥٨).

(٣) حاشية السندى على النسائى الصغرى ٦ / ٢٦ .

(٤) تحفة الأحوذى ٥ / ٢٩٧ .

مبحث: كل الجرح فى سبيل الله
يفوح مِسْكاً يوم القيامة

٣٥٤ ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**كُل كلْم يُكَلمُه المُسْلم فى سبيلِ الله يكونُ يومَ القيامةِ كهيئَتِهَا إِذَا طعنَتْ تَفجرُ دَماً، اللونُ لونُ الدَمِ، والعَرْفُ عَرْفُ المِسْك**».

---

٣٥٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢ / ١٤٠ فى الوضوء، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء ح ٢٣٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٢٢ فى الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج فى سبيل الله تعالى.

قوله «كل كلم» قال ابن الأثير: وأصل الكلم الجرح. أهـ نهاية ٤ / ١٩٩ وقال ابن حجر «كل كلم يكلمه» بضم أوله واسكان الكاف وفتح اللام، أى كل جرح يجرحه. أهـ فتح ٢ / ١٤٠ .

قوله: «والعرف عرف المسك» العرف: الريح. أهـ نهاية ٣ / ٢١٧ .

المعنى

إنه فى عرف الناس أذى وألماً لكن لما كان فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته بعثه الله بهيئته ولونه لكن برائحة ما يئول إليه مصير صاحبه من أماكن الصدق ومقاعدها عند مليك مقتدر فكان الرائحة مسكاً. يروى لنا أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «كل كلم يكلمه المسلم» قال الكرمانى[١] : قوله «كل كلم» بفتح الكاف وسكون اللام أى جراحة «يكلمه» بضم الياء وسكون الكاف وفتح اللام أى يكلم به. أهـ قوله «المسلم» خرج الكافر ونحوه قال الكرمانى[١]: والمسلم: مفعول لما لم يسم فاعله. أهـ وقال ابن حجر[٢] : أى كل جرح يجرحه. أهـ قوله: «في سبيل الله» وفى رواية =

---

(١) شرح البخارى للكرمانى ٣ / ٩١ .

(٢) فتح البارى ٢ / ١٤٠، ١٤١ .

= مسلم[1] فى الإمارة والله أعلم بمن يكلم فى سبيل قال الحافظ ابن حجر[2]: قد يخرج ما يصيب المسلم من الجراحات فى غير سبيل الله، ثم قال: وفيه إشارة إلى أن ذلك لمن خلصت نيته. أهـ قوله: «تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت» قال الحافظ ابن حجر[2]: أعاد الضمير مؤنثاً لإرادة الجراحة. أهـ قال النووى[3] : وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره.

والحكمة فى مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه فى طاعة الله تعالى.قوله: «تفجر دماً» وفى رواية مسلم[1]: «وجرحه يثعب» قال النووى[3]: معناه يجرى متفجراً كثيراً وهو بمعنى الرواية الأخرى «تفجر دماً» قوله: «اللون لون الدم، والعرف عرف المسك» قال النووى[3]: «والعرف عرف المسك» هو بفتح العين المهملة وإسكان الراء وهو الريح. أهـ قال الكرمانى[3]: «والمسك فارسى معرب»، والحكمة فى كونه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه فى طاعة الله تعالى. أهـ قال الحافظ ابن حجر[2]: وفائدة رائحته الطيبة أن تنتشر فى أهل الموقف إظهاراً لفضيلته أيضاً، ومن ثم لم يشرع غسل الشهيد فى المعركة. أهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم فى الامارة ١٣ / ٢١ باب فضيلة الجهاد والخروج فى سبيل الله تعالى.
(٢) فتح الباري ٣/١٤٠، ١٤١.
(٣) شرح مسلم للنووى ١٣ / ٢١ .
(٤) شرح البخاري للكرماني ٩١/٣.

مبحث : فيمن لم يبال بما أصابه
في سبيل الله تعالى

٣٥٥ ـ عن أبي هريرة قال: بعث رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةً منهم خُبَيْبٌ الأنصاري ... فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاريُّ:

ولستُ أُبالِي حين أُقْتَلُ مُسْلِما ... على أي شِقٍّ كان للهِ مَصْرَعِي

وذلك في ذَاتِ الإِلهِ وإن يَشَأْ ... يُبَارك عَلَى أَوْصَالِ شِلْو مُمَزَّع

فقتله ابن الحارث، فأخبر النبيُّ ﷺ أصحابَه خبَرَهُم يَوْمَ أُصِيبوا.

---

٣٥٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨ / ١٥٩ في التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل، ح ٧٤٠٢ .

أخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ٢٥٩ في المغازي، باب غزوة الرجع ورمل وذكوان وبئر معونة ... ح ٤٠٨٦ .

وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٢٩٤، ٣١١ .

وأخرجه الترمذي في سننه بمعناه ٥ / ٢٤٧ في فضائل الجهاد، باب فضل الجهاد وقال حسن صحيح.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري» وفي رواية المغازي: «بعث رسول الله ﷺ سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب» أي أن النبي ﷺ بعث تلك العشرة سرية عيناً وهم الذين تعرض لهم بنو لحيان فقتلوهم، يقول أبو هريرة: «منهم خبيب الأنصاري» رضى الله عنه وهو الذي نزل على عهدهم وميثاقهم بعد استشهاد إخوانه السبعة وبقى معه زيد ورجل آخر فلم يكمل الآخر معهم ورفض =

= عهد المشركين فعالجوه وقتلوه وبقى خبيب وزيد بن الدثنة فباعوهما بمكه فاشترى خبيباً ابن الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب رضى الله عنه هو قاتل الحارث بن عامر يوم بدر فأرادوا أن يقتلوه به ـ هذا ملخص القصة في حديث أبى هريرة رضى الله عنه. يقول أبو هريره: «فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه» قال الحافظ[1] : بين ابن اسحق أنهم أخرجوه إلى التنعيم أهـ وفى رواية المغازى: «فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعونى أصلى ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ثم قال: ما إن أبالى حين أقتل مسلماً... الحديث» قوله: «ولست أبالى حين أقتل مسلماً» قال الحافظ[1]: وهو خبيب الذى في رواية التوحيد هذا. أى لا أبالى بالقتل إذا كنت، عنده على الإسلام فهو شهادة في سبيل الله مصير صاحبها الجنة إن شاء الله عز وجل قوله: «على أى شق كان فى الله مصرعى» أى طالما مسلماً وفى سبيل الله وابتغاء مرضاته لا أبالى على أى شق كان فى سبيل الله موتى وقتلى قوله: «وذلك فى ذات الإله وإن يشأ» أى هذا فى سبيل ابتغاء مرضات الله تعالى قال البخارى[1]: قال خبيب: وذاك فى ذات الإله، فذكر الذات بإسمه تعالى أهـ. وقال الحافظ[2] : ظاهر لفظه أن مراده أضافة إسم الذات إلى إسم الله تعالى وسمعه النبى ﷺ فلم ينكره فكان جائزاً وقال الكرمانى، أى ذكر الذات متلبساً باسم الله، أو ذكر حقيقة الله بلفظ الذات أهـ قوله: «يبارك على أوصال شلو ممزع» أى ذلك فى ذات الله تعالى وإن يشأ سبحانه يبارك على أعضاء جسد مقطع فى مرضاته قال الحافظ[2]: أوصال جمع وصل وهو العضو، وشلو بكسر المعجمة الجسد، وقد يطلق على العضو ولكن المراد به هنا =

(١) فتح البارى ١٥ / ٢٦٤، ٢٦٥ .

(٢) فتح البارى ٢٨ / ١٥٩ .

= الجسد، والممزع بالزاى ثم المهمله المقطع. ومعنى الكلام: أعضاء جسد مقطع أهـ قوله: «فقتله ابن الحارث» وفى رواية المغازى «ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله» قال العينى: وهو عقبة بن الحارث وقيل أخوه وكلاهما أسلم بعد ذلك أهـ. قوله: «فأخبر النبى ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصيبوا» أى نعاهم رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقتها قبل أن يذهب أحد من الناس أو يأتى كما أخبرهم بالأمراء الثلاثة لمؤتة زيد وجعفر وابن رواحه رَضي الله عنهم أجمعين قال الحافظ[1]: وعند موسى ابن عقبة - أى فى المغازى - «فزعموا أن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام يا خبيب قتلته قريش» فهى معجزة لنبينا ﷺ والله أعلم ورضى الله تعالى عن خبيب وأصحابه.

(١) فتح الباري ١٥/٢٦٤، ٢٦٥.

مبحث : المجاهد فى سبيل الله له إحدى الحسنيين

٣٥٦ ـ عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ المجاهد فى سبيل الله، واللهُ أعلمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فى سبيله ـ كَمَثَلِ الصائم القائم، وتَوكَّلَ اللهُ للمُجَاهِد فِى سبيله بأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يدخلَهُ الجنةَ أو يُرْجِعَهُ سَالماً مَعَ أجْرٍ أو غَنِيمَةٍ**».

---

٣٥٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٥٦ فى الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، ح ٢٧٨٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٢٥ فى الإمارة، باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى.

وأخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٢٧٢ .

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «مثل المجاهد فى سبيل الله تعالى وعند مسلم[1] : «تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيماناً بى وتصديقاً برسلى فهو علىَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه.. الحديث» وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً لمن يخرج للجهاد فى سبيل الله تعالى نصرة للإسلام ودفاعاً عن صرحه وإقامة شرعه وإظهار شعائره وإقامة توحيده فالله يضمن له إذا خرج مخلصاً لا يخرج إلا لله وإيماناً بوعده وتصديقاً برسله فله الجنة أو النصر والأجر والغنيمة وقد أراد أن يظهر أجر المجاهد المحتسب المؤمن بما يشبهه فى الأجر من العبادات الأخرى وأهلها قوله: «والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله» أى الله أعلم بمن أخلص فى نية خروجه فى سبيل الله تعالى هل هى رياء أو سمعة أو حميه أو شجاعة =

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٢٠ فى الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله تعالى.

= أو لله تعالى. لذلك لما سئل النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، وحمية، ويقاتل رياء، ويقاتل للمغنم، أى ذلك فى سبيل الله تعالى؟ قال ﷺ[1]: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله تعالى »قال الحافظ: فيه إشارة إلى اعتبار الإخلاص. أهـ وقال العينى[2]: قوله: «الله أعلم بمن يجاهد فى سبيله» وقع جملة معترضة: يعنى الله أعلم بقصد نيته إن كانت خالصة لإعلاء كلمته فذلك المجاهد فى سبيل الله، وإن كان فى نيته حب المال والدنيا واكتساب الذكر بها فقد أشرك مع سبيل الله الدنيا أهـ وعند أبى داود[3] مرفوعاً «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل: رجل خرج غازياً فى سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة قوله: «كمثل الصائم القائم» وعند مسلم «كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله تعالى» أى أن أجر المجاهد فى سبيل الله تعالى مثل أجر الصائم النهار لا ينقطع يوماً والقائم الليل يصلى لله عز وجل يتلو آياته لا يكسل من الصلاة والقراءة يظل كذلك حتى يرجع المجاهد فهذا ثواب لا يحصيه إلا الله عز وجل، قال النووى[4]: معنى القانت هنا المطيع وفى هذا الحديث عظيم فضل الجهاد لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك فى لحظة من اللحظات ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد ولهذا قال ﷺ: لا تستطيعونه» والله أعلم كما قال الله تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[5] =

قوله: «وتوكل الله» للمجاهد في سبيله أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر وغنيمة

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٩٠ فى الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد ... الخ ح ٢٨١٠ بلفظ «فى سبيل الله».

(٢) عمدة القارى ١١ / ٣٢٢ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ٧ / ١٧١ فى الجهاد، باب فضل الغزو فى البحر ... ح ٢٤٧٧ .

(٤) شرح مسلم ١٣ / ٢٥ .

(٥) سورة التوبة آية (١٢٠).

= قال العيني قوله وتوكل الله أى ضمن الله بملابسة التوفى الجنة وبملابسة عدم التوفى الأجر والغنيمة، وقال الكرماني: يعنى لا يخلو من الشهادة أو السلامة فعلى الأولى يدخل الجنة بعد الشهادة فى الحال وعلى الثانى لا ينفك من أجر أو غنيمة مع جواز الإجتماع بينهما فهى قضية مانعة الخلو لا مانعة الجمع أهـ. وقال الحافظ: قوله: «أن يدخل الجنة» أى بغير حساب ولا عذاب أو المراد أن يدخله الجنة ساعة موته كما ورد أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة»، وبهذا التقدير يرفع إيراد من قال ظاهر الحديث التسوية بين الشهيد والراجع سالماً لأن حصول الأجر يستلزم دخول الجنة، ومحصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول خاص أهـ والله أعلم.

مبحث : من أسلم فاستشهد فقد عمل قليلاً وأجر كثيراً

٣٥٧ ـ عن البراء قال: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أُقَاتِل أو أسلم؟ قال: «أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ» **فأسلم ثم قاتل، فقتل، فقال رسول الله ﷺ : «عَمِلَ قَلِيلاً وَأَجِرَ كَثِيراً».**

---

٣٥٧ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١١ / ٢٨٦ في الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال، ح ٢٨٠٨ .

المعنى

يخبرنا البراء رضي الله عنه أنه قد أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، قال الحافظ[1] : قوله: «مقنع» بفتح القاف والنون مشددة وهو كناية عن تغطية وجهه بآلة الحرب أهـ أي أنه جاء إلى النبي ﷺ ليسلم وقد ارتدى لبس الحرب وقد قال عنه الحافظ[1]: أنه عمرو بن ثابت ابن وقش أهـ وقد أخرج الحاكم[2] في المستدرك تفصيل قصته واستشهاده عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن عمرو بن قيس كان له ربا في الجاهلية وكان يمنعه ذلك الربا من الإسلام حتى يأخذه فجاء ذات يوم رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد فقال: أين سعد بن معاذ؟ فقيل بأحد فقال أين بنو أخيه؟ قيل بأحد، فسأل عن قومه قالوا بأحد، فأخذ سيفه ورمحه ولبس لأمته ثم ذهب إلى أحد فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو: قال: إني قد آمنت فحمل فقاتل فحمل إلى أهله جريحاً فدخل عليه سعد بن معاذ فقال له: جئت غضباً لله ولرسوله أم حمية لقومك قال بل جئت غضباً لله ولرسوله، فقال أبو هريرة: فدخل الجنة وما صلى لله صلاة» قوله: «فقال يا رسول الله: أقاتل وأسلم» أي أجاهد أولاً أم أدخل الإسلام أولاً قوله: =

---

(١) فتح الباري ١١ / ٢٨٧ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ /٣٠ / ٢٨ في المغازي والسرايا ح ٤٣١٧ قال الذهبي على شرط مسلم.

= قال «أسلم ثم قاتل» أخبره ﷺ بأنفع الأعمال بأجمع الكلام فقال أى:أُدْخُلْ الإسلام أولاً ليقبل ما بعده من الخير فهو الشرط للنجاة والقبول ثم قاتل وجاهد قوله: «فأسلم ثم قاتل فقتل» أى أكرم الله تعالى عمرواً بهدايته للإسلام وتوفيقه للجهاد وإكرامه بالشهادة فالحمد لذى الجلال والإكرام والمن والإحسان. قوله: « فقال رسول الله ﷺ: عمل قليلاً وأجر كثيراً» أى بفضل الله تعالى ما عمل إلا قليلاً لحدوث عهده بالإسلام ولكن تفضل الله بالأجر الكثير بسبب الإسلام المتبوع مباشرة بالإستشهاد كما قال تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[1] قال الحافظ قوله «وأجر كثيراً» بالضم على البناء أى أجر أجراً كثيراً، وفى هذا الحديث أن الأجر الكثير قد يحصل بالعمل اليسير فضلاً من الله وإحساناً أهـ والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام آية (٨٢).

مبحث : فضل الشهادة

٣٥٨ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلاَّ الشَّهِيدُ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**».

---

٣٥٨ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٧٤ فى الجهاد، باب الحور العين وصفتهن يحار فيها الطرف، ح ٢٧٩٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٢٤ فى الامارة، باب فضل الشهادة فى سبيل الله عز وجل، .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٩٦ فى الجهاد، باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، ح ٢٨١٧ .

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها» أى ما من أحد من أهل الخير يموت ويجد ما ادخر له عند الله من الخير فيتمنى الدنيا ولو كلها بشئ قليل مما عنده أبداً إلا نوع واحد وفى الرواية ومسلم: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شئ إلا الشهيد» وعند مسلم: «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا وما فيها إلا الشهيد» قوله: «إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة» أى إلا الشهيد فى سبيل الله تعالى فى ساحة القتال لما يرى من عظيم الأجر والمثوبة عند الله التى أعدها الله عز وجل. للشهداء فى سبيله وفى رواية تفسر ذلك تفصيلا عند الحاكم فى مستدركه[1] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: =

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ١٢٠ / ١٣٠ فى الجهاد ح ٢٥٥٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبى.

أرسل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا جابر: إن الله تبارك وتعالى أحيا أباك وكلمه كلاماً قلت: وكلمة كلاماً قال: قال له: تمن فقال: أتمنى أن ترد روحى وتنشئ خلقى كما كان وترجعنى إلى نبيك فأقاتل فى سبيل الله فأقتل مرة أخرى قال: إنى قضيت أنهم لا يرجعون قال: وقال ﷺ: «سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة» قوله: فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى» أى إلا الشهيد فهو فقط الذى يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى ليرى ما رآه من فضل الاستشهاد الذى يفر منه العباد لعدم رؤيتهم وعد يوم الميعاد وعند البخارى ومسلم وفى رواية أخرى «إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» أى فضل الشهادة قال الحافظ[1] : قال ابن بطال هذا الحديث أجل ما جاء فى فضل الشهادة قال: وليس فى أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب أهـ قال النووى[2] : هذا من صرائح الأدلة فى عظيم فضل الشهادة والله المحمود المشكور، وأما سبب تسميته شهيداً فقال ابن الأنبارى: أن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى له من الثواب والكرامة وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه وقيل لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله وقيل لأنه عليه شاهدا يكون شهيداً وهوالدم أهـ فاللهم ارزقنا الشهادة فى سبيلك مقبلين غير مدبرين صابرين محتسبين يا رب العرش العظيم.

(١) فتح البارى ١١ / ٢٩٦ .
(٢) شرح مسلم ٣ / ٢٤١ .

مبحث : في تمنى الشهادة

٣٥٩ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «والذى نفسي بيده لَوْلاَ أَنَّ رجَالاً من المُؤمنينَ لا تَطيبُ أنفُسُهُمْ أَنْ يَتخَلَّفُوا عَنِّي وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلَهُمْ عليه ما تَخلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْدُو فِي سَبِيلِ اللّٰه، والذى نفسى بيده لَوَددْتُ أَنِّى أقْتَلُ فِي سبيلِ الله ثم أُحْيَا، ثم أُقْتَلُ ثم أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»

---

٣٥٩ ـ أخرجه البخارى في صحيحه ١١ / ٢٧٦ فى الجهاد، باب تمنى الشهادة، ح ٢٧٩٧.

وأخرجه مسلم مطولاً ١٣ / ٢٠ فى الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج فى سبيل الله تعالى.

المعنى

أخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «والذى نفسى بيده لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه» وعند مسلم «والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين» أى يقسم نبينا ﷺ برب العزة عز وجل أنه لولا أن يشق على المؤمنين بأن لا تطيب أنفسهم بتخلفهم عن رسول الله ﷺ أثناء خروجه للغزو لما تخلف عن سرية ﷺ قال الحافظ بن حجر[1] : ورواية الباب تفسر المراد بالمشقة المذكورة وهى أن نفوسهم لا تطيب بالتخلف ولا يقدرون على التأهب لعجزهم عن آلة السفر من مركوب غيره وتعذر وجوده عند النبى ﷺ أ هـ فعند مسلم: ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعونى ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدى «قوله» ما تخلفت عن سرية تغدو فى سبيل الله» وعند مسلم ما تخلفت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله تعالى «أى لولا ذلك ما تركت سرية تخرج للجهاد فى سبيل الله تعالى وأنا مقيم لم أخرج لكن =

---

(١) فتح البارى ١١ / ٢٧٦، ٢٧٧ .

= جلوسى لأجل من لا يطيق الخروج فيشق عليهم خروجي وهم مقيمون لا يستطيعون الخروج قال النووى[1] وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم وأنه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعى فى زوال المكروه والمشقة عنهم أ هـ قوله «والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»: من عظم أجر الشهادة وما يناله الشهيد عند الله تعالى ولترغيب المسلمين في ذلك أقسم نبيناﷺ أنه ود أن يقتل في سبيل الله عز وجل ثم يحييه الله تعالى ثم يستشهد ثم يحييه الله تعالى ثم يستشهد ثم يحييه الله تعالى ثم يقتل فى سبيل الله عز وجل لعظيم فضل الشهادة، قال الحافظ[2]: فى جملة «والذى نفسى بيده لوددت» قال عنها أنها جملة مستأنفة وأن اللام جواب القسم، ثم النكتة فى إيراد هذه الجملة عقب تلك إرادة تسلية الخارجين فى الجهاد عن مرافقته لهم وكأنه قال: الوجه الذى يسيرون له فيه من الفضل ما أتمنى لأجله. أن أقتل مرات فمهما فاتكم من مرافقتى والقعود معى من الفضل يحصل لكم مثله أو فوقه من فضل الجهاد فراعى خواطر الجميع، وقد خرج النبى ﷺ فى بعض المغازى وتخلف عنه المشار إليهم وكان ذلك حيث رجحت مصلحة خروجه على مراعاة حالهم أ هـ وأما تمنى النبى ﷺ القتل مع علمه بأنه لا يقتل، قال الحافظ[2]: وكأنه ﷺ أراد المبالغة فى بيان فضل الجهاد وتحريض المسلمين عليه أ هـ قال النووى[1]: فيه فضيلتى الغزو والشهادة وفيه، تمنى الشهادة والخير وتمنى ما لا يمكن فى العادة من الخيرات وفيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين أ هـ والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٣ / ٢٢ .

(٢) فتح الباري ١١/٢٦٧، ٢٧٧.

مبحث: فضل الدعاء بالشهادة بصدق

٣٦٠ - عن سهل بن حنيف رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بلغه اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**».

٣٦٠ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٨٢ فى الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة فى سبيل الله تعالى، ح ١٩٠٩.

وأخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٣٧ فى الجهاد، باب مسألة الشهادة.

وأخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٢٩٤ فى الجهاد، باب فيمن سأل الشهادة ح ١٧٠٥.

وأخرجه البيهقى فى سننه ٩ / ٢٨٦ فى السير، وباب تمنى الشهادة ومسألتها ح ١٨٥٥٨ وهو شاهد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه.

المعنى

يخبرنا سهل بن حنيف رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» وعند مسلم[1] فى رواية أخرى: «من طلب الشهادة صادقاً، أعطيها، ولو لم تصبه» وعند الترمذى فى رواية «من سأل الله القتل فى سبيله صدقاً من قلبه أعطاه الله أجر الشهيد»[2] أي من طلب من الله عز وجل ودعاه سبحانه أن يقتل في سبيله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر مخلصاً فى دعائه دعاء راغب صادق النية فى طلبها أعطاه الله تعالى منزلة الشهيد فى الجنة حتى ولو مات على سريره فى بيته فالحمد لله أكرم الأكرمين وهذا يبين فضل النية الخالصة لله لا يشوبها شرك ولا رياء ولا شهوة يبلغ بها صاحبها المراتب العالية حتى ولو لم يتيسر له العمل لكن لا يصح للإنسان أن يعتمد على النية وحدها إنما يسعى لتحقيق ما نواه فإن غلب وحال دون الوصول إلى مراده حائل أجر على نيته ما يستحقه لو عمل العمل كاملاً. قال صاحب التحفة[3] : قوله «من سأل الله الشهادة» أى الموت شهيداً» =

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٨٢ فى الإمارة ح ١٥٦.
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٢٩٤ فى الجهاد، ح ١٧٠٤.
(٣) تحفة الأحوذى ٥ / ٢٩٥.

= بلغه بتشديد اللام أوصله الله منازل الشهداء مجازاة له على صدق طلبه وإن مات على فراشه بكسر أوله، أى ولو مات غير شهيد فى حكم الشهداء وله ثوابهم، قال المناوى لأن كلا منهما نوى خير وفعل مقدوره فاستويا فى أصل الأجر. أ هـ وقال[1] فى قوله صادقاً من قلبه «قيد به لأنه معيار الأعمال ومفتاح بركتها. أ هـ وقال النووى[2] : فى معنى الروايتين معناهما جميعاً أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطى من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب الخير. أ هـ والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٩٤ في الجهاد، ح١٧٠٤.
(٢) شرح مسلم ١٣ / ٨٢، ٨٣ .

مبحث: قول الشهيد فزت ورب الكعبة

٣٦١ ـ عن أنس رضي الله عنه في قصة استشهاد خاله ـ قال: «**فتقدم فَأَمَّنُوهُ فبينمَا يحدثهُمْ عن النَّبيِّ ﷺ إذ أَوْمَؤا إِلَى رَجُلٍ منْهُمْ فَطَعَنَهُ فأنفذه، فقال: اللهُ أَكْبَرُ فزتُ وربِّ الكَعْبَةِ، ثم مالوا على بَقية أصحابه فقتلوهُمْ إلا رَجُل أَعْرج صَعِدَ الجبلَ ـ قال همام وأراه آخر معه ـ فأخبرَ جبريلُ عليه السلامُ النَّبيَّ ﷺ أَنَّهمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ فَرضِيَ عَنْهُمْ وأَرْضَاهُمْ فَكُنَّا نَقْرَأُ أَنْ ﴿ بلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقينَا ربَّنَا فَرضِيَ عَنَّا وأَرْضَانَا ﴾ ثم نسخَ بعدُ فدعَا عليهمْ أَرْبَعينَ صَبَاحاً عَلَى رِعْلٍ وذَكْوَان وَبني لِحْيَان وبني عُصَيَّة الذينَ عَصَوُا اللهَ ورسولَهُ ﷺ**».

---

٣٦١ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١١ / ٢٧٩ في الجهاد، باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله، ح ٢٨٠١ .

أخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ٢٦٩ في المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، ح ٤٠٩١ .

وأخرجه الطبري في تفسيره لسورة آل عمران آية ١٦٩ ح ٨٢٢٤، ح ٣ / ٥١٥ عن أنس بن مالك.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣ / ٤٦ في الجهاد والسير، باب ثبوت الجنة للشهيد.

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه عن خاله وهو حرام بن ملحان رضي الله عنه في قصة استشهاده عندما قال لأصحابه السبعين وهو منهم الذين بعثهم رسول الله ﷺ من القراء إلى بني عامر فغدر بهم بنو سليم فقال حرام: «أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم مني قريبًا فتقدم فأمنوه فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذا

= أومؤا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه» أى أنه رضى الله عنه قام إليهم ينذرهم برسالة رسول الله ﷺ ويبلغهم ما فيها فغمزوا إلى رجل منهم يشيرون إليه بأن يقتل حرام الداعى رضى الله عنه فانبعث أشقاهم منفذاً ما أمر به فطعن حرام فنفذ الرمح إلى الشق الآخر فقتل رضى الله عنه. وقد أخرج الطبرى[1] فى تفسيره تفصيل هذا الحدث العظيم قال أنس: فخرج أولئك النفر من أصحاب النبى ﷺ حتى أتوا غاراً مشرفا على الماء قعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال ـ أراه بن ملحان الأنصارى ـ أنا أبلغ رسالة رسول الله فخرج حتى أتى حيا منهم، فاحتبي أمام البيوت ثم قال: يا أهل بئر معونة إنى رسول رسول الله ﷺ إليكم، أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال الله أكبر، فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل قال أنس: إن الله تعالى أنزل فيهم قرآنا، رفع بعدما قرأناه زماناً وأنزل الله، ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2]. قوله «فقال: «الله أكبر فزت ورب الكعبة» أى كبر فرحا بفوزه بالشهادة فقال فزت أى فزت برضوان الله تعالى والشهادة فى سبيله لأنى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ قوله «ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجل أعرج صعد الجبل» وفى المغازى: فقتلوا كلهم غير الأعرج كان فى رأس جبل» أى استدار الكفار لعنهم الله تعالى على بقية أصحاب حرام رضى الله عنهم أجمعين فقتلوهم غير أعرج فر إلى رأس جبل فنجاه الله تعالى منهم قوله: «فأخبر جبريل عليه السلام النبى ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم، أي نعاهم جبريل عليه السلام إلى النبيﷺ وأخبره برضى الله تعالى عنهم قال النووى[3] : فيه فضيلة ظاهرة للشهداء وثبوت الرضا عنهم =

(١) أخرجه الطبرى فى تفسير سورة آل عمران ٣ / ١٧٠ ح ٨٢٢٤ بسنده إلى أنس بن مالك.

(٢) سورة آل عمران آية (١٦٩).

(٣) شرح مسلم ١٣ / ٤٦ .

ولهم وهو موافق لقوله تعالى ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾[1] قال العلماء رضى الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه أ هـ ونزل فى ذلك قرآن كريم ثم نسخ لفظه إلى لفظ أفضل كما قال تعالى ﴿ **ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير** ﴾[2] ويفسر ذلك برواية المغازى ففيها فأنزل الله تعالى علينا ثم كان من المنسوخ ﴿ **إنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا** ﴾ قوله: «فكنا نقرأ ﴿ **أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا** ﴾ **ثم نسخ بعد أى بقوله تعالى** ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[3] قال الحافظ[4]: أى المنسوخ تلاوته فلم يبق له حكم حرمة القرآن لتحريمه على الجنب وغير ذلك أ هـ وقد فسرت رواية الطبرى[5] ذلك قوله: «فدعا عليهم أربعين صباحاً على رعل وذكوان وبنى لحيان وبنى عصية الذين عصوا الله ورسوله ﷺ «أى قنت رسول الله ﷺ فى صلاة الفجر أربعين صباحاً يدعو على هؤلاء المشركين والله أعلم.

---

(١) سورة البينة آية (٨).

(٢) سورة البقرة (١٠٦).

(٣) سورة آل عمران آية (١٦٩).

(٤) فتح البارى ١٥ / ٢٦٩.

(٥) أخرجه الطبري في تفسير سورة آل عمران ٣/ ١٧٠ ح٨٢٢٤ بسنده إلى أنس بن مالك.

مبحث : الطاعون شهادة للمسلم ورحمة له وعذاب للكافر

٣٦٢ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»**.

٣٦٣ ـ وعن عَائِشَةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنهاَ سألتْ رسولَ الله ﷺ عن الطاعونِ فأخبرَها نبيُّ الله ﷺ **«أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فيمكثُ في بلده صابراً يعلمُ أنهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»**.

---

٣٦٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢١ / ٣١٦ فى الطب باب ما يذكر فى الطاعون، ح ٥٧٣٢ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣ / ٦٣ فى الإمارة، باب بيان الشهداء.

٣٦٣ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢١ / ٣١٦ فى الطب، باب ما يذكر فى الطاعون، ح ٥٧٣٤ .

المعنى

أما الحديث الأول فيخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم»: أى مرض الطاعون إذا ابتلى به مسلم نال درجة الشهادة فى سبيل الله تعالى. قال الحافظ[1] : فى المراد بالطاعون أنه الذى ينشأ عن طعن الجن فيهيج بذلك الطعن الدم فى البدن فيقتل ثم قال: والمراد بالمطعون من طعنه الجن أ هـ وقال النووى[2] : وأما المطعون فهو الذى يموت فى الطاعون» أ هـ وأما الحديث الثانى الذى سألت فيه عائشة النبى ﷺ عن الطاعون» أى ما هو» فأخبرها نبى الله ﷺ أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين» أى =

---

(١) فتح البارى ٢١ / ٣١٤ .

(٢) شرح مسلم ١٣ /٦٢ .

= كان قبلنا عذاباً للعصاة والكفار يعاقبهم الله تعالى به لكن فى هذه الأمة الحنيفية جعله الله تعالى شهادة ورحمة للمؤمنين بشرط الصبر والرضا والتسليم لقدر الله تعالى، قال الحافظ[1]: فى أن كون الطاعون رحمة إنما هو خاص بالمسلمين قال الحافظ[1]: وإذا وقع بالكفار إنما هو عذاب عليهم يعجل لهم فى الدنيا قبل الآخرة أهـ ثم قال[2] : ويحتمل أن يقال: بل تحصل له - أي للمسلم العاصى - درجة الشهادة لعموم الأخبار الواردة كحديث «الطاعون شهادة لكل مسلم» ولا يلزم من حصول درجة الشهادة لمن اجترح السيئات مساواة المؤمن الكامل فى المنزلة لأن درجات الشهداء متفاوتة أ هـ قوله «فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث فى بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد» أى ما من عبد يصيبه الطاعون أو يقع الطاعون فى بلده فيقيم فيها لا يفر منها صابراً لقدر الله تعالى راضيا به غير شاك ولا مضجر يعلم أنه لا يلحقه ويصيبه إلا ما قد قدره الله تعالى له أزلاً قبل أن يخلق فهذا الذى له أجر الشهيد كما قال تعالى ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[3] قال الحافظ[2]: قوله «فليس من عبد» أى مسلم قوله «يقع في الطاعون أى فى مكان هو فيه قوله» فيمكث فى بلده» أى التى وقع فيها الطاعون قوله «صابراً» أى غير منزعج ولا قلق بل مسلماً لأمر الله راضياً بقضائه وهذا قيد فى حصول أجر الشهادة لمن يموت بالطاعون وهو أن يمكث بالمكان الذى وقع به فلا يخرج فراراً منه وقوله «يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له» قيد آخر وهي جملة حالية تتعلق بالإقامة فلو مكث متندماً ظاناً أنه لو خرج لما وقع به الطاعون أصلاً ورأساً وأنه بإقامته يقع به فهذا لا يحصل له أجر الشهيد لو مات بالطاعون، هذا الذى يقتضيه مفهوم هذا الحديث قوله: «مثل أجر الشهيد» لعل السر فى التعبير بالمثلية مع ثبوت التصريح بأن من مات بالطاعون كان شهيداً أن من لم يمت من هؤلاء بالطاعون كان له مثل أجر الشهيد ويكون كمن خرج على نية الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فمات بسبب غير القتل وأما ما اقتضاه مفهوم حديث الباب أن من اتصف بالصفات المذكورة ووقع به الطاعون ثم لم يمت منه أنه يحصل له ثواب الشهيد أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٢١/٣١٤.

(٢) فتح البارى ٢١ / ٣١٧، ٣١٨ .

(٣) سورة التوبة آية (٥١).

مبحث : الجنة تحت ظلال السيوف

٣٦٤ ـ عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**واعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ**».

---

٣٦٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٩٧ فى الجهاد، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ٢٨١٨ .

المعنى

يخبرنا عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أى أن الجهاد بالسيف إذا سقط الإنسان منه قتيلاً فى ساحة القتال تحت ظلال السيوف الملتقية أدى ذلك به إلى جنة الله عز وجل فى النعيم المقيم قال الحافظ[1] : قال القرطبى: وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ فإنه أفاد الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف والإجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظلل المقاتلين، وقال ابن الجوزى: المراد أن الجنة تحصل بالجهاد والظلال جمع ظل، وإذا تدانى الخصمان صار كل منهما تحت ظل سيف صاحبه لحرصه على رفعه عليه ولا يكون ذلك إلا عند التحام القتال أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ١١ / ٢٩٧ .

مبحث : ثبوت الجنة للشهيد

٣٦٥ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بَدْرٍ فقال: يا رَسُولَ اللهِ، غبتُ عن أول قاتلت المشركينَ: لَئِنْ اللهُ أشهدنى قتالَ المشركينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون قال: اللهم إنى أَعْتَذِرُ إليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه، وأَبْرَأُ إليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين، ثم تقدم فاستقبله سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فقال يا سعد بن معاذ، الجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ، إنى أَجِدُ رِيحَهَا من دُون أُحُدٍ قال سعد: فما استَطَعْتُ يا رسول الله ما صنع أنس، فوجدنا به بِضْعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بِرُمْحٍ أو رَمْيَةً بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مَثَّلَ به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بِبَنَانِهِ، قال أنسَ: كنا نَرَى أو نَظُنُّ إن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ **إلى آخر الآية.**

---

٣٦٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٨٢ فى الجهاد، باب قول الله عز وجل ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.... ﴾ الآية ح ٢٨٠٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٤٧، ٤٨ فى الامارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

وأخرجه أبو داود الطيالسى ٨ / ٢٧٢ مسند ثابت عن أنس ح ٢٠٤٤ .

قوله: «بنانه» البنان: الأصابع وقيل أطرافها واحدتها بنانه. أ هـ نهاية ١ / ١٥٧ .

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن عمه أنس بن النضر رضى الله عنه أنه غاب عن يوم بدر فى الغزوة المشهورة التى شهدها أفاضل المسلمين أنه قال: «يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين» وعند مسلم: «فشق عليه قال: أول مشهداً

= شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه» أي كيف يحدث هذا. أ هـ قوله «لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرن الله ما أصنع» وعند مسلم: «وان أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع» أي لإن أكرمني الله تعالى بلقاء تان مع رسول الله ﷺ لأفعلن بالمشركين أفعالاً ترضى الله تعالى عنى يعجب منها سبحانه قال النووى[1] : ومعناه ليرين الله الناس ما أصنعه ويبرزه الله تعالى لهم. أ هـ قوله: «فلما كان يوم أحد» أي يوم غزوة أحد قوله: «وانكشف المسلمون» أى انهزموا وتفرقوا عن النبي ﷺ ثم اجتمعوا عليه ﷺ لما علموا أنه حيي ما مات وقد فصلت ذلك بحمد الله تعالى في فصل ما كان عليه الصحابة من شدة حبهم للنبي ﷺ ودفاعهم عنه قوله: «قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه» أى عندما فروا قوله: «وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين» أى من قتالهم المسلمين وإصرارهم على الكفر وجرحهم نبيهم ﷺ قال الحافظ[2] : قوله: أعتذر: أى من فرار المسلمين، وأبرأ: أي من فعل المشركين. أ هـ قوله: «ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ «أى منهزماً مع من انهزم وهذه رواية زادها ثابت عن أنس عند أبي داود الطيالسى[3] ففيها: «فلما كان يوم أحد من العام المقبل شهد فرأى سعد بن معاذ منهزما» قوله «فقال: يا سعد بن معاذ: الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد» وعند مسلم: واهاً لريح الجنة أجده دون أحد» قال النووى[1]: قال العلماء: واهاً كلمة تحنن وتلهف، قوله: «أجده دون أحد» محمول على ظاهره وأن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام. أ هـ قوله: «قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس» وزاد الطيالسى: «فقاتل حتى قتل» قال الحافظ[2]: وظاهره أنه نفى استطاعة إقدامه الذى صدر منه حتى وقع له ما وقع من الصبر على تلك الأهوال بحيث وجد في جسده ما يزيد على الثمانين من طعنة وضربة ورمية، =

(١) شرح مسلم ١٣ / ٤٨ .

(٢) فتح البارى ١١ / ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسى ص ٢٧٢ ح ٢٠٤٤ .

= فاعترف سعد بأنه لم يستطع أن يقدم إقدامه ولا يصنع صنيعه. أ هـ قوله: «فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربه بالسيف أو طعنة برمح أو رميه بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه »قال الحافظ[1] أو: هنا للتقسيم ويحتمل أن تكون بمعنى الواو وتفضيل كل واحد من المذكورات غير معين، أ هـ أى وجدنا به أكثر من ثمانين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم قال الحافظ: «وقد مثل به» بضم الميم وكسر المثلثة وتخفيفها وقد تشدد وهو من المثلة وهو قطع الأعضاء من أنف وأذن ونحوها. أ هـ قوله: «فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه» وعند الطيالسى «وكان حسن البنان» قال الحافظ[1] والبنان الإصبع وقيل طرف الإصبع. قوله كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...﴾[2] إلى آخر الآية أى نزلت بسبب ما فعله أنس من صدقه ما عاهد عليه ربه تعالى وأنه انتظر وما بدل والله أعلم وهناك مثل آخر لرجل منهم رضى الله عنه هذه قصته فعن شداد بن الهاد رضى الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبى ﷺ سبياً فقسم وقسم له فأعطى أصحابه قسم له وكان يرعى ظهورهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا قالوا: قسم قسمه لك النبى ﷺ فأخذه فجاء به النبى ﷺ فقال: ما هذا قال: قسمته لك قال: ما على هذا اتبعتك ولكنى على أن أرمى إلى ها هنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: «إن تصدق الله يصدقك فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبى ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى ﷺ «أهو هو» قالوا: نعم قال: «صدق الله فصدقه» ثم كفنه النبى ﷺ فى جبة النبى ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك[3] ﷺ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١١/٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) سورة الأحزاب آية (٢٣).

(٣) أخرجه النسائى فى سننه ٤ / ٢٦٠ فى الجنائز، باب الصلاة على الشهداء.

مبحث : الخصال التي يتحقق بها الشهادة

٣٦٦ ـ عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، والمَبْطُونُ، والغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، والشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ»

---

٣٦٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٣٠٨ فى الجهاد، باب الشهادة سبع سوى القتل ح ٢٨٢٩.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٦٢ فى الإمارة، باب بيان الشهداء.

قوله «المطعون» يقال طعن الرجل فهو مطعون وطعين إذا أصابه الطاعون. أ هـ نهاية ٣ / ١٢٧ .

قوله «المبطون» أى كالذى يموت بمرض بطنه كالاستسقاء ونحوه. أ هـ نهاية ١٣٦/١ .

قوله «صاحب الهدم» قال ابن الأثير، وفى حديث الشهداء «صاحب الهدم شهيد» الهدم بالتحريك: البناء المهدوم، فعل بمعنى مفعول، وبالسكون الفعل نفسه. أ هـ نهاية ٥ / ٢٥٢ .

المعنى العام

قال الله تعالى ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] الآيات فما أعظمها من مرتبة ولكن من ينالها قليل لذلك ألحق بها أرحم الراحمين غيرها فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم»؟ قالوا: يا رسول الله: من قتل فى سبيل الله فهو شهيد قال: إن شهداء أمتى إذاً لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله قال: من قتل فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، ومن مات فى البطن =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦٩).

= فهو شهيد..»(١) وهنا يفصل لنا أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «الشـهداء خمسة» قال النووى(٢) : وفى رواية مالك فى الموطأ(٣) من حديث جابر بن عتيك الشهداء سبعة قلت: ولفظه: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله»: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة» قال وهذا الحديث الذى رواه مالك صحيح بلا خلاف وإن كان البخارى ومسلم لم يخرجاه. أ هـ وقد ترجم الإمام البخارى لذلك باب الشهادة سبع سوى القتل ولم يذكر حديث السبعة لأنه ليس على شرطه وذكر الخمسة.

قال الحافظ بن حجر(٤) : والذى يظهر أنه ﷺ أعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها فى وقت آخر.

ولم يقصد الحصر فى شئ من ذلك وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة. أ هـ قوله: «المطعون» قال النووى(٢): فأما المطعون فهوالذى يموت فى الطاعون. أ هـ وقال ابن الأثير(٥) فى النهاية: طعن الرجل فهو مطعون وطعين إذا أصابه الطاعون. أ هـ قوله: «والمبطون» قال ابن الأثير(٦) : أى الذى يموت بمرض بطن كالاستسقاء ونحوه. أ هـ قوله: «والغرق» قال النووى(٢): فهو الذى يموت غريقاً فى الماء. أ. هـ (قوله: «وصاحب الهدم شهيد» الهدم بالتحريك البناء المهدوم، فعل بمعنى مفعول، وبالسكون الفعل نفسه. أ هـ قوله: «والشهيد فى سبيل الله عز وجل «قال القسطلانى(٧) : «والشهيد» القتيل» فى سبيل الله أى الذى لا يغسل ولا يصلى عليه =

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٦٢ فى الإمارة، باب بيان الشهداء.

(٢) شرح مسلم للنووى ١٣ / ٦٢، ٦٣.

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ ١ / ٢٣٣ فى الجنائز، باب النهى عن البكاء على الميت.

(٤) فتح البارى ١١ / ٣٠٩ .

(٥) النهاية لابن الأثير ٣ / ١٢٧ .

(٦) النهاية لابن الأثير ١ / ١٣٦ .

(٧) إرشاد السارى ٢٣ / ٢٩ .

= بخلاف الأربعة السابقة فالحقيقة الأخير، والذى قبله مجاز فهم شهداء كثواب الشهيد. أ هـ قال ابن حجر: إختلف فى سبب تسمية الشهيد شهيداً ثم ذكر أقوالاً كثيرة كلها أو غالبها مقبولة معقولة يجمعها قوله فى آخرها وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا. أ هـ قال ابن التين[1] هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة فى أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء. أ هـ والله أعلم فاللهم ارزقنا الشهادة فى سبيلك مقبلين غير مدبرين صابرين محتسبين آمين.

(١) فتح الباري ١١/٣٠٩.

مبحث : من قتل دون ماله فهو شهيد

٣٦٧ ـ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

---

٣٦٧ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠ / ٢٠٨ فى المظالم، باب من قتل دون ماله، ح ٢٤٨٠ .

المعنى

يروى لنا عبد الله بن عمرو عن نبينا ﷺ أنه قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد» أى من الشهداء عند الله يوم القيامة من قتل دفاعاً عن ماله الذى أريد اغتصابه منه بغير حق فقام دفاعاً عنه فقتل، ذكر الحافظ[1] ، عن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى أنه قال: من أريد ماله أو نفسه أو حريمه فله الاختيار أن يكلمه أو يستغيث، فإن منع أو امتنع ـ أى المعتدى ـ لم يكن له ـ أى لصاحب المال ـ قتاله ـ وإلا ـ أى إن لم يمتنع والعياذ بالله تعالى ـ فله أن يدفعه عن ذلك ولو أتى على نفسه فليس له عقل ولا دية ولا كفاره لكن ليس له عمد قتله أ هـ. ولكن هناك حديث لمسلم[2] أوضح من ذلك عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله» قال: أرأيت إن قتلنى؟ قال: «فأنت شهيد» قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو فى النار» والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ١٠ / ٢٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ٢١٥، ٢١٦ فى الإيمان، ح ٢٥٥/ ١٤٠، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره ... الخ.

مبحث : من قتل دفاعاً عن ماله ودمه ودينه فهو شهيد

٣٦٨ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ»

٣٦٩ ـ وعن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.

---

٣٦٨ ـ أبو داود في سننه ١٣/١٢١ في آخر كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، ح ٤٧٤٥.

وأخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٨١ في الديات، باب ما جاء من قتل دون ماله فهو شهيد، ح ١٤٣٨ وقال: هذا حديث صحيح، واللفظ للترمذي.

٣٦٩ أخرجه أبو داود في سننه ١٣/١٢١ في كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، ح ٤٧٤٦.

وأخرجه الترمذي في سننه ٤ / ٦٨١ في الديات، باب ما جاء من قتل دون ماله فهو شهيد، ح ١٤٤٩ وقال هذا حديث حسن صحيح. اللفظ للترمذي.

وأخرجه النسائي في سننه ٧ / ١١٦ في تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد» أي من أراد غاصب والعياذ بالله تعالى ـ أن يغصب ماله سواء بسرقه أو بغي أو نحوهما فله منعه ولو بالمقاتلة إن لم يمتنع بغيرها فإن قتل في ذلك دفاعاً عن ماله فالله عز وجل من رحمته لعلمه بطبيعة البشر أنهم لا تطيب أنفسهم لترك العدوان بلا دفع ورد فمن رد ودفع فقتل فيكرمه الله تعالى بدرجة الشهادة قال أبو الطيب صاحب عون المعبود[1] : «من أريد ماله» أي أخذ ماله «فقاتل» أي في الدفع عنه «فهو شهيد» أي من شهداء الآخرة بمعنى أن له أجر شهيد. أ هـ وقال ابن عبد الرحمن المباركفوري صاحب التحفة[2] : «من أريد ماله» بالرفع أي الإنسان الذي أراد إنسان =

---

(١) عون المعبود ١٣ / ١٢١ .

(٢) تحفة الأحوذي ٤/٦٨١.

= آخر أن يأخذ ماله «بغير حق» أي ظلماً «فقاتل» أي ذلك الإنسان الذي هو مالك المال دون ماله «فقتل» بصيغة المجهول أي مالك المال «فهو» أي مالك المال المقتول «شهيد» أي في حكم الآخرة. أ هـ والله أعلم.

وفي الحديث الثاني يخبرنا سعيد بن زيد عن نبينا ﷺ أنه قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد» كما تقدم تفصيله في الحديث السابق قوله: «ومن قتل دون دمه فهو شهيد» أي من أريد سفك دمه وقتله بغير حق فله أن يدفع عن نفسه بل وجب فإن أصيب أثناء دفاعه عن نفسه فقتل فَقَتْلُهُ هذا شهادة ينال بها مرتبة الشهداء من رحمة الله عز وجل وقد قال النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[1] قال صاحب التحفة[2]: «من قتل دون دمه» أي في الدفع عن نفسه. أ هـ وقال العلقمي[3]: أي في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين. أ. هـ زاد النسائي وأبو داود «ومن قتل دون أهله فهو شهيد» قال صاحب التحفة[2]: أي في الدفع عن بضع حليلته أو قريبته «فهو شهيد» لأن المؤمن محترم ذاتاً ودماً وأهلاً ومالاً فإذا أريد منه شئ من ذلك جاز له الدفع عنه فإذا قتل بسببه فهو شهيد. أ هـ قوله: ومن قتل دون دينه فهو شهيد» هذا هو الأصل وهو الذي شرع من أجله الجهاد وفصلت فصائله من حركة ونفقة وسهر وقتل وشهادة ونحوهم هو الدفاع عن الإسلام وإظهار شعائره وحفظ عموده وإعلاء كلمة الله عز وجل فمن قتل دون الإسلام فهو الشهيد في سبيل الله عز وجل صاحب أعلى مراتب الشهادة الذي يغفر له كل شئ، قال صاحب التحفة[2]: «ومن قتل دون دينه» أي في نصرة دين الله والذب عنه. أ هـ وقال السندي[4]: قوله: «ومن قتل دون دينه» أي من أراده أحد ليفتنه في دينه وإلا يريد قتله فقبل القتل أو قاتل عليه حتى قتل فهو شهيد، قال: وجوز له إظهار كلمة الكفر مع ثبوت القلب على الإيمان والأولى الصبر على القتل والله تعالى أعلم. أ هـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦ / ٢٠ في الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس.. الآية﴾ ح٦٨٧٨.

(٢) تحفة الأحوذي ٤/٦٨١.

(٣) عون المعبود ١٣/١٢١.

(٤) حاشية سنن النسائي الصغرى ٧/١١٧.

مبحث : في من مات مرابطاً

٣٧٠ ـ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كُلُّ ميتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِه إلاَّ الذى ماتَ مرابطاً فِي سبيلِ اللهِ فإنهُ يُنمَى لهُ عملُهُ إِلى يومِ القيامَةِ ويَأْمَنُ فِتْنَةَ القَبْرِ**»

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**».

---

٣٧٠ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٢٤٩ فى فضائل الجهاد، باب فضل من مات مرابطاً، ح ١٦٧١ وقال حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو داود فى سننه ٧ / ١٧٧ فى الجهاد، باب فضل الرباط، ح ٢٤٨٣ .

وأخرجه أحمد فى المسند ٦ / ٢٠، ٢٢

قوله: «مرابطاً» الرباط الإقامة على جهاد العدو بالحرب. أهـ نهاية ٢ / ١٨٥ .

قوله: «ينمى» نمى الشئ ينمى بفتح الياء وينمو إذا زاد وارتفع. أ هـ نهاية ٥/١٢٠.

المعنى

يخبرنا فضالة بن عبيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة» أى كل ميت ينقطع عمله بموته فلا يزاد ولا ينقص فى ثوابه إلا الذى أقام على جهاد العدو مرابطاً فى سبيل الله تعالى وإذا استشكلنا بحديث[1] أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» أقول وبالله التوفيق أن ابن آدم إذ مات انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» إلا المرابط فإنه لا ينقطع عمله حتى ولو لم يكن من الثلاث شيئاً أو أنه يدخل فى الحديث ويحسب له الرباط =

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١١ / ٨٥ فى الوصية، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت.

= صدقه جاريه لأن أثر رباطه قد ينتج عنه فتح ونصر للمسلمين فيبقى أثر الخير بالفتح وظهور الإسلام وعلوه له منه نصيب بسبب دخوله فى سبب وجوده والله أعلم والحمد لله وحده. قال صاحب التحفه[1] : «كل ميت يختم على عمله» بصيغة المجهول أى لا يكتب له ثواب جديد. أ هـ قوله «فإنه ينمى له عمله» قال: بفتح الياء وكسر الميم أى يزيد، ويجوز أن يكون بضم الياء وفتح الميم من الإنماء أى يزاد بأن يصل إليه كل لحظة أجر جديد، فإنه فدى نفسه فيما يعود نفعه على المسلمين وهو إحياء الدين بدفع أعدائهم من المشركين قوله «ويأمن فتنة القبر» أى مع ذلك. أ هـ أى لا يفتن فى قبره الفتنة التى تحدث لغيره، قال: ولعله بهذا امتاز عن غيره الوارد فى حديث مسلم[2] عن أبى هريرة مرفوعاً «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة... الحديث» أ هـ قال صاحب عون المعبود[3] : قال العلقمى: يحتمل أن يكون المراد الملكين لا يجيئان إليه ولا يختبرانه بل يكفى موته مرابطاً فى سبيل الله شاهداً على صحة إيمانه. أ هـ قوله: «المجاهد من جاهد نفسه» أى أصل الجهاد جهاد شهوات النفس الأمارة بالسوء فإذا قومها وانتصر عليها انتصر على أعدائه واستطاع أن يجاهد فى سبيل الله تعالى قال صاحب التحفة[1]: قوله: «المجاهد من جاهد نفسه» زاد فى رواية «لله» أى قهر نفسه الأمارة بالسوء على ما فيه رضا الله من فعل الطاعة وتجنب المعصية وجهادها أصل كل جهاد فإنه ما لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو الخارج. أ.هـ والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذى ٥ / ٢٥٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١١/٨٥ في الوصية، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت.

(٣) عون المعبود ٧ / ١٧٨ .

مبحث : النبي والشهيد والمولود والوئيد في الجنة

٣٧١ ـ عن حسناء بنت معاوية الصريمية قالت: حدثنا عمي قال: قلت للنبي ﷺ من في الجنة؟ قال: «**النَّبيُّ فِي الجَنَّةِ والشَّهِيدُ فِي الجَنَّةِ، والمُولُودُ فِي الجَنَّةِ والوَئِيدُ فِي الجَنَّةِ**».

---

٣٧١ ـ أخرجه أبو داود في سننه ٧ / ١٩٦ في الجهاد، باب في فضل الشهادة ح ٢٥٠٤ .

وأخرجه البزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن معاوية بن صالح وهو ثقة أ هـ مجمع الزوائد ٧ / ٢١٩ / ٤٤٣ ح ١١٩٥٢ .

أخرجه البيهقي في سننه الكبرى عن حسناء عن عمها ٩ / ٢٧٥ / ١٦٣ في السير، باب فضل الشهادة في سبيل الله عز وجل، ح ٨٥٢١ من طريق إلى شيخ أبو داود مسدد... به باختصار.

قوله: «الوئيد» أي المؤود، ووأد البنات أي قتلهن، كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت وأدها في التراب وهي حيث يقال: وأدها يئدها وأداً فهي موؤدة أ هـ نهاية ٥ / ١٤٣ .

المعنى

يخبرنا عم حسناء بنت معاوية قال المنذري[١] : هو أسلم بن سليم رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: «من في الجنة» أي من من الناس وأصنافهم يكون في الجنة فهو سؤال عن الأصناف لا الأشخاص سؤال عن أنواع الناس عموماً، قال ﷺ «النبي في الجنة» أي كل نبي في الجنة بلا شك فهم أشراف الناس وأصلحهم وأخشاهم له وأعبدهم له وأعلمهم به سبحانه قال نبينا ﷺ : «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٢] فلما كان أعلم، كان أخشى ﷺ كما قال تعالى ﴿**إنما يخشى الله من عباده** =

---

(١) عون المعبود ٧ / ١٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢ / ٣١٢ في الأدب، ح ٦١٠١ .

= العلماء ﴾[1] ، قوله ﷺ: «والشهيد فى الجنة» وقد تقدم الكلام كثيراً فى الشهيد والشهادة وأنها من أعلى المراتب ولا يسبقها إلا مراتب النبوة ثم الصديقية وهى تتنافس مع مراتب العلماء وقد تقدم الكلام عليها كثيراً قال تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[2] قوله ﷺ: «والمولود فى الجنة» أى من مات من المسلمين صغيراً سواء كان سقطاً أم نطق واستهل أو مات طفلاً، قال صاحب عون المعبود[3] : قال الخطابى: الطفل الصغير والسقط ومن لم يدرك الحنث ـ أى هو المولود ـ أ هـ فهذا فى الجنة أيضاً وقد قال النبى ﷺ: «والوئيد فى الجنة» الذى قتل ظلماً حياً فى الجنة كما كان يفعل أهل الجاهلية يئدون البنات أحياء بل وربما أحيانا البنين خوفا على الرزق لذلك قال الله تعالى لهم ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ـ الآية ﴾[4]. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[5] قال صاحب عون المعبود[3] «والوئيد هو الموؤد أى المدفون فى الأرض حياً، وكانوا يئدون البنات ومنهم من كان يئد البنين أيضاً عند المجاعة والضيق يصيبهم أ هـ والله أعلم.

(١) سورة فاطر آية (٢٨).
(٢) سورة النساء آية (٦٩).
(٣) عون المعبود ١٩٦/٧.
(٤) سورة الاسراء آية (٣٢).
(٥) سورة التكوير آية (٨).

مبحث : جوائز الشهيد

٣٧٢ ـ عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشّهيد عنَد اللهِ ستّ خصالٍ: يغفرُ لهُ في أولِ دفعةٍ، ويرَى مقعدهُ من الجنة، ويجارُ من عذاب القَبرِ، ويَأْمَنُ منَ الفزِع الأكبرِ، ويُوضَعُ علىَ رأسه تاجُ الوقار، الياقوتةُ منها خيرٌ من الدُنْيَا وما فيِها، ويزوجُ اثْنَتَينِ وسَبْعِين زوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، ويُشَفّعُ في سبعين من أقاربه**».

---

٣٧٢ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٣٠٢ فى أبواب فضائل الجهاد، باب ـ ح ١٧١٢ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢ / ٩٣٦ فى الجهاد، باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى، ح ٢٧٩٩ .

وأخرجه أحمد فى المسند ٤ / ١٣١ من حديث ابن عياش تابع فيه بقية عن بحير ابن سعد... به.

المعنى

يخبرنا المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للشهيد عند الله ست خصال» أى ست فضائل وجوائز وعطايا خاصة به قال المباركفورى صاحب تحفة الأحوذى[1] : لا يوجد مجموعها لأحد غيره أ هـ قوله: «يغفر له فى أول دفعة» أى أول كمية من دمه تسيل منه عند ـ القتل فى سبيل الله تعالى قال صاحب التحفة: أول دفعة: بضم الدال المهملة وسكون الفاء هى الدفقة من الدم وغيره قال المنذرى أى تمحى ذنوبه فى أول صبة من دمه أ هـ قوله «ويرى مَقْعَدُهُ من الجنة» قال القارى: وينبغى أن يحمل قوله: ويرى مقعده «على أنه عطف تفسير لقوله يغفر له لئلا تزيد الخصال على ست أ هـ قلت ولأن هذه الخصلة ليست خاصة به بل المحتضر المؤمن يرى مقعده من الجنة إن شاء الله تعالى كما تقدم فى الصحيح قوله: «ويجار من عذاب القبر» أى لا عذاب عليه فى القبر البتة ولو بعض الوقت ولو قليلاً لأن غيره قد =

---

(١) تحفة الأحوذى ٥ / ٣٠٣، ٣٠٤ .

= يعذب ولو كان مؤمناً إذا فعل ما يوجب ذلك ثم يرفع عنه قوله: «ويأمن من الفزع الأكبر» فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ **ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين** ﴾[1] فقد أخرج الطبرى[2] فى تفسيره بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿ **ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾ قال هم الشهداء. أ هـ قوله: «ويوضع على رأسه تاج الوقار» التاج أصلاً من ذهب لكن هذا نكسى كسوة ما يستطيعها ويقدر عليها إلا رب البشر فيجعل مع الذهب وقاراً قال صاحب التحفة[3]: أى تاج هو سبب العزة والعظمة وفى النهاية: التاج ما يصاغ للملوك من الذهب والجواهر أ هـ قوله: «الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها» أى الياقوتة الواحدة خير من الدنيا وما فيها فكيف بالتاج كله فكيف بالوقار المكسى به، قال صاحب التحفة «الياقوتة منها» أى من التاج والتأنيث - أى فى قوله» منها - باعتبار أنه علامة العز والشرف أ هـ قوله: «ويزوج» قال: أى يعطى بطريق الزوجية قوله اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» وعند ابن ماجة «ويزوج من الحور العين» فيحمل المطلق على المقيد قال القارى[3]: فى التقييد بالثنتين والسبعين إشارة إلى أن المراد به التحديد لا التكثير ويحمل علي أن هذا أقل ما يعطى، ولا مانع من التفضل بالزيادة عليها أ هـ وهو كلام صالح وقوله: «من الحور العين» قال صاحب التحفة. أى نساء الجنة واحدتها حوراء، وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها، والعين جمع عيناء وهى الواسعة العين أ هـ فهى أيضا التى يحار فيها الطرف من حسنها وكما سيأتى فى صفة الجنة إن شاء الله تعالى فى حديث أنها لو اطلعت على أهل الدنيا لأضاءت ما بين المشرق والمغرب».. الحديث «قوله: «ويشفع فى سبعين من أقاربه» وعند أحمد وابن ماجة «في سبعين إنسانًا من أقاربة» أي يقبل الله عز وجل شفاعته فيهم قال صاحب التحفة ويشفع بفتح الفاء المشددة على البناء للمجهول أى يقبل شفاعته أ هـ وأما الشهيد فهو الشهيد المقتول فى ساحة القتال أمام الكفار مقبلاً غير مدبر صابراً محتسباً وقد تقدم سبب تسميته شهيداً ومنه أنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى من الثواب والكرامة والله أعلم.

---

(١)سورة النمل آية (٨٧).

(٢) أخرجه الطبرى فى التفسير فى سورة النمل آية ٨٧ / ١٠ / ٢٠ح ٢٧١٢٠ .

(٣) تحفة الأحوذي ٥/٣٠٣، ٣٠٤.

مبحث: قول النبى ﷺ

يغفر للشهيد كل شئ إلا الدين

٣٧٣ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «يُغْفَرُ للشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْن».

---

٣٧٣ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٣٠ فى الجهاد والسير، باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة».

وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٢٢٠ عن يحى بن غيلان الذى تابع زكريا بن صالح شيخ مسلم كلاهما عن الفضل .. به.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين» وفى رواية لمسلم[1] أن رجلا قال للنبى ﷺ: أرأيت إن قتلت فى سبيل الله أتكفر عن خطاياى فقال رسول الله ﷺ نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك» أى يغفر لمن قتل فى سبيل الله مقبلاً على العدو الكافر غير فار منه صابراً على الجهاد ومشقته مخلصاً لله تعالى نيته لإعلاء كلمته ودينه أى لتكون كلمة الله هى العليا. كل ذنب أذنبه إلا الدين لأنه من حقوق العباد قال النووى[2] : فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهى تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو أن يقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر وفيه أن الأعمال لا تنفع إلا بالنية والإخلاص لله تعالى وقوله «مقبل غير مدبر» قال ولعله احتراز ممن يقبل =

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣ / ٢٩ فى الجهاد والسير، باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة.

(٢) شرح مسلم ١٣ / ٢٩ .

= فى وقت ويدبر فى وقت، والمحتسب هو المخلص لله تعالى فإن قاتل لعصبية أو نحوها فليس له هذا الثواب وأما قوله ﷺ: «إلا الدين» ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين وإنما يكفر حقوق الله تعالى أهـ بتصرف يسير وقال السندى[1] : قوله «إلا الدَّيْن» أى إلا ترك وفاء الدين إذ نفس الدين ليس من الذنوب والظاهر أن ترك الوفاء ذنب إذا كان مع القدرة على الوفاء فلعله المراد والله أعلم أ هـ والله المستعان.

(١) حاشية النسائى الصغرى ٦ / ٣٤ .

مبحث : قول النبى ﷺ عمن قتل واستشهد

«هذا منى وأنا منه»

٣٧٤ ـ عن أبى برزة أن النبى ﷺ كـان فى مغـزى له فَأَفَـاءَ اللّهُ عليه فـقال لأصحابه: «هَلْ تَفْقِدُونَ منْ أَحَدٍ» قالوا : نعمْ فلاناً ، وفلاناً ، وفلاناً ثم قال «هلْ تفقـدونَ منْ أَحَدٍ» ؟ قالوا نعمْ: فلاناً وفلاناً وفلاناً ثم قال : «هلْ تفقدونَ من أحد» ؟ قالوا : لاَ ، قال : «لَكنّى أَفْقدُ جُلَيْبِياً فاطْلبُوهُ» ، فَطُلبَ فى القتلىَ فوجدُوهُ إلى جنب سَبعَة قد قتلهُمْ ثم قَتَلُوهُ ، فأتى النبى ﷺ فوقفَ عليـه فقالَ : «قَتَلَ سبعةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا منىّ وَأَنَا منْهُ ، هَذَا منّى وَأَنَا منْهُ» قال : فوضعَـهُ على سَاعديه ليس لهُ إلاَّ ساعدَا النبىَّ ﷺ قال : فحفرَ لهُ ووُضعَ فى قَبْرِه وَلَمْ يَذْكُرْ غُسْلاً» .

---

٣٧٤ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٦ / ٢٦ فى الفضائل، باب فضائل جليبيب.

وأخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٤٢١ عن كنانة بن نعيم عن أبى برزة بلفظه.

قوله: «مغزى» أى فى سفر غزو أ هـ نووى ١٦ / ٢٦ .

المعنى

يروى لنا أبو برزة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه كان فى مغـزى» قال النووى[١] أى فى سفـر غزو أ هـ قوله: «فـأفاء الله عليـه» أى غنمه الله تعالى غنائـم من الكفار بلا حرب ولا قتال قال ابن الأثير[٢] : الفئ هو ما حـصل للمسلمين من أمـوال الكفار من غير حـرب ولا جهـاد أ هـ وزاد أحمـد «فلما فـرغ من القتـال قال...» قـوله: «فقـال لأصحابه هل تفقدون من أحد» أى بعد فراغه ﷺ من القتال كما روى أحمد وسؤاله ﷺ عنه يشير إلى أحد بعينه كأنهم علموا القتلى إلا بعضهم ومنهم جليبيب رضى الله =

---

(١) شرح مسلم للنووى ١٦ / ٢٦ .

(٢) النهاية ٣ / ٤٨٢ .

= عنه وهم ما كانوا يشعرون بغيابه قوله: قالوا نعم فلاناً وفلاناً وفلاناً» أى سموا للنبى ﷺ أسماء ما فيها جليبيب وهو كرر السؤال لأجله فلذلك سأل ثانياً فقال: «هل تفقدون من أحد»؟ «قالوا نعم فلانًا وفلانًا وفلانًا»، أيضًا ما ذكروا جليبيًا فسأل ﷺ ثالثًا «هل تفقدون من أحدٍ»، فلما ذكروا كلهم ما حضرهم فى أذهانهم قالوا: لا »وعند أحمد السؤال مرة واحدة فلعله اختصار، بعض الرواة والغالب أنه سليمان بن داود الراوى عن حماد بن سلمة والله أعلم أو من دونه قوله ﷺ «لكنى» وعند أحمد ـ «لكن» بدون ياء «أفقد جليبيًا فاطلبوه» وعند أحمد «فالتمسوه» أى ابحثوا عنه فيكفيه اهتمام النبى ﷺ بشأنه ولم يهمل كبعض من سبقه قال ابن الجوزى[1] : قال ابن سعد: وسمعت من يذكر أن جليبيباً كان رجلاً من بنى ثعلبة حليفاً فى الأنصار أ هـ قوله «فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه» أى حارب سبعة من الكفار فقتلهم بتصريح رسول الله ﷺ بذلك إذ قتلهم هو لا غيره ثم استشهد رضى الله عنه لأن النبى ﷺ صرح بالرضا عنه فقال قوله: «فأتى النبى ﷺ فوقف عليه» أى أمامه فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه هذا منى وأنا منه، وعند أحمد: قتل سبعة ثم قتلوه» مرتين أيضاً فنال درجة صحبة النبى ﷺ ومرافقته فى هذا العمل الصالح العظيم قال النووى[2]: قوله ﷺ «هذا منى وأنا منه» معناه المبالغة فى اتحاد طريقتهما واتفاقهما فى طاعة الله تعالى أ.هـ قوله: قال: «فوضعه على ساعديه» أى ذراعيه قوله «ليس له إلا ساعدا النبى ﷺ وعند أحمد «فما كان له سرير إلا ساعدى النبى ﷺ « أي يحمله على ذراعيه هما سريره هنيئاً له ذكرها أبو برزة منقبة لجليبيب رضى الله عنه قوله: قال: «فحفر له ووضع فى قبره ولم يذكر غسلاً» أى لحد له كما هو معروف فى سنة نبينا ﷺ ووضع فى اللحد ولم يغسل كشهداء أحد رضوان الله عليهم أجمعين لأن دمهم يأتى يوم القيامة لونه لون الدم وعرفه عرف المسك أ هـ والله أعلم.

(١) صفة الصفوة ١ / ٧٢٤ .

(٢) شرح مسلم للنووي ٢٦/١٦.

مبحث : محبة النبى ﷺ

لآثار الخير ومواضع الشهادة

٣٧٥ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فقال: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْراهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ مَا بَيْنَ لابتيها**».

٣٧٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٥٧، فى المغازى، باب: من قتل من المسلمين يوم أحد، ح ٤٠٨٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٩ / ١٦٣ فى الحج، باب فضل أحد، فى ذكر أحد فقط.

وأخرجه أحمد فى المسند عن قتادة عن أنس مرفوعاً فى ذكر أحد فقط ٣/١٤٠.

قوله: «لابتيها» اللابتان: الحرتان واحداتهما: لابة وهى الأرض الملبسة حجارة سوداء وللمدينة لابتان. أ هـ شرح مسلم ٩ / ١٣٥ .

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه طلع له أحد أى ظهر له أحد عند قدومه من سفرة قيل من الحج وقيل من تبوك قال الحافظ[1] : وكأنه ﷺ تكرر منه ذلك القول أ هـ قوله: «فقال هذا جبل يحبنا ونحبه» سبحان الله بلغ من ارتقاء نبينا ﷺ وعلو شأنه إلى أنه يحب كل ما يحبه الله ولو كان ذلك المحبوب جماداً ويحب آثار الخير لحصول ما يقرب من مرضات الله تعالى عليها فالحب أصلاً لله عز وجل قال الحافظ[1]: وللعلماء فى معنى ذلك أقوال ثم ذكر أولها أنه على تقدير مضاف أهل أحد وهم الأنصار، ثانيتها يحبه لمحبة قربه أهله ولقياهم إذا رآه يذكره بذلك ثالثها وهى ما رأيته أرجحها ولفظه: أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال =

(١) فتح البارى ١٥ / ٢٥٧ .

= الجنة كما ثبت في حديث عمرو بن عوف مرفوعاً وفيه ضعف «أحد يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة... الحديث»[1] وقد خاطبه ﷺ لما اضطرب مخاطبة من يعقل فقال: اسكن أحد» ... الحديث[2] وقال السهيلي: كان ﷺ يحب الفأل الحسن والاسم الحسن ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحديه: قال: ومع كونه مشتقاً من الأحدية فحركات حروفه الرفع وذلك يشعر برفع دين الأحد وعلوه فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظاً ومعنى فخص من بين الجبال بذلك والله أعلم أ هـ وقال النووي[3] قيل معناه يحبنا أهله وهم أهل المدينة ونحبهم والصحيح أنه على ظاهره وأن معناه يحبنا هو بنفسه وقد جعل الله فيه تمييزاً والله أعلم. أ هـ قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها» يفسر التحريم بقية الحديث ففي مسلم[4] : إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها» وفي البخاري[5] : «إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف ... الحديث قال النووي[6] : والعضاه بالقصر وكسر العين شوك وتخفيف الضاد كل شجر فيه شوك. أ هـ قال النووي[7] : هذه الأحاديث حجة ظاهرة للشافعي ومالك وموافقيهما في تحريم صيد المدينة وشجرها. أ هـ والله أعلم.

---

(١) ذكره الهيثمي في الزوائد ٣ / ٦٨٧ وعزاه للطبراني في الكبير وقال فيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤ / ١٩٩ في فضائل الصحابة ح ٣٦٩٧ .
(٣) شرح مسلم ٩ / ١٦٢، ١٦٣ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٩ / ١٣٦ في الحج.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٨ / ١٦٧ في جزاء الصيد، باب لا ينفى صيد الحرم، ح ١٨٣٣.
(٦) شرح مسلم ٩ / ١٣٦ .
(٧) شرح مسلم ٩ / ١٣٨ .

مبحث : في رحمة النبي ﷺ بأهل الشهيد

٣٧٦ ـ عن أنس رضي الله عنه: «أنْ النَّبيَّ ﷺ لمْ يكنْ يدخلْ بيتاً بالمدينةِ غير بيتِ أم سُلَيْمٍ إلا علىَ أزواجه فقيل له فقال : إنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي» .

٣٧٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١١ / ٣١٧ في الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير ح ٢٨٤٤ .

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه عن نبيا ﷺ أنه لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه» أي أنه ﷺ كان يكثر الدخول عندها لا أنه كان لا يدخل علي غيرها قال الحميدي[١] لعله أراد على الدوام وإلا فقد تقدم أنه كان يدخل على أم حرام، وقال ابن التين[١]: يريد أنه كان يكثر الدخول على أم سليم وإلا فقد دخل على أختها أم حرام. أ هـ قال الحافظ[١]: بيت أم حرام وأم سليم واحد ولا مانع أن تكون الأختان في بيت واحد كبير لكل منهما فيه معزل فنسب تارة إلى هذه وتارة إلى هذه. أ هـ قوله «فقيل له» أي سئل ﷺ عن سبب ذلك قال الحافظ[١]: لم أقف على إسم القائل. أ هـ قوله: «فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي» أي سبب دخولي عليها هو رحمتها لأن أخاها حرام قتل في جيشي الذى أبعثه للجهاد، قال العيني[٢] . أخوها هو حرام بن ملحان قتل يوم بئر معونة. أ هـ وقال الحافظ[١]، والمراد بقوله معي أي مع عسكري أو على أمري وفي طاعتي لأن النبي ﷺ لم يشهد بئر معونة وإنما أمرهم بالذهاب إليها. أ هـ وقال الكرماني[٢]: كيف صار قتل الأخ سبباً للدخول على الأجنبية؟ قلت: لم تكن أجنبية كانت خالة لرسول الله ﷺ من الرضاع وقيل من النسب فالمحرمية كانت سبباً لجواز الدخول. أ هـ قلت وَقَتْلُ أخيها شهيداً في بعث النبي ﷺ سبب لكثرة الدخول رحمة منه ﷺ لها وصدق من قال له سبحانه ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٣] والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١١ / ٣١٧، ٣١٨.

(٢) عمدة القاري ١١ / ٣٨٣ .

(٣) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

مبحث : الشهيد من أول الداخلين الجنة

٣٧٧ ـ عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال: «عُـرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: شَهِيدٌ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ وَنَصَحَ لِمَوَالِيهِ».

---

٣٧٧ ـ أخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٢٧١ في فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهيد، وقال حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٤٢٥ من طريق هشام الدستوائي الذي تابع علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير ... به وزاد في لفظه.

المعنى

يخبـرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسـول الله ﷺ أنه قـال: «عـرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة» قال الطيبي[1] : أضاف أفعل إلى النكرة للاستغرق، أي أول كل ثلاثة من الداخلين في الجنة هؤلاء الثلاثة، وأما تقديم أحد الثلاثة على الآخرين فليس اللفظ إلا للتنسيق عند علماء المعـاني أهـ قال القاري[1] : لا شك أن الترتـيب الذكري يفيـد الترتيب الوجـودي في الجملة وإن لم يكن قطعياً كـما في آية الوضـوء أ هـ قوله «شهيد» أي شهـيد الجهاد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمـة الله عز وجل وهو المقصود إذا أطلق قوله: «وعفيف متعفف» وعند أحمد وعفيف متعفف ذو عيال» أي تورع عن الحرام والقرب منه وبالرغم من فقـره وكثرة عياله ولا يسأل أيضاً فـهو لا يقرب الحرام ولا يسأل الناس من الحـلال، قال صاحب الـتحفة: «وعـفيف» عن تعـاطي ما لا يحل «متعفف» أي على السؤال مكتف باليـسير منه عند طلب المفضول في المطعم والملبس، وقيل أي متنزه عمـا لا يليق به صابر عن مخالفة نفسه وهواه أ هـ قـوله: «وعبد أحسن عبـادة الله ونصح لمواليـه» أي وعبد مملوك صالح عـبد الله تعـالى بإخلاص وخـشوع وخضـوع واتباع مع القيـام بحق مواليه مـن الخدمة والنصح وغـيرهما، وعند أحـمد: =

---

(١) صاحب التحفة ٥ / ٢٧١ .

= «وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده» قال صاحب التحفة: «وعبد» أى مملوك «أحسن عبادة الله» بأن قام بشرائطها وأركانها وقال الطيبى: أى أخلص عبادته من قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1] «ونصح لمواليه» أى أراد الخير لهم وقام بحقوقهم أ هـ زاد أحمد: «وأول ثلاثة يدخلون النار» ثم قال: «وأما أول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يعطى حق ماله وفقير فجور» فالأول بسبب الظلم والثانى بسبب البخل والشح والثالث بسبب الكبر عافانا الله تعالى من النار وأسباب دخولها، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١ / ١٥٧ أول حديث وبلفظ «قال: أن تعبد الله كأنك تراه...»

مبحث: في قول النبي ﷺ عن الشهداء «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وتقديم الأكثر قرآناً.

٣٧٨ - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يجمعُ بينَ الرجلينِ مِنْ قتلَى أحدٍ فِي ثوبٍ واحدٍ، ثم يقول: **«أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذاً للقرآن؟» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فى اللَحْد**، وقال: **«أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هؤُلاَءِ يَوْمَ القِيامَةِ»**. وأمر **بدفنِهِمْ بدمائِهِمْ ولمْ يصلِّ عليهِمْ ولم يغسلُوا**.

---

٣٧٨ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٥٥ فى المغازى، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ح ٤٠٧٩ .

وأخرجه الترمذى فى سننه ٤ / ١٢٦ فى الجنائز، باب ما جاء فى ترك الصلاة على الشهيد، ح ١٠٤١ .

وأخرجه أبو داود فى سننه ٨ / ٤١٢ فى الجنائز، باب فى الشهيد، ح ٤١٢ .

قوله: «اللحد» الشق الذى يعمل جانب القبر لموضع الميت، لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه. أ هـ نهاية ٤ / ٢٣٦ .

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن نبينا ﷺ كان يجمع بين رجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد»، بل وقبر واحد، وأكثر من رجلين، فعند أبى داود[1] جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا أصابنا قرح وجهد فكيف تأمرنا؟ قال: «أحفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر قيل فايهم يقدم قال «أكثرهم قرآناً» أى للضرورة لقلة الأكفان وكثرة الموتى قال الحافظ[2] : وفيه جواز تكفين =

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ٩ / ٣٤ فى الجنائز، فى تعميق القبر.

(٢) فتح البارى ١٥ / ٢٥٦ .

= الرجلين فى ثوب واحد لأجل الضرورة إما يجمعهما فيه وإما يقطعه بينهما، وعلى جواز دفن اثنين فى لحد وعلى استحباب تقديم أفضلهما لداخل اللحد، وعلى أن شهيد المعركة لا يغسل. أ هـ قوله: «ثم يقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن» فيه تفضيله لحامل القرآن لفضيلة الكلام المحمول فى صدره على كل كلام إلا كلام الله عز وجل القرآن الكريم فلذلك لما اضطر رسول الله ﷺ لدفن أكثر من شهيد فى لحد جعل المقدم ناحية القبلة الأكثر حملاً للقرآن الكريم وعند الترمذى: «ثم يقول: «أيهما أكثر حفظاً للقرآن» إذا المراد بأكثر أخذاً للقرآن أى أكثر حفظاً للقرآن قال صاحب عون المعبود[1] : أيهم أكثر أخذاً أى حفظاً وقراءة للقرآن. أ هـ قوله: «فإذا أشير إلى أحد قدمه فى اللحد» قال صاحب عون المعبود: فإذا أشير له» كما عند أبى داود: أى للنبى ﷺ قدمه من التقديم أى ذلك الأحد فى اللحد. أ هـ قال ابن الأثير[2] : اللحد: الشق الذى يعمل فى جانب القبر لوضع الميت لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه. أ هـ قوله: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» قال الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [3] قال صاحب عون المعبود[1] : أى أشهد لهم بأنهم بذلوا أرواحهم لله تعالى. أ هـ فهى شهادة خاصة دون الشهادة العامة على الأمة كلها المذكورة فى الآية الكريمة قوله: «وأمر بدفنهم بدمائهم» أيضاً هذه خاصة بالشهيد للحديث الصحيح المتقدم عن رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله - والله أعلم - بمن يكلم فى سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»[4] فالدم فضيلة ظاهرة لهم يشهد لهم يوم =

---

(١) عون المعبود ٨ / ٤١٢ .

(٢) النهاية ٤ / ٢٣٦ .

(٣) سورة البقرة (١٤٣).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٨٠ فى الجهاد، باب من يجرح فى سبيل الله عز وجل، ح ٢٧٩٦ .

= القيامة قوله «ولم يصل عليهم ولم يغسلوا» بكسر اللام والسين قال الحافظ والمعنى ولم يفعل ذلك بنفسه ولا بأمره. أ هـ قال صاحب التحفة[1] : المراد بشهيد المعركة فى حرب الكفار ففى الصلاة عليه اختلاف مشهور. أ هـ قلت وهذا الحديث ناف للصلاة عليهم وهناك حديث أنه ﷺ صلى عليهم فى قبورهم قبل موته كما فى البخارى فعن عقبه بن عامر أن النبى ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت... الحديث[2] وأحسن ما وجدت من الجمع بين الحديثين ما قاله الزين بن المنير رحمه الله تعالى قال: ويحتمل أن يكون المراد باب مشروعية الصلاة على الشهيد فى قبره لا قبل دفنه عملاً بظاهر الحديثين. أهـ وذكر الحافظ بن حجر[3] رحمه الله تعالى عن أحمد أنه قال: الصلاة على الشهيد أجود وإن لم يصلوا عليه أجزأ. أ هـ والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذى ٤ / ١٢٦ .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٦ / ٢٥٧ فى الجنائز، باب الصلاة على الشهيد.
(٣) فتح البارى ٦ / ٢٥٥ .

مبحث: «قول النبي ﷺ لصرعى المشركين: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً» فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا

٣٧٩ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ كان يرينَا مصارعَ أهل بدرٍ بالأمسِ يقول: «**هَذَا مَصْرَعُ فلان غداً إنْ شاء اللهُ**» قال فقال عمرُ: فوالذي بعثهُ بالحقِّ ما أخطَؤُا الحدودَ التي حَدَّ رسولُ الله ﷺ قالَ: فجُعلوا في بئرٍ بعضُهُمْ على بعضٍ فانطَلَقَ رسولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إلَيْهِم فقال: «**يَا فُلاَن بن فلان، ويا فلان بن فلان هَلْ وَجَدتُّمْ ما وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقّاً فَإنِّي قدْ وجدتُ ما وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا**» قال عمرُ: يا رسولَ اللهِ كيفَ تُكلم أجساداً لاَ أرواح فيها قال: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أقولُ منهُمْ غيرَ أنهمْ لا يستطيعونَ أن يَرُدُّوا عليّ شَيْئاً**».

---

٣٧٩ - أخرجه البخاري في صحيحه مختصرا ١٥ / ١٩٦ في المغازي باب في غزوة بدر، ح ٤٠٢٦ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ٢٠٥، ٢٠٦ في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، واللفظ له، باب عرض مقعد الميت عليه.

وأخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٧ .

المعنى

يخبرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يريهم مصارع أهل بدر بالأمس أي قبل الغزوة بلسان الوحي معجزة له ﷺ أخبر بموت فرداً فرداً لا كلهم فلو قال كلهم كان أهون لكنه سمى: فلان هنا وفلان هناك وفلان بن فلان هناك صلى الله عليك يا سيدي وسلم تسليماً كثيراً قال تعالى ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴿٢٦﴾ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ..** ﴾[1] الآية فهذا مما علمه ملك

---

(١) سورة الجن آية (٢٦).

= الملوكِ عزَّ وجلَّ، قال النووى[1] : هذا من معجزاته ﷺ الظاهرة أ هـ قوله «يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» أى هنا يقتل فلان باسمه واسم أبيه من الكفار وحقاً وقد حدث، قوله: «فقال عمر: فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤه الحدود التى حد رسول الله ﷺ، أى ما جاوز أحد منهم المكان الذى حَدَّهُ رسول الله ﷺ لمصرعه وقتله قوله: «قال: فجلعوا فى بئر بعضهم على بعض» وفى رواية بعد هذه «فسحبوا فألقوا فى قليب بدر» وفى رواية بعدها: «فألقوا فى طوى من أطواء بدر» قال النووى[1]: القليب، والطوى بمعنى وهى البئر المطوية بالحجارة قال أصحابنا: وهذا السحب إلى القليب ليس دفنا لهم ولا صيانة وحرمة بل لدفع رائحتهم المؤذية والله أعلم أ هـ ويدل عليه رواية: «كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيَفَّوا» أى أصبحوا جيفة نتنة والعياذ بالله تعالى. قوله: «فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم» أى ذهب إلى مصارعهم بعد أن تركوا ثلاثاً وجيفوا قبل الإلقاء ففى رواية لمسلم: «ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم:» قوله: «فقال» يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان» أى سماهم توبيخا لهم ففى مسلم بعد هذه: «فقال يا أبا جهل بن هشام. يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة... الحديث» سبحان الله: هم كلهم أهل الأذى يوم سلى الجذور بالكعبة الذى رفعته فاطمة عن الجسد الشريف فقام ﷺ رافعاً يديه كما أخرجه البخارى[2] فى صحيحه عن عبد الله قال: فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد، قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «واتبع أصحاب القليب لعنة «قوله: «هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإنى قد وجدت ما =

(١) شرح مسلم ١٧ / ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣ / ١٧٨ فى الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلى شيئا من الأذى، ح ٥٠٢.

= وعدنى الله حقاً» وعند البخارى: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا» أى هل وجدتم عذابكم الذى وعدتموه إن متم مكذبين كافرين فإني قد وجدت ما وعدنى الله تعالى حقاً من الظهور والنصر والنجاة والظفر بكم والخير الكثير وقد أوعدهم الله تعالى بالانتقام يوم بدر فقال ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾[1] وقد وعد الله تعالى نبيه ﷺ بالنصر والتمكين والظفر والرد فقال سبحانه ﴿إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[2] وقال عز وجل ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾[3] قوله: «قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها» وفى رواية بعدها: «فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا» هذا ظن عمر وعلمه لكن علم نبينا ﷺ الذى علمه ربه الذى قال له ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[4] . قال النووى[5]: وقد جيفوا أى أنتنوا وصاروا جيفا أ هـ قوله: «قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً» وعند البخارى «ما أنتم بأسمع لما قلت منهم» أى أنتم لا تسمعونى سماعاً أقوى من سماعهم لى لكن الرد منهم ممنوع فقد ختم الله تعالى على أفواه القوم وترك آذانهم لزيادة عذابهم قال القاضى[5]: يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى فى أحاديث عذاب القبر وفتنته التى لا مدفع لها وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون فى الوقت الذى يريد الله أ.هـ وقال النووى[5]: هذا كلام القاضى وهو الظاهر المختار الذى يقتضيه أحاديث السلام على القبور والله أعلم أهـ.

(١) سورة الدخان آية (١٦)
(٢) سورة غافر آية (٥١)
(٣) سورة القصص آية (٨٥).
(٤) سورة النساء آية (١١٣).
(٥) شرح مسلم ١٧/٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

مبحث: غضب الله تعالى الشديد على من جرح النبيّ ﷺ ومن قتله النبيّ ﷺ

٣٨٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتَدَّ غضبُ الله على قومٍ فَعَلُوا بنبيِّه يُشيرُ إلى رباعيتِه، اشتدَّ غَضَبُ الله على رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ في سبيلِ الله**».

---

٣٨٠ - أخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ٢٥١ في المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، ح ٤٠٧٣ .

أخرجه مسلم في صحيحه ١٢ / ١٥٠ في الجهاد والسير، باب اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ .

وأخرجه البخاري في صحيحه بمعناه ١٥ / ٢٥١ في المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، ح ٤٠٧٤ .

قوله: «رباعيته» بفتح الراء وهي السن التي بين الثنية والناب أ هـ ١٥ / ٢٤٣ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال لما جرح ﷺ يوم أحد: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته» يعني حين كسرت رباعيته ﷺ وسال الدم على وجهه الشريف ﷺ فعند البخاري: «اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله ﷺ» وعند مسلم: «جرح رسول الله ﷺ وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن..» وفي رواية لمسلم[1] بعد هذه: «كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢ / ١٤٨ في الجهاد والسير باب غزوة أحد.

= رباعيته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل فأنزل الله عز وجل ﴿**ليس لك من الأمر شئ**﴾[1] ، فهذا شئ مما تحمله ﷺ ابتغاء وجه الله ومرضاته والحفاظ على دينه وشرعه ومنهاجه ﷺ قال الحافظ[2]: والمراد بكسر الرباعية وهي السن التي بين الثنيه والناب أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقع من أصلها أ هـ وقوله: «**اشتد غضب الله على رجل يقتله** رسول الله في سبيل الله» أي أن غضب الله تعالى الشديد زاد على من يقتله رسول الله ﷺ في الجهاد ضد الكفار أي هو المقتول من الكفار والمشركين فجمع بين الكفر والشرك وغضب الله تعالى عليه ثم غضب رسول الله ﷺ ومحاولة الإعتداء والتعدي على رسول الله ﷺ فلذلك قتله رسول الله ﷺ قال النووي[3] : فقوله في سبيل الله احتراز ممن يقتله في حد أو قصاص لأن من يقتله في سبيل الله كان قاصداً قتل النبي ﷺ أ هـ والله أعلم.

(١) سورة آل عمران آية (١٢٨).
(٢) فتح الباري ١٥ / ٢٤٣، ٢٤٤ .
(٣) شرح مسلم ١٢ / ١٥٠ .

مبحث: دعاء النبى ﷺ على المشركين

٣٨١ - عن على رضى الله عنه عن النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الخَنْدَقِ: «**مَلأَ اللَّهُ عَلَيهِم بيُوتَهُم وَقُبُورَهُم نَاراً، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**».

---

٣٨١ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٩١ فى المغازى، غزوة الخندق، ح ٤١١١.

أخرجه البخارى فى صحيحه ١٧ / ٥٠ فى التفسير، سورة البقرة، ح ٤٥٣٣.

المعنى

يخبرنا على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال يوم الخندق «هو يوم الأحزاب وغزوتها المعروفة» وقد تقدم الكلام عليها تفصيلاً بعون الله تعالى. قوله ﷺ: «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً» أى دعا عليهم ﷺ لإعراضهم ومحاربتهم الإسلام ورسوله وأهله مع وضوح النور لهم قال تعالى ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾[1] وفى رواية التفسير: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم أو أجوافهم ناراً» والأرجح رواية غير الشك قال الحافظ[2]: وهذه الروايات التى وقع فيها الشك مرجوحة بالنسبة إلى التى لا شك فيها أ هـ وقد دعا النبى ﷺ على المشركين بما يستحقونه إن ماتوا على الشرك وهو دعاء لا محالة واقع لأن الله تعالى سيعذب المشركين بالنار فى القبور قبل النشور قال الله تعالى عن قوم فرعون ﴿**النَّارُ يعرَضُونَ عليْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا ويوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾[3] قال الحافظ: وفى هذا الحديث جواز الدعاء على المشركين بمثل ذلك أ هـ قوله «كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس «أى دعا عليهم لأنهم =

---

(١) سورة الأنعام آية (٢٣).
(٢) فتح البارى ١٧ / ٥٤.
(٣) سورة غافر آية (٤٦).

شغلوه ﷺ عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فقد روى البخارى[1] عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس، جعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب. فقال النبى ﷺ: والله ما صليتها» فنزلنا مع النبى ﷺ ببطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها وصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب»[2] أ.هـ والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥/٢٩١ في المغازي ح٤١١٢.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٢٩١ فى المغازى ح ٤١١٢ .

مبحث: عقوبة الغلول النار نعوذ بالله الجبار

٣٨٢ ـ عن عبد الله بن عمر قال: كَانَ على ثَقَلِ النبىِّ ﷺ رَجلٌ يقالُ له كَرْكَرَة فماتَ فقال رسولُ الله ﷺ **«هُوَ فِى النَّارِ» فذَهَبُوا ينظرُونَ إِلَيْه فوَجَدُوا عَبَاءَةً قد غلَّهَا.**

٣٨٣ ـ وعن أبىْ هريرة رضى اللهُ عَنْهُ فى قصة العبد الذى كان يخدم النبى ﷺ **الذى أهداه له أحد بنى الضباب قال أبو هريرة: فبينما هو يَحُطُّ رحلَ رسول الله ﷺ إِذْ جاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٍ حَتَّى أَصَابَ ذاكَ العبدَ فقال الناس: هَنيئاً له الشهادةُ، فقال رَسُولُ اللّه ﷺ «بَلْ، والذّى نَفْسى بيده إِنَّ الشَّمْلَةَ الّتى أصَابَهَا يومَ خيبرَ من المَغَانِم لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ لَتَشْتَعلُ عليه نَاراً» فجاء رجلٌ حين سمع ذلك من النَّبىَّ ﷺ بشرَاكٍ أو بشرَاكَيْنِ فقال: هذا شَىْءٌ كنتُ أصبْتُهُ فقال رسول الله ﷺ «شِرَاكٌ أو شِرَاكَانِ من نَارٍ».**

---

٣٨٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ١٦١ فى الجهاد، باب القليل من الغلول، ح ٣٠٧٤ .

أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ١٦٠ عن سالم بن أبى الجعد عن عبد الله بن عمرو.

٣٨٣ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٦ / ٧١، ٧٢ فى المغازى باب غزوة خيبر، ح ٤٢٣٤.

قوله ثقل «بمثلثة» وقاف مفتوحتين، العيال، وما يثقل حمله من الأمتعه أ هـ ١٢ / ١٦، قوله «شمله» هى الكساء والمئزر يتشح به أ هـ نهاية ٢ / ٥٠٢ .

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر أنه كان على ثقل النبى ﷺ رجل يقال له كركرة» قال

= الحافظ[1] قوله «على ثقل» بمثلثة وقاف مفتوحتين: العيال، وما يثقل حمله من الأمتعة وكركره بفتح الكاف ذكره الواقدى أنه كان أسود يمسك دابة رسول الله ﷺ فى القتال قال الحافظ: وروى أبو سعيد النيسابورى فى شرف المصطفى ﷺ أنه كان نوبياً أهداه له هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة فأعتقه أ هـ قوله «فمات فقال رسول الله ﷺ: «هو فى النار» أى لما مات كركرة وظن الناس به خيرا لخدمته وقربه من رسول الله ﷺ ولم يعلموا أنه عمل كبيرة ومات عليها والعياذ بالله تعالى من غير توبة لكن علم النبوة الشريف الذى لا ينطق عن الهوى أخبر به ﷺ علم حق أن كركرة فى النار لذلك قال: فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها» فظهر صدق ما قاله النبى ﷺ وهو صادق ﷺ من غير أن نحتاج إلى دليل فبان أن الذى أدى به إلى النار هو الغلول مع أنها عباءة فقط لكن دخل بسببها النار والعياذ بالله الجبار لذلك ترجم الإمام البخارى على الحديث بقوله «باب القليل من الغلول أ هـ قال الحافظ[2] :الغلول: بضم المعجمة واللام أى الخيانة فى المغنم أ هـ وقال: وفى الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره وقوله: «هو فى النار» أى يعذب عن معصيته أو المراد هو فى النار إن لم يعف الله عنه أ هـ والله أعلم. وفى الحديث الثانى يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن مدعم الذى أهداه للنبى ﷺ أحد بنى الضباب فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد» أى أصيب بسهم لا يدرى من رماه وهو فى الغزوة لذلك ظن الناس أنه قتل شهيداً فقال الناس «هنيئا له الشهادة» لعلمهم بالظاهر دون الباطن قال الحافظ[3] قوله: سهم عائر» بعين مهملة بوزن فاعل أى لا يدرى من رمى به وقيل هو الحائد عن قصده أ هـ قوله: «فقال رسول الله ﷺ «بل والذى نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل =

(١) فتح البارى ١٢ / ١٦١ .
(٢) فتح البارى ١٢ / ١٥٨ .
(٣) فتح البارى ١٦ / ٧٢ .

= عليه ناراً يقسم نبينا ﷺ على غير ما ظنوا من نيله الشهادة بل قد أصابته نار الشملة التى سرقها وأخذها قبل القسمه مما غنمه المسلمون فى غزوتهم يوم خيبر قال الحافظ[1]: قوله «لتشتعل عليه ناراً» يحتمل أن يكون ذلك حقيقة بأن تصير الشملة نفسها ناراً فيعذب بها ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار وكذا القول فى الشراك الآتى ذكره أ هـ قوله «فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال هذا شئ كنت أصبته» أى ما رأى بعض الناس وسمع بما حدث لمدعم من فوات الشهادة وإصابة النار جسده بسبب الغلول جاء رجل قد غل شيئاً يظنه هيناً وهو شراك نعل أو شراكين قال الحافظ[1] قوله: «بشراك أو بشراكين» الشراك بكسر المعجمة وتخفيف الراء سير النعل على ظهر القدم أ هـ يخبر أنه غلهم لكنه خفق وقال: هذا شئ كنت أصبته قوله فقال رسول الله ﷺ « شراك أو شراكان من نار» كالشملة تماما لولا ردهم لاشتعلا عليه ناراً كما اشتعلت شملة مدعم المغلولة عليه ناراً والعياذ بالله تعالى والله أعلم.

(١) فتح الباري ٧٢/١٦.

مبحث : فى تغليظ اثم الغلول وتعظيم أمره

٣٨٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قامَ فينَا النَّبى ﷺ فذكرَ الغلُولَ فَعظَّمَهُ وعَظَّمَ أمْرَهُ، قال: «**لا ألفينَّ أحدَكُمْ يومَ القيامة على رقبته شاةٌ لها ثُغاء، على رقبته فرسٌ له حَمْحَمَهُ يقول يا رسول الله أغثنى فأقول: لاَ أملكُ لَكَ شيئاً قد أبلَغْتُكَ، وعلى رقبته بعيرٌ له رُغَاءٌ يقولُ: يا رسولَ الله أغثنى، فأقولُ: لا أملكُ لَكَ شيئاً قَدْ أبْلَغْتُكَ، وعلى رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك أوْ عَلَى رَقَبَته رِقَاعٌ تخْفِقُ فيقولُ: يا رسولَ الله أغثْنِى، فأقولُ: لاَ أمْلكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبلَغْتُكَ**».

---

٣٨٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ١٥٩ فى الجهاد، باب الغلول وقول الله عز وجل ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾.

قوله: «الغلول» هو الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، وكل من خان فى شئ خفية فقد غل أ هـ نهاية ٣ / ٣٨٠ .

قوله: ثغاء» : الثغاء: صياح الغنم أ هـ نهاية ١ / ٢١٤ .

قوله: «حمحمه» الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل أ هـ نهاية ١ / ٤٣٦ .

قوله: «رغاء» الرغاء: صوت الإبل أ.هـ نهاية ٢/٢٤٠.

قوله: «صامت» يعنى الذهب والفضة خلاف الناطق وهو الحيوان أ هـ نهاية ٣/٥٢ .

قوله: «رقاع تخفق» قال ابن الأثير: وفيه يجئ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته رقاع تخفق» أراد بالرقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة فى الرقاع، وخفوقها حركتها أ هـ نهاية ٢ / ٢٥١ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه ذكر الغلول وعظمه وعظم أمره «أى بين عقوبته وأنه لذة فانية عاقبتها نار حامية يصلاها كل شقى خان ومَدَّ يَدَهُ إلى ما =

= لا يحل خاصة ما كان من الغنائم قبل تقسيمها هذا هو أصلها، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾(١) قال الحافظ: بضم المعجمة واللام أى الخيانة والمغنم، قال ابن قتيبه: سمى بذلك لأن آخذه يغله فى متاعه أى يخفيه ونقل النووى الإجماع على أنه من الكبائر أ.هـ قوله: «قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء» أى يحذر ﷺ من الغلول حتى لا يجد يوم القيامة حاملاً على رقبته ما خان به غيره وقد جاء بها حتى ولو كان شيئاً كبيراً ولو قطعة أرض ثم سمى ﷺ الأشياء التى يحملها كثير من الناس على رقبتهم يوم القيامة والأكتاف تتسع يعظمها ربنا لتحمل ففى الحديث الصحيح «ضرس الكافر مثل أحد» وما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام(٢) وقد خرج فى صفة النار قال الحافظ(٣) : قوله: «لا ألفين» بضم أوله وبالفاء أى لا أجدن أ هـ وقال النووى(٤) : أى لا أجدن أحدكم على هذه الصفة ومعناه لا تعملوا عملاً أجدكم بسببه على هذه أ هـ بتصرف يسير وقال الحافظ(٣): «على رقبته شاة لها ثغاء» بضم وتخفيف المعجمه وبالمد صوت الشاة يقال: ثغت تثغو أهـ قوله: على رقبته فرس له حمحمة» قال ابن الأثير(٥) : الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل أ هـ قوله: يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك» أى يستغيث برسول الله ﷺ فى يوم لا يغيث فيه إلا رب العالمين وهو والقائل يومها سبحانه ﴿ **لمن الملك اليوم. الله الواحد القهار** ﴾(٦) فيرد النبى ﷺ برفض الشفاعة له ولمثله ممن أصروا على معصية الجبار قال الحافظ(٣): قوله: «لا أملك لك شيئاً» أى من المغفرة لأن الشفاعة أمرها إلى الله، وقوله: «قد أبلغتك: أى فليس لك عذر بعد الإبلاغ وكأنه ﷺ أبرز هذا الوعيد =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦١).
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٣٣ فى الرقاق ح ٦٥٥١ باب صفة الجنة والنار.
(٣) فتح البارى ١٢ / ١٥٨، ١٥٩.
(٤) شرح مسلم ١٢ / ٢١٦.
(٥) النهاية ١ / ٤٣٦.
(٦) سورة غافر آية (١٦).

= فى مقام الزجر والتغليظ وإلا فهو يوم القيامة صاحب الشفاعة فى مذنبى الأمة أ هـ قوله: «وعلى رقبته بعير له رغاء» يعنى قد يحمل أيضاً على رقبته بعير بالرغم من ضخامة حجمه ووزنه الثقيل إلا أنه لا يُعتَقُ من حمل ما خانت يداه وسرقته قال الحافظ: فرغاء: بضم الراء وتخفيف المعجمة وبالمد صوت البعير أ هـ قوله: يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك» قال القاضي: معناه من المغفرة والشفاعة إلا بإذن الله تعالى قال: ويكون ذلك أولاً غضباً عليه لمخالفته ثم يشفع في جميع الموحدين بعد ذلك أ.هـ قولة «وعلى رقبته صامت» أي من دون كل ماله روح من أى شئ لا صوت له قال الحافظ[1]: قوله: «صامت» أى الذهب والفضة، وقيل ما لا روح فيه من أصناف المال أ هـ قوله: «فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك» فى كل مرة يستغيث ولا مغيث يومها إلا من أقامها وزلزلها وجمع الناس فيها. قال العينى[2] : قوله «قد أبلغتك» أى لا عذر لك بعد الابلاغ، وهذا مبالغة فى الزجر وتغليظ فى الوعيد أ هـ قوله «أو على رقبته رقاع تخفق» قد ذكر الحيوانات أصحاب الأصوات ثم ذكر الجمادات التى لا صوت لها ثم ذكر كل دين مسجل عليه مدون، قال العينى: «تخفق» تضطرب أى تتحرك وتضطرب، وليس المراد منه الخرقة بعينها، بل تعميم الأجناس من الحيوان والنقود والثياب وغيرها، وقال الحميدى: المراد بها ما عليه من الحقوق المكتوبة فى الرقاع أ هـ قوله «فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك» بيان من نبينا ﷺ بأنه لا يملك إنما الملك كله لله، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ما على الرسول إلا البلغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾[3]. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١٢/١٥٨، ١٥٩.

(٢) عمدة القارى ١٢ / ١٤٢ .

(٣) سورة المائدة آية (٩٩).

مبحث : الحكم بعد النصر وقبله بحكم ملك الملوك

٣٨٥ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **«نزلتْ بَنُو قُريظَةَ على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعثَ رسولُ الله ﷺ وكان قريباً منه فجاء على حمار، فلما دنا قال رَسُولُ الله ﷺ : «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، فَجَاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ» قال: فإني أَحْكُمُ أن تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وأن تُسْبَى الذُّرِّيَّةَ، قال: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ»**.

---

٣٨٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٢ / ١٣٤ في الجهاد، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، ح ٣٠٤٣ .

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ٢٩٨ في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظه..ح ٤١٢١ .

قوله: «تُسْبَى» السبي: النهب وأخذ الناس عبيداً وإماءً، والسبية: المرأة المنهوبة وجمعها السبايا أهـ نهاية ٢ / ٣٤٠ .

المعنى

يخبرنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن بني قريظة نزلت على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، أي لما نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ وتمالؤا مع الأحزاب على المسلمين فلما هزم الله الأحزاب كما قال تعالى: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا** ﴾[1] فتكلم سبحانه عن الأحزاب ثم بني قريظة وهذا الحديث[2] يفسر =

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢٥، ٢٦، ٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥ / ٢٩٩ في المغازي عن عائشة رضي الله عنها.

أيضاً. فعن عائشة رضى الله عنها قالت: ... فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعته: اخرج إليهم، قال النبى ﷺ: «فأين»؟ فأشار إلى بنى قريظه، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم... الحديث» قوله: «بعث رسول الله ﷺ وكان قريباً منه» وفى رواية المغازى: «فأرسل النبى ﷺ إلى سعد فأتى على حمار» أى أرسل إليه رسول الله ﷺ ليحكم فى بنى قريظة حيث كان حليفهم فى الجاهلية قوله «فلما دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» وفى رواية المغازى: فلما دنا من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم» أى لما وصل سعد رضى الله عنه وقرب من المسجد الذى فيه رسول الله ﷺ قال الحافظ: قيل: المراد المسجد الذى كان النبى ﷺ أعده للصلاة فيه فى ديار بنى قريظة أيام حصارهم وليس المراد به المسجد النبوى بالمدينة أ هـ قوله: قال رسول الله ﷺ للأنصار «قوموا إلى سيدكم» لأنه كان رضى الله عنه سيد الأوس وسبب أمرهم بالقيام له مارواه أحمد[1] عن عائشة رضى الله عنها فى حديث قال أبو سعيد فلما طلع على رسول الله ﷺ قال النبى ﷺ «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه، فقال عمر سيدنا الله عز وجل «قوله فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك »أصلاً كانوا نزلوا على حكم النبى ﷺ فرد الحكم إلى سعد بن معاذ قيل لطلب الأوس ذلك مساواة بالخزرج لما حكموا فى بنى قينقاع ففى رواية فى المغازى بعد رواية الباب مباشرة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «فى حديث طويل - «فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد، قال فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم «قوله: «فقال: تقتل مقاتلهم» أى الرجال البالغون أصحاب الحرب الذين يقاتلون وقاتلوا المسلمين وحاربوهم فاللهم عوداً واجعلنا أهلاً لنصرك وتمكينك ونعمك يا رب العالمين قوله «وتسبى ذراريهم» فى الرواية تسبى النساء =

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٦ /١٤٢ .

= والذرية» قال ابن الأثير[1]: السبى: النهب وأخذ الناس عبيداً وإماءً والسبية المرأة المنهوبة أ هـ قوله «لقد حكمت فيهم بحكم الملك» وفى رواية[2] «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات» قال الحافظ[4]: «بحكم الملك» هو بكسر اللام. وقال العينى: بكسر اللام وهو الله تعالى أهـ[3]. قال السهيلى[4]: قوله: «من فوق سبع سماوات معناه: أن الحكم نزل من فوق قال: ومثله قول زينب بنت جحش: زوجنى الله من نبيه من فوق سبع سماوات أى نزل تزويجها من فوق قال: ولا يستحيل وصفه تعالى بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله أهـ قلت: ولفظ حديث[5] زينب: عن عائشة قالت: فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قال تعالى: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[6] وقال تعالى ﴿ أَأَمنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[8] وقال تعالى: ﴿ يا عيسى إنى متوفيك ورفك إلى ﴾[9] وقال تعالى: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[10]: وقال تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[11] وقال تعالى: ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾[12] وقال عز وجل: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾[13] . والله أعلم.

(١) النهاية ٢ / ٣٤٠ .

(٢) البداية والنهاية ٤ / ١٢٢ .

(٣) عمدة القارى ١٢ / ١١٠ .

(٤) فتح البارى ١٥ / ٢٩٨ .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨/ ١٩٢ فى التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) ح ٧٤٢٠ .

(٦) سورة النحل آية (٥٠).

(٧) سورة الملك (١٦)، (١٧)

(٨) سورة النساء آية (١٥٨).

(٩) سورة آل عمران آية (٥٥).

(١٠) سورة فاطر آية (١٠).

(١١) سورة طه آية (٥).

(١٢) سورة القدر آية (١)

(١٣) سورة المعارج آية (٤)، (٥).

مبحث : التذكير بنعمة الله وشكره عليها بعد تمامها وعند الرجوع من الغزو

٣٨٦ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ **إذا قَفَلَ من الحج أو العُمْرة، ولا أَعْلَمُه إلاَّ قَالَ الغَزْو، كُلَّمَا أَوْفَى على ثَنِيَّة أو فَدْفَد كبر ثلاثاً ثم قال: «لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ وهو على كل شئ قدير، آيِبُونَ، تَائِبُونَ عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صدقَ اللهُ وَعْدَهُ، ونصرَ عبدهُ وهزمَ الأحزابَ وَحْدَهُ».**

---

٣٨٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٢ / ١٠٠ فى الجهاد، باب التكبير إذا علا شرفاً ٢٩٥٥ .

قوله: «قفل» قفل يقفل إذا عاد من سفره. أ هـ نهاية ٤ / ٩٢ .

قوله: «فدفد» بفاءين مفتوحتين بينهما مهملة هى الأرض الغليظة ذات الحصى، وقيل المستوية وقيل المكان المرتفع الصلب. أ هـ فتح ١٢ / ١٠٠ .

المعنى

يروى لنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن نبينا ﷺ كان إذا قفل من الحج أو العمرة أو الغزو يقول كلما أوفى على ثنية أوفدفد كبر ثلاثاً» أى أن نبينا ﷺ أتقى الناس لله عز وجل يعلم الناس شكر النعم وذكر المنعم وشكره دائماً فعلمهم عند الرجوع أن يذكروه ويكبروه ويحمدوه ويسبحوه ويهللوه كما قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[1] فكان ﷺ إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو يكبر الله ثلاثاً كلما صعد على ثنية أو فدفد، والثنية العقبة فى الجبل والمكان العالى فيه والفدفد =

---

(١) سورة الفتح آية (٨)، (٩).

المكان المرتفع الصلب كما فى المفردات. فكان ﷺ إذا مر بذلك أثناء رجوعه من حجه أو عمرته أو غزوته قال: الله أكبر ثلاث مرات قوله: «كلما أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثاً» قال العينى[1] :ومعنى أوفى أى أشرف وعلى. أ هـ قوله «على ثنية» بفتح الثاء وكسر النون وتشديد الياء آخر الحروف وهى أعلى الجبل وهو ما يرى منه على بعد، قوله: «أوفدفد» بفاءين بينهما مهملة وهو الأرض الغليظة ذات الحصى لا تزال الشمس تدف فيها. أ هـ قال الحافظ[2]: قال المهلب: تكبيره ﷺ عند الارتفاع استشعار لكبرياء الله عز وجل، وعلى ما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شئ وتسبيحه في بطون الأوديه مستنبط من قصة يونس فإنه بتسبيحه فى بطن الحوت نجاه الله من الظلمات فسبح النبى ﷺ فى بطون الأوديه لينجيه الله منها. أ هـ قوله: «ثم قال» لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير» أى بعد التكبير هلل ﷺ بهذا الدعاء الطيب بادئاً بكلمة التوحيد لا إله إلا الله مثنياً بتأكيدها بقوله وحده نافياً الشريك فقال لا شريك له مثنياً على الله بالحمد ثم مخبراً بأنه سبحانه لا يغلبه شئ ولا يعجزه شئ قائلاً وهو على كل شئ قدير، قوله ﷺ: «آيبون تائبون عابدون، ساجدون، لربنا حامدون» أى راجعون بفضل ربنا علينا تائبون له من كل ذنب وتقصير، عابدون له وحده، لا شريك له، ساجدون له لا لغيره، قال العينى[1] : قوله: «آيبون»: خبر مبتدأ محذوف: أى نحن آيبون: أى راجعون إلى الله من آب يئوب أوباً إذا رجع وكذلك الكلام فى عابدون وساجدون، قوله «لربنا حامدون» يحتمل تعلقه بحامدون أو ساجدون أو بهما أو بالصفات الأربعة المتقدمة أو بالخمسه على سبيل التنازع قوله: «صدق الله وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» أى صدق وعده سبحانه بنصر رسله وأوليائه ونصر رسول الله ﷺ وهزم الأحزاب وهو لا أحد معه ولا مساند ولا مساعد قال تعالى ﴿إنهم لهم =

---

(١) عمدة القارى ١٢ / ٦٣.

(٢)فتح البارى ١٢ / ١٠٠ .

= المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[2] قال العينى[3]: «قوله الأحزاب» اللام فيه للعهد على طوائف العرب التي اجتمعت على محاربة رسول الله ﷺ. أ هـ قال عز وجل ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[4] .
والله أعلم والحمد لله وحده كثيراً كثيراً.

(١) سورة الصافات آية (١٧٢)، (١٧٣).
(٢) سورة الأحزاب آية (٢٥).
(٣) عمدة القاري ١٢/٦٣.
(٤) سورة الأحزاب آية (٢٦، ٢٧).

مبحث : شهداء الطاعون كالشهداء فى سبيل الله عز وجل

٣٨٧ ـ عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «**يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ والمتوفونَ على فُرُشِهِمْ إلى رَبِّنَا فى الذينَ يُتَوَفَّوْنَ من الطاعون فيقول الشهداءُ إخواننَا قُتلوا كما قُتلنا ، ويقولُ المتوفونَ على فرشهم إخواننَا مَاتوا على فرشهمْ كماَ متنَا فيقولُ ربُّنَا انْظُروا إِلى جِراحِهمْ فإِنْ أَشْبَهَ جِرَاحُهُم جراحَ المقتولينَ فإنهمْ منهم ومَعَهُمْ فَإِذَا جِراحُهُم قَدْ أَشْبَهَتْ جِراحَهُم**» .

---

٣٨٧ ـ أخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٣٧، ٣٨ فى الجهاد، باب الشهادة، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٢١ / ٣١٩ أخرجه أحمد أيضاً والنسائى بسند حسن أيضاً.

وأخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٢٨ بسنده إلى عبد الرحمن بن ميسرة الذى تابع ابن بلال عن العرباض .. به.

المعنى

يخبرنا العرباض بن سارية رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا فى الذين يتوفون من الطاعون» أى يتجادل الشهداء فى سبيل الله عز وجل مع الذين ماتوا من غير شهادة على الفرش أمام الله عز وجل يوم القيامة فى مصير القتلى فى مرض الطاعون قال تعالى ﴿**ثم إنكم عند ربكم تختصمون**﴾[1] قال السندى[2] : قوله «والمتوفون» بتشدد الفاء المفتوحة «إلى ربنا» أى رافعين اختصامهم إلى الله «فى الذين يتوفون» على بناء المفعول. أ هـ قوله: «فيقول الشهداء إخواننا قتلوا كما قتلنا» أى قتلهم يشبه قتلنا فهو فى سبيل الله ووجه الشبه الصبر والاحتساب والرضا والتسليم ففى الحديث الصحيح «فليس من عبد يقع =

---

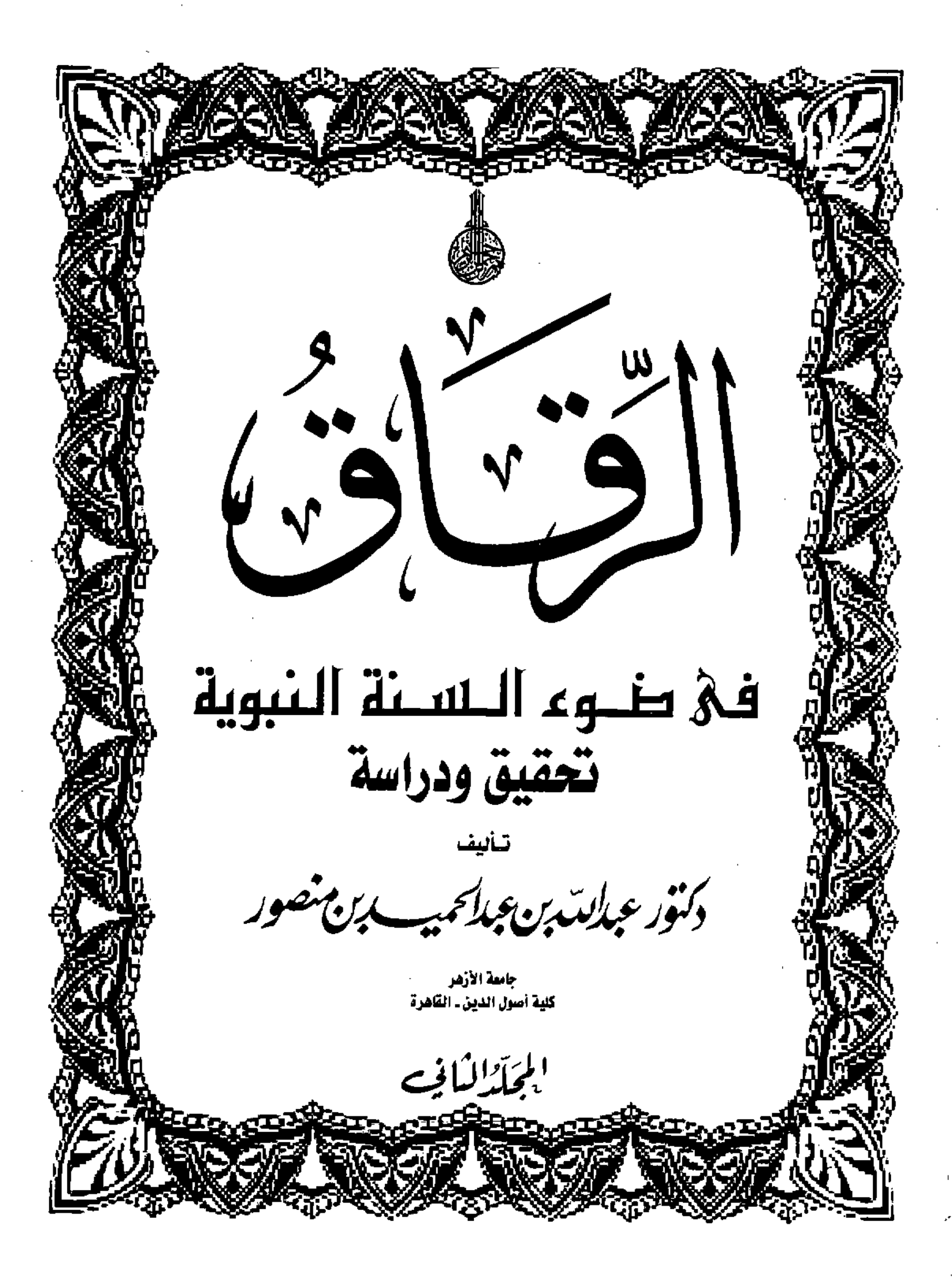
(١) سورة الزمر آية (٣١).

(٢) حاشية السندى على سنن النسائى ٦/ ٣٧، ٣٨ .

= الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد»[1] قوله «ويقول المتوفون على فرشهم إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا» أي هم يشبهوننا في أن موتهم ليس في ساحة القتال إنما هو على الفرش مثلنا قوله: «فيقول ربنا «عز وجل» انظروا إلى جراحهم فإن أشبه جراح المقتولين فإنهم منهم ومعهم» أي يفصل الله عز وجل هذا الخصام قال تعالى ﴿ **فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾[2] أي في هذا وغيره سبحانه الحكم العدل اللطيف الخبير، فيأمرهم بأن يقارنوا بين جراح الشهيد في سبيل الله وشهيد الطاعون فإن أشبهه كان له مثل درجته فالعبرة بالدم لذلك في الحديث[3] المتقدم» والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك» قوله «فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم» أي من فضل الله تعالى جرح الشهيد أشبهه جرح المطعون وهذه من علامات النبوة حيث قال ﷺ « الطاعون شهادة لكل مسلم»[4] ، قال السندي[5] ولا شك أن مقصود الشهداء بذلك إلحاق المطعون معهم ورفع درجته إلى درجاتهم وأما الأموات على الفرش: فلعله ليس مقصودهم أصالة أن لا ترفع درجات المطعون إلى درجات الشهداء فإن ذلك حسد مذموم وهو منزوع من القلوب في تلك الدار وإنما مرادهم أن ينالوا درجات الشهداء كما نال المطعون مع موته على الفراش فمعنى قولهم إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا أي فإن نالوا مع ذلك درجات الشهداء ينبغي أن ننالها أيضاً وعلى هذا فينبغي أن يعتبر هذا الخصام خارج الجنة وإلا فقد جاء فيها ﴿ **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم** ﴾[6] فينبغي أن ينال درجة الشهداء من يشتهيها في الجنة والظاهر أن الله تعالى ينزع من قلب كل أحد في الجنة ـ اشتهاء درجة من فوقه ويرضيه بدرجته والله تعالى أعلم. أ هـ والله المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في الطب ٢١ / ٣١٨، ح ٥٧٣٤.
(٢) سورة البقرة آية (١١٣).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١١ / ٢٨٠ في الجهاد ح ٢٨٠٣.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١ / ٣١٥، ٣١٦ في الطب ح ٥٧٣٢ .
(٥) حاشية السندي على سنن النسائي ٦/٣٧، ٣٨.
(٦) سورة فصلت آية (٣١).


الرقائق
في ضوء السنة النبوية
تحقيق ودراسة
تأليف
دكتور عبدالله بن عبدالحميد بن منصور
جامعة الأزهر
كلية أصول الدين - القاهرة
المجلد الثاني

الباب الرابع

في الزهد

ويشتمل على ثمانية فصول

الفصل الأول : عيش النبي ﷺ وزهده وورعه.

الفصل الثاني : فضل الفقر.

الفصل الثالث : القناعة.

الفصل الرابع : التواضع.

الفصل الخامس : العزلة.

الفصل السادس : الورع.

الفصل السابع : التوبة.

الفصل الثامن : الصبر.

الفصل الأول

عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَزُهْدُهُ وَوَرَعُهُ

مبحث : لا عيش إلا عيش الآخرة

٣٨٨ ـ عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا » قالوا: لا واللهِ لا نطلبُ ثمنهُ إلا إلى الله، فقال أنس: فكانَ فيه ما أقولُ لكمْ: قبورُ المشركينَ، وفيه خَربٌ وفيه نخلٌ، فأمر النَّبيُّ ﷺ بقبورِ المشركينَ فَنُبِشَتْ ثم بالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وبالنخلِ فقطعَ، فَصَفُّوا النخلَ قبلةَ المسجدِ وجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحجارةَ، وجعلوا ينقلونَ الصخرَ وهم يَرْتَجِزُونَ والنَّبيُّ ﷺ معَهُمْ وهو يقول: « اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرَ الآخِرَةِ فاغْفِرْ للأَنْصَارِ والمُهَاجِرَةِ ».

---

[٣٨٨] أخرجه البخاري في صحيحه ٨٨/٣، في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ... ح٤٢٨.

أخرجه مسلم في صحيحه ٦/٥ في المساجد، باب ح٩.

قوله: «ثامنوني بحائطكم» أي قرروا معي ثمنه وبيعوه بالثمن. أهـ نهايه ٢٢٣/١.

قوله: «الخرب» بفتح الخاء وكسر الراء ككلمة وكلم جمع خربة، ويجوز أن يكون بكسر الخاء وفتح الراء جمع خربة يريد به الموضع المحروث للزراعة أهـ نهاية ١٨/٢ وقال النووي قال القاضي: وهو ما تخرب من البناء أهـ شرح مسلم للنووي ٧/٥.

قوله «عضادتيه» العضادة بكسر العين هي جانب الباب أهـ نووي ٨/٥.

المعنى العام

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾[1] فنصبها

---

(١) سورة الضحى آية (٤).

= رسول الله ﷺ هدفه يلتمس الطريق إليها طيلة حياته ويرتجز بها حتى وصلها. ولما دخل النبي ﷺ المدينة أراد أن يبني مسجده الشريف ﷺ فأرسل إلى ملإ بني النجار فقال: «ثامنوني بحائطكم هذا» قال النووي[1] : أي بايعوني أهـ قوله: «قالوا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله» قال الكرماني في شرحه[2] : الصرف في سبيل الله وإطلاق الثمن عليه على سبيل المشاكلة، فإن قلت الطلب يستعمل بمن فالقياس أن يقال إلا من الله، قلت معناه لا نطلب الثمن من أحد لكنه إلى الله. أهـ قوله: «قال أنس: فكان فيه ما أقول لكم» قال الحافظ ابن حجر[3] : أي في الحائط الذي بني في مكانه المسجد أهـ قوله: «قبور المشركين، وفيه خرب، وفيه نخل» قال القاضي: كما أمر بقطع النخل لتسوية الأرض أمر بالخرب فرفعت رسومها وسويت مواضعها لتصير جميع الأرض مبسوطة مستوية للمصلين وكذلك فعل بالقبور. أهـ قوله: «فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت» قال النووي[1] : فيه جواز نبش القبور الدارسة وأنه إذا أزيل ترابها المختلط بصديدهم ودمائهم جازت الصلاة في تلك الأرض وجواز إتخاذ موضعها مسجداً إذا طيبت أرضه وفيه أن الأرض التي دفن فيها الموتى ودرست يجوز بيعها وأنها باقية على ملك صاحبها وورثته من بعده إذا لم توقف أهـ وقال ابن حجر[3] : وفي الحديث جواز نبش القبور الدارسة إذا لم تكن محترمة، وجواز الصلاة في مقابر المشركين بعد نبشها وإخراج ما فيها. قوله: «وبالنخل فقطع» قال النووي فيه جواز قطع الأشجار المثمرة للحاجة والمصلحة لاستعمال خشبها أو ليغرس موضعها غيرها أو لخوف سقوطها على شئ تتلفه أو لاتخاذ موضعها مسجداً أو قطعها في بلاد الكفار إذا لم يرج فتحها لأنه فيه نكاية وغيظاً لهم وإضعافاً وإرغاماً أهـ قوله: «ثم بالخرب فسويت» قال القاضي: رويناه هكذا بفتح الخاء والمعجمة وكسر الراء ورويناه بكسر الخاء وفتح الراء وكلاهما صحيح وهو ما تخرب من البناء ثم قال: كما أمر بقطع =

(١) شرح مسلم للنووي (٥/٧).

(٢) شرح الكرماني للبخاري (٤/٩٠).

(٣) فتح الباري (٣/٨٩).

= النخل لتسوية الأرض أمر بالخرب فرفعت رسومها وسويت مواضعها لتصير جميع الأرض مبسوطة مستوية للمصلين وكذلك فعل بالقبور أهـ[1] قوله: «وجعلوا عضادتيه الحجارة» قال النووي: العضادة بكسر العين هي جانب الباب قوله: «وجعلوا ينقلون الحجارة وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة» فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع والصبر والزهد وحب الآخرة، فقد كان الصحابة يكفونه لكنه ﷺ أراد أن يسهم معهم بنصيب في هذه القربة العظيمة له ﷺ عند الله والناس من بعده حيث يصل إلى مسامعهم أن مسجده ﷺ قد ناله النصيب الأوفر من بركة وضع النبي ﷺ يده الشريفة في وضع لبنات المسجد الأولى بل وكان يرتجز معهم بما يقولون تحفيزاً لهممهم وتنشيطًا لهم لمضاعفة الجهد. قال النووي[2] : قوله: «وكانوا يرتجزون» فيه جواز الارتجاز وقول الأشعار في حال الأعمال والأسفار ونحوها لتنشيط النفوس وتسهيل الأعمال والمشي عليها. واتفقوا على أن الشعر لا يكون شعرًا إلا بالقصد أما إذا جري كلام موزون بغير قصد فلا يكون شعراً وعليه يحمل ما جاء عن النبي ﷺ من ذلك. أهـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم للنووي ٥/٧.

(٢) شرح مسلم للنووي (٥/٨) .

مبحث : في زهد النبي ﷺ

٣٨٩ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: « ما شَبعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثةَ أيامٍ تِباعًا من خبزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ » .

٣٩٠ - وعن عائشة قالت : «إن كنا آل مُحَمَّدٍ ﷺ لَنَمْكُثُ شَهْرًا ما نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إنْ هُوَ إلاَّ التَّمْرُ والمَاءُ».

٣٩١ - وعن عائشة قالت : تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وما فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يأكلُهُ ذو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ علي فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ».

٣٩٢ - وعن عائشة زوج النَّبِيِّ ﷺ قالت : لقد ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مرتينِ».

٣٩٣ - عن أبي طلحة قال : رأيتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا في المَسْجِدِ يَتَقَلَّبُ ظَهرًا لِبَطْنٍ وأَظُنُّهُ جَائِعًا ...».

٣٩٤ - وعن عمر قال : لقد رأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ.

---

(٣٨٩) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٦/١٨ في الزهد.

(٣٩٠) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٦/١٨ في الزهد.

(٣٩١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٧/١٨ في الزهد.

(٣٩٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٨/١٨ في الزهد.

(٣٩٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٢/١٣ في الأشربه باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه.

(٣٩٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٩/١٨ في الزهد.

قوله دقلاً هو بفتح الدل والقاف تمر رديء . اهـ شرح مسلم ١٠٩/١٨.

المعنى

لو سأل رسول الله ﷺ ربه عز وجل الجبل ذهبًا وليكون أغنى الناس لكان ولو طلب ملكًا كملك داود وسليمان مع النبوة لأعطي أفضل منهما ولو اختار الدنيا والجنة حين خير عند موته ﷺ لأجيب ولكن ﷺ نزل الوحي الأمين على قلبه الكريم ﷺ قائلاً له ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى. وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ...** ﴾[2] الآية وقال عز وجل ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذمومًا مدحورًا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾[3] وقال تعالى له ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾[4] لذلك باعها ﷺ كلها واشترى بها الآخرة فكان زاده من متاعها ما سمعناه من هذه الأحاديث التي رواها عائشة وعمر وطلحة رضوان الله عليهم أجمعين. ففي الحديث الأول تخبرنا عائشة رضي الله عنها أنه ما شبع رسول الله ﷺ «ثلاثة أيام تباعًا من خبز حتى مضى لسبيله» أي حتى من الخبز ما أكل رسول الله ﷺ أكلاً يسد جوعته ثلاثة أيام متوالية حتى لحق بالله عز وجل فقد كان يجوع يومًا ويشبع يومًا كما قال ﷺ: «عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعت تضرعت

(١) سورة طه آية (١٣١، ١٣٢).

(٢) سورة الحديد آية (٢٠).

(٣) سورة الإسراء آية (١٨، ١٩).

(٤) سورة الضحى آية (٤، ٥).

= إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[1] وفي الحديث الثاني تخبرنا أيضاً رضي الله عنها قائلة: «إن كنا آل محمد ﷺ - أي أهل أبياته كلهم ﷺ - لنمكث شهراً ما نستوقد بنار» أي نظل شهراً ما نوقد ناراً للطعام لأنه ليس عندنا شئ نطبخه، شهر كامل بأبي أنت وأمي يا رسول اللهﷺ وفي رواية قال عروة «قلت: يا خالة: فما كان يعيشكم - أي على أي شئ إذاً كنتم تعيشون أي من الطعام والشراب؟ - إنما هو التمر والماء» فقالت له في الرواية الآخرى في نفس الباب «الأسودان التمر والماء» أي نعيش على طعام التمر وشراب الماء لا غير. سيد البشر ﷺ يعيش الشهر الكامل على الماء والتمر والناس في زماننا يردون الخبز الذي لا يعجبهم خبزه!! ولما دخل عمر على نبينا ﷺ ووجد حاله بكي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب قال: «قلت يانبي الله ومالي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول اللهﷺ وصفوته وهذه خزانتك؟!!»[2] وعند البخاري[3] فقال ﷺ: «**أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا**» فقلت: يا رسول الله استغفر لي» وعند مسلم[2] «**يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا**». وفي الحديث الثالث تقول أم المؤمنين رضي الله عنها: «توفى رسول الله ﷺ وما في رفي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير» أي: ما عندي على الرف طعام يصلح لحي إلا شيء من شعير قال النووي[4]: الرف: بفتح الراء معروف والشطر هنا معناه شيء من شعير لذا فسره الترمذي وقال القاضي ابن أبي حزم: معناه نصف وسق اهـ. قالت: =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٥٤) من حديث أبي أمامة مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠/١٢٠) في الطلاق ح(١٤٧٩)، باب في الإيلاء واعتزال النساء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٣٤٤، ٣٤٥) في النكاح، ح(٥١٩١).

(٤) شرح مسلم (١٨/١٠٧).

= «فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني» أي : جعلت أتناول منه كلما احتجت بعد وفاة النبي ﷺ حتى بقي فترة طويلة مباركًا ثم جعلت أكيله بالعيار ليفنى ففني حيث أن طعام الشعير لخشونته غير مرغوب فيه ، قال القاضي(١) : وفي هذا الحديث أن البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وأما الحديث(٢) الآخر «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه» فقالوا المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل . اهـ وأخبرت أيضًا رضي الله عنها في الحديث الرابع أنه «مات رسول الله ﷺ» بأبي هو وأمي «وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين» أي : وما سد جوعته خبز مؤتدم بزيت في يوم مرتين اثنين بل أحيانًا كان ﷺ ما يجد حتى الخبز والزيت ففي حديث أبي طلحة الخامس يقول: رأيت رسول الله ﷺ مضطجعًا في المسجد يتقلب ظهرًا لبطن وأظنه جائعًا وفي رواية أعرف صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع» هذا منتهى الشدة التي قد يظن بأحد أن يتحملها راغبًا لله تعالى لذلك قال عمر في الحديث السادس : لقد رأيت رسول الله ﷺ اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ بطنه أي كما قال أبو طلحة يتقلب ظهرًا لبطن من الجوع ﷺ ما يجد حتى رديء التمر ليشبع بطنه أو يسد جوعتها صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله ﷺ وجعل جزاءك كل رفعة رفعت بها الإسلام وكل ذكر لله تعالى أعظم الجزاء، لقد عشت الشرع كله كما يحب ربنا ويرضى وصدقت عائشة رضي الله عنها حين أجملت خلقه فقالت: «كان خلقه القرآن»(٣) صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٨/١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه وأحمد في المسند ٤/١٣١ من حديث المقدم مرفوعًا واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٦/٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

مبحث : قول النبي ﷺ « لنا الآخرة ولهم الدنيا »

٣٩٥ ـ عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على النبيِّ ﷺ قال : فرفعتُ بصري في بيتِه فوالله ما رأيتُ في بيتِه شيئًا يردُّ البصرَ غيرَ أهبة ثلاثة ، فقلت : يا رسولَ الله أُدْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ على أُمَّتِكَ فإنَّ فَارِسَ والرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَيَعْبُدُونَ اللهَ ، فجلسَ النبيُّ ﷺ وكَانَ مُتَّكِئًا فقال : **«أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّاب ؟ إِنَّ أُولئِكَ قُومٌ قَدْ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»** فقلتُ يا رسولَ اللهِ اسْتَغْفِرْ لي.

---

[٣٩٥] أخرجه البخاري في صحيحه في جزء من حديث طويل (٣٤٤/١٩، ٣٤٥) في النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (ح٥١٩١).

أخرجه البخاري في صحيحه في جزء من حديث طويل(١٩٨/١٠) في المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة (ح٢٤٦٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٢٠/١٠) في الطلاق، باب في الإيلاء وإعتزال النساء (ح١٤٧٩).

قوله : « أهبة» الأهبة بفتح الهمزة والهاء هو الجلد مطلقًا دبغ أو لم يدبغ اهـ فتح (٣٤٤/١٩) .

المعنى

يخبرنا عمر رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ بعد إستأذانه ثلاثًا قال: «فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاثة» أي: نظرت في بيت سيد العالمين ﷺ الذي لو طلب الجبال ذهبًا لصيرها الله تعالى له لكن لزهده في الدنيا وطلبه الآخرة لم يكن في بيته شيئًا يستدعي من عمر تكرير النظر فيه =

= غير ثلاثة أوعية من جلد بها شعير قال الحافظ[1] : «فرفعت بصري في بيته » أي : نظرت فيه اهـ قوله : « فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله » وعند مسلم : « قال : فابتدرت عيناي قال » قال : « **ما يبكيك يا ابن الخطاب !** » قلت : يا نبي الله وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانتك» أي: دمعت عينا عمر لما رأى من حال النبي ﷺ وزهده وشدة العيش وضيقه فسأله النبي ﷺ عن سبب بكائه ودموعه فقال ومالي لا أبكي يا رسول الله وهذا الحصير الذي تنام عليه بلا حائل بينك وبينه لينًا يقي جنبك ضفير الحصير الجاف الذي أثر في جنبك وأنت أشرف الناس وأعظم عند من بيده خزائن السموات والأرض وهذه خزانتك فارغة ما فيها شيئًا يستدعي مني تكرير النظر إليه وأحوال قيصر وكسرى أكفر الناس ومع ذلك عندهم من رزق الله تعالى ما جعلهم في الثمار الكثيرة والأنهار الغزيرة والذهب والفضة وكنوزهما كيف هذا يا رسول الله وأنت لو دعوت الله تعالى أجابك لمكانتك عنده فادع الله بالتوسعة ! هذه نظرة عمر رضي الله عنه وقتها ظن أن الدنيا يعطاها أهل الكرامة على الله حتمًا كما يعطاها أهل الفجور لكن أعلم الناس ﷺ بين له : « **إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه** »[2] وبين له فقال ﷺ : « **إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة ، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم**

---

(١) فتح الباري (١٩/٣٤٤) .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٩٢) بلفظ مقارب

= **تكن له حسنة يجزى بها**»[1] فلذلك في الحديث هذا قوله : « فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا » لتعجبه مما قال عمر ولأهمية الأمر المراد تبيينه وتوضيحه فقال ﷺ : «**أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب ؟ ! إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا** » وعند مسلم فقال : «**يا ابن الخطاب ! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا** » أي : هم قد أخذوا نصيبهم من النعيم في الدنيا فلذلك يعيشون فيما هم فيه من رغدة العيش الذي لم يتم لأنه في الدنيا فلا يخلوا من النقص ونحن إن شاء الله تعالى لنا الآخرة بنعيمها التام الكامل الذي أعده رب العالمين للصالحين المؤمنين وقد يعطينا من الدنيا رحمة منه بفضله تعالى قال تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾[2] قوله: «فقلت يا رسول الله استغفر لي » قال الحافظ[3] : أي عن جراءتي بهذا القول بحضرتك أو عن اعتقادي أن التجملات الدنيوية مرغوب فيها ، أو عن إرادتي ما فيه مشابة الكفار في ملابسهم ومعيشتهم اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٩/١٧) في صفات المنافقين . باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر ،(ح٢٨٠٨).

(٢) سورة القصص آية (٨٣، ٨٤) .

(٣) فتح الباري (٣٤٥/١٩).

مبحث : في زهد النبي ﷺ وإعراضه عن الدنيا

٣٩٦ - عن أنس رضي الله عنه قال : مشيتُ إلى النَّبيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وإهَالَةٍ سَنِخَةٍ، ولقد سمعته يقول : « **مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ إلاَّ صَاعٌ ولاَ أَمْسَى وإنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ** ».

---

[٣٩٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢٢٨) في الرهن، (ح٢٥٠٨).

وأخرجه الترمذي في سننه (٤/٤٠٥) في البيوع، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، وقال حسن صحيح (ح١٢٣٣).

وأخرجه أحمد في المسند (٣/٢٣٨).

قوله: «إهالة سنخة » الإهالة ، بكسر الهمزة وتخفيف الهاء : ما أذيب من الشحم والإليه وقيل هو كل دسم جامد والسَنِخة بفتح المهملة وكسر النون بعدها معجمة مفتوحة، المتغيرة الريح اهـ فتح (١٠/٢٢٩) ، نهاية (٢/٤٠٨).

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه «أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة » أي: مشى إليه حاملاً للنبي ﷺ خبزاً مصنوعاً من عجينة الشعير الخشن وشحماً مذاباً له رائحة غير طيبة ، سيد البشر ﷺ الذي لو سأل الله تعالى له الجبل ذهباً لكان ومع ذلك رغبة في تمام نعيم الآخرة زهد تمام الزهد في لذة الدنيا ، فعن عبد الله قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال : « **مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** »[1] وهو القائل ﷺ: « **عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يارب ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً أو نحو ذلك ، فإذا جعت** =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧/٤٨) في الزهد ، (ح٢٤٨٣).

= تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[1] قال الحافظ[2] : والإهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ما أذيب من الشحم والإليه وقيل هو كل دسم جامد وقيل ما يؤتدم به من الإدهان وقوله : سَنِخَة : بفتح المهملة وكسر النون بعدها معجمة مفتوحة أي : متغيرة الريح اهـ قوله : « ولقد سمعته يقول » الضمير المتصل : لأنس الفاعل، والضمير المنصوب: للنبي ﷺ والقائل من قوله يقول هو أيضًا رسول الله ﷺ قال القسطلاني[3] : وقال أنس أيضًا : «ولقد سمعته «عليه الصلاة والسلام اهـ قوله» ما أصبح لآل محمد ﷺ إلا صاع ولا أمسى » أي : لقد أصبحوا وأمسوا وما عندهم إلا صاع طعام فقط وهم تسعة أبيات قال القسطلاني[3] : وفيه ما كان عليه الصلاة والسلام من التواضع والزهد في الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها والكرم الذي أفضى به إلى عدم الإدخار حتى احتاج إلى رهن درعه والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير اهـ وذكر الحافظ[2] أن مناسبة ذكر أنس لهذا القدر الإشارة إلى سبب قوله ﷺ هذا وأنه لم يقله متضجراً ولا شاكيًا معاذ الله من ذلك . اهـ قوله : « وإنهم لتسعة أبيات» وعند الترمذي: « وإن عنده يومئذ لتسع نسوة » فالمقصود بالأبيات أبيات نسائه ﷺ ومع كثرتهن فلا يوجد إلا صاع طعام زهداً ورغبة في ذلك ولما شكوا من قلة الدنيا قبل ذلك نزلت آية التخيير إن أردن الدنيا طلقهن لها وإن أردن الله ورسوله والدار الآخرة فالأجر من عظمه لا يعلمه إلا الله عز وجل قال الله عز وجل: ﴿ **يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾[4] والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٥٤/٥) من حديث أبي أمامه .

(٢) فتح الباري (٢٢٩/١٠) .

(٣) إرشاد الساري (٢٩٦/٤) .

(٤) سورة الأحزاب آية (٢٩، ٣٠) .

الفَصْلُ الثَّاني
فَضْلُ الفَقْرِ

مبحث : سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

٣٩٧ ـ عن عبد الله بن عمروبن العاص قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**».

٣٩٨ ـ عن أبي هريرة قال قال رَسُولُ الله ﷺ: «**يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، نِصْفِ يَوْمٍ**».

---

[٣٩٧] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١١٠) في الزهد.

وأخرجه الترمذي في سننه (١٨/٧) في الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم وهو شاهد لهذا من حديث أبي سعيد مرفوعًا رقم (٢٤٥٦) وقال: حسن غريب.

وأخرجه ابن ماجه في الزهد (١٣٨٠/٢)، باب منزلة الفقراء وهو شاهد أيضًا.

وأخرجه الدارمي في سننه (٤٣٧/٢) في الرقاق، باب دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء (٤٣٧/٢).

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٥٢٠) (ح١٤٧٧) .

[٣٩٨] أخرجه الترمذي في سننه (٢١/٧، ٢٢) في الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم برقم (٢٤٥٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في الحديث الأول عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا**» حيث أن المال سبب لكثرة السؤال يوم القيامة وما يتبعه من كثرة التنعم والترف ومنع بعض الحقوق ولو المستحبة حيث أن كثرته مظنة ذلك وكل هذا سبب للتباطئ عن المقامات العالية إلى المقامات الدانية وقد ثبت في الحديث المرفوع «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن ..... فمنها ـ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»[1] فدخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء لقلة سؤال الملائكة يوم القيامة للفقراء وكثرته للأغنياء مما يؤدي إلى تعطلهم عن الدخول، كذلك دخول الفقراء مبكراً تعويضاً لهم عما فاتهم من الدنيا بسبب الفقر قال عز وجل: ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[2] قال النووي[3]: قوله ﷺ «**أربعين خريفا**» أي: أربعين سنة اهـ. وقال صاحب التحفة[4]: فالفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعم في الدنيا كما قال عز وجل: ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[2] أي: الماضية أو الخالية عن المأكل والمشرب صياماً أو وقت المجاعة اهـ وفي رواية الترمذي: «**فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام**» فالجمع: لعل بعضهم يدخل قبل بعض الأغنياء بخمسمائه عام والبعض الآخر بأربعين فقط لتفاوت الفقر والغنى فمثلاً الأكثر فقراً يدخل قبل الأكثر غنى بخمسمائة عام وأقلهم فقراً يدخل قبل أقلهم غنى بأربعين عاماً فقط والله أعلم. وفي الحديث الثاني عام لا يختص بفقراء المهاجرين فيخبرنا فيه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم**» وفي رواية في الباب: «**يدخل فقراء**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠١/٧) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب (ح ٢٥٣٢).

(٢) سورة الحاقة آية (٢٤).

(٣) شرح مسلم (١٠٩/١٨، ١١٠).

(٤) تحفة الأحوذي (١٨/٧).

مبحث : قول النبي ﷺ : « ما الفقر أخشى عليكم ... »

٣٩٩ ـ عن عمرو بن عوف الأنصاري أن الأنصار سمعت بقدوم أبي عبيدة فوافقتْ صلاةَ الصبحِ مع النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا صلَّى بهم الفجرَ انصرفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ حين رآهُمْ وقال: « **أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ** »؟ قالُوا : أَجلْ يا رسولَ اللهِ، قال : «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ لاَ الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** ».

= المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا » فيحمل على ما جمع به بين الحديثين الأولين على الفرق والمباينة بين الفقر والفقراء والغنى والأغنياء والله تعالى أعلى وأعلم.
قوله : «**بخمسمائة عام نصف يوم**» قال صاحب التحفة[١] : بالجر على أنه بدل، أو عطف بيان على خمسمائة عام فإن اليوم الأخروي مقدار طوله ألف سنة من سنى الدنيا لقوله تعالى ﴿ **وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾[٢] فنصفه خمسمائة، وأما قوله تعالى: ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾[٣] فمخصوص من عموم ما سبق أو محمول على تطويل ذلك اليوم على الكفار كما يطوى حتى يصير كساعة بالنسبة إلى الأبرار كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير** ﴾[٤] والله أعلم. اهـ

مبحث : قول النبي ﷺ : « ما الفقر أخشى عليكم ... »

[٣٩٩] أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٤٧، ٢٤٩) في فرض الخمس، باب الجزية والموادعة.. إلخ (ح٣١٥٨).

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/٢٢) .

(٢) سورة الحج (٤٧) .

(٣) سورة المعارج (٤) .

(٤) سورة المدثر (٨، ٩، ١٠) .

= وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨/٩٥) في الزهد، باب .

وأخرجه أحمد في المسند (٤/١٣٧).

المعنى

يخبرنا عمرو بن عوف رضي الله عنه أن الأنصار سمعت بقدوم أبي عبيدة - أي: ابن الجراح أمين الأمة - بمال البحرين بعد فتحها صلحًا وأمر عليهم ﷺ العلاء بن الحضرمي . قوله: «فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ» قال الحافظ[1]: يؤخذ منه أنهم كانوا لا يجتمعون في كل الصلوات في التجميع إلا لأمر يطرأ، وكانوا يصلون في مساجدهم إذ كان لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه فلأجل ذلك عرف النبي ﷺ أنهم اجتمعوا لأمر ودلت القرينة على تعيين ذلك الأمر وهو احتياجهم إلى المال للتوسعة عليهم فأبوا إلا أن يكون للمهاجرين مثل ذلك اهـ قوله: « فلما صلى بهم الصبح انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم أي: لما تعرضوا له علم أنهم إنما أتوا الفجر من أجل أن يرزقوا من المال لما علموا بمال البحرين وصدق الله العليم إذ يقول: ﴿وتحبون المال حبًا جمًا﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾[3] فلا يقاوم هذا الحب تاركًا له رغبة فيما هو أبقى إلا تقي شديد التقوى . قال الحافظ[1]: قوله : «فتعرضوا له» أي: سألوه البشارة اهـ. قوله: «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء»؟ قالوا: أجل يا رسول الله، أي: أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة بشيء من مال البحرين فلذلك أتيتم على غير ما =

---

(١) فتح الباري (١٢/٢٤٨، ٢٤٩) .

(٢) سورة الفجر آية (٢٠) .

(٣) سورة العاديات آية (٨) .

= اعتدتم من صلاتكم في مساجدكم قالوا : أي نعم سمعنا يا رسول الله وجئنا من أجل ما علمت وظننت بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحافظ[1] قال الأخفش : أجل في المعنى مثل نعم، لكن نعم يحسن أن تقال جواب الاستفهام وأجل أحسن من نعم في التصديق اهـ. قوله ﷺ : «**فأبشروا وأملوا ما يسركم**» يعني : من فتح الله تعالى الدنيا عليكم فهذا سيحدث إن شاء الله تعالى وحدث كما تنبأ نبينا ﷺ ، قال الكرماني[2] : قوله «**أملوا**» من الأمل والتأميل اهـ . وقال الحافظ[1] : قوله: «**فأبشروا**» أو معناه الإخبار بحصول المقصود اهـ. قوله ﷺ: «**فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**» أي: أما الفقر فلا أخشى عليكم منه ضررًا ولا أذى ولا عذابًا ولكن الذي أخشاه عليكم وأنتم لا تظنونه هو الغنى وانبساط الدنيا لكم كما حدث لمن كان قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم حيث لو انبسطت لتنافستم فيها ولذهبت عنكم القناعة ولأصبح جمعكم لها ليس للحاجة إنما للمباهاه فتهلكوا بترككم الدين أو تقصيركم فيه أو ترخصكم بالوقوع في الحرام من أجلها فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وقد يؤدي بكم إلى القتال فتسفك الدماء من أجل الدنيا وتترك الصلاة من أجل الدنيا وتمنع الزكاة من أجلها ويترك الجهاد من أجلها ويصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا من أجلها فاللهم نجنا من شرها وشر أهلها يا ربنا وربها ، وهذا من أعلام نبوة نبينا ﷺ حيث حدث ما قاله تمامًا بأبي هو وأمي ﷺ قال الكرماني[2] : «الفقر» بالنصب مفعول أخشى و«التنافس»: الرغبة اهـ. وقال الحافظ[3] : وهذه الخشية يحتمل أن يكون سببها علمه ﷺ أن الدنيا ستفتح عليهم ويحصل لهم الغنى بالمال ، وقد ذكر ذلك في أعلام النبوة مما أخبر ﷺ بوقوعه قبل أن يقع فوقع ، وقال الطيبي : فائدة تقديم المفعول هنا الاهتمام بشأن الفقر فإن الوالد المشفق إذا حضره الموت كان اهتمامه بحال ولده في =

(١) فتح الباري (١٢/٢٤٨، ٢٤٩) .

(٢) شرح البخاري للكرماني (١٣/١٢٦) .

(٣) فتح الباري (٢٤/٢٠، ٢١) .

مبحث : فصل قول النبي ﷺ :
« كن في الدنيا كأنك غريب »

٤٠٠ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِمنكبي فقال : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عابرِ سَبِيلٍ » وكانَ ابنُ عمرَ يقول : إذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ ، وخذ من صحتكَ لَمرضكَ ومنْ حياتكَ لموتكَ.

= المال فأعلم ﷺ أصحابه أنه وإن كان لهم في الشفقة عليهم كالأب لكن حاله في أمر المال يخالف حال الوالد، وأنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخشاه الوالد، ولكن يخشى عليهم الغنى الذي هو مطلوب الوالد لولده، والمراد بالفقر العهدي وهو ما كان عليه الصحابة من قلة الشيء. ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى أن مضرة الفقر دون مضرة الغنى لأن مضرة الفقر دنيوية غالبًا ومضرة الغنى دينية غالبًا، قوله : « فتنافسوها » الأصل فتتنافسوا فحذفت إحدى التاءين، والتنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، قوله: « فتهلككم » أي: لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المفضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك قال ابن بطال : فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا ، والفقير آمن من ذلك اهـ . فاللهم قنا الغنى المهلك والفقر المضجع يارب العالمين والله أعلم.

مبحث : فصل قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب »

[٤٠٠] أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٢٤) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب » (ح٦٤١٦).

وأخرجه الترمذي (٦/٦٢٥) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل. =

= وأخرجه أحمد في المسند (٢/٤١).

قوله : «بمنكبي» المنكب : بكسر الكاف مجمع العرض والكتف اهـ فتح (٩/٢٤).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ أخذ بمنكبه» أي: أمسك به أو وضع يده عليه قال الحافظ[1] : وفي الحديث مس المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم، والموعوظ عند الموعظة وذلك للتأنيس والتنبيه اهـ. قوله : فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» أي: اجعل نفسك في الدنيا كأنك فيها كغريب في بلد تجد مستوحشًا فيها غير آنس ولا منبسط ولا معمر ولا متطاول في البنيان ولا راكن إليها أو كن فيها كأنك مسافر فحال المسافر إذا قال تحت شجرة لا يركن إلى المكان ولا يفعل ما يقتضيه الاستيطان ولا نحوه مما يفعله غالب نوع الإنسان ، قال الطيبي[2] : ليست «أو» للشك بل للتخيير والإباحة والأحسن أن تكون بمعنى بل فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق فإن من شأنه أن لا يقيم ولا يسكن لحة ومن ثم عقبه بقوله : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح » إلى آخره اهـ وقال ابن بطال[2] : لما كان الغريب قليل الإنبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم ذليل في نفسه خائف كذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بتخفيفه الأثقال غير متثبت بما يمنعه من قطع سفره وفي ذلك إشارة إلى الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل اهـ بتصرف قوله : =

---

(١) فتح الباري (٢٤/١٠) .

(٢) فتح الباري (٢٤/٩) .

= «وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» أي : إذا جاء الليل فلا تأمل أن تعيش للصباح وإذا جاء عليك الصباح فلا تأمل أن تظل حيًا حتى الليل واعمل بقوة في الطاعة حال صحتك فقد يأتيك مرض يضعفك عن العمل الصالح فتندم وتتحسر على ما فاتك وقت الصحة واعمل وأنت مازلت حيًا فقد يبغتك أجلك فتقول إن جاءك وأنت ساه لاه كما قال تعالى حاكيًا عن من قال ذلك: ﴿ **رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾[1] قال الحافظ[2] : قوله «وخذ من صحتك لمرضك» أي: زمن صحتك، والمعنى اشتغل في الصحة بالطاعة بحيث لو حصل تقصير في المرض يجبر بذلك قال: وهذا القدر موقوف اهـ .

قال النووي[3] : معنى الحديث: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق الغريب في غير وطنه اهـ والله أعلم.

قال الحافظ[2] : ولا يعارض ذلك الحديث[4] الماضي في الصحيح «**إذا مرض العبد** أو **سافر كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» لأنه ورد في حق من يعمل، والتحذير الذي في حديث ابن عمر في حق من لم يعمل شيئًا فإنه إذا مرض ندم على تركه العمل وعجز لمرضه عن العمل فلا يفيده الندم ، وفي الحديث حرص النبي ﷺ على إيصال الخير لأمته والحض على ترك الدنيا والاقتصار على مالابد منه اهـ والله أعلم.

---

(١) سورة المؤمنون آية (٩٩، ١٠٠).

(٢) فتح الباري (١٠/٢٤) .

(٣) فتح الباري (٩/٢٤) .

(٤) أخرجه البخاري وأحمد في المسند (٤/٤١٠) واللفظ له.

مبحث : قول الله عز وجل :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾

٤٠١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعثَ إلى نسائِه فقلنَ : مَا معَنَا إلاَّ المَاء فقال رَسُولُ الله ﷺ : «**مَنْ يَضُمُّ أو يُضيفُ هَذا؟**» فقال رجل من الأنصار: أنَا ، فانطلقَ بهِ إلى امرأتِهِ فقال: أكرمي ضيفَ رسولِ الله ﷺ فقالت: ما عندنَا إلا قُوتَ صبيانِي، فقال : هيِّئي طعامكِ ، وأصْبِحِي سِرَاجَكِ ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عَشَاءً: فهيأتْ طعامها وأصبحت سِرَاجَهَا، ونومتُ صبيانَهَا ثم قامت كأنها تُصْلِحُ سِّرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلاَ يُرِيَانه كأنهما يأكلان فباتَا طَاوِيَيْنِ، فلما أصبحَ غدا إلى رَسُولِ الله ﷺ فقال: «**ضَحِكَ اللّٰهُ الليلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا**» فأنزل اللهُ ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾.

---

[٤٠١] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧١/١٤) في مناقب الأنصار، باب قوله الله عز وجل ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ (ح٣٧٩٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١١/١٤، ١٢، ١٣) في الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

قوله : « فأصبحي سراجك» أي: أصلحيها وأضيئيها، والمصباح: السراج اهـ نهاية (٧/٣).

قوله : «طاويين» طوى من الجوع يطوى طوى فهو طاو: أي خالي البطن جائع لم يأكل اهـ نهاية (١٤٦/٣).

قوله: «خصاصة» أي: الجوع والضعف، وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء اهـ نهاية (٣٧/٢) .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه» زاد مسلم: فقال: «إني مجهود» أي: متعب جائع قد أعياني الجوع، قال النووي[1] : أي أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع اهـ قوله : « فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء» بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ تسليمًا كثيراً، لو سأل الله تعالى أن يكون له الجبل ذهبًا لكان ولكن كان هتافه «**اللهم الرفيق الأعلى**»[2] فعاش ﷺ قاصداً لها ومات ﷺ عليها، قال النووي[1] : هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة منها: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا اهـ قوله: «فبعث إلى نسائه» قال الحافظ[3] : أي يطلب منهن ما يضيفه به اهـ. «قولهن ما معنا إلا الماء» قال[3] : أي ما عندنا ، وفيه ما يشعر بأن ذلك كان في أول الحال قبل أن يفتح الله لهم خيبر وغيرها اهـ قوله: فقال رسول الله ﷺ : «**من يضم أو يضيف هذا**» وعند مسلم: فقال: «من يضيف هذا الليلة رحمه الله» أي: من يقوم بصنع طعام الضيافة له لعدم تيسره عندي والله يرحمه برحمته الواسعة. قال الحافظ[3] : أي من يؤوي هذا فيضيفه وكأن «أو» للشك اهـ قال النووي[1] : أي فيه أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولا بما تيسر إن أمكنه ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه ومنها المواساة في حال الشدائد اهـ قوله : « فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ»، وعند مسلم: « فقال لامرأته هل عندك شيء» أي: لتقدميه إكرامًا لضيف رسول الله ﷺ قوله: « فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني» أي: ما يوجد إلا قوت أولادي الصبية =

---

(١) شرح مسلم (١٤/١١، ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/٢٨٥) في المغازي باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ بأبي هو وأمي (ح٤٤٦٣).

(٣) فتح الباري (١٤/٢٧١، ٢٧٢).

= فقط لا زيادة للضيف . قال الحافظ[1]: يحتمل أن يكون هو وامرأته تعشيًا وكان صبيانهم حينئذ في شغلهم أو نيامًا فأخروا لهم ما يكفيهم أو نسبوا العشاء إلى الصبية لأنهم إليه أشد طلبًا والرجل هذا هو أبو طلحة رضي الله عنه ففي مسلم فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة قوله : «فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء» أي: جهزي الطعام وأضيئي المصباح ونومي الصبيان إذا طلبوا العشاء لنؤثر ضيف رسول الله ﷺ على أنفسنا وعند مسلم «فعلليهم بشيء» أي: أشغليهم بشيء يناموا عليه من غير عشاء فهذا الإيثار والصبر يحبه ملك الملوك وفي هذا من زيادة الإيمان ما فيه فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين : قال الحافظ[1] : قوله: «أصبحي سراجك» بهمزة قطع أي : أوقديه اهـ قوله : « فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها» كما أمرها بالطاعة أطاعت فرضى الله عنها وعنهم أجمعين ، «ثم قامت كأنها تصلح سراجها وأطفأته، فجعلا يريانه كأنهما يأكلان فباتا طاويين» أي: قامت ليرى الضيف كأنها تصلح المصباح لتضيئه فتعمدت إطفاءه ثم وضعا الطعام للضيف في الظلام فجعل الضيف يأكل لأن المصباح أطفأته المرأة وهو يظن أنه لا يصلح للإضاءة وجعل الرجل صاحب البيت وامرأته يحركان شفاههما كأنهما يأكلان ولكنهما يحتالان حيلة ترضى عنهما الرحمن وتغضب الشيطان فلذلك ضحك الله عز وجل من فوق سبع سموات لصنيعهما وعجب من ذلك كما يليق بجلاله سبحانه ونزلت الآية الكريمة: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[2] قال الحافظ[1] : في قوله «**من فعالكما**» الفعال بالفتح اسم الفعل الحسن مثل الجود والكرم اهـ قال النووي[3] : في فوائد الحديث : منها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره ومنها منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما ومنها الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يمتنع منه رفقًا بأهل المنزل لقوله : أطفئي السراج وأريه أنا نأكل فإنه لو رأى قلة الطعام =

(١) فتح الباري (١٤/٢٧١، ٢٧٢) .

(٢) سورة الحشر آية (٩).

(٣) شرح مسلم (١٤/١١، ١٢) .

مبحث : قول النبي ﷺ :
«ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»

٤٠٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «**لَوْ كَانَ لابْنِ آدمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابنِ آدَمَ إلاَّ التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».

= وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل وقد أثنى الله ورسوله ﷺ على هذا الرجل وامرأته فقد آثرا على أنفسهما برضاهما مع حاجتهما وخصاصتهما فمدحهما الله تعالى وأنزل فيهما ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[1] ففيه فضيلة الإيثار والحث عليه وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفس أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها لأن الحق فيها لله تعالى والله أعلم اهـ . والله المستعان.

مبحث : قول النبي ﷺ : «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»

[٤٠٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤/٣٣)في الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، (ح٦٤٣٦).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٩/٧، ١٤٠)، في الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «لو كان لابن آدم واديان من المال لابتغى ثالثًا» أي: لو رزقه الله عز وجل واديان من ذهب لا يفنيه عُمرُه لتمنى الثالث كما عند مسلم[2] من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا «**لو كان لابن** =

(١) سورة الحشر آية (٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦/٧) في الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثًا (ح١١٧).

مبحث : قول النبي ﷺ :
«ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم»

٤٠٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ يا رسولَ الله ، أي الصدقةِ أفضلُ؟ قال : «أَنْ تَصَّدَقَ وأَنْتَ صَحيحٌ حَريصٌ ، تَأْمَلُ الغنَى ، وَتَخْشَى الفقْرَ ، ولا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ : لِفُلانٍ كَذَا ، وَلِفُلانٍ كَذا ، وَقَدْ كَانَ لفُلاَن».

= آدم واد من ذهب أحب أن له واديًا آخر ولن يملأ فَاهُ إلا التراب والله يتوب على من تاب» فالمقصود بالمال الذهب أو الفضة أو كلاهما وغيرهما فعند أحمد[١] «لقد كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ «لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى إليهما آخر ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» لابتغى الثالث» قال الحافظ[٢] وقوله: «لابتغى» بالغين المعجمة وهو افتعل بمعنى الطلب اهـ قوله: «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» قال النووي[٣]: ومعنى لا يملأ جوفه إلا التراب أنه لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرص على الدنيا ويؤيده قوله ﷺ: «ويتوب الله على من تاب» وهو متعلق بما قبله ومعناه أن الله يقبل التوبةُ من الحرص المذموم وغيره من المذمومات.اهـ والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ « ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم»

[٤٠٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٢١١) في الوصايا، باب الصدقة عند الموت (ح٢٧٤٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٢٣/٧) في الزكاة، بيان أن أفضل الصدقة صدقة =

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦٨/٤) من حديث زيد بن أرقم.

(٢) فتح الباري (٣٣/٢٤).

(٣) شرح مسلم (١٣٩/٧، ١٤٠).

= الصحيح الشحيح.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً قال للنبي ﷺ : يا رسول الله أي الصدقة أفضل» أي : أي نوع من الصدقات أعظم درجة عند الله عز وجل وأجرًا وثوابًا وعند مسلم : «أي الصدقة أعظم» قوله ﷺ: «**أن تصدق وأنت صحيح حريص، تأمل الغنى، وتخشى الفقر**» أي : أعظمهما أجرًا صدقتك حال صحتك وقوتك وأملك الكبير في الحياة المحتاجة إلى النفقة والمال وأنت حريص عليه تحتاجه وتحبه وتظن أنه نافعك زمنًا طويلاً وتأمل أن تكون غنيًا إذا جمعته وتخاف الفقر عند قلته وعند إنفاقه فالنفقة في هذه الحال أفضل الصدقة أي في وجوه الخير قال النووي[1] : فمعنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة رجاء البقاء وخوف الفقر، وتأمل الغنى بضم الميم أي: تطمع به اهـ. وقال الحافظ[2] : قوله : «**أن تصدق**» بتخفيف الصاد على حذف إحدى التاءين وأصله أن تتصدق وبالتشديد على إدغامها اهـ. قوله: «**ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان**» أي: ولا تنتظر بخيلاً شحيحًا مانعًا للصدقة حتى إذا جاءك ملك الموت وشعرت به وأيقنت بقرب الرحيل ومفارقة الأموال قلت أعطوا فلانًا كذا وفلانًا كذا وقد أصبح المال للورثة دونك والعياذ بالله تعالى. قال العيني[3]: «**ولا تمهل**» بالجزم لأنه نهي ويجوز النصب على تقدير وأن لا تمهل اهـ. قال النووي[1] : ومعنى بلغت الحلقوم بلغت الروح والمراد قاربت بلوغ الحلقوم، إذ لو بلغته حقيقة لم تصح وصيته ولا صدقته ولا شيء من تصرفاته باتفاق الفقهاء اهـ قال الحافظ[2]: قوله «**قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان**» الظاهر أن هذا المذكور على سبيل المثال وقال الخطابي : فلان الأول والثاني الموصى له وفلان الأخير الوارث لأنه إن =

---

(١) شرح مسلم (١٢٣/٧) .

(٢) فتح الباري (٢١١/١١) .

(٣) عمدة القاري (٢٧٢/١١) .

مبحث : قصر الأمل من الدين

٤٠٤ ـ عن عبد الله بن عمرو قال : مَرَّ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نُعَالِجُ خُصًا لَنَا ، فقالَ : «مَا هَذَا ؟» فقلنَا : قَدْ وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ فقال : «مَا أَرَى الأَمْرَ إِلاَّ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ».

= شاء أبطله وإن شاء أجازه اهـ . والله أعلم ـ قال الله عز وجل ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾[1] والله أعلم.

مبحث : قصر الأمل من الدين

[٤٠٤] أخرجه الترمذي في سننه (٦/٦٢٨) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، (ح٢٤٣٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو داود في سننه (١٤/١٤٩) في الأدب، باب في البناء، (ح٥٢١٣).

وأخرجه أبو داود في سننه (١٤/١٤٩) في الأدب، باب في البناء، (ح٥٢١٤).

قوله: «خص» الخص بيت يعمل من الخشب والقصب وجمعه خصاص سمي به لما فيه من الفرج والأنقاب اهـ نهاية (٢/٣٧).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قائلاً « مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًا لنا » أي: نصلح بيتًا لنا من الخشب وعند أبي داود: «وأنا أطين حائطًا لي» فقال : «ماهذا» ؟ يسأل ﷺ ليعلمهم : «فقلنا قد وهى فنحن نصلحه » أي : هذا أمر ضروري: بيتنا تخرق وضعف فنحن نصلحه فكيف بالأموال الطائلة التي تنفق في هدم البنيان القوى وتجديده على أحدث الأبنية بأموال يحتاجها فقراء المسلمين الذين =

(١) سورة المنافقون آية (١٠، ١١) .

= لا يجدون أحيانًا عشاءً ولا دواءً فاللهم سلم سلم فالخص من الخشب والإصلاح لما وهى من الطين ومع ذلك قال ﷺ : «**ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك**» وعند أبي داود : «**الأمر أسرع من ذلك**» بل في رواية[1] عن أنس مرفوعًا: «**أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا إلا مالا** - يعني مالابد منه» أي : أمر الموت والآخرة أسرع من إصلاح الخص وتزيينه وتقويته فانشغل بالآخرة واكتف بما يسترك من البناء قال الله تعالى: ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**﴾[2] وقال عز وجل: ﴿**قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا**﴾[3] ، قال في التحفة[4] : «قد وهى» أي: ضعف فقال : «**ما أرى الأمر**» أي: الأجل. «**إلا أعجل من ذلك**» قيل الأجل أقرب من تخرب هذا البيت أي: تصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل أن تموت وربما تموت قبل أن ينهدم فإصلاح عملك أولى من إصلاح بيتك ، قال الطيبي رحمه الله : أي : كونك في الدنيا كعابر سبيل أو راكب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من اشتغالك بالبناء اهـ . والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١/١٤) في الأدب، باب البناء (ح٥٢١٥).

(٢) سورة لقمان آية (٣٤).

(٣) سورة النساء آية (٧٧) .

(٤) تحفة الأحوذي (٢٢٨/٦) .

الفصل الثالث
القَنَاعَةُ

مبحث : قول النبي ﷺ : « فآثروا ما يبقى على ما يفنى »

٤٠٥ ـ عن أبي موسى الأشعري أن رسولَ الله ﷺ قال : « **مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى** ».

---

[٤٠٥] أخرجه أحمد في المسند (٤/٤١٢) عن المطلب عن أبو موسى قال الهيثمي (١٠/٢٤٩) في الزوائد: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات.

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣١٩) في الرقاق، (ح٧٨٩٧) وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٧٠) في الجنائز- ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله.

المعنى

يخبرنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أحب دنياه أضر بآخرته» قال الله تعالى ﴿إعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد﴾[1] وقال عز وجل: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾[2] لذلك من أحب الدنيا شغلته وحاطته وانكب عليها واهتم بصغيرها =

---

(١) سورة الحديد آية (٢٠).

(٢) سورة الأسراء آية (١٨، ١٩).

مبحث : قول النبي ﷺ :
« إذا أحب الله عبداً حماه في الدنيا »

٤٠٦ ـ عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدَهُ حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ المَاءَ».

= وكبيرها وجليلها وحقيرها وسفسافها فلا يزال كذلك منكبًا على الدنيا متقاعساً عن الآخرة حتى يهلك في أحد أوديتها والعياذ بالله تعالى أما «**من أحب آخرته أضر بدنياه**» أي: لقلة سعيه وضربه فيها حيث أنه لا يستطيع أن يجمع بينهما لكثرة شغل كل منهما فلابد من التقصير في أحد الأمرين خاصة وأن صاحب الهمة العالية في شيء لا يحب له علة تنافسه المحبة فكذلك صاحب الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب** ﴾[1] لذلك قال ﷺ: «**فآثروا ما يبقى على ما يفنى**» أي: آثروا الآخرة على الدنيا واهتموا بها ولا تطلبوا الدنيا إلا كزاد الراكب لذلك كان سلمان يقول[2] «إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب» كما في الحديث الآخر[3] : «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» فهل يجمع الراكب والعابر إلا قدر حاجته التي تبلغه المقيل ؟ فكذلك عابر الدنيا إلى الآخرة إذا أراد أن يجتاز العقبة الكؤود فليخفف الحمل والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ : « إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا»

[٤٠٦] أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٠٩، ٣٤٤) في الرقاق (ح٧٨٥٧) =

(١) سورة الشورى آية (٢٠) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/٣٧٤) في الزهد، باب الزهد في الدنيا (ح٤١٠٤) وصححه الألباني وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٥٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن يحيى ابن الجعد وهو ثقة اهـ واللفظ للطبراني ، ولفظ ابن ماجه «عهد إلي أن يكفي أحدكم مثل زاد الراكب».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٢٤) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ : «كن في الدنيا كأنك غريب» (ح٦٤١٦).

= وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨٥) وقال : رواه أبو يعلى وإسناده حسن (ح٦٨٦٥).

المعنى

يخبرنا قتادة بن النعمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء**» أي: من علامات حب الله تعالى لعبده أن لا يجعله منغمسًا في الدنيا وملذاتها مفتوحة عليه ينال منها ما يشاء فهذا يطغيه لكن يعطي سبحانه عبده المؤمن قدر حاجته ويمنع عنه الزيادة المنسية المطغية وهو يشتهيها لئلا تجره الزيادة إلى ما يؤدي به فعله إلى عاقبة غير محمودة والعياذ بالله عز وجل كما قال تعالى ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**﴾[1] وكان نبينا ﷺ يقول : «**اللهم ارزق آل محمد قوتًا**»[2] وقد ضرب نبينا ﷺ هذا المثل بالمريض الذي يشتهي الماء ويمنعه مرضه خوفًا عليه من الهلاك بما يشتهيه فكذلك طالب الزيادة من الدنيا وأخرج الطبري[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض...**﴾ الآية عن قتادة قال كان يقال خير الرزق مالا يطغيك ولا يلهيك اهـ . قال الطبري : ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى ، فقال جل ثناؤه: ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده**﴾ فوسعه وكثره عندهم لبغوا، فتجاوزوا الحد الذي حده الله في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم ، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه اهـ . والله أعلم .

---

(١) سورة الشورى آية (٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤/٧٩) في الرقاق، (ح٦٤٦٠)، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/١٤٩ح ٣٠٦٩٩).

مبحث : أفضل شيء بعد الإيمان العافية فاللهم ارزقناها

٤٠٧ ـ عن رفاعة بن رافع قال : قام أبو بكر الصديق على المنبرِ ثم بكَى فقال : قامَ رسولُ الله ﷺ عامَ الأول على المنبر ثم بكى فقال : « **سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ ، فإنَّ أحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا من العَافِيَةِ** ».

٤٠٨ ـ عن العباس بن عبد المطلب قال : قلتُ يا رسولَ الله عَلِّمْني شَيْئًا أسْأَلُهُ اللهَ ، قال : « **سَلِ اللهَ العَافِيَةَ** » فمكثت أيامًا ثم جئت ، فقلت : يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله ، فقال لي : « **يا عَبَّاسُ يا عَمَّ رَسُولِ الله سَلِ اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ** ».

---

[٤٠٧] أخرجه الترمذي في سننه (٣/١٠) في الدعوات ، باب أحاديث شتى، (ح٣٦٢٩) وقال : هذا حديث حسن غريب.

[٤٠٨] أخرجه الترمذي في سننه (٩/٤٩٦) في الدعوات ، (ح٣٥٨١) وقال : هذا حديث صحيح .

قوله : « العفو » هو محو الذنب اهـ . نهاية (٣/٢٦٥) .

قوله : « العافية » السلامة من الأسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض اهـ . نهاية (٣/٢٦٥) .

المعنى

يخبرنا رفاعة بن رافع الأنصاري رضي الله عنه «أنه قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المنبرِ ، منبرِ رسول الله ﷺ ثم بكى بالتسلسل مقتديًا بالنبي ﷺ حيث قال: قام رسول الله ﷺ عام الأول ثم بكى» ﷺ لما أخبره الوحي به مما سيقع بالأمة المسلمة عندما تبتعد عن شرعة ربها عز وجل عندما يرحل السلف ويشرد الخلف قال تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون** =

= غَيًّا ﴾(1) قال صاحب التحفة(2) : قيل إنما بكى لأنه علم وقوع أمته في الفتن وغلبة الشهوة والحرص على جمع المال وتحصيل الجاه فأمرهم بطلب العفو والعافية ليعصمهم من الفتن اهـ . قوله ﷺ : «**سلوا الله العفو والعافية**» أي: ادعو الله تعالى بالعافية في الدين والدنيا والآخرة واسألوه العفو عن الذنوب والمعاصي فلا يحاسبكم عليها بل يتجاوز برحمته ومغفرته سبحانه قال الله تعالى: ﴿ **واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾(3) قال صاحب التحفة(2) : في قوله : «**سلوا الله العفو**» أي: عن الذنوب « **والعافية**» قال القاري : معناه السلامة في الدين من الفتن وفي البدن من سيء الأسقام وشدة المحنة اهـ . قلت : لا حاجة إلى زيادة لفظ سيء اهـ . قوله ﷺ : « **فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية**» أي: لا نعمة بعد نعمة الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أفضل من نعمة العافية في الدين والنفس قال صاحب التحفة(2) في قوله : «**فإن أحداً لم يعط بعد اليقين**»أي: الإيمان «**خيراً من العافية** » قال الطيبي: وهي السلامة من الآفات فيندرج فيها العفو اهـ. وفي الحديث الثاني أيضًا يخبر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه «أنه قال يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله» أي: أدعو به الله تعالى كثيراً أداوم عليه ينفعني الله تعالى به في الدنيا والآخرة . قال : «**سل الله العافية**» أي: ادعوا الله تعالى أن يرزقك العافية في الدين والنفس والدنيا فيسلمك من البلايا فيهم كما مضى تفسيرها . «فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت : يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله » كأن العباس إما استقل أمر الدعاء بالعافية وإما أراد تجديداً لأنواع الدعوات ليزداد خيراً، فأعاد النبي ﷺ تأكيداً لأهمية هذا الدعاء العظيم الذي يشمل خيري الدنيا والآخرة ولا أفضل منه كما في الحديث الماضي بعد الإيمان بالله تعالى فقال ﷺ له : «**يا عباس** =

---

(1) سورة مريم آية (٥٩) .

(2) تحفة الأحوذي (٣/١٠ ، ٤) .

(3) آخر سورة البقرة آية (٢٨٦).

مبحث : لا يبقى مع الميت إلا عمله

٤٠٩ - عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « **يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ** ».

= يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة» قال صاحب التحفة[1] : في أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئًا يسأل الله به دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعي به ذو الجلال والإكرام وقد تقدم معنى تحقيق العافية أنها دفاع الله عن العبد فالداعي بها قد سأل ربه دفاعه عن كل ما ينوبه ، وقد كان ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه ويرى له في الحق ما يرى الولد لوالده ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية تحريك لهمم الراغبين على ملازمته وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سبحانه وتعالى ويستدفعون به في كل ما يهمهم ، ثم كلمة ﷺ بقوله: «سل الله العافية في الدنيا والآخرة» فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير اهـ . والله أعلم.

مبحث : لا يبقى مع الميت إلا عمله

[٤٠٩] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/٩٥) في كتاب الزهد.

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يتبع الميت ثلاثة**» أي: يشيع الميت إلى قبره ثلاثة أصناف من المقربين إليه والمعاشرين له «**أهله وماله وعمله**» أي: هؤلاء الثلاثة هم أهل الميت من ولد ووالد وزوج ورحم وأحباب وأصحاب ونحوهم، وكذلك ماله أحيانًا يتبعه أو في حكم التابع له وكذلك عمله يتبعه كله لا يتخلف منه شيء قال تعالى: ﴿ **أحصاه الله ونسوه** ﴾[2] وقال تعالى: =

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/٤٩٦).

(٢) سورة المجادلة آية (٦) .

مبحث : قول النبي ﷺ :
«رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»

٤١٠ ـ عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : استيقظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ليلةً فَزِعًا يقول : «سُبْحَانَ الله ! مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ فِي الخَزَائِنِ ؟ وَمَاذَا أَنْزِلَ مِن الفِتَنِ ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ ؟ » - يريد أزواجه لكي يصلين - «رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ».

= ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1] وقال عز وجل: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[2] فلذلك يأتي كله يساق معه ولا يقف عند لحده بل يدخل معه لذلك قال ﷺ : «فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» فأهله يتوارثونه وماله يقسم بينهم ويبقى عليه تبعاته إن ترك خيراً أجر وإن ترك شراً حوسب على ما اقتناه وما تورث بعده فمن ورث مصحفًا وقمطراً وصل إليه أجر من انتفع به ومن ورث شاشة مسمومة فعليه وزر من أصيب بسمها لا ينقص من أجر الأول شيء ولا ينقص من وزر الثاني شيء قال تعالى : ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ [3] فليحذر العقلاء وقال ﷺ[4] : «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ : «رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»

[٤١٠] أخرجه البخاري في الصحيح (٢٧/٢٥) ، في الفتن، باب لا يأتي زمان =

(١) سورة ق آية (١٨) .

(٢) سورة الزلزلة آية (٧، ٨) .

(٣) سورة النحل آية (٢٥) .

(٤) أخرجه مسلم في الوصية (٨٥/١١) ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

= إلا الذي بعده شر منه ، (ح٧٠٦٩).

وأخرجه أيضًا في الصحيح (١/١٧)، في العلم، باب العلم، والعظة بالليل، (ح١١٥).

قوله : « صواحب الحجرات» بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة وهي منازل أزواج النبي ﷺ اهـ. فتح (٢٧/٢٥) .

قوله : « رب » بضم المهملة وفتح الموحدة التحتانية الثقيلة . معناها في الغالب التكثير وقد ترد للتقليل وقيل العكس اهـ بتصرف فتح (٢٧/٢٦).

المعنى العام

قال الله عز وجل: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾[1] فسار النبي ﷺ بين الناس يضيء لهم الظلام ويمهد لهم الطريق ، ويؤمن الخائف ، ويقوم المعوج، ويهدي الحائر ، ويرشد الضال ، ويوقظ الغافل ، وينذر العاصي ، ويحذر اللاهي، فقد بلغ ، وأدى ، ونصح، وتركنا ﷺ على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ، ومما بلغنا من ذلك ما في هذا الحديث الشريف حيث تخبر أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فزعًا يقول: « **سبحان الله**» متعجبًا مما أوحى إليه في نومه مما يفزع فقال : « **ماذا أنزل الليلة من الفتن**» قال ابن حجر[2] : المراد بالإنزال إعلام الملائكة بالأمر المقدور أو أن النبي ﷺ أوحى إليه في نومه ذاك بما سيقع بعده من الفتن فعبر عنه بالإنزال . اهـ «**وماذا فتح من خزائن** » قال الحافظ[2] في الفتح : عبر عن الرحمة بالخزائن كقوله تعالى : ﴿ **خزائن رحمة ربك** ﴾[3] ومن العذاب بالفتن لأنها أسبابه اهـ =

(١) سورة المائدة آية (١٥، ١٦) .

(٢) فتح الباري (١/٣١٨) .

(٣) سورة الطور آية (٣٧) .

= وقال ابن بطال : في هذا الحديث : أن الفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه ، أو أن يبخل به فيمنع الحق أو يبطر صاحبه فيسرف، فأراد ﷺ تحذير أزواجه من ذلك كله وكذا غيرهن ممن بلغه ذلك اهـ . فعلمهم ﷺ الفزع إلى الصلاة عند الشدائد والخوف مما يخشى عاقبته ومغبته من الفتن وغيرها ففي الحديث : « كان ﷺ إذا حزبه أمر صلى »[1] ثم قال ﷺ : « **رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** » يحذر من عواقب الذنوب خاصة الصادرة عن النساء فالستر من الله عليها في الدنيا ينزع عنها يوم القيامة فيفضحها بذنوبها كما قال ﷺ لهن كما روى في صحيح البخاري[2] : «**تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» قال الحافظ ابن حجر : واختلف في المراد بقوله : «**كاسية** » و« **عارية** » على أوجه : أحدها : كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى ، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا . ثانيها : كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها ، فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك . ثالثها : كاسية من نعم الله عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب رابعها : كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة . خامسها : كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح عارية في الآخرة من العمل فلا ينفعها صلاح زوجها اهـ . ثم قال : ذكر هذا الأخير الطيبي ورجحه لمناسبة المقام ، واللفظة وإن وردت في أزواج النبي ﷺ لكن العبرة بعموم اللفظ ثم قال : وفي الحديث الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتن ولاسيما في الليل لرجاء وقت الإجابة لتكشف، أو يسلم الداعي ومن دعاه . وبالله التوفيق اهـ فمن أراد النجاة والوصول فعليه بما أمر به الرسول ﷺ . والحمد لله رب العالمين .

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٨/٥) من حديث حنيفة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٨/٢) في الحيض، باب ترك الحائض الصوم ، (ح٣٠٤).

مبحث : الحث على الصدقة قبل زمن ردها

٤١١ - عن حارثةَ بن وهب قال ، سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول : « **تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِه فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا ، يَقُولُ الرَّجُلُ لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا** ».

---

[٤١١] أخرجهُ البخاري في صحيحه (٢٨/٧) في الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد ، (ح١٤١١).

وأخرجهُ البخاري في صحيحه (٩٥/٢٧) في الفتن، باب (ح٧١٢٠).

المعنى

قال تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**... ﴾ الآيات(١) وقال عز وجل : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله** ... ﴾ الآية(٢) فالله عز وجل أمرنا بالمسارعة إلى الخيرات بل والمسابقة إليها ونبينا ﷺ بين لنا وحثنا على المسارعة مبينًا أنه ستأتي أيام لا يستطيع العامل بالصالحات أن يعمل ببعضها لعدم تيسر ذلك وانغلاق الطريق في سبيل الوصول إلى بعض الخيرات لعدم وجود بعض أبوابها كالصدقات ويبين لنا هذا الحديث الشريف هذا الأمر أتم البيان فيقول حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها** » يأمرنا النبي ﷺ بالمسارعة بالصدقة حيث قال : تصدقوا ثم بين سبب الأمر بأنه سيأتي زمان يذهب الرجل بصدقته يريد من يقبلها فلا يجد أحدًا يقبلها وقد ترجم الإمام البخاري قبل هذا الحديث «باب الصدقة قبل الرد » قال ابن حجر(٣) : قال الزين بن المنير ما ملخصه : مقصوده بهذه =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٢) .

(٢) سورة الحديد آية (٢١) .

(٣) فتح الباري (٢٨/٧) .

= الترجمة الحث على التحذير من التسويف بالصدقة لما في المسارعة إليها من تحصيل النمو المذكور ، قيل لأن التسويف بها قد يكون ذريعة إلى عدم القابل لها إذ لا يتم مقصود الصدقة إلا بما صادقة المحتاج إليها ، وقد أخبر الصادق ﷺ أنه سيقع فقد الفقراء المحتاجين إلى الصدقة بأن يخرج الغنى صدقته فلا يجد من يقبلها فإن قيل إن من أخرج صدقته مثاب على نيته ولو لم يجد من يقبلها فالجواب أن الواجد يثاب ثواب المجازاة والفضل، والناوى يثاب ثواب الفضل فقط ، والأول أربح ، والله أعلم اهـ . وقال الحافظ ابن حجر(١) : يحتمل أن يكون ذلك وقع كما ذكر في خلافة عمر ابن عبد العزيز فلا يكون من أشراط الساعة ثم قال : وسببه بسط عمر العدل وإيصال الحقوق لأهلها حتى استغنوا ، وأما قبض المال الذي يقع في زمن عيسى عليه السلام فسببه كثرة المال وقلة الناس واستشعارهم بقيام الساعة اهـ قوله : «يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها ، فأما اليوم فلا حاجة لي بها » قال الحافظ(٢) أي: الذي يريد المتصدق أن يعطيه إياها اهـ . لو جئت بالأمس لقبلتها منك أما اليوم فأنا لست محتاجًا إليها فيرجع بها وقال ابن حجر هنا كلامًا غير الكلام الذي قاله في الفتن ولعله يحدث مرتين فقال : والظاهر أن ذلك يقع في زمن كثرة المال وفيضه قرب الساعة اهـ . والله أعلم وقال النووي(٣) : وفي هذا الحديث والأحاديث بعده مما ورد في كثرة المال في آخر الزمان وأن الإنسان لا يجد من يقبل صدقته الحث على المبادرة بالصدقة واغتنامها قبل تعذرها وسبب عدم قبولهم الصدقة في آخر الزمان لكثرة الأموال وظهور كنوز الأرض ووضع البركات فيها كما ثبت في الصحيح بعد هلاك يأجوج ومأجوج وقلة آمالهم وقرب الساعة وعدم ادخارهم المال وكثرة الصدقات والله أعلم اهـ . قلت ومنه ما أخرجه مسلم في صحيحه وفيه : فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين =

(١) فتح الباري (٢٧/٩٥) .

(٢) فتح الباري (٧/٢٨) .

(٣) شرح مسلم (٧/٩٦) .

مبحث : ما أنفق ابن آدم لله فهو الباقي له

٤١٢ ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال قال النَّبيُّ ﷺ : « أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ » قالوا: يا رسولَ اللهِ ، ما منَّا أحدٌ إلا مالُهُ أحبُّ إليهِ ، قال: « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ ».

= عداوة ... الحديث[1] والله أعلم.

مبحث : ما أنفق ابن آدم لله فهو الباقي له

[٤١٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩/٢٤)، باب ما قدم من ماله فهو له ، (ح٦٤٤٢).

وأخرجه النسائي في سننه (٢٣٧/٦، ٢٣٨) في الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية.

وأخرجه أحمد في المسند (٣٨٢/١).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه سأل أصحابه أي: من منكم يحب مال ورثته أكثر من حبه لماله فقال : « **أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله** » قال الحافظ[2] : أي أن الذي يخلفه الإنسان من المال وإن كان هو في الحال منسوبًا إليه فإنه باعتبار إنتقاله إلى وارثه يكون منسوبًا للوارث ، فنسبته للمالك في حياته حقيقية ، ونسبته للوارث في حياة المورث مجازية ومن بعد موته حقيقية . اهـ قوله: « قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه » أي: كلنا يا رسول الله ماله أحب إليه بكثير من مال وارثه أي : فلو نعلم آجالنا ما تركنا شيئًا قبل رحيلنا إلى =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٠/١٨) في الفتن وأشراط الساعة باب في خروج الدجال... إلخ (ح١١٦/٢٩٤٠).

(٢) فتح الباري (٣٩/٢٤، ٤٠).

= ربنا عند موتنا قوله ﷺ : «**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر** » أي : ما تصدق به صاحب المال في حياته وأنفقه في وجوه القربات إبتغاء مرضات رب البريات سبحانه هو الذي يبقى له بعد موته فهو ماله حقيقة لأنه لا يفارق الحياة الباقية أما الذي تركه من غير إنفاق فأقل ما فيه أن يرثه وارثوه ولا ينتفع بشيء منه فضلاً عن التبعات التي يسأل عنها بسببه ففي الحديث[1] : «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فيما أَفْنَاهُ وعن عِلْمِه فيما فَعَلَ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه**».

قال الحافظ[2] : قوله : « **فإن ماله ما قدم** » أي : هو الذي يضاف إليه في الحياة وبعد الموت بخلاف المال الذي يخلفه قال ابن بطال وغيره : في التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة ، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكًا للوارث، فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه ، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الإنتفاع به من تبعته ، ولا يعارضه قوله ﷺ لسعد : «**إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة**»[3] لأن حديث سعد محمول على من تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه ، وحديث ابن مسعود في حق من يتصدق في صحته وشحه. اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠١/٧) في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب (ح٢٥٣٢).

(٢) فتح الباري (٣٩/٢٤، ٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٢/١١) في الوصية (ح٢٧٤٢).

مبحث : قول النبي ﷺ : « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا . . . »

٤١٣ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنتُ أمْشِي مَعَ النَّبيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ المَدِينَةِ فاستَقْبَلنَا أحد فقال : « يَا أَبَاا ذَرٍّ » قلتُ : لبيكَ يا رسولَ الله، قال : « مَا يَسُرُّنِي أنَّ عِنْدِي مثل أُحُد هذا ذهَبًا تمضي عليّ ثالثةٌ وعندي منهُ دينارٌ إلاَّ شَيْئًا أرصُدُهُ لِدَيْنٍ ، إلاَّ أن أقولَ به في عِبَادِ الله هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عن يمينه وعن شماله ، ومَنْ خَلْفه ، ثمَّ مَشَى ثمَّ قَالَ : إنَّ الأكْثَرِينَ هُمُ المُقلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاّ مَنْ قَالَ هكذا ، وهكذا ، وهكذا ، عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه ، وقَلِيلٌ مَا هُمْ ، ثم قال لي : مَكَانَكَ لا تَبْرَح حَتَّى آتيكَ ثم انطلق في سواد الليلِ حتى توارى فسمعتُ صوتًا قد ارتفع ، فَتَخَوَّفْتُ أن يكون أَحَدٌ عَرَضَ للنَّبيِّ ﷺ فأَرَدْتُ أنْ آتيهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لي لا تَبْرَحْ حَتَّى آتيكَ ، فلم أبرحْ حتى أَتَانِي ، قلتُ يا رسول الله ، لَقَدْ سمعتُ صَوْتًا تخوفت فذَكَرْتُ لَهُ ، فقال « وَهلْ سمعْتَهُ ؟ قلتُ : نعم قال : ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فقال : مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ » قلت : وإن زنى وإن سرق قال : وَإنْ زَنَى : وَإنْ سَرَقَ.

---

[٤١٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤/٢٤) في الرقاق باب قول النبي ﷺ « ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا »، (ح٦٤٤).

أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٧) بقصه وباختصار ما هاهنا في الزكاة باب ما أدى زكاته فليس بكنز (ح١٤٠٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٤/٧، ٧٥، ٧٦، ٧٧) في الزكاة، باب ترغيب في الصدقة أكثر من روايتين.

= قوله : « أرصده » أي أعده اهـ نهاية (٢/٢٢٦) .

قوله : « أقول به » قال ابن الأثير : العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول : قال بيده أي أخذ ، وقال برجله : أي مشى اهـ نهاية (٤/١٢٤).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾[١] ولما كان النبي ﷺ أعلم الناس بالحقائق والشرائع وأتقى الناس لله عز وجل وأخشاهم له سبحانه قال : «**ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي على ثالثة وعندي منه دينار إلا شيئاً أرصده لدين**» ويروى لنا أبو ذر رضي الله عنه هذه الصحبة الطيبة العظيمة التي تفضل عليه بها الله ورسوله ﷺ فيقول : « كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة فاستقبلنا أحد » أي : كنت أمشي مع النبي ﷺ في أرض المدينة ذات الحجارة السود قال ابن الأثير[٢] :الحرة : هي الأرض ذات الحجارة السود وتجمع على حر وحرار وحرات اهـ . وقد ذكر أبو ذر القصة من أولها تحدثاً بنعمة الله عليه بمشيه مع سيد ولد آدم يحدثه ويحدثه فهنيئاً لأبي ذر وصلى الله وسلم على نبينا المصطفى محمد ﷺ . وقوله : « فاستقبلنا أحد» قال الحافظ ابن حجر[٣] : هو بفتح اللام وأحد بالرفع على الفاعلية اهـ . ورواية مسلم تبين أن ذلك كان ليلاً ففيها « كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاءً » قوله: « فقال : يا أبا ذر» قلت لبيك يا رسول الله وفي رواية الزكاة : «**يا أبا ذر أتبصر أحداً**» قال : فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله ﷺ =

---

(١) سورة المنافقين آية (١٠، ١١) .

(٢) نهاية (١/٣٦٥) .

(٣) فتح الباري (٢٤/٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨) .

= يرسلني في حاجة له « لكن صلى الله عليه وسلم أراد أن يرى أبو ذر عظم أحد ليعلم بعد ذلك أن هذا كله لو كان ذهبًا ما بخل به رسول الله ﷺ على عباد الله فينفقه كله إلا شيئًا يرصده لدين قوله : «**ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا تمضي على ثالثة وعندي منه دينار إلا شيئًا أرصده لدين**» أي : ما يسرني بقاء أحد عندي ثلاثة أيام لو كان ذهبًا ويبقى منه دينار من غير نفقة إلا دينار أبقيه لأسد به دين. وقال القسطلاني[1] : قال : ما أحب أن لي مثل أحد « الجبل المشهور» ذهبًا «تمييز» أنفقه « لخاصة نفسي كله » أي: مثل كل أحد ذهبًا « إلا ثلاثة دنانير » قال الكرماني : وهذا محمول على الأولوية لأن جمع المال وإن كان مباحًا فإن الجامع مسؤل عنه وفي المحاسبة خطر فكان الترك أسلم وما ورد في الترغيب في تحصيله وإنفاقه في حقه محمول على من وثق بأنه يجمعه من الحلال الذي يأمن معه من خطر المحاسبة اهـ بتصرف يسير قوله : «**إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ، ومن خلفه**» وقد استشكل الحافظ ابن حجر ذلك يعني كيف ترك الرواة بين يدي وهو الأصل ذاكرين اليمين والشمال والخلف فقط ، قال : وحمل على المبالغة لأن العطية لمن بين يديه هي الأصل والذي يظهر لي أن ذلك من تصرفات الرواة اهـ . ثم ذكر رواية في الأربع قد عزاه للجزء الثالث من البشرانيات قلت وقد وجدت بحمد الله تعالى حلاً قريبًا في صحيح مسلم : ففي روايته « إلا أن أقول به في عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله » ، والحمد لله وحده على نعمه قوله « ثم مشى ثم قال : إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة » قال الحافظ[2] : والمراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة وهذا في حق من كان مكثرًا ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعده من الإنفاق اهـ . قوله: « إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم » وعند مسلم زاد : « مثل ما =

---

(١) إرشاد الساري (١٣/٣).

(٢) فتح الباري ٤٤/٢٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨ .

= صنع في المرة الأولى » وفيه معجزة للنبي ﷺ فقليل المنفقون وكثير الممسكون قال الحافظ[1] : ولفظ قليل : هو الخبر ، « وهم » هو المبتدأ والتقدير وهم قليل وقدم الخبر للمبالغة في الاختصاص اهـ . وقد يعبر عن الفعل بالقول كما هنا قال ابن الأثير[2] : العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول : قال بيده : أي أخذ ، وقال برجله : أي مشى اهـ . قوله : ثم قال لي مكانك لا تبرح حتى آتيك » وفي رواية لمسلم : فقال : « اجلس ههنا قال : فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي : اجلس ههنا حتى أرجع إليك » قال الحافظ[1] قوله : « ثم قال لي مكانك » بالنصب أي : الزم مكانك وقوله : « لا تبرح » أكيد لذلك اهـ . قوله : ثم انطلق في سواد الليل حتى تواري » قال الحافظ فيه إشعار بأن العمر كان قد غاب » قوله تواري : أي غاب شخصه ﷺ» اهـ وعند مسلم : « فانطلق في الحرة حتى لا أراه » قوله : « فسمعت صوتًا قد ارتفع وعند مسلم : « فسمعت لغطًا وصوتًا » قوله: « فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ » قال الحافظ[1] أي : تعرض له اهـ . قوله: « فأردت أن آتيه » قال الحافظ[1] : أي أتوجه اهـ . قوله : « فذكرت قوله : لا تبرح حتى آتيك فلم أبرح حتى أتاني » وعند مسلم : « فانتظرته فلما جاء ذكرت له الذي سمعت » فيه تأدب أبو ذر وطاعته لأمر النبي ﷺ بلا تأويل فكان من الممكن أن يتأول أمر النبي ﷺ على عدم الحاجةويعتبر اللغط والصوت ضرورة لمخالفة الأمر ويعتذر بطروء عارض جعله يتحرك ويجئ وهو خوفه عليه ﷺ والله أعلم قوله : « قلت يا رسول الله ، لقد سمعت صوتًا تخوفت فذكرت له » وعند مسلم ذكرت له الذي سمعت « قوله : «فقال : وهل سمعته ؟ قلت : نعم ؟ » تأكيد وتعجب وعند مسلم توضيح : « فلما جاء لم أصبر فقلت يا نبي الله جعلني الله فداءك من تكلم في جانب الحرة » قوله: «ذاك جبريل أتاني فقال : من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة =

---

(١) فتح الباري (٢٤/٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨) .

(٢) نهاية (٤/١٢٤) .

مبحث : فيمن نال الكرامة بسبب الصدقة

٤١٤ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **بينا رَجُلٌ بفَلاةٍ من الأَرْضِ فَسمعَ صَوْتًا في سَحَابَة : اسْقِ حديقةَ فلان فتَنَحَّى ذلك السَّحَابُ فأَفْرَغَ ماءه في حَرَّةٍ فإذا شَرْجَة من تلك الشِراج قد اسْتوْعَبَتْ ذلكَ الماءَ كُلَّهُ فتَتَبَّعَ المَاءَ فإذا رَجُلٌ قَائمٌ في حَديقَةٍ يُحَوِّلُ الماءَ بمِسْحَاتِه فقال له يا عبدالله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع من السحابة فقال له يا عَبْدَالله لِمَ تَسْأَلُني عَنْ اسْمِي ؟ فقال : إنِّي سَمعْتُ صَوْتًا في السَّحَاب الَّذي هَذا ماؤه يقولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فلان لاسْمِكَ فمَا تَصْنَعُ فيها قال : أمَّا إذْ قُلْتَ هَذا فإنِّي أَنْظُرُ إلى ما يَخْرُجُ منْها فأتَصَدَّقُ بثُلُثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه** ».

= » قال الحافظ[1]: هو جواب الشرط ، رتب دخول الجنة على الموت بغير إشراك بالله ، وقد ثبت الوعيد بدخول النار لمن عمل بعض الكبائر وبعدم دخول الجنة : لمن عملها فلذلك وقع الاستفهام اهـ . قوله : « قلت : وإن زنى وإن سرق » قال : « وإن زنى وإن سرق» وعند مسلم : « فقلت يا جبريل : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم» قال النووي[2] : فيه دلالة لمذهب أهل الحق أنه لا يخلد أصحاب الكبائر في النار خلافًا للخوارج والمعتزلة وخص الزنى والسرقة بالذكر لكونهما من أفحش الكبائر وهو داخل في أحاديث الرجاء اهـ والله أعلم .

مبحث : فيمن نال الكرامة بسبب الصدقة

[٤١٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١١٤) في الزهد باب الإنفاق على المساكين وابن السبيل .

قوله : « تنحى » قصد اهـ شرح مسلم (١٨/١١٤، ١١٥) .

قوله : « حرة » هي الأرض ذات الحجارة السود اهـ نهاية (١/٣٦٥) .

---

(١) فتح الباري (٢٤/٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨) .

(٢) شرح مسلم (٧/٧٥) .

= قوله : « بمساحته » هي المجرفة من الحديد اهـ نهاية (٤/٣٢٨) .

قوله : « الشرجة » الشرجة بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وجمعها شراج بكسر الشين وهي مسائل الماء في الحرار اهـ شرح مسلم (١٨/١١٥) .

قوله : « فلاة » هي القفر من الأرض وقيل هي التي لا ماء فيها اهـ لسان العرب (ص٣٤٧٠) مادة فلا .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة اسق حديقة فلان**» أي: أثناء مشي الرجل بالأرض الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها سمع من السحاب كلامًا يقول قائله أي: للسحابة امطري على أرض الرجل الذي اسمه كذا واسقيها» فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله » أي استجاب السحاب لأمر المتكلم منه بإذن الله عز وجل ثم أفرغ ماءه المتكون المتراكم فيه مجرى الماء الذي في حديقة المتصدق صاحب الكرامة التي نالها بفضل الله عز وجل عليه بإخلاصه وطاعته له وإنفاقه اليسير الكثير في وجوه الخير ابتغاء وجه الله عز وجل قال الله عز وجل ﴿ **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير** ﴾[1] قال النووي[2]: قوله «اسق حديقة فلان» الحديقة القطعة من النخيل ويطلق على الأرض ذات الشجر، قوله ﷺ : «**فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج**» معنى تنحى قصد وأما الحرة بفتح فهي أرض ملبسة حجارة سوداء والشرجة بفتح الشين المعجمة وإسكان=

(١) سورة البقرة آية (٢٦٥) .

(٢) شرح مسلم (١٨/١١٤، ١١٥) .

= الراء وهي مسائل الماء في الماء في الحرار اهـ . وقوله : « فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته » أي : سار وراء الماء النازل ليرى أين ينزل بعد أن سمع تلك الكرامة فإذا هو ينزل كما أمر عند رجل في حديقة له يوزع الماء بمجرفته على أرضها بواسطة جداول الماء : « فقال له : يا عبد الله ما اسمك قال فلان . للاسم الذي سمع في السحابة » أي : نفس الاسم المذكور للسحابة المأمورة بسقى أرضه هو اسم صاحب الحديقة المسقية تمامًا » فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي » أي : ما السبب في سؤالك هذا ، فقال إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : إسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها » أي : بما نلت هذه الكرامة العظيمة ؟ الصوت ينادي باسمك من السحاب والماء خاص بأرضك قل لي كيف الطاعة التي أكرمك الله عز وجل بها حتى نلت ما نلت ؟ قال : أي صاحب الكرامة أما إذ قلت هذا أي : طالما ذكرت أن هناك كرامة واطلعك الله عليها فلابد أن أخبرك بالسبب لتعمل فإني أنظر ما يخرج منها » أي : يوم حصادها « فأتصدق بثلثه » لأي نوع من مصارف الزكاة الثمانية التي ذكرها الله عز وجل وفي رواية في نفس الباب « واجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل » قال : « وآكل أنا وعيالي ثلثًا » أي : لنفسي وأهلي وحوائجهم أنفقه عليهم « وأرد فيها ثلثه » أي : وأنفق ثلثًا فيما تحتاجه الأرض . قال النووي[1] وفي الحديث : فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العباد اهـ . والله أعلم.

(١) شرح مسلم (١٨/١١٤، ١١٥) .

مبحث : طول الأمل وقطع الأجل له ونسأل الله العافية

٤١٥ ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُربَّعًا وَخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا مِنْه وَخَطَ خُطَطًا صِغَارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذي فِي الوَسَطِ ، فقال : « **هذا الإِنْسَانُ وَهَذَا أجَلُهُ مُحِيطٌ به ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ به ، وهَذَا الَّذي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهَذه الخُطَط الصِّغَار الأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا** ».

---

[٤١٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٤) في الرقاق، باب في الأمل وطوله، (ح٦٤١٧) .

وأخرجه ابن ماجه في الزهد (١٤١٤/٢)، باب الأمل والأجل.

وأخرجه الدارمي في الرقاق (٣٩٣/٢).

قوله : « نهشه » بالنون والشين المعجمة أي أصابه اهـ فتح (١٣/٢٤).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن نبينا ﷺ خط خطًا مربعًا وخط خطًا في الوسط خارجًا منه وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط « وصورته الذي رسمها الحافظ[1] في الفتح هكذا :

وهذا الأرجح عندي لوضوحها كما في البيانات

فالنبي ﷺ خط الخط المربع وأخبر أنه الأجل وبداخله الإنسان والأجل محيط بالإنسان لا يدري أين هو ولا متى هو ولا كيف هو قال تعالى : ﴿**وما تدري نفس** =

---

(١)فتح الباري (١٣/٢٤) .

= ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[2] ثم خط خطًا خارجًا من الإنسان وهو الأمل والأمل طويل ممتد فبينما هو ممتد إذ هو يصطدم بالخط المربع المحيط بالإنسان وأمله وهو الأجل الغائب المستور الذي لولا خفائه لما طال الأمل حتى يحدث هذا الإصطدام الذي ينقطع فيه الأمل بالأجل وهناك أعراض أيضًا خطها النبي ﷺ حول الإنسان قد تنهش الأمل وصاحبه أيضًا وإن تركته بغته الأجل وإن سلطت عليه وفاته بعضها أخذه الآخر وهي الخير والشر المتعرض له الإنسان في فترة حياته ـ فاللهم نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة يا الله قوله ﷺ: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ـ أو ـ قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا**» قال الحافظ[3] : قوله « خط النبي ﷺ خطًا مربعًا » الخط الرسم ، والشكل المربع هو المستوي الزوايا ، وقوله : « وهذه الخطط » بالضم فيهما أيضًا قوله: «الأعراض» جمع عرض بفتحتين وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر وقوله : « نهشه» أي: إن تركه عارض من الأعراض لم يهلكه أدركه الآخر وإن فاته الكل جاءه الأجل فقطع الأمل وصاحبه قال الحافظ[3] والمراد بالأعراض الآفات العارضة له فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغته الأجل والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات بالأجل، وفي الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل ، والاستعداد لبغته الأجل، وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك اهـ . والله أعلم.

(١) سورة لقمان آية (٣٤) .

(٢) سورة يونس آية (٤٩) .

(٣) فتح الباري (١٢/٢٤) .

الفصل الرابع
التواضع

مبحث : قول النبي ﷺ :
«إن الله يحب العبد الغني التقي الخفي»

٤١٦ ـ عن سعد رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ».

[٤١٦] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٠٠) في الزهد.

المعنى

يخبرنا سعد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني**» قال النووي(١) : المراد بالغني : غنى النفس هذا هو الغني المحبوب لقوله ﷺ : «ولكن الغني غنى النفس» وأشار القاضي إلى أن المراد الغنى بالمال اهـ . قوله: «التقي» لقوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾(٢) وهم الذين يتقون ويحذرون غضب الله تعالى بفعل طاعته وإجتناب معاصيه صغيرها وكبيرها وفي الحديث(٣) : أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «**من أكرم الناس على الله**»؟ قالوا : أنت يا رسول الله.

وقال القائل :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن من الذنوب صغيرة إن الجبال من الحصى =

(١) شرح مسلم (١٨/١٠٠، ١٠١) .

(٢) سورة الحجرات آية (١٣) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٣٢٩، ٣٧١) في معرفة الصحابة (ح٥٤٢١) وصححه .

مبحث : فضل الضعفاء والخاملين مع التقوى

٤١٧ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٌ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**».

وقوله : « الخفي » أي : المتواضع المغمور المختفي في الناس لا يعرف ولا يحب أن يعرف إلا عند ربه عز وجل وبين ملائكته بأعماله الصالحة فهو ليس من الناس في شيء لكن عند الله عظيم. قال[1]: الخفي: بالمعجمة: الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه قال وفي هذا الحديث حجة لمن يقول : الاعتزال أفضل من الاختلاط وفي المسئلة خلاف اهـ . قلت : وهذا هو الأرجح إن شاء الله تعالى والله أعلم.

مبحث : فضل الضعفاء والخاملين مع التقوى

[٤١٧] أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤/١٦) في البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين.

قوله: « أشعث » الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل اهـ شرح مسلم (٧٤/١٦).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» أي: قد يكون هناك رجل مسكين ذو هيئة رثة فقير لا يؤبه له ولا يعرفه أحد من الناس إلا قليل لكنه ذو قلب سليم مليء بالإيمان فلذلك لو حلف بالله تعالى على شيء صالح يجيبه ملك الملوك إكرامًا له لحبه إياه وإن شاء الله تعالى التفصيل في حديث أويس القرني رضي الله عنه[2] =

---

(١) شرح مسلم (١٨/١٠٠، ١٠١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٥/١٦) في فضائل الصحابة، باب فضل أويس القرني وأحمد في المسند (٣٨/١، ٣٩) عن عمر .

مبحث : استغفار الصالحين للصالحين

٤١٨ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ مع أمداد أهلِ اليمنِ منْ مُراد ثم من قَرن كَانَ بِه بَرَصٌ فَبرأ منْهُ إلاَّ موضع دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ**. . . .» الحديث.

= قال النووي[1] : قوله ﷺ: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل ومدفوع بالأبواب أي: لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم إحتقاراً لو أقسم على الله لأبره أي: لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى. وإن كان حقيراً عند الناس وقيل معنى القسم هنا الدعاء وإبراره إجابته والله أعلم اهـ . قال الله عز وجل: ﴿**يحبهم ويحبونه**. . .﴾[2] الآية . والله أعلم.

مبحث : استغفار الصالحين للصالحين

[٤١٨] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/٩٥) في فضائل الصحابة، باب فضل أويس القرني.

وأخرجه أحمد في مسنده (١/٣٨، ٣٩) في مسند عمر.

المعنى

قال الله عزوجل: ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم** =

---

(١) شرح مسلم (١٦/١٧٤، ١٧٥).

(٢) سورة المائدة آية (٥٤).

ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ... ﴾ الآية[1] وقال تعالى: ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾[2] إنها سنة الملائكة الاستغفار للمؤمنين والصالحين من بني آدم يفعلها أهل القلوب الصافية النقية حيث يدعون لإخوانهم بالمغفرة وهذا الحديث يندب فيه النبي ﷺ طلب الاستغفار من أهل الصلاح والزهد والورع والاستضعاف الذين لو سألوا الله تعالى الدنيا ما أعطاهم ولو سألوه الجنة لأعطاهم ـ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن**» هذه من معجزات نبينا ﷺ حيث أخبر به قبل أن يولد ـ لأنه تابعي ـ وأخبر بصفته وحدث كما أخبر ﷺ قال ابن الجوزي[3] : أويس ابن عامر بن جرير بن مالك القرني وقال علقمة بن مرثد: أويس ابن أنيس ، وقيل أويس بن الحليس اهـ. قوله: « كان به برص» فبرأ منه «إلا موضع درهم» أي: شفاه الله تعالى من مرض البرص وبقيت علامة على قدر الدرهم قوله: «له والدة هو بها بر» هذا من تمام صلاحه فقد قرن الله تعالى بر الوالدين بعبادته وتوحيده عز وجل فذكر نبينا ﷺ الصالح ومعه صفة من أهم صفات الطائعين بعد التوحيد والإخلاص وهو الإحسان إلى الوالدين قوله : «**لو أقسم على الله لأبره**» أي: إن منهم من لو حلف بالله على أمر استجاب الله له وحدث كما أقسم وبر في يمينه ولم يحدث كما قال نبينا ﷺ في حديث أنس بن النضر الذي أخرجه البخاري[4] في صحيحه: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**» وفي الحديث الذي يوافق ما عندنا عن رسوله الله ﷺ قال : «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله**

(١) سورة غافر آية (٧).

(٢) سورة الشورى آية (٥) .

(٣) صفة الصفوة (٣/٤٣) ترجمة (٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/١٣٢)، في الصلح ، باب الصلح في الدية ، (ح٢٧٠٣).

مبحث : عظيم ثواب الساعي على الأرملة والمسكين

٤١٩- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ - وأحسبه قال - وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ** ».

لأبره»[1] قال النووي[2] : في كلامه عن أويس: يخفي حاله ويكتم السر الذي بينه وبين الله عز وجل ولا يظهر منه شيء يدل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضي الله عنهم اهـ قوله: «**فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» قال النووي[2] : هذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم اهـ . وفي رواية في مسلم: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس» قال النووي[2] : هذا صريح في أنه خير التابعين وقد يقال قد قال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب أن مرادهم أفضل: في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى وفي هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضًا اهـ. قوله: «فاستغفر لي فاستغفر له» أي: طلب عمر منه الاستغفار فاستغفر له رضي الله عنهما وعنهم أجمعين والحقنا المولى بهم بمنه وكرمه والله أعلم.

مبحث : عظيم ثواب الساعي على الأرملة والمسكين

[٤١٩] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١١٢) في الزهد، باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم .

قوله : « الأرملة» قيل الأرملة من لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا وقيل هي التي فارقت زوجها اهـ . شرح مسلم(١٨/١١٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/٢٦٦) في البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين. (ح١٣٨/٢٦٢٢).

(٢) شرح مسلم للنووي ١٦/٩٥ في فضائل الصحابة باب فضل أويس القرني.

= قوله: «لا يفتر» الفترة : هنا حال سكون والتقليل من العبادات والمجاهدات اهـ . نهاية (٣/٤٠٨).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**» أي: الذي يقوم بالتكسب للمرأة التي لازوج لها أو التي فقدت زوجها أو فارقها زوجها- من غير أن يقع في خلوة أو اختلاط أو نظر محرم - وكذلك الساعي على المسكين وهو الذليل قليل المال ذو الحال السيئة فالساعي على هذين كأنه يجاهد في سبيل الله عز وجل، قال الله عز وجل ﴿ **فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة. فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة** ﴾[1] وقال النووي[2] :المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما، والأرملة من لا زوج لها وقيل التي فارقت زوجها، قال ابن قتيبة : سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج يقال أرمل الرجل إذا فقد زاده اهـ. لذلك جعل السعي عليها وعلى المسكين يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى الذي هو ذروة سنام الإسلام وكذلك يعدل ثواب من قام الليل بلا انقطاع ولا فتور وهذا عزيز نادر وكذلك من واصل الصوم بلا إفطار وهذا أيضاً عزيز قليل جداً لكنه يدل على عظم أجر من سعى على من لا زوج لها ابتغاء وجه الله تعالى وعلى من كان قليل المال محتاج قال ابن الأثير[3] : المسكنة : فقر النفس، وتمسكن إذا تشبه بالمساكين وهم جمع المسكين وهو الذي لا شيء له وقيل هو الذي له بعض الشيء وقد تقع المسكنة على الضعف اهـ . والله أعلم.

(١) سورة البلد من آية (١١ - ١٦).

(٢) شرح مسلم (١٨/١١٢، ١١٣).

(٣) النهاية (٣/٣٨٥).

الفصل الخامس
العُزْلَةُ

مبحث : من الدين الفرار من الفتن

٤٢٠ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :
«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

---

[٤٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠/١) في الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، (ح١٩).

قوله: «يتبع بها شعف الجبال» قال ابن حجر، بتشديد التاء ويجوز إسكانها، وشعف بفتح المعجمة والعين المهملة جمع شعفة كأكم وأكمه، وهي رؤس الجبال اهـ فتح (١٣١/١).

المعنى العام

إنها قدر الله تعالى قدرها بعيدة عن عصر النبوة الفاضل وحذرنا منها نبينا ﷺ وسن لنا الفرار منها بل جعل القاعد فيها خيراً من القائم والقائم فيها خيراً من الماشي والفرار منها دين ، فقال ﷺ[١] : «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي من تشرف له تستشرفه**» فيقول ﷺ : «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم ...**» قوله: «**يوشك**» بضم الياء وكسر الشين المعجمة أي: يقرب ويقال في ماضيه أوشك قاله العيني[٢] قال: ومن أنكر استعماله ماضياً فقد غلط اهـ. فالمعنى يكاد أن يأتي زمان يكون فيه أفضل =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤/٢٧ح٧٠٨١) في الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم.

(٢) عمدة القاري للعيني (١٨٤/١).

= المال للمسلم غنم ، أو يكون الشأن أفضل مال المسلم غنم ... إلخ قال العيني[1] : ويكون في يكون ضمير الشأن لأنه كلام تضمن تحذيراً وتعظيماً لما يتوقع، و«خير» مرفوعة بالابتداء وخبره غنم اهـ بتصرف قوله: «**يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر**» قال الحافظ ابن حجر وقوله: «**شعف الجبال**» بفتح الشين المعجمة والعين المهملة بعدها فاء جمع شعفة كأكم وأكمه : رؤس الجبال المراعي فيها والماء لاسيما بلاد الحجاز اهـ وقوله: «**ومواقع القطر**» قال ابن حجر[2] : بالنصب عطفًا على شعف أي: بطون الأودية وخصنهما بالذكر ، لأنهما مظان المرعى اهـ. وقوله: «**يفر بدينه من الفتن**» قال الكرماني : هذه الجملة حالية وذو الحال الضمير المستتر في يتبع، قال ابن حجر[3] والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه ، وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك ، وقال قوم العزلة أولى لتحقق السلامة بشرط معرفة ما يتعين ، وقال النووي : المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى . ثم ذكر تفصيلاً طيباً فقال: وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين ومنهم من يترجح وليس الكلام فيه بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات فممن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وممن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع ، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذوراهـ. والله تعالى أعلم.

---

(١) فتح الباري (١/١٣١).

(٢) فتح الباري (٢٧/٤٩).

(٣) فتح الباري ٢٧/٤٩.

مبحث : في طريق للنجاة

٤٢١ ـ عن عقبة بن عامر قال : قلتُ يا رسولَ الله: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ : «**أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**».

---

[٤٢١] أخرجه الترمذي في سننه (٨٧/٧) في الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان (ح٢٥١٧) وقال : هذا حديث حسن.

وأخرج أبو داود شاهداً لبعضه في سننه (٤٩٩/١١)، في الملاحم، باب الأمر والنهي (ح٤٣٢١).

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٤٣، ح١٣٤).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿**وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون**﴾[١] وقال تعالى: ﴿**ونجينا الذين ءامنوا وكانوا يتقون**﴾[٢] فأخبر تعالى أنه ينجي المتقين وبين رسول الله ﷺ سبيلاً من سبل النجاة فلما سأله عقبة بن عامر رضي الله عنه قائلاً قلت يا رسول الله: ما النجاة » قال الحافظ محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري[٣] : قوله «ما النجاة» أي: ما أسبابها اهـ قال ﷺ : «**أملك عليك لسانك**» قال أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي[٤] : «**أملك**» أمر من الإملاك بمعنى الشد والإحكام أي: أمسك «**عليك لسانك**» ولا تتكلم في أحوال الناس كي لا يؤذوك اهـ . وقال الطيبي[٣] : أي احفظه عما لا خير فيه اهـ . قوله: «**وليسعك بيتك**» قال المباركفوري[٣] : بكسر اللام أمر من وسع يسع قال الطيبي: الأمر في الظاهر وارد على البيت وفي الحقيقة على المخاطب أي: تعرض لما هو سبب للزوم =

---

(١) سورة الزمر آية (٦١) .

(٢) سورة فصلت آية (١٨) .

(٣) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (٨٧/٧).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤٩٩/١١).

مبحث : في التفكر في زوال الدنيا ومفارقة أهلها

٤٢٢ ـ عن سهل بن سعد قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**يَا مُحَمَّدُ: عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، واعمَلْ مَا شِئْتَ فإنك مَجْزِيٌّ به، وأحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ واعْلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ في قِيَامُ اللَّيْلِ، وعِزَّهُ: اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**».

= البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار اهـ. زاد أبو داود من حديث عبد الله بن عمر : «**وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة**» قوله: «**وابك على خطيئتك**» قال الطيبي[1] : أي اندم على خطيئتك باكيًا اهـ. وقد كانوا يقولون : هذا زمن السكوت ولزوم البيوت والقنع بالقوت حتى تموت، وقال بعضهم: هذا زمن المصباح وغرفة تسفها الرياح لا صخب فيها ولا صياح وقال تعالى: ﴿**وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهئ لكم من أمركم مرفقًا**﴾[2] .

مبحث : في التفكر في زوال الدنيا ومفارقة أهلها

[٤٢٢] أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٤/٣٠٦) عن شيخه عبد الله بن الإمام أحمد عن محمد بن حميد عن زافر، عن محمد بن عيينة عن أبي حازم عن سهل ـ به مرفوعًا.

قال الحافظ ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢١٩): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

المعنى

عن سهل رضي الله عنه أنه قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**يا محمد**» =

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (٧/٨٧).

(٢) سورة الكهف آية (١٦).

= والحديث له حكم المرفوع لأن سهل لا يعلم ذلك إلا من طريق النبي ﷺ: «فقال» أي: جبريل عليه السلام لنبينا عليه الصلاة والسلام: «**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت**» كما قال الله عز وجل له: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[1] «**واعمل ما شئت فإنك مجزى به**» والخطاب وإن كان لنبينا ﷺ فهو تحذير أصلاً لأمته كما قال تعالى: ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾[2] وربنا تعالى يعلم أنه ﷺ ما أشرك ولن يشرك وهو أبعد الخلق عن رائحة الشرك لكن ذلك تخويف للأتباع فخوطب التابع المستقيم بذلك فيقال: فكيف الحال بالمتبوع المتردد؟ قال تعالى: ﴿**من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيراً**﴾[3] وقوله: «**وأحبب من شئت فإنك مفارقه**» كما يقال عن الموت أنه مفرق الأحبة قال تعالى: ﴿**فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾[4]. وقوله: «**واعلم أن شرف المؤمن في قيام الليل**» لذلك أمره ربنا تعالى به ليرفعه بما أوحى إليه وليتحمله وليقيمه قال تعالى: ﴿**يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾[5] وقال الله عز وجل مبينًا أن الشرف العظيم جاء بعد قيام الليل ـ بعد نوم في الظلام الشديد ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾[6] وقوله: «**وعزه ـ استغناؤه عن الناس**» قال تعالى: ﴿**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيما هم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم**﴾[7] فلما استغنوا عن الخلق بالخالق عزوا والله أعلم.

---

(١) سورة الزمر آية (٣٠).
(٢) سورة الزمر آية (٦٥).
(٣) سورة النساء آية (١٢٣).
(٤) سورة الواقعة آية (٨٦، ٨٧).
(٥) سورة المزمل آية (١ ـ ٥).
(٦) سورة الإسراء آية (٧٩).
(٧) سورة البقرة آية (٢٧٣).

الفصل السادس
الْوَرَعُ

مبحث: في ورع النبي ﷺ

٤٢٣ - عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صليتُ مع النَّبِيِّ ﷺ العَصْرَ فلمَّا سَلَّمَ قامَ سَرِيعًا دخلَ على بعض نِسائِهِ، ثُمَّ خَرجَ وَرأَى ما فِي وُجُوهِ القَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لسُرْعَتِهِ فقال: « **ذَكَرْتُ وأَنَا فِي الصَّلاَةِ تِبْرًا عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أنْ يَمْسِي أَوْ يَبِيتُ عِنْدَنَا فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِه** ».

---

[٤٢٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩/٦) في أبواب العمل في الصلاة، باب تفكر الرجل الشيء في الصلاة، (ح١٢٢١).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٧/٤) في أبواب صفة الصلاة، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم (ح٨٥١).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٥١/٧) في الزكاة، باب من أحب تعجيل الصدقة، (ح١٤٣٠).

قوله «تبر»: التبر: هو الذهب والفضة قبل أن يضربا دنانير ودراهم. ومنهم من يجعله في الذهب أصلاً وفي غيره فرعًا ومجازًا. اهـ نهاية (١٧٩/١).

المعنى العام

هو القائل ﷺ: «**فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[1] فلذلك كان أيضًا ﷺ أورع الناس عن كل ما فيه رائحة الشبهة حتى لقد كان يخاف الله تعالى في التمرة والكلمة ﷺ يقول عقبة رضي الله عنه: صليت مع النبي ﷺ العصر فلما سلم من الصلاة قام» حال كونه ﷺ «سريعًا» وفي رواية: «فتخطى» قال =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٢/٢٢) في الأدب (ح٦١٠٣).

= القسطلاني[1] بغير همز أي: تجاوز: « رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه» قوله هنا: « دخل على بعض نسائه» قال القسطلاني[1] : فيه أن للإمام أن ينصرف متى شاء وأن التخطى لما لا غنى عنه مباح وأن من وجب عليه فرض فالأفضل مبادرته إليه اهـ . قوله: « ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته » خوفًا على حبس شيء يسأله الله تعالى عنه إذا انتقل إلى الرفيق الأعلى من غير الانتهاء من قسمته وفي رواية: ففزع الناس من سرعته» قال الحافظ ابن حجر[2] : أي خافوا وكانت تلك عادتهم إذا رأوا منه غير ما يعهدونه خشية أن ينزل فيهم شيء يسوءهم . اهـ

قوله : فقال « ذكرت وأنا في الصلاة تبرًا عندنا » قال الحافظ ابن حجر: والتبر بكسر المثناة وسكون الموحدة : الذهب الذي لم يصغ ولم يضرب قال : وحكاه بعضهم على جميع جواهر الأرض قبل أن تصاغ أو تضرب اهـ . وذلك لأنها كانت من الصدقة فخاف حبسها ﷺ ففي رواية البخاري في الزكاة « تبرًا من الصدقة» قوله: « فكرهت أن يمسى أو يبيت عندنا» وفي رواية البخاري[3] : « فكرهت أن يحبسني » قال القسطلاني[1] : أي يشغلني التفكير فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى . اهـ قال ابن حجر[4] : وفهم منه ابن بطال معنى آخر فقال فيه: إن تأخير الصدقة تحبس صاحبها يوم القيامة اهـ.

قوله: فأمرت بقسمته وفي رواية « فقسمته»[3] قال الحافظ ابن حجر[4] : وفي الحديث : أن المكث بعد الصلاة ليس بواجب وأن التخطي للحاجة مباح وأن التفكر في الصلاة في أمر لا يتعلق بالصلاة لا يفسدها ولا ينقص من كمالها وأن إنشاء العزم في أثناء الصلاة على الأمور الجائزة لا يضر وفيه إطلاق الفعل على ما يأمر به الإنسان وجواز الاستنابة مع القدرة على المباشرة اهـ . والله أعلم.

(١) إرشاد الساري (٢/١٤٤).

(٢) فتح الباري (٤/٢٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة (٧/٥١) باب من أحب تعجيل الصدقة من يومها ، (ح١٤٣٠).

(٤) فتح الباري (٤/٢٦٨) .

مبحث : فضل من استبرأ لدينه

٤٢٤ ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **الحَلاَلُ بَيِّنٌ والحَرامُ بيِّنٌ، وبينَهما مُشبَّهاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثيرٌ من النَّاسِ، فَمَن اتَّقى المُشَبَّهاتِ اسْتَبْرأَ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقَع في الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحمَى ، يُوشكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلاَ وإنَّ لكُلِّ مَلك حمًى. أَلا إنَّ حمَى الله في أَرْضِه مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإنَّ في الجَسَد مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِي القَلْبُ** ».

---

[٤٢٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٨/١)، في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ح٥٢).

وأخرجه النسائي في سننه (٢٤١/٧، ٢٤٣) في البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب.

وأخرجه الترمذي في سننه (٣٩٤/٤) في البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات، (ح١٢١٨).

قوله: « مشبهات» بوزن مفعلات بتشديد العين المفتوحة : أي شبهت بغيرها ما لم يتبين به حكمها على التعيين.

وقوله : « استبرأ» بالهمز أي برأ دينه من النقص وعرضه من الطعن فيه.

وقوله: « الحمى» أي المحمي، أطلق المصدر على اسم المفعول. قال ابن حجر: وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة فمثل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم .

= قوله: « مضغة » أي قدر ما يمضغ . اهـ فتح الباري (١/٢٠٨ : ٢١١).

المعنى العام

قال الله عز وجل: ﴿ وكل شيء فصلنه تفصيلاً ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[٢] فسبحانه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ما ترك شيئًا إلا بينه بل وفصله علمه من علمه وجهله من جهله فلذلك قال نبينا ﷺ: **«الحلال بين والحرام بين»** أي: في كل شيء يخصهما بالعين والوصف والدليل لا يلتبس على من تحراه وأراده وسأل عنه على العكس من الأمور المشبهات التي قال فيها رسول الله ﷺ: **«وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس»** فإن هناك أمورًا غامضة لا يظهر جانب الحل فيها واضحًا ولا الحرمة فكثير من الناس لقلة علمه وخبرته لا يعلمها إنما يعلمها العلماء المجتهدون ففي رواية للترمذي[٣] **«لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام»** وقد يقع فيها المجتهدون إذا تعذر الترجيح بين الأدلة كما يحدث كثيرًا في بعض المسائل، فبين رسول الله ﷺ المخرج السهل من هذا المضيق الخطر الوعر الذي لا يدري الواقع فيه أيؤول أمره إلى الدخول في نور الحلال ونفعه أم في ظلمة الحرام وضرره . فوصى ﷺ بتركها كلية وبين أن من تركها سلم له دينه من النقص وعرضه من الهمز واللمز فقال ﷺ: **«فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه»** قال ابن حجر[٤] رحمه الله تعالى : قوله: «استبرأ» من البراءة أي: برأ دينه من النقص، وعرضه من الطعن فيه لأن من لم يعرف باجتناب الشبهات لم يسلم من قول من يطعن فيه وفيه دليل على أن من لم يتوق الشبهة في كسبه ومعاشه، فقد عرض نفسه للطعن فيه، وفي هذا إشارة إلى المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروءة اهـ . ثم قال: وحاصل ما فسر به العلماء الشبهات أربعة أشياء أحدها: تعارض =

---

(١) سورة الإسراء آية (١٢).

(٢) سورة الأنعام آية (٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤/٣٩٤) في البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات (ح١٢١٨).

(٤) فتح الباري (١/٢٠٩) .

= الأدلة . ثانيها: اختلاف العلماء وهي منتزعة من الأولى. ثالثها: أن المراد به مسمى المكروه لأنه يَجتَذِبه جانباً الفعل والترك، رابعها: أن المراد به المباح اهـ. وقال ابن المنير عن شيخه: المكروه: عقبة بين العبد والحرام فمن استكثر من المكروه تطرق إلى الحرام، والمباح عقبته بينه وبين المكروه فمن استكثر منه تطرق إلى المكروه اهـ . فبين نبينا ﷺ أن من وقع في تلك الأمور المشتبهات سيقع في الحرام لأنه قرب منه واقترب وحام حول الحمى قال ابن حجر[1] : والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يئول فعله مطلقاً إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه كالإكثار مثلاً من الطيبات فإنه يحوج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذ مالا يستحق أو يفضي إلى بطر النفس وأقل ما فيه الاشتغال عن العبودية ، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعيان ثم قال : ويختلف ذلك باختلاف الناس، فالعالم الفطن لا يخفى عليه تميز الحكم فلا يقع له ذلك إلا في الاستكثار من المباح أو المكروه كما تقرر قبل، ودونه تقع له الشبهة في جميع ما ذكر بحسب اختلاف الأحوال ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأة على ارتكاب المنهي في الجملة، أو يحمله اعتياد ارتكاب المنهي غير المحرم على المنهي المحرم، إذا كان من جنسه، أو يكون ذلك لشبهة فيه، وهو أن من تعاطى ما نهى عنه يصير مظلم القلب لفقدان نور الورع فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوع فيه اهـ. وقد بين نبينا ﷺ ذلك أتم البيان لئلا يكون هناك حجة للإنسان إذا وجد نفسه قد وقع في الحرام بسبب إكثاره من الوقوع فيما لم يستبن ففي الحديث[2] في الصحيح «**فمن ترك ما شبه عليه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان ، والمعاصي حمى الله ، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه**» وهذا معنى قوله ﷺ «**ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**» ثم ضرب ﷺ مثلاً لذلك فشبهه بمن يرعى غنمه قريباً من مرعى الملك الذي نهى عن الرعي فيه بغير إذنه ومن فعل فسبيله العقاب الشديد فيوشك من رعى بغنمه =

(١) فتح الباري (١/٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/١٣٦) في البيوع باب الحلال بين والحرام بين (ح٢٠٥١).

= أن تخرج من غنمه القاصية فترعى في حمى الملك أو يهيج المرعى حول مرعى الملك فتقع الغنم في حمى الملك فيقع صاحبها في عقوبته المتوعد بها قال ابن حجر[١] وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفاذة فتقع فيه بغير اختياره أو يمحل المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه، فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقًا وحماه محارمه اهـ . ثم بين ﷺ أمرًا عظيمًا جدًا وهو أن ذلك كله مرجعه إلى صلاح القلب فمن أصلح الله تعالى له قلبه امتثل أمر ربه عز وجل وتحرى الحلال وأحبه وأكثر منه وأتم فرائضه وابتغى نوافله ومن ران على قلبه ما كسبه من الذنوب والعياذ بالله تعالى وقع فيما يغضب علام الغيوب ومن كان مذبذبًا بين ذلك فتارة مع الحلال وغالبًا يكثر الشبهات التي تودي به إلى الحمى المحرمات فهذا على خطر عظيم حيث أنه غالبًا يقع في الحمى الحرام والعياذ بالله تعالى فبين ﷺ منبهًا بـ «ألا» التي للتنبيه أنه في الجسد قطعة لحم صغيرة لكن بصلاحها صلاح الجسد كله وبفسادها فساد الجسد كله : «**ألا وهي القلب**» قال ابن حجر[١] رحمه الله تعالى: وسمي القلب قلبًا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبًا اهـ لذلك كان ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وطاعتك...**» الحديث[٢] وقال الله عز وجل: ﴿ **ولا تخزني يوم يبعثون. يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[٣] .

---

(١) فتح الباري (١/٢٠٩). (٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٥١) .

(٣) سورة الشعراء آية (٨٧ - ٨٩) .

الفصل السابع
التَّوْبَةُ

مبحث : باب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها

٤٢٥ - عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

---

[٤٢٥] أخرجه مسلم في صحيحه (٧٦/١٧) في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

المعنى

يخبرنا أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» يخبر نبينا ﷺ أن الله عز وجل يتوب على التائبين بالليل ليتوب من عصى الله تعالى بالنهار ويتوب على التائبين بالنهار ليتوب من وقع في المعصية بالليل ولا تزال التوبة تقبل ويقبلها ربنا عز وجل بشروطها ما لم تصل روح العبد إلى الحلقوم، وما لم تطلع الشمس من مغربها قال الله تعالى: ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليما**﴾[١] وقال النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرر**»[٢] فالتوبة مقبولة ما لم تصل الروح إلى الحلقوم وأيضًا ما لم تطلع الشمس من مغربها لأنها إذا طلعت من مغربها آمن كل الناس ولكن

---

(١) سورة النساء آية (١٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥٢١/٩) أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ (ح٣٦٠٣) وقال : حسن غريب.

= لا ينفع ذلك الإيمان الجديد قال النووي[1] : قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها أن يقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة: وأن يبرأ من حق صاحبها، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة. اهـ وفي الحديث[2] «**إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرته سبعون سنة، لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه**» أخرجه أحمد من حديث صفوان بن عسال عن النبي ﷺ وأما اليد إذا نسبت لربنا عز وجل فليست الجارحة المعروفة بل هي يَدٌ كَمَا يَلِيقُ بجلال الله عز وجل بلا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل فهو سبحانه يبسط يده بسطاً يليق بجلاله فهو يبسط يده كما قال نبينا ﷺ ولكن الكيف مجهول والبسط معلوم والله أعلم.

(١) رياض الصالحين (ص١١) باب التوبة (٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٤٠).

مبحث : فضل الاستغفار مع التوبة النصوح

٤٢٦ ـ عن أبي هريرة قال : سمعت النبي ﷺ قال : « **إنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ـ وربما قال أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ، وربما قال : أَصَبْتُ فَاغْفِرْ، فقال ربُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ به غَفَرتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخر فاغْفِرْهُ فقال: أَعَلِمَ عَبْدِي أن لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ به؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذنبًا ـ وربما قال ـ أَصَابَ ذَنْبًا . فقال: رَبِّ أَصَبْتُ ـ أو قال ـ أذنبتُ آخرَ فاغفرْهُ لي . فقال: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثلاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ** ».

---

[٤٢٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦١/٢٨) في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ (ح٧٥٠٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٥/١٧، ٧٦) في التوبة.

وأخرجه أحمد في المسند (٤٠٥/٢).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**إن عبدًا أصاب ذنبًا ـ وربما قال ـ أذنب ذنبًا**» وعند مسلم هو حديث قدسي ففيه : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال : «**أذنب عبدًا ذنبًا**» أي: وقع في معصية الله عز وجل قوله: «**فقال : رب أذنبت ـ وربما قال : ـ أصبت فاغفر**» هما على الشك أي هل قال أذنبت أو أصبت وهما بمعنى، أي: وقع مني عصيان لك يا رب. قوله: «**فقال ربه : أعلم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي**» وعند مسلم =

= تفسير ففيها «**فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب**» ... ثلاث مرات أي: يخبرنا سبحانه أنه أذنب عبدي ذنبًا فوقع في علمه أن له ربًا قادرًا على أن يغفر الذنب لا يقدر على ذلك سواه وهو أيضًا يعاقب على الذنب لا يمنعه من ذلك مانع ولا يصده أحد وهو على كل شيء قدير سبحانه قال الحافظ[1] قوله: «**فقال ربه أعلم؟**» بهمزة استفهام والفعل الماضي قوله: «**ويأخذ به**» أي: يعاقب فاعله اهـ. قوله: «**غفرت لعبدي**» أي: بإعترافه وتوبته وأوبته ورجوعه واستغفاره وندمه وعزمه على عدم العود ورد المظالم لأهلها. ونقل الحافظ[1] عن بعض العلماء أنه قال: شروط التوبة ثلاثة: الإقلاع، والندم، والعزم على أن لا يعود والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنى الندم بل هو إلى معنى الإقلاع أقرب. وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه. فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم على عدم العود فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه، ومن ثم جاء الحديث «**الندم توبة**»[2] وهو حديث حسن اهـ. قوله: «**ثم مكث ما شاء الله**» قال الحافظ[1] أي: من الزمان اهـ. هذا ليس في رواية مسلم ومعناه أنه استمر بعد التوبة فترة بلا ذنب قوله: «**ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا فقال: رب أذنبت آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا وربما قال: أصاب ذنبًا فقال: رب أصبت أو قال أذنبت آخر فاغفره لي فقال: أعلم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء**» وعند مسلم: «**اعمل ما شئت فقد غفرت لك**» قال القرطبي[1]: وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها لأنه انضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه اهـ. وقال =

(١) فتح الباري (٢٨/٢٦١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٤٢٠) في الزهد، باب ذكر التوبة، (ح٤٢٥٢) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.

مبحث: قوله تعالى:
﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ..﴾

٤٢٧ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً».

= النووي[1]: هذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة لها وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته اهـ والله أعلم فاللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

مبحث: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ..﴾

[٤٢٧] أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/٢٤) في الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر (ح٦٤١٩).

قوله: «أعذر» الإعذار: إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له إعتذار. اهـ فتح (١٥/٢٤).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**» أي: من أكرمه الله تعالى وأمد في أجله حتى بلغ ستين سنة سمع فيها ما سمع وتعلم فيها ما تعلم ورأى فيها ما رأى فقد أزال عنه العذر إذا عذبه على تقصيره في طاعة الله تعالى وانكبابه على معصيته سبحانه، فوجب عليه إذا تفضل الله تعالى عليه بحياة بعد هذا العمر أن يجعلها في التوبة والأوبة والإنابة إلى الله تعالى والاستغفار والرجوع إلى حظيرة التقوى والورع والندم على ما فات والعزم على عدم الإباق ونبذ المعصية فيما هو آت قال تعالى: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وءامن** =

---

(١) شرح مسلم (١١٧/٧).

= وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾[1] وقال تعالى: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[2]، أخرج الطبري[2] في تفسير الآية الكريمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ أربعون سنة، وأخرج[3] بسنده عن ابن عباس ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قال: ستون سنة وفي رواية[4] عن ابن عباس قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة، وأخرج بسنده[5] أيضًا إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي: أين أبناء الستين. وهو العمر الذي قال الله ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾.

قال الحافظ[6]: في قوله: «أعذر الله إلى امرئ» المعنى أن الله لم يترك للعبد سببًا في الاعتذار يتمسك به. والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة اهـ. وقوله: «أخر أجله» قال: يعني أطاله اهـ وقوله: «حتى بلغ ستين سنة» وأخرج الطبري[7] في رواية عن ابن عباس مرفوعًا «لقد أعذر الله إلى صاحب الستين سنة والسبعين» قال ابن بطال[6]: إنما كانت الستون حدًا لهذا لأنها قريبة من المعترك وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية، فهذا إعذار بعد إعذار لطفًا من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك =

(١) سورة طه آية (٨٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسير سورة فاطر آية (٣٧) ح (٢٩٠٢٧) (ج١٠/٤١٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسير سورة فاطر (١٠/٤١٨) آية (٣٧) (ح٢٩٠٢٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسير سورة فاطر (١٠/٤١٨) آية (٣٧) (ح٢٩٠٣٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسير سورة فاطر (١٠/٤١٨) آية (٣٧) (ح٢٩٠٣١).

(٦) فتح الباري (٢٤/١٥).

(٧) أخرجه الطبري في تفسير سورة فاطر (١٠/٤١٨) آية (٣٧) (ح٢٩٠٣٢).

مبحث : التحذير من الإبطاء إلى الخير والتوبة النصوح

٤٢٨ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «بَادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظُرُونَ إلا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ أَوْ غِنًى مُطْغٍ ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ ، أَوْ هَرَمٍ مُفْنِدٍ أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ ، أو الدَّجَالِ فَشَرٌّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةِ ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَر».

= ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية. وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل اهـ. وقد روى الترمذي[1] عن أبي هريرة رفعه «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» والله أعلم.

مبحث : التحذير من الإبطاء إلى الخير والتوبة النصوح

[٤٢٨] أخرجه الترمذي في سننه (٥٩٢/٦) في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المبادرة إلى العمل (ح٢٤٠٨) وقال الترمذي : هذا حديث غريب حسن.

وأخرجه عبد الله بن المبارك في كتابه الزهد (ص٤ ح٧).

قوله: « بادروا» أي: سابقوا اهـ تحفة (٥٩٢/٦).

قوله: « مطغ» أي: موقع في الطغيان اهـ تحفة (٥٩٣/٦).

قوله: «مفند» الفند في الأصل الكذب ثم قالوا للشيخ إذا هرم قد أفند لأنه يتكلم بالخرف من الكلام عن سنن الصحة اهـ نهاية (٤٧٥/٣).

قوله: «مجهز» قال : «أو موتًا مجهزًا» أي: سريعًا يقال أجهز على الجريح إذا أسرع قتله وحرره اهـ نهاية (٣٢٢/١). =

(١) أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه في الزهد (١٤١٥/٢)، باب الأمل والأجل (ح٤٢٣٦).

المعنى

= قال الله عز وجل: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾[1] وقال عز وجل: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[2] وقال عز وجل: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض ءايت ربك يوم يأتي بعض ءايـٰت ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾[3] فكم أمرنا ربنا عز وجل بالمسارعة والمسابقة إلى الخيرات التي يكرمنا بها رب البريات فيدخلنا بسببها روضات الجنات تحت عرش رب البريات فننعم فيها بالحوريات الحسنيات الخالدات وكم حذرنا من الإبطاء عن تلك الدرجات والمراتب السنيات وهذا الحديث الشريف يبين لنا فيه نبينا ﷺ الطرق ويحذرنا فيه من الأحوال المثبطات فيقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعًا**» قال الحافظ محمد المباركفوري[4]: أي سابقوا وقوع الفتن بالاشتغال بالأعمال الصالحة واهتموا بها قبل حلولها اهـ. قوله: «**هل تنتظرون إلا فقر منس**» وعند ابن المبارك: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيًا أو فقرًا منسيًا» قال القاري[4]: خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم، أي متى تعبدون ربكم فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف تعبدون مع كثرة الشواغل وضعف القوى لعل أحدكم ما ينتظر إلا غنى مطغيًا اهـ. قال المباركفوري: وقوله « منس » من باب الأفعال: أي جاعل صاحبه مدهوشًا ينسيه الطاعة من الجوع والعرى والتردد في طلب القوت «أو غنى مطغ» أي: موقع =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٢).

(٢) سورة الحديد آية (٢١).

(٣) سورة الأنعام (١٥٨).

(٤) تحفة الأحوذي (٥٩٢/٦، ٥٩٣).

= في الطغيان «أو مرض مفسد» أي: للبدن لشدته أو للدين لأجل الكسل الحاصل به اهـ. «أو هرم مفند» قال ابن الأثير[1] :الهرم الكبر، جعل الهرم داء تشبيهًا به لأن الموت يتعقبه كالأدواء اهـ. فكم من فقير لما أغناه الله طغى وكم من معتدل لما أفقر نسي الطاعة وما يؤدى إليها وكم من شاب لما شاخ ضعف عن العمل! صدقت بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم تسليمًا كثيرًا لقد بلغ وأنذر . وقوله : «مفند» قال ابن الأثير[2] : الفند في الأصل الكذب ثم قالوا للشيخ إذا هرم قد أفند لأنه يتكلم بالخرف من الكلام عن سنن الصحة اهـ . قوله: « أو موت مجهز» قال المباركفوري[3] : بجيم وزاي من الإجهاز، أي قاتل بغتة من غير أن يقدر على توبة ووصية « أو الدجال» أي: خروجه « فشر غائب ينتظر» بصيغة المجهول « أو الساعة» أي: القيامة « فالساعة أدهى» أي: أشد الدواهي وأقطعها وأصعبها «وأمر» أي: أكثر مرارة من جميع ما يكابده الإنسان في الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها ولم يعد لها قبل حلولها. والقصد الحث على البدار بالعمل الصالح قبل حلول شيء من ذلك اهـ . والله أعلم.

---

(١) النهاية (٥/٢٦١) .

(٢) النهاية (٤/٤٧٤، ٤٧٥).

(٣) تحفة الأحوذي (٦/٥٩٢، ٥٩٣) .

الفصل الثامن
الصَّبْرُ

مبحث: قول النبي ﷺ:
«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»

٤٢٩ - عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسولَ اللهِ، أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَى عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

[٤٢٩] أخرجه الترمذي في سننه (٧/٧٨) في الزهد، باب في الصبر على البلاء (ح٢٥٠٩) وقال: حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/١٣٣٤).

وأخرجه أحمد في المسند (١/١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥).

وأخرجه الدارمي في الرقاق (٢/٤١٢) باب في أشد الناس بلاء.

المعنى

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة قال الله عز وجل ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾[١] وقال تعالى: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**﴾[٢] وقال عز وجل: ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا** =

(١) سورة البقرة آية (٢١٤).

(٢) سورة آل عمران آية (١٤٢).

ءامنا وهو لا يفتنون﴾[1] فلما قال الله تعالى ذلك قال نبينا ﷺ «لما سأله سعد يا رسول الله أي الناس أشد بلاء» قال المباركفوري[2] «أي الناس أشد» أي أكثر وأصعب «بلاء» أي محنة ومصيبة « قال الأنبياء» أي: هم أشد في الابتلاء لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية وليتوهن على الأمة الصبر على البلية ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعًا والنجاة إلى الله تعالى اهـ. ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾[3] وفي حديث هرقل[4] قال: وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة. قوله: « ثم الأمثل فالأمثل» قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري[2] : وقال ابن مالك: أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة، يعني من هو أقرب إلى الله بلاؤه أشد ليكون ثوابه أكثر قال القاري في اللام: يصح كونها للاستغراق إذ لا يخلو واحد منهم من عظيم محنة وجسيم بلية بالنسبة لأهل زمنه، ويدل عليه قوله: «يبتلى المرئ على حسب دينه» أي: مقداره ضعفًا وقوة وصلابة ونقصًا وكمالاً « فإن كان» تفصيل للابتلاء وقدره « في دينه صلبًا» بضم الصاد المهملة أي: قويًا شديدًا وهي خبر كان واسمه ضمير راجع والجار متعلق بالخبر اهـ. قلت الضمير الاسم راجع إلى نائب فاعل الفعل يبتلى ـ قوله: « اشتد بلاؤه» قال : صاحب التحفة أي: كمية وكيفية «وإن كان في دينه رقة» اسم كان أي ضعف ولين قال القاري: وكان الأصل في الصلب أن يستعمل في الجثث وفي الرقة أن تستعمل في المعاني « ابتلى على قدر دينه» أي ببلاء هين سهل، والبلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت النعمة عليه أكثر فبلاؤه أغزر «فما يبرح البلاء» أي: ما يزال « بالعبد» أي: الإنسان «حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خيطئة» كناية عن خلاصه من الذنوب فكأنه كان محبوسًا ثم اطلق وخلى سبيله يمشي ما عليه بأس اهـ . ملخصًا يسيرًا والله أعلم.

---

(١) سورة العنكبوت آية (٢).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/٧٨، ٧٩).

(٣) سورة القصص آية (٨٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٧١) في الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام.. (ح٢٩٤١).

مبحث: ثواب المؤمن حاصل إذا أصيب وصبر

٤٣٠ - عن عبد الله قال: دخلتُ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهو يُوعَكُ فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنكَ لتوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَجَلْ إنِّي أُوعَكُ كمَا يوعَكُ رجلان منكُم**» قال: فقلتُ ذلكَ أن لكَ أجرينِ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَجَلْ**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِم يُصيبُهُ أذَى مِنْ مرضٍ فما سِواهُ إلاَّ حطَّ اللهُ بهِ سيئاتُه كمَا تحُطُّ الشجرةُ ورقها**».

٤٣١ - عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**مَا يُصيبُ المؤمنَ مِنْ وَصَبٍ ولاَ نَصَبٍ ولاَ سَقَمٍ ولاَ حَزَنٍ حتى الهَمِّ يُهِمُّهُ إلاَّ كَفَّرَ بهِ مِنْ سيئَاته**».

٤٣٢ - عن أنس بن مالك قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ تعالَى قال: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**» يريد عينيه.

---

[٤٣٠] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٢٧) في البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه واللفظ له.

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٢٣٨) في المرضى، باب مراخص المريض أن يقول: إني وجع، (ح٥٦٦٧).

[٤٣١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٢٩، ١٣٠) في البر والصلة والآداب واللفظ له.

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٢١٥) في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، (ح٥٦٤٢).

[٤٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٢٢٧) في المرضى، باب فصل من =

= ذهب بصره، (ح٥٦٥٣).

قوله: « يوعك » الوعك بإسكان العين قيل هو الحمى وقيل ألمها ومغثها اهـ. مسلم (١٢٧/١٦).

قوله: «نصب» النصف التعب اهـ. نهاية (٦٢/٥).

قوله: «وصب» الوصب دوام الوجع ولزومه اهـ. نهاية (١٩٠/٥).

المعنى

يخبرنا عبد الله رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وهو مريض بأبي هو وأمي ﷺ قال : «فمسسته بيدي» أي: لمسته بيدي « فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا» أي: حرارة الحمى زادت عندك يا رسول الله قال الحافظ[1] : والوعك بفتح الواو وسكون العين ألم الحمى «فقال رسول الله ﷺ: **أجل**» قال الحافظ[1] : أي نعم اهـ. «**إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» أي: أتألم وأتوجع وجعًا يعدل وجع رجلين منكم «قال: فقلت ذلك أن لك أجرين» وعند البخاري: «لك أجران» قال الحافظ[1] : قوله «ذلك» إشارة إلى مضاعفة الأجر بشدة الحمى اهـ. فقال رسول الله ﷺ : «**أجل**» أي: نعم كما تقدم «ثم قال رسول الله ﷺ: **ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**» قال الحافظ[1] : قوله: «أذىً» التنوين فيه للتقليل لا للجنس ليصح ترتب فوقها ودونها في العظم والحقارة عليه بالفاء وهو يحتمل فوقها في العظم ودونها في الحقارة وعكسه والله أعلم اهـ. وقوله: «**إلا حط الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**» أي: لا يزال المرض يضع السيئات حتى لا تبقى سيئة كما توقع الشجرة ورقها حتى لا تبقى ورقة، قال الحافظ[1] : كما تحط أي تلقيه منتشراً والحاصل أنه أثبت أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر، ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهي إلى أن تحط السيئات كلها أو المعنى: =

(١) فتح الباري (٢٢٢/٢١).

= قال : نعم شدة المرض ترفع الدرجات وتحط الخطيئات أيضًا حتى لا يبقى منها شيء اهـ بتصرف يسير والله أعلم. وفي[1] رواية: «اشتكى رسول الله ﷺ فاشتد عليه فلما أفاق قلت له: لو أن إحدانا فعلت لخشيت أن تجد عليها، قال : «**أو لا تعلمين أن المؤمن يشتد عليه ليحط عنه من خطاياه**» وفي الحديث يخبرنا أبو سعيد وأبو هريرة رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال : «**ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن وحتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته**» وعند البخاري: «**ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**» أي: أي أمر من هذه الأمور التي تكدر صفوه وتؤذيه وتضايقه حتى الهم والغم حتى الشوكة إلا جعلها الله تعالى كفارة لخطاياه حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة. قال الحافظ[2] : «من نصب» بفتح النون والمهملة ثم موحدة : هو التعب وزنه ومعناه اهـ. وقال النووي[3] : الوصب: الوجع اللازم ومنه قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب واصب﴾[4] اهـ. وقوله: «ولا سقم ولا حزن» قال النووي[3] : والسقم بضم السين وإسكان القاف وفتحهما لغتان وكذلك الحزن والحزن فيه اللغتان اهـ. وعند البخاري: «**ولا هم ولا حزن**» قال الحافظ[2] هما من أمراض الباطن وفي رواية البخاري: «**ولا غم**» بالغين المعجمة قال الحافظ[2] : قيل في هذه الأشياء الثلاثة: وهي الهم والغم والحزن : إن الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده، وقيل الهم والغم بمعنى واحد اهـ. والأول أولى للعطف والمعنى وقال الكرماني الغم يشمل جميع أنواع المكروهات لأنه =

---

(١) أخرجه هناد بن السري في كتابه الزهد (١/٢٤١) باب حط الخطايا (ح٤٠٩).

(٢) فتح الباري (٢١/٢١٥).

(٣) شرح مسلم (١٦/١٣٠).

(٤) سورة الصافات آية (٩).

= إما بسبب ما يعرض للبدن أو للنفس ومما يدل على تطهير المرض للذنوب تمامًا ما روته أم العلاء[1] أن رسول الله ﷺ عادها فقال: «**أبشري يا أم العلاء فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**» والحاصل أن كل ما ذكر إذا حصل للمسلم فهو كفارة إن شاء الله تعالى ما لم تغش الكبائر والله أعلم. كذلك الصبر على كل أذى والصبر على العينين يعوض الله تعالى صاحبها الجنة فاللهم ارزقنا العافية والجنة يارب العرش العظيم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه**» قال الحافظ[2]: والمراد: بالحبيبتين المحبوتبان لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به أو شر فيجتنبه وقوله «فصبر» المراد أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابرين من الثواب لا أن يصبر مجرداً عن ذلك لأن الأعمال بالنيات وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد وقوله: «**عوضته منهما الجنة**» قال: وهذا أعظم العوض لأن الالتذاذ بالصبر يفني بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور اهـ. فاللهم أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والسمع والبصر والدنيا والآخرة يارب العرش العظيم والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه(٣٥٥/٨) في الجنائز، باب عيادة النساء (ح٣٠٧٦).

(٢) فتح الباري (٢٢٧/٢١).

مبحث : من مات له ولد فاحتسب

٤٣٣ ـ عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**ما مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إلا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بفضلِ رَحْمَتِه إِيَّاهُم**».

٤٣٤ ـ وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النساء قلن للنبي ﷺ: اجعلْ لنا يومًا، فَوَعَظَهُنَّ فقال: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ ماتَ لها ثلاثةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**». قالت امرأة: واثنانِ؟ قال : «**واثْنَانِ**».

٤٣٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ من الوَلَدِ فَيَلِجَ النَّارَ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ**».

---

[٤٣٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٥/٦)، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب (ح١٢٤٨).

[٤٣٤] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٦/٦)، كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب (ح١٢٤٩).

[٤٣٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٩/٦)، كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب (ح١٢٥١).

قوله: «لم يبلغوا الحنث» بكسر المهملة وسكون النون بعدها مثلثة. قال الخليل: بلغ الغلام الحنث إذا جرى عليه القلم. اهـ فتح (ح/١٤٥).

المعنى العام

﴿**الله لطيف بعباده..**﴾[1] فسبحانه ما أرحمه وسبحانه ما أحكمه يقدر المقادير بحكمة، غالب الناس قد يظن أن فيها قسوة لكن خبايا الحكمة يظهر منها =

---

(١) سورة الشورى آية (١٩).

= الرحمة، خاصة إذا مضى الزمن بانت الحكمة، وهو أيضًا. في ابتلائه رحمة، فلا بلاء إلا وتصحبه الرحمة، ولا عسر إلا ويصحبه يسر قال تعالى: ﴿**فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**سيجعل الله بعد عسر يسرا**﴾[2] ومن رحمته أنه جعل في الصبر على البلاء عظيم الجزاء خاصة إذا عظم البلاء وغطى بمثله من الصبر ومن هذه الابتلاءات التي يقدرها الله تعالى إصابة المسلم في ولده بالموت، فأخبر النبي ﷺ بنبأ هذا الجزاء العظيم أنه من مات له ثلاثة من أولاده في رواية للنسائي «**ثلاثة من صلبه**»[3] لم يبلغوا مبلغ من يجري عليه القلم ويعمل الإثم ويكتب عليه إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمة الله تعالى لهم وله، فالولد محبوب لوالده ومشتهى وزينة وهذه الصفات كلها لها في قلوب الناس مكانة عظيمة قال تعالى: ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم**﴾[4] وقال تعال: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾[5] وقال: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...**﴾[6] الآية وقد يكون الولد أحب للوالد من نفسه بل قد يحب الرجل الصالح ابنه العاصي ويشفق عليه حب رحمة وشفقة قال تعالى: ﴿**ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي. وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين...**﴾[7] لذلك عظم الجزاء إذا حدث هذا البلاء وفقد الوالد هؤلاء الأحباء وهو ما زال من الأحياء بشرط احتساب ذلك عند الله تعالى وعدم الضجر بل يتحلى بالصبر فضلاً عن الرضا وأن يكون الولد في سن لم = يناهز الاحتلام بل ما زال صغيراً لم يجر عليه القلم لأنه يكون أحب إلى والديه

(١) سورة الشرح آية (٥، ٦).

(٢) سورة الطلاق آية (٧).

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٤/٢٤) في الجنائز، باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبه عن أنس مرفوعًا.

(٤) سورة التغابن آية (١٥).

(٥) سورة الكهف آية (٤٦).

(٦) سورة آل عمران آية (١٤).

(٧) سورة هود آية (٤٥).

= وأقرب إلى قلوبهم فالحزن والتألم بفقده أعظم من غيره ممن بلغ ووقع عليه الإثم ووقع منه العقوق لهما ولو نادراً. فمن هنا عظم الجزاء مع غيره من الأشياء التي تجعل الولد له مكانة عظيمة في قلوب والديه، والنبي ﷺ حدث بذلك النساء ولكنه ليس خاصاً بهن لما في بقية الطرق من العموم قال ابن حجر[1] : إنما خص المرأة بالذكر لأن الخطاب حينئذ كان للنساء وليس له مفهوم لما في بقية الطرق اهـ. أما الجزاءات المترتبة على الموت والصبر والاحتساب وكون المولود لم يبلغ الحنث فهي ثلاث جزاءات الأول: دخول الجنة، الثاني: الحجب عن النار، الثالث: تقيد الولوج بتحلة القسم يعني مروراً مجرداً، قال القرطبي: إنما معناه التقليل لأمر ورودها. اهـ وقال الخطابي: حللت القسم تحله أي أبررتها. اهـ فتلك الجزاءات الثلاثة هي التي وردت في طرق الحديث لمن مات له ولد لم يبلغ الحنث واحتسبه. قال الزين بن المنير: ويجمع بينها بأن يقال الدخول لا يستلزم الحجب ففي ذكر الحجب فائدة زائدة لأنه يستلزم الدخول من أول وهلة. وأم الثالث فالمراد بالولوج الورود وهو المرور على النار والمار عليها على أقسام: منهم من لا يسمع حسيسها وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى[2] كما في القرآن فلا تنافي مع هذا بين الولوج والحجب اهـ[1] بتصرف وباقي ذكر العدد فكلمة ولد تتناول الواحد فصاعداً والحديث إنما ذكر اثنين وثلاث ولم يذكر الواحد وقد وجدت عدة طرق فيها ذكر الواحد لكن قال شيخ الإسلام ابن حجر[1] : وليس في شيء من هذه الطرق ما يصلح للاحتجاج بل وقع في رواية شريك التي علق المصنف إسنادها. ولم يسأله عن الواحد[3] وروى النسائي[4] عن أنس أن المرأة التي قالت واثنان قالت بعد ذلك: يا ليتني قلت: واحداً ثم ذكر عدة=

---

(١) فتح الباري (٦/١٤٤، ١٤٧).

(٢) قال تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها...﴾ الآية الأنبياء آية (١٠١، ١٠٢).

(٣) رواية شريك هذه أخرجها البخاري في صحيحه (٦/١٤٨) في الجنائز (ح١٢٥٠) ولم يذكر البخاري «ولم تسأله عن الواحد» وذكره ابن حجر في الشرح.

(٤) أخرجه النسائي في سننه ٤/٢٦ في الجنائز وذكره الهيثمي في الزوائد ٣/٧ وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

= أحاديث قال عنها إنها أصح من الأحاديث التي فيها ذكر الواحد ولم يؤيد ثبوت الواحد إلا في حديث أخرجه البخاري في صحيحه يمكن استنباط ذلك منه أخرجه في الرقاق مرفوعًا : «يقول الله عز وجل: **ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[1] قال: وهذا يدخل فيه الواحد فما فوق وهو أصح ما ورد في ذلك اهـ . فمن مات له ولد ثم صبر راضيًا بقضاء الله راجيًا فضله دخل الجنة بفضل رحمة الله للأولاد وله وكانوا له حجابًا عن النار لا يدخله إلا دخولاً مرورًا من غير أن تمسه النار لكن إبرارًا للقسم في قوله تعالى: ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا** ﴾[2] ويزيد الفضل إذا كان الأولاد ثلاثة ولم يبلغوا الحنث ثم الاثنان ثم الواحد ثم بلغو أو لم يبلغوا والله أعلى وأعلم. وهناك رواية عن زهير بن علقمة قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد مات لي ابنان منذ دخلت في الإسلام سوى هذا فقال النبي ﷺ : «**لقد احتظرت بحظار شديد من النار**»[3] وهذه تؤيد رواية أبي سعيد الثانية «**أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابًا من النار، قالت امرأة واثنان؟ قال : واثنان**»؟ وهناك رواية فيها تلميح بالواحد بل هي أقرب إلى إثبات الواحد فعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة**» قال: قلنا يا رسول الله: واثنان قال : «**واثنان**» قال محمود فقلت لجابر أراكم لو قلت وواحد لقال وواحد قال: «وأنا والله أظن ذاك»[4] أما عن الولدان فهم في الجنة إن شاء الله تعالى أي: ولدان المسلمين هذا رأى الجمهور والذي تدل عليه الأحاديث الصحيحه بل ودخول كثير من الأباء بسبب ولدانهم الذين =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٢٤) في الرقاق، (ح٦٤٢٤).

(٢)سورة مريم (٧١).

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٢٦/٤) في الجنائز وذكره الهيثمي في الزوائد (٧/٣) وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٦/٣) وقال الهيثمي في الزوائد (٧/٣) رواه أحمد ورجاله ثقات.

مبحث : إن المؤمن أمره كله خير

٤٣٦ - عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**».

= يمتنعون من دخول الجنة إلا بدخول آبائهم معهم ففي الحديث المرفوع[1] عن النبي ﷺ أنه قال : «**إنه يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة فيقولن: يارب حتى تدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيأبون قال: فيقول الله عز وجل: مالي أراهم محبنطئين؟ ادخلوا الجنة قال: فيقولن: يا رب آباؤنا فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**» والله أعلم.

وبعضهم يسبق أباه إلى الجنة يفتح له أي الباب الخاص به لأن الفتح العام للجنة كلها لا يفتحه بإذن الله تعالى إلا نبينا محمد ﷺ فعن معاوية بن قرة عن أبيه عن نبينا ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ ومعه ابن له فقال له : « أتحبه»؟ فقال : أحبك الله كما أحبه: فمات ففقده فسأل عنه فقال: « ما يسرك أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك»[2] .

مبحث : إن المؤمن أمره كله خير

[٤٣٦] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٢٥) في الزهد.

المعنى

يخبرنا صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير**» أي: أن هناك في أمر المؤمن شيئًا يدعو إلى التعجب وهي أن أحواله كلها عاقبتها خير له بإذن الله تعالى: «**وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن**» أي: الكافر والمنافق ونحوهم ليس أمرهم خير لا كله ولا بعضه وسبب تفوق المؤمن وصيرورة =

---

(١) أخرجه أحمد وقال الهيثمي في الزوائد (١١/٣) رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه النسائي في سنن (٢٢/٤، ٢٣) في الجنائز.

= أمره كله خير له أنه «إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له لأن الله تعالى يحب من عباده الشكر ويأجر عليه ويثيب ويزيد الخير لصاحبه قال الله عز وجل ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾[1] وقد أمر الله تعالى أيضًا عباده بالشكر ونهى عن كفر النعم وجحودها قال تعالى: ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[2] وأخبر تعالى أن فاعل ذلك الأمر من العباد نفر قليل مع أنه أمر به قال تعالى: ﴿ اعملوا ءال داود شكراً وقليل من عبادي الشكور ﴾[3] والحال الآخر للمؤمن هو أنه إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » أي إن أصابته مصيبة والعياذ بالله تعالى سَلَّمَ لأمر الله تعالى ولم يَشْكُ رَبَّهُ تعالى لعباده ورضي بقضائه وآمن بقدره وعلم أن الله تعالى قال: ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[4] وقال عز وجل: ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[5] فنال بصبره الصلوت من الله تعالى والرحمة وفاز بالهداية فلذلك كان صبره خيراً له والله أعلم.

---

(١) سورة إبراهيم آية (٧).

(٢) سورة البقرة آية (١٥٣).

(٣) سورة سبأ آية (١٣).

(٤) سورة التوبة آية (٥١).

(٥) سورة البقرة آية (١٥٦، ١٥٧).

مبحث : قول النبي ﷺ :
« والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون »

٤٣٧ - عن أبي هريرة أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابنَ عَمِّهِ وقَرِيبَهُ هَلُمَّ إلي الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ والمدينة خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، والَّذي نَفْسي بيده لاَ يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إلاَّ أَخْلَفَ اللهُ فيها خَيْرًا منْهُ ، أَلاَ إِنَّ المَدِينَةَ كَالكِيرِ تُخْرِجُ الخَبِيثَ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ المَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ».

= [٤٣٧] أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٣/٩) في الحج باب الترغيب في سكنى المدينة.

قوله : «هلم» معناه تعال اهـ نهاية (٢٧٢/٥).

قوله: «كالكير» بالكسر: كير الحداد وهو المبني من الطين، وقيل الزق الذي ينفخ به النار اهـ نهاية (٢١٧/٤).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يأتي على الناس زمان**» أي بعد أن تفتح البلاد ويكثر خيرها ففي رواية البخاري[1] «تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح الشام...» الحديث قوله ﷺ: «يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» أي: يحث الرجل أقاربه على الدنيا والرخاء والمال والأنعام في البلاد المفتوحة تعالى إلى الرخاء تعالى إلى الرخاء لكن لو كانوا يعلمون الحقيقة لعلموا أن المدينة خير لهم من كل بلد سواها إلا البلد =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢١/٨) في فضائل المدينة ، (ح١٨٧٥).

= الحرام مكة المكرمة قال الحافظ ابن[1] حجر: وهذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم اهـ . حيث حرم النبي ﷺ وفضل مسجده والصلاة فيه بألف صلاة والموت فيها فيشفع النبي ﷺ شفاعة خاصة لمن مات بها ورجوع الإيمان من العالم إليها قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[2] وقوله ﷺ: «**لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا أخلف الله خيراً منه**» أي: من خرج منها ممن رغب في غيرها مثل هؤلاء أبدل الله عز وجل المدينة بسكنى من هو أفضل منه إيماناً وعملاً لذلك يبين النبي ﷺ بعد ذلك أن الذي ليس فيه خير لا يمكنه البقاء فيها فقال ﷺ: «**ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد**» أي: هي تخرج الخبيث منها كما يخرج كير الحداد خبث الحديد والذهب والفضة فينقي: قال النووي[3]: قال العلماء: خبث الحديد والفضة هو وسخهما وقذرهما الذي تخرجه النار منها اهـ. بشر النبي ﷺ الصابر على شدتها بالشفاعة فقال ﷺ: «**لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**»[4] قال الحافظ[1]: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم اهـ . وقد سماها الله تعالى: الدار والإيمان قال عز وجل ﴿**والذين تبؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم...**﴾ الآية[5] والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٨/٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٢٢٣) في فضائل المدينة، (ح١٨٧٦).

(٣) شرح مسلم (٩/١٥٣، ١٥٤).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٣/٨٣) ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها.

(٥) سورة الحشر آية (٩).

مبحث: من كتم مصائبه ولم يشكها إلى الناس غفر الله له

٤٣٨ - عن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ بِمَالِه، أَوْ فِي نَفْسِه، وَكَتَمَهَا، وَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى النَّاسِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ».

---

[٤٣٨] أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٢٢٤/١ ح ٧٣٧).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٦/١٠): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أصيب بمصيبة بماله أوفي نفسه، وكتمها ولم يشكها إلى الناس، كان حقًا على الله أن يغفر له**» أي: من ابتلاه الله تعالى مصيبه ثم كتم المصيبة فلم يخبر بها أحداً من الناس كان ذلك صبرًا عظيمًا جميلاًيكافئه ربنا عز وجل عليه مكافأة عظيمة لذلك قال نبينا ﷺ: «**كان حقًا على الله أن يغفر له**» والحق لا يوجبه أحد على الله تعالى إلا أن يوجبه هو سبحانه على نفسه فضلاً عن أن يأجره ويخلف له خيراً ويعوضه أفضل مما فقد قال تعالى: ﴿**وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾[١] لذلك من المستحب المسنون أن الإنسان إذا سئل عما أصابه أن يقول الحمد لله ولا يسخط قدر الله تعالى قال ابن كثير[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿**فصبر جميل**﴾[٣] قال في الحديث: =

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٥، ١٥٦).

(٢) تفسير الحافظ ابن كثير (٤٧١/٢، ٤٧٢) سورة يوسف عليه السلام.

(٣) سورة يوسف آية (١٨).

مبحث : قول النبي ﷺ :
«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»

٤٣٩ ـ عن أبي هريرة قال قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ»**.

= صبر لا شكوى فيه وعزاه لهشيم مرفوعًا وقال قال عبد الرزاق قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكى نفسك اهـ فجزاء هذا الصبر الجميل غفران الذنوب من الله علام الغيوب سبحانه والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»

[٤٣٩] أخرجه مسلم في صحيحه (٩٣/١٨) في الزهد.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«الدنيا سجن المؤمن»** أي: يحبس فيها عن كل لذة لا يرضى عنها رب العالمين وكل شهوة يغضب منها رب العرش العظيم بل ويتورع عن كل هوى يخاف منه انتقاص مرتبته عند أكرم الأكرمين، أما غير المؤمن فغير ذلك، لذلك قال ﷺ: **«وجنة الكافر»** يرتع فيها ويلعب على هواه سواء كان بمراد الله تعالى أم لا فهو كالدابة لا تدري فيما أطلقت ولا فيما عقلت، قال الله تعالى عنهم: ﴿**إن هم إلا كالأنعام بل هو أضل سبيلاً**﴾[1] : وفي رواية للبيهقي[2] عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: **«الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه، والجنة مصيره، والدنيا جنة الكافر، والقبر سجنه، وإلى النار** =

---

(١) سورة الفرقان آية (٤٤) .

(٢) أخرجه البيهقي في كتابه الزهد الكبير (ص٢١٨، ح ٤٤٩).

مبحث : فيمن صبر لينال الجنة

٤٤٠ ـ عن عطاء بن أبي رباح قال : قالَ لِي ابنُ عباسٍ: ألا أُرِيكَ امْرَأَةً من أهل الجَنَّة؟ قلتُ : بَلَى، قال : هذه المَرْأَةُ السوداءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فقالتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وَإنِّي أتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي. قال: «**إنْ شِئْتَ صَبَرْتَ ولَكَ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكَ**». فقالت : أصْبِر، فقالت: إني أتكشفُ فادْعُ اللهَ لي أن لا أتَكَشَّفُ، فَدَعَا لَهَا».

= مصيره» قال النووي[1] : قوله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد اهـ. قال القائل: تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها. من الحرام ويبقى الإثم والعار. تبقى عواقب سوء من مغبتها. لا خير في لذة من بعدها النار اهـ. ﴿**ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾[2] والله أعلم.

مبحث : فيمن صبر لينال الجنة

[٤٤٠] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٥/٢١) في المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح، (ح٥٦٥٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣١/١٦) في البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه. =

---

(١) شرح مسلم (٩٣/١٨).

(٢) سورة البقرة آية (٢٠١).

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال لعطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة» أي: ألا أعرفك وأشير إليك إلى امرأة بشرها النبي ﷺ بالجنة «قلت بلى» أي: أخبرني «قال: هذه المرأة السوداء» ذكر ابن حجر أن اسمها سعيرة[1] اهـ. وقال خلف ابن بشكوال في المبهمات[2] : المرأة هي أم زفر السوداء واستدل برواية البخاري بسنده إلى عطاء أنه رأى أم زفر تلك المرأة الطويلة... الحديث[3] قال: « أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع» قال الحافظ[1] : «وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر ـ هذه المرأة السوداء ـ كان من صرع الجن لا من صرع الخلط اهـ قولها «وإني أتكشف فادع الله لي» أي: تنكشف بعض عورتها فادع الله يا رسول الله لي بالشفاء والستر، قال الحافظ[1] : قوله: « وإني أتكشف» بمثناه وتشديد المعجمة من التكشف وبالنون الساكنة مخففاً من الانكشاف والمراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لا تشعر اهـ. قوله ﷺ: «**إن شئت صبرت ولك الجنة**» أي: **إن صبرت على مرضك هذا تنالين بفضل الله تعالى الجنة** «وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» أي: بالشفاء «فقالت : أصبر» أي: على المرض بالجنة فما يعدلها شيء فالمرض يفنى وجزاؤه باق فاختارت الباقي على الفاني. قال الحافظ[1] :وفي الحديث: فضل من يصرع وأن الصبر على البلايا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عند التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجح وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو =

---

(١) فتح الباري (٢١/٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) الغوامض والمبهمات لابن بشكوال (٧٨٣/١ ح ٨١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٢٢٦) في المرضى، باب فضل من يصرع من الريح، (ح٥٦٥٢).

مبحث: في الترغيب في الصبر على الحق والوصاة به

٤٤١ - عن صهيب عن رَسُولِ الله ﷺ - في قصة أصحاب الأُخْدُودِ - قال: «فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كُنْتَ تَحْذَرُ قد والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بالأُخْدُود في أَفْوَاه السِّكَك فَخُدَّتْ وَأضْرَم النيرانَ وقال: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عن دينه فأَحْمُوهُ فيها أو قيل له اقْتَحِمْ ففعلوا حتى جاءتْ امرأةٌ ومعها صَبِيٌّ لها فَتقاعَسَتْ أن تَقَعَ فيها فقال لها الغلام: يا أُمَّه اصْبِرِي فإنك عَلَى الحَقِّ».

= صدق القصد، والآخر: من جهة المداوي وهو قوة وجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم اهـ. فقالت: «إني أتشكف فادع الله لي أن لا أتشكف فدعا لها» أي: أصبر على المرض بالجنة إن شاء الله تعالى ولكن ادع الله تعالى بأن لا تنكشف عورتي فدعا لها أرحم الخلق بالخلق ﷺ قال النووي[1]: وفي حديث المرأة التي كانت تصرع دليل على أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب اهـ. قال عز وجل ﴿والصابرين والصابرات...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[2] والله أعلم.

مبحث: في الترغيب في الصبر على الحق والوصاة به

[٤٤١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٣/١١) في الزهد، باب في أحاديث متفرقة.

قوله: «الأخدود» هو الشق في الأرض، وجمعه الأخاديد اهـ. نهاية (١٣/٢).

قوله: «أضرم النيران» أي: أشعلها قال ابن الأثير: الضرام: لهب النار اهـ نهاية (٨٦/٣). =

---

(١) شرح مسلم (١٣١/١٦).

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٥).

= قوله : « تقاعست » أي: تأخرت اهـ نهاية (٤/٨٧).

المعنى

يخبرنا صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود عن رسول الله ﷺ قال: «**فأتى الملك**» أي: الظالم الكافر بعد أن قتل محمداً التامر الغلام صاحب القصة لما ذكر عند قتله اسم الله عز وجل وكان من قبل لم يستطع قتله من غير ذكر الله تعالى فلما حدث ذلك قال الناس: «**آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا بربّ الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك**» أي: أرأيت ما كنت تخافه من إيمان الناس بالله رب العالمين وكفرهم بك قد والله نزل بك حذرك فآمن الناس برب العرش العظيم رب الغلام الشهيد وكفروا بك قال الله تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سمع عليم**﴾[١]، فلما رأى ذلك قال: «**فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدّت**» أي: أمر بشق الأرض في الطرقات وحفرها وحفرت الطرق والسكك حفراً عميقة ليلقى فيها الناس وهي مشتعلة لذلك قال: «**وأضرم النيران**» أي: أشعلها في السكك المحفورة «**وقال: من لم يرجع عن دينه**» أي: عن الإيمان إلى الكفر حيث آمنوا كلهم بفضل الله تعالى إيماناً ثابتاً قوياً لذلك لم يرجع أحد بالرغم مما رأوا من أهوال العذاب وهكذا الإيمان حيث يخالط بشاشة القلوب «**فأحموه فيها وقيل له اقتحم**» أي: ارم بنفسك في النار قال ابن الأثير[٢]: يقال: اقتحم الإنسان الأمر العظيم وتقحمه إذا رمى نفسه فيه من غير روية وتثبت اهـ. «**ففعلوا**» أي: أنفذ الزبانية الطغاة أصحاب حاشيته أمره «**حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها**» أي: غلام رضيع لا يتكلم «**فتقاعست أن تقع فيها**» قال النووي[٣]: أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت =

(١) سورة البقرة آية (٢٥٦).

(٢) النهاية (٤/١٨).

(٣) شرح مسلم (١٨/١٣٣).

مبحث : دعاء النبي ﷺ لمن أكرم أزواجه بعده بالصلة

٤٤٢ ـ عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: « **إنَّ أَمْرَكُنَّ لَمِمَّا يُهِمَّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلاَّ الصَّابِرُونَ** » قال ثم تقول عائشة: فسقَى اللهُ أباكَ من سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ ـ تريد عبد الرَّحْمَنِ بنَ عوف ـ وقد كانَ وصلَ أزواجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ بِيعتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا.

= الدخول في النار وبالله التوفيق اهـ. «فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق» هذه كرامة عظيمة لأهل هذا الحدث العظيم الصابرين على الحق مقدمين أنفسهم فداء لدين الله عز وجل الذي زرعه سبحانه في قلوبهم حتى أثمر هذا الإيمان ذا الأصل القوي الثابت من البذرة المباركة ولهذه الأم خاصة حيث الغلام في يدها فخافت على نفسها وغلامها فما أن تقاعست حتى أنطق الله عز وجل بقدرته الغلام كما أنطق سبحانه عيسى عليه السلام وغلام جريج وغيرهم قائلاً هذا لها «يا أمه اصبري فإنك على الحق» فاللهم ثبتنا على الحق بالعافية حتى تدخلنا الجنة في الدار الباقية: آمين. قال النووي[1] : هذا الحديث فيه إثبات كرامات الأولياء وفيه انقاذ النفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة اهـ. والله أعلم.

مبحث : دعاء النبي ﷺ لمن أكرم أزواجه بعده بالصلة

[٤٤٢] أخرجه الترمذي في سننه (١٠/٢٥١) في المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف (ح٣٨٣٣) وقال : حديث حسن صحيح غريب.

المعنى

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**إن أمركن لمما يهمني بعدي**» أي: أمر مؤنتكن ونفقتكن وكسوتكن وطعامكن لما =

---

(١) شرح مسلم (١٨/١٣٠).

= يشغلني بعدي ويجعلني أهتم لما أخاف عليكن من قلة النفقة حيث كان ﷺ يقول: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[1] وقوله: «**ولن يصبر عليكن إلا الصابرون**» أي: لن يصبر على القيام بحقوقكن من نفقة وكسوة وطعام وشراب وحاجيات ونحوه مما تحتاجه الأم من ولدها إلا الصابرون المطيقون للتحمل بلا ضجر ولا خدش ولا بخل قال في التحفة[2] قوله: «**إن أمركن**» أي شأنكن «**لمما يهمني**» اللام للتأكيد وما موصولة و«يهمني» بضم الياء وكسر الهاء أو بفتح الياء وضم الهاء أي: يوقعني في الهم « بعدي» أي: بعد وفاتي حيث لم يترك لهن ميراثًا وقد آثرن الحياة الآخرة على الدنيا حين خيرن «ولن يصبر عليكن» أي: على بلاء مؤنتكن «إلا الصابرون» على مخالفة النفس من إختيار القلة وإعطاء الزيادة « قال ثم تقول عائشة» رضي الله عنها فسقى الله أباك، أي عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة» قال في القاموس: السلسبيل اللبن الذي لا خشونة فيه والخمر وعين في الجنة اهـ. أي كل هذا يطلق عليه سلسبيل قال[3] : قال الله تعالى: ﴿**ويسقون فيها كأسًا كان مزاجها زنجبيلاً عينًا فيها تسمى سلسبيلاً**﴾[3] تريد عبد الرحمن بن عوف « أي: تريد عائشة بقولها أباك: عبد الرحمن بن عوف « وقد كان قد وصل» من الصلة أي: عبد الرحمن ابن عوف» أزواج النبي ﷺ : « مفعول لقوله وصل» بمال بيعت بأربعين ألفًا» وفي المشكاة: وكان ابن عوف تصدق على أمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألفًا اهـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٥/١٢) في فرض الخمس (ح٣٠٩٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٢٥٢/١٠).

(٣) سورة الإنسان آية (١٧، ١٨).

مبحث : في زهد النبي ﷺ الدنيا وصبره عنها

٤٤٣ ـ عن عبد الله قال: نَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أثر في جَنْبِهِ فقلنا : يا رسولَ اللهِ لو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً فقال : «**مَالي وَللدُّنْيَا، مَا أَنَا في الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وتَرَكَهَا**».

---

[٤٤٣] أخرجه الترمذي في سننه (٤٨/٧) في الزهد باب - (ح٢٤٨٣) وقال : صحيح.

المعنى

يخبرنا عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه أي: قد أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ لعدم الحائل اللين السميك الذي بينه ﷺ وبين الحصير زهداً منه وتواضعاً منه ﷺ حيث لو سأل ربه تعالى أفضل الفراش لكان له لكن آثر الآخرة وعمل لها وزهد الدنيا ورفضها فهو الذي قال: «**ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً**»[١] فلذلك لما علم حقيقتها ما تعلق منها بشيء قال الله عز وجل له﴿**وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[٢] قال في التحفة[٣] : قوله: «فقام» أي: عن النوم «وقد أثر في جنبه» أي: الحصير « فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء» بكسر الواو وفتحها ككتاب أي فراشاً وكلمة «لو» تحتمل أن تكون للتمني وأن تكون شرطية والتقدير: لو اتخذنا لك بساطًا حسنًا وفراشًا لينًا لكان أحسن من اضطجاعك على هذا الحصير الخشن اهـ. فقال ﷺ: « مالي وللدنيا» أي: ليس لي معها شيء وليس لي معها محبة ولا مودة ولا صلة ولا قرب فما الذي لي معها؟ قال القاري[٣] : «ما» نافية أي: ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب =

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٧٧/٢) في الزهد. باب مثل الدنيا (ح٤١١٠).

(٢) سورة الضحى آية (٤، ٥).

(٣) تحفة الأحوذي (٤٨/٧).

= إليها وانبسط عليـها وأجمع ما فيها ولذتهـا. أو ـ استفهامية أي أي الفـة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى لدنيـا أو ميلها إلى فإني طالب الآخـرة وهي ضرتها المضادة لها، قـال : واللام في الدنيا مقحـمة للتأكيد إن كـان الواو بمعنى مع وإن كان للعطف فالتقدير مالي مع الدنيا وما للدنيا معي اهـ «ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجـرة ثم راح وتركها» أي: أنا في الدنيـا مثل مسافـر احتاج في طريقـه للقائلة فوجد شجرة ظليلة فنزل وربط راحلته عند الشجرة فلما قال قام عند الرواح: أو راح بمعنى ذهب وأخـذ راحلتـه تاركًا الشـجـرة فالدنيـا هي الشـجرة ، فـهل القـائل تحت الشجرة التي في طريقـه وهي أن يقيل أو يستظل وقتًا قليـلاً هل يبنى أو يعمر أو يرث أو يورث أو يتمـسك بشيء فيها !؟ وعندها الجـواب يكون بالنفي لأنها مجرد مـقيل في وقت قليل فكذلك الدنيا إنما هي وقت استظلال ومقيل لمواصلة الطريق بنشاط إلى مكان حط الرحال والمنزل والإقـامة بدار الخلد تحت عرش الرحمن عـز وجل إن شاء الله تعالى كما قال القائل: يامن بدنياه اشتغل وغره طول الأمل. الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل. لا تركنن إلى الدنيا وما فيها. فالموت لاشك يفنينا ويفنيها. اعمل لدار غدًا رضوان خازنها. والجار أحمد والرحمن ناشيها. قصورها ذهب والمسك طينتها. والزعفران حشـيش نابت فيها. فمن يشتري الدار في الفـردوس يسكنها . بركعة في ظلام الليل يحييهـا. قال في التحفة[1] : «**استـظل تحت شجـرة ثم راح وتركهـا**» وجه التشبيه: سرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب اهـ . والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذي (٤٨/٧) .

الباب الخامس

في التحذير من المعاصي

ويشتمل على سبعة فصول

الفصل الأول : تحريم المعاصي عامة واستحقاق فاعلها العقوبة.

الفصل الثاني : تحريم البغي والظلم والكبر.

الفصل الثالث : تحريم العقوق والقطيعة.

الفصل الرابع : التحذير من التقصير في الطاعات والعبادات.

الفصل الخامس : التحذير من مخالفة السنة ونبذها .

الفصل السادس : تحريم الشرك والرياء والسمعة .

الفصل السابع : تحريم التشبه بالكفار فيما كان من خصائصهم وفيما كان مخالفًا لما كان عليه المسلمون.

الفصل الأول
تَحْرِيمُ المَعَاصِي عَامَّةً
واستحقاق فاعلِها العُقُوبَةُ

مبحث : إذا أنزل الله بقوم عذابًا

٤٤٤ ـ عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسولَ الله ﷺ: «**إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ**».

= [٤٤٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/٦٩) في الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابًا، (ح٧١٠٨).

وأخرجه أحمد في المسند (٢/١١٠).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم**» أي: إذا كثرت المعاصي في قوم وتفشيت وحادوا الله ورسوله وأعلنوا الحرب على الله تعالى وسكت علماؤهم وصالحوهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكأنهم رضوا فإن سنة الله تعالى أن يعم بالعذاب الجميع حتى الذين لم يرضوا ولم يفعلوا ، ثم يبعثون يوم القيامة كل على شاكلته فأهل الصلاح للجنة وأهل الفجور حصب جهنم هم لها واردون فاللهم نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدارين يا رب العرش العظيم. قال الله عز وجل ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون...** ﴾ الآية[1] ، قال الحافظ[2] : قوله: « أصاب العذاب من كان فيهم » والمراد من كان فيهم ممن ليس هو =

---

(١) سورة الواقعة من آية (٧ ـ ١٠).

(٢) فتح الباري (٢٧/٦٩، ٧٠، ٧١).

= على أعمالهم ، قوله: « ثم بعثوا على أعمالهم» أي: بعث كل واحد منهم على حسب عمله، إن كان صالحًا فعقباه صالحة وإلا فسيئة فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين، قال ابن بطال: هذا الحديث يبين حديث زينب بنت جحش حيث قالت: قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : «نعم إذا كثر الخبث»[1] فيكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي قال الحافظ[2] : والحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب أو العقاب بل يجازي كل أحد بعمله حسب نيته ، وجنح ابن أبي جمرة إلى الذين يقع لهم ذلك إنما يقع بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأما من أمر ونهى فهم المؤمنون حقًا لا يرسل الله عليهم العذاب بل يدفع بهم العذاب ويدل على تعميم العذاب لمن لم ينه عن المنكر وإذا لم يتعاطاه قوله تعالى: ﴿ **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** ﴾[3] اهـ. قلت: ويؤيده حديث الصديق[4] رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**» قال ابن أبي جمرة[2]: ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم، فإن أعان أو رضي فهو منهم، ويؤيد أمره ﷺ بالإسراع في الخروج من ديار ثمود، وأما بعثهم على أعمالهم فحكم عدل لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازون بها في الآخرة، وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيراً لما قدموه من عمل سيء فكأن العذاب المرسل في الدنيا =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٧) في الفتن، باب قول رسول الله ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب» (ح٧٠٥٩).

(٢) فتح الباري (٦٩/٢٧، ٧٠، ٧١).

(٣) سورة النساء آية (١٤٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٢٧/٢) في الفتنة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ح٤٠٠٥).

مبحث: الأخذ على يد الظالم نجاة

٤٤٥ ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ والوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وبعضهم أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الذينَ فِي أسْفَلِهَا إذا اسْتَقُوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُم، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجوا ونَجوا جَمِيعًا**».

= على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم فكان ذلك جزاء لهم على مداهنتهم، ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازي بعمله وفي الحديث تحذير وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي فكيف بمن داهن؟ فكيف بمن رضى؟ فيكف بمن عاون؟ نسأل الله السلامة اهـ. والله أعلم.

مبحث: الأخذ على يد الظالم نجاة

[٤٤٥] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢١٩) في الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (ح٢٤٩٠).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/١١٨) في الشهادات، باب القرعة في المشكلات، (ح٢٦٨٦).

وأخرجه الترمذي في الفتن (٦/٣٩٤).

وأخرجه أحمد في المسند (٤/٢٧٠).

قوله: «استهموا» أي: اقترعوا ليظهر سهم كل واحد منهم اهـ. نهاية بتصرف (٢/٤٢٩).

المعنى

يخبرنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «**مثل القائم على** =

=حدود الله والواقع فيها» يضرب النبي ﷺ مثلاً للعامل المتمسك بشرائع الله عز وجل وأوامره ومثل المنتهك للمحارم والواقع في المنهيات والعياذ بالله تعالى قال القسطلاني[1] : «**مثل القائم على حدود الله**» الآمر بالمعروف والنهاي عن المنكر «**والواقع فيها**» أي: في الحدود التارك للمعروف والمرتكب للمنكر اهـ. قوله: «**كمثل قوم استهموا على سفينة**» أي: اقترعوا على منازل السفينة أيهم يسكن عليا وأيهم سفليًا قال ابن التين[2] : وإنما يقع ذلك في السفينة ونحوها فيما إذا نزلوها معًا، أما لو سبق بعضهم بعضا فالسابق أحق بموضعه اهـ. قوله: «**فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها**» أي: جاءت القرعة لبعضهم أن يسكن أعلاها والآخرين أسفلها قال الحافظ[2] : قوله: «**استهموا سفينة**» أي: اقترعوها فأخذ كل واحد منهم سهمًا أي: نصيبًا من السفينة بالقرعة بأن تكون مشتركة بينهم إما بالإجارة وإما بالملك وإنما تقع القرعة بعد التعديل ثم يقع التشاح في الأنصبة فتقع القرعة لفصل النزاع اهـ. قوله: «**فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا**» وفي رواية الشهادات: «**فتأذوا به فأخذ فأسًا فجعل ينقر أسفل السفينة**» أي: أن القوم الذين سكنوا الدار السفلى من السفينة بالقرعة إذا أرادوا ماء لحاجتهم من شرب ونحوه مروا على من بأعلى السفينة ليتناولوا الماء من البحر من أعلى السفينة بدلائهم وهذا المرور يضايق من بأعلاها غالبًا لأنه قد تنكشف عورة أو يسكب بعض الماء أو يوطأ متاع أو نحو ذلك فحدث بذلك فجعل ساكن الأسفل يقترح بفتح خرق أسفل السفينة مباشرة ليصل إليه الماء فذلك أقرب وأسهل وأبعد عن الأذى من بأعلى في نظره ونسى الغبي أن ذلك هلاك الجميع لأن خرق السفينة غرقها بمن فيها وعليها فلما أخذ الفأس لينقر قوله: «**فأتوه فقالوا: مالك**» أي: ما حملك على هذا الدمار قوله: «**قال: تأذيتم بي ولابد لي من الماء**» =

(١) إرشاد الساري (٤/٢٨٨).

(٢) فتح الباري (١١/١١٩).

=كأنه يقول: ولابد لي ولكم من الموت بالغرق وهو لا يدري كصاحب المعاصي المنتهك لحدود الله هو يظن أنه يأتي حقًا من حقوقه وهو يسعى لهلاك النفس والمال والناس والحرث والنسل قال الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفاسد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾[1] قوله ﷺ: «**فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا**» لأن السفينة تخترق وتغرق كذلك لو سكت الناس على الواقع في الحدود والمعاصي والمنكرات لو سكت الناس عليه لهلك الناس وحرثهم وأولادهم وأموالهم ولنزل سخط الله عز وجل على الجميع ثم يبعثون على نياتهم كما في الحديث عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم**»[2] قوله ﷺ: «**وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**» أي: إن شدوا عليهم ومنعوهم من خرق السفينة وهو المنكر نجا الآمر بالمعروف ونجا المريد للمنكر بسبب امتناعه لمنع الآخرين له حيث ستبقى السفينة سليمة بلا خرق وستبقى الأرض بلا منكرات فلا تغرق السفينة ولا تخرب الأرض المعمورة قال الحافظ[3]: قوله «**فإن أخذوا على يديه**» أي: منعوه من الحفر «**أنجوه ونجو أنفسهم**» أي: كل من الآخذين والمأخوذين وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها اهـ. والله أعلم ونسأل الله العفو والعافية والمعافاة.

---

(١) سورة البقرة آية (٢٠٤-٢٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٦/٣٩٠، ٣٩١) في الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ح٢٢٥٩) وقال: حديث حسن.

(٣) فتح الباري (١١/١١٩).

مبحث : أبغض الأسماء إلى الله تعالى

٤٤٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ**».

= [٤٤٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٤٠٣)، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، (ح٦٢٠٥).

قوله: « أخنى » قال ابن الأثير: الخنا الفحش في القول اهـ. نهاية (٢/٨) قال ابن حجر: ووقع عند الترمذي في آخر الحديث أخنع : أقبح اهـ. فتح (٢٢/٤٠٣).

المعنى العام

سبحانه هو مالك الملك وملك الملوك، وملك الأملاك وهو أهل لذلك قال تعالى: ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير** ﴾[١] ولا أحد مثله ولا يشبهه ولا يكافؤه سبحانه فلذلك نهى وكره أن يتسمى أحد بملك الأملاك، لذلك أخبر رسول الله ﷺ أن أخنى اسم أي: أقبح اسم وفي رواية[٢] «**أخنع اسم عند الله**» قال الحافظ[٣]: وقد فسره الحميدي: أخنع : أذل اهـ. وقال أبو عمر الشيباني إسحاق اللغوي: أخنع ، أوضع[٣] اهـ. فأكره اسم عند الله تعالى وأوضعه وأذله رجل سمى نفسه بملك الأملاك سواء كان يملك أملاكًا أم لا يملك فإن أملاكه مهما ملك محدودة وزائلة وهو زائل قال تعالى: ﴿ **كل من عليها فان** ﴾[٤] وقال عز وجل: ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾[٥] فكل من تسمى بذلك أو شبهه أو نحوه فهو مبغوض =

---

(١) سورة آل عمران آية (٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٤٠٣)، في الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله (ح٦٢٠٦).

(٣) فتح الباري (٢٢/٤٠٣) وهو من صحيفة همام عن أبي هريرة رفعها.

(٤) سورة الرحمن آية (٢٦).

(٥) سورة القصص آية (٨٨).

= عند الله تعالى هو واسمه مكروه ذليل وهو أبغض الأسماء وأذلها عند الله يوم القيامة وقد قال البخاري بعد حديث (٦٢٠٦): قال سفيان: غير أبي الزناد يقول تفسيره: شاهان شاه اهـ. قال الحافظ[1] ابن حجر، وقد تعجب بعض الشراح من تفسير اللفظة العربية باللفظة العجمية وأنكر ذلك آخرون وهو غفلة منهم عن مراده وذلك أن لفظ شاهان شاه كان قد كثرت التسمية به في ذلك العصر فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو المراد بالذم ثم قال: قال عياض: واستدل به بعضهم على أن الاسم غير المسمى ولا حجة فيه بل المراد من الاسم صاحب الاسم ويدل عليه رواية همام «أغيظ رجل»[2] قال ابن حجر[1] : واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء، وقيل يلتحق به أيضًا من تسمى بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمن والقدوس والجبار. اهـ. ثم قال: وفي الحديث مشروعية الأدب في كل شيء لأن الزجر عن ملك الأملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقًا سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على ملوك الأرض أم على بعضها سواء كان محقًا في ذلك أم باطلاً . اهـ. فاللهم جنبنا ما يؤدي بنا إلى غضبك علينا قلبًا وقالبًا اسمًا ومسمى أصلاً وفرعًا يا رب العالمين.

---

(١) فتح الباري (٢٢/٤٠٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣١٥).

مبحث: عذاب مانع الزكاة

٤٤٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبيُّ ﷺ: «**تَأْتي الإبلُ على صَاحبِهَا على خَيْرِ ما كَانَتْ إذا هُوَ لَمْ يُعْطِ فيها حقَّهَا، تطؤُهُ بأَخْفافها، وتأْتي الغَنَمُ على صَاحبِهَا على خَيْرِ مَا كَانَتْ إذَا لَمْ يُعْطِ فيهَا حقَّهَا تَطَؤُهُ بأظْلافِهَا، وتَنْطَحُهُ بقُرُونهَا**»، قال: «**ومنْ حَقِّهَا أَنْ تُحلَبَ على المَاء، قال: ولاَ يأْتي أَحَدُكُم يومَ القيامَة بشاةٍ يحملُها على رقَبته لها يُعَار، فيقول: يا مُحمَّدُ، فأقول: لاَ أَمْلكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بلَّغْتُ، ولاَ يأْتي ببَعير يَحْملُها على رقَبته لَهُ رُغَاءٌ فيقول: يا مُحمَّدُ فأقول: لاَ أَمْلكُ لَك منَ اللهِ شَيْئًا، قَدْ بلَّغْتُ**».

٤٤٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مالاً فلَمْ يُؤَدِّ زكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يومَ القيامَة شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبيبتَان يُطَوَّقُهُ يومَ القيامَة، ثُمَّ يأْخُذُ بلهزمَتيه، يعْني بشدْقَيْه، ثم يقول أَنا مَالُكَ، أَنا كَنْزُكَ، ثم تلى ﴿ولاَ يَحْسَبَنَّ الذين يبْخَلُونَ﴾ الآية...**».

---

[٤٤٧] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٢/٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، (ح١٤٠٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢١٦/١٢). باب غلظ تحريم الغلول من أول الحمل.. إلخ.

وأخرجه أبو داود في سننه (٧٨/٥) في الزكاة باب في حقوق المال (ح١٦٤٣).

[٤٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/٧)، في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح١٤٠٣).

قوله: « أخـفافها» جـمع خف وهو للإبل كالظلف للغنم والبـقر والحافر للحـمار والبغل والفرس والقدم للآدمي اهـ. قسطلاني (٣/٨).

قوله: «يعار» بتحتانية مضمومة ثم مهملة صوت المعز اهـ. فتح (٧/١٣).

قوله: «رغاء» بضم الراء ومعجمة صوت الإبل اهـ. فتح (٧/١٣).

قوله: «شجاعًا أقرع» الشجاع الحيـة الذكر والأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمه اهـ. نووى (٧/ ٧٠، ٧١).

قوله: « له زبيبتان» تثنية زبيبة بفتح الزاي وموحدتين وهما لحمتان على رأسه مثل القرنين وقيل نابان يخرجان من فيه اهـ. فتح (٧/ ١٤).

قـوله: «لهـزمـتيـه» همـا العظمـان الناتئـان فـي اللحيين تحت الخـدين اهـ. فـتح (٧/١٥).

المعنى

قال الله عـز وجل: ﴿ **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾[1] فـواجب على صـاحـب الخيـر أن ينضح مما أفـاء الله عليـه وأكرمـه الله به ولا يـبخل فأي داء أدوأ من البـخل فـالبخـلاء يذمهم الشـرع الشريف خاصـة إذا بخلوا عن الواجب والكرماء يحبـهم الله عز وجل خاصـة إذا انفقـوا من الفضل قـال الله تعالى في الحديـث القدسي: «**أنـفق يا بـني آدم آنفق عليك**»[2] وقال النبـي ﷺ لبلال : «**أنفق يا بلال ولا تخـش من ذي العـرش إقلالاً**»[3] وقد توعد الـشرع مانعي الواجبـات خاصة في أمر الزكوات تـوعدًا شديدًا كـمـا روى لنـا أبو هريرة رضي الله عنـه عن النبي ﷺ أنه قـال: «**تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت** » قال الحافظ ابن حجر[4] :يعني يوم القيامة على خير ما =

(١) سورة النساء آية (٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠/١٨٦) في النفقات (ح٥٣٥٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/٨٦ ح٢٥٧٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) فتح الباري (٧/ ١٢ : ١٥).

= كانت أي: من العظم والسمن ومن الكثرة لأنها تكون عنده على حالات مختلفة فتأتي على أكملها ليكون ذلك أنكى له لشدة ثقلها قوله: «**تطؤه بأخفافها**» وفي رواية لمسلم[1] توضيح تام «**ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لابد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل**» وقال القسطلاني[2] : بأخفافها: جمع خف وهو للإبل كالظلف للغنم والبقر والحافر للحمار والبغل والفرس والقدم للآدمي اهـ. قوله : «**وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت، إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها**» وعند مسلم[1] : «**ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها**» قال الحافظ[3] : بكسر الطاء من تنطحه ويجوز الفتح اهـ. أي: تأتي الغنم أيضًا أسمن وأعظم وأقوى ما كانت على من لم يؤد زكاتها يوم القيامة تدوسه بالأظلاف التي في أقدامها وتنطحه ضاربة له بقرونها. قوله: «**قال: ومن حقها أن تحلب على الماء**» قال الحافظ[3]: بحاء مهملة أي لمن يحضرها من المساكين وإنما خص الحلب بموضع الماء ليكون أسهل على المحتاج من قصد المنازل وأرفق بالماشية اهـ. وفي رواية لأبي داود[4] قال أي النبي ﷺ: «**ومن حقها حلبها يوم ورودها**» إذا هذه مرفوعة إلى النبي ﷺ =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧/٧٠) في الزكاة باب إثم مانع الزكاة.

(٢) إرشاد الساردي (٣/٨).

(٣) فتح الباري (٧/١٣: ١٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٥/٧٨) في الزكاة (ح١٦٤٣) باب في حقوق المال.

= قوله: «قال : ولا يأتي أحدكم بشاة على رقبته لها يعار» قال الحافظ: لها يعار بتحتانية مضمومة ثم مهملة صوت المعز وعند مسلم « شاة لها ثغاء» قال الحافظ[1]: وهو صياح الغنم اهـ. أي لا أجدن أحدكم يوم القيامة على هذه الصفة يحمل المعز على رقبته لها يعار ويحمل الغنم على رقبته لها ثغاء بسبب أنه غلها عاصياً الله تعالى فيها. قوله: « فيقول يا محمد» وعند مسلم : فيقول : يا رسول الله أغثنى» قوله: « فأقول» لا أملك لك شيئاً[2] قال القاضي : معناه من المغفرة والشفاعة إلا بإذن الله تعالى قال: ويكون ذلك غضباً عليه لمخالفته ثم يشفع في جميع الموحدين اهـ. قوله: « فأقول قد بلغت» أي: قد بينت لك وعلمتك وأنذرتك بما بلغك عني أو سمعته مني ﷺ قوله: «ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء» قال الحافظ[1] : بضم الراء ومعجمة صوت الإبل اهـ. قوله: « فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت» كما في الغنم والمعز زاد مسلم : « **لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك**، ... » الحديث . وقوله : «**لا ألفين**» قال النووي[2] : بضم الهمزة وبالفاء المكسورة أي: لا أجدن أحدكم على هذه الصفة . قال الحافظ[1] وفي الحديث: إن الله يحيى البهائم ليعاقب بها مانع الزكاة وفي ذلك معاملةله بنقيض قصده لأنه قصد منع حق الله منها وهو الارتفاق والانتفاع بما يمنعه منها فكان ما قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه اهـ. والله أعلم . وفي الحديث الثاني أيضاً يقول رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته**» قال القسطلاني[3] : «آتاه» بمد الهمزة أي أعطاه اهـ. مالاً وبلغ النصاب وبخل بالزكاة فلم يخرجها إلى مستحقيها. قوله: «**مثل له**» قال الحافظ[2] : مثل له أي صور أو ضمن « مثل » معنى التصيير : أي صير ماله على =

(١) فتح الباري (٧/١٢: ١٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٢١٦، ٢١٧).

(٣) إرشاد الساري (٣/٨).

= صورة شجاع اهـ. قوله: «**يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان**» قال النووي[1] : الشجاع الحية الذكر والأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمه قال القاضي: ظاهره أن الله تعالى خلق هذا الشجاع لعذابه ومعنى مثل أي: نصب وصير بمعنى أن ماله يصير على صورة الشجاع . اهـ. قوله: «**له زبيبتان**» قال الحافظ[2] : تثنية زبيبة بفتح للزاي وموحدتين وهما الزبدتان اللتان في الشدقيين وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه، وقيل هما في حلقه بمنزلة زنمتي المعْز وقيل هما لحمتان على رأسه مثل القرنين وقيل نابان يخرجان من فيه . اهـ. قوله: «**ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه**» قال الحافظ[2] : فاعل يأخذ هو الشجاع قوله بلهزمتيه: بكسر اللام وسكون الهاء بعدها زاي مكسورة وقد فسر في الحديث بالشدقية ، وفي الصحاح : هما العظمان الناتئان في اللحيين تحت الخدين: وفي الجامع: هما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان اهـ. قوله: «**ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك**» قال: وفائدة هذا القول الحسرة والزيادة في التعذيب حيث لا ينفع الندم وفيه نوع من التهكم . اهـ. وعند مسلم[3] زيادة موضحة تامة: «**جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لابد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل**» قوله: ثم تلا أي رسول الله ﷺ: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون .. الآية**﴾ أي: مستدلاً بها على ما قال، وفي رواية[4] ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله... الآية**﴾ قال الحافظ[2] : وفي هذين الحديثين تقوية لقول من قال المراد بالتطويق في الآية الحقيقة خلافًا لمن قال إن معناه سيطوقون الإثم وفي تلاوة النبي ﷺ. الآية دلالة على أنها نزلت في مانعي الزكاة وهو قول أكثر أهل العلم بالتفسير اهـ. والله أعلم.

(١) شرح مسلم للنووي (٧/٧٠، ٧١) .

(٢) فتح الباري (٧/١٢ : ١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٧/٧٠) في الزكاة باب إثم مانع الزكاة .

(٤) أخرجه النسائي في سننه (٥/١١) في الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة.

مبحث : اللسان أخوف ما يخاف على العبد

٤٤٩ ـ عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، حدثني بِأمْرٍ أعْتَصِمِ به قال: «قُلْ رَبِّي اللّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قال: قلتُ : يا رسولَ اللّهِ، مَا أخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قال : «هَذَا».

= [٤٤٩] أخرجه الترمذي في سننه (٩١/٧) في الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان. (ح٢٥٢٢).

المعنى

يخبرنا سفيان بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : «حدثني بأمر أعتصم به» أي: علمني أمر استمسك به حتى أصل إلى الطريق الذي يسلكه يصل بإذن الله تعالى إلى دار الخلود قال ﷺ: « قل ربي الله ثم استقم» كما قال تعالى مبينًا جزاء من فعل ذلك قال سبحانه: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[١] قال صاحب التحفة[٢] : قوله: «حدثني بأمر أعتصم به» أي: استمسك به «قال: قل ربي الله ثم استقم» هو لفظ جامع لجميع الأوامر والنواهي وإنه لو ترك أمرًا أو فعل منهيًا فلقد عدل عن الطريق المستقيمة حتى يتوب، ومنه ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[١] فإن من رضي بالله ربا يؤدي مقتضيات الربوبية ويحقق مراضيه ويشكر نعماءه اهـ. قوله: « قال : قلت يا رسول الله ، ما أخوف ما تخاف علي » أي: أي الأشياء تخافها علي أكثر لشدة خطرها على القلب والقالب «فأخذ» ﷺ «بلسان نفسه » الشريف ثم قال : «هذا» أي: أخاف عليك لسانك فكم من كلمة أو بقت بصاحبها فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه عن الرجل الذي قال لأخيه والله لا يغفر الله لفلان قال قال رسول الله ﷺ : «وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى على أن =

(١) سورة فصلت آية (٣٠) .

(٢) تحفة الأحوذي (٩١/٧) .

مبحث : الكلمة الطيبة للجنة والكلمة الخبيثة للنار

٤٥٠ - عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال : «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلمَةِ منْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يرْفَعُهُ اللهُ بهَا درَجَاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيتكَلَّمُ بالْكَلمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَها بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

= لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»[1] وكما قال: لقد قال كلمة أضاعت دنياه وأخراه والعياذ بالله تعالى ونسأله تعالى العافية على هدى محمد ﷺ والله أعلم.

مبحث : الكلمة الطيبة للجنة والكلمة الخبيثة للنار

[٤٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠١/٢٤) في الرقاق، باب حفظ اللسان، (٦٤٧٨).

وأخرجه له الترمذي شاهداً عن بلال بن الحارث في الزهد (٦٠٩/٦)، باب ما جاء في قلة الكلام وقال: حسن صحيح (ح٢٤٢١).

قوله: «بالاً» البال: الحال والشأن، وأمر ذو بال أي: شريف يحتفل له ويهتم به اهـ. نهاية (١٦٤/١).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال : «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات**» أي: يتكلم العبد بالكلمة الصغيرة الهينة عنده التي ما يظن أن لها قيمة لكن قصد بها رضوان الله تعالى ووقعت فعلاً برضا الله تعالى فأدى بقائلها إلى أن رضى الله عن قائلها فرفعه سبحانه بها درجات وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث المزني مرفوعًا: «**إن أحدكم**=

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٥/١٦) في البر والصلة والآداب، باب النهي عن التقنيط.. (ح١٣٧/ ٢٦٢١).

= ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله لها بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتلكم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» قال الحافظ[1] قوله: «لا يلقى لها بالاً» أي: لا يتأملها بخاطره ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثر شيئًا وهو من نحو قوله تعالى: ﴿وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم﴾[2] اهـ. قوله: «وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جنهم» وفي رواية[3] : «إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» أي: وقد يتكلم بكلمة خبيثة والعياذ بالله تعالى يهدم بها خيراً والعياذ بالله تعالى ناسيًا قوله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[4] قال صاحب التحفة[5] : سخطه أي غضبه، قال ابن عيينة: هي الكلمة عند السلطان فالأولى ليرده بها عن ظلم، والثانية ليجره بها إلى ظلم وقال ابن عبد البر : لا أعلم خلافًا في تفسيرها بذلك نقله السيوطي اهـ. قال الحافظ[1] : قوله «يهوى» بفتح أوله وسكون الهاء وكسر الواو، قال عياض: المعنى: ينزل فيها ساقطًا قال الحافظ: لأن دركات النار إلى أسفل فهو نزول سقوط وقيل أهوى من قريب وهوى من بعيد اهـ. قال صاحب التحفة[5] قال الطيبي : معنى كتبه رضوان الله: توفيقه لما يرضى الله تعالى من الطاعات والمسارعة إلى الخيرات ليعيش في الدنيا حميدًا، وفي البرزخ يصان من عذاب القبر ويفسح له في قبره، ويقال له : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويحشر يوم القيامة سعيداً ويظله الله تعالى في ظله، ثم يلقى بعد ذلك من الكرامة والنعيم المقيم، =

---

(١) فتح الباري (١٠١/٢٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٧/١٨) في الزهد، باب حفظ اللسان.

(٣) سورة النور آية (١٥).

(٤) سورة ق آية (١٨).

(٥) تحفة الأحودي (٦١٠/٦).

مبحث: في أكثر ما يدخل الناس الجنة والنار

٤٥١ ـ عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخلُ الناسَ الجنةَ قال: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وسُئِل عن أكثرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قال: «الفَمُ والفَرْجُ».

= ثم يفوز بلقاء الله ما كل ذلك دونه وفي عكسه قوله: «يكتب الله عليه بها سخطه، ونظيره قوله تعالى لإبليس: ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[1] كذا في المرقاة اهـ. والله أعلم. وقال النووي[2] قوله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» معناه: لا يتدبرها ويفكر قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة وكالكلمة تقذف، أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها اضرار المسلم ونحو ذلك وهذا كله حث على حفظ اللسان كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[3] وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك اهـ. والله أعلم.

مبحث: في أكثر ما يدخل الناس الجنة والنار

[٤٥١] أخرجه الترمذي في سننه (٦/١٤٢) في البر والصلاة، باب ما جاء في حسن الخلق وقال: صحيح غريب.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه أنه سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق» أي: أكثر الأعمال التي تكون سببًا عظيماً =

---

(١) سورة ص آية (٧٨).

(٢) شرح مسلم (١٨/١١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٢٣) في الإيمان (ح٧٤/ ٤٧).

= لكثير من الناس لدخول الجنة هي تقوى الله عز وجل وحسن خلق العبد مع الناس عمومًا ومع المسلمين خاصة فالأعمال التي تدخل الناس الجنة من الصالحات كثيرة ولكن التقوى والخلق الحسن حاز السبق في سهولة الدخول وكثرة الداخل بهم فكأن الآتي بهما يتخطى حواجز المنع بسهولة وتمحى بهما خطاياه وترفع بهما درجاته وترجح بهما كفة حسناته فيدخل والتقوى أن يقي نفسه عقاب الله تعالى وغضبه بكل عمل صالح قدر الاستطاعة من فعل محمود وتجنب مذموم، وأما حسن الخلق فهو كما قال تعالى: ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾[1] آية جامعة للخلق الحسن. قال صاحب التحفة[2] : قوله: «**عن أكثر ما يدخل الناس الجنة**» أي: عن أكثر أسباب إدخالهم الجنة مع الفائزين «**قال: تقوى الله**» ولها مراتب أدناها التقوى عن الشرك «**وحسن الخلق**» أي: مع الخلق، وأدناه ترك أذاهم وأعلاه الإحسان إلى من أساء إليه منهم اهـ. وقوله: «وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: **الفم والفرج**» أي: هناك أعمال تدخل الناس النار والعياذ بالله تعالى ولكن الأعمال التي توقعهم أكثر وأقوى من غيرها وأسهل وتوقع الكثير منهم لكثرة وشدة التصاقهم وتعاملهم واستخدامهم للفم والفرج وشدة الشهوة لما يستعمل له الفم والفرج حيث قد يدخل الإنسان الجنة بكلمة والنار بكلمة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم**»[3] قال صاحب التحفة[2] : في قوله: «**الفم والفرج**» لأن المرء غالبًا بسببهما يقع في مخالفة الخالق وترك المخالفة مع المخلوق اهـ. لذلك قال النبي ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»[1] قال: الحافظ: والمراد ما بين اللحيين =

---

(١) سورة المائدة آية (٥٤).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤/١٠١) في الرقاق، (ح٦٤٧٨).

اللسان وما يتأتي به النطق وما بين الرجلين الفرج اهـ. قال الطيبي[2] كلاماً طيباً: توقي الله: إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق بأن يأتي جميع ما أمره به وينتهي عما نهى عنه وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما دخول النار، فأوقع الفم والفرج مقابلاً لهما. أما الفم فمشتمل على اللسان وحفظه ملاك أمر الدين كله وأكل الحلال رأس التقوى كله وأما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين قال تعالى: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾[3] لأن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها على العقل عند الهيجان، ومن ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وصل إلى درجة الصديقين قال تعالى: ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾[4] ومعنى الأكثرية في الجملتين أن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين الخلتين وأن أكثر أسباب الشقاوة السرمدية الجمع بين هاتين الخصلتين اهـ. فاللهم نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والنفس والدنيا والآخرة يارب العرش العظيم والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧/٩١) في الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، (ح٢٥٢١) وقال: حسن صحيح.

(٢) تحفة الأحوذي (٦/١٤٢).

(٣) سورة المؤمنون آية (٥).

(٤) سورة النازعات آية (٤٠، ٤١).

مبحث : من لا ينظر الله إليهم يوم القيامة

٤٥٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثةٌ لا يَنْظُرُ اللّهُ إليهم يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهمْ ولهم عذاب أليهم، رَجُلٌ كان له فَضْلُ ماء بالطريق فَمَنَعَهُ من ابن السَّبِيلِ، ورجل بايعَ إمامَه لا يُبَايعُهُ إلا لدُنْيَا فإن أعطاه منها رَضي وإن لم يُعْطِه منها سَخطَ، ورجل أقام سلْعَتَهُ بعد العصر فقال : والله الذي لاَ إلَهَ غَيْرُهُ لقد أُعطيت بهذا كذا وكذا فَصَدَّقَهُ رجلٌ** » ثم قرأ هذه الآية ﴿**إنَّ الَّذينَ يَشْتَرُون بعَهْدِ الله وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَليلاً**﴾.

---

[٤٥٢] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٠٣) في الشرب، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء (ح٢٣٥٨).

وأخرجه أيضًا في الشرب (١٠/١١٥) باب من رأى صاحب الحوض أو القربة أحق بمائه (ح٢٣٦٩).

وأخرجه أيضًا في الأحكام (٢٨/٢٣٤) باب من بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا.

قوله: « ابن السبيل» أي: المسافر المحتاج إلى الماء اهـ. فتح (٢٨/٢٣٥).

المعنى

إن من الناس من بلغت بهم ذنوبهم العظيمة إلى أن غضب الله تعالى عليهم غضبًا لا يطهرهم معه من الذنوب ولا يثني عليهم يوم القيامة ولا يكلمهم مِنْ رَضىً عنهم فضلاً عما أعد لهم سبحانه من أليم العذاب بسبب ما فعلوه من منع الخير المباح السهل وسوء قصدهم ونيتهم والحلف باليمين الكاذبة الفاجرة فمن هؤلاء: رجل كان له فضل ماء زائد عن حاجته منعه من المسافر المحتاج إلى الماء ـ ويستثنى من ذلك الحربي والمرتد فلا يجب بذل الماء لهما، فهذا الذي منع فضل الماء وقع في إثم عظيم أغضب رب العالمين واستجلب سخطه حتى منعه فضله ففي رواية =

= في البخاري «فيقول الله له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»[1] فمنع الماء الفاضل حرام حرمه رسول الله ﷺ ففي سنن أبي داود قال رجل: يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال «الماء» ... الحديث[2] والرجل الثاني بايع إمامًا لكن نيته لغير الله تعالى إنما بايعه ليعطيه من الدنيا ويسبغ عليه منها ما بايعه للحق ولا لإقامة الدين ولا لأنه أولى بالخلافة من غيره إنما لنصيبه من الدنيا فإن وجد إمامه أعطاه من الدنيا رضى وسكت وأقر البيعة والتزم السمع والطاعة فيما أحب من نيل الدنيا وقضاء نهمته منها ولو في المعصية لله رب العالمين وإن لم يطعمه إمامه من الدنيا ولو كان على ما يرضى الله كره ذلك ونقض البيعة وشق عصا الطاعة وخرج عليه هذا جزاؤه الحرمان من تطهير الله تعالى له من الذنوب يوم العرض على علام الغيوب والحرمان من نظر الله تعالى نظر الرحمة يوم القيامة فضلاً عما سيلقاه من العذاب الأليم، والرجل الثالث: بايع رجلاً سلعة بعد صلاة العصر وقت صعود ملائكة النهار وقت ختام الأعمال وقت ذكر فاضل ثوابه عظيم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملاكة بالليل وملائكة بالنهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»[3] متفق عليه فعظم الذنب في الوقت الفاضل لتفضيل الله تعالى له ولعظيم الثواب فيه أيضًا فمن حلف كاذبًا ليبيع بثمن اشتراه به وهو كاذب في قوله: حرم الرحمة يوم القيامة ومنعه الله تعالى الطهر من الذنوب واستحق العذاب وهكذا يشبه ذلك من حلف كاذبًا متعمدًا على غير سلعة وقد قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿**إن الذين يشترون** =

(١) أخرجه البخاري (١٠/١١٥) في الشرب، باب من رأى أن صاحب الحوض أو القربة أحق بمائة، (ح٢٣٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥/٨٦) في الزكاة، باب مالا يجوز منعه (ح١٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٢٢١) في مواقيت الصلاة، فضل صلاة العصر، (ح٥٥٥).

مبحث : من تصرف في مال الله بغير حق له النار والعياذ بالله تعالى

٤٥٣ ـ عن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

= بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً . . . ﴾ سورة آل عمران آية (٧٧) مستدلاً بها فيمن حلف كاذبًا بالله تعالى ليأخذ الدنيا الفانية الزائلة وقد نزلت هذه في اليهود الذين يعتاضون عما عاهدوا الله تعالى عليه من اتابع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة[٢] وتلك الثلاثة ليست للحصر فهناك حديث في البخاري أيضًا «ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم»[٣] فاجتمع من الحديثين أربع خصال وكل منا لحديثين مصدر بثلاث فكأنه كان في الأصل أربعة فاقتصر كل من الراويين على واحد ضمه مع الإثنين اللذان توافقا عليهما فصار في رواية كل منهما ثلاثة والله الموفق اهـ. والله أعلم.

مبحث : من تصرف في مال الله بغير حق له النار والعياذ بالله تعالى

[٤٥٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٧/١٢، ١٩٨) باب قول الله تعالى: ﴿ فأن لله خمسه وللرسول ﴾، (ح٣١١٨).

وأخرجه أحمد في المسند (٤١٠/٦) .

قوله: « يتخوضون في مال الله » متصرفون في مال الله تعالى بما لا يرضاه الله =

(١) تفسير ابن كثير سورة آل عمران آية (٧٧) (٣٧٥/١).

(٢) أخرجه البخاري (١٥/١٠) في الشرب، باب من رأى أن صاحب الحوض أو القربة أحق بمائة (ح٢٣٦٩).

(٣) فتح الباري (٢٣٥/٢٨).

= والتخوض: تفعل منه، وقيل هو التخليط في تحصيله من غير وجهه كيف أمكن. اهـ نهاية (٢/٨٨).

المعنى

تخبرنا خولة الأنصارية رضي الله عنها عن نبينا ﷺ أنه قال: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» أي: أن هناك رجالاً يتصرفون في مال الله تعالى بالباطل والظلم والإسراف والتبذير فهؤلاء يعملون عملاً جزاء فاعله النار يوم القيامة وبئس القرار والعياذ بالله قال الحافظ[1] : قوله: «**يتخوضون في مال الله بغير حق**» بالمعجمتين أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل وهو أعم من أن يكون بالقسمة وبغيرها وفيه أن من أخذ من الغنائم شيئًا بغير قسم الإمام كان عاصيًا وفيه ردع الولاة أن يأخذوا من المال شيئًا بغير حق أو يمنعوه من أهله اهـ. وقال الكرماني[2] : «بغير حق» أي: بغير قسمة حقه واللفظ وإن كان أعم من ذلك اهـ. والله أعلم وقال تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**﴾[3] والله المستعان.

---

(١) فتح الباري (١٢/١٩٨).

(٢) شرح الكرماني للبخاري (١٣/٩٣، ٩٤).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٨).

مبحث: من قتل نفسه
استوجب عذاب الله والعياذ بالله تعالى

٤٥٤ - عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جرح، فَجزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ».

٤٥٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، والَّذِي يَطْعَنُهَا يَطْعَنُهَا فِي النَّارِ».

---

[٤٥٤] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٦٣) في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ح٣٤٦٣).

[٤٥٥] أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٢٧٦) في الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس (ح١٣٦٥).

قوله: «حز» بالحاء المهملة والزاي هو القطع في الشيء بغير إبانة اهـ. فتح (٦/٢٦٣)، نهاية (١/٣٧٧).

قوله: «رقأ» يرقأ رُقُوءًا بالضم: إذا سكن وانقطع اهـ. نهاية (٢/٢٤٨).

قوله: «بادرني» هو كناية عن استعجال المذكور الموت اهـ. فتح (٦/٢٦٣).

قوله: «يطعنها» الطعن: القتل بالرماح اهـ. نهاية (٣/١٢٧).

المعنى العام

قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾[1]، فمن رحمته بنا تعالى أن حرم علينا هدم البنية البشرية بالقتل ونحوه إلا بالحق، ولو أمرنا به وجعله=

---

(١) سورة النساء آية (٢٩).

قربة ما استطعنا قال عزوجل: ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم. ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خير لهم وأشد تثبيتا... ﴾ الآيات[1] فسبحانه أرحم الراحمين لم يكلفنا بما لا نطيق بل جعل هذا القتل جزاءه النار وبئس القرار نعوذ بالله العزيز الجبار مما يوجب غضبه وعقابه. وفي هذا الحديث يخبرنا رسول الله ﷺ أنه كان في الأمم قبلنا رجل وغالبًا أنه من بني إسرائيل فقد ذكره البخاري[2] في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، قال الحافظ ابن حجر[2] : لم أقف على اسمه اهـ. هذا الرجل كان به جرح وعند مسلم[3] : «خرجت به قَرْحة» قال الحافظ في الفتح: وهي بفتح القاف وسكون الراء: حبة تخرج من البدن، وكأنه كان به جرح ثم صار قرحة. اهـ. فجزع الرجل فلم يصبر على الألم الصادر منها، فأخذ سكينًا فحز بها يده، فلما فعل ذلك استعجالاً للموت ظانًا أنه يريحه من الألم ولم يعلم أو نسي أن العذاب على قتل النفس أشد من ألم الجراح بكثير «**فقال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه**» قال القسطلاني[4] : أي: لم يصبر حتى أقبض روحه من غير سبب له في ذلك بل استعجل وأراد أن يموت قبل الأجل الذي لم يطلعه الله تعالى عليه فاستحق المعاقبة المذكورة اهـ. وفي قوله تعالى: «**بادرني عبدي بنفسه**» وقوله تعالى: أي: في الحديث هذا القدسي: «**حرمت عليه الجنة**» إشكالان الأول، كيف يقال: بادر الموت، والموت له أجل معلوم قدره الله تعالى، والثاني كيف حرم الله عليه الجنة والجنة لا تحرم على من مات موحدًا ويجيب على الإشكالين شيخ الإسلام ابن حجر ويتبعه في ذلك الشيخ أبو عباس القسطلاني[4] : فقال ابن حجر[2] : والجواب على الأول : أن المبادرة من حيث

---

(١) سورة النساء آية (٦٦).

(٢) فتح الباري (١٣/٢٦٣) شرح (ح٣٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٦١) في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (ح١٨٠/١١٣).

(٤) إرشاد الساري (٢/٤٥٧).

التسبب في ذلك والقصد له والاختيار، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله تعالى لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق معاقبته لعصيانه اهـ. ثم ذكر الجواب عن الثاني بسبعة أجوبة ارتضيت منها ثلاثة عندي أصحها إحداها أنه كان استحل ذلك الفعل فثار كافرًا، ثانيها: كان كافرًا في الأصل وعوقب لهذه المعصية زيادة على كفره، ثالثها: أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون اهـ. والتحذير في الحديث الثاني أيضًا مما يترتب على قتل النفس من عذاب في النار فيبين رسول الله ﷺ أن الذي يخنق نفسه أنه يخنقها في النار والذي يطعنها فيموت بسبب ذلك سواء بالخنق أو الطعن أنه يخنق نفسه في النار، والذي يطعنها أيضًا فيموت يطعنها في النار، قال القسطلاني[1]: لأن الجزاء من جنس العمل اهـ. قال ابن دقيق العيد: هذا من باب مجانسة العقوبات الأخروية للجنايات الدنيوية، ويؤخذ منه أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم لأن النفس ليست ملكًا له مطلقًا بل هي لله تعالى فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيه اهـ.[2] وفي رواية البخاري: «**ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأبها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدا**»[3] وقال الحافظ ابن حجر[4]: وقد تمسك به المعتزلة وغيرهم ممن قال بتخليد أصحاب المعاصي في النار وأجاب أهل السنة عن ذلك بأجوبة منها يحمل ذلك على من استحله فإنه يصير باستحلاله كافرًا والكافر مخلد بلا ريب وقيل ورد مورد الزجر والتغليظ وحقيقته غير مراده، وقيل التقرير مخلدًا فيها إلى إن يشاء الله، وقيل المراد بالخلود طول المدة حقيقة الدوام كأنه يقول يخلد مدة معينة وهذا أبعدها اهـ. والله أعلم.

(١) إرشاد الساري (٢/٤٥٧).
(٢) فتح الباري (٢٥/٣١).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٣٨٣)، في الطب عن أبي هريرة مرفوعًا (ح٥٧٧٨).
(٤) فتح الباري (٦/٢٧٧).

مبحث : ليس منا من ضرب الخدود ودعا بدعوى الجاهلية

٤٥٦ ـ عن مسروق عن عبد الله رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ».

---

[٤٥٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١٩٩)، في الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، (ح١٢٩٤).

أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٢٠٢)، في الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة، (ح ١٢٩٧).

قوله: «الجيوب» جمع جيب بالجيم والموحدة، وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس اهـ. فتح (٦/١٩٩).

المعنى العام

إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فوجب على المؤمن أن يتحلى بجميل الصبر عند الصدمة الأولى كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري: **«الصبر عند الصدمة الأولى»**[١] وكذلك المؤمنة لأن ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية المذكورون في الحديث يقعن غالبًا من النساء فيؤدي بهن إلى أن يؤبرن دينهن فيجرح جرحًا يصعب تضميده. فلذلك قال ﷺ: **«ليس منا من ضرب الخدود»** وفي رواية: **«من لطم الخدود»**[٢] . قال شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالى[٣] : **«ليس منا»** أي: من أهل سنتنا وطريقتنا وليس المراد به إخراجه عن الدين ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته لست منك ولست مني، أي: ما أنت على طريقتي ثم قال: وهذا يدل على =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٢٠٩) في الجنائز، (ح١٣٠٢) باب الصبر عند الصدمة الأولى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١٩٩) جنائز، باب ليس منا من شق الجيوب (ح١٢٩٤).

(٣) فتح الباري (٦/١٩٩).

= تحريم ما ذكر من شق الجيب وغيره وكأن السبب في ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء، فإن وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلاً بما وقع فلا مانع من حمل النفي على الإخراج من الدين اهـ. وقال القسطلاني[1] : وقوله: «ليس منا» للنهي اهـ. قوله: «لطم الخدود» ضرب الخدود قال ابن حجر[2]: خص الخد بذلك لكونه الغالب في ذلك وإلا فضرب بقية الوجه داخل في ذلك قوله: «وشق الجيوب» المراد بشقه كمال فتحه إلى آخره وهو من علامات التسخط قوله: «ودعا بدعوى الجاهلية» أي: من النياحة ونحوها وكذا الندبة كقولهن: واجبلاه، وكذا الدعاء بالويل والثبور ونحوه اهـ. وفي رواية في البخاري أن رسول الله ﷺ بريئ من الصالقة والحالقة والشاقة[3] قال ابن حجر[4] : بالصاد المهملة والقاف أي : التي ترفع صوتها بالبكاء، وعن ابن الأعرابي الصلق ضرب الوجه والأول أشهر والحالق التي تحلق رأسها عند المصيبة والشاق التي تشق ثوبها قال : وحكى عن سفيان أن كان يكره الخوض في تأويله ويقول ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر. قال وأصل البراءة الانفصال من الشيء وكأنه توعده بأن لا يدخله في شفاعته مثلاً . اهـ والله أعلم.

---

(١) إرشاد الساري (٢/٤٠٦).

(٢) فتح الباري ٦/١٩٩.

(٣) أخرجه البخاري (٦/٢٠١) في الجنائز (ح١٢٩٦).

(٤) فتح الباري (٦/٢٠٢).

مبحث : العذاب على الخيلاء

٤٥٧ ـ عن ابن عمـر أن النبي ﷺ قال : «**بَيْنَمَارَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

---

[٤٥٧] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩١/١٣)، في أحاديث الأنبياء، (ح٣٤٨٥).

أخرجه أيضًا في صحيحه (١٢/٢٢) في اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، (ح٥٧٩٠).

قوله: «يتجلجل» أي: يغوص في الأرض حين يخسف به اهـ. نهاية (٢٨٤/١).

قوله: « الخيلاء » الكِبْر والعُجْب اهـ. نهاية (٩٣/٢).

المعنى العام

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه. فمن ينازعني عذبته**»[١] فلذلك حذر النبي ﷺ أتم التحذير من منازعة الله تعالى في صفاته بشيء يؤدي إلى التلبس بالكبر ولو بالصورة الظاهرة لأن ذلك يفضي بصاحبه والعياذ بالله تعالى إلى غضب الله تعالى فيمسي وقد ظل أجلحًا من الخير نسأل الله العفو العافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة . ويروى لنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يجر إزاره**» زادمسلم[٢] عن أبي هريرة: «**ممن كان قبلكم يتبختر في حلة..**»[٢] قال الحافظ ابن حجر[٣] : ومن ثم أخرجه البخاري في ذكر بني إسرائيل كما مضى وخفي هذا على بعض الشراح اهـ. يعني لم يفطن لمناسبة الحديث للترجمة تحت ذكر بني إسرائيل ... وذكر ابن حجر عن الطبري أن =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٤/١٦) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، (ح١٣٦/ ٢٦٢٠).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة (٦٤/١٤) في اللباس، باب تحريم التبختر في المشي.

(٣) فتح الباري (١١/٢٢).

= اسم الرجل المذكور. الهيزن وأنه من أعراب فارس قوله: « من الخيلاء» وفي رواية البخاري[1] : «**تعجبه نفسه**» وقوله: «**يجر إزاره من الخيلاء**» قال ابن حجر[2] : والاقتصار على الإزار لا يدفع وجود الرداء وإنما خص الإزار بالذكر لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالبًا . قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم. اهـ. وقال ابن الأثير: الخيلاء والخيلاء بالضم والكسر ـ الكبر والعجب. يقال: اختال فهو مختال. وفيه خيلاء ومخيلة: أي كبر اهـ. قوله: «**خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» وفي رواية أبي هريرة عند مسلم: «**فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**»[3] قال ابن فارس: التجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي: ينزل فيها مضطربًا متدافعًا، قال ابن حجر[4]: ومقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرجل فيمكن أن يلغز به فيقال كافر لا يبلى جسده بعد الموت اهـ. فجزى الله الحافظ خيرًا ونفعنا بالعلم النافع ورزقنا العمل به جمًا بالإخلاص والسنة آمين. وقال النووي[5] : يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة فأخبر النبي ﷺ بأنه سيقع وقيل هو إخبار عمن قبل هذه الأمة وهذا هو الصحيح وهو معنى إدخال البخاري له في ذكر بني إسرائيل والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٢) في اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، (ح٥٧٨٩).

(٢) فتح الباري (١٢/٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤/ ٦٣) في اللباس باب تحريم التبختر في المشي.

(٤) فتح الباري (١١/٢٢).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٦٤/١٣).

مبحث : من لبس الحرير في الدنيا لا خلاق له في الآخرة

٤٥٨ ـ عن عبد الله بن عمر أن عمرَ بنَ الخطابِ رأى حُلَّةً سِيرَاء عند باب المسجد. فقال: يا رسول اللهِ لو اشتريتَ هذه فلبستَها يومَ الجمعةِ وللوَفدِ إذا قدموا عليك؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّمَا يَلْبسُ هذه من لاَ خَلاَقَ له في الآخرةِ**»، ثم جاءت رسولَ الله ﷺ منها حُلَلٌ فَأَعطَى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه منها حُلَّةً. فقال عمر يا رسولَ اللهِ، كَسَوْتَنِيهَا وقد قلتَ في حُلَّةِ عُطَارِدٍ ما قلتَ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا**» فكساها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أخًا له بِمكَّةَ مُشْرِكًا.

---

[٤٥٨] أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٨) في الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد، (ح٨٨٦).

أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٥٥) في اللباس، باب الحرير للنساء.

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١) في اللباس، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء.

قوله: «سيراء» السيراء بكسر السين وفتح الياء والمد: نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور اهـ. نهاية (٢/٤٣٣).

قوله: «خلاق» الخلاق: بالفتح: الحظ والنصيب. اهـ نهاية (٢/٧٠).

قوله: «حلة» واحدة الحلل وهي برود اليمن. ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد. اهـ نهاية (١/٤٣٢).

المعنى العام

في الحديث: «إن الله حدد حدوداً فلا تعتدوها وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ولكن =

= **رحمة منه لكم فاقبلوها ولا تبحثوا فيها**»[1] سبحانه يفعل ما يشاء ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون**﴾[2] فقد حرم على الرجل لبس الحرير وجعل جزاء من عصى أن لا يلبس حرير الجنة الذي لا يشبه حرير الدنيا إلا في اسمه. فيقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «رأى عمر بن الخطاب حلة سيراء» قال الحافظ ابن حجر[3] :وقوله سيراء بكسر المهملة وفتح التحتانية ثم راء ثم مد: أي: حرير اهـ. قوله: « عند باب المسجد» في رواية اللباس زاد: « تباع» قوله: فقال» أي: عمر « يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك» وقد وضحت رواية مسلم اسم البائع وسبب قدومه بتلك الحلل ففيها: «رأى عمر عطارداً التميمي يقيم بالسوق حلة سيراء وكان رجلاً يغشى الملوك ويصيب منهم» ففيه استحباب التزين للجمعة قال ابن حجر[3] : ووجه الاستدلال به من جهة تقريره ﷺ لعمر على أصل التجمل للجمعة وقصر الإنكار على لبس مثل تلك الحلة لكونها كانت حريراً اهـ. وكذلك لاستقبال الوفود، قوله: فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة**» قال القسطلاني[4] : «إنما يلبس هذه» أي: الحلة الحرير « من لا خلاق له» أي: من لا حظ له ولا نصيب له من الخير « في الآخرة» كلمة « من » تدل على العموم فيشمل الذكور والإناث لكن الحديث مخصوص بالرجال لقيام دلائل أخرى على إباحة الحرير للنساء اهـ. وقال النووي[5] : قيل معناه : من لا نصيب له في الآخرة وقيل من لا حرمة له وقيل من لا دين له فعلى الأول يكون محمولاً على الكفار وعلى القولين الآخرين يتناول المسلم والكافر والله أعلم. اهـ. قوله: «ثم جاءت =

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١١٥/٤) في الأطعمة، (ح٧١١٤/ ٤٣) وسكتا عنه.

(٢) سورة الأنبياء آية (٢٧).

(٣) فتح الباري (٢٩/٥).

(٤) إرشاد الساري (١٦٣/٢).

(٥) شرح مسلم للنووي (٣٨/١٤).

رسـول الله ﷺ منهـا حلل فـأعطى عـمر بن الخـطاب رضي الله عنه منهـا حلة» وفي رواية مسلم «أتى رسول الله ﷺ بحلل سيراء فبعث إلى عمر بحلة، وبعث إلى أسامة بن زيد بحلة، وأعطى علي بن أبي طالب حلة» ثم بين السبب فقال: « ثم شقها خمراً بين نسائك» قـوله: «فقال عمـر يا رسول الله كسـوتنيها وقـد قلت في حلة عطارد ما قلت» وفي رواية مسلم: «بعثت إلي بهـذه وقد قلت بالأمس في حلة عطارد ما قلت» قال ابن حجر[1] : والمراد بالأمس هنا الليلة الماضـية أو مـا قبلهـا بحسب مـا اتفق من وصول الحلل إلى النبي ﷺ بعـد قصة عطارد اهـ. قوله: « قـال رسول الله ﷺ: إني لم أكسكها لتلبسها» لحرمة الحرير على الرجال وأن من لبسه في الدنيا لاخلاق له في الآخـرة وفي رواية مسلم (ص٤١) : إنما بعـثت بهـا إليك لتنتـفع بها» قـال النووي[2] أي: تبيعها فتنتفع بثـمنها. اهـ. قوله: « فكساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخًا له بمكة مشركًـا» وفي رواية (ص٣٨) للبخاري : « فكسـاها عمر أخًا له مشـركًا بمكة» قال النووي[3] : فهذا يدل على أنه أسلم بعد ذلك اهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٥٧/٢٢).

(٢) شرح مسلم للنووي (٤١/١٤).

(٣) شرح مسلم للنووي (٣٩/١٤).

مبحث : الشارب في آنية الذهب والفضة تمسه النار نعوذ بالله الجبار

٤٥٩ - (١) عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الذي يَشْرَبُ في آنيةِ الفضةِ إنما يُجَرْجِرُ في بطنِهِ نارَ جهنمَ**».

٤٦٠ - (٢) وفي رواية: «**من شرب في إناءٍ من ذَهَبٍ أو فضةٍ فإنما يُجَرْجِرُ في بطنه نارًا من جَهَنَّمَ**».

---

[٤٥٩] (١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٢٧) في اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة.

[٤٦٠] (٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٣٠) في اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة عن أم سلمة مرفوعًا.

قوله: «يجرجر في بطنه نار جهنم» أي: يحدر فيها نار جهنم ، فجعل الشرب والجرع جرجرة وهي صوت وقوع الماء في الجوف اهـ. نهاية (١/٢٥٥).

المعنى

تخبرنا أم سلمة رضي الله عنها عن رسولنا ﷺ أنه قال: «**من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم**» لأن الذهب والفضة سيتحولون يوم القيامة إلى جمرًا لمن استعملهما في معصية الله تعالى كصاحب كنزهما الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾[١] فكذلك من شرب فجرعه يكون بدلاً من الماء نارًا ، جعل الله تعالى جرعه نارًا قال النووي[٢] : أما معناه فعلى رواية =

---

(١) سورة التوبة آية (٣٤، ٣٥).

(٢) شرح مسلم (١٤/٢٨).

مبحث : شر الناس ذو الوجهين

٤٦١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**تَجِدُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ**».

= النصب - أي: للفظ النار - فالفاعل هو الشارب مضمر في يجرجر أي: يلقيها في بطنه بجرع متتابع يسمع له جرجرة وهو الصوت لتردده في حلقه - ، وعلى رواية الرفع تكون النار فاعله ومعناه تصوت النار في بطنه والجرجرة هي التصويت وسمى المشروب نارًا لأنه يؤول إليها كما قال تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً**﴾[1] وأما جهنم عافانا الله منها ومن كل بلاء فقال أكثر النحويين: هي عجمية لا تنصرف للتعريف والعجمية سميت بذلك لبعد قعرها يقال بئر جهنام إذا كانت عميقة القعر وقال بعض اللغويين مشتقة من الجهومة وهي الغلظ سميت بذلك لغلظ أمرها في العذاب والله أعلم قال: والنهي يتناول جميع من يستعمل إناء الذهب أو الفضة من المسلمين والكفار لأن الصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة والله أعلم، وأجمع المسلمون على تحريم الأكل والشرب في إناء الذهب وإناء الفضة على الرجل وعلى المرأة وكذلك جميع وجوه الاستعمال سواء ملعقة أو مجمرة أو مكحلة والميل وظرف الغالية وغير ذلك صغيراً كان الإناء أو كبيراً اهـ. بتصرف والله أعلم.

مبحث : شر الناس ذو الوجهين

[٤٦١] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٢٦٦) في الآداب، باب ما قيل في ذي الوجهين، (ح٦٠٥٨).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/١٩٨) في الأحكام، باب ما يكره من ثناء =

---

(١) سورة النساء آية (١٠).

= السلطان، (ح٧١٧٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٦/٢٣٦، ٢٣٧) في البر والآداب، باب ذم الوجهين وتحريم فعله (ح٢٥٢٦).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ قال: «**تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**» أي: من أكثر الناس شرًا وذنبًا يوم القيامة عند الله عز وجل يوم لقائه هو الذي يسعى فسادًا بين الناس بأن يظهر لقوم أنهم يحبهم ويبغض الآخرين فيعلم أسرار الأولين ثم يظهر للآخرين حبه لهم وبغضه للأولين فيعلم أسرار الآخرين ثم يقوم بالتحريش بينهم أو هو على عمومه سواء حرش وأفسد أما إذا قصد التأليف والإصلاح فالغالب أنه يخرج من الذم والله أعلم قال تعالى: ﴿**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا ءامنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور**﴾[1]، وعند مسلم: «تجدون من شر الناس ذا وجهين...» قال الحافظ[2]: قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق إذ هو متعلق بالباطل وبالكذب مدخل للفساد بين الناس: وقال غيره: الفرق بينهما أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها ويقبحه عند الأخرى ويذم كل طائفة عند الأخرى، والمحمود أن يأتي لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى وينقل إليه ما أمكن من الجميل ويستر القبيح اهـ. وقال النووي[3]: والمراد من يأتي كل طائفة ويظهر أنه منهم ومخالف للآخرين =

(١) سورة آل عمران آية (١١٩).

(٢) فتح الباري (٢٢/٢٦٦، ٢٦٧).

(٣) شرح مسلم (١٦/٢٣٦ح ٢٥٢٦).

مبحث : النائحة إذا لم تتب شدد عليها عذاب الآخرة

٤٦٢ - عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**النَّائحَةُ إذا لم تَتُبْ قَبْلَ موتها تُقَامُ يومَ القِيامَةِ وعليها سِرْبَالٌ من قَطْرَانٍ ودرع من جرب**».

= مبغض فإن أتى كل طائفة بالإصلاح ونحوه فمحمود اهـ. وقد أخرج أبو داود[1] من حديث عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» فاللهم أصلح ظاهرنا وباطننا وارزقنا وجه الخير وحده والله المستعان وحده.

مبحث : النائحة إذا لم تتب شدد عليها عذاب الآخرة

[٤٦٢] أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٢٣٥) في الجنائز، باب تحريم النياحة.

قوله: «سربال» السربال القميص وقيل الدرع اهـ. نهاية (٢/٣٥٧) أي: تلبس لباسًا سابغًا من قطران والعياذ بالله تعالى.

قوله: «قطران» هو الذي تطلى به الإبل قال قتادة وهي ألصق شيء بالنار اهـ. تفسير ابن كثير (٢/٥٤٥).

المعنى

يخبرنا أبو مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» أي: التي تنوح وتصرخ على الميت إذا لم يتداركها الله عز وجل بتوبة من عنده يصلحها به ليكتب لها بها النجاة قبل أن يمزق قلبها كما مزقت قلوب الناس ببكائها وصراخها فإنها تقام يوم القيامة وقد ارتدت سربال كالدرع السابغ يحيطها لكنه من قطران والعياذ بالله تعالى وكذلك يكون عليها درع من جرب مع درع القطران والجرب مرض جلدي معروف فهو عليها والقطران أيضًا كالمجرمين الذين قال الله تعالى عنهم =

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٣/٢٢) في الأدب، باب في ذي الوجهين، (ح٤٨٥٢).

مبحث : تغليظ عقوبة من سأل الناس تكثراً

٤٦٣ ـ عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: «**مَا يَزَالُ الرجل يسألُ الناسَ حتى يأتي يوم القيامةِ وليس في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

٤٦٤ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سألَ الناسَ أموالَهُم تَكَثّراً فإنما يَسْأَلُ جَمْراً فَلْيَسْتَقِلَّ أوْ لِيَسْتَكْثِرْ**».

= ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . سرابيلهم من قطران﴾[1] قال ابن كثير[2] : أي: ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهو الذي تهنأ به الإبل أي: تطلى قال قتادة: وهو ألصق شيء بالنار قال: وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب اهـ. وهذا يدل على شدة عذابها وشدة جرمها وبلوغها من الإثم بالنياحة ما تستحق به ذلك، قال النووي[3] : فيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف وما لم يصل إلى الغرغرة اهـ. والله أعلم.

مبحث : تغليظ عقوبة من سأل الناس تكثراً

[٤٦٣] أخرجه مسلم في صحيحه (٧/١٣٠) في الزكاة، باب النهي عن المسألة.

[٤٦٤] أخرجه مسلم في صحيحه (٧/١٣٠) في الزكاة، باب النهي عن المسألة.

قوله: «مزعة» بضم الميم وإسكان الزاي أي: قطعة اهـ. شرح مسلم (٧/١٣٠).

المعنى

في الحديث الأول يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن عقوبة الذي يسأل =

---

(١) سورة إبراهيم أية (٤٩، ٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٤٥).

(٣) شرح مسلم (٦/٢٣٥، ٢٣٦).

= الناس لغير حاجة بل ليزيد رصيده من المال فيقول قال رسول الله ﷺ ما يزال الرجل يسأل الناس أي: يستمر ويداوم ويزيد من سؤال الناس من أموالهم وأموال غيرهم: «**حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم**» أي: يعاقبه ربه عز وجل كما عرض ماء وجهه في الدنيا للزوال وأضاع حياءه وهو غير مضطر بأن نزع الله تعالى عن وجهه اللحم يوم القيامة فقبح وجهه على رؤس الأشهاد والعياذ بالله رب الأرباب من كل خطيئة وعقاب قال الله عز وجل ﴿**يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[1]، قال النووي: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطًا لا وجه له عند الله وقيل هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي اهـ. وفي الحديث الثاني يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن عقوبة أخرى لمن سأل الناس تكثرًا فضلاً عن العقوبة التي أخبر بها ابن عمر رافعًا لها إلى النبي ﷺ فيقول قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الناس أموالهم تكثرًا**» كما في الحديث الأول، لكن الأول يدل على الدوام والاستمرار وهذا يشير إلى غلظ الذنب والعقوبة ولو مرة لأن هنا ذكر أنه سألهم تكثرًا أي: ليزيد ماله ويثريه فقد وضح فعله أنه سأل وهو غير محتاج بل قد يكون هناك فائض عن حاجته ومع ذلك يسأل لكن الأول ذمه لكثرة سؤاله ولو لم يكن تكثرًا لكن لما أضاع حياءه وأحرج غيره أضاع عنه ربنا تعالى عنه لحم وجهه يوم القيامة، وهذا سأل للزيادة فحول الله تعالى تلك الزيادة عليه جمرًا كمانعي الزكاة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[2]=

---

(١) سورة التوبة آية (٣٥).

(٢) سورة التوبة آية (٣٤، ٣٥).

مبحث : تغليظ العقوبة لمن كتم العلم الواجب تعلمه

٤٦٥ ـ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلجَامٍ مِنْ نَارٍ**».

= قال النووي(١): قوله ﷺ: «**من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر**» قال القاضي: معناه أنه يعاقب بالنار ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن الذي يأخذه يصير جمرًا يكوى به كما ثبت في مانع الزكاة وقال النووي: وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهيًا عنه وأكثر منه كما في الرواية الأخرى من سأل تكثرًا والله أعلم اهـ. والله المستعان.

مبحث : تغليظ العقوبة لمن كتم العلم الواجب تعلمه

[٤٦٥] أخرجه الترمذي في سننه (٤٠٧/٧) في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، (ح٢٧٨٧) وقال: حديث حسن.

وأخرجه أبو داود في سننه (٩١/١٠) في العلم، باب كراهية منع العلم (ح٣٦٤١).

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٩٦/١) في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه.

وأخرجه أحمد في المسند (٢٦٣/٢، ٣٠٥).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**» أي: من سئل عن علم التوحيد وأصول الدين مما يتعلق بالألوهية والربوبية ورسالة نبينا ﷺ والحلال والحرام ثم كتمه بخلاً وضنًا ونحوه هذا يلجم يوم القيامة في فيه كدابة لكن اللجام يومها من نار والعياذ بالله الجبار لأنه ألجم نفسه السكوت فتكون العقوبة من جنس العمل قال الله =

---

(١) شرح مسلم (١٣٠/٧، ١٣١).

= عز وجل: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[1] وقال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾[2] لذلك كان أبو هريرة[3] رضي الله عنه يقول: «إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات - إلى قوله - الرحيم﴾ قال ابن الأثير[4] : الممسك عن الكلام ممثل بمن ألجم نفسه بلجام، والمراد بالعلم ما يلزمه تعليمه وتعين عليه ، كمن يرى رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يحسن الصلاة وقد حضر وقتها، فيقول: علموني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام، فإنه يلزمه في هذا وفي أمثاله تعريف الجواب. ومن منعه استحق الوعيد اهـ. قال في التحفة[5] قوله: «من سئل عن علم علمه» وهو علم يحتاج إليه السائل في أمر دينه «ثم كتمه» بعدم الجواب أو بمنع الكتاب «ألجم» أي: أدخل في لجام لأنه موضع خروج العلم والكلام قال الطيبي: شبه ما يوضع في فيه من النار بلجام فِي فَمِ الدَّابَّةِ» بلجام من نار «مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت وشبه بالحيوان الذي سخر ومنع من قصد ما يريده فإن العالم من شأنه أن يدعو إلى الحق» قال ابن حجر: ثم هنا استبعادية لأن تعلم العلم إنما يقصد لنشره ونفعه الناس وبكتمه يزول ذلك الغرض الأكمل فكان بعيداً ممن هو في صورة العلماء والحكماء اهـ. وقال في عون المعبود[6]: الممسك عن الكلام ممثل بمن ألجم نفسه، كما يقال التَّقِي ملجم فإذا ألجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار به يعاقب في الآخرة بلجام من نار وخرج هذا =

(١) سورة البقرة آية (١٥٩).

(٢) سورة البقرة آية (١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢٣/١) في العلم، باب حفظ العلم (ح١١٨).

(٤) النهاية (٢٣٤/٤) .

(٥) تحفة الأحوذي (٤٠٨/٧).

(٦) عون المعبود (٩٢/١٠).

مبحث : من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ومن لم يتب منها حرمها في الآخرة

٤٦٦ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ**».

٤٦٧ ـ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلاَةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِن تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلاَةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلاَةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ لَمْ يَتُبِ اللهُ عَلَيْهِ وَسَقَاهُ مِنْ نَهَرِ الخَبَالِ**» قيل: يا أبا عبد الرحمن: وما نهر الخبال؟ قال: نَهْرٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ.

= على معنى مشاكلة العقوبة الذنب اهـ. والله أعلم.

[٤٦٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/١٢٥، ١٢٧) في الأشربة، باب .. (ح٥٥٧٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣/٢٥١) في الأشربة باب عقوبة من شرب الخمر ... (ح ٢٠٠٣).

وأخرجه بمعناه مختصرًا الترمذي في سننه (٥/٥٩٨) في الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر، (ح١٩٢٣) وقال: حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٢/٢٢).

وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص٢٥٤ ح ١٨٥٧).

[٤٦٧] وأخرجه الترمذي في سننه (٥/٦٠٠) في الأشربة، باب ما جاء في =

= شارب الخمر وقال: حسن (ح١٩٢٤).

وأخرج مسلم في صحيحه شاهدًا في ذكرة طينة الخبال (٢٤٩/١٣)، في الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام (ح٢٠٠٢).

قوله: «الخبال» عصارة أهل النار والخبال: في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول اهـ. (٨/٢).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حدثين عن رسول الله ﷺ الأول قال فيه: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الأخرة» أي: من مات وهو مدمن الخمر أو يشربها بلا توبة فلا يشرب الخمر التي قال الله تعالى فيها: ﴿**وأنهار من خمر لذة للشاربين**﴾[1] فقد يؤدي به ذلك الشرب إلى الحرمان من الجنة ونعيمها والعياذ بالله تعالى لأنه من المعلوم أن من يدخل الجنة يشرب ماءها ولبنها وخمرها وعسلها قطعًا؛ قال الحافظ: قوله «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة» حرمها بضم المهملة وكسر الراء الخفيفة من الحرمان، قال الخطابي والبغوي في شرح السنة: معنى الحديث: لا يدخل الجنة لأن الخمر شراب أهل الجنة فإذا حرم شربها دل على أنه لا يدخل الجنة، وقال ابن عبد البر: هذا وعيد شديد يدل على حرمان دخول الجنة لأن الله تعالى أخبر أن في الجنة أنهار الخمر لذة للشاربين وأنهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون، فلو دخلها وقد علم أن فيها خمرًا أو أنه حرمها عقوبة له لزم وقوع الهم والحزن في الجنة ولا هَمَّ فيها ولا حزن. وإن لم يعلم بوجودها في الجنة ولا أنه حرمها عقوبة له لم يكن عليه في فقدها ألم، فلهذا قال بعض من تقدم أنه لا يدخل الجنة أصلاً ثم قال: وجائز أن يدخل الجنة بالعفو ثم لا يشرب فيها خمرًا ولا =

(١) سورة محمد ﷺ آية (١٥).

(٢) فتح الباري (١٢٧/٢١، ١٢٨).

= تشتهيها نفسه وإن علم بوجودها فيها ويؤيده حديث أبي سعيد[٣] مرفوعًا: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو» وقال ابن العربي: ظاهر الحديثين أنه لا يشرب الخمر في الجنة ولا يلبس الحرير فيها وذلك لأنه استعجل ما أمر بتأخيره ووعد به فحرمه عند ميقاته. كالوارث فإنه إذا قتل مورثه فإنه يحرم ميراثه لاستعجاله موته، وبهذا قال نفر من الصحابة ومن العلماء وهو موضع احتمال وموقف إشكال والله أعلم كيف يكون الحال. قال الحافظ: وفيه أن الوعيد يتناول من شرب الخمر وإن لم يحصل له السكر لأنه رتب الوعيد في الحديث على مجرد الشرب من غير قيد وهو مجمع عليه في الخمر المتخذ من العنب وكذا فيما يسكر من غيرها وأما مالا يسكر من غيرها فالأمر فيه كذلك عند الجمهور. ويؤخذ من قوله: «ثم لم يتب منها» أن التوبة مشروعة في جميع العمر مالم يصل إلى الغرغرة لما دل عليه «ثم» من التراخي وليست المبادرة إلى التوبة شرطًا في قبولها والله أعلم اهـ. وقد بين ابن عمر في الحديث الثاني عقوبة دنيوة أيضًا مع أخروية فضلاً عن عدم الشرب فقال قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا**» أي: وإن سقطت عنه الفريضة بأدائها لكن لا يجزيه الله تعالى عنها الخير المترتب على أدائها في وقتها وخشوعها وتمامها وكونها كفارة وترفع بها درجات العبد يوم القيامة وتبنى بها البيوت في الجنة وغير ذلك من الثواب العظيم الموعود به على آداء الصلوات «فإن تاب تاب الله عليه» برحمته تعالى لا وجوبًا بل بشروط التوبة وبإرادة الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وءامن وعمل صالحًا ثم اهتدى**﴾[٢] قال صاحب التحفة[٣] قوله: «من شرب الخمر» أي: ولم يتب منها «لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا» والمعنى: لم يكن له ثواب وإن برئت الذمة وسقط القضاء بأداء أركانه مع شرائطه وقال النووي: إن لكل طاعة اعتبارين أحدهما سقوط القضاء عن المؤدي وثانيهما: ترتيب حصول الثواب فعبر عن عدم ترتيب الثواب بعدم=

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي ص٢٩٤ ح٢٢١٧ من حديث مرفوعًا.

(٢) سورة طه (٨٢).

(٣) تحفة الأحوذي (٥/٦٠١).

= قبول الصلاة اهـ. وخص الصلاة بالذكر لأنها سبب حرمتها أو لأنها أم الخبائث وقيل إنما خص الصلاة بالذكر لأنها أفضل عبادات البدن، فإذا لم يقبل منه فلأن لا يقبل منه عبادة أصلا كان أولى، والمتبادر إلى الفهم من قوله أربعين صباحًا أن المراد صلاة الصبح وهي أفضل الصلوات ويحتمل أن يراد به اليوم أي: صلاة أربعين يومًا «فإن تاب» أي: من شرب الخمر بالإقلاع والندامة «تاب الله عليه» أي: قبل توبته « فإن عاد» أي: إلى شربها « لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا «فإن تاب تاب الله عليه» فإن عاد الرابعة «أي رجع الرجعة الرابعة» لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال» بفتح الخاء المعجمة والمعنى أن صديد أهل النار لكثرته يصير جاريًا كالأنهار اهـ. فيشرب من هذا الشراب السيء الغاية في القذر والقبح والنتن مقابل تلذذه بشراب أغضب فيه عليه رب العالمين فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك والله أعلم. وهناك عقوبات أخرى جعلها الله تعالى لنوع آخر من شاربي الخمر وهم الذين يسمونها اسمًا غير اسمها ليستحلوها والعياذ بالله تعالى فعقوبتهم الخسف والمسخ فضلاً عن عذاب الآخرة لمسخهم اسمها مسخ الله صورهم، فعن أبي مالك الأشعري[1] قال قال رسول الله ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**» وعند البخاري[2] عن أبي مالك الأشعري أيضًا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف...» الحديث وقد ترجم له الإمام البخاري[3] : باب ما جاء فيمن يستحل =

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٣٣٣) في الفتن باب العقوبات، (ح٤٠٢٠) وأحمد بعضه في المسند (٥/٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/١٥٤) في الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، (ح٥٥٩٠).

(٣) فتح الباري (٢١/١٥٠) شرح (ح٥٥٩٠).

مبحث : من أذنب ثم تطهر وصلى واستغفر غفر الله له

٤٦٨ـ عن أبي بكر قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**» ثم قرأ هذه الآية ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ** ﴾ إلى آخر الآية.

= الخمر قال الداودي[1] : كأنه يريد بالأمة من يتسمى بهم ويستحل مالا يحل لهم فهو كافر إن أظهر ذلك ومنافق إن أسره، أو من يرتكب المحارم مجاهرة واستخفافًا فهو يقارب الكفر وإن تسمى بالإسلام لأن الله لا يخسف بمن تعود عليه رحمته في المعاد . وقال ابن المنير: من كان من الأمة المحمدية يبعد أن يستحل الخمر بغير تأويل إذ لو كان عنادًا أو مكابرة لكان خارجًا عن الأمة لأن تحريم الخمر قد علم بالضرورة اهـ. والله أعلم.

مبحث : من أذنب ثم تطهر وصلى واستغفر غفر الله له

[٤٦٨] أخرجه الترمذي في سننه (٢/٤٤، ٤٣٣) في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، (ح٤٠) وقال: حسن.

المعنى

يخبرنا أبو بكر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**» أي: ما من عبد يقع في معصية لله تعالى من الصغائر دون الحدود ثم يتوضأ حيث أن الوضوء أيضًا يزيل اللمم ويخرج الخطايا من أطراف الشعر والأشفار والأظفار كما في الحديث الصحيح ثم يصلي فريضة أو نافلة حيث في الحديث الصحيح أيضًا عن أبي هريرة أن=

---

(١) فتح الباري (٢١/١٥٠) شرح ح٥٥٩٠.

= رسول الله ﷺ قال: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»[1] زاد في رواية (ح١٦) «**ورمضان إلى رمضان....**» ثم يستغفر الله أي سأل الله تعالى أن يغفر له فإذا فعل ذلك غفر الله تعالى له برحمته ليس إيجابًا قال تعالى: ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وءامن وعمل صالحًا ثم اهتدى** ﴾[2] قال صاحب التحفة[3]: في قوله ﷺ: «ما من رجل» قال: أي: وامرأة، ومن زائدة لإفادة الاستغراق «يذنب ذنبًا» أي ذنب كان «ثم يقوم» قال الطيبي: الإتيان بثم للرجاء والمعنى ثم يستيقظ من نوم الغفلة اهـ. «فيتطهر» أي: فيتوضأ «ثم يصلي» أي: ركعتين كما عند البيهقي عن الرسول الله ﷺ قال: «**من توضأ مثل وضوئي هذا ثم قام فصلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه غفر ماتقدم من ذنبه**»[4] «ثم يستغفر الله» أي: لذلك الذنب والمراد بالاستغفار التوبة بالندامة والإقلاع والعزم على أن لا يعود إليه أبدًا وأن يتدارك الحقوق إن كانت هناك« ثم قرأ» أي: النبي ﷺ استشهادًا واعتضادًا أو قرأ أبو بكر تصديقًا وتوفيقًا ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة** ﴾[5] أي: ذنبًا قبيحًا كالزنا ﴿ **أو ظلموا أنفسهم** ﴾[5] أي: بما دونه كالقبلة. قال الطيبي: أي ذنب كان مما يؤاخذون به اهـ. فيكون تعميمًا بعد تخصيص ﴿ **ذكروا الله** ﴾ قال الطيبي: أي ذكروا عقابه إلى آخر الآية تمام الآية ﴿ **فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى** =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٧/٣)، باب الصلوات الخمس ... إلخ (ح١٤/ ٢٣٣).

(٢) سورة طه آية (٨٢).

(٣) تحفة الأحوذي (٤٤٣/٢).

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٨٠/١) في الطهارة باب إدخال اليمين في الإنشاء .. (ح٢٢٠).

(٥) سورة آل عمران آية (١٣٥، ١٣٦).

مبحث : الوعيد لمن سأل الناس تكثراً

٤٦٩ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ».

= من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[1] اهـ. والله أعلم.

[٤٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٠/٧) في الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً (ح١٤٧٤).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٠/٧) في الزكاة، باب النهي عن المسألة.

قوله: «مزعة» أي: قطعة يسيرة من اللحم اهـ . نهاية (٣٢٥/٤).

المعنى

مدح الله عز وجل قوماً فقال فيهم ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾[2] وذم النبي ﷺ من سأل الناس مستكثراً غير محتاج فقال : «ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم وفي رواية لمسلم بعد الرواية: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر» قال القسطلاني[3] : «ما يزال الرجل يسأل الناس» أي: تكثراً وهو غني «حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم» بل كله عظم اهـ. قال الحافظ ابن حجر[4] : مزعة: بضم الميم وحكى كسرها وسكون الزاي بعدها مهملة أي: قطعة. قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد أنه يأتي ساقطاً لا قدر له ولا جاه أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه لمشاكلة العقوبة في مواضع الجناية من الأعضاء لكونه أذل =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٥، ١٣٦).

(٢) سورة البقرة آية (٢٧٣).

(٣) إرشاد الساري (٦٢/٣).

(٤) فتح الباري (١٠٠/٧).

= وجهه بالسؤال أو أنه يبعث ووجهه عظم كله فيكون ذلك شعاره الذي يعرف به قال ومال المهلب إلى حمله على ظاهره وإلى أن السر فيه أن الشمس تدنو يوم القيامة فإذا جاء لا لحم لوجهه كانت أذية الشمس له أكثر من غير قال والمراد به من سأل تكثراً وهو غنى لا تحل له الصدقة وأما من سأل وهو مضطر فذلك مباح له فلا يعاقب عليه اهـ. قال ابن المنير: لفظ الحديث دال على ذم تكثير السؤال والترجمة لمن سأل تكثراً والفرق بينهما ظاهر لكن لما كان المتوعد على ما تشهد به القواعد هو السائل عن غنى وأن سؤال ذي الحاجة مباح نزل البخاري الحديث على من يسأل ليكثر ماله اهـ. وقال النووي[1] : قوله ﷺ: «**من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر**» قال القاضي: معناه أنه يعاقب بالنار ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن الذي يأخذه يصير جمراً يُكوىَ به كما ثبت في مانع الزكاة اهـ. والله أعلم، بل وله عقوبة أخرى فضلاً عن سقوط لحم وجهه فعند عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «**من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو كدوحاً في وجهه**» قالوا: يا رسول الله وما غناه؟ قال خمسون درهماً أو حسابها من =

(١) فتح الباري (٧/١٠٠).

(٢) شرح مسلم (٧/١٣٠، ١٣١).

الفصل الثاني
تَحْرِيمُ البَغْي والظُّلْمِ والكِبْرِ

مبحث: الظلم ظلمات يوم القيامة

٤٧٠ ـ عن جابر بن عبد الله أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يوْمَ القِيَامَة واتَّقُوا الشُّحَ فإن الشح أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم حمَلَهُم عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُم واسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم**».

= الذهب»[1] فلعل ذلك قبل سقوط اللحم والله أعلم.

[٤٧٠] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٣٤) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

قوله: «الشح» هو أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل وقيل البخل بالمال، والشح بمال والمعروف اهـ. نهاية (٢/٤٤٨).

المعنى

يخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» يحذرنا نبينا ﷺ من الظلم كله صغيره وكبيره وقد حرمه سبحانه تحريمًا أبديًا أكيدًا فقال في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا...**» في نفس الباب وقال تعالى: ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾[2] وكره الله تعالى الظلم وأهله فقال تعالى: ﴿**والله لا يحب الظالمين**﴾[3] وبين نبينا ﷺ أن الظالم لو أمهله ربنا تعالى فإنه سيأخذه ولو بعد حين أخذ عزيز مقتدر فقال ﷺ فيما أخرجه مسلم في نفس الباب « إن الله يملي =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/٤٤١).

(٢) سورة فصلت آية (٤٦).

(٣) سورة آل عمران آية (١٤٠).

= للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، قال النووي[1] : قوله ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» قال القاضي: قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم اهـ. قوله: «**واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم**» أي: يأمرنا نبينا ﷺ بالبعد عن الشح وهو أشد البخل لأنه لما وقع فيه من كان قبلنا صار حالهم إلى أن تقاتلوا من أجل الضن بالدنيا والمال والبخل بهما حتى وقعوا في انتهاك الحرمات والعياذ بالله تعالى فقد قتل الأخ أخاه من أجل المال وبغى عليه أخيه من أجل المال واستحل الرشوة من أجل المال واستحل الظلم من أجل المال والدنيا وقال الباطل من أجل المال والدنيا واستحل السرقة والاختلاس من أجل المال والدنيا لكن السخاء والكرم يجعل المرء يتسامح لأخيه فيما لا يضره انفاقه فيكسب مودته وتحدث الألفة بين المسلمين فإن الإنسان جبل على حب الإحسان قال الله تعالى: ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾[2] قال النووي[1]: قوله ﷺ: «**واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم**» قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة وهذا الثاني أظهر ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والأخرة اهـ. والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم (١٦/١٣٤).

(٢) سورة الرحمن آية (٦٠) .

مبحث: قول النبي ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»

٤٧١ ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**».

---

[٤٧١] أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٦/٧)، في الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، (ح١٤٩٦).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣/١٦) في المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (٤٣٤١، ٤٣٤٢).

المعنى

يخبرنا معاذ بن جبل رضي الله عنه أن نبينا ﷺ قال له حين بعثه إلى أهل الكتاب باليمن في آخر الوصية: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» يحذرنا نبينا ﷺ من الظلم حيث أنه ظلمات ففي الحديث الصحيح «**الظلم ظلمات يوم القيامة**»(١) والظلم حرام حرمه الله تعالى على نفسه وحرمه على خلقه حتى حرمه على كل مخلوق فلا يحل الظلم ولو لكافر فبغضه وعدم موالاته من الدين أما ظلمه حرمه الدين الحنيف قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا..**»(٢) وأي ظلم فهو حرام صَغيرُه وكَبيرُه جليلهُ وحقيره حتى ظلم المرء لنفسه. وأظلم الظلم وأعظمه الشرك بالله تعالى حيث أن الله تعالى صاحب كل فضل ونعمة وخالقها ومسديها فعبادة غيره =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٢/١٠) في المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، (ح٢٤٤٧) من حديث ابن عمرو مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩/١٦) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم من حديث أبي ذر مرفوعًا (ح٥٥/٢٥٧٧).

= معه ظلم كيف يشرك معه من لا خلق ولا رزق ولا أعطى ولا منع ولا نفع ولا ضر، قال الله تعالى: ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾[1] ، وقال الحافظ[2] : قوله: «**واتق دعوة المظلوم**» أي: تجنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم. والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم الإشارة إلى أن أخذها ظلم قوله: «ليس بينها وبين الله الحجاب» أي: ليس لها صارف يصرفها ولا مانع والمراد أنها مقبولة وإن كان عاصيًا كما جاء في حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعًا[3] : «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**» وإسناده حسن اهـ. قال الطيبي[2] قوله: «**اتق دعوة المظلوم**» تذييل لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم وعلى غيره وقوله: « فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» تعليل للاتقاء وتمثيل للدعاء كمن يقصد دار السلطان متظلمًا فلا يجب اهـ. فدعوة المظلوم لا تحجب عن الله عز وجل لكن قد تؤجل لوقت يقدره الله عز وجل قال ابن العربي: إلا أنه وإن كان مطلقًا فهو مقيد بالحديث الآخر أن الداعي على ثلاث مراتب إما أن يعجل له ما طلب ، وإما أن يدخر له أفضل منه وإما أن يدفع عنه السوء مثله وهذا كما قيد قوله تعالى: ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾[4] بقوله تعالى: ﴿ **فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون** ﴾[5] والله أعلم.

(١) سورة لقمان آية (١٣) .

(٢) فتح الباري (٧/١٢٦) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٦٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٤) سورة النمل آية (٦٣) .

(٥) سورة الأنعام آية (٤١) .

مبحث: الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق

٤٧٢ - عن هشام بن حكيم بن حزام قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**».

---

[٤٧٢] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٦٧) في البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق.

المعنى

يخبرنا هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**» أي: إن ربنا تعالى يكره الذين يذيقون الناس العذاب في الدنيا ولا يرحموهم فيعذبهم سبحانه في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا**﴾[1] وقال ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحم**»[2] أي: من لا يرحم الناس ويعذبهم بأي نوع من أنواع العذاب حتى لو بالحبس في مكان طيب فكيف بغير ذلك، حتى ولو عذابًا نفسيًا: يعذبه الله تعالى ولا يرحمه سبحانه وتعالى لأنه لا يرحم إلا الرحماء لعباده عامة مؤمنهم وكافرهم حتى الحيوانات فالمعاملة مع الكافر إنما تكون براءً وبغضًا بلا ظلم ولا عذاب فقد قال نبينا ﷺ لمعاذ «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[3] وقد أرسله في هذا الحديث إلى أهل كتاب وقال ﷺ: «**ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء**»[4] قال النووي: قوله ﷺ: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس**» هذا محمول على التعذيب بغير حق فلا يدخل فيه التعذيب بحق كالقصاص والحدود والتعزير ونحو ذلك اهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٢١١) في الأدب، باب رحمة الولد.. إلخ (ح٥٩٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٣) في المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، (ح٢٤٤٨) وتفصيله في الحديث السابق بحمد الله.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٢٣٠)، باب عيادة الصبيان، (ح٥٦٥٥).

مبحث : قوله ﷺ : «إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته»

٤٧٣ ـ عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» ثم قرأ ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾.

---

[٤٧٣] أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٧/١٦) في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير سورة هود (١١٢/٧) آية (١٠٢) (ح١٨٥٧١).

قوله: «يملي» : الإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر اهـ. نهاية (٣٦٣/٤).

المعنى

يخبرنا أبو موسى رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال : « **إن الله عز وجل يملي للظالم**» أي: أن ربنا تعالى يمهل للظالم وهو متمادي في ظلمه ويؤخر له وقد يطيل في عمره وقد يبسط له في رزقه فيظن الظالم أنه ممهول له ومبسوط له الخير فيه ونسى أن الله تعالى قال : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾[١] قال ابن كثير[٢] ، أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة (وأملي لهم إن كيدي متين) أي: أؤخرهم وأنظرهم وذلك من كيدي ومكري بهم ﴿ **إن كيدي متين** ﴾[١] أي: عظيم اهـ. وقوله: « **فإذا أخذه لم يفلته**» أي: بعد الإمهال هذا لا بد من المجازاه على الظلم الكثير الماضي بلا عقاب. قال الله عز وجل ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾[٣] لذلك قرأ نبينا ﷺ قوله تعالى: ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى** =

---

(١) سورة القلم آية (٤٤، ٤٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤٠٨/٤).

(٣) سورة المؤمنون آية (٥٥، ٥٦).

مبحث : وجوب التحلل من المظالم قبل أن يعض على يديه الظالم

٤٧٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**».

= وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾[1] قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بعد تفسير[2] هذه الآية الكريمة: وهذا من الله تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة فيحل بهم ما حل بهم من المثلات اهـ. وقال النووي[3] : قوله ﷺ: «**إن الله عز وجل يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته**» معنى يملي: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة ومعنى لم يفلته لم يطلقه ولم ينفلت منه اهـ. والله أعلم.

مبحث : وجود التحلل من المظالم قبل أن يعض على يديه الظالم

[٤٧٤] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٣) في المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته (ح٢٤٤٩) .

وأخرجه البخاري في صحيحه أيضًا (٢٤/٢٠٥) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة ، (ح٦٥٣٤). =

(١) سورة هود آية (١٠٢) .

(٢) تفسير الطبري (٧/١١٢) سورة هود تفسير آية (١٠٢) .

(٣) شرح مسلم (١٦/١٣٧).

المعنى العام

« الظلم ظلمات يوم القيامة» وهو أيضًا مظلم في الدنيا يؤدي بصاحبه إلى حياة كلها أحقاد وهموم وغموم خاصة ودعوات المظلومين تلاحقه وقد قال نبينا ﷺ لمعاذ رضي الله عنه مع أن معاذ قال له عندما بعثه إلى اليمن في حديث مسلم« **اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب** »[1] فدعوة المظلوم مجابة مجابة إن شاء الله تعالى ولو بعد حين فاللهم لا تجعلنا من الظالمين ولا من المظلومين، ولذلك أمر النبي ﷺ من ظلم أخاه في شيء - ولفظ « أخيه» يشعر بالأمر بتذكر الأخوه حتى يرحم أخاه - فيأمر الظالم لأخيه بأن يرد المظلمة في الدنيا فما أسهل الرد فيها سواء كانت المظلمة في العرض أو النفس أو المال قَلَّتْ أو كَثُرَتْ فإن الله عز وجل يقتص للمظلوم من الظالم يوم القيامة ولو من لطمة لطمعها له ولو كلمة قالها له وقد أخرج أحمد من حديث جابر عن عبد الله بن أنيس رفعه «**ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة**» ، قال: قلنا كيف وإنا نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهما؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»[2] فالله عز وجل لا يفوته شيء ولا يخفى عليه شيء وهو سريع الحساب كما قال القائل: وإذا خلوت فلا تقل خلوت : ولكن قل علي رقيب. ولا تحسبن الله يغفل ساعة: ولا أن ما يخفى عليه يغيب . فوجب التحلل اليوم قبل الندم ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[3] والتحلل برد المظلمة بأن يرد الظالم للمظلوم ماله إن كانت المظلمة في المال سواء كان المال متاعًا أو أرضًا أو درهمًا أو دينارًا أو نحوهم وإن كان ظلمهُ في عرضه أيضًا يستسمحه أو يمكن نفسه من القصاص فأيما مظلمة لابد من الرد إلى المظلوم أو مسامحة المظلوم للظالم فإن لم يفعل الظالم فقد باء بعقوبة الله في الدنيا =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٢) في المظالم ، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ، (ح٢٤٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٩٥) من حديث جابر مرفوعًا وكذلك عبد الله بن أنيس.

(٣) سورة الشعراء آية (٨٨، ٨٩).

مبحث : من تتبع عورة المسلم فضحه الله تعالى

٤٧٥ ـ عن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**».

= والآخرة ففي الدنيا لن يفلت من العقوبة ولو قليلة وفي الآخرة تستوفي له قال نبينا ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»[1] وفي الآخرة يستدعي على رؤس الخلائق ليقتص للمظلوم منه فالرد يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات فربما رجل كانت حسناته تدخله الجنة فجاءت المظالم فأطاحت بحسناته حتى أدخل النار والعياذ بالله تعالى، وربما رجل لم تكن له حسنات ينجو بها وكان مظلومًا فأخذ من حسنات ظالمه وردت سيئاته على ظالمه فدخل هو الجنة وألقى صاحبه في النار، فسبحان ربنا الحكم العدل القائل في كتابه ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ولتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً**﴾[2] والله أعلم.

مبحث : من تتبع عورة المسلم فضحه الله تعالى

[٤٧٥] أخرجه الترمذي في سننه (١٨٠/٦)، في البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (ح٢١٠١) وقال: حسن غريب.

وأخرجه أبو داود في سننه (٢٢٤/١٣) في الأدب، باب في الغيبة.

وأخرجه أحمد في المسند (٤٢١/٤، ٤٢٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٩/١٧) في التفسير، (ح٤٦٨٦) من حديث أبي موسى مرفوعًا.

(٢) سورة الكهف آية (٤٩).

= وهناك شاهد له ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٩٣) وعزاه لأبي يعلى وقال: ورجاله ثقات.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه صعد المنبر فنادى بصوت رفيع «**لأهمية المنادي لأجله وشدة تأثيره في الحسنات والسيئات**» قال صاحب التحفة[١] : قوله «**صعد**» بكسر العين أي: طلع «**فنادى بصوت رفيع**» أي: عال اهـ. وقوله: قال «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه**» أي: نفاق كما قال تعالى: ﴿**وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن**﴾[٢] وقال تعالى: ﴿**يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك**﴾[٣] قال في التحفة[١] : في قوله: «**يا معشر من أسلم بلسانه**» يشترك فيه المؤمن والمنافق «**ولم يفض**» من الإفضاء أي لم يصل الإيمان إلى أصله وكماله «**إلى قلبه**» فيشتمل الفاسق كما سيأتي من قوله: تتبع عورة أخيه المسلم ولا أخوة بين المسلم والمنافق اهـ. قوله: «**لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم**» أي لا تقربوا المسلمين بأي نوع من الأذى سواء باليد أو باللسان أو بغيرهما قال تعالى: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا**﴾[٤] وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام...**»[٥] ومن أنواع الأذى المنهى عنه قوله: «**ولا تعيروهم**» أي: بذنب أسلفوه وتابوا منه فلا توبخوهم به ذاكرين لهم: =

---

(١) تحفة الأحوذي (٦/١٨٠، ١٨١).

(٢) سورة البقرة (١٤).

(٣) سورة آل عمران آية (١٥٤).

(٤) سورة الأحزاب آية (٥٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٨٢) في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله .. (ح٣٢/ ٢٥٦٤).

«ولا تتبعوا عوراتهم» كما قال في حديث آخر: «ولا تحسسوا ولا تجسسوا»[1] قال صاحب التحفة[2] : في قوله: «لا تؤذو المسلمين» أي: الكاملين في الإسلام وهم الذين أسلموا وآمنوا بقلوبهم «ولا تعيروهم» من التعيير وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد، علم توبتهم منه أم لا ، وأما التعيير في حال المباشرة أو تعييره قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحد أو التعزير فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي: على التعيير بعد التوبة «ولا تتبعوا» من باب الافتعال أي: لا تجسسوا «عوراتهم» فيما تجهلونها ولا تكشفوها فيما تعرفونها اهـ. وقوله: «فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» أي: كما قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها . .﴾[3] الآية وقال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[4] قال صاحب التحفة: «ومن يتبع الله عورته» ذكره على سبيل المشاكلة أي: كشف عيوبه ومن أقبحها عورة الأخ المسلم «ومن يتبع الله عورته يفضحه» أي: يكشف مساويه «ولو في جوف رحله» أي: ولو كان في وسط منزله مخفيًا من الناس قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[5] والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٥/٢٢) في الآداب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (ح٦٠٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) تحفة الأحوذي (١٨٠/٦، ١٨١).

(٣) سورة الشورى آية (٤٠).

(٤) سورة الأنعام آية (١٦٠).

(٥) سورة النور آية (١٩).

مبحث : فيمن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم

٤٧٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامَة، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، ورَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العصْرِ ليَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِم، ورَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَائِه فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ**».

---

[٤٧٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١١٥) في الشرب، باب من رأى صاحب الماء أو القربة أحق بمائة (ح٢٣٦٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/١١٥) في الإيمان، باب ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم.

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٠٣) في الشرب، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء (ح٢٣٥٨).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/٢٣٤) في الأحكام، باب من بايع رجلاً لا يبايعه إلا لدنيا (ح٧٢١٢).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/١٠٦) في الشهادات، باب اليمين بعد العصر (ح٢٦٧٢).

المعنى

قال الله عز وجل ﴿**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**﴾[1] وبينها ﷺ فقال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر**

---

(١) سورة آل عمران آية (٧٧).

=**إليهم**» وفي رواية الأحكام[1] : «**ولا يزكيهم**» قال النووي[2] : معنى لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضا بل بكلام أهل السخط والغضب وقال جمهور المفسرين لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم وقيل لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية ومعنى لا ينظر إليهم أي يعرض عنهم، ومعنى لا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ، قال الزجاج وغيره معناه لا يثني عليهم ومعنى عذاب أليم مؤلم قال الواحدي : هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه قال وأصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع فسمي العذاب عذاباً لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثل فعله، والله أعلم اهـ. بتصرف قوله: «**رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب**» وفي رواية «**ورجل أقام سلعته بعد العصر**» أي: حلف بائع للمشتري على سلعة بعد صلاة العصر أنها اشتراها لنفسه بكذا أو كذا من السعر المرتفع وهو كاذب وفي رواية الأحكام[1] : «**فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يعط بها**» قال الحافظ ابن حجر[3] : قوله: «**فصدقه وأخذها**» أي: المشتري «**ولم يعط بها**» أي: القدر الذي حلف أنه أعطى عوضها اهـ. قال النووي[4] : وأما الحالف كاذباً بعد العصر فمستحق هذا الوعيد وخص ما بعد العصر لشرفه بسبب اجتماع ملائكة الليل والنهار وغير ذلك اهـ. قوله: «**ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم**» أي: حلف كذباً في هذا الوقت العظيم ليأخذ حق مسلم كذباً فالرجل قد جمع بين عدة منكرات فضلاً عن أن تكون كبائراً أولها الحلف كاذباً ، ثانيها: الكذب بعد العصر في وقت فاضل يندب فيه ذكر الله عز وجل، ثالثها: أخذ مال مسلم بغير حق. قوله: «**ورجل منع فضل مائه فيقول الله : اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم**=

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٤/٢٧) في الأحكام، باب من بايع رجلاً لا يبايعه إلا لدنيا، ح٧٢/٢.

(٢) شرح مسلم (١١٦/٢، ١١٧، ١١٨).

(٣) فتح الباري (٢٣٥/٢٧) .

(٤) فتح الباري (١٠٣/١٠).

=**تعمل يداك»** قال الحافظ[1]: أي الفاضل عن حاجته قال ابن بطال: فيه دلالة على أن صاحب البئر أولى من ابن السبيل عند الحاجة فإذا أخذ حاجته لم يجز له منع ابن السبيل اهـ. فالواقع في الوعيد من له فضل ماء عن حاجته يمنعه من ابن السبيل فيمنعه الله تعالى فضله والعياذ بالله تعالى إلا أن يتوب، وفي رواية الأحكام: «**ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا إن أعطاه ما يريد وفي له وإلا لم يف له**» ، قال النووي[2]: وأما مبايع الإمام على الوجه المذكور فمستحق هذا الوعيد لغشه المسلمين وإمامهم وتسببه إلى الفتن بينهم بنكثه بيعته لا سيما إن كان ممن يقتدي به والله أعلم اهـ. وفي رواية لمسلم[3]: عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وفي رواية لمسلم[1] : عن أبي هريرة: «**شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر**» ، قال النووي[4] : وأما قوله ﷺ: « **المسبل إزاره**» فمعناه المرخي له الجار طرفه خيلاء كما جاء مفسراً في حديث «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[2] اهـ. وأما « المنان» فتفسره الرواية[1] بعدها «**المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة**» قال ابن الأثير[3] : وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئاً إلا منة واعتد به على من أعطاه وهو مذموم لأن المنة تفسد الصنيعة اهـ. وأما « الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر» فقال القاضي عياض[2]: سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها عنه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده=

(١) فتح الباري (١٠/١٠٣). (٢) شرح مسلم (٢/١١٦، ١١٧، ١١٨).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١١٥) في الإيمان، باب ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١١٤) في الايمان باب تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وإنفاق السلعة بالحلف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢) في اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء (ح٥٧٨٤).

(٣) نهاية (٤/٣٦٦).

مبحث : تغليظ العقوبة لمن آذى المسلمن

٤٧٧ ـ عن أبي صرمة أن رسول الله ﷺ قال: «من ضَارَّ ضَارَّ اللهُ به، ومن شَاقَّ شَقَّ اللهُ عَلَيْه».

= وإن كان لا يعذر أحد بذنب لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعي متعادة أشبه اقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها اهـ. والله أعلم. قال : فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء واختلال دواعيه لذلك عندما يريحه من دواعي الحلال في هذا ويخلي سره منه فكيف بالزنا الحرام وإنما دواعي ذلك الشباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة لضعف العقل وصغر السن وكذلك الإمام لا يخشى من أحد من رعيته ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته فإن الإنسان إنما يداهن ويصانع بالكذب وشبهه من يحذره ويخشى أذاه وكذلك العائل الفقير قد عدم المال وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر الثروة في الدنيا فإذا لم يكن عنده أسبابها فكيف يستكبر والله أعلم اهـ.

مبحث : تغليظ العقوبة لمن آذى المسلمن

[٤٧٧] أخرجه الترمذي في سننه (٧١/٦) في أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الخيانة والغش وأخرج نصفه الثاني «ومن شاق.. إلخ» البخاري في صحيحه (٢٧/١٥٠، ١٥١) في الأحكام، (ح١٧٥٢/ ح٢٠٠٥) وقال : حديث حسن غريب.

قوله: «ضار» قال ابن الأثير : ضاره يضاره مثل ضره يضره اهـ. نهاية (٨٢/٣).

المعنى

قال الله تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾[1] وقال النبي ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله =

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥٨) .

وعرضه»[1] فلا يحل لأحد أيًا كان أن يوقع الأذى ولو كان صغيرًا بمسلم ولو كان صبيًا صغيرًا ولو بلحظ عينيه ولو بشطر كلمة، فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه للثأر ممن لا يطاق ثأره ولا طاقة لأحد برد غضبه سبحانه عز من قائل ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾[2] ولذلك قال النبي ﷺ: «من ضار ضار الله به» قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري[3] في شرحه: قوله: «من ضار» بشد الراء أي: أوصل ضرارًا إلى مسلم «ضار الله به» أي: أوقع به الضرر «ومن شاق» بشد القاف أي: أوصل مشقة إلى أحد بمحاربة وغيرها «شق الله عليه» أي: أدخل عليه ما يشق عليه، ثم قال: إن الضرر والمشقة متقاربنا لكن الضرر يستعمل في إتلاف المال والمشقة في إيصال الأذية إلى البدن كتكليف عمل شاق اهـ. وقال الحافظ ابن حجر[4] قال ابن بطال: المشاقة في اللغة مشتقة من الشقاق وهو الخلاف. ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى..﴾[5] الآية، والمراد بالحديث النهي عن القول القبيح في المؤمنين وكشف مساويهم وعيبهم وترك مخالفة سبيل المؤمنين ولزوم حاجتهم والنهي عن إدخال المشقة عليهم والإضرار بهم ثم قال فقد جوز الخطابي أن تكون المشقة من الإضرار فيحمل الناس على ما يشق عليهم. وأن تكون من الشقاق وهو الخلاف ومفارقة الجماعة وهو أن يكون في شق أي في ناحية عن الجماعة. ورجح الداوودي الثاني، ومن الأول قوله ﷺ في حديث عائشة: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه» أخرجه مسلم[6] اهـ. قلت وبقيته «ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به» والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٨٢) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (ح٣٢/ ٢٥٦٤).

(٢) سورة غافر آية (١٧).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للمباركفوري (٦/٧١).

(٤) فتح الباري (٢٧/١٥٢).

(٥) سورة النساء آية (١١٥).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢/٢٩٣) في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، (ح١٩/١٨٢٨).

مبحث : أول ما يقضى فيه بين الناس وأول ما يحاسبوا عليه

٤٧٨ ـ عن عبد الله قال قال النبي ﷺ: «**أَوَّلُ ما يُقْضَى بينَ الناسِ بالدماء**».

٤٧٩ ـ وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ ما يُحَاسَبُ به العبدُ الصلاةُ، وأول ما يُقْضَى بينَ الناسِ في الدِّمَاءِ**».

---

[٤٧٨] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٤/٢٤) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة ، (ح٦٥٣٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٠/١١) في القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة.

وأخرجه أحمد في المسند (٣٨٨/١).

وأخرجه النسائي في سننه (٨٣/٧) في كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم.

[٤٧٩] وأخرجه النسائي في سننه (٨٣/٧) في تحريم الدم، باب تعظيم الدم.

المعنى

يخبرنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**أَوَّلُ ما يقضى بين الناس بالدماء**» وفي الرواية الأخرى: «**أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة**» أي: بالنسبة إلى ما بين العبد وربه وأول سؤال يكون عن أعظم عبادة لله تعالى بعد توحيده وهي التي من جحدها فقد كفر بل من تركها أيضًا يطلق عليه الكفر لقول النبي ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[١] بل كان الصحابة أنفسهم ما يعتبرون شيئًا من الأعمال تركه كفراً إلا الصلاة فعن عبد الله بن شقيق قال: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[٢] **فلذلك هي** =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٢/٢) في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (ح٨٢/١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٧٠/٧) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة (ح٢٧٥٧).

= أول المحاسب عليها من العبادات بل الأعمال كلها فيما بين العبد وربه وقد ورد في ذلك حديث[1] أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضة شيئًا قال الرب تبارك وتعالى انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ ثم يكون سائر عمله على ذلك**» قال السندي[2]: في قوله: أي: «**أول ما يحاسب به العبد الصلاة**» أي: فيما بينه وبين الله اهـ وقال الحافظ[3] جامعًا بين قوله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**» وقوله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد الصلاة**» قال: الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق اهـ. قوله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس بالدماء**» أي: إهراق دم المسلم لأن أمره عند الله عظيم لتعظيم حرمة صاحبه فهو دم غال جرى فيه التوحيد وسرى وتذبذبت جزيئاته ونبضت بذكر الله عز وجل فزوال الدنيا أهون من دم مسلم يهراق ظلمًا فقد أخرج النسائي عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**»[4] وقال الحافظ[3]: وفي الحديث عظم أمر الدم فإن البداءة إنما تكون بالأهم والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك اهـ. وقال النووي[5] فيه تغلظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها، وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن[1] «**أول ما يحاسب العبد صلاته**» لأن هذا الحديث

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢/٤٦٣) في الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة = (ح٤١١) وقال: حسن غريب.

(٢) شرح السندي على هامش النسائي (٧/٨٣).

(٣) فتح الباري (٢٤/٢٠٤، ٢٠٥).

(٤) أخرجه النسائي في سننه (٧/٨٣) في تحريم الدم، باب تعظيم الدم.

(٥) شرح مسلم (١١/٢٤٠، ح١٦٧٨).

مبحث: تغليظ العقوبة لمن أشار إلى أخيه بسلاح ونحوه

٤٨٠ ـ عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: **«من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**.

٤٨١ ـ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»**.

= الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد والله أعلم بالصواب اهـ. والله أعلم.

مبحث: تغليظ العقوبة لمن أشار إلى أخيه بسلاح ونحوه

[٤٨٠] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٦٩) في البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

[٤٨١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٧٠) في البر والصلاة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

قوله: «ينزع في يده» بالعين المهملة ومعناه يرمي في يده يحقق ضربته ورميته اهـ. شرح مسلم (١٦/١٧١).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه حديثين عن رسول الله ﷺ في التحذير الشديد من إشارة الأخ إلى أخيه المسلم بسلاح أو حديدة أو نحوهما في مزاح أو جد أو هزل أو نحوهم لأن الشيطان له دخل قوي خبيث في هذا الشأن فيرمي معه ويضرب معه وقد يدفع يده نحو أخيه فيخطئ فيقتل أخاه والعياذ بالله تعالى فيقع في حفرة من النار لذلك من فعل تلك الإشارة لا تزال الملائكة مستمرة في لعنه والعياذ بالله تعالى حتى ينزل يده ويترك تلك الإشارة تعظيمًا لحرمة المسلم وحرمة دمه قال ﷺ: «كل المسلم =

=على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1] ففي الحديث الأول يقول رسول الله ﷺ: «من أشار إلي أخيه بحديدة» لأن الحديدة من شأنها إذا ضرب بها أن تقتل والعياذ بالله تعالى: «فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه» أي: يترك تلك الإشارة إلى أخيه بالسلاح أو الحديدة «وإن كان أخاه لأبيه وأمه» أي: حتى ولو كان يمزح مع أخيه الشقيق الذي جمع بين أخوة الإسلام والنسب، قال النووي[2]: فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه وقوله ﷺ: «وإن كان أخاه لأبيه وأمه» مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم وسواء كان هذا هزلاً أو لعبًا، أم لا، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال ولأنه قد يسبقه السلاح، ولعن الملائكة يدل على أنه حرام اهـ. وفي الحديث الثاني يقول رسول الله ﷺ: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار» قال الله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾[3]، فلذلك حتى مجرد الإشارة منهي عنها متوعد عليها إذا كانت بسلاح أو حديدة أو شيء يتحقق منه قتل للمسلم والعياذ بالله تعالى، قال النووي[2]: وهو نهي بلفظ الخبر كقوله تعالى: ﴿لا تضار والدة بولدها﴾[4] وقد قدمنا مرات أن هذا أبلغ من لفظ النهي «ولعل الشيطان ينزع» ضبطناه بالعين المهملة ومعناه يرمي في يده ويحقق ضربته ورميته اهـ. والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (١٦/١٨٢) في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم (ح٣٢/٢٥٦٤).
(٢) شرح مسلم (١٦/١٧٠، ١٧١).
(٣) سورة النساء آية (٩٣).
(٤) سورة البقرة آية (٢٢٣).

مبحث : القاتل والمقتول في النار

٤٨٢ ـ عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» .

[٤٨٢] أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١١) في الفتن وأشراط الساعة.

المعنى

يخبرنا أبو بكرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**» أي: إذا واجه المسلم أخاه بالسلاح ليقتل كل منهما صاحبه إن استطاع ذلك فكلاهما في النار والعياذ بالله العلي الجبار لذلك في رواية في نفس الباب «**إذا تواجه المسلمان بسيفهما**» قال الله عز وجل: ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾[١] قال النووي[٢] : معنى تواجها ضرب كل واحد وجه صاحبه أي ذاته وجملته، وأما كون القاتل والمقتول في النار فمحمول على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازي بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه هذا مذهب أهل الحق وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق مخالفة باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مُصيباً وبعضهم مخطئًا معذوراً في الخطأ لأنه لاجْتِهَادِ والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا . اهـ. والله أعلم.

(١) سورة النساء آية (٩٣) .

(٢) شرح مسلم (١٨/١١) .

مبحث : القاتل ظلماً في النار والمقتول ظلماً في الجنة

٤٨٣ ـ عن جندب قال: حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال: «**يجئ المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول: يارب سل هذا فيما قتلني ـ قال شعبة فأحسبه قال ـ فيقول: (علام قتلته) فيقول: قتلته على ملك فلان**» قال: فقال جندب فاتقها.

٤٨٤ ـ عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مشى الرجل إلى الرجل فقتله فالمقتول في الجنة، والقاتل في النار**».

٤٨٥ ـ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً يقول: يارب قتلني هذا حتى يدنيه من العرش**».

---

[٤٨٣] أخرجه أحمد في المسند (٦٣/٤) في مسند حديث فلان عن النبي ﷺ. ومراسيل الصحابة مقبولة.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨١/٢٩٤/٧) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح (ح١٢٢٨٦).

أخرجه ابن ماجة في سننه (٨٧٤/٢) في الديات، باب هل لقاتل مؤمن توبة (ح٢٦٢١) وهو شاهد عن ابن عباس.

وأخرج أيضاً النسائي له شاهداً في سننه (٨٤/٧)، في تحريم الدم باب تعظيم الدم.

[٤٨٤] أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٨٣/٢ ح ١٩٩٤).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨١/٢٩٧/٧ ح ١٢٣٠٤) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

[٤٨٥] أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٤/٨) في تفسير القرآن الكريم، سورة آل =

= عمران (ح ٢٠٢٠) وقال: هذا حديث حسن.

قوله: «أوداجه» هي ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح اهـ. نهاية (١٦٥/٥)، وقول: « يشخب» الشخب: السيلان اهـ. نهاية (٤٥٠/٢).

المعنى

قال الله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾[1] وهذا يدل على تعظيم الله تعالى للمؤمن ودمه تعظيمًا شديدًا قال الطبري[2] في تفسيرها: قالوا: ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا مستحلاً، فجزاؤه جهنم خالدًا فيها اهـ. والمقتول يسأل حقه يوم القيامة حتى ولو كان القاتل من أهل الجنة «**فيأخذ المقتول من حسناته بقدرها**» لذلك قال جندب حدثني فلان وجندب رضي الله عنه صحابي ولذلك إرساله لا يضر ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يجئ المقتول بقاتله يوم القيامة**» وعند ابن ماجه (١/جـ): سئل ابن عباس عمن قتل مؤمنًا متعمدًا ثم تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى قال: ويحه وأني له الهدى: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**يجئ القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه يقول: ربِّ!! سلْ هذا، لم قتلني**» والله لقد أنزلها الله عز وجل على نبيكم ﷺ ثم ما نسخها بعدما أنزلها « لذلك قال النبي ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**»[3] فالمقتول يمسك بقاتله فيقول: «يارب سل هذا» أي: القاتل فيم قتلني أي: بأي ذنب قتلني ولم قتلني وهل أستحق أم ظلمني والله تعالى برحمته وعدله يستجيب للمظلوم كما استجاب في الدنيا ويقول: «**علام قتلته**» أي: على أي شيء قتلته فيقول أي القاتل الظالم «**قتلته على ملك فلان**» أي: لأجل ملك فلان قال تعالى: ﴿**اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع** =

(١) سورة النساء آية (٩٣).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٢١٩/٤) آية (٩٣) سورة النساء.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٨٢/٧) في تحريم الدم، باب تعظيم الدم.

= الحساب ﴾[1] فيقضي الله تعالى بعدله وعلمه لا ظلم ولا محاباه كقضاء الدنيا قال تعالى: ﴿ **والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير** ﴾[2] لذلك جعل جزاء القاتل النار وجزاء المقتول المظلوم الجنة بعدله وحكمته حفاظًا على دماء المسلمين وحرمتهم لذلك أخبرنا ابن عمر رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «**إذا مشى الرجل إلى رجل فقتله**»: أي ظلمًا وعدوانًا وبلا وجه حق «فالمقتول في الجنة» تعويضًا له عن مصيبته « والقاتل في النار» جزاء ما أسلفت يداه لذلك قال جندب «فاتقها» احذرها ولا تقرب ما يغضب ربك فاللهم عافنا واعصمنا يارب العرش العظيم والله أعلم. وفي الحديث الثالث أيضًا يجئ المقتول بقاتله يوم القيامة مدينًا له للخصام الكبير أمام أحكم الحاكمين ويزيد الخصومة أنها تأتي بالمظلمة حية كأنها واقعة وقتها فالدم ينزف والرأس على يد صاحبها قال تعالى: ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية** ﴾[3] قال صاحب التحفة[4] : قوله: «**يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة**» الباء للتعدية أي يحضره ويأتي به «ناصيته» أي شعر مقدم رأس القاتل « ورأسه» أي: بقيته « بيده» أي : بيد المقتول «وأوداجه تشخب» بضم الخاء المعجمة وبفتحها، أي تسيل العروق المحيطة دمًا « تمييز محول عن الفاعل أي دمها» يقول: يارب قتلني هذا أي ويكرره» حتى يدنيه من العرش«وكأنه كناية عن استقصاء المقتول في طلب ثأره وعن المبالغة في إرضاء الله تعالى إياه بعدله» اهـ وفي الحديث زيادة قال: «فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ قال: ما نسخت هذه الآية ولا بدلت وأني له التوبة اهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة غافر آية (١٧) .

(٢) سورة غافر آية (٢٠).

(٣) سورة الحاقة آية (١٨) .

(٤) تحفة الأحوذي (٣٨٤/٨) .

مبحث : النهي عن القتل بالنار والتعذيب بها

٤٨٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**وإنَّ النَّارَ لاَيُعَذِّبُ بِهَا إلاَّ اللهُ**».

٤٨٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**».

---

[٤٩٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦/١٢) في الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله (ح٣٠١٦).

[٤٩٧] أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨/١٢) في الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، (ح٣٠١٧).

وأخرج الأول أيضاً أبو داود في سننه (٣٣٣/٧) في الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار (ح٢٦٥٦).

المعنى

إن عذاب النار أشد العذاب قال تعالى: ﴿**إن عذابها كان غراماً إنها ساءت مستقراً ومقاماً**﴾[١] وقال الله تعالى: ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً**﴾[٢] فاللهم نجنا منها في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين لذلك نهى النبي ﷺ عن التعذيب بها وقال : «**لا تعذبوا بعذاب الله**» وقال ﷺ : «**إن النار لا يعذب بها إلا الله**» وفي الصحيح : «**ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**» قيل يا رسول الله: إن كانت لكافية قال: «**فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها**»[٣] هذه نارنا التي تذيب الحديد جزء من

---

(١) سورة الفرقان آية (٦٥، ٦٦).

(٢) سورة النساء آية (٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢/١٣) في بدء الخلق، باب صفة النار (ح٣٢٦٥).

= سبعين جزءاً من نار الآخرة التي جاء عنها في الحديث الشريف: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابتيضت، ثم أوقد علهيا ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**»[1] قال الحافظ ابن حجر: قوله: «**إن النار لا يعذب بها إلا الله**» هو خبر بمعنى النهي قال: واختلف السلف في التحريق فكره ذلك عمر وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين سواء كان ذلك بسبب كفر أو حال مقتالة أو كان قصاصاً وأجازه علي وخالد بن الوليد وغيرهما اهـ.
والراجح النهي للنص وقد أخرجه أبو داود بلفظ: «**فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار**» وعمم في رواية أخرى يعني عمت الكراهة لتحريق البشر وغيرهم فعند أبي داود[2] : «**ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار**» قال ابن حجر[3] : وفيه كراهة قتل مثل البرغوث بالنار اهـ. بل والنمل وغيرها والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣١٦/٧) في صفة جهنم (٢٧١٧).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٣٥/٧) في الجهاد (ح٢٦٥٨).
(٣) فتح الباري (١١٧/١٢).

مبحث: من رفق برعيته رفق الله به، ومن غش حرم الجنة

٤٨٨ ـ عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»**.

٤٨٩ ـ عن معقل بن يسار رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»**.

٤٩٠ ـ عن معقل بن يسار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ»**.

= [٤٨٨] أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٢/١٢) في الجهاد والسير، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

[٤٨٩] أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٤/١٢) في الجهاد والسير، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

[٤٩٠] أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٥/١٢) في الجهاد والسير، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

المعنى

في الحديث الأول تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنها سمعته يدعو ﷺ قائلاً: « **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه** » أي يارب من قام على مصالح أمتي أو تأمر عليهم أو كان مسؤلاً على حاجاتهم فاستعمل المشقة في معاملتهم وأمرهم ونهيهم وتسيير أمورهم فاشدد عليه من عندك يارب العالمين «**ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**» أي: يارب =

= ومن تولى أمر أمتي وكان مسؤلاً عن مصالحهم وحاجياتهم أو تأمر عليهم وعاملهم بالرفق والرحمة والحلم والعفو والنصح والبيان والهداية فارفق به رفقًا من عندك وارحمه برحمتك التي وسعت كل شيء وقد قال نبينا ﷺ: «**والراحمون يرحمهم الرحمن**»[(١)] قال النووي[(٢)]: هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى اهـ ويخبرنا في الحديث الثاني والثالث معقل بن يسار رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» أي: ما من عبد يقوم بقدر الله تعالى وعطائه راعيًا، مسؤلاً، رئيسًا، حاكمًا، أميرًا على قوم مسلمين. وفي الحديث الثالث يوضح «**ما من أمير يلي أمر المسلمين...**» الحديث قوله: «**يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» أي: إذا استمر إلى موته على غشه لرعيته بأن خبأ عنهم الخير وأخفاه وغطاه ولم ينصح لهم ولم يعلمهم ولم يدلهم على طريق النجاة والفوز والفلاح ففي الرواية الثالثة «**ثم لا يجهد لهم وينصح لهم**» فهذا هو الغش بأن أبدي لهم السوء ولم يعلمهم الخير قوله: «**إلا حرم الله عليه الجنة**»، وفي الرواية الثالثة: «**إلا لم يدخل معهم الجنة**» أي: إن مات على الغش لهم بلا توبة ولا إنابة ولا استعتاب فالجنة حرام عليه أن يدخلها من أول وهلة مع الداخلين إلا لم يدخل معهم الجنة أو إن استحل ذلك لم يدخلها مع الداخلين أولا ولا مع غيرهم، قال النووي[(٣)]: «**إلا حرم الله عليه الجنة**» حاصله: أنه يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون مستحلاً لغشهم فتحرم عليه الجنة ويخلد في النار والثاني أنه لا يستحله فيمتنع من دخولها أول وهلة مع الفائزين وهو معنى قوله ﷺ في الرواية الثانية: «**لم يدخل معهم الجنة**» أي: وقت دخولهم بل يؤخر عنهم عقوبة له إما في النار وإما في الحساب وإما غير ذلك، وفي هذه الأحاديث وجوب النصيحة =

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦/٥١) في البر ما جاء في رحمة الناس، (ح١٩٨٩) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) شرح مسلم (١٢/٢١٣).

(٣) شرح مسلم (١٢/٢١٤، ٢١٥).

مبحث: آكل السحت النار أولى به

٤٩١ ـ عن كعب بن عجرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**أُعيذُكَ بالله يا كعبَ بنَ عُجرة من أمراءٍ يكونونَ من بعدي، فمن غَشيَ أبوابَهم فصدَّقهُم في كذبهمْ وأعانهمْ على ظلمهمْ فليسَ منِّي ولستُ منهُ، ولايَرِدُ عَلَى الحوض، ومن غَشيَ أبوابهم أو لم يَغش ولَمْ يُصدقهم في كذبهم ولم يُعنهُمْ على ظلمهم فهو منّي وأنا منه، وسَيَرِدُ عَلَى الحوض، يا كعب بن عجرة: الصلاةُ بُرْهَانٌ، والصومُ جُنَّة حَصينَةٌ، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطْفئُ الماءُ النارَ، يا كعب بن عجرة: إنه لا يَربُو لَحمٌ نَبتَ مِن سُحْتٍ إلاَّ كَانَتْ النَّارُ أولى بهِ**».

= على الوالي لرعيته والاجتهاد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم وفي قوله ﷺ: «يموت يوم يموت وهو غاش» دليل على أن التوبة قبل حالة الموت نافعة اهـ. والله أعلم.

مبحث: آكل السحت النار أولى به

[٤٩١] أخرجه الترمذي في سننه (٣/٢٣٦) في الصلاة، باب ما ذكر في فضل الصلاة (٦٠٩) وقال: حسن غريب.

وأخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٩٩).

وأخرج الدارمي في سننه (٢/٤٠٨، ح ٢٧٧٦)، باب في أكل السحت أخرج أكل السحت.

قوله: «جنة» جنه جنًا إذا ستره اهـ. (١/٣٠٧).

قوله: «سحت» الحرام الذي لا يحل كسبه، لأنه يسحت البركة: أي يذهبها اهـ. نهاية (٢/٣٤٥).

قوله: «يربو» يزيد فكلمة «ربًا» الأصل فيها الزيادة اهـ. نهاية (٢/١٩١). =

المعنى

يروي لنا كعب بن عجرة عن رسول الله ﷺ أنه قال له: «**أعيذك بالله يا كعب ابن عجرة من أمراء يكونون من بعدي**» أي: أدعوا الله تعالى لك أن يعيذك من أعمالهم وظلمهم وهم يأتون بعد لحوقي بالرفيق الأعلى. قال في التحفة[1] قوله: «**أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء**» أي: من عملهم أو من الدخول عليهم أو اللحوق بهم «**يكونون من بعدي**» يعني سفهاء موصوفين بالكذب والظلم اهـ. وعند أحمد: أنه ﷺ قال لكعب بن عجرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**» قال: وما إمارة السفهاء قال: «**أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي**» قوله: «**فمن غشي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه**» أي: من دخل عليهم ونافقهم وداهنهم وأعانهم على ما هم فيه فليس من النبي ﷺ ولا من أحبابه وأتابعه ولا النبي ﷺ منه ، قال صاحب التحفة[1] في المراد من غشي أبوابهم أي: دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم بالإفتاء ونحوه فليس مني ولست منه، قال القاري أي: بيني وبينه براءة ونقض ذمة وقيل هو كناية عن قطع الوصلة بين ذلك الرجل وبينه ﷺ، أي ليس لي وبعيد عني وكان سفيان الثوري يكره تأويله ويحمله على ظاهره ليكون أبلغ في الزجر «ولا يرد» .. من الورود أي: لا يمر «على» بتشديد الياء أي: لا يرد معروضًا على « الحوض» أي: حوض الكوثر اهـ. « ومن غشي أبوابهم ولم يغش» أي: دخل عليهم أو لم يدخل «ولم يصدقهم في كذبهم» بل رد عليهم ونصحهم «ولم يعنهم على ظلمهم» بل أنكر عليهم وحذرهم غضب الجبار عز وجل «**فهو مني وأنا منه**» أي: من أهل محبتي ومودتي وسنتي وأنا منه. قال في التحفة[1] : في قوله «**فهو مني وأنا منه**» كناية عن بقاء الوصلة بينه وبينه ﷺ بشرط أن لا يكون قاطع آخر اهـ. «**وسيرد علي الحوض**»

---

(١) تحفة الأحوذي (٣/٢٣٦).

مبحث : إثم الغادر وبائع الحر وكاتم الأجير حقه

٤٩٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثةٌ أنَا خَصْمُهُم يومَ القيامة: رَجُلٌ أَعْطَى بي ثم غَدَرَ، ورجل باع حُرًّا فأكل ثَمَنَهُ، ورجل استَأْجَرَ أَجِيرًا فاسْتَوْفَى مِنْه ولَمْ يُعْطِه أَجْرَهُ**».

= أي: حوضه ﷺ وهو الكوثر الذي يشرب منه لم يظمأ أبدًا وقوله: «**يا كعب ابن عجرة الصلاة برهان**» قال في التحفة: أي حجة ودليل على إيمان صاحبها «**والصوم جنة**» بضم الجيم وتشديد النون هو الترس «**حصينة**» أي: مانعة من المعاصي بكسر القوة والشهوة «**والصدقة تطفيء الخطيئة التي تجر إلى النار يعني تذهبها وتمحو أثرها**» كما يطفئ الماء النار «**يا كعب بن عجرة إنه لا يربو**» أي: لا يرتفع ولا يزيد «**لحم نبت**» أي: نشأ «**من سحت**» بضم السين وسكون الحاء أي: حرام اهـ. أي: كل مال حرام تغذى من طعامه الجسم فنبت من هذا الحرام فلا يأكل هذا الجسم إلا النار والعياذ بالله العلي الجبار إلا أن يتجاوز ربنا العزيز الغفار والله أعلم.

مبحث : إثم الغادر وبائع الحر وكاتم الأجير حقه

[٤٩٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٩/٩) في البيوع، باب إثم من باع حرًا (٢٢٢٧).

وأخرجه ابن ماجه في الرهون، باب أجر الأجراء (٨١٦/٢).

وأخرجه أحمد في المسند (٣٥٨/٢).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: قال الله أي: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة**» مع أنه سبحانه خصم لكل =

---

(١) فتح الباري (٢٨٩/٩).

= ظالم لكن هؤلاء أشد لشدة إثمهم وبغيهم وظلمهم قال الحافظ[1] : قال ابن التين: هو سبحانه خصم لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح والخصم يطلق على الواحد وعلى الاثنين وعلى أكثر من ذلك اهـ. وقوله: «**رجل أعطى بي ثم غدر**» أي: عاهد بالله وحلف بالله تعالى في عهد ثم غدر ونقض عهده بملك الملوك عز وجل فالنقض للعهد مأثوم صاحبه ويزداد اثمه إذا كان العهد بالله عز وجل، قال الحافظ[1]: قوله: «**أعطي بي ثم غدر**» التقدير: أعطي يمينه بي أي عاهد عهداً وحلف عليه بالله ثم نقضه اهـ. وقال القسطلاني[2] : أي أعطي العهد باسمي واليمين بي اهـ. قوله: «**ورجل باع حراً فأكل ثمنه**» أي باع رجلاً حراً أصلاً وزاد الإثم بأكله ثمن الحر الحرام بيعه وثمنه قال القسطلاني[2] : «**ورجل باع حراً**» عالمًا متعمداً اهـ. قال الحافظ[1]: «**فأكل ثمنه**» خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود اهـ. قوله: «**ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**» قال الحافظ[3] : هو في معنى من باع حراً وأكل ثمنه لأنه استوفى منفعته بغير عوض ولأنه استخدمه بغير أجره وكأنه استعبده اهـ. وقال القسطلاني[2] : «**ولم يعطه أجره**» بفتح الهمزة وهذا كاستخدام الحر لأنه استخدمه بغير عوض فهو عين الظلم اهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢٨٩/٩).
(٢) إرشاد الساري (١٠٨/٤).
(٣) فتح الباري (٢٩٠/٩).

مبحث: التحذير من لعن من ليس أهلاً للعنة

٤٩٣ ـ عن ابن عباس: أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: «**لا تَلْعَنْ الرِّيحَ فإنها مَأْمُورة وإنه من لَعَنَ شيئًا لَيْسَ له بأَهْلٍ رجعتْ اللعنةُ عليه**».

---

[٤٩٣] أخرجه الترمذي في سننه (١١/٦) في الأدب، باب ما جاء في اللعنة، (ح٢٠٤٤) وقال: حسن غريب.

وأخرجه أبو داود في سننه (٢٥٣/١٣) في الأدب، باب في اللعن، (ح٤٨٨٧).

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل لعن الريح أي سبها باللعنة ودعا عليها في حضرة النبي ﷺ فقال ـ أي النبي ﷺ ـ : «**لا تلعن الريح**» أي: لا تدعو عليها باللعن «**فإنها مأمورة**» أي: ربنا عز وجل أمرها بما تحدثه من زوابع وغبار وهدم الدور وحمل للقاح والسحاب ونحوه وسبب الحديث ما أخرجه أبو داود: «**أن رجلا نازعته الريح رداءه فلعنها**» أي: لمضايقتها له بتلك المنازعة وجذبها لردائه قال تعالى: ﴿**ومن ءايته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾[1] قال في التحفة[2]: في قوله: «**لا تعلن الريح فإنها مأمورة**» أي: بِأَمْرٍ مَا والمنازعة من خاصيتها ولوازم وجودها عادة أو فإنها مأمورة حتى بهذه المنازعة أيضًا ابتلاء لعباده اهـ. وقوله: «**وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**» أي: من سب شيئًا من خلق الله تعالى إنسانًا أو حيوانًا أو غيرهما باللعنة وهو لا يستحقها رجعت والعياذ بالله تعالى على قائلها لذلك قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري: «**ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله**»[3] فلا يصح لعن حي مهما كان إلا ميتًا مات على كفر بواح معلوم والعياذ بالله تعالى، قال في =

---

(١) سورة الروم آية (٤٦).

(٢) تحفة الأحوذي (١١٢/٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٤/٢٢) في الأدب، باب ما ينهي عن السباب واللعن (ح٦٠٤٧).

مبحث : التحذير من عاقبة اللعن يوم القيامة
وقول النبي ﷺ : «إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة»

٤٩٤ ـ عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يكونونَ شهداءَ ولاَ شُفَعَاءَ يومَ القيامَةِ**».

٤٩٥ ـ وعن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله أدع على المشركين قال: «**إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً**».

=التحفة[1]: «وإنه» أي: الشأن «**من لعن شيئًا ليس**» أي: ذلك الشأن «**له**» أي: اللعن «**بأهل**» أي: بمستحق «**رجعت اللعنة عليه**» أي: على اللاعن، لأن اللعنة وكذا الرحمة تعرف طريق صاحبها اهـ. والله أعلم.

مبحث : التحذير من عاقبة اللعن يوم القيامة
وقول النبي ﷺ : «إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة»

[٤٩٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٥٠) في البر والصلة والأداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

وأخرجه أبو داود في سننه (١٣/٢٥٣) في الأدب، باب في اللعن، (ح٤٨٨٦).

[٤٩٥] أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٥٠) في البر والصلة والأداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها قوله: «اللعانين» و«لعانًا» أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء اهـ. نهاية (٤/٢٥٥).

المعنى

يخبرنا أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن اللعانين لا**

=

(١) تحفة الأحوذي (٦/١١٢).

= **يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة»** أي من كثر منه اللعن لغيره بأن يدعو عليه باللعن وهو الطرد من رحمة الله عز وجل هذا الفعل القبيح جزاء صاحبه أن يحرم من أن يكون من الشهداء والعياذ بالله تعالى أي: يوم القيامة على الناس كما قال تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[1] أو يحرم أيضًا والعياذ بالله تعالى الشهادة في سبيل الله تعالى أو ينبغي للناس ألا يتخذوهم في الدنيا للشهادة وكذلك يحرمون الشفاعة يوم القيامة فلفظ اللعن لا يقوله المسلم إلا لأمر ورد به لسان الشرع. لذلك قال أبو هريرة لما قيل يا رسول الله أُدْعُ على المشركين : قال ﷺ: «**إني لم أبعث لعانًا إنما بعثت رحمة**» كما قال ﷺ: «**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه**»[2] فحتى المشركين لم يرض نبينا ﷺ أن يلعنهم وهم أحياء أما ما ورد من اللعن فهو لمن مات على الكفر والعياذ بالله تعالى لأنه علم في الشرع مصيره أما الأحياء فالدعاء عليهم باللعنة معناه دوام المعصية والفجور والمحادة لدين الله عز وجل وهذا لا ينبغي لذلك قال ﷺ: «**وإنما بعثت رحمة**» فهو الذي قال بعد أن أوذي في الله تعالى أشد إيذاء «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[3] لكن في لعن النبي ﷺ من يستحق اللعن كالمتشبه من الرجال بالنساء والمتشبة من النساء بالرجال كالحديث عن ابن عباس[4] رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**» قال ابن أبي جمرة : ظاهر اللفظ الزجر عن التشبه في كل شيء، لكن عرف من الأدلة الأخرى أن المراد التشبه في الزي وبعض الصفات والحركات =

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة مرفوعًا (١/٣٥/٩١) في الإيمان (ح١٠٠) وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٢٨٦) في أحاديث الأنبياء (ح٣٤٧٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٩٦) في اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال.

= ونحوها لا في أمر الخير اهـ[1] قال النووي[2] : وأما قوله ﷺ: «**أنهم لا يكونون شفعاء ولا شهداء**» فمعناه لا يشفعون يوم القيامة حيث يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار ولا شهداء، فيه ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا أي: لا تقبل شهادتهم لفسقهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله وإنما قال ﷺ لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا ولا يكون اللعانون شفعاء بصيغة التكثير ولم يقل: لاعنًا لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها ولأنه يخرج منه أيضًا اللعن المباح وهو الذي ورد الشرع به وهو : «**لعنة الله على الظالمين**» «**لعن الله اليهود والنصارى**» «**لعن الله الواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين ومن انتمى إلى غير أبيه وتولى غير مواليه وغير منار الأرض**» وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة اهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٩٧/٢٢).

(٢) شرح مسلم (١٤٩/١٦).

مبحث : إثم من خاصم بباطل وهو يعلمه

٤٩٦ ـ عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ: أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «**إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها**».

---

[٤٩٦] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٩) في المظالم، باب إثم من خاصم بباطل وهو يعلمه (ح٢٤٥٨).

أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/٢٠٠) في الأحكام (ح٧١٨١).

المعنى

سمع النبي ﷺ خصومة بين رجلين عند باب الحجرة النبوية الشريفة فخرج إلى المختصمين فأخبرهم أنه له صفات البشر العامة أي: يشاركهم في أصل الخلقة وإن كان قد ازداد عليهم بصفات النبوة لكن هو مثلهم في أنه لا يعلم الغيب وقد يأتيه الخصم المتكلم الذي يستطيع أن يحتال في الكلام حتى يوهم السامع أنه محق مع أنه مبطل لكن هذا لا يعفيه من عقاب الله عز وجل الذي ﴿**لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**﴾ ثم أخبرهم النبي ﷺ بأنه إذا قضى للمتكلم الظالم بحق أخيه المظلوم حسب الظاهر فهو عليه حرام يئول به إلى النار ثم هدده بقوله: «**فليأخذها أو فليتركها**» وفي رواية: «**فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار**»[1] وهذا يدل على التهديد لا التخيير كقوله تعالى ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾[2] قال الحافظ[3]: قوله «**قطعة من نار**» أي: الذي قضيت له بحسب =

---

(١) أخرجه البخاري في الحيل (٢٦/١٨٢ ح ٦٩٦٧).

(٢) سورة الكهف آية (٢٩).

(٣) فتح الباري (٢٧/٢٠١).

مبحث: في الترهيب في أخذ أموال الناس لإتلافها

٤٩٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله**».

= الظاهر إذا كان في الباطن لا يستحقه فهو عليه حرام يئول به إلى النار، وقوله: «**قطعة من نار**» تمثيل يفهم منه شدة التعذيب على من يتعاطاه، فهو من مجاز التشبيه كقوله تعالى: ﴿**إنما يأكلون في بطونهم نارًا**﴾[1] اهـ.

الفقه

فيه أن من ادعى مالاً أو غيره ولم يستطع أن يبين حقه فحلف المدعي عليه أو استطاع أن يلحن بحجته ويأخذ حق أخيه في الظاهر هو في الباطن حرام عليه.

وفيه أن من احتال لأمر باطل بوجه من وجوه الحيل حتى يصير حقًا في الظاهر ويحكم له به فإنه لا يحل له تناوله في الباطن ولا يرتفع عنه الإثم بالحكم.

وفيه أنه ﷺ كان يقضي بالاجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه شيء[2] والله أعلم.

مبحث: في الترهيب في أخذ أموال الناس لإتلافها

[٤٩٧] أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٧/١٠) في الاستقراض، باب من اشترى بالدين... إلخ (ح٢٣٨٥).

وأخرجه أحمد في مسنده (٣٦١/٢، ٤١٧).

وأخرجه ابن ماجه في الصدقات (٨٠٦/٢) باب من أدى دينًا.. إلخ.

المعنى

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال** =

---

(١) سورة النساء آية (١٠).

(٢) فتح الباري (٢٠٠/٢٠١-٢٠١) بتصرف (٢٠١).

= الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾[1] فذم الله تعالى من أكل أموال الناس بالباطل وتوعده بالعذاب وأخبر بذلك رسول الله ﷺ كما في هذا الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه» أي: في الآخرة وهناك حديث يبين أنه في الدنيا أيضًا وهو ما أخرجه ابن ماجه[2] مرفوعًا: «ما من مسلم يدان دينًا ، يعلم الله منه أنه يريد أداءه إلا أداه الله عنه في الدنيا» وبعده عن عبد الله بن جعفر قال قال رسول الله ﷺ: «كان الله مع الدائن حتى يقضي دينه ما لم يكن فيما يكره الله»[3] فمن ادان وفي نيته القضاء ولأمر مشروع أعانه الله تعالى على السداد قوله: «ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله» قال الحافظ ابن حجر[4] : ظاهره أن الاتلاف يقع له في الدنيا وذلك في معاشه أو نفسه وهو علم من أعلام النبوة لما نراه بالمشاهده ممن يتعاطى شيئًا من الأمرين وقيل المراد بالاتلاف عذاب الآخرة اهـ. قال ابن بطال[4] : فيه الحض على ترك استشكال أموال الناس والترغيب في حسن التأدية إليهم عند المداينة وأن الجزاء قد يكون من جنس العمل وفيه الترغيب في تحسين النية والترهيب من ضد ذلك وأن مدار الأعمال عليها اهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة التوبة آية (٣٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سنن (٢/٨٠٥) في الصدقات باب من ادان دينا وهو ينوي قضاءه من حديث ميمونة رضي الله عنها (ح٢٤٠٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/٨٠٥) في الصدقات باب من ادان دينا وهو ينوي قضاءه (ح٢٤٠٩) في الزوائد إسناده صحيح قاله المحقق.

(٤) فتح الباري (١٠/١٢٧).

مبحث: تعظيم إثم من ظلم شيئًا من الأرض

٤٩٨ ـ عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين**».

---

[٤٩٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٥) في المظالم، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض (ح٢٤٥٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١١/٦٨، ٦٩) في البيوع، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (ح١٦١٠).

قوله: «طوقه» أي: يخسف الله به الأرض فتصير البقعة المغصوبة منها في عنقه كالطوق اهـ. نهاية (٣/١٤٣).

المعنى

يخبرنا سعيد بن زيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين**» أي: من أخذ شيئًا من أرض غيره ولو صغيراً بغير حقه كان طوقًا في عنقه يوم القيامة بطوله إلي الأرض السابعة وفي رواية للبخاري[1] «**من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**» هذه عقوبة أخرى وهي الخسف إلى منتهى الحق المقطوع ظلمًا إلى الأرض السابعة ولو كان شبراً فقط أو ما دونه فبالأولى ما فوقه ففيها[2] «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**» قال القسطلاني[3] «**من ظلم من الأرض شيئًا**» قليلاً أو كثيراً «**طوقه**» بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة وبالقاف مبنيًا للمفعول «**من سبع أرضين**» بفتح الراء وقد تسكن أي: يوم القيامة قيل أراد طوق التكليف وهو أن يطوق =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٧) في المظالم (ح٢٤٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٧) في المظالم (ح٢٤٥٣).

(٣) الساري (٤/٢٦٠).

= حملها يوم القيامة اهـ. قلت والأرجح ما ذكره الحافظ[1] عن الخطابي: أن معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقًا في عنقه اهـ. قال الحافظ[1] وهذا يؤيده حديث ابن عمر ثالث حديث[2] الباب بلفظ: «**خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**» اهـ. قلت: ولا مانع من تعدد العقوبة فالبعض يطوق والبعض يخسف به خاصة وقد تعددت النصوص وتعددت معها العقوبات لذلك قال الحافظ[1] : وقيل معناه كالأول: أي يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ثم يجعل كله في عنقه طوقًا ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك كما ورد في غلظ جلد الكافر ونحو ذلك وقد روى أحمد في مسنده[2] من حديث يعلى بن مرة مرفوعًا «**أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله عز وجل أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه إلى يوم القيامة حتى يقضي بين الناس**» قال ويحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية أو تنقسم أصحاب هذه الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها اهـ. وقال النووي[3] : قال العلماء: هذا تصريح بأن الأرضين سبع طبقات وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**سبع سموات ومن الأرض مثلهن**﴾[4] ، فمن ملك شيئًا من هذه الأرض ملكه وما تحته من الطباق قال القاضي: وأما التطويق المذكور في الحديث يحتمل أن يكون يجعل له كالطوق في عنقه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾[5] اهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٠/١٨٦). (٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٨٧) في المظالم ح٢٤٥٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٧٣) من حديث يعلى مرفوعًا.

(٣) شرح مسلم (١١/٧٠).

(٤) سورة الطلاق آية (١٢).

(٥) سورة آل عمران آية (١٨٠).

مبحث: الوعيد الشديد على أذى الجار

٤٩٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها سليطة قال: «**لاَ خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ**» وقيل له إن فلانة: تصلي المكتوبة وتصوم رمضان وتتصدق بالأثوار وليس لها شيء غيره ولا تؤذي أحداً قال: «**هِيَ فِي الجَنَّةِ**».

---

[٤٩٩] أخرجه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك (٤/١٦٦/ ١٨٤) في البر والصلة (ح٧٣٠٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أخرجه أحمد في المسند (٢/٤٤٠).

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات.

قوله: «الأثوار» جمع ثور وهي قطعة من الأقط وهو لبن جامد مستحجر اهـ. نهاية (٢/٢٢٨).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قيل لرسول الله ﷺ: «**إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها سليطة**» أي: تصلي كثيراً حتى الليل وتصوم كثيراً زيادة على الفريضة لكن سليطة اللسان بذيئة تتطاول على جيرانها بلسانها وقد قال النبي ﷺ من قبل لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «**الفم والفرج**»[1] لذلك قال هنا ﷺ: «**لا خير فيها هي في النار**» فرب كلمة قالتها أضاعت حسناتها الكثيرة فأفلست فدخلت النار وبئس القرار والعياذ بالله الجبار «وقيل له إن فلانة تصلي المكتوبة» أي: الفريضة لا تزيد عليها، «وتصوم رمضان» أي: بلا نوافل بعده ولا قبله «وتتصدق بالأثوار» بما يستحقر من اللبن المجمد «وليس لها =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦/١٤٢) في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق وقال: صحيح غريب.

مبحث: العذاب على تعذيب الحيوان فكيف بالإنسان؟!

٥٠٠ ـ عن عبد الله بن عمررضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت فيها النار**» قال: فقال: والله أعلم «**لا أنت أطعمتيها ولا سقيتيها حين حبستيها، ولا أنت أرسلتيها فأكلت من خشاش الأرض**».

= شيء غيره» أي: لا لتتصدق به لكنهم قالوا أمرًا يدخل في باب ﴿**وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم**﴾[1] وهو «لا تؤذي أحدًا» فمجرد الكف مع أداء ما افترض نالت به قول النبي ﷺ: «**هي في الجنة**» ففيه دليل على عظم حق الجار لذلك قال النبي ﷺ: «**أول خصمين يوم القيامة جاران**»[2] أي: يتحاجان أمام الله يوم القيامة والله أعلم.

مبحث: العذاب على تعذيب الحيوان فكيف بالإنسان

[٥٠٠] أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١١٣) في الشرب، باب فضل سقي الماء، (ح٢٣٦٥).

وأخرجه أيضًا في بدء الخلق (١٣/٩٢)، باب إذا وقع الذباب في إناء أحدكم...، (ح٣٣١٨).

قوله: «هرة»: هي أنثى السنور والهر الذكر.

و«خشاش»: بفتح الخاء المعجمة ويجوز ضمها وكسرها وبمعجمتين بينهما ألف الأولى خفيفة والمراد: هوام الأرض وحشراتها من فأرة ونحوها. اهـ. (١٣/٩٢) فتح الباري. =

---

(١) سورة النور آية (١٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٥١) وقال الهيثمي في الزوائد: رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح.

المعنى العام

قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»[1] وقال ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحم**»[2] أخرجهما البخاري في صحيحه فالرحمة واجبة اشتق الله عز وجل لنفسه اسماً منها وأوجبها على العباد فيما بينهم، فأسعدهم برحمة الله تعالى أرحمهم لعباده، بل ما أرسل الله تعالى سيد البشر محمداً ﷺ إلا رحمة قال تعالى له: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[3] وعنه ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداه**»[4] وخلق الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة ليوم القيامة وجعل بين عباده جزءاً فبه يتراحمون حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، ورحمة المخلوقات كلها مطلوبة حتى فيما أمرنا بقتله فالرحمة به أن نحسن قتلته وما شرع لنا ذبحه أيضاً من الرحمة أن نحسن الذبح ففي الحديث: «**فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»[5] فبين ذلك نبينا ﷺ في غير ما موضع من السنة المطهرة، هذا في الحيوان فكيف بالإنسان الذي كرمه الله عز وجل وفضله قال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر**﴾[7] الآية فالعقوبة على تعذيبه أشد، ففي الحديث: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**»[8] فلا يظن من وقع في تلك الكبيرة أنه فعل هيناً أو أن الله عز وجل يغفل عنه سبحانه

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥١/٦) في البر، باب في رحمة الناس، (ح١٩٨٩) وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١١/٢٢) في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (ح٥٩٩٧).

(٣) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٤) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٩٨/٤، ح٧٢١١) وبين أن فيه وضاع أخرجه الحاكم في المستدرك (٩١/٣٥/١) وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٧/١٣) في الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتال، (ح١٩٥٥/٥٧).

(٦) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٧) سورة الإسراء آية (٧٠).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٣/١٦) في البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب ..... (ح١١٨).

= وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولا يظن من عذب إنساناً ولو بجرية قلم أن الله تعالى لا يحاسبه أو أن ذلك ليس من الذنوب أو أن تلك المبررات والحجج التي يمليها عليه الشيطان أنها تدفع عنه العذاب عند لقاء الله عز وجل إن ذلك بعيد بل الحق ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[1] والحق ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة...** ﴾[2] الآية. لقد دخلت امرأة النار في حبس هرة حتى ماتت جوعاً فما بال من يحبسون بني آدم حتى يموتون من العذاب أو حتى تموت قوة الإيمان في قلوبهم والعياذ بالله تعالى: ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾[3] ، فلو عذبهم الله تعالى على ذلك عذاب المرأة التي حبست الهرة لقد رحمهم إذاً ولكن العلم عند الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال تعالى: ﴿ **ليس لك من الأمرشيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾[4] ، لما اطلع النبي ﷺ على النار كما أخبر حين قال: «**والذي نفسي بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط، وأنا أصلي فلم أر كاليوم في الخير والشر**»[5] بخاري وفي رواية: «**ودنت مني النار....**» إلى أن قال: «**فإذا امرأة**» حسبت أنه قال: «**تخدشها هرة**»[6] فالله عز وجل عذبها لتعذيبها الهرة التي حبستها حتى ماتت جوعاً من غير طعام ولا شراب فلا هي أطعمتها ولا سقتها طالما حبستها فمن حبس شيئاً من الحيوان وجب عليه إطعامه ونفقة ذلك عليه فإن لم يقدر فليطلقه يأكل مما يرزقه الله تعالى به وقوله: «**ولا أنت أرسلتيها...**» أي: ولا أطلقتيها تأكل من هوام الأرض وحشراتها مما تعودت أكله فالشرع الحنيف نهى عن التعذيب عموماً لخلق الله تعالى حتى ما أمر =

(١) سورة الزلزلة آية (٧، ٨).

(٢) سورة النساء آية (٤٠).

(٣) سورة البروج آية (٨).

(٤) سورة آل عمران آية (١٢٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢/٢٨) في الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال (ح٧٢٩٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٤/٤) في صفة الصلاة (ح٧٤٥).

مبحث: المتكبرون يساقون إلى سجون في جهنم

٥٠١ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصار أهل النار طينة الخبال**».

= بقتله لا يصح تعذيبه كالغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور لقول النبي ﷺ: «**خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور**»[1] لكن أيضاً قتل بإحسان ورحمة كما علمنا نبينا ﷺ الذي قال له الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2] فاللهم ارحمنا واجعلنا رحماء.

مبحث: المتكبرون يساقون إلى سجون في جهنم

[٥٠١] أخرجه الترمذي في سننه (٧/١٩٣) في صفة القيامة (ح٢٦١٠) وقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه أحمد في المسند (٢/١٧٩) عن شيخه يحيى الذي تابع عبد الله بن عجلان... مرفوعاً.

قوله: «الذر»: النمل الأحمر الصغير اهـ. نهاية (٢/١٥٧).

قوله: «الخبال» الخبال عصارة أهل النار والخبال في الأصل: الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول اهـ. نهاية (٢/٨).

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/١٥٤) في الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب (ح١٨٢٨).

(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

....

= **المتكبرون يوم القيامة**» أي: المستحقرون الناس المتعالون عليهم الدافعون الحق المخفون له الرادون له كما في الحديث الصحيح[1] «**الكبر من بطر الحق وغمط الناس**» هؤلاء يحشرون يوم القيامة مقابل كبرهم أن الله يجعلهم أصغر وأحقر الناس لذلك قال: «**أمثال الذر**» قال صحاب التحفة[2] : أي في الصغر والحقارة «**في صورة الرجال**» أي: من جهة وجوههم أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة «**يغشاهم الذل**» أي: يأتيهم «**من كل مكان**» أي: من كل جانب، والمعنى أنهم يكونون في غاية المذلة والنقيصة يطأهم أهل الحشر بأرجلهم من هوانهم على الله تعالى: «**يساقون**» بضم القاف أي: يسحبون ويجرون: «**سجن**» أي: مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره «**يسمى**» أي: ذلك السجن «**بولس تعلوهم نار الأنيار**» قيل إنما جمع نار على أنيار وهو واوي لئلا يشتبه بجمع النور قال القاضي: وإضافة النار إليها للمبالغة كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها قال القاري: أو لأنها أصل نيران العالم لقوله تعالى: ﴿**الذي يصلي النار الكبرى**﴾[3] «**يسقون**» بصيغة المجهول «**من عصارة أهل النار**» بضم العين المهملة وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم «**طينة الخبال**» بالجر بدل عصارة أهل النار اهـ. وهي اسم لعصارة أهل النار تفسد أجسادهم وعقولهم كل هذا مقابل الكبر، فهوان، وذل، وفساد وصغار فاللهم ارزقنا العفو والعافية والسلامة في الدين والدنيا والآخرة يا رب العرش العظيم والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١١/١٥٢) في اللباس، باب ما جاء في الكبر (ح٤٠٧٤ص).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/١٩٣).

(٣) سورة الأعلى آية (١٢).

مبحث: تغليظ عقوبة قذف المملوك البرئ

٥٠٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**من قذف مملوكه وهو برئ مما قال جلد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**».

[٥٠٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥/٣٣٩) في المحاربين، باب قذف المملوك (ح٦٨٥٨).

وأخرجه الترمذي في سننه (٦/٧٨) في البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخدام وشتمهم، (ح٢٠١٢) وقال: حسن صحيح.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع أبا القاسم رسول الله محمداً ﷺ يقول: «**من قذف مملوكه**» أي: من رمى عبده المملوك بالزنا قال صاحب التحفة[١] - «**من قذف مملوكه**» أي: رماه بالزنا اهـ. وقد تقدم معنى ذلك قوله: «**وهو برئ**» أي: ما وقع في الزنا لا وقت الرمي ولا فيما سبق وعند الترمذي «**بريئاً مما قال له**» قال في التحفة[١]: أي والحال أن مملوكه برئ مما قال سيده اهـ. قال الحافظ[٢]: قوله: «**وهو برئ مما قال**» جملة حالية اهـ. قوله: «**جلد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**» أي: أقيم عليه الحد يوم القيامة لأنه في الدنيا لا حد عليه لأنه سيده وهذا يدل على عظيم إثم ما قال والله تعالى يغضب لانتهاك حرمات المسلمين قال تعالى: ﴿**إن الذين يؤذن الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً* والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾[٣] وقال تعالى: ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب** =

(١) تحفة الأحوذي (٦/٧٨).

(٢) فتح الباري (٢٥/٣٣٩).

(٣) سورة الأحزاب آية (٥٧، ٥٨).

= عظيم ﴾[1] وعند الترمذي: «أقام الله عليه الحد يوم القيامة» أي: أن ربنا تعالى ذاته هو الذي يقيم عليه الحد فما أشد عذابه وأعظم عقابه فليتق الله كل مسلم في لسانه وأعراض المسلمين : قال في التحفة[2]: في قوله: « أقام الله عليه» أي: على السيد القاذف « الحد يوم القيامة» اهـ. فالعذاب إذًا مضاعف هذا يدل على أن من فاته عقوبة الدنيا وحدودها ضوعف عليه الحد يوم القيامة لأنه من المعلوم أن عذاب الدنيا أهون بكثير من عذاب الآخرة فكذلك حد الدنيا أهون بالفرق الشاسع من حد الآخرة فاللهم سلم سلم. وقوله: «إلا أن يكون كما قال» أي: كما قال قاذفه قد زنى فعلاً ، قال الحافظ[3]: قوله: «إلا أن يكون كما قال» أي: فلا يجلد اهـ. وقال في التحفة: «إلا أن يكون كما قال» أي: يكون العبد كما قال السيد في الواقع ولم يكن بريئًا فإنه لا يقيم الله عليه الحد لكونه صادقًا في نفس الأمر وهو تصريح بما علم ضمنًا وهو استثناء منقطع اهـ. قال الحافظ قال المهلب: لو وجب على السيد أن يجلد في قذف عبده في الدنيا لذكره كما ذكره في الآخرة وإنما خص ذلك بالآخرة تمييزاً للأحرار من المملوكين فأما في الآخرة فإن ملكهم يزول عنهم ويتكافؤن في الحدود ويقتص لكل منهم إلا أن يعفو ولا مفاضلة حينئذ إلا بالتقوى اهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة النور آية (٢٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/٧٨).

(٣) فتح الباري (٢٥/٣٣٩).

مبحث: من قذف مملوكه وهو بريء أقيم عليه الحد يوم القيامة

٥٠٣ ـ عن أبي هريرة قال: أبو القاسم ﷺ: «**من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**».

[٥٠٣] أخرجه مسلم في صحيحه (١٣١/١١) في الإيمان، باب صحبة المماليك.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**» أي: من رمى العبد المملوك له باتهامه بالزنا والعبد بريء فهذا لأنه لا يقام عليه الحد في الدنيا لأنه قذف مملوكه لكن لا يفلت يوم القيامة من عقوبة ملك الملوك عز وجل حيث لا ظلم هناك ولا شيء يخفى على رب العالمين قال الله عز وجل: ﴿**رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب**﴾[1] قال النووي[2]: فيه إشارة إلى أنه لا حد على قاذف العبد في الدنيا وهذا مجمع عليه لكن يعذر قاذفه لأن العبد ليس بمحصن وسواء في هذا كله من هو كامل الرق وليس فيه سبب حرية والمدبر والمكاتب وأم الولد ومن بعضه حر هذا في حكم الدنيا أما في حكم الآخرة فيستوفي له الحد من قاذفه لاستواء الأحرار والعبيد في الآخرة اهـ. والله أعلم. وقوله: «**إلا أن يكون كما قال**» أي: إلا أن يكون العبد زانياً والعياذ بالله تعالى كما قال مولاه فهذا يبرأ من الحد يوم القيامة لكن إذا زنى العبد وتاب وأقيم عليه الحد ثم استقام فمن قذفه يحاسب على ذلك والله أعلم.

(١) سورة غافر آية (١٥ ـ ١٧).

(٢) شرح مسلم (١٣١/١١).

مبحث : تغليظ عقوبة النمام

٥٠٤ ـ عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نمَّامٌ**».

٥٠٥ ـ عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لاَ يَدْخُل الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

---

[٥٠٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١١٢/٢) في الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة.

[٥٠٥] أخرجه مسلم في صحيحه (١١٢/٢) في الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة.

قوله: « نمام» الاسم النميمة: وهي نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر اهـ. نهاية (١٢٠/٥).

قوله: «قتات» قت الحديث يقته إذا زوره وهيأه وسواه وقيل هو النمام وقيل: النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم عليهم، والقتات: الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم، والقساس الذي يسأل عن الأخبار ثم ينمها اهـ. نهاية (١١/٤).

المعنى

يخبرنا حذيفة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**» وفي رواية: «**قتات**» أي: من نقل الكلام بين الناس مفسداً بينهم أو تصنت وتجسس أو تتبع الأخبار ليفعل هذه الكبيرة الموجبة للنار والعياذ بالله تعالى إما أبداً وإما زماناً فهذا جزاؤه أن لا يدخل الجنة وقد فرق ابن الأثير كما ذكرت في المفردات بين النمام والقتات والقساس وكلهم يجتمعون في نقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد وإنما يفترقون في طريقة استقباله وتحمله فالنمام جالس بين القوم =

مبحث : قول النبي ﷺ : «من لا يرحم لا يرحم»

٥٠٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يرحم لا يرحم**».

= المتحدثين فينم عليهم والقتات يتسمع وهم لا يعلمون والقساس لا سمع ولا تصنت ولكنه تلقى من بعيد، قال الله عز وجل: ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** ﴾[١] قال النووي[٢] : قال العلماء: النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء: إعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث وسواء كان الكشف بالرمز أو بالإيماء فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه فلو رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة اهـ. ملخصاً قال النووي[٢] : وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية اهـ. والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ : «من لا يرحم لا يرحم»

٥٠٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٢١١/٢٢) في الأدب، باب : رحمة الولد وتقبيله: ومعانقته، (ح٥٩٩٧).

وأخرج البخاري في صحيحه (٢٢٤/٢٢) شاهداً للمرفوع فقط في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم من حديث جرير (ح٦٠١٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٦/١٥) في الفضائل: باب رحمته ﷺ وتواضعه. =

---

(١) سورة المائدة آية (٦٤).

(٢) شرح مسلم (١١٢/٢، ١١٣).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[1] وقال تعالى: ﴿فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين﴾[2] وقال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم﴾[3] فمن رحمته تعالى العظيمة جعلها وسعت كل شيء صغير وكبير - جليل وحقير مسلم ومؤمن وعكسهما بل قال ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[4] وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[5] فمن رحم عباده رحمه سبحانه برحمته التي وسعت كل شيء بل ومن انتزعت منه الرحمة لا يرحمه خالق الرحمة فلذلك قال ﷺ هنا: «**من لا يرحم لا يرحم**» فالرحمة تشمل أي عطف وهي بِقَدْرِهِ حتى القبلة للصغير ممن يباح تقبيله من الرحمة فيقول أبو هريرة رضي الله عنه: «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي» سبط رسول الله ﷺ وريحانته قُبْلة وهو صغير قوله: «وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا» هو من المؤلفة الذين أسلموا متأخرًا، قال ابن حجر[6]: الأقرع: لقب واسمه فيما نقل ابن دريد فراس بن حابس بن عقال... إلخ وكانت وفاته في خلافة عثمان اهـ. وقال أيضًا[7]: وهو من المؤلفة وممن حسن إسلامه اهـ. قوله: «فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا» ظن أن هذا ليس بعظيم لكن عظمه =

(١) سورة الأعراف آية (١٥٦).

(٢) سورة يوسف آية (٦٤).

(٣) سورة الفاتحة آية (١-٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧/١٠٩) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (ح٢٢، ٢٧٥٤).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٦/٥١) في البر، باب في رحمة الناس (ح١٩٨٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) فتح الباري (١٨/٢١٩).

(٧) فتح الباري (٢٢/٢١١).

= نبينا ﷺ واعتبره من قلة الرحمة أو عدمها ففي رواية: «**أو أملك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة**»[1] قوله: «فنظر إليه رسول الله ﷺ» **تعجبًا مما قال.** قوله: «ثم قال: **من لا يرحم لا يرحم**» قال الحافظ[2]: هو بالرفع فيهما على الخبر وقال أبو البقاء: «من» موصولة ويجوز أن تكون شرطية فيقرأ بالجزم فيهما اهـ. أي: من لا يرحم الناس ولا يرفق بهم لا يرحمه الله عز وجل بل ومن لا يرحم الحيوان يدخل أيضًا في شيء من الوعيد ولعل القيد بالرحمة بمن يستحقها فعند الطبراني في الأوسط «**من لم يرحم المسلمين فلن يرحمه الله**»[3] قال الحافظ ابن حجر[4]: قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي . وقد أخرج البخاري[5] عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**» قال ابن بطال[6]: والمراد برحمته إرادته نفع من سبق في علمه أنه ينفعه اهـ. وقال ابن حجر[4]: قال ابن أبي جمرة ويحتمل أن تكون الأولى صدقة والثانية البلاء، أي: لا يسلم من البلاء إلا من تصدق أو من لا يرحم الرحمة التي ليس فيها شائبة أذى لا يرحم مطلقًا، أولا ينظر الله بعين الرحمة إلا لمن جعل في قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحًا وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه في هذه الأوجه كلها فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه اهـ. والله أعلم وقال النووي[7]: فيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم ثم قال قال العلماء: هذا عام يتناول رحمة الأطفال وغيرهم اهـ. والله أعلم اللهم اجعلنا راحمين مرحومين دائمًا يارب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في الأدب (٢١٢/٢٢) ، باب من ترك صبية غيره (ح٥٩٩٨).

(٢) فتح الباري (٢١١/٢٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٠٢/٦) من حديث الأشعث بن قيس مرفوعًا (ح٦١٨٨).

(٤) فتح الباري (٢٢٤/٢٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠/٢٨) في التوحيد (ح٧٣٧٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٥/١٥) في الفضائل ، باب رحمته ﷺ وتواضعه.

(٦) فتح الباري (١٣١/٢٨).

(٧) شرح مسلم (٧٦/١٥، ٧٧).

مبحث: تغليظ عقوبة من لبس ثوب شهرة

٥٠٧ ـ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ»**.

---

[٥٠٧] أخرجه ابن ماجه في سننه (١١٩٢/٢) في اللباس، باب من لبس شهرة الثياب (٣٦٠٦/٢).

قال المنذري في الترغيب (١١٢/٣): رواه ابن ماجه بإسناد حسن اهـ.

أخرجه أبو داود في سننه (٧٢/١١) في اللباس، باب لبس الشهرة (ح٤٠١٠).

وأخرجه أحمد في المسند (٩٢/٢).

قوله: «شهرة» الشهرة: ظهور الشيء في شُنْعه حتى يَشْهَرَهُ الناس اهـ. نهاية (٥١٥/٢) والتفصيل في المعنى.

المعنى

يخبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة»** أي: من لبس ثوبًا يشتهر به بين الناس بأنه أفضلهم أو أحسنهم أو ليتميز عليهم ويتفضل عليهم بشرط أنه لا يكون شرعيًا، لكن لو كان الناس مخالفون للشرع في لباسهم وهو يلبس ما يوافق الشرع فهذا لباس سنة لا شهرة لكن لباس الشهرة الذي يخالف الناس لا لشيء إلا ليشتهر به فجزاؤه لباس مذلة وصغار يلبسه الله تعالى له يوم القيامة جزاء تكبره فالعقاب من جنس العمل قال الله تعالى: ﴿ **فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[1] قال في عون المعبود[2]: قال في النيل: والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب =

---

(١) سورة الأحقاف آية (٢٠).

(٢) عون المعبود (٧٣/١١).

مبحث: قول النبي ﷺ:
«لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ»

٥٠٨ ـ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الَّذِي يَجُرُّ ثِيَابَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

= والتكبر اهـ. وقوله: «**ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة**» قال في العون[1]: أي ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة والمراد به ثوب يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبًا يتعزز به على الناس ويترفع به عليهم وعند أبي داود «**ثوبًا مثله**» أي: في شهرته بين الناس قال ابن رسلان: لأنه لبس في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره فيلبسه الله يوم القيامة ثوبًا يشهر مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل، وفي زيادة لأبي داود: «**ثم تلهب فيه النار**» أي: تشتعل: «**فيه**» أي: في الثوب الذي ألبسه الله له يوم القيامة اهـ. والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ:
«لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ»

[٥٠٨] أخرجه مسلم في صحيحه (٦١/١٤) في اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء.

قوله: «خيلاء» الخُيلاء والخِيلاء بالضم والكسر ـ الكبر والعجب يقال اختال فهو مختال، وفيه خيلاء ومخيلة: أي كِبْر اهـ. نهاية (٩٣/٢).

المعنى

يخبر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الذي يجر ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة**» أي: الذي يسبل إزاره عن الكعبين والذي يسبله حتى يجر على الأرض ومع ذلك الكبر والتعاظم =

---

(١) عون المعبود (٧٣/١١).

= لا ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة ولا يرحمه قال النووي[1] : قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام ويقال: خال الرجل واختال إختيالاً إذا تكبر ومعنى لا ينظر الله إليه أي: لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة وفي الحديث الصحيح أن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء فإن كان لغيرها فهو مكروه قال وأجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء وقد صح عن النبي ﷺ الإذن لهن في إرخاء ذيولهن والله أعلم وأما القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر في الباب، والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه اهـ. لكن هناك رواية في البخاري «**ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار**»[2] فلم يقيدها فالترك للإسبال عمومًا أسلم وأبعد عن العذاب بإذن الله تعالى والله أعلم. وأما العمامة فإسبالها: هو إطالة ذؤابتها طولاً زائداً، قال الشوكاني وقيل يحرم إطالة العذبة طولاً فاحشًا : ولا مقتضى للجزم بالتحريم[3] اهـ. والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم (١٤/٦٠ : ٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢/٨) في اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار (ح٥٧٨٧).

(٣) نيل الأوطار (٢/١٦٩).

مبحث: قول النبي ﷺ:

«من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»

٥٠٩ - عن عمر قال: قال النبي ﷺ: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**».

٥١٠ - وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة**».

---

[٥٠٩] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٤٥) في اللباس، باب لبس الحرير للرجال، (ح٥٨٣٤).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٦٠) في اللباس والزينة، باب تحريم استعمال... الحرير على الرجال (ح١١).

وأخرجه أحمد في المسند (١/٣٩) بلفظ مقارب.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١١٨٧) في اللباس، باب كراهية لبس الحرير (ح٣٥٨٨).

[٥١٠] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٤٦) في اللباس، باب لبس الحرير للرجال، (ح٥٨٣٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٥٤) في اللباس والزينة، باب تحريم استعمال.. والحرير على الرجال.

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٣٩) في اللباس والزينة، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء.

المعنى

يخبرنا عمر رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**» أي: أن من ارتدى ثيابًا من حرير في الدنيا وقد حرمه الله تعالى =

= فسيحرمه الله تعالى لبسه في الآخرة لتجرئه على حرام الله بالانتهاك وهذا يقتضي عدم دخول الجنة أو إذا دخلها لرجحان كفة حسناته فلن يلبسه ولو دخل الجنة، قال الله تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾[1] وفي رواية لأبي عبد الله الحاكم فيها زيادة[2] عن أبي سعيد مثل حديث عمر وزاد: «**وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسها**» وهذا النهي مخصوص بالرجال دون النساء فهو مباح لهن، قال الحافظ: هو من العام المخصوص بالمكلفين من الرجال للأدلة الأخرى بجوازه للنساء اهـ. وفي الحديث الثاني قال رسول الله ﷺ: «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة**» قال النووي[3] : قيل معناه : من لا نصيب له في الآخرة وقيل من لا حرمة له، وقيل: من لا دين له فعلى الأول يكون محمولاً على الكفار وعلى القولين الآخرين يتناول المسلم والكافر والله أعلم اهـ. وقال الحافظ[4] : وفي هذه الأحاديث بيان واضح لمن قال: يحرم على الرجال لبس الحرير للوعيد المذكور وحاصل أعدل الأقوال أن الفعل المذكور مقتض للعقوبة المذكورة، وقد يختلف ذلك لمانع كالتوبة والحسنات التي توازن، والمصائب التي تكفر، وكدعاء الوالد بشرائط، وكذا شفاعة من يؤذن له في الشفاعة، وأهم وأعم من ذلك كله عفو أرحم الرحمين اهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة الحج (٢٣) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٩١/٤/ ٢١٢) في اللباس (ح٧٤٠٤).

(٣) شرح مسلم (٥٣/١٤).

(٤) فتح الباري (٤٥/٢٢ : ٤٧).

الفصل الثالث
تَحْرِيمُ العُقُوقِ والقَطِيعَة

مبحث : إثم من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم

٥١١ ـ عن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ ادّعَى إلى غَيْرِ أَبِيه وهُو يعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيه فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ».

٥١٢ ـ وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ من رَجُلٍ ادَّعَى لغيرِ أبيهِ وهو يَعْلَمُهُ إلا كَفَرَ، ومن ادَّعَى ما لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وليتبوأ مقعده من النار، ومَنْ دَعَا رَجُلاً بالكفر أو قال عَدُوَّ الله وليس كذلك إلا حارَ عَلَيْه».

---

[٥١١] أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٤/٢٥) في الفرائض، باب من ادعى لغير أبيه، (ح٦٧٦٦).

أخرجه مسلم في صحيحه (٥١/٢) في الإيمان، باب حال إيمان من رغب عن أبيه (ح٦٣).

[٥١٢] أخرجه مسلم في صحيحه (٦٦/٢) في الإيمان، باب حال من رغب عن أبيه وهو يعلم (ح٦١).

قوله: «حار» من الفعل يحور: أي يرجع اهـ. بتصرف نهاية (٤٥٨/١).

المعنى العام

قال تعالى: ﴿ادعوهم لآباءهم هو أقسط عند الله...﴾[1] الآية وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾[2] فمن القسط والبر أن =

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥).

(٢) سورة الإسراء آية (٢٣).

= ينتسب الإنسان إلى البذرة التي نبت منها ومن تبرأ من نسبه إلى آبائه فهو مأبور في دينه يستحق من الله تعالى العقوبة التي أنذره بها رسول الله ﷺ إن كان يعلم حال إنتسابه أنه مدعيًا غير نسبه متعمداً مع علمه بالحرمة فيقول سعد رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول: «من ادعى لغير أبيه...» وفي رواية: «**لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر**»[1] قال الحافظ ابن حجر[2] : فإن ثبت ذلك فالمراد من استحل ذلك مع علمه بالتحريم، وعلى الرواية المشهورة فالمراد كفر النعمة وظاهر اللفظ غير مراد وإنما ورد على سبيل التغليظ والزجر لفاعل ذلك، أو المراد بإطلاق الكفر أن فاعله فعل فعلاً شبيهًا بفعل أهل الكفر. اهـ. وقال النووي[3] : ومعنى ادعى لغير أبيه أي انتسب إليه واتخذه أبًا، وقوله ﷺ: «**وهو يعلم**» تقييد لابد منه فإن الإثم إنما يكون في حق العالم بالشيء. اهـ قوله: «**فالجنة عليه حرام**» قال النووي[4] : وأما قوله ﷺ: «**فالجنة عليه حرام**» ففيه تأويلان... أحدهما أنه محمول على من فعله مستحلاً له والثاني أن جزاءه أنها محرمة عليه أولاً عند دخول الفائزين وأهل السلامة ثم إنه قد يجازى فيمنعها عند دخولهم ثم يدخلها بعد ذلك وقد لا يجازي بل يعفو الله سبحانه وتعالى عنه، ومعنى حرام: ممنوعة. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر[2] : وفي الحديث: تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره، وقيد في الحديث بالعلم ولابد منه في الحالتين إثباتًا ونفيًا لأن الإثم يترتب على العالم بالشيء المتعمد له، وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصد الزجر كما قررناه. اهـ. وأما قوله في الرواية الأخرى: «**فمن رغب عن أبيه فهو كفر**»[1] قال ابن بطال: وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر التي يخلد صاحبها في النار، وقال ابن حجر: وإن ثبت ذلك فالمراد من استحل ذلك مع علمه بالتحريم وقال بعض الشراح: سبب =

(١) أخرجه البخاري (١٨٥/٢٥ ح٦٧٦٨) في الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه.

(٢) فتح الباري (٢١/١٤).

(٣) شرح مسلم للنووي (٥٠/٢).

(٤) شرح مسلم للنووي (٥٢/٢).

= إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله كأنه يقول خلقني الله من ماء فلان وليس كذلك لأنه إنما خلقه من غيره[١] . اهـ قال ابن حجر ويؤخذ من رواية مسلم: تحريم الدعوى بشيء ليس هو للمدعي فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها مالاً وعلماً وتعلماً ونسباً وحالاً وصلاحاً ونعمة وولاء وغير ذلك . اهـ. قلت ورواية مسلم هي عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[٢] . والله أعلم. وأما الرواية الثانية فيزيد فيها أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار**» أي من نسب إلى نفسه شيئاً لا يملكه ولا يستحقه فليس من أتباع النبي ﷺ أو ليس من أهل سنته أو ليس من أهل ملته وليتخذ مكاناً له في النار قال النووي[٣] : وأما قوله ﷺ: «**ومن ادعى ما ليس له فليس منا**» فقال العلماء معناه: ليس على هدينا وجميل طريقتنا، كما يقول الرجل لابنه: لست مني وقوله ﷺ : «**فليتبوأ مقعده من النار**» قد قدمنا في أول المقدمة بيانه وأن معناه فلينزل منزلة منها أو فليتخذ منزلاً بها وأنه دعاء أو خبر بلفظ الأمر ومعناه: هذا جزاؤه فقد يجازى وقد يعفى عنه وقد يوفق للتوبة فيسقط عنه ذلك وفي هذا الحديث تحريم دعوى ما ليس له في كل شيء سواء تعلق به حق لغيره أم لا وقوله ﷺ: «**ومن دعى رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**» تقريره ما يدعوه أحد إلا حار عليه اهـ. وحار بمعنى رجع فلا يرمى أحد أحداً بالكفر وهو لا يستحق ذلك إلا رجع عليه الكفر الرامي به أخاه وكذلك إذا قال لأخيه عدو الله والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢١/١٤، و١٨٤/٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩/٢) في الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

(٣) شرح مسلم (٦٦/٢، ٦٧) ح(٦١).

مبحث: التحذير من العقوق وما يستعان به من الطاعات عند الكربات

٥١٣ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام فقال: الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب قال: لا إلا من طين**..» الحديث.

---

[٥١٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٦/١٣) في أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾...) (ح٣٤٣٦).

أخرجه البخاري في صحيحه (٩٤/٦) في أبواب العمل في الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة، (ح١٢٠٦).

أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٥/١٦) في البر، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٦/١٦) في البر، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

قوله: «المومسات» جمع مومسة: بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها مهملة وهي الزانية. اهـ فتح (٢٣٧/١٣).

قوله: «صومعته» الصومعة: بفتح المهملة وسكون الواو هي البناء المرتفع المحدد أعلاه ووزنها فوعلة من صمعت إذا دقت لأنها دقيقة الرأس. اهـ فتح (١٣٧/١٣).

المعنى العام

ذكر الله تعالى بعد أعظم الدين بر الوالدين فبعد الأمر بتوحيده وإفراد العبودية له عقب بذكر الإحسان إلى الوالدين فقال تعالى: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾[1] ذلك من أعظم الأدلة على وجوب البر وحرمة العقوق حتى أخبر الشرع الحنيف أن أعجل الثواب البر والصلة وأعجل العذاب العقوق والبغي، حتى لو كان الإنسان ذا طاعة تسوغ له الوصول إلى المراتب السنية فإذا وقع في العقوق عوقب ثم نجاه الله لأنه كان من المسبحين.

فيخبرنا نبينا ﷺ عمن تكلموا في المهد واختلفوا في عددهم فذكر الحافظ ابن حجر[2] إمكان وصولهم إلى سبعة قوله: «**كان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج**» وفي رواية أبي سلمة عند أحمد: أنه كان تاجراً وتركها زهداً فيها «**كان رجل في بني إسرائيل تاجرا وكان ينقص مرة ويزيد أخرى قال: ما في هذه التجارة خير ألتمس تجارة هي خير من هذه فبنى صومعة وترهب فيها وكان يقال له جريج...**» الحديث[3] قال الحافظ ابن حجر ودل ذلك على أنه كان بعد عيسى ابن مريم وأنه كان من أتباعه لأنهم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس في الصوامع. اهـ. قوله: «**كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي**» وفي رواية مسلم: «**جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت: يا جريج أنا أمك كلمني فصادفته يصلي**» وفي رواية للبخاري في المظالم: «**فأبى أن يجيبها**»[4] قال الحافظ ابن حجر[5]: ومعنى قوله: «**أمي وصلاتي**» أي: اجتمع على إجابة أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما. اهـ وفي رواية مسلم: «**فانصرفت فلما كان من الغد أتته** =

---

(١) سورة الإسراء آية (٢٣).

(٢) فتح الباري (١٣/٢٣٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/٤٣٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢١٢) في المظالم (ح٢٤٨٢).

(٥) فتح الباري (١٣/٢٣٧).

=وهو **يصلي...**» ثلاثة أيام قال القسطلاني[1] : يفهم من ظاهره أن الكلام عنده يقطع الصلاة ولما لم يجبها في الثالثة وآثر إستمراره في صلاته ومناجاته على إجابتها واختار مراعاة حق الله على حقها قالت داعية عليه بلفظ النفي: « **اللهم لا يموت جريج حتى ينظر في وجه الميامس**» اهـ. قوله: «**فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات**» وفي رواية الأعرج: «**حتى ينظر في وجوه الميامس**» قال الحافظ[2]: والمومسات جمع مومسه بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها مهملة وهي الزانية. اهـ. قوله: وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعيًا، فأمكنته من نفسها وفي رواية مسلم: «**وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره قال فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت...**» وسبب ذلك الموافقة لدعوة أمه ما أخرجه مسلم: فتذاكروا بنو إسرائيل جريجًا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيًا... إلخ قال ابن حجر: ولم أقف على اسم هذه المرأة قال: لكن في حديث عمران بن حصين: أنها كانت بنت ملك القرية، قال ابن حجر: ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة وكانت تعمل الفساد إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجًا فاحتالت أن خرجت في صورة راعية ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعته لتوصل بذلك إلى فتنته. اهـ. وقال القسطلاني[1]: وكان من كرامة الله تعالى لجريج أن الهم أمه الاقتصاد في الدعوة فلم تقل اللهم امتحنه إنما قالت: اللهم لاتمته حتى تريه وجوه الميامس فلم تقض الدعوة إلا كدرًا يسيرًا بل أعقبت سرورًا كثيرًا. اهـ. قوله: «**فولدت غلامًا فقالت: من جريج**» قال ابن حجر[3]: فيه حذف تقديره فحملت حتى انقضت أيامها فولدت. اهـ قوله: «**فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه**» وفي رواية مسلم: «**فجاءوا بفؤسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلي فلم يكلمهم قال فأخذوا يهدمون ديره**» وفي =

(١) إرشاد الساري (٣٥٤/٢). (٢) فتح الباري (٢٣٧/١٣).

(٣) فتح الباري (٢٣٨/١٣).

= رواية مسلم: «**فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي**» قوله: «**فتوضأ وصلى**» هذه المنجية لذلك كان ﷺ إذا أحزبه أمر فزع إلى الصلاة. وفي رواية مسلم: فقال «**دعوني حتى أصلي فصلى**» وفي رواية مسلم: «**فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له سل هذه قال فتبسم**» تبسم لإجابة الله تعالى دعوة أمه حيث نظر إلى وجه المومسة لما قيل له سل هذه. قوله: «**ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام قال: الراعي**» قال القسطلاني[1]: «**من أبوك**» أي: خلقت من ماء من فأنطق الله تعالى الغلام آية له. اهـ. وقال ابن حجر[1] : ولم أقف على اسم الراعي ويقال أن اسمه صهيب. وقال النووي[2] : المراد من ماء من أنت وسماه أبا مجازاً. اهـ. قوله: «**قالوا نبني صومعتك من ذهب قال: لا ، إلا من طين**» وفي رواية مسلم: «**نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال: لا ولكن أعيدوه ترابا كما كان ثم علاه**» وفي رواية مسلم: «**ففعلوا**».

وفي رواية أبي سلمة عند أحمد: «**فسبح الناس وعجبوا**» وفيها: «**فردوها فرجع في صومعته فقالوا: بالله مم ضحكت**» فقال: «**ما ضحكت إلا من دعوة دعتها أمي**» قال ابن حجر: وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة وإجابة الأم وبرها واجب، قال النووي وغيره: إنما دعت عليه فأجيب لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها لكن لعله خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها قال ابن حجر: والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقتنع برؤيته وتكليمه وكأنه إنما لم يخفف ثم يجيبها لأنه خشي أن ينقطع خشوعه. اهـ. والله أعلم وهو المستعان.

---

(١) إرشاد الساري (٢/٣٥٤).

(٢) فتح الباري (١٣/٢٣٩).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٦/١٠٧).

مبحث: من وصل رحمه وصله الله تعالى

٥١٤ ـ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت: الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى يارب قال: فهو لك قال** رسول الله ﷺ: **فاقرءوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾**».

---

[٥١٤] أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٦/٢٢) في الأدب، باب من وصل وصله الله (ح٥٩٨٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٦٩/١٦) في البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها، (ح٢٥٥٤).

وأخرجه أحمد في المسند (٣٣٠/٢).

وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٠/١١) سورة محمد ﷺ آية (٢٢) (ح٣١٤٠٣).

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه**» قال الحافظ[١]: قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون المراد بالخلق جميع المخلوقات ويحتمل أن يكون المراد به المكلفين، وهذا القول يحتمل أن يكون بعد خلق السموات والأرض وابرازها في الوجود، ويحتمل أن يكون بعد خلقها كتبًا في اللوح المحفوظ ولم يبرز بعد إلا اللوح والقلم ويحتمل أن يكون بعد انتهاء خلق أرواح بني آدم عند قوله: ﴿**ألست بربكم**﴾[٢] لما أخرجهم من صلب =

---

(١) فتح الباري (١٩٦/٢٢).

(٢) سورة الأعراف آية (١٧٢).

= آدم عليه السلام مثل الذر اهـ. وقوله: «**حتى إذا فرغ من خلقه**» قال الحافظ[1]: أي قضاه وأتمه اهـ. قوله: «**قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة**» أي: يا رب قيامي هذا قيام الذي يستعيذ بك من القطيعة للرحم. قال الحافظ[2]: هذه إشارة إلى المقام أي قيامي في هذا مقام العائذ بك والعائذ المستعيذ وهو المعتصم بالشيء المستجير به. اهـ. قوله: «**قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فهو لك**» أي: أن الله عز وجل رحمة بها واستجابة لاستجارتها لما تعلقت وتعوذت أجابها أي: هل يرضيك أن أصل من يصلك ويرحمك ويودك وأقطع من يقطعك ولا يصلك فأقرت بالرضا وأجابت بالإيجاب ببلي أي: رضيت يا رب قال: أي أن لك ذلك الذي عرضته عليك ورضيت به قال الحافظ[1]: قال ابن أبي جمرة فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم وأنه تعالى أنزلها منزلة من إستجار به فأجاره فأدخله في حمايته، وإذا كان كذلك فجار الله غير مخذول وقد قال ﷺ: «**من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم**»[3] اهـ. قوله: «قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾[4] قال الحافظ[2]: والمعنى إن وليتم الحكم ويشهد له ما أخرجه الطبرى في تهذيبه من حديث عبد الله بن مغفل قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض**﴾ **قال: هم هذا الحي من قريش، أخذ الله عليهم إن ولوا الناس أن لا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم**» اهـ. قلت: وقد قال الطبري نحوه في التفسير: فقال: وقد تأوله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم=

---

(١) فتح الباري ١٨/٢٠٦) (ح٤٨٣٠). (٢) فتح الباري (١٩٦/٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١١/٥) في المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (ح٢٦٢/ ٦٥٦).

(٤) سورة محمد ﷺ (٢٢).

= أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية[1] قال القاضي عياض[2]: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، قال: والأحاديث في الباب تشهد لهذا ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب، لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا اهـ. ومما يؤيد ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم[3] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**» وما أخرجه مسلم[4] أيضًا عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**» قال النووي[5]: قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**» هذا الحديث يتأول تأويلين أحدهما حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهه مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدًا والثاني: معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى اهـ. والله أعلم والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم المنان الرحمن. وقد ورد ما يدل على أن أمر قطع الرحم عقوبته عاجلة فضلاً عن الآجلة والعياذ بالله تعالى عند أبي داود والترمذي من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم**»[6] قال صاحب التحفة[7]: أي ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لمرتكب الذنب العقوبة مع ما يؤجل من العقوبة لصاحب الذنب من البغي أي: من =

(١) تفسير الطبري لسورة محمد ﷺ (١١/٣٢٠).

(٢) شرح مسلم (١٦/١٧٠) ط ق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١١٣) في البر، باب صلة الرحم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١١٤) في البر والصلة، باب صلة الرحم.

(٥) شرح مسلم (١٦/١١٣، ١١٤).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٣/٢٤٤) في الأدب، باب النهي عن البغي، (ح٤٨٨١)، وأخرجه الترمذي في سننه (٧/٢١٤) في أبواب صفة القيامة (ح٢٦٢٩) وقال: صحيح.

(٧) تحفة الأحوذي (٧/٢١٤) (ح٢٦٢٩).

مبحث : كفران العشير والإحسان صاحبهما في النار

٥١٥ ـ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن ، قيل : أيكفرن بالله؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيرًا قط».

= بغي الباغي وهو الظلم وقطيعة الرحم أي: ومن قطع صلة ذوي الأرحام اهـ. بتصرف والله أعلم ونسأله العفو والعافية في الدارين . سبحانه.

مبحث : كفران العشير والإحسان صاحبهما في النار

[٥١٥] أخرجه البخاري في صحيحه في الإيمان (١/١٥٠)، باب كفران العشير وكفر دون كفر (ح٢٩).

وأخرجه البخاري في صحيحه في الكسوف (٥/٢٣٦)، باب صلا لكسوف جماعة (ح١٠٥٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه في الكسوف (٦/٢١٢)، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف...

قوله: «العشير» قال النووي: العشير، المعاشر كالزوج وغيره اهـ. شرح مسلم (٦/٢١٣).

قوله: «الإحسان» قال العيني: مصدر أحسن يقال أحسنت به وأحسنت إليه إذا فعلت معه جميلاً اهـ. عمدة (١/٢٣٠).

المعنى العام

يبين لنا رسول الله ﷺ أن أكثر أهل النار النساء وذلك بسبب إنكارهن الإحسان وستره وتغطيتهن وهضمهن حق من أحسن إليهن ومخالفتهن سنة النبي ﷺ التي قال =

= فيها: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1] فلو أكرمها أحد طوال الأيام والسنين ثم أساء إليها مرة كأنها ما أخذت وما أكرمت. فيقول النبي ﷺ: «أريت النار» ولمسلم من حديث جابر[2] «لقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها» وفيه «ثم جيء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي» وفيه «ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه» وقوله: «أريت» قال العيني[3]: بضم الهمزة من الرؤية التي بمعنى التبصير اهـ. وقوله في رواية الكسوف المذكورة في التخريج: «فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع» قال ابن حجر[4]: المراد باليوم الوقت الذي هو فيه أي لم أر منظراً مثل منظر رأيته اليوم، فحذف المرئي وأدخل التشبيه على اليوم لبشاعة ما رأى فيه وبعده عن المنظر المألوف اهـ. وقوله: «فإذا أكثر أهلها النساء» قال الحافظ ابن حجر: هذا يفسر وقت الرؤية في قوله لهن في خطبة العيد: «تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار»[5] اهـ. وقوله: «قيل يكفرن بالله؟» قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان» قال الحافظ ابن حجر[6]: فلما قيل يكفرن بالله فأجاب ويكفرن العشير إلخ. وكأنه قال: نعم، يقع منهن الكفر بالله وغيره لأنهن منهن من يكفر بالله، ومنهن من يكفر الإحسان، وقال ابن عبد البر: الجواب لم يقع على وفق سؤال السائل لإحاطةالعلم بأن من النساء من يكفر بالله فلم يحتج إلى جوابه لأن المقصود في الحديث خلافه اهـ. وقال الكرماني: لم يعد كفر العشير بالباء كما عدى الكفر بالله لأن كفر الغير لا يتعدى معنى =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧٨/٦)، باب في الشكر لمن أحسن إليك، وقال: حديث صحيح (ح٢٠٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦/٦، ٢٩٧) في الكسوف، باب ما عرض النبي ﷺ في صلاة الكسوف.. (ح٩٠٤/١٠).

(٣) عمدة القاري شرح البخاري للعيني (٢٣٠/١).

(٤) فتح الباري (٢٣٨/٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٨/٢) في الحيض، باب ترك الحائض الصوم، (ح٣٠٤).

(٦) فتح الباري (٢٣٨/٥).

= الاعتراف اهـ. وقال النووي[1] : وفيه جواز إطلاقه الكفر على كفران الحقوق وإن لم يكن ذلك الشخص كافراً بالله تعالى، والعشير المعاشر كالزوج وغيره ، وفيه ذم كفران الحقوق لأصحابها اهـ. وقوله: «**ويكفرن الإحسان**» قال ابن حجر[2] : كأنه بيان لقوله يكفرن العشير لأن المقصود كفر إحسان العشير لا كفر ذاته ، والمراد بكفر الإحسان تغطيته أو جحده ويدل عليه آخر الحديث وقوله: «**لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله**» قال: ولو هنا شرطية لا امتناعيه والدهر منصوب على الظرفيه والمراد منه مدة عمر الرجل أو الزمان كله مبالغة في كفرانهن، وليس المراد بقوله أحسنت مخاطبة رجل بعينه بل كل من يتأتى منه أن يكون مخاطباً فهو خاص لفظاً عام معنى اهـ. وقال العيني[3] : قوله الدهر هو الزمان والجمع دهور ويقال الدهر: الأبد اهـ. وقوله: «**شيئًا**» قال الحافظ ابن حجر[2] : التنوين فيه للتقليل أي: شيئًا قليلاً لا يوافق غرضها من أي نوع كان ثم قال: وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم : معجزة ظاهرة للنبي ﷺ وما كان عليه من نصح أمته وتعليمهم ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم وتحريم كفران الحقوق ووجوب شكر المنعم وفيه أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم وجواز إطلاقه الكفر على ما لا يخرج من الملة وتعذيب أهل التوحيد على المعاصي اهـ. والله أعلى وأعلم.

---

(١) شرح مسلم للنووي (٦/٢١٣).

(٢) فتح الباري (٥/٢٣٩).

(٣) عمدة القاري (١/٢٣٠).

الفصل الرابع
التَّحْذِيرُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ والْعِبَادَاتِ

مبحث: في التحذير من تأخير الصلاة ومن نقرها

٥١٦ - عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً**».

---

[٥١٦] أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٢/٥) في المساجد، باب استحباب التبكير بالعصر، (ح٦٢٢).

وأخرجه النسائي في سننه (٢٥٤/١) في المواقيت، باب التشديد في تأخير العصر.

قوله: «قرني شيطان» المراد أنه يحاذيها بقرنيه عند طلوعها وعند غروبها اهـ. شرح مسلم (١٧٣/٥).

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تلك صلاة المنافق**» أي: أنه من صفة المنافقين تأخير الصلاة عن وقتها أو عن وقتها الفاضل إلى قرب الوقت الذي بعده فتفوت فضيلة أول الوقت ويزداد الذم إذا كان الوقت وقت كراهية للصلاة فيه كالعصر والصبح ففي التأخير زيادة تحذير حيث ضياع فضيلة أول الوقت ووقوع الصلاة في وقت الكراهة فضلاً عن التحريم فلذلك سماها ﷺ صلاة المنافقين أما المؤمنون فهم ينتظرونها ويفرحون بحلول وقتها فيه يسارعون إليها مسارعة المحب إلى حبيبه الغائب القادم بخلاف الكاره للقادم فهو يؤخر استقباله ويؤجله والله المستعان قال تعالى: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا** =

= قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾[1] وقوله: «**يجلس يرقب الشمس**» يراقبها أين وصلت لأنه لم يصل بعد حتى إذا كانت بين قرني الشيطان» قال النووي[2]: قوله ﷺ: «**بين قرني الشيطان**» اختلفوا فيه فقيل: هو على حقيقته وظاهر لفظه، والمراد أنه يحاذيها بقرنيه عند غروبها وكذا عند طلوعها لأن الكفار يسجدون لها حينئذ فيقارنها ليكون الساجدون لها في صورة الساجدين له ويخيل لنفسه ولأعوانه أنهم إنما يسجدون له وقوله ﷺ: «**قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً**» تصريح بذم من صلى مسرعًا لا يكمل الخشوع والطمأنينه والأذكار والمراد بالنقر سرعة الحركات كنقر الطائر اهـ. والله أعلم.

وفيه استحباب المبادرة إلى الصلاة أول وقتها خاصة العصر، قال النووي: باب استحباب التبكير بالعصر وقال الخطابي: المراد بهذه الأحاديث المبادرة لصلاة العصر أول وقتها اهـ. ويكفي في التحذير من تأخيرها تشبيه النبي ﷺ مؤخرها بالمنافق نسأل الله تعالى العفو والعافية.

---

(١) سورة النساء آية (١٤٢).

(٢) شرح مسلم (٥/١٧٣، ١٧٤) (ح٦٢٢).

مبحث: التحذير من التخلف
عن جماعة الفجر والعشاء خاصة

٥١٧ - عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْواً. لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شُعَلاً من نار فأحرق على من لا يخرج إلي الصلاة بَعْدُ**».

---

[٥١٧] أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٢٢)، أبواب الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة العشاء في جماعة (ح٦٥٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٥/١٥٤)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها.

قوله: «حبوا» الحبو: أن يمشي على يديه وركبتيه، أو إسته اهـ نهاية (١/٣٣٦).

المعنى العام

قال الله عز وجل: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر**﴾[1] فهي عنوان من أعظم عناوين الإيمان الذي يظهر على صاحبه إنها صلاة الجماعة ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه * يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار...**﴾[2] الآيات لذلك أخبر النبي ﷺ أنها أثقل صلاة على المنافقين خاصة الفجر والعشاء وأنهم لو يعلمون الخير الذي يترتب على صلاتهما في الجماعة في المسجد لأتوا ولو لم يقدروا على السير إلا حبواً على الأيدي والركب، ثم قال مغضباً ليبين لأمته ﷺ أن الأمر جد شديد لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر =

---

(١) سورة التوبة آية (١٨).

(٢) سورة النور آية (٣٦، ٣٧).

= رجلاً يؤم الناس أي: ليتخلف هو ﷺ إلى من تخلف عن الصلاة فيحرق عليه بيته بشعل من نار. قوله: «**ليس صلاة أثقل**» قال الحافظ ابن حجر[1] : ودل هذا على أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين ومنه قوله تعالى: ﴿**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى**﴾[2] إنما كانت العشاء والفجر أثقل عليهم من غيرهما لقوة الداعي إلى تركهما لأن العشاء وقت السكون والراحة والصبح وقت لذة النوم، وقيل وجهه كون المؤمنين يفوزون بما ترتب عليهما من الفضل لقيامهم بحقهم دون المنافقين اهـ. وقال القسطلاني[3] : وأطلق عليهم النفاق وهم مؤمنون على سبيل المبالغة في التهديد لكونهم لا يحضرون الجماعة ويصلون في بيوتهم من غير عذر ولا علة اهـ. وقوله: «**ولو يعلمون ما فيهما**» قال ابن حجر[4] : أي من مزيد الفضل لأتوهما أي الصلاتين والمراد لأتوا إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد، قوله: «**ولو حبواً**» أي: يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير. اهـ وقال النووي[5] : الحبو حبو الصغير على يديه ورجليه معناه: لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير ثم لم يستطيعوا الاتيان إليهما إلا حبواً لحبوا إليهما ولم يفوتوا جماعتهما في المسجد ففيه الحث البليغ على حضورهما. اهـ. وقوله: «**لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس**» قال النووي[5] : فيه أن الإمام إذا عرض له شغل يستخلف من يصلي بالناس وإنما هم بإتيانهم بعد إقامة الصلاة لأن بذلك الوقت يتحقق مخالفتهم وتخلفهم فيتوجه اللوم عليهم وفيه جواز الانصراف بعد إقامة الصلاة لعذر اهـ. وقال ابن حجر: الهم: العزم وقيل دونه اهـ. وفي رواية[6] : «**أخالف إلى رجال فأحرق** =

---

(١) فتح الباري (٤/٢٢).

(٢) سورة التوبة آية (٥٤).

(٣) إرشاد الساري (٢/٣٠).

(٤) فتح الباري (٤/٢٢).

(٥) شرح مسلم (٥/١٥٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٧) في أبواب الجماعة، باب وجوب الجماعة

عليهم بيوتهم» قال ابن حجر في الفتح[1] : المعنى : أخالف الفعل الذي أظهرت من إقامة الصلاة وأتركه وأسير إليهم أو أخالف ظنهم في أني مشغول بالصلاة عن قصدي إليهم، أو معنى أخالف أتخلف أي: عن الصلاة إلى قصدي المذكورين، والتقييد بالرجال يخرج النساء والصبيان اهـ. قوله: «**ثم آخذ شعلاً من نار**» قال القسطلاني[2]: بضم الشين المعجمة وفتح العين ـ شعلاً والنصب مفعول آخذ المنصوب عطفًا على آمر. اهـ. وقوله: «**فأحرق**» قال ابن حجر[1] : بالتشديد والمراد به التكثير يقال: حرقه إذا بالغ في تحريقه. اهـ قوله: «**على من لا يخرج إلى الصلاة بعد**» ، وفي رواية[3] البخاري: «**فأحرق عليهم**» قال ابن حجر[1] : قوله عليهم: يشعر بأن العقوبة ليست قاصرة على المال بل المراد تحريق المقصودين والبيوت تبعًا للقاطنين بها. اهـ. وقوله: «**بعد**» قال القسطلاني[2]: نقيض قبل مبنى على الضم أي بعد أن يسمع النداء إلى الصلاة. اهـ. والله أعلم. قال ابن حجر[4] : وفيه الإشارة إلى ذم المتخلفين عن الصلاة وتقديم الوعيد والتهديد على العقوبة، وسره أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأعلى من العقوبة، نبه عليه ابن دقيق العيد، وفيه جواز أخذ أهل الجرائم على غرة لأنه ﷺ هم بذلك في الوقت الذي عهد منه فيه الاشتغال بالصلاة بالجماعة فأراد أن يبغتهم في الوقت الذي يتحققون أنه لا يطرقهم فيه أحد، وفي السياق إشعار بأنه تقدم منه زجرهم عن التخلف بالقول حتى استحقوا التهديد بالفعل، وفي قوله في رواية أبي داود[5] : «**ليست بهم علة**» دلالة على أن الأعذار تبيح التخلف عن الجماعة اهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٤/٧).

(٢) إرشاد الساري (٢٠١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٧) في الصلاة، باب وجوب الجماعة (ح٦٤٤).

(٤) فتح الباري (٤/٨).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢/٢٥٣) في الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة ، (ح٥٤٥ص).

الفصل الخامس
التَّحْذِيرُ مِنْ مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ وَنَبْذِهَا

مبحث: من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها

٥١٨ ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**».

---

[٥١٨] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/١٠٦) في أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، (ح٣٣٣٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١١/٢٣٨) في القسامة، باب إثم من سن القتل (ح١٦٧٧).

وأخرجه أحمد في المسند (١/٣٨٣، ٤٣٠).

قوله: «كفل» بالكسر الحظ والنصيب اهـ. نهاية (٤/١٩٢).

المعنى

يخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**» أي: أن قابيل هو أول قاتل لأخيه ظلمًا فكل قاتل ظلمًا متبع لقابيل في ظلمه فقابيل قد سن ذلك فيحمل وزره ووزر من اتبعه إلى يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿**ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون**﴾[1] ومن الحديث: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه** =

---

(١) سورة النحل آية (٢٥).

= **وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[1] والأولى حسنة لأنه أحيا سنة لنبينا ﷺ كانت قد سترت والثانية : سيئة لأنه ابتدعها من غير أصل شرعي لها. قال النووي[2] : الكفل بكسر الكاف الجزء والنصيب وقال الخليل: هو الضعف، قال: وهذا الحديث من قواعد الإسلام. وهو أن كل من ابتدع شيئًا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئًا من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة وهو موافق للحديث الصحيح: **«من سن سنة حسنة ، ومن سن سنة سيئة»**[1] وللحديث الصحيح[3] : **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»** وللحديث الصحيح: **«ما من داع يدعو إلى هدى وما من داع يدعو إلى ضلالة»** والله أعلم اهـ. قلت: ولفظه[4] عن رسول الله ﷺ قال: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم، ومن دعا إلى ضلالة فعليه من الإثم . . .»** الحديث وقال الكرماني[5] : **«الكفل»** النصيب والمراد به قابيل حيث قتل هابيل وهو أول مقتول على وجه الأرض، قلت: هذا جزاء التأسيس وهو فعل نفسه اهـ. قال الحافظ: واختلف في اسم القاتل فالمشهور قابيل بوزن المقتول لكن أوله هاء، ولم يصح على شرطه ـ أي البخاري ـ شيء من قصتهما وفيما قصه الله علينا في القرآن من ذلك كفاية عن غيره اهـ. قال الله تعالى: ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب** =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الزكاة، باب الحث على الصدقة ... إلخ (ح٦٩/١٠١٧)، (ج٧/١٤٤)

(٢) شرح مسلم (١١/٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣/٥٨) في الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره... ح(١٣٣/١٨٩٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/٧٥) في المقدمة باب من سن سنة حسنة أو سيئة (ح٢٠٦ص).

(٥) شرح الكرماني (١٣/٢٣٠).

مبحث : إثم من كذب على النبي ﷺ

٥١٩ ـ عن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار**».

٥٢٠ ـ وعن أنس قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن النبي ﷺ قال: «**من تعمد علي كذبًا فليتبوأ مقعده من النار**».

= **العالمين(٢٨) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين (٣١) من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾** الآيات من سورة المائدة.

مبحث : إثم من كذب على النبي ﷺ

[٥١٩] أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٤/١) كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ.

[٥٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٦/١) كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ.

المعنى العام

قال الله تعالى: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾[1] وقال عز وجل: ﴿**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي** =

---

(١) سورة النحل آية (١٠٢).

= يوحى.. ﴾(1) فما تكلم رسول الله ﷺ إلا بالحق وما تحرك إلا بالحق وما أشار إلا بالحق حتى في منامه يرى الحق حتى في مزاحه فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لا أقول إلا حقًا» قال من حوله: إنك تداعبنا يا رسول الله قال: «إني لا أقول إلا حقًا»(2) ﷺ وقد كان عبد الله بن عمرو يكتب كل شيء يسمعه منه ﷺ يريد حفظه قال: فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك إلى رسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلي فيه فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق»(3) وأشار إلى لسانه ﷺ فطالما كان ذلك كذلك، فلا يَحِلُّ لأحد كائنًا من كان أن يتقول عليه ﷺ ولو مازحًا ولو زعم أن نيته حسنة ولو على ما قال بعض المبطلين أنه: لصالح الشرع. وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كلامًا طيبًا في ذلك: فقال: وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته ، ومادروا أن تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية(4) حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب وما ورد في القرآن والسنة. واحتج بأنه كذب له لا عليه: وهو جهل باللغة العربية. وتمسك بعضهم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت. وهي ما أخرجه البزار من حديث ابن مسعود بلفظ: «من كذب علي ليضل الناس» والمعنى أن مآل أمره إلى الإضلال ـ أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى: ﴿ لا تأكلوا =

---

(1) سورة النجم آية (3، 4) .

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (8/305) (ح8706) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(3) أخرجه أبو داود في سننه (10/79) في العلم، باب كتابة العلم، (ح3629).

(4) الكرامية : قوم من المبتدعة نسبوا إلى محمد بن كرّام ـ بتشديد الراء ـ السجستاني المتكلم جوزوا الوضع في الترغيب والترهيب دون ما يتعلق به حكم من الثواب والعاقاب(1042). اهـ تدريب الراوي (1/283) .

= الربا أضعافًا﴾[1] ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾[2] فإن قتل الأولاد ومضاعفة الربا والإضلال في هذه الآيات إنما هو لتأكيد الأمر فيها لا لاختصاص الحكم. اهـ فمن كذب متعمدًا فقد دعا عليه النبي ﷺ بأن يتخذ منزلاً في النار أي بوأه الله ذلك. قال ابن حجر[3] : فليتبوأ أي: فليتخذ لنفسه منزلاً يقال: تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا أو بمعنى التهديد أو بمعنى التهكم ودعاء على فاعل ذلك أي: بوأه الله ذلك. ثم قال وأولها أولاها. اهـ . بل هناك رواية تصرح بذلك ففيها «**الذي يكذب علي يبني له بيت في النار**»[4] وقد خاف بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كأنس رضي الله عنه من مجرد الكثرة في التحديث ولو كان صدقًا خوفًا من الخطأ فإنه يدخل في معنى من معاني الكذب. قال ابن حجر[3]: الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أم خطأ والمخطئ وإن كان غير مأثوم بالإجماع لكن يخشى من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر، لأنه وإن لم يأثم بالخطأ لكن قد يأثم بالإكثار إذ الإكثار مظنة الخطأ، والثقة إذا حدث بالخطأ فحمل عنه وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سببًا للعمل بما لم يقله الشارع فمن خشى من الإكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعمد الإكثار فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث اهـ. فاللهم قنا عذاب النار وما يؤدي إليها يا عزيز يا غفار. والله أعلم.

تنبيه : والوضع حرام قال النووي: والواضعون أقسام أعظمهم ضررًا قوم ينسبون إلى الزهد وضعوه حسبة في زعمهم فقبلت موضوعاتهم ثقة بهم، قال السيوطي: أي =

(١) سورة آل عمران آية (١٣٠).

(٢) سورة الأنعام آية (١٥١).

(٣) فتح الباري (١/٢٠٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٢، ١٠٣) وأخرجه هناد بن السري في زهده (٢/٦٣٨) (ح١٣٨٦) باب الصدق والكذب واللفظ له.

مبحث: البخيل كل البخل من بخل بالصلاة على سيد ولد آدم ﷺ

٥٢١ ـ عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي**».

= احتساباً للأجر عند الله في زعمهم الفاسد، فقبلت موضوعاتهم ثقة بهم وركوناً إليهم لما نسبوا إليه من الزهد والصلاح[1] اهـ. والله أعلم.

مبحث: البخيل كل البخل من بخل بالصلاة على سيد ولد آدم ﷺ

[٥٢١] أخرجه الترمذي في سننه (٥٣١/٩) في الدعوات (ح٣٦١٤) وقال: حسن غريب صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٢٠١/١).

المعنى

يخبرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي**» أي: البخيل الحقيقي كامل البخل هو الذي يسمع إسمي أو لقبي أو كنيتي فلا يصلي علي وقد نجاه الله به ﷺ من الظلمات إلى النور ومن النار إلى الجنة إن شاء الله تعالى إن ثبت على الإستقامة حتى لقاء الله تعالى وقد جاءه بالروح التي يحيا بها والنور الذي يضيء له قال تعالى: ﴿**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**﴾[2] وقال الله عز وجل: =

(١) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي (٢٨١/١، ٢٨٢).

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٥، ٤٦).

= ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾[1] قال في التحفة[2]: قوله: «البخيل» أي: الكامل في البخل الذي من قال الطيبي: الموصول الثاني مقحم بين الموصول الأول وصلته تأكيداً اهـ. الموصول الأول «الذي» والموصول الثاني «من» والصلة «ذكرت» والعائد الضمير المجرور المضاف للظرف في «عنده» قال في التحفة[2]: أي ذكر اسمي بمسمع منه «فلم يصل على» لأنه بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشراً إذا هو صلى واحدة. قال المناوي: وقال القاري: فمن لم يصل عليه فقد بخل ومنع نفسه من أن يكتال بالمكيال الأوفى فلا يكون أحد أبخل منه كما تدل عليه رواية: «البخيل كل البخل» اهـ. بلفظ مرفوع إلى النبي ﷺ أنه قال: «البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي» ﷺ[3] لكن ليس فيه لفظ «كل البخل» والله أعلم.

(١) سورة الشورى آية (٥٢).

(٢) تحفة الأحوذي (٥٣١/٩، ٥٣٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٠١/١) من حديث الحسين مرفوعاً.

مبحث: إنما يعترض على أمر النبي ﷺ من في قلبه جزع وهلع

٥٢٢ ـ عن عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو بشيء فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أمَّا بَعْد، فَوَاللهِ إني لأُعْطي الرجلَ وأَدَعُ الرَّجُلَ، والذي أَدَعُ أحبُّ إليَّ من الذي أعطي ولكن أعطي أقواماً لما أرَى في قُلُوبِهِمْ من الجَزَعِ والهَلَعِ، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل اللهُ في قلوبهم من الغنَى والخَيْرِ**» فيهم عمرو بن تغلب «فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ».

---

[٥٢٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٦٦)، في الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، (ح٩٢٣).

أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٣٦) في فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم.. (ح٣/٤٥).

قوله: «عتبوا» الاسم المعتبة والكسر من الموجدة والغضب. اهـ نهاية (٣/١٧٥).

قوله: «الجزع»: الحزن والخوف. اهـ نهاية (١/٢٦٩) والهلع: أشد الجزع والضجر اهـ. نهاية (٥/٢٦٩).

قوله: «حمر النعم» بفتحتين أي: الإبل وحمرها أفضلها والنعم الإبل خاصة وإذا قيل الأنعام دخلت معها البقر والغنم اهـ. هدي الساري مقدمة فتح الباري (١/٩٧).

المعنى العام

إذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبد خيراً عمر قلبه بالإيمان رضي بذلك وقنع به فلا يغيره ما فاته من لذات الدنيا وشهواتها فيشعر صاحبه بأنه من أغنى الناس بما تفضل الله تعالى عليه به، وهذا الذي أحبه رسول الله ﷺ في هذا الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ أتى بمال فقسمه بين الناس وترك ناساً منهم عمرو بن تغلب فبلغ النبي ﷺ أن =

= الذين تركوا عتبوا وغضبوا فحمد الله النبي ﷺ وأثنى عليه سبحانه ثم خطبهم مبينًا سبب ذلك أنه ﷺ يعطي رجالاً من المال ويترك رجالاً فلا يعطيهم لما يرى، قال القسطلاني[1] : يعني في قوله: «أعطي أقوامًا لما أرى» من نظر القلب لا من نظر العين لما يشعر به ﷺ في قلوبهم من الحزن والخوف والضجر وهو الجزع والهلع، أخبر ﷺ أنه يترك أقوامًا لا يعطيهم لما جعل الله في قلوبهم من غنى النفس، قال القسطلاني: في قوله: «**وأكل أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى**» النفسي «والخير» الجبلي الداعي إلى الصبر والتعفف عن المسألة والشرة، قال عمرو: «فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم» قال الباء في «بكلمة» للبدل وتسمى باء المقابلة أي: ما أحب أن لي بدل كلمته عليه الصلاة والسلام اهـ. وقال الحافظ[2] في الفتح : وقوله «بكلمة رسول الله ﷺ» أي: التي قالها في حقه وهي إدخاله إياه في أهل الخير والغنا. فالمعنى: لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلاً من الكلمة المذكورة التي لي اهـ. فما يحب عمرو أن يستبدل أحسن أنواع الإبل بكلمة رسول الله ﷺ فما أغلى كلام رسول الله ﷺ عند القلوب الحية الغنية والله أعلم.

ترجمة عمرو بن تَغلِب: هو النَمَري من النمر بن قاسط ويقال العبدي من جواني قرية من قرى البحرين له صحبة رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ تأخر إلى بعد الأربعين ـ أي بعد سنة ٤٠هـ وفاته اهـ تهذيب (٨/٨).

(١) إرشاد الساري (١٨٤/٢).

(٢) فتح الباري (٢٣٦/١٢).

مبحث: من لبس الذهب من الرجال فكأنما لبس جمرة من نار

٥٢٣ ـ عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**» فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ.

---

[٥٢٣] أخرجه مسلم في صحيحه (٦٥/١٤) في اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال.

المعنى

يخبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ «أنه رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل» أي: لابسه في إصبعه «فنزعه فطرحه» أي: أخذه رسول الله ﷺ من إصبع الرجل فألقاه على الأرض استحقارًا للمنكر وغضبًا لله تعالى. قال النووي[١]: فيه إزالة المنكر باليد لمن قدر عليها اهـ. «وقال»: أي رسول الله ﷺ: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**» أي: أيقصد أحدكم إلى جمرة نار فيلبسها فتحرقه ويعذب بها، فقد شبه خاتم الذهب في يد الرجل بارتدائه الجمرة لأنه إن لم يخلعه يؤول به إلى الجمر الحقيقي يوم القيامة والعياذ بالله عز وجل فقد شبه السبب بالمسبب. قال النووي[١]: فيه تصريح بأن النهي عن خاتم الذهب للتحريم قال: أجمع المسلمون على إباحة خاتم الذهب للنساء وأجمعوا على تحريمه للرجال قال أصحابنا ويحرم سن الخاتم إذا كان ذهبًا وإن كان باقيه فضه، وكذا لو موه خاتم الفضة بالذهب فهو حرام اهـ. قوله: «فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به» أي: بعدما قال رسول الله ﷺ حديثه الشريف في النهي عن خاتم الذهب للرجل والتحذير منه ومضى قيل لصاحب الخاتم خذ الخاتم المنبوذ، فبدلاً من

---

(١) شرح مسلم (٦٥/١٤، ٦٦).

مبحث : من أعظم الناس جرمًا

٥٢٤ ـ عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته**».

= تركه بلا انتفاع حيث ألقاه رسول الله ﷺ فانتفع به بما ليس بمحرم منه كبيعه مثلاً لمن يجوز له لبسه لكن إيمان الرجل راسخ قوي عال زاد عن مجرد الطاعة إلى التوقير والحرمة والورع والإجلال لشخص رسول الله ﷺ، فكيف يلقيه ﷺ ثم هو يتناول منبوذًا منه فلذلك قال: «لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ». قال الله عز وجل: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**﴾[1] قال النووي[2]: وأما قول صاحب الخاتم حين قالوا له خذه: لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ ففيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة ثم إن هذا الرجل إنما ترك الخاتم على سبيل الإباحة لمن أراد أخذه من الفقراء وغيرهم وحينئذ يجوز أخذه لمن شاء فإذا أخذه جاز تصرفه فيه ولو كان صاحبه أخذه لم يحرم عليه الأخذ والتصرف فيه بالبيع وغيره ولكنه تورع عن أخذه اهـ. والله أعلم.

مبحث : من أعظم الناس جرمًا

[٥٢٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١٥/١١٠) في الفضائل، باب توقيره ﷺ.

قوله: «جرمًا» الجُرْم: الذنب اهـ. نهاية (١/٢٦٢).

المعنى

يخبر سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا** » أي: أكثر المسلمين وأشدهم ذنبًا قد ارتكب في حق إخوانه =

---

(١) سورة النور آية (٥١).

(٢) شرح مسلم ١٤٠/٦٥، ٦٦.

= المسلمين هو «**من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته**» أي: هو من كثرة سؤاله وتتبعه للمستورات والمسكوت عنه وخبايا الأمور والواضح والمعفو عنه، فما يزال حتى تحرم أشياء مسكوت عنها بسبب سؤاله قال الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين**﴾[1] قال النووي[2] : الصواب الذي قاله الخطابي وصاحب التحرير وجماهير العلماء في شرح الحديث أن المراد بالجرم هنا الإثم والذنب، قالوا: ويقال منه جرم بالفتح واجترم إذا أثم ، قال الخطابي وغيره: هذا الحديث فيمن سأل تكلفًا أو تعنتًا فيما لا حاجة به إليه فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه ولا عتب لقوله تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر**﴾[3] قال صاحب التحرير وغيره فيه دليل على أن من عمل ما فيه إضرار بغيره كان آثمًا اهـ. والله أعلم.

(١) سورة المائدة آية (١٠١ ، ١٠٢).

(٢) شرح مسلم (١٥/١١٠).

(٣) سورة الأنبياء آية (٧) والنحل آية (٤٣).

مبحث: إذا جلس القوم مجلسًا
لم يذكروا الله فيه كان عليهم حسرة

٥٢٥ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**».

[٥٢٥] أخرجه الترمذي في سننه (٩/٣٢٢) في الدعوات، باب ما جاء يجلسون ولا يذكرون الله (ح٣٤٤٠) وقال: هذا حديث حسن.

قوله: «تِرَة» النقص وقيل التبعة والتاء فيه عوض من الواو المحذوفة مثل وعدته عدة اهـ. نهاية (١/١٨٩).

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة**» أي: ما من قوم جلسوا مجلسًا في مكان ما في وقت ما صغيرًا أو كبيرًا طويلاً أو قصيرًا وفَاتَهُم فيه ذكرُ الله عز وجل والصلاةُ على النبي ﷺ إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة حيث يجدون مكانه خاليًا من الحسنات فضلاً عن السيئات التي ارتكبوها إن اجتمع مع خلاء مجلسهم من الذكر الخوض في الباطل فلا حسنات ولا تكفير للسيئات لذلك فهم معرضون للعذاب ويرجى لهم المغفرة لذلك قال ﷺ: «**فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**» قال الله تعالى: ﴿**ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا**﴾[1] قال صاحب التحفة[2]: قوله: «**ولم يصلوا على نبيهم**» تخصيص بعد تعميم «**إلا كان**» أي ذلك المجلس «**عليهم ترة**» بكسر التاء وتخفيف الراء أي: تبعة ومعاتبة أو نقصانًا وحسرة «**فإن شاء عذبهم**» أي: بذنوبهم السابقة وتقصيراتهم اللاحقة «**وإن شاء غفر لهم**» أي: فضلاً منه ورحمة وفيه إيماء بأنهم إذا ذكروا الله لم يعذبهم حتمًا بل يغفر لهم جزمًا اهـ. والله أعلم.

(١) سورة الإسراء آية (٥٤).
(٢) تحفة الأحوذي (٩/٣٢٢).

الفصل السادس
تَحْرِيمُ الشِّرْكِ والرِّيَاءِ والسُّمْعَة

مبحث: «أقبح الذنوب»

٥٢٦ ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك أجل أن يطعم معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**».

---

[٥٢٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٧/٢٥) في المحاربين، باب إثم الزناه، (ح٦٨١١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٩/٢) في الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده.

وأخرجه أحمد في المسند (٤٣٤/١).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٩/٢٨) في التوحيد، (ح٧٥٢٠)، باب قول الله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾.

المعنى

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله: أي الذنب أعظم» وعند مسلم «أي الذنب أعظم عند الله» أي: أي الذنوب أعظم إثمًا وإغضابًا لله عز وجل يستحق صاحبه أشد العقوبات فأخبره بالأشد فالأشد فأقبحها الشرك ثم قتل الولد ثم الزنا خاصة بحليلة الجار قوله: «**قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قال ابن الأثير[1]: ند بالكسر وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده: أي يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله اهـ. فمن عبد غير الله تعالى من شجر =

---

(١) النهاية لابن الأثير (٣٥/٥).

= وحجر ونبي وولي وصديق ودرهم ودينار ودنيا وهوى وإطاعة دون الله تعالى أو ركع وسجد له فهذا أعظم الذنب فالله خلق ورزق وأنعم وسوى ، وهدى، وأحيا وأمات وقضى وعلم، فمن عبد دونه فهذا أعظم الظلم فكيف يستحق عبادة من لم يأت بشيء مما ذكر فضلاً عن كلها لذلك قال تعالى معدداً النعم ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾[1] وذكر تعالى عن لقمان أنه قال لابنه ﴿ **يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾[2] قوله: « قلت ثم أي» أي : ثم أي الذنب أعظم بعد الشرك قوله ﷺ: «**أن تقتل ولدك أجل أن يطعم معك**» وعند مسلم: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» كما قال تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً** ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم...** ﴾ الآية[4] قال الحافظ[5] : قوله: «**أجل أن يطعم معك**» بفتح اللام أي: من أجل فحذف الجار فانتصب وذكر الأكل لأنه كان الأغلب من حال العرب» اهـ وقال النووي : وقوله ﷺ: «**مخافة أن يطعم معك**» هو بفتح الياء: أي يأكل، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾[3] أي: فقر. اهـ. قوله: «قلت ثم أي؟» قال: «**أن تزاني حليلة جارك**» قال النووي[6] : هي بالحاء المهملة وهي زوجته سميت بذلك لكونها تحل له وقيل لكونها تحل معه ومعنى تزاني بها برضاها وذلك يتضمن الزنا وإفسادها على زوجها واستمالة قلبها إلى الزاني وذلك أفحش وهو مع امرأة الجار أشد قبحًا وأعظم جرمًا لأن الجار يتوقع من جاره البعد عنه وعن حريمه ويأمن بوائقه وقد أمر بإكرامه والإحسان إليه فإذا قابل هذا =

---

(١) سورة إبراهيم آية (٣٤).

(٢) سورة لقمان آية (١٣).

(٣) سورة الإسراء آية (٣١).

(٤) سورة الأنعام آية (١٥١).

(٥) فتح الباري (٢٥٩/٢٥).

(٦) شرح مسلم (٨٠/٢، ٨١).

= كله بالزنا بامرأته وإفسادها عليه كان في غاية القبح اهـ زاد مسلم: «**فأنزل الله عز وجل تصديقها** ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها ءاخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما**﴾[1] قال النووي[2]: وقوله تعالى: ﴿**يلق أثاما**﴾ قيل معناه: جزاء إثمه أما أحكام هذا الحديث ففيه أن أكبر المعاصي الشرك وهذا ظاهر لا خفاء فيه وأن القتل بغير حق يليه ثم ذكر بقية الكبائر وأنها إذا قيل عنها أكبر الكبائر فمعناه من أكبر الكبائر اهـ. والله أعلم.

(١) سورة الفرقان آية (٦٨).

(٢) شرح مسلم (٢/ ٨٠، ٨١).

مبحث: الرجل يعمل من غير إخلاص يكون في النار والعياذ بالله تعالى

٥٢٧ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: الْتَقَى النَّبِيُّ ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فَمَالَ كُلٌّ قوم إلى عَسْكَرِهِمْ وفي المسلمين رجلٌ لا يَدَعُ مِنِ المشركين شَاذَّةً ولا فَاذَّةً إلا اتَّبَعَهَا فَضربها بِسَيْفِهِ، فقيل يا رسول الله: ما أجزأ أحَدٌ مَا أجزأ فُلانٌ، فقال: «إنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فقالوا: أيُّنَا من أهلِ الجنة إن كانَ هذا من أهلِ النارِ؟ فقال رجلٌ من القومِ: لأتَّبِعَنَّهُ فإذا أسرعَ وأبطأَ كُنْتُ معهُ حتى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الموتَ فوضع نِصَابَ سَيْفِهِ بالأرضِ وذُبَابَهُ بين ثَدْيَيْهِ ثم تَحَامَلَ عليه فقتل نَفْسَهَ، فجاء الرَّجُلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ الله فقال: «ومَا ذَاكَ؟» فأخبره فقال: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وإنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ويَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة**».

[٥٢٧] أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/٥١)، في المغازي، باب غزوة خيبر (ح٤٢٠٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٢٢، ١٢٣) في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٤/٣٣٠) في القدر باب العمل بالخواتيم، (٦٦٠٧).

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٤٦) في الجهاد، باب لا يقال فلان شهيد، (ح٢٨٩٨).

قوله: «شاذة، وفاذة» أما شاذة فقال ابن حجر: بتشديد المعجمة ما انفرد عن الجماعة وقيل الشاذ: الخارج والفاذ المنفرد اهـ. فتح (١٥/٥١). =

= قوله: « ذبابه » قال النووي: ذبابه بضم الذال وتخفيف الباء الموحدة المكررة وهو طرفه الأسفل وأما طرفه الأعلى فمقبضه اهـ. شرح مسلم (١٢٢/٢).

المعنى

قال الله عز وجل: ﴿**قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**﴾[١] وقال تعالى: ﴿**قل الله أعبد مخلصاً له ديني**﴾[١] وقال عز وجل: ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى**﴾[٢] فلا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان صحيحاً على هدى النبي ﷺ ولوجهه خالصاً قال تعالى: ﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور**﴾[٣] والإخلاص عمل قلبي والجوارح خدام والقلب هو السلطان وهذا الحديث الشريف الذي أتكلم عنه إن شاء الله تعالى وبتوفيقه يبين لنا هذا الأمر الخطير الجلل فيقول سهل ابن سعد « **التقى النبي**ﷺ **والمشركون في بعض مغازيه**» اختلف فيها: هل هي خيبر؟ أم أحد؟ ولم يجزم الحافظ ابن حجر بإحداهما قوله: «**فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم**» وفي رواية مسلم: «**فلما مال رسول الله** ﷺ **إلى عسكره**» قال ابن حجر[٤]: أي رجع بعد فراغ القتال في ذلك اليوم اهـ. قوله: «**وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه**» أي: إن هناك رجلاً كان وسط المسلمين بجسده لا يترك من المشركين نسمة مجتمعة أو متفرقة إلا ضربها بسيفه، قال ابن حجر[٤]: الشاذة بتشديد المعجمة ما انفرد عن الجماعة وبالفاء مثله ما لم يختلط بهم ثم هما صفة لمحذوف أي نسمة والمعنى أنه لا يلقى شيئاً إلا قتله اهـ. قوله: فقيل يا رسول الله ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان» قال النووي[٥]: مهموز معناه =

(١) سورة الزمر آية (١١، ١٤).

(٢) سورة الليل آية (١٩، ٢٠، ٢١).

(٣) سورة لقمان آية (٢٢).

(٤) فتح الباري (٥١/١٦، ٥٢).

(٥) شرح مسلم (١٢٣/٢).

= وكفى أحد غناءه وكفايته اهـ. قوله: «**قال إنه من أهل النار**» وفي رواية مسلم: فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار» قوله: «فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هو من أهل النار» قال الحافظ ابن حجر[1] مفسراً برواية الطبراني: وفي حديث أكثم بن أبي الجون الخزاعي عند الطبراني، قال: قلنا يا رسول الله فلان يجزئ في القتال؟ قال: هو في النار، قلنا: يا رسول الله: إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟!! قال: «ذلك أخباث النفاق، قال: فكنا نتحفظ عليه في القتال» قوله: «فقال رجل من القوم: لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح» وفي رواية مسلم: تفسير لهذه ففيها «فقال رجل من القوم أنا صاحبه أبدًا قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحًا شديداً...» قوله: «فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض» أي: مقبضه وهو طرفه الأعلى كما قال النووي[2] معناه قوله: «وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه» قال النووي[2]: ذبابه بضم الذال وتخفيف الباء الموحدة المكررة وهو طرفه الأسفل وأما طرفه الأعلى فمقبضه. اهـ. قوله: «فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: «أشهد أنك رسول الله. فقال: **وما ذاك**؟ فأخبره» وذلك لأن النبي ﷺ لما أخبر أولاً أن الرجل من أهل النار مع ما قدمه من قتال شديد للمشركين ودفاع عن المسلمين كاد بعض المسلمين أن يرتاب حتى قال لأتبعنه أي لأرى ماذا يفعل وكيف عمله الذي أدى به إلى النار والعياذ بالله تعالى ففي رواية مسلم: فقال النبي ﷺ: «إلى النار» فكاد بعض المسلمين أن يرتاب» الحديث قوله: «**فقال: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة: فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**» وفي رواية مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا فقال ﷺ: «**الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ثم أمر بلالاً فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**» وقد فسرت رواية البخاري في القدر: أن العبرة =

(١) فتح الباري (١٦/٥١، ٥٢).

(٢) شرح مسلم (٢/١٢٣).

مبحث: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله

٥٢٨ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لعن الله من لعن والده ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض**».

= بالعمل الخاتم الأخير الذي يموت عليه العبد ففي آخرها قال ﷺ: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**» فاللهم أسألك حسن الخاتمة والخواتيم يا رب العرش العظيم لي ولوالدي ولمشرفي وللصالحين يا رب العالمين.

تنبيه: الشجاعة بلا إخلاص لا تكفي ولا تنفع صاحبها وكذلك الحمية وكذلك الشهرة إنما ينفع العمل الذي يبتغي به وجه الله عز وجل قال سبحانه: ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى**﴾[1] وقال أبو موسى رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[2].

مبحث: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله

[٥٢٨] أخرجه مسلم في صحيحه في الأضاحي (١٣/١٤١)، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

أخرجه النسائي في سننه (٧/٢٣٢) في الضحايا، باب من ذبح لغير الله عز وجل.

قوله: «لعن الله من آوى محدثًا» قال ابن الأثير، والمحدث: يروى بكسر الدال =

---

(١) سورة الليل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٢٩٠) في الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (ح٢٨١٠).

= وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر: من نصر جانيًا أو آواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح: هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضا به والصبر عليه ، فإذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه اهـ. نهاية (١/٣٥١).

المعنى

قال الله تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾[١] والله خلق الخلق وخلق منهم البشر وما يأكلون والأنعام وما يأكلون وأنعامهم فكيف تذبح لغيره وقد خلقهم وخلقها ورزقهم ورزقها قال تعالى: ﴿**أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبًا * وفاكهة وأبا * متاعًا لكم ولأنعامكم**﴾[٢] لذلك روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله من لعن والده**» وفي رواية مسلم أخرى بعد هذه: «**لعن الله من لعن والديه**» لأن الله تعالى قرن بعبادته برهما فقال تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**﴾[٣] قال النووي[٤] : أما لعن الوالد والوالدة فمن الكبائر اهـ. قوله: «**ولعن الله من ذبح لغير الله**» قال النووي: وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كافرًا ، فإن كان الذابح مسلمًا قبل=

(١) سورة الأنعام آية (١٦٢، ١٦٣).

(٢) سورة عبس آية (٢٥: ٣٢).

(٣) سورة الإسراء آية (٢٣).

(٤) شرح مسلم (١٣/١٤١).

= ذلك صار بالذبح مرتداً اهـ. قلت: ومثله للحسين رضي الله عنه والبدوي والدسوقي والغريب والأربعين وغيرهم رحمهم الله تعالى قوله: «**ولعن الله من آوى محدثًا**» قال النووي[1]: وأما المحدث بكسر الدال فهو من يأتي بفساد في الأرض اهـ. وقال ابن الأثير[2]: والمحدث: يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر، من نصر جانيًا أو آواه أو أجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، ومعنى الفتح: هو الأمر المبتدع نفسه ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والصبر عليه ، فإذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه اهـ. قوله: «**ولعن الله من غير منار الأرض**» قال النووي: والمراد بمنار الأرض بفتح الميم علامات حدودها اهـ. وقال السيوطي والسندي[3]: المنار جمع منارة بفتح الميم وهي العلامة تجعل بين الحدين. اهـ. يعني من زاد في أرض له علامة تخص أحداً من الناس أو نقص يعني أخذ من غيره بالنقص منه والزيادة في ملكه فهذا هو المتوعد في الحديث والله أعلم لذلك في رواية مسلم في نفس الباب «**ولعن الله من سرق منار الأرض**» قال ابن الأثير[4]: وفيه «**لعن الله من غير منار الأرض**» جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين، ومنار الحرم: أعلامه التي ضربها الخليل عليه السلام على أقطاره ونواحيه والميم زائدة. اهـ والله أعلم.

تنبيه: من وقع في شيء من تلك المحظورات فهو قد تعرض لسخط الله تعالى والطرد من رحمته والعياذ بالله تعالى فإن شاء عذبه سبحانه وتعالى بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله ورحمته فإن اللعن الطرد من الرحمة ، قال ابن الأثير في النهاية (٤/٢٥٥): وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء اهـ. والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم (١٣/١٤١).

(٢) النهاية (١/٣٥١).

(٣) شرح سنن النسائي الصغرى (٧/٢٣٢).

(٤) نهاية (٥/١٢٧).

مبحث: التحذير من الرياء والسمعة

٥٢٩ - عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ».

---

[٥٢٩] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠/٢٤) في الرقاق، باب الرياء والسمعة، (ح٦٤٩٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه (١١٦/١٨) في الزهد، باب تحريم الرياء.

قوله: « من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به » قال ابن حجر بفتح المهملة والميم الثقيلة والثانية مثلها يعني سمع ومن « يرائي » بضم التحتانية والمد وكسر الهمزة والثانية مثلها، قال الخطابي: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويظهر ما كان يبطنه . اهـ فتح (١٣١/٢٤).

المعنى

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1] وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء...﴾[2] الآية وفي هذا الحديث الشريف يقول فيه النبي ﷺ: «من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به » قال النووي[3] قال العلماء معناه: من رائى بعمله وسمعه الناس ليكرموه وعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة وفضحه وقيل معناه من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه وقيل أسمعه المكروه وقيل أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه وقيل من =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٦/١٨) في الزهد، باب من أشرك في عمله ... إلخ (ح٤٦/٢٩٨٥).

(٢) سورة النساء آية (٤٨، ١١٦).

(٣) شرح مسلم (١١٦/١٨).

مبحث: لعن زوارات القبور

٥٣٠ ـ عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ لعن زوارت القبور».

= أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه . اهـ وقال ابن حجر[1]: الرياء: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والسمعة المراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر. اهـ. ثم قال وقيل معنى «سمع الله به» شهره وملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة. قال[1] وفي الحديث: استحباب العمل الصالح لكن يستحب إظهاره ممن يقتدي به على إرادته الاقتداء به ويقدر ذلك بقدر الحاجة ثم قال من كان بخلاف ذلك فالإخفاء في حقه أفضل ثم قال وعلى ذلك جرى عمل السلف فمن الأول عن جابر أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله ﷺ: «فإنه أواه»[2] ومن الثاني: حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قام رجل يصلي فجهر بالقراءة فقال له النبي ﷺ: «لا تسمعني واسمع ربك» أخرجه أحمد وسنده حسن. اهـ قلت: وهو عند البيهقي بلفظ أبي هريرة أن عبد الله بن حذافة صلى فجهر بالقراءة فقال له رسول الله ﷺ: «يا ابن حذافة لا تسمعني واسمع الله عز وجل»[3] والله أعلم.

مبحث: لعن زوارات القبور

[٥٣٠] أخرجه الترمذي في سننه (٤/١٦٠) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء (ح١٠٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المعنى

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «أنه لعن زوارات القبور» أي: دعا على كثيرات الزيارة للقبور بالطرد من رحمة الله عز وجل فيخسروا الدنيا =

(١) فتح الباري (٢٤/١٣٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٣٦٨/٥٢٢) في الجنائز، (ح١٣٦١/٩٧) وسكتا عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٢/١٦٢/ ٢٣٢) في الصلاة، باب من قال لا يقرأ خلف الإمام.

= والآخرة والعياذ بالله تعالى حيث التقصير في حق الزوج والتبرج والاختلاط والجزع والفتنة وغير ذلك مما يترتب على كثرة خروج النساء من بيوتهن قال تعالى: ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وءاتين الزكاة وأطعن الله ورسوله** ﴾[1] قال صاحب التحفة[2] : قوله: «لعن الله زوارات القبور» قال القاري لعل المراد كثيرات الزيارة وقال القرطبي: هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج، وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك، فقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء اهـ. قال الشوكاني: هذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر اهـ. والله أعلم.

(١) سورة الأحزاب آية (٣٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٤/١٦٠).

مبحث : أبغض الناس إلى الله تعالى

٥٣١ ـ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أَبْغَضُ الناس إلى الله ثلاثة : مُلْحِدٌ في الحرم، ومُبْتَغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِب دَمِ امرئٍ بغير حق ليُهْرِيقَ دمه**».

٥٣٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**أَبْغَضُ الرجالِ إلى اللهِ الألَدُّ الخَصِمْ**».

---

[٥٣١] أخرجه البخاري في صحيحه (٣١/٢٦) في الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق (ح٦٨٨٢).

[٥٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٠/٢٧) في الأحكام، باب الألد الخصم، (ح٧١٨٨).

وأخرجه مسلم في صحيحه (٣٣٥/١٦) في العلم، باب في الألد الخصم، (ح٢٦٦٨).

وأخرجه أحمد في « المسند » (٥٥/٦، ٦٣) بلفظه.

قوله: «ملحد» قال ابن الأثير: أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء اهـ. نهاية (٢٣٦/٤).

قوله: « الألد الخصم» الألد: الأعوج، والخصم: الدائم في الخصومة اهـ. الإمام البخاري في الأحكام (٢١٠/٢٧)، باب الألد الخصم.

المعنى

يخبر ابن عباس رضي الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة**» أي: منهم ثلاثة والثلاثة ليس للحصر ففي الحديث الذي بعده ذكر رابع قوله: «**ملحد في الحرم**» أي: حرم الله عز وجل بمكة المكرمة والمدينة المنورة شرفهما الله عز وجل نظرًا لحب الله تعالى لهما وتعظيم النبي ﷺ لهما فمن تجرأ على تلك الحرمة =

= بالمعصية فهو مبغوض أشد البغض عند الله عز وجل في الدنيا والآخرة، قال الحافظ[1]: أصل الملحد هو المائل عن الحق والإلحاد العدول عن القصد، وقيل إيراده بالجملة الإسمية مشعر بثبوت الصفة ثم التنكير للتعظيم فيكون ذلك إشارة إلى عظيم الذنب اهـ. قوله: «**ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**» أي: ثاني المبغضين أشد البغض عند الله تعالى من طلب أعمال الجاهلية يقيمها ويظهرها ويعملها ويبثها بعد الإسلام ونوره، سواء قتل نفس بغير حق أو شرك أو كبيرة أو معصية ما كانت تعمل في الجاهلية فمحاها الإسلام وهدمها فمن أراد إرجاعها فهذا من أبغض الناس عند الله عز وجل والعياذ بالله تعالى قال الحافظ[1]: قوله: ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية : أي يكون له حق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده أو ولده أو قريبه، وقيل أن من يريد سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها، وسنة الجاهلية اسم جنس يعم ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه كالطيرة والكهانة وغير ذلك اهـ. قوله: «**ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**» هذا يشبه ما قبله فقد كانوا في الجاهلية يقتلون الرجل بدلاً من الرجل سواء كان يستحق قصاصًا أم لا، قال الحافظ[1]: قوله: «ومطلب» بالتشديد مفتعل من الطلب فابتدلت التاء طاء وأدغمت ، والمراد من يبالغ في الطلب، وقال الكرماني: المعنى المتكلف للطلب أو ذكر الطلب ليلزم الزجر في الفعل بطريق الأولى اهـ. قال الحافظ[1]: وقوله: «**بغير حق**» احتراز عمن يقع له مثل ذلك لكن بحق كطلب القصاص مثلاً اهـ. وكذلك في الحديث الثاني يبين نبينا ﷺ نوعًا من أبغض الرجال أيضًا إلى الله عز وجل الأعوج عن الحق المائل عنه إلى الباطل الشديد الخصومة بالباطل قال النووي[2] : قوله ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**» هو بفتح الخاء وكسر =

---

(١) فتح الباري (٢٦/٣١، ٣٢).

(٢) شرح مسلم (١٦/٣٣٥).

= الصاد والألد شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر وأما «الخصم» فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع الحق وإثبات الباطل والله أعلم. اهـ قال الحافظ[1] : وقوله أبغض الرجال... إلخ قال الكرماني: الأبغض هو الكافر ، فمعنى الحديث أبغض الرجال الكفار والكافر المعاند أو بعض الرجال المخاصمين، قلت: والثاني هو المعتمد وهو أعم من أن يكون كافراً أو مسلماً ، فإن كان كافراً فأفعل التفضيل في حقيقة على حقيقتها في العموم وإن كان مسلماً فسبب البغض أن كثرة المخاصمة تفضي غالبًا إلى ما يذم صاحبه أو يخص في حق المسلمين بمن خاصم بالباطل اهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢٧/٢١٠).

الفصل السابع
تَحْرِيمُ التَّشَبُّه بالكفّار فيمَا كانَ من خَصَائصِهِمْ وَفيمَا كانَ مُخَالفًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ

مبحث: نقض الصليب وهتكه من الدين

٥٣٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه.

---

[٥٣٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/١٥٨، ١٥٩) في اللباس، باب نقض الصور، (ح٥٩٥٢).

وأخرجه أبو داود في سننه (١١/٢٠٧) في اللباس، باب ما جاء في الصليب في الثوب.

وأخرجه أحمد في المسند (٦/٥٢، ٢٣٧).

قوله: «نقضه» أي: هدمه وأزاله اهـ. بتصرف نهاية (٥/١٠٧).

المعنى

تخبرنا عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله حتى شيء لا يضر ولا ينفع من شعار الكفار ما أحبه وما أراد أن يبقى على هيئته ليعلم الناس أنه حتى الشعار الذي يناقض الإسلام لابد من نقضه ولو كان تافهًا فذلك عند الله عظيم. فكيف بمن يرتدي زيهم ويتكلم كلامهم ويتشبه بهم حتى في أموره الخاصة! فاللهم سلم سلم قال الله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا =

مبحث: قول النبي ﷺ:
«من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال»

٥٣٤ ـ عن ثابت بن الضحاك ـ وكان من أصحاب الشجرة ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّة. غير الإسْلام كَاذبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وليسَ على ابنِ آدمَ نذرٌ فيمَا لا يَمْلكُ، ومن قتلَ نفسَهُ بشيءٍ في الدنيَا عُذِّب به يومَ القِيَامَةِ، ومن لَعَنَ مُؤْمنًا فهو كَقَتْلِه، ومن قَذَفَ بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْله»**.

= حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك...﴾ الآية[1] قال الحافظ[2]: والقضب هو القطع لأن الصليب مما عبد من دون الله اهـ. وفي رواية أبي داود: «إلا قضبه» قال في العون[3]: بالقاف والضاد المعجمة والموحدة أي قطعه وأزاله وفي رواية البخاري: «نقضه» مكان «قضبه» والمراد من تصليب ما فيه صورة الصليب وقيل بل المراد مطلق التصاوير كما في رواية والله أعلم. اهـ والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ:
«من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال»

[٥٣٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٢٥٤) في الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، (ح٦٠٤٧).

وأخرجه البخاري في صحيحه أيضًا في الأيمان والنذور سوى ذكر النذر في باب من حلف بملة سوى ملة الإسلام (٢٥/٢٨)، (ح٦٦٥٢).

قوله: «قذف»: القذف: رمى المرأة بالزنا أو ما كان في معناه. وأصله الرمي ثم =

---

(١) سورة الممتحنة آية (٤).

(٢) فتح الباري (٢٢/١٥٩).

(٣) عون المعبود (١١/٢٠٧).

= استعمل في هذا المعنى حتى غلب عليه اهـ. نهاية (٤/٢٩).

قوله: « ملة » بكسر الميم وتشديد اللام: الدين والشريعة وهي نكرة في سياق الشرط فتعم جميع الملل اهـ. فتح (٢٥/٢٨).

المعنى العام

قال الله عز وجل: ﴿ **ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[1] فلا يحل لنا أن نرغب عن دين رضيه لنا أحكم الحاكمين عز وجل ولو بالإشارة ولو ظاهراً ولو بالميل قال تعالى: ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً** ﴾[2] فلذلك حذر رسول الله ﷺ من حتى الحلف بملة غير الإسلام فقال ﷺ: «**من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال**» وفي رواية لمسلم عن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بملة سوى الإسلام كاذبًا فهو كما قال**»[3] قال الحافظ ابن حجر[4] : قال عياض: تفرد بزيادتها سفيان وهي زيادة حسنة، يستفاد منها أن الحالف المتعمد إن كان مطمئن القلب بالإيمان وهو كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه لم يكفر، وإن قال، معتقداً لليمين بتلك الملة لكونها حقاً كفر، وإن قالها لمجرد التعظيم لها احتمل. اهـ. قلت والأخير فيه نظر حيث أنه طالما حلف معظمًا الملة غير المسلمة عند حلفه بها سواء اعتقد التعظيم أم لم يعتقد فهو كفر لمجرد التعظيم فلا تعظيم إلا للإسلام . قوله: «**وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك**» وقد ذكر الحافظ سبب حديث النهي عن النذر فيما لا يملك الإنسان فذكر الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عمران بن حصين في قصة المرأة التي كانت أسيرة فهربت على ناقة للنبي ﷺ فإن الذين أسروا المرأة انتهبوها فنذرت إن سلمت =

(١) سورة المائدة آية (٣).

(٢) سورة الإسراء آية (٧٤، ٧٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٥٩) في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (ح١٧٧) من حديث ثابت بن الضاد مرفوعًا.

(٤) فتح الباري (٢٥/٣٠) شرح (٦٦٥٢).

= أن تنحرها فقال النبي ﷺ: «**لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد**»[1] قال الحافظ[2] ابن حجر رحمه الله تعالى: فإذا ثبت نفي النذر في المعصية التحق به النذر فيما لا يملك لأنه يستلزم المعصية لكونه تصرفًا في ملك الغير. اهـ. وأما قوله ﷺ: «**ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**» فقد استوفيت شرحه بحمد الله تعالى في باب: من قتل نفسه استوجب عذاب الله يوم القيامة والعياذ بالله تعالى. وأما قوله ﷺ: «**ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله**» قال ابن حجر[3]: أي لأنه إذا لعنه فكأنه دعا عليه بالهلاك اهـ، وقال ابن الأثير في النهاية[4]: وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله. ومن الخلق السب والدعاء. اهـ. وأما قوله ﷺ: «**ومن قذف بكفر فهو كقتله**» وفي رواية[5] للبخاري قال النبي ﷺ: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**» قال الحافظ ابن حجر[6]: وهذا يقتضي أن من قال لآخر أنت فاسق أو قال له: أنت كافر فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور وأنه إذا كان كما قال، لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال، ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقًا ولا كافرًا أن لا يكون آثمًا في صورة قوله له أنت فاسق بل في هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاهُ لَمْ يجزْ لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى اهـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١/١٤٤، ١٤٥) في النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، (٨/١٦٤١).

(٢) فتح الباري (٢٥/٨٦).

(٣) فتح الباري (حـ٢٢) شرح (ح٦٠٤٨).

(٤) النهاية (٤/٢٥٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٢٥٤) في الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، (ح٦٠٤٧).

(٦) فتح الباري (٢٥/٢٥٦) شرح (ح٦٠٤٥).

الباب السادس

في الترقيق بذكر أحوال الآخرة

ويشمل على ثمانية فصول

الفصل الأول : الموت والقبر ومقدمات ذلك.

الفصل الثاني : وفاة نبيناﷺ.

الفصل الثالث : الساعة وأشراطها وما فيها.

الفصل الرابع : الحشر والحساب والميزان والشفاعة.

الفصل الخامس : يوم القيامة وأهواله.

الفصل السادس : ما يرجى من رحمة الله تعالى يوم القيامة.

الفصل السابع : النار وأهوالها.

الفصل الثامن : الجنة ونعيمها فاللهم اجعلنا من سكانها.

الفصل الأول

المَوْتُ والْقَبْرُ ومُقَدِّمَاتُ ذلِكَ

مبحث: إذا أحب الله عبداً عسله فوفقه للصالحات قبل الممات

٥٣٥ ـ عن عمرو بن الحمق قال: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً عَسَلَهُ» قال: يا رسول الله: ومَا عَسَلَهُ؟ قال: «يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلاً صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حتَّى يرضى عنه جيرانه ـ أو قال ـ مَنْ حَوْلَهُ».

---

[٥٣٥] أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٩٠/١ في الجنائز، ح١٢٥٨ وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد في المسند ٢٢٤/٥ بلفظ «استعمله» بدلاً من «عسله».

وأخرجه البيهقي في الزهد الكبير ص٣٢٧ ح٨١٤.

المعنى

يخبرنا عمرو بن الحمق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله عبداً عسله» وعند أحمد، والبيهقي: تفسير الحب من الله تعالى ففيها «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» أي بالأعمال الصالحة الخالصة الكثيرة التي من كثرتها لا تخفى على المقربين منه قال: أي عمرو «يا رسول الله: وما عسله» أي ما معنى كلمة «عسله» وعند أحمد «قيل: وما استعمله» فالسؤال إذاً ليس عن اللفظ بل عما وضع له اللفظ في الحديث حيث أن الإستعمال ليس بلفظ غريب، قال ﷺ «يوفق له عملاً صالحًا بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه ـ أو قال ـ من حوله» وعند أحمد «يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله» أي يكرمه الله تعالى بالإزدياد من =

= الأعمال الصالحة قرب الخاتمة حتى يتوفاه على أحسن الأعمال ليدخله بها أعلى المراتب التي تليق بعمله حيث أن نبينا ﷺ قال: «وإنما الأعمال بالخواتيم»[1] وقال ﷺ: «أيما مسلم شهد له أربعة قالوا: خيراً أدخله الله الجنة» قلنا أو ثلاثة؟ قال: «أو ثلاثة» قلنا: أو اثنان؟ قال: «أو اثنان»[3] فشهادة المؤمنين الأقربين المشاهدين لعمل العبد مقبولة عند الله تعالى، فعن أنس رضي الله عنه قال: مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقال النبي ﷺ: «وجبت» ومر بجنازة أخرى فأثنى عليها شراً فقال النبي ﷺ «وجبت» فقال عمر: فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقلت: وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شراً فقلت وجبت فقال: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض» والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٢١/٢٤ في القدر، باب العمل بالخواتيم، ح٦٦٠٧.

(٢) أخرجه النسائي في سننه ٥٠/٤ في الجنائز، باب الثناء.

(٣) أخرجه النسائي في سننه ٥١/٤ في الجنائز، باب الثناء..

مبحث : يكبر وابن آدم يكبر معه حب المال والدنيا والعمر

٥٣٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايَزَالُ قَلْبُ الكبير شَابًا في اثْنَيْنِ في حُبِّ الدنيا وطول الأَملِ».

٥٣٧ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ ويَكْبُرُ معَهُ اثْنَتَانَ: حُبُّ المَالِ وَطُولُ العُمرِ».

[٥٣٦] أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٤ في الرقاق، باب من بلغ ستين فقد اعذر الله إليه في العمر، ح٦٤٢٠.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤/٧ في الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا بلفظ حب العيش والمال والحياة، ح١٠٤٦.

[٥٣٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١٧/٢٤ في الرقاق باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، ح٦٤٢١.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤/٧ في الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا، بلفظ الحرص على المال والحرص على العمر، ح١٠٤٧.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة وأنس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنين في حب الدنيا وطول الأمل» وقال «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر»[1] وعند مسلم حديث أبي هريرة مرفوعًا قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين، حب العيش والمال» وفي رواية «حب الحياة والمال» وحديث أنس مرفوعًا «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر» فيبين نبينا ﷺ في الأحاديث مقدار تعلق ابن آدم بالدنيا وزينتها وزخرفها =

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٥/٧ في الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا ح١١٥/١٠٤٧.

= ومتاعها حتى مع كبر سنة وضعف جسده وقلة شهوته وقرب أجله ودنو موته وإقبال رحيله ومفارقته للدنيا وإقدامه على الآخرة بالرغم من معرفته بذلك كله وإحساسه به إلا أنه يزداد معه تعلقًا بما هو فان وزائل بالرغم من أنه كله مقسوم ولن يصيبه إلا ما كتبه الله تعالى له وقدره، فالرزق مقسوم والأجل معلوم محدود مكتوب لكن هكذا حال ابن آدم.

قال تعالى ﴿**كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾[1] وقال تعالى ﴿**وتحبون المال حبًا جما**﴾[2] وقال عز وجل ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾[3] وهذا الحب الشديد للدنيا والمال والحرص مذموم شرعًا ومحمود التنزه عنه والزهد فيه قال تعالى ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا. كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً. لا تجعل مع الله إلهًا ءاخر فتقعد مذمومًا مخذولاً**﴾[4] وقال عز وجل ﴿**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه. ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب**﴾[5] وقال ﷺ: «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[6] ففي الحديث الأول يخبر نبيناﷺ أنه بالرغم من شيخوخة الرجل إلا أن قلبه شابًا كقلب الشباب =

(١) سورة القيامة آية (٢٠)، (٢١).

(٢) سورة الفجر آية (٢٠).

(٣) سورة العاديات آية (٨).

(٤) سورة الإسراء من آية (١٨) إلى (٢٢).

(٥) سورة الشورى آية (٢٠).

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٣٧٥/٢ ح٤١٠٥ وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢٠٢/٧ ح٧٢٧١.

= في حب الدنيا وطول الأمل يزداد رغبة فيها كالشباب المحب لها المتمنى تمام لذاتها وكذلك يزداد أمله فيها وفي زخرفها والوصول فيها إلى غايات بعيدة غالبًا يقطعها أجله كما بينت في الحديث الآخر حديث قطع الأجل الأمل وكذلك الأعراض، قال الحافظ[1] : المراد بالأمل هنا محبة طول العمر فسره حديث أنس الذي بعده في آخر الباب وسماه شابًا إشارة إلى قوة استحكام حب المال أو هو من باب المشاكلة والمطابقة أهـ وفي حديث لأبي هريرة تفصيل أيضًا لذلك، ففيه «إن ابن آدم يضعف جسمه وينحل لحمه من الكبر وقلبه شاب في اثنتين، طول العمر، وكثرة المال»[2] وفي الحديث الثاني يبين نبيناﷺ أنه يكبر ابن آدم في السن ويكبر معه في القوة والنشاط والرغبة حب المال فيزداد الحب بمرور العمر ازدياداً جمًا شديداً وكذلك حب البقاء والتعمير في الدنيا والحياة فيها قال الحافظ: قوله: «يكبر» بفتح الموحدة أي يطعن في السن قوله «ويكبر معه» بضم الموحده أي يعظم معه ويجوز الفتح ويجوز الضم في الأول تعبيراً عن الكثرة وهو كثرة عدد السنين بالعظم قال عياض: هذا الحديث فيه من المطابقة وبديع الكلام الغايه وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه إذا انقضى عمره ولم يبق له إلا إنتظار الموت فلما كان الأمر بضده ذم، قال والتعبير بالشاب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب أكثر وبهم أليق لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا أهـ قال القرطبي: في هذا الحديث كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال وأن ذلك ليس بمحمود أهـ وقال النووي[3] : قوله ﷺ : «قلب الشيخ شاب على حب اثنين حب العيش والمال» هذا مجاز واستعارة ومعناه: أن قلب الشيخ كامل الحب للمال محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشباب في شبابه هذا صوابه وقوله ﷺ: «وتشب منه اثنتان» بفتح التاء وكسر الشين وهو بمعنى قلب =

---

(١) فتح الباري ٢٤/١٦، ١٧.

(٢) أخرجه البيهقي في كتابه الزهد الكبير ص٢٢٠ ح٤٥٢ من طريق ابن عائذ عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) شرح مسلم ١٩٤/٨، ١٩٥.

مبحث: قول النبي ﷺ:

«إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا»

٥٣٨ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا**»، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

= الشيخ شاب على حب اثنتين. أهـ والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ

«إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا»

[٥٣٨] أخرجه الترمذي في سننه ٧/٧٧ في الزهد، باب الصبر على البلاء، ح٢٥٠٧ وقال، هذا حديث حسن.

وأخرجه أحمد له شاهداً في المسند ٤/٨٧ عن عبد الله بن مغفل وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٩١: رجال أحمد رجال الصحيح.

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بعده الخير عجل له العقوبه في الدنيا» أي عقوبة ذنوبه حتى يلقى الله تعالى وليس عليه ذنب يعاقب عليه في الآخرة لأن عذاب الآخرة أعظم وأبقى من عذاب الدنيا الأدنى الفاني قال تعالى ﴿ **وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيت ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** ﴾[1] لذلك قال النبي ﷺ «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه»[2] وأما إذا لم يعاقبه على معاصيه بل تركه فضلاً عن أن يعطيه ويزيده من الدنيا فهو استدراج =

---

(١) سورة طه آية (١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٣١٥ في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ح٥٦٤٢.

مبحث : المؤمن يمرض ليكفر عنه ومن لايمرض فليحذر

٥٣٩ ـ عن أبي هريرة قال: دخل أعرابي على النبيﷺ فقال: «هل أخذتك أم ملدم»؟ قال: وما أم ملدم قال: «حُمَّى تكونُ بينَ اللحم والجلْد» قال ما وجدتُ هذا قط، قال: «فهلْ وَجَدْتَ الصِّدَاعَ»؟ قال ما الصِّدَاعُ، قال: «عِرْقٌ يَضْرِبُ على الإنسان في رَأسه» قال: ما وجدتَ هذا قَطّ، قال: فلما ولى قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

= وعذاب مدخر والعياذ بالله تعالى قال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين ﴾[1] وقالﷺ: «إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته»[2] قال صاحب التحفة[3]: في قوله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل» أي أسرع «له العقوبة» أي الابتلاء بالمكاره «في الدنيا» ليخرج منها وليس عليه ذنب ومن فعل ذلك معه فقد أعظم اللطف به والمنة عليه «وإذا أراد بعبده الشر أمسك» أي أخر «عنه» ما يستحقه من العقوبة «بذنبه» أي بسببه «حتى يوافي يوم القيامة» أي حتى يأتي العبد بذنبه يوم القيامة، قال الطيبي: يعني لا يجازيه بذنبه حتى يجئ في الآخرة متوفر الذنوب وافيها، فيستوفى حقه من العقاب أهـ والله أعلم.

مبحث : المؤمن يمرض ليكفر عنه ومن لايمرض فليحذر

[٥٣٩] أخرجه هناد بن السري في كتابه الزهد ٢٤٦/١، باب حط الخطايا، ح٤٢٦.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٤٧/١/٤٩٨، في باب الجنائز، ح١٢٨٣ وقال =

---

(١) سورة القلم آية (٤٤)، (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٧/١٦ في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٣) تحفة الأحوذي ٧٧/٧.

= صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد في المسند ٢/٣٣٢.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه أنه دخل أعرابي على النبي ﷺ فقال أي النبي ﷺ «هل أخذتك أم مِلْدَم» قال أي الأعرابي سائلا مستفسراً «وما أم ملدم» ففسرها النبي ﷺ قائلاً عنها أنها «حمى تكون بين اللحم والجلد» والحمي لها حرارة «قال أي الأعرابي «ما وجدت هذا قط» أي ما أصابه هذا المرض من الحمى قط» «قال» أي النبي ﷺ «فهل وجدت الصداع» أي هل صدع رأسك؟ فحتى الصداع ما أصاب هذا الأعرابي بل ولا يعرفه لذلك قال سائلاً «ما الصداع» فقال ﷺ: «عرق يضرب على الإنسان في رأسه» قال الأعرابي «ما وجدت هذا قط» فلما ولي أي انصرف لئلا يسوؤه حيث كان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره من خلقه الحسن ﷺ لكن يريد أن يخبر ويعلم أصحابه الحقائق ليتحروا خيرها ويجتنبوا شرها فقال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا» أي فيه صفة من صفات أهل النار وقد تكون في بعضهم وقد تتخلف عن البعض فقد يكون إنسان من الكفار يمرض ويبتلى وقد لا يمرض ولا يبتلى وقد يبتلى كثيراً وقد يبتلى قليلاً لكن الذي لا يمرض كما قال ﷺ «مثل المؤمن كمثل الخامة الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء»[1] قال ابن رجب الحنبلي: ففي هذا فضيلة عظيمة للمؤمن بابتلائه في الدنيا في جسده بأنواع البلاء وتمييز له عن الفاجر والمنافق بأنه لا يصيبه البلاء حتى يموت بحاله فيلقى الله تعالى بذنوبه كلها فيستحق العقوبة عليها والنصوص في تكفير ذنوب المؤمن بالبلاء والمصائب كثيرة جداً أهـ والله أعلم. والفاجر أيضًا يبتلى ولكن بلاؤه لا يكون =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٢١٧، ٢١٨ في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ح٥٦٤٤.

(٢) غاية النفع لابن رجب الحنبلي التابع لكتابه فضل علم السلف على الخلف ص٢٣، ٢٤.

مبحث: قول النبي ﷺ «أكثروا ذكر هاذم اللذات»

٥٤٠ ـ عن أبي هريرة قال قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَات» يعني الموت.

= كفارة له فهو كالدابة لا تدري فيما عقلت ولا فيما أطلقت وأما المؤمن فكل ما يصيبه ولو شيك بشوكة فإن الله تعالى يكفر عنه بها فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» والله أعلم.

مبحث: قول النبي ﷺ «أكثروا ذكر هاذم الذات»

[٥٤٠] أخرجه الترمذي في سننه ٥٩٤/٦ في الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، وقال: هذا حديث غريب حسن.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» قال الراوي يعني «الموت» أي أن كثرة ذكر الموت يهدم لذات الدنيا وشهواتها ويخفف وطأة الإنكباب عليها والتعلق بها وتذكر العبد دائمًا مفارقة تلك المتعلقات بقلبه في أي لحظة إلى دار لا أنيس فيها ولا لذة ولا صاحب إلا ما قدم من الأعمال التي يرضى عنها رب العباد فكثرة ذكره الموت تورثه الخشية من مولاه وحسن الاستعداد ليوم لقائه. قال الله عز وجل ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾[1] قال في التحفة[2]: «هاذم اللذات» بالذال المعجمه أي قاطعها قال صحح الطيبي بالدال المهمله حيث شبه اللذات الفانيه والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات

---

(١) سورة ق آية (١٩)، (٢٢).

(٢) تحفة الأحوذي ٥٩٤/٦.

مبحث : قول النبي ﷺ
«إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر»

٥٤١ ـ عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**».

= هائلة، ثم أمر المنهمك فيهـا بذكر الهادم لئلا يستمر على الركون إليهـا، ويشتغل عما يجب عليـه من الفـرار إلى دار القـرار أهـ وقال الأسنوي في المهمـات الهـاذم بالذال المعجمه هو القاطع أهـ والله أعلم.

مبحث : قول النبي ﷺ
«إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر»

[٥٤١] أخرجـه الترمـذي في سننه ٥٢١/٩ في الدعـوات، ح٣٦٠٣ وقال هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه أحمد في المسند ١٣٢/٢ عن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمر مرفوعًا ـ به.

وأخـرجه ابن مـاجه في سننـه ١٤٢٠/٢ في الزهد، باب ذكر التـوبة، ح٤٢٥٣ عن ابن عمرو والصحيح ابن عمر.

قـوله: «مـالم يغرغـر» أي مـالم تبلغ روحـه إلى حلقـومـه، والغرغـرة: أن يجـعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع أهـ نهاية ٣٦٠/٣.

المعنى

يخبرنا عـبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن نبيناﷺ أنه قال: «إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغـر» أي يتقبل التوبة النصوح سبحانه طيلة حياة العبد مالم تصل الروح إلى الحلقوم فإذا وصلت وعاينه الموت ورأى ملكه لا تقبل توبته قال تعالى ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا** =

مبحث: العبد المؤمن يستريح عند لقاء الله تعالى

٥٤٢ ـ عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة قال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قالوا، يا رسول الله: ما المستريح والمستراح منه قال «**العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نَصَبِ الدنيا وأَذَاهَا إلى رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُ**».

= الذين يموتون وهم كفار...﴾[1] الآية قال صاحب التحفة[2] قوله: «إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر» من الغرغرة أي مالم تبلغ الروح إلى الحلقوم يعني مالم يتيقن بالموت فإن التوبة بعد التيقن بالموت لم يعتد بها لقوله تعالى ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات ... الآية**﴾ قيل وأما تفسير ابن عباس حضوره بمعاينة ملك الموت فحكم أغلبي لأن كثيراً من الناس لا يراه وكثيراً يراه قبل الغرغرة أهـ قال ابن الأثير: والغرغرة: أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع أهـ فهذا تشبيه لخروج الروح يكون مثل هذه الغرغرة فإذا لم يصل العبد إلى هذه الدرجة كانت التوبة مقبولة فاللهم اجعلنا دائمًا تائبين لك يارب العالمين آمين، والله أعلم.

مبحث: العبد المؤمن يستريح عند لقاء الله تعالى

[٥٤٢] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/١٦٤، ١٦٥ في الرقاق، باب سكرات الموت، ح٦٥١٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٠ في الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه.

قوله: «نصب» هو التعب وزنه ومعناه أهـ فتح ٢٤/١٦٥ وقال النووي: ونصب =

---

(١) سورة النساء آية (١٨).

(٢) تحفة الأحوذي ٩/٥٢١ ح٣٦٠٣.

= الدنيا تعبها أهـ شرح مسلم ٧/٢٠.

المعنى

يخبرنا أبو قتادة رضي الله عنه أنه مر بجنازة على رسول الله ﷺ قال الحافظ[١] مر بضم الميم على البناء المجهول ولم أقف على اسم المار ولا المرور بجنازته أهـ قال ﷺ «مستريح ومستراح منه» أي الناس الأموات نوعان إما صالح فيستريح من شقاء الدنيا إلى نعيم الآخرة وإما فاجر فتستريح منه الدنيا ومن عليها ومن فجوره قال النووي[٢] : معنى الحديث أن الموتى قسمان مستريح ومستراح منه ونصب الدنيا تعبها أهـ وقال الحافظ: الواو فيه بمعنى أو وهي للتقسيم على ما صرح بمقتضاه في جواب سؤالهم أهـ قوله: «قالوا يا رسول الله» «ما المستريح والمستراح منه» قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل» أي العبد المؤمن إذا لقى ربه عز وجل استراح من تعب الدنيا وشقائها ومنكراتها وظلمها وغش أهلها وظلم حكامها وتبرج نسائها وغش تجارها وحقد جيرانها وأقرانها وضيق سعتها ومنكراتها كلها إلى رحمة الله تعالى في الآخرة وجنتها وحورها وحريرها وقصورها وأعلى درجات النعيم فيها برؤية ربها سبحانه وتعالى قال الحافظ: قال ابن التين: يحتمل أن يريد بالمؤمن التقى خاصة ويحتمل كل مؤمن، والفاجر يحتمل أن يريد به الكافر ويحتمل أن يدخل فيه العاصي أهـ وقوله «والعبد االفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» أي وإذا مات العبد الفاجر - والعياذ بالله تعالى - استراح منه العباد لظلمه لهم وتعرضهم لأذاه ولو بالرؤية والبلاد لفساده في الأرض قال الله تعالى ﴿**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**﴾[٣] والشجر فقد يعتدي عليها بالقطع وقد يبول في ظلها وقد تمنع القطر بظلمه والدواب فقد يكثر ضربها ويمنعها طعامها وشرابها وهي تسبح وهو لا يعبد خالقها وربها قال =

(١) فتح الباري ٢٤/١٦٤، ١٦٥.

(٢) شرح مسلم ٧/٢٠، ٢١.

(٣) سورة البقرة (٢٠٥).

= الداودي[1]: أما استراحة العباد فلما يأتي به من المنكر فإن أنكروا عليه آذاهم وإن تركوه أثموا، واستراحة البلاد مما يأتي به من المعاصي فإن ذلك مما يحصل به الجدب فيقتضي هلاك الحرث والنسل أهـ وقال النووي[2] وأما استراحة العباد من الفاجر معناه اندفاع أذاه عنهم وأذاه يكون من وجوه منها ظلمه لهم ومنها ارتكابه للمنكرات فإن أنكروها قاسوا مشقة من ذلك وربما نالهم منه أذى وإن سكتوا عنه أثموا، واستراحة الدواب منه كذلك لأنه كان يؤذيها ويضربها ويحملها مالا تطيقه ويجيعها في بعض الأوقات وغير ذلك واستراحة البلاد والشجر فقيل لأنها تمنع القطر بمصيبته أهـ فاللهم اجعلنا ممن يستريح من الدنيا عند لقاءك ويكون هذا اليوم هو أسعد أيامنا وأسعد ليالينا يارب العرش العظيم من غير ضراء مضره ولا فتنة مضلة آمين والله أعلم.

(١) فتح الباري ٢٤/١٦٤، ١٦٥.

(٢) شرح مسلم ٧/٢٠، ٢١.

مبحث: قول النبي ﷺ
«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا»

٥٤٣ ـ عن أنس بن مالك قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سَيْفٍ القَيْن وكان ظِئْرًا لإبراهيم، فأخذ رَسُولُ اللهِ ﷺ إبراهيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يَجُودُ بنفسه، فجعلتْ عينا رسول الله ﷺ تَذْرِفَان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يَا ابْنَ عَوْف، إِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ثم اتبعها بأخرى: فقال ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلبْ يَحْزَنُ، ولاَنَقُولُ إلا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**».

---

[٥٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢١٠ في الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون، ح١٣٠٣.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٥/٧٤ في الفضائل، باب رحمته ﷺ وتواضعه قوله: «القين» الحداد الصائغ أهـ نهاية ٤/١٣٥.

قوله: «تذرفان» ذرفت العين تذرف إذا جرى دمعها أهـ نهاية ٢/١٥٩.

المعنى العام

إنها فطرة فطر الله تعالى عليها الرحماء أن تذرف عيونهم رقة وشفقة مع الحزن على فقد الأحبة لكن قيدها الشرع بالخلو من الجزع والتسخط بالقلب واللسان لذلك قال ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا» صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين قال الحافظ ابن حجر[1] قال عياض: هو البراء =

---

(١) فتح الباري ٦/٢١١، ٢١٢.

= ابن أوس وأم سيف زوجته هي أم بردة وإسمها خولة بنت المنذر أهـ قال ابن حجر: وما جمع به غير مستبعد إلا أنه لم يأت عن أحد من الأئمة التصريح بأن البراء ابن أوس يكني أبا سيف ولا أن أبا سيف يسمى البراء بن أوس. قال «القين» بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هو الحداد، ويطلق على كل صانع، يقال قان الشئ إذا أصلحه أهـ قوله: «وكان ظئراً لإبراهيم» قال الحافظ ابن حجر: بكسر المعجمة وسكون التحتانية المهموزة بعدها راء أي مرضعًا وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها وأطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبًا قوله «لإبراهيم» هو ابن رسول اللهﷺ وعند مسلم ولدلى الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم قوله: «فأخذ رسول اللهﷺ إبراهيم فقبله وشمه» قال القسطلاني[1] فيه مشروعية تقبيل الولد وشمه اهـ قلت بل قال النبيﷺ للأقرع لما أخبره أنه عنده عشرة من الولد ما قبل منهم أحدًا قال له: «من لا يرحم لا يرحم»[2] وفي رواية «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»[3] قوله: «ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه» وفي مسلم: «وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول اللهﷺ» قال النووي[4]: ومعناه وهو في النزع اهـ قال ابن حجر أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله اهـ «فجعلت عينا رسول اللهﷺ تذرفان» قال ابن حجر: بذال وفاء أي يجري دمعهما اهـ قال النووي: فيه جواز البكاء على المريض، والحزن وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل ولهذا قال ﷺ ولا نقول إلا ما يرضي =

(١) إرشاد الساري ٢/٤١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٢١١ في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح٥٩٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٢١٢ في الأدب، باب رحمه الولد وتقبيله ومعانقته، ح٥٩٩٨.

(٤) شرح مسلم للنووي ١٥/٧٥.

= ربنا اهـ قوله: «فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟!!» قال الحافظ ابن حجر: قال الطيبي: فيه معنى التعجب، والواو تستدعي معطوفًا عليه، أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع فأجابه بقوله «إنها رحمة» أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد لا ماتوهمت من الجزع اهـ قوله «فقال «يا ابن عوف إنها رحمة» وفي رواية «إنما هذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم»[1] قوله: «ثم أتبعها أخرى» قال ابن حجر: قيل أراد به أنه أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى وقيل أتبع الكلمة الأولى المجملة وهي قوله «إنها رحمة» بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله وإن العين تدمع» اهـ ورجح الثانية قوله: فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن» وفي مسلم: تدمع العين ويحزن القلب» وفي رواية «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم»[2] قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله وهو أبين شئ وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمه، ومشروعية الرضاع وعيادة الصغير والحضور عند المحتضر ورحمة العيال اهـ قوله: ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» قال القسطلاني: قال ابن المنير: عبر بصيغة المفعول لا بصيغة الفاعل أي ليس الحزن من فعلنا ولكنه واقع بنا من غيرنا ولا يكلف الإنسان بفعل غيره والفرق بين دمع العين ونطق اللسان أن النطق يملك بخلاف الدمع فهو للعين كالنظر ألا ترى العين إذا كانت مفتوحة نظرت شاء صاحبها أو أبى فالفعل لها، ولا كذلك نطق اللسان فإنه لصاحب اللسان اهـ لذلك =

---

(١) قوله «من لا يرحم لا يرحم» أخرجه البخاري في الأدب ٢٢/٢١١ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح٥٩٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢١٣ في الجنائز، ح١٣٠٤.

مبحث: من صبر على موت من يحب واحتسبه دخل الجنة

٥٤٤ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى «مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ**».

= قال ﷺ لمعاذ في اللسان «وهل يُكَبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1] لكن قال في العين ودمعها «إنها رحمة» لذلك قال ﷺ «إن العين تدمع» لأنها رحمة فأتى بالرحمة أما القول فقال: «ولا نقول إلا ما يرضي ربنا» أما القلب فقال: «وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» لأن هذا لا يملك أيضًا وفي الحديث المذكور آنفًا «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم» فاللهم آأجر نبينا ﷺ أعظم الأجر وأخلف له خير الخلف يارب العرش العظيم.

مبحث: من صبر على موت من يحب واحتسبه دخل الجنة

[٥٤٤] أخرجه البخاري في صحيحه ١٨/٢٤، ١٩ في الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى، ح٦٣٢٤.

وأخرجه أحمد في المسند ٤١٧/٢.

قوله: «صفيه» صفي الرجل: الذي يصافيه الود ويخلصه له فعيل بمعنى فاعل أو مفعول اهـ نهاية ٤٠/٣.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال ـ أي في الحديث =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣٦٥/٧ في الإيمان ح٢٧٤٩ باب ما جاء في حرمة الصلاة وقال حسن صحيح.

= القدسي الشريف - يقول الله تعالى ﴿ **ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** ﴾ أي ما أجد ثوابًا لمن آخذ منه ما يحبه من البشر سواء ابن أو أخ أو بنت أو زوج أو أم أو غير ذلك ثم صبر على ذلك ورضي بالقدر وسلم واسترجع إلا أن أكافئه على ذلك الجنة العاجلة الدائمة العالية قال الحافظ[1] قوله: «ما لعبدي المؤمن جزاء» أي ثواب قوله: إذا قبضت صفيه بفتح الصاد المهملة وكسر الفاء وتشديد التحتانية وهو الحبيب المصافى كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت، قوله «ثم احتسبه إلا الجنة» المراد باحتسبه أي صبر على فقده راجيًا الأجر من الله على ذلك، وأصل الحسبه بالكسر الأجرة والاحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصًا اهـ وأعظم ما أصبنا به هو سيد العالمين رسول الله ﷺ ففي الحديث[2] عنه ﷺ أنه قال في مرضه: «يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي». والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١٩/٢٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٥١٠/١ في الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة ح١٥٩٩.

مبحث: الصبر عند الصدمة الأولى

٥٤٣ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر النبيﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري»، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبيﷺ فأتت باب النبيﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت لم أعرفك فقال: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**».

---

[٥٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٨٠ في الجنائز، باب زيارة القبور، ح١٢٨٣.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٦/٢٢٧ في الجنائز، باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٧/١٥٤ في الأحكام، باب ما ذكر أن النبيﷺ لم يكن له بواب.

المعنى العام

قال الله عز وجل ﴿**وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾[1] هذا الواجب عند استقبال المصائب استلام المرء للمقدور موقنًا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الأمر ليس بيد المخلوق إنما يجري بمشيئة الحي الذي لا يموت وتتفاوت درجات الصابرين فأعلاها الذي يستقبل المقدور عند أول نزوله بالتسليم والرضا وهي الصدمة الأولى. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: مر النبيﷺ بامرأة تبكي عند قبر: في رواية مسلم بينت أنه ابن لها ففيها «أتى على امرأة تبكي على صبي لها» قال الحافظ ابن حجر[2] : لم أقف على اسمها ولا اسم صاحب القبر اهـ قلت: ولم يذكرها ابن بشكوال في الغوامض =

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٥، ١٥٦).

(٢) فتح الباري ٦/١٨٠.

= والمبهمات. قوله: «فقال: اتقي الله واصبري» قال القرطبي: الظاهر أنه كان في بكائها قدر زائد من نوح أو غيره ولهذا أمرها بالتقوى اهـ فيه ما كان عليه ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواضع ولين الجانب وعدم مقابلة الإساءة بمثلها: قوله «قالت: إليك عني» وفي رواية مسلم «فقالت وما تبالي بمصيبتي» أما قولها «إليك عني» قال ابن حجر هو من أسماء الأفعال ومعناها تنح وابعد ا هـ قولها: «فإنك لم تصب بمصيبتي» أي أنك لا تشعر بما دهمني وأتاني وفي رواية البخاري في الأحكام «فإنك خلو من مصيبتي»[1] قوله: «ولم تعرفه» قال الحافظ: جملة حالية أي خاطبته بذلك ولم تعرف أنه رسول الله ﷺ اهـ وقال القسطلاني[2] : إذ لو عرفته لم تخاطبه بهذا الخطاب اهـ قوله: فقيل لها إنه النبي ﷺ وفي رواية مسلم: فأخذها مثل الموت قال ابن حجر[3] : أي من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه ﷺ خجلاً منه ومهابة أهـ قوله: «فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين» وفي رواية مسلم: فلم تجد على بابه بوابين قال النووي[4] : فيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع وأنه ينبغي للإمام والقاضي إذا لم يحتج إلى بواب ألا يتخذه اهـ قوله: «فقالت لم أعرفك» قال القسطلاني[5] : لم أعرفك فاعذرني من تلك الرده وخشونتها أهـ قوله: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» وفي رواية مسلم: «إنما الصبر عند أول صدمة ـ أو قال ـ عند أول الصدمة» قال الحافظ ابن حجر: والمعنى إذا وقع الثبات أول شئ يهجم على القلب من مقتضيات الجزع فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر، وأصل الصدم ضرب الشئ الصلب بمثله فاستعير للمصيبة الواردة إلى القلب ـ قال الخطابي: المعنى =

---

(١) أخرجه البخاري في الأحكام ١٥٤/٢٧ باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، ح٧١٥٤.

(٢) إرشاد الساري ٣٩٩/٢.

(٣) فتح الباري ١٨١/٦.

(٤) شرح مسلم للنووي ٢٢٧/٦.

(٥) إرشاد الساري ٣٩٩/٢.

مبحث : من مات على شئ بعث عليه

٥٤٦ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته أو قال فأوقصته قال النبيﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ وَلاَ تُحَنِّطُوهُ وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّياً».

= أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو، وحكى الخطابي عن غيره أن المرء لا يؤجر على المصيبة لأنها ليست من صنعه وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره اهـ بل ورد ما يدل على ثواب صبر الصدمة الأولى الجنة فعن النبيﷺ يقول الله سبحانه: «ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابًا دون الجنة»(١) قال الحافظ وفي هذا الحديث ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه أن القاضي لا ينبغي له أن يتخذ من يحجبه عن الناس اهـ والله أعلم.

مبحث : من مات على شئ بعث عليه

[٥٤٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٦٤، في الجنائز باب الكفن في ثوبين، ح١٢٦٥.

قوله «فوقصته» الوقص: بتفح الواو وسكون القاف بعدها مهملة: كسر العنق اهـ نهاية ٥/٢١٤.

قوله «سدر» السدر: بكسر السين المهملة وسكون الدال المهملة بعدها راء مهملة: شجرة النبق اهـ نهاية ٢/٣٥٣.

قوله: «ولا تحنطوه» الحنوط: بفتح الحاء المهملة وضم النون آخره طاء مهملة: هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة اهـ نهاية ١/٤٥٠.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ١/٥٠٩ في الجنائز ح١٥٩٧ عن أبي أمامة مرفوعًا.

= قوله: «لا تخمروا» قال ابن الأثير التخمير التغطية اهـ نهاية ٧٢/٢.

المعنى العام

لقد جرت سنة الله تعالى من رحمته تعالى في خلقه أنه من عاش على شئ مات عليه ومن مات على شئ بعث عليه يوم القيامة، وقد قال النبيﷺ: «وإنما الأعمال بالخواتيم»[١] وهذا الحديث يدل على ماقلت حيث أخبر النبيﷺ أن الرجل الذي مات محرمًا يبعث ملبيًا، والرجل هذا كان واقفًا بعرفة قال ابن حجر[٢] لم أقف على تسميته اهـ وقال القسطلاني: لم يعرف الحافظ ابن حجر اسمه وقوله «واقف بعرفة» للحج عند الصخرات وليس المراد خصوص الوقوف المقابل للقعود لأنه كان راكبًا ناقته ففيه اطلاق لفظ الواقف على الراكب اهـ فوقصته أو قال «فأوقصته» قال ابن حجر: المعروف عند أهل اللغة الأول والذي بالهمز شاذ والوقص كسر العنق، وقال الكرماني: فوقصته أي راحلته فإن كان الكسر حصل بسبب الوقوع فهو مجاز وإن حصل من الراحلة بعد الوقوع فحقيقه اهـ فلما حدث ذلك أمر النبيﷺ بغسله بماء سدر لزيادة التنظيف لأن ورق النبق وهو السدر له رغوة ثم أمر بتكفينه في الثوبين الذين كانا عليه، ففي رواية عند النسائي[٤] «في ثوبيه الذين أحرم فيهما» قال ابن حجر: وقال المحب الطبري: إنما لم يزده ثوبًا ثالثًا تكرمة له كما في الشهيد حيث قال: «زملوهم بدمائهم»[٥] واستدل به على أن الإحرام لا ينقطع بالموت: وقال ابن بطال: وفيه أن من شرع في عمل طاعة ثم حال بينه وبين إتمامه الموت رجى له أن الله يكتبه في الآخرة من أهل ذلك العمل اهـ ثم نهى النبيﷺ عن تطييبه لاعتباره محرمًا حيث =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٣١/٢٤ في القدر، باب العمل بالخواتيم، ح٦٦٠٧.

(٢) فتح الباري ١٦٤/٦.

(٣) إرشاد الساري ٣٨٦/٢.

(٤) أخرجه النسائي في سننه ٣٩/٤ في الجنائز، باب كيف يكفن المحرم إذا مات.

(٥) أخرجه النسائي في سننه ٧٨/٤ في الجنائز، باب مواراة الشهيد في دمه.

= قد سبق النهي عن تطييب المحرم حيث قال ﷺ لمن أحرم متطيبًا «اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات»[1] أخرجه البخاري، كذلك نهى عن تغطية رأسه مع أنه من السنة تغطية رأس الميت حيث قالﷺ عن مصعب بن عمير لما قصرت البردة عن تغطية رأسه ورجليه فقال: «غط بها رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر»[2] فهذا كله يبين أن الحالة التي فارق عليها الدنيا من إحرام وذكر هي التي تصحبه في الآخرة عند العرض على ملك الملوك عز وجل لذلك قالﷺ بعد أن بين صفة اللباس مبينًا حاله من العمل فقال: «فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا» قال القسطلاني[3] : «فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا» أي بصفة الملبي بنسكه الذي مات فيه من حج أو عمرة أوهما قائلاً لبيك اللهم لبيك، قال ابن دقيق العيد فيه دليل على أن المحرم إذا مات يبقى في حقه حكم الإحرام وهو مذهب الشافعي رحمه الله وخالف في ذلك مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى وهو مقتضى القياس لإنقطاع العباده بزوال حكم التكليف وهو الحياة، لكن اتبع الشافعي الحديث وهو مقدم على القياس اهـ فاللهم أحينا على الصلاح الذي يرضيك وأمتنا عليه وابعثنا عليه يا رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦٩/٧ في الحج، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ح١٥٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٦/١٥ في المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ح٤٠٨٢.

(٣) إرشاد الساري ٣٨٩/٢.

مبحث: الحزن والدموع عند موت الصالحين

٥٤٧ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثم أَخَذَها جعفرُ فأصيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّه بنُ رَوَاحةَ فأصيب**» وإن عيني رسول الله ﷺ لَتَذْرِفانِ ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففتح له.

---

[٥٤٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤١/٦ في الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه الخ ح١٢٤٦.

أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٠/١٦ في المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ح٤٢٦٢.

المعنى العام

قال النبي ﷺ لما مات إبراهيم عليه السلام «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»(١) فلا بأس بالدمع والحزن مالم يصحبه تسخط وضجر بالقلب واللسان لذلك لما دمعت عينا رسول الله ﷺ الشريفتان عند إحتضار ابن بنت النبي ﷺ قال سعد ما هذا يا رسول الله قال ﷺ: «هذه الرحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء»(٢) وبين ﷺ في رواية أخرى أن الحساب على اللسان لا على دمع العين فقال ﷺ: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»(٣) ويقول لنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٢/٦ في الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون، ح١٣٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في المرضى ٢٣٠/٢١، باب عيادة الصبيان، ح٥٦٥٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٤/٦ في الجنائز، باب البكاء عند المريض، ح١٣٠٤.

= أخذها ابن رواحة فأصيب» قال القسطلاني في إرشاد الساري[1] هو ابن حارثة وقصته هذه في غزوة مؤتة وهو موضع في أرض اللقاء من أطراف الشام وذلك أن عليه الصلاة والسلام أرسل إليها سرية في جمادي الأولى سنة ثمان واستعمل عليهم زيداً وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فخرجوا وهم ثلاثة آلاف فتلاقوا مع الكفار فأقتتلوا فأصيب زيد أي قتل ثم أخذها أي الراية جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة بفتح الراء وتخفيف الواو وبالحاء المهمله الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة فأصيب اهـ قوله: «وعيناه تذرفان» قال ابن حجر بذال معجمة وراء مكسورة أي تدفعان الدموع اهـ وقال القسطلاني: أي تسيلان بالدموع واللام للتأكيد اهـ قوله: «ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له» وفي رواية أخرى: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» فسماه يومها سيف الله اهـ قوله: «من غير إمرة» قال الحافظ ابن حجر[2] ، والمراد نفي كونه كان منصوصًا عليه وإلا فقد ثبت أنهم اتفقوا عليه اهـ وقال القسطلاني: «من غير إمرة» بكسر الهمزة وسكون الميم وفتح الراء أي تأمير من النبي ﷺ لكن رأى المصلحة في ذلك لكثرة العدو وشدة بأسهم وخوف هلاك المسلمين ورضي النبي ﷺ بما فعل فصار ذلك أصلا في الضرورات إذا عظم الأمر واشتد الخوف سقطت الشروط اهـ قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث جواز الإعلام عن الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وجواز تعليق الإمارة بشرط وتولية عدة أمراء بالترتيب، قال الطحاوي: هذا أصل يؤخذ منه جواز أن على المسلمين أن يقدموا رجلا إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر، قال ابن حجر: واختلف أهل النقل في المراد بقوله: «حتى فتح الله عليه» ثم رجح النص فقال فقد وقع في المغازي لموسى به عقبة وهي أصح المغازي كما تقدم ما نصه: ثم أخذه يعني اللواء =

(١) إرشاد الساري ٢/٣٧٩.

(٢) فتح الباري ١٧/١٠٠.

مبحث : إظلال الملائكة بأجنحتها لمن مات صالحًا

٥٤٨ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال، لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكى وينهوني والنبيﷺ لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبيﷺ: «**تَبْكِينَ أوْ لاتَبكِين، فَمَازَالَتْ المَلائكَةُ تُظِلُّهُ بأجْنحتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ**».

= عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون علي خالد بن الوليد فهزم الله العدو وأظهر الله المسلمين اهـ والله أعلم.

مبحث : إظلال الملائكة بأجنحتها لمن مات صالحًا

[٥٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٤٠، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ح١٢٤٤.

أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٢٥ في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم باب فضل عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٩٥ في الجهاد باب إظلال الملائكة للشهيد، ح٢٨١٦.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٥/٢٥٥ في المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد ح٤٠٨٠.

المعنى

من أكرمه الله تعالى بحسن الخاتمة فقد فاز وتتابعت عليه الخيرات من رب البريات بلا منغصات ومنها إظلال الملائكة له وتزاحمهم عليه عند صعود روحه معهم إكرامًا له وفي الحديث يقول جابر رضي الله عنه لما مات أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وفي رواية الجهاد وقد مثل به وفي رواية مسلم: «لما كان يوم أحد =

= جئ بأبي مسجي» فظهر أنه مثل به رضي الله عنه وذلك يوم أحد قال القسطلاني[1] : «لما قتل أبي» عبد الله بن عمرو - أي ابن حرام - يوم أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة وقد مثلوا به جدعوا أنفه وأذنيه اهـ قوله «أبكى وينهوني والنبيﷺ لا ينهاني» وفي راوية المغازي: «والنبيﷺ لم ينه» لأنه في الحديث الصحيح في البخاري[2] : «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم» قوله فجعلت عمتي فاطمة تبكي «بل وتنوح ففي رواية الجهاد»[3] فسمع صوت نائحة فقيل ابنة عمرو «أي عمة جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام قوله: فقال النبيﷺ: «تبكين أو لاتبكين» قال الحافظ ابن حجر:[4] للتخيير ومعناه أنه مكرم بصنيع الملائكة وتزاحمهم عليه لصعودهم بروحه اهـ وفي رواية المغازي بصيغة النهي «لاتبكه» قال ابن حجر[5] : وظاهره أنه نهى لجابر وليس كذلك وإنما هو نهي لفاطمة بنت عمرو اهـ.

وفي رواية مسلم فقال: «من هذه فقالوا بنت عمرو أو أخت عمرو» فقال: «ولم تبكي فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» قال القسطلاني: معزيًا لها ومخبراً لها بما آل إليه من الخير اهـ قوله «فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» قال القسطلاني مجتمعين عليه متزاحمين على المبادرة لصعودهم بروحه وتبشيره بما أعد الله له من الكرامة أو أظلوه من الحر لئلا يتغير أو لأنه من السبعة، الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وأو ليست للشك بل من كلامه عليه الصلاة والسلام للتسوية بين البكاء وعدمه أي فوالله إن الملائكة تظله سواء تبكين أم لا اهـ وقال النووي[6] : =

(١) إرشاد الساري ٢/٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢١٤ في الجنائز، باب البكاء عند المرض، ح١٣٠٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٢٩٥ في الجهاد، باب ظل الملائكة على الشهيد، ح٢٨١٦.

(٤) فتح الباري ٦/١٤٠.

(٥) فتح الباري ١٥/٢٥٥.

(٦) شرح مسلم للنووي ١٦/٢٥.

مبحث: اهتزاز العرش العظيم لموت سعد بن معاذ

٥٤٩ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**».

= قال القاضي ـ أي عياض ـ يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة عليه إزدحموا عليه إكراما له وفرحًا به أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه اهـ وقال النووي أيضًا: معناه سواء بكت أم لا فمازالت الملائكة تظله أي فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغي البكاء على مثل هذا وفي هذا تسلية لها اهـ والله أعلم.

مبحث: اهتزاز العرش العظيم لموت سعد بن معاذ

[٥٤٩] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٢٧٥ في مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ح٣٨٠٣.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٢١، في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضل سعد بن معاذ رضي الله عنه.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢٠٧ في مناقب سعد بن معاذ، ح٤٩٢٨.

المعنى

قال الله تعالى ﴿**الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**﴾[١] وقال تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[٢] ويقول نبينا ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» قال الحافظ[٣]: والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه اهـ وقال النووي[٤]: اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش =

---

(١) سورة النمل آية (٢٦).

(٢) سورة طه آية (٥).

(٣) فتح الباري ١٤/٢٧٦.

(٤) شرح مسلم ١٦/٢٢.

= تحركًا فرحًا بقدوم سعد وجعل الله تعالى في العرش تميزًا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾[1] وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار اهـ وذكر من صرفه عن ظاهره وهو مردود ويدل على ذلك رواية الحاكم[2] في المستدرك «إن هذا العبد الصالح تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء» قال الحربي[3] : إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم وهذه منقبة عظيمة لسعد اهـ وهو الذي قال له النبيﷺ يوم حكمه في بني قريظة «لقد حكمت فيهم بحكم الملك»[4] والله أعلم بل رد النبيﷺ غمزًا فيه وأخبر أن ذلك منقبة له وهو حمل الملائكة له يوم موته رضي الله عنه، فعن أنس[5] قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما أخف جنازته؟ وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: «إن الملائكة كانت تحمله» والله أعلم.

(١) سورة البقرة آية (٧٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢٢٧ ح٤٩٢٣.

(٣) فتح الباري ١٤/٢٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/١٣٤ في الجهاد، باب إذا أنزل العدو على حكم رجل، ح٣٠٤٣.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٣٤٨ في المناقب، مناقب سعد بن معاذ، ح٣٩٣٧ وقال صحيح غريب.

مبحث: كلام الميت على الجنازة

٥٥٠ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وُضِعَتْ الجَنَازَةُ فاحْتَمَلَهَا الرجالُ على أَعْنَاقِهِمْ فإنْ كانتْ صَالِحَةً قالت قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وإن كانتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قالت: يَاوَيْلَهَا أين يذهبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صوتَها كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنسانَ ولو سَمِعَهَا الإنسانُ لَصَعِقَ».

---

[٥٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٩٧، في الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة، ح١٣٨٠.

أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٢٥، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني.

قوله: «يا ويلها» الويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ومعنى النداء فيه يا حزنه ويا هلاكه ويا عذابه احضر فهذا وقتك وأوانك اهـ نهاية ٥/٢٣٦.

قوله: «لصعق» الصعق أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه: ثم استعمل في الموت كثيراً الصعقة المرة الواحدة منه اهـ نهاية ٣/٣٢.

المعنى العام

ترى صامتة هامدة لكنها تنطق بمصيرها، إنها الجنازة المحمولة على الأعناق، فهنيئًا لمن هتفت: قدموني قدموني، أي إلى رَوْحٍ وريحان ورب راض غير غضبان إن شاء الله تعالى، ويا حسرة على من صرخت بالويل والثبور تخاف الورود على الحميم والنيران لكن لا مفر لمن كان شيمه الكفران ومحاداة الرحمن، ويروي لنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ما سمعه في ذلك من النبي ﷺ حيث قال: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم» قال الحافظ ابن حجر[١]: يحتمل أن يريد

---

(١) فتح الباري ٦/٢٢٥.

= بالجنازة نفس الميت وبوضعه جعله في السرير، ويحتمل أن يريد السرير والمراد وضعها على الكتف والأول أولى لقوله بعد ذلك «فإن كانت صالحة قالت» فإن المراد به الميت قال وظاهره أن قائل ذلك من الجسد المحمول على الأعناق ثم قال فمن الجائز أن يحدث الله النطق في الميت إذا شاء اهـ قوله «فاحتملها الرجال على أعناقهم» أي على أكتافهم أثناء السير بها قوله: «فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني» فرحًا مسرورًا بعد أن رأي مقعده عند الموت ففي الصحيح[1] عن النبيﷺ قال: «ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه.. قوله: وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها» وفي رواية البخاري: وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها...» قال ابن حجر[2] : قال الطيبي: وكل من وقع الهلكة دعا بالويل، وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملاً على المعنى كراهية أن يضيف الويل إلى نفسه اهـ وقال القسطلاني[3] : وكل من وقع في هلكة دعا بالويل وأسند الفعل إلى الجنازة وأراد الميت اهـ قوله: «أين يذهبون بها» قالته خوفًا من المصير السئ الذي بدت أماراته قال القسطلاني: بالمثناة التحتية في يذهبون وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملاً على المعنى اهـ قوله: «يسمع صوتها كل شئ إلا الإنسان ولو سمعه لصعق» قال الحافظ ابن حجر: لصعق: أي لغشي عليه من شدة ما يسمعه وربما أطلق ذلك على الموت، والضمير في يسمعه راجع إلى دعائه بالويل، أي يصيح بصوت منكر لو سمعه الإنسان لغشى عليه قال ابن بزيزة: هو مختص بالميت الذي هو غير صالح وأما الصالح فمن شأنه اللطف والرفق في كلامه فلا يناسب الصعق من سماع كلامه اهـ قال ابن حجر: ويحتمل أن يحصل الصعق من سماع كلام الصالح لكونه غير مألوف اهـ: فاللهم اجعل كلامنا وهتافنا عند حملنا على اكتاف اخواننا قدموني قدموني يارب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٩/٢٤ في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ح٦٥٠٧.

(٢) فتح الباري ٢٢٦/٦.

(٣) إرشاد الساري ٤٦٨/٢.

مبحث: من صلى عليه مائة مسلمون أو أربعون مخلصون شفعوا له

٥٥١ - عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه**».

٥٥٢ - وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**».

---

[٥٥١] أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/٧ في الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه.

وأخرجه النسائي في سننه ٧٥/٤ في الجنائز، باب فضل من صلى عليه مائة.

[٥٥٢] أخرجه مسلم في صحيحه ١٨/٧ في الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه.

وأخرجه ابن ماجة في سننه ٤٧٧/١ في الجنائز، ح١٤٨٩.

المعنى

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شعفوا فيه» أي ما من رجل مسلم يموت فيصلي على جنازته جماعة من المسلمين يبلغ عددهم مائة نفر وكلهم يدعون له بالمغفرة والرحمة إلا تقبل الله تعالى دعاءهم وشفاعتهم له فشفاعة المسلمين هو طلبهم من الله تعالى ودعاؤهم ربهم عز وجل لأخيهم بالرحمة والمغفرة قال ابن الأثير[١]. في الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم والمشفع: =

---

(١) النهاية ٤٨٥/٢.

= الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته اهـ فدعاء مائة من المسلمين المصلين على أخيهم يقبل الله تعالى برحمته دعاءهم أما إذا بلغ حال هؤلاء المسلمين إلى أنهم لا يقعون في الشرك كله صغيره وكبيره فأربعون فقط تقبل شفاعتهم لعلو مرتبتهم ودرجتهم في الأعمال الصالحة حيث الذين لا يشركون أخص من عموم المسلمين لذلك أخبر ﷺ في حديث ابن عباس أنه «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه» وعند ابن ماجة «ما من أربعين مؤمن يشفعون لمؤمن إلا شفعهم الله» فلأنهم لا يشركون بالله تعالى شيئًا يدعون له قبل الله تعالى منهم بإذنه تعالى قال عز وجل ﴿ **يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾[1]، قال النووي[2] أقوالاً في الجمع بين الأحاديث بعد أن ذكر أن هناك حديثًا في السنة في شفاعة ثلاثة صفوف[3] فقال: ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أخبر بقبول شفاعة مائة فأخبر به ثم بقبول شفاعة أربعين ثم ثلاث صفوف اهـ والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢٨).

(٢) شرح مسلم ١٧/٧.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ١١٣/٤ في الجنائز، باب كيف الصلاة على الميت والشفاعة له وقال حسن ولفظه «من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب» عن مالك بن هبيرة مرفوعًا.

مبحث: الصلاة على الصالح ولو كان في عين الناس حقيرا

٥٥٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أسود رجلاً أو امرأة كان يقم المسجد فمات ولم يعلم النبي ﷺ بموته. فذكره ذات يوم فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما فعل ذلك الإنسان؟**» قالوا: مات يا رسول الله قال: «**أفلا آذنتموني؟**» فقالوا: إنه كان كذا وكذا ـ قصته. قال: فحقروا شأنه. قال: «**فدلوني على قبره**»، فأتى قبره فصلى عليه.

---

[٥٥٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٥٠، في الجنائز، باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن، ح١٣٣٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٧/٢٥، في الجنائز، باب الصلاة على القبر.

قوله: «يقمّ»: قمت أي كنست والقمامة: الكناسة، والمقمة: المكنسة. اهـ نهاية ٤/١١٠.

المعنى العام

في الحديث «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»[١] فكم من صغير حقير في عين الناس عظيم عند الله تعالى لذلك لم يعتد رسول الله ﷺ بتحقير هذا الميت بل عظم أمره بالصلاة على قبره بعدما مات فأعظم بخطوات من رسول الله ﷺ إلى قبره بعد مفارقته دار التفاخر ويقص علينا أبوهريرة رضي الله عنه قصة هذا الإنسان فيقول: «إن أسود رجلاً» قال القسطلاني[٢]: بالنصب بدل من أسود ويجوز الرفع خبر مبتدأ محذوف اهـ قوله: «أو امرأة» في رواية مسلم: «أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شابًا» فظهر أن السواد صفة للمرأة قوله: «كان يقم =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٢٦٦، باب فضل الضعفاء والخاملين ح١٣٨/٢٦٢٢.

(٢) إرشاد الساري ٢/٤٣٣.

= المسجد» في رواية مسلم: «كانت تقم المسجد» قوله: «فمات فذكره النبي ﷺ ذات يوم فقال عليه الصلاة والسلام «ما فعل ذلك الإنسان» فيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع وحسن الخلق مع الناس وعدم احتقارهم والسؤال عن صغيرهم وغبرائهم. قوله: «قالوا مات يا رسول الله» فيه التصريح بذكر الموت للسؤال عمن مات بخلاف أهل زماننا فإذا سئلوا عن ميت يقتصرون غالبًا على قولهم الله يرحمه أو تعيش أنت ونحو ذلك معرضين عن ذكر هاذم اللذات الذي أمرنا النبي ﷺ بذكره فقال: «اكثروا ذكر هاذم اللذات»[1] قوله: «قال: أفلا آذنتموني» قال النووي[2] : أي أعلمتموني وفيه دلالة لاستحباب الإعلام بالميت اهـ قوله: فقالوا: «إنه كذا وكذا ـ قصته ـ قال فحقروا شأنه» وفي رواية مسلم: «فكأنهم صغروا أمرها وأمره» وقال القسطلاني: لا ينافي ما سبق من التعليل بأنهم كرهوا أن يوقظوه ﷺ في الظلمة خوف المشقة إذ لا تنافي بين العلتين اهـ ففي رواية للبخاري[3] «قالوا دفناه في ظلمة الليل فكرهنا أن نوقظك.. الحديث» قوله: «قال: فدلوني على قبره فأتى قبره فصلى عليه» وزاد في مسلم: «إن هذه القبور مملؤة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم» ورحم الله تعالى الحافظ ابن حجر فقد ذكر هذه الرواية وعزاها لابن حبان[4] والأولى أن يعزوها لمسلم أولاً لكن لم يذكر هنا مسلم فسبحان من لا يغفل ولا ينسى ولا ينام. قال الحافظ ابن حجر: قال ابن حبان: في ترك إنكاره ﷺ على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وأنه ليس من خصائصه ثم قال: واختلف في من قال بشرع الصلاة لمن لم يصل فقيل يؤخر دفنه ليصلي عليها من كان لم يصل، وقيل =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥٩٤/٦ في الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ح٢٤٠٩ وقال الحديث غريب حسن.

(٢) شرح مسلم للنووي ٢٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٣١/٦ في الجنائز باب صفوف الصبيان مع الرجال في الجنائز، ح١٣٢١.

(٤) فتح الباري ٢٥٠/٦.

مبحث: المؤمنون شهداء الله في الأرض

٥٥٤ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: «وجبت»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت قال: «**هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**».

٥٥٥ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة**» فقلنا وثلاثة؟ قال: «**وثلاثة**» فقلنا: واثنان؟ قال «**واثنان**» ثم لم نسأله عن الواحد.

يبادر بدفنها ويصلي الذي فاتته علي القبر، وكذا اختلف في أمد ذلك فعند بعضهم إلى شهر وقيل مالم يبل الجسد، وقيل يختص بمن كان من أهل الصلاة عليه حين موته وهو الراجح عند الشافعية وقيل يجوز أبداً اهـ والله أعلم.

مبحث: المؤمنون شهداء الله في الأرض

[٥٥٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٨/٦ في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ح١٣٦٧.

أخرجه البخاري في صحيحه ٦٨/١١ في الشهادات، باب تعديل كم يجوز، ح٢٦٤٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨/٧ في الجنائز، باب من أثنى عليه خيراً وشراً من الموتى.

[٥٥٥] أخرجه البخاري ف صحيحه ٢٨٠/٦ في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ح١٣٦٨.

= أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٦٩ في الشهادات، باب تعديل كم يجوز ح٢٦٤٣.

وأخرج البيهقي شاهداً في الزهد الكبير ص٣٢٢ ح٨٠١ وابن ماجة في الزهد ٢/١٤١١ باب الثناء الحسن، وأحمد في المسند ٣/٤١٦.

المعنى

إنه حكم ظاهر جعله الله تعالى علامة على كثير ما يخفيه الباطن وهو انطلاق ألسنة المؤمنين بما في امرء من الخير والشر لذلك قالﷺ «المؤمنون شهداء الله في الأرض» ويقول أنس رضي الله عنه «مر بجنازة»

قال الحافظ ابن حجر[1] : بضم الميم على البناء للمجهول اهـ قوله «فأثنوا عليها خيراً» والخير هو ما يحبه الله ورسوله ﷺ من الطاعة والذكر والعمل الصالح والشر المعصية بأنواعها، ودليل ذلك ما أخرجه الحاكم[2] عن أنس رضي الله عنه قال: كنت قاعداً مع النبيﷺ فمر بجنازة فقال: «ماهذه؟» قالوا: جنازة فلان الفلاني كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها، فقال رسول اللهﷺ: «وجبت وجبت، وجبت» ومر بجنازة أخرى قالوا: جنازة فلان الفلاني كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها، فقال النبيﷺ «وجبت» وفي رواية مسلم وجبت وجبت وجبت: ثلاث مرات قال النووي[3] : وفي هذا الحديث استحباب توكيد الكلام المهتم بتكراره ليحفظ وليكون أبلغ اهـ قوله: «فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت» وفي رواية مسلم «فدى لك أبي وأمي مر بجنازه» الحديث قال الحافظ وفيه جواز قول مثل ذلك اهـ يعني التفدية بالأبوين بل والنفس. قوله: «هذا أثنيتم عليه =

---

(١) فتح الباري ٦/٢٧٩.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/٣٧٧/٥٣٣ في الجنائز ح١٣٩٧/١٣٣.

(٣) شرح مسلم للنووي ٧/١٩.

= خيراً فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار» قال الحافظ ابن حجر والمراد بالوجوب الثبوت إذ هو في صحة الوقوع كالشئ الواجب، والأصل أنه لا يجب على الله شئ بل الثواب فضله والعقاب عدله ﴿**لا يسأل عما يفعل**﴾[1] اهـ وفي رواية مسلم: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار» وتلك الرواية الأخيرة رد على من زعم أن ذلك خاص بالميتين الذين قال النبيﷺ فيهما الحديث لأن الرواية عامة بلفظ «من أثنيتم» قال النووي: أنه كل مسلم مات فألهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا وأن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة بل هو في خطر المشيئة فإذا ألهم الله عز وجل الثناء عليه استدللنا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له وبهذا تظهر فائدة الثناء اهـ وهو كلام قيم.

قوله: «أنتم شهداء الله في الأرض» قال القسطلاني[2] : فالمعتبر شهادة أهل الفضل والصدق لا الفسقة لأنهم يثنون على من كان مثلهم وقال: ولا من بينه وبين الميت عداوة لأن شهادة العدو لا تقبل قاله الداودي اهـ وهو كلام قيم أيضاً والراجح أن ذلك عام في الكل المؤمنين كما ثبت أنه عام في كل ميت بما أسلفت كلام عليه، ودليل ذلك حديث البخاري ففيه: المؤمنون شهداء الله في الأرض قال ابن حجر: قال ابن التين: والصواب أن ذلك يختص بالثقات المتقنين اهـ قال النووي[3] : فإن قيل كيف مكنوا بالثناء بالشر مع الحديث الصحيح في البخاري وغيره في النهي عن سب الأموات؟ فالجواب أن النهي عن سب الأموات هو في غير المنافق وسائر الكفار وفي غير المتظاهر بفسق أو بدعة فأما هؤلاء فلا يحرم ذكرهم بشر للتحذير من طريقتهم ومن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم وهذا الحديث محمول على أن الذي أثنوا =

(١) سورة الأنبياء آية (٢٣).

(٢) إرشاد الساري ٢/٤٥٨.

(٣) شرح مسلم ٧/٢٠.

= عليه شرًا كان مشهورًا بنفاق أو نحوه اهـ قال ابن حجر مؤيدًا: يرشد إلى ذلك ما رواه أحمد[١] من حديث أبي قتادة باسناد صحيح أنه ﷺ لم يصل على الذي أثنوا عليه شرًا وصلى على الآخر، اهـ قلت بل جعل النبي ﷺ شهادة المؤمنين بعضهم على بعض موجبة ومقبولة يعرف بها أهل الجنة وأهل النار ففي حديث البيهقي مرفوعًا «يا أيها الناس توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار» أو قال: «خياركم من شراركم» فقال رجل: يا رسول الله بم؟ قال: «بالثناء الحسن أو بالثناء السيئ وأنتم شهود بعضكم على بعض»[٢] وأما لفظ حديث أحمد: كان رسول الله ﷺ إذا دعى لجنازة سأل عنها فإن أثنى عليها خيرًا قام فصلى عليها وإن أثنى عليها غير ذلك قال لأهلها شأنكم بها ولم يصل عليها وأما حديث عمر فبين فيه نبينا ﷺ العدد الذي يعتد بثنائه على الميت بعد أن بين صفة المثنى على الميت فيقول ﷺ: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة» وقد ذكر هنا الثناء بالخير دون الشر، قال الحافظ ابن حجر[٣]: وأما اقتصار عمر على ذكر أحد الشقين فهو إما للاختصار وإما لإحالته السامع على القياس والأول أظهر وعرف من القصة أن المثنى على كل من الجنائز المذكورة كان أكثر من واحد «وكذا في قول: عمر: «قلنا وما وجبت» إشارة إلى أن السائل عن ذلك هو وغيره اهـ قوله: «فقلنا: وثلاثة؟» قال: «وثلاثة» فقلنا: «واثنان؟» قال: «واثنان» قال ابن حجر[٤]: فيه اعتبار مفهوم الموافقة لأنه سأل عن الثلاثة ولم يسأل عما فوق الأربعة كالخمسة مثلاً وفيه أن مفهوم العدد ليس دليلاً قطعيًا بل هو في مقام الاحتمال اهـ قوله: «ثم لم نسأله عن الواحد» قال الزين بن المنير: إنما لم يسأل =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٩٩، ٣٠٠ بلفظ: «فإن أثني عليها خيرًا قام فصلى عليها وإن أثنى عليها غير ذلك قال لأهلها شأنكم بها ولم يصل عليها».

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير ص٣٢٢ ح٨٠١.

(٣) فتح الباري ٦/٢٨٠.

(٤) فتح الباري ٦/٢٨١.

مبحث: الحزين في ظل الله يوم القيامة

٥٥٦ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوي موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة**».

= عمر عن الواحد استبعاداً منه أن يكتفي في مثل هذا المقام العظيم بأقل من النصاب اهـ قال القسطلاني: وأما في جانب الشر فظاهر الأحاديث أنه كذلك لكن إنما يقع ذلك في حق من غلب شره على خيره اهـ قال ابن حجر: وفي الحديث فضيلة هذه الأمة، وإعمال الحكم بالظاهر، قال: وإلى هذا يومئ قوله تعالى ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا... الآية**﴾ اهـ والله أعلم.

مبحث: الحزين في ظل الله يوم القيامة

[٥٥٦] أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٣٠/٣٦٦ في الرقاق، ح٧٩٤١ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

قوله: «خاوي» أي خاو وخوى البيت أي خلا اهـ نهاية بتصرف ٢/٩٠.

المعنى

يخبرنا أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «زر القبور تذكر بها الآخرة» أي زيارة القبور تذكرك بأحوال الآخرة لأنه أول منازلها وأهوالها لفظاعة منظره وسكونه وظلمته وتربته ووحشته لذلك فقال ﷺ «ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه»[١] وقال ﷺ: «القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[١] وقوله ﷺ: «واغسل الموتى» أي قم بتغسليهم إذا ماتوا قبل دفنهم والصلاة عليهم «فإن معالجة جسد خاوي موعظة بليغة» أي هذا =

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٣١/٣٦٧ في الرقاق ح٧٩٤٢.

= العمل من تغسيل الموتى وتقليبهم حيث لا حول ولا قوة ولا صوت ولانفس بعد أن كانوا أصحاء أقوياء متكلمين يفعلون ويقولون من أقوى المواعظ لقلبك تغرس فيه خشية الحي الذي لا يموت وليعلم أنه حقًا الجن والإنس يموتون وهم عباد ذليلون لرب العالمين «وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك» أي يسبب انتشار الحزن بين خلايا قلبك فيرق ويخاف الله تعالى فيقوى بالإيمان ويسلم من آفات النفاق والأمن من مكر الله تعالى وعذابه «فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة» كما قال ﷺ: «إن الله عز وجل يحب كل قلب حزين»[1] أي منكسر فائق وجل مشفق من رب العالمين فهذا ربنا يحبه لقربه منه غير النشط الفرح فهذا بعيد من الله تعالى قال تعالى ﴿ **إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[3] والله أعلم.

(١) ذكره ابن حجر في المطالب العالية ١٩٢/٣ وعزاه لأبي يعلي قال المحقق، قال الهيثمي في الزوائد ٣١٠/١٠ رواه البزار والطبراني وإسنادهما حسن.

(٢) سورة القصص آية (٧٦).

(٣) سورة الرحمن آية (٤٦).

مبحث : إن الميت يعذب بما نيح عليه إذا لم يوص ويتبرأ

٥٥٧ ـ عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت**».

---

[٥٥٧] أخرجه الترمذي في سننه ٨٤/٤ في الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت، ح١٠٠٨ وقال حسن غريب.

قوله: «يلهزانه» أي يدفعانه ويضربانه، واللهز: الضرب بجمع الكف في الصدر اهـ ٢٨١/٤.

المعنى

يخبرنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من ميت يموت» أي موت حقيقي أو غشى قبل الموت «فيقوم باكيهم» الذي يبكي على الميت من رجل أو امرأة فيقول: واجبلاه، واسيداه، أو نحو ذلك من الألفاظ التي فيها إطراء للميت بما لا يليق به حيث يظهر منها أنه بموته انعدم النصير والمنصف والقائم بالأمور بعده مع أن كل هذا قبل وبعد الموت القائم به وبغيره من أمور الخلق كلها هو الله عز وجل قال الله تعالى ﴿**قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون**﴾[1] قال في التحفة[2] : قوله «ما من ميت» أي حقيقي أو مشرف على الموت «يموت» قال الطيبي: فسمي المشارف للموت ميتًا وهذه الحالة التي ظهرت على عبد الله بن رواحة اهـ وأخرجها البخاري[3] في صحيحه عن النعمان بن بشير أنه قال أغمى على عبد الله بن رواحة =

---

(١) سورة المؤمنون آية (٨٨).

(٢) تحفة الأحوذي ٨٤/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٤/١٦، ١٠٥ في المغازي باب غزوة مؤتة من أرض الشام ح٤٢٦٧، ٤٢٦٨.

مبحث: بيت الحمد في الجنة للصابر على موت ولده

٥٥٨ ـ عن أبي موسى الأشعري أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قال الله لمَلاَئكَته «قَبضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي»؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: «قَبضْتُمْ ثَمرَةَ فُؤَاده»؟ فيقولون: نعم، فيقول «مَاذَا قَالَ عَبْدِي»؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسْتَرْجَعَ، فيقول الله: «ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ».

= فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه، وا كذا وا كذا تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لي أنت كذلك فلما مات لم تبك عليه وقوله «إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت» أي إلا قام به ملكان يضرباه في صدره وينتهرانه أأنت حقًا جبلها وسندها وكذا وكذا حسابًا له على تقصيره في الوصية وتأديبه أهله، قال في التحفة: «يلهزانه» بفتح الهاء أي يضربانه ويدفعانه «أهكذا كنت» أي توبيخًا وتقريعًا اهـ والله أعلم.

مبحث: بيت الحمد في الجنة للصابر على موت ولده

[٥٥٨] أخرجه الترمذي في سننه ١٠١/٤ في الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، ح١٠٢٦ وقال حسن غريب.

قوله: «استرجع» أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون اهـ نهاية ٢٠٢/٢.

المعنى

يخبرنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مات ولد العبد» أي إذا فقد المرء ولدًا من أولاده ذكرًا كان أو أنثى بالموت «قال الله لملائكته» أي سأل الله تعالى ملك الموت وأعوانه وهو أعلم سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته =

= رسلنا و هم لا يفرطون ﴾[1] قال صاحب التحفة[2] : في قوله: «قال الله لملائكته» أي ملك الموت وأعوانه «قبضتم ولد عبدي» على تقدير الإستفهام اهـ فيقولون نعم أي وأنت أعلم يارب أنا قبضنا بأمرك وقدرك وإذنك «فيقول «قبضتم ثمرة فؤاده» قال في التحفة: أي يقول ثانيًا إظهار لكمال الرحمة، وقيل سمي الولد ثمرة فؤاده لأن نتيجة الأب كالثمرة للشجرة اهـ «فيقول «ماذا قال عبدي» أي كيف حاله ولسانه هل سخط أم رضي وسلم؟ وهو أعلم سبحانه فيقولون: «حمدك واسترجع» أي كان على ما تجد من الرضى والتسليم فقال «الحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون» وهكذا يكون المؤمن الحق، قال صاحب التحفة: «واسترجع» أي قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» فيقول الله «ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد» ليذكر بسبب الوصول إلى تلك المرتبة العظيمة أنه الحمد مع الرضا عند المصيبة، قال في التحفة: أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة لأنه جزاء ذلك الحمد قاله القارى اهـ والله تعالى قال عنهم ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[3] والله أعلم.

(١) سورة الأنعام آية (٦١).

(٢) تحفة الأحوذي ١٠١/٤.

(٣) سورة البقرة آية (١٥٦)، (١٥٧).

مبحث: القبر أول منازل الآخرة

٥٥٩ ـ عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»، قالَ: وقال رسول الله ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**».

---

[٥٥٩] أخرجه الترمذي في سننه ٦/٥٩٥ في الزهد باب ـ ح٢٤١٠ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٣٠، ٣٣١/٣٦٧ح ٧٩٤٢ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

المعنى

يخبرنا هانئ مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه أنه كان إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته «أي من كثرة الدموع» فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا «أي كيف تبكي من القبر مع أن أمر الجنة والنار أهم وأشد فالأولى البكاء شوقا إلى الجنة وخوفًا من النار فقال: «إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة» فالحكم فيه لله تعالى وحده ولا ينفع الإنسان فيه إلا ما قدم وهو إما روضة وإما حفرة ثم بعد ذلك البعث والحشر والميزان والصراط والجنة والنار قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] قال في التحفة[2]: في قوله «إن =

---

(١) سورة المؤمنون آية (٩٩)، (١٠٠).

(٢) تحفة الأحوذي ٦/٥٩٥، ٥٩٦.

= القبر أول منزل من منازل الآخرة» وآخر منزل من منازل الدنيا ولذا يسمى البرزخ «فإن نجا» أي خلص المقبور «منه» أي من عذاب القبر «فما بعده» أي من المنازل «أيسر منه» أي أسهل منه لأنه لو كان عليه ذنب لكفر بعذاب القبر «وإن لم ينج منه» أي لم يتخلص من عذاب القبر ولم يكفر ذنوبه به وبقي عليه شئ مما يستحق العذاب به «فما بعده أشد منه» لأن النار أشد العذاب والقبر حفرة من حفر النيران اهـ فأهوال القبر لا تساوي إلا قليلاً قليلاً من أهوال الآخرة وكذلك نعيمه لا يساوي إلا روضة من رياض الجنة قال: وقال رسول الله ﷺ «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه» أي ما رأيت منظراً فظيعًا شديد الفظاعة في الدنيا إلا والحقيقة أن حال القبر أفظع منه أو منظر القبر داخله مغلقًا مظلما أقبح وأفظع من هذا المنظر الفظيع المرئي فكيف بمنظر حال المجرمين يوم القيامة فهذا الذي أبكى عثمان رضي الله عنه لذلك قال النبي ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[1] وقد تقدم تحقيقه بحمد الله تعالى قال تعالى ﴿ **كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين...** ﴾[2] قال في التحفة: في قوله: «ما رأيت منظراً» بفتح الميم والظاء أي موضعًا ينظر إليه وعبر عن الموضع بالنظر مبالغة «قط» أي أبداً وهو بفتح القاف وتشديد المضمومة المهملة وهو لا يستعمل إلا في الماضي «إلا والقبر أفظع منه» من فظع الأمر ككرم اشتدت شناعته وجاوز المقدار في ذلك يعني أشد وأفظع وأنكر من ذلك المنظر اهـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/١١٠ في الرقاق ح١٤٨٥.

(٢) سورة التكاثر آية (٣): (٧).

مبحث : ما جاء في عذاب القبر ونعيمه

٥٦٠ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَوَلَّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل مُحَمَّدٌ ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسُوله فيقال له: انظر إلى مَقْعَدِكَ من النار قد أَبْدَلَكَ الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا» ـ قال قتادة: وذكر لنا أنه يُفْسحُ له في قبره ـ ثم رجع إلى حديث أنس، قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لاأدْري، كنتُ أقولُ ما يقولهُ الناسُ فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ويُضْرَبُ بِمَطَارِقَ من حديد ضربةً فيصيح صَيْحَةً يسمعها من يليه غيرُ الثَّقَلَيْنِ».

٥٦١ ـ وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا أُقْعِدَ المؤمنُ في قَبْرِه أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾».

٥٦٢ ـ وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: اطَّلَعَ النبي ﷺ على أهل القَلِيبِ فقال: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا؟» فقيل له: تدعو أمواتًا؟ فقال: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُم وَلَكِنْ لاَيُجِيبُونَ».

---

[٥٦٠] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٨٨ في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت ... الآية﴾ ح١٣٧٤.

[٥٦١] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٨٤ في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى ح١٣٦٩.

[٥٦٢] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٨٥ في الجنائز، باب ما جاء في =

= عذاب القبر، وقوله تعالى ح١٣٧٠.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧/٢٩٥، ٢٩٦ في الجنة وصفة مغيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت ... ح٧٠/٢٨٧٠.

قوله: «لا دريت ولا تليت» قال ثعلب: قوله: تليت أصله تلوت، أي لا فهمت ولا قرأت القرآن والمعنى: لا دريت ولا اتبعت من يدري اهـ فتح ٦/٢٩٢.

المعنى العام

قال الله عز وجل ﴿**أفحسبتم أنما خلقنكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[1] إذاً فلا مناص من الرجوع إلى الله عز وجل، ومقرنا الأرض التي منها خلقنا، قال الله تعالى ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾[2] فلم نخلق عبثاً، ولم نترك هملاً، بل خلقنا لحكمة، ويرجعنا إليه لحكمة، فنسكن الأرض التي منها خلقنا، ولكن السكن هذه المرة خلاف السكن الذي كان قبل الرجوع، فالدار غير الدار، والقرار غير القرار، إنما هي دار تعمرها الأعمال، وأولها سؤال، لا سبيل فيه إلى الفرار، ولا مساومة ولا حوار، ولا إمهال ولا انتظار، ولا حسبك ولا التماس للأعذار، إنما الناس بمجرد أنهم يموتون فهم إلى قبورهم يحملون، وبعد حملهم يوضعون وبعد وضعهم يدفنون، فإذا دفنوا يبعثون، فإذا بعثوا يفتنون، فأما المؤمنون فيسعدون، ومن الفتنة هم ناجون، وكالعروس هم ينامون إلى يوم يبعثون، ثم إلى الجنة هم يساقون، فاللهم اجعلنا معهم يوم يحشرون، برحمتك يا حي يا قيوم، وأما المنافقون والمرتابون، الذين قالوا بلسان حالهم ومقالهم عن الرسول الكريم: ﴿**أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون. هيهات هيهات لما توعدون. إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن** =

---

(١) سورة المؤمنون آية (١١٥).

(٢) سور طه آية (٥٥).

= بمبعوثين﴾[1] فياويلهم يوم يبعثون، وساعة الملائكة لهم ينتهرون، ويا حسرة عليهم وقت السؤال وهم لا يجيبون إلا بـ هاها وهم لا يدرون، فسبحان من قص علينا حالهم من يوم يموتون، إلى يوم يحشرون إلى أن يدخلوا ناراً هم فيها كالحون، فقال ربنا الحي القيوم في ما أنزل في سورة «المؤمنون»﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[2] وفي هذا الحديث الشريف الذي كان سببه ما رواه أبو داود[3] بسنده إلى أنس رضي الله عنه أيضًا أن نبي الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتًا ففزع فقال: «من أصحاب هذه القبور»؟ قالوا، يا رسول الله ناس ماتوا في الجاهلية، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر ومن فتنة الدجال «قالوا: ومم ذاك يا رسول الله؟» قال: «إن المؤمن...» فذكر الحديث قال ابن حجر فأفاد بيان سبب الحديث الذي أخبر فيه النبي ﷺ أن العبد إذا وضع في قبره وانصرف عنه مشيعوه ولم يبق معه إلا عمله وينصرف أهله ويحاسب على ماله: =

(١) سورة المؤمنون آية (٣٥)، (٣٦)، (٣٧).

(٢) سورة المؤمنون من آية (٩٧) إلى آية (١٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٨٦/١٣ في السنه، باب المسألة في القبر وعذاب القبر ح٤٧٨٢٥.

= قال ﷺ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ،يبقى عمله»[1] حينئذ يأتيه منكر ونكير على هيئة لها حظ من إسمها ففي رواية للترمذي[2] عن أبي هريرة «أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير» وفي رواية للطبراني في الأوسط «أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقر وأصواتهما مثل الرعد» حيث أنهما أخر فتنه للمؤمن» والمؤمن لما كان يلجأ إلى ربه عز وجل في الدنيا بالأعمال الصالحة طائعا لربه مخبتًا إليه مخلصًا خاشعًا بين يديه متعرفًا على الله في الرخاء فعرفه الله تعالى وقت شدته فأبقى له عمله فوجده وقت أصبح أحوج ما يكون إليه ففي الحديث الذي أخرجه أحمد[3] «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنًا إحتف به عمله فيأتيه الملك فترده الصلاة والصيام، فيناديه الملك إجلس فيجلس فيقول: ما تقول في هذا الرجل محمد قال: أشهد أنه رسول الله قال: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث.. الحديث»، وفي رواية للحاكم[4] عن أبي هريرة «فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصوم عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقه والصلاة والصله والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ويؤتى من عن يمينه فيقول الصوم ما قبلي مدخل ويؤتى من عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل ويؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبلي مدخل فيقال له اقعد فيقعد... إلى أن قال فيقول: دعوني أصلي فما أعظم صحبة الأعمال الصالحة وما أوفاها لصاحبها!! ثم يقعدانه فيسألانه عن عبادة الله عز وجل أولاً ثم عن نبينا ﷺ» لأن ذلك أصل الإسلام ففي رواية لأبي داود[5] «ما كنت تعبد» فإن الله =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢٧/١٨ في الزهد والرقائق ح٥/٢٦٩٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١٨١/٤ في الجنائز ح١٠٧٧ وحسنه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٤/٦، ٣٥٥ أسماء مرفوعًا.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك في الجنائز ٣٧٩/١، ٣٨٠، ٥٣٥، ٥٣٦ ح٤٠٣ أو قال صحيح ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٨٧/١٣ في السنة، باب المسأله في القبر وعذاب القبر، ح٤٧٢٥.

= تعالى هداه قال: «كنت أعبد الله» وفي روايه لأحمد: «وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قيل على اليقين عشت وعليه مت هذا مقعدك من الجنة» وعند أبو داود «فما يسأل عن شئ غيرهما، ثم يسألانه عن نبينا محمدﷺ فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمدﷺ فإذا كان مؤمناً ألهمه الله عز وجل الإجابة: وثبته فيأتي بها كاملة تامة فذلك قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهنا في الحديث يقول أشهد أنه عبد الله ورسوله» ومن هنا يكون انتهى الإمتحان الشديد السريع وجائت النتيجة بالبشرى التي قال الله تعالى عنها - ﴿لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة﴾[1] وجاء النجاح العظيم الذي ليس بعده هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا أذى ولا ضيق ولا كرب فيرى النتيجة بعينيه فيقال له «أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به معقداً من الجنة فيراهما جميعًا» وفي رواية لأبي داود: فيقال له: هذا بيتك كان لك في النار ولكن الله عز وجل عصمك ورحمك فأبدلك به بيتًا في الجنة فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له: أسكن ثم تتوالى الجوائز حتى يصل المنتهى في الجنة إن شاء الله تعالى ولكن مازال في فترة الإنتظار فالنعيم دون النعيم لذلك يقال له كما في رواية الترمذي عن أبي هريرة: «فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[2] وقبل النوم يسمع ما يسره فيقال له كما أخرج أحمد[3] عن عائشة: «ويقال على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى» ثم ينام في هذا القبر لكن بعد تعديله وتبديله وتحويله وتوسيعه وتنويره ليليق بأن يكون مكان انتظار رجل رضي الله تعالى عنه، فأما التوسيع فيكون سبعون ذراعًا في سبعين بل إلى مد =

(١) سورة يونس (٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١٨٣/٤ في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ح١٠٧٧ وقال حسن غريب.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٣٩/٦، ١٤٠ من حديث عائشة مرفوعًا.

= البصر وأما الفراش فمن الجنة وأما النور فله نور فيه كالقمر ليلة البدر وأما النوافذ فأبواب إلى الجنة يأتيه من روحها وريحانها وطيبها، ثم يعاد جلده إلى الأرض إلا الأنبياء والشهداء، وأما الروح ففي نسم طائر يعلق في شجر الجنة، وأما النصوص الدالة على ذلك ففي حديثنا هذا عن قتاده قال: «وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون»[1] وفي حديث البراء الطويل[2] «فينادى مناد من السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة وألبسوه من الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيها مد بصره» وأما المنافق والكافر - وفي رواية لابن ماجه[3] «والرجل السوء فنسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة - فلا يستطيع جوابًا فقد سكت اللسان إلا بـ هاه هاه لا أدري لأنه لم يكن هناك ثم عمل يعين على الإجابة إنما كان النفاق والكفر والرياء والصد عن دين الله تعالى وإنفاق المال في الصد عن سبيل الله واكتسابه من الحرام فكانت العاقبة أن سكت اللسان عن النطق بما يرضى الرحمن بل لم يعرف ربه ذا الجلال والإكرام ولا النبي عليه الصلاة والسلام إنما عاش على تقليد الناس حتى ولو تهافتوا إلي النار ونسى قول العزيز الجبار ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون**﴾[4] ولذلك اتبعهم في الآخرة فقال: «لا أدري كيف أقول ما يقوله الناس» قال ابن حجر: وفيه ذم التقليد في الاعتقادات لمعاقبة من قال كنت أسمع الناس يقولون شيئًا فقلته له فيقال اهـ قوله «لا دريت» يعني لا فهمت لأنك قصرت في الفهم والأخذ عن من يفهم وقوله «ولا تليت» يعني: لا تلوت، يعني: لا قرأت القرآن، وفي رواية عند أحمد عن =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٩٦/١٧ في الجنة، باب عرضت مقعد من الجنة أو النار ح٧٠/٢٨٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٨٩/١٣، ٩٠ في السنة، باب المسأله في القبر وعذاب القبر، ح٤٧٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد ١٤٢٤/٢ باب ذكر الموت والاستعداد له، ح٤٢٦٢.

(٤) سورة الأنعام آية (١١٦).

= أبي سعيد «فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت»[1] ثم يأتي الجزاء إنه الهوان والعياذ بالله تعالى ﴿ جزاءً وفاقا (٢٦) إنهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) وكذبوا بآياتنا كذابا (٢٨) وكل شيء أحصيناه كتابا (٢٩) فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا (٣٠) ﴾[2] ضرب بمطرقة تحتوي على مطارق لو ضرب بها الجبل لصار ترابًا ثم يرى الجنة التي حرم منها ليزداد حسرة، وأما السكن فالقبر المدفون فيه لكن كما اتسع للمؤمن يضيق على الكافر حتى تختلف أضلاعه وأما فراشه فمن النار وأما لباسه فمن النار وأما النوافذ فمن النار يأتيه من حرها وسمومها ثم يصيح بسبب الضرب صحية يسمعه من يليه غير الإنس والجن ففي حديث أبي سعيد «ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا ويفتح له باب إلى النار» وفي حديث «فينادى مناد من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها» وفي حديثه «يسمعه ما بين المشرق والمغرب» وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ﴾[3] فالوصف لا يطاق، فكيف بحقيقة الأغلال في الأعناق؟ ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦) ﴾[4] قال ابن حجر[5] وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر، وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين، وفيه ذم التقليد في الاعتقادات لمعاقبة من قال: كنت أسمع الناس يقولون =

(١) أخرجه أحمد ٣/٣، ٤ عن أبي سعيد مرفوعًا.

(٢) سورة النبأ آية (٢٦): (٣٠).

(٣) سورة غافر آية (٣).

(٤) سورة البقرة آية (٢٨٦).

(٥) فتح الباري ٦/٢٩٣.

= شيئًا فقلته وفيه أن الميت يحيا في قبره للمسأله اهـ وفيه أنهم يسمعون من يخاطبهم كما سمع أهل القليب النبيﷺ ولكن لو لم يكن في عذاب القبر إلا الوحدة والوحشة والتراب والظلام لوجب على العاقل أن يحذر غضب الجبار، فكيف وفيه الدود والضيق والثعابين والمطارق بل والنيران، وأخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال قال رسول اللهﷺ «إذا قبر الميت - أوقال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر أو الآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله،، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»، «وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك» فاللهم ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[1] والله أعلم.

(١) سورة البقرة آية (٢٠١).

مبحث : رحلة الروح من الجسد إلى البرزخ

٥٦٣ ـ عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حَوْلَهُ كأنما على رؤسنا الطير وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «اسْتَعيذُوا باللهِ منْ عَذَابِ القَبْرِ» مرتين أو ثلاثا ـ زاد في حديث جرير ههنا وقال: «وإنه لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حيث يقال له: يا هذا: من ربك وما دينك ومن نبيك، قال: هناد قال: ويأتيه ملكان فَيُجْلِسَانه فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول رَبِّيَ اللهُ، فيقولان له ما دينُكَ؟ فيقول: ديني الإسلامُ: فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان: وما يدريك فيقول: قرأتُ كتابَ الله فآمنتُ به وصدقتُ ـ زاد في حديث جرير ـ فذلك قول الله تعالى ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ الآية ـ ثم اتفقا ـ قال فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها قال، ويفتح له فيها مد بصره، قال: وإن الكافر فذكر موته قال: وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول، هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري، فينادى مناد من السماء أن كذب فَأفْرِشُوهُ من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها قال: ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ـ زاد في حديث جرير ـ قال: ثم يُقَيَّضُ له أعمى أبكم معه مرزبةٌ من =

= حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابًا قال: فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا، قال: ثم تعاد فيه الروح».

= [٥٦٣] أخرجه أبو داود في سننه ١٣/٨٩، ٩٢ باب المسألة في القبر وعذاب القبر ح٤٧٢٧.

وأخرجه أحمد في المسند ٤/٢٩٥، ٢٩٦ وقال الهيثمي في الزوائد ٣/٤٩ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٧، ٣٨، ٣٩ من طريق يحيى بن يحيى الذي تابع هناد بن السري عن معاوية عن الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء... به وقال الحاكم ١/٣٩/٩٦: هذا حديث على شرط الشيخين فقد احتجا جميعًا بالمنهال ابن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي ووافقه الذهبي في التلخيص فقال على شرطهما فقد احتجا بالمنهال.

قوله: «ولما يلحد» اللحد: الشق يعمل في جانب القبر لموضع الميت اهـ نهاية ٤/٢٣٦.

قوله: «روحها» الروح بالفتح: نسيم الريح اهـ نهاية ٢/٢٧٢.

قوله: «السموم» هو حر النهار وبالليل حرور اهـ ٢/٤٠٤ نهاية ولكن هذا الحر والعياذ بالله تعالى هو حر جهنم.

قول: «مرزبة» المرزبة بالتخفيف: المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد اهـ نهاية ٢/٢١٩.

المعنى

يخبرنا البراء بن عازب رضي الله عنه قائلاً، خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد «أي وصلنا إلى القبر ولم يجهز اللحد =

= بعد» قال صاحب عون المعبود[1] «فانتهينا إلى القبر» أي وصلنا إليه اهـ «فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله» إقتداء بلا أمر بل كان عبادة فألفوه كأنه عادة فجرى في دمائهم حب النبي ﷺ فأشربوه حتى تعودوه رضي الله عنهم وأرضاهم جلس فجلسوا «كأنما على رؤسنا الطير» أي ساكنين سكون من على رأسه الطير يخاف طيرانه تأدبًا مع النبي ﷺ قال في العون: كناية عن غاية السكون أي لا يتحرك منا أحد توقيرًا لمجلسه ﷺ «وفي يده عود ينكت به في الأرض» أي يضرب بطرفه الأرض وذلك فعل المفكر المهموم اهـ فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثًا» أي أمرهم النبي ﷺ أن يدعوا مستعيذين بالله تعالى من عذاب القبر ثلاث مرات لشدته وعظم أهواله وكبريائه «وقال: إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين» أي أن الميت ليسمع دب نعال المشيعين في الأرض إذا انصرفوا عنه، قال: «وإنه» أي الميت «ليسمع خفق نعالهم» بفتح الخاء المعجمة وسكون الفاء أي صوت نعالهم اهـ «حين يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك» أي يسمع صوت النعال حين يُسْأل عن ربنا تعالى وعن ديننا الحنيف الإسلام الشريف وعن نبينا محمد ﷺ «قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه» أي يقعدانه الملكان بعد رد الروح إليه للسؤال في القبر قال ابن القيم: وأما رد الروح إليه في البرزخ للسؤال فرد عارض لا يتصل به حياة بعد حياة ثالثة فلا تعارض بين الحديث وقوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾[2] بوجه من الوجوه وبالله التوفيق اهـ بتصرف يسير «فيقولان له: من ربك؟» أي ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾[3] «فيقول: - أي الميت - ربي الله سبحانه وتعالى لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، فيقولان له: ما دينك، فيقول ديني الإسلام» =

(١) عون المعبود ١٣/٩٠، ٩٣.

(٢) سورة غافر آية (١١).

(٣) سورة الأنفطار آية (٧)، (٨).

= ولا يستطيع أن يجيب هذه الإجابة العظيمة الصحيحة إلا من عاش عليها معتقداً لها عاملاً بها ومات عليها «فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم» لم يسمه زيادة في الإختبار والإبتلاء ليفوز بعد أن يوفقه للإجابة رب الأرض والسماء، قال في العون في قوله: «ما هذا الرجل الذي بعث فيكم» أي ما وصفه أرسول هو أو ما اعتقادك فيه اهـ «قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ» هذا هو الفوز بعد الفوز الأول والاجابة الكاملة الناجحة المنجية الناجية بإذن رب العالمين «فيقولان: وما يدريك» قال في العون: «وما يدريك» أي أي شئ أخبرك وأعلمك بما تقول من الربوبية والإسلام والرسالة اهـ «فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت» أي بعد أن فهمته وعلمته لما قرأته فآمنت وصدقت فأطعت وأجبت وعملت وعلمت قال: «قرأت كتاب الله - أي القرآن - فآمنت به - أي القرآن أو بالنبي ﷺ أنه حق - وصدقت» أي وصدقته بما قال أو صدقت بما في القرآن «فذلك قول الله تعالى» أي جريان لسانه بالجواب المذكور هو التثبيت الذي تضمنه قوله تعالى ﴿ **يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة... الآية** ﴾[1] اهـ «فينادى مناد من السماء» أي من عند الله تعالى الذي استوى على عرشه فوق سبع سموات «أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة» أي وافتحوا له بابًا وألبسوه من الجنة فلذلك يكون القبر رضوة من رياض الجنة «قال فيأتيه من روحها وطيبها» قال في العون الروح بالفتح الراحة والنسيم «قال:» ويفتح له فيها «أي في تربته وهي قبره ويدل عليه مقابلة الآتي ويضيق عليه قبره» مد بصره» أي منتهى بصره «قال: وإن الكافر فذكر موته» أي حال موت الكافر وشدته اهـ قلت وتفصيل موت المؤمن والكافر في رواية الحاكم في المستدرك «قال فيرمي بروحه حتى تعاد في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك» كما حدث مع المؤمن لكن الكافر لا تحضره إجباه صحيحة لأنه ما عاش عليها وما عمل لها وبها وما مات عليها والعياذ بالله تعالى =

(١) سورة إبراهيم آية (٢٧).

= لذلك كانت اجابته «فيقول: هاه هاه لا أدري» سكت اللسان وما خرج إلا صوت من الحنجرة بالهاء والهاء مفتوحة وساكنة والنطق كان بلا أدري فاللهم سلم سلم قال في العون: «هاه هاه» بسكون الهاء فيهما بعد الألف كلمة يقولها المتحير الذي لا يقدر من حيرته للخوف أو لعدم الفصاحة أن يستعمل لسانه فيه، «لا أدري» أي شيئًا ما وهذا كأنه بيان لقوله: هاه هاه «قال فيأتيه من حرها» أي حر النار وهو تأثيرها «وسمومها» وهي الريح الحارة «ويضيق» بصيغة المجهول من التضييق «حتى تختلف فيه أضلاعه» بفتح الهمزه جمع ضلع وهو عظم الجنب أي حتى يدخل بعضها في بعض من شدة التضيق والضغطة «قال: ثم يقيض» أي يسلط ويوكل «أعمى» أي زبانية أعمى اهـ «أبكم» لايتكلم زيادة في العذاب أن تكون الزبانية قساة يغضبون لغضب رب العالمين «معه مرزبة من حديد» أي مطرقة من حديد «لو ضرب بها جبل لصار ترابًا» فكيف لو ضرب بها بشرًا!!؟ فاللهم سلم سلم «قال: فيضربه بها ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب» من شدة صوتها وعلوه وسعة انتشاره «إلا الثقلين» أي الجن والأنس «لأنهما لو سمعاه لصعقوا ولما تحملوا» فيصير ترابًا من ضربة فكيف بالضربات وهذا في القبر فكيف بيوم القيامة «قال ثم تعاد فيه الروح» بعد أن يصير ترابًا ثم يعاد كما كان والله أعلم، وتبين رواية الحاكم كيفية خروج الروح ففيها من حديث البراء أيضًا مرفوعًا: «إن الرجل المسلم إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا» أي عند الإحتضار «جاء ملك الموت فقعد عند رأسه» ليقبض روحه «وينزل ملائكة من السماء كأن وجوههم الشمس» من شدة النور فيها، «معهم أكفان من أكفان الجنة» للروح «وحنوط من حنوط الجنة» قال ابن الأثير: الحنوط: هو ما يخلط من الطيب لأجفان الموتى وأجسامهم خاصة أهـ فيقعدون منه مد البصر» أي منتهى بصره «قال: فيقول ملك الموت: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله =

(٤) نهاية ١/ ٤٥٠.

= ورضوان» كما قال عز وجل ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾[1] وفي رواية النسائي[2] «إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان» قال السندي[3] : قوله: «إذا حضر المؤمن» على بناء المفعول أى حضرة الموت «اخرجي» الخطاب للنفس فيستقيم هذا الخطاب مع عموم المؤمن للذكر والأنثى «مرضيا عنك» على خطاب النفس بكسر الكاف «إلى روح الله» بفتح الراء رحمته «وريحان» أي طيب «كأطيب ريح المسك حال أي كونه مثل أطيب ريح المسك اهـ وعند الحاكم: قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء «أي سهلة هادئة في أناة والله أعلم «فلا يتركونها في يده طرفة عين» أي بعد خروجها يأخذوها سريعًا عاجلاً لكرامتها وعند النسائي: «حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتون به باب السماء» وعند الحاكم: «فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون بها على جند من ملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة» وعند النسائي «فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جائتكم من الأرض» عند الحاكم «فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه» أي التي كان يحبها ويسمى بها في الدنيا «فإذا انتهى إلى السماء فتحت له أبواب السماء ثم يشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها» يزفونه» حتى ينتهى إلى السماء السابعة ثم يقال: اكتبوا كتابه في عليين» كما قال تعالى ﴿ **كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين** ﴾[4] ثم يقال: «أي يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **أرجعوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة** =

---

(١) سورة الفجر اية (٢٧)، (٣٠).

(٢) أخرجه النسائي في سننه ٤/٨ في الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه.

(٣) حاشية السندي على النسائي الصغرى ٤/٨.

(٤) سورة المطففين آية (١٨).

= أخرى﴾ كما قال الله عز وجل ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[1]) وعند النسائي «فيأتون به ارواح المؤمنين فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيقولون ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا» وعند الحاكم «فترد روحه في جسده فتأتيه الملائكة فيقولون: من ربك... الحديث» وعند النسائي «وأما الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطة عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيف حتى يأتون به باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار» وعند الحاكم «وأما الفاجر: فإذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتاه ملك الموت فيقعد عند رأسه وينزل الملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيقعدون منه مد البصر فيقول ملك الموت: اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سخط من الله وغضب» كما قال تعالى ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءايته تستكبرون. ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾[2] «قال: فتفرق في جسده فيتقطع معها العروف والعصب، كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود ذي الشعب، قال: فيقومون إليه فلا يدعونها في يده طرفة عين فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون على جند من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة قال: فيقولون فلان: بأقبح أسمائه قال: فإذا انتهى إلى السماء غلقت دونه أبواب السموات» قال تعالى ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش =

(١) سورة طه آية (٥٥).

(٢) سورة الأنعام آية (٩٣)، (٩٤).

= وكذلك نجزي الظالمين والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾[1] «قال: ويقال: اكتبوا كتابه في سجين، قال: ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فيرمي بروحه حتى تقع في جسده قال: ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء... الآية ﴾[2] والله أعلم.

---

(١) سورة الأعراف اية (٤٠)، (٤١)، (٤٢).

(٢) سورة الحج آية (٣١).

مبحث : الأعمال الصالحة يدفع الله تعالى بها عن المؤمن في قبره

٥٦٤ - عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصوم عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، ويؤتى من عن يمينه فيقول الصوم: ما قبلي مدخل، ويؤتى من عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل، ويؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات: ماقبلي مدخل، فيقال له، أقعد فيقعد وتمثل له الشمس قد دنت للغروب فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به فيقول: دعوني أصلي فيقولون: إنك ستفعل، ولكن أخبرنا عما نسألك عنه قال: وعم تسألوني عنه، فيقولون: أخبرنا عما نسألك عنه، فيقول: دعوني أصلي فيقولون، إنك ستفعل، ولكن أخبرنا عما نسألك عنه قال: وعم تسألوني، فيقولون: أخبرنا ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وماتشهد به عليه؟ فيقول: محمداً أشهد أنه عبد الله وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من قبل النار، فيقال له: أنظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك لو عصيت فيزداد غبطة وسروراً ثم يفتح له باب من قبل الجنة: فيقال له: انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك فيزداد غبطة وسروراً وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة =

= ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[1] قال: وقال أبو الحكم عن أبي هريرة:
«فيقال له: أرقد رقدة العروس الذي لا يوقظه إلا أعز أهله إليه أو أحب أهله إليه» ثم رجع إلى حديث أبي سلمة عن أبي هريرة قال: «وإن كان كافراً أتى من قبل رأسه فلا يوجد شئ ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شئ، ثم يؤتى عن يساره فلا يوجد شئ، ثم يؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شئ فيقال له: اقعد فيقعد خائفاً مرعوباً فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وماذا تشهد به عليه؟ فيقول أي رجل؟ فيقولون: الرجل الذي كان فيكم؟ قال: فلا يهتدي له قال: فيقولون: محمد فيقول: سمعت الناس قالوا: فقلت كما قالوا: فيقولون على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من قبل الجنة فيقال له انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً قال: ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال: وذلك قوله تبارك وتعالى ﴿وإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

---

[٥٦٤] أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٧٩، ٣٨٠/٥٣٥، ٥٣٦ في الجنائز ح١٤٠٣ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وأخرجه الطبراني في الأوسط ٣/١٠٥، ١٠٦، ح٢٦٣٠، وقال الهيثمي في المجمع ٣/٥١، ٥٢ رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

قوله: «خفق نعالهم» أي صوت نعالهم على الأرض إذا مشوا اهـ نهاية ٢/٥٦.

قوله: «ثبوراً»: هو الهلاك اهـ نهاية ١/٢٠٦. =

---

(١) سورة إبراهيم آية (٢٧).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن نبيناﷺ أنه قال: «إن الميت يسمع خفق نعالهم» أي إذا انصرفوا بعد دفنه وترد إليه الروح يسمع صوت نعال المشيعين بعد إنصرافهم عنه «إذا ولوا مدبرين» أي إذا انصرفوا وتركوه وراء ظهورهم «فإن كان مؤمنًا» أي مات على الإيمان «كانت الصلاة عند رأسه» أي صلاته التي حافظ عليها تأتيه مجسدة لتكون عند رأسه في قبره كما يأتيه القرآن الكريم على هيئة رجل شاحب اللون كما في الحديث «فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك» وقد تقدم[1] «وكان الصوم عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه»[2] أي كل عمل قد أخذ مكانه من جسده إيناسًا له ودفاعًا عنه لأنه هو الذي يبقى معه بعد انصراف الناس فيتجسد مدافعًا ومحاجًا ومؤنسًا كما في الحديث المتقدم[3] عنه ﷺ أنه قال: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» قوله: «فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل» أي إلى صاحبي لا أمكنكم من الدخول من عندي عليه «ويؤتى من عن يمينه فيقول الصوم: ما قبلي مدخل» أي ما من ناحيتي مدخل إلى صاحبي» ويؤتى من عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل ويؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبلي مدخل كل قد أحاط بصاحبه كالجنود بالسطان «فيقال له اقعد» كأن النداء حينئذ من بعيد «فيقعد» أي بعد نداء الملكان «وتمثل له الشمس قد دنت للغروب» أي قبيل المغرب كأنه في هذا الوقت في الدنيا وهذا من الفتنة أيضًا ليرى كيف حاله مع الصلاة هل سيتهاون ويضيعها أم أنه يفزع لقرب الغروب من غير أداء =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٤٨/٥ عن بريد مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٣٩/٦، ١٤٠ من حديث عائشة مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢٧/١٨ في الزهد ح٥/٢٩٦٠.

= الصلاة الوسطى صلاة العصر، لذلك كان همه الأول صلاته كما سيتضح إن شاء الله تعالى «فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به» فيه تعمية عن إسم رسول الله ﷺ زيادة في الفتنة الأخيرة «فيقول: دعوني أصلي» أي أتركوني أصلي أولاً ثم سلوني لشدة اهتمامه بالصلاة في الدنيا والمحافظة على أوقاتها جعل الله تعالى ذلك همه في الآخرة زيادة في الثبات على طريق النجاة والفلاح والفوز «فيقولون: إنك ستفعل ولكن اخبرنا عما نسألك عنه» أي إننا سنتركك ولكن بعد الإجابة عن أول أسئلة فتنة القبر ولكن هناك سؤال معروف في الروايات الكثيرة في الصحيحين وغيرهما وهو السؤال عن رب العزة عز وجل «من ربك» قوله: «وعما تسألوني عنه» أي عن أي شئ ستسألوني عنه «فيقولون: أخبرنا عما نسألك عنه» أي أجبنا عن الذي نسألك عنه «قال: وعم تسألوني» كرروا فكرر «فيقول دعوني أصلي فيقولون إنك ستفعل ولكن أخبرنا عما نسألك عنه» أيضًا كرروا السؤال فكرر الجواب تأكيداً ولزيادة اهتمامه بالصلاة لذلك كان من الناجين المفلحين «فيقولون: أخبرنا ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به عليه فيقول: محمداً» أي هو محمد رسول الله ﷺ «أشهد أنه عبد الله وأنه جاء بالحق من عند الله» أي هو عبد الله وخاتم رسله كما في حديث الصحيح[1] «جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا» قوله «فيقال له: «على ذلك حييت» لذلك لما عشت على ذلك أكرمك الله تعالى بأن مت عليه لذلك قالوا «وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله» أي للحساب قوله: «ثم يفتح له باب من قبل النار، فيقال له: انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك لو عصيت فيزداد غبطة وسروراً» بما أكرمه الله تعالى به من النجاة: ثم يفتح الله تعالى له مقابل ذلك باب من الجنة قال: «ثم يفتح له باب من قبل الجنة فيقال له» انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك فيزداد غبطة وسروراً» بما ناله من هذه الدرجات العالية العظيمة التي ما كانت تخطر على قلبه وذلك قول الله تبارك =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢٤٠ في الكسوف باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف ح١٠٥٣.

= وتعالى ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء﴾[1] «فيقال له» أي بعد هذا النجاح العظيم «ارقد رقدة العروس الذي لا يوقظه إلا أعز أهله أو أحب أهله إليه» أي نم نومة هنيئة إلى يوم أن تبعث إن شاء الله تعالى فتقوم مسرورًا كرجل يوقظه أحب أهله إليه فضلاً عن النومة الهادئة الراضية فهذا هو المؤمن نسأل الله تعالى من فضله العظيم. وأما الكافر والعياذ بالله تعالى فقال عنه «وإن كان كافرًا أتى من قبل رأسه فلا يوجد شئ» قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾[2] قوله: «ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شئ» أي من الأعمال الصالحة تدفع أو تؤنس أو تحاج عنه «ثم يؤتى عن يساره فلا يوجد شئ» قال تعالى ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى﴾[3] قوله: «ثم يؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شئ» لأنه ما قدم شيئا لله تعالى «فيقال له اقعد فيقعد خائفًا مرعوبًا» ولبئس القعدة التي آخرها النار وبئس القرار «فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وماذا تشهد به عليه» هو ما صدق النبي ﷺ وما تبعه في شئ لذلك حتى المعرفة له حرمه الله تعالى إياها لذلك يقول: «أي رجل» «فيقولون الرجل الذي كان فيكم» أي بعث وعلم وعلم وحذر وأنذر وأخذ بحجزكم عن النار لكنكم كنتم تفلتون من يده وأنت ممن أفلت لذلك فلا يهتدى له قال فيقولون: «محمد» هم الذين يجيبون بعد أن عجز الكافر عن الاجابة المنجية لكنه لا يستحق النجاة لأنه لو أحب رسول الله ﷺ وأطاعه في الدنيا لا ستطاع أن يعرفه ويذكره في القبر عند السؤال لذلك قال: «فيقول» سمعت الناس قالوا: فقلت كما قالوا» وهذه من مساوئ التقليد بلا دليل ولا برهان ولا إيمان قال «فيقولون: على ذلك حييت» أي =

(١) سورة إبراهيم آية (٢٧).

(٢) سورة النور آية (٣٩).

(٣) سورة القيامة آية (٣١) (٣٢).

= على التقليد بلا إيمان إنما عشت على الشك والنفاق بل والكفر والعياذ بالله «وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله» فالعبد يموت غالبًا على ما عاش عليه ويبعث قطعًا على ما مات عليه بل وعلى الحاله والهيئة التي مات عليها بل وبالملابس الي مات به فالرجل الذي مات محرماً بعرفه قال فيه النبيﷺ «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا يمسوه طيبًا ولا تخروا رأسه ولا تحنطوه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا» أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه[1] وترجم له باب المحرم ويموت بعرفه اهـ وقوله «ثم يفتح له باب من قبل الجنة فيقال له انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً» قال الله تعالى ﴿**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾**﴾[2] والثبور هو الهلاك فهم يدعون على أنفسهم بالهلاك لما لاقوا من شدة العذاب قال تعالى ﴿**ونادوا يا مالك ليقيض علينا ربك قال إنكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثرهم للحق كارهون**﴾[3] قال: «ثم يضيق عليه» أي على الكافر هذا قبره حتى تختلف أضلاعه قال: وذلك قوله تبارك وتعالى ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾**﴾ فعذاب القبر هذا هو المعيشة الضنك والعياذ بالله تعالى والله أعلم.

=

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٨/٨ في الحج باب المحرم يموت بعرفه، ح١٨٥٠.

(٢) سورة الفرقان آية (١٢، ١٣، ١٤).

(٣) سورة الزخرف آية (٧٧) (٧٨).

(٤) سورة طه آية (١٢٤).

وهناك رواية[1] أخرى عن أبي هريرة لكن بمعنى غير المعنى وقد ذكر فيها مالم يذكره هنا كما قد ذكر هذا مالم يذكره فيها وأذكرها إتمامًا للفائدة إن شاء الله تعالى، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره، غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيما كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها: فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعًا مشعوفًا فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها ومافيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها، يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، عليه تبعث، إن شاء الله تعالى» والله أعلم.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤٢٦ في الزهد باب ذكر القبر والبلى ح٤٢٦٨ وصححه الألباني.

مبحث : عذاب القبر للكافر

٥٦٥ ـ عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يُرْسَلُ على الكافرِ حيتَانٌ واحدةٌ من قِبَلِ رأسهِ وأخرى من قِبَلِ رجليه تَقْرضَانه قَرْضًا كُلمَّا فرَغتا عَادَتَا إلى يومِ القِيامَة».

---

[٥٦٥] أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٢/٦ عن أم محمد عن عائشة مرفوعًا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٥/٣. رواه أحمد وإسناده حسن.

قوله: «تقرضانه» القرض القطع اهـ نهاية ٤١/٤.

المعنى

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يرسل على الكافر حيتان» مُثَنَّى حَيَّه، وهي أنثى الثعابين «واحدة من قبل رأسه وأخرى من قبل رجليه» مقابل ماللمؤمن كما في الحديث المتقدم[1] : أن الصلاة تكون عند رأسه والصيام عن يمينه والصدقة عن شماله والبر عند رجليه، فهنا الكافر عمله السئ يتحول إلى ثعابين وحيات وأفاعي وتنانين كما في الحديث[2] المرفوع: «ويقيض له سبعون تنينًا لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئًا ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه حتى يُفْضي به إلى الحساب، قال قال رسول الله ﷺ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» وكذلك عند أحمد[3] عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «من قعد على فراش مغيبة قيض الله له يوم القيامة ثعبانًا» وقوله: «تقرضانه قرضًا» أي تقطعان أعضاءه قطعًا حتى يفرغان منه ولا يجعلون جزءًا =

---

(١) تقدم ص١١١٠.

(٢) أخرجه الترمذي ١٥٩/٧، ١٦٠ ح٢٥٧٨ وقال غريب في القيامة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٠٠/٥.

مبحث : إذا مات ابن آدم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي

٥٦٦ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلي يوم القيامة**» .

= متكاملاً فيه لذلك قال: «كلما فرغتا» أي من إتمام تقطيعه، لتقطيعه أوامر الشرع الحنيف وإيمانه ببعض وكفره ببعض قال الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[1] وقوله: «عادتا إلى يوم القيامة» أي كلما تم تقطيعه عاد كما كان ثم قطعاه ثانياً وهكذا وهكذا إلى يوم القيامة كما قال تعالى عن أصحاب النار ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[2] والله أعلم.

مبحث : إذا مات ابن آدم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي

[٥٦٦] أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٩٦ في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ح١٣٧٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧/٢٠٠ في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار... إلخ.

قوله: «الغداة»: الغدوة: المرة من الغدو وهو سير أول النهار نقيض الرواح وقد غدا يغدو غدوا والغدوة بالضم: مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس اهـ نهاية ٣/٣٤٦.

قوله: «العشي»: ما بعد الزوال إلي غروب الشمس عشى اهـ ٣/٢٤٢. =

---

(١) سورة النساء آية (١٥٠)، (١٥١).

(٢) سورة النساء آية (٥٦).

المعنى

كما كانت أوقات الليل والنهار عامرة بالطاعات منتظمة بالأذكار المتتابعات للمؤمن فيها جد عظيم من الخيرات التي تقربه من رب البريات فكذلك بعد عرضه على رب البريات تتوالى عليه المكافأت والجزاءات الحسنيات بالغدوات والعشيات.

فيخبرنا رسول الله ﷺ عن ذلك فيقول: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي» قال النووي[1] : إعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال الله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[2] وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبلوه واعتقاده وقد أخرج مسلم هنا أحاديث كثيرة في اثبات عذاب القبر وسماع النبي ﷺ صوت من يعذب فيه وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم وكلامه ﷺ لأهل القليب وقوله ما أنتم بأسمع منهم وسؤال الملكين الميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما والفسح له في قبره وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة نفوا ذلك ثم المعذب عند أهل السنة الجسد بعينه أو ببعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه اهـ قوله: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي» قال ابن حجر قال ابن التين: يحتمل أن يريد كل غداة وكل عشي وهو محمول على أنه يحيا منه جزء ليدرك ذلك فغير ممتنع أن تعاد الحياة إلى جزء من الميت أو أجزاء وتصح مخاطبته والعرض عليه اهـ وقال القرطبي: يجوز أن يكون هذا العرض على الروح فقط، ويجوز أن يكون

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٧/٢٠٠.

(٢) سورة غافر آية (٤٦).

عليه مع جزء من البدن، قال: المراد الغداة والعشي وقتهما وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء قال: وهذا في حق المؤمن والكافر واضح فأما المؤمن المخلط فمحتمل في حقه أيضًا لأنه يدخل الجنة في الجملة ثم هو مخصوص بغير الشهداء لأنهم أحياء وأرواحهم تسرح في الجنة، ويحتمل أن يقال إن فاءدة العرض في حقهم تبشير أرواحهم باستقرارها في الجنة مقترنة بأجسادها فإن فيه قدرًا ذائدًا على ما هي فيه الآن ا.هـ قوله إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار قال الحافظ ابن حجر[1] : اتحد فيه الشرط والجزاء لفظًا ولابد فيه من تقدير، قال التوربشتي: التقدير إن كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه، وقال الطيبي: الشرط والجزاء إذا اتحدا لفظًا دل على الفخامة، والمراد أنه يري بعد البعث من كرامة الله ما ينسيه هذا المقعد اهـ وفي رواية مسلم[2] «إن كان من أهل الجنة فالجنة وإن كان من أهل النار فالنار» قال ابن حجر أي فالمعروض الجنة اهـ قوله: «فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة» قال النووي: هذا تنعيم للمؤمن وتعذيب للكافر اهـ وفي رواية مسلم: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» قال ابن حجر[3] : والمعنى حتي يبعثك الله إلي ذلك المقعد ويحتمل أن يعود الضمير إلي (الله عز وجل) فإلى الله ترجع الأمور قال: والأول أظهر اهـ وعزاه لابن عبد البر قال ابن حجر: وفي هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وأن الروح لا تفنى بفناء الجسد لأن العرض لا يقع إلا على حي اهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ٦/٢٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/٢٠١ في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت.

(٣) فتح الباري ٦/٢٩٧.

مبحث: عذاب القبر من الغيبة والبول

٥٦٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**»، ثم قال: «**بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لايستتر من بوله**»، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «**لعله يخفف عنهما مالم ييبسا**».

---

[٥٦٧] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٩٥/٦، في الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، ح١٣٧٨.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٠/٣ في الطهارة، باب نجاسة البول والاستبراء منه.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٠٦/٢ في الطهارة، باب من الكبائر أن لايستتر من بوله، ح٢١٦.

قوله: «لايستتر من بوله» أي لا يتجنبه ولا يتحرز منه اهـ شرح مسلم للنووي ٢٠١/٣.

المعنى العام

هناك أمور في أعين الناس حقيرة وهي عند الله عظيمة لذلك حذر نبيناﷺ من المحقرات ففي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه..»[1] ومن المحقرات التي يعدها بعض العلماء من الكبائر الغيبة والنميمة والبول إذا مات صاحبهم من غير توبة تطهره من آثامهم عذب على اقترافهم بعد موته في قبره والعياذ بالله تعالى، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبيﷺ على قبرين وفي رواية البخاري في الطهارة: مر النبيﷺ بحائط من حيطان المدينة أي بستان =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٠٢/١ عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً.

= قال الحافظ[١] قوله: «فقال: إنهما يعذبان» وفي رواية البخاري: «فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما» أن النبيﷺ سمع بنفسه قال العيني[٢] : فإن قلت المعذب المقبورين فكيف أسند العذاب إلى القبرين؟ قلت هذا من باب ذكر المحل وإرادة الحال. اهـ قوله: «وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى» وفي رواية البخاري في الأدب «وإنه لكبيرْ»[٣] قال الحافظ ابن حجر[٤] : وقد اختلف في معنى قوله: «وإنه لكبير» ثم ذكر أقوالاً أرجحها عندي قوله: وقيل المعنى ليس بكبير في الصورة لأن تعاطي ذلك يدل على الدناءة والحقارة وهو كبير في الذنب، وقيل ليس بكبير في اعتقادهما أو في اعتقاد المخاطبين وهو عند الله كبير كقوله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[٥] وقيل ليس بكبير في مشقة الاحتراز، أي كان لايشق عليه الاحتراز من ذلك، وهذاالأخير جزم به البغوي ورحجه ابن دقيق العيد وجماعة، وقيل ليس بكبير بمجرده وإنما صار كبيرًا بالمواظبة عليه ويرشد إلى ذلك السياق فإنه وصف كلا منهما بما يدل على تجدد ذلك منه واستمراره عليه، للإتيان بصيغته المضارعة بعد حرف «كان» والله أعلم اهـ قوله: «أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لايستتر من بوله: «قال الإمام النووي[٦] : وأما قول النبيﷺ: «لايستتر من بوله فروى بثلاث روايات يستتر، ويستنزه، ويستبرئ، وهذه الثالثة في البخاري وكلها صحيحة ومعناها لايتجنبه ويتحرز منه والله أعلم، ثم قال: وسبب كونهما كبيرين أن عدم التنزه من البول يلزم منه بطلان الصلاة فتركه كبيرة بلاشك، =

---

(١) فتح الباري ٢/١٠٦.

(٢) عمدة القارئ ٢/٤٣١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ٢٢/٢٦٣ ح٦٠٥٥، باب النميمة من الكبائر.

(٤) فتح الباري ٢/١٠٧.

(٥) سورة النور آية (١٥).

(٦) شرح مسلم للنووي ٣/٢٠١.

والمشي بالنميمة والسعي بالفساد من أقبح القبائح لاسيما مع قولهﷺ: «وكان يمشي» بلفظ كان التي للحالة المستمرة غالبًا والله أعلم اهـ قوله: «قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين» وفي روايه البخاري: «ثم دعا بجريدة فكسرها» ففسرتا بعضهما وفي رواية مسلم: قال: «فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين» قال النووي: والعسيب بفتح العين وكسر السين المهملتين وهو الجريد والغصن من النخل اهـ قال ابن حجر[1] : «فكسرها» أي فأتى بها فكسرها اهـ والذي أتى بها الراجح أنه أبو بكرة لحديث رواه أحمد[2] عن أبي بكرة أنه الذي أتى بها إلى النبيﷺ: «قوله: فكسره باثنتين» وفي رواية البخاري «فكسرها كسرتين» قال ابن حجر: بكسر الكاف الكسرة، القطعة من الشئ المكسور اهـ قوله: «ثم غرز كل واحد منهما على قبر» وفي رواية البخاري: «فوضع على كل قبر منهما كسرة» قال العيني : فالغرز يستلزم الوضع بدون العكس اهـ قوله: «ثم قال» لعله يخفف عنهما مالم ييبسا قال النووي: وأما وضعه ﷺ الجريدتين على القبر فقال العلماء: محمول على أنهﷺ سأل الشفاعة لهما فأجيبت شفاعتهﷺ بالتخفيف عنهما إلى أن ييبسا وقد ذكر مسلم[3] في آخر الكتاب في الحديث الطويل حديث جابر في صاحبي القبرين «فأجيبت شفاعتي أن يرفع ذلك عنهما ما دام القضيبان رطبان» - قلت رطبين - وقيل يحتمل أنه ﷺ كان يدعو لهما تلك المدة وقيل لكونهما يسبحان ما داما رطبين وليس لليابس تسبيح وهذا مذهب الأكثيرين من المفسرين في قوله تعالى ﴿ **وإن من شئ إلا يسبح بحمده** ﴾[4] ثم قالوا حياة كل شئ بحسبه فحياة الخشب مالم ييبس والحجر مالم يقطع وذهب المحققون =

(١) فتح الباري ٦/١٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ص٣٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨/١٩٣ في الزهد والرقاق ح٣٠١٢ مرفوعًا بلفظ: «إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت أن يرفه عنهما مادام الغصنان رطبين».

(٤) سورة الأسراء آية (٤٤).

من المفسرين وغيرهم إلى أنه على عمومه ثم اختلف هؤلاء هل يسبح حقيقة أم فيه دلالة على الصانع فيكون مسبحًا منزها بصورة حاله والمحققون على أنه يسبح حقيقة وقد أخبر الله تعالى ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾[1] وإذا كان العقل لايحيل جعل التمييز فيها وجاء النص وجب المصير إليه والله أعلم ثم قال: وأما فقه الباب ففيه إثبات عذاب القبر وهو مذهب أهل الحق خلافًا للمعتزلة وفيه نجاسة الأبوال للرواية الثانية لا يستنزه من البول وفيه غلظ تحريم النميمة وغير ذلك والله أعلم. اهـ قال الحافظ ابن حجر[2] : «تنبيه»: لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما، والظاهر أن ذلك كان على عمد من الرواة لقصد الستر عليهما وهو عمل مستحسن، وينبغي أن لايبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به اهـ والله أعلم فاللهم قنا ونجنا من عذاب الدنيا والقبر والآخرة يا أرحم الراحمين.

(١) سورة البقرة آية (٧٤).

(٢) فتح الباري ٣/١١٠.

مبحث: ضمة القبر وضغطته

٥٦٨ ـ عن ابن عباس، أن النبيﷺ صعد على قبر سعد بن معاذ فقال: «**لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد، ولقد ضم ضمة، ثم رخي عنه**».

٥٦٩ ـ عن أنس أن النبيﷺ صلى على صبي ـ أو صبية ـ فقال: «**لو كان نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي**».

---

[٥٦٨] أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٤٩/٦، ح٦٥٩٣ من طريق زياد مولى ابن عباس عن ابن عباس مرفوعًا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٦/٤٦/٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثقون.

[٥٦٩] أخرجه الطبراني في الأوسط ١٤٦/٣، ح٢٧٥٣ من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس مرفوعًا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٧/١٤٧/٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون.

المعنى

يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيﷺ صعد على قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: «لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد» أي ما من أحد إلا وسيضمه القبر ضمة عظيمة، ثم قال: «ولقد ضم ضمة، ثم رخي عنه» أي بعد الضمة فرج عنه فلو كان أحد سيفلت لكان هو أولى لبلوغه مرتبة عظيمة حيث قال النبيﷺ عنه في الحديث الذي تقدم «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[1] =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣/١٦ في فضائل الصحابه ح٢٤٦٦/١٢٤.

= وقد روى[1] ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» وهو الذي قال له النبي ﷺ لما حكم بقتل رجال بني قريظة وسبى نسائهم وذراريهم «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات» وقد تقدم شرحه وتخريجه في العقائد بحمد الله تعالى لذلك لما حملت جنازته فأخبرهم النبي ﷺ أن الملائكة كانت تحمله وقد تقدم أيضًا فهذه الضمة لكل بني آدم حتى من لم يبلغ الحلم مكتوب عليه هذه الضمة لذلك قال النبي ﷺ لما صلى على الصبي قال: «لو كان نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا لصبي» وفي رواية[2] : «لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي» فهى فتنة نسأل الله تعالى العافية منها وهي من آخر الفتن للمؤمن هو وسؤال الملكين وبعد ذلك العافيةوالنعيم بإذن الله رب العالمين والله أعلم.

(١) أخرجه النسائي في سننه ٤/١٠٠ في الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته.

(٢) ذكره ابن حجر شيخ الإسلام في المطالب العالية ح٤٦٠٤ وعزاه لأبي يعلى وقال: إسناده صحيح.

مبحث : صلاة قليلة خفيفة أحب من الدنيا إلى من عاين الآخرة

٥٧٠ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر بقبر فقال: «**من صاحب هذا القبر ؟**» فقالوا فلان. فقال: «**ركعتان أحب إلى هذا من بقية دنياكم**».

---

[٥٧٠] أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٢٨٢/١ ح٩٢٠.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٩/٢ ح٣٥٠٦ في الصلاة وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات اهـ.

وأخرجه ابن المبارك في كتابه الزهد ص١٠ ح٣١.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه مر بقبر فقال: «من صاحب هذا القبر» أي من المدفون هنا «فقالوا: فلان» أي ذكروا المدفون الميت باسمه ليعرفه النبي ﷺ فقال ﷺ: «ركعتان أحب إلى هذا من بقية دنياكم» وعند ابن المبارك «ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم» أي أن ثواب ركعتين خفيفتين من الركعات الخفيفة التي لاقيمة كبيرة لها في اعتباركم يتمناها صاحب القبر لما عاين الآخرة ويحبهما وود أن ثوابهما يأتيه بصلاتهما ولا يعطي الدنيا وما فيها قال تعالى ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين اليقين** ﴾(١) وقال تعالى حاكيًا عن صاحب العذاب الذي ود الرجوع ليتزود ويستعتب عما قدمه من سابق السيئات والعناد والمعاصي والموبقات ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال: رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾(٢) فالعاقل من اعتبر بمن مضى =

---

(١) سورة التكاثر آية (٥)، (٦)، (٧).

(٢) سورة المؤمنون آية (٩٩)، (١٠٠).

مبحث: في أفضل الأخلاء بعد الموت

٥٧١ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل إنسان ثلاثة أخلاء فأما خليل فيقول: ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك، فذلك ماله، وأما خليل فيقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك تركتك ورجعت فذاك أهله وحشمه وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عمله، فيقول إن كنت لأهون الثلاثة علي ـ أو قال ـ عليك**».

= وانتبه لما هو آت وعمل لما بعد الممات ونستودع أنفسنا وقلوبنا رب البريات. والله أعلم.

مبحث: في أفضل الأخلاء بعد الموت

[٥٧١] أخرجه أبو داود الطيالسي ص٢٦٩ في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه فيما روى عنه قتادة ح٢٠١٣.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧١/١ في الجنائز، ح١٣٧٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

قوله: «خليل»: الخليل: الصديق اهـ نهاية ٧٢/٢.

قوله: «حشمه» الحشم بالتحريك: جماعة الإنسان اللائذون به لخدمته اهـ نهاية ٣٩١/١.

المعنى

يخبرنا أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لكل إنسان ثلاثة أخلاء» أي ثلاثة أصدقاء ملازمون له «فأما خليل فيقول: ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك فذلك ماله» أي صديق يقول ما تصدقت وأخرجت لله عز وجل فهو الباقي لك الدائم المكث عندك فما ذهب، قال تعالى ﴿وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير =

الرازقين﴾[1] وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[2] قوله: «وأما خليل فيقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك تركتك ورجعت فذاك أهله وحشمه» أي والصديق الثاني فيقول: أنا معك أي طوال حياتك فإذا مت وقدمت على ملك الملوك عز وجل فلا مكث عندك ولا عهد لي بك ولا صحبة بيني وبينك ولا أنفعك ولا تنفعني ولا أعرفك ولا تعرفني، قال تعالى ﴿**يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾[3] قوله: «وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عمله» كما قال النبي ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[4] فالعمل هو الباقي لصاحبه لا يفارقه حتى يدخله ما هو أهل له، قوله: «فيقول: إن كنت لأهون الثلاثة علي أو قال عليك» أي كنت أظنك لا شئ وكنت هيناً عندي فكنت أهتم كثيراً بالأهل والمال وأستهين بك فبان لي الآن أنك أعز الأصحاب وهم أهونهم وأنت أوفاهم لي وهم أقلهم وفاء إلا من تذكرني بدعاء من أهلي فنعم الصاحب أنت لقد بان لي مالم أتوقعه قال الله عز وجل ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد**﴾[5] والله أعلم.

(١) سورة سبأ آية (٣٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٨٦/٣ ح٢٥٧٢ من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) سورة عبس من آية (٣٤) إلى آية (٣٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢٧/١٨ في الزهد والرقائق ح٥/٢٩٦٠ عن أنس مرفوعًا.

(٥) سورة ق آية (٢٢).

مبحث : زيارة القبور تذكرة للآخرة

٥٧٢ ـ عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**..» وفي رواية «**فإن في زيارتها تذكرة**» وفي رواية «**فإنها تذكر الآخرة**».

---

[٥٧٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٦٥/٧ في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ح٩٧٧.

وأخرجه أبو داود في سننه ٥٦/٩، في الجنائز، باب في زيارة القبور والزيارة الأولى له ح٣٢١٩.

وأخرجه الترمذي في سننه ١٥٩/٤ في الجنائز باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ح١٠٦٠، وقال حديث حسن صحيح والزيادة الثانية له.

المعنى

يخبرنا بريدة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نهيتكم عن زيارة القبور» وعند الترمذي: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور» أي من قبل الاباحة ولعله خوفًا على تعلق قلوبهم بها فيقع بعضهم في الشرك كما حدث فيمن بعدهم ثم لما رسخ الإيمان في قلوبهم أذن للتذكرة «فزوروها» وعند أبي داود «فإن في زيارتها تذكرة» وعند الترمذي: «فإنها تذكرة للآخرة» لينتفع الإنسان بتلك التذكرة فيزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ويعمل لها ويسعى لها سعيها ويرد المظالم لأهلها وينصب لعبادة الله عز وجل كأنه مصبح على قبر لما رآه قال الله تعالى ﴿**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾[1] قال =

---

(١) سورة التكاثر.

= النووي[٢] : قوله ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» هذا من الأحاديث التي تجمع الناسخ والمنسوخ وهو صريح في نسخ نهي الرجال عن زيارتها وأجمعوا على أن زيارتها سنة لهم وأما النساء ففيهن خلاف لأصحابنا قدمناه وقدمنا أن من منعهن قال النساء لا يدخلن في خطاب الرجال اهـ وقال في العون[٣] : «نهيتكم» أي قبل هذا، «عن زيارة القبور فزوروها» الأمر للرخصة أو للاستحباب وظاهره الإذن في زيارة القبور للرجال، قال الحافظ في الفتح: واختلف في النساء فقيل يدخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر ومحله ما إذا أمنت الفتنة، وممن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة، وقيل الإذن خاص بالرجال ولا يجوز للنساء زيارة القبور اهـ قال العيني: وحاصل الكلام أن زيارة القبور مكروهة للنساء بل حرام في هذا الزمان ولا سيما نساء مصر لأن خروجهن على وجه الفساد والفتنة وإنما رخصت الزيارة لتذكر أمر الآخرة والاعتبار بمن مضى وللتزهد في الدنيا اهـ وقال صاحب التحفة:[٤] «فزوروها» الأمر للرخصة أو للإستحباب، وعليه الجمهور بل ادعى بعضهم الاجماع بل حكى ابن عبد البر عن بعضهم وجوبها كذا في المرقاة «فإنها تذكر الآخرة» أي فإن القبور أو زيارتها تذكر الآخرة اهـ والله أعلم.

---

(٢) شرح مسلم ٧/٦٥ ح٩٩٧.

(٣) عون المعبود ٩/٥٦.

(٤) تحفة الأحوذي ٤/١٥٩.

الفصل الثاني وفاة نبينا محمد رسول الله ﷺ

فصل
في وفاة النبي محمد
رسول الله ﷺ

المبحث الأول
سبب الوفاة شهادة في سبيل الله لرسول الله ﷺ

٥٧٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**».

المبحث الثاني

إخبار النبي ﷺ بقرب لقائه بربه عز وجل سراً

٥٧٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**مرحبًا بابنتي**» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت فقلت لها لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها، فقالت: أسر إلي أن «**جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي**»، فبكيت، فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين**»؟ فضحكت لذلك.

المبحث الثالث
إخبار النبيﷺ بقرب لقاء الله تعالى معلنًا معرضًا

٥٧٥ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبيﷺ فقال: «**إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**»، فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول اللهﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال: «**يا أبا بكر لاتبك إن أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لا تخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لايبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبو بكر**».

المبحث الرابع
شدة مرض النبيﷺ قبل وفاته

٥٧٦ ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مَرَض رَسُول اللهﷺ قالت: بلى، ثقل النبيﷺ فقال: «**أصلى الناس**»؟ فقلنا: لا يا رسول الله وهم ينتظرونك قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» قالت: ففعلنا، فاغتسل فذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق، فقالﷺ: «**أصلى الناس**»؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» قالت فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس**»؟ قلنا لا، هم ينتظرونك يا رسول الله فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» فقعد فأغتسل فذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس**»؟ فقلنا لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عُكُوفٌ في المسجد =

= ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبيﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس: فأتاه الرسول فقال: إن رسول اللهﷺ يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رجلاً رقيقًا: يا عمر: صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك فصلى أبو بكر تلك الأيام ثم إن النبيﷺ وجد من نفسه خِفَّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبيﷺ بأن لا يتأخر قال أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر، قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتم بصلاة النبيﷺ والناس بصلاة أبي بكر، والنبيﷺ قاعد، قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض النبيﷺ؟ قال: هات فعرضت عليه حديثها فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا قال: هو عَلِيّ.

المبحث الخامس
تخيير النبيﷺ

٥٧٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**» وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول ﴿**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**﴾ فعلمت أنه خير.

المبحث السادس
باب إزدياد مرض النبيﷺ قبل وفاته

٥٧٨ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبيﷺ وهو يوعك فمسسته فقلت: إنك لتوعك وعكًا شديدًا قال: «**أجل كما يوعك** =

رجلان منكم» قال: لك أجران؟ قال: «**نعم ما من مسلم يصيبه أذى - مرض فما سواه - إلا حط الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**».

المبحث السابع

آخر عهد النبي ﷺ بالصحابة

٥٧٩ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن المسلمين بينما هم في الفجر يوم الإثنين وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بهم ففجأهم النبي ﷺ وقد كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها فنظر إليهم وهم صفوف فتبسم يضحك، فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا بالنبي ﷺ حين رأوه، فأشار بيده «أن أتموا»، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر وتوفى ذلك اليوم.

المبحث الثامن

قول النبي ﷺ عند وفاته لا إله إلا الله إن للموت لسكرات

٥٨٠ - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل على عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فنالوته فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه =

= أن نعم فلينته فأمره، وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**» ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده**».

المبحث التاسع

لا يجمع الله تعالى على النبي ﷺ موتتين

٥٨١ ـ عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها.

المبحث العاشر

من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

٥٨٢ ـ عن ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت. قال الله تعالى ﴿**وَمَا محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ إلى قوله ﴿**الشاكرين**﴾ وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها وعن عمر: قال: والله ما هو إلا أن سمعت =

أن أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حيث سمعته تلاها علمت أن النبيﷺ قد مات.

المبحث الحادي عشر والأخير
لا كرب على نبينا محمدﷺ بعد وفاته

٥٨٣ - عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبيﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللهﷺ التراب؟.

المعنى العام

خلق الله عز وجل السموات وفضل السابعة، وخلق الأرض وفضل مكة وكرمها، وفضل المدينة ونورها، وخلق الجنات، وفضل الفردوس، وخلق الليالي وفضل ليلة القدر، وخلق الأيام وفضل الجمعة وخلق الساعات وفضل السحر، وخلق الطعام وفضل اللحم، وخلق الشراب وفضل اللبن، وخلق البشر وفضل المسلمين وخلق المسلمين، وفضل المؤمنين، وخلق المؤمنين وفضل المحسنين وخلق المحسنين وفضل النبيين، وفضل عليهم سيد المرسلين محمداً عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم كما أنزل الكتب مائة كتاب وأربعة، وجمع علمها في أربعة كتب، وجمع علم الأربع في القرآن الكريم وجمع علم القرآن الكريم في المفصل، وجمع علم المفصل في الفاتحة، وجمع علم الفاتحة في «إياك نعبد وإياك نستعين» فأعظم برسول نزل على قلبه أعظم كتاب وبعث لخير أمة، جاء في ظلام دامس على فترة من الرسل فبدد الظلام بما فيه وما معه من النور الواضح الشامل، السراج المنير، فوقع الحق،

= وزهق الباطل، وغلب الكفر، وانقلب أصحابه صاغرين، وأصبح أهل الإسلام أعزة غالبين، فشرحت صدورهم وهدأت نفوسهم وصلحت سرائرهم، وحسنت ظواهرهم، وسكنت بوادرهم، وعمرت مساكنهم، وذهبت عداوتهم وعمت مودتهم، وألفت قلوبهم، وزادت حبرهم، وزالت همومهم، فقد أمن خائفهم، وقوم معوجهم، وهدى حائرهم، وسار بهم سيرة حميدة فريدة ما سبقها مثلها ولن يلحقها شبهها ومازال كذلكﷺ حتى قرب الرحيل بعد حجة الوداع وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة فقال لهم بعد أن قال الله تعالى له في يوم الجمعة يوم عرفة يوم الحج الأكبر ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[1] سورة المائدة آية فلما رآهاﷺ أكملت، وأتمت، ورضيت، وأرضت، وأزدهرت، وأنتشرت، ووضحت، وسادت، وأعادت، وعلت، قال: «وأنتم مسؤلون عنى فما أنتم قائلون» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت فقال: بإصبعه السبابة إلى المساء وينكبها إلى الناس «اللهم اشهد اللهم اشهد» ثلا مرات[2] ثم رجع من حجة الوداع وقد بدأ مرضه بأبي هو وأمي ﷺ قال ابن رجب الحنبلي[3] : ومازال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا» وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع اهـ وفي المسند[4] عن أبي مويهبه: أن النبيﷺ قال: «يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع فانطلق معي، فانطلقت معه، فما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما =

---

(١) سورة المائدة آية (٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٠٢٥ في المناسك، باب حجة رسول اللهﷺ ح٣٠٧٤ في حديث طويل عظيم.

(٣) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٩٩ وما بعدها ـ المجلس الثالث: وفاة رسول اللهﷺ.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٨٩ عن أبي مويهبه مرفوعًا.

أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه؟!! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى قال: ثم أقبل على فقال: يا أبا مويهبه إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة قال قلت بأبي وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال: «لا والله يا أبا مويهبه لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدئ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح[1] لما قويت معرفة الرسول ﷺ بربه ازداد حبه له وشوقه إلى لقائه فلما خير بين البقاء في الدنيا وبين لقاء ربه اختار لقاءه على خزائن الدنيا والبقاء فيها، قال: أول ما أعلم النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة ﴿**إذا جاء نصرالله والفتح**﴾[2] وقيل لابن عباس رضي الله عنهما هل كان يعلم رسول الله ﷺ متى يموت قال نعم قيل: ومن أين قال:إن الله تعالى جعل علامة موته في هذه السورة ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ يعني فتح مكة ﴿**ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**﴾ ذلك علامة موته ﷺ اهـ وأترك المجال لأحاديث الصحيحين تحدثنا بالتفصيل الصحيح إن شاء الله تعالى عن وفاة سيد المرسلين ﷺ.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٩٩ وما بعدها المجلس الثالث وفاه رسول الله ﷺ.

(٢) سورة النصر.

المبحث الأول

التخريج

٥٧٣ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٦١ في المغازي باب مرض النبيﷺ ووفاته ح٤٤٣٠.

قوله: «أبهرى» قال أهل اللغة الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وقال الخطابي: يقال: إن القلب متصل به اهـ فتح ١٦/٢٦٢ وقال ابن الأثير: الأبهر عرق في الظهر وهما أبهران، وقيل الأبهر عرق منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن، فالذي في الرأس منه يسمى النأمة ويمتد إلى الحلق فيسمى الوريد، ويمتد إلى الصدر فيسمى الأبهر، ويمتد إلى الظهر فيسمى الوتين والفؤاد معلق به ويمتد إلى الفخذ فيسمى النسا ويمتد إلى الساق فيسمى الصافن اهـ نهاية ١/١٨.

المعنى

من إكرام الله تعالى لنبيهﷺ أنه أراد له سبحانه أن يرزقه الشهادة بعد النبوة فحدثت حالة الشاة المسمومة التي أكل منها النبيﷺ من اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة فتكلمت ونجاه الله تعالى ولكن أراد الله عز وجل أن تدخل في سبب وفاتهﷺ لينال الشهادة مع النبوه وقد كانت هذه الأكلة بعد فتح خيبر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول اللهﷺ شاة فيها سم[1]، وعن جابر بن عبد الله أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول اللهﷺ فأخذ رسول اللهﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ثم قال لهم رسول اللهﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسل رسول اللهﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها أسممت هذه الشاة قالت اليهودية: من أخبرك قال: «أخبرتني هذه في يدي =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٨١ في المغازي، باب الشاة التي سمت النبيﷺ، ح٤٢٤٩.

= للذراع... الحديث»[1] وذكر ابن حجر[2] عن السهيلي أنهﷺ كان تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصًا اهـ ودليل ذلك ما روى عن جابر أنه قال: فأمر بها رسول اللهﷺ فقتلت[3] وفي رواية للبيهقي عن أبي هريرة: فأكل منها بشر بن البراء فمات فقتلها رسول اللهﷺ[4] اهـ وعاش بعدها النبيﷺ ثلاث سنين ذكر ذلك الحافظ ابن حجر عن الواقدي اهـ وقد جمعهم النبيﷺ وسألهم عن ذلك فأخرج[5] البخاري عن أبي هريرة أنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول اللهﷺ شاة فيها سم فقال رسول اللهﷺ: «اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له.. الحديث» إلى أن قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟ فقالوا نعم فقال: ما حملكم على ذلك فقالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح منك، وإن كنت نبيًا لم يضرك» فلما مرض بأبي هو وأميﷺ مرضه الذي مات فيه اشتكى من ألم الأكله فقد آلمته وقت الوفاة لينال الشهادة ونجاه الله تعالى منها من قبل ارغامًا لليهود وتخييبًا لسعيهم الحقود قال ابن حجر[6] : قوله: «وإن كنت نبيًا لم يضرك» يعني على الوجه المعهود من السم المذكور اهـ فقالﷺ: «يا عائشه ما أزال أجد ألم الطعام» - يعني المسموم - «الذي أكلت بخيبر» - عند اليهودية - «فهذا أوان انقطاع أبهري» قال ابن حجر:[7] قال أهل اللغة: الأبهر عرق مستبطن الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وقال الخطابي: يقال: إن القلب متصل به اهـ وقد أدى إلى كثرة صداع النبيﷺ في حياته وعند معاودته قبل وفاتهﷺ فقد أخرج ابن ماجة عن عائشة قالت: رجع =

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٨٣/٨ في الجراح باب من سقى رجلاً سمًا ح١٦٠٠٨.

(٢) فتح الباري ٨١/١٦.

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٨٣/٨ في الجراح باب من سقى رجلاً سمًا ح١٦٠٠٩.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٨٣/٨ في الجراح باب من سقى رجلاً سمًا ح١٦٠١٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٧٩/٢ في الطب باب ما يذكر في سم النبيﷺ ح٥٧٧٧.

(٦) فتح الباري ٣٨١/٢١.

(٧) فتح الباري ٢٦٢/١٦.

رسول اللهﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي وأنا أقول وا رأساه فقال: «بل أنا يا عائشة وا رأساه .. الحديث»[1] قال ابن رجب: وكان أول ما ابتدئ به رسول اللهﷺ من مرضه وجع رأسه ولهذا خطب وقد عصب رأسه بعصابه دسماء وكان صداع الرأس والشقيقة يعتريه كثيرًا في حياته ويتألم منه أيامًا وصداع الرأس من علامات أهل الإيمان وأهل الجنة[2] اهـ فدى لك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ١/٤٧٠ في الجنائز، ح١٤٦٥.

(٢) لطائف المعارف ص١٠٨.

المبحث الثاني

التخريج

٥٧٤ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٢٤ في علامات النبوة في الإسلام، ح٣٦٢٣، ٣٦٢٤.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٥، ٦ في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضل فاطمة رضي الله عنها.

وأخرجه البخاري مختصرا ١٦/٢٦٧ في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

المعنى العام

أحس النبي ﷺ وانشرح صدره للقاء الله عز وجل ووجد علامات الاقتراب والقرب زادت والشوق ملأ قلب الخليل لخليله وكانت فاطمة رضي الله عنها من أحب الناس إليه ﷺ فمن أولى منها بهذا الاخبار تقول عائشة رضي الله عنها: «أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ» قلت وصدق رسول الله ﷺ «فإنما فاطمة بضعة مني.. الحديث» فاللهم صلى وسلم على أبيها وارض عنها وارضها. عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً ودلا وهديًا برسول الله ﷺ من فاطمة كرم الله وجهها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسه[1] قوله: «فقال النبي ﷺ «مرحبًا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله» فيه حب ظاهر من النبي ﷺ لما ذكر الحديث من خصائصها قوله: «ثم أسر إليها حديثًا فبكت فقلت لها لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن» اهـ وهما قوله لها في رواية البخاري من طريق عروة، عن عائشة عن فاطمه

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ١٤/١٢٨ في الأدب باب في القيام، ح٥١٩٥ ص

= قالت: «فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت»[1] والثاني من طريق مسروق عن عائشة قال لهاﷺ أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المومنين[2] قال النووي[3] : قولها: «فأخبرني أني أول من يلحق به من أهله فضحكت» هذه معجزة ظاهرة لهﷺ بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده وأنها أول أهله لحاقًا به ووقع كذلك وضحكت سرورًا بسرعة لحاقها وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا. اهـ وقال الحافظ ابن حجر[4]: وفي الحديث اخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبيﷺ بعده حتى من أزواجه اهـ وقد أخفت ذلك فاطمة رضي الله عنها تأدبًا واحتفاظًا بالسر فلما توفي النبيﷺ تأثمت من كتمان العلم كما فعل معاذ رضي الله عنه فلما سألتها عائشة ثانيًا لأنها تعجبت من الضحك يصاحبه البكاء قريبًا منه فأخبرتها أنه ﷺ حدثها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة وأنه عارضه العام مرتين فزيادة الطاعة للصالحين يكرمهم الله تعالى بها عند قرب الرحيل، قال ابن الأثير[5] : «إن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين» أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة: المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب أي قابلته به اهـ فأستدل بذلكﷺ على قرب الرفيق الأعلى فلذلك بكت حزنًا على فراقهﷺ كحزن الجزع على فراقه ﷺ فأمرها بالصبر، وقال في رواية مسلم: «وإني لأرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك» قال النووي[6] : والسلف المتقدم ومعناه أنا متقدم قدامك =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٢٤ في علامات النبوة في الإسلام، ح٣٦٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٢٤ في علامات النبوى في الأسلام، ح٣٦٢٤.

(٣) شرح مسلم النووي ١٦/٥.

(٤) فتح الباري ١٦/٢٦٢.

(٥) النهاية لابن الأثير ٣/٢١٢.

(٦) شرح مسلم للنووي ١٦/٧.

= فتردين علي. اهـ قالت: «فبكيت» زاد مسلم فلما رأى جزعي سارني الثانية ثم قال لها في رواية البخاري في الإسرار الأول «وإنك أول أهلي لحاقًا بي» وفي الإسرار الثاني عند البخاري[1] «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة» وعند البخاري ومسلم «نساء المؤمنين» وعند البخاري «فضحكت لذلك» أي إما لتبشيرها باللحاق بهﷺ أو لسيادتها لنساء أهل الجنة أو للإثنين وهو الراجح إن شاء الله تعالى والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١٢٤ في علامات النبوة في الإسلام، ح٣٦٢٤.

المبحث الثالث

٥٧٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٣٢، في الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد ح٤٦٦.

أخرجه مسلم في صحيحه ١٥/١٥٠ في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

قوله: «إن أمن الناس على» قال النووي: قال العلماء: معناه أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه اهـ شرح مسلم ١٥/١٥٠ وذكر ابن حجر كلام النووي.

قوله: «خليلاً» قيل الخليل من لا يتسع قلبه لغير خليله وقيل غير ذلك اهـ شرح مسلم ١٥/١٥١.

المعنى العام

وبعد أن أسر النبيﷺ بقرب الأجل أعلن ذلك لأصحابه كيلا يفاجأوا باختفاء النور وانكساف شمسه وانخساف قمره فأعلن معرضاًﷺ انما فهمها الصديق رضي الله عنه فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطب النبيﷺ فقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله» وفي رواية مسلم «عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» تكلم النبيﷺ عن غائب بالتنكير ولم يقل إني خيرني الله تعالى بين الدنيا وبين ما عنده رحمة بقلوب الأحباب من الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين قوله: «فبكى أبو بكر رضي الله عنه» وزاد مسلم فبكى أبو بكر وبكى فقال: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا» قال النووي[1] : معناه: بكى كثيراً ثم بكى والمراد بزهرة الدنيا نعيمها وأعراضها وحدودها، قوله فديناك دليل لجواز التفدية اهـ قوله: «فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبداً =

(١) شرح مسلم ١٥/١٥٠.

بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله» قال النووي[1] : وكان أبو بكر رضي الله عنه علم أن النبي ﷺ هو المخير فبكى حزنًا على فراقه وانقطاع الوحي وغيره من الخير دائمًا، وإنما قال ﷺ: أن عبداً وأبهمه لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحذق اهـ قوله: «فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا به» قال الكرماني[2] : حيث فهم أنه رسول الله ﷺ والغرض منه مفارقته عن الدنيا فبكى حزنًا على فراقه وإنما قال عليه الصلاة والسلام عبداً على سبيل الإبهام ليسهل فهم أهل المعرفة ونباهة أهل الحذق اهـ قوله: «فقال: يا أبا بكر لاتبك إن أمن الناس على في صحبته وما له أبو بكر» قال النووي: قال العلماء: معناه أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وماله وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة لأنه أذى مبطل للثواب ولأن المنة لله ولرسوله ﷺ في قبول ذلك وفي غيره اهـ قوله: «ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته» قال النووي قال القاضي: قيل أصل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع إليه وقيل لقصره حاجته على الله تعالى وقيل الخلة الاختصاص وقيل الاصطفاء وسمى إبراهيم خليلاً لأنه والى في الله تعالى وعادى فيه.. وخلة الله تعالى له قصره وجعله إمامًا لمن بعده وقيل الخليل من لا يتسع قلبه لغير خليله قال ومعنى الحديث أن حب الله تعالى لم يبق في قلبه موضعًا لغيره.. اهـ اختصار البعض.. وقوله: «ولكن أخوة الاسلام ومودته» قال الحافظ ابن حجر[3] : خبر هذه الجمله محذوف والتقدير أفضل كما وقع في حديث ابن عباس الذي بعده اهـ قلت الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما «ولكن خلة الإسلام أفضل»[4] قال الكرماني[5] : المودة الاسلامية متفاوته وماذاك إلا بحسب تفواتهم في إعلاء كلمة الله

---

(١) شرح مسلم ١٥/١٥٠.

(٢) شرح الكرماني للبخاري ٤/١٢٧.

(٣) فتح الباري ٣/١٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٣٣ في الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد، ح٤٦٧.

(٥) شرح الكرماني للبخاري ٤/١٢٩.

= تعالى وتحصيل كثرة الثواب وذلك هو معنى الأفضلية أو الأفضل إنما هو على حقيقته ومعناه أن مودة الإسلام أفضل من مودته مع غيره اهـ والله أعلم، قوله «لايبقين باب في المسجد إلا سد إلا باب أبو بكر» قال ابن رجب الحنبلي[1]: وفي هذا إشارة إلى أن أبا بكر هو الامام بعده فإن الامام يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين في المسجد، ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحًا أن يصلي بالناس أبو بكر فروجع في ذلك فغضب وقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس[2] فولاه إمامة الصلاة دون غيره ولهذا قالت الصحابة عند بيعة أبي بكر رضيه رسول اللهﷺ لديننا فكيف لانرضاه لدنيانا اهـ والله أعلم.

(١) لطائف المعارف ص١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٥٢ في أبواب الإمامه في الصلاة، باب أهل العلم والفضل أحق بالامامه، ح٦٨٢.

المبحث الرابع

التخريج: ٥٧٦ أخرجه البخاري في صحيحه ٦٢/٤ في الصلاة أبواب الجماعة والإمامة، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به ح٦٨٧.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣٦/٤ في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر قوله: «المخضب» بالكسر: شبه المركن، وهي إجانة تغسل فيها الثياب اهـ نهاية ٣٩/٢ الساري ٤٩/٢.

قوله: «ذهب لينوء» بنون مضمومة ثم همزة أي لينهض بجهد ومشقة اهـ الساري ٤٩/٢.

المعنى العام

ثم ازداد مرض النبي ﷺ بأبي هو وأمي حتى ما استطاع أن يذهب للصلاة بالناس واستخلف أبو بكر رضي الله عنه، والخفة التي أكرمه الله تعالى بها هي إتكاؤه على رجلين ليصل إلى المصلى ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ أين أصحاب الصحة الذين لايؤون إلى بيوت الله تعالى إلا ليصلي عليهم شتان بين الثري والثريا شتان بين النور والظلماء تقول عائشة رضي الله عنها، ثقل النبي ﷺ قال القسطلاني[1] بضم القاف: اشتد مرضه اهـ قوله فقال: «أصلي الناس»؟ قلت «لا» يا رسول الله وهم ينتظرونك فيه ما كان عليه الصحب الكرام من بلوغ الغاية في الأدب والاحترام لسيد الخلق عليه الصلاة والسلام قوله: «قال: ضعوني ماء في المخضب» وعند مسلم «ضعوا لي» قال ابن حجر[2] : قال الكرماني: يعني في لفظه «ضعوني» محمول على تضمين الوضع معنى الإعطاء أو على نزع الخافض أي ضعوني في ماء اهـ قوله: «قالت فقعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء» قال ابن حجر[2]: بضم النون بعدها =

(١) إرشاد الساري ٤٩/٢.

(٢) فتح الباري ٦٢/٤.

= مد أي لينهض بجهد. اهـ قوله «فأغمي عليه ثم أفاق» قال النووي[1]: دليل على جواز الإغماء على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا شك في جوازه فإنه مرض والمرض يجوز عليهم بخلاف الجنون فإنه لا يجوز لأنه نقص والحكمة في جواز المرض عليهم ومصائب الدنيا: تكثير أجرهم وتسلية الناس بهم ولئلا يفتتن الناس بهم ويعبدوهم لما يظهر عليهم من المعجزات والآيات البينات والله أعلم اهـ قوله فقال ﷺ: «أصلى الناس» قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قال النووي[1] دليل على أنه إذا تأخر الإمام من أول الوقت ورجي مجيئه على قرب ينتظر ولا يتقدم غيره اهـ قوله: «قال ضعوا لي ماء في المخضب، قالت فقعد فاغتسل» قال النووي[1] دليل لاستحباب الغسل من الإغماء وإذا تكرر الإغماء استحب تكرر الغسل لكل مرة فإن لم يغتسل إلا بعد الإغماء مرات كفى غسل واحدثم قال فإن الغسل مستحب من الإغماء اهـ ثم قال ذلك الثالثة وأجابوه ﷺ الثالثة واغتسل الثالثة، شرع وطاعة قوله: «والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه الصلاة والسلام لصلاة العشاء الآخرة» قال النووي[1] قوله والناس عكوف أي مجتمعون منتظرون لخروج النبي ﷺ أصل الاعتكاف: اللزوم والحبس قوله: «لصلاة العشاء الآخرة دليل على صحة قول الإنسان العشاء الآخرة» اهـ قوله: «فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس» قال الحافظ ابن رجب[2]: لما انطوى بساط النبوة من الأرض بوفاة الرسول الله ﷺ لم يبق على وجه الأرض أكمل من درجة الصديقية وأبو بكر رأس الصديقين فلهذا استحق خلافة الرسول ﷺ والقيام مكانه، وكان النبي ﷺ قدم عزم على أن يكتب لأبي بكر كتاباً لئلاً يختلف عليه ثم أعرض عن ذلك لعلمه أنه لا يقع غيره وقال[3]: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وربما كان ترك ذلك لئلا يتوهم متوهم أن نصه على خلافته =

(١) شرح مسلم ١٣٦/٤.

(٢) لطائف المعارف ص١٠٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٨/٢١ بلفظ «يأبى الله ويدفع المؤمنون» أو «يدفع الله ويأبى المؤمنون» ح٥٦٦٦ في الرضى.

= كانت مكافأة ليده التي كانت له، والولايات كلها لا يقصد بها مصلحة المولى بل مصلحة المسلمين عامة اهـ.

قوله: «فقال أبو بكر، وكان رجلاً رقيقًا» تفسره الرواية الأخرى[1] «إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء» وفي رواية[2] «لم يسمع الناس من البكاء» قال النووي[3] : إنه رجل رقيق القلب كثير الحزن والبكاء لا يملك عينيه اهـ قوله: «يا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك» قال النووي[3]: فيه فوائد منها فضيلة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليه أجمعين وتفضيله، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره، ثم قال وأما قول أبي بكر لعمر: صل بالناس فقاله للعذر المذكور وهو أنه: رجل رقيق القلب كثير الحزن والبكاء لا يملك عينيه وقد تأوله بعضهم على أنه قاله تواضعًا والمختار ما ذكرناه اهـ ويجوز الجمع بين العذرين والله أعلم. قولها: «فصلى أبو بكر تلك الأيام» قال القسطلاني[4]: أي التي كان النبي ﷺ فيها مريضًا اهـ قولها: ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وفي رواية[5] لمسلم «فخرج ويد له على الفضل بن عباس ويد له على رجل آخر» قال النووي[6]: وطريق الجمع بين هذا كله أنهم كانوا يتناوبون الأخذ بيده الكريمة ﷺ تارة هذا وتارة ذاك وذاك ويتنافسون في ذلك وهؤلاء هم خواص أهل بيته الرجال الكبار وكان العباس رضي الله عنه أكثرهم ملازمة للأخذ بيده الكريمة ﷺ أو أنه أدام الأخذ بيده، وإنما =

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٥٢ في صلاة الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ح٦٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٤/٥١ في صلاة الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ح٦٧٩.

(٣) شرح مسلم للنووي ٤/١٣٧.

(٤) إرشاد الساري ٢/٤٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٣٩ في الصلاة باب إستخلاف الإمام إذا عرض له عذر.

(٦) شرح مسلم للنووي ٤/١٣٨.

يتناوب الباقون في اليد الأخرى، وأكرموا العباس باختصاصه بيد واستمرارها له لما له من السن والعمومة وغيرهما ولهذا ذكرته عائشة رضي الله عنها مسمى وأبهمت الرجل الآخر إذ لم يكن أحد الثلاثة الباقين ملازمًا في جميع الطريق ولا معظمه بخلاف العباس والله أعلم اهـ قولها: «لصلاة الظهر» قال الحافظ ابن حجر[1]: هو صريح في أن الصلاة المذكورة كانت الظهر ثم قال: وقد صرح الشافعي بأنه ﷺ لم يصل بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة، وهي هذه التي صلى فيها قاعدًا وكان أبو بكر فيها أولاً إمامًا ثم صار مأمومًا يسمع الناس التكبير اهـ قولها: «وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، قال: أجلساني إلى جنبه» يعني النبي ﷺ إمامًا وعلى يمينه أبو بكر مأمومًا لكنه يسمع الناس التكبير لمرض النبي ﷺ لذلك قال: «فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتم بصلاة النبي ﷺ والناس بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد» قال النووي[2]: فيه جواز وقوف مأموم واحد بجنب الإمام لحاجة أو مصلحة كإسماع المأمومين وضيق المكان ونحو ذلك اهـ وقال الحافظ ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على استخلاف الإمام الراتب إذا اشتكى أولى من صلاته بهم قاعدًا لأنه ﷺ استخلف أبا بكر ولم يصل بهم قاعدًا غير مرة واحدة، واستدل به على صحة إمامة القاعد المعذور بمثله وبالقائم أيضًا اهـ قوله: «قال عبيد الله فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا اعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض النبي ﷺ؟ قال: هات، فعرضت عليه حديثها فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت لا قال: هو علي وقد ذكرت سبب ذلك من كلام النووي وأنه أحيانًا يكون عليًا وأحيانًا الفضل كما عند مسلم وأحيانًا غيره لكن العباس ملازم فلذلك سمته ولم تسم غيره والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٤/٦٤.

(٢) شرح مسلم للنووي ٤/١٣٨.

المبحث الخامس

التخريج

٥٧٧ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٢١/١٧ في التفسير، باب فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، ح٤٥٨٦.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٦٩/١٦ باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح٤٤٣٦.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٩/١٥ باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولهن: «بحة» البحة: بالضم غلظة في الصوت اهـ نهاية ٩٩/١.

المعنى العام

ثم خير ﷺ بين الخلد والجنة وبين لقاء الله تعالى والجنة فاختار لقاء الله تعالى والجنة فربه يسارع في هواه ﷺ وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبو مويهبة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة» قال: قلت: بأبي وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال: لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة[1] وقد سمعت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة» وفي الرواية الأخرى: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة» فمعنى يمرض إذًا: أي مرض الموت فيه يخير النبي هل يريد الخلد في الدنيا ثم الجنة أم تعجيل لقاء الله تعالى ثم الجنة لذلك لما سمعت عائشة النبي ﷺ يسأل الله تعالى الرفيق الأعلى ويتلو قوله تعالى ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ علمت أنه اختار العالية الغالية بجوار عرش الملك =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٨٩/٣ عن أبي مويهبه مرفوعًا.

= عز وجل ففي رواية أبي موسى عند النسائي قالﷺ «أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل» وعند أحمد عن عائشة أن النبيﷺ قال: «أسأل الله عز وجل الرفيق الأعلى الأسعد[1] وفي رواية للبخاري[2] : «فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلى» فقلت إذًا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية[3] مسلم يقول: «اللهم اغفرلي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى» قال الحافظ ابن حجر وظاهره أن الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وفي رواية عن عائشة فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى حتى قبض»[5] قال الحافظ[4]: وقال الجوهري: الرفيق الأعلى الجنة قال الحافظ ويؤيده ما وقع عند أبي إسحاق: الرفيق الأعلى الجنة» اهـ قولها: «وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة» قال النووي[6] : هي بضم الباء الموحدة وتشديد الحاء وهي غلظ في الصوت اهـ قولها: «فسمعته يقول: ﴿**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾[7] قال ابن حجر[8] : ومعنى كونهم رفيقًا تعاونهم على طاعة الله وارتفاق بعضهم ببعض ثم قال: قال السهيلي: الحكمة في اختتام كلام المصطفى ﷺ بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان =

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/١٢٥ عن الأسود عن عائشة مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧٠ باب مرض النبيﷺ ووفاته ح٤٤٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٥/٢٠٨ في فضائل الصحابة، باب فضل أم المومنين عائشة.

(٤) فتح الباري ١٦/٢٦٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧٧، ٢٧٨ في مرض النبيﷺ ووفاته ح٤٤٤٩.

(٦) شرح مسلم للنووي ١٥/٢٠٨.

(٧) سورة النساء آية (٦٩).

(٨) فتح الباري ١٦/٢٧٠.

لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره إذا كان قلبه عامرًا بالذكر انتهى ملخصًا اهـ قوله: «فظننت أنه خير» وفي رواية للبخاري[1] فقلت إذًا لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح قال ابن حجر[2]: تنبيه: قال السهيلي: وجدت في بعض كتب الواقدي أن أول كلمة تكلم بها النبي ﷺ وهو مسترضع عند حليمة، الله أكبر، وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة «في الرفيق الأعلى اهـ صلى الله عليك يا رسول الله وسلم تسليمًا كثيرًا وجزاك الله عن العالمين خير ما جزى نبيا عما قدم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧٠ ح٤٤٣٨ في مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) فتح الباري ١٦/٢٧٠.

المبحث السادس

التخريج

٥٧٨ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٢٣٨، في المرضى باب: ما رخص للمريض أن يقول: «إني وجع»، ح٥٦٦٧.

أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٢٢٢ في المرض باب شده المرض، ح٥٦٤٧.

أخرجه البخاري في صحيحه ٢١/٢٣٢ في المرض باب وضع اليد على المريض، ح٥٦٦٠.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٦/١٢٧ في البر، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه.

قوله: «يوعك»: «الوعك» هو الحمى، وقيل: ألمها، وقد وعكه المرض وعكا اهـ نهاية ٥/٢٠٧.

قوله: «حط» «تحط» أي تحط عنه خطاياه وذنوبه وهي فعلة من حط الشيء يحطه إذا أنزله وألقاه اهـ نهاية ١/٤٠٢.

المعنى العام

زاد مرض النبيﷺ وازداد حتى رق له أصحابه رضوان الله عليهم فدخل عليه ابن مسعود رضي الله عنه والنبيﷺ «يوعك» قال الحافظ ابن حجر[1] : والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة الحمى وقد تفتح وقيل ألم الحمى، وقيل تعبها: وقيل إرعادها الموعوك وتحريكها إياه، وعن الأصمعي: الوعك الحر، قال ابن حجر[1]: فإن كان محفوظًا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها اهـ قوله: فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا، قال أجل قال النووي[2] : الوعك بإسكان العين قيل هو الحمى =

---

(١) فتح الباري ٢١/٢٢٢.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٦/١٢٧.

= وقيل ألمها ومغثها اهـ قوله: «قال أجل..» قال ابن حجر: أي نعم وزنًا ومعنى اهـ قوله: «كما يوعك رجلان منكم» أي أتالم من المرض تألم رجلين مريضين بمثل هذا المرض، قوله: قـال: لك أجران وفي رواية: «ذلك بأن لك أجـرين» وفي الرواية[1] عند مسلم «ذلك أن لك أجرين قال ابن حجر[2]: قوله: «ذلك» إشارة إلى مضـاعفة الأجر بشدة الحمى اهـ قوله: «نعم» هي بمعنى «أجل» في رواية عنـد مسلم فقـد ذكرها بدلاً مـنها قوله: «مـا من مسلم يصيـبه أذى» مرض فـما سواه» وفي الروايـة عند مسلم «أذى من مرض فما سواه» بينت أن الأذى من مرض فما سواه وأن المرض أذى، وفي رواية عند البخـاري «أذى ـ شوكة فـما فوقـها» بينت أن الشـوكة فمـا فوقهـا أذى وقال ابن حجر[2]: كما تحط أي تلقيه منتثراً والحال أنه أثبت أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر، ثم زاد عليه بعـد ذلك أن المضاعفة تنتـهي إلى أن تحط السيئات كلهـا أو المعني: قال: نعم، شدة المرض ترفع الدرجـات وتحط الخطيئـات أيضًا حتى لا يبـقى منها شيء اهـ يشير إلـى ذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مـا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نـفسـه وولده ومـاله حـتى يلقى الله ومـا عـليـه خطيئـة»[3] وقـد ترجم البخاري[4] باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل قال ابن حجر[5] والسر فيه أن البلاء في مـقابلة النعمـة فمن كانـت نعمة الله عليـه أكثر كـان بلاؤه أشد ومن ثم ضوعف حد الحر على العبـد، وقيل لأمهات المؤمنين ﴿**ومن يأت منكن بفاحشة مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾[6] قال ابن الجوزي: في الحـديث دلالة على أن القوي =

(١) شرح مسلم ١٥٠/١٥.

(٢) فتح الباري ٢٢٢/٢١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٨٠/٧ في الزهد، باب في الصبر على البلاء ح ٢٥١٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ٢٢١/٢١ في كتاب الطب ترجمه لحديث ٥٦٤٨.

(٥) فتح الباري ٢٢٣/٢١.

(٦) سورة الأحزاب آية (٣٠).

يحمل ما حمل والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان عليه البلاء ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء وأعلى من ذلك درجة: من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض وأعلى منه من شغلته المحبة عن طلب رفع البلاء وأنهى المراتب من يتلذذ به لأنه عند اختياره نشأ والله أعلم اهـ والله المستعان.

المبحث السابع

التخريج

٥٧٩ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٩٤ في العمل في الصلاة باب من رجع القهقري في الصلاة اهـ تقدم لأمر ينزل به ح١٢٠٥.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧٧ في وفاة النبيﷺ ح٤٤٤٨.

قوله: «نكص» النكوص: الرجوع إلى الوراء وهو القهقري اهـ ٥/١١٦.

المعنى العام

ولما ازداد مرض النبيﷺ بأبي هو وأمي ونفسي لم يتسطع حتى الخروج مهاداة عل رجلين فمكث في بيتهﷺ وظل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس حتى كان يوم الإثنين وما أدراك ما يوم الإثنين كان قد أصبح رسول اللهﷺ هذا اليوم مُفيقًا فظنوا أن قد برئ لذلك يقول أنس: أن المسلمين بيناهم في الفجر يوم الإثنين وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بهم ففجأهم النبيﷺ وقد كشف ستره حجرة عائشة رضي الله عنها فنظر إليهم فتبسم يضحك اهـ إنها إبتسامة الوداع من أعظم راع إلى خير رعيه قال ابن رجب[1] : وكانت وفاته ﷺ في يوم الإثنين في شهر ربيع الأول بغير خلاف وكان قد كشف الستر في ذلك اليوم والناس في صلاة الصبح خلف أبي بكر إلى أن قال وظن المسلمون أنه ﷺ قد برئ من مرضه لما أصبح يوم الاثنين مخيفًا فخرج أبو بكر إلى منزله بالسنح خارج المدينة فلما ارتفع الضحى من ذلك اليوم توفى رسول اللهﷺ وأنه توفى حين اشتد الضحى من يوم الإثنين في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة حيث هاجر إليها ﷺ اهـ قوله: «فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه» قال ابن الأثير[2]: النكوص: الرجوع إلى الوراء وهو القهقري نكص =

---

(١) لطائف المعارف ص١١٢.

(٢) النهاية لابن الأثير ٥/١١٦.

= ينكص فهو ناكص اهـ قوله: «وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم» قال القسطلاني[1] : بأن يخرجوا منها حال كون ذلك «فرحًا» أي فرحين اهـ قوله: «فرحًا بالنبي ﷺ حين رأوه» فيه ما كان عليه الصحابة من الإيمان الزائد العالي حيث برهنوا عليه بزيادة حبهم للنبي ﷺ وحبه من الإيمان ﷺ قوله: «فأشار بيده أن أتموا» أي صلاتكم أي أشار بالإتمام فأن مصدرية اهـ قوله: «ثم دخل الحجرة وأرخي الستر وتوفى ذلك اليوم» ﷺ لما دخل المدينة أضاء منها كل شيء فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى أظلم منها كل شيء بل أظلمت الدنيا كلها فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[2] قال ابن رجب[3] : ولما توفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال إنما بعث إليه كما بعث إلى موسى، وكان من هؤلاء عمر وبلغ الخبر أبا بكر فأقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجي فكشف عن وجهه الثوب وأكب عليه وقبل جبهته مرارًا وهو يبكي وهو يقول: وانبياه واخليلاه واصفياه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله رسول الله ﷺ اهـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

(١) إرشاد الساري ٢/٣٥٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١٠/٨٧، ٨٨ في المناقب ح٣٦٩٧.

(٣) لطائف المعارف ص١١٣.

المبحث الثامن

التخريج

٥٨٠ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧٧، ٢٧٨ في مرض النبي ﷺ ووفاته ح٤٤٤٩.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧١ في مرض النبي ﷺ ووفاته ح٤٤٣٨.

قولها: «سحري ونحرى» السحر بفتح السين المهملة بعد جاء مهملة ساكنة: الرئة أي أنه مات ﷺ وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سحرها منه اهـ نهاية ٢/٣٤٦ والنحر: بموحدة فوقية مفتوحة بعدها حاء مهملة أي أعلى الصدر اهـ نهاية ٥/٢٧.

قولها: ركوة: بفتح المهملة وسكون الكاف: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء والجمع ركاء اهـ نهاية ٢/٢٦١.

المعنى العام

وقد جمع ﷺ بأبي هو وأمي ونفسي عند وفاته بين الدعاء بمرافقة الملائكة والنبيين في الرفيق الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وبين النطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» مع التعجب من شدة السكرات التي تجيء عند الممات. تقول عائشة رضي الله عنها شاكرة لله عز وجل على نعمه العظيمة التي وصلت بها إلى تلك المرتبة العظيمة باختيار النبي ﷺ لها لتكون المودعة والقائمة بشؤنه ﷺ عند استعداده للصعود إلى المقام المحمود فكانت وسادته ﷺ فخذها ثم سحرها ونحرها فهنيئًا لها على عظيم نعم ربها التي أسداها لها، فتقول معترفة: «إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري» قال ابن الأثير: أي أنه مات ﷺ وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سحرها منه، والنحر أعلى الصدر أهـ[1] =

(١) النهاية ٢/٣٤٦، ٥/٧.

= قولها: «وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته» ﷺ حيث لينت له السواك بقضمه بفمها ثم ناولته رسول الله ﷺ لأنها علمت أن النبي ﷺ يحبها حبًا فاقت به من دونها من نسائه ﷺ فعلمت أن استعمالها للسواك قبل إستعماله ﷺ مباشرة يرضيه ويسعده وقد ساعدها على ذلك أيضًا اختيار النبي ﷺ لها دون بقية نسائه ليمرض عندها بعد أن استأذنهن في التنازل عن نوبتهن لعائشة: قال الحسن: لما كرهت الأنبياء الموت هون الله ذلك عليهم بلقاء الله وبكل ما أحبوا من تحفة أو كرامة حتى إن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له اهـ[1] وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنه ليهون على أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة»[2] قال ابن رجب الحنبلي: كان النبي ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها حبًا شديدًا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فإن العيش إنما يطيب بإجتماع الأحبة اهـ قولها: «ودخل على عبدالرحمن - بن أبي بكر - وبيده سواك» هو عود الإراك المعروف قولها: «وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه» الضمير في إليه يعود على السواك - قولها: «وعرفت أنه يحب السواك» لما عرفته من أحاديثه ﷺ الكثيرة عن فضل السواك وما ثبت من فعله في حب السواك وملازمته ﷺ له قولها: «فقلت آخذه لك» وفي رواية البخاري «فأخذت السواك فقضمته ونقضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به» قولها: «فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه» ليبوسته وخشونته قولها: «وقلت أُلينه لك» وهو تفسير قولها في الرواية السابقة «فقضمته» قال ابن حجر[3]: أي مضغته، والقضم: الأخذ بطرف الأسنان اهـ قولها: «فأشار برأسه أن نعم فلينته فأمره» قال ابن حجر[4]: فأمره بفاء وفتح الميم وتشديد الراء أي أمره على أسنانه فاستاك به اهـ قولها: «وبين يديه ركوة أو علبة» قال ابن الأثير ركوة إناء صغير من جلد يشرب فيها الماء، والجمع: =

(١) لطائف المعارف ص١٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/١٣٨ من طريق مصعب بن إسحاق عن طلحة عن عائشة مرفوعًا.

(٣) فتح الباري ١٦/٢٧١. (٤) فتح الباري ١٦/٢٧٨.

= ركاء اهـ[1] قولها: «فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يداه» فجمع ﷺ بأعظم كلمات الختام لا إله إلا الله في الرفيق الأعلى ﴿**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾ فاللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد عدد خلقك وزنة عرشك ورضاء نفسك ومداد كلماتك.

(١) النهاية ٢/٢٦١.

المبحث التاسع

التخريج

٥٨١ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٩/١٦ في مرض النبيﷺ ووفاته ح٤٤٥٢، ٤٤٥٣.

وأخرجه النسائي في سننه الصغرى ١١/٤ في الجنائز، باب تقبيل الميت.

قوله: فتيمم رسول اللهﷺ «أي قصد رسول اللهﷺ، قال ابن الأثير: يقال يممته وتيممته أي قصدته اهـ نهاية ٣٠٠/٥.

المعنى العام

ومات رسول اللهﷺ الموتة التي كتبت عليه ولا موتة سواها يذوقها فهو آخر النصب له ﷺ إن شاء الله عز وجل تقول عائشة رضي الله عنها: «إن أبا بكر رضي عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح» قال الحافظ ابن حجر[1] : بضم المهملة وسكون النون وبضمها أيضا وآخره حاء مهملة مسكن زوج أبي بكر الصديق اهـ قولها: حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول اللهﷺ: «أي قصد رسول اللهﷺ قال ابن الأثير يممته وتيممته أي قصدته اهـ قولها: «وهو مغشي بثوب حبره» وفي روايه النسائي «وهو مُسَجًّى ببرد حِبَرَة» قال السندي[2] في حاشيته على النسائي: مسجى: بفتح جيم مشدد كمغطى وزنا ومعنى اهـ وقولها: «حِبَرَة» قال: بوزن عِنَبَه على الوصف أو الاضافة وهو برديمان اهـ قولها: «فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى» لقد كان النبيﷺ أحب الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر أحب الناس إلى النبيﷺ قولها: «ثم قال: بأبي =

---

(١) فتح الباري ٢٧٩/١٦.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى ١١/٤.

= أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها» قال الحافظ ابن حجر[1]: وفي هذه الأحاديث جواز تقبيل الميت تعظيماً وتبركًا ـ قلت ليس كل ميت ـ قال: وجواز التفديه بالآباء والأمهات، وجواز البكاء على الميت اهـ وقال في قوله: «لا يجمع الله عليك موتتين» قال الحافظ[1]، وأشد مافيه إشكالاً قول أبي بكر: «لا يجمع الله عليك موتتين» وعنه أجوبة، فقيل هو على حقيقته وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال لأنه لوصح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى، فأخبر أنه أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعها على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وكالذي مر على قرية، وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل: أراد لا يموت موته أخرى في القبر كغيره يحيا ليسأل ثم يموت، وهذا جواب الداودى، وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك، وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب أي لا تلقي بعد كرب هذا الموت كربًا آخر اهـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ٦/١٣٧، ١٣٨.

المبحث العاشر

التخريج

٥٨٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٧٩ في مرض النبيﷺ ووفاته ح٤٤٥٤.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٣٩ في الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ح٤٤٥٤.

قوله: «فعقرت» بفتح المهملة وكسر المثناة بعدها مهملة من العقر: وهو أن تسلم الرجل قوائمه من الخوف وقيل هو أن يفجأه الروع فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر اهـ نهاية ٣/٢٧٣.

المعنى العام

ومع هذا كله مما جمع الله لنبيهﷺ لكنه سبحانه كتب الموت على كل من تحت عرشه فلا بقاء إلا له سبحانه وصدق الله إذ يقول: ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[1] وقال تعالى لنبيهﷺ ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم.. الآية** ﴾[3] وهي التي تلاها أبو بكر رضي الله عنه لما سمع عمر يرفض موت النبيﷺ فلما سمعها استسلم لها كأنها أنزلت وقتها فوقع رضي الله عنه قوله: «إن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس» قال الحافظ ابن حجر[4] : أي يقول لهم ما مات رسول الله ﷺ، وعند أحمد قال المغيرة بن شعبة: يا عمر: مات =

(١) سورة الرحمن آية (٢٦) (٢٧).

(٢) سورة الزمر آية (٣٠).

(٣) سورة آل عمران آية (١٤٤).

(٤) فتح الباري ١٦/٢٧٩.

= رسـول اللهﷺ قال: كـذبت بل أنت رجل تحوسك فـتنة إن رسـول اللهﷺ لا يموت حتى يفنى الله عز وجل المنافقين، ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون مات رسول اللهﷺ[1]، إن رسول اللهﷺ قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وتركنا على محجة واضحة قوله: «فقال اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد، من كان يعبد محمداًﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ وفي رواية أنه تلى قوله تعالى: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾[3] قوله: «وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها» قال القسطلاني[4] «قرأها تعزياً وتصبراً اهـ قوله: إن عمر قال والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي» قال ابن حجر[5]: فعقرت: بضم العين وكسر القاف، أي هلكت وفي رواية فتح العين أي دهشت وتحيرت ويقال سقطت اهـ. قوله: «وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبيﷺ قد مات» قال ابن حجر[6]: أي تلا الآية التي معناها أن النبيﷺ قد مات وهي قوله تعالى: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾[2] اهـ إنها المصيبة التي ليست فوقها =

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢١٩/٦، ٢٢٠.

(٢) سورة الزمر آية (٣٠).

(٣) سورة الأنبياء آية (٣٤).

(٤) إرشاد الساري ٣٧٦/٢.

(٥) فتح الباري ٢٨٠/١٦.

(٦) فتح الباري ٢٨١/١٦.

مصيبة والهم الذي لا يفوقه هم والغم الذي لا يعلوه غم والحزن الذي ليس بعده حزن مثله ولا أكثر منه، روى ابن ماجه[1] في سننه أنه ﷺ قال في مرضه: «يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي» قال ابن رجب[2] : كل المصائب تهون عند هذه المصيبة، قال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبد الله: اتق الله فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

قال القائل:[2]

إصبر لكل مصيبة وتجلد	واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها	نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها	فاذكر مصابك بالنبي محمد

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ١/٥١٠ في الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبه ح١٥٩٩.

(٢) لطائف المعارف ص١١٤.

المبحث الحادى عشر والأخير

التخريج

٥٨٣ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٦/٢٨٣ في مرض النبي ﷺ ووفاته ح٤٤٦٢.

المعنى العام

صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله فقد أمنت الخائف يا سيدي وقومت المعوج يا سيدي وهديت الحائر يا سيدي وأنرت الطريق يا سيدي وتحملت الأذى يا سيدي ولبست أثمن حلل الأخلاق العظيمة ومشيت أحسن طرق السير الكريمة وبلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهار مالا يزيغ عنها إلا هالك ثم لبيت نداء مولاك ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**﴾[1] فعلمت وفهمت أنه يريد بحضرة القدس الأعلى فلزمت التسبيح بحمد الله والاستغفار استعداد للقاء العزيز الغفار تاركًا خلفك صغير الدار إلى دار النعيم والقرار بعد أن علمت وتعلمت وعلمت وفهمت ونصحت وجاهدت وصبرت وانتصرت وحججت ثم مرضت وصبرت وزاد المرض حتى قلت: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات» ثم خيرت فاخترت الرفيق الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فصلى الله عليك في الآخرة والأولى وسلم تسليما كثيراً يقول أنس رضي الله عنه لما ثقل النبي ﷺ «أي بالمرض» «جعل يتغشاه» ويجوز أن يريد بالغاشية ما يتغشاه من كرب

(١) سورة النصر كلها.

(٢) النهاية ٣/٣٧.

= الوجع الذي به، أي يغطيه فظن أنه قد مات اهـ قال ابن الأثير[٢] : «فقالت فاطمة عليها السلام ورضي الله عنها واكرب أباه» قال الحافظ ابن حجر[١] : وهذا يدل على أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها قولها: «يا أبتاه» كأنها قالت: يا أبي والمثناه بدل من التحتانيه والألف للندبه ولمد الصوت والهاء للسكن فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم» لأنه سيكون في الرفيق الأعلى إن شاء الله تعالى قوله: «فلما مات قالت يا أبتاه اجاب ربًا دعاه يا أبتاه» قولها: «من جنة الفردوس مأواه» بفتح الميم في أوله أي في حرف «من» على أنها موصولة، قولها: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه» وفي رواية النسائي[٢] : فقالت «يا أبتاه من ربه ما أدناه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه» قال السندي[٣] في حاشيته على النسائي: «ننعاه» أي نخبر بموته اهـ قال الخطابي: أن المراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت وكان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر اهـ قوله: «فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس: أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب» قال الحافظ ابن حجر في الفتح[١] : وأشارت عليها السلام إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره فعن أنس بن مالك قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[٤] اهـ صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله وسلم تسليمًا كثيرًا يارب العالمين.

---

(١) فتح الباري ٢٨٤/١٦.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الصغرى ١٣/٤ في الجنائز، باب البكاء على الميت.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ١٣/٤.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٨٧/١٠، ٨٨ في المناقب ٣٦٩٧.

الفصل الثالث
السَّاعَةُ وَأَشْرَاطُهَا وَمَا فِيهَا

مبحث : قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»

٥٨٤ ـ عن سهل قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعيه فيمدهما».

---

٥٨٤ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ / ١٤٥ في الرقاق، باب قول النبي ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين» ح ٦٥٠٣ .

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٠ / ١١٨ في الطلاق، ح ٥٣٠١ .

وأخرجه مسلم له شاهداً في صحيحه ٦ / ٢١٩ عن جابر بن عبد الله في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ح ٨٦٧ .

المعنى

يخبرنا سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وعند مسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى» ويشير ﷺ بإصبعيه السبابة والوسطى فيمدهما أي إما القرب الشديد بين مبعثه ﷺ وبين قيام الساعة وهو أحد علاماتها وإما أن الفرق بين مبعثه ﷺ وبين قيام الساعة كالفرق بين طول الوسطى والسبابة فالوسطى أطول من السبابة بشئ فهذا الشئ هو الفرق بين مبعثه ﷺ وبين قيام القيامة ويدل على القرب الشديد حديث بريدة[١] مرفوعاً: «بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني» قال الحافظ[٢] : والمراد بالسبابة وهي بفتح المهملة وتشديد الموحدة الإصبع التي بين الإبهام والوسطى وهو المراد بالمسبحة سميت مسبحة لأنه يشار بها عند التسبيح وتحرك في التشهد عند التهليل إشارة إلى التوحيد أ هـ قال النووي[٣] : سميت بذلك لأنهم كانوا يشيرون بها عند السب أ هـ قال ابن التين[٢]: اختلف في معنى قوله «كهاتين» فقيل كما بين السبابة =

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٣٤٨ قال الحافظ وسنده حسن.

(٢) فتح الباري ٢٤ / ١٤٥ .

(٣) أخرجه مسلم في أول صحيحه في حديث جبريل عليه السلام ١ / ١٥٨ .

= والوسطى فى الطول وقيل المعنى ليس بينه وبينها نبى. وقال القرطبى[1]: معنى هذا الحديث تقريب أمر الساعة ولا منافاة بينه وبين قوله فى الحديث الآخر: «ما المسؤل عنها بأعلم من السائل»[2] فإن فى حديث الباب أنه ليس بينه وبين الساعة نبى كما ليس بين السبابة والوسطى إصبع أخرى ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه، لكن سياقه يفيد قربها وأن أشراطها متتابعة كما قال تعالى ﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾[3] ، قال الضحاك: أول أشراطها بعثة محمد ﷺ والحكمة فى تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد أ هـ والله أعلم.

(١) فتح الباري ١٤٥/٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في أول صحيحه في حديث جبريل عليه السلام ١٥٨/١.

(٣) سورة محمد ﷺ آية (١٨)

مبحث : قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾

٥٨٥ ـ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ وأنذرعشيرتك الأقربين ﴾ قال : **يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب : لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله : لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ : سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى من الله شيئاً** »

---

٥٨٥ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ١١٥ فى التفسير، تفسير الشعراء، ح ٤٧٧١

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ٣٥ فى المناقب، باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام، ٤، ح ٣٥٢٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٩٩ فى الإيمان، باب دعاء النبى ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم ح ٣٥١ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام حين أنزل الله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[١] أى لما نزلت هذه الآية الكريمة قام رسول الله ﷺ بدعوة أقاربه أولاً وإنذارهم كما أمره ربه عز وجل قوله: «قال : يا معشر قريش» ـ أو كلمة نحوها ـ وعند مسلم فى الباب دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعم وخص «أى بدأ بدعوتهم امتثالاً لأمر الله عز وجل فناداهم لينذرهم ويحذرهم بأس الآخرة، قوله: اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئاً أى قدموا الطاعة ثمناً لنجاة النفس من عذاب الله عز وجل فمرتبتى لا تنجى إلا من أطاع. قال الحافظ[٢] ، أى باعتبار =

---

(١) سورة الشعراء آية (٢١٤)

(٢) فتح البارى ١٨ / ١١٥ .

= تخليصها من النار كأنه قال، أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء كأنهم جعلوا الطاعة ثمن النجاة أ هـ قوله يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ : سليني ما شئت من مالى، لا أغنى عنك من الله شيئاً» نادى النبى ﷺ هؤلاء الأقربين لتنفيذ الأمر وحتى لا يقال هؤلاء أقاربه فلم لم يجيبوه؟ قال الحافظ: والسر فى الأمر بإنذار الأقربين أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علة للأبعدين فى الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابهم فى الدعوة والتخويف فلذلك نص له على إنذارهم أ هـ فأخبر النبى ﷺ بنى عبد مناف ثم عمه العباس ثم عمته صفية ثم ابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وهو يقصد أيضاً غيرهم ﷺ وفى رواية مسلم فى الباب ذكر بنى كعب بن لؤى وبنى مرة بن كعب وبنى عبد شمس وبنى هاشم وبنى عبد المطلب وفى رواية لمسلم أيضاً قال: «فإنى نذير لكم ... الحديث» ﷺ وقوله ﷺ لفاطمة رضى الله عنها «سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً » فالمال أسألى منه لكن لا نجاة إلا بالطاعة فأعطيك المال ولا أملك لك الجنة إلا إن أعطيتنى الطاعة والإجابة فيدخلك ربك الجنة؛ وأطاعت رضى الله عنها حتى منحها البشرى بقوله ﷺ لها «أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة»[1] ، قال النووى[2] : قوله ﷺ « فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً» معناه لا تتكلوا على قرابتى فإنى لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم أ هـ أى إنما يقرب منى ويجاورنى وأتولاه يوم القيامة من صاحب التقوى ولازمها وعاش عليها ولقى الله عز وجل عليها ولو كان عبداً حبشياً ويبتعد عنى من عصى وبغى وطغى وأعرض ولو =

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ١٢٤ فى علامات النبوة فى الإسلام ح ٣٦٢٣، ٣٦٢٤ .
(٢) شرح مسلم ٣ / ٩٨ .

= كان شريفاً قرشياً فإياكم أن تكونوا بعيدين بالعصيان ويقترب الناس بالطاعة فلا أملك لكم من الله شيئاً وقد أخرج البيهقى[1] فى زهده حديثاً بمعنى ذلك فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا إن أوليائى منكم المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب، ولا يأتين الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون يا محمد فأقول: كذا وأقول كذا وأعرض فى عطفيه» والله أعلم.

(١) أخرجه البيهقى فى كتابه الزهد الكبير ص ٣٤٥ ح ٨٧٧ .

مبحث: من أكثر الصلاة على النبي ﷺ كفاه الله تعالى همه وغفر له

٥٨٦ ـ عن أبي بن كعب قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فقال: «**يأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ» قَالَ أُبَيَّ: فَقلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ قَال: «مَا شِئْتَ» قلتُ: الرُّبُعُ؟ قَال: «مَاشِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قلتُ فَالنِّصفُ؟ قَال: «مَاشِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قلتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَال: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قلتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَال: «إِذاً تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»**.

---

٥٨٦ ـ أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ١٥٢، ١٥٣ في صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة، ح ٢٥٧٤ وقال هذا حديث حسن.

وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢ / ٥١٣ / ٥٨٨ في التفسير، تفسير سورة النازعات ح ٣٨٩٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قوله: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة»: الراجفة: النفخة الأولى التي يموت لها الخلائق، والرادفة النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة وأصل الرجف الحركة والاضطراب أهـ ٢ / ٢٠٣.

المعنى

يخبرنا أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا ذهب ثلثا الليل: «أي في السحر في الثلث الأخير ثلث النزول الإلهي» قام فقال «يا أيها الناس أذكروا الله» أي أكثروا ذكر الله تعالى وقوموا للتهجد» جاءت الراجفة تتبعها الرادفة» كما قال تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها=

خاشعة ﴾[1] قال صاحب التحفة[2] : وعبر بصيغة الماضي لتحقق وقوعها فكأنها جاءت والمراد أنه قارب وقوعها فاستعدوا لتهويل أمرها، «جاء الموت بما فيه» أى مع ما فيه من الشدائد الكائنة فى حالة النزع والقبر ما بعده أ هـ «جاء الموت بما فيه» كررها النبى ﷺ لشدة أهميتها حيث الموت أول منازل الآخرة وأول أهوالها وشدتها وأقربها وأولها فجاءة حيث لا يدرى أحد مكانه ولا زمانه ومع ذلك ينساه الكثير من الناس الذين لا مفر لهم منه قال تعالى ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[3] وقال عز وجل ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4] قال صاحب التحفة: التكرار للتأكيد أ هـ قوله: «قال أبي: فقلت يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك» أى أصلى عليك يا رسول الله كثيراً» فكم أجعل لك من صلاتى» قال في التحفة[2]: أى بدل دعائى الذى أدعو به لنفسى قال القارى، وقال المنذرى فى الترغيب: معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائى صلاة عليك» قال ما شئت» أى اجعل مقدار مشيئتك» قلت الربع» بضم الباء وتسكن أى أجعل ربع أوقات دعائى لنفسى مصروفاً للصلاة عليك أ هـ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك» أى اجعل مقدار مشيئتك والزيادة معها خير لك عند الله كثير لا يعلم مقداره إلا الله تعالى، «قلت: فالنصف» أى أصلى عليك يا رسول الله مقدار نصف دعائى» قال : ما شئت، وإن زدت فهو خير» قلت: فالثلثين «أى ثلثى الدعاء؟» قال ما شئت فإن زدت فهو خير، قلت: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا»؟ قال فى التحفة: أى أصرف بصلاتى عليك جميع الزمن الذى كنت أدعو فيه لنفسى» قال: إذاً بالتنوين» تكفى مخاطب مبنى للمفعول «همك» الهم ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة، يعنى إذا صرفت جميع أزمان دعائك فى الصلاة على أعطيت مرام الدنيا والآخرة أ هـ أى إذا كان همك فى دعواتك كلها الصلاة على كفاك الله تعالى كل همومك فيتحفك بخيرى الدنيا والآخرة نسأل الله تعالى من فضله العميم العظيم.

(١) سورة النازعات آية (٦): (٩).

(٢) تحفة الأحوذى ٧ / ١٥٣ .

(٣) سورة ق آية (١٩).

(٤) سورة لقمان آية (٣٤).

مبحث : التحذير من زمن الفتن
ودعاة جهنم وبيان أزمنة الخير

٥٨٧ ـ عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم: قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه، قال **«قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : نعم : «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال : «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»** .

---

٥٨٧ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧ / ٤١، ٤٢ في الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ح ٧٠٨٤.

وأخرجه أبو داود في سننه ١١ / ٣١٦ مختصراً بمعناه وبعض الزيادات وبعض النقص، في الفتن والملاحم، باب ذكر الفتنة ودلائلها.

وأخرجه أحمد في المسند ٥ / ٣٨٦ .

قوله: «دخن» الفساد والاختلاف والدخن بالتحريك: مصدر دخنت النار تدخن إذا ألقى عليها حطب رطب فكثر دخانها أ هـ نهاية ٢ / ١٠٩ .

المعنى

يروى لنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قائلاً كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير «من الإيمان والعمل الصالح بتفضيلاتهم» وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى» أى مخافة أن يلحقنى وأقع فيه فالخير خير ولكن الحذر من الشر» فقلت: يا رسول الله: إنا كنا فى جاهلية وشر» من الكفر والظلم والطغيان ووأد ونحوه من أمور الجاهلية قال الله عز وجل ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[(1)] وقال عز وجل ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[(2)] ، قال الحافظ ابن حجر[(3)] ، قوله: فى جاهلية وشر» يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر وقتل بعضهم بعضاً ونهب بعضهم بعضاً وإتيان الفواحش أ هـ وقوله «فجاءنا الله بهذا الخير» أى ما نحن فيه من الإسلام وبعثتك بالهدى ودين الحق قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[(4)] قال الحافظ: قوله «فجاءنا الله بهذا الخير» يعنى الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش أ هـ قوله «فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم» وعند أبى داوود قال، قلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر؟ قال فتنة وشر» قال الحافظ[(3)] والمراد بالشر ما يقع من الفتنة من بعد قتل عثمان وهلم جرا أو ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة أ هـ قوله «قلت وهل بعد ذلك الشر من خير» وعند أبي داوود قال: قلت : يا رسول الله هل بعد هذا الشر خير قال: «يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه». ، فهذا سبيل النجاة إن شاء الله، وقوله «نعم وفيه دخن» أى خير على غبش، وعند أبى داوود «هدنة على دخن»، قال الحافظ[(3)]: دخن: بالمهملة =

(١) سورة آل عمران آية (١٠٣)
(٢) سورة البقرة آية (٢٥٧).
(٣) فتح البارى ٢٧ / ٤١، ٤٢، ٤٣ .
(٤) سورة آل عمران آية (١٦٤).

= ثم المعجمة المفتوحتين بعدها نون: وهو الحقد، وقيل الدغل وقيل فساد القلب ومعنى الثلاثة متقارب يشير إلى أن الخير الذى يجئ بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدر وقيل الدخن كل أمر مكروه فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض أ هـ: «قلت: وما دخنه» قال قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر» أى يسيرون على غير طريقى تعرف من أعمالهم وتنكر منها» قال: فهل بعد ذلك الخير من شر؟» قال نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» أى بأعمالهم السيئة الظالمة الشركية والبدعية وأقوالهم المشابهة لأعمالهم كأنهم يدعون إلى جهنم لأن مصيرهم ومصير دعوتهم جهنم والعياذ بالله تعالى من الفتاوى الضالة والأقاويل الظالمة والإفتراءات على الشرع الحنيف بما ليس فيه، قال الحافظ[1]: قوله «دعاة» بضم الدال المهملة جمع داع: أى إلى غير الحق» على أبواب جهنم» أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم أ هـ فمن سمع ما يقولون والتزمه قذفوه باتباعه لهم فى جهنم والعياذ بالله تعالى قوله: «قلت يا رسول الله: صفهم لنا» بينهم وأظهرهم لنا» قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» قال الحافظ[1]: أى من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا وفيه إشارة إلى أنهم من العرب، وقال الداودى: أى من بنى آدم وقال القاسمى: معناه أنهم فى الظاهر على ملتنا وفى الباطن مخالفون، وجلدة الشئ ظاهره وهو فى الأصل غشاء البدن، قيل ويؤيد إرادته العرب أن السمرة غالبة عليهم واللون إنما يظهر فى الجلد قال والذى يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليهما من الفتنة الأولى وبالخير ما وقع من الاجتماع مع على ومعاوية وبالدخن ما كان فى زمانهما من بعض الأمراء قوله: «قلت فما تأمرنى إن أدركنى ذلك» أى ماذا أفعل يا رسول الله وقتها» قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قال الحافظ «بكسر الهمزة أى أميرهم» قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» قال الحافظ[1]: أى لو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه: قال البيضاوى: المعنى إذا لم يكن فى الأرض خليفة فعليك العزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن اللزوم كقوله فى الحديث الآخر «عضوا عليها بالنواجذ»[2] ثم قال ﷺ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» أى كن =

---

(١) فتح البارى ٢٧/٤١، ٤٢، ٤٣.

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٤٤١ فى العلم، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ح ٢٨١٥ وقال: حسن صحيح.

= بمنأى عنهم بعيداً عن أعمالهم وفتنتهم معتزلاً حتى تموت وعند أبى داود «فإن تمت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم» قال فى عون المعبود[1]: فى قوله «وأنت عاض» أى آخذ بقوة» على جذل أى أصل شجرة يعنى والحال أنك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال «من أن تتبع» بتشديد التاء الثانية وكسر الموحدة «أحداً منهم» أى من أهل الفتنة أو من دعاتها أ هـ: قال الحافظ[2] قال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء فى وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور، قال الحافظ قال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم المراد بهم أهل العلم، لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم فى أمر الدين، قال الطبرى: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين فى طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة قال: وفى الحديث: أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا تتبع أحداً فى الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع فى الشر، قال ابن أبى جمرة: فى الحديث حكمة الله فى عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سبباً فى دفعه عمن أراد الله له النجاة وفيه سعة صدر النبى ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه، ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شئ فإنه يفوق فيه غيره، من ثم كان حذيفة صاحب السر الذى لا يعلمه غيره حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية، ويؤخذ منه أن أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة فإنه أجدر إلى تفهمه والقيام به، وأن كل شئ يهدى إلى طريق الخير يسمى خيراً وكذا بالعكس ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذى ابتدعوه وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدى النبوى ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع أ.هـ والله أعلم.

(١) عون المعبود ١١ / ٣١٦ .

(٢) فتح البارى ٢٧/٤١، ٤٢، ٤٣.

مبحث: تحذير النبى ﷺ الناس
من الفتن والحث على الهرب منها

٥٨٨ ـ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به**».

---

٥٨٨ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٨ فى الفتن وأشراط الساعة

قوله «ملجأ» أى عاصماً وموضعاً يلتجئ إليه أ هـ شرح مسلم ١٨ / ٩ .

قوله: «فليعذ به» أى فليعتزل فيه أ هـ شرح مسلم ١٨ / ٩ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون فتن» أى ستحدث فتنة بعدى وعند الساعة وبينهما» القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى» أى هذه الفتنة الداخل فيها ببطء وقليلاً أفضل من المتعمق فيها والمتعمق فيها أفضل من النشيط السريع فيها لذلك قال: «القاعد فيها خير من الماشى». أى الموجود بها وإن كان ليس بذاك بل الأفضل البعد عنها، لكن الموجود فيها البطئ فى السعى بها، وشبهه ﷺ بالقاعد هو خير من القائم، وهو أيضاً بطئ لكن بطئاً أقل من القاعد فهو أفضل من الماشى وقد شبه به النشيط فى الفتنة وهناك أيضاً أقل من القاعد ففى رواية فى نفس الباب» النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم» إذاً اليقظان كالقاعد ثم قال ﷺ :«من تشرف لها تستشرفه» أى من تطلع لها وأرادها ودخل متعمقاً فيها تأخذه وتلوكه وتقلبه وتصرعه قال النووى[1] «تشرف» بفتح المثناة فوق والشين والراء وهو من الإشراف للشئ وهو =

---

(١) شرح مسلم ١٨ / ٩ .

= الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له، ومعنى تستشرفه تقلبه وتصرعه وقيل هو من الإشراف بمعنى الإشفاء على الهلاك أ هـ وقوله ﷺ «ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به» أى من وجد مكاناً يفر بدينه إليه فلا يتوانى وليسرع بالفرار والاعتصام فيه بالله تعالى من الفتن، قال النووى[1]: وقوله ﷺ «ومن وجد فيها ملجأ أى عاصماً وموضعاً يلتجئ إليه ويعتزل فليعذ به أى فليعتزل فيه وأما قوله ﷺ «القاعد فيها خير من القائم» إلى آخره فمعناه بيان عظيم خطرها والحث على تجنبها والهرب منها ومن التشبث فى شئ وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها أ هـ والله أعلم فاللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) شرح مسلم ٩/١٨.

مبحث : من علامات الساعة

٥٨٩ ـ عن أبي هريرة قال: «**بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانتَظِرْ السَّاعَةَ» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»

---

٥٨٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٢٣٠ فى العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ح ٥٩.

أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٢٧ فى الرقاق، باب رفع الأمانة ح٦٤٩٦.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾[1] فهناك علامات صغرى لها وعلامات كبرى للساعة فمن الصغرى التى هى مقدمة بين يدى الكبرى ما رواه لنا أبو هريرة رضى الله عنه فى هذا الحديث حيث يقول: «بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم» قال الحافظ ابن حجر[2] «ويحدث» هو خبر المبتدأ وحذف مفعوله الثانى لدلالة السياق عليه، والقوم: الرجال وقد يدخل فيه النساء تبعاً أ هـ قوله «جاءه أعرابى» قال الحافظ[2] : لم أقف على تسميته أ هـ قوله فقال: «متى الساعة» أى متى =

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٨)

(٢) فتح البارى ١ / ٢٣٠ .

= تأتي وما ميعادها وهو لا يعلم أو يعلم وسأل عن العلامات أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيما أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها** ﴾[1] قوله «فمضى رسول الله ﷺ يحدث القوم أي لم يقطع حديثه لسؤال الأعرابى وترجم له الإمام البخارى: باب من سئل علماً وهو مشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل أ هـ وقال الحافظ[2] : محصله التنبيه على أدب العالم والمتعلم أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل بل أدبه بالاعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه ثم رجع إلى جوابه فرق به لأنه من الأعراب وهم جفاة أ هـ قوله: «فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم: بل لم يسمع «قال الحافظ[3] إنما حصل لهم التردد فى ذلك لما ظهر من عدم التفات النبى ﷺ إلى سؤاله وإصغائه نحوه، ثم قال بل احتمل كما تقدم أن يكون أخره ليكمل الحديث الذى هو فيه، أو أخر جوابَهُ لِيُوحَى إليه به أ هـ قوله: «حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة» أى سأل عن الساعة وأما «أراه» فمعناها بالضم للألف أى أظنه يعنى يقول الراوى أظن أنه قال كذلك قال الحافظ[3]: والشك من محمد بن فليح أى هو الذى شك فقال «أراه» بدليل رواية أخرى فيها «أين السائل» بدون شك أهـ مختصراً وبتصرف قوله: «قال: هاأنا يا رسول الله «هو مسلم لكن فيه جفوة البادية فقد قال يا رسول الله ومع ذلك لم يصبر حتى يسأل بعد الحديث قوله: قال« فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» أجمل له النبى ﷺ بأن ضياع الأمانة تعقب الساعة فسأل عن كيفية الإضاعة مع أن الإضاعة فى لغة العرب معروفه لكن قال تعالى ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم** ﴾[4] لذلك لما قال: «كيف إضاعتها» أجابه أيضاً ﷺ فقال: =

---

(١) سورة النازعات آية (٤٢) إلى آية (٤٥)

(٢) فتح البارى ١ / ٢٢٨، ٢٢٩ .

(٣) فتح الباري ١/٢٣٠.

(٤) سورة آل عمران آية (١٥٩)

= «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» قال الحافظ قوله: «إذا وسد أى أسند وأصله من الوسادة وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تثنى تحته وسادة وفى الرقاق «أسند» بدل «وسد» ثم قال: إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم ثم قال فى الرقاق[1] والمراد من الأمر جنس الأمور التى تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك وقوله: «إلى غير أهله» قال الكرمانى: أتى بكلمة «إلى» بدل اللام ليدل على تضمين معنى الإسناد قوله «فانتظر الساعة» قال الفاء جواب شرط محذوف أى إذا كان الأمر كذلك فانتظر، قال ابن بطال: معنى أسند الأمر إلى غير أهله أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغى لهم تولية أهل الدين فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى قلدهم الله تعالى إياها أ هـ والله أعلم اللهم إنا نعوذ بك أن نضيع أو نضيع.

(١) فتح البارى ٢٤/١٢٧.

مبحث : يهلك الناس إذا كثر الخبث

٥٩٠ ـ عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث**».

---

٥٩٠ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧ / ١٢٤، في الفتن، يأجوج ومأجوج، ح ٧١٣٥.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨ / ٥٠٣ في الفتن، باب .... وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ح٢٨٨٠.

قوله: «الخبث» بفتح الخاء المعجمة والباء: قيل الفسوق والفجور وقيل الفجور وقيل الزنا أ هـ شرح مسلم ١٨ / ٤.

المعنى

تخبرنا زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً» أي دخل ﷺ على زينب بنت جحش خائفاً مما أعلمه الله تعالى به من حدوث الفتنة فخاف ﷺ على أمته لما علم من ضعفهم قال ابن الأثير[1] : الفزع: الخوف في الأصل أ هـ قوله: ﷺ : «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقترب» يعني يهلل ﷺ من الخوف مستغيثاً بذكر الله تعالى وتوحيده قائلاً أي: ويل وهلاك سيحدث للعرب من شر قد اقترب ميعاده من الفتن المتلاحقة التي لا ينجي منجي منها إلا الله عز وجل الذي نطق النبي ﷺ بتوحيده قال الحافظ[2] : خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان ثم توالت الفتن حتى صارت العرب =

---

(١) النهاية ٣ / ٤٤٣.

(٢) فتح الباري ٢٧ / ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.

= بين الأمم كالقصعة بين الأكلة، قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة[1] : ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن» فأشار بذلك إلى الفتوح التى فتحت بعده فكثرت الأموال فى أيديهم فوقع التنافس الذى جر الفتن أ.هـ قوله: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها» قال الحافظ: أى جعلهما مثل الحلقة أهـ ويأجوج ومأجوج قوم مفسدون بين الناس وبينهم سد بناه ذو القرنين، قال الحافظ المراد بالردم السد الذى بناه ذو القرنين أ.هـ قوله: «قالت زينب بنت جحش : فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون» أى كيف نهلك ومعنا الصالحون بيننا؟ هذا هو المعروف المتبادر أنه لا هلاك مع وجود الصالحين لكن أخبر نبينا ﷺ أن ذلك يحدث والعياذ بالله تعالى إذا عم الفساد وقل بين الناس المصلحون قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾[3] وقال ﷺ «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض: يخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم قال ﷺ : «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[4] : قال الحافظ قوله «وفينا الصالحون» كأنها أخذت ذلك من قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾[5] أ هـ قوله: قال : نعم إذا كثر الخبث» قال الحافظ[6] : بفتح المعجمة والموحدة ثم مثلثة فسروه بالزنا وأولاد الزنا وبالفسوق والفجور، وهو أولى لأنه قابله بالصلاح أ.هـ وقال النووى[7]: ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون أ هـ والله أعلم ونسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٣١٨ فى العلم، باب العلم والعظة بالليل ح ١١٥ .

(٢) سورة القصص آية (٥٩). (٣) سورة هود آية (١١٧).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٩ / ١٩٤، ١٩٥ فى البيوع، باب ما ذكر فى الأسواق، ح ٢١١٨ .

(٥) سورة الأنفال آية (٣٣).

(٦) فتح البارى ٢٧ / ١٢٧ .

(٧) شرح مسلم ١٨ / ٤ .

مبحث : أول أشراط الساعة وأول طعام أهل الجنة

٥٩١ ـ عن أنس أن النبى ﷺ قال لعبد الله بن سلام: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت**».

---

٥٩١ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ١٣٢ فى المبعث النبوي ح ٣٩٣٨.
وأخرجه أحمد فى المسند ٣ / ١٨٩.

المعنى

يخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال مجيباً لعبد الله بن سلام رضى الله عنه: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب» وهو يشبه الحديث[١] الذى فيه «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج والدابة، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا «وفى رواية للبخارى[٢] : «وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا» قال الحافظ[٣] فيه إشارة إلى ملازمة النار لهم إلى أن يصلوا إلى المحشر قال الخطابى، هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها أ هـ قوله: «وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت» يعنى فضلاً من ربهم بعد دخولهم يطعمهم سبحانه من الحوت الذى رعى فى أطراف الجنة فكما سن لهم الإفطار يوم الأضحى على كبد ضحاياهم تفضل عليهم فجعل سعيهم مشكوراً مقبولاً وأطعمهم =

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٦ / ٤١٣ فى الفتن، باب ما جاء فى الخسف، ح ٢٢٧٤.
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٨٢ فى الرقاق ح ٦٥٢٢.
(٣) فتح البارى ٢٤/١٨٢.

= كبد الحوت أول إفطار لهم بعد حلولهم دار الرضوان الخالد الأبدى نسأله تعالى هذا المقام، قال الحافظ[1] : الزيادة هى القطعة المنفردة المعلقة فى الكبد وهى فى المطعم غاية فى اللذة، ويقال إنها أهنأ طعام وأمرأه قال: ويقال: هو الحوت الذى عليه الأرض والإشارة بذلك إلى نفاد الدنيا أ هـ قلت بل والأرض أيضاً كما ذكرت فى صفة الجنة وأحاديثها تكون خبزة واحدة نزلاً لأهل الجنة فنعم الخبزة ونعم الكبد ونعم المنزل والمنزل والمكان والمقيل والدار ونعم الرب ربنا عز وجل فله الحمد والمنة.

(١) فتح البارى ١٥ / ١٣٣.

مبحث : من أشراط الساعة

٥٩٢ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أشراط الساعة: أن يَقِلَّ العلمُ، ويَظْهَرَ الجهلُ، ويظهرَ الزنَا، وتكثرَ النساءُ، ويقل الرجالُ، حتى يكون لخَمْسينَ امرأةٍ القَيِّمُ الواحِدُ».

---

٥٩٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٢٧٧ فى العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ح ٨١.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٦ / ٢٢١ فى العلم، باب رفع العلم وقبضه.

قوله: «القيم» قيم المرأة زوجها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه أ هـ نهاية ٤/١٣٥.

المعنى

كلما بعد الزمان عن عهد النبوة الصافى النير الخير المبين قل الخير والعلم والطهر والأمن والأمان والأمانة وظهر الجهل والزنا والسوء والبدع والظلم والضلال ـ فاللهم عافنا ونجنا يا ربنا ـ وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ففى الحديث عن النبى ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»[1] وفى هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله ﷺ بعض العلامات فيقول: «من أشراط الساعة» قال النووى[2] وأشراط الساعة علاماتها وأحدها شرط بفتح الشين والراء أهـ أى من علاماتها التى لا تقوم الساعة إلا بعد ظهورها أ هـ قوله: «أن يقل العلم» وفى مسلم: «أن يرفع العلم» قال الحافظ ابن حجر[3] : جامعاً بين الروايتين» فيحتمل أن يكون المراد بقلته أول العلامة وبرفعه آخرها، أو أطلقت القلة وأريد بها العدم، كما يطلق العدم ويراد به القلة وهذا أليق لإتحاد المخرج أ هـ قوله: «ويظهر الجهل» وفى رواية مسلم «ويثبت الجهل» قال النووى[1]: من الثبوت وفى بعضها «يبث» بضم الياء وبعدها موحدة مفتوحة ثم مثلثة =

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٨ / ٤٢٤، ٤٢٥ فى تفسير سورة المائدة ح ٥٠٥١ وقال حديث حسن غريب.

(٢) شرح مسلم النووى ١٦ / ٢٢١.

(٣) فتح البارى ١ / ٢٧٨.

= مشددة أى ينشر ويشيع أ هـ : ويظهر الزنا» قال النووى[1]: أى يفشو وينتشر أهـ والعياذ بالله تعالى من ذلك كله. قوله «وتكثر النساء ويقل الرجال» قال الحافظ ابن حجر[2]: قيل سببه أن الفتن تكثير فيكثر القتل فى الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء ثم قال: يقدر الله فى آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات المناسبة لظهور الجهل أهـ وقال البدر العينى[3] وبقلة الرجال يظهر الجهل ويرفع العلم ويكفى كثرتهم فى قلة العلم وظهور الجهل والزنا، لأن النساء حبائل الشيطان وهن ناقصات عقل ودين أ هـ قلت: وقد تقل صفة الرجولة الحقة فى كثير من الرجال فيكونوا ذكوراً بلا رجولة كالتى قال الله تعالى فيها« من المؤمنين رجال»[4] وهنا ذكور بلا رجولة كما نشاهد بلا غيرة على عرض ولا غيرة على دين ولا مروءة ولا علم ولا قوامة على نسائهم وبناتهم فممكن أن يراد ويقل الرجال المغنيون بالرجولة المعهودة فى المؤمنين والله أعلم وأستغفر الله، قوله: «حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» قال الحافظ ابن حجر[2] قوله القيم أى من يقوم بأمرهن واللام للعهد، إشعاراً بما هو معهود بأن الرجال قوامون على النساء: وقال القرطبى[2]: يحتمل أن يراد بالقيم من يقوم عليهن سواء كن موطوآت أم لا، ويحتمل أن يكون ذلك يقع فى الزمان الذى لا يبقى فيه من يقول الله الله فيتزوج المرء بغير عدد جهلاً بالحكم الشرعى قلت: وقد وجد ذلك من بعض أمراء التركمان وغيرهم من أهل الزمان مع دعواه الإسلام والله المستعان أهـ قال الكرمانى[2]: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذناً بخراب العالم، لأن الخلق لا يتركون هملاً ولا نبى بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين أ هـ وقال ابن حجر[2] وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التى يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهى الدين، لأن رفع العلم يخل به، والعقل لأن شرب الخمر يخل به، والعرض لأن الزنا يخل به والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما أهـ والله أعلم. ونسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة فى الدين والعرض والنفس والدنيا والآخرة.

(١) شرح مسلم للنووي ٢٢١/١٦.
(٢) فتح الباري ٢٧٨/١.
(٣) عمدة القارى ٢ / ٣٣ .
(٤) سورة الأحزاب آية (٢٣).

مبحث : أشراط الساعة الكبرى

٥٩٣ ـ عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون «قالوا: نذكر الساعة» قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر، الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**».

---

٥٩٣ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٢٧ فى الفتن وأشراط الساعة.

المعنى

يخبرنا حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر» أى يحدث بعضنا بعضاً بالأحاديث الشريفة والأمور الشرعية» فقال أى النبى ﷺ ما تذاكرون أى فيما تتذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» قال الله تعالى ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾[1] فذكر الدخان قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم بأنه دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريباً من قيام الساعة وقال بعضهم إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان أ هـ ملخصاً من كلام النووى[2] وقوله «والدجال» سيأتى إن شاء الله تعالى القول فيه ص١٣٩٣ بعون الله تعالى وتوفيقه وقوله «والدابة» هى التى قال الله تعالى فيها ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا** =

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٨).

(٢) شرح مسلم ١٨ / ٢٧، ٢٨.

بآياتنا لا يُوقِنُونَ ﴾[1] قال النووى[2]: هى دابة عظيمة تخرج من صدع الصفا وعن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة فى حديث الدجال أ هـ وقوله «وطلوع الشمس من مغربها» سيأتى إن شاء الله تعالى تفصيل القول فيه فى حديث الساعة الطويل إن شاء الله تعالى» ونزول عيسى ابن مريم ﷺ «سيأتى إن شاء الله تعالى تفصيل القول فيه فى الحديث القادم حديث «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب... الحديث»[3] وقوله« يأجوج ومأجوج» تقدم الكلام عليه مستوفى بحمد الله تعالى فى حديث» فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ... الحديث[4] وقوله ﷺ وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب» أى تلك الثلاثة يحدثون جميعاً قبل الساعة فى الثلاث نواحى شرق وغرب ووسط فى الجزيرة العربية كما فى حديث صحار العبدى قال قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل، فيقال: من بقى من بنى فلان» قال: فعرفت حين قال قبائل أنها العرب لأن العجم تنسب إلى قراها»[5] وقوله وآخر ذلك» أى آخر العلامات قبيل الساعة» نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» وفى رواية بعدها «ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس» قال النووى[2]: وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن وهذه النار الخارجة من قعر عدن هى الحاشرة للناس كما صرح به فى الحديث أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة النمل آية (٨٢).

(٢) شرح مسلم ١٨/٢٧، ٢٨.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٠١ / ٢٠٥ فى المظالم ح٢٤٧٦ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٢ فى الفتن وأشراط الساعة.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند ٣ / ٤٨٣ وقال الهيثمى فى الزوائد ٨ / ٩ رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى البزار ورجاله ثقات.

مبحث : كسر الصليب وقتل الخنزير من القسط

٥٩٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **«لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد** «زاد فى رواية» **حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾.**

---

٥٩٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠ / ٢٠٥ فى المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، ح ٢١٧٦ وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٢٥٢ فى أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ح ٣٤٤٨ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٢ .

قوله: «مقسطاً» المقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر أ هـ فتح ١٣/٢٥٢.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطاً وفى الرواية «حكماً عادلاً» قال الحافظ[1] : والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر أ هـ فهو نبى عليه السلام فحكمه حكم الأنبياء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فلذلك كسره الصليب وقتله الخنزير ووضعه الجزية إنما هو إذلال للنصارى وخزى لهم حيث أن هذه الأشياء الخبيثة يفعلونها مدعيين أنها دين عيسى عليه السلام وهو منها براء وعند نزوله سيثبت ذلك بالفعل بنفسه على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ويحكم حينئذ بشرع نبينا ﷺ لذلك ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال: «والذى نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين»[2] وهو ـ أى عيسى ـ إذا نزل كان مقرراً لشرع نبينا ﷺ أ هـ قوله: «فيكسر الصليب ويقتل =

---

(١) فتح البارى ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٢٦٦ من حديث عبد الله بن ثابت عن عمر وكذلك فى ٣ / ٤٧٠، ٤٧١ .

= الخنزير» قال القسطلاني[1]: «فيكسر الصليب» الذى اتخذه النصارى زاعمين أن عيسى عليه السلام صلب على خشبه وفى كسره له إشعار بأنهم كانوا على الباطل فى اتخاذه والفاء تفصيلية أ هـ بتصرف يسير: قال الحافظ[2]: أى يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس لأن الشئ المنتفع به لا يشرع إتلافه أ هـ.

وقد قال الحافظ[2] فى قوله «ويضع الجزية» المعنى أن الدين يصير واحد ـ أى الإسلام ـ فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدى الجزية وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة ويكون كثرة المال بسبب ذلك أ هـ قوله: «ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» أى بسبب العدل والحكم بالإسلام يكثر الخير ويفيض المال ويكثر حتى لا يوجد من يقبل الصدقات قال الحافظ[2]: قوله: «ويفيض المال» بفتح أوله وكسر الفاء وبالضاد المعجمة أى يكثر وسبب كثرته نزول البركات وتوالى الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبة فى اقتناء المال لعلمهم بقرب قيام الساعة أ.هـ والله أعلم.وقوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» أى أنهم حينئذ يتقربون إلى الله بالعبادة لا بالتصدق بالمال وقيل معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها أ هـ وقال النووى[3] : فمعناه والله أعلم أن الناس تكثر رغبتهم فى الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم فى الدنيا لعدم الحاجة إليها وهذا هو الظاهر من معنى الحديث أ.هـ وقال أيضاً وأما قوله «ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبى هريرة فى الآية أن الضمير فى «موته» يعود على عيسى عليه السلام ومعناها: وما من أهل الكتاب يكون فى زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته وهذا مذهب جماعة من المفسرين أ هـ والله أعلم.

(١) إرشاد السارى ٤ / ٢٧٧ .

(٢) فتح البارى ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣ .

(٣) شرح مسلم ٢ / ٢٥١، ٢٥٢ .

مبحث : فى الخسف بغزاة الكعبة المشرفة

٥٩٥ ـ عن حفصة أنها سمعت النبى ﷺ يقول: «لَيَؤُمَّنَّ هذا البيتَ جيشٌ يغزونَهُ حتى إذا كانوا بِبَيْدَاءَ من الأرض يُخْسَفُ بأَوْسَطِهِمْ ويُنَادِى أولُهُمْ آخرهم ثم يُخْسَفُ بهم فلا يبقى إلا الشَّرِيدُ الذى يُخْبِرُ عنهم».

---

٥٩٥ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٥ فى الفتن وأشراط الساعة.

قوله: «الشريد» : شرد البعير يشرد شروداً وشراداً إذا نفر وذهب فى الأرض أ.هـ نهاية ٢ / ٤٥٧ .

قوله: «بيداء من الأرض» البيداء كل أرض ملساء لا شئ بها أ هـ شرح مسلم ١٨/٥ .

المعنى

تخبرنا حفصة رضى الله عنها أنها سمعت النبى ﷺ يقول: «ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه» أى يريدون حربه والعياذ بالله تعالى وقد سماه الله تعالى ﴿البيت العتيق﴾[1] قال تعالى ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾[1] لأنه قسم الله تعالى غازيه ففى الحديث» إنما سمى البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط»[2] حتى إذا كانوابيداء من الأرض يخسف بأوسطهم» أى بينما هم قاصدون البيت حتى إذا وصلوا إلى أرض بيداء ملساء لا شئ فيها خسف الله تعالى بهم الأرض وقال «وينادى أولهم آخرهم ثم يخسف بهم» أى جميعاً الوسط والأول والآخر منهم قال «فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم» أى فلا ينجو من غزاة الكعبة إلا من كان بعيداً عنهم فهو الذى رآهم وهم يخسف بهم جزاء فعلهم ولولا أن الله تعالى أبقى هذا الشريد ما علم أحد ذلك الخسف حيث لم يبق من الجيش أحد حتى من لم =

---

(١) سورة الحج آية (٢٩).

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩ / ١٤٢ تفسير سورة الحج آية (٢٩).

= يكن يعمل عملهم من قصد العدوان على البيت، لذلك قالت أم سلمة فى الرواية الأخرى فى الباب: فقلت يا رسول الله: فكيف بمن كان كارهاً قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته» قال النووى[1] : وفى هذا الحديث من الفقه التباعد من أهل الظلم والتحذير من مجالستهم ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به وفيه أن من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم فى ظاهر عقوبات الدنيا أ.هـ والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٨ / ٧ .

مبحث : في الانتقام من اليهود بأيدى المسلمين

٥٩٦ - عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَقُومُ الساعةُ حتى يُقَاتِلَ المسلمونَ اليهودَ فَيَقْتُلُهُمْ المسلمونَ حتى يَخْتَبِئَ اليهودى من وراى الحَجَرِ والشجر فيقول الحَجَرُ أو الشَّجَرُ يا مُسْلِمٌ يا عَبْدَ الله هذا يهودى خَلْفِى فتَعَالَ فاقْتُلْهُ إلا الغَرْقَد فإنه من شَجَرِ اليهود».

---

٥٩٦ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٤٤، ٤٥ فى الفتن وأشراط الساعة.

قوله «الغرقد» نوع من شجر الشوك شرح مسلم ١٨ / ٤٥ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود» أى يلتقون فى معركة وحرب» «فيقتلهم المسلمون» أى ينتصر عليهم المسلمون بإذن الله تعالى انتصاراً عظيماً يقتلونهم فيه قتلاً شديداً حتى يفر اليهود لذلك قال ﷺ: «حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر» أى خوفاً من قتل المسلمين وهذا فضل من الله تعالى وانتقاماً منه سبحانه بأولاد القردة والخنازير الساعين فى الأرض فساداً فهذا الحديث تطيباً لقلب المسلمين تسلية لهم عما يفعله اليهود فى كل زمان من محاولة إفساد الأرض بظلمهم وفجرهم وتقليد كثير من المسلمين الجهلة لهم قال الله عز وجل ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1] ، لذلك بتسلى من لم يدرك ذلك بسماع هذا الحديث الشريف ومن أدرك ذلك النصر فقد أكرمه الله تعالى بقوله: ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾[2] قوله «فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى =

---

(١) سورة المائدة آية (٦٤).

(٢) سورة التوبة آية (١٤)، (١٥).

فتعال فاقتله» أى حتى الشجر والحجر ساخطاً عليهم بقدرة الله تعالى ينطقه ربنا عز وجل بكلام يفهم قائلاً للمسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى مختبئ فأقبل لقتله لنستريح من عدو الله عز وجل «إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» لذلك هم يعرفون ويكثرون زرعه لأنه النوع الذى يكتم عنهم لكن نبينا ﷺ أعلمنا فلا مفر إن شاء الله تعالى من القضاء عليهم وعلى كل مفسد بإذن الله عز وجل قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾[1] قال النووى[2] : والغرقد من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس وهناك يكون قتال الدجال واليهود وقال أبو حنيفة الدينورى: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة أ هـ. والله أعلم.

(١) سورة الإسراء آية (٥).
(٢) شرح مسلم ١٨ / ٤٥ .

مبحث : ذكر الدجال وفتنته

٥٩٧ ـ المطلب الأول: خروج الكفار والمنافقين إلى الدجال

عن أنس بن مالك قال قال النبى ﷺ: « **يجئُ الدَّجَّالُ حتى ينزل فى ناحيةِ المدينة، ثم تَرْجُفُ المدينةُ ثلاث رَجَفَاتٍ، فيخرج إليه كلُّ كافر ومنافق**».

٥٩٨ ـ المطلب الثانى: رعب الدجال

عن أبى بكرة عن النبى ﷺ قال: «**لاَ يَدْخُلُ المدينةَ رُعْبُ المسيحِ الدجالِ، ولها يومئذ سبْعةُ أبواب على كل باب مَلَكَانِ**»

٥٩٩ ـ المطلب الثالث: تحذير الأنبياء كلهم عليهم السلام قومهم فتنة الدجال عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: قال: قام رسول الله ﷺ فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله: ثم ذكر الدجال فقال: «**إنِّى لأُنذرْكُمُوهُ، وما من نبى إلا وقد أَنْذَرَ قومَه، ولكنى سأَقُولُ لكم فيه قولاً لم يَقلْهُ نَبِيٌّ لقومه: إنه أَعْوَرٌ وإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ**».

٦٠٠ ـ المطلب الرابع نجاة الحرمين الشريفين منه ومن فتنته

عن أنس بن مالك رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلا سَيَطَؤُهُ الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نِقَابِهَا نَقْبٌ إلا عليه ملائكة صَافِّينَ يَحْرُسُونَها، ثم تَرْجُفُ المدينة بأهلها ثلاث رَجَفَاتٍ فيخرج الله كل كافر ومنافق**».

---

٥٩٧ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ١٠٧ فى الفتن، باب ذكر الدجال، ح ٧١٢٤.

= وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ١١١ فى الفتن.

وأخرجه أحمد فى المسند ٣ / ٢٣٨ .

٥٩٨ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ١٠٨ فى الفتن، باب ذكر الدجال، ح ٧١٢٥ .

٥٩٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ١١٠ فى الفتن، باب الدجال، ح ٧١٢٧ .

وأخرج البخارى فى صحيحه له شاهداً فى التوحيد ١٦٩/٢٧ عن أنس ح٧٤٠٨ .

وأخرج مسلم فى صحيحه له شاهداً فى الفتن ١٨ / ٨١ ح ٢٩٣٣ .

أخرجه أحمد له شاهداً ٣ / ١٠٣ .

٦٠٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٨ / ٢٢٦، فى فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح ١٨٧٩ .

قوله: «ترجف قال ابن الأثير: وأصل الرجف: الحركة والاضطراب أ هـ نهاية ٢٠٣/٢ .

قوله: «نقب» هو الطريق بين الجبلين أ هـ نهاية ٢ / ١٠٢ .

المعنى

فى الحديث الأول يخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: يجئ الدجال حتى ينزل فى ناحية المدينة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق» من علامات الساعة الدجال الكذاب، قال الحافظ[1] : الدجال: هو فعال بفتح أوله والتشديد من الدجل: وهو التغطية، وسمى الكذاب دجالاً لأنه يغطى الحق بالباطل أ هـ يقترب هذا الكذاب من المدينة المنورة عند جبل أحد فينظر إليها ولا يتمكن من دخولها ويرى مسجد النبى ﷺ من بعيد كالقصر الأبيض فعند أحمد =

(١) فتح البارى ٢٧ / ١٠٤ .

= والحاكم[1] رفعه «يجئ الدجال فيصعد أحداً فيطلع إلى المدينة فيقول لأصحابه ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من نقابها ملكاً مصلتاً فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فتخلص المدينة وذلك يوم الخلاص» فعند ذلك ترجف المدينة فتتحرك وتضطرب ثلاث مرات لتخرج إليه الكفار والمنافقون حتى تطهر وهذا تحقيق لحديث النبي ﷺ المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها»[2] قال الحافظ[3] : إنه لا طاقة لأحد به فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق، فيظهر حينئذ تمام» أنه تنفى خبثها»[4] وقال أيضاً قوله: «ثم ترجف المدينة» أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكرة: أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال» لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص أ هـ والله أعلم وهو معنى الحديث الثاني: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال» والمسيح بالحاء المهملة كعيسى عليه السلام لكن الفرق أن عيسى مسيح الهدى والدجال مسيح الضلالة. قال القاضي ابن العربي[3]: ضل قوم فرووه المسيخ بالخاء المعجمة وشدد بعضهم السين ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم، وقد فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال «مسيح الضلالة» فدل على أن عيسى مسيح الهدى فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرفوا الحديث. أ هـ وسبب نجاة المدينة منه ومن فتنته ورعبه ما أكرمها الله به وأحاطها بما قاله ﷺ: «لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب مَلَكَان» أي ليمنعانه وفي رواية» فيجد بكل نقب من نقابها ملكاً مصلتاً»[1] والنقب هو الطريق بين الجبلين فكل طريق محروس بالملائكة فضلاً من الله لطيبة التي طاب ترابها =

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٥٤٣/٥٨٦ في الفتن والملاحم عن محجن بن الأدرع مرفوعاً ح ٨٦٣١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨ / ٢٧٧ في فضائل المدينة، باب المدينة تنفى الخبث، ح ١٨٣٣ .

(٣) فتح الباري ٢٧ / ١٠٨ .

(٤) فتح الباري ٨ / ٢٢٦ .

= وهواؤها لنزول المصطفى ﷺ على أرضها» قال ابن ذهب[1] المراد بها المداخل وقيل الأبواب وأصل النقب الطريق بين الجبلين وقيل الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس ومنه قوله تعالى ﴿ فنقبوا في البلاد ﴾[2] أ هـ والله أعلم.

وفي الحديث الثالث يخبرنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه «قام في الناس» أى خطيباً» فأثنى على الله بما هو أهله» أى حمد الله تعالى ومدحه سبحانه بما يليق به» ثم ذكر الدجال «أى المسيح الدجال وفتنته فقال» إنى لأنذركموه» أي أحذركم إياه تحذيراً شديداً من خطر الوقوع في فتنته وأنها مهلكة والعياذ بالله تعالى» وما من نبى إلا وقد أنذره قومه» وعند مسلم : ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب» أى كل الأنبياء حذروا وأنذروا أممهم فتنة الدجال قال الحافظ[3] وقد استشكل إنذار نوح بالدجال مع أن الأحاديث قد ثبتت أنه يخرج بعد أمور ذكرت، وأن عيسى يقتله بعد أن ينزل من السماء فيحكم بالشريعة المحمدية والجواب أنه كان وقت خروجه أخفى على نوح ومن بعده فكأنهم أنذروا به ولم يذكر لهم وقت خروجه فحذروا قومهم من فتنته أ هـ قوله ﷺ: «ولكنى سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبى لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور» زاد مسلم «ومكتوب بين عينيه ك ف ر» أى هناك إنذار وبيان له لم يبينه أحد من الأنبياء وهو كونه أعور عينه اليمنى كأن عينيه عنبة طافية وهذا ليعلم العالم والعامى أنه لا يصح أن يكون إلهاً فلا يقع فى فتنته خاصة وأن خروجه فى هذه الأمة المباركة فاختصت بزيادة البيان لذلك قال الحافظ[3]: قوله: «إنه أعور وإن الله ليس بأعور» إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث فى الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامى ومن لا يهتدى إلى الأدلة العقلية فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص. علم أنه كاذب كذلك فيه أن دعواه الربوبية كذب لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموت والدجال يدعى الألوهية والناس يرونه مع ذلك وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «تعلمون أنه لن يرى =

(١) فتح الباري ٨/٢٢٦.

(٢) سورة ق آية ٣٦ .

(٣) فتح البارى ٢٧ / ١١٠ .

= أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت»[1] قال: ولا يرد على ذلك رؤية النبى ﷺ لأن ذلك من خصائصه ﷺ أ هـ بتصرف والحديث الخامس يبين أن كل هؤلاء الفتن إنما هى بعيدة عن الحرمين الشريفين فمكة والمدينة محروستان من عند الله عز وجل بملائكته صافين بسيوف مصلتة كما تقدم فى الحديث الثاني.

وعند الحاكم[2] من حديث محجن بن الأدرع فى ذكر المدينة «ألا إن المدينة مشتبكة بالملائكة على كل نقب منها ملكان يحرسانها لا يدخلها الطاعون والدجال من أراد أهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء»[3] لكن كل البلاد سواهما يدخلها الدجال والعياذ بالله تعالى وكذلك الطاعون يدخل كل بلد إلا الحرمين الشريفين بحمد الله تعالى قال الحافظ[4]: قوله: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال» هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور أ هـ أى سيدخل كل البلاد لأن بعض أيامه كالسنة إلا الحرمين الشريفين فالملائكة مصطفين عليها للحراسة لذلك كان يشير النبى ﷺ إلى المدينة ويقول: «هذه طابة»[5] والله أعلم وأما زيادة مسلم «ومكتوب بين عينيه ك ف ر» فقد قال النووى[6] : الصحيح الذى عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقيه جعلها الله تعالى آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته والعياذ بالله تعالى - ولا امتناع فى ذلك أ هـ وعند مسلم[7] زيادة من =

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٥ / ٤٣٣ من حديث عمر بن ثابت عن بعض الصحابة.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٤٣/٤/٥٨٦ في الفتن والملاحم عن محجن بن الأدرع مرفوعًا ح٨٦٣١.
(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٥٤٢ / ٥٨٥ فى الفتن والملاحم ح ٨٦٢٨ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٤) فتح الباري ٢٢٦/٨.
(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ٨ / ٢١٨ فى فضائل المدينه، ح ١٨٧٢ باب المدينة طابة.
(٦) شرح مسلم ١٨ / ٨١ .
(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٨٢ فى الفتن، ح ٢٩٣٤ .

= حديث حذيفة مرفوعاً» معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار» هذا من أشد فتنته وفي رواية لمسلم[1] : «إن الدجال يخرج وأن معه ماءاً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءاً فنار تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب»[2] قال العلماء: هذا من جملة فتنته امتحن الله تعالى بها عباده ليحق الحق ويبطل الباطل ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه أ هـ والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨ / ٨٢ في الفتن، ح ٢٩٣٥ .
(٢) شرح مسلم ١٨ / ٨٢ .

مبحث : أشراط الساعة

٦٠١ ـ عن أبي هريرة: أن رسـول الله ﷺ قـال: «**لا تَقُومُ السَاعَةُ حتى تقتتل فئَتَان عظيمتان تكون بينهما مَقْتَلةٌ عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يُقْبَضَ العلمُ وتكثر الزلازل، ويَتَقَارَب الزمان، وتَظْهَرَ الفتنُ، ويكثر الهَرجُ، وهو: القتل، وحتى يكثر فيكم المال فَيفيضُ، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يَعْرِضَهُ فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ـ فذلك حين لا ينفع نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قبل أو كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيراً ـ ولتقومن الساعة وقد نَشَرَ الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يَطْوِيَانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بِلَبَنِ لَقْحَتِه فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليطُ حوضَهُ فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعةَ وقد رفع أكلته إلى فِيهِ فلا يَطْعَمُهَا**».

---

٦٠١ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧ / ٩٦ في الفتن، ح ٧١٢١ .

وأخرج مسلم جزءاً من آخره في صحيحه ١٨ / ١٢١ في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، ح ٢٩٥٤ .

وأخرج مسلم طلوع الشمس من مغربها في صحيحه ٢ / ٢٥٥ في الايمان ح ١٥٧ وابن ماجة في الفتن ٢ / ١٣٥٢، وأبو داوود في الملاحم ١١ / ٤٣٥ .

قوله «دجالون» جمع دجال هو فعال بفتح أوله والتشديد من الدجل وهو التغطية وسمى الدجال كذابا لأنه يغطي الحق بباطله أ هـ فتح ٢٧ / ١٠٤ . =

= قوله: «لا أرب لى به» أرب بوزن جمل أى حاجة أ هـ نهاية ١ / ٣٥ .

قوله: «لقحته» اللقحة: بالكسر والفتح: الناقة القريبة العهد بالنتاج والجمع لقح واللقاح: ذوات الألبان أ هـ نهاية ٤ / ٢٦٢ .

قوله: «يليط حوضه» بفتح أوله من الثلاثي وبضمه من الرباعي، والمعنى يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه ويسقى منه دوابه أ هـ فتح ٢٧ / ١٠٢ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة» أى من أشراط الساعة هذه العلامات وإن كانت هناك علامات كثيرة ذكرها الحافظ فى الفتح بأجزاء أحاديثها منها ما هو فى الصحيحين ومنها ما هو فى غيرهما ومنها ما أبان عن صحته ومنها ما سكت عنه؛ مجمل معناها: أن الساعة لا تقوم حتى تأخذ الأمة بأخذ القرون قبلها وحتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة وحتى يخسف بقبائل من العرب وحتى يسود كل قبيلة منافقوها وحتى يوسد الأمر إلى غير أهله وحتى يكون الولد غيظاً والمطر قيظاً ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم ويخرب عمران الدنيا ويعمر خرابها وحتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون وحتى يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وحتى يتكلم الرجل التافه فى أمر العامة وحتى تزول الجبال عن أماكنها وحتى يتسافد فى الطريق تسافد الحمر - والعياذ بالله تعالى - وحتى يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب، و«حتى لا يقال فى الأرض: «لا إله إلا الله» وحتى لا يكون وقتها مؤمن وحتى يعبد ناس الأوثان. والعياذ بالله تعالى من ذلك كله. أما الفئتان العظيمتان اللتان دعوتهما واحدة فهما فئتا الصحابى الجليل على بن أبى طالب رضى الله عنه وفئة معاوية رضى الله عنه، قال الحافظ[1] ، «أما قوله» حتى تقتتل فئتان» المراد بالفئتين على ومن معه ومعاوية ومن معه، =

(١) فتح البارى ٢٧، / ٩٨، ٩٩، ١٠٠ .

= ويؤخذ من تسميتهم مسلمين، ومن قوله: دعوتهما واحدة «الرد على الخوارج في تكفيرهم كلا من الطائفتين قال: ودل حديث «تقتل عماراً الفئة الباغية»[1] على أن علياً كان المصيب فى تلك الحرب لأن أصحاب معاوية قتلوه أ هـ قوله: «وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» أى من علامات الساعة يخرج ثلاثون كذاباً ضالاً مضلاً يقرب من ثلاثين كلهم يدعى النبوة وهذا كذب فلا نبى بعد نبينا ﷺ فعند أحمد [2] عن ثوبان عن النبى ﷺ أنه قال: «سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ... الحديث»

«والدجال من الدجل وهو التغطية وسمي بذلك لاستدامة الكذب وهو تغطية الحق بالباطل، قال الحافظ قوله: «كلهم يزعم أنه رسول الله» ظاهر فى أن كلا منهم يدعى النبوة وهذا هو السر فى قوله فى آخر الحديث الماضى «إنى خاتم النبيين» أ هـ قوله: «وحتى يقبض العلم: قال الحافظ[3] فإنه لا يرفع إلا بقبض العلماء وما دام من يتعلم العلم موجوداً لا يحصل الرفع أ هـ ففى حديث البخارى[4] : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن بقبض العلماء ـ الحديث: قوله: «وتكثر الزلازل» أى يزلزل الله عز وجل الأرض غضباً منه سبحانه لما يحدث من معاصى العباد عليها، قال الحافظ[5] : الذى يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها أ هـ وفى رواية للبخارى[6] مرفوعاً للنبى ﷺ : «من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين إمرأة القيم الواحد «قوله: ويتقارب الزمان،» وهو والعياذ بالله تعالى: قلة البركة فيه كما قلت فى غيره نظراً لقلة الطاعة =

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٥٧ فى الفتن ح ٧٣ .
(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٥ / ٢٧٨ عن ثوبان مرفوعاً.
(٣) ١ / ٢٧٦ فتح البارى
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٢٩٨، ٢٩٩ فى العلم، باب كيف يقبض العلم، ح ١٠٠ .
(٥) فتح البارى ٢٧ / ١٠١، ١٠٢ .
(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٢٧٨ فى العلم ح ٨١ .

= وزيادة المعصية ومقتضياتهما ويدل على ذلك الحديث[1] المرفوع: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة الخوصه» قال الحافظ[2] : الذى تضمنه الحديث قد وجد فى زماننا هذا، فإنه نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده فى العصر الذى قبل عصرنا هذا وإن لم يكن هناك عيش مستلذ، والحق أن المراد نزع البركة من كل شئ حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة أ هـ قوله: «وتظهر الفتن» عموماً ما جاء فى هذا الحديث وغيره فهو من عطف الخاص على العام والله أعلم قوله: «ويكثر الهرج وهو القتل» وفى رواية[3] يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: «القتل القتل» ففسره نبينا ﷺ بأنه القتل أى يكثر قتل الناس بعضهم لبعض ويوضح ذلك أيضا قوله ﷺ: «والذى نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدرى القاتل فى أى شئ قتل ولا يدرى المقتول على أى شئ قتل»[4] قوله « حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به» قال الحافظ[5]: فى هذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال الأولى: إلى كثرة المال فقط، وقد كان ذلك فى زمن الصحابة ومن ثم قيل فيه «يكثر فيكم»، الحالة الثانية: الإشارة إلى فيضه من الكثرة بحيث أن يحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره وكان ذلك فى آخر عصر الصحابة وأول عصر من بعدهم ومن ثم قيل يهم رب المال، وذلك ينطبق على ما وقع في زمن عمر ابن عبد العزيز، الحالة الثالثة: فيه الاشارة إلى فيضه وحصول الاستغناء لكل أحد حتى يهتم صاحب المال =

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٥٣٧، ٥٣٨ عن أبى هريرة مرفوعاً.
(٢) فتح البارى ٢٧ / ١٨ .
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ١٥ فى الفتن ح ٨٠٦١.
(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٣٤ فى الفتن وأشراط الساعة.
(٥) فتح الباري ٢٧/١٠١، ١٠٢

= بكونه لا يجد من يقبل صدقته ويزداد بأن يعرضه على غيره ولو كان ممن لا يستحق الصدقة فيأبى أخذه فيقول لا حاجة لى فيه، وهذا فى زمن عيسى عليه السلام أ هـ قوله: «وحتى يتطاول الناس فى البنيان» من التفاعل وهو تطاولهم على سبيل المباهاة والمفاخرة، قال الحافظ: ومعنى التطاول فى البنيان أن كلاً ممن كان يبنى بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر ويحتمل أن يكون المراد المباهاة فى الزينة والزخرفة أو أعم من ذلك وقد وجد الكثير من ذلك وهو فى ازدياد أ هـ فكيف لو رأى زماننا؟ نسأل الله السلامة قوله: «وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه» خوفاً على دينه وضيقاً مما حوله من الفتن وهذه ملموسة واضحة نسأل الله العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة. قال الحافظ[1] قوله: «حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه» أى كنت ميتاً، قال ابن بطال: تغبط أهل القبور ويتمنى الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، فظهور الفتن، إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصى والمنكر أهـ قال الحافظ: ليس هذا عاماً فى حق كل أحد وإنما هو خاص بأهل الخير أ هـ قوله: «وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت وراءها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً» أى من علامات الساعة وأشراطها أن تخرج الشمس يوماً بعد ليل طويل من مغربها بدلاً من المشرق فعندما يراها الناس طالعة من المغرب كلهم يؤمن ولكن لا ينفع الإيمان لمن لم يكن قد آمن قبل طلوعها من مغربها أو ازداد خيراً من قبل بل كل يبقى على حاله قبلها والله أعلم، قال الحافظ[2] فى الفتح مؤيداً رأى من فسره على ظاهره بأنه لا ينفع الإيمان بعد ذلك إلى الساعة رادّاً على من ادعى التوقيت بوقت الطلوع فقط ثم استدل بنص قاطع في أن ذلك باق إلى الساعة وهو أنه لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى =

---

(١) فتح البارى ٢٧ / ٨٧ .

(٢) فتح الباري ٢٧/١٠١، ١٠٢.

= إيمانها خيراً قال: وهو نص فى موضع النزاع وبالله التوفيق أ هـ قوله: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه» أى قد وضع الثوب بينهما البائعان يتساومان فيه فلا يتم ذلك إلا وقد قامت الساعة بغتة وهذا آخر العلامات والناس ينتظرونها قال الحافظ فى الرواية الأخرى يتبايعانه» أى يتساومان فيه، مالكه والذى يريد شراءه فلا يتم بينهما ذلك من بغتة قيام الساعة فلا يتبايعانه ولا يطويانه أ هـ وفى حديث عقبة تفصيل عظيم لهذا ففيه (1) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع فى المساء حتى تملأ السماء ثم ينادى منادى يا أيها الناس! فيقبل الناس بعضهم على بعض، هل سمعتم؟ فمنهم من يقول: نعم، ومنهم من يشك ثم ينادى الثانية: يا أيها الناس فيقول الناس هل سمعتم فيقولون نعم، ثم ينادى: أيها الناس ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾(2) قال رسول الله ﷺ :«فوالذى نفسى بيده إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أو يتبايعانه أبداً وإن الرجل ليمدر حوضه فما يسقى فيه شيئاً، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشرب أبداً ويشتغل الناس» قوله: «ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه» وعند مسلم «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم» أى قد حلب الرجل ناقته أو ما يُحلب ويريد أن يشرب اللبن وقد رفع الإناء بيده ليضع اللبن فى فيه فقبل أن يصل الإناء إلى الفم تقوم الساعة وصدق الله إذ يقول ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾(3) قوله: «ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه» أى وستقوم إن شاء الله تعالى وبعض الناس لا يدرى مشغول بتجهيز حوض الإبل يصلحه ويطينه =

(1) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٥٣٩ / ٥٨٢ فى الفتن والملاحم ح ٨٦٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرح مسلم.
(2) سورة النحل آية (1).
(3) سورة الأعراف آية (187)

= وينظفه ويسد شقوقه ليسقى فيه فلا يحدث ما أراده إلا وقد قامت القيامة فاللهم سلم سلم لا نبعث إلا على أحسن أعمالنا وأحوالنا يا ربنا آمين. قال النووى[1] : بفتح الياء وكسر اللام وتخفيف الطاء وفى بعضها «يليط» بزيادة ياء وفى بعضها «يلوط» ومعنى الجميع واحد وهو أنه يطينه ويصلحه أ هـ قال الحافظ[2] قوله: فلا يسقى فيه «أى تقوم القيامة من قبل أن يستقى منه أ هـ قوله: «ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أى وستقوم الساعة إن شاء الله تعالى وبعض الناس مشغول يأكل قد رفع اللقمة إلى فيه فلا يضعها إلا وقد قامت أو وقد وضعها ولا يمضغها أو مضغها ولا يتمكن من بلعها إلا وقد قامت قبل البلع قال الحافظ[3]: قوله: «ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته» بالضم أى لقمته» إلى فيه فلا يطعمها» أى تقوم الساعة من قبل أن يضع لقمته فى فيه أو من قبل أن يمضغها أو من قبل أن يبتلعها ثم أيد الإحتمال الأخير قلت ولا مانع من التعدد والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٨ / ١٢٢ .
(٢) فتح البارى ٢٧ / ١٠٣ .
(٣) فتح الباري ٢٧/١٠٣.

مبحث : فى خروج الدابة

٦٠٢ ـ عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تخرج الدابة معها خاتم سليمان، وعصى موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول: هذا يا كافر**».

---

٦٠٢ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٩ / ٤٤ فى التفسير، سورة النمل ح ٣٢٤٠ وقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٢٩٥ .

قوله: «فتجلو» جلا: كشف وأوضح أ هـ نهاية ١ / ٢٩٠ .

قوله: «خوان» هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل أ هـ نهاية ٢ / ٨٩ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تخرج الدابة أى التى قال الله فيها ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾[1] «معها خاتم سليمان» أى نبى الله عليه السلام «وعصى موسى» أى نبى الله الكليم عليه السلام قال فى التحفة[2] قوله «تخرج الدابة» قيل من مكة وقيل من غيرها» فتجلو وجه المؤمن أى تصقله وتبيضه أ هـ» وتختم أنف الكافر بالخاتم» أى خاتم سليمان عليه السلام تجعل علامة على وجه الكافر به كالختم» حتى أن أهل الخوان ليجتمعون أى أهل الطعام الواحد على المأدبة الواحدة ليجتمعون للأكل قال فى التحفة: الخوان بضم الخاء وكسرها» فيقول هذا «أى بعضهم للآخر» يا مؤمن أى لجلاء وجه واستنارته» ويقول هذا يا كافر أى للختم على أنفه أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة النمل آية (٨٢).

(٢) تحفة الأحوذى ٩ / ٤٤ / ٤٥ .

مبحث : ذهاب الإيمان فى آخر الزمان نعوذ بربنا الرحمن

٦٠٣ ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، **فقلت : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ أن ذلك تاماً قال : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم**».

٦٠٤ ـ وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض اللهُ اللهُ**» وفى رواية «**لا تقوم الساعة على أحد يقول اللهُ اللهُ**».

---

٦٠٣ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٣٣ فى الفتن وأشراط الساعة.

٦٠٤ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ١٧٧، ١٧٨ فى الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان.

المعنى

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى» أى يعبدها ناس فى آخر الزمان والعياذ بالله العلى الجبار قولها «فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾(١) أن ذلك تاماً «أى إلى قيام الساعة قال ﷺ» إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، أى سيكون الإسلام ظاهراً بإذن الله تعالى على الأديان كلها إلى قبيل الساعة إلى ما شاء الله وهو كقول النبى ﷺ «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم =

---

(١) سورة الصف آية (٩).

= ظاهرون»[1] أى إلى وجود هذه الريح الطيبة التى قال فيها ﷺ «ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» وفى رواية لمسلم[2] أيضاً من حديث أبى هريرة مرفوعاً «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الريح فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته» أى يرسل الله سبحانه وتعالى بقدرته قبيل الساعة ريحاً طيبة لينة ألين من لين الحرير من ناحية اليمن فلا تدع أحداً من الناس فيه إيمان ولو كان وزن ذرة إلا قبضت روحه وتوفته فلا يبقى على الأرض إلا شرار الناس الذين لا يذكر أحد فيهم الله عز وجل ولا حتى إسم الله يعرض على لسانهم نعوذ بالله من كل شر وسوء وكفر وخذلان. اللهم لا يدركنا هذا الزمان ولا مثله يا رحمن.

الثانى يقول رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله «أى حتى ذكر الله لا ينطق به، سبحان الله كما نقول نحن الآن كان بعض السلف يظل السنين أو الشهور لا يتكلم بكلمة تغضب الله تعالى أو ليس فيها ذكر الله وكما نقول لقد كان النساء على عهد النبى ﷺ إذا مشين فى الطريق تلتصق ثيابهن بالجدران حيث قال لهن النبى ﷺ: «إستأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به»[4] فكما نحن لا نصدق أنه سيأتى زمان لا يقال فى الأرض الله إلا أن نصدق الحديث الشريف حتماً لكن هذا عجيب عندنا يدهش العقول كذلك لو كان حكى لمن قبلنا أصحاب القرون الفاضلة أنه سيأتى زمان لا يطبق كتاب الله أو ستخرج الناس فيه يمس الرجل المرأة فى وسائل المواصلات أو المرأة تضاحك زميلها فى العمل كما تضاحك زوجها فى البيت لدهشوا ولقالوا أو هذا يكون؟!!! =

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ٥٨ فى الاعتصام بالكتاب والسنه، ح ٧٣١١ .

(٢) شرح مسلم ٢ / ١٣٢ .

(٣) أخرجها مسلم فى صحيحه ٢ / ١٣٢ فى الايمان باب الريح تكون قرب القيامه.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه ١٤ / ١٩٠ فى السلام، باب فى مشى النساء مع الرجال فى الطريق، ح ٥٢٥٠ .

= قال النووى[1] أما معنى الحديث فهو أن القيامة إنما تقوم على شرار الخلق وقد جاءت فى هذا النوع أحاديث منها» لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله «ومنها» لا تقوم على أحد يقول الله الله «ومنها» وتأتى الريح من قبل اليمن فتقبض أرواح المؤمنين عند قرب الساعة» وهذه وكلها وما فى معناها على ظاهرها: وأما الحديث الآخر «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة فليس مخالفاً لهذه الأحاديث لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها فأطلق هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهى فى القرب والله أعلم أ هـ.

(١) شرح مسلم ٢ / ١٣٢، ١٧٨ .

الفصل الرابع

الحَشْرُ والحِسَابُ والمِيزَانُ والشَّفَاعَةُ

فصل يحشر الناس حفاة عراة غرلا

٦٠٥ ـ عن ابن عباس قال، قام فينا النبى ﷺ يخطب فقال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً (كما بدأنا أول خلق نعيده)**[(١)] **الآية وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابى، فيقول الله: (إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً) إلى قوله (الحكيم) قال : فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم**» .

٦٠٥ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٨٧ فى الرقاق باب الحشر، ح ٦٥٢٦ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٩٤ فى الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

قوله «غرلاً» الغرل، وهو الأقلف، والغرلة القلفة أ هـ نهاية ٣ / ٢٦٣ أى غير مختونين.

المعنى

يبين نبينا ﷺ أننا محشورون يوم القيامة حافية أقدامنا عارية أجسادنا غير مختونين ثم تلا النبى ﷺ قوله تعالى ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾[(١)] الآية ثم أخبر ﷺ أن أول من يكسى من خلق الله تعالى نبى الله إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأخبر بأنه سيؤتى برجال من أمته ﷺ فيطردون عن الحوض ذات =

---

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٤).

= الشمال فيقول ﷺ مناديا المولى عز وجل يا رب أصحابى يعنى كيف طردوا فيقول الله (إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) أى لا تعرف ما غيروه وبدلوه من شريعتك وسنتك ومناهجك فيقول النبى ﷺ كما قال العبد الصالح عيسى يعنى قوله تعالى ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم قوله: «قام فينا النبى ﷺ يخطب «زاد مسلم: خطيباً بموعظة قوله: فقال: إنكم محشورون» أى يوم القيامة إلى أرض المحشر قوله: «حفاة عراة غرلاً» حفاة بلا نعال وعراة بلا ملابس وفى رواية لأبى داود «إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها»[2] قال الحافظ[3] ، ويجمع بينهما بأنهم يخرجون من القبور بالثياب التى ماتوا فيها عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم قوله «غرلاً» بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف وزنه ومعناه وهو من بقيت غرلته وهى القطعة التى يقطعها الخاتن من الذكر أ هـ وقال النووى[4] : والحفاة جمع حاف والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شئ معهم ولا يفقد منهم شئ حتى الغرلة تكون معهم أ هـ قوله ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ... الآية ﴾ أى قرأها ﷺ متأولاً ما قال مستدلاً بها ﷺ قوله «وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم الخليل» قال الحافظ[3] : قيل الحكمة فى كون إبراهيم أول من يكسى أنه جرد حين ألقى فى النار، وقيل لأنه أول من استن التستر بالسراويل وقيل أنه لم يكن فى الأرض أخوف لله منه، فجعلت له الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه أ هـ قوله: «وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابى» قال الحافظ[3] : ذات الشمال أى إلى النار قال النووى[4] : وهذه الرواية تؤيد قول من =

(١) سورة المائدة آية (١١٧، ١١٨).
(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ٣٨٣/٨ فى الجنائز، باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت ح ٣٠٩٨.
(٣) فتح البارى ٢٤ / ١٨٨، ١٨٩ .
(٤) شرح مسلم ١٧ / ١٩٣ .

= قال المراد به، والذين ارتدوا عن الاسلام قوله فأقول يا رب أصحابى قال الحافظ[1]: وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء أصحابى قوله «فيقول الله إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» وفى رواية إنك لا تدرى ما أحدثوا سحقاً سحقاً لمن غير بعدى»[2] قال الحافظ[1] أى بعداً بعداً والتأكيد للمبالغة أ هـ قوله: فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكُنتُ عَلَيْهِمْ شهيداً مَّا دُمْتُ فيهِمْ﴾ الآية إلى قوله ﴿الحكيم﴾ أى كما قال عيسى عليه السلام يقرأ نبينا ﷺ قول الله تعالى الذى حكاه عن عيسى فى عذره فيما حدث بعده قوله قال: فيقال أنهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم زاد مسلم «منذ فارقتهم» وقد ذكر الحافظ قولا كثيرة فى من هؤلاء المرتدين أرجحها عندى ما رجحه عياض والباجى قال الحافظ[1] ورجح عياض والباجى وغيرهما ما قال قبيصة راوى الخبر أنهم من ارتد بعده ﷺ، ولا يلزم من معرفتهم أن يكون عليهم السيما لأنها كرامة يظهر بها عمل المسلم والمرتد قد حبط عمله فقد يكون عرفهم بأعيانهم لا بصفتهم باعتبار ما كانوا عليه قبل ارتدادهم، ولا يبعد أن يدخل فى ذلك المنافقين فى زمنه ﷺ أ هـ بتصرف يسير والله أعلم.

(١) فتح البارى ٢٤ / ١٨٨، ١٨٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٩٧ فى الرقاق، باب الحوض ح ٦٥٨٤ .

مبحث : أين يحشر الناس

٦٠٦ ـ عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد**».

---

٦٠٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ / ١٧٨ في الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ح ٦٥٢١ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٩٥ في صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، ح ٢٧٩٠.

قوله «عفراء» العفرة: بياض ليس بالناصع، ولكن كلون عفر الأرض وهو وجهها أ هـ نهاية ٣ / ٢٦١ .

قوله: «قرصة النقي» بفتح النون وكسر القاف: أي الدقيق النقي من الغش والنخال قاله الخطابي أ هـ فتح ٢٤ / ١٧٨ .

قوله: «معلم» بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة هو الشئ الذي يستدل به على الطريق أي ليس فيها شئ بارز لأحد من بناء أو غيره أ هـ بتصرف فتح ٢٤/١٧٨ .

المعنى

يخبرنا سهل بن سعد رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي» أي يجمع الله عز وجل الناس يوم القيامة على أرض طيبة غير هذه الأرض لم يعص فيها الله عز وجل ولم يسفك فيها دم إنما هي لونها أبيض ليس بالناصع إنما هو كلون عفرة الأرض وهو وجهها قال الله تعالى ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**﴾[1] : قال النووي[2] : العفراء: بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة و«النقي» بفتح النون =

(١) سورة إبراهيم آية (٤٨).

(٢) شرح مسلم ١٧/١٩٥، ١٩٦ ح٢٧٩٠.

وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحورى وهو الدرمك وهو الأرض الجيدة، قال القاضى: كأنه غيرت بياض وجه الأرض إلى الحمرة أ هـ قوله: «ليس فيها معلم لأحد» أى ليس فيها شئ بارز لأحد كله زال واضمحل ولا يملك أحد شيئاً قال تعالى ﴿ **يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب**﴾[1] قال النووى[2]: قوله ﷺ: «ليس فيها معلم لأحد» هو بفتح العين واللام أى ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر أ هـ قال ابن أبى جمرة[3]: اقتضت الحكمة أن يكون المحل الذى يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده. فناسب أن يكون المحل خالصاً قال الحافظ: فيه إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأعدمت وأن أرض الموقف تجددت وقد وقع للسلف فى ذلك خلاف فى المراد بقوله تعالى ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها أو تغيير صفاتها فقط؟ وحديث الباب يؤيد الأول أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة غافر آية (١٦)، (١٧)

(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٩٥، ١٩٦ ح ٢٧٩٠.

(٣) فتح البارى ٢٤ / ١٧٨.

مبحث : كيف يحشر الناس

٦٠٧ - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا**».

٦٠٨ - عن أبى هريرة قال: قال رسول الله: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مُشَاةً وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم**» قيل: يا رسول الله ﷺ، وكيف يمشون على وجوههم؟، قال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوكة**».

٦٠٩ - عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» **قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال** ﷺ: «**يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**».

٦١٠ - عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة**» **فقالت أم سلمة فقلت: يا رسول الله، واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض فقال:** «**شُغُل الناس**» **قلت: ما شغلهم قال:** «**نشر الصحف، فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل**».

---

٦٠٧ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٨١ فى الرقاق، باب الحشر ح٦٥٢٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ٢٨٢ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح٢٨٦١.

= ٦٠٨ - وأخرجه الترمذى فى سننه ٨ / ٥٧٨، فى التفسير، باب ومن سورة بنى إسرائيل ح ٣٣٥١ وقال : هذا حديث حسن.

٦٠٩ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ٢٨٠ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح ٢٨٥٩ .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه ١٤٢٩/٢ فى الزهد، باب ذكر البعث، ح٤٢٧٦ .

وأخرجه النسائى بمعناه فى سننه ٤ / ١١٤ فى الجنائز، باب البعث.

٦١٠ - أخرجه الطبرانى فى الأوسط ٢٥٤/١ ح٨٣٣ عن عطاء عن أم سلمة، وقال الهيثمى فى الزوائد ٣٣٢/١٠، ٣٣٣ رجاله رجال الصحيح غير محمد وهو ثقة.

قوله: «تقيل» من القيلولة: وهو الإستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، يقال: قال: يقيل قيلولة : فهو قائل أ هـ نهاية ٤ / ١٣٣ .

قوله: «حدب» هو هنا ظهر الأرض ومرتفعها أ هـ نهاية ٣٤٩.

قوله: «غرلا» بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه غير مختونين جمع أغرل أ.هـ شرح مسلم ١٧ / ٢٨٠ .

قوله: «مثاقيل» المثقال فى الأصل: مقدار من الوزن فمعنى مثقال ذرة: وزن ذرة أ.هـ نهاية ١ / ٢١٧ .

المعنى

الحديث الأول يخبرنا فيه أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين، واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير» وقد أطال الحافظ رحمه الله فى الفتح فى ذكر المفسرين لهذا الحشر هل هو قبل القيامة أو بعدها ثم رجح أنه قبل يوم القيامة ويكون إلى الشام وأن الذى يحشر الناس أى يسوقهم إلى هناك هى النار التى تخرج من قعر عدن كما فى الحديث الآتى إن شاء الله تعالى وأنهم يحشرون بعضهم يكون راغباً فى ذلك =

= وبعضهم يكون راهباً. قال الحافظ[1] : وقد أضاف الحشر إلى النار لكونها هى التى تحشرهم تخطف من تخلف منهم ثم رجح حمل النار على الحقيقة فقال: ويؤيد الحمل على الحقيقة ظاهر الحديث وذكره وهو حديث[2] «ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضر موت تحشر الناس قالوا: فبم تأمرنا يا رسول الله قال: عليكم بالشام «ثم تكلم عن راغبين وراهبين فقال: فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر ويسرة فى الزاد راغباً فيما يستقبله راهباً فيما يستدبره وهؤلاء هم الصنف الأول فى الحديث ومن توانى حتى قل الظهر وضاق عن أن يسعهم لركوبهم اشتركوا وركبوا عقبه فيحصل اشتراك الاثنين فى البعير الواحد وكذا الثلاثة، وأما الأربعة فى البعير الواحد فالظاهر أنهم يتعاقبون وممكن أن يجتمعوا إذا كانوا أطفالاً أو خفافاً وكذلك العشرة وسكت عما فوقها إشارة إلى أن المنتهى فى ذلك وما بينها وبين الأربعة اختصاراً وهؤلاء هم الصنف الثانى ولا مانع أن يجعل الله فى البعير ما يقوى به على حمل العشرة وأما الثالث فعبر عنه بقوله ﷺ «تحشر بقيتهم النار» كأنهم لم يجدوا ما يركبونه أ هـ ملخصاً وهذه النار تكون مع الناس وقت مقيلهم وصباحهم ومسائهم وما بينهم ورجح الخطابى[3] ما ذكرته عن ابن حجر فقد قال: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها وإنما هو على ما ورد فى الحديث «حفاة عراة مشاة»[2] أ هـ بتصرف يسير وقال النووى: قال العلماء/ وهذا الحشر فى آخر الدنيا قبل يوم القيامة وقبل النفخ فى الصور بدليل قوله ﷺ «وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسى» وهذا آخر أشراط كما ذكر مسلم [4] بعد هذا في أشراط الساعة قال: آخر ذلك ناراً تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[5] والمراد بثلاث طرائق ثلاث فرق ومنه قوله تعالى إخباراً عن الجن ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ١٨٤ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٥٣ عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(٣) فتح البارى ٢٤ / ١٨٣ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ٣٧ فى الفتن وأشراط الساعة، باب فى الآيات تكون قبل الساعة، ح ٣٩ / ٢٩٠١.

(٥) شرح مسلم ٢٨٣/١٧.

= قدداً﴾[1] أى فرقاً مختلفه الأهواء أ هـ والله أعلم.

وفى الحديث الثانى يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن حشر يوم القيامة وليس قبلها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف» أيضا كالحشر الأول ولكن هذا أشد هولاً وأفظع حالاً حيث إما الجنة الدائمة الخلود هى وأصحابها إن شاء الله تعالى ونسأله من فضله العظيم، وإما النار الحامية الخاطفة الناس بأعمالهم والعياذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من النار وأسبابها قوله: «صنفاً مشاة» بكسر الصاد وضم الميم أى على أرجلهم وهم أقل مما بعدهم قال الشيخ ابن عبد الرحمن المباركفورى صاحب التحفة[2] وهم المؤمنون الذين خلطوا صالح الأعمال بسيئها قوله: «وصنفاً ركباناً» أى على النوق وهو بضم الراء - فى ركبانا - وهم السابقون الكاملون الإيمان، وإنما بدأ بالمشاة لإرادة الترقى أ هـ وهؤلاء أعلى الدرجات لا يسبقهم إلا الأنبياء ثم من دخل الجنة بلا حساب قوله «وصنفاً على وجوههم» والعياذ بالله تعالى فهذا الصنف الثالث آخرهم ذكراً وأسوأهم مرتبة كما فى حديث بهز عن أبيه عن جده عن نبينا ﷺ أنه قال: «إنكم تحشرون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم» وقال التوربشتي[3] : فإن قيل: لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل أولى السابقة؟ قلنا: لأنهم هم الأكثرون من أهل الإيمان أ هـ قال صاحب التحفة: وصنفاً على وجوههم» أى يمشون عليها وهم الكفار قوله: «قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم» أى والعادة أن المشى على الأرجل قال ﷺ: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» يعنى وقد أخبر فى كتابه بقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[4] وإخباره حق ووعده صدق وهو على كل شئ قدير فلا ينبغى أن يستبعد مثل ذلك أ هـ، وهذا من =

---

(١) سورة الجن آية (١١)

(٢) تحفة الأحوذى ٨ / ٥٧٨، ٥٧٩ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ١١٠ فى صفة يوم القيامة، باب ما جاء فى شأن الحشر، ح ٢٥٤١ وقال: هذا حديث حسن.

(٤) سورة الاسراء آية (٩٧).

= العذاب قبل العذاب فى النار والعياذ بالله تعالى فلو لم يكن فى الآخرة عذاباً للعصاة إلا المشى على وجوههم عمياً وبكماً وصماً لكفى لكن قال تعالى بعدها ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾[1] قوله: «أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» أى بدلا من أرجلهم فى كل شئ فاللهم رحماك رحماك يا أرحم الراحمين ارحمنا برحمتك التى وسعت كل شئ، قال صاحب التحفة: «أما» بالتخفيف للتنبيه» إنهم «أى الكفار» يتقون أى يحترزون ويدفعون» كل حدب «أى مكان مرتفع» وشوكة واحدة الشوك قال القاضى رحمه الله تعالى: يتقون بوجوههم: يريد به بيان هوانهم واضطرارهم إلى حد جعلوا وجوههم مكان الأيدى والأرجل فى التوقى من مؤذيات الطرق والمشى إلى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصورها أ هـ والله أعلم.

وفى الحديث الثالث أيضاً تحدثنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن حشر يوم القيامة فيما سمعته من رسول الله ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» وفى رواية النسائى: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» وسبب الحديث عند ابن ماجه: قالت عائشة قلت يا رسول الله: «كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «حفارة عارة» والعراة الذين لا ثياب عليهم تسترهم وقد أعيد لهم كل ما نزع منهم حتى ما يقطع فى الختان على سبيل السنة من الرجال والنساء فالأغرل غير المختون قال النووى[2] : أغرل: وهو الذى لم يختتن وبقيت معه غرلته وهى قلفته وهى الجلدة التى تقطع فى الختان والحفاة جمع حاف والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شئ معهم ولا يفقد منهم شئ حتى الغرلة تكون معهم أ هـ لذلك فى الحديث الآخر عن ابن عباس قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3] «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم» عليه السلام... الحديث» أيضاً هذا فى حشر يوم القيامة وقد تقدم بحمد الله تعالى شرحه قوله: «قلت يا رسول الله:

(١) سورة الإسراء آية (٩٧).
(٢) شرح مسلم ١٧ / ٢٨٠ ح ٢٨٥٩ .
(٣) سورة الأنبياء آية (١٠٤).

= النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض» حياؤها الكامل جعل أول همها أن تسأل عن ذلك العرى الذى لا يتصور أن يحدث بين الرجال والنساء أبداً حتى يوم القيامة لكن المصطفى ﷺ بين لها أن الهول غشى العرى فجعله لا يرى ولا يشعر به، كيف لو رأت عائشة الرجال والنساء بعقولهم فى الدنيا ينظر بعضهم إلى عورات بعض والله كأنهم بلا عقول وسبقوا الحيوانات ضلالاً فبعض الحيوانات فطر على بعض الحياء فالجمل لا يأتى الناقة إلا وقد استترا، وصدق الله تعالى إذ يقول عن بعض القوم مثل هؤلاء ﴿ **إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[1] وفى رواية النسائى: فقالت عائشة: فكيف بالعورات «أى كيف تكون هكذا عارية والناس بعضهم أمام بعض، وفى رواية ابن ماجة : «قلت: والنساء؟!» قالته تعجباً منها دهشة بسبب ما فيها من حياء قال ﷺ: «والنساء» أى عراة مثل الرجال ولكن ﴿ **لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾[2] قوله: «قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض، وعند ابن ماجة: «يا عائشة الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض» وعند النسائى قال: ﴿ **لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾[2] : أهوال فوق أهوال وحولها أهوال لا يقدر عظمها إلا الذى أقامها سبحانه، فقد وصفتها سورة الحاقة والواقعة والتكوير والقارعة وغيرهم فاللهم سلم سلم، والله أعلم.

وأم سلمة[3] رضى الله عنها أيضاً تسأل دهشه مثل عائشة لما حدثت بالحفاة العراة فى المحشر رجالاً ونساء «واسؤتاه» تخاف على عورتها لشدة حيائها كيف ينظر بعضنا إلى بعض فقال ﷺ «شغل الناس» فالناس مشغولون كما قال تعالى ﴿ **لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾[2] لا يشعر ولا يحس ولا ينظر أحد إلا إلى نفسه ومصيرها: «قلت: ما شغلهم ما أشغلهم قال: «نشر الصحائف فيها مثل مثاقيل الذر» فلا يعرف أحد أحداً عند الميزان وعند الصراط وعند تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله كما فى الحديث فالصحف فيها أصغر الأشياء بوزنها لا تخفى خافيه والله أعلم.

---

(١) سورة الفرقان آية (٤٤).

(٢) سورة عبس آية (٣٧).

(٣) شرح مسلم ٢٨٣/١٧ .

مبحث : قوله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾

٦١١ - عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «**من حوسب عذب**» **قالت عائشة : فقلت : أو ليس يقول الله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ قالت فقال : «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك»** .

---

٦١١ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٣٠١ فى العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ح ١٠٣ .

قوله: «نوقش» بالقاف المعجمة من المناقشة وأصلها الاستخراج ومن نقشة الشوكة إذا استخرجها والمراد هنا: المبالغة فى الاستبقاء أ هـ فتح ١ / ٣٠١ .

المعنى العام

كل ما قاله ﷺ هو مسلم به صدقه، الأصل أنه لا نقاش فيه لكن حسن خلقه ﷺ الذى بلغ منتهاه حمل من حوله على أن يراجعوه إستفهاماً لا تعنتاً حتى يعرفوه. قال الحافظ[1] : ولم يقع مثل هذا من الصحابة إلا قليلاً مع توجيه السؤال وظهوره، وذلك لكمال فهمهم ومعرفتهم باللسان العربى، فيحمل ما ورد من ذم من سأل عن المشكلات على من سأل تعنتاً كما قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[2] وفى حديث عائشة[3] قالت قال رسول الله ﷺ : «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» فعائشة رضى الله عنها كانت تكثر المراجعة استفهاماً ولمكانتها العالية فى قلب رسول الله ﷺ حيث أنها أحب الناس إليه من النساء ولفقهها الكثير أيضاً حيث أنها فهمت أن هناك تعارضاً ظاهراً بين الآية الكريمة والحديث الشريف فالله عز وجل يقول ﴿ فَأَمَّا

---

(١) فتح البارى ١ / ٣٠١ .

(٢) سورة آل عمران آية (٧).

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه ١٧ / ٦٩، ٧٠ فى تفسير سورة آل عمران ح ٤٥٤٧ .

من أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[1] والنبى ﷺ يقول: «من حوسب عذب» فسألت كيف يعذب من حوسب وهناك حساب يسير فبين لها ﷺ أن هناك تأويل لا يعلمه إلا الراسخون فى العلم هناك تأويل لا يؤخذ بظاهر اللغة العربية فالظاهر العموم والنبى ﷺ يبين أن المراد أمر خاص كما سأل الصحابة لما نزلت ﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ فقالوا: يا رسول الله : أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك: ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿ يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾[2] وهنا يبين لها ﷺ أن الحساب اليسير هو مجرد العرض لكنه لو زاد يوم القيامة إلى المناقشة فالمناقشة هى المبالغة فى الاستيفاء للحسنات والسيئات، والحسنات لو وزنت أمام النعم لطاشت من عظم حق النعم التى لا يبلغ العبد مهما قدم من عظيم الحسنات أن يؤدى شكرها ولو نظرنا إلى قبولها أيضاً يضيع غالبها بسبب الرياء والبدع وغيرهما من فتور وعدم خشوع فإن لم يتجاوز المولى عز وجل برحمته هلك العبد فلذلك قال ﷺ «من نوقش الحساب يهلك» فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك والله أعلم.

(١) سورة الإنشقاق آية (٧)، (٨).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٢٢٣ فى أحاديث الأنبياء ح ٣٤٢٩ .

مبحث : اليهود والنصارى فكاك المسلمين من النار بإضلالهم لكثير منهم

٦١٢ - عن أبى بردة عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «**يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى**».

٦١٣ - وعن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول ﴿ هذا فكاكك من النار ﴾**».

---

٦١٢ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ٨٦ فى التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين.

٦١٣ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ٨٤، ٨٥ فى التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين قوله «فكاكك» بفتح الفاء وكسرها والفتح أفصح وهو الخلاص والفداء أ هـ شرح مسلم ١٧ / ٨٥.

المعنى

يخبرنا أبو بردة عن أبيه رضى الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال «يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى» أى أن هناك ناساً من المسلمين يجيئون بذنوب كثيرة جداً أمثال الجبال والعياذ بالله تعالى لكن مع التوحيد فيتفضل الله تعالى عليهم برحمته فيغفرها كلها ويجعلها على اليهود والنصارى الذين سعوا فى الأرض فساداً وسنوا للمسلمين سنن سيئة فأوقعوهم فى غضب الجبار عز وجل كما نلحظ كثيراً من ذلك فى زماننا، فالتلفاز وما فيه من عمل اليهود والنصارى، والربا راج بترويج اليهود له، فغالب بنوك العالم لهم يد فيها إن لم تكن كلها تحت سطوتهم والعرى للنساء وإختلاط النساء =

بالرجال هل أحد أشاعه ونشره وأوقع كثيراً من المسلمين فيه إلا اليهود والنصارى قاتلهم الله تعالى؟ !! لذلك قال تعالى ﴿ **يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾[1] فلما كان هؤلاء سبباً في جبال الذنوب للمسلمين غفر الله تعالى للمسلمين ذنوبهم إما بالنار أولاً ثم يخرجون منها كما في بعض الأحاديث كحديث[2] «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان» فهؤلاء كانوا في المشيئة بذنوب لم يتوبوا منها مع التوحيد فدخلوا بالمشيئة وقد يتجاوز سبحانه بفضله وعفوه بالمشيئة أيضاً فيغفر للبعض بلا سابقة عذاب لذلك في الحديث الثاني يقول رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار» أي فداؤك يدخل هو وتنجو أنت فالحمد لله رب العالمين قال الله تعالى ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون** ﴾[3] قال النووي[4] : ومعنى هذا الحديث: ما جاء في حديث أبي هريرة «لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره ومعنى فكاكك من النار أنك كنت معرضاً لدخول النار وهذا فكاكك لأن الله تعالى قدر لها عدداً يملؤها فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين، وأما رواية يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب فمعناه أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين قال ويحتمل أن يكون المراد آثاماً كان الكفار سبباً فيها بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها والله أعلم أهـ والله أعلم.

(١) سورة المائدة آية (٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١ / ١٧٩ في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ح ٤٤ .

(٣) سورة النحل آية (٢٥).

(٤) شرح مسلم ١٧ / ٨٥ .

مبحث : الدعاء للنبى ﷺ يوجب الشفاعة

٦١٤ ـ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة**».

---

٦١٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٣/٢٩٣، فى أبواب الآذان، باب الدعاء عند النداء، ح٦٠٤ .

وأخرجه مسلم شاهداً «للوسيلة» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٤ / ٨٥ فى الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن يسمعه.

قوله: «الوسيلة» هى فى الأصل: ما يتوصل به إلى الشئ ويتقرب به وجمعها وسائل يقال وسل إليه الوسيلة، وتوسل المراد به فى الحديث القرب من الله تعالى أ هـ نهاية ٥ / ١٨٥ .

المعنى العام

هو أهل لأعلى المراتب لما حازه من شرف تفضيل الله تعالى له ﷺ فى النبوة والعقل والقلب والكتاب والدين والخلق والطاعة والجهاد ﷺ فشرع لنا وقربة إلى ربنا عز وجل أن نسأل الله تعالى له أعلى الدرجات لما حازه من فضل السبق فى الأعمال الزاكيات التى تليق بأصحاب النبوات عليه وعليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليمات. ويروى لنا جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع النداء» قال الحافظ ابن حجر[١] : أى الآذان واللام للعهد ويحتمل التقدير من قال حين يسمع نداء المؤذن وظاهره أنه يقول الذكر المذكور حال سماع الآذن ولا يتقيد بفراغه لكن يحتمل أن يكون المراد من النداء تمامه إذ المطلق يحمل على الكامل ويؤيده حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم بلفظ: «إذا سمعتم المؤذن =

---

(١) فتح البارى ٣ / ٢٩٣ .

= فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة... الحديث» الوسيلة» ففى هذا أن يقال ذلك عند فراغ الآذان أ هـ قوله: «اللهم رب هذه الدعوة التامة» قال الحافظ ابن حجر[1] : بفتح الدال والمراد بها دعوة التوحيد تامة لأن الشركة نقص أو التامة التى لا يدخلها تغيير ولا تبديل هى باقية إلى يوم النشور أو لأنها هى التى تستحق صفة التمام وما سواها فمعرض للفساد أ هـ قوله: «والصلاة القائمة» قال الحافظ فى الفتح[1]: ويحتمل أن يكون المراد بالصلاة الدعاء وبالقائمة الدائمة من قام على الشئ إذا داوم عليه وعلى هذا فقوله والصلاة القائمة بيان للدعوى التامة ويحتمل أن يكون المراد بالصلاة المعهودة المدعو إليها حينئذ وهو أظهر. أ هـ قوله «آت محمداً» قال القسطلانى[2] آت: بالمد أى أعط «محمداً» ﷺ «الوسيلة» المنزلة العليا فى الجنة التى لا تنبغى إلا له «والفضيلة» المرتبة الزائدة على سائر المخلوقين «وابعثه» عليه الصلاة والسلام «مقاماً محموداً» يحمده فيه الأولون والآخرون «الذى وعدته» بقوله سبحانه «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» وهو مقام الشفاعة العظمى أ هـ ومما يدل على أنها المنزله العليا فى الجنة حديث مسلم عن عبد الله بن عمرو «فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله «وقال الحافظ ابن حجر[1] قوله «الفضيلة» أى المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيراً للوسيلة وقوله «وابعثه مقاماً محموداً» أى يحمد القائم فيه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، وقال الطيبى: إنما نكره لأنه أفخم وأجزل كأنه قيل مقاماً أى مقام محمود بكل لسان أ.هـ قوله: «الذى وعدته» قال الحافظ[1] وأطلق عليه الوعد لأن عسى من الله واقع كما صح عن ابن عيينه وغيره قال ابن الجوزى: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة أ هـ قوله: «حلت له شفاعتى» قال القسطلانى: حلت أى وجبت «له شفاعتى» أى المناسبة له كشفاعته فى المذنبين أو فى إدخال الجنة من غير حساب أو رفع درجات أ هـ =

(١) فتح البارى ٣ / ٢٩٤ .
(٢) السارى ٢ / ٨ .

= وقال ابن حجر[1] «حلت له» أى استحقت أو وجبت أو نزلت عليه يقال حل يحل بالضم أى نزلت عليه ولا يجوز أن يكون حلت من الحل لأنها لم تكن قبل ذلك محرمه. ثم قال. وقال المهلب: «فى الحديث» الحض على الدعاء فى أوقات الصلوات لأنه حال رجاء الإجابة والله أعلم. فاللهم آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته وقوله: يوم القيامة «أى أن ذلك كائن ثواباً لصاحبه وأجراً يوم القيامة إن شاء الله عز وجل.

(١) فتح البارى ٣ / ٢٩٥ .

مبحث : حديث الشفاعة

٦١٥ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربك فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته . ويقول : ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته ، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ، ائتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته ائتوا عيسى فيأتونه فيقول لست هناكم : ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت له ساجداً ، فيدعنى ما شاء الله ثم يقال لى ارفع رأسك وسل تعطه : وقل يُسمع واشفع تشفع : فأرفع رأسى : فأحمد ربى بتحميد يعلمنى : ثم أشفع فيحد لى حداً ، ثم أُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن**» .

---

٦١٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٤٦ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٦٥

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٦٥/٣ في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٣ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٧ / ٢٨٨ فى التفسير، سورة الإسراء، ح ٤٧١٢.

المعنى

يخبرنا أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يجمع الله الناس/يوم =

= القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا» أى أنه لما تطول عليهم وقفة الكرب يوم القيامة يقولون لو طلبنا الشفاعة من أحد من الأنبياء وهم أقرب الناس إلى ربنا عز وجل ليريحنا من هذا الكرب العظيم والهول العظيم والحر الشديد والعرق الغزير ولو إلى النار وهم كأنهم لا يعرفون أن هذا الموقف بالنسبة إلى النار كأنه جنة قال تعالى ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿٢٧﴾ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾[1] قال الحافظ[2] : الاستشفاع طلب الشفاعة وهم انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه أ هـ زاد مسلم: «فيهتمون لذلك» وفى رواية «فيلهمون ذلك» قال النووى[3] : فمعنى الأول أنهم يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذى هم فيه ومعنى الثانية أن الله تعالى يلهمهم سؤال ذلك والإلهام أن يلقى الله تعالى فى النفس أمراً يحمل على فعل الشئ أو تركه والله أعلم أ هـ قوله ﷺ: «فيأتون آدم فيقولون: أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته» أى أنهم يبدأون بأبى الأنبياء وأبينا آدم عليه السلام فيذكرون له ما تفضل الله تعالى عليه به مما قربه سبحانه به إليه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً فذكروه أن الله تعالى خلقه بيده سبحانه ونفخ فيه من روحه سبحانه وأمر الملائكة بالسجود له طاعة لله عز وجل قال تعالى ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾[4] وقال تعالى ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾[5] وقال تعالى ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[6] فطلبوا منه الشفاعة لذلك عند الله عز وجل وسبب ذلك ماجاء فى رواية أنهم وصلوا إلى درجة =

---

(١) سورة الأنعام آية (٢٧)، (٢٨).

(٢) فتح البارى ٢٤ / ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠ .

(٣) شرح مسلم ٣ / ٦٦، ٦٧ .

(٤) سورة الحجر آية (٢٩).

(٥) سورة ص آية (٧٥).

(٦) سورة البقرة آية (٣٤).

= من الغم والكرب لا تطاق ففيها عنه ﷺ أنه قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة يجمع الله الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون» فيخبر آدم عليه السلام أنه ليس أهلاً لتلك الشفاعة فإن لها غيره والموقف عظيم ثم ذكر خطيئته التى أصاب من أكله من الشجرة التى نهى عن قربها والأكل منها، قال النووى[1]: قوله ﷺ: «لست هناكم» معناه لست أهلاً لذلك؛ قال عياض[2]: قاله تواضعاً وإكباراً لما يسألونه، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لى بل لغيرى أ هـ وقد بينت رواية التفسير نوع الخطيئة لآدم عليه السلام ففيها: «وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته» قوله ﷺ: «ويقول ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله: فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته» وفى رواية مسلم: «ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله» وقد استشكل كونه عليه السلام أول رسول مع آدم وأجيب[2] بأجوبة منها الأولوية مقيدة بكونه أهلك قومه ومن الأجوبة أن رسالة آدم كانت إلى بنيه وهم موحدون لعلمهم شريعته، ونوح كانت رسالة إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد أ هـ ملخصاً من الفتح وقد أجاب بمثل ما أجاب آدم عليه السلام إلا أن خطيئته ذكرت فى رواية التفسير: «وإنه كانت لى دعوة دعوتها على قومى» قال الحافظ[2]: كانت له دعوة واحدة محققة الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض فخشى أن يطلب فلا يجاب أهـ وقوله ﷺ: «ائتوا إبراهيم الذى اتخده الله خليلاً، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته» وفى التفسير تفصيل «فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد كذبت ثلاث كذبات» فأجاب إبراهيم الخليل عليه السلام بما أجاب به سابقوه من الأنبياء عليهم السلام لكن ذكر الخطايا أنهن ثلاث كذبات لكنهن كلهن لله عز وجل دافع بها عن دين الله تعالى ففى رواية الترمذى[3]: «أني كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله ﷺ: «ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله» قال الحافظ[2]: «وما حل بمهملة بمعنى جادل وزنه ومعناه أ.هـ =

(١) شرح مسلم ٣/٦٦، ٦٧.

(٢) فتح الباري ٢٤/٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه فى التفسير ٨ / ٥٨٦، ٥٨٧ ح ٥١٥٦ وحسنه.

= قوله ﷺ: «ائتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته» أى كما ذكر إخوانه من الأنبياء عليهم السلام يقول لست هناكم » قال القاضى[1] عياض: هنا يقولونه تواضعاً وإكباراً لما يسألونه قال: وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى انتهى الأمر إلى صاحبه قال: ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينًا وتكون إحالة كل واحد منهم على الأخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمدﷺ أ هـ قوله: «ائتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست هناكم» أى لست أهلاً لذلك إنما أهلها لذلك من بعدى هو محمد ﷺ لذلك قال: «ائتوا محمداً ﷺ» فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» أي سيد الأولين والآخرين وأفضل خلق الله تعالى أجمعين هو صاحب الشفاعة العظمى الذى يقول أنا لها أنا لها» ومن لها إن لم يكن هو لها فكل الأنبياء عليهم السلام قد عرفوا ذلك وقدروه قدره فلذلك تنازل كل منهم لعلمهم أنه صاحبها ﷺ قال القاضى عياض: ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة فى ذلك إلى نبينا محمد ﷺ وأما مبادرة النبيﷺ لذلك وإجابته لدعوتهم فلتحققهﷺ أن هذه الكرامة والمقام له ﷺ خاصة أ هـ وأما قوله «فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» فقد قال الحافظ[2] : فقيل المتقدم ما قبل النبوة والمتأخر العصمة، وذكر غيره ورجح ورجحت معه قوله: قيل المعنى أنه مغفور له غير مؤاخذ لو وقع قال: ويستفاد من قول عيسى فى حق نبينا هذا ومن قول موسى فيما تقدم» إنى قتلت نفساً بغير نفس وإن يغفر لى اليوم حسبى مع أن الله قد غفر له بنص القرآن قال تعالى عنه ﴿قال ربى إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾[3] التفرقة بين من وقع منه شئ ومن لم يقع منه شئ أصلاً، فإن موسى عليه السلام مع وقوع المغفرة له لم يرتفع إشفاقه من المؤاخذة بذلك ورأى فى نفسه تقصيراً عن مقام الشفاعة مع وجود ما صدر منه =

(١) شرح مسلم ٣ / ٦٩، ٧٠.
(٢) فتح البارى ٢٤ / ٢٥١.
(٣) سورة القصص آية (١٦).

بخلاف نبينا ﷺ فى ذلك كله، ومن ثم احتج عيسى بأنه: أى نبينا ﷺ صاحب الشفاعة لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بمعنى أن الله أخبر أنه لا يؤاخذ بذنب لو وقع منه، وهذا من النفائس التى فتح الله بها فى فتح البارى فله الحمد أ.هـ قلت ومن فتح الله تعالى فى رسالتى الرقاق بحمد الله تعالى ومنه أن الله تعالى لما قال لنبيه ﷺ ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[1] قال بعدها ﴿ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾ فالأمر ليس مجرد عدم ذنب فقط فهذا عيسى لم يذكر ذنباً كما فى بعض الروايات إنما الأمر والخطب العظيم هو ما جاءه الله تعالى به من تمام النعمة عليه وأى تمام إنه تمام التمام وأعظمه الهداية إلى الصراط المستقيم فلله الحمد حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه. قوله: «فيأتون فأستأذن ربى فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعنى ما شاء الله ثم يقال لى ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ثم اشفع فيحد لى حداً ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة» وفى رواية التوحيد[2] » إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب ادخل الجنة من كان فى قلبه خردلة فيدخلون، ثم اقول: ادخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شئ» فهى شفاعة للمؤمنين ولو قل الإيمان» وفى الرواية» فانطلق فآتى تحت العرش فاقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى» أى يستأذن ﷺ ربنا عز وجل فى السجود فيأذن له سبحانه فيسجد تحت العرش ثم يلهمه الله سبحانه محامد وثناء لم يلهمه الله لأحد قبله ﷺ أ هـ الثناء والحمد هو مفتاح للإجابة فلذلك أكثر منه ﷺ، وفى حديث حذيفة[3] بن اليمان رضى الله عنه فى قوله عز وجل ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4] قال: «يجمع الناس فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتاً لا تتكلم نفسٌ إلا بإذنه قال: فينادى محمداً فيقول: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، المهدى من هديت، وعبدك في يديك، ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحان رب البيت: =

(١) سورة الفتح آية (٢).

(٢) أخرجه البخارى فى التوحيد ٢٨/٢٦٤ ح ٧٥٠٩ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٣٩٥ / ٣٦٣ فى تفسير سورة بنى إسرائيل (الاسراء) ح ٣٣٨٤ وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٤) سورة الإسراء آية (٧٩).

= «فذلك المقام المحمود الذى قال الله ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال الحافظ[1] : قال ابن منده فى كتاب الإيمان: هذا حديث مجمع على صحة إسناده وثقة رواته أ هـ فبعد الثناء يدعه الله تعالى ما شاء الله أن يدعه ثم يأذن له بأن يرفع رأسه وأن يسأل فيعطي وأن يقول فيسمع له وأن يشفع فتقبل شفاعته فيرفع رأسه من السجود ويثنى على الله تعالى بعد الرفع أيضاً بتحميد وثناء من تعليم الله العظيم له بما هو أهل له سبحانه وهو أهل لأعظم الثناء والمدح والحمد ثم تقبل الشفاعة بأن يجعل له عدداً يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة قال الحافظ: وكأنه ﷺ يلهم التحميد قبل السجود وبعده أ هـ وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى معناه والله أعلم: فيؤذن لي فى الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذى ادخره الله تعالى له وأعلمه أن يبعثه فيه أ هـ قال الحافظ قوله «فيحد لى حداً» يبين لى فيه كل طور من اطوار الشفاعة حداً أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعة ثم فيمن أخل بالصلاة، ثم فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنى وعلى هذا الأسلوب، كذا حكاه الطيبى أ هـ وقوله» ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة» وهنا أشكل بأن هذه الشفاعة إنما كما فى أول الحديث للإراحة من هم وغم الموقف وقد أجاب القاضى عياض عن هذا الاشكال بما تبعه عليه الحافظ ابن حجر فقال النووى[2]: قال القاضى عياض رحمه الله تعالى معناه والله أعلم فيؤذن لى فى الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذى ادخره الله تعالى له وأعلمه أن يبعثه فيه أ هـ وقد جاء فى حديث[3] ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال فآتى باب الجنة فأقرع الباب فيقال من أنت فأقول أنا محمد فيفتح فآتى ربى عز وجل على كرسيه أو سريره فأخر له ساجداً فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي وليس يحمده بها أحد بعدى فيقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل تسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: «أى رب أمتى أمتى...» وفى حديث[4] أبى هريرة عن النبى ﷺ : فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له =

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢٥٣، ٢٥٤ .

(٢) شرح مسلم ٣/٦٩، ٧٠.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ١/٢٨٢ من حديث أبى النضر عن ابن عباس فى خطبة له.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٨٧ فى الإيمان، باب ٨٤ أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح ٣٢٨ / ١٩٤.

= وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق» وساق الحديث قال القاضى عياض وبهذا يتصل الحديث لأن هذه هى الشفاعة التى لجأ الناس إليه فيها وهى الإراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعة فى أمته ﷺ وفى المذنبين وحلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم كما جاء فى الأحاديث الأخر وجاء في الأحاديث المتقدمة في الرؤية وحشر الناس واتباع كل أمة ما كانت تعبد ثم تميز المؤمنين من المنافقين ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط فيحتمل أن الأمر بإتباع الأمم ما كانت تعبد هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود وأن الشفاعة التي ذكر حلولها هي الشفاعة في المذنبين على الصراط وهو ظاهر الأحاديث وأنها لنبينا محمدﷺ ثم لغيره كما في الأحاديث ثم ذكر بعدها فيمن دخل النار وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها إن شاء الله تعالى والله أعلم ا.هـ قوله: «ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن» قال النووى أى وجب عليه الخلود ومعناه من أخبر القرآن الكريم أنه مخلد فى النار وهم الكفار كما قال الله تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ...** ﴾[1] وفى هذا دلاله لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السلف أنه لا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد والله أعلم أ هـ.فاللهم ارحمنا وارزقنا موجبات الرحمة فمن مات على التوحيد ولو كان عاصياً تلحقه إن شاء الله تعالى شفاعة نبينا ﷺ فالشفاعة أصلاً جعلت لأهل الذنوب والمعاصى لا لأهل التقوى إنما أهل التقوى لهم ترفع بها درجاتهم أما أهل الذنوب فهم أحوج الناس إليها للنجاة لذلك روى لنا أبو موسى[2] رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» أ.هـ والله أعلم.

---

(١) سورة النساء (٤٨)، (١١٦)

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه ٢ / ١٤٤١ ح ٤٣١١ عن أبي موسى وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٧٥ عن ابن عمر وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٦٨٦: رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني رجال الصحيح.

مبحث : في قول الله تعالى لنبيه ﷺ

﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾

٦١٦ ـ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى[١]: **﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وسئل عنها قال: «هى الشفاعة».**

---

٦١٦ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٨ / ٥٧٢ فى تفسير القرآن الكريم باب، ومن سورة بنى إسرائيل، ح ٥١٤٥ وقال حديث حسن.

وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٨ / ١٣٣ ح ٢٢٦٣٤ عن أبى هريرة مرفوعاً به.

تنبيه: كلمة «تعالى» ليست فى أصل الحديث.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال فى قوله تعالى ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[١] وسئل عنها فقال: «هى الشفاعة» أى الشفاعة الكبرى العظمى العليا التى يقول فيها كل نبى لست هناكم حتى يقول عيسى اذهبوا إلى محمد ﷺ عبد قد غفر له ما تقدم من ذنبه ... الحديث وقد تقدم فيقول ﷺ بالسجود لله عز وجل ثم يقال «ارفع رأسك يا محمد وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع .... الحديث فى الشفاعة الذى تم شرحه بحمد الله تعالى وتخريجه وأخرج الطبرى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما[٢] قوله «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة «قال الطبرى»[٣] : فقال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذى هو يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس =

---

(١) سورة الإسراء آية (٧٩).

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٨ / ١٣١ ح ٢٢٦٢٣

(٣) تفسير الطبرى ٨ / ١٣١ .

= ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم أ هـ قال في التحفه[1] : «وسئل» بصيغة المجهول «عنها» أى عن هذه الآية قال: هى الشفاعة أى المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه، قال الحافظ بن كثير: أى افعل هذا الذى أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الخلائق كلها وخالقهم تبارك وتعالى أ هـ والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذى ٥٧٢/٨ .

مبحث : شفاعات صغرى

٦١٧ - عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة**».

---

٦١٧ - أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ١٣١ فى صفة القيامة، باب ما جاء فى الشفاعة ح ٢٥٥٦ وقال: هذا حديث حسن.

قوله: «الفئام» مهموز: الجماعة الكثيرة أ هـ نهاية ٣ / ٤٠٦ .

المعنى

يخبرنا أبو سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ مخبراً عن الشفاعات الصغرى التى هى دون شفاعته العظمى ﷺ، فقال فيها ﷺ: «إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس» أى من أمتى من يبلغ به عمله الصالح إلى أن يرفعه الله تعالى إلى أن يأذن له بأن يشفع للجماعة الكثيرة من الناس قال الله تعالى ﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا**﴾[1] قال صاحب التحفه[2] : قوله: «إن من أمتى» أى بعض أفرادهم من العلماء والشهداء والصلحاء» من يشفع للفئام من الناس قال الجوهرى هو الجماعة من الناس ومنهم من يشفع للقبيلة وهى قوم كثير جدهم واحد ومنهم من يشفع للعصبة بضم فسكون وهو ما بين العشرة إلى الأربعين من الرجال لا واحد لها من لفظها أ هـ قلت هذا تفسير ابن الاثير[3] للعصائب جمع عصابة وليس العصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة أى لا تزال الشفاعة كل بحسبه وحسبها حتى يكون مآل الجميع الجنة إن شاء الله تعالى قال فى التحفة[2]: «حتى يدخلوا الجنة» قال فى اللمعات: المشفوعون قال الطيبى رحمه الله: يحتمل أن يكون غاية يشفع والضمير لجميع الأمة أن تنتهى شفاعتهم إلى أن يدخلوا جميعهم الجنة ويجوز أن يكون بمعنى كى فالمعنى أن الشفاعة لدخول الجنة أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة طه آية (١٠٩)
(٢) تحفة الأحوذى ٧ / ١٣١، ١٣٢.
(٣) نهاية ٣ / ٢٤٣ .

مبحث : : قول النبى ﷺ

« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة »

٦١٨ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد**».

٦١٨ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٥ / ٤ فى الجمعة باب فرض الجمعة لقول الله تعالى ﴿**إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله، وذروا البيع**﴾ ح٨٧٦ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٦ / ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤ .

قوله: «بيد» قال أبو عبيد: لفظه «بيد» تكون بمعنى «غير» وبمعنى «على» وبمعنى «من أجل» وكله صحيح أ هـ نووى ٦ / ١٤٣ .

المعنى

قال الله عز وجل ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس.... الآية**﴾[1] وقال تعالى ﴿**لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[2] فلله الحمد والمنة حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه أن فضلنا الذى فضل نبينا وكتابنا وديننا وأمتنا. ويبين لنا نبينا ﷺ بعض التفصيل لذلك فيقول ﷺ نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وعند مسلم : «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة» قال النووى[3] :قال العلماء: معناه الآخرون فى الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة =

(١) سورة آل عمران آية (١١٠)

(٢) سورة البقرة آية (١٤٣)

(٣) شرح مسلم ٦ / ١٤٢، ١٤٣ .

الجنة قبل سائر الأمم أ هـ وقال الحافظ بن حجر[1] : والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها فى الدنيا عن الأمم الماضية فهى سابقة لهم فى الآخره بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضى بينهم وأول من يدخل الجنة أ هـ وفى رواية مسلم: «ونحن أول من يدخل الجنة» وفى رواية «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق» : قوله: «بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا» قال الحافظ: بموحدة ثم تحتانية ساكنة مثل «غير» وزناً ومعنى أ هـ وقال الطيبى: هى للاستثناء وهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم والمعنى نحن السابقون للفضل غير أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ووجه التأكيد فيه ما أدمج فيه من معنى النسخ لأن الناسخ هو السابق فى الفضل وإن كان متأخراً فى الوجود وبهذا التقرير يظهر موقع قوله: «نحن الآخرون» مع كونه أمراً واضحاً أ هـ.

وقوله: «أوتوا الكتاب من قبلنا اللام للجنس والمراد التوراة والإنجيل والضمير فى أوتيناه للقرآن قاله الحافظ: أ هـ قوله: «ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه» قال الحافظ والمراد باليوم يوم الجمعة والمراد بفرضه فرض تعظيمه أ هـ وفى رواية مسلم تفسير لذلك كله وفيها «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد،وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق قوله: «فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» قال النووى[2]: أى عيد اليهود غداً لأن ظروف الزمان لا تكون إخباراً عن الجثث فيقدر فيه معنى يمكن تقديره خبراً أ هـ أى الخبر: الظرف غداً وقال: فيه دليل لوجوب الجمعة وفيه فضيلة هذه الأمة قال القاضى: الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه =

(١) فتح البارى ٥ / ٥،٦، ٧ .
(٢) شرح مسلم ٦/١٤٢، ١٤٣.

فاختلف اجتهادهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمه مبيناً ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله قال: وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل فقيل له : «دعهم» ثم قال: ويمكن أن يكون أمروا به صريحاً ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله وأبدلوه وغلطوا في إبداله أ هـ قال الحافظ[1]: وفي الحديث أن الهداية والإضلال من الله تعالى كما هو قول أهل السنة وأن القياس مع وجود النص فاسد وأن الجمعة أول الأسبوع شرعاً ويدل على ذلك تسمية الأسبوع كله جمعة وفيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الأمة على الأمم السابقة زادها الله تعالى فضلاً أهـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٥/٥، ٦، ٧.

الفصل الخامس
يَوْمُ القِيَامَة وَأَهْوَاله
مبحث : قولَ النبى ﷺ
«إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون»

٦١٩ ـ عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله (تعالى)، لوددت أنى كنت شجرة تعضد».

---

٦١٩ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٦ / ٦٠١ فى الزهد، باب ما جاء فى قول النبى ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً..» ح ٢٤١٤ وقال : هذا حديث حسن غريب.

تنبيه كلمة «تعالى» ليست فى الأصل أى ليست فى الحديث الذى نقلت منه من النسخة المطبوعة

قوله: «أطت» الأطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها أى أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلتها حتى أطت أ هـ نهاية ١ / ٥٤ .

قوله: الصعدات» جمع صعيد وهى الطرق أ هـ نهاية ٣ / ٢٩ .

قوله: تجأرون» الجؤار رفع الصوت والاستغاثة أ هـ نهاية ١ / ٢٣٢ .

المعنى

يخبرنا أبو ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون» أى أبصر ما لا تبصرون وأعلم ما لا تعلمون بقرينة آخر الحديث «لو تعلمون ما أعلم ... الحديث» وأبصر ما لا تبصرون مما علمنى الله تعالى =

= مما سيحدث من علم الغيب من أهوال الساعة ومقدماتها من علامات وفتن ونحوه قال تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾[1] قال فى التحفة[2] : قوله «إنى أرى ما لا ترون أى أبصر ما لا تبصرون بقرينة قوله «وأسمع ما لا تسمعون» أطت السماء وحق لها أن تئط «أى صوتت أ هـ ولها حق أن تصوت من شدة ازدحام الملائكة العابدين لله عز وجل فيها الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾[3] وقال تعالى ﴿ بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾[4] قال فى التحفة: «أطت السماء» أى صوتت «وحق لها» بصيغة المجهول أى ويستحق وينبغى «لها أن تئط» أى تصوت «ما فيها» أى ليس فى السماء موضع أربع أصابع إلا وملك» أى فيه ملك» واضع جبهته لله ساجداً» خصه باعتبار الغالب أو هذا مختص بإحدى السموات قال الطيبى أى أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، قال القارى: يحتمل أن يكون أطيط السماء صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس لقوله سبحانه ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ﴾[5] أ هـ فلأنهم مقربون فقد رأوا وعلموا ما لم يعلمه غالب البشر من عظمة ملك الملوك عز وجل فكان ذلك دافعاً أشد الدفع لهم لمواصلة عظيم العبادة وشديدها وقويها وكثيرها المتواصل لله عز وجل كلهم فضلاً عما ميزوا به عليهم السلام من التبرئة من الشهوة والهوى، ولما كان لنبينا ﷺ علم بذلك وصل إلى أعلى الدرجات فى الخشية والعبادة حتى قال ﷺ «فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[6] ثم قال هنا «والله لو =

---

(١) سورة الجن آية (٢٦)، (٢٧).

(٢) تحفة الأحوذى ٦ / ٦٠١، ٦٠٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية (١٩).

(٤) سورة الأنبياء آية(٢٦)، (٢٧).

(٥) سورة الإسراء آية (٤٤).

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٢ / ٣١٢ فى الأدب ح ٦١٠١ .

تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[1] وقد تقدم شرحهما وتخريجهما بالتفصيل ﴿ والحمد لله رب العالمين﴾ وقوله: «وما تلذذتم بالنساء على الفرش» أى لخوفكم الشديد ورهبتكم لله تعالى إذا علمتم، فلأنكم لا تعلمون لا يحصل منكم ذلك» ولخرجتم قال فى التحفة[2]: أى من منازلكم إلى الصعدات بضمتين أى الطرق وقيل البرارى والصحارى» تجأرون إلى الله » أى تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء» أى ولو علمتم الحقيقة الغيبية المخبأة لكم فى آخرتكم لما وسعكم إلا أن تخرجوا إلى الصحارى تصرخون مستغيثين بالله تعالى لينجيكم» لوددت أنى شجرة تعضد» قال فى التحفة بصيغة المجهول أى تقطع وتستأصل وهذا قول أبى ذر رضى الله عنه أ هـ أى الجملة الأخيرة لشدة خوفه من لقاء الله تعالى وما عنده والله أعلم.

(١) تفصيله إن شاء الله تعالى ح ٦٠٤.

(٢) تحفة الأحوذي ٦/٦٠١، ٦٠٢.

مبحث : قول النبى ﷺ

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً»

٦٢٠ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً»**.

---

٦٢٠ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١١١ فى الرقاق، باب قول النبى ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً ٦٤٨٥ .

وأخرج البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١١١ فى الرقاق، باب قول النبى ﷺ شاهدا عن أنس ح ٦٨٤٦ .

وأخرج مسلم فى صحيحه ٦ / ٢٠١ فى الكسوف له شاهداً عن عائشة رضى الله عنها من حديث طويل.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة وأنس وعائشة رضى الله عنهم عن نبينا ﷺ أنه قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» يحذر نبينا ﷺ أمته كل التحذير بعد أن بين لهم كل البيان وبلغهم أتم التبليغ وأراد ﷺ أن يبين ما وراء الظاهر من أمور عظيمة خطيرة حقيقية لا محيد عنها ولا من المرور عليها واللحوق بها فأراد أن ينذر لأن الله تعالى قال له ﴿إنما أنت منذر﴾[1] فقال ﷺ «لو تعلمون ما أعلم»: وعند مسلم: «يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» أى لو تعلمون ما خبئ لكم من أهوال السكرات عند الممات وبعد الممات من ظلمة القبور وسؤال الملكين ونفخة البعث والصعق والصراط والنار والميزان وتطاير الصحف لضحكتم قليلاً عند الضرورات ولبكيتم كثيراً خوفاً أو حذرا مما هو آت فاللهم سلم سلم: قال الحافظ[2] : والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه، =

---

(١) سورة الرعد آية (٧).

(٢) فتح البارى ٢٤ / ١١١ .

= والأهوال التى تقع عند النزع والموت فى القبر ويوم القيامة ومناسبة كثير البكاء وقلة الضحك فى هذا المقام واضحة والمراد به التخويف، قال الكرمانى، فى هذا الحديث من صناعة البديع مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما أ هـ قال الحافظ[1]: وعن الحسن البصرى: من علم أن الموت مورده والقيامة موعده، والوقوف بين يدى الله تعالى مشهده فحقه أن يطول فى الدنيا حزنه أ هـ قال النووى[2]: معناه لو تعلمون من عظم انتقام الله تعالى من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة وما بعدها كما علمت وترون النار كما رأيت فى مقامى هذا وفى غيره لبكيتم كثيراً ولقل ضحككم لفكركم فيما علمتموه أ هـ والله أعلم فاللهم سلم سلم.

(١) فتح الباري ٢٤/١١١.

(٢) شرح مسلم ٦ / ٢٠١.

مبحث: «قول الجبار يوم القيامة «أنا الملك أين ملوك الأرض».

٦٢١ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطوى السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ﴾**».

---

٦٢١ - أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨ / ١٤١ في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿**ملك الناس**﴾ ح ٧٣٨٢.

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٨ / ١٧٥ في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿**لما خلقت بيدى**﴾ ح ٧٤١٢.

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٨ / ١٧٢ في التفسير ح ٤٨١٢.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٣١ في صفة القيامة والجنة والنار.

المعنى

قال الله عز وجل ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[(١)] سبحانه لا يعرف أحد قدره حق قدره بل ولا يطيق أحد أن يعلمه حق قدره بل الملائكه الكروبيون والمقربون لما علموا شيئاً جرت من عيونهم الدموع أنهاراً من خشيته بل منهم الراكع لا يرفع ومنهم الساجد لا يرفع إلى يوم القيامة فإذا قامت رفعوا رؤوسهم قائلين سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فقد أخرج أحمد[(٢)] بسنده إلى أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم =

---

(١) سورة الزمر آية (٦٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ١٧٣ من طريق مجاهد عن مورق عن أبي ذر به.

= كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم... الحديث ويصف لنا رسول الله ﷺ حالاً من تلك الأحوال العظيمة وصفة من صفات ملك الملوك فيقول: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول، أنا الملك، أين ملوك الأرض» سبحانه كل عنده هين وكل عليه هين لا يعجزه شئ ولا يغلبه شئ ولا يشبهه شئ ولا يكافئه شئ ولا يشاركه شئ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(١) قال البيهقى(٢) : ذهب بعض أهل النظر إلى أن اليد صفة ليست جارحة، وكل موضع جاء ذكرها فى الكتاب أو السنة. الصحيحة فالمراد تعلقها بالكائن المذكور معها كالطى والأخذ والقبض والبسط والقبول والشح والإنفاق وغير ذلك تعلق الصفه بمقتضاها من غير مماسة وليس فى ذلك تشبيه بحاله أ.هـ نقله عنه الحافظ(٢) وأخرج الطبرى بسنده إلى ابن عمر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده، وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول: «أنا الجبار، أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟ قال ويميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه، حتى إنى لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ(٣) سبحانه والله أعلم.

---

(١) سورة الاخلاص مكية وآياتها (٤) نزلت بعد سورة الناس.

(٢) فتح البارى ٢٨ / ١٧٦ .

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١١ / ٢٦ سورة الزمر ح ٣٠٢٢٤ .

مبحث : قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾

٦٢٢ - عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ قال: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

٦٢٣ - عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ مِقْدَارُ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَيَهُونُ ذَلِكَ اليَوْمُ عَلَى المُؤْمِنِ كَتَدَلِّيَ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ».

---

٦٢٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٠٠، ٢٠١ فى الرقاق، باب قول الله تعالى ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون... الآية ﴾ ح ٦٥٣١ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه فى الجنة ١٧ / ٢٨٤، باب فى صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، ح ٢٨٦٢ .

٦٢٣ - أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده ١٠ / ٤١٥، ح ٦٠٢٥ فى مسند أبو هريرة وقال الهيثمى فى المجمع ١٠ / ٣٣٧ / ٦١٠ رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد وهو ثقة أ هـ قوله : «رشحه» : بفتح الراء وسكون الشين المعجمة بعدها مهملة وهو العرق أ هـ فتح ٢٤ / ٢٠١ .

المعنى

يخبرنا ابن عمر رضى الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال أى فى تأويل قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[1] قال: يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه أى فى قيام الناس يوم القيامة لرب العالمين يغشوهم الخوف والكرب والأهوال والعظائم ليوم الحاقة والصاخة والقارعة والطامة فمن ذلك ينهمر العرق من أجسادهم حتى يصل العرق إلى الآذان ويزيد ذلك أيضاً دنو الشمس منهم ويفصل ذلك حديث مسلم[2] عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال «تدنى الشمس يوم =

---

(١) سورة المطففين آية (٦).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ٢٨٥ فى الجنة ح ٢٨٦٤ .

= القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، قال الحافظ[1] : والرشح: بفتح الراء وسكون الشين المعجمة بعدها مهملة هو العرق، شبه برشح الإناء لكونه يخرج من البدن شيئاً فشيئاً وهذا فى أن العرق يحصل لكل شخص من نفسه أ هـ وقال النووى[2]: ويحتمل أن المراد عرق نفسه وغيره ويحتمل عرق نفسه خاصة وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال ودنو الشمس من رؤوسهم ورحمة بعضهم بعضاً أ هـ والله أعلم والحديث الثانى يبين أن هذا القيام مقداره خمسين ألف سنة كاليوم الذى سماه ربنا تبارك وتعالى فى كتابه حيث قال سبحانه ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾[3] فهذه الأمة تقف نصف يوم فقط لكن ربنا سبحانه برحمته يخفف على المؤمن الوقفة وشدتها وطولها حتى يصبح ويصير مقدار زمانها مشابهاً ومماثلاً للزمن المستغرق فى نزول الشمس بعد العصر للغروب إلى وقت تمام غروبها فـ ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ والله أعلم.

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢٨٤ .
(٢) شرح مسلم ١٧ / ٢٨٤ .
(٣) سورة المعارج آية (٤).

مبحث : قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾

٦٢٤ ـ عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِه، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وسُمْعَةً فَيَذْهَب لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحداً**».

---

٦٢٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٣٠٧ فى التفسير، سورة القلم، ح ٤٩١٩.

وأخرجه مسلم فى صحيحه بمعناه فى جزء من حديث طويل ٣ / ٣٤، ٣٥ فى الإيمان، ح ١٨٣.

وأخرجه أحمد فى المسند ٣ / ١٧.

المعنى

يخبرنا أبو سعيد رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «يكشف ربنا عن ساقه» أخرج الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس[1] رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾[2] قال: هى أشد ساعة تكون فى يوم القيامة وفى رواية عنه[3] يكشف عن أمر عظيم وفى رواية[4] عن قتادة قال عن أمر فظيع جليل أ هـ قال عياض[5] وقيل المراد بالساق هنا نور عظيم أ هـ قوله: «فيسجد له كل مؤمن ومؤمنه» كما تفضل عليهم سبحانه فى الدنيا بهداية قلوبهم للخضوع له والدخول فى جناب =

---

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره لسورة القلم ١٢ / ١٩٧ ح ٣٤٦٧٥.
(٢) سورة القلم آية (٤٢).
(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره لسورة القلم ١٢ / ١٩٧ ح ٣٤٦٧١.
(٤) أخرجه الطبرى فى تفسيره لسورة القلم ١٢ / ١٩٧ ح ٣٤٦٧٧.
(٥) شرح مسلم ٣ / ٣٥.

رحمته تفضل عليهم يوم أحوج ما يكونون للسجود محتاجين بالسماح لهم بالسجود له سبحانه ليزدادوا من رضاه ومحبته واكرامه وإنعامه وعند مسلم «فلا يبقى من كان يسجد لله - تعالى - من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود «قوله: «ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» أى لأنهم ما سجدوا ابتغاء رضوان الله تعالى ووجهه الكريم إنما سجدوا لهواهم ولمرآءات الناس والعياذ بالله تعالى فإذا أرادوا السجود والخضوع والذل يوم الخضوع والذل لله رب العالمين لا يستطيعون ذلك لأنهم امتنعوا وعصوا وأبوا يوم كان السجود لهم سهلاً ميسوراً وهم كانوا مأمورين به مرغبين فيه مرهبين من تركه قال الله عز وجل ﴿ **وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون** ﴾[1] قال النووى[2]: هذا السجود امتحان من الله لعباده، فإن الآخرة ليست دار تكليف بالسجود وإنما المراد امتحانهم وأما قوله ﷺ: «طبقاً واحداً» فبفتح الطاء والباء قال الهروى وغيره: الطبق فقار الظهر أى صار فقاره واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود والله أعلم أ هـ والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(١) سورة القلم آية (٤٣).

(٢) شرح مسلم ٣/٣٥.

مبحث: وقوف العبد بين يدى الله عز وجل
ليس بينه وبينه ترجمان

٦٢٥ - عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّه، لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تُرْجَمان، فَينظُر أَيْمَنَ منه فلا يَرَى إِلاَّ ما قَدَّمَ من عَمَلِه، ويَنْظُر أَشْأَمَ مِنْهَ فَلاَ يرى إلا ما قدم، وينظر بينَ يديه فلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وجهه، فاتقوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**.

---

٦٢٥ - أخرجه البخارى فى صحيحه فى التوحيد ٢٨ / ٢٦٨، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح ٧٥١٢.

أخرجه البخارى فى صحيحه فى الرقاق ٢٤ / ٢١٤، باب: من نوقش الحساب عذب، ح ٦٥٣٩ .

أخرجه البخارى فى صحيحه فى الزكاة ٧ / ٢٩، باب الصدقة قبل الرد مطولاً بعض الشئ ح ١٤١٣ .

أخرجه مسلم فى صحيحه فى الزكاة ٧ / ١٠١، باب الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

قوله: «ترجمان» بالضم والفتح هو الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغة إلى أخرى أ هـ نهاية ١ / ١٨٦ .

المعنى

قال الله عز وجل ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **يوم تبلى السرائر** ﴾[2] لذلك لما قال نبينا ﷺ «من نوقش الحساب عذب» قالت عائشة يا رسول الله أليس يقول الله تعالى ﴿ **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ قال: «ذلك العرض

---

(١) سورة الحاقه آية (١٨).
(٢) سورة الطارق آية (٩).

= من نوقش الحساب عذب»[1] وهنا يبين نبينا ﷺ نوعاً من أنواع الحساب فيروى لنا عدى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه» وفى رواية الزكاة ثم ليقفن أحدكم بين يدى الله» قال الحافظ بن حجر[1] قوله: «ما منكم» ظاهر الخطاب للصحابة ويلتحق بهم المؤمنون كلهم سابقهم ومقصرهم أشار إلى ذلك ابن أبي جمره أ هـ فما من بشر إلا سيكلمه الله عز وجل يوم القيامة لو لم يكن رهبة ليوم القيامة إلا هذه لكفت فالله المستعان قوله: «ليس بينه وبينه ترجمان» قال ابن الأثير[2]: الترجمان: بالضم والفتح هو الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغة إلى أخرى أهـ وفى رواية الزكاة: «ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولاً فليقولن بلى» يعدد الله عز وجل أظهر نعمه عليه ولو عدد الكل لما أحصاها أحد إلا هو سبحانه وما طاق العبد لكن ذكره بأعظم النعم وهى نعمة الدين الحق الإسلام الذى جاءت به الرسل الكرام ثم نعمة الدنيا المتمثلة فى المال الذى كان يسعد به شديداً لكثرة حبه العظيم له قال تعالى ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾[3] قال النووى[4] : ترجمان: بفتح التاء وضمها وهو المعبر عن لسان بلسان أ هـ قوله: «فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه» قال الحافظ: وقوله: أيمن وأشأم بالنصب على الظرفية، والمراد بهما اليمين والشمال، قال ابن هبيرة: نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه أمر أن يلتفت يميناً وشمالاً يطلب الغوث أ هـ كذلك هذا يطلب الغوث فلا يجد إلا الأعمال التى كان غالباً ما يظن أنها لا تعود إليه ففى أصعب الأوقات وجدها إما منجية بفضل الله تعالى =

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢١٤، ٢١٥ .

(٢) نهاية ١ / ١٨٦ .

(٣) سورة العاديات آية (٨).

(٤) شرح مسلم ٧ / ١٠١ .

= وإما مهلكة والعياذ بالله لذلك قال النبى ﷺ فى ختام هذا الحديث الشريف «فاتقوا النار ولو بشق تمرة» فقد ترجح بها الكفة ويزحزح بها صاحبها عن النار إذا تساوى ما مضى من الأعمال غيرها وفى رواية الرقاق: «فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة» قال القسطلانى[1] ولو بشق تمرة بكسر الشين المعجمة بنصفها أ هـ وترجم النووى[2] على ذلك فقال: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار أ هـ وقال الحافظ[3] : وقوله «أتقوا النار ولو بشق تمرة» يتناول الكثير والقليل أيضاً أ هـ والله أعلم.

---

(١) السارى ٣ / ١٨ .
(٢) شرح مسلم ٧ / ١٠٠ .
(٣) فتح البارى ٧ / ٣٠ .

مبحث فى قول الله تعالى

﴿ فاليوم ننساهم كم نسوا لقاء يومهم هذا ... الآية ﴾

٦٢٦ ـ عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال: «هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال: فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا: لا قال: فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال: فيلقى العبد فيقول: (أى فل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع) فيقول: بلى قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقىّ) فيقول لا فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول: أى فل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول: بلى أى رب فيقول: (أفظننت أنك ملاقى فيقول: لا فيقول (فإنى أنساك كما نسيتنى) ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول: ههنا إذاً قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد علىّ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعْذِر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه».

---

٦٢٦ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١٨ /٣ ١٠، ١٠٤ في الزهد.

قوله «أى فُل» هو بضم الفاء واسكان اللام ومعناه يا فلان أ هـ شرح مسلم ١٨/١٠٣.

= قوله «ترأس» رأس القوم يرأسهم إذا صار رئيسهم ومقدمهم أ هـ نهاية ٢ / ١٧٦.
قوله «تربع» أى تأخذ ربع الغنيمة أ هـ نهاية ٢ / ١٨٦ .
قوله «أسودك» أى أجعلك سيداً فى قومك / ملخص من النهاية ٢ / ٤١٧ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة ... الحديث»

قد سبق بحمد الله تعالى شرح الرواية مستوفى فى حديث الرؤية الطويل. فى الباب الأول «العقائد» «قال: فيلقى العبد» أى يلقى الله تعالى العبد يوم القيامة» فيقول (أى فل) قال النووى[1] : هو بضم الفاء وإسكان اللام ومعناه: يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس أ هـ «ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع» أى يعدد ربنا عليه بعض النعم التى لا يحصيها إلا هو سبحانه قائلاً أى ألم أكرمك بأنواع الكرم التى لا تتمكن من إحصائها وأجعلك سيداً فى قومك مطاعاً وأعطيك زوجة تطيعك وتستمتع بها وأسخر لك الدواب كالخيل والابل التى لولا تسخيرى ما انقادت لك وألم أتركك تكون رئيساً فى قومك مطاعاً فيهم تأخذ ربع غنائمهم قال النووى[1]: قال القاضى: ومعنى أسودك أجعلك سيداً على غيرك» وأذرك ترأس وتربع» أما ترأس فبفتح التاء وإسكان الراء بعدها همزة مفتوحة ومعناه رئيس القوم وأما تربع فبفتح التاء والباء الموحدة ومعناه تأخذ المرباع الذى كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها ومعناه ألم أجعلك رئيساً مطاعاً أهـ «فيقول بلى» إقراراً منه بما قاله له ملك الملوك عز وجل «قال: فيقول : أفظننت أنك ملاقى» أى أعتقدت أنك ستلقانى وتقف أمامى أسألك كما أخبرتك رسلى الكرام» فيقول لا لا يستطيع الإنكار فيقول: أى رب العالمين فإنى أنساك كما نسيتنى قال النووى[1]: أى أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتى أ هـ فهو نسيان لا كنسيان البشر والمخلوقات تعالى الله علواً كبيراً» ثم يلقى الثانى فيقول: أى فُل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول: بلى أى رب فيقول (أفظننت أنك ملاقى فيقول: لا فيقول: (فإنى أنساك كما نسيتنى» كما فى =

(١) شرح مسلم ١٨ / ١٠٣ : ١٠٥ .

= الأول» ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع «يأتي بصفات الإيمان والإسلام كلهم كأنهم كملوا فيه كأنه صديق لكنه كاذب ما أتى بذلك إلا بعضه ورياء وسمعة ونفاقاً لا إيماناً ودليل ذلك ما قالته عنه جوارحه نفسها بأنه كاذب والعياذ بالله تعالى لذلك قال: «فيقول ههنا إذاً» قال النووى[1]: معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكراً أ هـ» ثم يقال له الآن نبعث شاهداً عليك» كما قال تعالى ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴿٨٤﴾ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ﴿٨٥﴾ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ﴿٨٦﴾ وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾[2] ، قال «ويتفكر في نفسه -!!! من الذى يشهد على؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى» كما قال عز وجل ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[3] ، قال: «فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه» فالله تعالى قد أعطاه العذر إذ جعل أعضاءه الناطقة الشاهدة عليه لا غيرها حتى لا يدعى الظلم قال تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾[4] قال: «وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه «فقد أبطن الكفر وأظهر الأعمال الصالحة فكان جزاؤه إحباط العمل والسخط والعذاب والعياذ بالله تعالى قال تعالى ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴿٢٣﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾[5].
والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٠٣/١٣، ١٠٥.

(٢) سورة النحل آية (٨٤)، (٨٥)، (٨٦)، (٨٧).

(٣) سورة يس آية (٦٥).

(٤) سورة فصلت آية (٢١).

(٥) سورة فصلت ية (٢٣)، (٢٤).

مبحث : قول الله تعالى ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾

٦٢٧ - عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ قال : «أتدرونَ ما أخبارُها ؟ «قالوا اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فإن أخبارهَا أن تَشْهَدَ على كلِّ عبدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِهَا ، أن تقول: عمل كَذَا وكَذَا في يومِ كَذَا وكَذَا ، قال ، فهذا أَخْبَارُهَا ، فهذا أَمْرُهَا ، فَهَذه أَخْبَارُهَا » .

---

٦٢٧ - أخرجه الترمذى فى سننه ٩ / ٢٨٥ فى تفسير القرآن الكريم، سورة الزلزلة، ح ٣٤١١ وقال حسن صحيح غريب.

وأخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ١١٦ فى صفة القيامة، ح ٢٥٤٦ وقال : هذا حديث حسن غريب واللفظ له هنا.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قرأ قوله تعالى ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾[1] قال: «أتدرون ما أخبارها» أتعرفون ما هى هذه الأخبار التى تتحدث الأرض عنها يوم القيامة؟ قال فى التحفة[2] : قوله «تحدث» أى الأرض ما أخبارها بفتح الهمزة جمع خبر أى تحديثها أ هـ وقوله «قالوا الله ورسوله أعلم» بالسؤال والاجابة قوله «قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها» كما قال تعالى ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾[3] فكذلك الأرض تشهد وكل هؤلاء شهود فليتقي الله عبد ظن أنه اخفى شيئاً فلو غفلت الجوارح والأرض فلا يغفل خالقهما سبحانه، قال فى التحفة[2]: فى قوله «أن تشهد على كل عبد أو أمة» أى ذكر أو أنثى بما عمل أى فعل كل واحد =

---

(١) سورة الزلزلة آية (٤).

(٢) تحفة الأحوذى ٩ / ٢٨٥ .

(٣) سورة النور آية (٢٤).

= «على ظهرها أن تقول» «بدل بعض من» «أن تشهد» أو بيان ـ لأنْ تشهد ـ أو خبر مبتدأ محذوف، أي هي يعنى شهادتها أن تقول «عمل كذا وكذا» أى عمل فلان كذا من الطاعة أو المعصية وفى يوم كذا وكذا» أى يوم كذا من شهر كذا أو عام كذا» قال: فهذا أخبارها فهذا أمرها فهذه أخبارها» أى بهذا المذكور أمر الله تعالى الأرض أ هـ بتصرف يسير قال تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾[١] فلا اعتراض على أمر الله تعالى أبداً من عظيم المخلوقات فما بال الإنس والجن نسأل الله السلامه والله أعلم.

(١) سورة فصلت آية (١١).

مبحث : قول الله تعالى

﴿ وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾

٦٢٨ - عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بالعبد يومَ القيامة فيقول له: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعاً، وبَصَراً، ومالاً، وولداً، وسخرتُ لك الأَنْعَامَ، والحَرْثَ، وتَركْتُكَ تَرْأَسُ، وتَرْبَعُ، فكنتَ تَظُنُّ أنكَ مُلاَقي يَوْمك هذا؟ «فيقولُ: لا، فيقولُ له: ﴿ الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ﴾.**

---

٦٢٨ - أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ١١٥ فى صفة القيامة، ح ٢٥٤٥ وقال: هذا حديث صحيح غريب.

قوله «ترأس» رأس القوم يرأسهم رئاسة: إذا صار رئيسهم ومقدمهم أ هـ نهاية ١٧٦/٢ .

قوله: «تربع» أى تأخذ ربع الغنيمة أ هـ ٢ / ١٨٦ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة وأبو سعيد رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة» أى يحضر ليقف أمام رب العالمين فيقول له: ﴿ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً﴾ أى ألم أعطك وأرزقك السمع والبصر بالأذنين والعينين وكذلك المال والذرية كما قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[1] «وسخرت لك الأنعام» أى جعلتها طوعك من إبل وبقر وغنم وخيل ونحوهم ولو لم يسخرها لشردت وأبدت كالوحش فسبحانه له الحمد والمنة قال تعالى ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا =

---

(١) سورة البلد آية (٨)، (٩)، (١٠).

جمالٌ حينَ تُريحُونَ وحينَ تَسْرحُونَ ﴿٦﴾ وتَحْملُ أثْقَالَكُمْ إلَىٰ بلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالغيه إلاَّ بشقِّ الأنفُس إنَّ ربَّكُمْ لرءُوفٌ رَّحيمٌ ﴿٧﴾ والْخيْلَ والْبغَالَ والْحَميرَ لتَرْكَبُوهَا وزينَةً ويَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1] فمنها نأكل ومنها نشرب وعليها نحمل ونركب وغير ذلك من أنواع الخدمة والمنافع التي يسـرت لنا بتسخير الله عـز وجل لها لنا» وتركتك ترأس وتربع» أي وجعلتك بقدرتي وتسخيرى الناس لك خدماً رئيساً فيهم ولولا ذلك لما أطاعوك ولما رضوا بك رئيساً مطاعاً وتأخذ أيضاً ربع غنائمهم دونهم. قال صاحب التحفة[2] «ترأس» بوزن تفتح، رأس القوم يرأسهم إذا صار رئيسهم ومقدمهم «وتربع» أي تأخذ ربع الغنيمة، يقال: ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم أى ألم أجعلك رئيساً مطاعاً، لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ويسمى ذلك الربع المرباع أ هـ، «فكنت تظن أنـك ملاقى يومك هذا؟» أى ظننت أنـك ستلقـانى فى هذا اليوم؟ «فيقول له: لا، فيقول ربنا عز وجل (اليوم أنساك كما نسيتنى) كما قص علينا سبحانه عن هذا الصنف فقال الله عز وجل فى كتابه ﴿ونَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّة أَنْ أَفيضُوا علَيْنَا منَ الْمَاء أَوْ ممَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إنَّ اللَّهَ حرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافرينَ ﴿٥٠﴾ الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَهُمْ لَهوًا ولَعبًا وغَرَّتْهُمُ الْحيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ومَا كَانُوا بآيَاتنَا يَجْحَدُونَ﴾[3] والله أعلم.

(١) سورة النحل من آية (٦) إلى آية (٨).

(٢) تحفة الأحوذى ٧ / ١١٥ .

(٣) سورة الأعراف آية (٥٠)، (٥١).

مبحث: قصاص المظالم يوم القيامة

٦٢٩ - عن جابر بن عبد الله قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول اللهﷺ فاشتريت بعيراً، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب: قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله؟ قلت: نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول اللهﷺ في القصاص فخشيت أن تموت، أو أموت، قبل أن أسمعه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامَة - أو قال - العبادُ عُراةً غُرْلاً بُهماً قال**: قلنا: وما بهماً قال: «**لَيْسَ معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمَعُهُ من قرب أنَا المَلِكُ، أنَا الدَّيَّان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجَنَّة أن يَدْخُلَ الجَنَّةَ ولأحد من أهل النار عنده حقٌ حتى أُقِصَّه منه حتى اللَّطْمَة**» قال قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عُراة غُرْلاً بُهماً قال: «**بالحسنات والسَّيِّئات**».

٦٣٠ - عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «**لَتُؤدُّنَّ الحُقُوقَ إلَى أَهْلِهَا يومَ القيامَة حتَّى يُقادَ للشَّاة الجَلْحاء من الشَّاة القَرْنَاء**».

٦٣١ - عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «**يَقْتَصُّ الخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حتَّى الجَمَّاءُ من القَرْنَاء وحتَّى الذَّرَّة من الذَّرَّة**».

---

[٦٢٩] أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٩٥ من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر في رحلته إلى عبدالله بن أنيس.. به ثم رفعه.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٣٨ في التفسير ٢/٤٣٨، ٤٧٥ ح٣٦٣٨ وقال صحيح ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٤٦: رواه أحمد ورجاله وثقوا.

[٦٣٠] أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/٢٠٥ في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح٢٥٨٢.

[٦٣١] أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٦٣ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٥٢ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

= قوله: «غرلا» تقدم أنه جمع أغرل وهو الأقلف.

قوله: «الجلحاء» هي التي لا قرن لها اهـ نهاية ١/٢٨٤.

قوله: «الجماء» هي التي لا قرن لها اهـ نهاية ١/٣٠٠.

قوله: «الذرة» الذر: النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرة، وقيل الذره ليس لها وزن ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة اهـ نهاية ٢/١٥٧.

المعنى

يخبرنا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قائلاً: بلغني حديث رجل سمعه من رسول الله ﷺ «أي بواسطة فأراد أن يعلو إسناده فيسمعه من صاحبه الصحابي بلا واسطة لذلك قال: فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس» رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ مثل جابر «فقلت للبواب قل له» أي لعبد الله بن أنيس على سبيل الاستئذان» جابر على الباب «أي منتظر الإذن بالدخول واللقاء» فقال: ابن عبد الله!!؟ على سبيل الاستفهام والدهشة والتعجب للشوق إلى اللقاء وبعد الاحتمال لحضوره رضي الله عنه «قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته» سنة لقاء الأحبة بعد غياب «فقلت حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص» قال ابن الأثير[1] في القصاص: هو أن يفعل به مثل فعله اهـ «فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة» أو قال: «العباد» على سبيل الشك هل قال الناس أو العباد لكن المعنى واحد «عراة غرلاً بهما» أي لا لباس عليهم ولا ختان ولا شيء معهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[2] لذلك قالوا: «ومابهما» =

---

(١) نهاية ٤/٧٢.

(٢) سورة الأنعام آية (٩٤).

= قال ﷺ: «ليس معهم شيء» أي إلا أعمالهم «ثم يناديهم» أي ربنا عز وجل بصوت يسمعه من قرب أنا الملك، أنا الديان نعم حقًا قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) ﴾[1] قال ابن الأثير[2]: في أسماء الله تعالى «الديان» قيل هو القهار وقيل هو الحاكم والقاضي وهو فعال من دان الناس: أي قهرهم على الطاعة اهـ قوله: «لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه» أي حتى أهل النار لا يدخلوها حتى يأخذوا مظالمهم من أهل الجنة إذا كانوا ظالمين لهم في أشياء ولو قَلَّتْ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) ﴾[3] والله تعالى هو الحكم العدل يأخذ الحقوق لأهلها ويعذب الظالمين على قدر مظالمهم وينعم الطائعين على قدر طاعاتهم وقوله: «ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة» وليس هذا التكرار عند الحاكم وقوله حتى اللطمة أي حتى ضرب الوجه بالكف يقتص بذلك لصاحبه يوم القيامة لكن بالسيئات والحسنات لذلك قال: «قلنا: كيف وإنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهما» أي كيف رد المظالم ولا مال معنا ولا متاع ولا شيء قال ﷺ: «بالحسنات والسيئات» أي يأخذ المظلوم من حسنات الظالم فإن فنيت أخذ من سيئات المظلوم فوضعت على الظالم ثم يطرح في النار والعياذ بالله تعالى وهذا القصاص للخلق كلهم حتى الحيوانات لذا روى أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث الثاني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» أي كل يؤدي ما عليه من مظالم حتى ضربة الكف =

---

(١) سورة غافر آية (١٦)، (١٧).

(٢) نهاية ٢/١٤٨.

(٣) سورة غافر آية (١٧).

= حتى الشاة ذات القرون الناطحة أختها التي لا قرون لها يقتص للمنطوحة من الناطحة نطحتها فكيف بالتعذيب والتشريد والقتل لمن قال لا إله إلا الله فاللهم سلم سلم يارب العرش العظيم بل حتى النملة يقتص لها من النملة لأنه في الرواية الأخرى «يقتص الخلق بعضهم من بعض» أي يأخذون حقوقهم على سبيل القصاص لكنه قصاص يوم القيامة فلابد أن يناسب مقام ذلك اليوم من شدة الهول والحساب والألم، فلطمة يوم القيامة ونطحته غير لطمة الدنيا ونطحتها قال: «حتى الجماء من القرناء» كما قال في الحديث السابق «حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء «وزاد هنا» حتى الذرة من الذرة» قال النووي[1] : هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝﴾[2] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة والجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها والله أعلم اهـ والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٦/٢٠٥، ٢٠٦.
(٢) سورة التكوير آية (٥).

مبحث: قوله تعالى: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا﴾

٦٣٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرجلُ العظيمُ السمينَ يومَ القيامة لا يَزِنُ عندَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» وقال: اقرؤا ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا**﴾.

---

[٦٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦/١٨ في التفسير، باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه.. ح٤٧٢٩.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٢٩/١٧ في صفة القيامة والجنة والنار.

وأخرجه أحمد في المسند ١٥٤/٥.

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه» أي قد يكون الرجل ضخما مختالاً من المنافقين أو الكفار والعياذ بالله تعالى ليس له عمل صالح يثقل به ميزانه فيخف حتى يرجحه جناح البعوضة وزنًا قال الله تعالى ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾**﴾[١] قال النووي[٢]: قوله ﷺ: ولا يزن عند الله جناح بعوضة «أي لا يعدله في القدر والمنزلة أي لا قدر له وفيه ذم السمن اهـ وقوله: وقال «اقرؤا ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾**﴾[٣] أي استشهد للحديث الشريف تأييدًا له بالآية الكريمة ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ قال الحافظ[٤]: قوله: وقال اقرؤا ﴿فلا نقيم لهم يوم =

---

(١) سورة المؤمنون (١٠٢) (١٠٣).

(٢) شرح مسلم ١٢٩/١٧.

(٣) سورة الكهف آية (١٠٥).

(٤) فتح الباري ٢٦/١٨.

القيامة وزنا﴾ القائل يحتمل أن يكون الصحابي أو هو مرفوع من بقية الحديث اهـ وقال الإمام أبو جعفر الطبري[1] في التفسير: ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾ يقول تعالى ذكره: ـ أي ـ فلا نجعل لهم ثقلاً وإنما عني بذلك أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة فتثقل به موازينهم اهـ والله أعلم.

(١) تفسير الطبري ٨/٢٩٥ سورة الكهف آية ١٠٥.

الفصل السادس

ما يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ

مبحث : فيمن يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله

٦٣٣ ـ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**سَبَعَةٌ يظِلُهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**» .

---

(٦٣٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤ / ٢٤ فى الصلاة، أبواب الجماعة والإمامة، باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ـ ح ٦٥٩ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٧ / ١٢٠ فى الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

المعنى العام

عن المقداد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ـ قال سليم بن عامر ـ فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل، أمسافة الأرض أم الميل الذى تكتحل به العين ـ «فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه»[1] فى هذا اليوم العظيم فى هذا

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٩٦، ٢٨٦ فى صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهواله.

الموقف العصيب في هذا الحر الشديد الملجم الناس بما سال من عرقهم من الناس من يظله الله في ظله يوم لا يكون هناك ظلٌ إلا ظل عَرشِ الرحمن عز وجل. لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» قوله: «سبعة» قال الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري عليه(1) : ظاهره إختصاص المذكورين بالثواب المذكور ثم ذكر حديثاً في صحيح مسلم (2) من حديث أبي اليسر مرفوعاً» من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» قال: وهاتان الخصلتان غير السبعة الماضية فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له ثم قال: ثم تتبعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك فزادت على عشر خصال أ هـ قوله: «يظلهم الله في ظله» قال عياض: إضافة الظل إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو ملكه كذا قال؛ قال ابن حجر: وكان حقه أن يقول إضافة تشريف ليحصل إمتياز هذا على غيره كما قيل للكعبة بيت الله مع أن المساجد كلها ملكه ثم ذكر تأويل ظله وأفضل التأويلات التي أختارها قوله: المراد بظله ظل عرشه قال ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه» أ هـ قوله «الإمام العادل» قال الإمام النووي (3) قال القاضي: هو كل من إليه نظر في شئ من مصالح المسلمين من الولاة والحكام وبدأ به لكثرة مصالحه وعموم نفعه أ هـ قوله: «وشاب نشأ في عبادة ربه» وفي رواية مسلم وشاب نشأ بعبادة الله «قال ابن حجر: خص الشاب لكونه مظنة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى أ.هـ قوله: ورجل قلبه معلق في المساجد» قال ابن حجر: وظاهره أنه من التعليق كأنه شبهه بالشئ المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجاً عنها أ هـ وقال النووي ومعناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها =

(1) فتح الباري ٤ / ٢٧ .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨ / ١٨٣ في الزهد، ح ٣٠٠٦ .

(3) شرح مسلم النووي ٧ / ١٢١، ١٢٢ .

= وليس معناه دوام القعود في المسجد أ هـ قوله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» وفي رواية في الموطأ[1] عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة ﴿أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي﴾ قال النووي: معناه اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله أي كان سبب اجتماعها حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما، وفي هذا الحديث الحث على التحاب في الله وبيان عظيم فضله وهو من المهمات فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان وهو بحمد الله كثير يوفق له أكثر الناس أو من وفق له أ هـ قوله «رجل طلبته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله» مقتديا بنبي الله يوسف عليه السلام حيث قال ﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾[2]، قال ابن حجر: الظاهر أنها دعته إلى الفاحشة وبه جزم القرطبي ولم يحك غيره الحافظ واستدل بوجود الكناية في قوله «إلى نفسها» ولو كان المراد التزويج لصرح به، والصبر عن الموصوفة بما ذكر من أكمل المراتب لكثرة الرغبة في مثلها وعسر تحصيلها لا سيما وقد أغنت عن مشاق التوصل إليها بمراودة ونحوها أ هـ قال القاضي عياض: يحتمل قوله «أخاف الله» باللسان ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها، قال فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله أ هـ: قوله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» قال القسطلاني[3] «رجل تصدق» تطوعاً حال كونه قد «أخفى» الصدقة» حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» جملة في موضع نصب بـ «تعلم» ذكرت للمبالغة في إخفاء الصدقة والإسرار =

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٣ / ١٢٧، باب ما جاء في المتحابين في الله .

(٢) سورة يوسف آية (٢٣) .

(٣) إرشاد الساري ٢ / ٣٢ .

= بها وضرب المثل بهما لقربهما وملازمتهما أى لو قدر أن الشمال رجل متيقظ لما علم صدقة اليمين للمبالغة في الإخفاء فهو من مجاز التشبيه أو من مجاز الحذف أى حتى لا يعلم ملك شماله أو حتى لا يعلم من على شماله من الناس أو هو من باب تسمية الكل بالجزء فالمراد بشماله نفسه أى أن نفسه لا تعلم ما تنفق يمينه أ هـ وقوله: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» قال الحافظ ابن حجر [1]: قوله: «ذكر الله» أى بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر» خالياً أى من الخلو لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء والمراد خالياً من الالتفات إلى غير الله ولو كان فى ملإ، قوله« ففاضت عيناه» أى فاضت الدموع من عينه وأسند الفيض إلى العين مبالغة كأنها هى التى فاضت، قال القرطبى: وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما يكشف له فهى حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفى حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه أ هـ وقد أخرج الحاكم[2] من حديث أنس مرفوعاً «من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة» والله أعلم.

(١) فتح البارى ٤ / ٢٩ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢٨٩/٤ فى التوبه والإنابة، ح ٧٦٦٨ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

مبحث : في النجوى

٦٣٤ ـ عن صفوان بن محرز أن رجلاً سأل ابن عمر: **كيف سمعتَ رسولَ الله صلى الله عليهِ وسلمَ يقول في النجوى؟ قال : «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول (عملت كذا وكذا)؟ فيقول: نعم، ويقول، (عملت كذا وكذا) فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول (إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم)».**

---

(٦٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢ / ٢٨٢ في الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه ح ٦٠٦٩

وأخرجه البخاري في صحيحه ١٠ / ١٧٧ في المظالم، باب قول الله تعالى ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾، ح ٢٤٤١

قوله «النجوى» قال ابن الأثير ومنه حديث ابن عمر : قيل له ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى «يريد مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة، والنجوى : اسم يقام مقام المصدر أ هـ نهاية ٥ / ٢٥، ٢٦ قوله: كنفه «أي يستره وقيل يرحمه ويلطف به، والكنف بالتحريك: الجانب والناحية أ هـ ٤ / ٢٠٥ .

المعنى

يخبرنا صفوان بن محرز رحمه الله تعالى أن رجلاً سأل ابن عمر رضي الله عنهما كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى «أي كلام الله تعالى مع عبده سراً لئلا يفضحه سبحانه أمام الخلائق. فاللهم ارزقنا برحمتك سِتْرَكَ الجَميلَ عَلَيْنَاَ فِي الدُّنيـاَ والآخرة يا حَلِيم يا حَيي يا سِتير. قال القسطلاني [1]: النجوى: أي التي تقع بين الله وعبده يوم القيامة وهو فضل من الله تعالى حيث يذكر المعاصي للعبد سراً أ هـ قوله صلى الله عليه وسلم «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه» وفي =

---

(١) إرشاد الساري ٤/٢٥٤ .

= رواية المظالم «فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه» ويستره قال الحافظ[1] : أي يقرب منه كرامة وعلو منزلة. قوله «حتى يضع كنفه» بفتح الكاف والنون بعدها فاء أي جانبه والكنف أيضا الستر وهو المراد هنا: أ هـ، وقال القسطلاني: أي حفظه وستره أ هـ زاد في المظالم: (وستره) قال القسطلاني: عن أهل الموقف أ هـ وقال ابن الأثير[2]: أي يستره وقيل يرحمه ويلطف به، والكنف بالتحريك، الجانب والناحية أ هـ قوله: «فيقول عملت»: «كذا وكذا» أي أعملت ذنب كذا وذنب كذا ففي رواية المظالم «أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا» قوله: «فيقول: نعم» وفي الرواية «نعم أي رب» أي أعرفها يا رب. والإقرار من أسباب إكرام الله تعالى العبد بالنجاة برحمته سبحانه. قال القسطلاني: «فيقول المؤمن «نعم أي رب» أعرفه أ هـ قوله: «ويقول: عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره «كالمرة الأولى قوله: «ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم» أي من رحمتي سترتك في الدنيا وأيضا في الآخرة وزيادة على ذلك أغفر لك ذلك كله فسبحانه عز من قائل (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)[3] وقال سبحانه (فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين)[4] نعم هو خير الراحمين وهو أرحم الراحمين يقدر ويرحم ويغفر ويعفو عما لا يطيقه البشر إساءة من عبد لعبد فكيف بالإساءة إلى ملك الملوك ومع ذلك يعفو ويغفر، والستر هذا للمؤمن أما المنافق والكافر فإنما هي الفضيحة والعياذ بالله تعالى ففي رواية المظالم في آخرها» وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين). «كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ =

---

(١) فتح الباري ٢٢/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) النهاية ٤/٢٠٥.

(٣) سورة المؤمنون آية (١١٨).

(٤) سورة يوسف آية (٦٤).

الأشهادُ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين ﴿١٨﴾ الذين يصدُّون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا وهم بالآخرة هُمْ كافرون﴾[1] قال الحافظ: الأشهاد جمع شاهد وهو أيضا جمع شهيد قال المهلب: فى الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قوله: من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن فى هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحداً إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة. قال الحافظ العصاه من المؤمنين فى القيامة على قسمين الأول معصيتة بينه وبين ربه فهذا قسماً ومن كانت معصيتة مستورة فى الدنيا ستره الله فى الآخرة ومن كانت معصيتة مجاهرة فهذا شئ آخر والقسم الثانى مظالم بين العباد فمن رجحت سيئاته والعياذ بالله تعالى ودخل النار ثم خرج بالشفاعة ومن تساوت عندهم السيئات والحسنات فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع القصاص بينهم ولا يجب على الله شئ وهو يفعل فى عباده ما يشاء أ هـ ملخصا والله أعلم.

(١) سورة هود آية (١٨)، (١٩).

مبحث : أين يطلب النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

٦٣٥ : عن أنس بن مالك قال: **سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة فقال : أَنَا فَاعِل «قلت : يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : «أطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط» قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فأطلبنى عند الميزان : قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فأطلبنى عند الحوض ، فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن» .**

---

[٦٣٥] أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ١١٩، ١٢٠ فى صفة القيامة، باب ما جاء فى شأن الصراط، ح ٢٥٥٠ وقال حسن غريب (٠) تنبيه: «فى النسخة المطبوعة بزيادة ألف ولام «المواطن».

المعنى

يخبرنا أنس رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يشفع له يوم القيامة، قال صاحب التحفة:[1] أى الشفاعة الخاصة من بين هذه الأمة دون الشفاعة العامة أ هـ «فقال» صلى الله عليه وسلم «أنا فاعل» أى إن شاء الله سأشفع لك» قلت: يا رسول الله فأين أطلبك» فى هذه الأهوال فى عرصات القيامة التى فيها **﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**[2] «قال الطيبى: أى فى أى موطن من المواطن التى أحتاج إلى شفاعتك أطلبك لتخلصنى من تلك الورطة فأجاب على الصراط، وعند الميزان والحوض أى أفقر الأوقات إلى شفاعتى هذه المواطن لذلك قال «أطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط» قال فى التحفة: أى فى أول طلبك إياى «على الصراط» فما: مصدرية «وأول» نصب على الظرفيه أ.هـ أى أول اللقاءات على الصراط وهو الذى يقول فيه النبيون: «اللهم سلم سلم» وقد تقدم فى حديث الرؤية فى العقائد «قلت فإن لم ألقك على الصراط» بأنى كنت =

---

(١) تحفة الأحوذى ٧ / ١٢٠ .

(٢) سورة عبس من آية (٣٤) إلى (٣٧).

= ذهبت إلى مكان آخر «قال: «فاطلبنى عند الميزان» الذى قال تعالى عنه : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(١) قال فى التحفة: فيه إيذان بأن الميزان بعد الصراط «قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال: فاطلبنى عند الحوض» قال القرطبى: والصحيح أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثر أ هـ قوله صلى الله عليه وسلم «فإنى لا أخطئ هذه الثلاث مواطن أى لا يفوتوننى ولابد أن أكون عند أحدهم إما الصراط لأقول اللهم سلم سلم وإما عند الميزان وإما عند الحوض لأسقى أصحابى وأحبابى من كوثرى وهو الذى آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً وله موضع مستوفى فيه هنا إن شاء الله تعالى قال فى التحفة : والمعنى أنى لا أتجاوز هذه المواطن الثلاثة ولا أحد يفقدنى فيهن جميعهن فلابد أن تلقانى فى موضع منهن والحديث يدل على أن الحوض بعد الصراط وإلى ذلك أشار البخارى فى صحيحه أ هـ والله أعلم.

(١) سورة الأنبياء آية (٤٧).

مبحث: قول النبى صلى الله عليه وسلم للأنصار «اصبروا حتى تلقونى على الحوض»

٦٣٦ ـ عن أسيد بن حضير رضى الله عنه أن رجلاً من الأنصار قال يا رسول الله: **ألاَ تستعملنى كما استعملت فلاناً قال: «ستلقون بعدى أَثَرَةً فاصبروا حتى تلقونى على الحوض»**.

---

[٦٣٦] أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ٢٦٩ فى مناقب الأنصار، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم للأنصار: «اصبروا حتى تلقونى على الحوض ح ٣٧٩٢ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٧ / ١٥١ فى الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه قوله: «أثرة» الأثرة: بفتح الهمزة والثاء ـ الإسم من آثر إيثار إذا أعطى، أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم فى نصيبه من الفئ والإستئثار: الإنفراد بالشئ أ.هـ نهاية ١/٢٢ .

المعنى

يخبرنا أسيد بن حضير رضى الله عنه أن رجلاً من الأنصار قال يا رسول الله، ألا تستعملنى كما استعملت فلاناً» أى ألا تجعلنى أعمل مسئولاً على الشئ من أعمال المسلمين كما استعملت فلاناً من الناس. قال الحافظ[1] : قوله ألا تستعملنى» أى ألا تجعلنى عاملاً على الصدقة أو على بلد ثم قال: لم أقف على إسمه لكن ذكرت فى المقدمة أن السائل أسيد بن حضير والمستعمل عمرو بن العاص ولا أدرى الآن من أين نقلته أ هـ قوله صلى الله عليه وسلم: «ستلقون بعدى أثرة» أى ستجدون بعدى من يؤثر نفسه وذويه عليكم دونكم فاصبروا على ذلك فإن الله سيعوضكم عند لقائى على الحوض بالشرب منه شربة لا ظمأ بعدها، قال الحافظ أشار بذلك إلى أن الأمر يصير فى غيرهم بالأموال وكان الأمر كما وصف صلى الله عليه وسلم وهو معدود =

---

(١) فتح البارى ١٤/٣٦٩ .

= فيما أخبر به من الأمور الآتية كما قال صلى الله عليه وسلم أ هـ أى من علامات نبوته تصديق الله تعالى لكل ما يقول وهذا منه، وقال النووى[1] : فيها لغتان أحدهما ضم الهمزة وإسكان الثاء وأصحهما وأشهرهما بفتحهما جميعاً والأثرة الإستئثار بالمشترك أى يستأثر عليكم ويفضل عليكم بغير حق أ هـ قوله: «فاصبرو حتى تلقونى على الحوض» وعند مسلم: «فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإنى على الحوض قالوا سنصبر» وفى رواية له بعدها: «قال أنس فلم نصبر» أى قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم سنصبر فلما عاينوا الظلم لم يصبروا عليه بل اضجروا وشكوا وتكلموا وغضبوا وغير ذلك. قال الحافظ: «وموعدكم الحوض» أى حوض النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أ هـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ٧ / ١٥١ .

مبحث: يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان

٦٣٧ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: «أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا أو الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل» «ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»**

---

(٦٧) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/١٣٤، فى الإيمان، باب، تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال، ح ٢٢.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣/٤٥ : ٤٣ فى الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ح ٣٠٤ / ١٨٤ .

قوله: «مثقال» : المثقال فى الأصل: مقدار من الوزن، أى شئ كان من قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرة: وزن ذرة أ هـ النهاية ١ / ٢١٧ .

قوله: «حبة» بكسر الحاء المهمله جمع بذور النبات واحدتها حبة بالفتح، وأما الحب فهو الحنطة والشعير واحدتها حبة بالفتح أيضاً قاله أبو حنيفة الدينورى أ هـ فتح البارى ١ / ١٣٥ .

المعنى العام

من أكرمه الله تعالى وتفضل عليه بالموت على الإيمان ولو كان قليلاً ولو مثقال ذرة فإن مصيره إن شاء الله إلى الجنة إما ابتداء إن كان ذا إيمان زائد ومات بلا إصرار على ذنب وتاب من ذنوبه فإنا نرجوا له الجنة إن شاء الله عز وجل؛ ومن كان صاحب الذرة ونحوها من الإيمان ومات بلا توبة من الذنوب فهو الذى يدخل النار بسبب ما لم يتب منه من الذنوب ويخرج إن شاء الله تعالى بسبب عدم الشرك =

= وثبوت الإيمان ولو كان قليلاً، فيروى لنا أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة» أى يدخِل الله تعالى أهل الجنة فى الجنة، فعند مسلم[1] «يدخل الله أهلَ الجنةِ الجنة» قال العينى [2] : قوله «يدخل أهل الجنة الجنة «فعل وفاعل، ولفظة أهل مضافة إلى الجنة والجنة الثانية بالنصب لأنه مفعول وأصله فى الجنة أ هـ قوله: «وأهل النار النار» أى يدخلون فى النار كل حسب ما قدم ينال الدركة التى تناسب عمله قوله: «ثم يقول الله تعالى: ﴿أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان﴾ قال الحافظ ابن حجر[3] : قوله: «مثقال حبة» بفتح الحاء هو إشارة إلى ما لا أقل منه ثم قال عن غيره: يجوز أن تجسد الأعراض فتوزن، وما ثبت من أمور الآخرة بالشرع لا دخل للعقل فيه، والمراد بحبة الخردل هنا ما زاد من الأعمال على أصل التوحيد لقوله فى الرواية الأخرى: «أخرجوا من قال لا إله إلا الله وعمل من الخير ما يزن ذرة»[4] أ هـ وقوله «من خردل من إيمان» قال العينى : بفتح الخاء المعجمة: هو نبات معروف يشبه الشئ القليل البليغ فى القلة بذلك: يعنى يدخل الجنة من كان فى قلبه أقل قدر من الإيمان أ هـ قوله: «فيخرجون منها قد اسودوا» وفى رواية لمسلم[5] : فيخرجون من النار قد إمتحشوا قال النووي[5] هي بالحاء المهملة والشين المعجمة وهو بفتح التاء والحاء وقالوا في معناه إحترقوا أ هـ قوله: «فيلقون فى نهر الحيا أو الحياة» قال ابن حجر: المراد كل ما به تحصل الحياة والحيا =

(١) أخرجه مسلم فى صحيحة ٣ / ٤٥ فى الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، ح١٨٤/٣٠٤ .

(٢) عمدة القاري ١ / ١٩٤ .

(٣) فتح البارى ١ / ١٣٥ .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٣ / ١٧٣ عن أنس مرفوعاً بلفظ «أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله من كان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة ... الحديث .

(٥) أخرجها مسلم ٣ / ٢٢ فى الإيمان باب الأعضاء التى لا تأكلها النار.

= بالقصر: هو المطر، وبه تحصل حياة النبات فهو أليق بمعنى الحياة من الحياء المحدود الذى هو بمعنى الخجل أ هـ قوله: «فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل: «قال ابن حجر: بكسر أوله قال أبو حنيفة الدينورى: الحبة جمع بذور النبات واحدتها حبة بالفتح، وأما الحب فهو الحنطة والشعير واحدتها حبه بالفتح أيضاً أهـ وقال النووى[1] : معناه ينبتون بسببه أهـ وقوله : «فى جانب السيل «فى رواية مسلم» :«حميل السيل» قال النووى: بفتح الحاء وكسر الميم وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه محمول السيل والمراد التشبيه فى سرعة النبات وحسنه وطراوته أ هـ قوله: «ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية «قال العينى: «قوله: «صفراء» تأنيث الأصفر من الإصفرار وهو من جنس الألوان للرياحين ولهذا تسر الناظرين، وسيد رياحين الجنة الحناء وهو أصفر، قوله «ملتوية» أى منعطفة منثنية وذلك أيضاً يزيد الريحان حسناً يعنى إهتزازه وتمايله، والله تعالى أعلم - أ هـ فاللهم نسألك الجنة بلا مناقشة حساب ولا سابقة عذاب.

(١) شرح مسلم للنووى ٣ / ٢٢

الفصل السابع
صفة النار وأهلها وعذابها وطريقها وزقومها وحميمها عافانا الله تعالى منها ومن أسبابها بمنه وفضله ورحمته وينقسم إلى مباحث

مقدمة

قال الله عز وجل ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾[١] وقال عز وجل ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا﴾[٢] وقال تعالى ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ... الآية﴾[٣] وقال الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤] وقال تعالى ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن﴾[٥] وقال الله عز وجل ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٦] وقال تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٧] وقال الله عز وجل ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ

---

(١) سورة الليل من آية (١٤): آية (١٨)

(٢) سورة النبأ من آية (٢١) : (٢٦) .

(٣) سورة التوبة آية (٣٥) .

(٤) سورة التحريم آية (٦)

(٥) سورة الرحمن آية (٤٣)، (٤٤)

(٦) سورة الكهف آية (٢٩) .

(٧) سورة غافر آية (٤٦).

= يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾[2] وقال الله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] سبحانه فقد أنذر وبشر، ورغب ورهب، سبحانه فقد خوف ورجى سبحانه، فقد نعم وعذب سبحانه، خلق الجنة والنار، وأرسل بالكتب المرسلين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ليبينوا للناس النجدين، قال تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾[4] فمن أطاعهم سلك الطريق السوى المستقيم إلى منتهاه حتى يحط رحله في أرض الجنة البيضاء، ومن عصى وحاد ولزم المعوج وهوى على أمه الهاوية في نار تلظى والعياذ بالله تعالي. وسأذكر إن شاء الله تعالى في رسالتي المباركة إن شاء الله تعالى هذه عدة أحاديث صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم في النذارة والبشارة مقتدياً بنبينا صلى الله عليه وسلم الذى نزل على قلبه قول الله عز وجل ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ وهذه أحاديث في النار وصفاتها وأهلها وعذابها نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة من شرها ودخولها وسلوك طريقها ومخالطة أهلها إنه ولى ذلك وهو على كل شئ قدير.

(١) سورة القمر آية (٤٧)، (٤٨) .

(٢) سرزة البينة آية (٦) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٧٩)، (١٨٠) .

(٤) سورة النساء آية (١٦٥) .

المبحث الأول

رؤية النبى صلى الله عليه وسلم للجنة والنار

٦٣٨ ـ عن أنس بن مالك أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم خـرج حيث زاغت الشمس فـصلى الظهر فقام على المنبـر فذكر الساعـة فذكر أن فيـها أموراً عظامـاً، ثم قال: «**من أحب أن يسـأل عن شئ فليسـأل، فلا تسـألونى عن شئ إلا أخبـرتكم ما دمت فى مقامى هذا، فأكـثر الناس فى البكاء وأكـثر أن يقـول: «سلونى» فقـام عبـد الله بن حـذافة السـهـمى فقـال : من أبى ؟ قـال: «أبوك حـذافـة»، ثم أكـثـر أن يقـول: «سـلونى» فـبـرك عـمـر على ركـبـتيـه فقـال: «رضينـا بالله ربـاً وبالإسلام دينًا وبمحـمد نبـياً، فـسكت، ثم قال «عرضت على الجنة النار آنفاً فى عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر**».

---

٦٣٨ ـ أخرجـه البخارى فى صحـيحه ٣ / ٢٠٣ فى الصـلاة، باب وقت الظهر عند الزوال، ح ٥٤٠ .

وأخرجه البخـارى فى صحيحه ٢٨ / ٣٠ فى الإعتصـام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال ح ٧٢٩١ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٥ / ١١٢ فى الفضـائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم. قوله: «زاغت» أى مالت عن مكانها أ هـ نهاية ٢ / ٣٢٤ .

قـوله: «عرض هـذا الحائط» العرض بالضم: الجـانب والناحـيـة من كل شئ أ هـ نهاية ٣ / ٢١٠ .

المعنى العام

تحقيقاً لبلوغ الصدق إلى منتـهاه مع أنه أصدق مخلوق صلى الله عليه وسلم لكنه قال:«ليس الخبر كالمعاينة إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه فى العجل فلم يلق =

= الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[1] لذلك أراه ربه بعينيه الشريفتين لينذر ويبشر بلسان الواقع. فيخبرنا أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج حيث زاغت الشمس «قال بن الأثير[2] أى مالت عن مكانها، ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ [3] أى مالت عن مكانها كما يعرض للإنسان عند الخوف أ هـ قوله «فصلى الظهر» قال الحافظ ابن حجر[4] : فإنه يقتضى أن زوال الشمس أول وقت الظهر إذ لم ينقل أنه صلى قبله وهذا هو الذى استقر عليه الإجماع وكان فيه خلاف قديم عن بعض الصحابة أنه جوز صلاة الظهر قبل الزوال وعن أحمد وإسحاق مثله فى الجمعة أ هـ قوله: «فقام على المنبر فذكر الساعة» وفى «رواية مسلم (حـ): «فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظاماً «قال تعالى ﴿إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾[5] : فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك. قوله: «من أحب أن يسأل عن شئ فليسأل فلا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم» وفى رواية مسلم (جـ) «فوالله لا تسألوننى عن شئ إلا أخبرتكم به» وسبب ذلك كثرة سؤالهم النبى ﷺ عما لا يليق السؤال عنه حتى أحفوه بالمسألة وأكثروا عليه ففى رواية أبى موسى الأشعرى فى البخارى[6] «سئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال «سلونى» قوله «ما دمت في مقامى هذا» أى مدة بقائى فى هذا المكان قبل التحول عنه قوله: «فأكثر الناس فى البكاء وأكثر أن يقول: «سلونى» وذلك بعد صلاة الظهر وصعوده على المنبر ﷺ، قوله: «فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال: من أبى: «وفى رواية للبخارى[7] «فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال: يا نبى الله ... =

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١ / ٢٧١ من حديث ابن عباس مرفوعاً.
(٢) النهاية ٢/٣٢٤.
(٣) سورة الأحزاب آية (١٠).
(٤) فتح الباري ٣/٢٠٣.
(٥) سورة الحج آية (١)، (٢) .
(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه فى الإعتصام ٢٨ / ٢٨ باب ما يكره من كثرة السؤال ح ٧٢٩١ .
(٧) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ٥٠ فى الفتنة باب التعوذ من الفتنة ح ٧٠٨٩ من حديث أنس رضى الله عنه ثم رفعه فى أجزاء منه.

= الحديث فبين النبى ﷺ العلم الحق الصحيح بأبى هو وأمى فقال: «أبوك حذافة» وفى رواية للبخارى فى الاعتصام [1] «ثم قام آخر فقال : يا رسول الله من أبى فقال: «أبوك سالم مولى شيبة» وفى رواية للبخارى[2] أيضاً فى الإعتصام قال ﷺ: «فوالله لا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى هذا»، قال أنس: فأكثر الأنصار البكاء وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول سلونى فقال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلى يا رسول الله؟ قال «النار» الله أكبر إنها النبوة غضبة لله عز وجل يؤيدها الوحى فلا ينطق عن الهوى ومن يستطيع فى غضبه أن يخبر بالغيب بالحق إلا أن يكون مؤيداً بالوحى لذلك لما « أكثر أن يقول سلونى» برك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فسكت رسول الله ﷺ» قال الإمام النووى فى شرحه لمسلم [3] : قال العلماء هذا القول منه ﷺ محمول على أنه أوحى إليه وإلا فلا يعلم كل ما سأل عنه من المغيبات إلا بإعلام الله تعالى، قال القاضى وظاهر الحديث أن قوله ﷺ سلونى إنما كان غضباً كما قال فى الرواية الأخرى : «سئل النبى ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس: «سلونى» وكان اختياره ﷺ ترك تلك المسائل لكن وافقهم فى جوابها لأنه لا يمكن رد السؤال ولما رآه من حرصهم عليها والله أعلم، وأما بروك عمر رضى الله عنه وقوله ـ أى الذى قاله ـ فإنما فعله أدباً وإكراماً لرسول الله ﷺ وشفقة على المسلمين لئلا يؤذوا النبى ﷺ فيهلكوا، ومعنى كلامه: رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ واكتفينا به عن السؤال أ هـ قوله: «ثم قال: عرضت على الجنة والنار آنفاً فى عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر» أى يخبر ﷺأنه رأى الجنة والنار آنفاً فى =

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى الإعتصام ٢٨ / ٢٨ باب ما يكره من كثرة السؤال ح ٧٢٩١ .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحة ٢٨ / ٣٠ فى الإعتصام ح ٧٢٩٤ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥ / ١١٣ .

= عرض هذا الحائط، قال النووى [1] آنفاً فمعناه: قريباً الساعة والمشهور فيه المد أ هـ وقوله «فى عرض هذا الحائط» قال الحافظ ابن حجر[2] أى جانبه أو وسطه أ هـ فيخبر ﷺ أنه لما رأى الجنة ما رأى خيراً يشبهها أو يدانيها كما قال فى حديث المعراج الذى أخرجه مسلم [3] ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»... الحديث أى يصفها من حسنها» كذلك النار يخبر أنه ما رأى شراً مثلها كما قال ﷺ فيما أخرجه البخارى فى صحيحه لأصحابه «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[4] صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥ / ١١٤ .

(٢) فتح البارى ٣ /٢٠٣.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢/ ٢١٤ فى الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه فى الرقاق ٢٤ / ١١٠ .

المبحث الثاني

قول النبى ﷺ «أنذرتكم النار»

٦٣٩ ـ عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «أَنْذَرْتُكُم النَّارَ أنذرتكم النار حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لَسَمِعَهُ من مَقَامِي هذا حتى وقعت خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَىَ عَاتِقِه عِنْدَ رِجْلَيْه».

---

٦٣٩ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ٢٨٧ / ٤٢٤، ح ١٠٥٨ في الجمعة وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد في المسند ٤ / ٢٦٨، ٢٧٢ عن سماك عن النعمان به.

وأخرجه الدارمى فى الرقاق ٢ / ٤٢٥ باب فى تحذير النار، ح ٢٨١٢ .

وأخرجه هناد بن السرى فى الزهد ١ / ١٦٩ فى صفة النار ح ٢٣٩ .

قوله: «خميصة» هى ثوب خز أو صوف معلم، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعْلَمَة أ هـ نهاية ٢ / ٨٠ .

المعنى

يروى لنا النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يخطب فقال: «أنذرتكم النار أنذرتكم النار» وفى رواية هناد (د): «يا أيها الناس أنذرتكم النار: « وعنده أيضاً» أنذركم النار» فقد قال الله تعالى له ﷺ ﴿إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل﴾[1] وقال سبحانه له أيضاً ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾[2] : وقال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرًا وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِه وَسِرَاجًا مُّنِيراً﴾[3] فتأول ذلك كله النبي ﷺ فأنذر وبشر ووضح وعلم وفهم وهدى ولم يألوا جهداً فى النصيحة لله وعز وجل ولكتابه وللمؤمنين وهو الذى =

---

(١) سورة هود آية (٢١).

(٢) سورة الرعد آية (٧).

(٣) سورة الأحزاب آية (٤٥)، (٤٦).

قال «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى»[1] : فلذلك قال هنا «أنذرتكم النار» وكررها تأكيداً وترهيباً وتحذيراً وشفقة منه ﷺ على أمته قوله «حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامى هذا» من شدة همه واهتمامه صلى الله عليه وسلم ومعجزة من معجزاته صوته يعلو كعلو صوت رجل من أصحابه ولكن فضل الله صوته كما فضله وبلغ صوته إلى حيث من يجب تبليغه من أمته بل وإلى مالا يتخيله أحد لقد وصل إلى السوق والذى أعطاه تلك الفضيلة والخاصية قادر على الزيادة لذلك فى رواية هناد: «حتى لو كان فى مكانى هذا لأسمع أهل السوق أو ما شاء الله تعالى منهم آخر» قوله «حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه» أى من شدة اهتمامه ﷺ ومنا شدته وقد استجاب جسده الشريف ﷺ للصوت والقول فسقطت الخميصه التى كانت على عاتقه عند رجليه الشريفتين ﷺ قال ابن الأثير[2]: الخميصة هى ثوب خز أو صوف معلم، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة أ هـ والله أعلم وعند هناد» حتى سقط إحدى عطفى ردائه عن منكبه» قال ابن الأثير[3]: القطاف والمعطف : الرداء، وقد تعطف به واعتطف، وسمى عطافاً لوقوعه على عطفى الرجل وهما ناحيتا عنقه أ هـ قلت المقصود سقوط الرداء من شدة اهتمام النبى ﷺ فتحرك منكبه الشريف فوقع الرداء أو أحد جانبيه لشدة اهتمامه بالإنذار بالنار وتكريره والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٥ / ٧٢ فى الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته فى تحذيرهم مما يضر ح ١٩ / ٢٢٨٥.

(٢) نهاية ٢/٨٠.

(٣) النهاية لابن الأثير.

المبحث الثالث

شدة الحر والحمى من فيح جهنم

٦٤٠ - عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّم**».

٦٤١ - عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ**»

---

٦٤٠ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٦١ فى بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ح ٣٢٥٨ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٣ / ١٩٥ شاهداً فى مواقيت الصلاة عن أبى سعيد باب الإبراد بالظهر فى شدة الحر ح ٥٣٣ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٥ / ١١٩ بمعناه فى المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر فى شدة الحر

٦٤١ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٦٢/١٣ فى بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ح ٣٢٦٣.

وأخرج البخارى له شاهداً فى صحيحه ٢١ / ٢٩٥ فى الطب، باب الحمى من فيح جهنم، ح ٥٧٢٣ .

وأخرج البخارى فى صحيحه ١٣ / ٦١ فى بدء الخلق شاهداً عن ابن عباس، باب صفة النار وأنها مخلوقة ح ٣٢٦١ .

قوله: «فيح جهنم» قال ابن الأثير: الفيح: سطوع الحر وفورانه ويقال بالواو أ هـ نهاية ٣ / ٤٨٤ .

المعنى

عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم» يخبر نبينا ﷺ أن هذا الحر الشديد وقت الظهيره إنما هو من فيح جهنم ونفسها لشدة غليانها فأذن الله تعالى لها بنفسين فهذا نفس منها فأمر النبى ﷺ بتأخير الصلاة فى هذا الوقت حتى يرحل الحر ويحل البرد شيئاً قوله «أبردوا بالصلاة» قال الحافظ [1] : لفظ الابراد يستلزم أن يكون بعد الزوال لا قبله إذ وقت الإبراد هو ما إذا انحطت قوة الوهج من حر الظهيرة أ هـ قوله: «فإن شدة الحر من فيح جهنم» وفى الرواية الأخرى فى الصلاة «إذا اشتد الحر فأبردوا الصلاة» قال الحافظ: ومفهومه أن الحر إذا لم يشتد لم يشرع الإبراد وكذا لا يشرع فى البرد من باب الأولى قوله: «فأبردوا» بقطع الهمزة وكسر الراء أى أخروا إلى أن يبرد الوقت أ هـ قوله: فإن شدة الحر من فيح جهنم قال الكرماني[2]: فيح جهنم سطوع حرها وإرتفاع لهبا أهـ قال الحافظ: وفيحها سبب وجود شدة الحر، وهو مظنة المشقة التى هى مظنة سلب الخشوع فناسب أن لا يصلى فيها ثم قال: فحكمة الإبراد رفع المشقة وحكمة الترك وقت سجرها لكونه وقت ظهور أثر الغضب والله أعلم أ هـ. وفى الحديث الثانى تروى عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» فكما أن شدة الحر وقت الظهيرة من فيح جهنم فكذلك الحمى من فيح جهنم: قال الحافظ: قوله: «من فيح جهنم» أى من سعة انتشارها وتنفسها ومنه مكان أفيح أى متسع أ هـ فما يصيب الإنسان من حرارة الحمى إنما هو أيضاً من سعة انتشار حر جهنم أعاذنا الله تعالى منها بمنه وفضله ورحمته. قال الحافظ[3] : واختلف فى نسبتها إلى جهنم، فقيل حقيقة، واللهب الحاصل فى جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله =

(١) فتح البارى ٣/ ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨ .

(٢) شرح البخارى للكرمانى ١٣/ ١٩٣ .

(٣) فتح البارى ٢١/٢٩٥، ٢٩٧.

= ظهورها بأسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة أظهرها فى هذه الدار عبرة ودلالة أ هـ ورجح هذا الرأى، وأرجح ترجيحه. قوله «فأبردوها بالماء» وفى رواية الطب «فأطفئوها بالماء» وفى حديث ابن عباس فى بدء الخلق: «فأبردوها بالماء أو قال «بماء زمزم» وعند ابن ماجه [1] «بالماء البارد» قال الحافظ: إنما قصد ﷺ إستعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الإنتفاع به ثم قال: وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته أسماء بنت الصديق فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئاً من الماء بين يديه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها، والصحابى ولاسيما مثل أسماء التى هى ممن كان يلازم بيت النبى ﷺ أعلم بالمراد من غيرها أ هـ والله أعلم.

(١) أخرجه بن ماجه فى سننه ٢/ ١١٥٠ فى الطب، باب الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ح ٣٤٧٥ .

المبحث الرابع

قول النبى ﷺ «عرضت على الجنة والنار»

٦٤٢ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والّذى نَفْسى بِيَدِه لَقَدْ عُرِضَتْ على الجَنْةُ والنَّارُ آنفا فِى عُرْضِ هَذَا الحَائِطِ، وَأَنَا أُصَلِّى فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِى الخَيْرِ والشَّرِ».**

---

٦٤٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٣ / ٢٠٣، ٢٠٤، فى الدعوات، باب التعوذ من الفتن، ح ٦٣٦٢.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ٥٠ فى الفتن، باب التعوذ من الفتن، ح ٧٠٨٩.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ٣٢ فى الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال ٧٢٩٤ واللفظ له هنا.

قوله: «عرض هذا الحائط» بضم العين أى جانبه أو وسطه أ هـ فتح ٣ / ٢٠٣.

المعنى

يقول فيه رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفاً فى عرض هذا الحائط: وفى رواية الفتن: «أنه صورت إلى الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط» أى يقسم نبينا ﷺ أنه شاهد الجنة والنار دون الحائط فلم ير خيراً ﷺ يشبه الجنة أو يماثلها أو يقارنها أو يدانيها ولم ير شرا كالنار وذلك أثناء صلاته ﷺ لذلك قال ﷺ: «وأنا أصلى فلم أر كاليوم فى الخير والشر» وفى رواية الفتن: «ما رأيت فى الخير والشر كاليوم قط» وقد تقدم شرحه فى حديث فتنة القبر وصلاة الكسوف والحمد لله وحده عند قوله ﷺ: «ما رأيت فى الخير والشر كاليوم قط. إنه صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط»[1] : قال الحافظ[2] قوله: «فى =

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ٥١ فى الفتنة، باب التعوذ من الفتنة، ح ٧٠٨٩.

(٢) فتح البارى ٣ / ٢٠٣.

= عرض هذا الحائط: بضم العين أى جانبه أو وسطه قوله: «فلم أر كالخير والشر» أى المرئى فى ذلك المقام أ هـ قال البعض: أى ما أبصرت قط مثل هذا الخير الذى هو الجنة، وهذا الشر الذى هو النار، أو معناه: ما أبصرت شيئاً مثل الطاعة فى سبب دخول الجنة، والمعصية فى سبب دخول النار أ هـ والأول أولى لعدم الحاجة إلى صرف المعنى عن ظاهره مع وضوحه ولا مانع من حمل الحديث على الجنة فلا خير مثلها وعلى النار فلا شر مثلها ونسأله تعالى الجنة وأعوذ به من النار والله أعلم.

المبحث الخامس

نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة

٦٤٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِن نَارِ جَهَنَّم، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**».

---

٦٤٣ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٣ / ٦٢ في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة ح ٣٢٦٥.

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٧٩ في باب جهنم أعاذنا الله منها.

وأخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٣١٤ في صفة جهنم، باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ح ٢٧١٥ وقال هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٢٤٤.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» يا رب سلم سلم هذه النار التي تذيب الفولاذ التي لا نطيق مس أخفها إنما هي جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة، زاد الترمذي[1]: «لكل جزء منها حرها قوله: «قيل يا رسول الله، إن كانت لكافية» أي لو كانت نار الدنيا لعذاب من يستحق العذاب من أهل المعاصي والآثام وغيرهم لكفتهم عذاباً، قال الحافظ[2]: إن هي المخففة من الثقيلة أي إن نار الدنيا كانت مجزئه لتعذيب العصاة أ هـ قوله: قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها «وعند مسلم(ب) «فضلت عليها» وهذا أرجح قال الحافظ: والمعنى على نيران الدنيا. قال الطيبي ما ملخصه: إنما أعاد صلى الله ﷺ حكاية =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٣١٦ ح ٢٧١٦.

(٢) فتح الباري ٣ / ٦٢، ٦٣.

= تفضيل نار جهنم على نار الدنيا إشارة إلى المنع من دعوى الأجزاء أى لابد من الزيادة ليتميز ما يصدر من الخالق من العذاب على ما يصدر من المخلوق أ هـ وقوله «مثل حرها» قال صاحب التحفة[1] : أى مثل حرارة ناركم فى الدنيا أ هـ وعند أحمد في المسند: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» وعند الحاكم[2] : «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها غمست فى الماء مرتين ما استمتعتم بها، وأيم الله إن كانت لكافية وإنها لتدعو الله أو تستجير الله أن لا يعيدها فى النار أبداً» فاللهم نجنا من نار الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذى ٧ / ٣١٥ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٦٣٥ / ٥٩٣، ح ٨٧٥٣ فى كتاب الأهوال.

المبحث السادس

نفس جهنم أعاذنا الله منها

٦٤٤ - عن أبى هريرة رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «**إِذَا أَشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبرِدُوا بالصَّلاَة، فإِن شدَّةَ الحَرِّ من فَيْحِ جَهَنَّمَ» واشْتَكَت النارَ إلى ربِّهَا فقالت: يا رب أَكَلَ بَعْضى بَعْضاً، فَأَذنَ لَهَا بنَفَسَيْنِ، نَفَسٌ فى الشتاء ونفس فى الصيف، فهو أَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الحَرِّ، وأشدُّ ما تَجدُونَ من الزمْهرير**».

---

٦٤٤ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٣ / ١٩٩ كتاب الصلاة، باب الابراد بالظهر فى شدة الحر ح ٥٣٦، ٥٣٧ قوله: أبردوا: أى أخروا إلى أن يبرد الوقت.

وقوله: فيح جهنم: أى من سعة إنتشارها وتنفسها.

قوله: «بنفسين» النفس معروف وهو ما يخرج من الجوف ويدخل فيه من الهواء أهـ ٣ / ١٩٦ : ١٩٨ يعنى كالزفير

المعنى العام

خلق الله عز وجل جهنم ووصفها لنا سبحانه ووصفها لنا رسول الله ﷺ، وهى فى حقيقتها دركة من النار التى بلغت من الشر مبلغاً لا يماثلها شئ من مخلوقات الله عز وجل كما قال ﷺ: «عرضت علىّ الجنة والنار آنفاً فى عرض هذا الحائط وأنا أصلى، فلم أر كاليوم فى الخير والشر»[1] فالنار أعاذنا الله تعالى منها منتهى الشر كما أن الجنة منتهى الخير، وهى من شدتها يمس الدنيا من رائحة حرارتها، فشدة الحرارة فى الصيف وقت الهاجرة إنما هو من صغير النفس الخارج منها حيث اشتكت إلى الله عز وجل لأكل بعضها بعضها فهى شديدة قوية عظم الله تعالى لها أجسام أهلها من شدتها ففى الحديث «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد»[2] بخارى - فلما إشتكت =

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ٣٢ فى الاعتصام بالكتاب والسنة، ح ٧٢٩٤ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٩٨ فى صفة جهنم، باب ما جاء فى عظم أهل النار، ح ٢٧٠٣ وقال حسن غريب.

أذن لها بنفس فى الشتاء وهو ما نشعر به من شدة البرد فهو أيضاً من العذاب البرد الشديد ونفس فى الصيف وهو ما نشعر به من شدة الحر الذى لا يطاق أحياناً ويستعيذ الناس بالله منه وهم فى الظل ومعهم بارد الماء والشراب وفى بعض البلاد الحارة لا يتحمل الإنسان أن يقف فى شمس الهاجرة خمس دقائق كل هذا بسبب نفس جهنم الصيفى فكيف بنارها الحقيقية التى هى فى الحديث الذى أخرجه هنا وغيره» أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت، فهى سوداء مظلمة»[1] ، كيف بطعامها الذى قال عنه الله تعالى فيه ﴿**إن شجرة الزقوم. طعام الأثيم. كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم**﴾[2] وفى الحديث عن نبينا ﷺ أنه قال: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه»[3] نفس الهاجرة يصرخ منه الناس وأهل النار يلبثون فيها مئين السنين تفور بهم ثم يردون إليها قال تعالى: ﴿**لابثين فيها أحقابا (٢٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا (٢٤) إلا حميما وغساقا**﴾ وغير ذلك من وصف النار فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة مما لو سمعه بعض من رق قلبه بالإيمان لمات خوفاً منها وقد حدث ذلك بالفعل لبعض الصالحين كما روى ذلك البيهقى فى الزهد، فجهنم تسجر وقت الظهر لذلك أوصى النبى ﷺ بتأخير الصلاة فى هذا الوقت إلى أن يبرد الوقت فهذا وقت غضب الله تعالى والطلب لا ينفع عند الغضب كذلك حتى يتمكنوا من سهولة الصلاة والسجود على الأرض فإن حرارة المناخ والأرض يتعذر معهما الحضور والسجود فلذلك يسن الابراد فى الصيف دون الشتاء وفى الحر دون البرد وصلى الله وسلم على من أرسله ربه رحمة للعالمين وهادياً إلى كل طريق مستقيم والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٣١٦ فى صفة جهنم ح ٢٧١٧ .

(٢) سورة الدخان آية (٤٣)، (٤٦)

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٣٠٧ فى صفة جهنم، باب ما جاء فى صفة شراب أهل النار، قال حسن صحيح.

المبحث السابع

كون النار يأكل بعضها بعضاً

٦٤٥ ـ عن أبى هـريرة رضى الله عنـه ـ عن النبـى ﷺ قـال: «واشْتَكَتِ النارَ إلى رَبْهَـا فقـالت : يا رب أكَلَ بَعْضِـي بَعْضـاً ، فَأَذنَ لَهَـا بنَفَسَيْنِ ، نَفَسٌ في الشتاءِ ونفس في الصيفِ ، فأَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الحَرِّ ، وأشدُّ ما تَجِدُونَ من الزمْهَرِيرِ » .

---

٦٤٥ ـ أخرجه البـخارى فى صحيحـه ١٣ / ٦١ فى بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ح ٣٢٦٠ .

وأخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٣١٧ فى جـهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر فيمن يخرج من النار ح ٢٧١٩ .

وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٢٣٨، ٢٧٧، ٥٠٣ .

وأخـرجه مـسلم فى صـحيحـه ٥ / ١٢٠ فى المسـاجد ومـواضع الصـلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر فى شدة الحر.

قول: «الزمهرير»: قال الحافظ : المراد بالزمهرير شدة البرد أ هـ فتح ٣ / ٢٠٠.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قـال: «اشتكت النار إلى ربها فـقالت: رب أكل بعـضى بعضـاً» أى كلمت ربهـا عز وجل شـاكيـة أنها من شـدة حرارتهـا ولهبهـا وليس فيها أحـد تأكله فقد أكل بعضـها بعضاً قوله: «اشـتكت النار إلى ربها» قال الحافظ[1] : قال القـرطبي لا إحالة في حمل اللفظ عـلى حقيقـته قال: وإذا أخـبر الصادق ﷺ بأمـر جائز لم يحتج إلى تأويله فـحمله على حقـيقتـه أولى وقال النووي

---

(١) فتح البارى ٣ / ١٩٩، ٢٠٠ .

نحو ذلك ثم قال حمله على حقيقته هو الصواب وقال عياض إنه الأظهر ا.هـ قلت وهو الأصلح والأصح إن شاء الله تعالى فقالت: أكل بعضى بعضاً «أى من شدة الحر والوهج والزمهرير قوله: «فأذن لها بنفسين» لتخفيف شدتها، قال الحافظ: بفتح الفاء، والنفس معروف وهو ما يخرج من الجوف ويدخل فيه من الهواء أ هـ قوله» نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف» قال الحافظ: بالجر فيهما على البدل أو البيان ويجوز الرفع والنصب أ هـ قلت: الرفع على الخبرية والنصب على المفعولية والله أعلم. قوله: «فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير» وعند الترمذى : «فأما نفسها فى الشتاء فزمهرير وأما نفسها فى الصيف فسموم «قال الطيبى: جعل أشد مبتدأ محذوف الخبر أولى والتقدير أشد ما تجدون من الحر - والزمهرير - من ذلك النفس أ هـ بتصرف يسير قال الحافظ: والمراد بالزمهرير شدة البرد واستشكل وجوده فى النار، ولا إشكال لأن المراد بالنار محلها وفيها طبقة زمهريرية، وفى الحديث رد على من زعم من المعتزلة وغيرهم أن النار لا تخلق إلا يوم القيامة أ هـ والله أعلم: قال القاضى[1] : وجعل الله تعالى فيها إدراكاً وتمييزاً بحيث تكلمت بهذا ومذهب أهل السنة أن النار مخلوقة أهـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ٥ / ١٢٠ .

المبحث الثامن

بعث النار

٦٤٦ - عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ : «يَقُولُ اللَّهُ (يا آدم) فيقول : لَبَّيْك ، وسَعْدَيْك ، والخَيرُ في يَدَيْكَ ، قال : يقول : (أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ) ، قال : وما بَعْثُ النار؟ قال : (من كُلِّ أَلْف تسْعمائة و تسْعة وتسْعين) ، فذاكَ حين يَشيبُ الصَّغيرُ ، (وتَضَعُ كُلُّ ذَات حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَ ما هُمْ بسُكَرَى ولكنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَديدٌ) فاشْتَدَّ ذلك عليهم فقالوا : يا رَسُولَ اللَّه ، أَيَّنا ذلكَ الرَّجُلُ؟ قال : «أَبْشرُوا !! فَإِنَّ من يَأْجُوجَ ومأجُوجَ أَلْفاً ومنْكُم رَجُلٌ .....».

---

٦٤٦ - أخرجه البخارى في صحيحه ٢٤ / ١٩٥ فى الرقاق، باب الحشر، ح ٦٥٣٠.

وأخرجه البخارى فى صحيحه١٣ / ١٢٧ فى أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ح ٣٣٤٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٩٧ فى الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.

المعنى

يروى لنا أبو سعيد عن رسول الله ﷺ عن رب العزة عز وجل أنه يقول يوم القيامة «يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك» أدب جم لآدم عليه السلام مع رب العالمين حيث سارع بإجابة النداء وأظهر السعادة بذلك ونسب الخير إلى الله عز وجل دون الشر مع أن الأمر كله بيده سبحانه. وقد تقدم معنى قوله «لبيك وسعديك» وأما معنى قوله «والخير فى يديك» قال النووى[1] : معنى فى يديك: عندك أ هـ =

---

(١) شرح مسلم ٣ / ٩٧ .

= وقال الحافظ [١] : فى الاقتصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب وإلا فالشر أيضاً بتقدير الله كالخير أ هـ قوله: «وقال: يقول: أخرج بعث النار» قال الحافظ: والبعث بمعنى المبعوث وأصلها فى السرايا التى يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناها هنا ميز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء فقد رآه النبى ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة أ هـ قوله «قال:وما بعث النار« أى كم يا رب بعث النار ودلالة السياق تؤدى إلى هذا المعنى قال الحافظ: الواو عاطفة على شئ محذوف تقديره سمعت وأطعت وما بعث النار أى وما مقدار مبعوث النار؟ أ هـ وقال النووى: ومعناه ميز أهل النار من غيرهم أ هـ قوله: «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين»

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافراً ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً والعلم عند الله تعالى أ هـ قوله: «فذاك حيث يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[٢] قال الكرمانى[٣] فإن قلت يوم القيامة ليس فيه حمل ولا وضع قلت اختلفوا فى وقت ذلك فقيل هو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فهو حقيقة وقيل هو مجاز عن الهول والشدة يعنى لو تصورت الحوامل هنالك لوضعت حملها كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب منه الولدان. أ هـ قلت لكن إذا قالت شابت منه الولدان فليس تمثيل كما فى الآية الكريمة ليس فيها تمثيل إنما هو اخبار من أصدق القائلين سبحانه لذلك قال الحافظ: وأقول يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن كل أحد يبعث على ما مات =

(١) فتح البارى ٢٤ / ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨ .

(٢) سورة الحج آية (٢).

(٣) شرح الكرمانى للبخارى.

عليه، فتبعث الحامل حاملاً والمرضع مرضعة والطفل طفلاً فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى وقيل النفخة الثانية ويكون خاصاً بالموجودين حينئذ وتكون الإشارة بقوله «فذاك» إلى يوم القيامة وهو صريح في الآية ثم قال: والحاصل أن يوم القيامة يطلق على بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار. أ هـ قوله: «فأشتد ذلك عليهم» أي شق عليهم ما سمعوا وأحزنهم وأهمهم قوله: «فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل» أي الذي هو من أهل الجنة من الألف أصحاب النار قال الطيبي: يحتمل أن يكون الاستفهام على حقيقته فكان حق الجواب أن ذلك الواحد فلان أو من يتصف بالصفة الفلانية ويحتمل أن يكون استعظاماً لذلك الأمر واستشعاراً للخوف منه، فلذلك وقع الجواب بقوله: «قال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل» أ هـ أي أن الواحد من أهل الجنة منكم والتسعمائة وتسعة وتسعون الذين للنار من يأجوج ومأجوج فهم كثير، قال القرطبي: قوله: «من يأجوج ومأجوج ألف، أي منهم وممن كان على الشرك مثلهم وقوله ومنكم رجل يعني من أصحابه ومن كان مؤمناً مثلهم. قال الحافظ: وحاصله أن الإشارة بقول منكم إلى مسلمين من جميع الأمم، وقد أشار إلى ذلك في حديث ابن مسعود بقوله: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة» أ هـ قلت ولفظ الحديث عن أبي هريرة [1] : قال ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢ / ١٦٠ في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه، ح ١٨٧ / ١١١ .

المبحث التاسع

من أبى إلا الشرك دخل النار

٦٤٧ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة، لو أن لك ما فى الأرض من شئ أكنت تفتدى به؟ فيقول : نعم، فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم : أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بى**».

---

٦٤٧ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤/٣٣٧ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح ٦٥٥٧ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢١٢ فى الرقاق، باب : من نوقش الحساب عذب، ح٦٥٣٨.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٤٧ فى صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

المعنى

يروى لنا أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة» وفى رواية للبخارى[ب] : يجاء بالكافر يوم القيامة» فهذه بينت أنه من الكفار وأن الله تعالى يخاطبه بنفسه عز وجل والغالب أنه أبو طالب لأنه ثبت فى الصحيح أنه أهون أهل النار عذاباً فعن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: - وذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه» وسيأتى إن شاء الله تعالى شرحه وتخريجه فى الحديث ص ١٣١٧ من صفة أهل النار أعاذنا الله منها قوله: «لو أن لك ما فى الأرض من شئ أكنت تفتدى به» وعند مسلم[جـ] «لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها» أى لو كانت الأرض وما فيها من أحوال الدنيا وما فيها من متاع =

ملك لك أكنت تنفقها فداء لك لتنجو من العذاب الذى أصابك وفي رواية لمسلم(ج-) بعد الماضية: «يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملك الأرض ذهباً أكنت تفتدي به» قوله: «فيقول: نعم« أى يا رب أفتدى به وأدفعه وأتصدق به وأنفقه فى مرضاتك فداء لي من العذاب لأنجو وعند مسلم: «فيقال له كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك» أى أنت كاذب في دعواك الفداء بملء الأرض ذهباً لو كنت تملكه لتنجو لأنك قد سئلت أسهل من ذلك وأيسر عليك في فعله فما عملت قوله: فيقول:

«أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك» أى أمره الله تعالى بأيسر من الفداء بملء الأرض ذهباً أو نحوه وهو أن لا يشرك بالله تعالى شيئاً فأبى إلا الشرك وقد أمره الله تعالى بذلك وهو أى الكافر كان ما زال في صلب آدم أبينا على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قال النووى[1] : المراد بأردت في الرواية الأولى طلبت منك وأمرتك وقد أوضحه في الروايتين الأخيرتين بقوله: «قد سئلت أيسر «فيتعين تأويل أردت على ذلك جمعاً بين الروايات لأنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئاً فلا يقع ومذهب أهل الحق أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات خيرها وشرها ومنها الإيمان والكفر فهو سبحانه وتعالى مريد لإيمان المؤمن ومريد لكفر الكافر قلت لكنه سبحانه يحب إيمان المؤمن ويكره كفر الكافر، قال : وأما قوله فيقال له كذبت فالظاهر أن معناها أن يقال له لو رددناك إلى الدنيا وكانت لك كلها أكنت تفتدى بها فيقول: نعم فيقال له كذبت قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت ويكون هذا من معنى قوله تعالى ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾[2] ولابد من هذا التأويل ليجمع بينه وبين قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[3] أى لو كان لهم يوم القيامة ما فى الأرض جميعاً ومثله معه وأمكنهم الإفتداء لافتدوا أ هـ والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٧ / ١٤٧

(٢) سورة الأنعام آية (٢٨).

(٣) سورة الزمر آية (٤٧).

المبحث العاشر

غالب أهل النار

٦٤٨ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إنى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»[1]

٦٤٩ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ : «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قط قط: فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً**»[2] .

---

٦٤٨ - أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٩٥ أبواب صفه جهنم، باب ما جاء فى صفة النار أعاذنا الله تعالى منها بمنه ح ٢٦٩٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط ١ / ١٠٣ ح ٣١٨ شاهداً عن أبى سعيد.

وأخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط ٤ / ٢٠٣ ح ٣٩٨١ شاهداً عن أبى سعيد.

٦٤٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٢٢٧ فى التفسير، تفسير سورة ق، ح ٤٨٥٠ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٨١ فى باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

قوله: «سقطهم» بفتح السين والقاف أى ضعفاؤهم والمتحقرون منهم أ هـ شرح مسلم ١٧ / ١٨١ .

قوله: «قط قط»: بإسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة ومعناها حسبى أى يكفينى أ هـ شرح مسلم ١٧ / ١٨٢٠ .

قوله: «يزوى بعضها إلى بعض» أى تجتمع وتلتقى على من فيها أ هـ مسلم ١٨٢/١٧ .

المعنى

يروى لنا أبو هريره عن نبينا ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة» أى يخرج جانب يمتد من النار يوم القيامة لزيادة الترهيب وغيظاً على أصحاب المعاصى والعناد لرب العباد قال ابن الأثير[1] وفيه: «يخرج عنق من النار» أى طائفة منها أ هـ قال صاحب التحفة [2] وقال المنذرى فى الترغيب بعد ذكر هذا الحديث: العنق بضم العين والنون أى طائفة وجانب من النار أ هـ قال القارى: والظاهر أن المراد بالعنق الجيد على ما هو المعروف فى اللغة إذ لا صارف عن ظاهره والمعنى أنه تخرج قطعة من النار على هيئة الرقبة الطويلة أ هـ هذا رأى طيب، قال صاحب التحفة: قلت الأمر عندى كما قال القارى والله تعالى أعلم أ هـ والأمر عندى أيضاً كما قال القارى وكما ارتضى صاحب التحفة فيما مضى وفى قوله ﷺ : «له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق» فلا مانع من الحمل على الظاهر إذ لا صارف ولا يمتنع فى =

(١) النهاية ٣ / ٣١٠ .

(٢) التحفة ٧ / ٢٩٥ .

= قدرة الله عز وجل أن يحدث ذلك فالله على كل شئ قدير قوله: «يقول»: قال صاحب التحفة: بصيغة التذكير وهو بدل من ينطق أو حال أ هـ قوله: «وإني وكلت بثلاثة» أي وكلني الله عز وجل بخطف ثلاثة أنواع من العصاه وتعذيبهم عندى فى النار قال صاحب التحفة: أي وكلني الله تعالى بأن أدخل هؤلاء الثلاثة النار وأعذبهم بالفضيحة على رؤوس الأشهاد أ هـ قوله: «بكل جبار عنيد» قال ابن الأثير[1] : الجبار: المتكبر العاتي والعنيد: الجائر عن القصد الباغي الذى يرد الحق مع العلم به أ هـ بتصرف يسير قوله: «وبكل من دعا مع الله الهاً ءاخر» كما قال عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾[2] قوله: «وبالمصورين» كما قال نبينا ﷺ أشد الناس عذاباً يوم القيامه المصورون ... الحديث [3] وقال ﷺ «كل مصور فى النار ... الحديث» [4] والله أعلم وعند الطبرانى[ب] بدلاً من المصورين «ومن قتل نفساً بغير حق» فهذا أيضاً يدخل فى هذا الوعيد ويناله من ذلك العذاب لتحريم قتل النفس بغير الحق والله أعلم. يقول فيه نبينا ﷺ «تحاجت الجنة والنار» أى اختصمتا تفاخراً قال الحافظ ابن حجر[5] : تحاجت أى تخاصمت أ هـ وقال النووى [6] : هذا الحديث على ظاهره وأن الله تعالى جعل فى النار والجنة تمييزاً تدركان به فتحاجتا أ هـ قوله: «فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين» أى =

---

(١) النهاية ١ / ٢٣٦، ٣ / ٣٠٨ .
(٢) سورة الفرقان آية (٦٨).
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٤ / ١٢٩ فى اللباس والزينه ح ٢١٠٩/٩٨ باب تحريم تصوير الحيوان ... إلخ.
(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤ /١٣٠ فى اللباس والزينه ح ٢١١٠/٩٩ باب تحريم تصوير الحيوان ... إلخ.
(٥) فتح البارى ١٨ / ٢٢٧ .
(٦) شرح مسلم ١٧ / ١٨١، ١٨٢ .

= أنا صاحبتهم آكلهم وأعذبهم بما تلبسا به من آثار تلك الصفتين اللتين وقعا بسببهما قال الحافظ: قيل هم بمعنى وقيل المتكبر المتعاظم بما ليس فيه، والمتجبر الممنوع الذى لا يوصل إليه وقيل الذى لا يكترث بأمر. أهـ قوله : «وقالت الجنة: ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم» أى أنا غالب من يدخلنى هم الضعفاء الصالحون المغلوبون المتواضعون العاجزون عن طلب الدنيا والترأس فيها وعند مسلم: «وقالت الجنة فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم» قال النووى: أما سقطهم بفتح السين والقاف أى ضعفاؤهم والمتحقرون منهم وأما عجزهم فبفتح العين والجيم جمع عاجز أى العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة أ هـ وقال الحافظ: «سقطهم» بفتحتين أى المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ماعند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له فى غاية التواضع لله والذلة فى عباده فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح أو المراد بالحصر فى قوله الجنة «إلا ضعفاء الناس» الأغلب أ هـ قوله: «قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى» أى أن الجنة رحمة خلقها رحمة ودخولها رحمة ونعيمها رحمة وكلها رحمة يرحم الله عز وجل بها من شاء له سبحانه الرحمة والنعيم والنجاة والفوز والفلاح والسعادة ودوام الخلد فى دار الخلد قوله «وقال للنار : إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى» أى أن النار عذاب خلقها عذاب وتكوينها عذاب ورؤيتها عذاب ورائحتها عذاب بل وصوتها عذاب وخزنتها عذاب رؤيتهم ومعاملتهم يعذب الله بها من شاء من عباده قوله: «ولكل واحدة منهما ملؤها» أى أن الله تعالى قدر أن يملأ الجنة بأهل لها والنار بأهل لها قال الحافظ وملؤها بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة قوله «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض » أما قوله يضع الله تبارك وتعالى رجله» فأولى التأويلات ما كان عليه جمهور السلف وذكره النووى فى قولين هذا أحدهما =

= فقال: وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين أحدهما وهو قول جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أن لا يتكلم فى تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها أ هـ ملخصاً يسيراً. قال ومعنى يزوى يضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقى على من فيها ومعنى قط حسبى أى يكفينى هذا وفيه ثلاث لغات قط قط باسكان الطاء فيهما وبكسرها منونه وغير منونه أ هـ قوله: ﷺ: «ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً» سبحانه قال تعالى ﴿وما ربك **بظلام للعبيد**﴾[1] قوله ﷺ «وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً» قال النووى: هذا دليل لأهل السنة أن الثواب ليس متوقفاً على الأعمال، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون فى الجنة ما يعطون بغير عمل ومثله أمر الأطفال والمجانين الذين لم يعملوا طاعة قط فكلهم فى الجنة برحمة الله تعالى وفضله وفى هذا الحديث دليل على عظم سعة الجنة فقد جاء فى الصحيح أن للواحد فيها مثل الدنيا وعشرة[2] أمثالها ثم يبقى فيها شئ لخلق ينشئهم الله تعالى أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة فصلت آية (٤٦).

(٢) سيأتى إن شاء الله تعالى فى صفة الجنة ونعيمها وأهلها.

المبحث الحادى عشر

أول من سيب السوائب فى النار ومن تبعه

٦٥٠ ـ عن أبى هريرة قال قال النبى ﷺ: «رَأَيْتُ عَمرو بنَ عَامر بن لحى الخزاعى يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ وكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السّوَائِبَ».

---

٦٥٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ٣٠، ٣١ فى المناقب، باب قصة خزاعة، ح ٣٥٢١ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٨٩ فى باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

قوله: «قصبه» بالضم: المعى وقيل اسم للأمعاء كلها، وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء أ هـ نهاية ٤ / ٦٧ .

قوله «سيب السوائب» قال ابن الأثير: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من مرض أو غير ذلك قال: ناقتى سائبة، فلا تمنع من ماء ولامرعى، ولا تحلب ولا تركب أ هـ نهاية ٢ / ٤٣١ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى يجر قصبه فى النار» وعند مسلم: «رأيت عمرو بن لحى بن قمعه بن خندف أخا بنى كعب هؤلاء يجر قصبه فى النار» وفى رواية للبخارى قبل رواية الحديث مرفوعاً» عمرو بن لحى بن قمعة بن خِندِف أبو خُزاعة» لقد رآه رسول الله ﷺ عندما رأي النار فرآه مع أهل النار بسبب سنه عبادة الأصنام وتسيب السوائب قال الكرمانى[1] : «خزاعة» بضم المعجمة وتخفيف الزاى وبالمهملة و«عمرو بن لحى» بضم اللام وفتح المهملة ـ أى الحاء ـ وتشديد الياء ـ أى التحتانية ـ «ابن قمعة» بفتح القاف والميم وتخفيفها وبإهمال العين «ابن خندف» بكسر المعجمة وسكون النون وكسر المهملة وبالفاء وهى أم =

---

(١) شرح البخارى للكرمانى ١٤ / ١٢٨ .

= القبيلة فلا ينصرف ـ أى ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ـ و«قمعة» منسوب إلى الأم وإلا فأبوه اسمه إلياس بن مضر «أبو خزاعة» أى أبو حى من الأترد أ هـ بتصرف وقوله «يجر قصبة فى النار» قال النووى[1] : وأما قصبه فبضم القاف وإسكان الصاد قال الأكثرون يعنى أمعاءه أ هـ وسبب ذلك العذاب قوله ﷺ : «وكان أول من سيب السوائب» وقد أخرج البخارى[2] : فى التفسير بسنده عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم.

لا يحمل عليها شئ «قال الحافظ[3] قال أبو عبيدة : كانت السائبة من جميع الأنعام وتكون من النذور للأصنام فتسيب فلا تحبس عن مرعى ولا عن ماء ولا يركبها أحد، قال «وقيل السائبة لا تكون إلا من الإبل كان الرجل ينذر إن برئ من مرضه أو قدم من سفره ليسيبن بعيراً» أ هـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٧ / ١٨٩ .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٧ / ١٥٥ فى تفسير سورة المائدة ح ٤٦٢٣ .
(٣) فتح البارى ١٧ / ١٥٦ .

المبحث الثاني عشر

في أكثر أهل النار

٦٥١ ـ عن عبد الرحمن بن شبل قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الفُسَّاقَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ» قيل يا رسول الله: ومن الفساق؟ قال «النساءُ» قال رجل: يا رسول الله أوَ لَسْنَ أُمَّهَاتنا وأَخَوَاتنا وأَزْوَاجنا؟ قال: «بلى وَلكِنَّهُنَّ إِذَا أُعطِين لَمْ يَشْكُرْنَ وإِذا ابْتُلِينَ لَم يَصْبِرْنَ**».

---

٦٥١ ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٤٢٨ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٩٤ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الحبراني وهو ثقة.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٦٠٤ ـ ٦٤٧ في الأهوال ح ٨٧٨٧ .

المعنى

يخبرنا عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «إن الفساق هم أهل النار» أي غالب أهل النار هم الفساق لذلك ترجم الهيثمي على هذا الحديث باب في أكثر أهل النار والفاسق هو الذي يخرج بالمعاصي عن طاعة الله تعالى قال ابن الأثير[1] : أصل الفسوق: الخروج عن الاستقامة، والجور، وبه سمي العاصي فاسقاً أ.هـ قوله: «قالوا: يا رسول الله وما الفساق؟» هم يسألون ـ عن المعنى الاصطلاحي الشرعي فهم عرب يعلمون المعنى اللغوي ولأنهم كثيراً ما يجدون ألفاظاً لها عدة معاني فلا يعرفون أي معنى يريده رسول الله ﷺ فلذلك هم يسألون كما سألوا لما لم يفهموا معنى قوله تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾[2] حتى بينها لهم رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿**ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾[3]،

---

(١) نهاية ٣ / ٤٤٦ .

(٢) سورة الأنعام آية (٨٢)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧ / ١٦٨ في تفسير سورة الأنعام باب ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ ح٤٦٧٩ .

قوله: «قال النساء» أي هن المعنيات بهذا الحديث فهو نوع خاص من الفساق قصده أي رسول الله ﷺ فهن يخرجن عن طاعة الله تعالى كثيراً بكفرهن بالنعمة وكشفهن عوراتهن واختلاطهن وعدم صبرهن على ما أصابهن، قوله: «قال رجل: يا رسول الله أو لسن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا» وعند الحاكم «أليس»(ب) أي أليس هؤلاء الفساق اللائى حدثن عنهن من النساء منهن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا» قوله: «قال: بلى» أي منهن أمهاتكم وأخواتكم ونساؤكم اللائى خرجن عن الطاعة بتلك الصفات الآتية قوله: ﷺ «ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن» أي من اتصف منهن بتلك الصفات هن الفاسقات اللائى هن أكثر أهل النار وهن اللائى إذا أعطين وأحسن إليهن لم يشكرن الإحسان كما في الصحيحين فقد «قال ﷺ: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله، قال» تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»[1] قوله «وإذا ابتلين لم يصبرن» أي إذا أصابهن بلاء اضجرن وجدعن وشققن الجيوب ولطمن الخدود وحلقن وصلقن فلذلك في الحديث الصحيح[2] «فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة» فمن كانت منهن فيها تلك الصفات فهي من الفاسقات ومن تابت وأنابت ورجعت وتبرأت نجت بإذن الله تعالى والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢ / ٢١٨ في الحيض، باب الحائض والصوم، ح ٣٠٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢ / ١٤٥ في الإيمان ح ١٦٧ / ١٠٤ باب تحريم ضرب الخدود.

المبحث الثالث عشر

قول النبى ﷺ «صنفان من أهل النار لم أراهما»

٦٥٢ - عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات، عاريات، مميلات، مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»**.

---

٦٥٢ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٩٠ فى باب جهنم أعاذنا الله منها.

وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٣٥٦، ٤٤٠ بلفظ مقارب وذكر النساء قبل أصحاب السياط

قوله: «أسنمة البخت» أى يعظمن رؤسهن بالخمر والعمائم وغيرهما مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخث. أ هـ شرح مسلم ١٧ / ١٩١ .

المعنى

يروى لنا أبو هريرة عن نبينا ﷺ أنه قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما» أى أن هناك صنفين من الناس سيدخلون النار والعياذ بالله بأعمال عملوها أوبقتهم قوله: «قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس» وفى رواية لمسلم[١] يقول رسول الله ﷺ : «إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون فى سخط الله ويروحون فى لعنته فى أيديهم مثل أذناب البقر» أى قوم معهم سياط تشبه ذيول البقر يعتدون بها على الناس ضرباً أقرب الناس شبها بهم فى زماننا جنود المركزى وعصيانهم المسماه بالخرزانات قال النووى[٢] أيضاً يحكى حال زمانه الذى هو جد لزماننا قال: فأما =

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٩٠ فى باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها بعد حديث الباب من حديث أبى هريرة رفعه.

(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٩٠ / ١٩١ .

= أصحاب السياط فهم غلمان والى الشرطة أ هـ قوله ﷺ: «ونساء كاسيات عاريات» أى أن الصنف الثانى من أهل النار الذى لم يره نبينا ﷺ حتى قبل النبوة لم يره ﷺ فى جاهلية قريش ومن حولها لم ير هذا الأمر المفزع الذى يأباه كل صاحب فطرة مستقيمة لم تنتكس له طبيعة دموية، هذا الأمر هو ظهور النساء كاسيات عاريات لبعض أجسادهن عاريات كاشفات للبعض الآخر فاتنات للذكور مغضبات لرب البريات مسخطات لذوى القلوب التقيات، قال النووى أما الكاسيات ففيه أوجه أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، والثانى كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات، والثالث تكشف شيئاً من بدنها إظهاراً لجمالها فهن كاسيات عاريات والرابع يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها كاسيات عاريات فى المعنى - «مائلات مميلات» فقيل زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها ومميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن، وقيل مائلات متبخترات فى مشيتهن مميلات أكتافهن، وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا معروفة لهن مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة وقيل مائلات إلى الرجال مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها أ.هـ قلت وكل تلك الصفات والتأويلات لا تتخلف صفة منهن عن التى تبدى شيئاً مم حرم الله كشفه من جسد المرأة فكل جسدها عورة، قال نبينا ﷺ «المرأة عورة، وأنها إذا خرجت استشرفها الشيطان، وإنها لا تكون إلى وجه الله أقرب منها فى قعر بيتها» [1] قوله «رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة» مما كشفوه أيضاً الرؤوس وعظموها وشكلوها على غير ترجيل المسلمات بل على ما درج عليه نساء العجم والبغايا. قال النووى: وأما رؤوسهن كأسنمة البخت فمعناه: يعظمن رؤوسهن بالخمر والعمائم وغيرهما مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت هذا هو المشهور فى تفسيره، قال المازرى : =

---

(١) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ٣ / ٩٣ فى جماع أبواب صلاة النساء فى الجماعة، باب الزجر عن شهود المرأة المسجد متعطرة، ح ١٦٨٦ .

= ويجوز أن يكون معناه يطمعن إلى الرجال ولا يغضضن عنهن ولا ينكسن رؤوسهن وإختار القاضى أن المائلات تمشطن المشط الميلاء، قال وهى ضفر الغدائر وشدها إلى فوق وجمعها فى وسط الرأس فتصير كأسنمة البخث قال وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لإرتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام. قال ابن دريد: يقال ناقة ميلاء إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها والله أعلم أ هـ قوله ﷺ لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» هذه عقوبة أصحاب السياط والكاسيات العاريات أنهم لا يدخلون الجنة ولا يدخلن ولا حتى الرائحة التى هى من مسيرة أعوام لا يشمونها ويشممنها، قال النووى محمول على من استحلت حراماً مع ذلك مع علمها بتحريمه فتكون كافرة مخلدة فى النار لا تدخل الجنة أبداً والثانى يحمل على أنها لا تدخل أول الأمر مع الفائزين والله أعلم أ هـ قوله: «وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» أى أن رائحة الجنة تشم من مسيرة أعوام كما قال أنس بن النضر رضى الله عنه: «يا سعد بن معاذ: الجنة ورب النضر إنى أجد ريحها من دون أحد»[1] والله أعلم.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٨٣ فى الجهاد، ح ٢٨٠٥.

المبحث الرابع عشر

قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها»

٦٥٣ ـ عن السدى قال: سألت مرة عن قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فحدثنى أن عبد الله بن مسعود حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثم يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ، ثم كالرِّيحِ، ثم كَحُضْرِ الفَرَسِ ثم كالرَّاكِبِ فى رَحْلِهِ، ثم كَشَدِّ الرَّجُلِ ثم كَمَشْيِهِ**».

---

٦٥٣ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٨/٦٠٧، فى التفسير، تفسير سورة مريم، ح ٥١٦٩ وقال هذا حديث حسن.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٥٨٦ / ٦٢٩ ح ٨٧٤١ بلفظه فى الأهوال وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم قوله: «ثم يصدرون عنها» بضم الدال أى يتصرفون عنها فإن الصدر إذا عدى بعن اقتضى الانصراف وهذا على الاتساع ومعناه النجاة أ هـ تحفة ٨ / ٦٠٦، ٦٠٧، قوله: «ثم كحضر الفرس» ـ الحضر: العدو بضم الحاء وأحضر يحضر فهو محضر إذا عدا أ هـ نهاية ١ / ٣٩٨ .

قوله: «ثم كشد الرجل» قال الطيبى: أى عدوه أ هـ تحفة ٨ / ٦٠٦، ٦٠٧ .

المعنى

يقول إسماعيل السدى سألت مرة الهمدانى عن قول الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[1] ـ أى عن تأويلها، «فحدثنى أن عبد الله بن مسعود حدثهم ـ أى أولاهم بالحديث المرفوع ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار» قال الحافظ: اختلف السلف فى المراد بالورود فى الآية فقيل هو الدخول ثم ذكر حديثاً أخرجه الحاكم من حديث جابر مرفوعاً: «الورود»: الدخول لا يبقى براً ولا فاجراً إلا دخلها فتكون على =

---

(١) سورة مريم آية (٧١)

= المؤمن برداً وسلاماً»[1] ثم قال: وقيل المراد بالورود: الممر عليها أ هـ وقال الطبري في تفسيره[2] : وقال آخرون بل هو الممر عليها ثم ذكر بسنده ح ٢٣٨٤٤ إلى قتاده ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ يعني جهنم مر الناس عليها وفي رواية بعدها قال: هو الممر عليها أ هـ قال الحافظ: وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم أ هـ قوله: «ثم يصدرون بأعمالهم» قال صاحب التحفة: بضم الدال أي ينصرفون عنها، فإن الصدر إذا عدى بعن اقتضى الانصراف، وهذا على الاتساع ومعناه النجاة أ هـ قوله: «بأعمالهم» قال صاحب التحفة: أي بحسب مراتب أعمالهم الصالحة أ هـ قال القاري[3] : الحاصل أن الخلق بعد شروعهم في الورود يتخلصون من خوف النار ومشاهدة رؤيتها ولاصقة لهبها ودخانها وتعلق شوكها وأمثاله على مراتب شتى في سرعة المجاوزة وابطائها أ هـ قوله: «فأولهم» أي أسبقهم» كلمح البرق» أي كسرعة مروره» ثم كحضر الفرس «أي جرية»، وهو بضم الحاء وسكون الضاد: العدو الشديد» ثم كالراكب في رحله » أي على راحلته وعداه بفي لتمكنه من السير قال الطيبي «ثم كشد الرجل» أي عدوه «ثم كمشيه» أي كمشي الرجل على هيئته أ هـ والله أعلم فاللهم اجعل مرورنا لا يقل عن حضر الفرس يا رب العرش العظيم.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٥٨٧ / ٦٣٠ في الأهوال ح ٨٧٤٤ .
(٢) تفسير الطبري لسورة مريم ٨ / ١٣٦٥ آية ٧١ .
(٣) تحفة الأحوذي ٨ / ٦٠٦، ٦٠٧ .

المبحث الخامس عشر

كل عتل جواظ مستكبر فى النار

٦٥٤ ـ عن حارثة بن وهب الخزاعى قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضعيف مُتَضَعَّفٍ لو أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، ألا أخبركم بأهل النَار كل عُتُلٍ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»**.

---

٦٥٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٣٠٦ فى التفسير، تفسير سورة ن ، ح ٤٩١٨ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٢ / ٢٨٥ فى الأدب، باب الكبر، ح ٦٠٧١ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٨٦ فى باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

قوله «عتل» هو الشديد الجافى، والفظ الغليظ من الناس أ هـ نهاية ٣ / ١٨٠ .

قوله: «جواظ» بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال فى مشيته وقيل القصير البطين أ هـ شرح مسلم ١٧ / ١٨٨ .

المعنى

يروى لنا حارثة بن وهب رضى الله عنه عن النبى ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة» أى ألا أدلكم على غالب ساكنى الجنة من المؤمنين، وعند مسلم قالوا: «بلى» أى أخبرنا يا رسول الله قال ﷺ: «كل ضعيف متضعف» وعند الحاكم[1] من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «أهل النار كل جعظرى مستكبر جماع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون» قال الحافظ [2] : والمراد بالضعيف مَنْ نَفْسُهُ ضعيفه لتواضعه وضعف حاله فى الدنيا، والمستضعف، والمستضعف المحتقر لخموله فى الدنيا أ هـ قوله =

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٥٤٢ / ٤٩٩ فى تفسير سورة القلم ح ٣٨٤٤ وقال صحيح على شرط مسلم .

(٢) فتح البارى ١٨ / ٣٠٦، ٣٠٧ .

= «لو أقسم على الله لأبره» قال النووى[1] : معناه لو حلف يميناً طمعاً فى كرم الله تعالى بأبراره هولأبره أ هـ قوله: «ألا أخبركم بأهل النار» أى ألا أدلكم على غالب الواقعين فى جهنم بذنوبهم وعند مسلم: «قالوا»بلى» أى أخبرنا يا رسول الله وعلمنا قال: ﷺ «كل عتل جواظ مستكبر» وفى رواية لمسلم ص ١٨٧ «كل جواظ زنيم متكبر» وعند الحاكم: كل جَعظَرِىٍّ جواظ «مستكبر جماع» قال الحافظ: قوله «عتل» بضم المهملة والمثناه بعدها لام ثقيلة: قال الفراء: الشديد الخصومة وقيل الجافى عن الموعظة وقال أبو عبيدة الفظ الشديد من كل شئ وهى هنا الكافر وقال الحسن: الفاحش الآثم وقال الخطابى الغليظ العنيف وقال الداودى السمين العظيم العنق والبطن وقال الهروى الجموع المنوع وقيل القصير البطين أ هـ قوله: «جواظ» قال النووى بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة الجموع المنوع وقيل كثير اللحم المختال فى مشيته وقيل القصير البطين وأما «الزنيم» فهو الدعى فى النسب الملصق بالقوم وليس منهم شبه بزنمة الشاة أ هـ قوله «مستكبر» قال النووى: هو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس أ هـ وقوله «جعظَرِى» قال الحافظ بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة وآخره راء مكسورة ثم تحتانية ثقيلة قيل هو الفظ الغليظ وقيل الذى لا يمرض، وقيل الذى يتمدح بما ليس فيه أو عنده أ هـ والله أعلم ونسأل الله العافية.

(١) شرح مسلم ١٧ / ١٨٦

المبحث السادس عشر

قوله تعالى: ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ﴾

٦٥٥ ـ عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يُحْشَرُ الكافر على وجهه؟ قال: «**أَلَيْسَ الَّذى أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فى الدُنيا قَادِراً على أَنْ يُمْشِيَهُ على وَجْهِه يومَ القِيامَة» قال قتادة: بلى: وَعِزَّةِ رَبِّنَا.**

---

٦٥٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٨٦ فى الرقاق، باب الحشر، ح ٦٥٢٣.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٤٨ فى صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٢٥٤ .

المعنى

يروى لنا أنس رضى الله عنه أن رجلاً «قال ابن حجر[١] : لم أقف على اسمه أ.هـ» قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه كما قال تعالى: ﴿ الَّذين يحشرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جهَنَّم... الآية﴾[٢] : وقوله تعالى ﴿ ونحشرهم يوم القيامَة عَلَىٰ وُجُوهِهِم عُمْيًا وَبُكْمًا وصُمًّا... الآية ﴾[٣] : أى كيف يحشر ماشياً على وجه وهو أمر غير معقول عند الناس فى الدنيا إنما المشى يكون على الأقدام والأرجل والوجه ليس فيه وسيلة مشى قال الحافظ: ظاهره فى أن المراد بالمشى حقيقته فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته أ هـ قوله ﷺ : «أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» أى أليس ربنا سبحانه الذى بقدرته =

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ١٨٦ .

(٢) سورة الفرقان آية (٣٤).

(٣) سورة الإسراء آية (٩٧)

أمشى الانسان على رجلين مشياً سويا على رجلين فقط فى الدنيا قادراً أيضاً كما قدر على غير ذلك أن يجعله يمشى على وجهه يوم القيامة؟ بلى وهو على كل شئ قدير، لذلك قال قتادة الراوى عن أنس رضى الله عنه ورحمة الله تعالى : «بلى وعزة ربنا» أى بلى هو قادر على ذلك وعزة الله يحلف بها لأنه سبحانه عزيز لا يغلب ولا يمانع، قال الحافظ: فالجواب الصادر عن النبى ﷺ ظاهر فى تقرير المشى على حقيقته والحكمة فى حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله فى الدنيا بأن يسحب على وجهه فى القيامة إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله فى التوقى عن المؤذيات أ هـ والله أعلم ونسأله العفو والعافية والمعافاة.

المبحث السابع عشر

جهنم لها سبعون ألف زمام

٦٥٦ ـ عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ :« **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** »

---

٦٥٦ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٧٩ فى باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

وأخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٩٤ فى صفة جهنم، باب ما جاء فى صفة النار.

قوله «زمام» بكسر الزاى وهو ما يشد به رؤوسها من حبل وسير أ هـ ٧ / ٢٩٤ وقال ابن الأثير فى أصل الزمام: هو أن يخرق الأنف ويعمل فيه كزمام الناقة ليقاد به أ.هـ ٢ / ٣١٤ .

المعنى

يروى لنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: يؤتى بجهنم لها سبعون أُلف زمام «أى يوم القيامة يأمر الله عز وجل بالنار فيؤتى بها ليراها أصحابها فيزدادو رعباً على رعبهم وهلعاً على هلعهم وهذا من الأمور العظيمة المخبئة التى لا يشعر الناس بحقيقتها التى جعلت نبينا ﷺ يقول: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً»[١] قال صاحب التحفة [٢] : «يؤتى بجهنم» الباء للتعدية أى يؤتى بها من المكان الذى خلقها الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى فيه ﴿ وجئ يومئذ بجهنم ﴾[٣] ، يومئذ «أى يوم القيامة» لها سبعون ألف زمام» بكسر الزاى وهو ما يشد به رؤوسها من حبل وسير «يجرونها» بتشديد الراء أى يسحبونها، قال فى اللمعات: لعل جهنم يؤتى بها فى الموقف ليراها الناس هيباً لهم أ هـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١١١ فى الرقاق ٦٤٨٥، ٦٤٨٦ .

(٢) تحفة الأحوذى ٧ / ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩ .

(٣) سورة الفجر (٢٣).

المبحث الثامن عشر

للنار خازن يوقدها

وعذاب الزناة وآكلى الربا والنائمين عن تلاوة القرآن ليلاً من أصحابه

٦٥٧ - عن سمرة بن جندب رضى الله عنه - فى حديث رؤيا النبى ﷺ فى المنام قال بعد أن رأى ما عجب منه للملكان قال: «قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فيكُمَا، ذَرَانى فَأَدْخُلَه؛ قالا: أَمَّا الآنَ فَلاَ، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ» قال: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّى قَدْ رَأَيتُ مُنْذُ الليلة عجباً، فَمَا هَذَا الَّذى رَأَيْتُ؟ قال: قالا لى: إما إنا سَنُخْبِرُكَ: أما الرجلُ الأولُ الذى أتيتَ عليه يُثْلَغُ رَأْسُهُ بالحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يأخذ القرآن فَيَرفضُهُ وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجلُ الذى أتيتَ عليه يُشرشَرُ شدقُهُ إلى قَفَاهُ ومنْخَرُهُ إلى قَفَاهُ وعَيْنُهُ إلى قَفَاهُ فإنه الرجلُ يَغْدُو من بيته فيكذبُ - الكَذِبَةَ تَبْلُغُ الآفَاق، وأما الرجالُ والنساءُ العُرَاةُ الذين فى مثل بناء التَّنُّور فهم الزُّنَاةُ والزَّوانى، وأما الرجلُ الذى أتيتَ عليه يسبحُ فى النهر، ويُلْقَمُ الحجرُ فإنه آكلُ الربا، وأما الرجلُ الكريهُ المرآةُ الذى عند النار يَحُشُّهَا، ويسعى حولها فإنه مالكٌ خازنُ جهنَّمَ، وأما الرجلُ الطويلُ الذى فى الرَّوْضَةِ فإنهُ إبراهيمُ ﷺ، وأما الولدان الذين حولَهُ فكلُّ مولود مات على الفطْرَة» قال: فقال بعض المسلمين: يا رسولَ الله: وأولادُ المشركين، فقال رسولُ الله ﷺ «وأولادُ المشركين» وأما القومُ الذين كانوا شَطْراً منهم حَسَنٌ وشَطْراً قَبيحٌ: فإنهم قوم خلطُوا عَمَلاً صالحاً وءاخر سيِّئاً تجاوزَ اللهُ عنهم» وفى رواية الجنائز والدار الأولى التى دخلت دارُ عامَّة المُؤْمنين،

وأما هَذه الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فرفعتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قالا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قلت: دعاني أَدْخُلُ مَنْزِلِي، قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَو اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ».

---

٦٥٧ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٦ / ٢٩٧ فى التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ح ٧٠٤٧ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٦ / ٣٠٧ فى الجنائز، باب ح ١٣٨٦ .

قوله: «يثلغ» الثلغ: الشدخ وقيل هو ضربك الشئ الرطب بالشئ اليابس حتى ينشدخ أ هـ نهاية ١ / ٢٢٠ .

قوله: «فيرفضه» بكسر الفاء ويقال بضمها هو رفض القرآن بعد حفظه أ هـ بتصرف فتح ٢٦ / ٣٠٣ .

قوله: يشرشر شدقه إلى قفاه» أى يشققه ويقطعه أ هـ نهاية ٢ / ٤٥٩ .

قوله: «يحشها» قال ابن الأثير: فى حديث الرؤيا: «وإذا عنده نار يحشها» أى يوقدها أ هـ نهاية ١ / ٣٨٩ .

المعنى

يخبرنا سمرة بن جندب رضى الله عنه عن رسولنا ﷺ عن رؤياه ﷺ فى المنام يقول للملكين بعد أن رأى ما رأى فيقول ﷺ قال: «قلت لهما: فإنى قد رأيت منذ الليلة عجبا» أى فى هذه الليلة فى الرؤية وكما نعلم رؤيا الأنبياء وحى فكلها صدق ليس فيها أضغاث أحلام ففى الحديث[1] عن عبيد بن عمير قال: رؤيا الأنبياء وحى قرأ ﴿إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾[2] «قوله» فما هذا الذى رأيت» يعنى مما رآه ﷺ وتعجب منه من أمر الجنة ونعيمها والنار وعذابها لأهلها قوله قال لي أما إنا =

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢ / ١٢ هكذا مرسلاً وقد وصله فى موضع آخر وأخرجه هنا فى الوضوء باب التخفيف فى الوضوء ح ١٣٨ .

(٢) سورة الصافات آية (١٠٢).

سنخبرك أي سنبئك قوله أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة» أي يعلمه ربنا تعالى القرآن ويكرمه به ويحفظه إياه ثم لا يقرأه بالليل ولا يعمل به بالنهار وينام عن الصلاة المفروضة حتى يضيع وقتها قال ابن الأثير الثلغ: الشدخ وقيل هو ضربك الشئ الرطب بالشئ اليابس حتى ينشدخ أ هـ قال الحافظ[1] : «يرفضه» بكسر الفاء ويقال بضمها، قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه رأى يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب فى أشرف أعضائه وهو الرأس أ هـ قوله: «وينام عن الصلاة المكتوبة» قال الحافظ هذه تفسير لرواية جرير: بلفظ «علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار» فإنه ظاهره يعذب على ترك قراءة القرآن بالليل بخلاف رواية عوف فإنه على تركه الصلاة المكتوبة ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل اهـ. قوله وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه: فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبه تبلغ الآفاق» فهذا الكذاب عقوبة لكذبه الذى صار به من كثرته عند الله تعالى كذاباً عقوبته أن هذا الشدق الذى استعمله فى الكذب حتى جعل قفاه كذاب عوقب بالتمزيق والقطع ولأنه وسع الكلمة بترديدها كذباً فى الآفاق فوسع فمه الذى خرجت منه تلك الكلمة الكاذبة الخبيثة ولما كان للأنف مدخل فى الكذب عوقب أيضاً وقد حذر نبينا ﷺ تحذيراً شديداً من الكذب فقال ﷺ : «إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عن الله كذاباً[2]» فحذر من الكذب لأن الكذب يهدى إلى الفجور ولأن الفجور يهدى إلى النار» وقوله: «يشرشر شدقه إلى قفاه» قال ابن

---

(١) فتح البارى ٢٦ / ٣٠٣ : ٣٠٦ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٢ / ٣٠٦ فى الأدب، باب قول الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، ح ٦٠٩٤ .

= الأثير: أى يشـقه ويقطعـه أ هـ ويدل على كثرة كذبه روايةُ الجنائز ففيهـا «أما الذى رأيته يـشق شدقه فكذاب ...» إذاً الـذى هنا ليس كذبة واحـدة بل هى عادته والعـياذ بالله تعالى قال الحافظ: وإنما استحق التعذيب لما ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد وهو فيـها مختـار غير مكره ولا ملجـأ قال ابن هبيرة: لما كـان الكاذب يساعد أنفـه وعينه ولسانه على الكذب بترويج بـاطله وقعت المشاركة بينهم فى العقـوبة أ هـ قوله: «وأما الرجال والنسـاء العراة الذين فى مثل بناء التنور فهم الزناة والزوانى» عـراهم الله تعالى لتعريتـهم أنفسهم بلا حياء فـى الحرام فعاقبهم بـالفضيحة لهم أمـام الناس عذاباً وعراة والعياذ بالله تعـالى وفى قصة عذابهم لفظها» وإذا هم يأتيـهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ضوضوا» قال الحافظ: مناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عادتهم أن يستتـروا فى الخلوة فعوقبوا فى الهـتك، والحكمة فى إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى أهـ قـوله: «وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجـر فإنه آكل الربا» لأنه أكل الحرام الذى يغضب الرحـمن وأصر على ذلك ولم يتب منه قـال ابن هبيرة إنما عـوقب آكل الربا بسباحـته فى النهـر الأحمر وإلقـامه الحجارة لأن أصل الربا يجـرى فى الذهب والذهب أحمر، وأما إلقـام الملك له الحجر فإشارة إلى أنه لا يغنى عنه شـيئاً، وكذلك الربا فإن صاحبـه يتخيل أن ماله يزداد والله من ورائه ماحـقه أ هـ قـوله «وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحـشهـا ويسعى حولها» فـإنه مالك خازن جهنم» قـال ابن الأثير: «وإذا عنده نار يحشـها» أى يوقدها يقال حـششت النار أحشهـا إذا ألهبتهـا أ هـ أى الرجل الذى جعله تعالى قـبيح المنظر زيادة فى عذاب أهل النار الذى يحش النار يوقدها ويسعى حولها فهو مالك أى اسمه مـالك خـازن النار وفى رواية الجنائز: «والذى يـوقـد النار مـالك خـازن النار» قـال الحافظ: إنما كان كريه الرؤيا لأن فى ذلك زيـادة فى عذاب أهل النار أ هـ قوله: «وأما الرجل الطويل الذى فـى الروضة فـإنه إبراهيـم ﷺ» وفى الجنائز : والشـيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عـليه السلام» قال الحافظ: وإنما اختـص إبراهيم لأنه أبو المسلمين قال =

تعالى ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾[1] : وقال تعالى ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين ءامنوا والله ولى المؤمنين﴾[2] أ هـ.: قوله «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة» وفى رواية الجنائز «والصبيان حوله أولاد الناس» أى يجلسون مع أبى المؤمنين الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قوله: «قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين» قال الحافظ: وظاهره أنه ﷺ ألحقهم بأولاد المسلمين فى حكم الآخرة، ولا يعارض قوله «هم من آباءهم» لأن ذلك حكم الدنيا أ هـ قوله «وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن وشطراً قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم» كما قال تعالى ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] : قال الحافظ: فيه أن من استوت حسناته وسيئاته يتجاوز الله عنهم، اللهم تجاوز عنا برحمتك يا أرحم الراحمين أ هـ زاد فى الجنائز (ب) : «وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل» قال الحافظ: وفيه فضل الشهداء وأن منازلهم فى الجنة أرفع المنازل ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أرفع درجة من إبراهيم عليه السلام لاحتمال أن اقامته هناك بسبب كفالته الولدان ومنزله هو فى المنزلة التى هى أعلى من منازل الشهداء أ هـ ثم أخبره الملكان بأن أحدهما جبريل عليه السلام والآخر ميكائيل عليه السلام قوله: «فارفع رأسك، فرفعت رأسى فإذا فوقى مثل السحاب، قالا، ذاك منزلك، قلت: دعانى أدخل منزلى، قالا : إنه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك» هذا الكلام خاص بنبينا المصطفى ﷺ رأى منزله فوقه مثل السحاب فأراد الدخول فقيل لشخصه الشريف أنه ما زال لك عمر فى الدنيا فإذا تم العمر تم الدخول له ﷺ قال الحافظ: وفيه أن الذى له قصر فى الجنة لا يقيم فيه وهو فى الدنيا بل إذا مات حتى النبى والشهيد أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة الحج آية (٧٨) .

(٢) سورة آل عمران آية (٦٨).

(٣) سورة التوبة آية (١٠٢) .

المبحث التاسع عشر

فى أهون أهل النار عذاباً

٦٥٨ ـ عن النعمان بن بشير قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً يوْمَ القِيامَةِ رَجُلٌ عَلى أَخْمَصِ قَدمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِى مِنْهَا دِماغُهُ كَما يَغْلِى المِرْجَلُ بِالقُمْقُمْ**».

٦٥٩ـ عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «وذكر عنده عمه أبو طالب ـ فقال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتى يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُجْعَلُ فِى ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعبَيْهِ يَغْلِى مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**».

---

٦٥٨ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٤٤ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٦٢ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣/ ٨٥. ٨٦، فى الإيمان، باب التخفيف عن أبى طالب بسبب النبى ﷺ.

٦٥٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٤٥ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار ، ح ٦٥٦٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣/ ٨٥، فى الإيمان، باب التخفيف عن أبى طالب بسبب النبى ﷺ.

قوله: «أخمص قدميه» قال ابن الأثير: الأخمص من القدم: الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطء أ هـ نهاية٢/٨٠ .

قوله: «كما يغلى المرجل بالقمقم» قال الحافظ: المرجل : بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم بعدها لام: قدر من نحاس ويقال أيضاً بكل إناء يغلى فيه الماء من أى صنف كان، والقمقم : معروف من آنية العطار ويقال: هو إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء يكون من نحاس وغيره أ هـ فتح ٢٤ / ٢٤٤، ٢٤٥ .

قوله: «ضحضاح» قال ابن الأثير: الضحضاح في الأصل: ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار أ هـ نهاية ٣ / ٧٥ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «إن أهون أهل النار عذاباً» أى أقلهم وأخفهم عذاباً قوله: «رجل على أخمص قدميه» قال الحافظ ابن حجر(١) : بخاء معجمة وصاد مهملة وزن أحمر: ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم عند المشى أ هـ أى أن حجر النار يكون على هذا الجزء من باطن القدم فقط ومع ذلك يغلى منه دماغه والعياذ بالله تعالى ويظن أنه أشد أهل النار عذاباً وإنه لأهونهم قوله «جمرة يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم» هذه الجمرة تحت كل قدم ويحتمل جمرتان ففى رواية مسلم:«توضع فى أخمص قدميه جمرتان «قال ابن التين(٢) : يحتمل أن يكون الاقتصار على الجمرة للدلالة على الأخرى لعلم السامع بأن لكل أحد قدمين أ هـ وتغلى الدماغ من حرارة الجمرة التى تحت الأخمص ومن حرارة النعلين والشراكين فهو يتنعل أيضاً نعلين من نار لهما شركان من نار هذا هو أدنى العذاب فاللهم سلم سلم فعند مسلم : بعد الماضى: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً» أى من شدة تألمه يظن أنه أشد أهلها عذاباً وإنه لأقل أهلها وأهونهم عذاباً قال الحافظ: والمرجل بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم بعدها لام: قدر من نحاس، ويقال أيضاً لكل إناء يغلى فيه الماء من أى صنف كان، والقمقم معروف من آنية العطار ويقال هو إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء يكون من نحاس وغيره وقال النووى(٢) : والغليان معروف وهو شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة اتقادها يقال غلت القدر تغلى غلياناً ثم قال وفى هذا الحديث وما أشبهه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار كما أن نعيم أهل الجنة متفاوت والله أعلم أ هـ.

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) شرح مسلم ٨٩/٣ .

وفى الحديث الثانى يقول رسول الله ﷺ وقد ذكر عنده عمه أبو طالب - يعنى وما كان يفعله من دفاع عن رسول الله ﷺ ووقوف بجانبه وتسهيل سبل الدعوة إلى الله تعالى له ﷺ واحاطته بالرفق والرعاية والنصرة لكنه لم يسلم ومات على ملة عبد المطلب والعياذ بالله تعالى فعند مسلم [1] : عن العباس قال: قلت يا رسول الله : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح «قوله: ﷺ:» لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة. «أى يرجو نبينا ﷺ أن تنفعه شفاعته للتخفيف لا للخروج لذلك قال: «فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه» وتفسره رواية مسلم: «وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح» قال الحافظ: واستشكل قوله: «ﷺ» تنفعه شفاعتى» بقوله تعالى: ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾[2] وأجيب بأنه خص ولذلك عدوه فى خصائص النبى ﷺ وقيل معنى المنفعة فى الآية يخالف معنى المنفعة فى الحديث والمراد بها فى الآية الإخراج من النار وفى الحديث المنفعة للتخفيف وبهذا الجواب جزم القرطبى أ هـ وقال النووى أما الضحضاح فهو بضادين معجمتين مفتوحتين والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير فى النار وأما الغمرات فبفتح الغين والميم واحدتها غمرة باسكان الميم وهى المعظم من الشئ أ هـ والله أعلم فشفاعة نبينا ﷺ لأبى طالب بما قدمه للإسلام أخرجته من غمرات النار إلى ضحضاح النار تخفيفاً حتى أصبح أهون أهل النار عذاباً وهو يظن أنه أشدهم وهذا من خصائصه ﷺ الشفاعة لبعض أهل النار للتخفيف لا للخروج والله أعلم. وهذا الضحضاح تصل فيه النار إلى الكعبين فقط يتسبب عن ذلك غليان أم الدماغ بسبب نار الكعبين نسأل الله تعالى العفو والعافية. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٨٤ فى الإيمان.

(٢) سورة المدثر آية (٤٨).

المبحث العشرون

عقوبة من يأمر بالمعروف ولم يفعله

٦٦٠ ـ عن أسامه بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أى فلان: ما شأنك؟ «أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**».

---

٦٦٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٦٣ فى بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة ح ٣٢٦٧.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٨ / ١١٨ فى الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله.

وأخرجه أحمد فى المسند ٥ / ٢٠٥، ٢٠٦.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧ / ٥٩ فى الفتن، باب الفتنة التى تموج كموج البحر، ح ٧٠٩٨ قوله: «تندلق أقتابه» قال الكرمانى: الإندلاق بالنون، والمهملة والقاف: الخروج بسرعة والأقتاب بالقاف والفوقانية: الأمعاء يقال: اندلق السيف من غمده إذا خرج من غير أن يسل أ هـ شرح البخارى للكرمانى ١٣ / ١٩٥.

المعنى

يروى لنا أسامة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة» فيلقى فى النار» أى بسبب ما فعله من النفاق حيث يأمر بالخير وهو عَدُوٌّ لَهُ وينهى عن الشر وهو صاحب له والعياذ بالله تعالى، قوله فتندلق أقتابه فى النار «وعند مسلم: «فتندلق أقتاب بطنه» قال الكرمانى[1] : الإندلاق بالنون المهملة والقاف الخروج =

---

(١) شرح البخارى للكرمانى ١٣ / ١٩٥.

بالسرعة والأقتاب بالقاف والفوقانية: الأمعاء يقال اندلق السيف من غمده إذا خرج من غير أن يسل أ هـ وقال النووى[1] : وقال ابن عيينه: الأقتاب: هى ما استدار فى البطن وهى الحوايا والأمعاء وهى الأقصاب واحدها قصب، والإندلاق خروج الشئ من مكانه أ هـ قوله: «فيدور كما يدور الحمار برحاه» وفى الفتن : «فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه» ورواية يدور تفسيرها أى يدور بالأقتاب وهى متعلقة به كما يدور الحمار بالرحا وهى له عنق يتصل به قوله: «فيجتمع أهل النار عليه» ممن كانوا يعرفونه ويطيعونه أو يسمعون نصحه وقوله وأمره ونهيه قوله: «فيقولون : أى فلان ما شأنك «ما حالك وما الذى أدى بك إلى هذا الهوان ما كنا نظنه بك قوله» أليس كنت تأمرنا بالمعروف. وتنهانا عن المنكر» وعند مسلم : ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهانا عن المنكر» أى ألم تكن تنصحنا بفعل القربات والطاعات والخيرات وتنهانا عن العصيان والطغيان والكفران لربنا الرحمن فكيف بك هنا فى النار ونحن كان ظننا أن من أمر كان أولى الناس بفعل ما أقر به وما نهى كان أولى الناس بالبعد عن ما نهى عنه فرد عليهم قائلاً «كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» أى كان يأمر بالمعروف ولا يفعل المعروف والعياذ بالله تعالى وينهى عن المنكر ويفعله والعياذ بالله تعالى، قال الحافظ[2] : قال الطبرى: فإن قيل: كيف صار المأمورون بالمعروف فى حديث أسامة المذكور فى النار والجواب أنه لم يمتثلوا ما أمروا به فعذبوا بمعصيتهم وعذب أميرهم بكونه يفعل ما نهاهم عنه أ هـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم للنووى ١٨ / ١١٩ .

(٢) فتح البارى ٢٧ / ٦١ .

المبحث الحادى والعشرون

أهل النار تعظم أجسادهم لتمتلئ بهم

٦٦١ - عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ مَنْكَبَى الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ**».

---

٦٦١ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٣٣ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٥١.

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» يعظم الله سبحانه وتعالى جسد الكافر حتى تتسع مساحة جسده التى تتعرض للنار القوية الشديدة وليزداد عذاباً قال الحافظ[1]: قوله «منكبى الكافر» بكسر الكاف تثنية منكب وهو مجتمع العضد والكتف أ هـ والتعظيم هذا ليس للمنكب فقط بل لأجزاء أخرى من الجسد كما فى حديث أبى هريرة فى الزهد لابن المبارك» ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب»[2] قال الحافظ وسنده صحيح ولم يصرح برفعه لكن له حكم الرافع لأنه لا مجال للرأى فيه وعند مسلم: «وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[3] وعند أحمد «وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار مثل ما بينى وبين الربذة»[4] قال الحافظ: وورقان بفتح الواو وسكون الراء بعدها قاف جبل معروف بالحجاز قال الحافظ: وكأن اختلاف هذه المقادير محمول على اختلاف تعذيب الكفار فى النار، وقال القرطبى فى المفهم: إنما عظم خلق الكافر فى النار ليعظم عذابه ويضاعف ألمه. قال الحافظ: وأما تفاوت الكفار فى العذاب فلا شك فيه ويدل عليه قوله تعالى﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾[5].أهـ والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢٣٣ : ٢٣٤ .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد فى الزيادات من طريق نعيم بن حماد عن ابن المبارك ص ٨٧ ح٣٠٣.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٨٦ باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٣٢٨ .

(٥) سورة النساء آية (١٤٥).

المبحث الثاني والعشرون

فصل فى عظم أجسام أهل النار

٦٦٣ ـ عن أبى برزة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أمتى لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر ، وإن من أمتى لمن يعظم للنار حتى يكون ركنا من أركانها** ».

---

٦٦٣ ـ أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤ / ٢١٢ من طريق الحرث بن أقيس عن أبى برزة وقال الهيثمى فى المجمع ١٠ / ٣٨١ / ٦٩٣ ح ١٨٥٤٥: رواه أحمد ورجاله ثقات.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٥٩٣ / ٦٣٥، فى كتاب الأهوال، ح ٨٧٥٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

المعنى

يخبرنا أبو برزة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من أمتى لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر» أى من المسلمين لمن يدخل الجنة بشفاعته أمام الله عز وجل يوم القيامة أكثر من عدد قبيلتى ربيعة ومضر، وقبيلة مضر هذه هى التى ينسب إليها شهر رجب الحقيقى الذى بين جمادى الآخرة وشعبان وهما قبيلتان عربيتان قوله: «وإن من أمتى لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها» أى من أمة الدعوة لمن توبقه ذنوبه والعياذ بالله تعالى حتى يكون من أهل النار ويزداد عذابه حتى يضخم الله جسمه وأعضائه فيعظم خلقه حتى يملأ ركناً من أركان النار كما جاء فى الحديث[1] الذى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة» والله أعلم فاللهم نسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدارين يا رب العرش العظيم.

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٩٨، ٢٩٩ فى صفة جهنم، باب ما جاء فى عظم أهل النار وقال حسن غريب ح ٢٧٠٣ .

المبحث الثالث والعشرون

ما جاء في عظم أهل النار

٦٦٣ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ضِرْسُ الكافِرِ، أو نَابُ الكافِرِ مثل أُحُدٍ، وغِلْظُ جلده مَسِيرةُ ثلاث»**.

٦٦٤ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ضِرْسُ الكافِرِ يَوْمَ القِيامَة مثل أحد، وفَخِذُهُ مثل البَيْضَاءَ، ومَقْعَدُهُ من النار مسيرةُ ثلاثٍ مثل الرَّبَذَةِ»**.

٦٦٥ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الكَافِرِ إثنان وأربعون ذِراعاً، وإِنَّ ضِرسَهُ مِثْلُ أُحُد، وإِن مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَة»**.

---

٦٦٣ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١٧/ ١٨٦، في باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٢٨ .

وأخرج أوله الترمذي في سننه ٧ / ٢٩٨ في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار ح ٢٧٠٣ وقال: هذا حديث حسن غريب.

٦٦٤ ـ أخرج مسلم أوله في صحيحه ١٧ / ١٨٦ في باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

وأخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٢٩٨ في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار واللفظ له ح ٢٧٠٣ .

وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٢٨ .

٦٦٥ ـ أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٣٠١ في أبواب صفة جهنم باب ما جاء في عظم أهل النار ح ٢٧٠٦ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الأعمش.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرس الكافر ـ أو ناب الكافر مثل أحد» يعظم الله سبحانه أجسام أهل النار حتى تتمكن النار من إنفاذ غيظها فيهم ليزدادوا عذاباً كما زادهم في الدنيا رحمة فلم يشكروها. وأخرج ابن[1] المبارك فى الزهد عن أبى هريرة موقوفاً قال «ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد، يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب» قال[2] الحافظ وسنده صحيح ولم يصرح برفعه لكن له حكم الرفع لأنه لا مجال للرأى فيه أ هـ فالضرس الذى فى الفم وكذلك الناب، قال صاحب[3] التحفة : قال فى القاموس :الضرس بالكسر السن، وقال فى المجمع الأضراس: الأسنان سوى الثنايا الأربعة «مثل أحد» بضمتين أى مثل جبل أحد فى المقدار أ هـ قوله: «وغلظ جلده مسيرة ثلاث» أى سمك جلد الجسد مسيرة ثلاث إما للراكب أو الماشى قال[4] النووى: مسيرة ثلاث هذا كله لكونه أبلغ فى إيلامه وكل هذا مقدور الله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق ﷺ به أ هـ والله أعلم، وفى الحديث الثانى زاد الترمذى «وفخذه مثل البيضاء» قال الترمذى: البيضاء: جبل. وقال صاحب التحفة: هو اسم جبل كما صرح به الترمذى أى يزاد فى أعضاء الكافر زيادة فى تعذيبه بزيادة المماسة للنار. «ومقعده» أى موضع قعوده» من النار «(أى فيها» مسيرة ثلاث أى ثلاث ليال أ هـ قوله: «مثل الربذة» أى مسافة ما بين المدنية والربذة أ هـ وقال صاحب التحفة: الربذة: بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة قرية معروفة قرب المدينة أى مثل بعد الربذة من المدينة أو مثل مسافتها إليها فإنه ﷺ ذكر هذا الحديث وهو فى المدينة أ.هـ يؤيده ما رواه أحمد عن أبى هريرة مرفوعاً» ومقعده من النار مثل ما بينى =

---

(١) أخرجه بن المبارك فى زيادات الزهد لنعيم بن حماد عن ابن المبارك ص ٨٧ ح ٣٠٣ .

(٢) فتح البارى ٢٤ / ٢٣٣، ٢٣٤ .

(٣) تحفة الأحوذى ٧ / ٢٩٨ .

(٤) شرح مسلم ١٧ / ١٨٦ .

= وبين الربذة أ هـ والله أعلم. قال القرطبى[1] إنما عظم خلق الكافر فى النار ليعظم عذابه ويضاعف ألمه أ هـ والله أعلم. يروى لنا أبو هريرة أيضا عن نبينا ﷺ أنه قال: «إن غلظ جلد الكافر إثنان وأربعين ذراعاً» وعند أحمد: «وعرض جلده سبعون ذراعاً. إذاً يتفاوت العذاب من شخص إلى آخر قال الحافظ ابن حجر: وأما تفاوت الكفار فى العذاب فلا شك فيه ويدل عليه قوله تعالى ﴿**إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار**﴾[2] أ هـ قوله «وإن ضرسه مثل أحد» تقدم شرحه قال صاحب التحفة [3] : أى مثل مقدارجبل أحد أ هـ قوله: «وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة» هذا أيضاً يتفاوت من كافر إلى آخر فالآخر مثل ما بين المدينة والربذة وهذا ما بين مكة والمدينة قال صاحب التحفة وإن مجلسه أي موضع جلوسه في جهنم أي فيها ما بين مكة والمدينة أى مقدار ما بينهما من المسافة أ هـ قال النووى: هذا كله لكونه أبلغ فى إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق ﷺ به أ هـ والله أعلم زاد أحمد [4] : وفخذه مثل ورقان» قال الحافظ: وورقان بفتح الواو وسكون الراء بعدها قاف جبل معروف بالحجاز أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢٣٣، ٢٣٤ .

(٢) سورة النساء آية (٤٥)

(٣) تحفة الاحوذى ٧ / ٣٠١ .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٣٢٨ .

المبحث الرابع والعشرون

عمق جهنم

٦٦٦ ـ عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا» قال قلنا الله ورسوله أعلم قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**».

---

٦٦٦ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ٧٩ في باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها

قوله: «وجبة» بفتح الواو وإسكان الجيم وهوا لسقطة أ هـ ١٧ / ١٧٩ .

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه فيقول كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع «وجبة» قال النووى[1] هى بفتح الواو وإسكان الجيم وهى السقطة أ هـ قوله فقال النبى ﷺ: «تدرون ما هذا» أى هل تعرفون ما هذا الصوت لذلك السقط قوله «قال قلنا الله ورسوله أعلم «أى الله أعلم بما حضر وغاب ورسوله يعلمه الله ما شاء أن يعلمه من علم الحاضر والغائب والدين والدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴿٢٦﴾ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾[2] قوله: «قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً» أى هذا حجر ألقى من طرفها منذ سبعين سنة وهو ما زال ينزل هوياً قوله: «فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها» وفى رواية بعدها «هذا وقع فى أسفلها فسمعتم وجبتها» أى طوال سبعين خريفاً والحجر يهوى ما وصل إلا بعد مرورها فلما وصل إلى أسفلها أحدث دوياً فسمعتم ذلك أنتم فهذه الفترة كلها هى عمقها فاللهم سلم سلم يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم ١٧ / ١٧٩ .

(٢) سورة الجن آية (٢٦)، (٢٧).

المبحث الخامس والعشرون

أين تبلغ النار من صاحبها؟

٦٦٧ - عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ». وفي رواية[٢] «وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ».

---

٦٦٧ - أخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٨٠ في باب جهنم أعاذنا الله تعالى منها نفس المرجع قبل الأصل بحديث.

وأخرجه أحمد في المسند ٥ / ١٠ بلفظه عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ .

قوله: «حجزته» أي مشد إزاره أ هـ نهاي\ ١ / ٣٤٤ .

قوله: «ترقوته» هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق أ هـ نهاية ١ / ١٨٧ .

المعنى

يروي لنا فيه سمرة بن جندب عن نبينا ﷺ أنه قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه» أي من أهل النار من تصل النار إلى كعبيه وهو أبو طالب وهو أهون أهل النار عذاباً فعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه[١] «قوله: ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه» أي زادت موبقاته حتى أدت إلى أن يعذب عذابًا تصل فيه النار فوق كعبيه إلى ساقيه ثم إلى ركبتيه قوله: «ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته» أي هذا عذابه المترتب على ما فعله مما يستحق به النار مما لم يتب منه أدى إلى وصولها وصولاً زائداً عن الكعبين والركبتين إلى وسطه. قال النووي[٢]: «حجزته» بضم الحاء وإسكان الجيم وهي معقد الإزار والسراويل وفي =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣ / ٨٥ في الإيمان، باب التخفيف عن أبي طالب بسبب النبي ﷺ .

(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٨٠ .

= رواية «حقـويه» وهـما ـ أيضـاً ـ معقـد الإزار والمراد هنا ما يحـاذي ذلك الموضع من جنبـيه أهـ قـوله: «ومنهم من تأخـذه النار إلى ترقـوته» وفي رواية «عنقـه» وهي رواية قبلهـا. أي ومن أهل النار من زادت آثامه وعظائمه حـتى غطت النار قدمـيه وركبتـيه وحجـزته وحقـويه حتى وصلت إلى عنقـه وهي ترقوته قال النووي فـي «ترقوته» هي بفتح التاء وضم القاف وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق أ هـ والله أعلم ونسأله تعالى العفو والعافية.

المبحث السادس والعشرون

عرق أهل النار

٦٦٩ ـ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «**كل مسكر حرام إنَّ على الله عزَّ وجَلَّ عهْداً لمَنْ يشْربُ المسكرَ أَنْ يسْقيَهُ من طِينة الخَبَال، قالوا: يا رسولَ الله، وما طِينةُ الخَبالِ؟ قال: «عَرَقُ أهل النار» أو «عُصَارَةُ أهل النار»**».

---

٦٦٩ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١٣/١٧١ في الأشربة، باب بيان أن كل مسكر حرام.

وأخرجه النسائى فى سننه فى ٨ / ٣٢٧ فى الأشربة، باب ذكر ما أعد الله عز وجل لشارب المسكر من الذل ... إلخ.

قوله: «طينة الخبال» : وفيه «من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة» جاء تفسيره في الحديث: أن الخبال عصارة أهل النار، والخبال فى الأصل: الفساد ويكون فى الأفعال والأبدان والعقول أ هـ نهاية ٢ / ٨ .

المعنى

يروى لنا جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مسكر حرام» أى كل ما أدى إلى السكر ولو كان قليلاً فهو حرام شرعاً يعاقب فاعله قوله: «إن على الله عز وجل عهداً» ليس هناك شئ واجب على الله عز وجل لكنه سبحانه يوجب ما يشاء ويفعل ما يشاء ويدع ما يشاء ﴿ **لا يسئل عما يفعل وهم يسألون** ﴾[1] : قوله «لمن يشرب المسكر» أياً كان ولو كان نبيذ تمر وزبيب لقول عمر رضى الله عنه» نزل تحريم الخمر وهى من خمسة: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل»[2] : فكل ما أسكر العقل وخامره وغيره فهو خمر قوله: «أن يسقيه من طينة الخبال» قال =

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢٣).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢١ / ١٣٢ فى الأشربة، باب الخمر من العنب وغيره ح ٥٥٨١ .

= ابن الأثير[1] : وفيه «من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة» جاء تفسيره في الحديث: أن الخبال عصارة أهل النار، والخبال في الأصل : الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول أ هـ ولإفساده العقل عاقب من يصلى به لأنه يفسد صلاته فعند أحمد في المسند من حديث ابن عمرو مرفوعاً» ومن ترك الصلاة سكراً أربع مرات كان حقاً على الله عز وجل أن يسقيه من طينة الخبال ... الحديث[2] : قوله: «قالوا» يا رسول الله : وما طينة الخبال» أي ما معناها ما هي أو ما حقيقتها قوله: والخبال بفتح الخاء المعجمة هو في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول أ هـ فاللهم سلم سلم. «قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار» على الشك وعند الترمذي عن عقوبة المتكبرين بغير شك ففيه» يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال[3] : أي ما يخرج من أهل النار من عرق وصديد هو طينة الخبال الذي يسقى منه شارب الخمر وصاحب السكر في الصلاة والمتكبر والعياذ بالله تعالى قال صاحب التحفة[4] :«عصارة أهل النار» بضم العين المهملة وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم.

---

(١) نهاية ٢ / ٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢ /١٧٨ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ١٩٣ في القيامة ح ٢٦١٠ .

(٤) تحفة الأحوذي ٧ / ١٩٤ .

المبحث السابع والعشرون

فصل قول الله تعالى ﴿ولهم شراب من حميم﴾

٦٦٩ - عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان**».

---

٦٦٩ - أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٣٠٢، فى أبواب صفة جهنم باب ما جاء فى صفة شراب أهل النار، ح ٢٧٠٧ وقال هذا حديث غريب صحيح.

وأخرجه أحمد فى المسند بلفظ مقارب ٢ / ٣٧٤ .

قوله: «الحميم: هو الماء الحار أهـ نهاية ١ / ٤٤٥ .

قوله: «فيسلت ما فى جوفه» قال ابن الأثير: أى يقطعه ويستأصله أ هـ نهاية ٣٨٨/٢ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «إن الحميم ليصب على رؤوسهم» كما قال تعالى ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**﴾[١] قال ابن الأثير الحميم: هو الماء الحار أ هـ قال ابن كثير فى قوله تعالى ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود**﴾[٢] أى إذا صب على رؤسهم الحميم وهو الماء الحار فى غاية الحرارة وقال سعيد بن جبير هو النحاس المذاب أذاب ما فى بطونهم من الشحم والأمعاء قاله ابن عباس وسعيد ومجاهد وغيرهم وكذلك تذوب جلودهم أ هـ قوله فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه قال صاحب التحفة: فينفذ الحميم بضم الفاء: من النفوذ وهو التأثير والدخول فى الشئ أى يدخل أثر حرارته من رأسه إلى باطنه «حتى يخلص» بضم اللام أى يصل «إلي جوفه» أى إلى بطنه أ هـ قوله «فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو

---

(١) سورة الحج آية (١٩)

(٢) سورة الحج آية (١٩)، (٢٠)

الصهر يمسح ما بداخله بالحميم مسحا حتى يخرج من أسفل شئ فيه وهو قدميه وهذا معنى الصهر الذى يذيب ما بالداخل كل هذا وهم يشعرون إتماماً للعذاب والعياذ بالله الجبار من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن الشياطين وأن يحضرون قال تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾[1] قال صاحب التحفة[2] «فيسلت» بضم اللام وكسرها من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام فيذهب، وأصل السلت القطع فالمعنى فيمسح ويقطع الحميم «ما فى جوفه» أى من الأمعاء» حتى يمرق» بضم الراء أي يخرج من مرق السهم إذا نفذ فى الغرض وخرج منه.

وهو الصهر «بفتح الصاد بمعنى الإذابة، والمعنى ما ذكر من النفوذ وغيره هو معنى الصهر المذكور فى قوله تعالى ﴿يصهر به ما فى بطونهم والجلود﴾ وقال ابن الأثير[3]: ومنه حديث أهل النار «فينفذ الحميم إلى جوفه فيسلت ما فيها» أى يقطعه ويستأصله قوله «ثم يعاد كما كان» أى يعاد ما ذاب ونفذ مما فى جوفه كما قال تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزًا حكيمًا ﴾. والله أعلم.

(١) سورة النساء آية (٥٦).
(٢) تحفة الأحوذي ٣٠٢/٧.
(٣) نهاية ٢ / ٣٨٨ .

المبحث الثامن والعشرون

فى نفس أهل النار

٦٧٠ - عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ فى هذا المَسْجِد مئةً أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَ نَفَسُهُ لاحْتَرَقَ المَسْجِدُ ومَنْ فِيهِ**».

---

٦٧٠ - أبو يعلى فى مسنده ١٢ / ٢٢ ح ٦٦٧٠ فى مسند أبو هريرة رضى الله عنه ولفظ «فيه رجل من النار» والزيادة «أهل» من الجمع.

وذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية ٣٦٧/٤ وعزاه لأبى يعلى.

وذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٩١/١٠/ ٧١٦ ح ١٨٦٠٢ كلاهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال الهيثمى: رواه أبو يعلى، عن شيخه إسحاق، ولم ينسبه، فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح وإن كان غيره فلم أعرفه أهـ قلت بل هو غيره وهو إسحاق بن أبى إسرائيل واسمه إبراهيم بن كَامَجْراه شيخ أبى يعلى وعبد الله بن أحمد والبغوى وغيرهم توفى سنه ٢٤٠ هـ وثقه ابن معين والدارقطنى والبغوى وغيرهم وقال ابن حجر صدوق تكلم فيه لوقفه فى القرآن أهـ والله أعلم.

المعنى

يخبرنا فيه أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال : «لو أن فى هذا المسجد مئة أو يزيدون» وفى رواية للبزار فيها ضعف» مائة ألف أو يزيدون» أى لو فى مسجد المدينة أو غيرها مئة رجل - ولا يحدث هذا إن شاء الله لكنه مثل يضربه رسول الله ﷺ - وفيهم رجل من أهل النار وسطهم قوله: «وفيه رجل من أهل النار» أى فى المسجد الذى فيه مائة أو مائة ألف رجل، قوله: «فتنفس فأصاب نفسه» أى نفسه فقط لو مس أهل المسجد كلهم لاحترقوا قوله: «لاحترق المسجد ومن فيه» أى لأحرق نفس صاحب النار المسجد كله ومن فى المسجد فكيف بالنار وحميمها وسمومها وشررها ولهبها وغسلينها وغساقها وزفيرها وشهيقها فاللهم سلم سلم يا رب العالمين.

المبحث التاسع والعشرون

بكاء أهل النار

٦٧١ - عن عبد الله بن قيس: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتْ السُّفُنُ فِى دُمُوعِهِمْ لَجرَتْ وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ**» «**يَعْنِى مَكَانَ الدَّمْعِ**».

---

٦٧١ - أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٦٠٥، ٦٤٨، كتاب الأهوال، ح ٨٧٩١ وقال صحيح ووافقه الذهبى.

وأخرج له شاهداً هناد بن السرى فى كتابه الزهد ١ / ١٩٤ ح ٣١١ باب أهوال أهل النار عذاباً عن أنس رضى الله عنه.

المعنى

يروى لنا عبد الله بن قيس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أهل النار ليبكون» وعند هناد «يلقى البكاء على أهل النار» قال تعالى: ﴿**وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذى كنا نعمل ...**﴾[1] الآية فبكاؤهم إنما هو بكاء ألقى عليهم إلقاء فهو دائم كثير شديد طويل لشدة الحسرة وطولها والعياذ بالله تعالى قوله: «حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت» أى أن البكاء كثير ومن كثرته خد فى وجوههم أخاديد أو أخدوداً عظيماً يتسع لجرى السفن، يا مغيث أغثنا، ففى رواية هناد «حتى إنه ليصير فى وجوههم أخدود» قوله: «وإنهم ليبكون الدم يعنى مكان الدمع»، وذلك بسبب نفاذ دموعهم سال مكانها الدم فإذا نفد الدمع ابدل بدم وذاك مفسر فى روايه هناد: ففيها «فيبكون حتى تنفد الدموع، ثم يبكون الدماء» فاللهم نسألك العفو والعافية يا رحمن.

---

(١) سورة فاطر آية (٣٧).

المبحث الثلاثون

قوله تعالى ﴿وهم فيها كالحون﴾

٦٧٢ - عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾. قال: «تَشْوِيه النَّارُ فَتَقْلُص شَفَتهُ العُلْيا حَتَّى تَبْلُغَ وَسطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ».

---

٦٧٢ - أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٣١٢ في أبواب صفة جهنم أعاذنا الله تعالى منها، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ح ٢٧١٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه أحمد في المسند ٣ / ٨٨ .

وأخرجه الترمذي في سننه ٩ / ٢٠ أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة المؤمنون وقال حديث حسن غريب صحيح.

المعنى

يروى لنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبينا صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى: ﴿وهم فيها كالحون﴾[1] قال ﷺ «تشويه النار» أي تحرقه حرقاً شديداً أليماً. قال في التحفة[2] : قوله: «قال» أي في قوله تعالى ﴿وهم فيها﴾ أي الكفار في النار ﴿كالحون﴾ أي عابسون حين تحترق وجوههم في النار، كذا ذكره الطيبي، وقيل أي بادية أسنانهم وهو المناسب لتفسيره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما بينه الراوي بقوله «قال» وأعاده للتأكيد «تشويه» بفتح أوله أي تحرق الكافر أ هـ قوله «فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه «أي تنكمش الشفة العليا فتنكشف الأسنان وتصل الشفة إلى وسط رأسه، منظر قبيح وعذاب شنيع قال صاحب التحفة: =

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٠٤) .
(٢) تحفة الأحوذي ٧ / ٣١٢ .

....

= «فتقلص» على صيغة المضارع بحذف إحدى التاءين أى تنقبض «شفته العليا» بفتح الشين وتكسر «حتى تبلغ» أى تصل شفته «وسط رأسه» بسكون ـ السين ـ أى فى وسط ـ وتفتح ـ أى قد تفتح أ هـ قوله: «وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته» أى تطول شفته السفلى باسترخاء عضلاتها حتى يصل طولها إلى السرة، منظر قبيح يليق بأصحاب العذاب وعذاب شديد شنيع والعياذ بالله تعالى، قال صاحب التحفة: «وتسترخى» «أى تسترسل» «شفته السفلى» تأنيث الأسفل كالعليا تأنيث الأعلى «حتى تضرب سرته» أى تقرب شفته سرته أ هـ والله أعلم.

المبحث: الحادي والثلاثون

بخار جهنم أعاذنا الله تعالى منها

٦٧٣: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل على بلال فوجد عنده صُبراً من تمر، فقال: «مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟» **فقال: تمراً ادَّخرتُهُ لك، فقال: «وَيْحَكَ يَا بِلَالُ، أَمَا تَخَافُ أَنْ يَكُونَ لَهُ بُخَارٌ فِي النَّارِ؟ أَنفِقْ يَا بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً».**

---

٦٧٣ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٣ / ٨٦ ح ٢٥٧٢ من طريق محمد ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط باسناد حسن.

قوله: «صبره» الطعام المجتمع كالكومه وجمعها صبر أ هـ نهاية ٣ / ٩ .

قوله: «ويح» كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكه لا يستحقها وقد يقال بمعنى المدح والتعجب أ هـ نهاية ٥ / ٢٣٥ .

المعنى

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: عاد رسول الله ﷺ بلالاً: «أي زار رسول الله ﷺ بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ أثناء مرضه قوله: «فأخرج إليه صبراً من تمر» أي قدراً كبيراً مجتمعاً مكوماً من تمر فلذلك تعجب النبي ﷺ وأمره بالانفاق، قال ابن الأثير[1] : الصبرة: الطعام المجتمع كالكومة وجمعها صبر أ هـ قوله: «ما هذا يا بلال» أي ما هذا الذي تجمعه كله إنه لكثير قوله: «تمراً ادخرته لك» أي هذا تمر وهو كثير لأني جمعتهُ اكراماً لك يا رسول الله ﷺ قوله: «فقال «ويحك يا بلال» يشفق عليه ﷺ ويترحم لجمعه الكثير الذي يسئل عنه يوم القيامة ففي الحديث لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين =

(١) نهاية ٣ / ٩ .

= اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه»[1] قال ابن الأثير ويح[2]: كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقه وقد يقال بمعنى المدح والتعجب أ هـ قلت وهنا الأولى أولى والله أعلم، قوله: «أما تخاف أن يكون له بخار فى النار» أى منع النفقة وكثرة الادخار الزائد يؤدى إلى النار وبخارها والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى عن مانعى زكاة الذهب والفضه ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[3] فكأن البخار جاء ناتجاً عن حرق الكنوز والله أعلم. قوله «أنفق يا بلال، ولا تخش من ذى العرش إقلالا» أى أنفق يا بلال ولا تخاف من الفقر باخراج المال لله فإن رب العرش يزيد العطاء بالنفقة ولا يكافئ بالقله والحمد لله والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ١٠١ فى القيامة باب ما جاء فى شأن الحساب والقصاص، ح ٢٥٣٢ .
(٢) نهاية ٥/٢٣٥.
(٣) سورة التوبة آية (٣٤)، (٣٥).

المبحث الثاني والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾

٦٧٤ ـ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ».

---

٦٧٤ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٣٠٧ فى أبواب صفة جهنم أعاذنا الله تعالى منها، باب ما جاء فى صفة شراب أهل النار ح ٢٧١١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد فى المسند ١ / ٣٠١ بلفظ مقارب

وأخرجه ابن ماجه فى سننه ٢ / ١٤٤٦ فى الزهد.

قوله: «الزقوم قال ابن الأثير: الزقوم ما وصف الله فى كتابه العزيز فقال: ﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنها رؤوس الشياطين﴾[1] وهو فعول من الزقم: اللقم الشديد والشرب المفرط أ هـ نهاية ٢ / ٣٠٦.

المعنى

يقول ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾[2] وهذه الآية كان النبى ﷺ يستفتح بها خطبه مع ثلاث آيات أخر بعد الحمد له والإستعانة والشهادتين والآيات هى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ.. الآيه﴾[3] =

---

(١) سورة الصافات آية (٦٤)، (٦٥).

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٣) سورة النساء آية (١).

= و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً... الآيه﴾[1] والآية بعدها [1] قال[2] الطيبى فى تفسير الآية الكريمة: أى واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجبات واجتناب المحارم أى بالغوا فى التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ تأكيد لهذا المعنى، أى لا تكون على حال سوى حال الإسلام إذا أدركم الموت فمن واظب على هذه الحالة وداوم عليها مات مسلماً وسلم فى الدنيا من الآفات وفى الآخرة من العقوبات، ومن تقاعد عنها وتقاعس وقع فى العذاب فى الآخرة، ومن ثم اتبعه ﷺ بقوله: «لو أن قطرة من الزقوم: كتنور، من الزقم: اللقم الشديد والشرب المفرط قال فى المجمع: «الزقوم»: شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم والرائحة يكره أهل النار على تناوله أ هـ قوله: «قطرت على أهل الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم» أى لو نزلت قطرة واحدة على من فى الأرض لفسدت الأرض ومن عليها من هذه القطرة من تلك الشجرة التي غرست فى النار يأكل منها أهلها كلما جاعوا فاللهم سلم سلم قال صاحب التحفة «لأفسدت» أى لمرارتها وعفونتها وحرارتها «معايشهم» بالياء وقد يهمز جمع معيشة أ هـ قوله« فكيف بمن يكون طعامهم» أى كيف بمن تكون كل وجباتهم من الزقوم كله ليس قطرة! إنه العذاب الأليم الشديد عذاب الهون لمن كذب وأعرض وعصى وطغى وبغى والله أعلم وأرحم وعند أحمد: «فكيف من ليس لهم طعام إلا الزقوم» أى لا أكل لهم إلا منه اللهم سلم سلم والله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٧٠)، (٧١) .

(٢) تحفة الأحوذى ٧ / ٣٠٧ .

(٣) سورة التغابن آية (١٦) .

المبحث الثالث والثلاثون

سلاسل النار

٦٧٥ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِه، ـ وأشار إلى مثل الجُمْجُمَة ـ أُرسلَتْ من السَّمَاء إلى الأَرض وهِي مَسِيرَةُ خَمْسُمائَة سنَة لَبَلغَتْ الأَرْض قَبْلَ اللَّيْل، ولَوْ أَنَّها أُرْسلَتْ من رأْسِ السَّلْسِلَة لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ والنَّهار قَبْل أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا».

---

٦٧٥ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٣١٣ فى أبواب صفة جهنم أعاذنا الله تعالى منها، باب ما جاء فى صفة طعام أهل النار ح ٢٧١٤ وقال: هذا حديث إسناده حسن صحيح.

وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ١٩٧ بلفظه.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه» قال صاحب التحفة[1] : بفتح الراء والصادين المهملتين أى قطعة من الرصاص أ هـ قوله: «وأشار إلى مثل الجمجمة» أى حجمها كحجم الجمجمة وتدويرها كتدويرها ومع ذلك هى من الرصاص الثقيل السريع الهوى إذا ألقى به ليبين كيف يكون طول وعمق قعر جهنم، قال ابن الأثير[2] : الجمجمة: قدح من خشب والجمع الجماجم أ هـ وقال صاحب التحفة: كذلك وأضاف فقال: وقيل هى بالجيمين وهى عظيم الرأس المشتمل على الدماغ أ هـ قوله: «أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل» أى لو ألقيت تلك الرصاصة من السماء إلى الأرض مع بعدما بينهما وهو مسيرة =

---

(١) تحفة الأحوذى ٧ / ٣١٣.

(٢) نهاية ١ / ٢٩٩.

= خمسمائة سنة لبلغت أي لوصلت الرصاصة إلى الأرض قبل مجئ الليل بالرغم من هذه المسافة البعيدة الشاسعة المترامية فهى لم تستغرق إلا يوم أو بعض يوم قوله ﷺ: «ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها» أى بالرغم من بعد المسافة بين السماء والأرض إلا أنها قطعته مرسله ملقاة فى بعض يوم ولو أنها أرسلت من رأس سلسلة من سلاسل جهنم التى قال الله عز وجل فيها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[1] لسارت أربعين سنة الليل والنهار متواصلين سيراً قبل أن تصل إلى قعر السلسلة أو أصل السلسلة التى فى جهنم عافانا الله منها ومن سلاسلها، قال صاحب التحفة: «ولو أنها» أى الرصاصة «أرسلت» بصيغة المجهول «من رأس السلسلة» أى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قال فالمراد من السبعين الكثرة «لسارت».

أى لنزلت وصارت مدة ما سارت «أربعين خريفا» أى سنة «الليل والنهار» أى منهما جميعاً لا يختص سيرها بأحدهما «قبل أن تبلغ «أى الرصاصة» أصلها «أى أصل السلسلة» أو قعرها شك من الراوى قال القارى: والمراد بقعرها نهايتها وهى معنى أصلها حقيقة أو مجازاً، فالترديد إنما هو فى اللفظ المسموع أ هـ والله أعلم.

(١) سورة الحاقة آية (٣٢).

المبحث الرابع والثلاثون

قوله سبحانه : ﴿إنى حرمت الجنة على الكافرين﴾

٦٧٦ - عن أبى هريرة رضى الله عن النبى ﷺ قال: «**يلقى إبراهيم أباه** آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة **فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول أبوه : اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : ﴿إنى حرمت الجنة على الكافرين﴾ ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار**» .

---

٦٧٦ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ١٢٩ فى أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ ح ٣٣٥٠ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ١١٠ فى التفسير، تفسير الشعراء، ح ٤٧٦٨ .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٢٣٨ / ٢٦٠، فى التفسير ح ٢٩٣٦.

قوله: «قترة» قيل شدة الغبار بحيث يسود الوجه وقيل ما يغشى الوجه من الكرب والغبرة ما يعلوه من الغبار أ هـ فتح ١٨ / ١١١، ١١٢ .

قوله: «ذيخ» ذكر الضباع والأنثى ذيخه وأراد بالتطلخ التلطخ برجيعه أو بالطين أ.هـ نهاية ٢ / ١٧٤ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر الغبرة والقترة» أى يقابله ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون**﴾[1]

---

(١) سورة الشعراء آية (٨٨).

= ﴿يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[1] فلذلك لم يستطيع خليل الله تعالى أن يدفع بل ولا يخفف عن أبيه شيئاً ووجد على وجه أبيه الغبرة والقترة، قال الحافظ [2] : وقيل القترة: شدة الغبار بحيث يسود الوجه وقيل القترة سواد الدخان فاستعير هنا وقال غير هؤلاء والقترة: ما يغشى الوجه من الكرب والغبرة ما يعلوه من الغبار أ هـ قوله «فيقول له إبراهيم: ﴿ألم أقل لك لا تعصنى﴾ كما قال تعالى عنه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[3] قال هنا فى الدنيا دار الغرور والكبر دار الرياء دار اللهو واللعب ككثير من الناس يقول ما يقول ولو علم ما خبئ لما قال ولا صال ولا جال فلذلك فى هذا الحديث الشريف «فيقول أبوه» لما رأى الأهوال أهوال الطامة والصاخة والحاقة والقارعة والواقعة لما عاين الحقائق قال: «اليوم لا أعصيك يوم لا تنفع الطاعة، فبرحمة جعلها الله تعالى فى قلب الخليل عليه السلام قال: «فيقول: يا رب وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد» يعنى خزى أبى يا رب خزى لى، لكن بين له سبحانه ﴿ألا تزروا وازرة وزر أخرى﴾[4] وأنه ﴿لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ قال الحافظ: وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذ لم تقبل شفاعته فى أبيه، وقيل الأبعد صفة أبيه أى أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد وقيل الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك أ.هـ قوله: فيقول الله تعالى ﴿إنى حرمت الجنة على الكافرين﴾[5] كما فى الصحيح =

---

(١) سورة لقمان آية (٣٣)

(٢) فتح البارى ١٨ / ١١١ .

(٣) سورة مريم من آية (٤١): (٤٦).

(٤) سورة النجم آية (٣٨)

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢ /١٦٠ فى الإيمان، ح ١١١، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

«ثم أمر بلالاً فنادى فى الناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» قوله: «ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار» وعند الحاكم[1] : «فيمسخ الله أباه ضبعاً فيعرض عنه فيهوى فى النار فيأخذ بأنفه فيقول الله تبارك وتعالى : يا عبدى أبوك هو؟ فيقول: لا وعزتك» وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿**غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير**﴾[2] قال الحافظ[3] والذيخ: بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء معجمة ذكر الضباع أ هـ وقوله: «متلطخ» قال الحافظ: قال بعض الشراح: أى : فى رجيع أو دم أو طين أ هـ وقال ابن الأثير[4] : الذيخ: ذكر الضباع والأنثى ذيخة وأراد بالتلطخ التلطخ برجيعه أو بالطين أهـ قال الحافظ: وقيل الحكمة فى مسخه ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان وآزر كان من أحمق البشر لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات واقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب وما فوقه كالأسد مثلاً ولأن إبراهيم بالغ فى الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر فعومل بصفة الذل يوم القيامة ولأن الضبع عوجاً فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه فى الدين أ هـ والله أعلم.

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٥٨٩ / ٦٣٢ فى الأهوال ح ٨٧٥٠ وقال صحيح على شرط مسلم.
(٢) سورة غافر آية(٣).
(٣) فتح البارى ١٨ / ١١١، ١١٢ .
(٤) النهاية ٢ / ١٧٤ .

المبحث الخامس والثلاثون

في قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ...﴾

٦٧٧ ـ عن صفوان بن يعلى عن أبيه أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى المِنْبَرِ ﴿وَنَادَوْا يا مَالِكُ﴾.

---

٦٧٧ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٦٣ فى بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة ح ٣٢٦٦ .

المعنى

يروى لنا يعلى بن أمية رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يا مالك﴾ أى يقرأ قوله تعالى ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1] تحكى لنا الآية الكريمة حالاً من الأحوال والأهوال التى يعيشها أهل النار بما أسلفوه من سئ الأعمال والصفات أنهم ينادون يوم القيامة فى النار بعد طوال مكث سائلين خازن النار مالكاً أن يدعو لهم رب العالمين أن يقضى عليهم فما أجابهم إلا بعد سنين مديده بإجابة تزيدهم حسرة على حسرتهم وندامة على ندامتهم والعياذ بالله تعالى قائلاً لهم ﴿إنكم ماكثون﴾ ﴿لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى فى تفسيره[2] : يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نالهم، مالكاً خازن جهنم ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾ قال: ليمتنا ربك، فيفرغ من إماتتنا، فذكر أن مالكاً لا يجيبهم فى وقت قيلهم له ذلك، ويدعهم ألف عام بعد ذلك ثم يجيبهم، فيقول لهم ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم ذكر[3] بسنده إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ فأجابهم بعد ألف سنة ﴿إنكم ماكثون﴾ وأخرج عن عبدالله بن عمرو: =

---

(١) سورة الزخرف آية (٧٧)، (٧٨)

(٢) تفسير الطبرى ١١ / ٢١٢، ٢١٣ لسورة الزخرف آية (٧٧)، (٧٨).

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره مسنده إلى ابن عباس ١١ / ٢١٣ ح ٣٠٩٩١ .

= ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾[1] قال: فخلى عنهم أربعين عاماً لا يجيبهم، ثم أجابهم ﴿ إنكم ماكثون ﴾ ﴿ قالوا ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فخلى عنهم مثلى الدنيا، ثم أجابهم ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ قال : فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق، وأخرج[2] بسنده عن السدى ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ قال الذى جاء به محمد ﷺ «ولكن أكثركم للحق كارهون» يقول تعالى ذكره، ولكن أكثركم لما جاء به محمد ﷺ من الحق كارهون أ هـ والله أعلم.

(١) وأخرجه الطبرى فى تفسيره مسنده إلى عبد الله بن عمرو ١١ / ٢١٣ ح ٣٠٩٩٣ .
(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١١ / ٢١٣ ح ٣٠٩٩٨ .

المبحث السادس والثلاثون

فيمن يخرج من النار بعد على الأوزار

٦٧٨ ـ عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يقول (الله تعالى) ﴿أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْماً أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ﴾.

---

٦٧٨ ـ أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٣٢٠ في أبواب صفة جهنم أعاذنا الله تعالى منها، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر ممن يخرج من النار من أهل التوحيد ح٢٧٢١ وقال هذا حديث حسن غريب.

المعنى

يروى لنا أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «يقول الله» سبحانه وتعالى أي في الحديث القدسي وذلك يوم القيامة بعد استيفاء أهل التوحيد من أصحاب المعاصي الداخلين النار بسبب ما لم يتوبوا منه من الذنوب: ﴿أخرجوا من النار من ذكرني يوما﴾ أو من تحرك لسانه بذكرى وقلبه بشرط الإيمان كما في الحديث الصحيح[1] أنه سبحانه يقول أيضاً فيما رواه أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» قال صاحب التحفة[2] قوله ﴿أخرجوا من النار من ذكرني﴾ أي بشرط كونه مؤمنا مخلصاً «يوماً» أي وقتاً وزماناً أ هـ قوله: ﴿أو خافني في المقام﴾ أي هم بمعصية أو شبهها فتذكر أني ﴿أسمع وأرى﴾ فتركها من جراى. قال صاحب التحفة: ﴿خافني في مقام﴾ أي مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى: ﴿وأما =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١ / ١٧٨ في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه ح ٤٤ .
(٢) تحفة الأحوذي ٧ / ٣٢٠ .

= من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾[1] قال الطيبى: أراد الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب، يدل عليه قوله ﷺ «وشفاعتى لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه»[2] والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصى وتقييدها بالطاعات. أ هـ والله أعلم.

(١) سورة النازعات آية (٤٠)، (٤١).
(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٣٠٧ من حديث أبى هريرة رفعه.

المبحث السابع والثلاثون

في الجهنميين

٦٧٩ ـ عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا مَسَّهُم مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِم أَهْلُ الجَنَّةِ الجَهَنَّمِيِّينَ**».

٦٨٠ ـ وعن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُسَمُّونَ الجَهَنَّمِيُّونَ**».

---

٦٧٩ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ / ٢٤٣ في الرقاق باب صفة الجنة والنار، ح ٦٩٥٩ .

٦٨٠ ـ وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ / ٢٥٩ في الرقاق باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٦٦ .

قوله: «سفع» بفتح المهملة وسكون الفاء ثم عين مهملة أي سواد فيه زرقة أو صفرة يقال سفعته النار إذا لفحته فغيرت لون بشرته أ هـ فتح ٢٤ / ٢٤٣ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ» وفي ح (١) «بعدما مسهم منها سفع» أي إذا أراد الله عز وجل إخراج من أراد إخراجه من أهل النار أذن لنبينا ﷺ في الشفاعة لهم قال الله تعالى: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾[1] فيخرجهم سبحانه بالشفاعة بعدما مسهم سفع من النار قال الحافظ[2] : «سفع» بفتح المهمله وسكون الفاء ثم عين مهملة أي سواد فيه زرقة أو صفرة، يقال: سفعته النار إذا لفحته فغيرت لون بشرته أ.هـ قوله «فيدخلون الجنة يسمون الجهنميون» وفي الحديث أن الذي يسميهم كذلك =

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢٨) .

(٢) فتح الباري ٢٤ / ٢٤٣ .

= هم أهل الجنة الأصليون ففيه «فيسميهم أهل الجنة الجهنميين» يعني يطلق عليهم أهل الجنة لقب الجهنميين بعد دخولهم ليجاورهم ثم يضايقهم هذا اللقب فيدعون الله تعالى بتغييره قال الحافظ: فذكر لي أنهم استعفوا الله من ذلك الاسم فأعفاهم وزعم بعض الشراح أن هذه التسمية ليست تنقيصاً لهم بل للإستذكار لنعمة الله ليزدادو بذلك شكراً، كذا قال وسؤالهم إذهاب ذلك الاسم عنهم يخدش في ذلك أ هـ والله أعلم.

المبحث الثامن والثلاثون

إذا أراد الله عز وجل اخراج رجل من النار تجاوز عن ذنوبه ورحمه

٦٨١ ـ عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: **«إِنِّي لأَعْرِفُ آخرَ أَهْلِ النَّارِ خُروجاً من النار وآخرَ أَهْلِ الجَنَّة دُخُولاً الجَنَّةَ، يُؤْتَى بِرجُلٍ، فيقول: سلُوا عَنْ صغَارِ ذُنُوبه واخبأوا كبارَها، فيُقالُ له: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا يَوْمَ كَذَا، عملْتَ كَذَا وكَذَا في يوْمِ كَذَا وكَذَا، فيُقالُ له: فإِنَّ لَكَ مَكَانَ كلِّ سَيِّئَةٍ، حسَنَةً، قال: فيقُولُ يا رب لَقَدْ عَملْتَ أَشْيَاءً ما أَراها ها هُنَا، قالَ: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَضْحَكُ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ».**

---

٦٨١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ٣ / ٤٧ في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

وأخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٣٢٣ في باب صفة جهنم أعاذنا الله تعالى منها، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد ح ٢٧٢٣ وقال، هذا حديث حسن صحيح واللفظ للترمذي.

قوله: «اخبأوا» يقال خبأت الشئ أَخْبَؤُهُ خَبْأً إذاً أخفيته أ هـ نهاية ٢ / ٣ .

قوله: «نواجذه» النواجذ من الأسنان الضواحك وهي التي تبدو عند الضحك أ.هـ ٥/٢٠ .

المعنى

يروى لنا أبو ذر عن نبينا ﷺ أنه قال: «إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار» أي من الموحدين أصحاب الذنوب التي لم يتوبوا منها وماتوا على ذلك وزادت ذنوبهم على كل أهل التوحيد فعذب على ذلك حتى كان آخر أهل النار الذين أراد الله لهم بالخروج منها وهو أيضاً نفسه «آخر أهل الجنة دخولاً الجنة قوله» يؤتى برجل وعند مسلم «رجل يؤتى به يوم القيامة» أي الذى أراد الله تعالى له الخروج من النار =

= وبقيت له ذنوب قوله «فيقول» أى الله عز وجل قوله «سلوا عن صغار ذنوبه» أى الذنوب الصغيره أظهروها له ليعرفها قوله: وأخبأوا كبارها» أى لا تعرضوها عليه يريد سبحانه غفرانها بل تبديلها حسنات فالحمد لله أرحم الراحمين، قال ابن الأثير[1] : يقال «خبأت الشئ أخبؤه خبأ إذا أخفيته أهـ[2] وقال صاحب التحفة: الظاهر أنه أمر من الخبء أ هـ قوله «عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا» وعند مسلم «فيقول، نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه» يعترف بالصغائر وهو خائف من فضيحة الكبائر وهو يذكرها لا ينسى منها شيئا قوله «قال فيقال له: فان لك مكان كل سيئة حسنة» كما قال الله عز وجل: ﴿ إلاَّ من تَاب وآمن وعَمِل عملاً صالحًا فأُوْلَئك يُبدّلُ اللّهُ سيِّئاتهم حسنات وكان اللّهُ غفُورا رحيمًا ﴾[3] قال القاري لكن يشكل بأنه كيف يكون آخر أهل النار خروجاً ويمكن أن يقال فعل بعد التوبة ذنوباً استحق بها العقاب، وإما وقع التبديل له من باب الفضل من الله تعالى والثانى أظهر ويؤيده أنه حينئذ يطمع فى كرم الله تعالى أ.هـ قوله «فيقول: يا رب لقد عملت أشياءً ما أراها ها هنا» أى يا رب هناك عندى الكبائر ولم تعرض على كما عرضت على الصغائر فكيف غفرت لى؟ قال صاحب التحفة: «فيقول يا رب عملت أشياء ما أراها ها هنا» أى من الكبائر أى فى الصحائف أو فى مقام التبديد أ هـ قوله: «فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه» فرحاً برحمة الله عز وجل التى أودع الله تعالى منها الكثير فى قلب المصطفى ﷺ فهو يفرح لسعادة الناس بطاعة الله عز وجل ورحمته تعالى لهم قال الله تعالى له ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[4] قال ابن الأثير[5] : النواجذ من الأسنان الضواحك وهى التى =

(١) النهاية ٢ / ٣ .
(٢) تحفة الاحوذى ٧ / ٣٢٣ .
(٣) سورة الفرقان آية (٧٠).
(٤) سورة الأنبياء آية (١٠٧)
(٥) نهاية ٥/٢٠.

= تبدو عند الضحك أ هـ والله أعلم وأرحم وهناك رجل ءاخر شبيه بهذا الذى هو آخر أهل النار دخولاً الجنة بعد عفو الله تعالى فالآخر هو آخر أهل الصراط أيضاً دخولاً الجنة بعد عفو الله تعالى بعد أن كتم الإعتراف بذنوبه وظن أنه لا رقيب عليه ولا شهيد ظن العبد القاصر ونسى أن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] فأسكت الله تعالى فاه وأنطق جوارحه فاعترف بعد إنكار وأقر بعد إصرار ثم غلبته رحمة العزيز الغفار فعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[2]: «إنى لأعلم آخر رجل من أمتى يجوز الصراط رجل يتلوى على الصراط كالغلام حين يضربه أبوه، تزل يده مرة فتصيبها النار، وتزل رجله مرة أخرى، فتصيبها النار، قال : فتقول الملائكة أرأيتك إن بعثك الله من مقامك هذا فمشيت سويًا أتخبرنا بكل عمل عملته قال: فيقول إى وعزته لا أكتمكم من عملى شيئاً، قال فيقولون له: قم فامشى سوياً، قال: فيقوم فيمشى حتى يجاوز الصراط، فيقولون له : أخبرنا بعملك الذى عملت، فيقول فى نفسه إن أخبرتهم بما عملت ردونى إلى مكانى، فيقول لا وعزته ما أذنبت ذنبا قط، قال فيقولون له: لنا بينة، فيلتفت يميناً وشمالاً، هل يرى من الآدميين ـ ممن كان يشهد ـ أحداً فلا يرى أحداً، فيقول: هاتوا برهانكم فيختم الله على فيه، وتنطق يداه ورجلاه وفخذاه بعمله فيقول: أى وعزتك لقد عملتها، وإن عندى لعظائم الموبقات، قال: فيقول الله (إذهب فقد عفوتها لك) والله أعلم.

(١) سورة يس آية (٨٣) .
(٢) ذكره ابن حجر فى المطالب العاليه ٤ / ٤٦ قال المحقق قال البوصيرى: رواه ابن ابي شيبه باسناد حسن.

آخر الفصول

مَا نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ آخِرَ العُمُرِ بِالْعَمَلِ المَقْبُولِ

فَصْلٌ

فِي الجَنَّةِ

وَنَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا وَحُورِهَا

ورُؤْيَةِ وَجْهِ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ

وينقسم إلى مباحث

قال الله عز وجل ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾[1] وقال تعالى ﴿لكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾[2] وقال سبحانه ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥) هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (٥٦) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (٥٧) سلام قولا من رب رحيم﴾[3] وقال عز وجل ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[4] وقال الله تعالى ﴿لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد﴾[5] وقال تبارك اسمه ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾[6] وقال تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾[7] وقال عز وجل ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾[8] وقال عز وجل ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢) متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (١٣) ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا (١٤) ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير (١٥) قوارير من فضة قدروها تقديرا (١٦) ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا (١٨) ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٩) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٢٠) عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة

---

(١) سورة تنزيل السجدة آية (١٧)
(٢) سورة تنزيل فصلت آية (٣١)
(٣) سورة يس آية (٥٥): (٥٨)
(٤) سورة يونس آية (١٠).
(٥) سورة ق آية (٣٥).
(٦) سورة يونس آية (٢٦).
(٧) سورة آل عمران آية (١٣٣).
(٨) سورة مريم آية (٦٣).

وسقاهم ربهم شرابا طهوراً ﴿٢١﴾ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾[1]

والآيات فى صفة الجنة ونعيمها وأهلها كثيراً ويكفى الجنة عظمة وعلواً فى ذاتها وصفتها ونعيمها أن الله عز وجل قال فيها: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾ والخالق عز وجل يخبر أنه لا تعلم نفس مخلوقة ما أخفاه وخبأه لأهلها من قرات العيون بل ونبينا ﷺ أعلم خلق الله الذى اكتحلت عيناه الشريفتان برؤيتها ما قدر على تمام الوصف بل وأخبر أنه ليس هناك أحد من خلق الله عز وجل يستطيع أن يصف سدرة المنتهى عند جنة المأوى قال تعالى ﴿**عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾[2] ويقول نبينا ﷺ عند رؤيته للجنة «ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»[3] وأما وصف بعضها وبعض أجزائها ونعيمها وأماكنها فقد أخبر بشئ من ذلك الذى رآه بأبى هو وأمى ﷺ

(١) سورة الانسان آية (١١): (٢٢).

(٢) سورة النجم آية (١٤)، (١٥)، (١٦).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢/ ٢١٤) فى الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ.

المبحث الأول

قوله تعالى ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾

٦٨٢ ـ عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ خرج يوماً فصلى على أحد صلاته على الميت ثم إنصرف إلى المنبر فقال: «إِنِّى فَرَطٌ لكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيكُمْ، وإِنِّى وَ اللهِ أَنْظُرُ إِلَى حَوْضِى الآنَ، وَإِنِّى أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أو مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وإِنِّى وَ اللهِ مَا أَخَافُ عَلَيكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فيها».

---

٦٨٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٦ / ٢٥٧)، فى الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ح ١٣٤٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه (٥٦/١٥ : ٥٩) فى الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ وصفته.

وأخرجه البخارى فى صحيحه (١٤ / ١٠٦) فى علامات النبوة، باب علامات النبوة فى الإسلام ٣٥٩٦ .

قوله «فرط لكم» أى متقدمكم اليه، وفرط: إذا تقدم القوم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهئ لهم الولاء والأرشية أ هـ نهاية (٣ / ٤٣٤).

المعنى

قال تعالى: ﴿ وكَذَلكَ جَعلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[1] فنحن نشهد على الأمم قبلنا أنهم قد جاءتهم رسلهم بالبينات وبلغوهم ونحن يشهد علينا سيدنا صاحب الشفاعة ﷺ، وفى هذا الحديث الشريف يخبرنا عقبة بن عامر رضى الله عنه أن «النبى ﷺ خرج يوماً فصلى على =

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٣).

أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر» قال الحافظ ابن حجر[١] : وكانت أحد في شوال سنة ثلاث ومات ﷺ في ربيع الأول سنة احدى عشرة، فعلى هذا في قوله بعد ثمان سنين تجوز على طريق جبر الكسر وإلا فهي سبع سنين ودون النصف واستدل به على مشروعية الصلاة على الشهداء. أ هـ. وقال الطحاوي: فقد ثبت بصلاته ﷺ عليهم الصلاة على الشهداء ثم كأن الكلام بين المختلفين في عصرنا إنما هو في الصلاة عليهم قبل دفنهم، وإذا ثبتت الصلاة عليهم بعد الدفن كانت قبل الدفن أولى.أهـ. ثم صعد ﷺ المنبر أي ليودع الأحياء كما ودع الأموات قوله: قال: «إني فرط لكم» قال ابن حجر[١]: أي سابقكم أ هـ وفي رواية مسلم: «ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات» قال النووي[٢] : معناه خرج إلى قتلى أحد ودعا لهم دعاء مودع ثم دخل المدينة فصعد المنبر فخطب الأحياء خطبة مودع أ هـ قوله: «وأنا شهيد عليكم» هو كقوله تعالى ﴿ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[٣] عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد قال: فيقال لنوح من يشهد لك، فيقول محمد وأمته قال: فذلك قوله ﴿ وكَذَلِكَ **جعلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطاً** ﴾ قال الوسط العدل قال فيدعون فيشهدون له بالبلاغ قال ثم أشهد عليكم[٤] قوله: «وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن» قال ابن حجر[٥] : أي حوض نبينا ﷺ وجمع الحوض حياض وأحواض أ.هـ. وماء الحوض من نهر الكوثر الذي أعطيه نبينا ﷺ في الجنة قال ابن حجر[٥]: وقول الله تعالى ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾[٦] أشار إلى أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض =

(١) فتح الباري (٦ / ٢٥٧).
(٢) شرح مسلم (١٥ / ٥٩) . (٣) سورة البقرة آية (١٤٣).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٣٢ من طريق أبي صالح عن أبي سعيد مرفوعاً.
(٥) فتح الباري ٢٤ / ٢٨٦ .
(٦) سورة الكوثر آية (١).

= أ.هـ أما قوله: إني لأنظر إلى حوضي الآن قال ابن حجر[1]: هو على ظاهره وكأنه كشف له عنه في تلك الحالة .اهـ. قوله: «وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض» قال النووى[2]: وفى هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ فإن معناه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض وقد وقع ذلك.أ هـ. قوله: «وإنى والله لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدى» فسرها بأنها الأمان أن لا يرتد الكل لكن ممكن أن يحدث من البعض والعياذ بالله تعالى؛ قال النووى[2]: وأنها لا ترتد جملة وقد عصمها الله تعالى من ذلك. ،قال ابن حجر[1] قوله: «ما أخاف عليكم أن تشركوا» أى على مجموعكم لأن ذلك قد وقع من البعض أعاذنا الله تعالى أ هـ قوله «ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» قال ابن حجر[3]: فيه إنذار بما سيقع وقد فتحت عليهم الفتوح بعده وآل الأمر إلى أن تحاسدوا وتقاتلوا، ووقع ما هو المشاهد المحسوس لكل أحد بما يشهد بمصداق خبره ﷺ، ووقع من ذلك فى هذا الحديث إخباره بأنه فرطهم أى سابقهم وكان كذلك وأن أصحابه لا يشركون بعده فكان كذلك ووقع ما أنذر به من التنافس في الدنيا أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٢٥٧/٦.

(٢) شرح مسلم ٥٩/١٥.

(٣) فتح الباري ١٠٦/١٤.

المبحث الثانى

رؤية النبى ﷺ الجنة والنار

٦٨٣ ـ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**إِنِّى رَأَيْتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُوداً وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُم مِنْهُ مَا بَقِيَت الدُّنْيَا، وأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَراً كَالْيَوْمِ قَطّ أَفْظَع**».

٦٨٣ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٥ / ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨)، فى الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة ح١٠٥٢ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه (٦ / ٢١٢، ٢١٣)، فى الكسوف، باب ما عرض على النبى ﷺ فى صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

المعنى

قال الله تعالى عن الجنة ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾[١] وقال تعالى عن النار ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**﴾[٢] وأما نبينا ﷺ فلما رأى الجنة أخبر أنه لا يستطيع أحد من خلق الله أن يصفها فقال ﷺ عن سدرة المنتهى: «ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: «فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»[٣] ولما رأى النار قال: «لم أر منظراً كاليوم قط أفظع».

وفى هذا الحديث الشريف يروى لنا عبد الله بن عباس عن نبينا ﷺ أنه قال: «إنى رأيت الجنة» قال النووى[٤] :قال القاضى عياض: قال العلماء: يحتمل أنه رآهما رؤية =

(١)سورة السجدة آية (١٧)

(٢) سورة النبأ آية (٢١): (٢٥).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢ / ٢١٤) فى الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ.

(٤) شرح مسلم (٦ / ٢٠٧) .

= عين كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الأقصى حين وصفه. أ هـ. وقال الحافظ ابن حجر[1] : ظاهره أنها رؤية عين، فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها فرآها على حقيقتها وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر. أ هـ قلت ويؤيد ذلك رواية مسلم[2] : «لقد جئ بالنار ... الحديث وفيه «ثم جئ بالجنة». قال القرطبي: لا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لاسيما على مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا فالله خلق لنبيه إدراكاً خاصاً. أ هـ. قوله: «فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا» وفي رواية مسلم: «ولو أخذته» قال الحافظ[1]: وقيل المراد بقوله تناولت أي وضعت يدي عليه بحيث كنت قادراً على تحويله لكن لم يقدر لي قطفه ولو أصبته أي لو تمكنت من قطفه وقيل أردت أن أتناول فلم أُفعل ويؤيده حديث جابر عند مسلم[2] «ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدالي أن لا أفعل» ولو حدث ذلك لأكل المسلمون منه ما بقيت الدنيا بإذن الله تعالى كما قال نبينا ﷺ، قوله: «ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع» وعند مسلم: «ورأيت النار» وعند مسلم رواية أخرى[2]: «تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها» وفيها[2]: «ما من شئ توعدونه إلا قد رأيته في هذه» قال الحافظ[1]: المراد باليوم الوقت الذي هو فيه أي لم أر منظراً مثل منظر رأيته اليوم فحذف المرئي وأدخل التشبيه على اليوم لبشاعة ما رأى فيه وبعده عن المنظر المألوف. أ هـ والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٥ / ٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦ / ٢٠٩) في الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

المبحث الثالث

قول النبى ﷺ : «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله»

٦٨٤ - عن أبى وائل عن عبد الله رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**الجَنَّةُ أقربُ إلى أَحَدِكُمْ من شِرَاكِ نَعْلِهِ والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**».

---

٦٨٤ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١١٣ فى الزقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك.

وأخرجه أحمد فى المسند ١ / ٣٨٧، ٤١٣ .

قوله: «شراك» الشراك أحد سيور النعل التى تكون على وجهها.أ هـ. نهاية (٢/٤٦٧).

المعنى

يروى لنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» أى أنه قد يدخلها العبد بعمل صغير قليل سهل ميسور بإخلاص وهدى يعظمه الله عز وجل ويتقبله ويربيه فيكرم به صاحبه ويرقيه وإلى الجنة يهديه ويدخله فيها ومن شرابها يسقيه والنار مثل ذلك أى قد يكون عمل حقير صغير من المعاصى والذنوب يستصغره ويستقله وهو لا يحسب أنه عند الله عظيم جلل خطير يغضب سبحانه فيدخله بسببه النار وبئس القرار نعوذ بالله الجبار. قال الحافظ ابن حجر[1] : قوله «شراك» إنه السير الذى يدخل فيه إصبع الرجل ويطلق أيضاً على كل سير وقى به القدم، قال ابن بطال: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة، وأن المعصية مقربة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون فى أيسر الأشياء فينبغى للمرء أن لا يزهد فى قليل من الخير أن يأتيه، ولا فى قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التى يرحمه الله بها، ولا السيئة التى يسخط عليه بها وقال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية.أ هـ. والله أعلم.

---

(١) فتح البارى (٢٤ / ١١٣).

المبحث الرابع

في كثرة ثناء الناس على من له الجنة إن شاء الله تعالى

٦٨٥ - عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع»**.

---

٦٨٥ - أخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٤١٢) في الزهد، باب الثناء الحسن، ح ٤٢٢٤.

وأخرج ابن ماجه في سننه (٢ / ١٤١١) في الزهد، باب الثناء الحسن، ح ٤٢٢١ له شاهداً عن أبي زهير الثقفي قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لابن ماجه (٢ / ١٤١٢) في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله. ثقات. أهـ. والله أعلم.

المعنى

يروى لنا ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع» أي من صفات أهل الجنة وهم أحياء أنهم يكثر منهم الخير ويعم ويزداد حتى يهب على الناس فتنطلق ألسنتهم بالثناء الحسن على صاحبه فيتردد الثناء بينهم حتى يصل إلى مسامع فاعل الخير مرة بعد مرة حتى تمتلأ أذناه به وهذا يشبه الحديث الآخر الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت قال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت[1]» قوله: [**وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع**] أي وكذلك أهل النار والعياذ بالله تعالى من كثرة مساويهم تنتشر بين الناس فيذكرونها =

---

(١) أخرجه بن ماجه في سننه (٢ / ١٤١٢) في الزهد باب الثناء الحسن، ح ٤٢٢٣ قال المحقق: في الزوائد اسناد حديث عبد الله بن مسعود صحيح.

= ويذكرون أصحابها فيثنوا على أصحابها شراً ويذمونهم ولا يزال الكلام يرد بين الناس والجيران حتى يصل إلى مسامع قائله فيظل يزداد حتى تمتلئ منه مسامعه والعياذ بالله تعالى فالثناء الحسن والثناء السيئ شهيد على العبد والعبرة بعامة الناس أهل الصدق لا بالمحب ولا المبغض فالمحب يثني بالخير ولو على أهل السوء والمبغض يذم ولو أهل الخير والصلاح فالعبرة بالعام الغالب ويؤيد هذا الحديث الحديث الآخر: عن أبي زهير الثقفي عن رسول الله ﷺ أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالبناوة قال: «يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم ذاك يا رسول الله قال: «بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض» والله أعلم.

المبحث الخامس

من سأل الله تعالى الجنة ثلاثاً دعت له الجنة أن يكون من أهلها

٦٨٦ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلاثَ مَرَّات قالَتْ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ من النَّارِ ثَلاثَ مرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجرْهُ مِنَ النَّارِ».

---

٦٨٦ ـ أخرجه الترمذى فى سننه (٧ / ٢٨٨) فى صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة أنهار الجنة (ح ٢٦٩١) وسكت عنه على غير العادة.

وأخرجه ابن ماجه فى سننه (٢ / ١٤٥٣) فى الزهد، باب صفة الجنة ح ٤٣٤٠.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٢ / ٧١٧) فى الدعاء والذكر (ح ١٩٦٠) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

المعنى

يروى لنا أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سأل الله الجنة ثلاثاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة» أى من دعا الله تعالى بأن يدخله الجنة وكرر الدعاء ثلاث مرات دعت له الجنة قائلة اللهم أدخله الجنة وممكن أن ينطقها الله تعالى بذلك وهى قد تكلمت كما فى الحديث أنها قالت: كثر غرسى وحريرى وسندسى واستبرقى وعبقريى ومرجانى وقصبى، وذهبى، وأكوابى، وصحافى وأباريقى، وفواكهى، وعسلى، وثيابى، ولبنى، وخمرى، ائتنى بما وعدتنى، قال «لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحاً ولم يشرك بى شيئاً ولم يتخذ من دونى أنداداً فهو آمن، ومن سألنى أعطيته، ومن أقرضنى جزيته، ومن توكل على كفيته. إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا خلف لميعادى ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ تبارك الله =

أحسن الخالقين .... الحديث[1] ، فهى تتكلم داعية لمن سأل الله الجنة ثلاثاً بأن يدخله الجنة قال صاحب التحفة[2] : قوله: «من سأل الله الجنة» بأن قال: اللهم إنى أسألك الجنة، أو قال اللهم «ثلاث مرات» أى كرره فى مجلس بطريق الالحاح على ما ثبت أنه من آداب الدعاء «قال الجنة» ببيان الحال أو بلسان المقال لقدرته تعالى على إنطاق الجمادات وهو الظاهر قالت «اللهم أدخله الجنة» أى دخولاً أولياً أو لحوقاً أخروياً.أهـ. ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار قال صاحب التحفة[2] ومن استجار أى استحفظ «من النار» بأن قال: «اللهم أجرنى من النار قالت النار اللهم أجره» أى احفظه وانقذه من النار أى من دخوله أو خلوده فيها.أهـ. والله أعلم.

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١ / ٦٨) وعزاه للبزار وقال رجال موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبى العالية أو غيره فتابعيه مجهول. أهـ.
(٢) تحفة الأحوذى (٧ / ٢٨٨).

المبحث السادس

اشتياق الجنةإلى أصحاب النبى ﷺ

٦٨٧ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَى ثَلاثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ» .

---

٦٨٧ ـ أخرجه الترمذى فى سننه (١٠ / ٢٩٧) فى المناقب عن رسول الله ﷺ، مناقب سلمان رضى الله عنه، (ح ٣٨٨٤) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح أى ابن حى الهمدانى.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة على وعمار وسلمان» وهى تشتاق إلى غيرهم أيضاً من الصحب الكرام فإذا اشتاقت إلى هؤلاء فغيرهم من هو أعلى منهم رتبة عند الله تعالى وعند نبيه ﷺ أولى كالصديق والفاروق رضى الله عنهما، فَذِكْرُ شخص ما بفضيلة ما لا يعنى نفيها عن غيره إلا إذا ذكرت بصيغة للحصر كقوله تعالى عن النبى ﷺ: ﴿**ثانى اثنين إذ هما فى الغار**﴾[2] **فهذا يدل على أنه الصديق مع المصطفى** ﷺ **لا ثالث من البشر معهما فلو قال** ﴿**إذ يقول لصاحبه**﴾ من غير ذكر الغار لاحتمل ثالث لهما لكن قال ثانى اثنين والله أعلم. فلا يختلف اثنان من أهل العلم والفهم أن النبى ﷺ توفى وهو يحب الكثير من أصحابه رضى الله عنهم فضلا عن كلهم ولا يمكن لقائل أن يقول أنه كان يحب عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر فقط، هكذا هنا تشتاق الجنة إلى ثلاثة وإلى الباقين، قال صاحب التحفة[1] ، قوله:«إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة» المقصود إنهم من أهلها فبالغ فيه قيل المراد اشتياق أهل الجنة من الحور والغلمان والملائكة كذا فى اللمعات، وقال الطيبى: سبيل إشتياق الجنة إلى هؤلاء الثلاثة سبيل اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ.أ هـ. والله أعلم وأستغفر الله والحمد لله.

---

(١) تحفة الأحوذى(١٠ / ٢٩٨) .

(٢) سورة التوبة (٤٠).

المبحث السابع

حوض النبى ﷺ

٦٨٨ - عن عبد الله بن عمرو قال قال النبى ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَداً».

---

٦٨٨ - أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ٢٩٢) فى الرقاق، باب فى الحوض، ح ٦٥٧٩ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٥ / ٥٥) فى الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ.

المعنى

إن لنبينا ﷺ حوض خصه الله تعالى به شرابه أبيض الشراب وأحلى الشراب وأطيب الشراب من شرب منه لايظمأ أبداً ووجب الإيمان به واعتقاد وجوده ووروده للمؤمنين ويقول ﷺ: «حوضى مسيرة شهر» أى طوله قيل وعرضه أيضاً فعند مسلم: «حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء» قال النووى[١] : قال العلماء معناه طوله كعرضه.أهـ. قوله: «ماؤه أبيض من اللبن» أى أشد بياضاً من بياض اللبن، قال الحافظ ابن حجر[٢] : قال المازرى مقتضى كلام النحاة أن يقال أشد بياضاً ولا يقال أبيض من كذا. قال الحافظ: قلت ويحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة فعند مسلم[٣]: «أشد بياضاً من اللبن».أ هـ. قوله ﷺ «وريحه أطيب من المسك» أى له رائحة غير المتعارف من طيب وماء الدنيا أن أطيبه لا رائحة له ورائحة ماء الحوض أطيب من رائحة مسك دم الغزال. وعند مسلم[١] «وأحلى من العسل» يعنى أحلى مذاقاً من طعم =

---

(١) شرح مسلم (١٥/ ٥٥، ٥٦).

(٢) فتح البارى (٢٤ / ٢٩٥).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٥ / ٦١، ٦٢) فى الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ.

= العسل الخارج من بطون النحل قوله ﷺ: «وكيزانه كنجوم السماء» وعند مسلم[1] «والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة»، قال النووى[2]: المختار الصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره وأنها أكثر عدداً من نجوم السماء ولا مانع عقلى ولا شرعى يمنع من ذلك بل ورد الشرع به مؤكداً كما قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء»، .اهـ. قوله ﷺ: «من شرب منه فلا يظمأ أبداً» أى من أكرمه الله تعالى ورضى عنه وقرّ على حوض النبى ﷺ فسيشرب ومن شرب فلن يظمأ أبداً بعد هذه الشربة فشربة واحدة بعدها الرى الدائم ويدل على ذلك رواية بريدة عند الرويانى فى مسنده[3] من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. قال الحافظ[4]: من مر به فمكن شربه فشرب لا يظمأ أو من مكن من المرور به شرب.أهـ. والله أعلم. وعند الترمذى[5] من حديث أنس رضى الله عنه فى صفة الكوثر قال: «أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجذور» قال عمر: إن هذه لناعمة، فقال رسول الله ﷺ: «أكلتها أنعم منها» قال صاحب التحفة[5]: «فيه» أى فى ذلك النهر أو فى أطرافه طير أعناقها كأعناق الجذور» بضم الجيم والزاى جمع جذور وهى البعير» إن هذه «أى الطير» لناعمة» أى سمان مترفة كذا فى النهاية.أهـ. قوله فقال رسول الله ﷺ «أكلتها أنعم منها» قال والمعنى من يأكلها.أهـ. أى «الآكل أنعم من المأكول والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٥/٦١، ٦٢ في الفضائل باب حوضي نبيناﷺ.

(٢) شرح مسلم ١٥/٥٥، ٥٦.

(٣) أخرجه الحافظ أبو بكر محمد بن هارون الرويانى فى مسنده ١ / ٨٧ ح ٥٠ فى مسند ابن بريدة عن أبيه.

(٤) فتح الباري ٢٤/٢٩٥.

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٤٩ فى صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة طير الجنة وقال حديث حسن.

المبحث الثامن

في عدد من يرد حوض النبي ﷺ

٦٨٩ ـ عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً قال: **«مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مَائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَى الحَوْضِ» قال قلت: كَمْ كنتمْ يومئذٍ؟ قال: سبعمائةٍ أو ثمانمائةٍ».**

٦٨٩ ـ أخرجه أبو داود في سننه (١٣ / ٨١) في السنة باب في الحوض، ح ٤٧٢٠ .

المعنى

يخبر زيد رضي الله عنه أنهم كانوا مع المصطفى رسول الله ﷺ قال فنزلنا منزلاً «أي مكاناً يقيمون فيه وقتاً لراحتهم أثناء سفرهم فقال لهم نبينا ﷺ «ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض» أراد نبينا ﷺ أن يخبرهم بعدد من يرد الحوض بالنسبة لعددهم الموجود وقتها فأخبرهم ﷺ أنهم لا يكملون جزءاً من مائة ألف جزء ممن سيردون على الحوض إن شاء الله قال تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[1] إذ الواردون بالحوض إن شاء الله تعالى أكثر من سبعين أو ثمانين ألف ألف «مليوناً» لقول زيد رضي الله عنه لما قيل له «كم كنتم» أي في هذه الرحلة قال: «سبعمائة أو ثمانمائة» أي من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قال أبو الطيب آبادي[2] «كنا مع رسول الله ﷺ «أي في سفر قوله» «ما أنتم» أي أيها الصحابة الحاضرون قوله: «جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض» يريد به كثرة من آمن به وصدقه ـ ﷺ ـ من الإنس والجن قوله «قال» أي أبو حمزة ـ أي الرواي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ـ قوله «كم كنتم» كم استفهامية أي كم رجلاً أو عدداً كنتم =

(١) سورة النجم آية (٣)، (٤).
(٢) عون المعبود (١٣ / ٨١) .

= يومئذ» أى حين إذ كنتم معه ﷺ فى السفر «قال» أى زيد بن أرقم «سبع مائة» بالرفع أى كان عددنا سبع مائة ويجوز نصبه أى كنا سبع مائة» أو ثمان مائة» الظاهر أنه هو شك من زيد بن أرقم كما هو مقرر فى باب التخمين قال والحديث سكت عنه المنذرى.أ هـ. والله أعلم.

الرجال: أما حفص بن عمر النمرى شيخ أبى داود فمتفق على توثيقه، تهذيب (٢/٣٤٩) وقال ابن حجر ثقة ثبت تقريب (١ / ١٨٧)، وأما شعبة فإمام، وأما عمرو بن مرة فهو بن عبد الله بن طارق الجملى قال الحافظ ثقة كان لا يدلس تقريب (٢ / ٧٨) ت ٦٧٧، وأما أبو حمزة: فهو طلحة بن يزيد الأيلى ويروى عن زيد بن أرقم وعنه عمرو بن مرة ثقة.أ هـ. تهذيب (٥ / ٢٦)؛ فرجال الإسناد ثقات. والله أعلم والحمد لله وحده كثيراً.

المبحث التاسع

حجر الكعبة من الجنة

٦٩٠ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ**».

---

٦٩٠ ـ أخرجه الترمذى فى سننه (٣ / ٦١٦) فى الحج، باب ما جاء فى فضل الحجر الأسود والركن والمقام، وقال حسن صحيح.

وأخرجه أحمد فى المسند (١ / ٣٠٧) عن ابن عباس أيضاً ولكن قال: «من الثلج» بدلاً من اللبن».

المعنى

يقول نبينا ﷺ «نزل الحجر الأسود من الجنة» أى حجر ركن الكعبة الذى يسن تقبيله واستلامه ويجب بداية الشوط من عنده يعنى حساب الشوط كاملاً من عنده وإلى عنده قوله: «وهو أشد بياضا من اللبن» وعند أحمد: «وكان أشد بياضاً من الثلج» أى عند أول نزوله قبل أن يستلمه الناس فلما استلموه إسود من ذنوبهم، والغالب أنها خطايا المشركين الذين استلموه قبل الفتح وقبل الإسلام ليس عموم الناس، لذلك قال ﷺ: «فسودته خطايا بنى آدم» وعند أحمد: «فسودته خطايا أهل الشرك» قال صاحب التحفة[1] ناقلاً عن القارئ: والحاصل أن الحجر بمنزلة المرآة البيضاء فى غاية من الصفاء ويتغير بملاقاة ما لا يناسبه من الأشياء حتى يسود لها جميع الأجزاء وفى الجملة الصحيحة لها تأثير بإجماع العقلاء.أهـ. وقال المحب الطبرى[1]: فى بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة: فإن الخطايا إذا أثرت فى الحجر الصلد فتأثيرها فى القلب أشد؛ وقال فى المرقاة أى صارت ذنوب بنى آدم الذين يمسحون الحجر سبباً لسواده والأظهر حمل الحديث على حقيقته إذ لا مانع نقلاً ولا عقلاً.أهـ. وهو كما قال والله أعلم.

---

(١) تحفة الأحوذى (٣ / ٦١٧).

المبحث العاشر

آنية الكوثر عدد نجوم السماء

٦٩١ ـ عن أنس قال: بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِماً فَقُلْنَا: ما أضحكك يَا رَسُولَ اللهِ قال: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنفاً سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ ثم قال: **«أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟ فقلنا الله ورسولُهُ أعلم قال: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عليه خَيْرٌ كثير، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يومَ القِيَامَةِ آنيتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيَخْتَلِجُ العَبْدُ مِنْهُمْ، فأقول: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي «فيقول ما تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»**.

---

٦٩١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ١١٢) في الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة

المعنى

يقول أنس: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا» أي بينما رسول الله ﷺ في يوم من الأيام كان جالساً بيننا، قال النووي[1] قال الجوهري: بينا فعل أشبعت الفتحة فصارت ألفاً واصلة، قال النووي[1]: قوله: «بين أظهرنا» أي بيننا.أهـ. قوله «إذ أغفى إغفاءة» قال النووي[1]: أي نام وفيه جواز النوم في المسجد وجواز نوم الإنسان بحضرة أصحابه.أهـ. قوله: «ثم رفع رأسه مبتسماً» أي بسبب ما رآه في المنام من خير عظيم وكان أيضاً يبتسم ﷺ إذا نزل عليه ما يسره ﷺ قوله: «فقلنا ما أضحكك يا رسول الله» قال النووي[1]: وإذا رأى التابع من متبوعه تبسماً أو غيره مما يقتضي حدوث أمر يستحب له أن يسأل عن سببه.أهـ. أخذ الإستحباب من تقرير النبي ﷺ ذلك ولم ينه الصحابة عن السؤال عن هذا وإدخاله في قوله ﷺ : «من حسن إسلام =

---

(١) شرح مسلم (٤ / ١١٣).

= المؤمن تركه ما لا يعنيه»[1] قوله: قال: «أنزلت على آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر﴾[2] : قال الحافظ[3] : الكوثر: فوعل من الكثرة، سمى بها النهر لكثرة مائة وآنيته وعظم قدره وخيره.أهـ. وقال النووى[4] الشانئ المبغض والأبتر هو المنقطع العقب وقيل: هو المنقطع عن كل خير قالوا: أنزلت فى العاصى بن وائل.أهـ. قوله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر» أى أتعرفون ما هو الكوثر وما معناه قوله: «قالوا الله ورسوله أعلم» هكذا تعودوا إجابة أى سؤال منه لهم ﷺ أدباً حتى لو كانوا يعرفونه ليزدادوا علماً فاللهم أدبنا وعلمنا، أين هذا ممن يجيب الآن وهو متأكد أنه جاهل بالسؤال والإجابة!!؟ قوله: «قال: فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل» قال الله تعالى لنبيه ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[5] قوله ﷺ «عليه خير كثير» عمم الخير ونكره لزيادة الكثرة فالله أعلم بمنتهاها قال النووى[4]: والكوثر هنا نهر فى الجنة كما فسره النبى ﷺ وهو فى موضع آخر عبارة عن الخير الكثير.أهـ. قوله: «هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة» وقد بين الحافظ أن أصله هو الكوثر داخل الجنة وهناك فرع خارج منه هو الذى يشرب منه الناس قبل الدخول يوم القيامة قوله ﷺ «آنيته عدد النجوم» وفى رواية[6]: «والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها .... الحديث» قال النووى[7] المختار الصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره وأنها أكثر عدداً من نجوم السماء ولا مانع عقلى ولا شرعى يمنع من ذلك بل ورد الشرع به مؤكداً كما قال ﷺ: «والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء». أهـ. قوله: «فيختلج العبد منهم» قال النووى[4]: أى ينتزع ويقتطع «قوله»: فأقول: =

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٦ / ٦٠٧) فى الزهد ح (٢٤١٩).
(٢) سورة الكوثر وآياتها ثلاث مكية نزلت بعد العاديات.
(٣) فتح البارى (١٨ / ٣٩٠). (٤) شرح مسلم (١١٣/٤).
(٥) سورة الضحى آية (٥).
(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٥ / ٦١، ٦٢) فى الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ.
(٧) شرح مسلم ١٥ / ٥٦.

«رب إنه من أمتى» لظهور علامة ذلك قوله ﷺ «فأقول: رب إنه من أمتى فيقول: لا تدرى ما أحدثت بعدك» وفى رواية لمسلم[1] : قالوا يا نبى الله أتعرفنا قال : «نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون على غراً محجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابى فيجيبنى ملك فيقول: وهل تدرى ما أحدثوا بعدك» قال النووى[1]: هذا مما اختلف العلماء فى المراد به على أقوال أحدها أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبى ﷺ للسيم التى عليهم فيقال ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم وذكر أقوالاً أخرى أرجحها عندى ذلك وما ذكره عن الحافظ أبو عمرو بن عبد البر أنه قال: كل من أحدث فى الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافضة وسائر أصحاب الأهواء قال: وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم.أهـ.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣ / ١٣٦) فى الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل.

المبحث الحادى عشر

فى عامة أهل الجنة

٦٩٤ ـ عن أسامة عن النبيﷺ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّة فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلهَا المَسَاكِين، وأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**».

---

٦٩٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ٢٢٨) فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٤٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٧ / ٥٣) فى الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء قوله: «وأصحاب الجد محبوسون» قال ابن الأثير: أى ذو الحظ والغنى.أهـ .نهاية (١ / ٢٤٤).

المعنى

يروى لنا أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين» وفى رواية عمران[١] :«اطلعت فى الجنة فرأيت أكثرها الفقراء» أى لما قام النبى ﷺ على باب الجنة رأي غالب من دخلها الفقراء والمساكين أى من أهل الإيمان والصلاح فمن لم يكن كذلك فليس بذلك قال الحافظ[٢] من الفقراء والمساكين: وكل منهما يطلق على الآخر وقال النووى[٣] : وفى هذا الحديث تفضيل الفقر على الغنى وفيه فضيلة الفقراء والضعفاء.أهـ. قوله: «وأصحاب الجد محبوسون» أى أصحاب الغنى محبوسون أى الصالحون منهم المستحقون الجنة يحبسون عنها حتى يسألوا عن أموالهم كما فى الحديث «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين =

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ٢٢٨) فى الرقاق فى صفة الجنة والنار (ح ٦٥٤٦) .

(٢) فتح البارى (٢٤ / ٢٢٨) .

(٣) شرح مسلم (١٧ / ٥٣، ٥٤) .

=اكتسبه، وفيما أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»[1] قال الحافظ[2]: قوله «أصحاب الجد» بفتح الجيم أي الغنى «محبوسون» أي ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال، وكأن ذلك عند القنطرة التي يتقاضون فيها بعد الجواز على الصراط أ هـ قوله: «غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار» وعند مسلم «إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار» قال النووي[3]: معناه من استحق من أهل الغنى النار بكفره أو معاصيه.أهـ. قوله «وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء» والسبب في ذلك ما أخرجه البخاري[4] في صحيحه وغيره مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء».

قالوا: لم يا رسول الله؟ قال «بكفرهن» قيل: يكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط» أي يكفرن الزوج وإحسانه إليهن فلو أحسن إليها زمن العشرة كله ثم أساء إليها يوماً كفرت ما مضى كله وقالت أنها ما رأت خيراً قط قال الحافظ[5] لفظ العشير فالمراد به هنا الزوج ثم قال وقوله: «لو أحسنت إلى إحداهن الدهر» فيه إشارة إلى وجود سبب التعذيب لأنها بذلك كالمصرة على كفر النعمة والإصرار على المعصية من أسباب العذاب أشار إلى ذلك المهلب.أهـ. قال الحافظ[2]: قوله:«بكفرهن» أي بسبب كفرهن، قال القرطبي: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن.أهـ. قلت: ولإبداء زينتهن وكشف عوراتهن والتكسر في مشيتهن، ورفع أصواتهن، والخضع بأقوالهن، وكثرة اختلاطهن، والخروج عن طاعة أوليائهن، هذا غالب أحوالهن إلا من رحم ربنا فاللهم قنا شرهن ونجنا من فتنتهن وأصلح أمهاتنا وارحمهن واحفظ بناتنا وعفتهن واهد ازواجنا واسكتهن عن كل ما يؤدي إلى الانشغال عن الجنان وحورهن آمين والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة (٧، / ١٠١) باب ما جاء في شأنه الحساب والقصاص، (ح ٢٥٣٢).

(٢) فتح الباري (٢٢٨/٢٤). (٣) شرح مسلم (١٧/ ٥٣، ٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩ / ٣٥٦) في النكاح، باب كفران العشير، (ح ٥١٩٧).

(٥) فتح الباري (١٩ / ٣٥٦).

المبحث الثانى عشر

فى العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله تعالى عليهم

٦٩٣ ـ عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنى سمعته وهو يقول: «**عَشَرَةٌ فى الجَنَّة، النَّبىُّ ﷺ فى الجَنَّة، وأَبُو بَكْرٍ فى الجَنَّة، وعُمَرُ فى الجنة، وعُثْمَانُ فى الجنة، وعَلىٌّ فى الجنة، وطَلْحَةُ فى الجنة، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ فى الجنة، وسَعْدٌ بنْ مَالكٍ فى الجنة، وعَبْدُ الرَّحْمنِ بن عوف فى الجنة» ولو شئتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِر قال: فقالوا: من هو؟ فسكت: قال: فقالوا من هو؟ قال: فقال: هو سَعِيد بنُ زَيْدٍ**».

---

٦٩٣ ـ أخرجه أبو داود فى سننه (١٢ / ٤٠١، ٤٠٢) فى السنن، باب ما قيل فى الخلفاء، (ح ٢٦٢٤).

وأخرجه الترمذى له شاهداً فى سننه (١٠ / ٢٤٩) فى المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح ٣٨٣٠.

وأخرجه ابن ماجه فى سننه (١ / ٤٨) فى المقدمة، فضائل العشرة رضى الله عنهم، (ح ١٣٣).

رجال الإسناد[١]: حفص بن عمر النمرى: ثقة ثبت. تقريب (١/١٨٧) ترجمة (٤٥٠)، شعبه هو الإمام أمير المؤمنين فى الحديث، الحر بن الصياح: ثقة، تقريب (١/١٥٦)، وعبد الرحمن بن الأخنس: مستور، تقريب (١/٤٧٢) وقال الحافظ ذكره ابن حبان فى الثقات تهذيب (٦/١٢٢).

---

(١) إسناد أبى داود رجاله كلهم ثقات غير ابن الأخنس الراوى عن سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه لكن تابع ابن الأخنس رياح بن الحارث عند ابن ماجه عن سعيد بن زيد .. به فزال بحمد الله تعالى ما كان يخشى من لين ابن الأخنس وتقوى الحديث بذلك فظاهر السند الصحة والله أعلم.

المعنى

يخبرنا سعيد بن زيد رضى الله عنهما شاهداً أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول: «عشرة فى الجنة» أى هؤلاء العشرة المذكورون كلهم إن شاء الله تعالى داخلون الجنة بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب بل من أول وهلة وقد بشرهم نبينا ﷺ جملة واحدة وهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه عبد الله بن أبى قحافة، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعثمان بن عفان رضى الله عنه، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، والزبير بن العوام رضي الله عنه، وسعد ابن مالك هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه والعاشر فى رواية الترمذى «وأبو عبيدة ابن الجراح فى الجنة» رضى الله عنه، وقد بشر النبى ﷺ أيضاً غيرهم كثابت بن قيس والحسن والحسين وأمهما فاطمة وكلها أحاديث فى صحيح البخارى لكن هؤلاء العشرة اختصوا بأنهم جملة واحدة، قال المناوى[1] : تبشير العشرة لا ينافى مجئ تبشير غيرهم أيضاً فى غير ما خبر لأن العدد لا ينفى الزائد، وقال القارى[1] الظاهر أن هذا الترتيب هو المذكور على لسانه ﷺ .أهـ. والله أعلم فاللهم ألحقنا بهم يا رب العالمين.

(١) تحفة الأحوذى (١٠ / ٢٤٩، ٢٥٠).

المبحث الثالث عشر

صاحب الغار هو صاحب الحوض

٦٩٤ - عن ابن عمر أن رسولَ اللهِ ﷺ قال لأبِى بكرٍ: «**أَنْتَ صَاحِبى علَى الحَوْضِ، وصَاحِبى فِى الغَارِ**».

---

٦٩٤ - أخرجه الترمذى فى سننه (١٠ / ١٥٤)، فى المناقب، مناقب أبى بكر رضى الله عنه (ح ٣٧٥٢) وقال حسن غريب صحيح.

المعنى

يقول النبى ﷺ لأبى بكر: أنت صاحبى على الحوض، وصاحبى فى الغار «قال تعالى ﴿هَلْ جزاءُ الإحْسَانِ إلاّ الإحْسانُ﴾[1] وقال تعالى ﴿ثانى اثنين إذهما فى الغار﴾[2] لقد تحمل أبو بكر الكثير لكن هناك فارق شاسع بين تحمله وما تحمله النبى ﷺ فى نبوته من أجل إقامة الإسلام لكن الصديق ساند وعاون وضحى وبذل حتى قال النبى ﷺ «إن أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته»[3] : كافأه ربنا عز وجل أيضاً لاسبقيته فى الإيمان بالنبى ﷺ ومساعدته وخدمته والدفاع عنه يوم أن لم يكن إلا ثانى اثنين فجعله ربنا تعالى أيضاً للنبى ﷺ على الحوض كما كان صاحباً فى الغار بل وأول من يدخل الجنة بعد النبى ﷺ كما سيأتى إن شاء الله تعالى: قوله ﷺ «أنت صاحبى على الحوض» قال صاحب التحفة: أى الكوثر «وصاحبى فى الغار» أى الكهف الذى بجبل ثور الذى أويا إليه فى خروجهما مهاجرين قال فى اللمعات: يعنى صاحبى فى الدنيا والآخرة، وكونه صاحباً له فى الغار فضيلة تفرد بها أبو بكر لم يشاركه فيها أحد.أهـ. وقال القارى: أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه فى الآية =

---

(١) سورة الرحمن آية (٦٠)

(٢) سورة التوبة آية (٤٠)

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣ / ١٣٢) فى الصلاة باب الخوخة والممر فى المسجد، (ح ٤٦٦).

= يعنى قوله تعالى ﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾[1] : هو أبو بكــر، وقـد قــالوا: من أنكـر صحبـة أبى بكر كفر لأنه أنكر الـنص الجلى بخلاف صحبة غيره من عـمر أو عثمان أو على رضوان الله علـيهم أجمعين.أهـ. قلت وفى إنكار الباقين فسوق على الأقل لوجـود النصوص الصـحيحـة الصريحـة فى إثبات صـحبتـهم رضى الله عنهم أجمعين والله أعلم.

(١) سورة التوبة آية (٤٠).

المبحث الرابع عشر
فيمن يدخل الجنة بغير حساب

٦٩٥ - عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يَدْخُلُ الجَنَّة من أُمتي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يسْتَرْقُونَ، ولا يتطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

---

٦٩٥ - أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ٩٤) فى الرقاق، باب ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، (ح ٦٤٧٢).

وأخرجه مسلم فى صحيحه (٣ / ٨٨) فى الإيمان، باب دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب قوله «لا يتطيرون» أى لا يتشاءمون كما كانوا يفعلون فى الجاهلية. أ.هـ.

المعنى

يقول رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة: من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب» فضل من الله الكريم زائد يتفضل به سبحانه على أصحاب الفضل ذوى الأعمال الخالصة الصالحة النادر حصولها التى يشق فعلها على كثير من الصالحين وهو أن يدخل سبحانه سبعين ألفاً فقط بغير حساب الجنة أو يتفضل سبحانه بالحثيات وفى الحديث[(١)] مرفوعاً: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى» قال النووى[(٢)] : قوله ﷺ «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» فيه عظيم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبى ﷺ وأمته زادها الله فضلاً وشرفاً.أهـ. وفى رواية[(٣)] لمسلم عن سهل =

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٧ / ١٢٩) فى أبواب صفة القيامة، باب ما جاء فى الشفاعة وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) شرح مسلم (٣ / ٨٨).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣ / ٩٢) فى الإيمان باب تعريف التوكل على الله تعالى.

= ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدري أبو حازم - الراوي عن سهل - أيهما قال .... الحديث» قوله: «هم الذين لا يسترقون» قال تقي الدين بن تيمية: أما المسترقي فإنه يسأل غيره ويرجو نفعه وتمام التوكل ينافي ذلك قال وإنما المراد وصف السبعين بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم أو يكويهم ولا يتطيرون من شئ.أهـ. قوله: «لا يتطيرون» قال ابن حجر[1]: والمراد أنهم لا يتشاءمون كما كانوا يفعلون في الجاهلية.اهـ. قوله: «وعلى ربهم يتوكلون» وأحسن من فسر التوكل في نظري الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء ولخصه[2] الإمام أحمد بن قدامة فقال: والتوكل ينبني على التوحيد والتوحيد طبقات منها أن يصدق القلب بالوحدانية المترجم عنها قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فيصدق بهذا اللفظ لكن من غير معرفة دليل فهو اعتقاد العامة، الثانية: أن يرى الأشياء المختلفة، فيراها صادرة عن الواحد وهذا مقام المقربين، الثالثة - وهي أوضح - أن يرى الإنسان إذا انكشف عن بصيرته أن لا فاعل سوى الله، لم ينظر إلى غيره، بل يكون منه الخوف والرجاء وبه الثقة وعليه التوكل لأنه في الحقيقة هو الفاعل وحده، فسبحانه والكل مسخرون له، فلا يعتمد على المَطَرِ فِي خروج الزرع، ولا على الغيم في نزول المطر، ولا على الريح في سير السفينة فإن الإعتماد على ذلك جهل بحقائق الأمور ثم ضرب مثلاً لمن التفت إلى السبب دون المسبب بمن أخذ لتضرب عنقه فوقع له الملك بالعفو فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا هذا القلم ما تخلصت وهذا من الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه ولا الكاتب شكر الملك ومن علم أن الله ملك الملك وملك الملوك وكل الخلائق مسخرة تحت أمره وبأمره توجه إليه سبحانه دون سواه.أهـ. ملخصاً وبتصرف والله أعلم، قال صاحب التحفة[3] : والحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير.أهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢٤ / ٢١٩) .

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٣١) .

(٣) تحفة الأحوذي (٧ / ١٣١) .

المبحث الخامس عشر
فيمن يدخل الجنة بالسلاسل

٦٩٦ - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِى السَّلاَسِلَ**».

---

٦٩٦ - أخرجه البخارى فى صحيحه (١٢ / ١١١، ١١٢) فى الجهاد، باب الأسارى فى السلاسل، (٣٠١٠).

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل» سبحان ربنا عز وجل ما أرحمه عندما يريد بعبده الخير يسوقه إليه سوقاً فيقيض له من يأخذ بيديه إليه ولو كرها حتى يسلم فهؤلاء قوم أجبروا على الإسلام بأنهم أسروا مسلسلين ثم أسلموا وماتوا على الإسلام فدخلوا الجنة، قال الحافظ[1] : قلت: المراد بكون السلاسل فى أعناقهم مقيد بحالة الدنيا فلا مانع من حمله على حقيقته والتقدير يدخلون الجنة وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل.أهـ. وقد روى البخارى فى صحيحه يبين أن من يأتى بالناس فى السلاسل يجبرهم على الإسلام والخير هو من خير الناس للناس حيث أخذ بأيديهم إلى النجاة والجنة فعن أبى هريرة رضى الله عنه ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: «خير الناس للناس. تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام»[2] وقال ابن الجوزى[1]: معناه أنهم أسروا وقيدوا فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا فدخلوا الجنة فكأن الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول، وكأنه أطلق على الإكراه التسلسل ولما كان هو السبب الأول فى دخول الجنة أقام السبب مقام المسبب.أهـ. وهناك صورة أخرى ممكنة ذكرها الحافظ[1] عن بعض أهل العلم قال: يحتمل أن يكون المراد المسلمين المأسورين عند أهل الكفر يموتون على ذلك أو يقتلون فيحشرون كذلك وعبر عن الحشر بدخول الجنة لثبوت دخولهم عقبه والله أعلم .أهـ.

---

(١) فتح البارى (١٢ / ١١١).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٨٦/١٧) فى تفسير آل عمران باب (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (ح٤٥٥٧).

المبحث السادس عشر

الجنة محفوفة بالمكاره فلابد منها للعبور إليها

٦٩٧ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُفَّتْ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**».

---

٦٩٧ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ١١١) فى الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، (ح ٦٤٨٧).

وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٧ / ١٦٥) فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها واللفظ له.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنه بالمكاره» وعند مسلم: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» أى أن من أراد النعيم الذى لا نعيم فوقه والسعادة التى لا شقاء بعدها والراحة التى لا يخالطها نصب ولا وصب ولا هم ولا غم فى دار فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلابد أن يعلم أن بينه وبين الوصل خندق من المكاره التى تكرهها النفس وتضجر منها لا مفر من التخطى لتلك المكاره والصبر عليها ابتغاء وجه الله تعالى لكى يصل بقلب سليم وكذلك النار حولها خندق من الملذات والشهوات والأهواء والزينات التى تنجذب النفس الأمارة إليها فمن أجابها وسار فيها وعاش عليها وصل ووقع فى الجحيم والعياذ بالله تعالى ومن صبر وصابر وربط ورابط ولم يتبع هواه وغلب شيطانه نجا وفاز قال الله عز وجل ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[1] قال الحافظ[2]: وهو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته فى ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها وقد =

---

(١) سورة آل عمران آية (١٨٥)

(٢) فتح البارى (٢٤ / ١١١).

ورد إيضاح ذلك من وجه آخر عن أبى هريرة فأخرج الترمذى[1] : عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءَ فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال «ارجع إليها فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هى قد حفت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال: اذهب إلى النار فأنظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هى يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها فرجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» فهذا يفسر الرواية الأصلية فإن المراد بالمكاره هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً، وتركاً كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله فيها، والمراد بالشهوات ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشارع من تعاطيه إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شئ من المأمورات، ويلتحق بذلك الشبهات والإكثار مما أبيح خشية الوقوع فى المحرم، فكأنه قال لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطى الشهوات وهما محجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم ويحتمل أن يكون هذا الخبر وإن كان بلفظ الخبر فالمراد النهى.أهـ. قال النووى[2]: فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد فى العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسئ والصبر عن الشهوات ونحو ذلك وأما الشهوات التى النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهى ونحو ذلك.أهـ. والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٧ / ٢٨١) عن أبى هريرة فى الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، (ح ٢٦٨٥).

(٢) شرح مسلم (١٧ / ١٦٥) .

المبحث السابع عشر

فتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس

٦٩٨ - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«تُفتحُ أبوابُ الجَنَّة يَوْمَ الإِثْنَيْن، ويَوْمَ الخَمِيس فَيُغْفَرُ لكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيه شَحْنَاءُ، فيقال: أَنْظِرُوا هَذَيْن حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»**.

---

٦٩٨ - أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦ /١٢٢)، فى البر والصلة والآداب، باب النهى عن الشحناء.

وأخرجه الترمذى فى سننه (٦ / ١٦٨) فى البر.

وأخرجه أحمد فى المسند (٢ / ٢٧٨) بلفظ مقارب.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس» كما تفتح فى رمضان وعند الهاجرة فضلاً من الله عز وجل قال القاضى[١] : يحتمل أن يكون على ظاهره وأن فتح أبوابها علامة للصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل .أهـ. بتصرف قال صاحب التحفة[٢] : بعد كلام القاضى: هذا الإحتمال هو الظاهر فالأولى أن يحمل الحديث عليه.أهـ. قلت هو تعقب طيب مقبول أرتضيه والله المستعان وقال أيضاً قوله «تفتح أبواب الجنة» أى حقيقة لأن الجنة مخلوقة الآن وفتح أبوابها ممكن.أهـ. قوله «فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً» الظاهر أنها الصغائر لأن الكبائر كفاراتها الحدود قوله «إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء» قال النووى[١]: والشحناء العداوة كأنه شحن بغضاً له لملائه.أهـ. وعند الترمذى: «إلا المتهاجرين» قال =

---

(١) شرح مسلم (١٦ / ١٢٢).

(٢) تحفة الأحوذى (٦ / ١٦٨، ١٦٩).

= صاحب التحفة[1] : أى المتقـاطعين.أهـ. ولعله ما كانت هناك شـحناء من أجل الهوى أما مـا كان من أجل الله عـز وجل فهـو الحب فى الله والبغض فـى الله تعالى فـهو شئ ممدوح يؤجـر عليـه لا يتـوعـد صـاحبه بـذلك والله أعلم، قـوله «أنظروا هذين حـتى يصطلحـا» وعند الترمذى: «ردوا هذين حـتى يصطلحا» قـال النووى: «أنظروا هذين بقطع الهمزة: أخروهما حتى يفيئا أى يرجعا إلى الصلح والمودة[1].أهـ. وقال صاحب التحفة[2]: حـتى يصطلحا» أى يتـصـالحا ويزول عنهـما الشـحناء فـلا يفيـد التصـالح للسمعة والرياء.أهـ. والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذي (٦/١٦٨، ١٦٩).

(٢) شرح مسلم (١٦/١٢٢).

المبحث الثامن عشر

أهل الجنة بيض جرد مكحلون

٦٩٧ - عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّة جُرْداً، بِيضاً، جِعَاداً، كحلاً مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ، وَهُمْ عَلَى خَلْقِ آدَمَ ﷺ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِى سَبْعِ أَذْرُعٍ**».

---

٦٩٧ - أخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط (٥ / ٣١٨) عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعاً قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٩) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وإسناده حسن.أ هـ.

وأخرجه الترمذى بلفظ مقارب واختصار ٧ / ٢٤٦ فى صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة ثياب أهل الجنة (ح٢٦٦٢) وقال غريب.

وأخرجه أحمد فى المسند (٢ / ٢٩٥) بلفظ مقارب كله عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعاً قوله: «جرداً» الأجرد الذى ليس على بدنه شعر.أ هـ. نهاية (٢٥٦/١).

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً ......» «جرداً» حال من أهل الجنة أى حالة كونهم جرداً لا شعر على جسدهم، وعند أحمد «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا» قال ابن الأثير[١]: الأجرد الذى ليس على بدنه شعر ومنه الحديث «أهل الجنة جرد مرد» أ هـ بضم الأول وسكون الثانى، وقال صاحب التحفة[٢] : قوله «أهل الجنة جرد» بضم جيم وسكون راء جمع أجرد وهو الذى لا شعر على جسده وضده الأشعر «مرد» جمع أمرد وهو غلام لا شعر على ذقنه، وقد يراد به الحسن على الغالب.أهـ. قوله «بيضاً جعاداً كحلاً =

---

(١) النهاية (١ / ٢٥٦) .

(٢) تحفة الأحوذى (٧ / ٢٤٦) .

= مكحلين» وعند الترمذى «كحلى» أى بيض الوجوه كما فى الحديث السابق فى صفة أهل الجنة «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر»[1] : ولون أجفانهم لون الكحل من غير كحل ففى صفته ﷺ «فى عينيه كحل» قال ابن الأثير: الكحل بفتحتين: سواد فى أجفان العين خلقة، والرجل أكحل وكحيل.أهـ. وقال صاحب التحفة[2]: «كحلى» بفتح الكاف فعلى بمعنى فعيل أى مكحول وهو عين فى أجفانها سواد خلقه كذا قيل، قوله «أبناء ثلاث وثلاثين» أى دائماً سنهم كذلك شباباً لا يشيبون ولا يضعفون وعند الترمذى: «لا يفنى شبابهم» قال صاحب التحفة[2]: بل كل منهم فى سن ابن ثلاث وثلاثين دائماً.أهـ.: «وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى سبع أذرع» أى طولهم ستون ذراعاً وعرضهم سبعة أذرع فعند أحمد توضيح: ففيها «على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبع أذرع» هكذا أصلاً كان طول أبينا آدم عليه السلام كما أخبر نبينا ﷺ «ستون ذراعاً فى السماء فما زال الخلق ينقص حتى الآن فعند دخول الجنة إن شاء الله تعالى يرجع الخلق إلى هذا الأصل الطيب والله أعلم.

(١) تقدم فى المبحث الخامس من فصل الجنة.
(٢) تحفة الأحوذى (٤ / ١٥٤).

المبحث التاسع عشر

نَبِيُّنَا ﷺ أول من تنشق عنه الأرض ويكسى الحلل

٧٠٠ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى الحُلَّةَ من حلل الجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يمين العَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ المَقَامَ غَيرِى**».

---

٧٠٠ ـ أخرجه الترمذى فى سننه (١٠ / ٨٠) فى المناقب، باب ما جاء فى فضل نبينا ﷺ وقال حسن غريب صحيح.

وأخرج البخارى الجزء الأول منه (١٠ / ٤٧) فى الاستقراض، خصومات، باب ما يذكر فى الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (ح ٢٤١٠).

قوله: «الحله» واحدة الحلل لا تسمى إلا أن تكون ثوبين من جنس واحداً.أهـ. ملخصاً نهاية (١ / ٤٣٢).

المعنى

يقول نبينا ﷺ «أنا أول من تنشق عنه الأرض» وعند البخارى: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض» فهو السابق ﷺ فى الدنيا وفى البرزخ وفى البعث وفى الحشر وفى دخول الجنة وقد قال ﷺ حديثاً عظيماً فى أولياءه ﷺ فعن عمرو بن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ: «إنى لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتى يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر وإنى آتى باب الجنة فآخذ بحلقتها فيقولون من هذا فيقول أنا محمد فيفتحون لى فأدخل فإذا الجبار عز وجل مستقبلى فأسجد له فيقول: ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفع فأرفع رأسى... الحديث»[1] =

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣ / ١٤٤) عن أنس مرفوعاً.

= قال صاحب التحفة[1] : قوله: «أنا أول من تنشق عنه الأرض» أى للبعث فلا يتقدم أحد عليه بعثاً فهو من خصائصه.أهـ. وقال أبو الطيب آبادى[2] : يعنى أنا أول من يبعث من قبره.أهـ. ﷺ قال النووى[2]: فى الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم.أهـ. «فأكسى» بصيغة المتكلم المجهول أى فأبعث فأكسى.أهـ. قوله «الحلة من حلل الجنة» قال ابن الأثير[3]: الحلة: واحدة الحلل ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد.أهـ. ملخصاً وقال الخطابى[3]: الحلة ثوبان: إزار ورداء ولا تكون حلة إلا وهى جديدة تحل من طيها فتلبس.أهـ. فهذه الحلة لكن يكساها نبيناﷺ أول الناس فى الجنة ما لم ير مثلها ولن يسمع عن مثلها بل ولن تخطر على قلب بشر بل وهى أعلى حلل الجنة له ﷺ قوله: «ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى» نعم هذا من تمام وكمال رفعة الله عز وجل لنبينا ﷺ فى الدنيا والآخرة على كل من فضله الله عز وجل وهذا من الأدلة القوية على ذلك وأكد بقوله ﷺ: «ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى» هو نفى عام لأى مخلوق كان أن يقوم ذلك المقام الذى قامه المصطفى عليه الصلاة والسلام، قال صاحب التحفة[1]: قوله ﷺ «ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى» أى هذه خصيصة شرفنى الله بها؛ والخلائق جمع خلق فيشمل الثقلين والملائكة.أهـ. والله أعلم.

---

(١) تحفة الأحوذى (١٠ / ٨٠) .
(٢) عون المعبود (١٢ / ٤٢٧) .
(٣) نهاية (١ / ٤٣٢) .

المبحث العشرون

قول النبى ﷺ عن ابنه ابراهيم

«إن له مرضعاً فى الجنة»

٧٠١ ـ عن البراء قال: لما مات إبراهيم عليه السلام، قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ لَهُ مُرضِعاً فِى الجَنَّة».

---

٧٠١ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٢ / ٣٩٠) فى الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، (ح ٦١٩٥).

المعنى

يخبرنا البراء بن عازب رضى الله عنه عن ابن النبى ﷺ فقال: لما مات إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ «إن له مرضعاً فى الجنة» أى لما توفى الله عز وجل إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو غلام رضيع والنبى ﷺ أعلمه ربه عز وجل أن إبراهيم فى الجنة فأخبر النبى ﷺ أن لإبراهيم مرضعاً تكمل رضاعته فى جنة الله عز وجل تحت عرش الرحمن، قال الحافظ[1] : فى قوله ﷺ: «إن له مرضعاً فى الجنة» قال الخطابى: هو بضم الميم على أنه فاعل من أرضع أى من يتم إرضاعه، وبفتحها أى أنه له رضاعاً فى الجنة قال ابن التين: قال فى الصحاح امرأة مرضع أى لها ولد ترضعه فهى مرضعة بضم أوله، فإن وصفتها بإرضاعه قلت مرضعة بفتح قال: والمعنى هنا يصح ولكن لم يروه أحد بفتح الميم قال ابن حجر: قلت وقع فى رواية الاسماعيلى «أنه له مرضعاً ترضعه فى الجنة» والمعنى تكمل إرضاعه لأنه لما مات كان ابن ستة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً على اختلاف الروايتين، وقيل إنما عاش سبعين يوماً.أهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح البارى (٢٢ / ٣٩١) .

المبحث الحادى والعشرون

عرض الجنة

٧٠٢ - عن أنس بن مالك - يوم بدر - قال: رسول الله ﷺ: «قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأَرْضُ» قال: يَقُولُ عُمير بنُ الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ: يا رسولَ الله جَنَّةٌ عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ قال: لا والله يا رسولَ الله إلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فأخرج تمرات من قَرْنه فجعل يأكُلُ منهم ثم قال: لئنْ أَنَا حَيِيتُ حتى آكُلَ تَمَرَاتِى هذه إنها لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قال: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ».

---

٧٠٢ - أخرجه مسلم فى صحيحه (١٣ / ٤٥، ٤٦) فى الجهاد والسير، باب ثبوت الجنة للشهيد.

وأخرجه أحمد فى مسنده (٣ / ١٣٦، ١٣٧) بلفظه.

وأخرجه الحاكم فى مستدركه (٣ / ٤٨١) فى معرفة الصحابة باب ذكر مناقب عمير بن الحمام بن الجموح رضى الله عنه (ح ٥٧٩٨) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

قوله: «بخ بخ» فيه لغتان: إسكان الخاء وكسرها منوناً وهى تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير.أهـ. شرح مسلم (١٣/ ٤٥، ٤٦).

قوله: «قرنه» هو بقاف وراء مفتوحتين ثم نون أى جعبة النشاب.أهـ. شرح مسلم (١٣ / ٤٥، ٤٦).

المعنى

يقول نبينا ﷺ «يوم بدر قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» كما قال الله عز وجل ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[1] : وقال تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ﴾[2] : قوله: «قال: يقول عمير بن الحمام الأنصارى» قال النووى[3] : بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم.أهـ. قوله: «يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض» يتعجب من عظمها وسعتها وقدرة ربها في خلقها وإنشائها وتحسينها قوله: ﷺ: «نعم» أى قال نعم عرضها السموات والأرض قوله: قال: «بخ بخ» قال النووى[3] فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منوناً وهى تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير.أهـ. قوله: فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» أى ما دعاك لأن تقول بخ بخ قوله: «قال لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها» قال النووى[3]: هكذا هو فى أكثر النسخ المعتمدة رجاءة بالمد نصب التاء ومعناه: والله ما فعلته لشئ إلا لرجاء أن أكون من أهلها.أهـ. قوله «فإنك من أهلها» بشره ﷺ بالشهادة التى تمناها وصدق ولولا صدقه ما نالها وقد صدق لسان الوحى على رسول الله ﷺ فما تخلف عما قاله له المصطفى ﷺ قوله: «فأخرج تمرات من قرنه» قال النووى[3]: وهو بقاف وراء مفتوحتين ثم نون أى جعبة النشاب.أهـ. قوله «فجعل يأكلن منهم ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة» بالرغم من أنها تمرات قليلة ووقت أكلها مثلها لكن لما علم شيئاً عن التى عرضها السموات والأرض استبطئ أكل التمرات واستعجل المطى التى تعجل به إلى جنة عرضها الأرض والسموات بل اعتبر وقت أكل التمرات التى تستغرق عدداً من اللحظات حياةً طويلة بعيدة بينه وبين الجنة لذلك قال «فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل» فنال ما بشره لسان الصدق عند الرسول ﷺ «فإنك من أهلها» فاللهم اجعلنى من أهلها واجعلنا والله أعلم.

(١) سورة آل عمران آية (١٣٣)

(٢) سورة الحديد آية (٢١)

(٣) شرح مسلم (١٣ / ٤٥، ٤٦).

المبحث الثانى والعشرون

رائحة الجنة توجد من مسيرة أعوام طويلة

٧٠٣ - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«من قتل مُعَاهِداً لم يرحْ رَائِحةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِين عَاماً»**.

---

٧٠٣ - أخرجه البخارى فى صحيحه (١٢ / ٢٥٨) فى الجهاد، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ، (ح ٣١٦٦) .

وأخرجه البخارى فى صحيحه (٢٦ / ٨٨) فى الديات، باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم، (ح ٦٩١٤).

وأخرجه الترمذى فى سننه (٤ / ٦٥٨) فى الأحكام، باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهداً (ح ١٤٢٢) وقال حسن صحيح.

قوله: «معاهداً» المراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم.أهـ. فتح البارى (٢٦ / ٨٨).

قوله «لم يرح» بفتح الياء والراء وأصله يراح أى وجد الريح.أهـ. فتح (١٢/٢٥٨).

المعنى

يروى لنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن نبينا ﷺ أنه قال: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة» قال الحافظ[1] : والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم.أهـ. قوله «لم يرح رائحة الجنة» أى لن يجد ريح الجنة: قال الحافظ[2] : «لم يرح بفتح الياء والراء وأصله يراح أى وجد الريح وحكى ابن التين: ضم أوله وكسر الراء.أهـ. قوله: «وإن ريحها توجد من =

(١) فتح البارى (٢٦ / ٨٨).
(٢) فتح البارى (١٢ / ٢٥٨) .

= مسيرة أربعين عاماً، وفي رواية الديات «وإن ريحها ليوجد» وعند الترمذى «وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً» أى إن ريح الجنة ليدركها، أصحابها قبل وصولها بأربعين عاماً وبعضهم يشمها من سبعين عامًا مسيرة وبعضهم من أكثر حسب أعمال المرء ودرجاته وإدراكاته قال الحافظ[1]: والذى يظهر لى فى الجمع أن يقال الأربعين أقل زمن يدرك به ريح الجنة من فى الموقف، والسبعين فوق ذلك أو ذكرت للمبالغة، والخمسمائة ثم الألف أكثر من ذلك ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأعمال، فمن أدركه من المسافة البعدى أفضل ممن أدركه من المسافة القربى بين ذلك وقد أشار الي ذلك شيخنا فى شرح الترمذى فقال: الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص بتفاوت منازلهم ودرجاتهم ثم رأيت نحوه فى كلام ابن العربى فقال: ريح الجنة لا يدرك بطبيعة ولاعادة وإنما يدرك بما يخلق الله من إدراكه. فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين وتارة من مسيرة خمسمائة ونقل ابن بطال: أن المهلب احتج بهذا الحديث على أن المسلم إذا قتل الذمى أو المعاهد لا يقتل به للإقتصار فى أمره على الوعيد الأخروى دون الدنيوى.أهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢٦/٨٨).

المبحث الثالث والعشرون

للجنة ثمانية أبواب

٧٠٤ ـ وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّان لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ**».

---

٧٠٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (١٣ / ٥٦) فى بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح ٣٢٥٧).

قوله «الريان» بفتح الراء وتشديد التحتانية وزن فعلان من الرى اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه.أهـ. فتح البارى (٨ / ٢٤٥) .

المعنى

يقول فيه نبينا ﷺ : «فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» وكذلك كل باب له أهله، كما فى الرواية الأخرى[١] «فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة» قال الحافظ ابن حجر[٢] وذكر الأبواب الأربعة المذكورة فى الحديث قال: وبقى من الأركان الحج فله باب بلا شك،وأما الثلاثة الأخرى فمنها باب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ومنها الباب الأيمن وهو باب المتوكلين الذى يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب، وأما الباب الثالث فلعله باب الذكر فإن عند الترمذى ما يومئ إليه ويحتمل أن يكون باب العلم والله أعلم ويحتمل أن يكون المراد بالأبواب التى يدعى منها أبواب من داخل أبواب الجنة الأصلية لأن الأعمال الصالحة أكثر عدداً من ثمانية والله أعلم.أهـ. هذه الأبواب وأما الريان فقال عنه فى موضع آخر من الفتح[٣]: الريان: بفتح الراء وتشديد الياء التحتانية وزن فعلان من الرى اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه لأنه مشتق من الرى وهو مناسب لحال الصائمين.أهـ. قال القرطبى[٣]: إكتفى بذكر الرى عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه.أهـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٨ / ٢٤٦) فى الصيام، باب الريان للصائمين (ح ١٨٩٧) .

(٢) فتح البارى (١٤ / ١٦٢) .

(٣) فتح البارى (٨ / ٢٤٥) .

المبحث الرابع والعشرون
أول الداخلين على صورة القمر

٧٠٥- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ والذِّينَ عَلَى إِثْرِهِم كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لا أَخْتِلافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضٍ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، وَلا يَبْصُقُونَ آنِيَتُهُمْ الذَّهَبُ والفِضَّةُ وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَقُودُ مَجَامِرِهُمْ الأَلُوَّةُ وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ».

٧٠٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (١٣ / ٥١) فى بدء الخلق، باب ما جاء فى وصف الجنة، وأنها مخلوقة، (ح ٣٢٤٦).

وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٧ /١٧١، ١٧٢) فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

قوله: «ومجامرهم الألوّة» هو العود الذى يُتبَخَّرُ به وتفتح همزته وتضم.أهـ. نهاية (٦٣/١).

المعنى

قال ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر» قال الحافظ ابن حجر[1] : أول زمرة: أى جماعة وقوله «تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر» قال: أى فى الإضاءة.أهـ. قوله: «والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة» وعند مسلم: «والتى تليها على أضوء كوكب درى فى السماء» أى التى بعدها فى المرتبة الأقل منها على ضوء أشد كوكب درى إضاءة فى السماء قوله: «قلوبهم على قلب رجل واحد لا إختلاف بينهم ولا تباغض» قال الحافظ[1] : أى كقلب رجل واحد وقد فسره بقوله «لا تحاسد بينهم ولا إختلاف» – وهنا «لا إختلاف بينهم ولا تباغض» – قال: أى أن =

(١) فتح البارى ١٣ / ٥١.

= قلوبهم طهرت عن مذموم الأخلاق.أهـ. قوله: «لكل إمرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها» قال الحافظ[1]: زوجتان أى من نساء الدنيا، قال ابن القيم[1]: ليس فى الأحاديث الصحيحه زيادة على زوجتين سوى ما فى حديث أبى موسى: «إن فى الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة له فيها أهلون يطوفون عليهم» قال الحافظ: الحديث الأخير صححه الضياء.أهـ. قوله: «يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن» قال الحافظ[1]: والمخ بضم الميم وتشديد المعجمة: ما فى داخل العظم والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وإن ما فى داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد وعند أحمد[2]: «فيظهر وجهه فى خدها أصفى من المرآة» قوله: «يسبحون الله بكرة وعشياً» قال النووى[3]: أى قدرهما، قال القرطبى: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام وفى حديث لمسلم (ص ١٧٤) «يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس» قال الحافظ[1]: كما لا كلفة عليهم فى النفس فجعل تنفسهم تسبيحاً لأن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره.أهـ. ملخصاً قوله: «لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون» أى لا يمرضون ولا يستنثرون ولا يتفلون، كما عند مسلم: «قال الحافظ: وقد اشتمل ذلك على نفى جميع صفات النقص عنهم، قال ابن الجوزى: لما كانت أغذية أهل الجنة فى غاية اللطف والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه.أهـ. «آنيتهم فيها الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب» يؤيده الحديث الثانى[4] «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما» فالآنية من ذهب وفضة وكذلك الأمشاط وغيرهم، قال الحافظ [1] المشط بتثليث الميم=

(١) فتح الباري (٥١/١٣).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٧٥) من حديث أبي مسعود مرفوعاً.
(٣) شرح مسلم (١٧ / ١٧٢).
(٤) أخرجه البخارى (١٨ / ٢٥٩) فى التفسير، (ح ٤٨٧٨).

والأُفصح ضمها.أهـ. قوله «وقود مجامرهم الألوة» قال النووى[1]: بفتح الهمزة وضم اللام أى العود الهندى، قوله «ورشحهم المسك» قال: أى عرقهم.أهـ. قال الحافظ[2]: قال أبو اليمان: يعنى العود، قال والمجامر جمع مجمرة وهى المبخرة سميت مجمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح ما يوضع فيها من البخور.أهـ. وأما رشحهم المسك فقال ابن الجوزى[2]: لما كانت أغذية أهل الجنة فى غاية اللطافة والإعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر بل يتولد من تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه.أهـ. والله أعلم ونسأل الله العظيم من فضله العظيم.

(١) شرح مسلم (١٧/١٧٢).
(٢) فتح البارى (١٣/٥١).

المبحث الخامس والعشرون

فى عدد الذين صورهم صورة القمر ليلة البدر

٧٠٦ - عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفاً أَوْ سَبْعُمائَةِ أَلف، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**».

---

٧٠٦ - أخرجه البخارى فى صحيحه (١٣ / ٥٢) فى بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة، (ح ٣٢٤٧).

وأخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ٢٣٥) فى الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، (ح ٦٥٥٤).

المعنى

يقول ﷺ «ليدخلن من أمتى سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم» تفسره الرواية الأخرى «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم بعضاً» إذاً فتأويل لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم أنهم متماسكون آخذ بعضهم بعضاً يدخلون سوياً وقوله: «وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» أى وجوههم تضئ كإضاءة القمر ليلة البدر قال الحافظ[1] :« على صورة القمر ليلة البدر» قال: أى في الإضاءة.أهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح البارى (١٣ / ٤٨).

المبحث السادس والعشرون

المتوكلون فى الجنة

٧٠٧ - عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**».

---

٧٠٧ - أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧ / ١٧٦) فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها. وأخرجه أحمد فى المسند (٢ / ٣٣١) عن أبى هريرة مرفوعاً بلفظه.

المعنى

يروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أى قلوبهم خفيفة رقيقة متوكلة على خالقها وبارئها فى كل أمورها وشئونها كما فى حديث ابن ماجه[1] «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» قال النووى[2] : قوله ﷺ: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» قيل مثلها فى رقتها وضعفها، كالحديث الآخر: أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة وقيل فى الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً كما قال تعالى: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[3] وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف فى شدة خوفهم وقيل المراد التوكل والله أعلم.أهـ. قلت ولفظ الحديث عند مسلم[4] « أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية» والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢ / ١٣٩٤) فى الزهد، باب التوكل واليقين (٤١٦٤) .

(٢) شرح مسلم (١٧ / ١٧٧) .

(٣) سورة فاطر آية (٢٨).

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢ / ٣٠ / ٣٨) فى الإيمان، تفاضل أهل الايمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ح (٥٢/٨٤) .

المبحث السابع والعشرون

إن للجنة باباً تدخل منه الأمة المسلمة

٧٠٨ ـ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانى جبْريلُ عَلَيْه السَّلامُ فَأَخَذَ بِيَدى فَأَرَانى بَابَ الْجَنَّة الَّذى تَدْخُلُ منْه أُمَّتى**»، **فقال أبو بكر: يا رسول الله وَدِدْتُ أنى كنتُ معكَ حتَّى أَنْظُرَ إليه فقال رسول الله** ﷺ: «**أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من أُمَّتى**».

---

٧٠٨ ـ أخرجه أبو داود فى سننه (١٢ / ٤٠٦، ٤٠٧) فى كتاب السنة، باب الخلفاء، (ح ٤٦٣٠).

المعنى

يقول رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل عليه السلام فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى» نعم الصحبة كلها خير وصل إلى منتهاه، والله عنده المزيد يوم المزيد. فيحتمل أن تلك الرؤية للباب إما مناماً وإما ليلة الإسراء والمعراج، وفيه أن لأمة محمد ﷺ باباً يخصها للجنة. قال الحافظ أبو الطيب صاحب العون: وذلك إما فى ليلة المعراج أو فى وقت آخر[١] .أهـ. أى رآه ﷺ. قوله: فقال أبو بكر: يا رسول الله: «وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه» : كثيراً ما تمنى الصديق أمام النبى ﷺ شيئاً وكان له، كما فى حديث «ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال ـ ﷺ ـ :«نعم وأرجو أن تكون منهم»[٢] : وقد تقدم تخريجه وشرحه بحمد الله تعالى.قال أبو الطيب[١]: «وددت» بكسر الدال أى أحببت حتى أنظر إليه» أى إلى باب الجنة أ هـ قوله: فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى» نعم لثبوت أفضليته على الأمة كلها فهو أفضل الناس =

---

(١) عون المعبود (١٢ / ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٨ / ٢٤٧) فى الصوم، باب الريان للصائمين، (ح ١٨٩٧).

= بعد نبينا ﷺ كلهم عليهم السلام فقد روى البخارى فى صحيحه [1] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم» قال أبو الطيب[2]: «(أما) بالتخفيف للتنبيه» إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى» قال الطيبى[2]: لما تمنى رضى الله عنه بقوله: وددت، والتمنى إنما يستعمل فيما لا يستدعى إمكان حصوله قيل له: لا تتمن النظر إلى الباب فإن لك ما هو أعلى منه وأجل وهو دخولك فيه أول أمتى. وحرف التنبيه ينبهك على الرمزة التى لوحنا بها.أهـ. والله أعلم.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ١٥١ فى المناقب باب فضل أبى بكر بعد النبى ﷺ ح ٣٦٥٥ .
(٢) عون المعبود (٤٠٧/١٢).

المبحث الثامن والعشرون

بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة

٧٠٩ ـ عن عبد الله قال: كنا مع النبى ﷺ فى قُبَّةٍ، فقال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا: نعم، قال: «أترضونَ أن تكونوا ثُلثَ أَهْلِ الجنَّةِ؟ قلنا: نعم، قال: «أترضونَ أن تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا: نعم، قال: «والَّذِى نَفْسِ مُحَمَّدٍ بِيَدِه إِنِّى لأَرْجُوا أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وذلك أن الجنة لا يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وما أَنْتُمْ فى أَهْلِ الشِّرْكِ إلا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِى جِلْدِ الثَّورِ الأَسودِ، أو كالشعرةِ السوداءِ فى جلدِ الثورِ الأَحْمَرِ».

---

٧٠٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ١٩٣) فى الرقاق، باب الحشر، (ح ٦٥٢٨).

وأخرجه مسلم فى صحيحه (٣ / ٩٥) فى الإيمان، باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.

المعنى

يروى لنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حديثاً فيقول: «كنا مع النبى ﷺ فى قبة «زاد مسلم ص ٩٦ «نحواً من أربعين رجلاً» قال ابن الأثير[1] : القبه من الخيام: بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب.أهـ. قوله: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» أى أيرضيكم ويسركم أن يكون فى الجنة منكم ربع أهلها كلهم من أول الخلق إلى قيام الساعة. وعند مسلم: «أما ترضون» قال الحافظ[2] قال ابن التين: ذكره بلفظ الإستفهام لإرادة تقرير البشارة بذلك، وذكره بالتدريج ليكون أعظم لسرورهم.أهـ. =

---

(١) نهاية (٤ / ٣).

(٢) فتح البارى (٢٤ / ١٩٣، ١٩٤).

= قوله: «قلنا نعم» أى نرضى بذلك يا رسول الله، وعند مسلم «فكبرنا» أى قلنا الله أكبر فرحاً وسروراً بالبشرى، قال النووى[1] أما تكبيرهم فلسرورهم بهذه البشارة العظيمة.أهـ. قوله: قال «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قلنا نعم زادهم: وكبروا وشكروا أيضاً قوله: «قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قلنا: نعم» قال النووى وأما قوله ﷺ «ربع أهل الجنة، ثم ثلث أهل الجنة، ثم الشطر، ولم يقل أولاً شطر أهل الجنة فلفائدة حسنة وهى أن ذلك أوقع فى نفوسهم وأبلغ فى إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هى

تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضاً حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه والله أعلم.أهـ. قوله:: «والذى نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة» وقد أخرج[2] : أحمد عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف منهم ثمانون من هذه الأمة» قال النووى[1]: وقد ثبت فى الحديث الآخر أن أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثى أهل الجنة فيكون النبى ﷺ أخبر أولاً بحديث الشطر ثم تفضل الله سبحانه بالزيادة فأعلم بحديث الصفوف فأخبر به النبى ﷺ بعد ذلك.أهـ. قوله: «وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة» قال النووى[1] هذا نص صريح فى أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً وهذا النص على عمومه بإجماع المسلمين.أهـ. قوله: «وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر» أى أنتم فى أهل الشرك قليل عددكم بالنسبة لهم كما أن الشعرة البيضاء أو الشعيرات البيضاء فى جلد الثور الأسود تظهر قليلة بالنسبة لبقية جلد الثور أو كالشعيرات السوداء فى جلد الثور =

(١) شرح مسلم ٣ / ٩٥ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٥ / ٣٤٧ عن بريدة مرفوعاً.

= الأحمر هي قليل بالنسبة إلى جلد الثور كله كذلك أنتم بالنسبة لأهل الشرك أهل النار قليل تدخلون الجنة تعدلون ثلثيها أي ثلثي داخليها إن شاء الله عز وجل. قال ابن التين[1]: أطلق الشعرة وليس المراد حقيقة الوحدة لأنه لا يكون ثور ليس في جلده غير شعرة واحدة من غير لونه، والرقمة قطعة بيضاء تكون في باطن عضو الحمار والفرس وتكون في قوائم الشاة.أهـ. يشير إلى رواية «أو كالرقمة في ذراع الحمار»[2] وقال الداودي[1]: الرقمة شئ مستدير لا شعر فيه سميت به لأنه كالرقم.أهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (٢٤/١٩٣، ١٩٤).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٣٤٧) عن بريدة مرفوعًا .

المبحث التاسع والعشرون

قول النبي ﷺ «إنها جنان كثيرة»

٧١٠ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وهو غُلامٌ فجاءت أمه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله، قَدْ عَرفتَ منزلةَ حارثة منِّي، فإن يكنْ في الجنة أصبرْ وأحتسبْ، وإن تَكُ الأُخْرى ترى ما أصنع فقال: «وَيْحَكِ أَوَ هُبِلْتِ، وَاحِدَةٌ هِيَ؟، إنَّها جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ».

---

٧١٠ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١٥ / ١٧١) في المغازي، باب فضل من شهد بدراً، (ح ٣٩٨٢).

وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٤ / ٢٣٢) في الرقاق باب صفة الجنة والنار، (ح ٦٥٥٠).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٢٤، ٢١٠، ٢١٥).

قوله: «ويحك أو هبلت» هو بفتح الهاء وكسر الباء، وقد استعاره هنا لفقد الميز والعقل مما أصابها من الثكل بولدها كأنه قال: أفقدت عقلك بفقد ابنك، حتى جعلت الجنان جنة واحدة؟.أهـ. نهاية (٥ / ٢٤٠).

المعنى

يروي لنا أنس رضي الله عنه حديثاً عن قصة حدثت لحارثة رضي الله عنه يوم بدر فيقول: «أصيب حارثة يوم بدر» أي قتل شهيداً. حارثة رضي الله عنه يوم غزوة بدر وهو غلام صغير وفيه ما كان عليه الصحابة من حب الجهاد والشهادة حتى الغلمان رضوان الله عليهم أجمعين فقد رفع الله تعالى بهم الإسلام وأعزه، قال الحافظ ابن حجر[1] : «حارثة» هو بالمهملة والمثلثة: ابن سراقة بن الحارث بن عدى الأنصاري بن =

---

(١) فتح الباري (١٥ / ١٧١).

= عدى ابن النجار. وأبوه سراقة: له صحبة واستشهد يوم حنين.أهـ. قوله «فجاءت أمه» أى بعد استشهاده إلى النبى ﷺ قال الحافظ[1]: هى الربيع - بتشديد - بنت النضر عمت أنس بن مالك.أهـ. قوله: «فقالت يا رسول الله: قد عرفت منزلة حارثة منى» أى مكانته العظيمة عندى وحبى الشديد له قوله «فإن يكن فى الجنة أصبر وأحتسب» أى إذ أصاب باستشهاده مراتب المجاهدين المخلصين ودخل الجنة فهذا يسلينى ويصبرنى واحتسبه عند الله تعالى راجية منه سبحانه الخلف والأجر. قولها: «وإن تلك الأخرى ترى ما أصنع» يعنى إن كان والعياذ بالله تخلف عن مرتبة المجاهدين الذين نالوا الشهادة بإخلاصهم فحينئذ هى كانت ستبكى وتفعل ما تفعله؛ قال الحافظ[1]: يعنى وإن لم يكن فى الجنة صنعت شيئاً من صنيع أهل الحزن مشهور يراه كل أحد.أهـ. قوله: «فقال - أى رسول الله ﷺ: «ويحك أو هبلت» قال الحافظ: قوله «ويحك» هى كلمة رحمة. وقوله «هبلت» بضم الهاء بعدها موحدء مكسورة أى ثكلت وهو بوزنه.أهـ. قوله ﷺ : «واحدة هى؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس» إنها البشرى العظيمة التى تحول الحزن إلى الفرح وتستبدل التهنئة بالعزاء، إنها رجاء كل مؤمن، وأمنية كل إنسان إنها جنان كثيرة فالجنة تحوى جنات متنوعة النعيم والدرجات حتى جنة الفردوس تحتوى على جنات قال تعالى ﴿**إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**﴾[2] وإنه فى أعلاها تحت عرش الرحمن عز وجل فى الفردوس الأعلى، نسألك اللهم من فضلك العظيم يا أكرم الأكرمين. قال الفراء[3] : عن الفردوس هو عربى مشتق من الفردسة وهى السعة. وقال الحافظ[1]: المراد به هنا مكان فى الجنة من أفضلها.أهـ. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٥/١٧١).
(٢) سورة الكهف آية (١٠٧)
(٣) فتح البارى (٢٤ / ٢٣٣) .

المبحث الثلاثون

نبينا ﷺ

أول من تفتح له الجنة وأنه أول شافع فيها

٧١١ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة**».

٧١٢ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول من يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**».

٧١٣ ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت: «فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**».

---

٧١١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ١٧) في الإيمان، باب الشفاعة.

وأخرج الدارمي جزءاً بمعناه في المقدمة (١ / ٤٠ ح ٤٩) بقوله «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة».

٧١١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٧٣)، في الإيمان، باب الشفاعة.

وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة (١ / ٤٠ ح ٥١) بلفظ «أنا أول الناس شافع في الجنة» باب ما أعطي للنبي ﷺ من الفضل.

٧١٣ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٧٣)، في الإيمان، باب الشفاعة.

وأخرجه الدارمي بمعناه/ مقدمة (١ / ٤٠ ح ٥٠) بلفظ، باب ما أعطي للنبي ﷺ من الفضل

=

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «أنا أول الناس يشفع فى الجنة» وفى الرواية الأخرى: «أنا أول شافع فى الجنة» أى أنا أول من يشفع بعد أن يكون أول من يدخل الجنة فيشفع لمن لم يدخلها بعد وتفسر ذلك رواية أحمد، والدرامى[1] : يقول رسول الله ﷺ: «إنى لأول الناس، تنشق الأرض عن جمجمتى يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، وآتى باب الجنة فآخذ بحلقتها فيقولون: من هذا؟ فأقول أنا محمد، فيفتحون لى فأدخل فأجد الجبار (عز وجل) مستقبلى فأسجد له فيقول إرفع رأسك يا محمد، وتكلم يسمع منك، وقل يقبل منك، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول: أمتى أمتى يا رب فيقول اذهب إلى أمتك فمن وجدت فى قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة، فأذهب فمن وجدت فى قلبه مثقال ذلك أدخلتهم الجنة ... الحديث. قوله: «وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» أى نبينا ﷺ أكثر الناس أتباعاً يوم القيامة ويدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أى أمة أخرى وفى صحيح[2] البخارى «أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ... الحديث» قوله: فى الحديث الأول: «أنا أول من يقرع باب الجنة» وعند الترمذى والدارمى: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها[3] : «أى أحركها لتصوت، والقعقعة: حكاية حركة الشئ يسمع له صوت.أهـ. قوله: فى الحديث: قال رسول الله ﷺ «آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيه» على أنه ﷺ يدخلها وما زال الناس يحاسبون فيشفع لهم بعد دخوله الجنة ﷺ وقوله: «فاستفتح» أى أطلب فتح الباب بالقرع كما تقدم وربما أيضاً بالكلام قوله: «فيقول الخازن من أنت»؟ وعند الدارمى[1] وأحمد[1]: «فيقولون: من هذا؟» أى يقول خادم الباب=

(١) أخرجه الدارمى فى سننه (١ / ٤١) مقدمة (ح ٥٢) وأحمد (٣ / ١٤٤) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ١٩٣) فى الرقاق، باب (ح ٦٥٣٨) .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه (٨ / ٥٨٧) فى تفسير سورة الإسراء (ح ٥١٥٦) والدارمى مقدمة (١ / ٤٠ ح ٥٠) واللفظ للدرامى.

= وحارسه من أنت، وربما قال بقية الخزان معه أو الملائكة القريبون من الباب فهو أول طارق ﷺ قوله: «فأقول محمد» أى أنا محمد ﷺ فينبغى للطارق أن يعرف باسمه كما فى حديث الإسراء «فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ فقيل من أنت، قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد[1] ... الحديث» وهذه سنة علمها لنا نبيناﷺ وكره أن يقول الطارق أنا أنا» لأنه لا يعلم من بالباب. قوله: «فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك» فيه منقبة عظيمة لنبينا ﷺ فلا أحد قبله ولا النبيون أنفسهم يسبقونه إلى الجنة ولا فى درجاتها ولا فى مراتبها ﷺ فهو سيد الأولين والآخرين كما قال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[2] وخازن الجنة عرف ذلك فأخبره أن الله أمره لا يفتح لأحد باب الجنة قبل المصطفى رسول الله محمد ﷺ، قال النووى[3] : قال الهروى: السيد هو الذى يفوق قومه فى الخير، وقال غيره: هو الذى يفزع إليه فى النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم.أهـ. قلت فلذلك قال نبينا ﷺ «السيد الله تبارك وتعالى» [4] بالمعنى الثانى وبالمعنى المذكور أولاً فنبينا ﷺ سيد الناس فى الدنيا والآخرة، قال النووى[3]: وأما قوله ﷺ: «يوم القيامة» مع أنه سيدهم فى الدنيا والآخرة فسبب التقييد أنه فى يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى مناع ولا معاند ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين.أهـ. لكن ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[5] . والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢ / ٢٧٧) فى الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ح ٢٥٩ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٥ / ٣٧) فى الفضائل (ح ٣)، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٣) شرح مسلم (١٥ / ٣٧).

(٤) تقدم فى فصل تعظيم الله تعالى وأسمائه فى باب العقائد.

(٥) سورة التوبة آية (٣٢).

المبحث الحادى والثلاثون

كل بؤس فى الدنيا يزول بصبغة فى الجنة

٧١٤ - عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النار يومَ القيامة فيُصْبَغُ فِى النارِ صَبْغَةً، ثم يقال: يَا ابْنَ آدمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَط؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ، فيقول: لاَ وَاللهِ يا رب، ويُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤساً فِى الدنيَا من أهلِ الجَنَّة فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِى الجنة فيقالُ لَهُ يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ بؤساً قَطّ، هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَط فيقول: لاَ وَاللهِ يَا رَبُّ مَا مَرَّ بِى بُؤْسٌ قط، ولاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»**.

---

٧١٤ - أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧ / ١٤٩) فى صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

قوله: «صبغة» بفتح الصاد بعدها موحدة ساكنه تحتانية ثم غين معجمة قال النووى: أى يغمس غمسة. أهـ. شرح مسلم (١٧ / ١٤١).

المعنى

يروى لنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة» أى يجاء يوم القيامة برجل كان أسعد الناس بالدنيا مع عصيانه وطغيانه ومحاداته لملك الملوك عز وجل فاستحق النار بذلك والعياذ بالله تعالى من الطغيان والكفران لنعم الرحمن قوله: «فيصبغ فى النار صبغة» أى يمس النار فقط قال النووى[1] الصبغة: بفتح الصاد أى يغمس غمسة. أهـ. فغمسة واحدة فى النار يطيش أمامها كل نعيم الدنيا، قوله: «ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط» أى يقال له بعد غمسه فى النار غمسة واحدة هل رأيت خيراً أى من قبل فى الدنيا هل تنعمت فيها وتلذذت وصلت وجلت قوله: «فيقول لا والله يا رب» =

---

(١) شرح مسلم (١٧ / ١٤٩).

= أى لا والله يا رب ما رأى نعيماً قط ولا مر به خير قط من شدة العذاب الذى وجده من الغمسة الواحدة فما بال من هو فى «الدرك الأسفل من النار» وما بال من قال الله عز وجل فيه ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[1] فاللهم سلم سلم سلم سلم قوله: «ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة» أى يجاء يوم القيامة بأبأس الناس فى الدنيا وأقلهم نعيماً وأقلهم سعادة وحظاً فى الدنيا وهو من الصالحين أهل الجنة، قال النووى[2]: والبؤس بالهمز هو الشدة والله أعلم.أهـ. أى أكثر الناس شدة حال فى الدنيا قوله «فيصبغ صبغة فى الجنة» أى يغمس غمسة بين ثنايا الرائحة الطيبة والحور والقصور والحبور والولدان ونعيم الجنان، قوله: «فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط» أى هل رأيت شدة فى دنياك مع أنه رأى أعظم الشدة بل كل الشدة الدنيوية لأنه أبأس الناس والعياذ بالله تعالى ـ لكن برحمة الله تفضل الله تعالى عليه بالإيمان والعمل الصالح ليدخله دار كرامته فى جنته ويقال له أيضاً هل مر بك شدة قط من قبل وهل رأيت بؤساً قط، قوله «فيقول: لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط» أى لا والله يا رب ما أعرف البؤس ولا الشدة ولا العذاب ولا الضيق ولا مروا بى من قبل مع أنه نال من هذا القسط الأكبر!! فاللهم ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[3] والله أعلم.

---

(١) سورة غافر آية (٤٦).

(٢) شرح مسلم (١٧/١٤٩).

(٣) سورة البقرة آية (٢٠١).

المبحث الثاني والثلاثون

في قوله تعالى ﴿ فَلا تَعْلَمُ نفسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِنْ قُرَةِ أَعْيُنٍ ﴾

٧١٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **قال الله تعالى ﴿ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ فاقرءوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾.**

---

٧١٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٣ / ٤٧ في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٢٤٤ .

المعنى

يخبرنا ﷺ أن الله تعالى أخبرنا أنه أعد للعباد الصالحين ما لم تره عين أبداً سواء في اليقظة أو النوم ولا سمعته أذن سواء فيما مضى أو ما هو آت سواء سماع مباشر أو وصف حتى ما يخطر على القلب من تخليل الأشياء العظيمة العجيبة ليس هو مما في الجنة، الله أكبر إنها قدرة مالك الملك وملك الملوك يقول رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى ﴿ **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** ﴾ قال الحافظ ابن حجر[1] وقع في حديث آخر أن سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة فقال: يا موسى أولئك الذين أردت: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن سمعت ولم يخطر على قلب بشر[2] وفي آخره قال: ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾[3] قوله ﴿ **ولا خطر على قلب بشر** ﴾ قال الحافظ: والأولى حمل النفي فيه على عمومه فإنه أعظم في النفس.أهـ. ثم استشهد النبي ﷺ بقوله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ...الآية** ﴾[3] قلت ولفظ الحديث«يا موسى أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٨ / ١٣١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٤٥، ٤٦) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

(٣) سورة السجدة آية (١٧).

المبحث الثالث والثلاثون

الكوثر نهر فى الجنة

٧١٦ ـ عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِى الجَنَّة إذا أَنَا بنَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّف، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِى أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ أَوْ طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَر».

---

٧١٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ٢٩٦) فى الرقاق، باب فى الحوض وقول الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾.

وأخرجه البخارى فى صحيحه (١٨ / ٣٩٠) فى التفسير، تفسير سورة الكوثر، (ح ٤٩٦٤)

وأخرجه أبو داود فى سننه (١٣ / ٨٢)، باب فى الحوض، (ح ٤٧٢٢).

قوله: «الكوثر» فوعل من الكثرة سمى بها النهر لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره.أهـ. فتح (١٨/٣٩٠) قوله: «مسك أذفر» أى طيب الريح.أهـ. نهاية (١٦١/٢).

المعنى

يخبرنا أنس رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «بينما أنا أسير فى الجنة» لعل ذلك فى المنام أو ليلة أسرى به ﷺ والراجح الثانى، قال الحافظ[1]: تقدم فى تفسير سورة الكوثر أن ذلك كان ليلة أسرى به.أهـ. قوله ﷺ: «إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف» وقد فسره ابن عباس فقال: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم[2]: قوله «شاطئاه» قال الحافظ[3]: أى حافتاه قوله «در مجوف» أى القباب التى على جوانبه.أهـ. يعنى حتى الحصى در مجوف والطين =

---

(١) فتح البارى (٢٤ / ٢٩٦).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (١٨ / ٣٩٠) تفسير سورة الكوثر (ح ٦٩٦٤).

(٣) فتح البارى (١٨ / ٣٩٠).

= مسك أذفر والماء لون اللبن والطعم ألذ وأحلى من العسل فلله الحمد والمنة وسبحانه أحسن الخالقين؛ قوله ﷺ : «قلت: ما هذا يا جبريل» استفسر النبيُّ ﷺ جبريلَ عليه السلام عن النهر العظيم الذى رآه خاصة وأن ذلك لم يعهده ﷺ من قبل، وفى رواية أبى داود: «فضرب الملك الذى معه يده فاستخرج مسكاً، فقال محمد ﷺ للملك الذي معه «ما هذا؟»: قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك» يعني حين امتن عليه تعالى بهذه النعمة العظيمة قائلاً له: «إنا أعطيناك الكوثر» قال الحافظ[1]: والكوثر: فوعل من الكثرة، سمى بها النهر لكثرة مائه وأنيته وعظم قدره وخيره.أهـ. قوله: «فإذا طيبه ـ أو طينه ـ مسك أذفر» قال الحافظ: شك هدبة: هل هي بموحدة من الطيب أو بنون من الطين ثم رجح النون مستدلاً برواية التفسير «فأهوى الملك بيده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر» قلت وهذه ليست فى التفسير بل ليس فيها ذلك اللفظ والله أعلم وعند أبى داود: فضرب الملك الذى معه يده فاستخرج مسكاً .... الحديث» وأما المسك الأذفر. فقال ابن الأثير[3] : أى طيب الريح.أهـ. والله أعلم.

(١) فتح الباري (١٨/٣٩٠).
(٢) فتح الباري (٢٤/٢٩٦)
(٣) نهاية (٢ / ١٦١).

المبحث الرابع والثلاثون

نهر باب الجنة

٧١٧ - عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ عَلَى (بَارق) نَهْرٍ ببَابِ الجَنَّةِ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيّاً».

---

٧١٧ - أخرجه هناد بن السرى فى كتابه الزهد (١ / ١٢٧)، باب منازل الشهداء، (ح ١٦٦) واللفظ له .

وأخرجه أحمد فى المسند (١ / ٢٦٦) عن ابن اسحاق ..... به بلفظ مقارب.

إسناد الحديث: لرواية هناد.

عبدة شيخ هناد هو ابن سليمان أبو محمد الكوفى اسمه عبد الرحمن قال الحافظ فى التقريب: ثقة (١ / ٥٣٠) ترجمة (١٤١٧) .

محمد بن إسحاق هو بن يسار صاحب المغازي صدوق يدلس تقريب (٢/١٤٤) لكن صرح هنا بالتحديث.

الحارث بن فضيل هو الخطمى الأنصارى أبو عبد الله قال الحافظ ثقة. تقريب (١/١٤٣) ترجمة (٥٨) .

محمود بن لبيد صحابى صغير رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنهما صحابى كبير.

فالإسناد حسن وقد رواه أحمد وابن جرير وقال ابن كثير وهو إسناد جيد.أهـ. والله أعلم.

المعنى

يقول ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة» أى هذا النهر بباب من أبواب الجنة الغالب أنه باب الجهاد كما فى حديث البخارى «من أنفق زوجين فى سبيل الله =

= نودى من أبواب الجنة يا عبدالله هذا خير ....» الحديث[1] : وذكر الحافظ أنه يحتمل أن يكون هناك باب للحج وباب للجهاد وباب للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذكر أكثر من ثمانية قال فيحتمل أن تكون أبواب داخل الأصلية الثمانية هذا ملخص كلامه ومعناه.أهـ. واسم هذا النهر بارق وهو للشهداء عند باب الجنة: قوله «في روضة خضراء» وعند أحمد: «في قبة خضراء» فيحتمل أن تكون القبة داخل الروضة وكلاهما خضراء قوله: «يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً» كما قال الله عز وجل ﴿ لا يسمعون فيها لغواً إلاَّ سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا ﴾[2] قال الحافظ ابن كثير[3] : أي في مثل: وقت البكرات ووقت العشيات لا أن هناك ليلاً ونهاراً ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار، وذكر بسند ابن جرير إلى زهير بن محمد قال عن قول الله تعالى ﴿ لهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا ﴾ قال: ليس في الجنة ليل، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.أهـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨ / ٢٤٦ ح ١٨٩٧ في الصوم باب الريان للصائمين.

(٢) سورة مريم آية (٦٢)

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٩ سورة مريم آية (٦٢).

المبحث الخامس والثلاثون

فى تربة الجنة

٧١٨ ـ عن سهل بن سعد قال قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مَرَاغاً من مِسْكٍ مِثْلَ مَرَاغِ دَوَابِّكُمْ فِي الدُّنْيَا**».

---

٧١٨ ـ أخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط (٢ / ٢١١)، عن أبى حازم عن سهل (ح ١٧٦١) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.

قوله: «مراغ» أى الموضع الذى يتمرغ فيه من ترابها؛ والتمرغ التقلب فى التراب.أهـ. نهاية (٤ / ٣٢٠).

المعنى

يروى لنا سهل عن نبينا ﷺ: «إن في الجنة مراغاً من مسك». قال ابن الأثير[1] فى صفة الجنة: «مراغ دوابها المسك» أى الموضع الذى يتمرغ فيه من ترابها، والتمرغ: التقلب فى التراب.أهـ. قوله: «مثل مراغ دوابكم فى الدنيا» أى مكان تمرغ دوابكم فى مرابضها فى الدنيا هناك فى الجنة بدلاً من التراب مسكاً للدواب فكيف بأهل الجنة ممن كرم الله تعالى من بنى آدم قال تعالى ﴿ ﴾ ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾[2]. والله أعلم.

---

(١) نهاية (٤ / ٣٢٠).

(٢) سورة الزمر آية (٧٤).

المبحث السادس والثلاثون

معرفة المؤمنين منازلهم في الجنة أكثر من الدنيا

٧١٩ - عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَّ نقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**».

٧١٩ - أخرجه البخارى فى صحيحه (١٠ / ١٧٦) فى المظالم، باب قصاص المظالم، (ح ٢٤٤٠).

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٢ / ٣٨٥) فى تفسير سورة الحجر، (ح ٣٣٤٩ / ٤٨٦).

وأخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤ / ١٠٧) فى الرقاق، (ح ٦٥٣٥).

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار» أى بعد أن نجاهم الله تعالى من المرور على الصراط بسلام، قال الحافظ ابن حجر[١]: أى نجوا من السقوط فيها بعدما جاوزوا على الصراط.أهـ. قال القرطبى[١]: هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم.أهـ. قوله: «فيحبسون بقنطرة بين الجنة والنار» قال الحافظ[١]: سيأتى أن الصراط جسر موضوع على متن جهنم وأن الجنة وراء ذلك فيمر عليه الناس بحسب أعمالهم، فمنهم الناجى، وهو من زادت حسناته على سيئاته أو استويا أو تجاوز الله عنه، ومنهم الساقط وهو من رجحت سيئاته على حسناته، إلا من تجاوز الله عنه فالساقط من الموحدين يعذب ما شاء الله ثم يخرج بالشفاعة وغيرها، =

(١) فتح البارى (٢٤ / ٢٠٧).

= والناجى قد يكون عليه تبعات وله حسنات توازيها أو تزيد عليها، فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها وأختلف فى القنطرة المذكورة فقيل هى من تتمة الصراط وهى طرفه الذى يلى الجنة وقيل إنهما صراطان.أهـ. قوله: «فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا» قال القسطلانى[1] الصاد المهملة المشددة المضمومة من القصاص والمراد به تتبع ما بينهم من المظالم وإسقاط بعضها ببعض.أهـ. وقد نقله من الحافظ ابن حجر. ثم قال «مظالم كانت بينهم فى الدنيا من أنواع المظالم المتعلقة بالأبدان والأموال فيتقاصون بالحسنات والسيئات فمن كانت مظلمته أكثر من مظلمة أخيه أخذ من حسناته ولا يدخل أحد الجنة ولأحد عليه تباعة.أهـ. قوله: «حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة» قال الحافظ[2]: بضم النون والهاء وهما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات وقال: «نقوا» من التنقية.أهـ. أى جاء الإذن بعد التنقيه من مظالم الناس لأن الذنوب يغفرها علام الغيوب إلا مظالم العباد فلابد أن ترجع إلى أهلها وهم مخيرون فيها قال الحافظ[3] : «وهذبوا» أى خلصوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض.أهـ. قوله: «فوالذى نفس محمد ﷺ بيده» أى والله الذى أنا مملوك له قوله «لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل بمنزله كان فى الدنيا» أى إن أحدهم أعرف بمنزله فى الجنة أكثر من معرفته بالمنزل الذى كان يحفظه فى الدنيا ويستطيع أن يصل إليه فى الظلام قال القسطلانى[1]: وإنما كان أدل لأنهم عرفوا مساكنهم بتعريضها عليهم بالغداة والعشى.أهـ. وعند الحاكم: «لأحدهم أهدى لمسكنه فى الجنة من أحدكم لمنزله فى الدنيا».أهـ. والله أعلم.

(١) إرشاد السارى (٤ / ٢٥٤) .
(٢) فتح الباري (٢٤/٢٠٧).
(٣) فتح البارى (١٠ / ١٧٦) .

المبحث السابع والثلاثون

كل له منزلان

٧٢٠ - عن أبى هريرة قال قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ لَهُ مَنْزِلاَنِ: مَنْزِلٌ فى الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فى النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ﴾.

---

٧٢٠ - أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢ / ١٤٥٣) أخرجه آخر حديث فيه فى الزهد، باب صفة الجنة (ح ٤٣٤١). وقال فى الزوائد هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.أهـ. ورجال ابن ماجه رجال الصحيح حقاً. قال الأول المحقق.

وأخرجه الطبرى فى تفسيره (٩ / ٢٠٠) سورة المؤمنون (ح ٢٥٤٤١) بلفظه.

المعنى

يقول رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار» أى مقعد فى الجنة ومقعد فى النار فإلى أحدهما يصير، فإن كان من أهل السعادة ختم له بأعمال أهلها فيدخل منزله الذى فى الجنة ويرث أهل النار منزله الذى فى النار وإذا كان من أهل الشقاوة والعياذ بالله تعالى فمات دخل منزله الذى فى النار وورث أهل الجنة منزله الذى فى الجنة. قوله: «فإذا مات» أى الشقى والعياذ بالله تعالى قوله «فدخل النار» كما قال تعالى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[١] قوله فذلك قوله تعالى ﴿أولئك هم الوارثون﴾ أى ذلك تأويل قوله تعالى ﴿أولئك هم الوارثون﴾[٢] أخرج الطبرى[٣] بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿أولئك هم الوارثون﴾ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم التى أعدت لهم لو أطاعوا الله.أهـ. وأخرج حديث الباب أيضاً بلفظه والله أعلم.

---

(١) سورة هود آية (١٠٥): (١٠٨).

(٢) سورة المؤمنون آية (١٠).

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٩ / ٢٠٠) لسورة (المؤمنون) (ح ٢٥٤٤٢).

المبحث الثامن والثلاثون

بناء الجنة

٧٢١ - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**الجَنَّةُ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، ولَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ**» وهناك زيادة «**ومَلاَطُهَا المِسْكُ**».

---

٧٢١ - أخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط (٣ / ٧٥ ح ٢٥٣٢) عن قتاده عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة مرفوعاً قال الهيثمى فى الزوائد (١٠ / ٣٩٦) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح.أهـ.

قلت وقوله «ملاطها المسك» ليست عند الطبرانى

وأخرجه الترمذى فى سننه (٧ / ٢٢٩) فى صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة الجنة ونعيمها (ح ٢٦٤٦) وقال هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى وفيه «وملاطها المسك الأذفر»

قوله «ملاطها» الملاط الذى يجعل بين سافى البناء يملط به الحائط أى يخلط.أهـ. نهاية (٤ / ٣٢٠) .

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «الجنة لبنة من فضة» وعند الترمذى : أن هذا جواب سؤال فيه قلت: الجنة ما بناؤها؟ «فأجاب ﷺ بأنها «لبنة من فضة ولبنة من ذهب» حجر فضة فوق حجر ذهب بجوار حجر فضة فوقه حجر ذهب تتميماً للنعيم وزيادة فى السعادة والزينة لأهلها وتعويضاً لغالب أهلها فإن غالب أهلها كما فى الحديث الآتى إن شاء الله تعالى «عامة أهلها الفقراء والضعفاء» فزادهم مما حرموا وعوضهم بما اشتهوه مما حرموه وتركوه خوفاً من ربهم أن يعصوه سبحانه فلما صبروا عوضهم بما لم يصل إليه أترف ملك من ملوك الدنيا بل جعل أدناهم له عشرة أمثال ما لأعلاهم فى الدنيا =

= ويزيد. قال صاحب التحفة[1] «يعني في قـوله: «قلت: الجنة ما بـناؤها؟» أي هل من حجر ومـدر أو خشب أو شعر» قال «لبنة من فضـة ولبنة من ذهب» أي بناؤها مرصع منها.أهـ. قوله «وملاطها المسك» مناسبة للذهب والفضة يكون لاصقهما المسك. قال ابن الأثير[2] : «وملاطهـا مسك أذفر» الملاط: الطين الذي يجـعل بين سافي البناء يملط به الحائط أي يخلط أ هـ قال صاحب التحفة[1]: بكسر الميم أي مـا بين اللبنتين موضع النورة.أهـ. والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذي (٧ / ٢٢٩) .
(٢) نهاية (٤ / ٣٢٠) .

المبحث التاسع والثلاثون

بيوت الجنة لا صخب فيها ولا نصب

٧٢٢ ـ عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**يَا رَسُولَ اللهِ هَذه خَديجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فيه إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فإذا هى أتتك فَأقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ من رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ**».

---

٧٢٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه بمعناه ٢٢ / ٢١٨ في الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، ح ٦٠٠٤.

وأخرجه البخاري في صحيحه بمعناه ١٤ / ٢٩٠ في المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ح ٣٨٢١ .

وأخرجه البخاري في صحيحه ٢٨ / ٢٥٠ في التوحيد، ح ٧٤٨٤ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ١٥٤ /١٩٩ في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل خديجة واللفظ له.

وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظه ١٤ / ٢٩٣ في المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ح ٨٣٢٣ .

قوله: «صخب» الصَّخَب والسَّخَب: الضَّجة أ هـ نهاية ٤ / ٦٧ .

قوله: «نصب» النَّصَبُ: التَّعَبُ .أ هـ. نهاية ٥ / ٦٢ .

المعنى

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «جاء جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله»: تأدبا من سيد الملائكة عليه السلام مع سيد النبيين ﷺ قوله: «هذه خديجة» أي: زوجة النبي ﷺ بنت خويلد أول من آمن به ﷺ من النساء، وأول من بشره بعد الوحي وهدأ =

= من روعه ووقف بجانبه قوله «قد أتتك معها إناء فيه إدام طعام أو شراب» قال النووى[1] : «قد أتتك» معناه توجهت إليك، وقوله: «فإذا هى أتتك» أى وصلتك» فاقرأ عليها السلام» أى سلم عليها وهذه فضائل ظاهرة لخديجة رضى الله عنها أ هـ قوله: «فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى» أى أبلغها من ملك الملوك عز وجل سلامه عليها ومن جبريل سيد الملائكة وهذه منقبة عظيمة مكافأة لخديجة خير نساء النبى ﷺ كما أخبر ﷺ بل خير نساء العالمين كما قال ﷺ «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[2] قوله «وبشرها ببيت الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» أى بشرها بسكنى بيت فى الجنة عند ربها من قصب، قال الحافظ[3] ابن حجر : بفتح القاف والمهمله بعدها موحدة، قال ابن التين المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف أ هـ وقوله «لا صخب فيه ولا نصب»، قال النووى: وأما الصخب فبفتح الصاد والخاء: وهو الصوت المختلط المرتفع؛ والنصب: المشقة والتعب، ويقال فيه نصب بضم النون وإسكان الصاد وبفتحهما لغتان حكاهما القاضى وغيره الحزن والحزن والفتح أشهر وأفصح وجاء به القرآن، وقد نصب الرجل بفتح النون وكسر الصاد إذا أعياهم؛ وقال الحافظ: الصخب بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة الصياح والمنازعة برفع الصوت؛ والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحدة التعب أ هـ أى بيت فى الجنة من لؤلؤة واسعة هادئة تمام الهدوء جزاء صبرها مع المصطفى رسول الله ﷺ وتهدئة بيته ومحرابه. والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٥ / ٢٠٠ .
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٥ / ١٩٨ فى فضائل الصحابه، فضل خديجة.
(٣) فتح البارى ١٤ / ٢٩٢ .

المبحث الأربعون

منازل الجنة خير المنازل

٧٢٣ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بالرَّجُلِ منْ أَهْلِ الجَنَّة فيقولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يا ابْنَ آدم كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟﴾ فيقول: أَىْ رَبّ خَيْرُ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ ﴿سَلْ وتَمَنَّ. فيقول: أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنى إِلى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِى سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَة**».

---

٧٢٣ ـ أخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٣٦ فى الجهاد، باب ما يتمنى أهل الجنة.

وأخرجه أحمد فى المسند بطوله ٣، / ٢٠٧، ٢٠٨ عن ثابت عن أنس مرفوعاً بلفظه مطولاً.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٨٥ / ٧٥ ح ٢٤٠٥، وقال صحيح على شرط مسلم.

رجال الاسناد:

أبو بكر بن نافع: هو محمد بن أحمد بن نافع العبدى أبو بكر البصرى أخرج له النسائى وروى عن بهز بن أسد قال ابن حجر صدوق أ هـ تقريب ٢ / ١٤٣ ت ٢٩

بهز: هو ابن أسد أخرج له الستة وروى عنه بكر بن نافع وكنيته أبو الأسود البصرى قال الحافظ ابن حجر ثقة ثبت .أ هـ. تقريب ١ / ١٠٩ .

حماد: هو ابن زيد بن درهم أخرج له الستة وروى عن ثابت البنانى وغيره وعنه ابن المبارك وغيره قال الحافظ ثقة ثبت فقيه .أ هـ. تقريب ١ / ١٩٧، تهذيب ٣ / ٩ .

ثابت: هو البنانى بن أسلم أبو محمد البصرى قال الحافظ: ثقة عابد أخرج له الستة .أ هـ. تقريب ١ / ١١٥ .

الإسناد: أرى أنه حسناً والله أعلم ويرتقى إلى الصحيح لغيره بمتابعة روح وعفان عند أحمد لبهز عن حماد به والله أعلم حيث أن روحاً هو ابن عبادة بن العلاء بن حسان القيسى ابو محمد البصرى قال الحافظ: ثقة فاضل أخرج له الستة.أهـ. تهذيب =

٣ / ٢٥٣، تقريب ١ / ٢٥٣ ت ١١٤ وقد روى الإمام احمد عن روح بهز عن حماد عن ثابت وكلهم ثقات عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن سيد العالمين ﷺ.

المعنى

يروى لنا أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل من أهل الجنة» أى بعد دخوله واستقراره وأخذه منازله وتمتعه بها يمتعه ربه عز وجل بكلامه معه فيقول الله عز وجل ﴿ يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ﴾ كما قال سبحانه وتعالى لأهل الجنة فى الحديث الذى تم بحمد الله تخريجه والكلام على معناه «هل رضيتم»[1] : زيادة فى طيب النعيم يسألهم سبحانه وهو أعلم قوله: «فيقول: أى رب خير منزل «حتى أقلهم وآخرهم دخولاً يظن أنه لا أحد أرفع منه ولا أحسن ذلك مما رآه من النعيم العظيم الذى زاد على عشرة أمثال ملك من ملوك الدنيا فلذلك يقول أنه خير المنازل وأحسنها وأفضلها أى رب خير منزل قوله: «فيقول: «سل وتمن» أى اسأل غير ذلك وفوقه وتمن وقد وصل النعيم فى عين الرجل إلى منتهاه فربنا الرحمن يعامل أهل الجنة بما لا تطيق العقول ولا تتحمل تخيله ولا غايته ويحقق لهم قوله تعالى ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[2] : لذلك يقول الرجل فى رواية أحمد: ما اسأل وأتمنى إلا أن تردنى ....» وفى روايتنا «فيقول: اسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة» وعند الحاكم: «لما رأى من فضل الشهاد» فالرجل قال لا أسألك أى يا رب لا أكثر من ذلك أجده أسألك إياه ولما علم أنه ما نال هذه المراتب إلا بتفضل المولى عز وجل عليه بتوفيق نفسه للجهاد الذى أدركته فيه الشهادة سأل الرجوع إلى الدنيا للقتل لا لغرس أشجارها وأكل ثمارها ونكاح نسائها والترأس والتربع والمال والأولاد وإنما للقتل الذى يجبن عن التعرض له أشداء الرجال إلا من أكرمه الله تعالى بحب الشهادة بل وتمنى ذلك عشر مرات تمنى العمل الذى نال به أعظم الأجر أن يتكرر عشر مرات لما رأى من فضل الشهادة لكن كتب الله تعالى أنهم إليها لا يرجعون والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٣٢ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٤٩ .

(٢) سورة المؤمنون آية (١٤)

المبحث الحادى والأربعون

فى ثياب الجنة

٧٢٤ ـ عن عبد الله بن عمرو قال جَاءَ أعْرَابِىٌّ ملوى جرئٌ إلى النبى ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ: أخبرنَا عن ثيابِ أهلِ الجنةِ خَلْقاً تخلق؟ أمْ نَسْجاً تُنْسَج؟ فضحك بعض القوم فقال رسول الله ﷺ: **«ممَّ تَضْحَكُونَ؟ منْ جَاهلٍ يَسْأَلُ عَالماً؟» ثم أَكَبَّ رسولُ الله ﷺ ثم قال: «أين السائل» قال هُوَ ذَا أَنَا يا رسولَ الله قال: «لاَ بَلْ تُشَقَّقُ عَنْها ثَمرُ الجَنَّة» ثَلاثَ مَرَّاتٍ».**

---

٧٢٤ ـ أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٢٢٤، ٢٢٥ عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٤١٥ وقال: رواه البزار فى حديث طويل ورجاله ثقات .أ هـ. وذكر رواية البزار أيضاً عن عبد الله بن عمرو مثل رواية أحمد عن عبد الله بن عمرو بلفظها.

قوله: «فأكب رسول الله ﷺ «قال ابن الأثير: أكب الرجل يكب على عمله إذا لزمه .أ هـ. نهاية ٤ / ١٣٨ .

المعنى

يخبرنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرنا عن ثياب الجنة «أى مما نلبس فى الجنة من الثياب التى أخبرنا ربنا عز وجل عنها فى قوله ﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة...﴾[1] الآية وغيرها قوله: «أخلق يخلق أم نسج ينسج» أى أمخلوق من غير تدخل يد بشر فى صنعته أم خُلقٍ، ونَسَجَ خيوطَهُ البشرُ، قوله : «فضحك بعض القوم» أى من مقالة السائل لاشتهار ذلك بين الناس أنه لا أحد يعمل نساجاً فى الجنة ولا غيره إنما هى دار جزاء لا دار صناعة ولا حرفة ولا تكليف لذلك ضحكوا كيف غفل عن ذلك قوله: فقال =

---

(١) سورة الأنسان آية (٢١).

رسول الله ﷺ : «مم تضحكون» أى من أى شئ تضحكون أو علام تضحكون والإستفهام إنكارى قوله ﷺ : «من جاهل يسأل عالماً» أى كيف تضحكون من جاهل يسأل عالماً وهى أمور معتادة بل مسنونة فلا ينبغى الضحك بل لا داع للضحك قوله: «ثم أكب رسول الله ﷺ «أى لزم وانشغل بما كان فيه ﷺ ، قال ابن الأثير[1] : أكب الرجل، يكب على عمل عمله إذا لزمه .أ هـ.» ثم قال أين السائل قال هو ذا أنا يا رسول الله» أى أين السائل عن ثياب الجنة فقال أى أنا ههنا هو السائل يا رسول الله قوله: «قال لا» أى لا تنسج نسجاً قوله: بل تشقق عنها ثمر الجنة» ثلاث مرات» أى بل تخرج من ثمر الجنة أى الثياب تخرج كما تخرج الثمار والزهور من ثمر الجنة قالها ثلاث مرات والله أعلم وﷺ على نبينا محمد وصحبه.

(١) نهاية ٤ / ١٣٨ .

المبحث الثاني والأربعون

في غرف الجنة

٧٢٥ ـ عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا». فقال أبو موسى الأشعري: لِمَنْ هي يا رَسُولَ الله؟ قال: «لِمَنْ أَلاَنَ الكَلاَمَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وبَاتَ لله قَائماً والنَّاسُ نِيَامٌ».

---

٧٢٥ ـ أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ١٧٣ وذكره الهيثمى فى المجمع ٢ / ٢٥٤ وعزاه لأحمد والطبرانى فى الكبير وقال إسناده حسن.

وأخرج له الترمذى شاهداً ٦ / ١١٨، ١١٩ فى البر، باب ما جاء فى قول المعروف عن على رضى الله عنه ح ٢٠٥٠ .

واخرج له الترمذى شاهداً ٧ / ٢٣١ فى الجنة، باب ما جاء فى صفة أهل الجنة عن على رضى الله عنه ح ٢٦٤٧ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «إن فى الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها «أى من أنواع النعيم مساكن فيها حجرات أو حجرات شفافة ترى من الداخل والخارج هذا تخيل غير الحقيقة والحقيقة لم تخطر على قلب بشر قال صاحب[1] التحفة قوله: «إن في الجنة غرفاً» جمع غرفة أى علالى فى غاية اللطافة ونهاية من الصفاء والنظافة» ترى «بالبناء للمفعول» ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» لكونها شفافة لا تحجب ما ورائها أ هـ قوله «فقال أبو موسى الأشعرى» لمن هي يا رسول الله «فى رواية ابو مالك الأشعرى وهى الأرجح لأنه أخرجه أحمد مرفوعاً فى المسند / ٣٤٣ من حديث أبى مالك الأشعرى نفسه فقال أى لمن تكون هذه الغرف ومن يسكنها وبأى عمل يعمله: =

---

(١) تحفة الأحوذى ٦ / ١١٩ .

= قوله: قال لمن ألان الكلام» وعند الترمذى: «لمن أطب الكلام» قال صاحب التحفة: والمعنى لمن له خلق حسن مع الأنام قال تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(1) فيكون من ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الموصوفين بقوله ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾(2) قوله: وأطعم الطعام» أى كما قال تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه او لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ قال صاحب التحفة: وأطعم الطعام للعيال والفقراء والأضياف ونحو ذلك أ هـ قوله «وبات لله قائماً والناس نيام» كما قال تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا﴾(3) قال صاحب التحفة: «والناس» أى غالبهم «نيام» جمع نائم أو غافلون عنه لأنها عبادة لا رياء فيها يشوب عمله فيها أو لا شهود له غير الله أ هـ والله أعلم.

---

(1) سورة الفرقان آية (63)

(2) سورة الفرقان آية (75).

(3) سورة الفرقان آية (14).

المبحث الثالث والأربعون

فى خِيَامِ الجَنَّة

٧٢٦ ـ وعن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فى الجَنَّة خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَة مُجَوَّفَة عَرْضُهَا ستُّون مِيلاً فِى كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ**».

---

٧٢٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٢٦٠ فى التفسير، تفسير سورة الرحمن، ح٤٨٧٩ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٧٥، ١٧٦ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

المعنى

يقول فيه رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا «قال النووى[1] : أما الخيمة: فبيت مربع من بيوت الأعراب أ هـ وقال الحافظ[2] : فى الآية «فى الخيام» والخيام جمع خيمة والمذكور فى الحديث صفتها قوله «مجوفة» أى واسعة الجوف أ هـ قوله «عرضها ستون ميلاً» قال الحافظ والميل: ثلث الفرسخ أ هـ قوله: «فى كل زاوية منها أهل مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون قال النووي: الزاوية الجانب اهـ أي في كل جانب منها أهل للمؤمن ما يرون أصحاب الزاوية الأخرى يطوف عليهم المؤمن وعند مسلم: «فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» .أ هـ. والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ١٧ / ١٧٥، ١٧٦ .

(٢) فتح البارى ١٨ / ٢٦٠ .

المبحث الرابع والأربعون

فى بحار الجنة

٧٢٧ ـ عن معاوية بن حيدة عن النبى ﷺ قال: «**إنَّ فى الجَنَّة بَحْرَ المَاء، وبَحْرَ العَسَلِ، وبَحْرَ اللَّبنِ، وبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تشقق الأَنْهَارُ بَعْدُ**».

٧٢٧ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٨٧، فى باب صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة أنهار الجنة ح ٢٦٩٠، وقال حسن صحيح.

وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥ / ٥ .

وأخرجه الدارمى فى سننه فى الرقاق ٢ / ٤٣٥، باب فى أنهار الجنة، ح ٢٨٣٦.

المعنى

يخبرنا معاوية بن حيدة رضى الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «إن فى الجنة بحر الماء» قال الله عز وجل فى سورة محمد ﷺ: ﴿ **مثل الجنة التى وعد فيها المتقون فيها أنهار من ماء غير ءاسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم...** ﴾[1] الآية وهنا يفسر نبينا ﷺ فيقول: «إن فى الجنة بحر الماء» هو الماء الذى قال فيه الله تعالى: ﴿ **أنهار من ماء غير ءاسن** ﴾ فهو ماء غير ماءنا إنما ماء يليق بأهل الجنة قال ابن كثير: «غير ءاسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما: غير متغير، وقال قتادة: غير منتن والعرب تقول أسن الماء إذا تغير ريحه[2] أ هـ وعند الدارمى «إن فى الجنة بحراً للبن وبحراً للعسل وبحراً للخمر ثم تشقق منها الأنهار» أى من هذه البحار قوله» وبحر العسل أى كالذى قال الله تعالى فيه ﴿ **وأنهار من عسل مصفى** ﴾ قال ابن كثير: أى وهو فى غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح أ هـ قوله «وبحر اللبن» كما قال تعالى ﴿ **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه** ﴾ قال ابن كثير أى بل فى غاية البياض والحلاوة والدسومة أ هـ =

(١) سورة محمد ﷺ آية (١٥)

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٤ / ١٧٦ سورة القتال.

- قوله «بحر الخمر» كما قال تعالى ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ قال ابن كثير: أى ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة ﴿ لا فيها غول ولا هم ينزفون ﴾[1] ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾[2] أهـ قوله «ثم تشقق الأنهار بعد» أى من تلك البحار تشقق أنهار الجنة المذكورة فى الآيات الكريمات. قال الطيبى[3] : يريد بالبحر مثل دجلة والفرات ونحوهما، وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من أحدهما ثم منه تشقق جداول وقال صاحب التحفة «تشقق» يحتمل أن يكون بصيغة المجهول من التشقيق «بعد» أى بعد دخول أهل الجنة الجنة أهـ قلت والأرجح ما سبق أى بعد من البحار تشقق الأنهار والله أعلم ونسأله الشرب منها إنه ولى ذلك وهو أهل الكرم وأهل التقوى وأهل المغفرة.

(١) سورة الصافات آية (٤٧).

(٢) سورة الواقعة آية (١١).

(٣) تحفة الأحوذى ٧ / ٢٨٨ .

المبحث الخامس والأربعون

أنهار الجنة

٧٢٨ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيحَان، وَجَيْحَان والفُرَاتُ، والنّيلُ كُلٌّ من أنهار الجنة**».

---

٧٢٨ - أخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٧٦ في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٢٨٩ بلفظة عن أبي هريرة مرفوعاً وزاد «وكل» واواً.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» قيل أى أصلهم من الجنة وفعلا من ذهب إلى الحبشة وجد أن النيل ماء منهمر سيلا متصلاً من السماء فلا يستبعد أن يكون الحديث على ظاهره. قال النووى[1] : أعلم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فى بلاد الأرض فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنه وهما نهران عظيمان جداً أكبرهما جيحان فهذا هو الصواب أ هـ وقال ابن الأثير[2] :«سيحان وجيحان» وهما نهران عظيمان بالعواصم عند المصيصة وطرسوس أ هـ وقال القاضى: هذه الأنهار الأربعة اكبر أنهار بلاد الإسلام فالنيل بمصر، والفرات بالعراق، وسيحان وجيحان ببلاد خرسان أ هـ ملخصاً تعقبه النووى فقال قوله الفرات بالعرق وليس بالعراق بل هو فاصل بين الشام والجزيرة وقال عن سيحان وجيحان فهما ببلاد الأرمن بقرب الشام والله أعلم أ هـ بتصرف يسير، قال النووى: وأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان ذكرهما القاضى عياض أحدهما أن الإيمان عم بلادها والأجسام المتغذية بمائها =

---

(١) شرح مسلم ١٧ / ١٧٧ .

(٢) النهاية ١ / ٣٢٣ .

صائرة إلـى الجنة والثانى وهو الأصح أنهـا على ظاهرها وأن لها مـادة من الجنة والجنة مخلوفـة موجودة اليوم عند أهل السنة وقـد ذكر مسلم في كتـاب الإيمان أن الفرات والنيل يخرجان من الجنة أ هـ قلت وعند مسلم ذكر الأربعة كلهم ففـيه وحدث نبى الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ قال أما النـهران الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات.. الحديث[1] والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ٢٩١، ٢٩٢ فى الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ ح ٢٦٤، ١٦٤ .

المبحث السادس والأربعون

زرع الجنة

٧٢٩ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النَّبِىَّ ﷺ كَانَ يَوْماً يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رجل منْ أَهْلِ البَادِيَة، أَنّ رَجُلاً من أَهْلِ الجَنَّة إسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فى الزَّرْعِ فَقَالَ له: أَلَسْتَ فيمَا شئْتَ؟ قَالَ: بَلى وَلَكنّى أُحبُّ أَنْ أَزْرعَ، قَالَ: فَبَذَرَ فَبَادرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ واسْتوَاؤُهُ واسْتحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الجبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعالَى: ﴿دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لاَ يُشْبعُكَ شَئٌ﴾ فقال الأعرابىُّ: واللهِ لا تَجدُهُ إِلاّ قُرَشِيّاً أَوْ أَنْصَارياً فَإِنَّهُمْ أصحاب زَرْعٍ، وأَمّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحكَ النَّبِىُّ ﷺ.

---

٧٢٩ ـ أخرجه البخارى في صحيحه ١٠ / ٩٤ فى المزارعه، باب ـ ح ٢٣٤٨.
وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٥١١ بلفظ مقارب.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ٢٨١ فى التوحيد، باب كلام الرب سبحانه مع أهل الجنة ح ٧٥١٩.

قوله: «فبذر فبادر الطرف» أى القى البذر فنبت فى الحال، وقوله «الطرف» امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ويطلق على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا أ هـ فتح ١٠ / ٩٤، ٩٥.

قوله دونك النصب على الإغراء أي خذه ا.هـ فتح ١٠/٩٤، ٩٥.

المعنى

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية» أى أثناء حديث النبى ﷺ كان البادى جالساً مع الصحابه وخصه أبو هريرة بالذكر لتعلق آخر الحديث به حيث ضحك النبى ﷺ لقوله وجمله «وعنده =

= رجل» قال العيني: جملة حالية، وبدا الرجل يبدوا إذا خرج إلى البادية[1] أ هـ قوله ﷺ «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع» أي اشتهى الزرع في الجنة فأستأذن رب العزة في انفاذ ما يشتهيه بالرغم من وجود كل ما يشتهيه عنده من غير عمل ولا جهد قال الحافظ بن حجر[2] : قوله: استأذن ربه في الزرع أي في أن يباشر الزراعة أ هـ قوله: «فقال له: ألست فيما شئت» أي ألست فيما أردت واشتهيت من الجنة يأتيك بمجرد اشتهائك له قال العيني: ومعنى هذا استفهام على سبيل التقرير: يعني أو لست كائناً فيما شئت من التشهيات أ هـ قوله: «قال: بلى ولكني أحب الزرع» أي يا رب الأمر كما قلت سبحانك ولكني أحب الزرع قال العيني: قال: «بلى» الأمر كذلك ولكن أحب الزرع أ هـ قوله «قال: فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال» قال الحافظ: قوله: «فبذر» أي ألقى البذر فنبت في الحال، وفي السياق حذف تقديره : فأذن له فبذر فبادر وقوله «الطرف» بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ويطلق أيضاً على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا قوله: «واستحصاده» زاد في التوحيد «وتكويره» أي جمعه وأصل الكور الجماعة الكثيرة من الإبل والمراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم إلا قدر لمحة البصر أ هـ حتى أصبح كالجبال طولاً لأنه في الجنة فالنعيم فيها تام وفوق التام قوله ﷺ فيقول الله تعالى: «أي في الحديث القدسي لهذا الرجل في الجنة» دونك يا بن آدم فإنه لا يشبعك شئ» قال الحافظ: وقوله «دونك» بالنصب على الأغراء أي خذه أ هـ وقوله لا يشبعك شئ قال الحافظ والمراد بقوله لا يشبعك شئ جنس الآدمي وما طبع عليه فهو في طلب الازدياد إلا من شاء الله تعالى أ هـ قوله: «فقال الأعرابي» وزاد في التوحيد «يا رسول الله» لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع أي لا =

---

(١) عمدة القرى ١٠ / ١٩٠ .

(٢) فتح البارى ١٠ / ٩٤، ٩٥ .

= يكون هذا الرجل صاحب زرع الجنة إلا من قريش أو من الأنصار لا من البدو فإنهم أحاب زرع فلذلك طلبه في الجنة بالرغم من عدم احتياجه إليه. قال الغينى: قوله فقال الأعرابى: هو ذلك الرجل الذى كان عند النبى ﷺ من أهل البادية أ هـ بتصرف قوله: «وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع» أى أهل البادية فالرجل ليس منا بل من القرشيين أو من الأنصار قال المهلب: وفيه وصف الناس بغالب عاداتهم أ هـ قوله: «فضحك النبى ﷺ «أى من قول الأعرابى عن صاحب الزرع أنه من قريش أو الأنصار ليس من البادية فهؤلاء هم أصحاب الزرع فأحب مثلهم الزرع حتى فى الجنة بالرغم مما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال الحافظ أى ابن حجر: وفى هذا الحديث من الفوائد أن كل ما اشتهى فى الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها أ هـ والله أعلم.

المبحث السابع والأربعون

فى شجر الجنة

٧٣٠ - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا، واقرءوا إِنْ شِئْتُم ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾**».

---

٧٣٠ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٢٧٣ فى التفسير، تفسير الواقعة، ح ٤٨٨١.

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٦٧، ١٦٨ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

المعنى

وفى المبحث السابع والأربعون يخبرنا أبو هريرة عن نبينا ﷺ قال: «إن الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها» أى فى الجنة شجرة ظلها من سار تحته مائة عام لا يزال تحت ذلك الظل وهو راكب قال الحافظ[1] : وقوله فى ظلها أى فى نعيمهاوراحتها ومنه قولهم عيش ظليل وقيل معنى ظلها ناحيتها وأشار بذلك إلى امتدادها، وقال القرطبى: والمحوج إلى هذا التأويل أن الظل فى عرف أهل الدنيا ما يقى من حر الشمس وأذاها وليس فى الجنة شمس ولا أذى. وروى ابن أبى حاتم فى صفة الجنة عن ابن عباس قال الظل الممدود: شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام من كل نواحيها فيخرج أهل الجنة يتحدثون فى ظلها فيشتهى بضعهم اللهو فيرسل الله ريحاً فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا» أ هـ وقال النووى: والمراد بظلها كنفها وذراها وهو ما يستر أغصانها[2] :«واقرؤا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾[3] : أى هذا تأويل قوله تعالى ﴿ وظل ممدود ﴾ والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ١٣ / ٥٣ .

(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٦٧، ١٦٨.

(٣) سورة الواقعة آية (٣٠).

المبحث الثامن والأربعون

سيقان شجر الجنة

٧٢٩ ـ عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**مَا فِي الجَنَّة شَجَرَةٌ إلاَّ وسَاقُهَا منْ ذَهَب**».

---

٧٢٩ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٦٦، أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فى صفة شجرة الجنة وقال غريب حسن فيه زياد بن الحسن بن الفرات بن القزاز التميمى الكوفى قال ابن حجر، صدوق يخطئ أخرج له الترمذى أ هـ تقريب ١ / ٢٦٦ ترجمة ٩٩ وقال الذهبى فى الميزان ٢ / ٢٧٨ قال أبو حاتم منكر الحديث وذكراه ابن حبان فى الثقات أ هـ لذلك قال الترمذى حديث غريب حسن لأن طرقه على زياد هذا والله أعلم.

المعنى

يقول رسول الله ﷺ: «ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب» حتى سيقان الأشجار تفضل ربنا عز وجل فزينها لأهلها يكرمهم بها ويعطيهم ما حرموه طاعة لله عز وجل سواء فى اللباس للرجال والآنية للرجال والنساء فأكرمهم تعالى فجعل حليهم فيه الذهب ولباسهم ومساكنهم وآنيتهم وسقوفهم بل وسيقان أشجارهم فلله الحمد والمنة حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه وقد قال تعالى عن شجر الجنة ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾[1] أخرج الطبرى[2] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «ذواتا أفنان» قال: ذواتا ألوان أ هـ وأخرج عن مجاهد قال: ذواتا أغصان أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة الرحمن آية (٤٨).

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١١ / ٦٠٣ لسورة الرحمن آية (٤٨) ح ٣٣٠٩٥ .

المبحث التاسع والأربعون

فى شكل ثمار الجنة

٧٣٢ ـ عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى قال: «**يَسيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّ الفَنَنِ منْهَا مائَةَ سَنَة، أوْ يَسْتَظِلُّ بظِلِّهَا مائَة، رَاكِبٍ ـ شك يحى ـ فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ ثَمرَهَا القِلاَلُ**».

---

٧٣٢ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٤٨ فى صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فى ثمار الجنة ح ٢٦٦٤ وقال حسن صحيح غريب.

قوله: «كالقلال» بكسر القاف جمع قلة والقلة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر .أهـ. شرح مسلم ٢ / ٢١٤ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ وذكر «سدرة المنتهى» أى التى قال فيها فيما رواه مسلم فى صحيحه «ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»[1] قال النووى[2] : قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ وحكى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى أ هـ قوله ﷺ «يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة»، قال صاحب التحفة[3] : يسير الراكب «أى المجد» فى ظل الفنن» محركة ـ أى الفاء والنونان ـ أى الغصن وجمعه أفنان ومنه قوله تعالى ﴿ ذواتا =

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ٢١٤ فى الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات.

(٢) شرح مسلم ٢ / ٢١٤ .

(٣) تحفة الأحوذى ٧ / ٢٤٨ .

أفنان ﴾[1] ويقال ذلك للنوع وجمعه فنون .أ هـ. أى أن الراكب يسير فى ظل الغصن من أغصان شجرات السدرة مائة سنة ما يقطعها كما فى حديث الصحيحين[2] : «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها قوله «أو يستظل بظلها مائة راكب» الشك من يحى بن عبد الله أحد رواة السند أى وقال يستظل بظل الغصن مائة راكب والأول أرجح لموافقته لرواية الصحيحين قوله ﷺ: «فيها فراش الذهب» قال صاحب التحفة»: فراش الذهب جمع فراشة بفتح الفاء التى تطير وتتهافت فى السراج ـ النار ـ قيل هذا تفسير قوله تعالى ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾[3] ومنه أخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله يغشاها فراش من ذهب قال الحافظ : ويجوز أن يكون من الذهب حقيقة ويخلق فيه الطيران والقدره صالحة لذلك .أ هـ. وهذا رأى طيب صالح فسبحان من جعل الجنة على غير مثال سابق أبدعها فلا يستكثر هذا. قوله: «كأن ثمرها القلال» حسناً وحجماً وجمالاً وشكلاً فشبه بالناحية الطيبة فيه أى أطيبها وأحسنها قال النووى: هو بكسر القاف جمع قلة والقلة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر .أ هـ. وقال صاحب التحفة : أى قلال هجر فى الكبر .أهـ. والله أعلم.

---

(١) سورة الرحمن آية (٤٨)

(٢) تقدم تخريجه فى المبحث السابع والأربعون ص .

(٣) سورة النجم آية (١٦).

المبحث الخمسون
ذكر جنى الجنة

٧٣٣ ـ عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع» وفي رواية بعدها» قيل: يا رسول الله: وما خرفة الجنة قال «جناها».**

٧٣٣ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١٦ / ١٢٥، في البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض

وأخرجه الترمذي في سننه ٤ / ٤١ في الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، ح ٩٧٤ وقال حسن.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٢٧٧ بلفظه.

المعني

يقول رسول الله ﷺ: «من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع» فيه فضل عيادة المريض وأن من عاد مريضاً مسلماً أدى به ذلك إلى اجتناء ثمار الجنة إن شاء الله تعالى، قال النووي[1]: أي يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها واتفق العلماء على فضل عيادة المريض أ هـ والظاهر أن ذلك يخص المريض المسلم كما يخص العائد المسلم فعند الترمذي: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة»: فإن قيل قد عاد النبي ﷺ الغلام اليهودي كما في البخاري[2]: فالجواب إنما قال له ﷺ «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم» فقد عاده ليدعوه وينجيه من النار لذلك لما أسلم الغلام قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي أنقده من النار» وقال صاحب التحفة[3] قال الهروي في غريبه: الخرفة ما يخترف من النخل حين يدرك ثمره قال أبو بكر بن الأنباري «شبه رسول الله ﷺ مايحرزه عائد المريض من الثواب ما يحرز المخترف من الثمر» وقال ابن العربي: قوله «لم يزل في خرفة الجنة» فإن ممشاه إلى المريض لماكان له من الثواب على كل خطوة كان الخطا سبباً إلي نيل الدرجات في النعيم المقيم، عبر عنها لأنها بسببها مجاز أ هـ والله أعلم.

(١) شرح مسلم ١٦ / ١٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦ / ٢٦٩ في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ومات هل يصلى عليه ح ١٣٥٦.

(٣) تحفة الأحوذي ٤ / ٤١.

المبحث الحادى والخمسون

نزل أهل الجنة

٧٣٢ - عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى ﷺ: **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلاً لأهل الجنة ... الحديث»**.

---

٧٣٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ١٧٥ فى الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح ٦٥٢٠ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٣٥ فى صفة أهل القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة .

قوله: «خبزة» بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة وفتح الزاى، قال الخطابى هو عجين يوضع فى الحفرة بعد إيقاد النار فيها أ هـ فتح ٢٤ / ١٧٥ .

المعنى

يقول ﷺ «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة» سبحان القدير هذه الأرض العظيمة بصخورها وجبالها وسهولها وأوديتها يعجنها الجبار نزلاً لأهل الجنة قال الحافظ:[١] «خبزة» بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة وفتح الزاى قال الخطابى: هو عجين يوضع فى الحفرة بعد إيقاد النار فيها أ هـ قوله «يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر - نزلاً لأهل الجنة - وعند مسلم: «يكفؤها: قال ابن حجر[١] : بفتح المثناه والكاف وتشديد الفاء المفتوحة بعدها همزة أى يميلها من كفأت الإناء إذا قلبته .أ هـ. سبحانه على كل شئ قدير قال النووى[٢] أما النزل فبضم النون والزاى ويجوز إسكان الزاى وهو ما يعد للضيف عند نزوله وخبزة المسافر هى التى يجعلها فى الملة ويتكفأها بيديه من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوى لأنها ليست منبسطة كالرقاق، ومعنى الحديث أن الله تعالى يجعل الأرض كاللقمة والرغيف العظيم ويكون ذلك طعاماً نزلاً لأهل الجنة والله على كل شئ قدير أ هـ قدير كريم والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ٢٤ / ١٧٥ .

(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٣٥ .

المبحث الثانى والخمسون

طير الجنة الخضر للشهداء

٧٣٥ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «لَمَّا أُصيبَ إِخْوَانكُمْ بِأُحُد جَعَل اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِى جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّة تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِى إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِى ظِلِّ العَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِى الجَنَّة نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِى الجِهَاد وَلاَ يَنْكُلُوا عَنِ الحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ وَأَنْزَلَ اللهُ﴾ ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً﴾.

---

٧٣٥ ـ أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٩٧ / ٨٨ فى الجهاد، ح ٢٤٤٤ واللفظ له.

وأخرج مسلم شاهداً له عن ابن مسعود بلفظ مقارب ١٣ / ٣٠ فى الجهاد أيضاً، باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة.

وأخرجه أبو داود فى سننه ٧ / ١٩٥ فى الجهاد، باب فى فضل الشهادة، ح ٢٥٠٣ .

وأخرجه ابن ماجه فى الجهاد ٢ / ٩٣٦ .

وأخرجه الدارمى فى الجهاد ٢ / ٢٧٢ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد» أى لما أكرمهم الله عز وجل بالشهادة فى غزوة أحد بالمدينة المنورة عند جبل أحد قوله: «جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر» أى أرواح الشهداء فى حواصل طير لونها أخضر من طيور الجنة والأجساد فى =

الأرض لا تأكلها هذه من كرامة الله عز وجل للشهداء لذلك قال الله عز وجل ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[1] قوله: «ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها» : قال النووى[2] : فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة وهو مذهب أهل السنة وهى التى أهبط منها آدم وهى التى ينعم فيها المؤمنون فى الآخرة هذا إجماع أهل السنة أ هـ وقال صاحب العون[3] : ترد من الورود أ هـ قوله: «وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش» قال فى عون المعبود: «وتأوى» أى ترجع إلى قناديل من ذهب معلقة» أى بمنزلة أوكار الطيور» أى تأكل من ثمار أنهار الجنة وهى حاملة فى أجوافها الأرواح تتنعم معها ثم ترجع إلى قناديل معلقة فى عرش الرحمن عز وجل كأوكار الطير فى النخل والأشجار قال القاضى : وفيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسئ وقد جاء به القرآن والآثار وهو مذهب أهل السنة أ هـ قوله: «فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم» أى لما وجد الشهداء طيب الطعام والشراب والمقيل وهذا يدل على أنهم تنعموا بالأرواح داخل حواصل الطيور قال أبو الطيب آبادى: ومقيلهم: بفتح أى مأواهم ومستقرهم قال وأصل المقيل المكان الذى يؤوى إليه للاستراحة وقت الظهيرة والنوم فيه. أ هـ قوله «من يبلغ إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب» أى لما وجدوا هذا النعيم العظيم وتلك اللذة الغامرة قالوا من يخبر اخواننا على الأرض فى الدنيا ما نحن فيه ليعملوا عملنا فيجاهدوا راغبين فى الشهادة حتى إذا نالوا جوزوا =

(١) سورة آل عمران آية (١٦٩).
(٢) شرح مسلم ١٣ / ٣٠ .
(٣) عون المعبود ٧ / ٩٥ .

مثلنا ولا يكسلوا عن الحرب والجهاد قال أبو الطيب: «من يبلغ» من التبليغ أو الإبلاغ إخواننا أى الذين فى الدنيا من المسلمين عنا أى من قبلنا «لئلا يزهدوا» أى اخواننا بل ليرغبوا» ولا ينكلوا» بالنون وضم الكاف أى لا يجبنوا أ هـ فقال الله تعالى «فأنا أبلغهم عنكم وأنزل الله عز وجل ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ : الآية أى قال الله عز وجل ﴿**فأنا أبلغهم عنكم**﴾ فأنزل سبحانة الآية الكريمة من أصدق القائلين على قلب المصطفى الأمين بهذا البيان العظيم مبينا تكريم أكرم الأكرمين لمن قتل فى سبيل رب العالمين فاللهم ارزقنا شهادة فى سبيلك مقبلين غير مدبرين صابرين محتسبين والله أعلم.

المبحث الثالث والخمسون

مناديل الجنة

٧٣٦ - عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: أُتِىَ رَسُولُ الله ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ من حُسْنِهِ ولِينِهِ، فقال رسُولُ الله ﷺ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ فِى الجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هذَا».

---

٧٣٦ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٥٢ فى بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٢٤٩ .

أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٢ / ٤٧ فى اللباس، باب من مس الحرير من غير لبس ح ٥٨٣٦ .

أخرجه مسلم فى صحيحه ١٦ / ٢٢ فى الفضائل، باب فضائل سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه.

المعنى

يقول البراء بن عازب : قال أتى رسول الله ﷺ بثوب من حرير فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه، وفى الرواية التى فى اللباس: «فجعلنا نلمسه ونتعجب» أى لما أتى بالثوب الحرير أخذ الصحابة رضوان الله عليهم يلمسونه ويمسكونه تعجباً من هذه الثياب الناعمة الحسنة التي لم يعتادوا مثلها لا لبساً ولا حتى رؤية، وعند مسلم : «فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها» قال الحافظ[1] : «فجعلنا نلمسه» جزم في المحكم بأنه بضم الميم في المضارع أ هـ قال النووى[2] : هو بضم الميم وكسرها أ هـ قوله «فقال رسول الله ﷺ «لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أفضل منها» وفى اللباس : خير من هذا» وعند مسلم: «خير منها وألين» قال النووى: المناديل جمع منديل وهو الذى يحمل فى اليد وقال العلماء: هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد فى الجنة وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه لأن المنديل أدنى الثياب لأنه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل وفيه اثبات الجنة لسعد. أ هـ وقال الحافظ قيل خص المناديل بالذكر لكونها تمتهن فيكون ما فوقها أعلى منها بطريق الأولى أ هـ. والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ٢٢ / ٤٨ .

(٢) شرح مسلم ١٦ / ٢٢ .

المبحث الرابع والخمسون

غناء أهل الجنة لمن تورع عنه فى الدنيا

٧٣٧ ـ عن ابن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قط، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ

نَحْنُ الخَيْرَاتُ الحِسَانُ أزواجُ قومٍ كِرَامٍ

يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ

وإن مما يغنين به :

نحنُ الخالداتُ فلا يَمُتْنَهْ نحنُ الآمنَاتُ فَلاَ يَخَفْنَهْ

نحن المُقيماتُ فلا يَظْعَنَّهْ

---

٧٣٧ ـ أخرج الطبرانى فى المعجم الأوسط ٥ / ١٤٩ عن ابن عمر مرفوعاً ٤٩١٧ .

وأخرج له الترمذى شاهداً عن عليّ مرفوعاً بمعناه ٧ / ٢٨٦ فى صفة الجنة، باب ما جاء فى كلام الحور العين وقال: حديث عليّ حديث غريب.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٧٥ / ٨٥ فى الجهاد ح ٢٤٠٥ عن أنس مرفوعاً.

قوله: «قرة أعيان» معنى قرت عيناه «حقيقته أبرد الله دمعة عينيه لأن دمعة الفرح والسرور باردة وقيل معنى أقر الله عينك، بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك، وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره أ هـ نهاية ٤ / ٣٨، ٣٩ .

المعنى

يروى لنا ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين =

أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط» لما صبروا عن سماع المغنيات الفاسقات فى الدنيا والتلذذ بأصواتهن فى الحرام ولما صبرن عن سماع فاسقى المغنين المصاحبين للمعازف المحرمة المتغنين بكلام الفسوق والخنا عوضهم عن ذلك ربهم عز وجل وأخلف لهم خيراً وكافأهم أعظم المكافأة فَتُغَنَّى لهم إن شاء الله تعالى أزواجهم من الحور العين بأصوات ما سمعوا أحسن منها قط، وعند الترمذى «إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها» فعند الله عز وجل الكثير الكثير وذاك يدخل فى قوله عز وجل ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] : قوله: «إن مما يغنين به» أى من أنواع الغناء الكثير الذى هذا بعضه قوله: «نحن الخيرات الحسان» كما قال تعالى ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ** ﴾[2] : قال ابن كثير: قيل: خيرات جمع خيره وهى المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور أ هـ قوله: «أزواج قوم كرام» يمدحن أزواجهن بأنهم كرام وهذا من حسن العشرة من الحور وإن كان هذا مطلوب من أزواج الدنيا لكن يتحقق فى الحور بأتمه وأكمله قوله: «ينظرن بقرة أعيان «قال ابن الأثير فى معنى قرت عيناه «قال: حقيقته : أبرد الله دمعة عينيه لأن دمعة الفرح والسرور باردة وقيل معنى أقر الله عينك: بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره أ هـ فهن ينظرن بسرور أعيان وفرحة قوله: «وإن مما يغنين به» نحن الخالدات فلا يمتنه» : بفتح الياء وضم الميم بعدها مثناه فوقية ساكنة ونون مفتوحة: وعند الترمذى: نحن الخالدات فلا نبيد» لأنه لا موت فى الجنة فيؤتى بالموت على هيئة كبش أملح ثم يذبح قال ﷺ: «فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ... الحديث» وهو فى البخارى[3] قولهن «نحن الآمنات فلا يخفنه» كما قال تعالى =

---

(١) سورة السجدة آية (١٧)

(٢) سورة الرحمن آية (٧٠)

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٢٩ فى تفسير سورة مريم باب قوله عز وجل ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، ح ٤٧٣٠ .

﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴿٤٦﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴿٤٧﴾ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾[1] فهم فى أمن لا خوف معه ولا هم ولا غم ولا نصب ولا حزن فالحمد لله رب العالمين حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه. قال صاحب[2] التحفة: نحن الخالدات: أى الدائمات «فلا نبيد» أى لانهلك ولا نموت من باد أى هلك وفنى أ هـ قولهن «نحن المقيمات فلا نظعنه» كما قال تعالى كما قال عز وجل ﴿ حور مقصورات فى الخيام﴾[3] وكما فى الدنيا فالمرأة المقيمة فى بيتها القاصرة نظرها وكلامها وضحكها ولعبها على زوجها أغلى وأعظم وأشرف وأصلح وأرقى من الخراجة الولاجة المختلطة بغير حليلها ومحارمها ولذلك جعل المولى عز وجل من نعيم الجنة المرأة المقيمة لزوجها فى خيمتها التى لا تظعن ولا ترحل؛ قال الطبرى[4] فى تفسير قوله تعالى ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ أخرج بسنده إلى مجاهد قال ﴿ مقصورات﴾ قال: مقصورات على أزواجهن فلا يردن غيرهم وبسنده إلى أبى العالية قال «مقصورات فى الخيام أ هـ لذلك قلن هنا نحن المقيمات فلا يظعنه أى مقيمات فلا يسرن ويرحلن من خيامهن وزاد الترمذى ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له «فاللهم ارزقنا من فضلك يا أكرم الأكرمين يا رب العرش العظيم وأتم علينا بخير يا كريم واجعل عواقب أمورنا إلى خير يا كريم والله أعلم.

(١) سورة الحجر آية (٤٦)، (٤٨).
(٢) تحفة الأحوذى ٧ / ٢٨٧ .
(٣) سورة الرحمن آية (٧٢).
(٤) أخرجها الطبرى فى التفسير لسورة الرحمن ١١ / ٦١٥ ح ٣٣١٨٥، ٣٣١٨٦ .

المبحث الخامس والخمسون

تاج الكرامة وحلة الكرامة لصاحب القرآن فى الجنة

نسأل الله الكريم من فضله العظيم

٧٣٨ ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ القِيامَة فَيقُولُ: يارَب حَلِّه فَيلْبسُ تَاجَ الكَرَامَة، ثم يقولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيَلْبسُ حُلَّةَ الكَرَامة، ثم يقولُ: يَا رَبِّ أرْضَ عَنْهُ، فَيُقَالُ: اقْرأْ، وارْقَأْ، ويُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**».

---

٧٣٨ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٨ / ٢٧٧ فى صفة الجنة، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر ح ٣٠٧٦ وقال هذا حديث حسن صحيح.

قوله: «تاج» هو ما يصاغ للملوك من الذهب والجواهر أ هـ نهاية ١ / ١٩٩ .

المعنى

يروى لنا أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «يجئ صاحب القرآن يوم القيامة» أى حامل القرآن العامل به الذى لا يغلو فيه ولا يجفو عنه قوله «فيقول:» يا رب حلة» أى يدعو القرآن لصاحبه من طول القرآن والعمل فسمى صاحباً لطول الصحبة فيقول يا رب حلة أى ألبسه الحلل والحلى قال صاحب التحفة: قوله: «يا رب حلة» الظاهر أنه أمر من التحلية يقال حليته أحليه تحليلة إذا ألبسته الحلية والمعنى يا رب زينه أ هـ[١] قوله: «فيلبس تاج الكرامة» كأنه ملك عليه تاج لكن مرصع بدلاً من الجواهر الكرامة التى قال الله تعالى ﴿ **أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ... الحديث** ﴾[٢] : قال ابن الأثير عن التاج: هو ما يصاغ للملوك من الذهب والجواهر أ هـ[٣] : قوله: «ثم يقول: يا رب زده» أى من الخير فوق الخير =

---

(١) تحفة الأحوذى ٨ / ٢٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٥٧ فى الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ٣١٢ / ١٨٩ .

(٣) نهاية ١ / ١٩٩

العظيم الذى أعطيته إياه بتتويجه بتاج الكرامة قوله: «فيلبس حلة الكرامة» فالكرامة الأولى تاج على رأسه والثانية لباس يلبسه على بقية جسده من ازار ورداء لكن من الكرامة فتغطيه ويصبح بدلاً من الثياب كرامة وقد ذكرت آنفاً قول الخطابى: الحلة ثوبان: إزار ورداء، ولا تكون حلة إلا وهى جديدة تحل من طيها فتلبس أ هـ قوله: «ثم يقول»: «يا رب ارض عنه» أى رضا زائد تطمئنه به فلا يخاف سخطاً بعده أبداً كما فى الحديث[1] : رقم ٦٩ جنة» عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة يا أهل الجنة.

فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأى شئ أفضل من ذلك فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً: «قوله» فيقال اقرأ وارقأ ويزاد بكل آية حسنة» قال صاحب التحفة «اقرأ» أمر من القراءة أى اتل (وارقأ) أمر من رقأ يرقأ رقأ أى اصعد أى يقال لصاحب القرآن اقرأ القرآن واصعد على درجات الجنة أ هـ أى بكل آية تلوتها وحفظتها وفى حديث عبد الله بن عمرو[2] عند الترمذى: «يقال - يعنى لصاحب القرآن - اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها» قال صاحب التحفة: «يقال أى عند دخول الجنة لصاحب القرآن أى من يلازمه بالتلاوة والعمل (وارق) أمر أى اصعد إلى درجات الجنة (ورتل) أى اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة ﴿**كما كنت ترتل فى الدنيا**﴾ من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ﴿**فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**﴾ قال المنذرى فى الترغيب قال الخطابى: جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قدر درج الجنة فى الآخرة فيقال للقارئ ارق فى الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن فمن استوفى قراءة جميع القرآن الكريم استولى على أقصى درج الجنة فى الآخرة ومن قرأ جزءاً منه كان رقية فى الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة أ هـ فاللهم أسألك من فضلك العظيم يارب العرش العظيم - والله أعلم.

---

(١) تقدم فى المبحث التاسع والستين من الجنة وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٣٢ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٤٩ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٨ / ٢٣٢ فى صفة الجنة ح ٣٨٠١ وقال حسن صحيح.

المبحث السادس والخمسون
القصور والحور للصحب الكرام

٧٣٩ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسولُ اللهِ ﷺ : «بَيْنَا أَنَا نائمٌ رأيتُني في الجَنَّة فإذا امرَأَةٌ تَتَوضَّأُ إلى جَانب قَصْرٍ ، فقلت : لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ !! فَقَالوا : لِعُمَرَ بنِ الخَطَّاب فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً» فَبَكَى عُمَرُ وقال : أَعَلَيْكَ أَغَارُ يا رَسُولَ اللهِ» .

---

٧٣٩ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٤٦ فى بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٢٤٢ .

المعنى

يقول ﷺ : «بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فلوليت مدبراً» أى أن النبى ﷺ رأى فى المنام أنه ﷺ فى الجنة - «ورؤيا الأنبياء وحى»[1] : أى وحق فالوحى حق، - فرأى فى الجنة امرأة من نساء الجنة تتوضأ بجانب قصر من قصور الجنة أيضاً فسأل عن صاحب القصر ممن سيسكنه إن شاء الله تعالى بعد دخولها حيث كل قصر له صاحب وكل امرأة لها زوج فعند مسلم[2] «وما فى الجنة أعزب» فقالوا له ﷺ أنه لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فعلم أن المرأة فى الجنة هذه امرأته فانصرف عنها ﷺ لعلمه بغيرة عمر فلما علم عمر بذلك بكى وقال يعنى هذا إن حدث من الغيرة مع غيرك فلا يحدث معك يا رسول الله لأنك احترت صفات الكمال البشرية كلها فلا يأتى من عندك إلا الخير والأمن والأمان والسرور والنور ﷺ، قال الحافظ[3] : وهذا وإن كان مناماً لكن رؤيا الأنبياء حق ومن ثم أعمل حكم غيرة عمر حتى امتنع من =

---

(١) حديث «رؤيا الأنبياء وحى» أخرجه البخارى مرسلاً فى الوضوء ٢ / ١٢ باب التخفيف فى الوضوء ح ١٣٨ مكررة وأخرجه موصولاً من وجه آخر.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ٢٥٠ فى الجنة وصفة نعيمها، باب أول زمرة تدخل الجنة ... ح ٢٨٣٤/١٤ .

(٣) فتح البارى ١٣ / ٤٧ .

دخول القصر أ هـ قوله: «فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله». قال الحافظ[1]: وفيه ما كان عليه النبى ﷺ من مراعاة الصحبة وفيه فضيلة ظاهرة لعمر وقوله فيه: تتوضأ يحتمل أن يكون على ظاهره ولا ينكر كونها تتوضأ حقيقة لأن الرؤيا وقعت فى زمن التكليف والجنة وإن كان لا تكليف فيها فذاك فى زمن الاستقرار ثم قال ورؤيا المنام لا تحمل دائما على الحقيقة بل تحتمل التأويل فيكون معنى كونها تتوضأ أنها تحافظ فى الدنيا على العبادة أ هـ والله أعلم.

(١) فتح البارى ١٤ / ١٨١ ، ١٨٢ .

المبحث السابع والخمسون

عظيم ضوء الحور

٧٤٠ - وعن سهل بن سعد الساعدى قال: قال قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّة» خَيرٌ مِن الدُّنْيَا ومَا فِيهَا» وفي رواية الجهاد: «لرَوْحَةٌ في سبيل الله أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ من الدُّنْيا وَمَا فيها، ولَقَابَ قَوْسِ أَحَدكُم من الجَنَّة أَوْ مَوْضع قَيْدٍ خَيْرٌ مِن الدُّنْيا وَمَا فِيهَا، ولَوْ أَنَّ امْرَأَةً من أَهْلِ الجنة اطَّلَعَتْ إِلى أهلِ الأرض لأَضَاءَتْ ما بينهما ولَمَلأَتْهُ رِيحاً، ولَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِن الدُّنْيا وَمَا فِيهَا».

---

٧٤٠ - أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٥٢، فى بدء ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٢٥٠ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٧ فى الرقاق، باب مثل الدنيا فى الآخرة ح ٦٥١٥ .

وأخرج الرواية الثانية البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٧٥ فى الجهاد، باب الحور العين وصفتهن ح ٢٧٩٦ .

قوله: «لروحة» قال ابن الأثير: أصل الرواح أن يكون بعد الزوال وقال ويقال راح القوم وتروحوا إذا ساروا أى وقت كان أ هـ نهاية ٢ / ٢٧٣ .

قوله: «أو غدوة» : قال ابن الأثير: الغَدْوَة: المرة من الغُدُوّ، وهو سير أول النهار، نقيض الرواح والغُدْوة بالضم ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس أ هـ نهاية ٣/٣٤٦.

قوله: «قاب» القاب والقيب بمعنى القدر ا.هـ نهاية ٤/١١٨.

المعنى

يقول فيه رسول الله ﷺ : «موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها» وفى رواية الجهاد «لروحة فى سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس

= أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعنى سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» أى مكان السوط خير من الدنيا وما فيها فإذا كان مكان السوط الذى لا يجتاز كثيراً من الجنة فكيف الباقى من الأماكن الشاسعة وفى رواية الجهاد: «أو موضع قيد - يعنى سوطه» وقد قال الحافظ[1] القيد والقاب بمعنى وهو المقدار أ هـ بتصرف قال الحافظ: قوله «وقاب قوس أحدكم أى قدره والقاب بتخفيف القاف وآخره موحدة: معناه القدر، وكذلك القيد بكسر القاف بعدها تحتانيه ساكنه ثم دال وقيل القاب ما بين مقبض القوس وسيته وقيل ما بين الوتر والقوس، وقيل المراد بالقوس هنا الذراع الذى يقاس به وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع من الجنة .أ هـ. وفى الحديث الذى فى الجهاد يبين رسول الله ﷺ أن وقت الخروج أول النهار فى سبيل الله إلى منتصفه والرجوع من زوال الشمس إلى غروبها التى هى عند الناس هين هى عند الله فى الجنة خير من الدنيا وما فيها مما أخذت من زخرفها قال الحافظ: والغدوة بالفتح المرة الواحدة من الغدو وهو الخروج فى أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة المرة الواحدة وهو الخروج فى أى وقت من زوال الشمس. إلى غروبها وقوله ﷺ : «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً» أى لو أن امرأة من الحور فى الجنة اطلعت ونظرت على الأرض وأهلها لأضاءت بنور وجهها ما بين جنبات الأرض ولملأته ريحاً طيباً من أثر ريحها هذا هو من الذى لم يخطر على قلب بشر إنه حتى الخيال لا يدركه، قيل قال عطاء السلمى لمالك بن دينار: شوقنا - قال: يا عطاء: إن فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها فلم يزل كمداً من قول مالك[2] أ هـ قوله: «ولنصيفها على رأسها خير من =

(١) فتح البارى ١١ / ٢٧٥ .

(٢) رهبان الليل ٢ / ٢٣ .

= الدنيا وما فيها» أي خمارها على رأسها خير من الدنيا وما في الدنيا من زينة أهلكت الكثير من الناس فكيف بالحلل والحلي والحرير والاستبرق والسندس وما فوق ذلك، قال الحافظ: «ولنصيفها» بفتح النون وكسر الصاد المهملة بعدها تحتانيه ساكنه ثم فاء هو الخمار بكسر المعجمة وتخفيف الميم ثم قال: المعنى الذى من أجله يتمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى فى سبيل الله لكونه يرى من الكرامة بالشهادة فوق ما فى نفسه إذ كل واحدة يعطاها من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لأضاءت كلها وعزاه للمهلب .أ هـ. والله أعلم.

المبحث الثامن والخمسون

٧٤١ - عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجَنَّة لَسُوقاً يأْتُونَها كُلَّ جُمعَةٍ فتهب ريحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُوا في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابُهُم فَيزْدَادُون حُسْناً وَجمَالاً فَيرجِعُونَ إلى أهْلِيهِمْ وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً فَيقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدْ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً فَيَقُولونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً**».

---

٧٤١ - أخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٧٠ في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وأخرجه أحمد في مسنده ٣ / ٢٨٤، ٢٨٥ من طريق ثابت عن أنس بلفظه.

وأخرجه الدارمي في سننه ٢ / ٤٣٦ في الرقائق، باب في سوق الجنة ح ٢٨٤١.

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة» عند أحمد: «إن لأهل الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك» فيه فضيلة يوم الجمعة في الدنيا والآخرة ففي الدنيا لنا عيد بحمد الله تعالى ففي الحديث[1] عنه ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» وفي الآخرة هو يوم المزيد الذي ينال فيه أهل الجنة أعلى درجات النعيم قال تعالى ﴿**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**﴾[2] قوله: «فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم» «هذه الريح طيبة تسمى ريح الشمال تأتيهم في بيوتهم تهب عليهم بالطيب والحسن فعند الدارمي «فيبعث الله عليهم ريحاً فتدخل بيوتهم» قوله: «فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً» والظاهر أن ذلك أصلاً بسبب =

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥ / ٥، ٦، ٧ في الجمعة، باب فرض الجمعة، ح ٨٧٦.

(٢) سورة ق آية (٣٥).

رؤيتهم ربهم الله عز وجل والريح هذه مع الرؤية فعند الترمذى[1] مرفوعاً: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً ... الحديث وفيه» فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل الينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا «قوله» فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً» وعند الترمذى ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا قال النووى[2] : المراد بالسوق مجمع يجتمعون فيه كما يجتمع الناس فى الدنيا فى السوق ومعنى يأتونها كل جمعة أى فى مقدار كل جمعة أى أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار قال القاضى وخص ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب وكانت تهب من جهة الشام وبها يأتى السحاب والمطر وكانوا يرجون السحابة الشامية وجاءت فى الحديث تسمية هذه الريح المثيرة أى المحركة لأنها فى وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها أ هـ يوم الجمعة هذا فيه هبات كثيرة من رب العالمين لأهل الجنة حتى إنه يسمى يوم المزيد كما ورد فى حديث أنس رضى الله =

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٥٩، ٢٦٠ فى صفة أهل الجنة ما جاء فى سوق الجنة، ح ٢٦٧٣ .
(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٧٠ .

= عنه رفعه: وفيه ندعوه عندنا يوم المزيد قلت: ما المزيد: «إن الله جعل وادياً فى الجنة أفيح وجعل فيه كثبانا من المسك فإذا كان يوم الجمعة نزل فيه «وفيه» إكسوا عبادى، أطعموا عبادى، اسقوا عبادى، طيبوا عبادى، ثم يقول: ماذا تريدون؟ قالوا نريد رضوانك ربنا فيقول: «قد رضيت عنكم فينطلقون وتصعد الحور العين إلى الغرف من زمردة خضراء أو ياقوتة حمراء»[1] والله أعلم.

(١) ذكره الحافظ فى المطالب العالية ١ / ١٥٩ ح ٥٨٠ قال المحقق وصحح البوصيرى إسناده.

. المبحث التاسع والخمسون

قوله تعالى ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾

٧٤٢ ـ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يُنَادِي مُنادٍ إنَّ لَكُمْ أَن تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْتَئِسُوا أَبَداً، فَذلك قولُهُ عزَّ وَجَلَّ ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾**».

---

٧٤٢ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٧٤، ١٧٥ في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وأخرجه الترمذي في سننه ٩ / ١٢٠ في الجنة، باب سورة الزمر ح ٣٢٩٧ .

وأخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٣١٩، ٣ / ٣٨ وأخرجه الدارمي في سننه ٢ / ٤٣٠، ٤٣١ في الرقاق بمعناه ح ٢٨٢٤ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً» هذا من تمام النعيم يخبرهم به مناد من قبل الكريم زيادة في نعيمهم وإكرامهم أن يكونوا في صحة دائمة بلا مرض وعند الدارمي «نودوا صحوا ولا تسقموا» قال المباركفوري[1] :«تصحوا» بكسر الصاد وتشديد الحاء أي تكونوا صحيحي البدن دائماً «فلا تسقموا» من باب سمع أي لا تمرضوا أ هـ قوله: «وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً» أي كما في الحديث[2] الصحيح: عن ابن عمر قال: قال ﷺ : «إذا صار أهل الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ينادي مناد: يا أهل الجنة لا

---

(١) تحفة الأحوذي ٩ / ١٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ / ٢٢٩ في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٤٨ .

= موت، يا أهل النار لا موت ...» قال صاحب التحفة: «أن تَحْيُوا» . بفتح الياء أى تكونوا أحياء دائماً أ هـ قوله: وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً» أى تكونوا شباباً دائماً تتمتعون بصحة الشباب وقوتهم وزهرتهم بلا هرم قال صاحب التحفة «أن تشبوا» أى تدوموا شباباً فلا تهرموا» أى لا تشيبوا أ هـ قوله: وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً» أى تكونوا فى نعيم تام دائم بلا نقص أى نقص كان قال صاحب التحفة: أن تنعموا بفتح العين أى يدوم لكم النعيم «فلا تبتئسوا» بسكون الموحدة فالهمزة المفتوحة أى لا يصبكم بأس وهو شدة الحال وفى القاموس : بئس كسمع اشتدت حاجته أ هـ قوله فذلك قوله عز وجل: ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ أى هذا تأويل قول الله عز وجل ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾[1] والله أعلم.

(١) الأعراف آية (٤٣)

المبحث الستون

ما لأسفل أهل الجنة

٧٤٣ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أسفلَ أهلِ الجنة أجمعينَ درجةً لَمَنْ يقومُ على رأسه عشرةُ آلاف خَادم، بيدِ كلِّ واحد منهُم صَحْفَتَان، واحدةٌ من ذَهَب والأخرى من فضَّةٍ في كُلِّ واحدة لونٌ ليْسَ في الأُخْرَى مثْلُه، يَأْكُلُ من آخرِهَا مثْلُ مَا يأْكُلُ منْ أوَّلِهَا يَجِدُ لآخرِهَا منَ الطَّيبِ واللَّذَّة مثْلَ الذَّى يَجدُ لأَوَّلِهَا، ثُمَّ يكُونُ ذَلكَ كَريحِ المسْكِ الأَذْفَرِ لاَ يَبُولُونَ ولاَ يَتَغَوَّطُونَ، إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**».

---

٧٤٣ ـ أخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط ٧ / ٣٢٤ ح ٧٦٧٤ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٤٠١ رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.

أخرجه أحمد له شاهداً فى المسند ٢ / ٥٣٧ عن أبى هريرة بلفظ مقارب.

قوله: «صفحة» إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها صحاف أ هـ نهاية ٣ / ١٣.

قوله: «الأذفر» أى طيب الريح أ هـ نهاية ٢ / ١٦١.

المعنى

يقول نبينا ﷺ: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة» وعند أحمد: إن أدنى أهل الجنة منزلة» وقد تقدم الكلام عليه بفضل الله تعالى مفصلاً فى حديث رؤية الله عز وجل وهو آخر أهل الجنة دخولاً وآخر أهل النار خروجاً منها قوله: « لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم» وعند أحمد «وإن له لثلثمائة خادم» فالقليل لا ينافى الكثير ويحتمل أن العدد للتكثير قوله «بيد كل واحد منهم صحفتان واحدة من ذهب =

= والأخرى من فضة، قال ابن الأثير[1] : الصحفة: إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها صحاف أ هـ قوله: «في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله» أي نوع من الطعام ليس في الصحفة مثل الأخرى زيادة في النعيم قوله: «يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، تفسره رواية أحمد: «وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره» الرواية: «يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها» بعكس الدنيا فإن النفس تمل في الآخر دون الأول زاد أحمد: «وإنه ليقول يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء» هذا أدنى أهلها فكيف بأعلاها وصدق ربنا القائل سبحانه ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[2] قوله: «ثم يكون ذلك كريح المسك الأذفر» أي الخارج منهم بعد الأكل ما هو إلا ريح مسك تكريماً وبياناً للقدرة العظيمة لربنا فشتان بين الدنيا والآخرة شتان بين النور والظلماء والمسك الأذفر: قال ابن الأثير[3] : أي طيب الريح أ هـ قوله: «لا يبولون» لنجاسة البول ورائحته المتقذرة والجنة منزهة عن ذلك ويعاض عنه برشح المسك كما في الرواية : «ورشحهم المسك»[4] قال النووي[5] : أي عرقهم أ هـ وكذلك من ذلك قوله بعده «ولا يتغوطون» أي لا يتبرزون قوله: «ولا يمتخطون» أي لا يستنثرون أذى ولا غيره فكل أذى ونقص ليس في الجنة «قوله:» إخواناً على سرر متقابلين» لا حقد ولا غل ولا حسد ولا تباغض ولا شحناء إخواناً على سرر متقابلين» أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عيينه والضحاك وعلي رضي الله عنه ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل** ﴾[6] قال : العداوة أ.هـ[7] والله أعلم.

---

(١) نهاية ٣ / ١٣ .

(٢) سورة السجدة آية (١٧).

(٣) نهاية ٢ / ١٦١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧ / ١٧٣ في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) شرح مسلم ١٧ / ١٧٢ .

(٦) سورة الحجر آية (٤٧).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره لسورة الحجر آية (٤٧) ٧ / ٥١٩، ٩٢٠ ح ٢١١٩٦، ح ٢١١٩٧، ٢١١٩٨.

المبحث الحادى والستون
فى علو أهل الغرف على غيرهم

٧٤٤ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَتراءوْنَ أَهْلَ الغُرَف منْ فوْقهمْ، كَمَا تَترَاءوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّىَ الغابرَ فى الأُفُق من المَشْرق أو المَغْرب لتفَاضُل مَا بيْنَهُم، قالوا: يَا رَسُولَ الله: تلْكَ منازلُ الأنبياء لا يَبْلُغها غَيْرُهُمْ قال: «بَلَى والذي نَفْسي بِيَده، رجَالٌ آمنُوا بالله وَصَدَّقُوا المُرْسَلينَ**».

---

٧٤٤ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٥٤، فى بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٢٥٦ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٦٨، ١٦٩ فى كتاب الجنة وصفة نعيمها.

قوله: «الدرى» بضم المهمله وكسر الراء المشددة بعدها تحتانية ثقيلة وقد تسكن ونقل ابن الجوزى عن الكسائى تثليث الدال فبالضم نسبة إلى الدر وبالكسر الجارى وبالفتح اللامع أ هـ فتح ١٣ / ٥٤.

قوله: الغابر الذاهب الماشي أي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون ا.هـ. شرح مسلم ١٧/١٦٩.

المعنى

فالنبى ﷺ يبين فيه فضل، ما بين الدرجات العظيم الشاسع فى الجنة بما بين الكوكب والناس على الأرض كما قال تعالى ﴿**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا**﴾[1] لذلك تعجب الصحابة! يا رسول الله أنها منازل الأنبياء لاستحقاقهم هذه المراتب العالية فكيف لو رأوا منازل الأنبياء؟ فأجابهم ﷺ مقسماً لهم أنها فقط لمن آمن بالله عز وجل ورضى به رباً وصدق رسله على نبينا =

---

(١) سورة الإسراء آية (٢١)

= وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم» قال الحافظ[1] : والمعنى أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم فى الفضل حتى أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم وقد بين ذلك في الحديث بقوله لتفاضل ما بينهم أ هـ قوله «كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» أى كما ترون الكوكب الشديد الإضاءة فى السماء بعيداً عالياً كذلك أهل الدرجات العلا ـ نسأل الله تعالى من فضله ـ قال الحافظ: «الدرى» بضم المهملة وكسر الراء المشددة بعدها تحتانية ثقيلة وقد تسكن وبعدها همزة ومد ثم قيل إن المعنى مختلف فبتشديد الياء نِسبةً إلى الدّرّ لبياضه وضيائه وبالهمز مع الياء مأخوذ من درأ أى دفع لاندفاعه عند طلوعه ونقل ابن الجوزى عن الكسائى تثليث الدال، قال: فالبضم نسبة إلى الدر، وبالكسر الجارى، وبالفتح اللامع أ هـ قوله «الغابر» قال القاضى عياض[2] : الغابر : الذاهب الماشى أى الذى تدلى للغروب وبعد عن العيون أ هـ قوله «فى الأفق» قال الحافظ والمراد بالأفق السماء أ هـ قوله « من المشرق أوالمغرب» قال ابن التين: إنما تفور الكواكب فى المغرب خاصة فكيف وقع ذكر المشرق قال الحافظ الغابر يطلق على الماضى والباقى فلا إشكال أ هـ ملخصاً قوله «لتفاضل ما بينهم أى بسبب تفاضلهم فى الدرجات المترتبة على الأعمال والنيات قوله: «قالوا يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم عظمها وعلوها قالوا أنها فى اعتقادنا لا تنبغى إلا للأنبياء لكن فضل الله أوسع وعنده الكثير الذى لا يحصى فلذلك قال ﷺ: «بلى» قال القرطبى: بلى حرف جواب وتصديق والسياق يقتضى أن يكون الجواب بالإضراب عن الأول وإيجاب الثانى فلعلها كانت بل فغيرت ببلى وقوله رجال: خبر مبتدأ محذوف تقديره هم رجال، أى تلك المنازل منازل رجال آمنوا أ هـ قوله والذى نفسى بيده» أى والله الذى أنا مملوك له لا لغيره قوله «رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» قال الحافظ: أى حق تصديقهم وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك وقال الداودى كلاماً طيباً يقبله لفظ الحديث بلا تعسف: يعنى أنهم يبلغون هذه المنازل التى وصف، وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك أ هـ والله أعلم.

(١) فتح البارى ١٣ / ٥٤، ٥٥ .

(٢) شرح مسلم ١٧ / ١٦٩، ١٧٠ .

المبحث الثانى والستون

المتحابون فى الله على منابر من نور

٧٤٥ ـ عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل ﴿ **المُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ** ﴾.

---

٧٤٥ ـ أخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٦٥ فى الزهد، باب ما جاء فى الحب فى الله، ح ٢٤٩٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج أحمد له شاهداً فى المسند ٥ / ٢٣٦ عن معاذ بلفظ مقارب.

قوله: «يغبطهم» قال ابن الأثير: غبطت الرجل أغبطه غبطاً: إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ما له وأن يدوم عليه ما هو فيه أهـ نهاية ٣ / ٣٣٩، ٣٤٠ .

المعنى

يقول ﷺ قال الله عز وجل، أى فى الحديث القدسى: ﴿ **المتحابون فى جلالى** ﴾ قال صاحب التحفة(١) : أى لأجل إجلالى وتعظيمى أ هـ ليس حب لمنصب أو دنيا أو مصلحة إنما من أجل أن المحب يحب حبيبه لأنه يحب الله تعالى ويعظمه ويجله قوله: «لهم منابر من نور» أى كأصحاب الصفوف الأولى يوم المزيد يجلسون عليها» وقد قال النبى ﷺ : «المرء مع من أحب»(٢) وفى رواية لأحمد من حديث معاذ «المتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله» أيضاً قدسى قوله: «يغبطهم النبيون والشهداء» أى يستحسنون أحوالهم ويعجبهم ما هم فيه وإن كان ما عند الأنبياء أعلى بكثير من ذلك قال القارى: يغبطهم: بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر، وهو تمنى نعمة على ألا تتحول عن صاحبها، بخلاف الحسد فإنه تمنى زوالها =

---

(١) تحفة ٧ / ٦٥ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٦ / ٢٨٨ فى البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب ح ١٦٥ / ٢٦٣٩ عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

= عن صاحبها فالغبطة فى الحقيقة عبارة عن حسن حال أ هـ قال صاحب التحفة فمعنى الحديث يستحسن أحوالهم الأنبياء والشهداء قال: وبهذا يزول الإشكال الذى تحير فيه العلماء، وقال القاضى: كل ما يتحلى به الانسان أو يتعاطاه من علم وعمل فإن له عند الله منزله لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك وأنه كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدراً وأعز ذخراً فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك مضموماً إلى ما له من المراتب الرفيعة أو المنازل الشريفة، وذلك معنى قوله «يغبطهم النبيون والشهداء أ هـ والله أعلم.

المبحث الثالث والستون

الفردوس أعلى الجنة وأوسط الجنة

٧٤٦ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه قال: وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**».

---

٧٤٦ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ٢٧١ فى الجهاد، باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ح ٢٧٩٠ .

أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ١٩٤ فى التوحيد باب ﴿قل أى شئ أكبر شهادة﴾، ح ٧٤٢٣.

قوله «الفردوس» قال ابن الأثير وهو البستان الذى فيه الكرم والأشجار والجمع فراديس ومنه جنة الفردوس .أ هـ. نهاية ٣ / ٤٢٧ .

المعنى

يخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله قال الحافظ[١] : فليس فيه التصريح بأن العدد المذكور هو جميع درج الجنة من غير زيادة، إذ ليس فيه ما ينفيها ويؤيد ذلك أن فى حديث أبى سعيد المرفوع الذى أخرجه أبو داود وصححه الترمذى[٢] : «ويقال ـ يعنى ـ لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها» وعدد أى القرآن أكثر من ستة آلاف ومائتين والخلف فيما زاد على ذلك من الكسور أ هـ قلت واللفظ المذكور هو لفظ الترمذى عن عبد الله بن عمر مرفوعاً قوله =

---

(١) فتح البارى ٢٨ / ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٨ / ٢٣٢ فى فضائل القرآن، ح ٣٠٨١ وقال حسن صحيح.

«ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» وعند الترمذي[1] «ما بين كل درجتين مائة عام». وعند الترمذي: «لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم»[2] قال الحافظ[3] : فإن كانتا - محفوظتين - أي ثابتتين كان اختلاف العدد بالنسبة إلى اختلاف السير أ هـ وقد ثبت عند أحمد مرفوعاً[4] «من كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكيف كل سماء خمسمائة سنة» وعند أبي داود[5] من حديث العباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك» قال الحافظ: والجمع بين اختلاف هذا العدد في هاتين الروايتين أن تحمل الخمسمائة على السير البطئ كسير الماشي على هينته وتحمل السبعين على السير السريع كسير السعاة. أ هـ قوله: «فإذا سألتم الله فأسألوه الفردوس» اللهم إنا نسألك الفردوس يا رب العالمين يا رب العرش العظيم أي جنة الفردوس التي هي أعلى الجنان قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[6] قوله: «فإنه أوسط الجنة» قال الحافظ المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾[7] فعلى هذا فعطف الأعلى عليه للتأكيد، وقال =

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٧ / ٢٣٤ في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة ح ٢٦٤٩ وقال حسن غريب.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٧/ ٢٣٨ في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة ح ٢٦٥٣ وقال غريب.

(٣) فتح الباري ١١ / ٢٧١، ٢٧٢ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٠٦، ٢٠٧ عن العباس مرفوعاً.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ١٣ / ٧ : ٩ في السنة باب في الجهميه ح ٤٦٩٥ .

(٦) سورة الكهف آية (١٠٧)، (١٠٨).

(٧) سورة البقرة آية (١٤٣).

= الطيبى: المراد بأحدهما العلو الحسى وبالآخر العلو المعنوى وقال ابن حبان المراد بالأوسط السعة وبالأعلى الفوقية أ هـ قوله: «أراه قال: وفوقه عرش الرحمن» أى فوق جنة الفردوس قال الحافظ والضمير فى قوله «فوقه» للفردوس .أ هـ. قوله: «ومنه تفجر أنهار الجنة» أى الفردوس أيضاً قال الحافظ: إن الضمير للفردوس جزماً ولا يستقيم أن يكون للجنات كلها رداً على من روى «منها» وقال إنه خطأ إنما الرواية بلفظ «منه بالضمير المذكر .أ هـ. بتصرف يسير قال: والفردوس هو البستان الذى يجمع كل شئ وقيل هو الذى فيه العنب، قال وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة، لأنه ﷺ أمر بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعدها للمجاهدين .أ هـ. والله أعلم.

المبحث الرابع والستون
الوسيلة أعلى الجنة وأرقها وهى لنبينا محمد ﷺ

٧٤٧ ـ عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ: "ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةَ**».

---

٧٤٧ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ٤ / ٨٥ فى الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه.

وأخرجه أحمد فى المسند بلفظه ٢ / ١٦٨ .

قوله «والوسيلة» فى حديث الترمذى «أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد أرجو أن اكون انا هو[1]»

المعنى

قول نبينا ﷺ «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول» أى رددوا وراءه تفسرها رواية مسلم التى بعدها يقول رسول الله ﷺ «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر ثم قال: أشهد أن لا إله الله، قال أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله قال: أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال: حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حى على الفلاح: قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر، قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة» قوله «ثم صلوا عليّ» أى قولوا كما فى الحديث اللهم صلى على محمد وعلى =

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ١٠ / ٨٠ فى المناقب ح ٣٦٩١ وضعفه.

آل محمد كما صليت على آل أبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت علي آل ابراهيم إنك حميد مجيد»[1] قوله «فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً» وفي رواية للترمذي : «قالوا: يا رسول الله: وما الوسيلة؟ قال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد أرجو أن أكون أنا هو» وهنا في مسلم قال ﷺ «فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله» أي لا تكون إلا لنبي واحد فتمناها ﷺ لنفسه فمن أحبه داوم على الدعاء له بها قوله «وأرجو أن أكون أنا هو» أي فهو هو ﷺ فالله عز وجل أكرم من أن يرد رجاء أحب خلقه إليه محمد ﷺ قال صاحب التحفة[2] : «لا ينالها» أي لا يدرك تلك الدرجة العالية» إلا رجل واحد» أبهمه تواضعاً «أرجو» أي أؤمل «أن أكون أنا هو» وضع الضمير المرفوع أعني هو موضع النصب أعني إياه أ هـ قوله: «فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» قال النووي[3] : الوسيلة قد فسرها النبي ﷺ بأنها منزلة في الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك وقوله ﷺ: «حلت له الشفاعة» أي وجبت وقيل: نالته .أ هـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٨ / ١٥٠، ١٥١ في تفسير سورة الأحزاب باب قوله تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ...﴾ ح ٤٧٩٧ .

(٢) تحفة الأحوذي ١٠ / ٨١ .

(٣) شرح مسلم ٤ / ٨٦ .

المبحث الخامس والستون
يوم المزيد في يوم الجمعة

٧٤٨ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أَتَانِي جِبْرِيلُ، وَفِي يده كَهَيْئَةِ المِرْآة البَيْضَاء، فيها نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَقُلْتُ: مَا هَذه يَا جبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذه الجُمُعَةُ، بعث بِهَا رَبُّكَ إِلَيْكَ تَكُونُ عيداً لَكَ ولأُمَّتك بعْدَكَ، فقلت مالنا فيها؟ فقال: لكم خير كثير، أنتم والآخرون السابقون يوم القيامة وفيها سَاعَةٌ لا يُوَافقُهَا عَبْدٌ مُسْلمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللّهَ فيهَا شيئاً إلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فقلتُ ما هذه النكتةُ السوداءُ؟ قال: هَذه السَّاعَةُ، تقوم يَوْمَ الجُمُعَة، وهُو سَيِّدُ الأَيَّام، ونَحنُ نُسَمِّيه يَوْمَ المَزِيد، قُلْتُ يا جبْرِيلُ: ما الْمَزِيدُ؟ قَالَ: ذَلكَ أَنَّ رَبَّكَ أتَّخذَ في الجَنَّة وَادياً أَفْيَحَ منْ مسْك أَبْيَضٍ، فإذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَة من أَيَّام الآخرة يَهْبطُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وتَعَالَى عَنْ عَرْشه إلى كُرْسيِّه، وَحُفَّ الكرسيُّ بمَنَابر منْ نُورٍ فَجَلَس عَلَيْهَا النَّبيُّونَ، وحُفَّت المَنَابرُ بكَرَاسيَّ منْ ذَهَب فَجَلَس عليها الشهداءُ، ويَهْبطُ أهلُ الغُرَف من غُرَفهمْ، فَيَجلسونَ على كُثْبَان المسك، لا يَرَوْنَ لأَهْل الكَرَاسيَّ والمَنَابر عَلَيْهمْ فَضْلاً في المَجْلس، ويَبْدُو لَهُمْ ذُو الجَلَال والإكْرام، فيقول: سَلُوني، فيقولون: نَسْأَلُكَ الرِّضَا يا رَب، فيقول: رضَائي أَحَلَّكُمْ دَارِي، وأَنَالَكُمْ كَرَامَتي، ثم يقول سَلُوني فيقولن بأجمعهم: نسألكَ الرضا، فَيُشْهدُهُم عَلَى الرِّضَا، ثم يقول: سَلُوني، فَيسأَلُونَه حتَّى يَنْتَهي كُلُّ عَبْد منهُمْ ثُمَّ يسبغها عَلَيْهِمْ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَرٍ».

---

٧٤٨ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٧ / ١٥ من طريق سالم بن عبد الله عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ بطوله واللفظ له.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٤٢١: رواه البزار والطبراني في الأوسط =

بنحوه وأبو يعلى باختصار ورجال أبى يعلى رجال الصحيح وأحد اسنادى الطبرانى رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم وإسناد البزار فيه خلاف أ هـ قوله: «وادياً أفيح» كل موضع واسع يقال له أفيح وروضة فيحاء .أ هـ. نهاية ٣ / ٤٨٤ .

المعنى

يروى لنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتانى جبريل وفى يده كهيئة المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء» أى جاءنى جبريل عليه السلام وفى يده الجمعة على هيئة مرآة صافية بيضاء فيها علامة صغيرة سوداء قوله: «فقلت» ما هذا يا جبريل أى سألته عما فى يده: المرآة والنكتة التى فيها، قوله «قال: هذه الجمعة» أى يوم الجمعة بما فيه من خير من الرب عز وجل ومما شرع من تعظيم له على العبد قوله: «بعث بها ربك إليك تكون عيداً لك ولأمتك بعدك» أى أعطاها لك ربك وفضلك بها لتكون عيداً أسبوعياً لك وكذلك لكل من على طريقتك من أمتك بعدك كما قال نبينا ﷺ «هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد»[1] قوله: ﷺ : «فقلت: ما لنا فيها؟» أى فى الجمعة قوله: «فقال: لكم خير كثير» فى الدنيا منه ساعة الإجابة وثواب الجمعة والتبكير والإستعداء وغيرهم وفى الآخرة هو يوم الجائزة الكبرى العظيمة ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾[2] يوم ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[3] يوم المزيد والزيادة فاللهم من فضلك أكرمنا ولاتحرمنا يا رب العالمين قوله: ﴿أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة﴾ كما قال نبينا ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» أى الآخرون وجوداً السابقون للجنة إن شاء الله تعالى كما فى الحديث: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى =

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥ / ٥، ٦، ٧ فى الجمعة، باب فرض الجمعة، ح ٨٧٦ .
(٢) سورة ق آية (٣٥).
(٣) سورة يونس آية (٢٦).

= لهم قبل الخلائق»[1] قوله: «وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه» وهى ساعة الإجابة والراجح أنها بعد العصر قوله ﷺ: «فقلت ما هذه النكتة السوداء» أى التى فى المرآة الصافية البيضاء التى أخبره أنها الجمعة وفيها نكتة سوداء قوله: «قال : هذه الساعة تقوم يوم الجمعة» أى ساعة الإجابة، قوله: «وهو سيد الأيام» أى فى الدنيا والآخرة لذلك قال: «ونحن نسميه يوم المزيد» أى يوم رؤية ملك الملك وملك الملوك ربنا عز وجل الذى قال ﴿ **لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** ﴾ قوله: «قلت يا جبريل : ما المزيد » أى تفصيله قوله: «قال : ذلك أن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض» أى أن الله عز وجل اتخذ فى الجنة وخلق وادياً واسعاً خلقه من مسك لونه البياض ليوم المزيد، قال ابن الأثير: ومنه الحديث «أتخذ ربك في الجنة وادياً أفيح من مسك» كل موضع واسع يقال له: أفيح، وروضة فيحاء[2] أ هـ قوله: «فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة يهبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه» أى إذا كان يوم الجمعة فى الآخرة ينزل ربنا تبارك وتعالى من العرش إلى الكرسى نزولاً يليق بجلاله عز وجل بلا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل للنص ولا تفويض إلا فى كيفية النزول قوله: «وحف الكرسى بمنابر من نور فجلس عليها النبيون» منابر من نور حول كرسى الله عز وجل أعلى درجة وهى للنبيين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام كما قال القائل:

جيران رب العالمين وحزبه   أكرم بهم فى صفوة الجيران

هم يسمعون كلامه ويرونه   والمقلتان إليه ناظرتان

قوله «وحفت المنابر بكراسى من ذهب فجلس عليها الشهداء» يعنى من دون الأول كراسى دون الكراسي وناس دون الناس فالثانية ذهب والجالسون الشهداء وهكذا كل حسب درجته وكل درجة حسب عمل صاحبها قوله: «ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان المسك» قال تعالى ﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** ﴾[3] فمجالس أهل الغرف دون مجالس الشهداء أصحاب كراسى الذهب =

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٦ / ٢٠٦ فى الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ح ٢٢ / ٨٥٦ .

(٢) نهاية ٣ / ٤٨٤ .

(٣) سورة الزمر آية (٢٠).

ومجالس الشهداء دون منازل الأنبياء أصحاب منابر اللؤلؤ قوله: «لا يرون لأهل الكراسي والمنابر عليهم فضلاً في المجلس» أي بالرغم من لهم عليهم فضلاً واضح لا يشعرون بذلك شعوراً يضايق صدورهم بنزول المرتبة عن مراتب الأنبياء والشهداء قوله: «ويبدو لهم ذو الجلال والإكرام» الله أكبر إنه النعيم الأكبر الذى يزول أمامه كل النعيم ويتلاشى فالحور والقصور والحبور والذهب واللؤلؤ والفضة والولدان والشراب والطعام وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب البشر هو دون الدون بمراتب عند رؤية وجه الله الكريم ذو الجلال والاكرام قال الله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[1] قال تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ قوله: «فيقول: سلوني» أي اسألوا ما تشتهون قوله: «فيقولون: نسألك الرضا يا رب» أي دوام الرضا لدوام النعيم قوله: «رضائي» أحلكم داري وأنالكم كرامتي» أي أسكنكم وأمنحكم جنتي وأزيدكم كرامتي في جنتي قوله: ثم يقول: سلوني «أي زيادة على ما عندكم من النعيم قوله» فيقولون بأجمعهم: نسألك الرضا» أي الدائم الذى لا سخط بعده قوله فيشهدهم على الرضا« أي أن قد رضى عنهم كما في الصحيح أنهم قال لهم سبحانه» أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[2] وقد تقدم قوله: «ثم يقول سلوني» زيادة على ما مضى قوله: «فيسألونه حتى ينتهي كل عبد منهم» أي حتى تنتهي أمنية كل عبد منهم من كثرة السؤال، قوله «ثم يسبغها عليهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» كما قال تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[3] فيسبغ عليهم نعماً ما رأتها من قبل عين ولا سمعت بها أذن ولا حتى وردت على قلب متمن فاللهم نسألك من فضلك وكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين والحمد لله رب العالمين والله أعلم.

---

(١) سورة القيامة آية (٢٢)، (٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ / ٢٣٢ في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٤٩.

(٣) سورة السجدة آية (١٧)

المبحث السادس والستون
أعظم نعيم الجنة رؤية ملك الملوك عز وجل

٧٤٩ ـ وعن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «**جَنَّتَان مِنْ فِضَّةٍ آنيتُهُمَا ومَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَان مِنْ ذَهَبٍ آنيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَينَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

---

٧٤٩ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨ / ٢٥٩ فى التفسير، تفسير سورة الجن، ح ٤٨٧٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ١٦ فى الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم سبحانه وتعالى.

وأخرجه أحمد فى مسنده ٤ / ٤١٦ بمعناه عن عبد الله بن قيس مرفوعاً.

المعنى

يبين نبينا ﷺ أنه هناك جنتان من فضة كل شئ فيهما فضة وجنتان من ذهب كل شئ فيهما من الذهب الذى أهلك الكثير فى الدنيا يوطء فى الجنة بالأقدام وفيهما أنعم النعيم وهو ما بعد رداء الكبرياء يروا وجه الملك العلام ذى الجلال والإكرام فى جنات عدن.قوله: «جنتان من فضة آنتيهما وما فيهما» إذا هم أربع جنان فاللهم ارزقنا السكنى فى إحداهن واجعلنا أهلاً لذلك بفضلك وعفوك يا رب العالمين وتفسر ذلك رواية أحمد تفسيراً تاماً ففيها قال النبى ﷺ :«جنان الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنات عدن وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهاراً»(١) قوله: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن» قال النووى(٢) قال =

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٤١٦ عن عبد الله بن قيس مرفوعاً.

(٢) شرح مسلم ٣ / ١٦ .

= العلماء كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه ويقرب الكلام إلى أفهامهم أ هـ ملخصاً. قال الحافظ ابن حجر[1] : وقوله: جنتان باشارة إلى قوله تعالى ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾[2] وتفسير له وهو خبر مبتدأ محذوف، أي هما جنتان وآنيتهما مبتدأ ومن فضة خبره قال قاله الكرماني أ هـ قال: وظاهر الأول : أن الجنتين من ذهب لا فضة فيهما وبالعكس أ هـ أما الحوائط فإنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة لكلتا الجنتين ويدل عليه ما رواه أحمد[3] في مسنده: عن أبي هريرة في جزء من حديث طويل: «قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة: ما بناؤها قال: «لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ... الحديث» قوله: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبر على وجهه عز وجل في جنة عدن» قال الحافظ : وحاصله أن رداء الكبرياء مانع عن الرؤية فكأن في الكلام حذف تقديره بعد قوله «إلا رداء الكبرياء» فإنه يمن عليهم برفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه، فكأن المراد أن المؤمنين إذا تبوءوا مقاعدهم من الجنة، لولا ما عندهم من هيبة الجلال، لما حال بينهم وبين الرؤيا حائل، فإذا أراد إكرامهم حفهم برأفته وتفضل عليهم بتقويتهم على النظر إليه سبحانه ثم قال والمراد به الحجاب المذكور في حديث صهيب عند مسلم[4] وأنه سبحانه يكشفه لأهل الجنة إكراماً لهم أ هـ ولفظه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى «**تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**» ثم تلا هذه الآية ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾[5] قوله: ﴿ **في جنة عدن** ﴾ قال الحافظ: متعلق بمحذوف وهو في موضع الحال من القوم فكأنه قال: كائنين في جنة عدن أ هـ نسأل الله من فضله والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ٢٨ / ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧.

(٢) سورة الرحمن آية (٦٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٠٤، ٣٠٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٣ / ١٦ ، ١٧ في الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين (في الآخره لربهم سبحانه وتعالى).

(٥) سورة يونس آية (٢٦).

(٦) فتح الباري ١٨ / ٢٥٩، ٢٦٠ .

المبحث السابع والستون

قوله تعالى ﴿عند سدرة المنتهى﴾

٧٥٠ ـ عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى قال: « ... **ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرٍ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ، قَالَ هَذِه سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فقلت: ما هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قال: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ والفُرَاتُ** .الحديث.

---

٧٥٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥ / ٥٠ : ٦٢، ٦٣ فى المبحث النبوى، باب المعراج، ح ٣٨٨٧ .

وأخرج مسلم فى صحيحه ٢ / ٢٠٩ : ٢١٤ له شاهداً عن أنس فى الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ.

وأخرجه البخارى فى صحيحه ١٣ / ٢٤، ٢٦ فى بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ح ٣٢٠٧.

قوله: «فإذا نبقها مثل قلال هجر» النبق: بفتح النون وكسر الباء وقد تسكن ثمر السِّدْر واحدته نَبِقَة ونبقة وأشبه شئ به العناب قبل أن تشتد حمرته. ا.هـ نهاية ٥/١٠ وهجر: قرية قريبة من المدينة وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحد منها مزادة من الماء سميت قلة لأنها تقل أى ترفع وتحمل أ هـ نهاية ٤ / ١٠٤ .

قوله: «وإذا ورقها مثل آذان الفيله.. بكسر الفاء وفتح التحتانيه بعدها لام جمع فيل أ هـ شرح مسلم ٢ / ٢١٤ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ فى قصة المعراج بعد صعوده ﷺ إلى السماء السابعه قال: «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى» التى قال الله عز وجل فيها ﴿**عند سدرة المنتهى. عندها جنة** =

= المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾[1] فهذه السدرة من الجنة وقد بلغت من الحسن ما لم ولن يستطيع أحد من خلق الله تعالى أن يـ ـها من حسنها لذلك قال الله تعالى ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ فالمفعول به لبلوغه أعظم الحسن ما فصل إنما كرر الفعل لتعظيمه كما قال عمر لما أراد أن يكفر عما اعترض به يوم الحديبيه على المصطفى ﷺ قال: «فعملت لذلك أعملاً» فلم يذكرها لأنها كثيرة وعظيمه رجاء التوبه والمغفره، قال الحافظ[2] : «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى» بضم الراء وسكون العين وضم التاء من رفعت بضمير المتلكم وبعده حرف جر، وللكشميهنى «رفعت» بفتح العين وسكون التاء أى السدرة لى باللام أى من أجلى، ويجمع بين الروايتين بأن المراد أنه رفع إليها أى ارتقى وظهرت له ووقع فى بيان سبب تسميتها سدرة المنتهى فى حديث ابن مسعود عند مسلم[3] ، ولفظه «لما أسرى برسول الله ﷺ قال: انتهي بى إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط فيقبض منها » أهـ قال النووى[4] : قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ أ هـ قال الحافظ : وهذا لا يعارض حديث ابن مسعود المتقدم لكن حديث ابن مسعود ثابت فى الصحيح فهو أولى بالإعتماد أ هـ قوله «فإذا نبقها» قال الحافظ: بفتح النون وكسر الموحدة وسكونها أيضاً والنبق معروف وهو ثمر السدر أ.هـ قوله: «مثل قلال هجر» قال الخطابى» : القلال بالكسر جمع قله بالضم هى الجرار، يريد أن ثمرها فى الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين فلذلك وقع التمثيل بها، قال: وهى التى وقع تحديد الماء الكثير بها فى قوله: «إذا بلغ قلتين» وقوله هجر بفتح الهاء والجيم بلدة لا تنصرف للتأنيث والعلمية ويجوز الصرف أ هـ قال النووى: كالقلال: بكسر القاف جمع قله، والقلة: جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر أهـ قوله: «وإذا ورقها مثل آذان الفيلة» بكسر الفاء وفتح التحتانية بعدها لام جمع فيل، قال ابن دحية: اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل ممدود وطعام =

(١) سورة النجم آية (١٤)، (١٥)، (١٦)

(٢) فتح البارى ١٥ / ٦٢، ٦٣ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٢ فى الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى

(٤) شرح مسلم ٢ / ٢١٤ .

= لذيذ، ورائحة ذكية، فكانت بمنزلة الإيمان الذى يجمع القول والعمل والنية، والظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول أ هـ قوله: «قال: هذه سدرة المنتهى» أى التى تقدم صفتها أو بعضها وعند مسلم : «قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها» كما قال تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾[١] وكما قال النبى ﷺ : عن رب العزة عز وجل أنه قال: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٢] : قوله: «وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة» وفى بدء الخلق: ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول فى أصلها أربعة أنهار ... الحديث قال الحافظ: أى فى أصل سدرة المنتهى فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والأنهار تخرج من تحتها فيصح أنها من الجنة أ هـ قوله «أما الباطنان فنهران فى الجنة» قال الحافظ: قال ابن ابي جمرة فيه أن الباطن أجل من الظاهر لأن الباطن جعل فى دار البقاء والظاهر جعل فى دار الفناء ومن ثم كان الاعتماد على ما فى الباطن كما قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[٣] أ هـ قوله: فأما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات «قال الحافظ وأما الحديث الذى أخرجه مسلم [٤] بلفظ «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» فلا يغاير هذا لأن المراد به أن فى الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحون وجيحون أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك قال النووى: فى هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد أ هـ والله أعلم.

---

(١) سورة السجدة آية (١٧).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ٢٥٨ فى التوحيد ح ٧٤٩٨ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٨٥ بلفظ... إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ٢٥٧ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح ٢٦ / ٢٨٣٩ .

المبحث الثامن والستون

رؤية ملك الملوك عز وجل هى منتهى وأعلى النعيم

٧٥١ - عن صهيب عن النبى ﷺ قال: «**إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّةَ: قال «يقول الله تبارك وتعالى ﴿ تريدون شيئا أزيدكم ﴾ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا» ألم تدخلنا الجنة: وتنجنا من النار؟ قال: «فيكشف الحِجَابُ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّ وَجَلَّ**».

---

٧٥١ - أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ١٦، ١٧ فى الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم سبحانه وتعالى.

وأخرجه الترمذى فى سننه ٧ / ٢٦٧ فى الجنة، باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى، ح ٢٦٧٦ .

المعنى

يقول نبينا ﷺ : «إذا دخل أهل الجنة الجنة» أى أخذوا منازلهم فيها وأخذوا أخذاتهم قوله «يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **تريدون شيئا أزيدكم** ﴾ هذا من تمام النعيم وزيادته أن يكونوا فى نعيم ما خطر على قلوبهم وما رأت مثله أعينهم وما سمعته أذنهم ثم تعرض عليهم الزيادة وعند الترمذى: إن لكم عند الله موعداً» لذلك قال: «فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار» أى ألم تجعل وجوهنا بيضاء ناصع لونها لا شية فيها وألم تدخلنا الجنة خالدين آمنين منعمين ونجيتنا من النار من الدخول والخلود والقرب بلا فضل منا إنما بفضل منك علينا فما عملنا ما نستحق به ذلك الذى لم نتخيله حتى خيالاً ولا مناماً ولم يعلموا أن هناك نعيماً يتلاشى أمامه هذا كله ولا يقارن به ولا بنسبه قال الطيبى[1] : تقرير وتعجيب من أنه كيف يمكن الزيادة على ما أعطاهم الله تعالى من سعة فضله وكرمه .أ هـ. ثم جاءت الزيادة التى =

---

(١) تحفة الأحوذى ٧ / ٢٦٧ .

= غطت ومحت كل زيادة قوله: «قال: فيكشف الحجاب» قال صاحب التحفة والظاهر أن المراد بالحجاب حجاب النور الذى وقع فى حديث أبى موسى[1] عند مسلم ولفظه «حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» قال الطيبى: إن فيه إشارة إلى أن حجابه خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب عن الخلق بأنوار عزه وجلاله وأشعة عظمته وكبريائه وذلك هو الحجاب الذى تدهش دونه العقول، وتبهت الأبصار وتتحير البصائر فلو كشفه فتجلى لما ورائه بحقائق الصفات وعظمة الذات لم يبق مخلوق إلا احترق ولا منظور إلا اضمحل، وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائى والمرئى والمراد به هنا منع الأبصار من الرؤية له بما ذكر فقام ذلك المنع مقام الستر الحائل فعبر به عنه أ هـ فهذا كلام طيب والحقيقة أكثر من ذلك فإذا كان ربك عز وجل أعد لأهل الجنة مالو أنهم عندهم موت لماتوا دهشة فكيف برؤية ملك الملوك قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[2] فاللهم أعطنا ولا تحرمنا رؤياك بمنك وفضلك وعفوك يا رب البريات يا رب العرش العظيم قوله: «فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» نعم كل هذا يظهر بعد الرؤية لا قبلها فقبلها نعيم الجنة لا شئ فوقه وبعدها لا شئ يعدل ذكرها والله أعلى وأكرم وأعظم.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ١٢، ١٣ فى الإيمان، باب ما جاء فى رؤية الله عز وجل.
(٢) سورة القيامة آية (٢٢)، (٢٣).

المبحث التاسع والستون
رضوان الله تعالى على أهل الجنة بلا سخط أبداً.

٧٥٢ ـ عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «**إن اللهَ يَقُولُ لأهلِ الجَنَّة (يَا أَهْلَ الجَنَّة) فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا، وَسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ فى يدَيْكَ. فيقول: (هَلْ رَضِيتُمْ) فيقولون: وَمَا لَنا لاَ نَرْضَى يَا رَبّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحداً من خَلْقكَ فيقول: (أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ منْ ذَلكَ) فيقولون يا رب وأىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ منْ ذلكَ؟ فيقول أُحِلُّ عَلَيْكُم رِضْوَانِى فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً**».

---

٧٥٢ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٣١ فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح ٦٥٤٩ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٦٨ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها واللفظ له.

المعنى

قول نبينا رسول الله ﷺ : «إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة» حديث قدسى فيه أيضاً نعيم عظيم بل أعظم النعيم رضوان لا سخط بعده بدايته تلطف من الملك عز وجل لأهل الجنة حيث يناديهم ويسمعهم صوته» يا أهل الجنة «قوله «فيقولون لبيك وسعديك والخير فى يديك «أجابوا مسرعين فرحين معظمين لربهم عز وجل: قال ابن الأثير[1] : لبيك هو من التلبية وهى إجابة المنادى: أى إجابتى لك يا رب، ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية: فى معنى التكرير أى إجابة بعد إجابة أ هـ وقوله «سعديك» قال ابن الأثير[2] : أى ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة: وإسعاداً بعد إسعاد، ولهذا ثنى .أ هـ. قوله: «فيقول: هل رضيتم» أى بما أنتم فيه من النعيم وهو يعلم سبحانه أنهم =

---

(١) نهاية ٤ / ٢٢٢ .

(٢) نهاية ٢ / ٣٦٦ .

قد رضوا وسعدوا لكن زيادة لهم فى الإسعاد وليزيدهم بما هو أعظم وارفع مما رضوا به لذلك قالوا» وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك» أى كيف لا نرضى وقد أصبحنا فى نعيم ما نظن أن أحداً من خلقك له مثل ما لنا؟!! نعم قد رضينا رضينا فتفضل سبحانه عليهم بالمزيد الذى تعودناه منه بقوله «ألا أعطيكم أفضل من ذلك» يعرض عليهم الزيادة التى ما تخيلوا أنه هناك زيادة على ما أصبحوا فيه لذلك يقال: فيقولون: يا رب وأى شئ أفضل من ذلك» أى أى شئ أفضل من الحور والقصور وبياض الوجوه وسرور الصدور والنعيم المقيم وما اشتهت الأنفس ولذت الأعين وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأخبرهم بالفضل الذى حقاً ما كانوا يظنونه فقال أكرم الأكرمين».

أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً» قال الحافظ[1] : فيه تلميح بقوله تعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾[2] لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما فى ذلك من التعظيم والتكريم، وفى هذا الحديث أن النعيم الذى حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه أ.هـ وقال النووى[3] : قوله تعالى ﴿ أحل عليكم رضوانى ﴾ قال القاضى فى المشارق - أى - أنزله بكم والرضوان بكسر الراء وضمها أ هـ والله أعلم فهنيئاً لمن رضى الله عنه رضى لا سخط بعده فنسأل الله الكريم من فضله العظيم والله المستعان.

(١) فتح البارى ٢٤ / ٢٣٢ .

(٢) سورة التوبة آية (٧٢).

(٣) شرح مسلم ١٧ / ١٦٨ .

المبحث السبعون

الخلود فى الجنة لأهلها إن شاء الله تعالى ونسأله من فضله

٧٥٣ ـ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِئَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِى مُنَادٍ «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ**».

---

٧٥٣ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٢٩، فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦٥٤٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٧ / ١٨٥ فى كتاب الجنة وصفة نعيمها.

وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢ / ١١٨، ١٢١، ١٣٠ .

المعنى

يخبرنا ابن عمر عن بنينا ﷺ أنه قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح» وعند مسلم: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار» الموت الذى كان من مخاوف الدنيا ورعبها أراد الله تعالى أن يتم النعيم على أهل الجنة بالراحة التامة منه فيريهم سبحانه نهايته وفناءه بأعينهم حتى يتم عليهم السعادة والإطمئنان للخلود فى النعيم المقيم ﴿**فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾[1] وقال تعالى ﴿**لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين**﴾[2] وفى رواية مسلم: «فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: ويقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح» وفى هذه الرواية: ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت» وفى رواية =

(١) آخر سورة القمر

(٢) سورة الحجر آية (٤٨).

....

للبخارى[1] : «ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت، ويا أهل الجنة لا موت خلود» قال القرطبى[2] : الحكمة فى الإتيان بالموت هكذا الإشارة إلى أنهم حصل لهم فداء به كما فدى ولد ابراهيم بالكبش وفى الأملح إشارة إلى صفتى أهل الجنة والنار لأن الأملح ما فيه بياض وسواد أ هـ وقال المارزى[3] : الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة أ هـ والذبح يكون أمامهم لتقر أعين أهل الجنة وتزداد حسرة أهل النار على سور بين الجنة والنار فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار« قوله» فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» زاد مسلم «ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾[4] وأشار بيده إلى الدنيا» وعند الترمذى[5] : «فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار» وذكر الحافظ ابن حجر: أراء لتأويل ذبح الموت فبعضهم أنكر وبعضهم أوّل وبعضهم قال: بل الذبح على الحقيقة قال الحافظ وقد يخلق الله تعالى هذا الجسم ثم يذبح ثم يجعل مثالاً للموت لا يطرأ إلى أهل الجنة .أ هـ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٢٦ فى الرقاق ح ٦٥٤٤ .
(٢) فتح البارى ٢٤ / ٢٢٩ .
(٣) شرح مسلم ١٧ / ١٨٥ .
(٤) سورة مريم آية (٣٩).
(٥) أخرجه الترمذى ٧ / ٢٧٤، ٢٧٨ فى صفة أهل الجنة، باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار وقال حسن صحيح.

المبحث الحادى والسبعون
شكر أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى أن هداهم

٧٥٤ - عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مقعده من الجنة فيقول: «لو أن الله هدانى فيكون عليهم حسرة، قال: «وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هدانى قال: فيكون له شُكْراً»**.

---

٧٥٤ - أخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٥١٢ عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعاً قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٣٩٩ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح أ.هـ.

وأخرجه الطبرى فى تفسيره لسورة الأعراف ٥ / ٤٩٣ ح ١٤٦٧١ بسنده إلى أبى سعيد مرفوعاً بلفظه فهو شاهد لهذا

المعنى

يخبرنا أبو هريرة عن نبينا ﷺ أنه قال: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة» أى لو أحسن لدخله وكان من سكانه قوله: فيقول: لو أن الله هدانى فيكون عليه حسرة» أى لما علم من النعيم العظيم الذى كان سيناله لو أحسن كما قال تعالى ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴿٥٦﴾ **أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴿٥٧﴾ **أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴿٥٨﴾ **بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴿٥٩﴾ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴿٦٠﴾ **وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[1] قوله: «فيقول: لو أن الله هدانى فتكون عليه حسرة» يعنى ينصب

---

(١) سورة الزمر (٥٦): (٦١)

= عليه الندم فيقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين الناجين فيكون ذلك الحال عليه حسرة وندامة ويدعو على نفسه بالثبور والعياذ بالله تعالى قال ابن جرير الطبرى[1] فى قوله تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله﴾ بمعنى لئلا تقول نفس ﴿يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله﴾ وقوله ﴿يا حسرتى﴾ يعنى أن تقول: يا ندما وقوله: ﴿على ما فرطت فى جنب الله﴾ يقول: على ما ضيعت من العمل بما أمرنى الله به وقصرت فى الدنيا فى طاعة الله وقوله: ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ يقول: : وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به أ هـ قوله: «وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هدانى فيكون له شكراً» أى يرى مقعده من النار الذى أعد له لو عصى فيتذكر حينئذ فضل الله ومنته ونعمه أن هداه ونجاه وثبته فلم يتغير ويبدل كالذين تغيروا وبدلوا الذين ينادى عليهم النبى ﷺ وهم يزادون عن الحوض فيقول: «إنهم منى» فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدى»[2] فيحمد الله على تلك النعمة العظيمة ويقول لولا أن الله هدانى أى لكنت من الخاسرين الهالكين فيكون ذلك الحال مسبباً له شكراً كما قال تعالى عنهم ﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[3] والله أعلم قال الطبرى: فى قوله ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ يقول الحمد لله الذى وفقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا ﴿وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾[4] يقول: وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه وطوله ثم أخرج بسنده هذا الحديث الذى قمت بشرحه بحمد الله تعالى ح ١٤٦٧١ والله أعلم.

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١١ / ١٨ سورة الزمر آية (٥٦).
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤ / ٢٥٧ فى الرقاق، باب فى الحوض، ح ٦٥٨٤ .
(٣) سورة الأعراف آية (٤٣).
(٤) تفسير الطبرى ٥ / ٤٩٣ لسورة الأعراف آية (٤٣).

المبحث الثانى والسبعون

أدنى أهل الجنة وأعلاهم منزلة

٧٥٥ ـ عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ـ مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً؟ قَالَ: ﴿هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُم وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ "رَضِيتُ رَبِّ؛ فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ فقال في الخامسة رَضِيتُ رَبِّ؛ فيقول: (هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ) فيقول: رَضِيتُ رَبِّ؛ قال رَبِّ فَأَعْلاَهُم مَنْزِلَةً؟ قَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ: غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِى، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾ قال: وَمِصْدَاقُهُ في كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ . . . الآية﴾.

---

٧٥٥ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٤٥، ٤٦ فى الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

وأخرج له شاهداً البخارى فى صحيحه ٤ / ٢١١ فى الصلاة صلاة الجماعة باب فضل السجود ح ٨٠٦ من حديث أبى هريرة فى أدنى أهل الجنة منزلة الذى هو آخر أهل النار خروجاً منها.

المعنى

يقول نبينا ﷺ سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة «قد شرحته بالتفصيل بحمد الله تعالى فى شرح حديث باب رؤية الله عز وجل يوم القيامة الذى أخرجه البخارى فى صحيحه فى الصلاة باب فضل السجود، ح ٨٠٦ فموسى عليه السلام =

يسأل عن أقل الناس مراتب في الجنة ثم سأل عن أعلاهم فقال: «رب فأعلاهم» أي أعلاهم درجات ومنازل في روضات الجنات وهي درجات الأنبياء على نبينا وعليهم أفضل السلام وأزكى الصلوات «قال» : أي قال الله عز وجل ﴿أولئك الذين أردت﴾ : الله أكبر إن رب العزة عز وجل يتكلم بتاء الفاعل لذاته فكيف بإرادة أكرم الأكرمين إكرام المحبوبين لديه لذلك قال بعدها «غرستُ كرامَتَهُم» فالغرس لم يظهره أنه للزرع أو النخل أو الحب إنما الكرامة كلها فالنبت يكون كله إكرام واعظام من الله ذي الجلال والإكرام فلم يسم زرعاً إنما سمى مجمل الاكرام الذى لا يعلم تفصيله إلا الذى خلقه فهي جنان لم يطلع الله تعالى عليها أحداً من خلقه ولا الملائكة المقربين لكن هناك جنان دونها أطلع الله تعالى عليها الملائكة فأنعم بتلك المنازل وأكرم بها قال النووي[1] : أما أردت فبضم التاء ومعناه اخترت واصطفيت وأما غرست كرامتهم بيدى إلى آخره فمعناه اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير أ هـ قوله: «وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» هذا هو مقتضى أردت وغرست أن تكون النتيجة ما لم تر عين من قبل حتى في الجنان التي دون هذه المرتبة ولم تسمع بذلك أذن ولا في الحكايات والتخيلات بل حتى المرور على القلوب والخواطر ما حدث الله أكبر أسلمنا لك يا رب إننا نحن العبيد الضعفاء الأذلاء الخاشعون لك المقهورون بعزتك وجلالك وأنت الرب الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق القدير مالك الملك ذو الجلال والاكرام ثم استدل بقوله تعالى ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] : قال النووي وفي آخر الكلام حذف اختصر للعلم به تقديره ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به وأعددته لهم ومِصْدَاقُه هو بكسر الميم ومعناه. دليله وما يصدقه والله أعلم.

---

(١) شرح مسلم ٣ / ٤٦ .

(٢) سورة السجدة آية (١٧).

قال عبد الله بن محمد المالكى فى قصيدته:

أكرم بجنات النعيم وأهلها	إخوان صدق أيما إخوان
جيران رب العالمين وحزبه	أكرم بهم في صفوة الجيران
هم يسمعون كلامه ويرونه	والمقلتان إليه ناظرتان

والله أعلم

الخــــاتمة

أَسأَلُ اللهَ تَعَالَى

تَمَامَ وَدَوَامَ حُسْنَهَا

فقد قال ﷺ :

«وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»

[البخاري ٢٤ / ٣٣١ في القدر باب العمل بالخواتيم ح٦٦٠٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

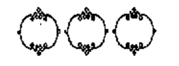
الخاتمة

قال ﷺ: «وإنما الأعمال بالخواتيم» أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/٣٣١ في القدر ح٦٦٠٧.

نتائج البحث وفوائده:

أولاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بتفضله تعالى على وفتحه باختيار هذا الموضوع الطيب المبارك وهو أحاديث الرقاق في ضوء السنة النبوية المطهرة، وجدت أن أحاديث الرقاق هي أصل من أصول ديننا الإسلامي الحنيف، وقد بَدأَتْ به رسالة نبيناﷺ المباركة مفتاحًا للقلوب لتستقبل نور الإسلام، حتى إذا امتلأت به نزل الحلال والحرام فوجد طاعة واستجابة وتلبيه للنداء الصادر من السماء بالطاعة أمرًا ونهيًا لله رب العالمين فقد أخرج البخاري في صحيحه ١٩/٤٧، ٤٨ ح(٤٩٩٣) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سور ة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء - لا تشربوا الخمر - لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل - لا تزنوا - لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده... الحديث»، فهذا بيان عظيم من أم المؤمنين رضي الله عنها لفجر الإسلام الحنيف ونزول القرآن الكريم على قلب النبي الأمين محمد عليه من الله عز وجل أفضل الصلاة وأزكى التسليم تفصح فيه رضي الله عنها عن قيمة الرقاق العظيمة وتاريخه العريق حيث بدأنا به ربنا تبارك وتعالى مع مهد الدعوة المباركة مصباحًا وسراجًا منيرًا مشي به نبيناﷺ في الناس فتح به قلوبهم فرقت لما فيه من التشويق للنعيم الأبدي المقيم في جنات النعيم تحت عرش الله العظيم ورقت أيضًا خوفا واشفاقًا من العذاب الأليم الذي أعده رب العالمين بنار تلظى ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ

الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٥ - ٢١]، لذلك كله استخرت الله تعالى في خوض بحر الرقاق العظيم مستعينًا بالله رب العالمين تاليًا قوله تعالى: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١]، فجرت ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ** ﴾ ومخرت طريقها فوجدتُ بحرَ الرقاق عميقًا وسفرهَ طويلاً وعقبته كؤدًا وناقده بصيراً فخفت الغرق فخففت من الحمل لكنه أبى إلا أن يكون ثقيلاً دون ثقيل فأعدت الاستعانة بربي فأعانني حتى رست واستوت على الجودي المناسب لها وأرجو من ربي عز وجل أن يشهد لي أني قد وصلت ورضى عن وصولي سبحانه ويقبله ويجعله بشرى عاجله للوصل الأكبر ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾.



أنت الذي صورتني وخلقتني | وهديتني لشرائع الإيمان
أنت الذي علمتني ورحمتني | وجعلت صدري واعي القرآن
أنت الذي أطعمتني وسقيتني | من غير كسب يد ولا دكان
وجبرتني وسترتني ونصرتني | وغمرتني بالفضل والإحسان
أنت الذي أكرمتني وحبوتني | وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودة | وعفوت منك برحمة وحنان
ونشرت لي في العالمين محاسنًا | وسترت عن أبصارهم عصياني
وجعلت ذكرى في البرية شائعًا | حتى جعلت جميعهم إخواني
والله لو علموا قبيح سريرتي | لأبي السلام على من يلقاني
ولأعرضوا عني وملو صحبتي | ولبؤت بعد كرامة بهوان
لكن سترت معايبي ومثالبي | وحلمت عن سقطي وعن طغياني
فلك المحامد والمدائح كلها | بخواطري وجوارحي ولساني
ولقد مننت على ربي بأنعم | مالي بشكر أقلهن يدان
فوحق حكمتك التي علمتني | حتى سددت بنورها برهاني
لئن انتبتني من رضاك معونة | حتى تقوى أي بها إيماني
لأسبحنك بكرة وعشية | ولتخدمنك في الدجى أركاني
ولأشكرنك قائمًا أو قاعدًا | ولأشكرنك سائر الأحيان

شكـــر

قـال الله تعـالى: ﴿فاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُون ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] فـوجب على أن أتوجـه بالشكر كله لصـاحب النعم كلهـا وخـالقهـا ومسديها الذي أعجز خلقه عن إحـصاء نعمه وشكرها قال تعالى: ﴿وإن تعدُّوا نعْمَةَ اللَّه لا تُحْصُوهَا إنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨] لكنه قال سبحانه: ﴿لئن شكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِن كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧] فالنعم من الملك الكريم ربنا تعالى كثيرة ولا أملك إلا أن أعترف بالعجز التام عن شكر ربنا عز وجل الرحمن وأقـول «يارب لك الحمد كـما ينبغي لجلال وجـهك وعظيم سلطانك عدد خلقك ورضـاء نفسك وزنة عـرشك ومداد كلماتك»، وأقـول كما قـال القائل يارب لك الحمد كثيراً كثيراً.

ثم عملاً بحديث الـنبيﷺ «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» [الترمذي ٨٧/٦] في البر وقال صحيح فبعد توجهي بالشكر العاجز إلى رب العالمين أتوجه بالشكر إلى كل من قدم ليَّ يد عون لله عزّ وجلّ والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الأحاديث النبوية

الشريفة مرتبة على الحروف الهجائية

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
	حرف الألف		
١	أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم	١٤٩٣	٦٤٠
٢	أبردوا بالظهر	٦٥٨	
٣	أبشر بخير يوم مر عليك...	٤١٧	١٣٧
٤	أبشروا هذا ربكم قد فتح باب...	٦٥٤	٢٤٨
٥	أبشري يا أم العلاء فإن مرض...	١٠٤٨	
٦	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم..	١٢٢٣	٥٣٢
٧	أبغض الناس إلى الله ثلاثة...	١٢٢٣	٥٣١
٨	أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم..	٢٩٩	٨٤
٩	إبني هذا سيد ولعل الله يصلح به...	٤٣٣	
١٠	أبو بكر في الجنة...	٨٢٦	
١١	أبوها...	٨١٨	
١٢	أتاكم أهل اليمن...	٥٣٤	١٩٤
١٣	أتاني آت من ربي فأخبرني...	٥١٠	١٨٣
١٤	أتاني جبريل وفي يده كهيئة المرآه	١٦٩٩	٧٤٨
١٥	أتاني جبريل..	١٦٢٤	٧٠٨
١٦	أتدرون ما أخبارها..	١٤٦٠	٦٢٧
١٧	أتدرون ما هذان الكتابان...	٤٩٥	١٧٦
١٨	أتدرون ما الكوثر..	١٥٩٣	٦٩١

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٩	أتدري أين تذهب...	١٦٢	٣١
٢٠	أترضون...	١٦٢٦	٧٠٩
٢١	إتق دعوة المظلوم فإنها ليس...	١١١٩	٤٧١
٢٢	أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا..	٧٨٧	
٢٣	أتى النبي ﷺ بأمامة ...	٤٨٢	
٢٤	أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفة...	٣٧٨	١٢٢
٢٥	أتى جبريل النبي ﷺ...	١٦٤٧	٧٢٢
٢٦	آتي باب الجنة يوم القيامة..	١٦٣١	٧١٣
٢٧	إتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات...	١١١٧	٤٧٠
٢٨	إتقي الله واصبري...	١٢٥١	٥٤٥
٢٩	أثبت أحد فإنما عليك نبي...	٣٦٣	١١٣
٣٠	أجل إني أوعك..	١٠٤٥	٤٣٠
٣١	أجل كما يوعك رجلان منكم	١٣٢٣	٥٧٨
٣٢	أجمعوا لي من كان ههنا من اليهود...	١٣٣٠	
٣٣	أحب الصلاة إلى الله..	٦٢٤	
٣٤	أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه...	٣٨٩	١٢٧
٣٥	أحد جبل يحبنا ونحبه..	٢٩٥	
٣٦	أخبرتني هذه في يد للذارع...	١٣٢٩	
٣٧	أخبرته أنه أقتسم المهاجرون..	٢٠٨	٥٠
٣٨	أخبروه أن الله يحبه...	١٢٥	
٣٩	أختار أن أغرسه في الجنة...	٣٦٢	
٤٠	أخذ الراية زيد فأصيب...	٨٥٥	٣٣٧
٤١	أخذ الراية زيد فأصيب..	١٢٥٦	٥٤٧

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٤٢	أخر من يدخل الجنة رجل...	١٢٠	
٤٣	أخنع اسم عند الله...	١٠٧٤	
٤٤	أخنى الأسماء يوم القيامة...	١٠٧٤	٤٤٦
٤٥	إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر...	١٠٤٥	٤٣٢
٤٦	إذا أحب الله عبداً عسله...	١٢٣٣	٥٣٥
٤٧	إذا أحب الله عبداً حماه...	٩٩٤	٤٠٦
٤٨	إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان...	٧١٤	
٤٩	إذا أراد الله أن يوحي بالأمر...	١٥٧	
٥٠	إذا أراد الله بعبده الخير...	١٢٣٨	٥٣٨
٥١	إذا أسلم العبد..	٥٤٧	٢٠٠
٥٢	إذا أشتد الحر فأبردوها بالماء..	١٥٠٠	٦٤٤
٥٣	إذا أقعد المؤمن في قبره...	١٢٧٩	٥٦١
٥٤	إذا التقى المسلمان بسيفيهما...	١١٣٧	٤٨٢
٥٥	إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب...	١٠٦٩	٤٤٤
٥٦	إذا حشر الناس قاموا أربعين عامًا...	١١٣	
٥٧	إذا خطب يقوم إلى جذع منها ...	٣٦١	١١٢
٥٨	إذا خلص المؤمنون..	١٦٤٢	٧١٩
٥٩	إذا دخل أهل الجنة الجنة...	١٧٠٨	٧٥١
٦٠	إذا دخل شهر رمضان فتحت...	٦٢٧	٢٣٤
٦١	إذا سمعت جيرانك..	١٥٨٣	
٦٢	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل...	٧١٠	٢٧٣
٦٣	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول..	١٦٩٧	٧٤٧
٦٤	إذا صار أهل الجنة..	١٧١٢	٧٥٣

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٦٥	إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر..	٧٠٧	٢٧٢
٦٦	إذا قضى الله الأمر في السماء..	١٥٥	٢٨
٦٧	إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت..	٦٢٨	
٦٨	إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل..	١٤٢٤	٦١٣
٦٩	إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت..	٥١٦	
٧٠	إذا كان يوم القيامة نودي أين أبناء الستين..	١٠٣٨	
٧١	إذا كان يوم جمعة..	٦٠٧	٢٢٥
٧٢	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله..	٩٢٣	
٧٣	إذا مات ولد العبد قال الله	١٢٧٥	٥٥٨
٧٤	إذا مشى الرجل إلى الرجل فقتله..	١١٣٨	٤٨٤
٧٥	إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال..	١٢٦٢	٥٥٠
٧٦	إذن لي أن أحدث عن ملك..	٩٧	٧
٧٧	أرأيت إذا صليت المكتوبة..	٦٢٥	٢٣٣
٧٨	أرأيتم إن حدثتكم أن العدو..	٣٥٦	١٠٩
٧٩	أرأيت إن قتلت فأين أنا..	٨٣٨	٣٣٠
٨٠	ارجع فاضحكهما كما أبكيتهما..	٤٩٠	١٧٤
٨١	ارجع فصل فإنك لم تصل..	٦٠١	
٨٢	أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء..	١١٨٧	٥١٥
٨٣	أسألك بكل اسم هو لك..	١٠٠	
٨٤	استأخرن..	١٤٠٨	
٨٥	استعيذوا بالله من عذاب القبر..	١٢٨٧	٥٦٣
٨٦	اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة..	٥٥١	
٨٧	اسلم..	٥٤١	١٩٧

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٨٨	اسلمت على ما سلف...	٥٤٢	١٩٨
٨٩	اسلم ثم قاتل...	٩٠٠	٣٥٧
٩٠	اشتد غضب الله على قوم...	٩٤٤	٣٨٠
٩١	أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...	٢٨١	٧٧
٩٢	أصغرهما مثل أحد...	٧٨١	
٩٣	أطلبني على الصراط	١٤٧٨	٦٣٥
٩٤	أعاذك الله من إمارة السفهاء...	١١٤٦	
٩٥	اعبدوا الرحمن واطعموا الطعام...	٥٦٩	٢٠٨
٩٦	اعددت لعبادي الصالحين...	١٧٠٧	
٩٧	اعذر الله إلى امرئ...	١٠٣٧	٤٢٧
٩٨	اعطوه سناً...	٣٧٧	
٩٩	أعلى درجة في الجنة...	١٦٩٨	
١٠٠	أعمار أمتي ما بين الستين إلى...	١٠٣٩	
١٠١	أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت...	١٣٠	١٥
١٠٢	أعوذ بوجهك...	١٩٠	٤٣
١٠٣	أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء...	١١٤٥	٤٩١
١٠٤	اغزوا باسم الله...	٨٢٣	٣٢٣
١٠٥	اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات...	١٢٥٥	
١٠٦	اغسلوه بماء وسدر...	١٢٥٣	٥٤٦
١٠٧	افتح وبشره بالجنة...	٢٤٨	٦٧
١٠٨	أفضل الصلاة...	٦١٨	
١٠٩	افعلوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله	٢٣٩	٦٣
١١٠	افقد جليبيبا فاطلبوه...	٩٣٢	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١١١	أفلا أكون عبداً شكوراً...	٥٧٧	٢١٢
١١٢	اقرؤا سورة البقرة في بيوتكم...	٦٨٤	
١١٣	أقرب ما يكون الرب من العبد...	٦٢١	٢٣١
١١٤	اقسموا واضربوا لي بسهم...	٦٨٢	
١١٥	اكتب فوالذي نفسي بيده...	٣٠٢	٨٦
١١٦	أكثروا ذكر هاذم اللذات...	١٢٤١	٥٤٠
١١٧	ألا أبشرك بما لقي الله به أباك...	١٥٢	٢٧
١١٨	الاحسان أن تعبد الله...	٩٣٧	
١١٩	ألا أخبركم بأهل الجنة...	١٥٢٣	٦٥٤
١٢٠	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة...	٥٧٠	٢٠٩
١٢١	ألا أخبركم عن ملوك الجنة...	٢٤٦	
١٢٢	ألا أدلكم على ما يمحوا الله به...	٦٥٦	
١٢٣	إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا...	٩٠٣	
١٢٤	ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء...	٣٠٠	٨٥
١٢٥	ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة...	٩٧٠	
١٢٦	ألا تسمعون...	٨٥٦	
١٢٧	ألا تصليان...	٦١٦	٢٢٩
١٢٨	ألا رجل يأيتني بخبر القوم...	٨٧٥	٣٤٨
١٢٩	ألا رجل يحملني إلى قومه...	٣٩١	١٢٨
١٣٠	ألا كلكلم راع وكلكم مسئول...	٢٠١	٤٧
١٣١	ألا لا يدخل الجنة إلا مؤمن...	٥٢٢	
١٣٢	ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة...	٥١٧	
١٣٣	الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الرجل على...	١٠٤٣	٤٢٩

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٣٤	الإيمان بضع وستون شعبة...	٥١٧	
١٣٥	الإيمان في أهل الحجاز..	٥٣٥	
١٣٦	البخيل الذي من ذكرت عنده...	١٢٠٢	٥٢١
١٣٧	البخيل من ذكرت عنده ثم لم...	١٢٠٣	
١٣٨	التمسوا الساعة التي ترجى...	٧٢٢	
١٣٩	الجنة أقرب إلى أحدكم...	١٥٨٢	٦٨٤
١٤٠	الجنة لبنة...	١٦٤٥	٧٢١
١٤١	الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء..	١٤٩٣	٦٤١
١٤٢	الحسن بن علي...	١١٦٩	
١٤٣	الحلال بين والحرام بين...	١٠٢٩	٤٢٤
١٤٤	الحياء خير كله...	٥٧٢	
١٤٥	الحياء من الإيمان...	٥١٧	١٨٦
١٤٦	الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه...	١٠٥٨	
١٤٧	الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر...	١٠٥٨	٤٣٩
١٤٨	الذي يخنق نفسه يخنقها في النار..	١٠٩١	٤٥٥
١٤٩	الذي يشرب في آنية الفضة إنما...	١١٠١	٤٥٩
١٥٠	الراحمون يرحمهم الرحمن...	٤٩٢	
١٥١	الرجل يقاتل للمغنم...	٧٨٩	٣٠٨
١٥٢	الرحم معلقة بالعرش...	١١٨٦	
١٥٣	الرحمن بني الجنة ودعا إليها عباده...	٣٢٤	
١٥٤	الزمان قد استدار..	٨٩٩	٣٤٩
١٥٥	الساعي على الأرملة والمسكين...	١٠١٩	٤١٩
١٥٦	الست فيما شئت...	١٦٦١	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٥٧	الشهداء خمسة...	٩١٧	٣٦٦
١٥٨	الشهداء على بارق...	١٦٣٩	٧١٧
١٥٩	الصبر عند الصدمة الأولى...	١٠٩٤	
١٦٠	الصلاة على مواقيتها...	٧٩٩	٣١٢
١٦١	الصلاة على وقتها..	٦٣٥	٢٣٨
١٦٢	الصيام جنة...	٦٢٩	٢٣٥
١٦٣	الطاعون شهادة لكل مسلم...	٩١١	٣٦٢
١٦٤	الظلم ظلمات يوم القيامة...	١١١٩	
١٦٥	العج والثج.. من حديث «أفضل الحج»	٢٦٨	
١٦٦	العزة إزاره والكبرياء رداؤه..	١٣٥	١٨
١٦٧	العمرة إلى العمرة...	٦٣٧	٢٣٩
١٦٨	الفم والفرج...	١٠٨٥	
١٦٩	القيراط أعظم من أحد هذا...	٧٨٢	
١٧٠	الماء...	١٠٨٨	
١٧١	الماهر بالقرآن مع السفره...	٤٠٩	
١٧٢	المؤذنون أطول الناس أعناقا...	٧١٣	
١٧٣	المؤمن يغار والله أشد غيره...	١٦٢	
١٧٤	المؤذن يغفر له بمد صوته...	٧١٤	
١٧٥	المجاهد من جاهد نفسه...	٩٢٤	
١٧٦	المرء مع من أحب...	٤٤١	
١٧٧	المرأه عورة...	١٥١٩	
١٧٨	اللحد لنا والشق لغيرنا...	٤٠٩	
١٧٩	الله أكبر خربت خيبر..	٨٤٩	٣٣٥

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٨٠	الله الله في أصحابي...	٤٢٠	١٣٩
١٨١	اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا..	٩٩٥	
١٨٢	اللهم اجعلني من التوابين..	٥٩٨	
١٨٣	اللهم أرزقني شهادة في سبيلك...	٤٥٦	١٥٧
١٨٤	اللهم أشهد اللهم أشهد...	٣١١	
١٨٥	اللهم أغثنا...	٧٢٣	٢٧٩
١٨٦	اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار...	٣٠٩	
١٨٧	اللهم اغفر له...	٦٠١	
١٨٨	اللهم أن العيش عيش الآخرة...	٨٥٩	٣٣٩
١٨٩	اللهم إني أبرء إليك...	٨٨٥	٣٥٢
١٩٠	اللهم إني أحبه فأحبه...	٤٣٢	١٤٥
١٩١	اللهم إني أسالك خيرها...	١٨١	
١٩٢	اللهم إني أعوذ بك أن أضل...		
١٩٣	اللهم إني أنشدك عهدك...	٧٩٢	٣٠٩
١٩٤	اللهم أهد دوسًا...	٨٢٢	٣٢٢
١٩٥	اللهم علمه الكتاب...	٦٧٧	٢٦١
١٩٦	اللهم عليك بقريش...	٣٩٣	١٢٩
١٩٧	اللهم صل على محمد...	٣٠٩	
١٩٨	اللهم فقهه في الدين...	٦٧٨	
١٩٩	اللهم من ولى من أمر أمتي...	١١٤٣	٤٨٨
٢٠٠	المسلم أخو المسلم...	٤٨٦	١٧٢
٢٠١	النائحة إذا لم تتب قبل موتها...	١١٠٤	٤٦٢
٢٠٢	النبي في الجنة والشهيد في الجنة...	٩٢٥	٣٧١

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٢٠٣	إلى من تتركنا قال إلى الله...	٢٨٦	
٢٠٤	أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا...	١٥٢٥	٦٥٥
٢٠٥	أليس ذاك فلان...	٨١٥	٣١٩
٢٠٦	اليوم أكملت لكم دينكم...	٤٤٧	١٥٢
٢٠٧	أما السيد فهو رب العالمين...	٣٢٤	
٢٠٨	أما إن كل بناء وبال على صاحبه...	٩٩٢	
٢٠٩	أما إنهم إخوانكم...	٧١٨	
٢١٠	أما أول اشراط الساعة...	١٣٨١	٥٩١
٢١١	أما بعد...	٥٠٤	١٧٩
٢١٢	أما ترضين أن تكوني سيدة نساء...	١٣٢١	٥٧٤
٢١٣	أما صاحبكم فقد غامر...	٤٤٢	١٥٠
٢١٤	أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان...	٥٤٨	
٢١٥	أملك عليك لسانك...	١٠٢٣	٤٢١
٢١٦	آمنت به أنا وأبو بكر وعمر...	٣٨٠	
٢١٧	آمنت بي إذ كفر بي الناس...	٣٣٩	
٢١٨	أنا النذير والموت المغير...	٣٥٣	
٢١٩	أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا...	٢٩٣	٨١
٢٢٠	أنا أكثر الأنبياء تعبًا يوم القيامة..	١٦٣١	٧١١
٢٢١	أنا أول من يشفع يوم القيامة	١٦٣١	٧١٢
٢٢٢	أنا بريئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين..	٤٧٠	
٢٢٣	أنا زعيم..	٨٠٣	٣١٤
٢٢٤	أنا سيد ولد آدم ولا فخر	١٤٧	
٢٢٥	أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة	٤٠٨	١٣٣

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٢٢٦	أنا عبد فقولوا عبدالله..	٣٢٦	
٢٢٧	إن أبر البر..	٨٠٠	
٢٢٨	إن إبراهيم حرم مكة...	٨٤٢	
٢٢٩	إن ابن آدم يضعف جسمه	١٢٣٧	
٢٣٠	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده	١٣٠٣	٥٦٦
٢٣١	إن أخاك رجل صالح...	٤٤٥	١٥١
٢٣٢	إن أدنى أهل الجنة منزلة...	١١٠	
٢٣٣	إن أزواج أهل الجنة...	١٦٧٣	٧٣٧
٢٣٤	إن أسفل أهل الجنة...	١٦٨٨	٧٤٣
٢٣٥	إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا...	١٢٠٧	٥٢٤
٢٣٦	إن الإيمان ليأرز إلى المدينة...	٤٥٤	١٥٥
٢٣٧	إن ابنة لرسول الله ﷺ...	٤٨٢	
٢٣٨	إن الجنة تشاق إلى ثلاثة...	١٥٨٧	٦٨٧
٢٣٩	إن الحمد لله نحمده ونستعينه..	١٧٠	٣٤
٢٤٠	إن الحميم ليصب على رؤوسهم...	١٥٤٨	٦٦٩
٢٤١	إن الدنيا ملعونه...		
٢٤٢	إن الذي يجر ثيابه...	١١٧٢	٥٠٨
٢٤٣	إن الرجل ليتكلم بالكلمة...	١٠٨٤	
٢٤٤	إن الشمس والقمر آيتان من آيات...	٢٠٤	٤٨
٢٤٥	إن الشيطان قعد لابن آدم...	٨١١	٣١٨
٢٤٦	إن الصدق يهدي إلى البر...	١٥٣٠	
٢٤٧	إن العبد إذا خطأ خطيئة نكتت في ...	٥٦٥	٢٠٧
٢٤٨	إن العبد إذا وضع في قبره...	١٢٧٩	٥٦٠

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٢٤٩	إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله...	١٠٦٤	٤٥٠
٢٥٠	إن العبد ليلتمس مرضاة الله...	٢٤٤	٦٥
٢٥١	إن العين تدمع والقلب يحزن...	١٢٤٦	٥٤٣
٢٥٢	إن الغادر يرفع له لواء...	٨٥٧	٣٣٨
٢٥٣	إن الفساق هم أهل النار..	١٥١٦	٦٥١
٢٥٤	إن القبر أول منزل من منازل الآخرة...	١٢٧٧	٥٥٩
٢٥٥	إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها...	٥٤٣	
٢٥٦	إن اللعانين لا يكونون شهداء..	١١٥٠	٤٩٤
٢٥٧	إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا...	٢٥٣	٦٩
٢٥٨	إن الله أمرني أن أقرأ عليك...	١٩٥	٤٥
٢٥٩	إن الله حيي كريم...	١٣٨	٢٠
٢٦٠	إن الله خلق الخلق...	١١٨٤	٥١٤
٢٦١	إن الله خلق الرحمة...	٢٢٥	٥٧
٢٦٢	إن الله خير عبدًا بين الدنيا...	١٣٢٢	٥٧٥
٢٦٣	إن الله عز وجل كتب الحسنات...	٧٧٣	٢٩٩
٢٦٤	إن الله عز وجل لا ينام...	١٠٣	١٠
٢٦٥	إن الله يبسط يده بالليل...	١٠٣٣	٤٢٥
٢٦٦	إن الله عز وجل يملي للظالم...	١١٢٢	٤٧٣
٢٦٧	إن الله كتب الإحسان على كل شئ...	٤٨٩	
٢٦٨	إن الله يبعث ريحًا...	١٤٠٨	
٢٦٩	إن الله يرفع بهذا الكتاب...	٤٠٩	
٢٧٠	إن الله يعذب الذين يعذبون...	١١٢١	٤٧٢
٢٧١	إن الله يقبل الصدقة...	٧٣٨	٢٨٣

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٢٧٢	إن الله يقول يا ابن آدم...	٥٧٦	٢١١
٢٧٣	إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة...	٧٧١	٢٩٨
٢٧٤	إن الله لا يعذب بدمع العين...	٤١٤	
٢٧٥	إن الله لا يقبض...	١٤٠١	
٢٧٦	إن الله يقول لأهل الجنة...	١٧١٠	٧٥٢
٢٧٧	إن الله يملي للظالم حتى إذا...	١١١٧	
٢٧٨	إن الله وملائكته يصلون على النبي...	٧١٢	
٢٧٩	إن الله يحب العبد التقي...	١٠١٥	٤١٦
٢٨٠	إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر...	١٢٤٢	٥٤١
٢٨١	إن الله قال لي..	١٣٢	١٦
٢٨٢	إن المقسطين عند الله...	١٣٣	
٢٨٣	إن الملائكة كانت تحمله...	١٢٦١	
٢٨٤	إن الميت يسمع خفق نعالهم...	١٢٩٥	٥٦٤
٢٨٥	إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه...	١٠٧٠	
٢٨٦	إن الناس قد صلوا...	٦٣٩	٢٤٠
٢٨٧	إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا أيتان في كتاب الله..	١١٠٨	
٢٨٨	إن النبي ﷺ لم يكن في بيته شيئًا فيه تصاليب...	١٢٢٧	٥٣٣
٢٨٩	إن أمتي يدعون يوم القيامة...	٥٨٤	٢١٥
٢٩٠	إن أمركن لم يهمني بعدي...	١٠٦٣	٤٤٢
٢٩١	إن أمن الناس على...	١٦٠٠	
٢٩٢	إن أهل الجنة إذا دخلوها...	١٦٨٤	
٢٩٣	إن أهل الجنة يتراءون...	١٦٩٠	٧٤٤

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٢٩٤	إن أهل النار ليبكون...	١٥٥١	٦٧١
٢٩٥	إن أهون أهل النار عذابًا...	١٥٣٣	٦٥٨
٢٩٦	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل...	٤٦٧	١٦٣
٢٩٧	إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم...	٣٢٠	
٢٩٨	إن أول الناس يقضي يوم القيامة...	٥٦٠	٢٠٦
٢٩٩	أنا النبي لا كذب..	٨٣٥	٣٢٩
٣٠٠	أنا أول من تنشق عنه الأرض...	١٦١١	٧٠٠
٣٠١	إن بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة...	١٠٣٤	
٣٠٢	إن بين الرجل وبين الشرك والكفر...	٨٠٠	
٣٠٣	أنت الأول فليس قبلك شئ...	١٠١	
٣٠٤	أن تجعل لله ندًا وهو خلقك...	١٢١١	٥٢٦
٣٠٥	انتدب الله لمن خرج في سبيله...	٨٠٥	٣١٥
٣٠٦	أنت صاحبي...	١٦٠٠	٦٩٤
٣٠٧	أن تصدق وأنت صحيح حريص..	٩٨٩	٤٠٣
٣٠٨	إن تصدق الله يصدقك...	٩١٦	
٣٠٩	إن تطعنوا في إمارته...	٨١٧	٣٢٠
٣١٠	إن تغفر اللهم تغفر جمًا...	٤٧٩	١٦٩
٣١١	إن تمسك بما أمر به دخل الجنة...	٦٥١	
٣١٢	أنتم شهداء الله في الأرض...	١٢٦٨	٥٥٤
٣١٣	أنت مع من أحببت..	٤٢٩	
٣١٤	إن دعوت هذا العذق من هذا	٣٥٩	١١١
٣١٥	أنذرتكم النار...	١٤٩١	٦٣٩
٣١٦	إن رجالا يتخوضون في مال الله...	١٠٨٩	٤٥٣

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٣١٧	إن رجل من أهل الجنة..	١٦٦٠	٧٢٩
٣١٨	إن رحمتي سبقت غضبي...	٤٨١	
٣١٩	إن رسول الله ﷺ لعن زورات القبور..	١٢٢١	٥٣٠
٣٢٠	إن شئت صبرت ولك الجنة...	١٠٥٩	٤٤٠
٣٢١	إن طالت بك مدة...	١٥١٨	
٣٢٢	إن عبدًا أصاب ذنبًا...	١٠٣٥	٤٢٦
٣٢٣	إن عبد الله رجل صالح...	٦٢٠	
٣٢٤	إن عيني تنامان ولا ينام قلبي...	٣٢٣	
٣٢٥	إن غلظ جلد الكافر...	١٥٤٠	٦٦٥
٣٢٦	إن فقراء المهاجرين يسبقون...	٩٧٧	٣٩٧
٣٢٧	إن في الجنة بابًا..	٦٣٢	٢٣٦
٣٢٨	إن في الجنة بحر...	١٦٥٦	٧٢٧
٣٢٩	إن في الجنة خيمة...	١٦٥٥	٧٢٦
٣٣٠	إن في الجنة شجرة...	١٦٦٣	٧٣٠
٣٣١	إن في الجنة مراغًا...	١٦٤١	٧١٨
٣٣٢	إن في الجنة لسوقًا...	١٦٨٣	٧٤١
٣٣٣	إن في الجنة مائة درجة..	١٦٩٤	٧٤٦
٣٣٤	إن في الجنة غرفة..	١٦٥٣	٧٢٥
٣٣٥	إن في الصلاة شغلاً...	٥٩٥	٢٢٠
٣٣٦	إن فيك لخصلتين...	٧٨٣	٣٠٥
٣٣٧	أنفق يا بلال ولا تخشى..	١٥٥٤	٦٧٣
٣٣٨	إن كان من أهل الجنة فالجنة...	١٣٠٥	
٣٣٩	إنك لست من أهل النار...	٢١٦	٥٣

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٣٤٠	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر..	٦٠٤	٢٢٤
٣٤١	إنكم محشورون...	١٤١١	٦٠٥
٣٤٢	إن لله أهلين من الناس...	٦٨٧	٢٦٤
٣٤٣	إن لله تسعة وتسعين إسماً...	٩٨	٨
٣٤٤	إن لله ما أخذ وله ما أعطى...	٤٨١	١٧٠
٣٤٥	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق...	٧٠٢	٢٧١
٣٤٦	إن له مرضعاً...	١٦١٣	٧٠١
٣٤٧	إنما أنا بشر...	١١٥٣	٤٩٦
٣٤٨	إنما الدنيا لأربعة نفر...		
٣٤٩	إن ما قل وكفى...		
٣٥٠	إنما سمي البيت العتيق...	١٣٨٩	
٣٥١	إنما مثلي ومثل الناس...	٣٩٥	
٣٥٢	إنما هذه رحمة من لا يرحم لا يرحم...	١٢٤٨	
٣٥٣	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل...	٤٦٠	١٥٩
٣٥٤	إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في...	١١٧٤	٥١٠
٣٥٥	إنما يلبس هذه من لا خلاق له...	١٠٩٨	٤٥٨
٣٥٦	إن من أمتي من يشفع...	١٤٣٨	٦١٧
٣٥٧	إن من أمتي يدعون...		
٣٥٨	إن من أمتي لمن يشفع	١٥٣٩	٦٦٢
٣٥٩	إن من عباد الله من لو أقسم...	٢٤٦	٦٦
٣٦٠	إنه أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك ...	٣٠٧	
٣٦١	إنها ساعة...	٥٨٠	٢١٣
٣٦٢	إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد...	٣٣٨	١٠٤

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٣٦٣	إن هؤلاء نزلوا على حكمك...	٩٥٥	
٣٦٤	إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما يرضيك يا محمد..	٣٠٦	٨٨
٣٦٥	إن هذا العبد صالح...	١٢٦١	
٣٦٦	إن هذا اخترط سيفي..	٢٦٣	٧٣
٣٦٧	إن هذا قد اتبعنا...	٣٨٤	١٢٥
٣٦٨	إنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء...	٩١١	٣٦٣
٣٦٩	إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب...	٤١٢	
٣٧٠	إنه ليهون علي...	٤٢٨	
٣٧١	إنه ليأتي الرجل..	١٤٦٨	٦٣٢
٣٧٢	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير...	١٣٠٦	٥٦٧
٣٧٣	إنه من أهل النار...	١٢١٤	٥٢٧
٣٧٤	إنه وتر يحب الوتر...	١٠٠	
٣٧٥	إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني...	٣٦٨	١١٧
٣٧٦	إني أرحمها قتل أخوها معي...	٩٣٥	٣٧٦
٣٧٧	إني أريت ليلة القدر...	٣٧٣	١١٩
٣٧٨	إني أراك تحب الغنم والبادية..	٧١٣	٢٧٥
٣٧٩	إني أردت تلين قلبك..	٤٨٥	١٧١
٣٨٠	إني أرى ما لا ترون..	١٤٤٣	٦١٩
٣٨١	إني إنما فعلت ذلك لاتألفهم...	٣٠١	
٣٨٢	إني خشيت أن يكون عذابًا...	١٩٤	
٣٨٣	إني خيرت فأخترت لو أعلم إني...	٤٧١	١٦٥
٣٨٤	إني رأيت الجنة...	١٥٨٠	٦٨٣

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٣٨٥	إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم...	١٥٧٧	٦٨٢
٣٨٦	إني قد رزقت حبها...	٣٣٩	
٣٨٧	إني سترت عليك في الدنيا...	١٤٧٥	٦٣٤
٣٨٨	إني لأعرف آخر...	١٥٦٩	٦٨١
٣٨٩	إني لا أقول إلا حقًا...	١٢٠٠	
٣٩٠	إني لأعرف غضبك..	٣١٥	٩٢
٣٩١	إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم على...	٢٩٥	٨٢
٣٩٢	إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه...	٣٤٢	
٣٩٣	إني لأنذركموه..	١٣٩٣	٥٩٩
٣٩٤	إني لأول الناس...	١٦١١	
٣٩٥	إني لم أبعث لعانًا...	١١٥٠	٤٩٥
٣٩٦	إني نذير إنما مثلي ومثلكم...	٣٥٧	
٣٩٧	إن ينظر الله...		
٣٩٨	إهتز عرش الرحمن لموت سعد...	١٢٦٠	٥٤٩
٣٩٩	أهل الجنة عشرون ومائة...	١٦٢٧	
٤٠٠	أهل الجنة من ملأ الله...	١٥٨٣	٦٨٥
٤٠١	أهلكك حب اليهود...	٤٧٢	
٤٠٢	أهو هو...	٩١٦	
٤٠٣	أو أملك لك أن نزع...	١١٧٠	
٤٠٤	أو إنكم تفعلون...	٢٩٠	٨٠
٤٠٥	أوتي نبيكم...	١٤٤	
٤٠٦	أوصيكم بالأنصار...	٤٣٠	١٤٤
٤٠٧	أو فى هذا أنت...	٩٧٢	٣٩٥

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٤٠٨	أوقد على النار ألف سنة...	١١٤٢	
٤٠٩	أول خصمين يوم القيامة...	١١٥٩	
٤١٠	أول زمرة تدخل الجنة...	١٦١٩	٧٠٥
٤١١	أول ما يحاسب به العبد...	١١٣٣	٤٧٩
٤١٢	أول ما يقضي بين الناس...	١١٣٣	٤٧٨
٤١٣	أولى الناس بي يوم القيامة...	٧١٠	٢٧٤
٤١٤	أو مخرجي هم...	٣٩٤	
٤١٥	أو ماعشيتهم...	٧٤٢	
٤١٦	أي أخي أشركنا في دعائك...	٤١٩	١٣٨
٤١٧	أي الناس أحب إليك...	٤٣٦	١٤٧
٤١٨	إياكم ومحقرات الذنوب...	١٣٠٦	
٤١٩	إياك ومحقرات الأعمال...	٢٥٨	
٤٢٠	أيكم مال وارثه أحب...	١٠٠٤	٤١٢
٤٢١	أيما امرأة مات لها...	١٠٤٩	٤٣٤
٤٢٢	أيما رجل أعتق امرءًا...	٧٥١	٢٨٨
٤٢٣	أيما مسلم شهد له أربعة...	١٢٦٨	٥٥٥
٤٢٤	أين المتحابون بجلالي..	٢٣٥	٦٠
٤٢٥	أين سعد بن معاذ...	٩٠٠	
٤٢٦	أيها الناس...	٨٣٩	٣٣١
٤٢٧	أيهم أكثر أخذًا للقرآن..	٩٣٨	٣٧٨
٤٢٨	أيهما أكثر حفظًا...	٩٣٩	
	حرف الباء		
٤٢٩	بادروا بالأعمال سبعًا...	١٠٣٩	٤٢٨

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٤٣٠	بال الشيطان في أذنه...	٧٦٦	٢٩٦
٤٣١	بخ بخ...	٧١٦	٢٧٦
٤٣٢	بخ ذلك مال رابح	٧٤٥	٢٨٥
٤٣٣	بدأ الإسلام غريباً...	٤٥٧	١٥٨
٤٣٤	برئ من الصالقة...	١٠٩٥	
٤٣٥	بعثت أنا والساعة جميعًا...	١٣٦٣	
٤٣٦	بعثت أنا والساعة كهاتين...	١٣٦٣	٥٨٤
٤٣٧	بعض القوم سمع...	١٣٧٦	
٤٣٨	بل ائتمروا بالمعروف...	١٣٨٣	
٤٣٩	بل أرجو أن يخرج الله...	٤٠٥	
٤٤٠	بل هو من أهل الجنة...	٢١٧	
٤٤١	بينا أنا نائم...	١٦٧٨	٧٣٩
٤٤٢	بينا رجل بفلاة...	١٠١٠	٤١٤
٤٤٣	بينما أنا أسير في الجنة..	١٦٣٧	٧١٦
٤٤٤	بينما رجل راكب على بقرة...	٣٨٠	١٢٣
٤٤٥	بينما رجل يمشي...	٦٦٢	٢٥١
٤٤٦	بينما رجل يمشي بطريق...	٢٥٨	٧١
٤٤٧	بينما رجل يجر إزاره...	١٠٩٦	٤٥٧
	حرف التاء		
٤٤٨	تأتي الأبل على صاحبها...	١٠٧٦	٤٤٧
٤٤٩	تبكين أو لا تبكين...	١٢٥٨	٥٤٨
٤٥٠	تبلغ الحلية من المؤمن...	٧٧٨	٣٠٢
٤٥١	تحاجت الجنة والنار..	١٥٠٩	٦٤٩

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٤٥٢	تجد من شرار الناس يوم القيامة..	١١٠٢	٤٦١
٤٥٣	تخرج الدابة...	١٤٠٦	٦٠٢
٤٥٤	تدرون ما هذا...	١٥٤٣	٦٦٦
٤٥٥	تدمع العين ويحزن القلب...	٤١٣	١٣٥
٤٥٦	تشهده ملائكة الليل...	٦٩٠	
٤٥٧	تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان...	١٠٠٢	٤١١
٤٥٨	تصدقن فإني رأيتكن أكثر...	١٠٠١	
٤٥٩	تضمن الله لمن خرج في سبيله...	٨٩٧	
٤٦٠	تطلع عليكم قبل الساعة...	١٤٠٤	
٤٦١	تطعم الطعام وتقرأ السلام...	٥٦٩	
٤٦٢	تعبد الله ولا تشرك به شيئًا...	٦٥٠	٢٤٥
٤٦٣	تعلموا أن لن يرى أحد منكم ربه...	١١٢	
٤٦٤	تعلموا سورة البقرة...	٦٨٣	٢٦٣
٤٦٥	تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه...	١٣٩٦	
٤٦٦	تفتح أبواب الجنة...	١٦٠٧	٦٩٨
٤٦٧	تفتح اليمن فيأتي قوم...	١٠٥٥	
٤٦٨	تفضل صلاة الجميع...	٦٨٨	٢٦٥
٤٦٩	تقوى الله وحسن الخلق...	١٠٨٤	٤٥١
٤٧٠	تكون الأرض يوم القيامة..	١٦٥٨	٧٣٤
٤٧١	تلزم جماعة المسلمين وإمامهم...	١٣٧٠	٥٨٧
٤٧٢	تلك السكينة تنزلت للقرآن...	١٦٨	٣٣
٤٧٣	تلك صلاة المنافقين...	١١٩١	٥١٦
٤٧٤	تلك عاجل بشرى المؤمن...	٥٢٤	١٨٩

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٤٧٥	توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من شئ يأكله...	٣١٧	٩٥
٤٧٦	توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من شئ يأكله...	٩٦٨	٣٩١
	حرف الثاء		
٤٧٧	ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...	١١٤٧	٤٩٢
٤٧٨	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة...	١١٢٨	٤٧٦
٤٧٩	ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة...	١٠٨٧	٤٥٢
٤٨٠	ثم تجري لا يستنكر الناس منها...	١٦٤	
٤٨١	ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون...	١١٩	
٤٨٢	ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى...	١٤٩٠	
٤٨٣	ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى...	١٥٧٦	
٤٨٤	ثم رفعت إلى سدرة المنتهى...	١٧٠٥	٧٥٠
٤٨٥	ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب...	١٣٩٥	
٤٨٦	ثم يبعث الله ملكًا...	٥٠٠	
	حرف الجيم		
٤٨٧	جاء الحق وزهق الباطل...	٤٦١	١٦٠
٤٨٨	جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ...	٣٢٢	٩٩
٤٨٩	جاء كنزه يوم القيامة...	١٠٨٠	
٤٩٠	جاهدوا في سبيل الله...	٧٩٨	٣١١
٤٩١	جد له فأوف له الذي له...	٣٧١	١١٨
٤٩٢	جنان الفردوس...	١٧٠٣	
٤٩٣	جنتان من فضة...	١٧٠٣	٧٤٩

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
	حرف الحاء		
٤٩٤	حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله...	١٢٥٧	
٤٩٥	حتى إذا فزع عن قلوبهم...	١٤٩	٢٥
٤٩٦	حتى توضع في اللحد...	٧٨٢	
٤٩٧	حرمت النار على عين دمعت...	١٧٣	٣٥
٤٩٨	حفت الجنة...	١٦٠٥	٦٩٧
٤٩٩	حفظك الله بما حفظت...	٣٦٧	١١٦
٥٠٠	حوضي مسيرة شهر..	١٥٨٨	٦٨٨
	حرف الخاء		
٥٠١	خالفوا المشركين...	٤٦٤	
٥٠٢	خرج ثلاثة نفر يمشون...	٥٥٠	٢٠١
٥٠٣	خمس من الدواب...	١١٦٢	
٥٠٤	خير القرون قرني...	٨٣١	
٥٠٥	خير نسائها مريم...	١٦٤٨	
٥٠٦	خير يوم طلعت فيه الشمس...	٧٢١	٢٧٨
	حرف الدال		
٥٠٧	دعه فإنه الحياء من الإيمان...	٥١٩	١٨٧
٥٠٨	دعوة المظلوم مستجابة...	١١٢٠	
٥٠٩	دعوه فإن لصاحب الحق مقالا...	٣٧٧	١٢١
٥١٠	دعوه وهريقوا على بوله...	٤٢٣	١٤١
	حرف الذال		
٥١١	ذاق طعم الإيمان...	٥٠٧	١٨١
٥١٢	ذكرت وأنا في الصلاة...	١٠٢٧	٤٢٣

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٥١٣	ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي...	٦٨	
	حرف الراء		
٥١٤	رأيت رسول الله ﷺ مضجعًا في المسجد...	٣١٨	٩٧
٥١٥	رأيت رسول الله ﷺ مضجعًا في المسجد...	٩٦٨	٣٩٣
٥١٦	رأيت عمرو بن عامر...	١٥١٤	٦٥٠
٥١٧	رأيتني دخلت الجنة...	٥٩٢	
٥١٨	رُب أشعث مدفوع..	١٠١٦	٤١٧
٥١٩	رب اغفر لي خطيئتي...	٥٤٩	
٥٢٠	رب اغفر لقومي..	٤٠٦	١٣٢
٥٢١	رب كاسية في الدنيا...	٩٩٩	٤١٠
٥٢٢	رباط يوم وليلة خير من صيام...	٨٧٣	٣٤٧
٥٢٣	ربنا تبارك وتعالى...	١٥٠	
٥٢٤	رجل جاهد بنفسه...	٨٣٣	٣٢٨
٥٢٥	رغم أنف ثم رغم أنف...	٦٧٠	٢٥٦
	حرف الزاي		
٥٢٦	زر القبور تذكر بها الآخرة...	١٢٧٢	٥٥٦
٥٢٧	زملوني زملوني...	٣٢٨	١٠١
٥٢٨	زملوهم بدمائهم...	١٢٥٤	
	حرف السين		
٥٢٩	سأل موسى ربه...	١٧١٦	٧٥٥
٥٣٠	سبحان الله...	٧٠٤	
٥٣١	سبحان الله لا تطيقه...	٢١٤	
٥٣٢	سبعة يظلهم الله...	١٤٧١	٦٣٣

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٥٣٣	ستخرج نار قبل يوم القيامة..	١٤١٨	
٥٣٤	ستكون فتنة القاعد فيها خير...	١٣٧٤	٥٨٨
٥٣٥	ستلقون بعدي أثره	١٤٨٠	٦٣٦
٥٣٦	سلوا الله العفو والعافية...	٩٩٦	٤٠٧
٥٣٧	سلوه لأي شئ يصنع ذلك...	١٥٩	٢٩
٥٣٨	سيحان وجيحان...	١٦٥٨	٧٢٨
٥٣٩	سيدا الشهداء عند الله...	٩٠٣	
٥٤٠	سيكون في أمتي...	١٤٠١	
	حرف الشين		
٥٤١	شجرة كانت على طريق الناس...	٢٥٨	
٥٤٢	شهرا عيد لا ينقصان...	٤٤٩	
٥٤٣	شهيداً عليهم مادمت فيهم...	١٨٦	
٥٤٤	شيخ زان وملك كذاب...	١١٣٠	
	حرف الصاد		
٥٤٥	صدق سلمان...	٦٤٣	٢٤٢
٥٤٦	صلاة الرجل في الجماعة...	٥٩٩	٢٢٢
٥٤٧	صنفان من أهل النار...	١٥١٨	٦٥٢
	حرف الضاد		
٥٤٨	ضرس الكافر أو ناب...	١٥٤٠	٦٦٣
٥٤٩	ضرس الكافر مثل أحد...	١٥٣٩	
٥٥٠	ضرس الكافر يوم القيامة...	١٥٤٠	٦٦٤
٥٥١	ضعو لي ماءاً في المخضب...	١٣٢٢	٥٧٦

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
	حرف العين		
٥٥٢	عاد رجلاً من المسلمين...	٢١٤	
٥٥٣	عجبًا لأمر المؤمن...	١٠٥٣	٤٣٦
٥٥٤	عجب الله...	١٦٠٤	٦٩٦
٥٥٥	عذبت امرأه في هرة...	١١٥٩	٥٠٠
٥٥٦	عرض على أول ثلاثة...	٩٣٦	٣٧٧
٥٥٧	عرض على ربي عز وجل...	٣١٩	
٥٥٨	عسى أن يبعثك ربك..	١٤٣٦	٦١٦
٥٥٩	عشرة في الجنة...	١٥٩٨	٦٩٣
٥٦٠	على الفطرة...	١٧٥	٣٦
٥٦١	على المرء المسلم...	٨٢٠	
٥٦٢	على رأس مائة سنة...	٨٣١	
٥٦٣	عليك ليلاً طويلاً...	٧٦٤	
٥٦٤	عليكم بالجماعة...	٤٧٧	١٦٨
٥٦٥	عمر أمتي من ستين...		
٥٦٦	عمي الذي سميت به...	٥٣٦	١٩٥
	حرف الغين		
٥٦٧	غاب عمي أنس...	٩١٤	٣٦٥
٥٦٨	غط بها رأسه...	١٢٥٥	
	حرف الفاء		
٥٦٩	فأبشروا وأملوا ما يسركم..	٩٧٩	٣٩٩
٥٧٠	فأتى الملك فقيل له...	١٠٦١	٤٤١
٥٧١	فأجيبت شفاعتي...	١٣٠٨	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٥٧٢	فأخبر النبي ﷺ أصحابه..	٨٩٤	٣٥٥
٥٧٣	فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ..	٩٠٨	٣٦١
٥٧٤	فإذا ضيعت الأمانة..	١٣٧٦	٥٨٩
٥٧٥	فأرصد الله له على مدرجته...	٢٣٥	٦١
٥٧٦	فأشار بيده أن أتموا...	١٣٢٤	٥٧٩
٥٧٧	فأعدوا لتلك المسائل...	٢٠٣	
٥٧٨	فاغفر لهم يوم الدين...	٦٦٦	
٥٧٩	فأماتهم إماته حتى إذا كانوا...	١١٨	
٥٨٠	فإن أخذوا على يديه...	١٠٧٣	
٥٨١	فإن الله قد حرم على النار...	٨٩	٣
٥٨٢	فإن عتق النسمة...	٧٥٢	
٥٨٣	فإن كانت صالحة قالت...	١٢٦٣	
٥٨٤	فإنها تذكرة للآخرة...	١٣١٥	
٥٨٥	فإن الله لا يمل حتى تملوا..	٦٤٨	
٥٨٦	فإني أحب أن أسمعه...	١٨٤	٤١
٥٨٧	فإني أشفع لمن يموت...	٤٧٦	
٥٨٨	فإني لا أملك لكم من الله شيئًا..	١٣٦٦	
٥٨٩	فأوحى الله إليه...		
٥٩٠	فأين...	٧٩٦	٣١٠
٥٩١	فتأذوا به فأخذ فأسا...	١٠٧٢	
٥٩٢	فحمد الله وأثنى عليه...	٣٤٤	
٥٩٣	فدلوني على قبره...	١٢٦٦	٥٥٣
٥٩٤	فرفع يده وقال اللهم أمتي...	٤١٥	١٣٦

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٥٩٥	فضلت عليهن...	١٤٩٨	٦٤٣
٥٩٦	فقال ما شأنك..	٢١٧	
٥٩٧	فقلت يا جبريل..	١٠١٠	
٥٩٨	فلقد رأيته يتقلب...	٦٦٣	
٥٩٩	فمن رغب عن سنتي..	٦٥٣	
٦٠٠	فمن لقيت من وراء...	٩٣	٥
٦٠١	فمن كان من أهل الصلاة...	٥٨٣	
٦٠٢	فهو يتجلجل في الأرض...	١٠٩٧	
٦٠٣	فو الذي لا إله غيره...	٤٩٧	
٦٠٤	فو الله إني لأعطي...	١٢٠٤	٥٢٢
٦٠٥	فو الله إني لأعلمهم بالله...	١٧٧	٣٧
٦٠٦	فيأتيهم الله في الصورة...	١١٥	
٦٠٧	فيمن كان قبلكم يتجر..	٧٥٤	
٦٠٨	في أذنيه...	٧٦٧	
٦٠٩	في الجنة ثمانية أبواب...	١٦١٨	٧٠٤
٦١٠	في ثوبيه الذين أحرم...	١٢٥٤	
٦١١	فيذبح ثم يقول...	١٦٧٤	
٦١٢	فيسأله ويتمنى بمقدار ثلاثة...	١٢٣	
٦١٣	فيقول خشيت الناس...	٢١٣	
٦١٤	في كل كبد رطبة...	٤٨٨	١٧٣
٦١٥	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم...	٧١٩	٢٧٧
	حرف القاف		
٦١٦	قال الله إذا أحب عبدي...	٢٤١	٦٤

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٦١٧	قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء...	٥٦٠	٢٠٤
٦١٨	قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين...	١٦٣٦	٧١٥
٦١٩	قال الله عز وجل المتحابون في جلالي...	١٦٩٢	٧٤٥
٦٢٠	قام فينا رسول الله ﷺ بخمس...	١٠٣	
٦٢١	قتل المؤمن أعظم...	١١٣٤	
٦٢٢	قد أريت دار هجرتكم..	٢٦٧	٧٤
٦٢٣	قد أوذى موسى بأكثر...	٤٠٠	١٣٠
٦٢٤	قد رأيت الذي صنعتم...	٤٢٢	١٤٠
٦٢٥	قرصت نملة نبيًا...	٤٩٢	١٧٥
٦٢٦	قصة استشهاد أنس...	٥٣٨	
٦٢٧	قلب الشيخ شاب...	١٢٣٥	
٦٢٨	قلت لهما بارك الله فيكما...	١٥٢٨	٦٥٧
٦٢٩	قل ربي الله...	١٠٨١	٤٤٩
٦٣٠	قمت على باب الجنة...	١٥٩٦	٦٩٢
٦٣١	قولوا بقولكم...	١٤٦	٢٤
٦٣٢	قولوا لا إله إلا الله...	٣٩٤	
٦٣٣	قوموا إلي جنة...	١٦١٤	٧٠٢
	حرف الكاف		
٦٣٤	كافل اليتيم...	٧٥٧	٢٩٢
٦٣٥	كان أصحاب محمد ﷺ...	١١٣٣	
٦٣٦	كان الله مع الدائن...	١١٥٥	
٦٣٧	كان الله ولم يكن شيئًا...	١٠١	٩
٦٣٨	كان تاجر يداين...	٧٥٤	٢٩٠

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٦٣٩	كان رجل يسرف...	١٩٧	٤٦
٦٤٠	كان فيمن كان قبلكم...	١٠٩١	٤٥٤
٦٤١	كذبني ابن آدم...	١٢٥	١٣
٦٤٢	كفى بالله شهيداً...	٢٨٤	٧٨
٦٤٣	كلا إني رأيته في النار..	٥٥٦	٢٠٢
٦٤٤	كل أمتي يدخلون الجنة...	٣٥٨	١١٠
٦٤٥	كل أهل النار يرى مقعده..	١٧١٤	٧٥٤
٦٤٦	كل كلم يكلمه المسلم...	٨٩٢	٣٥٤
٦٤٧	كل مسكر حرام...	١٥٤٦	٦٦٨
٦٤٨	كل ميت يختم على عمله...	٨٧٤	
٦٤٩	كل ميت يختم على عمله...	٩٢٣	٣٧٠
٦٥٠	كلمتان حبيبتان إلى الرحمن...	٦٩٨	٢٧٠
٦٥١	كن في الدنيا كأنك غريب...	٩٨٢	٤٠٠
٦٥٢	كيلوا طعامكم يبارك...	٣٢٠	
	حرف اللام		
٦٥٣	لا ألفين أحدكم يوم القيامة...	٩٥١	٣٨٤
٦٥٤	لا إله إلا الله العظيم الحليم..	١٨٧	٤٢
٦٥٥	لا إله إلا الله إن للموت سكرات...	١٣٢٤	٥٨٠
٦٥٦	لا إله إلا الله وحده لا شريك له...	٩٥٧	٣٨٦
٦٥٧	لا تأذني لأحد...	٤٦١	
٦٥٨	لا تبدأوا اليهود ولا النصارى...	٥٧٠	
٦٥٩	لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين...	٤٦٩	١٦٤
٦٦٠	لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا...	٨٨٣	٣٥٠

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٦٦١	لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا...	٥٢٢	١٨٨
٦٦٢	لا تلعن الريح...	١١٤٩	٤٩٣
٦٦٣	لا تحزن إن الله معنا...	٣٨٦	١٢٦
٦٦٤	لا تزال طائفة من أمتي...	١٤٠٧	
٦٦٥	لا تزول قدما عبد حتى يسأل...	١٠٠٥	
٦٦٦	لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم...	٤٦٥	١٦٢
٦٦٧	لا تسبوا أصحابي...	٥٣١	١٩٢
٦٦٨	لا تسمعني واسمع ربك...	١٢٢١	
٦٦٩	لا تطروني كما أطرت النصارى...	٣٢٦	
٦٧٠	لا تعذبوا بعذاب الله...	١١٤١	٤٨٧
٦٧١	لا تغسلوهم فإن كل جرح...	٤١٠	
٦٧٢	لا تقتل نفساً ظلماً...	١١٩٧	٥١٨
٦٧٣	لا تقوم الساعة حتى لا يقال...	١٤٠٧	٦٠٤
٦٧٤	لا تقوم الساعة حتى يخسف...	١٩١	
٦٧٥	لا تقوم الساعة حتى يقاتل...	١٣٩١	٥٩٦
٦٧٦	لا تقوم الساعة حتى يقتتل..	١٣٧٢	٦٠١
٦٧٧	لا تقوم الساعة حتى ينزل...	١٣٨٧	٥٩٤
٦٧٨	لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي...	١١٩٩	٥١٩
٦٧٩	لا تمس النار مسلماً رأني أو راى...	٣٦٦	١١٥
٦٨٠	لا تمنعوا النساء...	٧٥	
٦٨١	لا خير فيها هي في النار...	١١٥٨	٤٩٩
٦٨٢	لا شئ له...	٧٩١	
٦٨٣	لأعطين الراية...	٨٢٥	٣٢٤

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٦٨٤	لأنا أغير منه والله أغير مني...	١٦١	
٦٨٥	لا نورث ما تركنا صدقة...	١٠٦٤	
٦٨٦	لا هجرة ولكن جهاد ونية...	٨٤١	٣٣٢
٦٨٧	لا وفاء لنذر في معصية...	١٢٣٠	
٦٨٨	لا ومقلب القلوب...	١٣٩	٢١
٦٨٩	لا يأتي عليكم زمان إلا والذي...	٥٢١	
٦٩٠	لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا...	٢٥٦	٧٠
٦٩١	لا يحقر أحدكم نفسه...	٢١٣	٥١
٦٩٢	لا يحل دم امرئ مسلم...	٩٢٢	
٦٩٣	لا يخرج منها أحدٌ رغبة عنها...	١٠٥٥	
٦٩٤	لا يدخل الجنة أحد...	٥٥٧	
٦٩٥	لا يدخل الجنة قتات...	١١٦٧	٥٠٥
٦٩٦	لا يدخل الجنة قاطع رحم...	١١٨٦	
٦٩٧	لا يدخل الجنة نمام...	١١٦٧	٥٠٤
٦٩٨	لا يدخل المدينة رعب المسيح...	٤٥٤	١٥٦
٦٩٩	لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال...	١٣٩٣	٥٩٨
٧٠٠	لا يدخل النار أحد في قلبه...	١٣٥	١٩
٧٠١	لا يدخل النار أحد ممن بايع...	٥٣٣	١٩٣
٧٠٢	لا يدخلها الطاعون ولا الدجال...	٤٥٥	
٧٠٣	لايدري كثير من الناس أمن...	١٠٣٠	
٧٠٤	لا يذهب الليل والنهار...	١٤٠٧	٦٠٣
٧٠٥	لا يرحم الله من لا يرحم الناس...	١١٧٠	
٧٠٦	لا يرمي رجل رجلاً...	١٢٣٠	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٧٠٧	لا يزال قلب الكبير شاباً في...	١٢٣٥	٥٣٦
٧٠٨	لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله...	٦٩١	٢٦٦
٧٠٩	لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن...	٢٣٨	٦٢
٧١٠	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح...	١١٣٥	٤٨١
٧١١	لا يصبر على لاوائها وشدتها...	١٠٥٦	
٧١٢	لا يصيب المؤمن من هم ولا حزن...	٢٨٩	
٧١٣	لا يغتسل رجل يوم الجمعة...	٦١٠	٢٢٦
٧١٤	لا يقولن أحدكم خبثت نفسي...	٧٦٦	
٧١٥	لا يلج النار رجل بكى من خشية الله...	٢٠٧	٤٩
٧١٦	لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد...	١٠٤٩	٤٣٥
٧١٧	لا يوطئن أحدكم المساجد للصلاة...	٦٥٤	٢٤٧
٧١٨	لا يؤمن أحدكم حتى أكون...	٣٠٨	٨٩
٧١٩	لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت..	٧٥٢	
٧٢٠	لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد...	٣٥٩	
٧٢١	لتؤدن الحقوق إلى أهلها..	١٤٦٤	٦٣٠
٧٢٢	لروحة في سبيل الله...	٨٠٨	٣١٧
٧٢٣	لزوال الدنيا أهون عند الله...	١١٣٩	
٧٢٤	لعل لصاحبكم عند الله أفضل من...	٤٢٦	١٤٢
٧٢٥	لعله تنفعه شفاعتي...	١٥٣٣	٦٥٩
٧٢٦	لعن الله من لعن والده...	١٢١٧	٥٢٨
٧٢٧	لقد احتظرت بحظار شديد...	١٠٥٢	
٧٢٨	لقد أعذر الله إلى صاحب الستين...	١٠٣٨	
٧٢٩	لقد حكمت فيهم بحكم الملك...	٩٥٤	٣٨٥

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٧٣٠	لقد رأيت رجلاً يتقلب...	٦٤٢	٢٥٨
٧٣١	لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم	٣١٨	٩٨
٧٣٢	لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي	٩٦٨	٣٩٤
٧٣٣	لقد ظننت يا أبا هريرة...	٨٧	١
٧٣٤	لقد كان من قبلكم ليمشط..	٢٥٩	٧٢
٧٣٥	لقد كان فيما قبلكم من الأمم..	٤٣٧	
٧٣٦	لقد لقيت من قومك مالقيت...	٤٠٣	١٣١
٧٣٧	لقد مات رسول الله وما شبع من خبز...	٣١٨	٩٦
٧٣٨	لقد مات رسول الله وما شبع من خبز...	٩٦٨	٣٩٢
٧٣٩	لقد نزلت على آية أحب إلى...	٢٩٧	٨٣
٧٤٠	لك بها يوم القيامة...	٨٦٢	٣٤٠
٧٤١	لكل إنسان ثلاثة أخلاء...	١٣١٣	٥٧١
٧٤٢	للشهيد عند الله ست خصال...	٩٢٧	٣٧٢
٧٤٣	لله أرحم بعباده...	١١٦٩	
٧٤٤	لما أصيب إخوانكم...	١٦٦٩	٧٣٥
٧٤٥	لما أغرق الله فرعون...	٤٧٤	١٦٦
٧٤٦	لما خلق الله الجنة...	١٦٠٦	
٧٤٧	لما خلق الله الخلق كتب في...	٢٢٠	٥٥
٧٤٨	لما قتل زيد بن حارثة...	٤١٤	
٧٤٩	لما كان يوم أحد...	٨٥٢	٣٣٦
٧٥٠	لما كان اليوم الذي دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شئ...	٣٠٤	٨٧
٧٥١	لم أعقل أبوى إلا وهما	٥٢٥	١٩٠

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٧٥٢	لمناديل سعد بن معاذ...	١٦٧٢	٧٣٦
٧٥٣	لم يبق من النبوة إلا المبشرات...	٤٤٦	
٧٥٤	لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...	١١٨٠	٥١٣
٧٥٥	لنمكث شهراً ما نستوقد بنار...	٣١٧	٩٤
٧٥٦	لنمكث شهراً ما نستوقد بنار..	٩٦٨	٣٩٠
٧٥٧	لن يدخل النار أحد شهد بدراً...	٢٥٢	
٧٥٨	لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة...	٨٢٨	٣٢٥
٧٥٩	لو أن رجلاً يخر...	١٢٩	١٤
٧٦٠	لو أن رصاصة مثل هذا...	١٥٥٨	٦٧٥
٧٦١	لو أن في هذا المسجد مئة...	١٥٥٠	٦٧٠
٧٦٢	لو أن قطرة من الزقوم...	١٥٥٦	٦٧٤
٧٦٣	لو تعلمون ما أعلم...	١٤٤٦	٦٢٠
٧٦٤	لو دخلوها ما خرجوا...	٨١٩	٣٢١
٧٦٥	لو سألتني هذه القطعة...	٧٨٧	٣٠٦
٧٦٦	لو علمتم ما أعلم...	١٤٤٨	
٧٦٧	لو كانت الدنيا تعدل عند الله...	١٠٦٥	
٧٦٨	لو كان لابن آدم واد من ذهب...	٩٨٩	
٧٦٩	لو كان لابن آدم واديان...	٩٨٨	٤٠٢
٧٧٠	لو كان يصلي من الليل...	٤٤٦	
٧٧١	لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا...	١٣٠١	٥٦٩
٧٧٢	لو كنت متخذاً خليلاً لأتخذته خليلاً...	٣٨٨	
٧٧٣	لولا أن تكون صدقة لأكلتها...	٣٧٥	١٢٠
٧٧٤	لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا...	١٣٠١	٥٦٨

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٧٧٥	لو يعلم الناس ما في النداء...	٦٥٧	٢٤٩
٧٧٦	ليؤمن هذا البيت..	١٣٨٩	٥٩٥
٧٧٧	ليدخلن الجنة...	١٦٠٣	
٧٧٨	ليدخلن من أمتي..	١٦٢٢	٧٠٦
٧٧٩	ليس أحد أحب إليه المدح...	١٦١	٣٠
٧٨٠	ليس بلد إلا سيدخله رعب المسيح إلا...	٤٥٥	
٧٨١	ليس صلاة أثقل على المنافقين...	١١٩٣	٥١٧
٧٨٢	ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم...	١٣٢٦	٥٨٣
٧٨٣	ليس من بلد إلا سيطؤه..	١٣٩٣	٦٠٠
٧٨٤	ليس من رجل أدعى لغير أبيه...	١١٧٧	٥١٢
٧٨٥	ليس منا ضرب الخدود وشق الجيوب...	١٠٩٤	٤٥٦
٧٨٦	ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها...	١٠٧٨	
٧٨٧	ليشربن ناس من أمتي الخمر...	١١١٢	
	حرف الميم		
٧٨٨	ما أجلسكم...	٦٩٣	٢٦٧
٧٨٩	ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع...	٩٠٢	
٧٩٠	ما أدري لعله كما قال قوم عاد...	١٩٣	٤٤
٧٩١	ما أرى طول عمري...	٦٢	
٧٩٢	ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك...	٩٩١	٤٠٤
٧٩٣	ما أصبح لآل محمدﷺ إلا صاع...	٩٧٥	٣٩٦
٧٩٤	ما أغبرتا قدما...	٨٦٨	٣٤٤
٧٩٥	ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل...	١٠٦٥	٤٤٣
٧٩٦	ما الدنيا في الآخرة إلا مثل...		

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٧٩٧	ما العمل في أيام أفضل...	٧٩٠	
٧٩٨	ما الفقر أخشى عليكم...	٩٧٩	
٧٩٩	ما أنتم جزء من مائة ألف...	١٥٩٠	٦٨٩
٨٠٠	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة...	٤٥٢	١٥٤
٨٠١	ما بين حجرتي ومصلاي روضة...	٤٥٣	
٨٠٢	ما بين منكبي الكافر..	١٥٣٨	٦٦١
٨٠٣	ما تذاكرون...	١٣٨٥	٥٩٣
٨٠٤	مات رجل فقيل له ماكنت...	٧٥٤	٢٩١
٨٠٥	ما تعدون الشهيد فيكم...	٩١٧	
٨٠٦	ما جلس قوم مجلساً...	١٢٠٩	٥٢٥
٨٠٧	ما حاجتك غفر الله لك ولأمك...	٤٣٨	١٤٨
٨٠٨	ما خالط قلب امرئ...	٨٠٢	٣١٣
٨٠٩	ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا...	١٧٩	٣٨
٨١٠	ما رأيت منظر قط إلا والقبر أفظع...	١٢٧٢	
٨١١	ما رأيت من نقصات عقل...	٨٢٨	
٨١٢	ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا...	٣١٧	٩٣
٨١٣	ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا..	٩٦٨	٣٨٩
٨١٤	ما على الأرض خير منكم...	٦٢	
٨١٥	ما على هذا أتبعتك...	٩١٦	
٨١٦	ما في الجنة شجرة...	١٦٦٤	٧٣١
٨١٧	ما لي وللدنيا...	٩٧٥	
٨١٨	ما من أربعين من مؤمن يشفعون...	١٢٦٥	
٨١٩	ما من أربعين مؤمن..	١٢٦٥	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٨٢٠	ما من الناس من مسلم يتوفى له...	١٠٤٩	٤٣٣
٨٢١	ما من أمير يلي أمر المسلمين...	١١٤٣	٤٩٠
٨٢٢	ما من جرعة أعظم أجرًا...	٧٨٠	
٨٢٣	ما من ذنب أجدر أن يعجل...	١١٨٦	
٨٢٤	ما من رجل مسلم يموت...	١٢٦٤	٥٥٢
٨٢٥	ما من رجل يذنب ذنبًا...	١١١٣	٤٦٨
٨٢٦	ما من شئ أثقل في الميزان...	٧٥٣	٢٨٩
٨٢٧	ما من عبد يسترعيه الله...	١١٤٣	٤٨٩
٨٢٨	ما من عبد يسترعيه الله...	٢٠٢	
٨٢٩	ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ..	٩٠٢	٣٥٨
٨٣٠	ما من غازية...	٩٠٦	
٨٣١	ما منعك أن تقول يوم كذا وكذا...	٢١٣	
٨٣٢	ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي...	٧٦٩	
٨٣٣	ما منكم من أحد...	٤٩٨	١٧٧
٨٣٤	ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه..	١٤٥٤	٦٢٥
٨٣٥	ما منكم من أحد إلا له منزلان..	١٦٤٤	٧٢٠
٨٣٦	ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها...	٥٠٠	
٨٣٧	ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول...	٢٨٨	٧٩
٨٣٨	ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه...	٥٩٧	٢٢١
٨٣٩	ما من مسلم يدان دينًا..	١١٥٥	
٨٤٠	ما من مسلم يعود مسلمًا...	٦٦٧	٢٥٣
٨٤١	ما من ميت تصلي عليه أمه من...	١٢٦٤	٥٥١
٨٤٢	ما من ميت تصلي عليه أمة..	١٢٦٤	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٨٤٣	ما من ميت يموت فيقوم باكيهم...	١٢٧٤	٥٥٧
٨٤٤	ما من نبي يمرض إلا خير...	١٣٢٣	٥٧٧
٨٤٥	ما من نفس تموت لها عند الله خير..	٩٠٢	
٨٤٦	ما من يوم أكثر...	٢٣٤	٥٩
٨٤٧	ما هذا يا بلال...	١٥٥٤	
٨٤٨	ما يزال الرجل يسأل الناس...	١١٠٥	٤٦٣
٨٤٩	ما يزال الرجل يسأل الناس..	١١١٥	٤٦٩
٨٥٠	ما يسرك أن لا يأتي بابًا من أبواب الجنة...	١٠٥٣	
٨٥١	ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا...	١٠٠٦	٤١٣
٨٥٢	ما يصيب المؤمن من وصب...	١٠٤٥	٤٣١
٨٥٣	ما يصيب المسلم من نصب...	١٢٣٨	
٨٥٤	ما يكن عندي من خير...	٦٧٧	
٨٥٥	ما ينتظر أحدكم إلى غنى مطغيًا...	١٠٤٠	
٨٥٦	مثل الجبلين العظيمين...	٧٨٢	
٨٥٧	مثل الجليس الصالح...	٧٠٦	
٨٥٨	مثل القائم على حدود الله...	١٠٧١	٤٤٥
٨٥٩	مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع...	١٢٤٠	
٨٦٠	مثل المجاهد في سبيل الله...	٨٠٥	٣١٦
٨٦١	مثل المجاهد في سبيل الله..	٨٩٧	٣٥٦
٨٦٢	مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل...	٣٥٢	١٠٨
٨٦٣	مروا أبا بكر فليصل...	٧٢٩	٢٨١
٨٦٤	مرحبًا بابنتي...	١٣٣٢	
٨٦٥	مستريح ومستراح منه...	١٢٤٣	٥٤٢

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٨٦٦	مفاتح الغيب خمس...	١٤٣	٢٣
٨٦٧	مفتاح الغيب خمس..	١٥١	٢٦
٨٦٨	ملأ الله عليهم..	٩٤٦	٣٨١
٨٦٩	مم تضحكون...	١٦٥١	٧٢٤
٨٧٠	من أتاه الله ملأ...	١٠٧٦	٤٤٨
٨٧١	من أتى عرافًا أو كاهنًا وصدقه...	١٥٩	
٨٧٢	من أتى هذا البيت فلم يرفث...	٦٧٢	
٨٧٣	من أثنيتم عليه خيراً وجبت...	١٢٣٤	
٨٧٤	من أحب أن يسأل..	١٤٨٧	٦٣٨
٨٧٥	من أحب دنياه أضر بآخرته...	٩٩٣	٤٠٥
٨٧٦	من أحب لقاء الله...	٢٤٢	
٨٧٧	من أحبني وأحب هذين وأباهما...	٤٤٠	١٤٩
٨٧٨	من أحتبس فرساً في سبيل الله..	٨٦٩	٣٤٥
٨٧٩	من ادعى إلي غير أبيه...	١١٧٧	٥١١
٨٨٠	من أخذ أموال الناس يريد...	١١٥٤	٤٩٧
٨٨١	من ارتبط فرساً...	٨٧٠	
٨٨٢	من أريد ماله بغير حق...	٩٢١	٣٦٨
٨٨٣	من استطاع أن يموت...	٤٧٦	١٦٧
٨٨٤	من أشار إلى أخيه بحديده...	١١٣٥	٤٨٠
٨٨٥	من أشراط الساعة...	١٣٨٣	٥٩٢
٨٨٦	من أصبح منكم اليوم صائماً...	٦٣٤	٢٣٧
٨٨٧	من أصحاب هذه القبور...	١٢٨١	
٨٨٨	من أصيب بمصيبة بماله...	١٠٥٧	٤٣٨

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٨٨٩	من أطاعني فقد أطاع الله...	٣٣٤	١٠٢
٨٩٠	من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني..	٣١١	
٨٩١	من أغبرت قدماه في سبيل الله...	٥٩٤	٢١٩
٨٩٢	من أغتسل يوم الجمعة..	٦١٣	٢٢٧
٨٩٣	من أفضل المسلمين ...	٨٤٧	٣٣٤
٨٩٤	من أكرم الناس على الله...	١٠١٥	
٨٩٥	من أنفق زوجين في سبيل الله...	٥٨٢	٢١٤
٨٩٦	من أنفق نفقة في سبيل الله...	٨٦٤	٣٤١
٨٩٧	من بني مسجداً...	٥٧٣	٢١٠
٨٩٨	من ترك الجمعة ثلاث مرات...	٧٦١	٢٩٤
٨٩٩	من تشبه بقوم فهو منهم...	٤٦٣	١٦١
٩٠٠	من تعمد على كذباً...	١١٩٩	٥٢٠
٩٠١	من توضأ مثل وضوئي هذا...	٥٨٧	٢١٦
٩٠٢	من جر ثوبه خيلاء...	١١٣٠	
٩٠٣	من جهز غازياً في سبيل الله...	٨٦٧	٣٤٣
٩٠٤	من حافظ عليها كانت له نوراً...	٦٤٩	٢٤٤
٩٠٥	من حرق هذه...	١١٤٢	
٩٠٦	من حج لله فلم يرفث...	٦٧١	٢٥٧
٩٠٧	من حسن إسلام المرء...	١٥٩٣	
٩٠٨	من حلف على ملة غير الإسلام...	١٢٢٨	٥٣٤
٩٠٩	من حوسب عذب..	١٤٢٢	٦١١
٩١٠	من خرج مع جنازة من بيتها...	٧٨١	
٩١١	من ذب عن لحم أخيه...	٦٦٩	٢٥٥

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٩١٢	من رآني في المنام فقد رآني...	٣٣٦	١٠٣
٩١٣	من رد عن عرض أخيه رد عنه الله...	٦٦٩	٢٥٤
٩١٤	من سأل الله الجنة...	١٥٨٥	٦٨٦
٩١٥	من سأل الله الشهادة بصدق...	٩٠٦	٣٦٠
٩١٦	من سأل الله القتل في سبيله...	٩٠٦	
٩١٧	من سأل الناس أموالهم تكثرًا...	١١٠٥	٤٦٤
٩١٨	من سأل عن علم علمه ثم كتمه...	١١٠٧	٤٦٥
٩١٩	من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته...	١١١٦	
٩٢٠	من سره أن ينظر إلى رجل...	٦٥٢	٢٤٦
٩٢١	من سمع سمع الله به...	٥٦٠	٢٠٥
٩٢٢	من سمع سمع الله به..	١٢٢٠	٥٢٩
٩٢٣	من سن سنة حسنة...	٣٤٠	
٩٢٤	من سن في الإسلام سنة حسنة...	١١٩٧	
٩٢٥	من شاب شيبة في الإسلام...	٧٧٦	٣٠٠
٩٢٦	من شاب شيبة في سبيل الله...	٧٧٦	٣٠١
٩٢٧	من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب...	١١٠٩	٤٦٦
٩٢٨	من شرب الخمر لم تقبل له صلاة..	١١٠٩	٤٦٧
٩٢٩	من شرب في إناء من ذهب أو فضة...	١١٠١	٤٦٠
٩٣٠	من شهد الجنازة...	٧٨١	٣٠٤
٩٣١	من شهد أن لا إله إلا الله...	٩٤	٦
٩٣٢	من صاحب هذا القبر...	١٣١٢	٥٧٠
٩٣٣	من صام يوم ابتغاء وجه الله...	٦٧٤	٢٦٠
٩٣٤	من صام يومًا في سبيل الله..	٦٧٤	٢٥٩

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٩٣٥	من صام يومًا في سبيل الله...	٨٦٥	٣٤٢
٩٣٦	من صلى البردين دخل الجنة...	٦٠٢	٢٢٣
٩٣٧	من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله...	١١٣٤	
٩٣٨	من صلى في يوم وليلة...	٦١٥	٢٢٨
٩٣٩	من ضار ضار الله به...	١١٣١	٤٧٧
٩٤٠	من طلب الشهادة صادقًا..	٩٠٦	
٩٤١	من ظلم من الأرض شيئًا..	١١٥٦	٤٩٨
٩٤٢	من عال جاريتين..	٧٤٨	٢٨٧
٩٤٣	من عاد مريضًا..	١٦٦٧	٧٣٣
٩٤٤	من غدا إلى المسجد وراح...	٥٩٢	٢١٨
٩٤٥	من فجع هذه بولدها...	٤١١	١٣٤
٩٤٦	من قاتل في سبيل الله...	٨٩٠	٣٥٣
٩٤٧	من قاتل لتكون كلمة الله...	٧٨٩	٣٠٧
٩٤٨	من قال حين يسمع النداء...	١٤٢٦	٦١٤
٩٤٩	من قال سبحان الله العظيم...	٦٩٥	٢٦٨
٩٥٠	من قال لا إله إلا الله...	٨٩	٤
٩٥١	من قام مقام رياء وسمعه...	٥٥٨	٢٠٣
٩٥٢	من قتل دون ماله...	٩٢٠	٣٦٧
٩٥٣	من قتل دون مظلمته...	٣٦٤	
٩٥٤	من قتل معاهدًا...	١٦١٦	٧٠٣
٩٥٥	من قذف مملوكه بالزنا...	١١٦٦	٥٠٣
٩٥٦	من قذف مملوكه وهو برئ..	١١٦٤	٥٠٢
٩٥٧	من قعد على فراش مغيبه...	١٣٠٢	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٩٥٨	من كانت الدنيا همه...	١٢٣٦	
٩٥٩	من كانت له ثلاث أخوات...	٧٥٠	
٩٦٠	من كانت له مظلمة...	١١٢٣	٤٧٤
٩٦١	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله...	٥٠٩	١٨٢
٩٦٢	من كان عنده طعام...	٧٤٠	٢٨٤
٩٦٣	من كان له وجهان...	١١٠٤	
٩٦٤	من كان يؤمن بالله...	١٠٨٤	
٩٦٥	من كظم غيظًا..	٧٧٩	٣٠٣
٩٦٦	من لا يرحم لا يرحم...	١١٦٨	٥٠٦
٩٦٧	من لا يشكر الناس لا يشكر...	١١٨٨	
٩٦٨	من لبس الحرير في الدنيا...	١١٧٤	٥٠٩
٩٦٩	من لبس ثوب شهرة...	١١٧١	٥٠٧
٩٧٠	من لطم الخدود...	١٠٩٤	
٩٧١	من لم يرحم المسلمين...	١١٧٠	
٩٧٢	من لم يغزو أو يجهز...	٨٦٤	
٩٧٣	من مات لا يشرك بالله...	١٠٠٩	
٩٧٤	من مات وهو يعلم أنه..	٥٠٣	١٧٨
٩٧٥	من نفس عن مؤمن كربة..	٧٣٣	٢٨٢
٩٧٦	من هذه..	٦٤٧	٢٤٣
٩٧٧	منهم من تأخذه النار...	١٥٤٤	٦٦٧
٩٧٨	من يلي من هذه البنات...	٧٤٨	٢٨٦
٩٧٩	من يضمن لي ما بين..	٦٦٠	٢٥٠
٩٨٠	من يضم أو يضيف هذا..	٩٨٥	٤٠١

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
٩٨١	موضع سوط في الجنة..	١٦٨٠	٧٤٠
	حرف النون...		
٩٨٢	نحن الآخرون السابقون...	١٤٣٩	٦١٨
٩٨٣	نزل الحجر الأسود من الجنة...	١٥٩٢	٦٩٠
٩٨٤	نضر الله امرءًا سمع مقالتي...	٦٢	
٩٨٥	نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا...	٦٣	
٩٨٦	نعم إذا كثر الخبث...	١٣٧٩	٥٩٠
٩٨٧	نعم الرجل...	٦١٨	٢٣٠
٩٨٨	نعمتان مغبون فيهما...	١٣	
٩٨٩	نعم تردون...	٧٧٨	
٩٩٠	نعم لكم سيما...	٥٨٦	
٩٩١	نعم وأرجو أن تكون منهم...	٥٨٤	
٩٩٢	نهيتكم عن زيارة القبور...	١٣١٥	٥٧٢
٩٩٣	نور أني أراه...	١٠٥	١١
	حرف الهاء		
٩٩٤	هاجر إبراهيم عليه السلام...	٢٧١	٧٥
٩٩٥	هذا ابن آدم وهذا أجله..		
٩٩٦	هذا الإنسان وهذا أجله...	١٠١٣	٤١٥
٩٩٧	هذا الذي تحرك له العرش...	١٣١١	
٩٩٨	هذا جبريل أخذ برأس...	٨٤٥	٣٣٣
٩٩٩	هذا جبل يحبنا ونحبه...	٩٣٣	٣٧٥
١٠٠٠	هذا مصرع فلان غدًا...	٩٤١	٣٧٩
١٠٠١	هذا يومهم...	٧٢١	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٠٠٢	هذه الرحمة وضعها الله...	٤١٣	
١٠٠٣	هذه طابه...	٤٥٦	
١٠٠٤	هل أخذتك...	١٢٣٩	٥٣٩
١٠٠٥	هل أنت إلا أصبع...	٣٥٠	١٠٧
١٠٠٦	هل تدرون ماذا قال ربكم...	٥٤٤	١٩٩
١٠٠٧	هل ترون ما أرى...	٨٨١	
١٠٠٨	هل تضارون في رؤية الشمس...	١٤٥٧	٦٢٦
١٠٠٩	هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست..	١٤٥٧	
١٠١٠	هل تفقدون من أحد...	٩٣١	٣٧٤
١٠١١	هل تمارون في القمر ليلة البدر...	١٠٦	١٢
١٠١٢	هل تنصرون...	٨٣٢	٣٢٧
١٠١٣	هل كنت تدعوا بشيء...	٢١٤	٥٢
١٠١٤	هما ريحانتاى من الدنيا...	٤٦٠	
١٠١٥	هو في النار...	٩٤٨	٣٨٢
١٠١٦	هي الرؤيا الصالحة...	٤٤٦	
١٠١٧	هي ما بين أن يجلس الإمام...	٧١٩	
	حرف الواو		
١٠١٨	واتبع أصحاب القليب لعنة...	٩٤٢	
١٠١٩	واشتكت النار..	١٥٠٣	٦٤٥
١٠٢٠	واضربوا لي بسهم معكم...	٦٨٢	
١٠٢١	واعلموا أن الجنة...	٩١٣	٣٦٤
١٠٢٢	واعلموا أنكم لن تروا ربكم...	٢٤٣	
١٠٢٣	والحج المبرور ليس له جزاء إلا...	٦٧٢	
١٠٢٤	والحياء شعبة من الإيمان...	٥١٩	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٠٢٥	والذي نفسي بيده إن الشملة..	٩٤٨	٣٨٣
١٠٢٦	والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي..	٦٤١	٢٤١
١٠٢٧	والذي نفسي بيده لا يكلم أحد...	٨٧١	٣٤٦
١٠٢٨	والذي نفسي بيده لتأمرن...	٧٦٨	٢٩٧
١٠٢٩	والذي نفسي بيده لقد عرضت...	١٤٩٦	٦٤٢
١٠٣٠	والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً...	٩٠٤	٣٥٩
١٠٣١	والذي نفسي بيده لا نيته أكثر...	١٥٨٩	
١٠٣٢	والذي نفسي بيده إنه ليخفف...	١١٣	
١٠٣٣	والذي نفس محمد بيده لولا أن اشق على...	٩٠٤	
١٠٣٤	والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم...	٣٦٥	١١٤
١٠٣٥	والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله..	٤٥٠	١٥٣
١٠٣٦	والله لا يجمع الله عليك موتتين..	١٣٢٥	٥٨١
١٠٣٧	والله لا يغفر الله لفلان..	٢١٩	٥٤
١٠٣٨	والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون...	٤١٤	
١٠٣٩	والمدينة خير لهم..	٤٧٦	
١٠٤٠	والمرأة راعية على بيت زوجها...	٢٠٢	
١٠٤١	وإن النار لا يعذب بها إلا الله...	١١٤٠	٤٨٦
١٠٤٢	وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة...	١١١١	
١٠٤٣	وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها...	١٢٦٣	
١٠٤٤	وإنما الأعمال بالخواتيم...	٤٩٧	
١٠٤٥	وإنما بعثت رحمة..	١١٥١	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٠٤٦	وأول ثلاثة يدخلون النار...	٩٣٧	
١٠٤٧	وتحشر بقيتهم النار...	١٣٨١	
١٠٤٨	وجبت...	٥٠٦	١٨٠
١٠٤٩	وجدتم ما وعد ربكم حقًا..	١٢٧٩	٥٦٢
١٠٥٠	وخذ بما تعرف...	١٠٢٤	
١٠٥١	ودعوى الرسل يومئذ الله سلم سلم...	١١٧	
١٠٥٢	وذلك الرجل آخر أهل الجنة...	١٢٤	
١٠٥٣	ورأيت النار...	١٥٩٧	
١٠٥٤	ورجل أقام سلعته بعد العصر...	١٠٨٨	
١٠٥٥	ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا...	١١٣٠	
١٠٥٦	وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله...	١٥٦٦	
١٠٥٧	وعبد مملوك أحسن عبادة ربه...	٩٣٧	
١٠٥٨	وعدني ربي...	١٦٠٢	
١٠٥٩	وعفيف متعفف ذو عيال...	٩٣٦	
١٠٦٠	وكان إذا رأى غيمًا...	١٨١	
١٠٦١	ولا يرحم الله من عباده إلا...	٤٨٤	
١٠٦٢	ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة...	١١٢٤	
١٠٦٣	ولد لي الليلة غلام...	١٢٤٧	
١٠٦٤	ولكن المؤمن إذا حضره الموت يبشر...	١٢٦٣	
١٠٦٥	ولكن لا أجد سعة فاحملهم...	٩٠٤	
١٠٦٦	ولو يعلمون ما في التهجير...	٦٠٨	
١٠٦٧	وماذا أعددت لها...	٤٢٨	١٤٣
١٠٦٨	وما كان يدريه أنها رقية...	٦٨٠	٢٦٢

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٠٦٩	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل..	١٣٢٥	٥٨٢
١٠٧٠	وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه...	٢٩٤	
١٠٧١	وما يدريك لعل الله أن يكون...	٢٥١	٦٨
١٠٧٢	ومن أذاني فقد أذى الله...	٤٢١	
١٠٧٣	ومن ترك الصلاة سكراً...	١٥٤٧	
١٠٧٤	ومن حقها حلبها يوم ورودها...	١٠٧٨	
١٠٧٥	ومن قتل دون أهله فهو شهيد...	٩٢٢	٣٦٩
١٠٧٦	ومن قتل نفسه بحديده فحديدته...	١٠٩٣	
١٠٧٧	ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل...		
١٠٧٨	ونادوا يا مالك..	١٥٦٣	٦٧٧
١٠٧٩	وهذا ثابت بن قيس..	٧٨٨	
١٠٨٠	وهل يكب الناس في النار على وجوههم...	١٢٤٩	
١٠٨١	وهم فيها كالحون...	١٥٥٢	٦٧٢
١٠٨٢	ويحبه الناس عليه...	٥٢٤	
١٠٨٣	ويحك...	١٦٢٩	٧١٠
١٠٨٤	ويقيض له سبعون تنيناً...	١٣٠٢	
١٠٨٥	ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك...		
١٠٨٦	ويميط الأذى عن الطريق صدقة...	٦٧٣	
	حرف الياء		
١٠٨٧	يا ابن حذافة لا تسمعني...	١٢٢١	
١٠٨٨	يا أسامة...	٨٨٥	٣٥١
١٠٨٩	يا أم سليم ما هذا...	٣١٢	٩٠
١٠٩٠	يا أيها الناس اربعوا..	١٤١	٢٢

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١٠٩١	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه...	١١٥١	
١٠٩٢	يا أيها الناس أيما أحد من الناس...	١٢٥٠	
١٠٩٣	يا أيها الناس أذكروا الله..	١٣٦١	٥٨٦
١٠٩٤	يا أيها النبي إنا أرسلناك..	٣٢٥	١٠٠
١٠٩٥	يا بلال حدثني...	٥٩٠	٢١٧
١٠٩٦	يا بني النجار...	٩٦٥	٣٨٨
١٠٩٧	يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان...	٣٩٨	
١٠٩٨	يا بني قصى يا بني هاشم...	٣٤٩	١٠٦
١٠٩٩	يا بني فهر يا بني عدي...	٣٥٧	
١١٠٠	يأتي زمان يغزو...	٨٣٠	٣٢٦
١١٠١	يأتي على الناس زمان يدعو الرجل...	١٠٥٥	٤٣٧
١١٠٢	يأتي عليكم أويس بن عامر...	١٠١٧	٤١٨
١١٠٣	يا جابر..	٩٠٣	
١١٠٤	يا حي يا قيوم...	٧٩٤	
١١٠٥	يا عائشة هذا جبريل...	٥٣٩	١٩٦
١١٠٦	يا عائشة أصوت عباد هذا...	٦٢٣	٢٣٢
١١٠٧	يا عائشة إن عيني تنامان...	٣١٤	٩١
١١٠٨	يا عائشة فإنه قد بلغني عنك...	٢٧٤	٧٦
١١٠٩	يا عائشة ما يؤمني...	١٧٩	٣٩
١١١٠	يا عبادي إني حرمت الظلم...	٢٢٨	٥٨
١١١١	يا عبادي لو أن أولكم وأخركم...	٢٣١	
١١١٢	يا عباس يا عم رسول الله ﷺ...	٩٩٦	٤٠٨
١١١٣	يا عائشة ما أزال أجد ألم...	١٣٢١	٥٧٣

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١١١٤	يا عبادي لو أن أولكم وآخركم...	٦٤٧	
١١١٥	يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك...	٦٩٦	٢٦٩
١١١٦	يا عبد الله لا تكن مثل فلان...	٧٥٩	٢٩٣
١١١٧	يا غلام أتأذن لي...	٣٨٢	١٢٤
١١١٨	يا غلام إني أعلمك كلمات...	١٦٥	٣٢
١١١٩	يا فلان أبشر...	٣٨٣	
١١٢٠	يا محمد عش ماشئت...	١٠٢٤	٤٢٢
١١٢١	يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني...	٤٣٤	١٤٦
١١٢٢	يا معاذ بن جبل..	٨٩	٢
١١٢٣	يا معشر الأنصار...	٣٤١	١٠٥
١١٢٤	يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً..	٣٠٩	
١١٢٥	يا معشر قريش...	١٣٦٥	٥٨٥
١١٢٦	يا معشر من أسلم...	١١٢٥	٤٧٥
١١٢٧	يا مقلب القلوب...	١٨٣	٤٠
١١٢٨	يتبع الميت ثلاثة...	٩٩٨	٤٠٩
١١٢٩	يتعاقبون فيكم ملائكة...	٦٦٣	٢٥٢
١١٣٠	يتقارب الزمان...	١٤٠٢	
١١٣١	يجاء بالرجل يوم القيامة...	١٥٣٦	٦٦٠
١١٣٢	يجمع الله الناس يوم القيامة..	١٤٢٩	٦١٥
١١٣٣	يجئ الدجال..	١٣٩٣	٥٩٧
١١٣٤	يجئ المقتول بقاتله..	١١٣٨	٤٨٣
١١٣٥	يجئ المقتول بالقاتل..	١١٣٨	٤٨٥
١١٣٦	يجئ صاحب القرآن...	١٦٧٦	٧٣٨

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١١٣٧	يجئ يوم القيامة..	١٤٢٤	٦١٢
١١٣٨	يحشر المتكبرون يوم القيامة...	١١٦٢	٥٠١
١١٣٩	يحشر الناس على ثلاث...	١٤١٦	٦٠٧
١١٤٠	يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف..	١٤١٦	٦٠٨
١١٤١	يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة...	١٤١٦	٦٠٩
١١٤٢	يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة..	١٤١٦	٦١٠
١١٤٣	يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء..	١٤١٤	٦٠٦
١١٤٤	يحشر الناس يوم القيامة..	١٤٦٤	٦٢٩
١١٤٥	يختصم الشهداء...	٦٥٧	٣٨٧
١١٤٦	يخرج قوم من النار بعدما..	١٥٦٧	٦٧٩
١١٤٧	يخرج قوم من النار بشفاعة..	١٥٦٧	٦٨٠
١١٤٨	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله..	٥١٥	١٨٥
١١٤٩	يخرج عنق من النار..	١٥٠٩	٦٤٨
١١٥٠	يخسف بأولهم...	١٣٨٠	
١١٥١	يدخل الجنة أقوام...	١٦٢٣	٧٠٧
١١٥٢	يدخل الجنة من أمتي..	١٦٠٢	٦٩٥
١١٥٣	يدخل الفقراء الجنة..	٩٧٧	٣٩٨
١١٥٤	يدخل أهل الجنة الجنة...	١٦٠٩	٦٩٩
١١٥٥	يدخل أهل الجنة الجنة...	١٤٨٢	٦٣٧
١١٥٦	يدعى نوح عليه السلام...	١٥٧٨	
١١٥٧	يرد الناس النار...	١٥٢١	٦٥٣
١١٥٨	يرسل على الكافر حيتان...	١٣٠٢	٥٦٥
١١٥٩	يرى أمرًا لله عليه...	٢١٢	

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١١٦٠	يسروا ولا تعسروا...	٤٢٥	
١١٦١	يسير الراكب في ظل...	١٦٦٥	٧٣٢
١١٦٢	يصاح برجل من أمتي...	٥١٢	١٨٤
١١٦٣	يطلع عليكم الآن...	٥٢٨	١٩١
١١٦٤	يعقد الشيطان على قافية...	٧٦٣	٢٩٥
١١٦٥	يعمد أحدكم إلى جمرة...	١٢٠٦	٥٢٣
١١٦٦	يغفر للشهيد كل ذنب...	٩٢٩	٣٧٣
١١٦٧	يكشف ربنا عن ساقه..	١٤٥٢	٦٢٤
١١٦٨	يقتص الخلق بعضهم من بعض..	١٤٦٤	٦٣١
١١٦٩	يقبض الله الأرض..	١٤٤٨	٦٢١
١١٧٠	يقول الله تعالى أخرجوا من النار من ذكرني...	١٥٦٥	٦٧٨
١١٧١	يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي...	٢٢٢	٥٦
١١٧٢	يقول الله تعالي لأهون أهل النار...	١٥٠٧	٦٤٧
١١٧٣	يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء...	١٢٤٩	٥٤٤
١١٧٤	يقول الله سبحانه...	١٢٥٣	
١١٧٥	يقول الله يا آدم..	١٥٠٤	٦٤٦
١١٧٦	يقوم أحدهم في رشحه..	١٤٥٠	٦٢٢
١١٧٧	يلقى إبراهيم أباه...	١٥٦٠	٦٧٦
١١٧٨	يكبر ابن آدم ويكبر..	١٢٣٥	٥٣٧
١١٧٩	يمين الله ملأى...	١٣٢	١٧
١١٨٠	ينزل الله عز وجل كل ليلة...	٦٢١	
١١٨١	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة...	٧٢٦	٢٨٠
١١٨٢	ينادى مناد أن لكم...	١٦٨٦	٧٤٢

مسلسل	لفظ الحـــديث	رقم الصفحة	رقم الحديث
١١٨٣	يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان...	١٢٣٥	
١١٨٤	يوشك أن يكون...	١٠٢١	٤٢٠
١١٨٥	يؤتى بالعبد يوم القيامة..	١٤٦٢	٦٢٨
١١٨٦	يؤتى بأنعم أهل الدنيا..	١٦٣٤	٧١٤
١١٨٧	يؤتى بالرجل من أهل الجنة..	١٦٤٩	٧٢٣
١١٨٨	يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون...	١٥٢٧	٦٥٦
١١٨٩	يوم يقوم الناس لرب العالمين..	١٤٥٠	٦٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ثبت المـــراجع

م	لفظ الكتاب	المؤلف الإمام
١	القرآن الكريم	
٢	صحيح البخاري بشرحه فتح الباري	البخاري شرح ابن حجر
٣	صحيح مسلم	شرح النووي
٤	سنن أبي داود بشرحه عون المعبود	شرح شمس الحق أبادي
٥	سنن الترمذي «تحفة الأحوذي»	شرح المباركفوري
٦	سنن ابن ماجة	ابن ماجة
٧	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل
٨	سنن الدارمي	الدارمي
٩	موطأ الإمام مالك	شرح السيوطي
١٠	صحيح ابن خزيمة	ابن خزيمة
١١	سنن البيهقي الكبرى	البيهقي
١٢	مسند أبي داود الطيالسي	الطيالسي
١٣	معجم الطبراني الكبير	الطبراني
١٤	معجم الطبراني الأوسط	الطبراني
١٥	معجم الطبراني الصغير	الطبراني
١٦	مسند أبي يعلى	أبو يعلى
١٧	سنن الدارقطني	الدارقطني
١٨	الزهد لهناد بن السرى	هناد بن السري
١٩	الزهد لعبد الله بن المبارك	عبد الله بن المبارك
٢٠	الزهد الكبير للبيهقي	البيهقي

م	لفظ الكتاب	المؤلف الإمام
٢١	مسند الروياني	أبو بكر الروياني
٢٢	معرفة علوم الحديث للحاكم	أبو عبد الله الحاكم
٢٣	شرف أصحاب الحديث	الخطيب البغدادي
٢٤	صحيح ابن حبان	ابن حبان
٢٥	الأدب المفرد	البخاري
٢٦	الشفا بذكر أحوال المصطفى ﷺ	القاضي عياض
٢٧	مجمع الزوائد	ابن حجر الهيثمي
٢٨	المطالب العالية	ابن حجر العسقلاني
٢٩	الرسالة	الشافعي
٣٠	رياض الصالحين	النووي
٣١	جامع العلوم والحكم	ابن رجب الحنبلي
٣٢	الترغيب والترهيب	المنذري
٣٣	شرح الكرماني للبخاري	الكرماني
٣٤	عمدة القارئ	العيني
٣٥	إرشاد الساري	للقسطلاني
٣٦	تفسير جامع البيان	ابن جرير الطبري
٣٧	تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
٣٨	تفسير الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
٣٩	الإتقان في علوم القرآن	السيوطي
٤٠	تفسير النسفي	النسفي
٤١	كشف الكربه	ابن رجب الحنبلي
٤٢	العقيدة الطحاوية	الطحاوي بشرح أبي العز الحنفي
٤٣	معارج القبول	حكمي
٤٤	مختصر منهاج القاصدين	أحمد بن قدامه

م	لفظ الكتاب	المؤلف الإمام
٦٥	لطائف المعارف	ابن رجب الحنبلي
٧٦	زاد المعاد	ابن القيم الجوزية
٨٧	نور الاقتباس	ابن رجب الحنبلي
٤٨	الغربة والاغتراب	ابن القيم
٤٩	الكبائر بتحقيق الشيخ أسامة عبد العظيم	الذهبي
٥٠	إقتضاء الصراط المستقيم	ابن تيمية
٥١	فضل علم السلف على الخلف	ابن رجب
٥٢	العزلة	الخطابي
٥٣	السيرة النبوية	ابن هشام
٥٤	رسالة ماجيستير الجزء الأول من علوم الحديث للحاكم	عبد الله بن عبد الحميد
٥٥	لسان العرب	لابن منظور
٥٦	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي
٥٧	الغوامض والمبهمات	خلف بن بشكوال
٥٨	صفة الصفوة	ابن الجوزي
٥٩	فتح المنعم شرح صحيح مسلم	ا.د. موسى شاهين لاشين
٦٠	السيرة النبوية	ا.د. عبد المهدي بن عبد القادر

رقم الإيداع ١٩٠٤٧ / ٢٠٠٢



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣